

الضَّاعِدُ بَيْنَ الْأَشْهُمِ وَالْوَقْفِ

تأليف

عبد الله بن أبي حمزة

الطبعة الثانية

القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م

الصّراع بين الإسلام الوثنية

تأليف

عبدالله علي آيةمي

الجزء الأول

« نداء ورجاء ونصيحة الى
خميني ايران واتبعاه
ايقرأوا هذا الكتاب
بكل الصدق والحماس
والاخلاص والايمان
والتقوى »

الطبعة الثانية

القاهرة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف :

الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين ، أما بعد .
فإننا بعد أن كتبنا هذا الجزء وثرنا فيه ماسوف يحجده القارىء من المذاهب الشيعة
ظفرنا بنصوص شيعية أخرى مدونة في كتاب محدود لدى القوم من أوثق الكتب
بل يكاد يكون أوثقها إطلاقاً ، واسم هذا الكتاب « أصول الكافي » تأليف محمد
ابن يعقوب المعروف بالكلينى ، وهذا الكتاب ومؤلفه محسوبان عند الشيعة كصحاح
البخارى ومؤلفه عند أهل السنة ، وهو مطبوع في فارس حيث تربض عصية التشيع
وعصائره . وقد استحسنا أن نضع أمام القارىء نماذج مختلفة من هذا الكتاب في
هذه المقدمة إتماماً للفرض الذي قصدناه ، وثبیتاً لما قد يخالفنا بعض رجال الشيعة
في ثبوته عنهم

(الأئمة يوحى اليهم عند الشيعة)

قال في الكافي : « كتب الحسن بن العباس الى الرضا يقول : ما الفرق بين
الرسول والنبي والامام ؟ فقال : الرسول هو الذى ينزل عليه جبريل فيراه ويسمع
كلامه وينزل عليه الوحي ، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع ،
والامام هو الذى يسمع الكلام ولا يرى الشخص » ص ٨٢ وقال « والأئمة لم
يفعلوا شيئاً ولا يفعلونه إلا بعهد من الله وأمر منه لا يتجاوزونه » ص ١٣٥
وفي الكتاب نصوص أخرى متعددة في هذا المعنى ، فالأئمة لدى هؤلاء أنبياء
يوحى اليهم ، ورسل أيضاً ، لأنهم مأمورون بتبليغ ما يوحى اليهم ، وهذا هو معنى
ادعائهم في أثمتهم العصمة وأنهم لا يقولون خلاف الحق لا سهواً ولا عمداً ، بل
وأنهم لا ينسون ولا يسهون . والأئمة بهذا أعظم من الأنبياء والرسل عند أهل

(ب)

السنة ، لأن أهل السنة لا يزعمون أن الأنبياء لا ينسون ولا يسهون ، بل عندهم أن محمداً عليه السلام كان ينسى ، وكان يقول إنما أنا بشر أنسى كما تنسون . والنقل في هذا بالغ مبلغ التواتر المعنوي ، ونسيان الأنبياء في حوادث معلومة نازل به القرآن الكريم

ولا اعتقاد الشيعة أن الأئمة يوحى إليهم كالأنبياء يكفرون من أنكر أحداً منهم أو شك فيه ، أو لم يفضلهم على سائر الخلق ، وكذلك يكفرون من لم يقبهم من المسلمين ، ولأجل هذا يحملون الإمامة أساس الدين وقاعدته التي عليها النجاة والملايك ، فالأئمة عندهم كالأنبياء فيما هم به أنبياء ، بل هم عندهم أعظم وأجل من أكثر النبيين ، وهذا أمر لا يختلفون فيه وسوف يمر بالقارىء في أثناء هذا الكتاب الذي تولينا مناقضته أن صاحبه يفضل العلماء ، بله الأئمة ، على بعض الأنبياء . وهذه مآسى علمية لا يكبح التوم عن الجهر بها

وعلماء الاسلام اليوم يرون أن فرقة القاديانية خارجة من نطاق الاسلام لزعمها أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً ، فما قولهم في هؤلاء الذين يزعمون أن الأئمة أنبياء ثم يزعمون أن الإمامة واجبة على الله في كل زمان ، ومعنى هذا أن النبوة بأبلغ معانيها واجبة على الله وموجودة أيضاً في كل زمان ؟

(الأئمة عند الشيعة يعلمون كل شيء)

ثم قال : «والأئمة اذا شاءوا أن يعلموا شيئاً أعلمهم الله إياه ، وهم يعلمون متى يموتون ، ولا يموتون إلا باختيارهم ، وهم يعلمون علم ما كان وعلم ما يكون ولا يخفى عليهم شيء » ص ١٢٥ و ص ١٢٦

وفي الكتاب نصوص أخرى أيضاً في المعنى ، فالأئمة يشاركون الله في هذه الصفة ، صفة علم الغيب وعلم ما كان وما سيكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء ،

(ج)

والمسلمون كلهم يعلمون أن الأنبياء والمرسلين أنفسهم لم يكونوا يشاركون الله في هذه الصفة ، والنصوص في الكتاب والسنة وعن الأئمة في أنه لا يعلم الغيب إلا الله متواترة لا يستطيع حصرها في كتاب . وهذا ضيق عن الادلاء بشواهد ، ومن المؤسف المحجل لعمر الله أن يزعموا أن الأئمة يعلمون الغيب ، ويعلمون ما كان وما سيكون ، ويزعمون أنه لا تخفى عليهم خافية ، وهم يصفون الله جل جلالته وعظمته بالبداء كما سوف يمر بالقارىء . ومعنى البداء أنه تعالى يعلم ما لم يكن يعلم ويبدؤ له من الأمر ما لم يكن بادياً . فالأئمة عند القوم أعلم من الأنبياء والمرسلين وأعلم من الله نفسه !

وعلى أساس هذه العقيدة الغالية في الأئمة اتجه لهم أن يضرعوا إليهم كما يضرع الناس إلى الله ، وأن يدعوا في السراء والضراء كما يدعو المؤمنون ربهم ، وأن يسألوهم كل ما يسأله الموحّد ربه من عظيم الحاجات وجليل المطالب

(الأئمة أعلم من الأنبياء عند الشيعة)

ثم قال : « وعند الأئمة جميع الكتب التي نزلت من عند الله ، وهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها ص ١٠٧ وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبین . ثم أورد الله الأئمة الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء ص ١٠٧ وعند الأئمة اسم الله الأعظم ص ١١٠ و ص ١١٢ وعندهم الجفر وهو وعاء من آدم فيه علم النبيين والرصيين وعلم الذين مضوا من بني إسرائيل ص ١١٥ وقال أبو جعفر إن الله علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه » ص ١١٣

وقال في الوشيعة : « كان الصادق يقول على ما تروى كتب الشيعة إنني لأعلم ما في الجنة وما في النار ، وأعلم كل ما كان وكل ما يكون ، ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس لهما » ص ٩٣

(د)

فالائمة أعلم من الأنبياء ومن الملائكة ومن جميع العالمين ، لأنهم يعلمون علم الملائكة ، وعلم الأنبياء ، وعلم جميع الفايدين من بنى اسرائيل ، بل ويعلمون كتاب الله المبين الذى أحاط بالغيوب الكائنة فى الأرض أو فى السماء ، ويعلمون جميع اللغات التى نزلت بها كتب الله على أنبيائه ، ولا يتنازع المسلمون فى أن نبياً من الأنبياء مهما عظم قدره ومنزلته لم يكن يعلم ذلك كله ولا يحيط بجميع ما ذكره لأنهم خبروا ، ولا أحد من المسلمين المتهتدين يزعم أن سيد الأنبياء كان يعلم علم جميع الأنبياء وجميع العالمين ، وعلم جميع الملائكة ، وعلم ما فى الكتاب المبين الذى ضمن كل غائبة فى الأرض أو فى السماء ، وأنه يعلم جميع اللغات التى نزلت بها كتب الله . هذا من الأمور الضرورية ، والنصوص على ذلك لا يحصىها محص فالائمة أعلم من الأنبياء جميعاً فى مذاهب الشيعة ! فإقول العلماء فيمن يزعمون هذا المزعم ؟

(القرآن ضائع منه ثلاثة أرباعه عند الشيعة)

ثم قال : « ولم يجمع القرآن كله إلا الأئمة . وهم يعلمون علمه كله ، وقد كذب من ادعى من الناس أنه جمع القرآن كله ، فاجمع وحفظه كما أنزله الله إلا على بن أبى طالب والأئمة من بعده ص ١١٠ وعند الأئمة مصحف فاطمة وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات . وليس فيه من قرآننا حرف واحد » ص ١١٥

هذا قول الشيعة ورأيهم فى كتاب الله ، والمسلمون لا يختلفون فى أن من زعم أن القرآن قد نقص منه حرف واحد فقد ارتد ، وليس من شك أن من زعموا أنه قد ضاع ثلاثة أرباع القرآن أو زعموا أن هذا المصحف الذى بين أيدي المسلمين ليس هو كلام الله الذى أنزله على نبيه قوم أديعيا فى الاسلام ، وأن أمرهم فوق أمر المرتدين ، بل لا ترتاب أن هذه مزاعم زنادقة قالوا انهم أسلموا ليقوضوا

(٥)

دعائم الاسلام وليضر به الضربة القاتلة المميتة ، ولا نتائم من أن نقول ان أهل
الملك الأخرى المصارحين للاسلام بالعداوة والبغضاء ، أقرب اليه من هؤلاء ، واننا
نقبح هؤلاء المسلمين الذين يحفلون ويحتفلون برجال هذه الطائفة ويدعونهم اخوانهم
المخلصين ، ويألفون في إكرامهم ورعاية ضيافتهم الى هذه الحقيقة المرة ونقول لهم
ان الاسلام أجل في نفس المسلم من أن يتقبل مصانعة قوم هذا زعمهم في كتاب
الله ، وما أقر عيون القادحين في الاسلام لو ظفروا بهذه الآراء الشيعة في أمر
الاسلام وكتابه ! وما عسى خصم الاسلام يقول فيه شراً من هذا أو ينال منه
أعظم مما نالته منه الشيعة !

(الناس عبيد للآئمة والأرض ملك للامام عند الشيعة)

ثم قال الكافي « قال الرضا : الناس عبيد لنا في الطاعة موال لنا في الدين ،
فليبلغ الشاهد الغائب ص ٨٨ والأرض كلها للامام . قال الله « ان الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » وأهل البيت هم الذين أورثهم الله
الأرض وهم المتقون ، وفي كل من الفنائم والنفوس والكنوز والمعادن والملاحة
الحبس ، قال الله « واعطوا أما غنمتم من شيء فان لله خمسة الآية » وما لله ولرسوله
والقريب للامام ص ٢٨٩ وكذلك الأجسام والمعادن والبحار والمفاوز فهي للامام
خاصة . فان عمل فيها قوم باذن الامام فلهم أربعة أخماس وللامام الخمس ص ٢٨٨
قال في الوافي ^(١) : « كل أنهار الأرض خرقت بابها جبريل هي لنا ولشيعتنا
وليس لعدونا من ذلك شيء ، وان ولينا في أوسع مما بين السماء والأرض » . وقال
في الوافي والتهذيب ^(٢) أيضاً « الأرض كلها لنا وما أخرج الله منها من شيء فهو لنا

(١) الوافي أحد كتب الشيعة المعتمدة عليها لديهم

(٢) التهذيب أحد كتب الشيعة القديمة

(و)

وقد أحللتها لشيعتنا ، وسائر الناس يتقبلون في حرام الى يوم القيامة ، وقال الصادق
إنا أحللتنا أمهات شيعتنا لأبائ شيعتنا لتطيب ولادة الشيعة ، وكل الأموال رقابها
يختص بها الامام دون سائر الناس ، فلا يحل لأحد نكاح ولا تجارة ولا طعام على
وجه من الوجوه وسبب من الأسباب إلا بإباحة من الامام وإطلاق منه في
التصرف »

فالناس كما ترى عبيد لأئمة الشيعة ، والأرض وما فيها ملك أيضا لامامهم ،
فالعالم الأرضي بناسه وحيواناته ومعادنه وكنوزه وبحاره وكل ما فيه ملك الامام
يتصرف فيه تصرف المالك في ملكه ، فليس في هذه الأرض انسان واحد حر
وليس فيها مالك سوى الامام إلا ما يهبه هذا الامام لمن يشاء من عبيده تفضلا منه
وأجراً لكسبهم وأعمالهم ! نحن لانسى مثل هذا خروجاً على الدين أو على الأديان
كلها ، فهو أقل من هذا كله ، بل هو الفناء الديني والانتحار العلمي الشنيع . ولا
نعلم كيف يمكن أن يعطى الامام نصيبه من هذه المغام والكنوز والملاحات وغير
ذلك مما يملكه ، وهو كما تزعم الشيعة مختلف منذ أكثر من ألف عام في مفارقة من
المغارات المجهولة المنقطعة ، لا تمكن معرفتها ولا معرفته ولا الاتصال بها أو به ؟
هذا لعمر الله سوء الدهر وقاصمة الظهر

(الأئمة خزان علم الله وكل ما لم يكن من عندهم فهو ضلال)

تم قال في الكافي : « قال أبو جعفر نحن خزان علم الله ونحن تراجمه وحى الله
ص ٩١ . . . وليس من الحق في أيدي الناس الا ما خرج من عند الأئمة . وإن
كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل » ص ٢١٢

والقول عندهم في هذا المعنى كثيرة . فالأئمة للمعلومون المعلومون لدى الشيعة
م الخزان لعلم الله وهم التراجم لكلام الله ووحيه ، وهم المخصوصون بمعرفة الهدى

(ز)

والحق . فلن يصل الى ملك مقرب ولا الى نبي مرسل قبس من علم الله الا من طريق
الائمة والا باذنتهم وامرهم ، ولن يعرف عبد من عباد الله معنى من معاني وحى الله
ولا سرّاً من أسرارهِ ولا امرّاً أو نهياً من أوامره ونواهيه الا ما ترجمه الائمة
وينبؤوه ، والا ما شاءوا ليعيدم الناس أن يعلموه . وكل علم لم يأت من طريق الائمة
فهو جبل ، وكل هدى لم يخرج من عندهم فهو ضلال ، وكل حق لم يصدر من
ساحتهم فهو باطل ، لأنهم هم الخزان والتراجم لعلم الله ووحية وكلامه . فلا للملائكة
مهندون ولا عالمون ، ولا غيرهم مهتدون ولا عالمون ان لم يتفضل عليهم أئمة الشيعة
بالهداية والعلم . ولا أحد يستطيع أن يفهم من كلام الله آية واحدة ولا حرفاً واحداً
إن لم يترجمه له ترجمة كلام الله ووحية من أئمة الشيعة . فلا هدى إحد ولا علم ولا
سعادة ولا نجاة إلا للشيعة ١ ؟ والمصيبة الكبرى أن يكون لعلم الله خزان تعالى
الله من ذلك ١ ولا ريب أن خازن علم الله أعلم من الله أو مساوٍ له ١ جل الله وتعالى
جله وأعلى شأن أنبيائه ورسوله وملائكته ١ ١

(الشيعة للجنة وإن أساءوا ، وأهل السنة للنار وإن أحسنوا)

ثم قال في الكافي : « قال الله تبارك وتعالى لأعذبن كل رعية في الاسلام
دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية ،
ولأعفون عن كل رعية في الاسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت
الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة » ص ١٩٠ وقال في الكافي أيضاً « قيل للصادق أنى
أخالط الناس فيكثر عجبى من أقوام لا يتولونكم ويتولون أبا بكر وعمر لهم أمانة
وصديق ووفاء ، ومن أقوام يتولونكم ليس لهم أثر من صدق ولا وفاء ولا أمانة ،
فاستوى الصادق جالساً ، فأقبل كالفنضبان ١ ثم قال لادين من دان الله بولاية إمام
جائر ، ولا عتب على من دان الله بولاية إمام عادل . قلت لا دين لأولئك ولا

(ح)

جذب ولا ذنب على هؤلاء ؟ ! قال الصادق نعم ! ألا تسمع الى قول الله « الله ولي
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور » من ظلمات الذنوب الى نور التوبة
والغفرة بولاية إمام عادل من الله « والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات » كانوا على نور الاسلام فلما تولوا كل إمام جائر ليس من
الله خرجوا من نور الاسلام الى ظلمات الكفر . وقال في الكافي أيضا وهو في
التهذيب أيضا : « قلت للصادق أ أنزل مكة ؟ قال لا تفعل . أهل مكة يكفرون
بالله جيرة . قلت أ أنزل في حرم النبي ؟ قال هم شر منهم . أهل المدينة أخبث من
أهل مكة سبعين ضعفا . عليك بالعراق بالكوفة . أهل الشام شر من الروم ،
والمخالف شر من سائر الكفار . لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم ... »

والتصوص في كتب القوم في تثبيت هذا البلاء متواترة . فأهل السنة الموالون
لأبي بكر وعمر لن تميل منهم حسنة ، والشيعه المهاجرون لأبي بكر وعمر المؤمنين
بالامام المنتظر لن يؤخذوا بسيئة واحدة ! فاضلم الشيعة صائر الى الجنة ولا بد !
وأبقى أهل السنة صائر الى النار ولا بد ! فهؤلاء لن تنفعهم الحسنات ، وهؤلاء لن
تضرهم السيئات ! فليعمل خصوم أبي بكر ما يشاؤون من الفسوق والمروق ، فلن
يسألوا عن شيء مما يعملون ، وليقلل أولياء أبي بكر وعمر من البر والصلاح فلن
يجزوا بحسنة مما يصنعون ؟ !

وهذه الآراء تصير بأصحابها ، وأسفاه ، الى الفوضى والاباحية المطلقة ، وسيجد
القاريء أنها قد حلت طوائف من الشيعة على أن دانوا برفع التكليف الالهية عنهم
لاعتقادهم أن من وصل الى الاعتراف بالامام فقد وصل الى السكال ، فلا جناح
عليه أن يعمل ما يشاء وأن يدع ما يشاء ! فلا حلال ولا حرام ولا واجب ولا
محظور . فلتنتم الشهوات إذن قبل الفوات ، ولترتشف النفوس حاجاتها من هذه
الحياة ، فكل ذنب مغفور ، فن ترك شهوة خوف عقابها فقد جهل وخسر . ونحن

لا نشك أن وضعة هذه الأقوال التي نعزوها كتب الشيعة الى أئمة آل البيت -
قوم ما كرون منافقون . نارهوا الاسلام بهذا السلاح للردول ، ومن أعظم المهجاء
لآل البيت عزو هذه الأقاويل اليهم ، ومن الواضح أن النواصب لم ينالوا منهم
ما قال هؤلاء الشيعة

(الامام عند الشيعة)

ثم قال في الكافي : « وقال الرضا : إن الامامة هي منزلة الانبياء وإرث
الأوصياء . إن الامامة خلافة الله وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث
الحسن والحسين . إن الامامة زمام الدين ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز
المؤمنين . الامامة أس الاسلام النأى وفروعه السامى ، وبالامامة تمام الصلاة
والزكاة والصيام والحج وتوفير النأى والصدقات وامضاء الحدود والأحكام ومنع
الثغور والأطراف . الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ، ويقيم حدود الله
ويذب عن دين الله . الامام الماء العذب على الظأ ، والصال على الهدى ، وللنجى
من الردى . الامام المطهر من الذنوب وللبرأ من العيوب ، المخصوص بالعلم الموسوم
بالعلم . الامام واحد دهره ، لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ، ولا يوجد منه بدل
ولا له مثل ولا نظير . مخصص بالفضل كله من غير طلب منه ولا اكتساب
بل اختصاص من المفضل الوهاب ، فمن ذا الذى يبلغ معرفة الامام أو يمكنه
اختياره ؟ هيات هيات ، ضلت العقول وتاهت الخلوم وحارت الآلباب ، وكلت
الشعراء وعجزت الأدباء وعيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من
فضائله وأقرت بالعجز والتقصير . وكيف يوصف بكلمة أو ينمت بكلمة أو يفهم
شأ من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويقبى غناه ، وهو بحيث النجم من يد
المتأولين ووصف الواصفين ؟ لقد راموا صعبا وقالوا إفكاً إذ تركوا أهل بيته عن

(٥)

بصيرة . ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن ينادى « وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم » فكيف لهم باختيار الامام ؟ عالم لا يجهل ، وداع لا ينكل ، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة ، والعلم والعبادة . مخصوص بدعوة الرسول . إن العبد اذا اختاره الله لأمر عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاماً ، فلم يبق بجواب ، ولا يجيد فيه عن الصواب . فهو معصوم ، قد أمن من الخطأ والزلل والشار . ينحصر الله بذلك ليكون حجة على عباده وشاهد على خلقه ص ٩٦ و ص ٩٧ . والله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه علياً ، وأنه كان شريكه في العلم ص ١٢٧ ثم انتهى هذا العلم الى الأئمة ولو كان لألسنة الناس أوكية لحديثهم الأئمة بما لهم وما عليهم ص ١٢٨ ، والله أمر بطاعتهم وسمي عن معصيتهم ، وهم بمنزلة رسول الله إلا أنهم ليسوا بأنبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء ، فأما ما خلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله ص ١٣١ ، وكان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل ، وهذا الروح مع الأئمة ص ١٣٢ ، وكل امام يؤدي الى الامام الذي بعده الكتب والعلم والسلاح ص ١٣٣ ، والامام لا يلبو ولا يلعب ولا يستطيع أحد أن يظعن عليه في قم ولا بطن ولا فرج ص ١٣٨ ، وكل امام يعبد الى الذي يليه ويترك له كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ، وفي هذا الكتاب ما يحتاج اليه ولد آدم منذ خلق الله آدم الى أن تفتى الدنيا . وللإمام غيبة وللإمام الثاني عشر غيبة قال الله « فلا أقسم بالحنس الجوار الكنس » ص ١٤٩ وقال . « قال أبو عبد الله من ادعى الامامة وليس من أهلها فهو كافر » ص ١٨٧ ، وقال أبو جعفر كل من دان الله بمادة يجهد نفسه فيها . وليس له امام من الله فسميه غير مقبول وهو ضال متحير والله شاني . لأعماله ص ١٨٩ ، والامام اذا مات لا يفسله إلا امام ، وقال أبو عبد الله اذا أراد الله أن يخلق الامام من الامام بعث ملكاً فأخذ شربة من

(ك)

تحت العرش ودفعها الى الامام فشرها في الرحم أربعين يوماً لا يسم الكلام . فاذا وضعت أمه بعث الله اليه ذلك الملك فكتب على عضده الأيمن « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته » فاذا قام بهذا الأمر رفع الله له في كل بلدة مناراً ينظر به الى أعمال العباد ص ١٩٦ ، والملائكة تدخل بيوت الأئمة وتطأ بسطهم وتأتيهم بالأخبار ص ١٩٩ ، والأئمة هم أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته على من فوق الأرض ومن تحت الثرى » ص ٩٣ ، وفي الوافي « قال الصادق كنا عند الله وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره . ثم بدا له في خلق السموات والأرض فخلق ونحن معه ، وكان الصادق يقول إن الله خلق أرواحنا من نور عظمت ثم خلق أبداننا من طينة مكنونة تحت العرش . فنحن خلق نورانيون لم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وخلق أبدان الشيعة من طينة مخزونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلق الشيعة منه نصيبا إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن والشيعة « الناس » وصار سائر الناس همجاً للنار والى النار » الباب السابع والثامن بعد المائة . وفي الوافي أيضا « على مثل النبي كلفه الله بمثل ما كلف به نبيه في التبليغ والهداية يده مفتاح الجنة والنار ، لا يدخلهما داخل إلا على حد قسمته . وهو المؤدى عن كل من تقدم لا يتقدمه أحد إلا أحمد هو والنبي على سبيل واحد ، وقد أعطى الست . المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب ، وهو صاحب الكرات والدولة والعصا والميسم ، وهو الغاية التي تكلم الناس »

وفي كتاب الوشيعة ص ١٠١ « روت كتب الشيعة مثل الكافي والوافي والتهذيب أن الله خلق محمداً وعلياً وفاطمة أول ما خلق فكتبوا ألف دهر . ثم خلق العالم وأشهد هؤلاء الثلاثة خلق العالم ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم وفوض أمور العالم اليهم . فهم يفعلون ما شاءوا ويحلون ما شاءوا ويمرمون ما شاءوا »

(ل)

هذه بعض صفات الامام وبعض ما يخلعون عليه من التقديس . فالامام عندهم
يفعل ويقول ما يشاء ، وكل ما يقول وما يفعل فهو كما يقول وكما يفعل . فهو معصوم
من الخطأ والزلل وسائر أعراض البشرية ، وهو عالم لا يبجل شيئاً فطاعته لأجل
ذلك فرض على الجميع فمن خالفه أو حاد عنه أو قدم مخلوقاً عليه فهو من الكافرين
وهو كالنبي في رفعة الشأن ، وهو شريك في العلم ، والشركة هنا يجب أن تفهم
فهاك يخالف أن يكون المراد أنه يتلقى عنه ما يوحى اليه لأن الناس جميعاً مثل على
في هذا ، وإنما الشركة هنا هي الشركة في الرسالة . فعلى شريك محمد عليه السلام
وقد قلنا أن الأئمة يوحى اليهم وأن الملائكة تأتيهم بالآخبار كالأنبياء . ثم الامام
مخصوص بالفضل كله محض تفضل من الله . فلا فضل إلا والامام مخصوص به
فهو كامل من جميع الوجوه ، والفضل هنا كل معنى جميل . فالامام مخصوص بالعلم
وبالقُدرة وبفهم شرائع الله والاحاطة بجميع أسرارهِ وشئونهِ ، وفي الاحاطة بجميع
العلوم واللغات ، وبالأجمال مخصوص بكل وصف حسن من أوصاف الأنبياء
وصفات الله . ثم هو محل حلال الله ومحرم حرامه . فمن خالفه فقد خالف الله
لأنه ينطق بمراد الله نصليته به ، وهذا المعنى مستعار من عقيدة النصارى ، ومن
قولهم ما حل الاجبر والرهبان في الارض فهو محلول في السماء وما ربطوه في الارض
فهم مربوط في السماء . ثم الامام هو المنجى من الردى فهو القدى يدفع عن العباد
الآفات وأقانين الاقدار الفادحة ، وهو المطهر من العيوب والذنوب ، وهو
المخصوص بالعلم كما هو المخصوص بالفضل ، وكلمة مخصوص فيها معنى الاقتراد
فالأئمة هم العلماء وحدهم لا يشار كهم في العلم مشترك والناس لا يطمون إلا
ما علمهم آياه الأئمة والامام لا بدانيه أحد إذ ليس له نظير لأنه هو الكامل
الجامع لأشتات الفضائل . ثم لا تستطاع معرفته ولا اختياره لعظم شأنه ، وفي
هذا المعنى قال أحد الشيعة في الامام على :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه كحفظة عنز أو قلامة ظافر
يجل عن الاعراض والآين والتي ويكبر عن تشبيهه بالاناصر
وقد عجز الناس عن أن يصفوا شأنا من شؤونه أو يقدروا فضيلة من فضائله
فلا يمكن أن يعرف شيء من أموره وأسراره أو يوجد من يقوم مقامه ، فليس
كثله شيء . ثم هو مقدس ، بل هو معدن القداسة ، فهو مقدس في نفسه مقدس
غيره ، وقد ألهم الحكمة والعلم الهاما فأحاط بافراد الحكم والعلوم فلا يعجزه جواب
ولا يجحد عن صواب ، بل كل أمره علم وحكمة وصواب . ثم ان علوم الامام
لا تستطاع الاحاطة بها ، ولو كان للناس استعداد لحديثهم بهم وما عليهم دنيا
وأخرى ، وقد أمر الله بطاعته ونهى عن معصيته تخصيصا وتنقيصا . فهو كالرسول
في كل شيء إلا في النساء ، وأما فيما خلا ذلك فهو كهم ، ولهذا فان له جميع
النواميس النبوية ، وقد كان مع رسول الله روح أعظم من جبرائيل وميكائيل
وهذا الروح مع الامام ، ولا نعلم ماذا يريدون بالروح ، وأية روح هي أعظم من
جبريل وميكائيل ؟ ولعلمهم يريدون الحلول المشهور عنهم كما سوف يجيء . ثم
هناك سلاح وعلم وكتب تتوارثها الائمة ، وكل امام يهدى الى الامام الذي بعده
كتابا فيه جميع ما يحتاج اليه البشر ، ولهذا فان الائمة أركان الارض يسكنونها
عن الديدان والزوال ولولاهم لا ذكفات بأهلها ، ومن ادعى أنه امام وليس كذلك
فهو كافر كما أن من ادعى أنه إله أو رسول فهو كافر ، والامام مخالف للمخلوقات
في خلقته وفي موته وفي كل شيء . فهو مخلوق من شربة تحت العرش ، وإذا ما ولد
جاءه ملك وكتب على يده آية ثم رفع له منار يرى به أعمال العباد أين كانوا .
والائمة متقدمو الوجود على الموجودات ، فقد كانوا مع الله قبل أن يكون معه أحد
ثم بدا له أن يخلق خلق وهم معه . وأرواح الائمة وأبدانهم مغايرة لأرواح
الناس وأبدانهم . فأرواحهم من نور عظمة الله فهي الهية ، وأبدانهم مخلوقة من

(ن)

طينة تحت العرش ، وأما سائر الناس فهمج للنار وإلى النار ، والامام مكلف بمثل ما كاف به النبي من البلاغ والهداية لانه مثله يوحى اليه ، وييده الخير والشر والاسعاد والاشقاء . فلا يدخل الجنة داخل ولا يدخل النار داخل إلا بقسمته وأمره ، وقد أعطى التصرف في ست في المنايا والبلايا يميت ويحيي ويبتلى ويساقى من يشاء ، وقد وكل اليه أمر الوصايا وفصل الخطاب وفوض اليه أمور العالم فهو يحل ويحرم ويفعل كل ما يشاء

هذه مجموعة من الاوصاف اذا ما نسقت لموصوف واحد ونسق معها ما قدمنا خرج من بينها رب عظيم جامع لاوصاف الربوية ، فاذا ما أضيف إلى هذا ما يمنحونه الأئمة من المضراعات ومعاني العبودية خرج من ذلك إله عظيم معبود ، ولا فرق بين الامام عند الشيعة وبين اللاهوت والناسوت وروح القدس أو المسيح عند النصارى ، ولعل هذه مستعارة من تلك ، والشيعة تقول بحلول اللاهوت في ناسوت الأئمة ، وقد جهر قدامى الشيعة بهذا ، وهذه الأوصاف التي يخلعونها على الامام لا فرق بين قولهم بها وبين أن يقولوا ان الامام شريك لله أو مساو له أو هو هو ، لأن هذه الأوصاف الامامية هي أخص أوصاف الله . ولهذا كثيراً ما يجهر المتشيعون بتأليه أئمتهم وتأيليه أنفسهم كما صنع الفاطميون ودعاتهم ، ومن هـ الطريق دخل الى الاسلام القائلون بوحدة الوجود وبحلول الخالق في خلقه ، وكان هذا أصل الأصول لما أصاب الاسلام والمسلمين من الفساد واعتلال العقائد

(المسلمون في رأى الشيعة)

للشيعة في سائر الأمة ولا سيما الصدر الأول رأى شنيع وقد تعبدوا بتأليف اللعنات الملتبئة وارسالها على المسلمين ، وقد خصوا بأشد ذلك أكابر المسلمين كالخلفاء وقد ملثوا كتبهم بهذه اللعنات وأبدعوا أي ابداع في إجادتها وإسباغ الآثواب الشرعية الخيالية عليها ، وهم لا يشكون في كفر كبار الصحابة كالخليفين وكفر من

(م)

تولوم في جميع الصور . والنقل في كتبهم لا يحصره كتاب . وفي كتابنا هذا
أفانين من هذا النوع . وقد تقدم قولهم ان الشيعة والأئمة هم الناس وأن المسلمين
وغيرهم مخرج للنار الى النار ، وأن الله لا يتقبل من مسلم حسنة معها أحسن وبائع
في الاحسان إن لم يكن شيعياً . وتقدم أن من أنكر أحداً من أئمتهم فهو كافر ضال
والله شانيء لأعماله ، وأن من تولى اماماً جائراً كان بكراً وعمره فهو كافر للنار والى
النار . وقد روى الوافي « ان أول من بايع أبا بكر هو إبليس ، وأن النبي قال أول
من يبايع أبا بكر في منبري هذا هو إبليس » وفي الوافي أيضاً عن الصادق « ان
قول الله وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » نزل في أبي بكر وعمر حين
قالا يوم وصاة النبي بالأسر املوا انظروا الى عينيهِ (أي عني النبي) تلويحاً
كأنهما حينما يجنون « وفي الكافي : « أن النبي قال لا بى بكر لما رأى جزءه في
الغار أسكن ثم لواه النبي معجزات فأضمر أبو بكر في نفسه حينذاك أن النبي ساحر
فسمى صديقاً » وفي الكافي والوافي « ان قول الله ضرب الله مثلا للذين كفروا
امرأة نوح وامرأة لوط - الآية نزل في عائشة وحصة وإبها كافتان مناققتان
خالدتان في النار » وروى الوافي وغيره عن الصادق أنه قال « ما من مولود يولد
الا وإبليس من الأبالسة يحضرته فان علم الله أن المولود من شيعة حجبه عن الشيطان
وإن لم يكن من شيعة أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأيوماً وفي فرج
الجارية فكانت فاجرة » وفي التهذيب : « كان الصادق يقول خذ مال الناصبي
حيث ما وجدته وادفع اليها الخمس » وفي الوافي قال : « كل راية ترفع قبل قيام
القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله » وقال في الوافي أيضاً « الجهاد مع غير
الامام حرام مثل حرمة الميتة والخنزير ، ولا شهيد الا الشيعة ، والشيعة شهود ولو
مات على فراشه حنف أفنه ، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل
يتصلون »

(ع)

وفي الرواق « قال رجل لباقر قد حجبت وأنا مخالف فقال أهدحيك » وفي الرواق : « ما اختص بروايته الامة فلا تلتفت اليه » وفي الكافي « أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) الآية قد نزل في الصحابة بعد موت النبي » وفي الكافي « ان قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) الآية نزل في أولياء أبي بكر وعمر » وفي الكافي أيضا أن قوله « ان الذين آمنوا ثم كفروا » الآية نزل في أبي بكر وعمر وعثمان آمنوا بالنبي ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي ، ثم آمنوا بالبيعة لعلي ، ثم كفروا بعد موت النبي ، ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الامة »

(تفسير الشيعة للقرآن)

لم يعتد على كتاب الله بتفسيره التفاسير المذكورة المضحكة مثل الشيعة . وقد وضعنا أمام القاري نماذج من هذه التفاسير . فيفسرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر ، ويفسرون الأنداد في قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) بالخليفين أيضا . ويقولون في قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الآية أنهم هم الصحابة اذ تولوا الخلفاء . ويقولون إن امرأة لوط وامرأة نوح الكافرتين المذكورتين في القرآن هما عائشة وحفصة ، ويقولون في قول الله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر) الآية أنه نزل في أبي بكر وعمر . ويقولون في آئمة الكفر في قوله (قاتلوا آئمة الكفر) أنهم طلحة والزبير ، وأن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية ، وأن البقرة التي أمر بذبحها هي عائشة ، ويقولون في « مرج البحرين » انهما علي وفاطمة وفي « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » انها الحسن والحسين وقد حمل طوائف منهم الفرائض والمحرمات على أنها رجال ، فاستحلوا المحرمات وتركوا الواجبات ، ومن الظريف أن شيئا منهم واسمه يان كان يزعم أن الله يعنيه بقوله « هذا يان للناس » وكان آخر منهم يلقب بالكسف

(ف)

فزع هو وزعم له أنصاره أنه المنى يقول الله « وإن يروا كسفاً من السماء » الآية ،
وقد جاء المختار بن أبي عبيد من ذلك بأعاجيب الأعاجيب
كربلاء أفضل من مكة عند الشيعة :

لما ان كان مذهب الشيعة قائماً على عداوة الصحابة وعلى التلوي في آل البيت
كره المتشيعون كل أرض يوالى أهلها الصحابة وقتلوا كل أرض يماذهم أهلها ،
ولهذا قاتهم يكرهون الحجاز أشد الكراهة لأن أهلهم لم يزالوا من أولياء أبي بكر
وعمر ولأن في الحجاز جسدي هذين الخليفين ، وقد قلنا أن بعض الناس سأل
أحد أئمة الشيعة عن النزول في مكة والمدينة فهما وسب أهلها أمر السب ، ونصح
له بالنزول في العراق . وهجوم القرامطة على مكة وتخريبها وانتهاك الحجر الأسود
وقتل الحجيج مرجعه هذا ، لأن القرامطة فرقة من فرق الشيعة . ولأجل هذا فإنه
يندر أن يحج الشيعة وهم يعتقدون أن بلدًا يحله مشهد من مشاهد آل البيت أفضل
من مكة ، وزيارة واحدة لمشهد من المشاهد أفضل من الحج . ومن أقطع ذلك أن
ثلاثة من رجال الشيعة وهم محسن الأمين العاملي وأحمد عارف الزين صاحب مجلة
العرفان وعبد الحسين شرف الدين ألفوا رسالة سموها « الشيعة والنار » وقد جاء
في هذه الرسالة ص ٢٥ أن كربلاء أفضل من مكة وأن زيارة آل البيت فيها أفضل
من حج بيت الله ، وذكروا في وجه ذلك أن كربلاء تضم رفات آل البيت . ومن
الجرأة أنهم ذكروا لهذا عنواناً في رأس الصفحة ونصه : « وجه تفضيل كربلاء
على مكة عند الشيعة »

فكربلاء أفضل من مكة ، وزيارة المشاهد أفضل من الحج ، والأئمة أفضل
من الأنبياء ، وظلمة الشيعة أفضل من أبي بكر وعمر ، ومن أتقى أهل السنة ،
وسينات الشيعة أبر وأفضل من حسنات أهل السنة ، وأهل السنة لا تقبل لهم حسنة

(ص)

والشيعة لا يؤخذون بسيئة ، والأئمة يعلمون كل شيء ، ويقدرّون على كل شيء ،
ويصنعون كل ما يصنعه الله ، ويسألون كل ما يسأله الله . هذا كله من عقل الشيعة
ودينها وإسلامها منقولاً من أصح كتبهم . وإنا ندع للقاريء وحده هذا السؤال :
هل يمكن أن يكون أصحاب هذه الآراء من أصدقاء الاسلام ؟؟ أما أنا فلا أشك
أن مذهباً هذه الروايات بعض نصوصه . لا بد أن يكون قائماً على عداوة الاسلام
والكيد للمسلمين ، ولا أستطيع أن أفهم أن مرجع هذا هو الخطأ والزلل ، والله
العليم بذات الصدور غير أن لفحات النفاق لا تشبهه بنفحات الايمان ، ومهماً
الكذب المحرقة لا تلبس بنسائم الصدق المنعشة . ومن العجيب أن يحاول هؤلاء
النيل من أهل السنة ومن الحكومة السعودية غيرة على الاسلام والمسلمين فيما يزعمون !
ان الحكومة السعودية اليوم هي الأمل المنبجج للمسلمين وللعرب بين دياجي اليأس
القائمة المحيطة بأرجاء الاسلام وأرجاء كل شيء عربي . فمن قدح فيها كان قدح
مسدداً الى قواد الاسلام النابض وقلب العروبة الخاشي الراجي . ها نحن وأأسفاه
نرى حكومات البلاد العربية والاسلامية تنكر للاسلام وتقلب لكل شيء عربي
واسلامى ظهر المحن ، اجابة لدسائس الغرب وخدعه المجرمة ، فحق على كل مسلم
الغيرة على هذه الحكومة ما استطاع ، وحق على كل مسلم وعربي النصيح لها
ولربان سفيتها

ان الحكومات الاسلامية وأأسفاه تسعى بخطوات جريئة الى الهوة السحيقة ،
فواجب علينا المحافظة على مآثينا وعقائدنا وأخلاقنا من هذا المرض العنيف الذي
ألح على أكثر الناس حتى وقعوا صرعى على مذبح المدنية الطائشة . والويل
للمسلمين وللعرب وحدهم إن لم يحافظوا على أنفسهم وإن لم يتأسكوا إزاء هذه
العواصف . والويل لهم ان تركوا الفرص تمر بهم وهم عنها غافلون نياماً
عبد الله على القصيمي

الشعاع الهابط

في سنة (٢) ميلادية فصلت الارض من السماء فصلا تاما وغلقت جميع أبواب السماء دون الارض وأهلها وفزعت الاملاك الى أقطار السماء وانقطع ذلك المدد الروحي الذي كانت تمان به الارض وأهلها على اجتياز ظلمات المادة وفسق المادة وكثافات المادة سيرا الى عالم الارواح ومستقر الروحانيين ، فخبط الناس في ظلمات ثلاث : ظلمة العقائد ، وظلمة القانون ، وظلمة الانفس . أما العقائد فلا يجد المتأمل فيها بصيص نور يهتدى به الى هداية أو يخلص به من ضلالة . وأما القوانين فلا يجد المتأمل فيها ما يعين على عدالة أو ما يخرج من ظلامه . وأما الانفس فلا يجد المتأمل فيها مكانا لعقيدة صحيحة سليمة ولا لقانون عادل إنساني رحيم .

فبظلمة العقائد استبد رجال الدين بقلوب الناس وعواطفهم ، وبظلمة القانون استبد رجال السلطة الزمنية بأموال الناس وظهورهم ، وبظلمة الانفس واتى رجال الدين ورجال السلطة الزمنية الاستبداد بأموال الناس وقلوبهم وعواطفهم وظهورهم فما زالت الانسانية تتخبط في هذه الظلمات الثلاث ، وتنهدر الى الهاوية السحيقة ، وتتخلى من المعاني الانسانية شيئا فشيئا ، ومن تراث رسالات السماء وبقايا تعاليم الانبياء ، حتى تمحضت عن أسم كان من قسوتها وفظاعتها أن تقتل بنينا شر القتلات خيفة أن يشاركهم في ما كلهم ومكسبهم ، ومن عقلها ودينها أن تصنع بأيديها معبودها ، ومن مجدها الذي يتفنى به الرائع والنادى والطفل والشيخ وتنسج له برود الثناء الخندق في انتزاع الارواح والمهارة في إيتام الاطفال وإرمال النساء وإكمال الامهات والآباء ، ومن كرمها وخلقتها أن تقتصب أموال العاجزين عن الازياد عنها لتقدمها للاضياف مكرمة ونزلا . حتى لقد صدق في تلك الامم قول الحق « أولئك كالانعام بل هم أضل »

(٢)

وفي ذات ليلة من عام ٦١٠ ميلادية بينما كان الكون ساكنا صامتا والاشياء
راكدة مصغية متوجسة كأنها تتوقع حدوث أمر عظيم ، انفتحت فرجة من السماء
فعلقت بها الأبصار انبعث منها شعاع قوى وهاج باهر فهبط على غار يقيم هناك
في جانب من جوانب قرية تقع هناك في جانب حامل مهجور من جوانب
أركان الارض الخاملة المهجورة يقيم في ذلك الغار رجل لا كالرجال يحمل نفسا
لا كالأنفس وقلبا لا كالألوب ، هرب بنفسه وقلبه وفطرته من أولئك الناس
وعقائدهم وأعمالهم الى السكون والهدوء والى الطهارة التى لا يظفر بها بين الناس
في حدود القرية والمدينة مخليا بين روحه وما فطرت عليه من الطهر والنبل
والعظمة والتأملات السامية الحادة النافذة ، واصلا بين نفسه وربّه بصلة هذا الكون
وما أودع فيه من آياته وبيئاته

فكان هذا الشعاع المابط هو ما عرف بعد بالاسلام ، وكان هذا الغار هو
ما عرف بعد بغار حراء ، وكان هذا الرجل الذى لا كالرجال هو منقذ الانسانية
الأكبر من كبوتها محمد بن عبد الله ﷺ ، وكانت هذه القرية هى مكة المكرمة
الواقعة في قلب بلاد العرب الجدياء العتيقة .

تسلل ذلك النور الموصول بالسماء العليا ، من غار حراء الى مكة متوجسا
متوجها في صدر محمد ﷺ مشعا من جوانب صدره . فتمر بيوت مكة وفجائها ،
وسال في طرقاتها ونواديها ، وتناثر على وجوه الرائعين فيها والغادين .

فأبهر الناس ودهشوا لهذا النور الوهاج الذى لم يبرده ولم يبصروه ولم
يسمعوا به . فوقفوا منه موقفين متباينين متخاصمين : وقف الجمهور إلا أكثر منه
موقف الرجل الخائف الكاره المنكر فأوصدوا دونه أبوابهم ونوافذهم ، ثم قلوبهم
ونفوسهم ، وقاموا منه مقام العداء والنضال الحاد العنيف .

ووقف منه القليل النزر موقف الراضى المسرور المعجب المنتبط ، ففتحوا له

أبو إنيهم ونوا قدم وفتحوا له قبل هذا قلوبهم ونفوسهم وطلبوه في مكانه وسعوا إليه خفافاً وثقالاً .

فكان من هذا القليل النزر بيوت عرفت بالسبق إلى الهداية والاسلام ونصرتة ، وكان من هذه البيوت أبيات أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، هؤلاء الذين عرفوا فيما بعد بالعلماء الأربعة الراشدين ، وكان من هذا القليل النزر غير هؤلاء .

فقبست هذه الصدور من نور محمد ﷺ ، كلُّ صدر بقدره وما أهّل له ، فتعددت مصادر هذا النور الالهي وزاد إشعاعه وانتاده وزاد في مكة وضوحا وإشراقا وتوهجا ، وهكذا ظل يتزايد إشعاعا وإشراقا في تلك القرية المحدودة الضيقة حتى ضاقت به فسال منها وتناثر إلى الجارات ، ثم انتقل مصدره الأول الأكبر إلى قرية عرفت فيما بعد بالمدينة المنورة ، ففشاها هذا النور الوهاج الهابط وتدفق إلى بيوتها ، فقبست منه الصدور ، فازداد إشعاعه وإشراقه ، حتى ضاقت به تلك المدينة ، ولم تعد واسعة له ، فتدفق منها إلى هاهنا وهاهنا ، إلى الشرق والغرب ثم إلى الشمال والجنوب ، هازما كل ما أمامه من الظلمات الثلاث ظلة القانون ، وظلة العقائد ، وظلة الأنفس ، وما استطاعت ظلة من هذه الظلمات الثلاث أن تثاقفه أو تواقفه لا طويلا ولا قصيرا

تكاثف هذا النور واتسع نطاقه في السماء وفي الأرض ، وتفاعل تفاعلا إلهيا وتجسد تجسداً محماديا ، حتى صار دينا قيما باهرا ، ذا تعاليم وقوانين ، وشرائع محكمة سامية يعشقها القلب إن لم يحبها العقل ، ويحبها العقل إن لم يعشقها القلب ، ويدينها عشقا من لم يدنها برهانا ، ويدينها برهانا من لم يدنها عشقا .

ثم صار لهذا الدين أنصار وقواد ، يحملونه في إحدى اليدين وفي الأخرى الحديد ذو البأس الشديد ، ويعرضونه على الناس في حالة مفرغة من الأسياف الغلاء

(٤)

في قباب نفاق من الأبطال الأشداء ، يذودون عنه الابداء والاعتداء ، ويخلون
له الطريق الى القلوب والعقول ، وما أجل الحق تعرضه للقوة ، وما أحمل القوة
تنصر الحق ، وما أوضح الحق متدرعا !!!

فأصبح ذا قوتين عظمتين : قوة تعاليمه ، وقوة رجاله وأنصاره ، فتعاليمه قوية
بالغة نهاية القوة لأنها مفهومة ميسورة ، لا تعقيد فيها ولا ضلال ، فالعبد يتصل بربه
مباشرة فيدعوه ويعبده ويرفع اليه حاجاته مباشرة لا وسيط ولا شريك ، ويخصه
بكل معاني عبادته ودينه وحده ، والمعرض المبعد عن ربه إذا ما أراد التوبة
والرجوع اليه فما عليه إلا أن يخلص له قلبه وعمله ، ويبسط اليه تعالى يد المتاب
فيقبله ويغفر له ذنوبه وإن كانت عدد ذنوب الخلق جميعا ، ولا يحتاج الى أن
يذهب الى قسيس أو راهب أو ومن أو حجر أو قبر رجل صالح ، فيذل له ويشكو
اليه ليرفع أمره وتوبته الى الله ، كي يغفر له ، وكي يعفو عنه ، فتعاليمه ليست موى
إيقاظ الفطرة الانسانية وتخليصها من الاغلاط والأغلاط ، فالله كما خلق الخلق
وحده بلا شريك ولا معين ، فكذلك يعبدوه وحده لا شريك له ولا نديد

وأين من هذه التعاليم الأقانم الثلاثة : الآب ، والابن ، والروح القدس
شئ واحد ، وحلول اللاهوت في الناسوت ، والاعتراف ، وبيع الجنة ، والصلب ،
والفداء . وما في هذه من التخليط والتضليل ؟ ! وأين من هذا إلها المجوس ، وأوثان
العرب ودعاوى اليهود وتشبيهم وأقوالهم المغلية في الله وفي أنبيائه والاغلال
والأصهار التي كانت عليهم

وأما رجاله وقواده فكانوا أقويا . أيضاً غاية القوة لأنه علمهم ألا يخاف للعبد
إلا ربه وذنبيه ، وألا يذل إلا لمن ذل له كل شيء وخلق كل شيء ، ولمن بيديه
أسباب الخوف وأسباب الأمن وحده ، وألا يتأخر عن الموت من طلب الحياة
وأحبها . . فان من رغب في الموت ذلت له ناصية الحياة ، ومن رغب في الحياة

ذلت ناصيته هو الموت . . فكانوا يقدمون على الموت إقدام من ليست حياته ملكا له .
 فأخذوا بنواصي الأكامرة والقيصرة وذروا التراب على جباه العظماء الطاغين الذين
 طالما جرعوا الانسان جر ع الذل والموان وأذاقوه فصوص الخسف والاستبداد . .
 فتهاوت العروش المتيدة الظالمات تحت أقدامهم وحوافر خيولهم ، وتساقطت
 تحت منامهم إبلهم شرفات إيوانات طالما تساقطت تحتها رؤوس الملوك والعظماء
 والقواد . فطروا بأطراف سيوفهم وعصيتهم وقسيهم ممالك وملوكا كانت تستعدى
 على الدهر ويشتكى اليها الزمان . ووضعوا كل أنف عات أشم في الرغام ، وأنزلوا كل
 بطريق متأله من سماء الأحلام والالوهية الى أرض الحقيقة وبساط العبودية ، فكانت
 فترة من الزمن تجمع فيها الزمن ، ورواية فصولها ثلاثة : الايمان ، والشجاعة ،
 والعدالة . خاتمتها تلك السعادة التي تمتع بها الانسان أحيانا متطاولة . طأطأ الخصوص
 رؤوسهم حينئذ وعلموا أنه لا قبل لهم بمواقفة هذا الدين ولا بمناقضة أنصاره ووجهه
 من طريق الحرب والنضال المادى العسكرى ، وعلموا أن منازلهم ولا محالة مصيرهم
 الى الفناء ، وعلموا أيضا أنه لا قبل لهم بمنازلته علميا برهانيا وأنه لا يمكن من
 هذه السبيل أن ينتصر عليه دين من الأديان ، ولا أن يواقفه حينئذ من الزمان

فإذا إذن يصنعون لاضعاف هذا الدين الهائل العظيم الذى فعل بهم وبقومهم
 وملكهم الطاغى الباغى ما فعل من القلب والاحباط ؟ ؟ وهم لا بد فاعلون شيئا بل
 أشياء ، فاتقون حيلة بل حيلة . أيقنحون فيه ويحشدون عليه الشبهات والشكوك
 ليزعزعوا عقيدة أهله وإيمانهم به ؟ كلا ان هذا أمر غير ممكن لأن هذا الدين
 ليس دين شكوك وشبهات لأنه دين الفطرة الخالصة من الأخلاط والاغلاط . ثم
 ان أهله لن يدعوه للشكوك والمشككين يعشون به . فهذا ما لا يستطيع . فإذا
 إذن يصنعون ؟ أيلتمحرون استشفاء مما فى صدورهم من غيظ وحسد ؟ كلا إن موتهم
 هم لا يشفى صدورهم بل موت هذا الدين . أهربون الى حيث لا يرون هذا الدين

ولا يسمعون به ؟ وأين يهربون ؟ أليس قد سار مسير الليل والنهار ، وبلغ مبلغ الليل والنهار ؟ أيدخلون فيه كما دخل الناس باخلاص وصدق ؟ كلا ان الاخلاص يهلك ولا يهلك ، وإن الاخلاص لشيء مع احتقاب الحمد له أمران لا يجتمعان أبداً . هذا إذن كله ليس برأى ولا عقل ، فماذا إذن يفعلون ؟؟

إن ما هنا حيلة واحدة لانفاذ هذا المشروع المدمر لا حيلة غيرها ولا حيلة أفضل منها . هذه الحيلة هي أن يدخلوا في هذا الأمر لا إيماناً وتصديقاً ، ولكن نفاقاً ومكيدة ليستطيعوا افساده والعبث به من كذب فيبتدعون فيه ويدخلون فيه الأباطيل والضلالات بلسم الدين والتقوى وبمجة الاستزادة من العبادة والتقرب الى الله فيخدع بذلك المؤمنون ويتقبلونه بسلامة نية وطهر قصد ، وتخفى عليهم الأغراض الباعثة على هذا ويخفى عليهم ما يضرهم هؤلاء الخادعون المنافقون ، فيحسب على مرّ الدهور ما ليس من الدين ديناً ، بل ويحسب ما يتأبذ أصول الدين وأسسه من أصوله وأسسه . والحق إذا لابس الباطل أصبح نسيب للباطل وعز تخليص أحدهما من الآخر ، والحق نزيه كريم إذا نزل به الباطل ارتحل عنه وهذه حيلة من حيل أهل النفاق والدهاء المرّ ، ما زال يلجأ اليها المكره الدهاة حتى عصرنا هذا

وقد اتقن الأوروبيون في هذه الحيلة والمكيدة أيما اقتنان فلا يرى الواحد منهم بأساً في أن يتظاهر بالاسلام عشرات الأعوام ويبدى ضروبا من الزهد وطلاء الورع والتقشف ليبدل المسلمين على صحة اسلامه وإيمانه باطنا وظاهراً . وقد لبس ثوب الاسلام من وراء بشرته رجل هولندي وجاور في مكة المكرمة خمسة وعشرين عاماً مظهراً الاسلام والإيمان والزهد والورع كل هذه الأعوام صابراً مصابراً حتى ان القمل كان يتناثر من أثوابه ومن بدنه في طرق مكة المكرمة وفي المسجد الحرام حتى استطاع أن يخدع المسلمين ، وأن يقتنعهم بأنه مسلم الباطن والظاهر وأنه من

(٧)

أكبار الزاهدين وحتى استطاع أن يفقه الاسلام وأن يلم بفقه المذاهب الاربعة الفقهية واستطاع أن يمتحن نفوس المسلمين وأن يسبر مبلغ تدينهم واسلامهم ؛ وأن يلمس أما كن الضعف والقوة فيهم إن كانت القوة فيهم أما كن وحتى ثم له أن يعرف من أحوال المسلمين في أنحاء الأرض وما يشتملون عليه من آلام وآمال ما لم يعرفه المسلمون من أنفسهم وما لن يعرفوه فيما أظن

وهذا الرجل الهولندي كان يشغل الى وقت قريب أعظم منصب حكومي في الشئون الاسلامية في حكومة هولندا الجارية

وأمثال هذا الرجل كثيرون اليوم وقبل اليوم ومنهم من يدعى حب العرب والحرص على حقوقهم وانصافهم كي يقرّبوه ويطمئنوا بجانبه فيطعموه على أمرارهم وعلى ذات صدورهم ، ويدلوّه على تنورهم . ولهم في هذا حيل غريبة ... وهذا من شر أنواع النضال ومن شر ما جيل عليه رجل الغرب من لؤم وفذالة ودهاء كره مرذول . وقد كان رجل الجاهلية العمياء يتنعم من مثل هذا الدهاء ويأنف منه ويرى به من الصغار ما يحمله على الرغبة والعزوف عنه . وحكومات أوروبا العاتية الجبارة البائنة من القوة المادية مالا مطعم وراءه لطامع ، تلجأ الى هذا الدهاء والنفاق ، لايقاع الدويلات الصغيرة الضعيفة في فخاخ كيدهم ومكرهم ، ولسلبهم ما بقى في أيديهم من حرية وحصانة . ولكن هيهات ثم هيهات ، فقد برح الخفاء وعرف الناس هذه المكاييد والمصايد ، وصاروا لا يثقون بأمر من أمور أوروبا لما شهدوا وعلموا من خداعها وتضليلها . والمخروور لعمر إلهك من غروره بعد اليوم . .

صمم هؤلاء الأعداء للإسلام على إنفاذ هذا الأمر ، وعلى التظاهر بالاسلام لإرادة إفساده واحباطه وإفساد أهله ، فدخل فيه من هذا الصنف لأجل هذا الترض رجال من اليهود ورجال من المجوس الفرس ورجال من غير هؤلاء

(٨)

وغير هؤلاء وكل منهم يختبأ أنواعاً من الضلال والخلال وكل منهم مصمم على إنفاذ ما هم به وما ادعى الاسلام لأجله ، وكان من برناجمهم أيضا اغتيال الخلفاء الذين تم على أيديهم تهطيم ممالك الظالمين واجتياح ظلمهم وظلماتهم . وبأيدي هؤلاء الأئمة قتل الخليفةتان بلا ريب عندنا عمرو بن الخطيب وعثمان بن عفان ، وكذلك قتل الخليفة على وأريد قتل معاوية وصهر بن العاص وغير هؤلاء ، وذلك أن هؤلاء ماعدا عمر قتل منهم من قتل وأريد قتل من أريد بدعوى الغيرة على الدين والخروج على الظلم والظالمين لأنهم زعموا أن هؤلاء الخلفاء والامراء كفروا بحق قتالهم واغتياهم انتصاراً للدين والحق . هذه هي دعوى القوم . ولكن الفاحص للحوادث النافذة في أحشائها المستقرىء لما أحاط بها يعلم أن هذه الآراء الغريبة في الاسلام الشاذة الباطلة إنما دخلت على جماعات المسلمين من سبيل هؤلاء الأدعياء الخونة الضلال ومنهم انبعثت في الجماعات الاسلامية وخيلت رشداً وديناً وقد أشار الى هذا النبي الكريم إذ حذر في أخبار معلومة كثيرة المناقاة المتناول للقرآن الواضح له في غير موضعه

ويقرب هذا اليك أننا إذا ما تتبعنا تاريخ كل بدعة ورأى شاذ في الاسلام وجدنا مصدر ذلك من غير العرب من الأمم الموقورة من الاسلام وأهل الاسلام كاليهود والمجوس الفرس وكغير هؤلاء . أما المبتدعة من العرب فهم تبع هؤلاء مستقون منهم أصول ما عندهم من البدع والشذوذ مخدوعون بهم . والعربي بطبعه نزاع الى التصديق لأنه مجبول على الصدق . والصادق في نفسه ميال الى تصديق غيره . ولا شك عندنا في أن كل الاخلال التي أصيب بها الدين الاسلامي ترجع الى غير العرب . ومن أشهر الفرق المبتدعة في الاسلام الرافضة والمعتزلة والخوارج . وقد اجتمع لهذه الفرق الثلاث من أصول الابتداع والشذوذ ما لم يجتمع لغيرها من الفرق المنتسبة للاسلام . والواضعون لأصول هذه الفرق الثلاث

المنافية لأصول الاسلام مباشرة يرجعون الى أصول غير عربية . فان الواضع
 لأصول مذهب التشيع والرفض هم اليهود كما سوف يجيء . والخوارج ليسوا
 سوى فرقة من الشيعة خالفوا عليا وشيعته فخرجوا عليه وعليهم وأكفروهم
 وأكفروه . وضلالات المعتزلة منها ما يرجع الى هؤلاء ومنها ما يرجع الى هؤلاء والباقي
 يرجع الى الفرس وكذلك جميع ما أصيب به الدين الاسلامي من الآراء الفاسدة
 كالقول بوحدة الوجود والتناسخ وإنكار صفات الله والقول بمصمة الأئمة والقول
 فيهم بعبادة القبور والانقطاع الى الاموات وما تبع هذا من زخرفة القبور والبناء
 عليها ، الى غير هذا من التشبيه والاقوال المنكرة في الله وفي صفاته وفي رحله
 من مستبشع الآراء .

وكان من أشهر هؤلاء الذين زعموا للناس أنهم أسلموا ليخرجوهم من الاسلام
 رجل ماكر خبيث يهودي من يهود صنعاء يقال له عبد الله بن سبأ ، ويعرف أصحابه
 من فرق الشيعة بالسبئية .

نبغ هذا اليهودي في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وأظهر الاسلام والزهد
 والغيرة على الدين وأهل الدين وبالغ ظاهراً في حب آل البيت النبوي وموالياتهم
 والمطاف عليهم لأنهم مظلومون ، وهتضمو الحق كما زعم هذا الرجل وكان زعم
 أصحابه وكان زعمت فرق الشيعة من بعده ، وراح يزعم ويدعو سراً وجهرآ الى
 ما يزعم أن الخليفة بعد رسول الله هو علي بن أبي طالب ، ثم أولاده من بعده وراثته
 وبزعم أن رسول الله قد أوصى بهذا الأمر وصاية جليسة ظاهرة عرفها الخاص
 والعام ، وحل الناس على هذه الوصية دلالة واضحة في المجامع الحافلة العامة ، وربما
 زعم أن شيئاً من هذه الوصية كان في القرآن يتلى ، وزعم أن الصحابة أنفسهم
 ومنهم الخلفاء الثلاثة الراسدون ما كانوا يجهلون أمر هذه الوصية ولا يجهلون هذا
 الوصي صاحب هذا الأمر الحقيقي به ، ولكنهم لعداوتهم عليا وولده ولحرصهم

على الدنيا والملك والرئاسة ، ثم تمكن مرض الحسد في صدورهم ككتبتوا هذه الوصية ، وأخفوا هذا الأمر ، وحاربوا هذا الوصي ، واحتصبوا حقه وما قضى به له رسول الله وما قضى به القرآن . ثم أخذ يزعم ثانياً ويدعو إلى زعمه أن طياً رضى الله عنه كان ملئاً الفضائل ، ملئاً المعجزات كما تسمى الشيعة الكرامات معجزات ، وراح يلى عليه خياله من هذه الفضائل والمعجزات ما لا يقره العلم والعقل والدين ، وما لا تسنده الرواية الصحيحة ، وراح يبالغ في تكثير هذه الفضائل وهذه المعجزات حتى طفق ينزل كثيراً من آيات الكتاب الحكيم في فضل على ويقسرها على هذا قسراً ، وراح يزعم أن هنالك آيات قرآنية نزلت في فضل على قرأها الناس أزماناً متطاولة قد صايرها الصعابة المناقون وعوها من المصاحف كتماناً لفضل هذا الفاضل الوصي والخليفة بنص النبي ، ثم تهوّر وتطور في المبالغة والدعوى حتى تفوه بالسوء الكبيرى وآتى بالجريمة العظمى فزعم أن الله سبحانه ينزل من علياء سمائه نخل في على رضى الله عنه إعظاماً لقدمه كما قال النصارى أن الله حل في عيسى وزعم أنه لحلول الإله في شخصه يستحق العبادة والتأليه ، ويستحق ما يستحقه الرب في علياء سمائه فدعا جبهة إلى عبادة على وتأليهه والقيام له على قدم العبودية الخالصة ، وأخلص في دعوته هذه وصاير عليها حتى أضل بها قوماً خلقوا للضلال والنار فآمنوا بدعواه النكراء وصدقوه في هذه السوءة الفاضحة وجبروا بها وراحوا إلى الامام على رضى الله عنه وظلوا له : أنت الله ، أنت خالقنا ورازقنا ، طرنا على هذه المقالة وفرع أشد الفزع وهاله الأمر واعتزت له جوانب قلبه وحله فدعا القوم إلى التوبة والرجوع إلى المقل فأصروا على دهوام وأبوا التائب فأمر بأضرام نيران عظيمة قد نفهم فيها أحياء وظلوا وهم يحترقون فيها : الآن صح عندنا أنك أنت الله إذ لا يغيب بالنار إلا رب النار

واصرار هؤلاء الضلال على دعواهم هذه على رغم تكذيب الاله في زعمهم لهم وعلى رغم قوله لهم انكم كاذبون في مقاتلتكم هذه كافرون بالله تستحقون غضبي وغضب الله ما و نارى في الدنيا و نار الله في الآخرة يستوقف النظر ، إذ كيف يكذب الاله اذا كانوا يظنون حقاً أنه إله وكيف يعذب الاله عباده اذا ما عبده و قاموا له بفروض العبودية ؟؟؟ ان الجواب المقول المقبول على هذا السؤال ليسير . ولأجل هذا أذهب الى أن دعواهم هذه حيلة مدبرة ومكيده يخفى مكانها على الألباب العلمية . وأذهب الى أن القوم ما كانوا صادقين فيما زعموا . ولكن هذا الزعم كان تضليلاً والاصرار عليه أيضاً كان تضليلاً والأمر كله كان ضلالاً في تضليل .

أما واضح بنور هذه الضلالة ومتولى كبرها عبد الله بن سبأ فطلبه على لوقع به أشد العقاب ولكنه كان أحقر من الثراب فهرب وترك له البلاد ، وما كان هروبه وضعافاً لأوزار هذه الفتنة المدمرة وتسليماً بالمزينة بل كان هروباً بهذه الآراء ضناً عليها بالتبوير والقتل ، ليضل بها المسلمين ويقتن بها المفتونين وتبقى عارا وفاراً الى يوم الدين

تطارت دعاوى هذا الرجل ومبتدعاته في كل جانب ورنّ صداها في أركان المملكة الاسلامية رنيناً مراراً مرعباً واهتزت لها قلوب ومسامع وطربت لها قلوب ومسامع ورددت صداها أفواه خلقت لهذا ورددتها أفواه أخرى وطال التردد والترجيع حتى فننت إلى قلوب رخوة لا تماسك فخلتها حلول العقيدة ثم فطاعت حتى صارت عقيدة ثابتة تراق الدماء في سيلها ويمادى الأهل والصحاب غضباً لها وصارت فيما بعد معروفة بالذهب الشيعي والعقيدة الشيعية وقوامها الفلو ظاهراً في على وفيه إلى حد التأليه والعبادة ثم الفلو في معاداة سائر المسلمين ومنهم الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان والكرام الآخرون إلى حد الفت والافتداف

العلني .. وقوامها أصالة في صدور مبتدعيها نفس الاسلام وتحطيم ما شيده من ملك
ثابت الأساس ثابت المبادئ والشرائع ..

ثم دخل هذا المذهب الشيعي كسائر المذاهب الصحيحة والباطلة التحوير
والتلطيف والتكليل والتغيير وسائر ما تمضي به طبيعة الأشياء وطبيعة العقائد والآراء
وقام بزعامته وقيادته رجال كثيرون كل منهم يحمي أغراضاً خاصة وآراء خاصة
وأسياب لا تقاوم هذه الآراء والأغراض خاصة ولكل من هؤلاء الزعماء أسلوب
خاص في زعامته وقيادته وطريف يضيفه الى هذا المذهب وهذه النحلة وبطعة
خاصة تكل بها .. حتى خلاص من هذا كله المذهب الشيعي أو المذهب الرافضي
وصارت له فروع وأصول في أكثر الممالك الاسلامية وأصيب به الاسلام وأهله
في عصور مختلفة إصابات لا تزال دماؤها تتقاطر ولا تزال جراحاتها مفتوحة لم تلتئم
في أعماق القلوب المسلمة .. وهل تصاب قلوب المؤمنين حقاً بأشد إجماعاً وإيلاماً من
إكفار أمثال أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأزواج النبي وخاله
ابن الوليد وطلحة والزبير وعمرو بن العاص وطارق بن زياد .. وأمثال هؤلاء
الذين بهم لا يغيرم تنطلق اليوم كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله من أربعمائة
مليون شفة تجلجل في أفواء السماء ومسارب الأرض والهواء لا يستطيع راد أن
يردها ولا كاظم أن يكظمها ولو كان أهل الأرض جميعاً ??? وهل تصاب قلوب
المسلمين بأشد إجماعاً وإيلاماً من رمى هؤلاء السادة القادة بالنفاق والخيانة حتى
في كتاب الله وكلام الله كما تدعى الشيعة الرافضة أن هؤلاء الصحابة حرفوا
القرآن وحذفوا منه أشياء ففاقوا وبغضوا وحسدوا لعل وبنيه

وتنفرد هذه الطائفة بأمور تخصها دون سواها من طوائف الأهواء .. فما
تفرد به أنها تمقت العرب أشد المقت وتكرهم كراهة تكاد تكون مرضاً يأكل
صدر صاحبه ويستل منه الحياة ومعاني الحياة . ومن كره القوم للعرب كرهوا كل ما

أتوا به من دين وافية وأدب وكرهوا ملوك العرب الذين جمع الله كلمتهم بهم ورفع بهم ذكركم وأعلى شأنهم . ولعل من الشواهد على هذه القضية مفتهم أمثال أبي بكر وعمر وعثمان . وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وبنو أمية وبنو العباس جميعا فان هؤلاء قد أعز الله بهم العرب ، ورفعهم بهم أيام خلافتهم . وبعدما الى اليوم ولعل من الشواهد على هذه القضية أيضا موقف أكثر الشيعة من الحكومة العربية السعودية بعد أن رأوا بوارق نصرها ونصر العرب والاسلام بها تتألق في سماء العروبة وبعد أن جمع الله بها قلب جزيرة العرب ولفهم تحت رايها وراية الدين الحق والاسلام الصحيح . بعد الشتات والضلال والفتن الهوج ، فان كثيرا من رجال الشيعة المسؤولين وقفوا من هذه الحكومة موقفا لا يغبطون عليه بحجة النيرة على الدين وعلى آل النبي اذ هدمت بعض القباب المقامة على بعض القبور واذا منعت العامة الجلاء من الاستغاثة بالأموات والانتفاع الى القبور والتفصيل لها والتمسح بها وغير ذلك من الأمور الشاذة الخارجة عن حدود الدين والعقل . وقد حاولوا نفس هذه الحكومة وحاولوا اثارة العالم الاسلامي بها وأرجفوا أيما إرجاف بعد أن دخلت جيوشها الحجاز ظافرة وبعد أن تألق نجمها ونجم العرب بها وملأ اسمها فم الزمان وحديثها اذن الجوزاء واتخذت من خيوط الشمس سلما الى مجد السماء

ولرجال الشيعة المسؤولين محاولات في هذا معروفة مؤلمة ومن هذه المحاولات العقيمة التي قاموا بها ذلك الكتاب الذي قام باختلافه وطبعه الشيخ محسن الأمين العالمي أحد كبار علماء الشيعة ومجتهدهم في جبل عامل في سوريا . وهذا الكتاب ألف بعيد دخول العساكر السعودية الحجاز وتمزق القوات الهاشمية واستبشار المسلمين في أطراف العمورة بهذه النتيجة الحاسمة وهذا الانقلاب الذي علقوا عليه سعادة الجزيرة ورفعته شأنها وحفظها من أخطار كانت توعدنها وتهدها

وكان الغرض من هذا الكتاب تغيير نفوس المسلمين وانهاضهم لمقاومة الحكومة العربية وإخراجها من الحجاز والقضاء عليها واحلال دولة أخرى حتى ولو غير مسلمة محلها في الحجاز وفي قلب الجزيرة العربية . وذلك أن هذا الكتاب مملوء بالكاذب الفاضحة الواضحة وبالاقتادات التي يندى لها جبين الحق وجبين الاسلام الصحيح ومملوء بالملات على الحكومة العربية وعلى سياستها ودينها وعلى ادارتها ورجالها وزعمائها وعلمائها ، أشياء صريحة بأنه لا يراد بها سوى التحريض والارجاف لا القدر العلى الاعتقادى ، فان رجال الشيعة بعينهم عن هذا ولا تزال مجلات شيعية تلحن هذا الكتاب تلحيناً مشجياً مبكياً وتضرب أرقاره ضربات تبعث الأسى فى أعماق الصدور المؤمنة وصاحب هذا الكتاب واخوانه يزعمون أنهم ما فعلوا ذلك الادفاعاً عن الاسلام والاغيرة على الحق وعلى القباب المهتمة ...

وليت هذا هو الباعث لهم على هذا الموقف المريب المريب ، ولو أن الأمر هو هذا قلنا لا بأس ، قوم خرجوا عن سبيل الله وضلوه فيوشك أن يعرفوه فيتبعوه ، ونشأوا في الباطل فأحبوه ولزمه فيوشك أن ينكروه فيهجروه ، واستوحشوا من الحق فأبغضوه ونبذوه فيوشك أن يأنسوا به فيحبوه ، لكن الأمر كما ما ذكرنا هو مقت العرب بلا ذنب سوى نصرتهم الدين واقتضارهم على الأعداء المهاجرين وقد ذكر الأمير الجليل شبيب أرسلان فى كتاب حاضر العالم الاسلامى أنه التقى بأحد رجال الشيعة المتهنئين البارزين فكان هذا الشيعى يمقت للعرب أشد المقت ويزرى بهم أيما إزراء ويقولون فى على بن أبى طالب وولده غلوا ياباه الاسلام وللعقل فعجب الأمير الجليل لأمره وسأله كيف تجمع بين مقت العرب هذا المقت وحب على وولده هذا الحب ؟ وهل على وولده الا من ذروة العرب وسنامها الأثم ؟ فاق قلب الشيعى ناصبياً محضاً واحتاج وأصبح خصماً لعلى وبنيه ، وقال

الفاط في الاسلام والعرب مستكرهه

ولو أن هؤلاء الشيعة صادقون فيما فعلوا ، صادقون في أنهم ما فعلوا هذا الا خيرة وذيادا عما حسبوه حقا ودينا لوجدوا لجلالتهم وارجاقتهم مناديج وفسحا في غير هذا الجور لوجدوا من الحكومات الأخرى ومن الملحددين المحسوبين على الاسلام والمسلمين ما يشغلون به وقتهم وعلمهم وهجاءهم ونقدهم عن السلفيين السعوديين ، ولوجدوا أعراضا خصبة اللدائم يصدر عنها المهاجم الدائم ريان شيعان ، ولكن نيات القوم وعقائدهم مدخولة

ومما يفردون به أنهم يكرهون الرء بمقدار ما عنده من حب الدين ومناصرة و إعزازه ، وبمقدار ماله من آثار في خذلان الكفر وأهله والظلم ونهبرائه .. فن كان حظه من نصرة الاسلام وتأيينه ومن دحر الكفر واجناده عظيم كان حظه من مقت هؤلاء وبغضائهم عظيما ، ومن كان دون ذلك كان حظه عندهم من هذا المعنى دون ذلك .. وهذا أمر مشهور معلوم عن طائفة الشيعة الغالية .. ومن الدلائل التي لا ترد على وجود هذا المعنى فيهم أنهم يخلصون أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وخالد بن الوليد وعمر بن العاص وعائشة وحنيفة وغير هؤلاء من عظماء الاسلام وأبطاله بأشد الكراهة ويعتقونهم مقتلا لا يمتقونه أحدا من البشر . حتى إنهم ليتأولون الآيات النازلة في مناديد الكفر وأركان الشرك في هؤلاء الصحابة الاجلاء يل ويتأولون آيات نزلت في الشيطان الرجيم في أبي بكر وعمر وقد قالوا ان قوله تعالى « كثر الشيطان إذ قال للانسان اكفر » نزل في أبي بكر وعمر وقالوا في قوله تعالى « فقاتلوا أئمة الكفر » إنه نزل في طلحة والزبير ، في قوله « إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة » إن البقرة هي السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق أحظى أزواج النبي إليه . ونظائر هذه الروايات والآقاويل عن الشيعة سوف يأتي في كتابنا هذا قلما من مصادرها الشيعة الثابتة عندهم وعند الناس جميعا

وهؤلاء لا يتنازحون في أن هؤلاء الصحابة كفروا وفسقوا وضلوا السبيل وطوائف منهم تزعم أنهم كانوا منافقين وأنهم مازالوا كذلك في حياة الرسول وبعد وفاته وأن الرسول كان مخدوعاً بهم أو كان يداريهم ويتقيهم لأنه عالم بفنائهم وكفرهم المضمّر

ثم يجيء بعد هؤلاء الصحابة في كراهية هؤلاء أئمة السنة والحديث كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث أمثال البخاري ومسلم ومن يفضلهم أو يفضلونه وهكذا يتسفلون في عداوتهم وينحدرون في بغضائهم يبدؤن باخلفاء الثلاثة من الصحابة وبكبار المهاجرين ثم بعامة الصحابة ثم بأعظم التابعين ثم بأعظم الأئمة المشهورين المعروفين بنصرة السنة والعناية بجمع الحديث وتسويته وهكذا يظنون يهودون في عداوتهم ومقتنهم من الأعلى إلى الأدنى إلى أن يصلوا إلى جمهور أهل السنة والعامة من المسلمين

والشيخ محمد أمين العاملي قد وضع القناع عن هذا وقطع الظنون وجاء بالامر اليقين . وذلك أنه في كتابه المذكور الذي سوف ننقذه عليه راج يدافع وينافح دون جهلاء المسلمين ودهائم المنقطعين إلى الأموات وإلى الأحداث متأولاهم أخطائهم وألغائهم المستكرهة الدالة على الاعتمادات الشنعاء وراح ينضب لهم وينضح عنهم آتياً أن تضاف إليهم ضلالة أو خطيئة مما فعلوا وقالوا ومهما زلوا وضلوا . بل كل ما يقولونه من أقاويل الضلال والسوء واجب أن يتأول لهم وأن يحمل على المجاز ولا يصح أبداً غير هذا . هذا هو رأى هذا المجتهد الشيعي في هؤلاء الجهلاء الضلال أما الصحابة وأما الخلفاء الرشيدون أمثال أبي بكر وعمر وعثمان فهم عند هذا الشيعي العاملي وعند الشيعة قديماً وحديثاً كفار منافقون وجماع للآثام والخطايا . ومن لم يقل فيهم هذا القول فهو كافر منافق مثلهم ومن أراد التأويل وإحسان الظن بما يعمده الخصم لهم سيئات فهو ضال . منافق مثلهم وهو من الضالين المالكين . فما تأويل هذا في عالم التأويل والفهم ؟؟؟

قوم يمتنون صحابة رسول الله ﷺ والخلفاء منهم ويمتتون من لا يمتنهم ومن يروى فضائلهم وجلال أعمالهم من المحدثين ، ثم يقومون يدفعون عن الجهاد وعامة الناس الذين ليس لهم من الاسلام الا أن قالوا انهم مسلمون ، حاملين كل ما يصدر عنهم من أعمال الضلال وأقواله أحسن المحامل ، مخرجين لها أحسن التخريج ، لا يقبلون فيهم قدحا ولا انتقادا لا شيء غير انتسابهم إلى الاسلام وغير أن ولدوا في جو يقال انه جو املاى ، فأتاويل هذا ؟ ؟ ؟ انه لا تأويل له غير ما ذكرناه من مقتنهم الرجل بقدر ما معه من الايمان والدين ، وبقدر جهاده خصوم الدين .

وعلى هذا السبيل وبهذه الطريقة كرهوا النجديين وعلماؤهم النجديين ، وكروها الحكومة العربية وكروها علماء السلف والسنة مثل ابن تيمية وابن القيم ، وغضبوا للجهلاء المبتدعين وامتسحوا هؤلاء وذموا أولئك ولم يقبلوا في هؤلاء قدحا ولا في أولئك مدحا

ومما تفرد به هذه الطائفة أن هواها أبدا مع خصوم الاسلام الكائدين له المرئيين به كل داهية دهياء . وما تقابل المسلمون والمشركون أو تناضلوا أو اختلفوا إلا ركنت طائفة الشيعة الغالية إلى خصوم الاسلام والا كانت معهم في الهوى وفي العمل وفي الظاهر والباطن بل وربما سعوا للتكيد الكفار من نواصي المسلمين ومن جز رقابهم واقتتاح بلادهم . وهذه أشياء معلومة يحفظها التاريخ الحفيظ ولا ينساها قد سجلها على حساب هذه الطائفة المقبوضة

وحادثة ابن العلقمى الشيعي مع هولاء كوا طاغية التتار مخوفة تقطرها ألما ودما على صفحات التاريخ وصفحات قلوب المسلمين إلى اليوم وإلى يوم الدين . فان ابن العلقمى هذا كان شيعيا وكان وزيرا للمستعصم آخر خلفاء بني العباس ، فلما أن قسم الطاغية هولاء كوا لمهاجرة عاصمة الاسلام ومقر عرش الخلافة دار

للإسلام سهل هذا الوزير الشيعي ابن العلقمي لجيش التتار افتتاح العاصمة ومكنه من فتحها ودخولها وقد كاتبهم بذلك .. ثم جمع الخليفة وكبار رجال الدولة وكبار علماء المسلمين وذهب بهم إلى هولاكو ليقتلهم صبرا وغدراً و«ثأرة كلها نذاله وضمة فكان هذا . ولهذا كان جزاء ابن العلقمي من هولاكو أعدل الجزاء فإنه قتله بعد ذلك شر القتل بعد أن قتله لوما وتصفينا

وكذلك كان للنصير الطوسي الشيعي شر المواقف من الإسلام والمسلمين في هذه الفتنة النادرة ، وقد سعى جهده لاستئصال العلماء وكبار المسلمين وقد ذكر علامة العراق الألوسي المرحوم محمود شكرى أن الشيعة في إيران نصبوا أقواس النصر ورفضوا أعلام السرور والابتهاج في كل مكان من بلادهم لما أن انتصر الروس على الدولة العثمانية في حروبها الأخيرة .

وذكر الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه « الفاطميون في مصر »^(١) راوياً عن الحافظ مؤرخ الإسلام الإمام الذهبي أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمي الشيعي أمر بلمن الأنبياء وأطلق منادياً ينادى بلمن النار ومن لاذ بالفار وأنه كان يكاتب القرامطة الذين ابتلى بهم الإسلام والمسلمون ينصح لهم بتحريق الكعبة والمصاحف . وفي بلاد إيران الشيعية تحارب اليوم الافة العربية وآدابها حرباً زعم أنها لأجل السمو باللغة الفارسية

وهذه أمور يطول عددها وتوالم ذكرها المريرة النفوس المؤمنة ومما تنفرد به هذه الطائفة الغلو في علي وفريته رضي الله عنهم . فهي تبالغ في تقديرهم مبالغة هي فوق الهوس وفوق حدود العقول . ولا نفي بهذا أنها ترفضهم فوق الناس أجمعين ، وفوق أبي بكر وعمر وعثمان والصحابية الآخرين ، أو أنها ترفضهم على الأنبياء والمرسلين ، أو أنها تضعهم فوق حدود البشرية وآفاقها

بل نعى أنها تسويهم بالله رب العالمين بل قد ترفعهم على الله . أما من جهة التعظيم والتقديس والرغبة والرغبة فليس من شك أنها تمنحهم من ذلك كله مالا تمنحه الله . وقد قالت بالحلول وزعمت أن الله حل في علي وأن الأئمة فيهم جزء الهى وأنهم لهذا يستحقون العبادة وكل ما يستحقه الله من عبادة . وقد زعم هذا أصحاب عبيد الله بن سبأ وغيرهم من فرق الشيعة وقالوا لملي أنت الله أنت خالقنا ورازقنا . وقد روى الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة له عن الشعبي عن علقمة قال لقد غلبت هذه الشيعة في علي كما غلبت النصارى في عيسى بن مريم . قال : وكان الشعبي يقول لقد بنفصوا إلينا حديث على .

وهذا حق لا ريب فيه . فان هؤلاء إن خالفوا النصارى في شيء إنما يخالفونهم في الاسماء أما في الحقائق فلا . فهم قائلون في علي وبنيه قول النصارى في عيسى بن مريم سواء أمثلا من القول بالحلول والتقديس والمعجزات ، ومن الاستغاثه به وفدائه في الضراء والمرء والانتطاع اليه رغبة ورهبة وما يدخل في هذا المعنى . ومن شاهد مقام على أو مقام الحسين أو غيرها من آل البيت النبوى وغيرهم في النجف زكربلاء وغيرها من بلاد الشيعة وشاهد ما يأتونه من ذلك هنالك علم أن ما ذكرناه عنهم دوين الحقيقة وأن العبارة لا يمكن أن تفى بما يقع عند تلك المشاهد من هذه الطائفة . ولأجل هذا فان هؤلاء لم يزوالوا ولن يزوالوا من شر الخصوم للتوحيد وأهل التوحيد المتمسكين بالكتاب والسنة وبالاسلام الصحيح المنقى من المبتدعات والاخلاط النكراء

ومن العجيب غير العجيب أن توجد هنالك نبوءات نبوية صادقة تحدث عن خروج هذه الطائفة وعما تحدثه في الاملام من الاحداث الجسام . وما كان هذا الا لمظلم خطر هذه الفرقة ولمظلم ما تأتى به من الارزاء المظيمة في الملة والدولة . وقد عهد كثيرا أن يحدث النبي الكريم عن الحوادث المقبلة المستقبلية وعما سوف

يصيب أمته من أشتات المصائب المادية والمعنوية الخاصة والعامة وعما سوف يصيبها من الضعف والفرقة والشتات وفساد الدين والدولة . ولكن هذا عهد بالاجمال والابهام . أما التحديث والانباء عن هذه الفرقة الخطيرة فقد كان بالتميين والتعريح بإحدها ووصفها للذين لا يختلف الناس فيهما البته

وذلك مارواه الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتابه السنة بأسانيد قال حدثني محمد بن أبي جعفر أبو عمران الوركاني حدثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل عن كثير النواء عن ابراهيم بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال قال علي بن أبي طالب قال رسول الله « يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام » ثم ذكر هذا الحديث بأسانيد أخرى وذكر بعده بإسناد آخر عن علي بن أبي طالب قال قال النبي عليه السلام : « يا علي أنت وشيعتك في الجنة . وإن قوما لهم نبي يقال لهم الرافضة إن أدر كنتم قاتلهم فانهم مشركون » قال علي يفتعلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك . وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر

وذكر هذا الحديث أيضاً الحافظ ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث عن عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ . وقطع ابن قتيبة بثبوت لفظه النبوي . وذكر القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء أحاديث أخرى في معاني هذه الأحاديث بألفاظ أخرى . وروى أيضاً الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة بسنده عن علي قال : دعاني رسول الله ﷺ فقال : « ان فيك مثلاً من عيسى بن مريم ، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به » قال علي : ألا وانه يهلك في اثنان يحب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض مفرط يحمله شتاتي علي أن يبهتنى . ورجال الشيعة يعترفون بأن علياً قال : يهلك في اثنان قال وقال . ولا ريب أن هذه الأحاديث إنباءات صادقة عن خروج هذه الطائفة وعما

تصيب به الاسلام وأهل الاسلام من الأرزاء الكبرى . والواقع قد صدق هذه الأنباء وهذه الأنباء قد صدقت الواقع فصدق الخبر والخبر

ولما قل أن يسأل - لو كان أمر هؤلاء القوم يدخل تحت مسألة العقلاء : كيف أمكن أن يتفق لهم حب على وذريته وموالاتهم مع مقتهم العرب جملة ، ومع مقتهم أعظم رجالات الاسلام وأعظم قواده وفأحميه الممكنين له في امتلاك الرقاب والبلاد وهذا السؤال قد سألته الأمير شكيب أرسلان ذلك الشيعي المتغالي في على وولده ، وفي كره العرب ومقتهم كما تندم . لأن من الغرابة والنعكاسة يمكن بعيد أن تكره العرب لأنهم عرب والمسلمين لأنهم مسلمون ، ثم تذهب تعالى في حب طائفة منهم وتقديرها لأنها من العرب ولأنها من المسلمين ومن نصراء الدعوة الاسلامية . هذا أمر ظاهر الاستحالة أو أمر متناقض متدافع على الأقل . ولكن جواب هذا السؤال أن يقال إن في الأمر أسراراً غير شريفة وأموراً معروفة للقوم . ومن جواب هذا السؤال أن يقال إن زعماء هذا المذهب ومبتهدعيه لم يكونوا حقاً يحبون علياً ولا بنيه ولا يضمرون لهم ولاء ومودة نظير عبد الله بن سبأ وإخوانه ولكنهم لجأوا الى هذه الحيلة وإلى هذا الحب لأنهم وجدوا مشروعيهم الهدام في حاجة الى هذا الحب الكاذب وإلى هذه الدعوى المنافقة . وذلك أنهم وجدوا شئون المسلمين قد انتظمت وسياستهم قد ارتقت وأحكمت بقيادة أبي بكر وعمر وعثمان ، وإن جانب المسلمين والاسلام قد عز في تلك العهود ووطئ كل جانب عزيز في الأرض فأرادوا إثارة الناس على تلاع الخلافة والخلفاء ، وأرادوا بالتالي تفريق المسلمين وتمزيق كلمتهم ثم اضعافهم وتقويض ملكهم الثابت الدعامات . وعلموا أن علياً وبنيه من بعده هم أولى من يدعى أنهم أصحاب الحق المعلوم في الخلافة وفي قيادة المسلمين وزعامة الاسلام الحسية والمعنوية لقرابتهم من النبي الكريم ، ولعظم مكانتهم من الدين ، والفضل والمجد ومن قلوب المسلمين ونفوسهم . وعلموا أن هذه الدعوة لا محالة أن

يجد قلوبنا وآذاننا تلتهمها التهاما . بيد أن الهدف الأقصى لهذا كله هو إثارة المسلمين بخلافتهم التي عزوا بها وسادوا وركبوا كاهل المجده ، ثم قتل أولئك الخلفاء بأيدي مسلمة أو بأيدي أخرى كافرة . ولو أن الأمر كان بيد علي وبنيه وكانوا هم الخلفاء الذين قام عليهم أمر المسلمين وعمود الاسلام لكانت دعوى هؤلاء القوم غير دعواهم اليوم واسعوا بلا ريب لتأليب المسلمين ضد علي وآل بيته ، ولقتولهم كما يقتولون أبا بكر وعمر والخلفاء الآخرين ، لأنه ليس المراد من هذه المناورة حب علي وبغض أبي بكر وغيره ولا معاداة فلان وموالاة فلان ؛ ولكن المراد الذي عودى من أجله من عودى وقديس من قدس هو القضاء على هذا الدين ونسف هذا الملك الذي قام على هذا الدين بقيادة هؤلاء الخلفاء .

أولم تركب عادي هؤلاء المدعون حب النبي وعترته دولة بني العباس وخلفاء العباسيين كما عادوا أبا بكر وعمر وعثمان وبني أمية والخلفاء الأمويين ؟ أفلم يكن بنو العباس من عترة النبي الكريم وقربائه الأقربين ؟ فانهم بنو العباس عم النبي وعم الرجل من عترة ولا ريب ومن أولى الناس به . ولكن هؤلاء المدعين التشيع لآل النبي وقربائه يعتقدون بني العباس أمراء المقت ، ويكفرونهم ويسبونهم السب العاني الصريح .. فلماذا هذا يارعاك الله ؟ وكيف يمت الرجل بنى عم من يتمصب لقرباء وأقربيه التعصب الأعمى الأهوج ؟

الجواب عن هذا أن بني العباس عودوا وعدوا من زمرة المغضوب عليهم المقتولين لأنه تم لهم الأمر واجتمع عليهم المسلمون وعز بهم الاسلام وحوا بيضته وثغوره من العوادي والخصوم ما شاء الله أن يهز وأن يحموها . ولو أن بني العباس أخفقوا ولم يتم لهم ماتم ولم ينالوا من الخلافة ما نالوا لا عودوا وكروها ، وهذا ما لا شك فيه

والعجب في الأمر أن هؤلاء كانوا يفتشرون الدعاية لبني العباس قبل أن

تصير إليهم الخلافة فلما أن صارت إليهم عادوم وجعلوا الدعاية ضدهم والدموية
لغيرهم وذلك كله لأن الغرض هو إفساد هذا الأمر بدورون معه كيف دار ، فان
قضى هذا بمعاذاة النبي وعثرته عادوم ولا كرامة ، وإن قضى بموالاتهم والغلو
الشديد فيهم والوم وظلوا في موالاتهم ، وإن قضى بغير ذلك لم يتأخروا عنه .
ولكنهم ليسوا صادقين في الولاية وإتمام صادقون في العداوة

نحن لا ننكر أن في هذه الطائفة من يحبون عليا وبنيه ظاهرا وباطنا
حبا متجاوزا الحد المشروع بل ويغلون فيهم أشد الغلو ، ولكن هذا الفريق
هو الفريق المقلد الخدوع السليم النية والطوية من لا يريد سوى الحق والخير لكنه
مخدوع مضل بأهواء الزعماء الدهاة الخونة . وهذا له وجه وذلك له وجه . والله
العليم بما تشتمل عليه صدور الجيم

ومن الجواب على هذا السؤال أن نقول من المعلوم أن الفرس هم أنزع للناس
إلى هذا المذهب ، وأكثرهم تملقا واستمساكا به ، ومكانته ومكانه في قلب بلادهم
وعصبيتته وعصائبه هنالك ، والغلو فيه منهم يبدأ وإليهم يعود . فلماذا هذا وإلام
يرجع سببه فان فيه مخالفة لطبائع الأشياء في الظاهر وإلا فلماذا كانت بلاد الفرس
دون سواها شيعية محضة خالصة ولماذا آثروا التشيع على مذهب أهل السنة ولماذا
انتشر هذا المذهب في إيران ولم ينتشر في الحجاز وبلاد العرب والأقطار الأخرى
ولماذا امتاز المسلمون من الفرس بموالاة علي وأهله دون أكثر المسلمين بل دون
جمهرة العرب بل دون بني هاشم وآل علي من أهل السنة ؟ ولا ريب أن هذه أسئلة
تتطلب الجواب . والجواب عنها سهل على من ألم بأغراض ما قدمناه . ول هؤلاء نظرة
تمسب جنسى في تحيزهم إلى علي وبنيه . وذلك أنهم يذكرون أن عليا كان بطبعه
ومواقفه ميالا إلى الفرس وإلى موالاتهم وصدقاتهم ويذكرون لذلك شواهد يذكر
بعضها التاريخ وإن كانت ليست في سبيل مما أرادوا : من هذه الشواهد التي

يتعلقون بها انهم يذكرون أن عليا رضى الله عنه قد وقف موقف المدافع المناضل عن الهرمزان الفارضى حينما قتله عبيد الله بن عمر بعد أن قتل أباه عمر أبو اؤاؤة الفلام المجوسى . وقد كان عبيد الله بن عمر اتهم هذا الهرمزان بأنه كان متآمرا مع أبى اؤاؤة مماثلا له على جريمته المنكرة . فهؤلاء يزعمون أن عليا طالب عثمان بقتل عبيد الله بن عمر قصاصا اذ قتل الهرمزان

ومن الشواهد عندهم على هذه القضية أنهم يذكرون أن عليا كان مواليا لسلطان الفارسى كل الموالاة وأنه كان يهواه ويقول سلمان منا والينا أهل البيت وأنه كان يقول فى سلمان ما تقولون فى رجل أوتى حكمة لقمان الى أشياء أخرى يتخذها هؤلاء برهانا على أن عليا كان نزاعا الى الفرس محبا لهم مظهر حبيهم وولامهم لتجانس تام بينه وبينهم لم يغيره أمر من تلك الأمور التى غيرت غيره . ثم يذهبون مذهبا آخر وينظرون فى هذا فطرة أكثر دخولا فى الجفسيات وهوى الجفسيات العمياء . وذلك وانهم يذكرون لآل على مصاهرة فارسية وأن أولاد على يمتون بهذه المصاهرة الى الفرس وأنهم محسوبون من أجلاها فرسا لان الدم الفارسى يجرى حارا متدفقا فى عروقهم فمن والاهم وأحبهم فقد والى الدم الفارسى وأحبه . ومن دعا اليهم وطلب الأمر لم فقد دعا الى آل ساسان وطالب الأمر لفروع أنوشروان . فالفارسى إذا ما تعصب لآل على إنما يتعصب لقومه ولآل جرثومته وإذا فضاهم على الصحابة وعلى سائر العرب الأولين والآخرين وطلب انتزاع الخلافة من أبى بكر وعمر وسائر الخلفاء لوضعها فى أيدي العلويين إنما يفضل قومه وبني اارمته ويطلب الأمر لهم لا لسواهم

وحقيقة هذه المصاهرة أنهم يذكرون ان الحسين بن على بن أبى طالب قد تزوج شهربانوه ابنة يزدجرد آخر ملوك ساسان الفارسيين وبهذه المصاهرة أصبح العلويون فرس الدم والاحم فحق التعصب لهم والدعوة اليهم على الفارسيين . هذا من

أمرار تشيع الفارسيين وغلوم الظاهر في آل علي . ولنا نزع أن أمثال هذه
الأمرار والمعاني يعرفها ويحيط بها الجمهور الفارسي الشيعي وأنه يرمى إليها . كلا
لا نزع هذا وإنما نزع أن هذه الأمرار والمعاني يعرفها الزعماء والعلماء ويرمون
إليها ويحيطون بها ، أما الجماهير أما الدهماء فلا ننكر أن يكونوا مخلصين حقا
متدينين حقا محبين لآل النبي ولنبي ولعرب كافة حبا خالصا ظاهرا وباطنا وانهم
لا يريدون سوى وجه الله الاعلى وسوى الدار الاخرى ، ولكن الجماهير تبع لأراء
الزعماء والقادة . على أننا نزع أيضا أن جماعات من العلماء الفارسيين قد يكونون
ظاهري القصد والنية محبين للحق ولعرب ولكن هذا القسم تناقص أخيرا كثيرا

ونحن نعوذ بالله من الهوى ومن التعمص لغير الحق ووجه الحق الاعلى ونعوذ
بوجهه من أن نبغض مؤمنا لشهوة نفس أو أن نحب ظالما باغيا لهوى باغ ظالم
في المذهب الشيعي معتقدات في غاية الشذوذ والنكارة وآراء لا يمكن أن
تقر في قلب قر فيه الايمان بالله ورسوله وكتابه ، ولا يمكن أن تقر في قلب فيه
موضع للاسلام ومكان حرمة لأهل الاسلام . وسيعبد القاريء من هذه المعتقدات
أفانين مبثوثة في كتابنا هذا . وهذه الآراء في هيكل الاسلام والمسلمين تشبه
الجرثومة المرضية النازلة في الجسم النامي الحى لا يمكن علاجه ولا يبرئ شفاؤه
إلا بقتل تلك الجرثومة وإبادة من الجسم وتقيم جوده من وبائها وضرائها أما
محاولة العلاج وارتجاء الشفاء مع ترك تلك الجرثومة والمواد المرضية ترعى في
الجسم فمحاولة عابثة ناصبة وارتجاء لما لا يمكن أن يكون . وشفاء تحت مادة
الأمراض ان أمكن أن يكون ليس سوى وضع قناع شفاف سريع البلى والفناء
على الخطر القريب الا كشب لا يلبث أن يتكاثف ويتكاثر ثم يعود ويظهر جليا
عنيفا حادا . وكذلك لا يمكن البتة التوحيد بين سائر المسلمين وبين هذه الطائفة
إلا بتطهير الجو من هذه المعتقدات وإبادة من الدين اما بأقبار الكتب التي
تحمل هذه الآراء الخطيرة وتحرقها واما ببراءة القوم من هذه الكتب ومما فيها

من تلك المعتقدات والبراءة من كاذبها . وأما بنير هذا افهيرات الوحدة والصفاء التام بين المسلمين وبين هذه الطائفة . والذين يرجون هذه الوحدة وهذا الصفاء مع ثبوت هذه المعتقدات في كتب القوم ورضاهم بها وعنهم إنما هم عابثون في رجائهم وأنا لا أحسب شخصا يؤمن بالله وباليوم الآخر يستطيع أن يصفى قوما يكفرون أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وسائر قواد الاسلام وفاتحيه في جميع عصوره الاموية والعباسية وما بعد ذلك . ولا أحسب قلبا استشعر الايمان بالله وحمل احترام الاسلام يستطيع أن يحمل وداً وولاء لقوم يسبون أبا بكر وعمر وعثمان وطائفة وحفصة وطلحة والزبير وطارق بن زياد وموسى بن نصير وخالد بن الوليد وعمر بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان سبا علنيا ويضيفون اليهم كبريات الجرائم والتهم المفاضحة الواضحة كدأب الشيعة المغبونة الغابنة . ان امرأاً يصفى هؤلاء تلطيق بأن لا يكون من المؤمنين بالله ورسوله . وان فرقة فيها منابذة هؤلاء خير من وحدة فيها موالاتهم ، وان عداء فيه مفاضبتهم خير من صداقة وسلم فيها مراضاتهم

إنه يجب أن نكون هنا صرحاء كل الصراحة ، ويجب أن نجانب الأدهان والأمور المغما والجمجمة بالحقيقة الواحدة الخالدة ، فنقول اننا نكذب ان ادعينا مصافاة خصوم الصحابة وخلفاء المسلمين ونفضل ضلالا ميئنا ان دعونا المسلمين الى ذلك وان امرأاً يدعى مصافاة هؤلاء أو مصادقتهم لكاذب اما في اسلامه ودينه واما في دعواه هذه الصداقة والمصافاة واما في هذا كله

أنت لا تستطيع أن تكون صديقا مخلصا لمن تعلم أنه يمقتك ويكرهك ويرميك بكل صيلم . والمؤمن المسلم لا يستطيع أن يكون صديقا مخلصا لخصم أبي بكر صاحب النبي الأكبر ولخصم جميع الصحابة والخلفاء ولبن برميهم بالطامات المفضطات هما اثنتان لا بد منهما اما كره حماة الاسلام وكره الاسلام نفسه ، واما كره

خصوم حاة الاسلام والبراءة لله منهم . أما أن تحب الاسلام وحماته وتحب من يكرهم فأمر لا يكون ولا يستطاع ومدعى هذا كاذب . ولو أراد من قلبه وفسه ذلك لأراد تكليفها مالا يستطيعانه ، ولأراد منها شيئا ليس في طوقها ولا في طبيعتها

فعل هؤلاء الذين يريدون التوحيد بين طائفة الشيعة الغالية وبين سائر المسلمين ويسعون لذلك أن يسعوا أولا وقبل كل شيء لحل الشيعة على رفض هذه المعتقدات وتطير كتبهم وصدورهم وألسنتهم منها . أى عليهم أن يسعوا أولا لاستئصال الداء وجراثيمه التي هي مرمى علة الاختلاف والافتراق والنزاع والصراع . فإذا ما قضوا على هذه الجراثيم بالموث والغذاء كانت نتيجة ذلك بلا شك زوال أعراض هذه الجراثيم التي هي الخلاف والنزاع والصراع بين الحزبين وعلاج الداء بانزاع جرثومته أشفى واحجى من محاولة علاجه بالأعراض عنه ونسيانه واغماض العينين عنه . بل هذا ليس علاجا طبيعيا وهو قين بأن يزيد الداء وينمى جرثومته ومادته ، ولا ريب أيضا أن العلاج بهذه الطريقة أيسر وأقرب من العلاج بالطريقة التي يقبها هؤلاء المترئون بأناشيد الوحدة وأغانى الجماعة . الوحدة والجماعة لفظان لفظان وألذ منهما معناهما وليس من ريب فيما لهما من الأثر النافع فى الدولة والدين والأمة ولكن الأمر كما قيل :

فان الجرح يفتقر بعد حين إذا كان البناء على فساد
فان ذلك كما تقضى طبيعة الأشياء ليس ممكنا ولا مستطاعا . والسعى له
كذلك سعى عايت ناصب لا أجر ولا حمد

وأنت إذا أردت أن تشيد بناء منيعا باقيا على العوادي وجب عليك أن تشيده
على أساس ثابت قوى بعيد عن الضعف والخلل من مادة قوية سليمة صلبة ووجب
أن تبعد عن ذلك المواد الضعيفة وما به خلل وضعف أو قبول للخلل والضعف ،

ولا أنهار عليك بناؤك وخسرت نفسك وأهلك ومالك . وكل صلح بين اثنين
ان لم يكن صادراً عن القلب والضمير فليس صلحاً وليس إلا كذبا وخداعاً وزوراً
ميميت أسماء صالحة وليس سوى مكيمة مشتركة بين اثنين يصطلحان عليها ويوقعانها
على أنها خديعة وجريمة نالت الرضا بالاجماع أى اجماع المتخادعين

فالصلح يجب أولاً أن يعمد الى القلب فيفسله من ضلّين العداوة ويتزعم منه
موادها وفذاهما انتزاعاً تاماً شاملاً ثم يضع فيه حب المحبة ويسقيه بحباب الحب
الانسانى الصحيح ، فاذا ما كان كذلك وهذا هو ما يجب أن يكون فقد تم الصلح
وتم توقيعه بوثيقة لا يمكن أن تحل ولا أن تمسها يد النكث والنقض وان لم توقع
هذا الصلح يد وان لم يعقد له مؤتمر وتؤلف له جمعية . فاذا ما تقاطعت القلوب فقد
قطع البلى وثائق الصلح وان كانت لا تزال كما وقعت جدة ووضوحاً بل وان كان
مدادها لا يزال رطباً لم يجف بل اذا ما كانت القلوب كذلك فقد تم احدى يديها
للصلح ولتوقيع معاهدة الصداقة والمحبة وتمد يدها الأخرى في الساعة نفسها للقتل
والضرب ولتمزيق ما وقته اليد الأخرى . وهذا هو البلاء الأجر العتيد التليد الذي
لا تفتأ الانسانية النابئة المغبونة تصرخ وتستصرخ منه

ان الصلح لا يوقع توقيماً ولا يطلب طلباً وهو شئ لا يكتب بالأقلام ولا
يدون في القراطيس ، بل صلح احتاج الى هذا فليس صلحاً ولو كان صلحاً لما
احتاج اليه ، ولكن الصلح يقوم بين الناس حين تزول عوارض العداوة ومواد
الشروع من غير أن يطلبوه وأن يسعوا اليه . فاذا ما انتزعت أسباب العداوات
والضغائن لم تبق هنالك حاجة الى الصلح الرسمي المذيل بالأسماء الضخمة . وهم
ما احتاجوا الى هذا الصلح وما بادروا اليه وأجمعوا عليه إلا لما يبصرونه في الأفق
العام من بوارق الشر وهامم القتن وصراخ الويلات ، وان صلحاً يوقعه بنان الظلم
لا يقال له اذا مرّته يداه وإن صداقة تبعث عليها الحاجة لا يقال كيف اذا أفسدتها

الحاجة نفسها ، ووحدة تقال بالسؤال تهتد أيضا بالسؤال وبغير السؤال
ولو كنت دولة لما عاهدت دولة ، وذلك أنى أعلم أن دولة من الدول لن تلتزم
القيام بشروط معاهدة وقعتها بدمائها قبل أن توقعها بدمادها إلا حين تضطر الى
ذلك اضطراراً وحين تعلم أن بقاءها وحياتها فى الوفاء بتلك للمعاهدة ، ودولة من
الدول اذا ما اضطرت الى أمر لأنها شعرت أن بقاءها وحياتها فيه لا بد أن تأخذ
به وقته بمعاهدة أم لم توقعه ، ولو عاهدتها لكنت أتيها وأحذر شرها فوق
ما كنت أتيها وأحذرهما قبل إبرام المعاهدة التى وصفت بمعاهدة الصداقة والمحافة
ولما قدرت تلك للماخدة إلا أنها إعلان بالعداوة وإدلاء بأن الشر قد تفاقم
واقترب لأخذ الحذر والحيلة

ما هذه الحفلات التى تؤلف لاحتلال الصلح والمحبة بين الدول أو الأفراد
والمعاهدات التى توقع وتسمى بأسماء المحافلات ومبادلة التناغم والصدقات إلا مناظر
سينمائية يراد بها التأثير الماظم من طريق الخيال وحده على مواطن الضعف والوهن
فى الانسان فاضحا كه حيناً وإبكاه أحياناً أخرى وخديته قبل كل شيء على
ما يملكه من معانى القوة وأسباب الحياة الفانية فاستلاب ماله وإضحا كه بما ينطوي
على البكاء وإفراحه بما يشتمل على الحزن الجسم وتوقيصه بما لو أبصره بعين ليست
سينمائية لاستصرخ وصرخ ولأعول ولدم

أذهب الى هذه السينمات وانظر ما تعرضه من مناظر الحب والبغض والحزن
والسرور والحرب والسلم ومناظر ما شئت واعلم قبل أن تبهر شيئاً من ذلك أنك
لست أمام شيء مما نحسب وتنظر وأن من حبسوا هذه الصور والمواقف لهم كانوا
يبكون حينما أروك أنهم يضحكون ، ولعلم كانوا يضحكون حينما أروك أنهم يبكون
وأنهم ما تلونوا هذه الألوان الكاذبة المزرية بالانسان إلا حرصاً على مالك واغتصابك
ماتلك لا شيء غير هذا ؟ اذهب الى هذه السينمات واعلم هنا كله وضع خيالك

وحواسك تحت مملطان عقلك وانظر هل تستطيع بعد هذا أن تضحك مع الناس حينما يضحكون أو تطرب معهم حينما يطربون أو تصفق حينما يصفقون أم هل تعود الى هذه المعارض المزرية مرة أخرى ، لا ريب انك إن فعلت هذا كله سوف تنظر الى هؤلاء المصنفين المتضاحكين الطريين حينما يكشف الغطاء عن هذه المناظر فنظرنا الى الأطفال والى ذوى الأمراض العقلية فنظر الرثاء والرحمة ولو أن هؤلاء المصنفين المهملين بهذه المعاهدات والمخالفات والصدقات السيئانية نظروا اليها فنظرنا الساعة الى حقيقة السينما ، وما طويت عليه ، وما قامت لأجله ، لصفقوا تصفيق الحسرة ، ولأهلوا بالأعوال والوعدة ، وانظروا الى هؤلاء المهجيين المسرورين بذلك نظرتهم الى الأطفال والى ذوى الأمراض العقلية ، أغنى نظرة الرثاء والرحمة والمطف

أقد أخرجنا هذا الحديث المثير للاشجان الكامنة ، الحاشد للذكريات المرة الشتيئة عما كنا فيه ، فلنقطعه اضطرارا ، ونعتمد الى ما كنا بصدده :
أما شمعنا الهابط فقد أدرك ما أدرك الشمس من اختلاط أشعتها النيرة القوية بخيوط الليل المظلمة الضعيفة ، ومن تشويهاها بما يملو طبعها النوري الناري فيما يرى الرائي بما تضعه الطبيعة والهواء على محياها الالهى المشرق الوضاء من تراب مظلم كثيف وقسطل أهوج بليد ، ومن طفول نحو المغيب فى أحشاء هذا الفضاء اللانهائى . ولكن سوف يدركه بلا ريب ما أدرك الشمس أيضا من اشراق وصفاء وجمال واكتمال . وليس من شك عندنا أن الاسلام لم يحارب بيدى أقوى وأمضى من يد تدس فيه انحرافات والمبتدعات المكروهة باسم الدين والتدين ويدعوى للتزبد من عبادة الله والتعديل على شرعه . فالتنا نعلم أن الاسلام دين الله الحق بحجج كثيرة معلومة حسية ومعنوية ولكن أبين للبراهين وأقنطها على أنه دين الله الحق هو أنه جاء كما جاء ونزل كما نزل أنهى ما يتصوره العقل

البشرى من سمو وجمال وحكمة ومطابقة لفطر الالهية التى لم تكدرها الأهواء والدعاوى والدعايات المدخولة.. فان العقل الفنى البارع فى معرفة الحق من حيث هو حق ولأنه حق يدرك من صدق هذا الدين وصحته ما لا يدركه الرجل الحسى بما يشاهده من المعجزات الدكونية المادية على أنه دين الله الحق النازل من تحت سدرة المنتهى ، وهذا هو السر العظيم فى خلود هذا الدين ، وفى معاركته الخطوب والموادى وخروجه من بين أيديها مظفرا عزيز الجانب . . ولا ريب أن أقوى ما فى الحق هو ما فيه من صفة الحق ومعنى الحق ، ولكن هذا الدين الجميل البالغ الجمال القويه ان يبقى له هذا الوصف حينما تدخله الآراء البشرية التى تصدرها التراب والانسان

وليس مثله حينئذ الا صورة فنية رائعة الصنعة والجمال جاءت وفق ما يتخيله أفرس خيال فنان سيال بارع وضمت عرضة لكل اقتراح يلقيه من يلقيه من مريض العقل الى مريض القلب إلى طفل للنفس الى أسير الهوى والحسد . وكل من اقترح اقتراحا فى هذه الصورة الفنية أجيب اقتراحه وعدل فيها ما اقترح تعديله : ألا ترى أن هذه الصورة سوف تصبح ولا محالة من أقبح ما ينتج الخيال وما تراه العين

وهكذا الدين إذ ماترك عرضة لابتداع المبتدعين واقتراح المقترحين لا محالة من أن يشوه وجهه وينطفىء جماله وحسنه : وهذا هو ما أصاب الاسلام وما فطن له خصومه الدهاة فجدوا فى حربه من هذه الناحية وفى أخذه من وجهها .
ويقال بنحو آخر ان الله تعالى قدرته وحكمته قد بنى شرعه أفضل بناء فجاء علاج لكل ما بنيت عليه النفوس من داء وأفضل ما يوصف لها وما تحتاج اليه من دواء لأنه تعالى وهو العليم بداء النفوس ودوائها قد قدر شرعه على ما جلست عليه النفوس تقديرآ محكما متقنا وفصله عليها تفصيلا تاماً موجبا بحيث لا يصلحها

(٣٢)

غيره ولا تصلح هي بغيره وبحيث لا يروضها ولا يسوسها في أمورها كلها مثل
أن تأخذ جملة كما جاء لا زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تحوير . ولو دخله شيء
من ذلك لأفسده ولأبطل حكمته وما وضع من أجله .

وذلك أن الشرع الإلهي وضع كعلاج لأمراض النفوس التي جبلت عليها
من شهوة وشبهة وفسوق . وكل علاج يضعه حكيم عارف بصنعتة يفسد لا محالة
إذا تناوته يد التغيير والتبديل والزيادة والنقصان . بل ويعود ضاراً مؤذياً وإن
يكون علاجاً نافعاً مجدياً إلا إذا أخذ كما وضع ورب عن طواعية ورضى

ولو أن مريضاً أراد أن يتصرف وأن يجتهد فيما يركبه له طبيبه من علاج
ودواء حسب علمه ومرضه فقال بالتغيير والتحوير والزيادة أو النقصان وغير
الوقت الموقوت لتعاطيه لكان خليقاً بأن يضر نفسه بل ربما قتلها وإلّا كان خائفاً
يأن يعد من السفهاء الجُهلاء .

والذين يتعدون على الشريعة وعلى حدودها بالتغيير كالزيادة والنقصان
لا يقلعون عن هذا المريض سفاهة وجهالة وإفساداً لهذا العلاج السامى المابط به
جبريل سيد الملائكة من لدن رب العالمين إلى محمد سيد الخلق عليه الصلاة والسلام
ليبلغه أفضل الأهم وسيدتها سابقها ولاحقها

فالذين يتناولون هذا الدين بالتغيير والتحوير وقد نزل محكما متقنا وأعد
إعداداً حكماً لمعالجة أدواء النفوس ومعالجة ما جبلت عليه من ضعف خلفي وشهوة
وشبهة ولدت جرثومتها يوم أن ولدت جرثومة الإنسان الأول إنما يعملون
بهذا جهلاً وقد يكون قصداً لإفساد الدين ولإبطال الحكمة التي أنزل الله دينه لأجلها
وإبطال أثره الجليل الحميد الفعال في هذه النفوس التي هي أبداً في حاجة إلى علاج
سماوى قدسى لينتشلها من ورطات المادة ونقصان المادة الأثيمة الفاسدة وليسمو
بها فوق هذا العالم الأرضى وما كُبل به من أنكال الضمة والهبوط والضعف اللازم

الوجود وتتعلق بأسبابه الموصولة بأعلى السماوات العليا لتعلوها الى حيث يكون مستقر هذا الدين ومهيطة الأول الأعلى

ولهذا فانتا نحمّل الدعاة الى الابتداع في هذا الدين أوزار ضعف أقره في النفوس وأوزار صدورها عنه رغبة عما مزج به من مبتدعات المبتدعين السفهاء الأتقياء . . ونمد دعاة البدع من شر خصوم الأديان وخصوم الانسان ، ونهيب بالمؤمنين الى أن يتضافروا على تطهير الدين وتخليصه من هذه الزلات والعورات والقرحات التي حملت عليه نشوت محاسنه أو بالأصح ألفت عليه مرادقا كثيفا من جفاء وغباء ووحشة ينظر اليها بعين الحذر والريبة والزراية الآلية والمضاضة المرة .

ونحن في كتابنا هنا نهد إن شاء الله ركنا من أركان هذا الباطل ونهيك حجابا من هذه الحجب التي ضربت على الدين والتي فرضت على عقول جمهرة كبيرة من الناس

وليس في المخلوقات كلها ما هو أعجب أمرا من الانسان ولا ما هو أكثر جمعا للمختلفات منه . فالانسان أمره كله عجب . انظر اليه فيينا ترى فريقا منه ينازع الملائكة الطهر والسمو الروحي والجمال المعنوي النفسى إذا بك ترى فريقا آخر منه ينازع الشياطين الخبيث والأنحطاط الروحي والقبح المعنوي النفسى ثم انظر اليه فيينا ترى فريقا منه يسمو ويمعن في سموه حتى يتصل بالملأ الأعلى بل ويتجاوزه حتى يتصل بالرب الأعلى فيحظى بمخطابه نجما فيصطفيه بكلامه ويرسالته إذا أنت ترى فريقا آخر منه يهوى ثم يفلو في هوبه في دركات الصغار والضعة والموان المزرى حتى يرضى لنفسه بأن تتعبد الاحجار والاشجار والجماد الصامت الوضيع وتلمس حاجاتها وشفاء كلومها تحت أطباق الرغام وبين ضرائع الرمم وعظام الموتى وهياكل الانسان الفانيّة البالية وحتى تشكو قضاء السماء الى

وهين الثرى والبلى وحتى يفزع الانسان الى السوى الى الانسان الميت يستدفع
به فواحدح الاقدار

ضل الانسان رغوى فعبد الشمس والقمر والأجرام العلوية فقيل أغراه بهذه
الضلالة وبهذا النزول الفكرى الاعتقادي ما رآه فى هذه الأفلاك العلوية الثيرة من
الجلال والجمال والاشراق الباهر والاعظم المشهود للفتان ، ثم ضل و غوى فعبد
الملائكة فقيل أغراه بعبادتهم ما أكرمهم الله به من طهارة وعلو ومن اتصال به
تعالى ومن خصائص خلقية عجيبة ، ثم ضل و غوى فعبد هذه الأنهار المتدفقة عن
اليمين وعن الشمال فقيل أغراه بعبادتها ما أودعها الله من المنافع للانسان والحيوان ،
ثم ضل و غوى وانحط غيه وضلاله فعبد الأحجار والأخشاب والسنائر المنصوبة
على هيكل مخلوق ضعيف عاجز عن نفع نفسه وعن ضررها حيا . فلما أن قيل ما الذى
أغراه بعبادة هذه الأخشاب والأحجار والأجناب وما الذى أبصره هنالك حتى
ضل هذا الضلال المبين لم يكن الجواب سوى أن يقال أغراه بهذا نقص الانسان
وإفلاس الانسانية وانحدار مداركها انحداراً يصرخ في وجه الانسان المزهر
بانسانيته قائلاً : ها هنا ينتحر العجب الانسانى وها هنا تنتحر الانسانية

عرج على قبر من تلك القبور ثم استمع حشرة تلك الصدور بهتافات الرغبة
وإعوال الرهبة وتسمع تساقط الرغبات الملحة من تلك الشفاه الذابلة بحرارة الدعر
وترهج الرجاء وانظار الى تلك الوجوه الذاهلة الساهمة بنشوة الخضوع وجلال
الخشوع والى تلك الدموع المتحدرة فى الحس ماء من العين وفى العقل عبادة
واستسلاما لنير الله من القلب والعقل ، إهانة كبرى للانسانية أينما كانت ، والى
تلك الأيدى المبسوطة ظاهراً بالآمل المبسوط على تلك السنائر والأبواب
والأخشاب والصد المبسوطة معنى الى كرامة الانسان ومجد العبودية الالهية
تمزيقها شراً مزيقاً الى الشرف الانسانى الرفيع تهبط به تحت أقدام الموتى وأشلاء

الفناء وانظر الى تلك الوفود المختلفة المزدحمة ذات الحاجات المختلفة المزدحمة
والجموع المتدافعة على تلك القباب والأبواب ذات الأنواط والجبال وعلى تلك
الاضرحة رجاء البعيد القعى وقرّة عين القريب النجى

انظر الى ذلك كله وتسمع ما هنالك كله ثم صب الدمع سخياً غزيراً على
كرامة الانسان ومجده وعلى عزة العبودية الماجدة الواحدة الموحدة المراقبة بلائمن
سوى الخزي والعار في الدنيا ثم الويل والنار في الآخرة ثم قل والخطاب للمسلم
وحده :

ويحك أيها المسلم ماذا دهاك ؟ ان أسلافك الأماجد لم يقنعوا بهذا العالم
كله مطلباً وغاية حتى عقدوا من أسيا فهم وصالح أعمالهم درجات يمتطون بها نبيج الهواء
ويشقون بها حواجز المادة والطبيعة ليتصلوا بغاية الغايات ونهاية كل موجود فما أنت
والرضا بالقراب ؟؟ ولقد كان المسلم يتلو قول الله « أليس الله بكاف عبده » فيعمل
سيفه المثلث ورمحه المحطم من مسايقة الأبطال ومقارعة الصناديد المغاوير فيقذف
نفسه في غمرات الموت يطعن ويضرب فلا يفكر في أن ينهزم وصدره يعي هذه الآية
ومعناها للملوك السماوى، حتى لو وقف العالم كله ليصدده عما أراد وليحول يديه
وبين الانتصار للحقيقة الواحدة الخالدة . فما أنت وخشية التراب ؟؟

ولقد كان الأعز ابنى يلقى محمداً ﷺ فيتلو عليه قول الله : « كل شيء هالك
إلا وجهه » فتتضائل الخلوقات وتتلاشى في عينه ومن نفسه حتى يدركها الفناء
فيروح يضرب الباطل ويقلق هامات الضلال غير حاسب لغير الله حساباً وغير
قابل لإخلاقة حكماً وغير محس لغير الحق وحده وجوداً . فيكبر هو في عين الوجود
وفي نفسه حتى يتصنع له بناء الطبيعة ويخضع له إجلالاً قانون المادة ، ويجل في
حساب الباطل والضلال حتى يبصر في كل شعرة منه ألف جحافل يقاتل في سبيل
الله . فما أنت والرغبة في التراب ؟؟

وكان المشرك الدنس يلقى لا إله إلا الله فتتمشى فيه فتعقم جسمه ونفسه
وتطهرهما من معاني الشهوة والفسوق والحيوانية النهمه فيسمو على الشهوات
وحاجات النفوس وعلى مآرب الطبيعة وحاجات المادة فيزوح ويفدو ملكا في
أثواب انسان ومعنى طاهرا مقدسا في صورة مادة . فما أنت ومساءلة الأطلال
الفانية ؟؟

وكان المسلم الأول يمر على قول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »
فتحول بينه وبين الخلق جميعا وتسدد عليه طريق الرغبة في العباد كافة فتعمر به
مصائب الناس جميعا ويلقى في حياته معنى صفة الله الجبار المحض في معناها الجلى
الظاهر الكامل فلا يدل مخلوقا على مكان ألمه ولا يكشف لغير الله عن موضع علة
ولا تسمع منه أذن مخلوقة قوله آم ولا يسأل مخلوقا عونا حتى لقد كان تسقط منه
عصاه فلا يقول لأحد ناولنيه . فما أنت ودعوة الأموات والشكوى الى الرسم
والعظام النخرة

وبلك أيها المسلم ماذا غرك بهذه الانصباب والأجدات ؟؟ أرأيت شيئا منها خلق
شيئا منك فاستحق خضوعه وعبادته ورغبته ورهبته . أم علمت أن شيئا منها خلق
شيئا من هذا العالم فملكه حتى طمعت فيما خلق وملك فرحت تسأله وتستوهبه إياه
برغب ورهب . أم وجدت أن شيئا منها امتنع على الله حتى رحت ترجو منعه أو
أطله وشاركه حتى رغبت في معونته ومشاركته . أم وجدت هذه الأخشاب
والأبواب والأموات أقرب اليك من الله وأرحم بك وأعلم بحاجتك منه أم أسرع
لإجابة وأوسع سلطانا وأعظم فضلا من رب العالمين فطقت تسألها حاجاتك يوم
يسأل المؤمنون ربهم . أم علمت أن الله لا يسمع دعائك ولا يتقبل عبادتك حتى
تذل لمبيده وحتى تسألم أن يعطوك ما لا يملك وما لا يقدر على ملكه واعطائه
سوى رب العالمين . . ؟؟؟

ويحك أيها المسلم رغبت عن الله فرغب الله عنك ، ورغبت في غير الله فرغب من رغبته فيه في الله عنك . فلا أنت أدركت رضا الله ولا أنت أدركت رضا من رغبته في رضا فخرت الرضوانين وهذا هو أشد الخسران ، فتخلى الله عنك بنصره وعونه إذ تخليت أنت عن استنصاره واستعانت به ، وتخلى عنك الخيار من عباده إذ تخليت عن إرشادهم وسنتهم فخلك بالشرار من خلقه فافترسوك فهلكك بين نسيان الله والخيار من عباده لك وبين ثورة الشرار من خلقه بك ، فأصبحت في المالكين الغابرين

ويحك أيها المسلم ؟ ! شرب المؤمنون صفواً وشربت أنت كدراً ، ودعواهم رباً واحداً ودعوت أنت ألف رب « أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ، ورغبواهم في السماء ورغبت أنت في الأرض ، ونادواهم خالق الأحياء وناديت أنت أشلاء الأموات ، ورفعوا أبصارهم إلى السماء ونكست طرفك وخفقت برأسك أنت إلى الثرى ، وأين الثرى من السماء وأين عابد الأموات من عابد الحمى الميت الذي لا يموت ؟ « هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون »

أو لم يهلكك أيها المسلم مصارع المشركين الأولين وكيف فعل الله بمن عبدوا به غيره من الأوثان والصالحين والأنبياء ؟ ألم يأخذ الله أولئك المشركين كلهم إلى الهلاك ثم إلى النار سوقاً بكلمة لا إله إلا الله إذ تواصوا بابائهم قائلين « أجل الآلهة إله واحداً إن هذا شيء عجاب ؟ »

أما وجدت في كتاب الله مثلات الأولين والآخرين وأمثال الهدى والضلال المبين ؟ ويحك لقد انقطعت الرسائل واحتبست السماء الكتب فلا رسالة بعد رسالة محمد عليه السلام ولا كتاب بعد كتاب الله القرآن فان لم تجد فيهما الهدى فلن تجده ولن تكون من المهتدين

هذا في المسلمين بلاء أى بلاء ومنكر ما فوقه منكر . وليس هنالك ما هو شر منه سوى أن يقوم رجال محـ وبون على العلم والعلماء وعلى الاسلام والمسلمين يذودون عن ذلك بغيرة لا أدرى بماذا أصفها ، ويثلبون من أفكاره من صالح المؤمنين ثلباً صراً مزعجاً ويملئون عليه الافضاء صراحاً واعوالاً ويرجعون به وبأمره ارجافاً رناناً هائلاً زاعمين أنه خرج على الاسلام والمسلمين وعاند الكتاب والسنة وقال قول الفرقة الضالة الملحدة متهميه بارادة السوء بالاسلام وبالهدوى وبالشنم الاخرى متلهمسين في كتاب الله ورسالة نبيه البراهين على بطلان أمره وضلال رأيه مزورين هذا في كتب وقراطيس مطبوعة ومحاولين اقناع المسلمين بها وخديعتهم بأمرها هذا من شر مافى المسلمين ومن أظهر مافيه من باطل قامت عليه عيوبهم المشهودة المشهود أثرها في كل حال من حالاتهم وسيشهد القارئ لكتابنا هذا أسلوباً من هذه الأساليب الملتوية وصراحاً عظيماً بين هذا الهداء العتيد في الانسانية الضالة وبين علاجه الحاسم . والله من وراء كل قصد واليه المسآب وعليه الحساب

المؤلف

١٤ رمضان سنة ١٣٥٥

لماذا ألفت هذا الكتاب ؟

في ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هجرية بعث إلى الوحيه المجازي المعروف محمد أفتدى نصيف بكتاب « كشف الارتياح في أتباع محمد بن عبد الوهاب » وقد كتب حضرته على طرته العبارة الآتية : « إن مؤلف هذا الكتاب قد أتى بأشياء لم يأت بها أحد قبله من أعداء الدعوة الاسلامية . فأرسلته لكم لابتداء رأيكم فيه ، ولرد عليه »

فقلبت صفحات الكتاب مرة ومرة فرأيت فيه ما جعلني أتردد في الكتابة عنه . ثم بعث هذا الوحيه خطاباً الى أحد الاعزة في مصر يطلب اليه فيه أن يطلب إلى الرد على الكتاب . فصع عزمي وكتبت ما يأتي :

ليس عجيباً أن تسيء الشيعة الى أهل نجد وغيرهم من أهل السنة وتضيف اليهم من المعاييب والشنع أفظعها وأكذبها ، أو ترميهم بالفسوق والكمور وبالامور الكبريات الأخريات ، أو تجمد في مناوأتهم وإيقاع الأذى بهم ، أو تؤلف الكتب المملوءة بذممة ووقاحة . ليس شيء من ذلك عجيباً من طائفة الشيعة وقد أكرموا خيار البشر وقدحوا فيهم أمر القدرح وأكذبوا ، فلسنا نطلع منهم في ولاء أو ثناء وقد عادوا أبا بكر وعمر والسيدة عائشة وحفصة وطلحة والزبير وفضلهم المهاجرين والانصار ومن تولاهم . وآذوا الله عز شأنه فوصفوه بالبداء ومعناه أنه يفعل الامر فيبدو له منه ما كان خافياً فيستأنف الحكم والعمل . ومعنى هذا وصفه بالجهالة ، وقد وصفه اشيائهم ايضاً بصفات النقص كالخلول والجسمانية كما سوف توى ذلك . وآذوا رسول الله ﷺ فقال فريق من اشيائهم : إن الرسالة كانت للإمام على ولكن جبريل غلط فأداها الى محمد عليه الصلاة والسلام . واذا جبريل

نفسه فوصفوه بالفاط في أشرف الأمور وهو أداء رسالة الله . فعدوه لذلك عدوهم
المبين . وآذوا سائر المسلمين إذ لم يوافقهم على عداوة صحابة رسول الله ، وعلى
الفلو في من يعدونهم أئمتهم المعصومين ، فدعوا المسلمين لذلك (النواصب) ،
ويعنون بذلك أنهم أعداء بيت النبوة ، فقدحوا في عقائدهم ودينهم وأئمتهم ،
واستحلوا دماءهم وأموالهم . ومن أقوال كتبهم عن أئمتهم : « خذ مال الناصبي
وادفع الخس » وفارقوهم في الجمع والجماعات ، وخالفوهم في شعائر الاسلام كالصلاة
والحج والشعائر الاخرى ، وتخلفوا عنهم في الجهاد ، وناصروا أمراءهم العداوة
والبغضاء وسعوا في تمكين أعدائهم منهم وأخذ نواصبهم . وأعانوا أخصام الاسلام
نقمة من أمراء النواصب وسلاطينهم - كما يزعمون - وقعدوا عنهم في كل أمر به
فصرة الاسلام أو نصرة أوطان المسلمين ، وأتوا كل ما من شأنه إلقاء العداوة
والفشل بين صفوف الاسلام ، وكل ما من دأبه أن يبعث الاحتاد القديمة الكامنة
والخزائن الساكنة

ولا يزالون يأتون ذلك في كل المناسبات وفي كل وقت تنحرك به نفوس
المسلمين الى نصرة الاسلام أو نصرة أوطانه . وفي الله دينه وعباده شرم
وقد كان أول أمر هذه الطائفة أن رجلا يهودياً يقال له عبد الله بن سبأ في
فجر الاسلام رأى سلطان الاسلام وقوته وعلوه على سائر الأديان وتهاوى عروش
الباطل تحت عرشه الحق فغاضه ذلك فأراد الكيد له والاياع الفظيع بأهله . وقد
يكون عضواً قويا لجمعية مصرية هائلة أنشئت لهدم الاسلام . وليس ببعيد أن يكون
من أعضاء هذه الجمعية أبو لؤلؤة الفلام المجوسى الذى قتل الخليفة عمر . فان
طوائف من الشيعة يحبون هذا الفلام المجوسى ويرون أنه قد أسدى اليهم يداً إذ
قتل عمر . فتظاهر هذا اليهودى بالاسلام وادعى الايمان بالله وبرسوله ولجأ الى الزهد
والى عون المظلومين فى زعمه فجهر بأن علياً مظلوم ظلمه أصحاب محمد النواصب

حسداً منهم وطعماً في الرئاسة والملك ، فاعتصبوا الخلافة منه وهي حقه المعلوم ، واصتبدوا بالامر دونه فهم الظالمون وهو وآله المظلومون وهم الخونة المستبدون وهو وآله المستضعفون المغبونون . وطوبى لمن رجع الحق الى أهله ومستحقه ، فدعا إلى الانتقام من محابة رسول الله ﷺ خصوم على ، وإلى عون على صاحب الامر ووليه ولم يقف أمر هذا اليهودي الخائن عند هذا الحد بل غلا وأمر في غلوه طمعاً منه في تفاقم الفتن والنشل والمهرج والمرج فادعى في على الألوهية وزعم أن فيه جانباً إلهياً ، وريماً زعم أن الله قد حل فيه كدعوى المسيحيين في المسيح . فأنت عليه دعواه فهم بالانتقام منه ، وأراد الايقاع به ، فهرب منه وظل ينقل من بلد إلى بلد مدعياً دعواه المنكرة داعياً الناس إليها ، وليس أمثال هذا الرجل منا يبعيد فكثير من الاورويين اليوم يدعون الاسلام ، أو يدعون حب العرب ونصرتهم . ومرادهم الذي يضمرون وله يسعون ، هو هدم الاسلام ، واقتباس أهل الاسلام كيداً وغشاً

فتطير صدى دعوى هذا اليهودي الى بعض الأذهان المريضة ، ونادى قوم بألوهية على وبأنه الله سبحانه وتعالى . فتنة يهودية محكمة . فاستتابهم الامام على فلم يتوبوا ، فأضرم نيراناً عظيمة وقذفهم فيها فازدادوا بذلك ضللاً وكفراً وقالوا الآن علمنا بأنك أنت الله ، إذ لا يهذب بالنار الا رب النار . فأخاف عقاب على قوماً منهم فكتموا كفرهم وضلالهم لا أبداً ولكن الى حين ، الى أن تنهأ لهم الفرصة ويأتى اليوم الذي به يستطيعون أن يقولوا كل ما يضمرون ، والتقية والتفاني من أبرز صفات الشيعة وعقائدهم . وهؤلاء هم أهل الدماء منهم والمكر السيئ

وكانت هاتان الحادستان أساس المذهب الشيعي والحجر الاول في بنائه ، هليهما أقيم المذهب وعنهما تفرعت حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة الأثيمة ، ومن هذا الطريق أتى أهل الاحاد المدعون التشيع والغلو في على وأولاده كالفاطميين والاصماعيليين والختاريين

حماقات الشيعة

في هذا الفصل ننقل من أوثق المصادر التاريخية طائفة من حماقات الشيعة ومعتقداتهم السخيفة في الله ورسوله وآله وفي المؤمنين

قال ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان « فصل في مذاهب الشيعة » :

« ومن الشيعة طوائف يسمون الغلاة يتجاوزوا حد العقل والایمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة ، إما على أنهم بشر انصفوا بصفات الالوهية أو أن الاله حل في ذاته البشرية . وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه . ولقد حرق على رضى الله عنه بالنار من ذهب فيه الى ذلك منهم ، وسخط محمد بن الحنفية المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ، فصرح بلعنته والبراءة منه . وكذلك فعل جعفر الصادق رضى الله عنه بمن بلغه مثل هذا عنه . ومنهم من يقول إن كمال الامام لا يكون لنيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك السكال ، وهو قول بالتناسخ

ومن هؤلاء الغلاة من يقفون عند واحد من الأئمة لا يتجاوزونه الى غيره بحسب من يعين لذلك غنم ، وهؤلاء هم الواقفية . فبعضهم يقول هو حى لم يميت وأنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر . قيل مثل ذلك في على رضى الله عنه وأنه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه . قالوا مثل ذلك في محمد بن الحنفية وأنه في جبل رضوى من أرض الحجاز . وقال مثله خلافة الامامية وخصوصا الاثنا عشرية منهم يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري وياقبونه المهدي دخل في سرداب بالحلة وتقيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك . ويقضون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب

وقد قدموا مركبا فيهمفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشترك النجوم ثم ينفذون ويرجعون الأمر الى اليلة الآتية وهم على ذلك لهذا العهد ، وبعض هؤلاء الراقية يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا »

وقال أبو حفص بن شاهين في كتاب اللطف في السنة : حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هرون حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي حدثنا جعفر بن نصير الطوسي الواسطي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه قال : قال الشعبي « أحذركم أهل هذه الأهواء المضرة وشرها الرافضة . لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة ولكن قنأ لأهل الاسلام وبغياً عليهم قد حرقهم على رضى الله عنه ونفاهم الى البلدان منهم عبد الله بن سبأ يهودى من يهود صنعاء نفاه الى ساباط وعبد الله بن يسار الى خازر . وأيد ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود : قالت اليهود لا يصلح الملك إلا فى آل داود وقالت الرافضة لا تصلح الامامة إلا فى ولد على . وقالت النصرانى لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيد من السماء وقالت الرافضة لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادى مناد من السماء ، واليهود يؤخرون الصلاة الى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب الى اشتباك النجوم . والحديث عن النبي ﷺ أنه قال : لا تزال أمتى على النظره ما لم يؤخروا المغرب الى اشتباك النجوم . واليهود تزول عن القبلة شيئاً وكذلك الرافضة ، واليهود تنود فى الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود تسدل أثوابها فى الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرافضة . واليهود حرقوا التوراة وكذلك الرافضة حرقوا القرآن . واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين انما يقولون السلام عليكم والسلام الموت وكذلك الرافضة ، واليهود لا يأكلون

الجرى والمرامى^(١) وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون مسح اثنين وكذلك الرافضة ، واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرافضة ، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن قالوا « ليس علينا في الأميين سبيل ، واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرافضة ، واليهود لا تسجد حتى تحفق برؤسها مراراً تشبهاً بالركوع وكذلك الرافضة ، واليهود يقتضون جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة يقولون غلط جبريل بالوحى على محمد ، وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة ، النصارى ليس لفسائهم صدق إنما يتمتعون بهم تمتعاً وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة . وفضلت لليهود والنصارى على الرافضة بمخصاتين : سئلت اليهود من خير أهل ماتكم ؟ قالوا أصحاب موسى ، وسئلت النصارى من خير أهل ماتكم ؟ قالوا حوارى عيسى ، وسئلت الرافضة من شر أهل ماتكم ؟ قالوا أصحاب محمد . أمرروا بالاستغفار لهم فسيبهم ، والسيف عليهم مساوئ إلى يوم القيامة . لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا مجتمع . ولا تجاب لهم دعوة ، دعوتهم مدحوضة وكلتهم مختلفة وجمعهم متفرق وكلما أوقفوا ناراً للحرب أطفأها الله »

وقال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل تحت عنوان « الشيعة » :
 « ومنهم الكيسانية أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقيل تلميذ السيد محمد بن الحنفية يمتثلون فيه اعتقاداً بالغاً من إحاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السديدين الأمرار بجمليتها . ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج

(١) نوعان من السمك تزعم الشيعة أن علياً رضى الله عنه وقف على البحر فخرج إليه أنواع السمك وسلت عليه ماسوى هذين النوعين فهما حرام لذلك

وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول الى طاعة الرجل . وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت ، فن مقتصر على واحد معتقد أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معه حقيقة الامامة الى غيره ثم منحسر عليه منحير فيه ومن يدع حكم الامامة فليس من الخيرة . وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له . ونهوذ بالله من الخيرة والخور بعد الكور »

قال ومنهم الهاشمية أتباع أبي هاشم بن محمد بن الحنفية وفرقة من أتباع هذا الرجل قالت إن أبا هاشم أوصى الى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي . وكان من مذهب عبد الله أن الارواح تناسخ من شخص الى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الاشخاص اما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات قال وروح الله تناسخت حتى وصلت اليه وحلت فيه . وادعى الألوهية والنبوة معاً وأنه يعلم الغيب فعبدته شيعة الحق وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا والثواب والعقاب في هذه الاشخاص . وتأول قول الله تعالى « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح في ما طعموا » الآية على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل الى الكمال وعنه نشأت الخيرية والمزدكية بالعراق وهلك عبد الله بن خراسان وافتقرت أصحابه فمنهم من قال إنه حي لم يموت ويرجع . ومنهم من قال بل مات وتحولت روحه الى اسحاق بن زيد بن الحارث الانصاري ومم الخارثية الذين يبيعون المحرمات ويعيشون عيش من لا تكليف عليه . قال ومنهم البنانية أتباع بنان بن مسمان قالوا بانتقال الامامة من أبي هاشم اليه . وهو من الغلاة القائلين بالهبة أمير المؤمنين على . قال حل في علي جزء إلهي واتحد جسده فيه . كان يعلم الغيب اذا أخبر عن الملاحم وصح أخبر وبه كان يجارب الكفار وله النصرة والظفر ، وبه قلع بلب خبير

وعن هذا قال والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانيه ولا بحركة غذائية ولكن قلعت بقوة ملكوتية بنور ربها مضية . فالقوة الملكوتية في نفسه كالصباح في المشكاة والنور الالهى كالنور في المصباح . قال وربما ظهر على في بعض الأزمان . وقال في تفسير قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » أراد به علياً فهو الذى يأتي في ظلل ، والرعد صوته والبرق تبسمه . ثم ادعى بنان أنه قد انتقل اليه الجزء الالهى بنوع من التناسخ . ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة وذلك الجزء هو الذى استحق به آدم سجود الملائكة . وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضواً فعضواً جزءاً فجزءاً . وقال يهلك كله إلا وجهه لقوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » . ثم قال الشرستان ومنهم الرزامية أتباع رزام ادعوا حلول روح لاله في أبى مسلم الخراسانى وقالوا بتناسخ الارواح . والمنفع الذى ادعى الألوهية لنفسه كان على هذا المذهب وتابعه مبيضة ما وراء النهر وهؤلاء صنعة من الخرمية دافوا يترك الفرائض وقالوا الدين معرفة الامام فقط . ومنهم من قال الدين أمران معرفة الامام وأداء الامانة ومن حصل له الأمران وصل الى حال الكمال وارتفع عنه التكليف قال ومنهم الغالية الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الالهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق زعم على طرفي الغلو والتقصير . وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق ، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغالية حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة . وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة وبدع الغلاة محصورة في أربع التشبيه والبدع والرجمة ^(١) والتناسخ

(١) المراد بالرجمة رجوع من مات أرغاب من أئمتهم الى الدنيا

قال : ومنهم السبائية أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي : أنت أنت .
يعني أنت الاله ، وزعموا أنه كان يهودياً فأسلم وعنه انشعبت أصناف الغلاة ،
وزعموا أن علياً حتى لم يقتل وفيه الجزء الالهى ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو
الذى يجىء بالسحاب والرعده صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل بعد ذلك الى
الأرض ، وهم أول فرقة قالت بالتوقف والغبية والرجمة وقالت بتناسخ الجزء الالهى
فى الأئمة بعد على

قال : ومنهم الكامية أصحاب أبى كامل أكفر جميع الصحابة بتركهم بيعة على
وطعن فى على بتركه طلب حقه ، قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحق ، على أنه
غلا فى حقه . وكان يقول الامامة نور يتناسخ من شخص الى شخص وذلك للنور
فى شخص يكون نبوة وفى شخص يكون إمامة ، وربما تناسخ الامامة فتصير نبوة
وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت . والغلاة على أصنافهم متفقون على التناسخ
والحلول^(١) ، ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل أمة تلقاها من المجوس المزدكية
والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصائبة ، ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ذائق
بكل اسان ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول ، وقد يكون
الحلول بجزء وقد يكون بكل

قال : ومنهم العلوية أصحاب العلياء بن ذراع الدومى ، كان يفضل علياً على
النبي عليه الصلاة والسلام ، وزعم أنه الذى بعث محمداً ومحمداً إلهاً وكان يقول بنم
محمد لأنه بعث ليدعو الى على فدعا الى نفسه ، ويسمون هذه الفرقة الزمية ، ومنهم
من قال بالهيتهم ماعاً ويقدمون علياً فى أحكام الالهية ويسمونهم العينية ، ومنهم
من قال بالهيتهم ماعاً ويقدمون محمداً فى الالهية ويسمونهم الميمية ، ومنهم من قال
بالهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وقالوا :

(١) المراد بالحلول فى كلام القوم حلول ذات الله فى بعض ذوات الخلقين

خمسهم شيء واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر وكرهوا
أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم
قال ومنهم المغيرة أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ادعى أن الامام بعد محمد
ابن علي بن الحسين محمد بن عبد الله بن الحسن وزعم أنه حي لم يموت . وكان المغيرة
مولى غلاد بن عبد الله القسري ، وادعى الامامة لنفسه بعد الامام محمد وبعد ذلك
ادعى النبوة وغلافي حق على غلو لا يمتدده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه
فقال ان الله صورة وجسم ذو أعضاء على حروف الهجاء وصورته صورة رجل
من نور على رأسه تاج من نور وله قلب تدفع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق
العالم تكلم بالامم الآء ظلم فطار فوقه على رأسه تاجا . قال وذلك قوله : « سبح
اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى » ثم اطلع على أهوال العباد وقد كتبها على
كفه فغضب من المعاصي ففرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما ملح والآخر عذب
والمالح مقام والعذب نير . فاطلع في البحر النير فأبصر ظله فانتزع عين ظله فخلق
منها الشمس والقمر وأبقى باقي ظله . وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري . قال
ثم خلق المخلوق كله من البحرين المؤمنين من البحر النير والكافرين من البحر المظلم
وخلق ظلال الناس . وأول ما خلق هو ظل محمد وعلى قبل ظلال الكل ثم عرض
على السموات والأرض والجبال أن يحمين الأمانة وهي أن يضمن علي بن أبي طالب
من الامامة فأبين ذلك ثم عرض على الناس فأمر عمر بن الخطاب أبا بكر أن
يتحمل منه من ذلك وضمن أن يمينه على الغد به على شرط أن يجعل الخلافة له
من بعده فقبل منه وأقدهما على المنع متظاهرين . فذلك قوله « وحملها الانسان إنه
كان ظلوما جهولا » وزعم أنه نزل في عمر قوله تعالى « كمثل الشيطان إذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك » . ولما أن قتل المغيرة اختلف أصحابه
فمنهم من قال بانتظاره ورجسته ، ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد كما كان يقول

هو بائظفاره . وقد قال المفيرة لأصحابه انتظروه فإنه يرجع وجويل وميكائيل
ببايعانه بين الركن والمقام »

وقال « ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي . زعم هذا الرجل أن عليا
رضي الله عنه هو الكسف الساقط من السماء وربما قال الكسف الساقط من السماء
هو الله عز وجل . وزعم حين ادعى الامامة لنفسه أنه عرج به الى السماء ورأى
معبوده فمسح بيده رأسه وقال له : يا بنى ازل فبلغ عنى ثم أهبطه الى الأرض فهو
الكسف الساقط من السماء . وزعم أن الرسل لا تنقطع أبداً والرسالة لا تنقطع .
وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو امام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته
وهو خصم الامام . وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله بمعاداتهم
وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم . واستحل أصحابه قتل مخالفينهم
وأخذ أموالهم واستحلل نساءهم . وإنما مقصودهم من حل الفرائض والمحرمات
على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف
وارتفع عنه الخطاب إذ وصل الى الجنة وبلغ الكمال . وما أبدعه العجلي أن قال
أول « ما خلق الله هو عيسى بن مريم ثم على بن أبي طالب »

قال « ومنهم الخطائية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي . زعم
أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله
وأحباؤه . والالهية نور في النبوة والنبوة نور في الامامة ولا يخلو العالم من هذه
الآثار والأنوار . وزعم أن جعفرا هو الاله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يروونه
ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها . ولما وقف عيسى
ابن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبحة الكوفة : وافترقت الخطائية
بعده فرقا : زعمت فرقة أن الامام بعد أبي الخطاب رجل يقال له معمر ودانوا به
كما دانوا بأبي الخطاب وزعموا أن الدنيا لا تنفى وأن الجنة هي ما يصيب الناس من

خير ونعمة وعافية وأن النار هي ما يصيب الناس من شر ومشقة وهلية واستحلوا
الحرق والزنى وسائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة والفرائض وتسمى هذه الفرقة
المصرية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب يزعم وكان يزعم أن جعفرًا
هو الاله أى ظهر بصورته المخلق وزعم أن كل مؤمن يوحى اليه وتأول قول الله
« ما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » أى إلا بوحي من الله إليه . وكذلك
قوله تعالى « وأوحى ربك إلى النحل » وزعم أن فى أصحابه من هو أفضل من
جبريل وميكائيل وزعم أن الانسان إذا بلغ الكمال لا يقال إنه مات لكن الواحد
منهم اذا بلغ النهاية قيل رفع إلى الملكوت وادعوا كلهم معاينة أمواتهم وزعموا
أنهم يرونهم بكرة وعشيا : وتسمى هذه الطائفة البزيرية . وزعمت طائفة أن الامام
بعد أبي الخطاب حمير بن بنان المجلى وقالوا كما قالت الطائفة الأولى ، الا أنهم
اعترفوا بأنهم يموتون وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على
عبادة الصادق فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ حميرا فصلبه فى كناسة
الكوفة وتسمى هذه الطائفة العجلية . وزعمت طائفة أن الامام بعد أبي الخطاب
مفضل الصيرفى وكان يقول بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته «

وقال « ومنهم المشامية أصحاب المشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة فى
التشبيه وهشام بن سالم الجوابلى الذى فسج على منواله فى التشبيه . حكى ابن
الراوندى عن هشام أنه قال : ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من
الوجوه ولولا ذاك لما دلت عليه . وحكى الكلبى عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاد له
قدر من الاقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا يشبهه شئ . ونقل عنه أنه
قال هو سبعة أشبار بشير نفسه وأنه فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك
وحركته فعله وايسر من مكان الى مكان . وقال هو متناه بالذات غير متناه
بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال ان الله تعالى عماس لمرشه لا يفضل

منه شيء من العرش ولا يفضل على العرش شيء منه

وقال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة انسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم . وقد قل عنه أنه أجاز المصية على الأنبياء مع قوله بمصية الائمة

وقال « ومنهم البيهقي أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي » زعم أن الملائكة تجمل العرش والعرش يحمل الرب . وهو من مشبهة الشيعة وقد صنف لهم كتباً في ذلك (١) »

وقال الامام ابن حزم في كتاب الملل والنحل تحت عنوان « ذكر شنيع الشيعة » :

ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبديل منه كثير . حاشا على بن الحسن بن موسى وكان إمامياً يتظاهر بالاعتزال مع ذلك . فإنه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله . وكذلك أصحابه أبو يعلى وأبو القاسم الرازي . قال ابن حزم : والقول بأن بين الوحيين تبديلاً كفر صحيح وتكذيب لرسول الله . وقالت طائفة من الكيسانية بقناسخ الأرواح وهذا يقول السيد الجعفي الشاعر . قال ويبلغ الأمر بمن يذهب إلى هذا إلى أن يأخذ أحدهم البغل أو الحمار فيعذبه ويضربه ويمطشه ويجمعه على أن روح أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه وكذلك يفعلون بالمنز على أن روح أم المؤمنين رضي الله عنها فيها . وجمهور متكلميهم كهشام بن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي الصمكاك وغيرهما يقول ان علم الله محدث وأنه لم يكن يعلم شيئاً حتى أحدث لنفسه

(١) هذا بعض ما كتبه الشهرستاني عن فرق الشيعة مع أنه قد اشترط على نفسه في مقدمته أنه لا ينقل عن طائفة الا شيئاً وجده في كتبها

علما . وقد قال هشام هذا في حين مناظرته لأبي المذيل العلاف . وكان داود الجوازي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لم وحم على صورة الانسان ، ولا يختلفون في أن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين ، وطائفة منهم تقول ان الله يريد الشيء ويعزم عليه ثم يسدوله فلا يفعله ، ومنهم من يحرم الكرنب لأنه انما ثبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك ، وكان يزعم كثير منهم أن علياً لم يكن له ممي قبله . ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار . ثم قال بعد كلام « فهذه مذاهب الامامية وهي المتوسطة في العلوم من فرق الشيعة ، وأما الغالية من الشيعة فهم قسم قسم أوجب النبوة بعد النبي لغيره والقسم الثاني أوجبوا الالهية لغير الله فلاحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر ، فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي فرق فتنهم الغرابية وقولهم ان محمداً ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي فقلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لأنه غلط ، وقالت طائفة منهم بل تعد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه »

« وفرقة قالت بنبوة علي وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر بن الحسن أنبياء كلهم . وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر . وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة . وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سميذ وهو الذي أحرقه خالد بن عبد الله القسري ، وكان يقول ان معبوده على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضائه على عهد حروف الهجاء »

« وذكر هشام بن الحكم الرافعي في كتابه المعروف بالميزان وهو أعلم الناس بهم لأنه جارم بالكوفة وجارم في المذهب : « ان الكسفية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعيجل المؤمن الى الجنة والكافر الى النار .

(٥٣)

وكانوا بعد موت أبي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون من خنقوه الى الحسن
ابن أبي منصور . وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك . وفرقة قالت بنبوة معمر بائع
الحنطة بالكوفة . وقالت فرقة بنبوة عمير التبان بالكوفة ، وكان يقول لأصحابه :
لو شئت أن أعيد هذا التبن تهرأ لفعلت »

ثم نقل ابن حزم أشياء كثيرة من شتم الشيعة أعرضنا عن نقلها ، وقال في
آخره : « اعلّموا أن كل من كفر هذه الكفريات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام
فإنما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فإن من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى
سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واقبل بالله . وبلغنا أن « بنيسابور » اليوم في
عصرنا هذا رجلا يكنى أبا سعيد من الصوفية ، مرة يلبس الصوف ومرة يلبس
الحريير المحرم على الرجال ومرة يعلى في اليوم ألف ركعة ومرة لا يعلى لا فريضة
ولا نافلة ونعوذ بالله من الضلال »



مع اعتقاد الشيعة هذه العقائد الشنعاء الموبقة فتتضيها التي لا أمهيتها أن
 تناول أهل نجد وأهل الحجاز وغيرهم من أهل السنة بالقسم والتجريح وتلصق بهم
 كبريات التهم وعظائمها وتزنيهم بالكفار المسلمين ، ومقارنة جماعة المؤمنين وتصنف
 الكتب الأثيمة في ثلبهم وإفسادهم وإحراج صدورهم بما تختلقه عليهم وعلى عقائدهم
 وأخلاقهم وعلى أئمتهم وزعمائهم من البهائم المنكرة والمختلقات المنفوخة
 ثم تحاول أن تصهم المسلمين أن أهل نجد وحدهم هم أهل الزيغ والكفر والحقاقة .
 ومع هذه العقائد المشبهة المجسمة التي تصف الحق بصفات الحدوث والضعف والنقص
 والجهالة والرعونة تجرؤ أن تبحر بأن السلف من أهل نجد وغيرهم هم الكفار
 المجسمون الضالون ، لأنهم آمنوا بملأ الله على خلقه كما ذكر القرآن علواً يليق به
 ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

إن هذه هي الصفاة التي لا تنف عند حد ، والظلم الذي لا يجرؤ عليه سوى
 هذه الطائفة الباغية . .

وبهذا الفلو الذي رأيت من طائفة الشيعة في أئمتهم وبهذا التأليه الذي سمعت
 منهم لعلى وولده ، عبدوا القبور وأصحاب القبور وأشادوا المشاهد وأتوها من كل
 مكان سحيق وفج عميق ، وقدموا لها النذور والهدايا والقرايين ، وأراقوا فوقها
 الدماء والدموع ، ورفعوا لها خالص الخضوع والخشوع . وأخلصوا لها ذلك
 وخصوها به دون الله رب الموحدين . وعلى هذا الأساس الواهي كانت كراهية القوم لمن
 الله وحده ومن يدعو وحده . ومن جعل عياله وعماته وصلاته ونفسه وخضوعه
 وخشوعه له وحده لا شريك له . وعلى هذا الأساس الواهي كانت كراهية القوم لمن
 دعا إلى عبادة الله وحده ، وإلى دعاته ورجائه وخوفه وحبه ، وتعظيمه والرجوع إليه
 وحده . ومن هذا الطريق - لامن غيره - مقتوا أهل نجد وخصومهم بشديد العداوة
 والبغضاء والكراهية والأذى . فان طائفة الشيعة تمقت القوم بمقدار ما عندهم من

الدين والايمان والاخلاص لله . وتحب القوم بمقدار ما عندهم من الشرك والالحاد والكفر بالله . ولهذا كانت كراحتهم لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير لا تماثل كراهة ، فانهم لا يكرهون أبطال الكفر والضلالة من العرب وقريش وغيرهم كراحتهم طليار الصحابة والأنصار والمهاجرين الأولين ، بل قد يحبون الكافرين بالله ويرسلوه لأنهم يبنضون هؤلاء الصحابة ، أو لأن هؤلاء الصحابة حاربهم ووقعوا معهم في خصام ، مثل ذلك أن طوائف من أئمة هؤلاء الشيعة الامامية يخلصون الود والولاية لبني حنيفة الكفار الذين آمنوا بمسيلة الكذاب المنتهى . ويمتدحونهم مسلمين موحدين ، وذلك ليدهوا أن أبا بكر والصحابة الذين كانوا معه ما كانوا محقين ولا راشدين يوم أن حاربوا بني حنيفة وقتلهم وعدوهم مارقين من الاسلام ، ومثله أيضا أن قوما منهم يقضون عن أبي لؤؤة الغلام الجهمي الذي قتل الخليفة عمر رضى الله عنه وقد يمدونه من أهل الجنة ولا فضل له عندهم سوى قتله الطاغوت عمر في زعم القوم أبدهم الله والسبب في هذا كله هو ما ذكرناه من كراحتهم أهل الايمان والاخلاص والتوحيد ، وجنوحهم الى أهل النفاق والالحاد والاشراك

ويوضح هذا أن هؤلاء الشيعة الامامية لا يرون في بني حنيفة الذين آمنوا بمسيلة المنتهى الكذاب وكفروا بالله ورسوله بأساً ولا يجدون لهم ذنباً يؤاخذونهم عليه كخروجهم في بلاد نجد المقتولة عندهم التي قال فيها الرسول : من هاهنا تخرج الفتنة والكفر والفسوق كما يدعون ، ولكنهم يذمون النجديين ولا يرضونهم اليوم ، ويمدون من الدلائل على ضلالتهم وكفرهم خروجهم من بلاد نجد التي قال فيها الرسول ما قال كما زعموا ، وقد يمدون من ذنوبهم خروجهم في بلاد بني حنيفة ومسيلمة ، وينسون في سبيل ذلك أن بني حنيفة من اخوانهم أعداء أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار كما ينسون أن أشياخهم القدماء كانوا من أنصار بني حنيفة ،

كما ذكر ذلك ابن المطهر في كتابه الذي رد عليه شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه
منهاج السنة ، وذلك قبل أن تصير نجد بلاد التوحيد والايمن واقامة شعائر الاسلام ،
والسبب في ذلك كله هو ما ذكرناه من خلق الشيعة ودينهم

وعلى هذا النحو ألف الشيعة كتاب « كشف الارتياح في اتباع محمد بن
عبد الوهاب » فجاء آية في أفانين النقص واختلاق الكذب والارتجاج الفكري
وسوء المصير

يشتمل هذا الكتاب على موضوعين أحدهما تاريخ الوهابيين ومبدأ دعوتهم كما
يقول صاحب هذا الكتاب ، والموضوع الثاني في عقيدتهم ، وبيان مذهبهم والرد
عليهم تفصيلاً وجملة كما ذكرنا

أما الموضوع الأول :

أى الموضوع التاريخى فالتالى نعرض له في هذا الكتاب . فلما نبأ أو يعبأ
الله أو يعبأ أحد من عباده المؤمنين أن تغلط الشيعة في تاريخ إمام من أئمتنا أو
زعماننا أو في نعت موقعة من مواقع حروبنا دفاعاً عن الدين والوطن
والخلق . غير أننا نقول هنا إن كل ما يذكره هذا الرافضى في هذا الموضوع من
قتل الأطفال والنساء والرجال غير المحاربين ، وأخذ الأموال بكل ما لا يميزه
الجروب المشروعة دفاعاً عن العدل والدين ، فكذب واختلاق ، ليس له من سند
غير التخصيب ونضوب الحياء والدين . وكل ما يذكره من القبح في سيرة الشيخ
محمد بن عبد الوهاب كقوله إنه كان مولماً بتبجح أخبار مدعى النبوة وأخبار الضلال
وكقوله إن أهله وعشيرته كانوا يقتبشون له الشر والمروق والالحاد ، أقول إن كل
ما يذكره في هذا الموضوع من أمثال هذه المقادح كذب مبين . وكذلك ما يذكره
على طريق التهويل والتشنيع والارجاف

أما الموضوع الثاني من الكتاب :

وهو ما يخص العقائد والمباحث العلمية التي طرقها هذا الكتاب فهو الموضوع الذي سوف نتناوله . . . ويميز فيه الحق من الباطل والصحيح من السقيم . ونسأل الله أن يعيننا على اجتناب الهوى والتمسب للباطل مع من نحب ومع من نكره . وطريقة صاحب هذا الكتاب في هذا الموضوع على سبيل الاجال أنه حمد الى جميع ما ابتدعه المنتسبون للاسلام سواء في ذلك الخاصة والعامة من أكابر وحمالين وزبالين وصنعة وفعلة ، وسواء في ذلك أيضاً المناقون والمخادعون الذين دخلوا في الاسلام لافساده وإفساد أهله وكتابه ، ومن لا خلاق لهم من طلاب الدنيا والشهوات والأغراض على حساب اختراع الغريب من الأقوال والعقائد في الدين والعلوم والفنون ، وما أكثر هذه الأصناف ، حمد إلى ما ابتدعه هؤلاء وما قد يتصوره حكم عليه كله بأنه حق ودين وذوق وهدى . وحكم بأن من ردمته أو أنكره أو شك فيه فهو جامد الفكر ضيق العطن قليل الحيلة عدو لأولياء الله والمسلمين . ثم تحيل لاستخراج الدلائل من الكتاب والسنة والعقل والاجماع . وما أبعد هذا الرجل عن هذه الأمور . على أن كل ما عمله من يقول إنه مسلم حق لا باطل فيه وخير لا شر معه ولو كان ظاهره الكفر والاشراك والتناق . ولو كان ظاهره الحق البارد والصفاة المكشوفة بل وإن كان ظاهره ما كان وما قد يكون فان كل ما يقع من ذلك إن لم يجد له دليلاً من الكتاب والسنة حسب فهمه فهو محمول على المجاز العقلي والمجاز بالاستناد والمجاز بالكذب وفساد الذوق . وعلى ذلك أجاز للناس أن يقول يا رسول الله اغفر ذنبي واكشف كربى . وباسمته زينب أغثني واشفيني واهدي قلبي ونحو ذلك وما هو أعظم منه بما سوف يأتيك

ومن رأى هذا المؤلف أنه ما دام هنالك مجاز في كلام العرب فلا مانع من أن

يقول من ينتسب إلى الاسلام أو من يقول إنه مسلم ما شاء من الالفاظ والآوال ولا مانع من أن يستغيث بالأموات ويسألم غفران الذنوب وكشف الكرب وهداية القلوب ويهيبهم ما يشاء من كلمات التعظيم والاكبار . فان كلام العرب لن يضيق أن يجرد ذلك مخرجا من مخارج التأويل أو ضربا من ضروب المجاز قرب ذلك المخرج أو بعد . وإذا ما جاز أن يقول المؤمن أنبت الربيع البقل جاز أن يقول شفاني رسول الله أو أغثنى أو غفر لي ذنوبي أو هدى قلبي ، فان هذا مجاز على قرينته إيمان القائل ومثله الأول والقرينة هي ولا فارق بين الأمرين ولو أننا أيقنا جواز شفاني الرسول لأيقنا جواز أنبت الربيع البقل أو أنبت الماء العشب ، لأن الأمرين سواء ، وإذا جاز هذا جاز ذلك وإذا امتنع امتنع ، والتفريق بينهما جهل وتحكم ، ولا ريب في جواز أنبت الربيع البقل فليكن مثله شفاني رسول الله أو أغثنى

ومصاحبة هذا الكلام أنه يجوز لمن يدعى الإيمان أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يشاء فان كل كلام في الدنيا يستطيع أن يحمل على المجاز وأن يلتبس له ضرب من ضروب التأويل . فربما فيوجد وليس هنالك كلام يعيا صاحبه أو سامعه من أن يجرد له نوعا من ذلك ، ولو كان ظاهرا في ارادة الحقيقة كل الظهور ، فان قول القائل : عيسى ابن الله أو هو الله نفسه يستطيع أن يحمل على المجاز ، مثل أن يراد أنه ابن أمة الله أو أن الله يعطف عليه عطوف الوالد على ولده ، أو نحو ذلك ، وهذا له نظائر في خطاب العرب لا يستطيع جردها ، وليست أبعد عن قبول المجاز من قول القائل شفاني الولي أو الرسول ، والقرينة في المثالين واحدة ، بل ان قول القائل الله ليس موجودا يستطيع على هذا الجنون المسمى بالمجاز أن يحمل على وجه صحيح كأن يراد أنه ليس موجودا لذاته في كل مكان أو في الأرض مثلا ، والقرينة على هذا التأويل هي حال القائل لأنه من المدعين الإيمان ، وهذا غاية الكفر والجنون

وكذلك لو صمنا مدعيًا للإسلام يقول ان محمد بن عبد الله ليس رسولاً ولا نبياً لما جاز لنا أن نبادر الى الحكم بكفره ، بل وجب أن نقول انه يريد ليس رسولاً للأمم التي كانت قبله أو ليس رسولاً الى الملائكة وأشباه ذلك من التأويل البارد السفيم الذي من اتبعه وحافظ عليه عدده الناس من الحق ، ولو صبح هذا القانون لصح لمن شاء أن يقول ما شاء فيمن شاء ولما استطاع قانون أن يؤخذ أحداً على كلام ما إذ يقدر كل أحد على أن يزول كل كلامه وأن يمر على أنواع المجازات ويمر أنواع المجازات على كل كلامه بحيث لا يستطيع قانون ولا قضاء أن يؤخذه بشيء إذا ما قال اني عنيت بكلامي كذا وكذا وذكر احتمالاً بعيداً أو قريباً

وهذا فساد في الدين والدنيا ، وسيجيء نقضه . وأما نقول هنا ان دفاع صاحب هذا الكتاب عن جميع ما يقوله ويعمله من انتسب للإسلام وادعاه أن ذلك كله من الدين باطل ضرورة وعادة وشرعاً وعقلاً فانه لا العقل ولا الشرع ولا العادة تتقبل أن يكون هناك كتاب من الكتب مما ويا كان أو أرضياً يأتي بأحكام وقوانين وشرع في جميع شئون الدين والدنيا وتؤمن بذلك الكتاب أمم كثيرة مختلفة الأغراض والبيئات والأفهام والاعتماد فتظل تلك الامم الكثيرة موافقة أعمالها كلها وأعمال أفرادها اعتقادية وقولية وعملية لذلك الكتاب الذي آمنت به موافقة تامة بحيث لا تخالف عقيدة فرد من أفراد تلك الامم لما جاء في ذلك الكتاب من العقائد وبحيث لا تفضل جماعة من جماعات تلك الامم في فهم من أفهامها لذلك الكتاب وبحيث يجيء كل عمل وكل عقيدة وكل رأى يراه كل فرد من أفراد تلك الامم مطابقاً للكتاب الذي آمنت به لا خلاف ولا خلل . أحسب أن مثل هذا لم يقع فيما مضى ولا يمكن أن يقع فيما سيأتي وأحسب أن ادراك هذا جيداً كاف للنقض على صاحب هذا الكتاب الذي أراد في كتابه هذا أن يجعل كل ما صدر أو يصدر ممن ادعى الاسلام أو ممن كان مسلم الأب والمولد من دين الله الذي ضمنه رسالة جبريل

الى محمد بن عبد الله ، وهذه مخزقة لم يأت بها أحد قبل صاحب هذا الكتاب ، وهو في الواقع لا يؤمن بها . كيف وطائفة الشيعة تكفر الصحابة ، فكيف يمدون مسلي أهل هذا العصر مسلمين

هذا ونحن نعلم أن عامة الناس ودهماء لا يصدرون في أعمالهم وعقائدهم عن كتاب أو سنة أو برهان أو قول إمام حجة ، ولكنهم يصدرون في الأكثر الغالب عن العادة والهمى أو العاطفة والتعصب والخرس . وهذه الأمور أو الأدواء لا يمكن أن تسير الكتاب والبرهان والحجة أبداً بل هي في الغالب الخضم المبين للكتاب والسنة والبرهان . وما نحسب ظالماً يستطيع أن يدعى أن جمهور الناس ولا سيما اليوم يعملون ما يعملون ويعتقدون ما يعتقدون ويقولون ما يقولون لأنهم علموا له دليلاً من الشرع أو العقل أو الحس أو يدعى أنهم لا يصدرون إلا عن ذلك الدليل . وإذا كان ذلك كذلك كان من الحق المبين أن يقوم من يدعى للعلم والايان والعقل يزعم أن جميع ما تمليه عواطف الجمهور وعاداته وأهواؤه وغباواته من دين الله وما يصدقه كتاب الله كما فعل هذا الرافضى المتعصب ...

هذا من جهة النظر والمقول . أما من جهة الشرع والدين فقد تواتر عن النبي الكريم ما معناه أن الآ . الاسلامية لا بد أن تصير إلى مثل ما صارت اليه الأمم السالفة من المخالفات والوقوع في البدع المنكرة والشرك الخفى والجلى والعلوى والخلق غلوآ يفارق الايمان والتوحيد . ولقد تواتر عنه عليه السلام ما معناه : لتبين سنن من كان قبلكم سواء سواء ومثلاً مثلاً . وتواتر عن علماء الأمة سلفاً وخلفاً أن هذه الأمة لا محالة صائرة مصائر الأمم قبلها وواقع منها الشرك والضلال والجهل بالدين والايان . وهذا من أوليات الدين . ومن عجب أن هذا الشيعى يدافع عن عامة من ادعى الاسلام ويؤول لهم كل ما يأتونه من المنكرات والخرافات ويحملها عملاً حسناً متكلفاً أو غير متكلف وإن كان ظاهرها الكفر والشرك ،

والشيعة يدعون أن صحابة رسول الله ﷺ كفار منافقون أو مرتدون بعد وفاة رسول الله ﷺ ويحملون كل ما يعملونه من البر والتقوى على النفاق والخداع والغش . وقد يزعمون أنهم قد ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أعقابهم ويحتجون بالحديث المشهور : « ليزادن أقوام عن حوضي ، فأقول أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، انهم ما زالوا على أعقابهم مرتدين فأقول سحناً صحيحاً » أى بعداً بعداً » ولكن الحق أن الشيعة لا يرون أحداً من المسلمين لا من الصحابة ولا من بعدهم مسلماً ما لم يطالبهم على عقائدهم الغالية المهوجاء من الايمان بالرجعة وبالآئمة المعصومين وتكفير من لم يفل في عليّ وولده غلو تأليه وعبادة ، وما يدعيه صاحب هذا الكتاب من الدفاع عن عقائد المسلمين ومن ادعائه الاعتراف بايمانهم هو اختلاق اضطره اليه طمعه في أن يجد لأهل نجد عيباً يشنع عليهم به ، ومثله في هذا مثل اليهود : كانوا يشنعون قبل بعثة الرسول على العرب ويسبون عقائدهم ويدعونهم الوثنيين المشركين . فلما أن بعث الله رسوله ﷺ ودعا الى الاسلام وتوحيد الله ، الأمر الذي يفخر به اليهود ، رجعت اليهود الى ما كانت تعيب من عقائد العرب فأثنت عليهم وعلى دينهم وما هم فيه . وما يريدون من ذلك غير عناد الاسلام والوقوف في حيله وتقدمه . وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بقوله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً »

وهذا الكتاب أى كشف الارتباب موضوع في ثلاث مقدمات وثلاثة أبواب وخاتمة . « المقدمة الأولى في تاريخ الوهابية ، والثانية في أمور يتوقف عليها المقصود من رد شبهات الوهابية ، والمقدمة الثالثة في شبه الوهابيين بالخوارج

أما الأبواب : فالأول في ذكر جميع معتقدات الوهابية ومحور مفاهيمهم ،
والثاني في معتقدات الوهابية التي كثر روايتها المسلمين وحججهم وردعها على وجه
العموم ، والباب الثالث في تفصيل الأمور التي كثر بها الوهابية المسلمين ورد كل
واحد منها بمخصوصه . أما الخاتمة فهي متفرقات من مقالات الوهابيين ،
هنا ما ذكره صاحب هذا الكتاب في كتابه وهذه هي عناصر ما كتب عنه
وهذا ما نقض عليه فيه بطله

أما المقدمة الخاصة بالتاريخ فلا تعرض لها كما ذكرنا آنفاً للسبب
المذكور نفسه

والسبيل الذي نلتزمه في هذا النقض أننا لن نلتزم ذكر عبارات الكتاب
بنصها دائماً لأننا لو فعلنا ذلك لطلال بنا القول . وأما نعمد إلى غرضه وإلى حججه
وشبهه ونستقصي ذكرها بمبارتنا غالباً ، وقد نبقى على عبارات التي انقضت نفسها
أحياناً ونحن أيضاً لن نلتزم إبطال كل ما في كلامه من الباطل كالتهاجمات والأخطاء
التاريخية أو اللغوية وكسوء الأدب الذي يتناول به علماء الإسلام والبله وكل ما لا
يتصل بالموضوع الذي نحن بصدد القيام بذلك كله يحتاج إلى مجلدات ضخام
والى زمن قد يكون طويلاً ، وأخطاء هذا الرجل أقل عندنا من أن نضيع لها وقتاً
طويلاً ولكن النقض عليه في الصميم يغني عن ذلك كله وإذا ما هتفنا إليه البناء الذي
أمدس كتابه عليه أغنانا عن أن نمدل على كل ما في كتابه من خطأ وضلال مبين

مقدمة الكتاب الثانية

هذه المقدمة هي أول شروع الكتاب في الموضوع وقد ذكر فيها أموراً :
الامر الاول :

ذكر أن الأحكام الشرعية منها ضروري ومنها نظري . أي منها ما لا يحتاج إلى الاجتهاد لوضوحه ، ومنها ما يحتاج إلى ذلك لخفاؤه . وذكر أن منكر الضروري كافر . وأن منكر النظري الاجتهادي لا يكفر ولا يفسق بل هو معذور مأجور لا يجوز معارضته ولا معانته . وذكر من مثل القسم الاول وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الكذب والزنى . وذكر من مثل القسم الثاني حكم البناء على القبور وحكم شرب الدخان والتبرك بقبر الرسول وتقبيله وشد الرحال إليه والاختلاف في خلق أفعال العباد ورؤية الله والكلام النفسي وهل صفات الله عين ذاته وهل الامامة بالنص أو باختيار الأمة . هذا ما ذكره في هذا الامر . ونحن نقول إن في هذا الكلام ما أخذ :

(أولاً)

لا ريب أن الأحكام الشرعية منها ضروري ومنها نظري ولكن الشأن كله في معرفة الضروري من النظري وتمييز أحدهما من الثاني . . ولا مبراة أن ذلك قد يخفى . وإن الناس قد يختلفون فيه . فقد يرى عالم أن أمراً معيناً ضروري ثم يراه عالم آخر نظرياً اجتهادياً . وقد يكون أهل جهة من الجهات يرون أشياء نظرية يراها غيرهم من أهل الجهات الأخرى ضرورية فيختلف الناس في الحكم على الأمر الواحد نظراً إلى هذا الاختلاف . ولا مبراة أن المسلمين إذا

ما أخرجنا من بينهم الشيعة يصفون إيمان أبي بكر وعمر وحفصة وعائشة وسكبار
الأنصار والمهاجرين أمراً ضرورياً لا يحتاج أحداً منهم الشك فيه ، ولكن الشيعة
ينكرون هذا الأمر الضروري وينكرون إيمان أبي بكر وعمر وفضلاء الصحابة
ويعصرون على الكفارم والقدح فيهم وعلى أنهم مرتدون مناقون . فالشيعة على
حكم هذه القاعدة انني ذكرها هذا الشيعة ورضيها كفار مارقون ، لانهم
نازعوا في أمر ضروري من الدين

ولا ممارسة أيضاً في أن المسلمين مأكلاً الرافضة يعلمون علماً ضرورياً أن ادعاء
الشيعة عصية أئمتهم وادعاءهم تلقيهم العلوم عنهم ووجود الامام المنتظر في السرداب
ادعاء كاذب بالضرورة الدينية . فالشيعة على هذا كفار مارقون لانهم خالفوا
أمرأ ضرورياً . ثم هم يزعمون أن هناك قسماً من القرآن الكريم نزل في حق علي
وولده وفيه الوصاة بالخلافة له وللمن يدعونهم أئمتهم عند حذفه الصحابة وكتبوه
ليدعوا الأمر لأنفسهم وينتهبوا الخلافة من علي وولده كما فعل الخلفاء الثلاثة .
ويزعمون أن النسخة الكاملة من القرآن قد كتبها علي رضي الله عنه وهي موجودة
إلى اليوم في الأرض سوف يبرزها الامام المنتظر عند ما يخرج ويزعمون أيضاً أن
محمد المهدى ابن الحسن العسكري قد دخل في سرداب في « سر من رأي » منذ
أكثر من ألف عام وأنه خارج لا محالة وآت بالنسخة الكاملة من القرآن . والمسلمون
جميعاً يرون أن هذه الدعاوى الرافضية كاذبة بالضرورة . ولا يعدون بطلان شيء
منها نظرياً البتة . . فالشيعة مخالفون إذن في أمور ضرورية . فهم خارجون كما يقول
هذا الرافضي من الاسلام . وليس من ريب أننا نحن نعلم بالبداهة الحاكمة أنه لم
يكن رسول الله ولا أحد من أصحابه ولا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم من علماء
الأثر والحديث والفقه في الدين يصنعون ما تصنعه الشيعة ونظرناهم من المكوف

على الأحداث والانتقاع إليها والذبح والنذر لها والاستغاثة بأصحابها والتسبح بها وبأبوابها ونظير ذلك من منكر القول والفعل . ولا نشك في أن ذلك كله من البدع المحسوة على الاسلام حلالا شبهة فيه . ولا نرتاب أن من يدعو إلى ذلك أو يدعى جوازها إنما يدعو إلى أمر فعمل بطلانه ضرورة . وكذلك فعمل بداهة أن تشييد المشاهد على النحو الموجود اليوم في بلاد الشيعة « كالنجف وكر بلا » ومن يحاكمهم أمر مبتدع مخالف لروح الدين وأصوله وإجماع العلماء ، مخالف لحكم العقل والمنطق ، وكذا فعمل أن الشيعة مخالفون في أمور ضرورية أخرى

وهذا الرجل ذكر ما ذكر هنا لأجل القدر في النجديين والقدر في دينهم . ذلك ليقول أن البناء على القبور والطواف بها وضيء المقبورين على النحو الذي يدعو إليه ، ليس من ضرورات الدين ولا يعلم بطلانه إذا افترض بطلانه بالضرورة ، وإذن فالذين ينهون عنه ويمنعون فيه غلطون آثمون

ولكن ما ذكر إذا صح هو رد عليه كما رأيت وليس فيه شيء يتوقف عليه التقصص على الوهابيين كما زعم بل هو نقض عليه وعلى شيعته

(ثانيا)

قوله : أن منكر غير الضروري لا يمانع ولا يعارض ، لا يصح على وجه الإطلاق فإن علماء الاسلام في كل مكان وزمان ما زالوا يعارض بعضهم بعضا ويمنع بعضهم بعضا في مسائل غير ضرورية ، بل ويرد بعضهم على بعض ويضعون في ذلك الكتب والمجلدات وتنشأ بينهم الممارك القولية والمساجلات القلبية ، وقد يكون في ذلك نوع من الشدة غير يسير ، وقد يكون فيه شيء من الجرح والابلام وأكثر مشارات الجدل والتزاع عند علماء الاسلام قد كان في ما لا يمدد هذا الرجل

ضرورياً وأهل السنة وأهل الحديث ينكرون على الشيعة انكاراً شديداً لاهوادة فيه انكارهم صفات الله السمعية وينكرون عليهم انكارهم رؤية الله وزعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم وإنكارهم أن يكون الله خالقهم وينكرون عليهم استحلال منعة النساء وإنكارهم المسح على الخفين وإنكارهم غسل الرجلين وجمعهم بين الصلاتين . وينكرون عليهم جميع ما اختصوا به من الأمور التي يزعم هذا الرافضي أنها ليست ضرورية وليس منكرها كافراً

بل المسلمون كاهم ينكرون على الشيعة ومن طابقها هذه الأمور ويشتمون في الانكار ويمدّونهم لأجلها ضللاً يستحقون القوم والتأريب . وقد صنفوا في الرد على الشيعة كتباً وما زالوا كذلك . وهل هذا الرجل في مقاله هذه صادق أم هل يعمل بها ؟ كلا . فان طائفة الشيعة ينكرون على أهل السنة تحريمهم هذه الأمور الشيعية ويعمدون أهل السنة لأجل ذلك ضللاً يستحلون لأجله لعنهم ومعاداتهم . وفي كتب القوم الوعيد الشديد والامن العنيف لمن ينكر منعة النساء أو يستحل غسل الرجلين أو يجيز المسح على الخفين . وهذه الأمور كلها نظرية في زعم هذا الرافضي .

وكيف يصدق في مقاله ان منكر النظرى لا يمارض ولا يعالج ولا يفسق ، ولدى الشيعة أن من لم يؤمن بالامام المنتظر ومن لم يعترف بالمصحة له ويعترف بوجوده عبرت ميتة جاهلية كما يقولون في كتبهم المطبوعة ، إلا أن يدعى أن ذلك كله ضرورى وحيثئذ يصير الى ا كفار المسلمين ، لأنهم ينكرون هذه الأمور ، وحيثئذ يقع في الأمر الذى اتهم به أهل السنة من أهل نجد وغور وأنجد في ذمهم لأجله . ثم لندع هذا كله جافياً ولنبتل قوله هذا بكتابه الذى بين أيدينا . فانه في هذا الكتاب قد رد على النجديين في أمور لا يستطيع هو مطلقاً أن يزعم أنها ضرورية ولا يستطيع أن يمارى في كونها نظرية . ولا يمكن مهما أسرف في

خروب الابتداع والغلو أن يدعى أن جواز الاستغناء بالأموات والمكوف على القبور وشد الرحل إليها أمر ضروري يكون المخالف فيه كافراً . فلا ريب أنه بعد هذه الأمور التي ادعى الرد على النجديين بها أموراً نظرية فإذا ما كانت كذلك وكان زعمه أن منكر النظرى لا يمارض ولا يمانع ولا يفسق صحيحاً ، فلماذا مارض أهل السنة من أهل نجد في هذه الأمور النظرية ، ولماذا غدا وراح في إبدائهم ؟ ولماذا حرص على تأليب المسلمين عليهم وحرص على أن يبغضها شعواء وهو لا يراهم غلطوا إلا في أشياء نظرية اجتهادية وهو يسلم أن المجتهد في النظرى يثاب وإن أخطأ ؟ لا ريب أن الرجل مخطئ في تأليف هذا الكتاب أو في مقاله هذا أو في الأمرين معاً . ومن لم يحمل الله له فوراً فاله من نور

على أننا ندلل هذا الشيعى ونأفيه من طريق لا يمارى فيها وذلك أن نقول إما أن تجوز معارضة المخالف في النظرى وممانته أو لا تجوز ذلك فان قال بالجواز بطل قوله هذا . وإن قال بالامتناع صار الى أمر كبير وهو أن كل متنازعين إما أن يكون نزاعهما في أمر نظرى وإما في أمر ضرورى . فان كان في الأول كان أحدهما عاصياً فاسقاً . وذلك لأن المعارضة والمنازعة لا تجوز في النظريات كما يذكر هذا الرجل ، وإن كان النزاع في أمر ضرورى كان أحدهما كافراً ولا عمالة . لأنه خالف في الضرورى والخلاف فيه كفر كما ذكر ، فالنزاع بين المسلمين لا يجوز البتة سواء أكان في ضرورى أم في نظرى وهذا باطل بالضرورة والاجماع . وهو لا يرضاه أحد وهذا ما يقضى به كلام هذا الرافضى

ولا ندري علم الله لماذا لا تجوز المعارضة في النظرى ؟ وهل يكشف الصواب إلا المعارضة ؟ وهل تسمو المدارك إلا بذلك وهل تزدهر العلوم على اختلافها إلا بالبحث والنزاع والممانعة ؟ وهل اذا ارتكب مسلم أو انسان ما ذنباً من الذنوب أو خطأ من الأخطاء أدعه على ذنبه وخطئه لأن ما فعله ليس من الأمور الضرورية

وأنا أعلم أنه غلط وأنه بعيد عن الصواب ؟ ان الناس كلهم لا يقرّون هذا القول
 لا في أمور دينهم ولا في أمور دنياهم
 ويريد هذا الزائف أن يصل بقوله هذا هو وشيمته الى الفساد الكبير ولا
 يتعرض لهم أهل الحق ، لأنه يزعم أن أغلب منكرات الشيعة ليست معلومة البطلان
 بالضرورة . فليهم أن يسبوا صحابة رسول الله ﷺ ويكفروهم ويستحلوا متعة
 النساء وكل ما سمعت من عتائهم الموحجاء . ولا يجوز للمسلمين نزعهم وجدا لهم
 لأنه نظري والمنازعة في النظري لا تجوز بل كل معذور مأجور . فالشيعة معذورة
 مأجورة في اكفارها الصحابة وفي ثلبها المسلمين ، وهذا هو الفساد الكبير
 والقول الزور

(ثالثا)

تذهب الشيعة تبعاً للمعتزلة الى انكار رؤية الله يوم القيامة وإنكار صفاته
 وإنكار أن يكون خالقاً أفعال العباد لشبهات باطلة معلومة . وقد أجمع العلماء من
 أهل الحديث والسنة والاثار كالأئمة الأربعة على الايمان بذلك كله ليس بينهم
 خلاف في أن الله خالق كل شيء حتى العباد وأفعالهم ولا في رؤية الله يوم القيامة
 ولا الايمان بصفاته التي جاءت بها النصوص الثابتة ، والنصوص في الكتاب والسنة
 على هذه الأمور لا تحصى

وهذا الرجل جاء بذكر هذه الأمور عرضاً ليست من موضوع كتابه وإلا
 لكتبتنا عليها كتاباً منسوبة . والشبهات التي أنكروا ذلك لأجلها شبهات واهية
 زودها عليهم أهل السنة حديثاً وقديماً

ومن عجب أن تنكر الشيعة ذلك خوف التشبيه وهم كما تقدم يقولون بالحلول
 بالتشبيه المبرح ويتأليه البشير ووصف الله بصفات النقص . وأهل السنة يمدون

الشيعة والمعتزلة مبتدعين غير مهتدين في جحدم هذه الصفات
وقوله « ان الامامة بالنص أو باختيار الأمة » تقول عليه ان الشيعة ترى أن
الامامة بالنص وأنه قد نص على خلافة علي رضي الله عنه وخلافة أئمتهم قصاً جلياً
واضحاً ولكن الصحابة لعداوة علي وخريته وطعنهم في الرئاسة والملك جعلوا ذلك
النص وحرفوه ليولوا أبا بكر وعمر وعثمان . والشيعة تكفر الصحابة أو تنسبهم
لذلك ، بل قد يكفرون من ينكر ذلك النص من بعد الصحابة . وصاحب هذا
الكتاب لقلة إصابته ومخادعته أهل السنة يدعي أن هذه المسألة من المسائل النظرية
التي لا يضل بها أحد ولا يفسق بل ولا يمارض أو يمانع ، ومذهب الشيعة قائم على
هذه المسألة والدعوة إليها ، ولا تشك الشيعة في أن من أنكر النص على خلافة علي
وولده فهو ظالم فاسق ، فما ذكره هنا كله مخادعة وتضليل ..
وأما التبرك بقبر الرسول وتقبيله وشبه الرحال اليه فسوف يجيء الكلام فيه
وكذلك لعله يجيء على شرب الدخان

الامر الثاني

قال فيه ما معناه . « إن القرآن كلام الله وهو يقينى السند ولكن منه المجمل
والمتشابه والمنسوخ والمطلق والمجاز والعام والخاص . ولوجود هذه الأمور فيه
استطاعت كل فرقة حتى الضالة المبطلة أن تخرج لأقوالها الباطلة به ، حتى
الوهابيون استدلوا على عقيدتهم بقوله « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقوله : « قل
لله الشفاعة جميعاً » . وغيرهم استدل به أيضاً ، كما سوف تجيء أدلتهم »
هذا خلاصة الأمر الثاني في مقدمته الثانية

ونحن نقول :

(أولاً)

ان الشيعة لا تقول هذه المقالة ولا تعتقد هذه العقيدة ، بل تقول أن القرآن قد زيد فيه وحرف كما تقدم ذلك في كلام ابن حزم وغيره وقد قال : « ومن قول الامامية قديماً وحديثاً ان القرآن مبدل ، زيد فيه ما ليس منه ونقص كثير منه وبدل منه كثير . . . »

ولعلمهم يعنون بالآيات المزيمة الآيات التي فيها الثناء على الصحابة كافة ، والتي فيها الثناء على أبي بكر أو عمر أو عائشة خاصة . . . لأنهم يقدحون في الصحابة ويستثنون بضعة رجال . . . والآيات المنفية على الصحابة تناقض قولهم هذا كل المناقضة فهم في حاجة الى تكذيبها . فقول هذا الرافضى كذب وخداع

(ثانياً)

هم وان صدقوا بأن كل ما في المصحف كلام الله لا يصدقون بأنه كل كلام الله بل يرون بأنه بعض كلام الله . وان هنالك آيات نزلت في الثناء على علي وولده جعدها الصحابة التواصب المنافقون وحذفوها من المصحف عمداً وذلك قد سلف وقد ألف بعض علماء الشيعة كتاباً سماه « اثبات تحريف كلام رب الارباب » وهذا الكتاب قد طبع في ايران . وفي كتاب « الوشيعة » : « القول بتحريف القرآن الكريم باسقاط كلمات وآيات قد نزلت وبغير ترتيب الكلمات والآيات أجمع عليه كتب الشيعة . وأخبار التحريف مثل أخبار الامامة متواترة عند الشيعة . من رد أخبار التحريف أو أولها يلزم عليه رد أخبار الامامة والولاية . وللأئمة مثل مبقر والصادق في تحريف الكتاب الكريم إيمان بالغة ، ولهم في تكذيب ما ثبت في القرآن الكريم والمصاحف على التواتر كلمات شديدة ، والأحرف السبعة والوجوه العربية قد أتت في القرآن الكريم متواترة من الأمة كافة في القرون كافة : ويقول

فيها الصادق كذبوا على الله أعداء الله لكن القرءان نزل على حرف واحد من عند الله الواحد، ويروى الكافي^(١) عن الصادق أن القرآن الذي نزل بمجبريل على محمد سبعة آلاف آية والقي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون والبقاى مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه على . ويروى الكافي أن القائم يخرج المصحف الذي كتبه على وأن المصحف غلب بشيعة الامام

فهذا الكلام من هذا الشيعى خداع فاضح

(ثالثا)

زعمه أن كل مبطل يمكنه الاحتجاج بالقرءان على صحة ما ذهب اليه زعم كاذب قبيح ، وهو من أشد المطاعن في القرءان . فانه اذا كان ذلك كذلك لم يكن القرآن هدى وشفاء لما في الصدور ولم يكن في نزوله رحمة للعالمين بل ولم يكن فيه فائدة مطلقاً بل يكون قمة وزيادة في الفتن والضلال والمرج والمرج . وأية فائدة في كتاب تكون فيه الدلائل على كل شيء حتى على الكفر والنفاق والضلالات جميعاً ؟ وهل يقال في مثل هذا الكتاب انه هدى وانه شفاء وانه نور وبيان وانه الصراط المستقيم وانه آية الله الكبرى وحجة الله على العالمين ؟ ولماذا يؤمر بالرد اليه عند التنازع اذا كان فيه كل شيء وقد قال الله تعالى « وان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ولكن الشيعة لا تعنى بالقرءان ولا بما فيه وليست له قيمة في صدور القوم

وفي كتاب (الوشعة) : « لم أر بين علماء الشيعة ولا بين أولاد الشيعة لافى العراق ولا فى إيران من يحفظ القرآن ولا من يقيم القرآن بهض الاقامة بلسانه ولا من يعرف وجوه القرآن الادائية »

(١) الكافي أحد كتب الشيعة الاربعة المعتمدة

وذلك لأنهم يرون أن هذا المصحف الموجود محرف فهم لا يعتمدون عليه ولا يرون فيه الهدى المبين . وإذا كان هذا الشيعي صادقاً في قوله إن القرآن حجة لكل مبطل وصاحب حق فهل يستطيع أن يأتي بآية واحدة تعد دليلاً له ولاخوانه على قدحهم في صحابة رسول الله ﷺ وإكفارهم إياهم وتخصيصهم بأشد ذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ؟ وهل يستطيع أن يأتينا بحرف واحد يعارض قول الله في الصحابة « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » وقوله « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين أتبعوه في ساعة العسرة » وقوله « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في الثوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » . وغير ذلك من الآيات المثنية على الصحابة عموماً ؟ أم هل يستطيع أن يجيء بحرف واحد من القرآن يدل على قول الشيعة بنسخ الارواح وحلول الله في أشخاص أئمتهم وقولهم بالرجعة وعصمة الأئمة وتقديم على أبي بكر وعمر وعثمان أو يدل على وجود علي في السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته كما تقول الشيعة الامامية ؟ أم هل يقدر على الاتيان بحرف واحد من القرآن يدل على جواز دعوة الاموات والذبح والنذر لهم والمكوف على الأجداث والتمسح بها والتقبيل لها الى غير ذلك مما تأليه الشيعة عند قبور آل البيت وسائر المشاهد ؟

ليس من ريب أنه لا يستطيع أن يدعى القدرة على الاتيان بشيء من ذلك إلا أن يلجأ الى التأويل والتعريف ويصير الى المحالات

وأما ما ذكره من استدلال الوهابيين واستدلال غيرهم ممّا بالقرآن وأن الطائفتين استطاعتا الاحتجاج على دعواهما به ، فترجى القول فيه الى مواضعه

الخاصة به الآتية . وسوف يرى هو وغيره أنه لم يكن صادقاً ولا راشداً في دعواه هذه

وأما ما زعمه هذا الرجل وغيره من أصحاب الاهواء من أن القرآن يدل على رؤية الله يوم القيامة بقوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » . وعلى ضدها بقوله تعالى « لا تدركه الأبصار » . وعلى الجبر بقوله تعالى « وخلق كل شيء » وقوله « قل كل من عند الله » إلى آيات في ذلك كثيرة . وعلى ضد الجبر بقوله « وما الله يريد ظلاماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » إلى غير ذلك . وعلى التجسيم بقوله « بل يدها مبسوطتان » وقوله « تجري بأعيننا » إلى نظائر ذلك . وعلى ضده بقوله « ليس كمثل شيء » . إلى آخر المثل التي يدلون بها في هذا المقام . فليس كتابنا هذا موضوعاً للجواب عن مثل ذلك فتوسع فيه ولكن لما كان كتاب هذا الرجل قد وضع لإيراد الشبهات على القرآن وعلى عقائد الاسلام اليقينية فلا مانع من أن ننبه إلى غلط القائلين بذلك بذكر جواب وجيز عما ذكرناه هنا ليكون جواباً يحتذى مما لم نذكر . . فنقول :

أما مسألة الرؤية فالآيتان فيها لا تتعارضان البتة وكل واحدة منهما واردة في جهة كما هو واضح من اللفظ نفسه . فان قوله « إلى ربها ناظرة » صريحة في رؤية الله يوم القيامة وقوله « لا تدركه الأبصار » صريحة في نفى إدراك الابصار إياه ، ومعلوم أن الإدراك أخص من مطلق الرؤية ولا يدل نفى الأخص على نفى الأعم بالضرورة البينة . فقد يصدق أن تقول رأيت الشمس ولا يصدق أن تقول أدركت الشمس أو أدركت الشمس ببصري وذلك لاختلاف الإدراك والرؤية معنى . والذين ينفون رؤية الله يوم القيامة ينفونها بحجة العقل كما يدعون وكما يؤخذ من كلامهم ولا يحتاجون بالآية . ولكنهم يزجون بها هنا زجاً تورشيعاً لدعواهم المنزعجة مما يدعونه العقل وعلى كل حال لا يصح لمدع أن يدعى أن الآيتين تتعارضان حتى

يفكر الحجة التي لا تدفع على أن الاحراك والرؤية يتفقان معنى . وبشر ذلك
لا يصح الادعاء . . هذا عن الرؤية

وأما الجبر وضده فنقول : ان قوله تعالى « وخلق كل شيء » وقوله « كل من
عند الله » . لا يتنافيان قوله « وما الله يريد ظلاماً للعباد » وقوله « يريد بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر » فان معنى الآيتين الأوليين أن الله هو الخالق لكل شيء
المسبب لكل شيء يصيب الانسان من خير وشر . وليس في هذا المعنى ما يتنافى
كون الله لا يظلم الناس ولا يريد بهم إلا اليسر . بل قد يكون خلقه لكل شيء من
إرادة التيسير لا التعسير . ولكن قوماً قد يرون بمقولهم أنه اذا كان الله خالق كل
شيء وخالق أعمال العباد كان من الظلم المبين عندهم ومن إرادة التعسير عليهم أن
يؤاخذهم عليها وأن يعذبهم لأجل الأعمال التي خلقها الله . لأن ذلك عندهم
تكاليف على عمل لم يجنبوه . فيذهبون لأجل ذلك يتعللون بالآيات احتجاجاً
واعتماداً والآيات لا دليل فيها لولا الشبهات المأخوذة من المقولات . فالتعارض
ليس بين الآيات نفسها ولكنه بين الآيات وما يزعمونه مقولات . هذا عن
الجبر وضده

وأما التجسيم وضده فنقول : الآيات التي ذكروها في باب التجسيم إما أن
تكون دالة على ذلك أم لا

فان كانت دالة على التجسيم لم يكن ذلك منافياً لقوله ليس كمثل شيء بالبداهة
اللغوية . فانك تقول فلان ليس كمثل فلان وتقول فقط ليس كمثل اليت ونحو
ذلك ولا تريد أن أحدهما غير جسم وأنه مخالف للآخر من هذه الجهة . وأما ان
كان الثاني أى بأن كانت الآيات غير دالة على التجسيم بطل الاحتجاج وخرجت
المسألة من أن تكون من مثل هذا الموضوع . وعلى كل الافتراضات لم يبق بين
الآيات في ذلك تعارض

وليعلم القارىء أننا لسنا هنا بصدد بيان هذه المسائل بياناً كافياً وإنما الفرض
إبطال زعم هذا الرافضى أن بين آيات الكتاب العزيز تعارضاً واختلافاً يعسر معه
تمييز الحق من الباطل . . . وليقتبس على هذه المثل باقياً بما لم نذكره
وهذا المؤلف الرافضى أتى بهذه المسألة فى مقدمات كتابه ليدعى أن ما ذكره
الوهابيون من الدلائل فى هذه المسائل هى ظواهر من القرآن مؤولة غير معمولة بها
وكل أحد يستطيع الاتيان بالظواهر وليس فى ذلك برهان على صفة الدعوى ولا
دليل على وجوب اتباع من جاء بذلك . ولكن سيزى القارىء قيمة كلام هذا الرجل
عند عرضنا الدلائل عرضاً بسيطاً وبيان

الامر الثالث

قال فيه : السنة قول المصوم أو فعله أو تقريره وشرط الاحتجاج بالفعل ظهور
الوجه فلو فعل المصوم شيئاً وجعل وجهه علم عدم تحريره مع ترذده بين الوجوب
والنسب والكراهة ولم يثبت واحدة منها . ولا تثبت السنة لنا الا بالظهور المتواتر وهو
إخبار جماعة كثيرة يمنع عنده العقل تواطؤهم على الكذب أو المحفوف بقرائن
توجب القطع بصدوره . ولا يثبت بخبر الفاسق ولا بمجهول الحال لعدم افادته العلم
وعدم الدليل على حجتيه بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى « أن جاءكم فاسق
بنيأ فتبينوا » والنهى عن اتباع الظن

أما خير الثقة المدلل مع عدم افادته العلم فقد اختلف فى حجتيه فمنها قوم
لإسالة عدم جعية الظن وأثبتها آخرون واستدلوا بأدلة مذكورة فى الأصول
وأثبتت عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور لانهضار الأمر فى علمنا
بها فى اخبار النير . وهو مقتود غالباً الا من اخبار البعض المستند على الظنون
والاجتهادات التى تخطئ كثيراً لا على الممارسة والمعايشة مع اختلاف الآراء فيها

يوجب الجرح وما لا يوجبهِ ولذلك وقع الاختلاف كثيراً في الجرح والتعديل فإ
 عدله واحد جرحه آخر والقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل لجواز اطلاع الجارح
 على ما لم يطلع عليه المعدل . فلم من هذا أن التمسرع إلى القول بمضمون الخبر
 بمجرد وجوده في أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد أنه صحيح وتخطئة الخبر
 بذلك فضلاً عن الحكم بكفره أو شركه خطأ محض . ويشترط لجواز العمل بالخبر
 عدم مخالفته لدليل قطعي من إجماع المسلمين وسيرتهم أو نص القرآن أو نص خبر
 آخر متواتر بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه يبرأى منهم
 ومسمع وعدم معارضته بدليل أقوى منه . والخبر فيه الأقسام السابقة في الكتاب
 كلها وما يحتاج به من الكتاب من تلك الأقسام يحتاج به من الخبر وما لا فلا .
 ويشترط في العمل بالخبر ما اشترط في العمل بالكتاب مما مرّ في الأمر الثاني

وبسبب وجود هذه الأقسام في الخبر أمكن لكل ذي قول حق أو باطل
 الاستناد إلى ظاهر رواية حتى أن البابية يحتجون على ضلالتهم بخبر أن المهدي
 يأتي بأمر جديد وقرآن جديد . وأتباع القادياني يحتجون على ضلالتهم بخبر لامهدي
 إلا عيسى . انتهى

وفي هذا الكلام ما يأتي :

(أولاً)

يقول : السنة قول المعصوم ولم يقل قول الرسول عليه الصلاة والسلام . والذي
 يجهل مذاهب الرافضة وهذا الرجل منهم يحسب أن هذه العبارة لا بأس بها إذ
 يحسب أنه يعني بالمعصوم رسول الله ﷺ إذ لا معصوم غير الأنبياء عند المسلمين ،
 ولكن الشيعة تقول إن الأئمة - أي أئمتهم - معصومون كالأنبياء أو أكثر ولا يخلو
 زمان عندهم من إمام معصوم يتلقى منه الهدى والدين . وهذا الرجل نفسه ذكر

(٧٧)

هنا في كتابه ص ٩٦ إذ قال « أولوجود معصوم بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم كما يقوله أصحابنا - أى الشيعة - وهو رئيس أهل الحل والعقد » وهذا أمر لا نزاع في وجوده عند طائفة الشيعة وهم يعترفون به بل ويفخرون فالسنة عندهم غير السنة عند سائر المسلمين ، فهي عندهم الروايات المكفوبة في كتبهم التي يزعمون أنهم تلقوها عن أئمتهم المعصومين إما بطريق الكشف والالهام أو بطريق الرقاع التي يزعمون أنهم يضعونها في مكان معلوم فيكتب فيها الامام المنتظر المختفي في جهة من الأرض ما يسألونه عنه . أما السنة عند المسلمين فهي أقوال النبي الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وتقريراته وأفعاله . وللإختلاف بين أهل السنة والشيعة في هذا الموضوع لا تحتج الشيعة بأحاديث رسول الله ﷺ التي يرويها أهل السنة

فأذكره هذا الرجل تضليل فاضح

(ثانياً)

قوله « ولو نزل المعصوم شيئاً وجهل وجهه علم عدم تحريره مع تروده بين الوجوب والندب والكراهة ولم يثبت واحد منها » إن كان يريد بالمعصوم الرسول كان قوله هذا خطأ ، فإن الذي يفعله الرسول بالصفة المذكورة يدور بين الوجوب والندب والجواز إذا لم يدين واحد منها ، ويثبت أقل ذلك وهو الجواز والعلم بأنه ليس محرماً ولا مكرهاً ولو كان محرماً أو مكرهاً لما أقدم على عمله رسول الله ﷺ فإن أعمال الرسول تدور على الوجوب والندب والجواز ، ولا تدور على المكروه كما لا تدور على المحرم فإن فعل المكروه لا يليق برسول كريم من رسل الله الكرام إلا أن يكون ذلك على وجه الزلة الصغيرة التي لا ينجو منها البشر والتي يبادر إلى التوبة منها . واسأنا في هذا

ومع ادعاء هذا الرافض أن فعل الرسول يتردد بين الوجوب والتدبب والكراهة يدعى فى ص ٩٢ من كتابه أن فاعل المكروه ملعون فى الشرع . وذ كر مثال ذلك لمن الحلل والحلل له . ومن بين قوليه هذين يخلص أن الرسول الكريم قد يفعل ما يستوجب به لعنة الله ، بل إن فعله دائما يتردد بين الوجوب وبين التدبب وبين ما يستحق أن يلعن عليه ، وهذا من أعظم التنقص لرسول الله ﷺ ، وصاحب هذا القول هو الذى يتهم السلفيين بتنقص الرسول وأولياء الله إذ قالوا لا يستغاث بالأموات ، انما يستغاث بالله وحده

وأما ان كان هذا الرافض يريد بالمعصوم غير الرسول كأئمتهم كان هذا القول خطأ أيضا . فان المعصوم لا يفعل ما يستوجب به اللعنة وإلا لما كان معصوماً وقد فرضناه معصوماً ، هذا تناقض

على أن أفعال الرسول فيها تفصيل طويل فى علم الأصول ، فان ما يفعله ويكثر من فعله ويواظب عليه مما يراد به العبادة ومما يدخل فى معنى الدين لا يمكن أن يقال فيه انه يتردد بين الوجوب والتدبب والجواز فضلا عن الكراهة بل لابد أن يكون هذا النوع واجبا أو مستحبا على الأقل فان أفعال الرسول مما هو عبادة محمول على التقرب الى الله وعلى ما يراد به ثوابه ورضاه . ولا يتقرب الى الله إلا بالواجبات والمستحبات ولا يتقرب اليه بالجائزات فضلا عن المكروهات ، ولكن أفعال الرسول التى تحمل على الجواز لا غير اذا لم يتعين غير ذلك هى الأفعال التى تدخل فى معنى المادة والشتون الدنيوية مما اعتاد الناس أن يفعلوه ، أو الأفعال التى تكون فى مقابلة التحريم والمنع

فأقول هذا الرافض ظلمات فوق ظلمات والعياذ بالله

(ثالثاً)

قوله « أما خبر الثقة العدل فمع عدم إفادته العلم فقد اختلف في حجتيه »
 نقول : ذهب أكثر علماء الكلام والجدل الى أن خبر الواحد لا يفيد اليقين
 ولا العلم أبداً بل لا يفيد سوى الظن والترجيح وذهبت طوائف من علماء الحديث
 والأخبار الى أنه قد يفيد ذلك ، واحتجت الطائفتان بجميع صكك كثيرة ليس هذا
 موضعها

ولا ريب أن من قال ان خبر الواحد لا يفيد العلم مطلقاً غلط غلطاً بيناً . كما أن
 من قال بأن خبر الواحد يفيد ذلك دائماً غلط كذلك . واكتننا لا نرتاب في
 أن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحياناً . ولا شك في صحة هذا وصدقه .
 وأحيل كل قاريء الى نفسه يجد ما أقول صحيحاً في كثير مما يسمعه . فلقد يخبرك
 بعض الناس خبراً لا تجد في نفسك أقل شك في صدقه وثبوته ولا تجد مئاصراً
 لا في زوايا نفسك ولا في زوايا عقلك من الاعتراف بصحة ذلك الخبر ، وكل
 أحد فيما أعلم يجد ذلك أحياناً في نفسه ، ومن رد هذا فقد كابر الحق وجهل
 أسرار النفوس

وقد قام بيني وبين عالم كبير من العلماء المصريين الذين يقولون ان خبر الواحد
 لا يفيد العلم جدال في ذلك : قلت له هبك كنت معاصراً لأبي بكر الصديق
 أو عمر الفاروق أو عثمان أو علي كرم الله وجهه أو أحد كبار الأنصار والمهاجرين
 فحدثك أبو بكر أو عمر أو عثمان أو أحد هؤلاء أن رسول الله ﷺ الساعة هذه
 قد صعد المنبر فوعظ الناس موعظة بليغة أسالت الدموع ودعت الخشية حتى سمعنا
 البكاء والنعويل . . فهل ترتاب في هذا الخبر أو هل نشك في إفادته العلم . فقال لا
 أرتاب في ذلك . فقلت له هبك كنت معاصراً للإمام أحمد بن حنبل رجل الورع
 أو الإمام الشافعي عالم قريش أو الإمام مالك امام دار الهجرة أو فيهم من

الائمة الموسومين بالتقوى والصدق والامانة فحدثك أحدهم حديثاً قال لك انه سمعه الساعة هذه من الحديث فلان . أو شهد أمام القاضى على شخص لمصلحة شخص آخر فهل ترتاب فى هذا الخبر ؟ فقال كلا . قلت له : إذن خبر الواحد قد يفيد العلم بل واليقين أحياناً كثيرة . فقال : نعم

وإذن لا يجوز أن نطلق القول اطلاقاً بأن خبر الواحد ظنى بل يجب أن نقول إن ذلك يختلف باختلاف القائل والسامع فقد يشك أحد الناس اليوم فى أحاديث البخارى أو أحاديث غيره لشكه فى صاحب الكتاب ورواة أحاديثه لقلة معرفته بهم وقلة معرفته مكاتبتهم من الرجاحة والصدق والعقل والحفظ لأنه لم يتجرد لمعرفة أخبارهم ودراسة سيرهم ، ولكن قوماً آخرين درسوا رجال هذه الأحاديث ودرسوا ما كانوا عليه من الامانة والرجاحة والايمان وواظبوا على ذلك كله حتى أتقنوه لا يشكون فى ثبوت ما يروون وما يقولون ، وليس بجائز أن نعيب هؤلاء اذا وصلوا الى ما لم نصل اليه من أحوال الرجال وإنما نعيب القوم الذين جهلهم فلم يعطئونا الى أخبارهم فذهبوا يسيبون من عرف القوم فاطمأن الى أخبارهم ، وهؤلاء يقال لهم ادرسوا تعرفوا وتعذرنا وتؤمنوا بأن خبر الواحد قد يفيد العلم

وما يقال هنا فى رجال الحديث يقال مثله فى رجال التاريخ والأدب والفلسفة وسائر العلوم ، فان من شغل بدراسة أساطين التاريخ يعلم من حالهم ما لا يعلمه من شغل بدراسة رجال الأدب مثلاً ، ومن شغل بدراسة رجال الأدب عرف من حالهم ما لا يعرفه من شغل بدراسة رجال التاريخ ، وهكذا يقال فى كل فن من الفنون ، فقد اتصل معرفة الرجل بالملم من علماء التاريخ أو الأدب أو الفلسفة الى أن يؤمن ايماناً ثابتاً بأنه لا يكذب ولا يفتش أبداً ، والى أن ما يرويه حق لا ريب فيه والى أن لا يقبل الشك فى نقله وقوله وصدقه ، ورجال الحديث أولى وأجدر بالثقة والاطمئنان الى قائلهم من كل الطوائف ، فاتهم قد جمعوا من صفات الصدق

والصلاح والورع والحيلة لما يروون ما لم يتفق لطائفة من الطوائف المنسوبة للعلم . وقد بلغ الاحتياط بكثير منهم الى حد الوسوسة والامراف . وقد يردون حديث الرجل لأقل المقوات التي لا يبالها غيرهم من رجال التاريخ والفلسفة . وعلم الاسناد أى علم الرواية أى رواية الحديث النبوى وما يشترط له من الشروط لم يكن لأحد سوى رجال الحديث وعلمائه كما أنه من خصائص الأمة الاسلامية

على أن قول الرافضى هذا لا يؤمن هو به ولا طائفته ، وليس مما يوافق أصولهم . فان القوم يعتقدون في أئمتهم العصمة أى العصمة من الكذب والغلط وكل ما يشين ويعاب . وهم لا يشكون فيما يحدث به واحد من أئمتهم ولا يقولون إنه لا يفيد العلم بل يرون أن ما يحدث به واحد منهم يفيد أعلى درجات اليقين

ونحن نعلم بالضرورة أن الأئمة الاربعة وكبار علماء الحديث كالبخاري ومسلم ونظرائهم لا يقولون عن أئمة الشيعة صدقاً وحفظاً للرواية ونأيًا عن الغلط والنسب وما يعيب النقل . وإن خالفت الشيعة في ذلك فان أهل السنة كلهم يعملونه ولا يرتابون فيه . فما ذكره هذا الرافضى خلط وتضليل مقصود مع سبق الاصرار

وأما العمل بخبر الواحد الثقة في الحالة التي لا يفيد فيها العلم فأهل السنة كلهم يعملون به ، بل نوشك أن نقول ان المسلمين كافة يعملون به في الواقع . والذين يرفضون العمل به موضوعا يقبلون العمل به شكلا . وأعمالهم شاهدة على ما نقول . وما زال المسلمون يعملون بخبر الواحد في كل المناسبات والوقائع . ومن شك في ذلك فقد شك في أمر جمع كل معاني التواتر . ومن ياب العمل به يلجأ الى العمل بالرأى المختل المدخول ويتناقض في آرائه ولا محالة . . .

(رابعاً):

قوله وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور قول ليس صحيحاً فان إثبات عدالة الماضين العدول ميسرة على من أراد أن يعرف فبحث وكتب ودرس ودارس . ومن ذا يصعب عليه إثبات عدالة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر والحسن والحسين والسعديين « سعد بن معاذ وسعد ابن عباد » والعبددين « عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس » وأمهات المؤمنين؟؟ أم كيف يصعب اثبات عدالة أئمة الحديث والفقهاء أمثال أبي حنيفة والشافعي وابن حنبل؟؟ ومن ذا لا يستطيع اثبات عدالة أئمة رجال المذاهب المشهورين؟؟ إن هذا كله سهل ميسور .. والمسلمون لا يشكون في عدالة أئمتهم وعلمائهم بما تواتر لديهم من أخبارهم . وقد عنى علماء الحديث بتراجم رجال الرواية عناية فائقة لا يمكن أن يظفر بأفضل منها بحيث يستطيع الباحث أن يعرف الثقة العدل من المتهم المريب بسرعة وسهولة . وقد سطوروا جزام الله عن الاسلام والعلم خير الجزاء .. كل ما يمكن أن يكون شاهداً على عدالة الرجل وما يكون شاهداً على ضعفه بقدر الطاقة والامكان ، وما تركوا من ذلك شيئاً معلوماً . وقد ينقلون عن الرجل الأمور النافذة الصغيرة ، التي لا تمس عدالته ، حرصاً على الوصول الى الواقع وإلى ما كان عليه الرجل . ولعل المعاصر لرجال الحديث لا يستطيع أن يلم بتراجمهم وما يحصلونه من عدالة أو كذب إمام كتب التراجم أو الإمام من درس هذه الكتب . وليس الشأن لمعرفة عدالة الرجل وضدها تقدمه عنا زماناً وتأخرنا عنه . ولكن الشأن في ذلك لمعرفة سيرته وترجمة حياته . ولقد تعرف عدالة من ذهب من مئات الاعوام ولا تعرف عدالة من يعيش معك ومن تراه صباح مساء والعدالة وضدها أمران نفسيان قد لا يعرفهما المعاصر المعاصر وقد يعرفهما من تأخر

إذا جمع أطراف سيرة الرجل وقلبا وامتحنها ثم وازن ورجح
أجل قد يصبح قول هذا الرجل في رجال الرافضة وخدم فانه يصيب عليهم
حقاً أن يعرفوا حال رجالهم ومكائنتهم من عدالة وضعف إلا إذا رجعوا الى كتب
أهل السنة ، فان الشيعة ليست لها كتب تراجع يميزون بها العدل من غيرهم ،
والاحاديث الموجودة في كتبهم غالباً مختلق مكنوب لهذا السبب ولأسباب أخرى
والرافضة يريد بقوله هذا القدر في السنة وفي الاحتجاج بالأخبار النبوية ،
لأن القوم لا يعتمدون في دينهم على الأخبار النبوية الصحيحة ، وإنما يعتمدون على
الرقاع المزورة المنسوبة كذبا الى الأئمة المعصومين في زعمهم وخدم . ولكنه يحور
في الكلام لبساً على من لا يعرف حاله من أهل السنة

(خامساً)

قوله « فلم من هذا أن التسرع الى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده في
أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد انه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلاً
عن الحكم بكفره أو بشركه خطأ محض »
قول سوف يجيء البيان أن هذا الرجل لم يعمل بما قاله هنا ، وسوف يجيء
استدلاله بالأحاديث المكنوبة باتفاق أهل الحديث فضلاً عن الضعيفة والمنكورة
والمجهولة والأحاديث التي لم ترد في كتاب من الكتب
ومن هؤلاء القوم الذين يتسرعون الى القول بالأخبار بمجرد وجودها في
الكتب ١١ ومن هؤلاء القوم الذين يكفرون الناس ان خالفوا حديثاً قال بعض
الناس انه حديث صحيح ١١١ ومن هؤلاء الذين يمتنون بكلام هذا الرجل
للشيعة ١١١

ان الجماعة التي يرد عليها بكلامه هذا تدعو الى أمر أطبقت عليه

آى الكتاب العزيز وأطبقت عليه السنة الصحيحة فى روايات يهز احصاؤها . وما كان منهم الاستغانة بالأموات ودعاهم والنذر والذبح لهم اعتماداً على حديث أو أحاديث ، ولكنهم اعتمدوا فى ذلك على القرآن بجملته وعلى السنة ، وعلى العقل وعلى الضرورة الدينية ، وقد جاء القرآن بجملته ناهياً عن ذلك أشد النهى مننداً بمن فعله أعظم التنديد . وسوف ترى هذا . وقول هذا الرافضى يوم أننا نستدل على ذلك بأحاديث مقدوح فى أساسيتها وروايتها وقوله « وبسبب وجود هذه الأقسام فى الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد على ظاهر رواية » قد تقدم الكلام على مثله فى الأمر الثانى (سادساً)

الحديثان اللذان ذكرهما هنا . الأول : وهو أن المهدي يأتى بأمر جديد وقرآن جديد ، حديث مكذوب لا أصل له ، وهو من الأخبار التى توافق معتقد الشيعة فى الامام المنتظر ، لأنه عندهم يأتى بأمر جديد وقرآن جديد وهو المصحف الكفل الذى كتبه على رضى الله عنه فى زعمهم . والحديث الثانى : وهو لامهدي إلا عيسى حديث ضعيف . وهذه حال أكثر أحاديث الرافضة ، ضعيف أو موضوع

الأمر الرابع

قال ما معناه « إن الأحاديث المتعارضة عن الرسول الكريم كثيرة وسبب التعارض أن يكون أحد الحديثين المتعارضين مكذوباً ، كذبه بعض الناس تقرباً الى أصحاب الدنيا طمعاً فيها . أو يكون سبب التعارض الخطأ فى فهم المعنى ، أو الاطلاع على المنسوخ دون الناسخ والعام دون الخاص والمطلق دون المقيّد . وعند وجود هذا النوع المتعارض يصار الى الترجيح . وسبيل الترجيح أن يعرض

الحديثان المتعارضان على القرآن وعلى الثابت من السنة . فوافق هل به وما خالف طرح . ويعرض أيضا على الاجماع والسيرة المشهورة بين علماء المسلمين وما كان عليه الصحابة والتابعون . فالموافق حينئذ هو الصحيح . أو يرجح أحد الحديثين المتعارضين على الآخر برجاحة سنده أو بلاغة لفظه أو جودة نظمه « انتهى ونحن نقول : إن التعارض بين الاحاديث الصحيحة قليل جداً لا يقال انه كثير

نعم يوجد التعارض بين الاحاديث الضعيفة والمكذوبة كثيرا ، وعند من ليس لأحاديثهم كالشيعة أسانيد . والكذب حقا كثيرة في رجال الشيعة وأصحاب الاهواء طمعا في الدنيا وتزلفا الى أصحابها أو كيدا للدين والسنة وحققا على أهلها ولكن علماء السنة كشفوا ذلك وأبانوه أتم البيان ، ومازوا الاحاديث الموضوعة والضعيفة من الصحيحة ، ووضعوا كتباً خاصة حشدوا فيها الاخبار المختلطة كما وضعوا كتباً خاصة بالرجال الضعفاء والمتهمين بالكذب والغش والخداع وكما وضعوا مثل ذلك في الاحاديث الصحيحة والرجال الثقات وممونها « الصحاح » وكتب « الثقات » ومن قدح فيهم من الرجال العدول : كل ذلك بأقصى ما يمكن أن يصل اليه الفكر البشري والقرينة الانسانية من الجودة والاثقان والضبط ، وليس في رجال الحديث من أهل السنة من هو متهم بالوضع والكذب طمعا في الدنيا وازدلافا الى أهلها وانتصاراً للاهواء والعقائد المدخولة الباطلة

نعم قد يوجد بينهم من ساء حفظه أو من كثر نسيانه أو من اتخذ بالمذلسين الضعفاء . ولكن رجال التراجم والجرح والتعديل قد بينوا هذا النوع كله ، حتى انهم يقولون : هذا الرجل ضعيف فيما روى عن فلان فقط وفيما يريه عن أهل هذا البلد فقط ، ثقة في غير ذلك ، كما يقولون ان هذا الرجل كان حافظاً في أول عمره سيء الحفظ في آخره . ويقولون إذا قال كذا فهو غير صحيح الحديث ، وإذا قال

كذا فهو صحيحه ، وأشباه ذلك من الضبط والحيلة المتقنة . وهذا الفن لا يوجد
لغير أهل السنة والحديث ، وهو من خصائص الامة الاسلامية . فانه لا يوجد
لغيرها أسانيد لما ترويه عن أنبيائها

وكلام هذا الرافضى فهم منه أن الكذابين المنافقين اختلطوا بالمدول الثقات
ومزجوا مزجاً لا يستطيع تمييز خبيثه من طيبه فلا يمكن التمييز بينهم . وأن
الاحاديث المكتوبة مزجت بالصحيحة مزجاً لا تستطيع معه معرفة أحدهما من
الآخر ، وأن معرفة الحق فيه عصية عسيرة وأن الواجب لأجل ذلك أن تلتبس
معرفة الصحيح والحق بالقرائن الخارجية . وهذا لا يصح في أحاديث أهل السنة
أهل الأسانيد وأهل الجرح والتعديل ، ولكنه يصح في أحاديث الشيعة ونظرائهم
من أهل الاهواء والبدع الذين قصارى أمر أحاديثهم أن تكون بلا إسناد ولا
رواية ولن تستطيع الشيعة أن تعرف مكانة رجل من رجالها إلا إذا مارجت الى
كتب أهل السنة والى بيانهم وتراجهم المعروفة بكتب الجرح والتعديل وكتب
قد الرجال

وأما قول هذا الرافضى إن من أسباب التعارض بين الأخبار الاطلاع
على المنسوخ والعام والمطلق ، دون الناسخ والخاص والمقيد ، فخلط فظيع
لا يقيم فيه إلا من لم تكن له يدان ولا يد واحدة في هذا الشأن ، ومن لم يعرف
قواعد أهل العلم واصطلاحاتهم . فانه اذا كان هنالك ناسخ ومنسوخ وخاص وعام
ومطلق ومقيد لم يقل ان هنالك تعارضاً : لا من اطلع على الخاص والعام والناسخ
والمنسوخ والمطلق والمقيد ولا من جهل ذلك . فان من اطلع على ذلك لم يكن لديه
تعارض البتة . بل كان عنده خاص وعام ومنسوخ وناسخه ومطلق ومقيد . ومن
جهل ذلك لم يكن هنالك تعارض عنده أيضاً ، فانه اذا عرف المنسوخ دون الناسخ
عمل بالمنسوخ ولم يعلم أن هنالك ناسخاً مثلاً . فلا تعارض البتة . ومثل الناسخ
والمنسوخ العام والخاص والمطلق والمقيد

مثل ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن زيارة القبور في أول الامر ثم أباح ذلك وقال « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم بالآخرة » فمن اطعم على النهى عن الزيارة ولم يطلع على الناسخ المبيح لم يكن عنده تعارض مطلقا ، بل كانت الزيارة لديه محرمة ، وكان هذا هو الحكم الثابت عنده ومن اطعم على الناسخ والمنسوخ في الزيارة علم أن الزيارة كانت محرمة ممنوعة ثم جائزة مباحة . ولم يكن هنالك شيء من التعارض فلا تعارض على الفرضين والحالتين . وكذا يقال في العام والخاص وفي المطلق والمقيد . فزعم هذا الرجل أن مثل هذا النوع من التعارض زعم غير صحيح ولا كرامة وما هو من الحق في صدر ولا ورد وأما العرض على الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون والمسلمون ، والترجيح ببلاغة اللفظ وجودة النظم ، فصحيح إذا ما افترض وجود التعارض . بل لابد من الرجوع الى الكتاب والسنة الثابتة وسيرة الصحابة والمسلمين في كل شيء ، ونحن في هذا المقام الذى يدعى هذا الرجل الرد علينا فيه إنما ندعو الى أمور أطبق عليها الكتاب والسنة والاجماع في صدر الاسلام وفي القرون الاولى كلها ، وما كان ذلك للاستدلال بحديث فرد أو رواية منكورة ضعيفة ، أو رأي رجل من الناس جل ذلك الرجل أو دق . وإنما ندعو الى أساس الاسلام الاول وهو ما أنزلت لأجله الكتب وابتعثت الرسل وهو عبادة الله والرجوع اليه في كل الحالات . وما كان هذا المعارض راجعا الى كتاب أو سنة لا صحيحة ولا ضعيفة ، ولا الى رأى من يعتد به من العلماء . وما كان في يديه سوى تأويل النصوص الاسلامية البيئة وتسليط الشبهات الواهية عليها والتحيل للخلاص منها بالكذب حيناً والتحريف حيناً آخر وبالأمرين أحيانا كما سوف نرى ذلك كله

ولسنا في هذا المقام ندعو الى أمر فيه ترجيح ومفاضلة إنما ندعو الى الدين

جمله والى نصوص الكتاب والسنة المتواترة العملية التى لاخلاف فيها . وليس الامر الذى ندعو اليه وندعيه قائماً على روايات تعارض بروايات أخرى أصح أو أضعف ، ولكنه التوحيد يعارضه الشرك والنور يعارضه الظلام الحالك والسنة البيضاء تعارضها البدع السوداء . ولا يستطيع مخالف لديه شيء من العقل أن يدعى أن هناك روايات تميز الذبح والنذر للاموات والطواف بالأجداث والاستقبال والتقبيل لها ، وسؤال الموتى مختلف الحاجات ، أو تميز البناء عليها وتشيدها ، ذلك التشييد الذى لا يستطيع أن يظفر به جمهور الأمة ليسكنه . فليس هناك عاقل يدعى وجود شيء من ذلك لا صحيح ولا ضعيف ، ولكن المعارضين لنا فى هذه المسائل العالية يعارضون الامور المتواترة المتفقة بالآراء الفاسدة المدخولة والشبهات المنكرة ويحرفون النصوص لأجلها

الامر الخامس

قال فيه « الكتاب والخبر عريان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والحجاز ومما جاء منه فى القرآن « يد الله فوق أيديهم » « يا حسرتنا على ما فرطت فى جنب الله » « كل شيء هالك إلا وجهه » « الرحمن على العرش استوى » « فكان من ربه^(١) قاب قوسين أو أدنى » « الامن رحم الله » « غضب الله عليه » « الله يستمزيهم » « وجاء ربك والملك »

وفى الحديث : لا تمتلئ النار حتى يضع الله قدمه فيها . وكذلك ورد اضافة
الضحك والعجب الى الله

(١) هكذا ذكر الآية بزيادة من ربه ، وهذه الزيادة ليست موجودة فى مصاحف المسلمين ويظهر أنها فى مصحف الشيعة المدخر المدعى

والقرينة في الكل على المجاز عدم امكان ارادة المعنى الحقيقي المستلزم للتجسيم والتحيز والوجود في مكان دون غيره ، وكونه محلاً للحوادث ، ولا بد للمجاز في الاسناد أيضاً من قرينة لفظية أو عقلية . كقول الموحّد أثبت الربيع البقل فان كونه موحداً كافٍ في حمل كلامه على المجاز . ومثله لو قال السلم للموحّد يا رسول الله اغفر لي أو اشف ولي أو طول عمري أو ارزقني أو رد غائب أو نحو ذلك فيجب حمل كلامه على المجاز في الاسناد . أي كن سبباً في ذلك بشفاعتك ودعاء الله لي ، وبكفي قرينة على ذلك كونه مسلماً موحداً ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلاً عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحلّ دمه وماله ، إلا من غي غير عارف بأساليب كلام العرب أو معاند

وقد اختلف في الأمر كإفعل هل هو لأوجب أو للندب أو مشترك بينهما وفي النهي كإفعل هل هو للتحريم أو الكراهة أو مشترك بينهما ، وقد كثر استعمال اللفظين في الندب والكراهية بحيث يصعب الحكم بالوجوب أو الحرمة بمجرد ورودهما إذ لهما صارا مجازاً مشهوراً بملاحظة خصوصيات المقامات البعيدة للحمل على الوجوب أو التحريم

وفي الكتاب والخبر المبالغات كمائر كلام العرب . ومن المبالغات الواقعة في الكتاب والسنة تسمية الذنب أو العظيم منه كفراً وفاقله كافراً ، وإطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصاً إذا صدر من الأنبياء والأولياء ، وذلك كما قال بعض العلماء « بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى » ومنه المعاصي المنسوبة في القرآن إلى الأنبياء بعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصي منهم » انتهى

هذا ما ذكره الرافضي في هذا الأمر . ونحن قول رداً على ما فيه من باطل :

(أولا)

أما ان في القرآن حقيقة ومجازاً فلا نخالفه فيه هنا . ولكننا نقول ان دعواه بأن ما في هذه الآيات من صفات الله مجاز دعوى باطلة لا يرهان له بها ، وهي دعوى مخالفة لما اتفق عليه السلف من الصحابة وعلماء الحديث والآثر ومنهم الأئمة الأربعة . فقد اتفق هؤلاء وهم القوم على وجوب الايمان بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة من صفات الله بلا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ، وما جاء عن أحد منهم أنه ادعى بأن شيئاً من ذلك مجاز ولا قال انه غير حقيقة ، وهذه كتب المقالات والقائد مبثوثة في كل أنحاء المعمورة ، وقد أنكر السلف أشد الانكار على الجهمية ومن ذهب مذهبهم يوم أن ابتدعوا تأويل صفات الله وعلوهم ضالين مبتدعين ، ووضعوا كتباً خاصة في ابطال أقوالهم وقض مذهبهم

وأنت اذا كلفت نفسك مراجعة كتاب من كتب الحديث والسنة كالبخاري ومسلم والكتب الستة وسائر كتب الحديث وجدت ذلك ماثلاً في كل كتاب كثيراً كثرة نصيره من الضروريات ، وتجد أن هؤلاء المحدثين يقولون مثلاً : (باب فيما أنكرت الجهمية من صفات الله) أو (باب في الرد على الجهمية) ونحو ذلك ثم يذكرون ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله كهذه التي أنكرها هذا الرجل وعدّها نجساً ونقصاً ١٢

ولو كلف انسان نفسه ليعثر على رواية واحدة عن واحد من الصحابة وعلماء السنة بأنه أول آية من هذه الآيات لكلف نفسه أمراً لا يستطيع ، ولنا نشارك في أن الصحابة كانوا راشرين في ذلك ، وكانوا يعرفون ما يجوز من وصف الله وما لا يجوز ، وانهم لو كانوا يعلمون أنه لا يجوز وصفه تعالى بصفة من هذه الصفات التي يقال انها قص في حقه لبادروا إلى تأويلها ويان وجهها الصحيح . لأن سكوتهم

عنها وهم بطعون أن ظاهرها باطل أمر لا يحل ، فانه سكوت عن بيان الحق واقرار
 للمنكر الذي يخفى على غير الراسخين في العلم
 وإنما دخل التأويل وانكار صفات الله على المسلمين من طريق الكتب اليونانية
 التي نقلت الى العربية ، وتمشقها أهل الجدل وعدوها أعلى أنواع الفلسفة ونهاية
 أقدام العقول ، ومن طريق الفلسفة البوذية وغيرها من الفلسفات العجيبة
 ولسنا في حاجة الى التدليل على أن السلف ما كانوا ينكرون صفات الله ، وما
 كانوا يؤولون ذلك فان هذا ضرورى واضح لا ينازع فيه انسان ولا أحد من
 المخالفين

ولكن هؤلاء المنكرين والمؤولين لما يزعمون أن العقل وحده هو الذى ألباهم
 الى التأويل والانكار ، ولولا ذلك العقل الواضح لما أنكروا ولما أولوا . فهم في
 حاجة إذن الى التدليل على أن العقل لا يأتي الايمان بصفات الله الواردة في
 النصوص ، كآيات الرحمة والرضا والغضب والاستواء على العرش والموا على
 المخلوقات وسائر ما أتى في نصوص الكتاب ونصوص السنة الصحيحة الصريحة ،
 وأنت اذا ما تتبعت أقوالهم وجدت أن الحجة التي بها يخاصمون هذه النصوص
 وبها يابون اقرارها هي زعمهم أن هذه الصفات تقضى بالتجسيم وتشبيهه الله
 بمخلوقاته ، واذا ما تتبعت أقوالهم مرة أخرى لتعرف كيف تقضى هذه الصفات
 بالتجسيم والتشبيه لم تجد لهم من دليل على ذلك غير أمثال قولهم « نحن لا نعرف
 يدأ مثلاً إلا جالوجة مؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام » ، « ولا نعرف
 الغضب إلا أنه ثوران النفس رغبة في الانتقام » ، « ولا نعرف الرضا إلا أنه خفة
 الروح » ، « ولا نعرف الاستواء على العرش إلا أن يكون استقرار جسم على جسم
 آخر » وهكذا سائر الصفات المثبتة لله . « ولا نستطيع أن نفهم من هذه الصفات
 غير هذه المعاني إذا ما أريد حقيقة الكلمات العربية » ، « لأننا لم نجد لهذه الكلمات

معنى غير هذه المعاني ، ، « وهذا باطل في حق الله فلا بد من الحمل على المجاز .
ولا بد من المصير الى التأويل تنزيهاً لله وتقديساً له عن سمات الحدوث والتفانص »
هكذا يبدأون حججهم على وجه الاجمال وهنا يفنون منها

ونحن اذا ما أردنا الاسترسال معهم وأردنا النسق على حججهم قلنا أنتم
تمهون الى تأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل الرضا بارادة الاحسان ، والغضب
بارادة الانتقام ، والوجه بالذات ، والعين بالرعاية والحفظ ، وهلم جرأ . وهذه
المعاني التي هربتم اليها وفسرتم النصوص بها هي مثل ما هربتم اليه لزوماً واقتضاء
سواءً . فالتأويل لا يستطيع سيراً معكم أن فهم من الاستيلاء في كلام العرب إلا أن
ذاتاً أي جسماً استولى على جسم آخر أو أن معنى من المعاني القائمة بالأجسام
استولى على جسم آخر أو معنى آخر ، ولا نعلم مستولياً على غيره إلا أن يكون
جسماً قائماً بنفسه أو معنى قائماً بغيره ، وكذلك ارادة الاحسان والانتقام اللذان
فسرتم بهما الرضا والغضب يقضيان بما هربتم منه ، فان معنى الارادة تعلق بالنفس
أو الضمير بالشئ أو تصميمهما على المراد . فلا بد من النفس والضمير والتصميم في
الارادة ، والنفس والضمير والتصميم هذه الأمور الثلاثة أشياء في حاجة الى
الأجسام ، وهي من صفات المخلوقات أيضاً . وكذلك تأويل الوجه بالذات فانه
ينصب على الذات من الاعتراضات والشبهات ما ينصب على الوجه انصباباً لأمر
منه فاذا قيل الوجه لا بد أن يكون جسماً أو جزءاً من جسم ، قيل وكذلك الذات
لا بد أن تكون جسماً ذا أعضاء وأجزاء وحدود ونهايات . وهكذا في كل الصفات
التي يؤمن بها هؤلاء . فإيرد على ظواهر النصوص من الاعتراضات والشبهات يرد
على المعاني التي فسروها بها وروداً لا مناص منه . فمن أول نصوص الدين لشبهة
ادعائها غلبت عليه نفسه ، أو دسها بعض الدسائين لم يكن فاعلاً شيئاً غير العدمان
على حرمة الدين وافساده وإحلاله محل المتهمة المزنة بتأويل نصوصه وتفسيرها

تفاسير تنزع منها القداسة التي كانت لها في صدور المؤمنين الأولين وصور الذين تلقوها بالأطمشان واليقين

وقد عرفنا بالاستقراء أن من اعتاد تأويل نصوص الكتاب والسنة استهتر بالدين وانزع من صدره برد اليقين ثم هبى الله . وهذا أول مفاصد التأويل . ولما سمعتَ كان كلام السلف شديداً في المؤولين لأنهم يدرون ما بمقبح ذلك من الفوضى والفساد

فادعاء هذا الشيعي أن هذه الصفات والآيات مزولة ادعاء باطل لأنه لا دليل عليه كما رأيت ، فإن الشبهة التي حملتهم على التأويل هي أن الحقيقة في هذه الصفات تقتضى التجسيم والتشبيه ، لأنهم لم يهدوها إلا صفات أجسام ، فهم لا يقولون أن تكون صفة لغير جسم . هذا هو مجموع الشبهة ، ولكننا نقول لو أن هذه الشبهة صحيحة لقصت بالأوصاف الله بصفة ما ، فما الفرق بين هذه الدحوى وبين قول القائل : العلم عرض من الأعراض ، والعرض مفترق إلى محل يقوم به من الأجسام . فأنه ليس له دلم لثلاث بوصف بالأعراض . أو قول القائل الله ليست له حقيقة ، لأنه لو كان له حقيقة لكانت هذه الحقيقة جوهرأ أو عرضأ ، أى جسماً أو معنى ، لاننا لا نعرف حقيقة الا جوهرأ أو عرضأ . والله لا يصح أن يكون جوهرأ ولا عرضأ . ويصبح بقية المقلمة فأنه ليست له حقيقة . وهكذا يقال في الصفات التي يقرون بها الله

وهذه الشبهة وأمثالها طلائع الالحاد والجحود ومن ثم فإن الامر يؤول بهؤلاء إلى الزيف والتمرد على الأديان ، ولهذا مواضع أخرى يبسط فيها القول وإنما هذه كلمة خاطئة نبهنا بها هؤلاء المؤولين إلى أنهم غالطون غلطين : غلطاً في المنطق ، وغلطاً في الدين ، ومسيئون أساءتين : إساءة إلى الدين بتأويل نصوصه وتحميقها ، وإساءة إلى المنطق بالخروج على قواعده وسبيله الواضحة

فآيات التي ذكرها هذا الرافضي في هذا المقام ليست مجازاً ، بل هي حقيقة على معنى يليق بذات الله ، لا كما يكون ذلك في المخلوقات والمحدثات على أن هؤلاء المؤولين خوف التشبيه هم في الحق المشبهون من حيث لا يدرون فانهم ماجردوا الله من هذه الصفات إلا لزعمهم غلطاً أن الصفة لا تثبت لله الا كما تثبت للمخلوق ، وان المعنى لا يكون لله الا مثل ما يكون لخلقه ، ومن هنا زعموا أنهم لو وصفوا الله بشيء من هذه الصفات التي وصفت بها المخلوقات لكان وصفه تعالى بها تشبيهاً وتجبساً كما أن ذلك في المحدثات . فزعموا أن الله لا يوصف بها سيراً وراء هذه الأوهام والأغلاط ، ولو عقلوا أن وصف الله بالصفة ليس كمثل ، صـ غيره بها ، وأن قيام المعنى به ليس كمثل قيامه بغيره من خلقه ، لما احتاجوا الى هذه العثرات . والله من وراء الكل محيط

على أنه من العجب أن تؤول الشيعة هذه الصفات فراراً من التشبيه والتجسيم وأشياخ الشيعة من أصرح الناس أقوالاً في التشبيه والتجسيم ، كما تقدم في باب حماقات الشيعة ، حتى أنهم يقولون بحلول ذات الله وصفاته في بعض عبادته فالقوم حيارى لا يهتدون الى الحق أية سلكوا

(ثانياً)

أما زعمه أنه يجوز للموحد أن يطلب من الرسول وغيره غفران الذنب وشفاء الولد وتطويل العمر واغداق الرزق ورد الغائب ، وغير ذلك . وزعمه أنه ليس في ذلك خطأ ولا غلط ، وأنه مجاز اسنادى كقول الموحد أثبت الربيع البقل . وأن القرينة في الأمرين هي إيمان القائل وتوحيده ، فهي مقالة ما كنت أحسب عاقلاً يقولها قبل هذا المصنف الرافضي ، ولي أن أقول ولا أخشى أن أخالف الحق ان كثيراً من المشركين أنفسهم ما كانوا يقولون هذه المقالة كلها ولا كانوا

يتوسعون في دعاء الأصنام والموذ بها كل هذا التوسع ، وما كان مثل هذا القول يحتاج الى الرد عليه لولا أن كل قول يقال وإن كان السخف نفسه لا بد أن يجد آذاناً وقلوباً تحله محل الحق المبجل ، وتنزله منها أفضل منزل . ومثل هذا الرجل لا يقنعه أن يرد عليه بالكتاب والسنة وأقوال المسلمين ، بل هو لا يستحق ذلك ولا يجدر به جادله أن يصنعه ، وما يقنى مثله أن تسرد عليه آيات الكتاب الكريم الناهية عن دعاء غير الله أشد النهي ، الزاجرة عن ذلك أعظم الزجر . هين على مثله أن يؤول القرآن والسنة ، وهين عليه أن يدخل من باب المجاز ويخرج من ذلك الى حيث شامت له نفسه وشاء له ربه ، وهين عليه أن يقول إن الدعاء أقسام منه الجائز والواجب ، وأن يضرب ذلك كله ببعضه ببعض فلا يهتدى سبيلاً ، وإنما نرد عليه ببسب نكسر عليه به قوله ، ونأتيه بأشياء لنا فيها اللهو المباح وفيها بعد ذلك إدحاض حجته إن كان لمثل هذا الباطل أن يسمى حجة

فنقول : إما أن يقول ان كل ما يطلب من الله يصبح أن يطلب من خلقه إذا استطاع حله على المجاز بضرب من ضروبه الكثيرة ، وإما أن يقول لا يجوز ذلك فان قال بالاول ، قيل إذن يجوز أن يقول المسلم الموحّد ان الرسول الكريم خالق السموات والأرض وبديع السموات والأرض ، ورب السموات والأرض ورب كل شيء ومالكة ويقدر كلمة محذوفة هي « رب الرسول » على أن يكون ذلك مجزأً بالحذف كما يقولون في قوله تعالى وأسأل القرية ، وهذا جائز في كلام العرب لاخلاف في جوازه

وكذا عليه يجوز أن يقول من يدعى الاسلام ان الامام الشافعي هو الذي يذفع عن مصر البلاء ، وهو الذي يسوق لها الخير والنماء ، وهو الذي يبدد إسماعيلها وإشفاقها وعزها وذمها وحياتها وموتها . بل ويقول هو الذي يحيي ويميت وهو الذي يعطي ويمنع وهو رب كل شيء وخالقه ، أو يقول إن الامام الحسين هو

الرب الأعلى والإله الأكبر . وأمثال ذلك مما استطاع أن يقدر فيه « رب »
 فيراد رب الحسين ورب الشافعي ، نظير وأسأل القرية أى أهل القرية
 بل ويجوز أن يقول : ان الشمس (على اضمحلال الشمس) هى إلها الذي
 فرده بالركوع والسجود والدعاء والخشية وكل معاني الانقياد والعبادة ، وتكون
 الحكمة فى تخصيص الشمس هنا هى أنها من أعظم نعم الله علينا ، وبالأجمال يجوز
 على هذه القاعدة لمن يدعى الاسلام أن يقول كل شئ اذا كان يستطيع أو يستطيع
 أمثال هذا الرافعى أن يؤول قوله وأن يقدر فيه مضافاً أو يجعله مجازاً أو غير
 ذلك : فيسب الله . ويقال انه يعنى عباده الاشرار ويسب الانبياء فيقال أنه يريد
 معنى من المعاني . ويقذف من يشاء ويرميه بما يشاء ويؤول ذلك كله . والقرينة فى
 ذلك كله ادعاء الاسلام أو الإصلاح أو التقوى أو تسميه بأسماء المسلمين . وفى
 هذا أعظم الكفور والجنون والفساد فى الارض

هذا ان قال بالاول - وهو ما يلزم كلامه - وأما إن قال بالثانى ، أى ان
 قال : ليس كل ما يصح فيه المجاز يصح أن يطلب من العباد على سبيل المجاز ،
 بل من ذلك ما هو كفر صراح وخروج من الدين ، قيل : إذن كيف جاز عندك
 طلب غفران الذنوب وهداية القلوب وشفاء المرضى من الرسول أو من غيره ؟؟؟
 ولعل هذا الطلب من الكفر ومن مفارقة الملة ، وحينئذ لن يجد جواباً عن هذا ،
 ولا مناص له من التزام أحد الأمرين الأول أو الثانى ، وهو على كل حال خاسر
 القضية ، وهو على الفرضين واقف فى الغلط المبين ، وهذا ما نريد

ويمكننا صياغة هذا الدليل بعبارة أخرى ، بأن نقول مثلاً : دعواك بأنه
 جائز أن يطلب من المخلوق ما لا يستطيعه إلا الله كالشفاء والهداية وغفران الذنوب
 على أن يكون مجازاً ذلك المطلب لا تصح ، لأنها لو صححت لما أمكن أن يحكم على
 أحد بالردة والكفر ، ولا بالخطأ والغلط ، ولما استطيع أن يحكم على من ادعى

الاسلام بفظ ، لا كفر ولا مادون الكفر ، مهما قال ومهما أسرف في القول وجنف فيه ، وإن سب الله وسب الأنبياء وقدح في المصحف وقدح في الاسلام وقدح في الأديان كلها . بل وإن أنكر وجوب الايمان بالله ووجوب الصلاة والصيام وسائر الفرائض ، بل وإن أنكر البعث والحشر والجنة والنار والجزاء كله ، بل وإن أباح الفواحش ما ظهر منها وما بطن وادعى إباحة الزنا والخمر وجميع المنكرات ، بل وإن ادعى الألوهية والربوبية لنفسه أو لغيره وقال أنا ربكم الأعلى أو قال ما علمت لكم من إله غيري كما قال فرعون ، أو قال ما في الجبة إلا الله كما قال الخلاج أو غيره ، أو قال سبحاني عز شأني كما قال الآخر ، أو قال إن كلمة لا إله إلا الله كلمة فاسدة كما قاله من قاله من الضلال ، أو قال إن الأنبياء لم يأتوا إلا بالشرك كما قاله بعض الزنادقة ، بل وإن قال كل ما يستطيع أن يؤلفه من حروف الهجاء . وذلك لأنه يجب أن يحمل كل ما يقوله المنتسب للاسلام المحمل الصحيح من المجازات والتأويلات والتخرجات فراراً من تكفير المسلم الموحد . والقرينة على ذلك كله اسلام القائل أو ادعاؤه الاسلام والايمان

ولا يشك عاقل في بطلان هذا ، كما لا يشك في لزومه كلام هذا الرافضي المؤلف لزوماً لا خلاص له منه . أو يقال : لو كان هذا الكلام صحيحاً لما كانت العرب الذين قاتلوا رسول الله كفاراً ولا مشركين ، لأنه إذا كان المراد بالتوحيد هو الاعتقاد بأن الله الخالق لكل شيء الفاعل لكل شيء فقد كان العرب مؤمنين بذلك كله كما جاء في آيات القرآن أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ، ومن يدبر الأمور ، ومن يجير ولا يجار عليه ومن ... ومن .. يقولون إن ذلك هو الله وحده لا أحد غيره ، حتى أنهم عند اشتداد البلاء والضراء ليدعون كل من سوى الله من الأصنام والأنداد ويخلصون لله كل شيء « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وذلك لاعتقادهم بأن الله هو الفاعل وأن .

كل شيء ما خلا باطل وأنه ليس وراء الله للعره مذهب ، فالعرب مؤمنون بأن الذي يعطى ويمنع ويحيى ويميت ويفعل ما يريد ، لا معقب عليه هو الله رب كل شيء وخالفه ، فلماذا إذن كانوا مشركين كافرين إذا كانت العقيدة كما ذكر منجاة من الكفر والشرك منجاة من عذاب الله ؟ ! فانهم ما كانوا يطلبون من الأصنام والأنداد أكثر من أن يطلبوا منهم الشفاء والرزق ورد الغائبين وكشف ما بالمكروبين . هذه الأمور التي يقول هذا الرافضى انه يجوز طلبها من غير الله ، وما الفرق بين ما كانوا يصنعون وما يدعو اليه هذا الشيعى المتعصب ؟ ؟ ان كان الفرق عنده هو ايمان هؤلاء بالله فقد كانت العرب كذلك كما ذكرنا ؟ ! لا ريب أنه لو صح وهم هذا الرجل لما كان العرب كافرين ولا مشركين وان كانوا المؤمنين الموحدين

ثم نقول أيضاً ان أمثال هذه الاستغاثات والمطالب من غير الله كطلب الشفاء والهداية وإزالة الكرب هي شرك وكفر لامرية فيه ، سواء أقبل انها مجازات أم قيل انها حقيقة ، وسواء أكان القائلون الطالبون مؤمنين بأن الله الفاعل الخالق لكل شيء أم كانوا مؤمنين بأن معه شركاء فى الملك والخلق ، وسواء اعتقدوا ما قالوا أم لم يعتقدوه ، وسواء أفهموا ذلك أم جهلوه فهذه المطالب شرك بالله على كل الوجوه ، وعلى جميع الافتراضات ، وعلى رغم أنف التأويلات

وليس هنالك من يتنازع أن من الأقوال ما هو كفر وخروج من الدين وان لم تعرف عقيدة القائل ومراده ، وان كانت عقيدته ما كانت ، وأن الرجل قد يقول القول يلحقه بالكافرين وإن لم يقصد ظاهر ما قال وما يفهمه الناس منه . بل هو كفر بالوضع الدينى ، ولو أن مسلماً سخر من الاسلام أو من الله أو من رسوله مازحا غير جاد لكان كافراً ولا ريب ، أو لو أنه تكلم فى الله أو فى دينه

أو في كتابه أو في رسوله أو في الجنة والنار كلاماً فاحشاً لأجل إضحاك الناس وإدخال السرور على بعض القلوب أو إرضاء لأعداء الله وخصومه لكن بذلك القول كافرأ خارجاً من الملة وإن كان لا يصدق ما يقول ولا يعتقده

وهذا في الأقوال والأفعال . فإن الرجل يفعل الفعل يكفر به ولو كانت عقيدته وإيمانه في جانب آخر من فعله وما ظهر منه . فلو تظاهر مسلم بموافقة الكافرين على أفعالهم وما يختصون به من عباداتهم ففعل صلاتهم وصام صيامهم ، واستقبل قبلتهم وتزياً بزيم - وكان ذلك منه تهرباً إليهم وطمعاً فيما لديهم - لكن بذلك الفعل كافرأ يهودياً أو نصرانياً أو ما شاء ، وإن لم يعتقد شيئاً مما صنع ، وإن كان مؤمن الباطن والضمير

فالكفر يكون بالقول والفعل كما يكون بالقلب والعقيدة ، وكذلك أيضاً الإيمان ، وذلك أن الإيمان كما يقول السلف قول وعمل وعقيدة

وإذن فالعقيدة وحدها ليست ضماناً من الوقوع في الكفر والشرك ما لم تصن الأقوال والأفعال من ذلك ، وهذا لاختلاف فيه بين علماء الأمة المتهتدين

وإذن قول هذا الرافض أن المطالب العالية من غير الله لا توجب الكفر بل ولا الخطأ مادام الطالب يعتقد أن الفاعل هو الله وحده قول باطل بالافتقار

ثم قول أيضاً نحن لا نستطيع أن نسلم بأن أولئك الذين يستغيثون الأموات ويسألونهم ضروب الحاجات ، ويطلبوا منهم تلك المطالب العالية التي لا يستطيعها سوى الله مثل قولهم يا رسول الله اشفني أو يا فلان اهد قلبي ، أو يا سيده ارزقني أو ردي غائبى ، لا نستطيع أن نسلم بأن هؤلاء المستغيثين لا يعتقدون في الأموات المستولين القدرة على الاعطاء والمنع ، والضرر والنفع ، والشفاء والمهذى وضروب ما يطلبونه منهم ، ولا نسلم بأن هؤلاء موحدون الله توحيد البرية على ما يفهم هؤلاء المخالفون ، وأنهم لا يريدون من الموتى سوى الشفاعة والوساطة ، بل

لا نرتاب في أن من يطلب من غير الله الشفاء وهداية القلب يؤمن بأن ذلك الخلق المستول قادر على إعطائه وشفائه وإيضائه ومنحه جميع ما يسأله إياه ، ثم لا نرتاب في أنه لولا هذه العقيدة ورسوخها في نفوس السائلين الطالبين لما طلبوا منهم ولما استغاثوا بهم ، ولما فكروا في استحالة ذلك وبعد جدواه ، فإن النفوس مجبولة على الاعراض عن لا يستطيع نفعا وضرها ، وأى إنسان يملك عقله يقول لمن يعلم أنه لا يملك من الحياة قليلا ولا كثيرا ، هب لي من المال كذا وكذا ، ومن القصور كيت وكيت ، ومن الجواهر ما مقداره كذا وكذا ، أو يقول لأخي لا اقرأ ولا يكتب اكتب لي هذا الكتاب بخط واضح جيد ، أو صحح هذا الكتاب أو يقول لأخى يعلم أنه أعمى خذ هذا الكتاب وقرأه ، ونظائر ذلك ، بل وأى عاقل يطلب جاهلا أن يعالج مرضا ألم به ، وهو يدري أنه لا يعرف الطب ولا يملك من أسبابه شيئا ، لاريب أن ذلك وأمثاله مستحيل أن يصنعه عاقل يملك عقله ، ولا شك أننا إذا وجدنا إنسانا يطلب إنسانا آخر حاجة من الحاجات علمنا بأن ذلك الطالب السائل يعتقد في المطلوب القدرة والكفاءة وإلا لما سأله أو رغب فيه

فلا شك أن هؤلاء الذين يسألون الموتى الحاجات يعتقدون فيهم القدرة على ما يطلبون وهبة ما يسألون وغير هذا لا يكون معقولا ، والدلائل الخارجية على هذه العقيدة كثيرة ، منها : أنهم يسمون هؤلاء الموتى « أهل التصريف » ويسمونهم « الأقطاب » وهم لا يفهمون من كلمة التصريف غير تصرف الكون من الاعطاء والمنع والابحاد والاعدام . ولا يعنون بالأقطاب إلا أنهم الذين تسير الشئون حسب إرادتهم وما يحبون مأخوذ من قطب الرحا ذلك العصا الذى تدور عليه . ويقولون قطب الأقطاب « و « قطب الوجود » وذلك خاص بمن كانت وظيفة تصرفه ودائرة « قطبيته » أوسع وأعمق .

ومن ذلك أن الواحد منهم اذا ما نذر لأحد هؤلاء الأقطاب نذراً فتأخر في إفاذه أو أخلف ، فاصيب بأمر من الله قال ان ذلك الشيخ أصابني لأنى لم أوف بنذره ، فاجتهد ذلك المسكين في التقرب الى الشيخ من تقديم النذور والقراين ، والصدقات ، وإتيانه من المكان السحيق ، حتى يرضيه ويطمئن الى رضاه . وهذا لا نزاع في وجوده بين كثيرين من المدعين الاسلام . ولا ريب أن هذه الأعمال كلها دلائل لا حيلة في دفعها على إيمانهم بقدرة الأموات واستطاعتهم النعم والضر ومن ذلك أن هؤلاء الغلاة في القبور اذا وجدوا من لا يعنى عنايتهم بها ، يحذرونه الشر والمصيبات وينصحون له بزيارة المشايخ وتقديم ما يمكن تقديمه والا فبيته صائر الى الخراب ، ويهره متتابعون الى الهلاك ومصبوحون جزر الأحداث والأرزاء الجسام . ومن ذلك ما نلاحظه من الخشوع الذي يملوه هؤلاء الغلاة عند زيارتهم شيخاً من الأسياف وما يرهقهم من الذلة المزوجة بالمهانة المخلوطة بالدسوع الحرى والأقاس المتتابعة والتأوهات العميقة

هذه الأمور التي لا تكون الا فيمن مما به الأمل حتى جاوز السماوات ، وخفضه الوجل حتى هوى في أسفل الدركات . ولن تكون هذه الأعمال بين يدي من يعلم أنه لا يستطيع الضر والنفع والاعطاء والمنع . اللهم انا نشهدك أن هذا غير معقول

أما خرافة الحجاز وما يدعيه المحرفون هنا من المستغيبين بالأموات الداعين لهم أنهم يريدون بذلك الحجاز العقلي الاسنادى ، وانهم لا يقصدون أكثر من ذلك ، فهذا القول مهزلة من مهازل عباد القبور والغلاة في الأجداث

ونحن لا نشك في أن أكثر هؤلاء الدعاة للأموات لا يعرفون هذه المسألة المجازية أصلاً ولا يدرون ما الحجاز لا الاسنادى ولا غيره ، ولا ما الحقيقة فضلاً عن أن يعرفوا أن هذه المسألة بعينها مجاز وأن القرينة هي التوحيد والإيمان ولا يدرون

(١٠٢)

من هذه العملية الاصطلاحية قليلا ولا كثيراً . وهؤلاء الدعاة أقل وأخفى من أن يقصدوا بقولهم اعطنى يا رسول الله كذا سؤاله أن يكون سبياً فيما يطلبون . ولو كانوا يريدون ذلك لفأهوا [بما يريدون واختصروا الطريق وجاءوا المسألة من بابها

وما أبعد عقول الدهماء والجهال عن أن يقولوا اشفنا أو رد غائبنا يا رسول الله وهم لا يريدون إلا كن لنا سبياً وشفيعاً فيما نرجوه ، وما أظن أمثال هذا المؤلف يريد ذلك حينما يستغيث ويلجأ الى موته

وغريب أن يريد الانسان شيئاً ويطلب سواء من غير فائدة ولا حكمة معقولة فنحن تنازع هذا الرافضى فى ادعائه أن دعاة الاموات لا يريدون منهم إلا الشفاعة ولا يريدن بقولهم إلا المجاز

على أننا نقول هب الأمر كما ذكر ، وهب أن مرادهم سؤال الشفاعة والوساطة لا غير ، ولكننا نمنع جواز طلب الشفاعة من الاموات ، ونقول ان هذا من أعمال المشركين الذين يتقربون الى الله بل رجوع الى الاموات ، وبيان هذه المسألة يأتي فيما بعد في الباب الخاص بها

ثم ان هذا الرافضى لم يوفق حتى ولا فى المثل التى يجعلها حججاً يتشبث بها فى دعاويه . فانه زعم أن قول القائل يا رسول الله اشفنى جائز كقوله أنبت الربيع البقل . وهو فى هذا غلط غلطاً فاحشاً بينا . وذلك أن قول القائل يا رسول الله اشفنى إنشأنى طلبى . وقوله أنبت الربيع البقل خبرى . والشبهة قد تجوز لو كان جائزاً للمسلم الموحّد أن يرغب الى الربيع وأن يطلبه طلباً حقيقياً إنبات البقل . ونحن نقول ولا نخشى مخالفاً إن من ضرع الى الربيع وطلب اليه بنخشوع وذلة وأمل ووجل أن يثبت البقول وأن يخرج الأثمار والازهار كما يفعله بين يدي الميت من المشايخ المعظمين ، قول ان من يطلب من الربيع ذلك الأمر خاشعاً خاضعاً مستكيناً

(١٠٣)

فهو خارج من الملة خروجا صريحاً لا شبهة فيه ولا ريب . ومثله من يضرع الى الشمس والى القمر والى الاجرام العلوية طالباً منها الحياة والشفاء . فان هذا هو عبادة الشمس والقمر والافلاك . وهذا لا فرق بينه وبين من يطلب من الربيع إنبات البقل طلباً كما يطلب من الأموات

ولو أن انساناً طلب من الشمس الشفاء والحياة والرزق لكان في نظرنا أقرب الى الحق ممن يطلب الى الأموات ذلك . والفرق بين الأمرين واضح جلي فاستبان أن المثال الذي ظفر به هذا المؤلف الشيعى هو رد عليه وإبطال لدعواه إبطالا لا حيلة له فيه . وذلك جزاء الظالمين ، وما للظالمين من أنصار هذا ومن جهل المرء بما لا يستطيع جهله التسوية بين الاستغاثة بالأموات وسؤالهم ضروب الحاجات ، وبين قول القائل أنبت الربيع البقل . فان سؤال الموتى لن يكون إلا مصحوباً بالخشوع والخضوع والخشية الظاهرة والباطنة ، ثم التمسك والخشوع لذلك الميت المسئول . وهذه الأمور هى لباب العبادة وخلاصتها . وليس كذلك قولهم أنبت الربيع البقل . فان أحداً من الناس فيما نعلم لا يمكن أن يصطحب قوله أنبت الربيع البقل شئ من الخشية والخضوع للربيع . وما يزيد هذا عن قولنا : مات فلان وجاء فلان ، وجاء الربيع وذهب الربيع ، إخبار فقط . ومن ذا لا يفرق بين الحامين ؟

ثم إن سؤال الأموات موضع غلو واقتتان ، يكون أبداً خطراً على العقيدة والتوحيد ، دَفْعاً الى الكفر والشرك بخلاف قولهم أنبت الربيع البقل . وقد عبد البشر البشر ولا يزال يعبد . وقد أله أوائل الشيعة الخليفة علياً فأحرقهم وهم الى اليوم يؤلهونه هو وذريته ويرون حلول ذات الله فى ذواتهم . فن المقول أن يفرق بين الأمرين لما يوجد بينهما من الفرق فى الجوهر والمعنى

بعد هذا كله نستطيع أن نرد على هذا الضلال بنوع آخر من الرد ، كأن

قول مثلاً إذا كان مثل هذه الاستغاثات بالعباد معناه طلب الوساطة والشفاعة لفة ، وكان هذا جائزاً ديناً ولفه ، فلماذا لا ننجد أحداً من المسلمين المهديين لامن الصحابة ولا من جاءوا بعدهم واتبعوهم باحسان فعلوا ذلك فدعوا الاموات وطلبوا منهم الشفاء والغنى والرزق ورد الغائبين وشفاء المرضى ، وهذا الرفض وإن أسرف في الدعاوى الباطلة لا يستطيع أن يدعى أن أحداً من الصحابة طلب من الرسول ولا من غيره حياً ولا ميتاً شفاء ولا هداية قلب ولا رد غائب ولا إغاثة مكروب محروب ، ولا غير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله فاجاء لا بسند صحيح ولا ضعيف أن أحداً من الصحابة قال يا رسول الله اغفر ذنوبنا أو اهد قلوبنا أو أغثنا أو ارزقنا أو ماشابه ذلك . بل كانوا يأتونه عليه السلام ويقولون له - اذا ما ناهم نائب - يا رسول ادع لنا ربك ينزل علينا الغيث والمطر ويشفي مرضانا ويبارك لنا في كذا وكذا . فيقوم رسول الله فيدعو الله لهم . وهذا متواتر معلوم . وانما نعلم يقيناً وكل المسلمين يعلمون أن أحداً من أصحاب رسول الله لم يقل يوماً يا رسول الله أغثنا أو وسع رزقنا أو اشف مرضانا . ونعلم أن أحداً منهم لو قال ذلك لأنكره عليه رسول الله كل الانكار ولما رضيهم منهم . ولقد قال له رجل يوماً ماشاء الله وشئت فقال له عليه السلام « اجعلني لله ندا . بل ماشاء الله وحده » ولما استغاث به بعض الصحابة وهو حي بين أظهرهم من منافق كان يؤذي المؤمنين قل لهم « إنه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله » ولقد قال خطيب يوماً أمامه ومن يطلع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له عليه السلام بأس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى »

وذلك لجمعه بين الضمير العائد على الله والضمير العائد على الرسول الكريم وما يكون ذلك بالنسبة الى طلب الشفاء والرزق من الرسول وغيره ونحسب أن رجلاً لو طالب منه صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك لأنكره عليه كل الانكار

ويمكن القول في الرد على هذا الضلال واسع جداً يستطاع أن يؤتى من طرق كثيرة ، كل منها يوصل الى هدمه وتقويضه . فان الله الذى خلق الحق والحقيقة خلق الباطل ذليلاً أبين وجد وحيث كان ، لا يستطيع مقاومة الحق ولا يخفى على من أراد الهداية الفرق بينهما . وسوف يجىء لهذا زيادة بيان فى الأبواب الآتية

(ثالثاً)

قوله وقد اختلف فى الأمر هل هو للوجوب أو للندب أو مشترك بينهما وفى النهى هل هو للتحريم أو للكرهية أو مشترك بينهما ؟ يقال فيه نعم قد وجد الخلاف فى ذلك بين علماء الكلام والنظر . ولكن اتفقت كلمة السلف وقر رأى عامة المسلمين على أن الأمر « كإلزام » وما يتصرف من هذه الكلمة مثل : أنتم مأمورون ، أو أمرناكم للوجوب والالزام ، بحيث أن من ترك ما أمر به يؤاخذ به الله يوم الدين الا إذا قامت قرينة على أن أمراً معيناً ليس للوجوب والالزام . وحينئذ يصار حيث تدل القرينة ، وإذا قامت القرينة على أن أمراً معيناً ليس للوجوب تردد بين الندب والاباحة فقد يكون ندباً وقد يكون اباحة ، والآخر يكون إذا ما أتى الأمر بعد الحظر كقوله تعالى « وإذا حللتم فاصطادوا » وقوله : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث الصحيح « كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام فادخروا وكلوا وتصدقوا » ، وقوله عليه السلام فى الحديث الآخر الصحيح « كنت نهيتكم عن الاتباز بكذا وكذا من الأواني فانتبذوا بما شئتم غير أن لا تشربوا مسكراً »

وظاهر كلام هذا الرافضى أن الأمر يدور بين الوجوب والندب والاشتراك

بينهما دائماً ، ولكن الأمر كما ذكرنا نحن ، وإذا لم يكن هنالك قرينة على التنب والاباحة فلا بد من الحل على الوجوب والدلائل على هذا لا تحصى ، ولولا ذلك لما استطعنا أن نفهم أن الحج والزكاة والصلاة والصيام وسائر فرائض الاسلام واجبة فان الذى جاء فيها هو أوامر شديدة ووعيد شديد لمن ترك تلك الفرائض فإذا ما كانت الأوامر ليست للوجوب وكان الوعيد الشديد يكون لترك المندوب كما يقول هذا المؤلف فكيف يستطيع أن يقطع بأن أمراً من الأوامر أو فريضة من الفرائض واجبة ؟

لا ريب أن الذهاب الى هذا الرأي انحلال من الدين جملة وتفصيلاً وكذلك اتفقت كلمة السلف واستقر رأى المسلمين على أن النهى مثل « لا تفعل » وما تصرف من ذلك مثل أنت منى ، أو نهيتك للتحريم ما لم تكن فى الكلام قرينة تبين أن النهى المعين ليس للتحريم ، وحينئذ يصار الى ما ندل عليه القرينة ، وأما عند فقدان القرينة فلا بد من الحل على التحريم ، ومن لم يصنع ذلك لم يستطع أن يقطع بأن الفواحش الظاهرة والباطنة محرمة من النهى عنها ، بل قد تكون مكروهة كراهة تنزيه فقط ، وأما الوعيد عليها باللعنات والنار فلا يدل على التحريم أيضاً عند هذا المصنف ، فقد ذكر أن تارك المندوب أو فاعل المكروه يوعد بالنار ويلعن . وهذا مؤد ولا محالة الى الاباحية المطلقة . وهذا هو ما يرى اليه هذا المؤلف وهذا هو قيمة ردوده على النجديين أهل السنة والجماعة الذين ينهون عن الفواحش بصرامة ، ويأمرون بالطاعات بصرامة ، ولا يقبلون من يتهاون فى ذلك

وليعلم أن الدلائل الدينية واللغوية والعقلية على أن الأمر المطلق للوجوب ، والنهى المطلق للتحريم كثيرة جداً مذكورة فى كتب أصول الفقه استطاع مراجعتها بسهولة ، ونحن إنما غرضنا هنا ذكر ما يقتضى كلام هذا الرجل من الفساد

والأنحلال حيث ادعى أن معرفة المحرم والواجب من النصوص عزيزة عصية
 ومع هذا الرجل وطائفته !!! تارة يدعون أن الكتاب والسنة يدلان على كل
 شيء حتى على العقائد الفاسدة وعلى كل الضلالات كما تقدم ، وتارة يدعون أنه تعز
 معرفة الواجب والمحرم ومعرفة فرائض الاسلام ، وتارة يدعون أن الكتاب محرف
 مزيد فيه منصوص منه ، وتارات يدعون أقبح من هذا وهذا كما سوف يمر بك
 الشيء الكثير من هذا الخلط في أثناء هذا الكتاب . وأنت اذا ما فكرت في
 الحامل لهذا الرجل على الاصطدام بهذه الحقائق الاسلامية العليا ، وفي محاولته
 القدح في النصوص وقيمة النصوص عرفت إن كنت فطيناً أن الحامل له على ذلك
 كله هو طمعه في التوصل من حجج القرآن والسنة التي يدلى بها أهل الكتاب والسنة
 على امتناع دعوة الأموات وامتناع الرعونات الشيعية . فان هذا الشيى يعرف أن
 نصوص الاسلام ضده وضد ما يدعو اليه ، فلا سبيل له إلا القدح فيها بإيراد
 الشبهات عليها ، ولو كان معه شيء من النصوص لما ذهب هذا المذهب الأبعد ،
 ولما غص بالكتاب والسنة كل هذه النصوص ، وما الله بغافل عما يعمل الظالمون

(رابعا)

قوله وفي الكتاب والسنة المبالغات كسائر كلام العرب ، الجواب عليه أن يقال
 ان المبالغة في كلام العرب أقسام منها الكذب الصراح المستهجن والمجازفات المذكورة
 على الشاعر ومن الشاعر نفسه . وهذا القسم من المبالغة لا يمكن أن يدخل كلام
 الله ولا أن يدخل كلام رسوله . وهذا القسم لو ارتكبه عالم من العلماء لكان غالطاً
 ولكان فاعلاً ما لا يجوز مثله من مثله ، ومن مثل هذا القسم قول الشاعر :
 كفى بجسمى نحولاً اتى رجل لولا مخاطبتى إياك لم تورى
 وقوله أيضاً :

ان كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام
وقول الآخر :

لاخفت أهل الشرك حق انه لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا النوع من المبالغات قد أباحها علماء الأدب والنقد على الشعراء أنفسهم ،
وهم يقولون ان أحسن الشعر أ كذبه ، فكيف يمكن أن يدخل كلام الله وكلام
رسوله ؟ هذا ما لا يكون ، وكلام هذا المصنف صريح في أنه يجوز عنده هذا النوع
في الكتاب والسنة ، والمسلمون والعقلاء جميعاً ينزهون كلام الله وكلام رسوله عن
هذا الهراء القبيح ، فكلامهما لن يتصل به شيء من المبالغة التي تخرج عن نطاق
الصدق والحق ، وذلك أنه لا يراد منهما سوى الصديق والحق ، ولهذا نجله يقول
تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » ويقول « وان يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم » وانتظر الى تقييد الكلام « يكاد » في الموضعين بعداً عن
المبالغة الكاذبة التي يترأ كض الى تصيدها الشعراء

ولا يظن القارىء أن قوله تعالى « ومكروا مكرم وعند الله مكرم وان كان
مكرم لنزول منه الجبال » من هذا النوع الممنوع بل ان « ان » هنا نافية والمعنى وما
كان مكرم لنزول منه الجبال لحقارته وضآلته وضعفه ، وقد جاء في بعض القراءات
« ما » بدل « ان » أى وما كان مكرم والمراد من الآية أن القوم وان كانوا
شديدي المكر والدهاء والمحال فهم أقل وأضعف من أن يغالبوا الله سبحانه فيزيلا
ما وطد أو يهدموا ما شيد كقوله تعالى « ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن
تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً » أو يكون المراد بالجبال هنا آيات الله وبنائمه
أى انهم لا يستطيعون أن يزولوا براهيننا وآياتنا التي أعطيناك إياها فنفسوها عليك
وغاظهم ذلك منك ، والمعنى على كل صحيح سليم جيد

وهذا هو سبيل القرآن والسنة الذي لا يختلف لا يصل الى المبالغة الخارجة
عن الواقع والصدق

وكلام هذا المؤلف ينبؤنا أنه باطنى غال متعصب ، فانه يسعى طاقته للتفصى
من ظواهر النصوص وزرع الدلائل منها بما استطاع من ادعائه ضروب الاحتمالات
تارة بادعائه المجازات وتارة بادعائه المبالغات وتارة بادعائه الاشتباه وتارة بقده
في الروايات والرواة وتارة بغير ذلك من الدعاوى الزامية عن قوس قرمطية هوجاء
واسكنه في كل ذلك لا يريش ولا يبرى

وأما تسمية بعض المعاصي كفراً كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح :
« اذا أبق العبد من مواليه فقد كفر » وقوله : « اثنتان في الناس هما كفر الطعن في
الأنساب والنياحة على الميت » وأشبه ذلك فليس من المبالغة في شيء كما يدعى
هذا الرافضى

فان حاصل قوله : إن ذلك ليس كفراً ، ولكن الشارع سماه كفراً تهويلاً
وإرهاباً ، أو كذباً بالعارة الصريحة . وهل يكون الالحاد والتدح في الدين
غير هذا

هذا منزع للملحدين قديم يرمون من ورائه الى انتزاع الثقة من الأديان .
يقولون إن ما في النصوص من أهوال يوم القيامة المعدة للكافرين ، ومن اللذات
المعدة للمؤمنين هي أقوال غير صحيحة يراد بها المبالغة وحفز الناس الى الطاعات ،
واجتناب المعاصي ، ولكن لا شيء من ذلك واقع صادق . ونحن نقول : كذبوا
والله هم ، وصدق الله رسوله في وعده وإيعاده ، والله لا يقول للشيء إلا
ما يستحق ، فلا يسمى ما ليس كفراً كفراً ، كما لا يسمى ما ليس إيماناً
إيماناً ، لا على سبيل المبالغة ولا على سبيل غير سبيلها ، بل لا يسمى الأمر
غير اسمه

أما تسمية المعاصي كفراً فليست مبالغة بل هو وضع شرعى لها . فهي كفر حقيقة . ولكن الكفر أنواع كما جاء عن عبد الله بن عباس « كفر دون كفر » فانكار الله كفر ، وانكار الاديان كلها كفر ، والشرك بالله مع الايمان به كفر والمعاصي التي مماها الشارع كفراً ككفر . ولكن هذا الكفر ليس في مرتبة واحدة من الشناعة والقيح . فكفر يخرج من الملة وكفر لا يخرج منها ، بل يكون صاحبه مسلماً آتياً بما يسمى كفراً . وكذلك كل ما فيه مخالفة لأمر الله ، يقال فيه ذلك . فالظلم مثلاً أنواع منه المخرج من الدين كالشرك بالله كقوله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » ومنه مالا يخرج منه ، وهو مادون ذلك . ومنه المخلد في النار ومنه ما ليس بمخلد . وكذلك الشرك منه الأصغر الذي لا يوجب الخلود في العذاب ومنه الأكبر الذي يوجب الخلود في العذاب المقيم الأليم

ومثل ذلك الايمان بالله نفسه . فنه الايمان الصحيح البرى من الشرك ومنه الايمان الممزوج بالشرك الذي لا ينجى صاحبه كايان الكافرين بأن الله خالفهم وخالق كل شيء حتى أصنامهم . كقوله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » هذا هو سبيل هذه النصوص . وبها ينجو المرء من مزالق وقع فيها كثيرون . أما ما ذكره من التأويل لما أضيف الى بعض الانبياء وزعمه أن ذلك بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والفتوى ، فهو تأويل بعيد عن الورع والتقوى بعيد عن الفقه والفتوى . فانه يقضى بأن يكون للكتاب والسنة لسانان وخطابان : لسان للورع ولسان للافتاء أحدهما مخالف الآخر ، وخطاب للاولياء والانبياء وخطاب لعامة الناس ، أحد الخطابين مخالف الآخر . وهذا كذب وانحلال فان خطاب الشارع هو خطاب فتوى وتقوى . فخطاب التقوى لا بد أن يكون خطاب فتوى . وخطاب الفتوى لا بد أن يكون خطاب تقوى . والخاصة والعامة في ذلك سواء . فما سماه الله من نبي معصية أو ذنباً لا يمكن أن يسميه من غيره

طاعة وقربة . وما ممتاه من عامة الناس طاعة وقربة لا يمكن أن يسميه من الانبياء
والاولياء ذنباً . ولو كان الأمر كذلك لما صح للعامة أن يقتدوا بالخاصة من
الانبياء والاولياء إذ يكون حينئذ لكل من الطائفتين خطاب ولسان وعمل خاص
به ونحن اذا ما نظرنا الى ما نسب الى بعض الانبياء تبين لنا فساد قول هذا الرجل
بوضوح وجلاء ، فننظر مثلاً الى ما نسب الى آدم عليه السلام من خطيئة ، فنجد
أن الله نهاه عن الأكل من الشجرة وحذره ذلك تحذيراً واضحاً ، ثم نجد أنه قد
أكل من الشجرة ، فقال الله له اخرج من الجنة ، فأخرجه منها وقال في هذه
الخالفة « وعصى آدم ربه فغوى » ثم ندم على أكله من الشجرة واستغفر ربه
وأناب اليه فتساب الله عليه ، فهل يسمى الله أكله من الشجرة طاعة ، أو هل يقول
انها ليست معصية لو كان الخطاب بلسان الفتوى لا بلسان الورع المدعى ، أو لو
كان المدعى عن الأكل من الشجرة الآكل منها واحداً من عامة الناس ؟ ؟ كلام
هذا الرجل يقضى بأن يكون الجواب « نعم » ولكننا نحن نقول اللهم لا

ثم ننظر الى ما حكاه الله عن نبيه موسى عليه السلام من قتل القبطى بوكزة
كانت هى القاضية عليه ، فاذا ما افترضنا هذا القتل غير مشروع أو افترضنا
أن موسى عليه السلام كان متعمداً للقتل ، اذا افترضنا ذلك فهل يقال ان موسى
عاص مقترف ذنباً لأنه يخاطب بلسان الورع والتقوى ويقال لفاعل مثل فعله من
عامة الناس كأن يقتل رجلاً بوكزة انه غير عاص ولا مذنب لأنه يخاطب بلسان
الدين والفتوى ؟ كلام هذا الرافضي يقضى بأن يكون الجواب « نعم » ولكننا
نحن نقول اللهم لا

هذان مثالان من الأمور المضافة الى بعض الانبياء يفسدان على هذا الشيعى
قوله وتأيولاته الباطنية ، وليقمس عليهما ما لم نذكره
أما الذي نقوله نحن ونقول به جمهور المسلمين ويشهد له الكتاب والسنة ، فهو

أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد تقع منهم أحياناً ذنوب صغيرة وأخطاء يسيرة إقراراً للإنسانية فيهم ، واعترافاً لهم بالضعف أمام الله وأمام جبروته وكالاته ، ولكنهم يتوبون من ذلك بلا ريث ولا تأخير « أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » ثم إن الله لا يقرهم على تلك الذنوب الصغيرة بل يعاتبهم وينبهم فيزدادون بذلك رجوعاً إلى الله وإنابة إليه وكم من مرة يزداد بالذنوب قرباً إلى ربه ، ويزيده تعالى تقيماً إليه ، لما يعقب ذلك من الندم والإنابة والخشية والوقوف بين يديه ضارعاً مستكيناً ، كما قد يزداد بالطاعة بعداً من الله لما يكون مع ذلك عند المائنين على الله من الاغترار والانخداع والامتداح بما عملوا وبهذا التفسير لا حاجة إلى التأويلات الباطنية التي حشدها الشيعة في كتابه هذا تفليلاً وجهاً

الامر السادس

قال فيه ما مختصره « ليست جميع المعاصي ولا الكبائر كفراً لكن قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر والشرك والتفان تعظيماً للذنوب وتحذيراً منه أو تشبيهاً لما أخذته لعظمها وبؤسها الكفر كما قد جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو بعض المكروهات بينما لنا كمد الاستحباب حتى كأنها واجبة ، ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة ، أو لأن التهاون بها ربما يجر إلى التهاون بالواجب ، كما ورد أن من ترك فرق شعره فرق بنشار من نار . ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كل من المحلل والمحلل له ، ولعن النائم في البيت وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده ، وإطلاق المعصية على فعل المكروه ، كما في المعاصي المنسوبة إلى الأنبياء . قال : وحكم

الوهابيون بكفر تارك الصلاة وإن لم يكن مستحلاً واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام أو شعائره على عاداتهم في تكفير المسلمين وإحلال دماهم اقتداء بالخوارج »

وهنا نقل من كتاب الهدية السنية لعلماء نجد كلاماً في حكم تارك الصلاة وفيها أن العلماء مختلفون في إكفار تارك الصلاة ، وذكر أدلة الفريقين وذكر بعض الأحاديث الدالة على كفر تارك الصلاة وفيه أيضاً أن العلماء مختلفون في قتل تارك الصلاة وأن الجمهور ومنهم الأئمة الأربعة خلافاً لحنفية قائلون بقتله وذكر من دلائلهم قوله تعالى في سورة التوبة « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » وقوله ﷺ في الحديث الصحيح : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ثم قال بعد ذلك :

« ونقول أما الأحاديث التي أطلق فيها الكفر على جملة من المعاصي فقد عرفت أنه لم يرد بها الحقيقة ، وأما الاستدلال بآية فاقتلوا المشركين فغير صحيح لأن الاسلام قول باللسان وعمل بالآثار كان فمن كان مشركاً وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الاسلام لا يحكم باسلامه بخلاف السلم للوحد المولود على فطرة الاسلام الملتزم بأحكامه الفاعل لها اذا عصى بترك فرض يعتقد وجوبه ويعلم أنه عاص بتركه فالآية واردة في الأول لا في الثاني . والحاصل أنه لا يجوز التهجم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة وبأقوال الاجهوري والأذري والحرائي والهيتمي »

ونحن نسأل الله أن يفرغ علينا صبره كي نستطيع مجابهة مافي هذا الكتاب من العناء والبلاء والخروج عن الصراط المستقيم

(اولا)

قوله : ليست جميع المعاصي كفراً ، لا معنى لحشره هنا لأن القوم الذين يزعم أنه يرد عليهم لا يقولون ان جميع المعاصي ولا جميع الكبائر كفر . فلا يدعون أن الزاني والسارق والقاتل وظالم الناس وآكل الربا وأموال الناس بالباطل ، لا يدعون أن أحداً من هؤلاء كافر إذا ما كان مؤمناً بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر إيماناً صحيحاً ، وإذا ما سلم عمله من الشرك بالله وعبادة غيره . بل هم يبرءون ممن يكفرون المؤمنين العصاة ، ويعلمونهم مخالفين الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة المهديين ، ويوردون من الدلائل على ذلك أشياء كثيرة لا يعلمها هذا المؤلف ولا طائفته ، وهذا مذكور في كتبهم المطبوعة لا يخالف فيه واحد منهم

فما الذي دعا هذا الرافضى الى حشده هذا الأمر في هذا الكتاب ؟ ؟ ؟ انه يريد بذلك التضليل وترويج الكذابة على أهل نجند وغيرهم من أهل السنة بزعمه أنهم يكفرون بالذنوب ليدعى أنهم هم الخوارج كما سوف يجرى في مقدمته الثالثة

(ثانيا)

ان الشيعة في الحق هي التي تكفر بالذنوب لا من يرد عليهم هذا الشيعى العنيد فانهم يكفرون من لا يؤمن بامامهم المعصوم المنتظر ، ومن لا يؤمن بالعصمة لأنهم ومن لا يقدم علياً على أبى بكر والخلفاء ، ومن لا يبرأ من معاوية وعمر بن العاص وعائشة والآخرين ، بل ويكفرون الخلفاء ارشدين الثلاثة لأنهم كما زعموا اغتصبوا الخلافة من الخليفة الحق على ، ويكفرون من مكن هؤلاء الخلفاء من الخلافة وقدمهم على علي رضى الله عن الجميع ولا رضى عن سب أحداً منهم ، وقد يكفرون كل من لا يكون شيعياً من المسلمين الأولين والآخرين وفي هذا الكتاب الذي تنولى الرد عليه ص ٦٥ يبتان من الشعر في غاية البذاءة والوقاحة يقدس

قائلهما في غير الشيعة من آل البيت أشنع القدح ، مع العلم بأن أكثر آل البيت ليسوا شيعة ، والبيتان هما :

إذا علوى تابع ناصبياً لمذهبه فما هو من أبيه

فإن الكلاب خير منه طبعاً لأن الكلاب طبع أبيه فيه

والناصبى عند هؤلاء القوم البعداء هو من قدم أحداً على علي في الخلافة أو فضله عليه ، فكل علوى يفضل أبا بكر أو عمر أو عثمان أو يقدمهم على علي فليس لأبيه ولا منه ، أى أنه ابن زنا ، وهو شر من الكلاب خلقاً وطبعاً لمحافظة الكلاب على طباع آبائها بخلاف العلوى الذى يفضل أحداً على علي . فالمسلمون الذين لا يفضلون علياً على جميع الصحابة هم شر من الكلاب ، والكلاب خير منهم طبعاً عند الرافضة والشيعة ، وهذا شر ما يكون من القدح والأذى . وقد ثبت في البخارى وغيره من طرق لا تحصى أن علياً نفسه كان يفضل أبا بكر وعمر على نفسه وعلى غيره فهو ناصبى وهو شر من الكلاب عند هؤلاء القوم للمبدين وفى كتاب الوشيعة (ص ٢٤) تحت عنوان : « كتب الشيعة في الفرق الاسلامية » :

« صرحت كتب الشيعة أن الفرق الاسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة . والمخالف مطلقاً شر من الكفار . وصرحت كتب الشيعة أن دم الناصب وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز . والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول والثانى على علي أو يمتد إمامة الأول والثانى . ويقول كتب الشيعة أن الله قد نصب علياً طلياً بينه وبين خلقه من أنكره فهو كافر ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وإن إيمان المخالف في الامامة لا إيمان له هو للنار وإلى النار . والمخالف في الامامة حكمه حكم للمشرك والكافر في جميع الأحكام ، كمن أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة . وإذا ظهر القائم قائم آل محمد أجرى على المخالف في الامامة حكم للمشرك والكافر في جميع الأحكام . ويقول

(١١٦)

الامام الباقر والصادق : لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتلهم كلهم ، ويقول الامام في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة : لا تأثمهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن ملهم المشركة . وفي التهذيب^(١) كان الصادق يقول خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع اليها الخمس^(٢) .

فهذا القول الذي ذكره هذا المصنف هنا يوجه الى طائفته وبني دينه الرافضة لا الى أهل السنة

(ثالثاً)

أما إطلاق الكفر والنفاق والشرك على بعض الذنوب فقد تقدم الكلام عليه في الأمر الذي قبل هذا وتقدم أن هذه الاسماء ، الكفر والنفاق والشرك أنواع صغرى وكبرى مخرج من الملة وغير مخرج كشأن جميع الاسماء الشرعية وغيرها منها ما يكون المعنى الأكبر ، ومنها ما يكون المعنى الأصغر ، ومنها ما يكون لما بين ذلك فلاستغانة بالموتى مثلاً شرك أ كبر ، والحلف بغير الله شرك أصغر ، كما جاء في الاحاديث . فـ كلا العاملين يسمى شركاً تسمية حقيقية شرعية ، ولكن أحدهما أكبر مخرج من الاسلام ، والثاني أصغر غير مخرج من الاسلام . وكذلك جعود القرآن والاسلام مثلاً كفر ، وقتال المسلمين كفر ، كما جاء في الاحاديث الصحاح ، ولكن الكفر الاول كفر أكبر مخرج من الاسلام ، والثاني دون ذلك

(١) التهذيب أحد كتب الشيعة المعتمدة

(٢) يلاحظ أن الشيعة تنسب الى أئمة آل البيت كذباً وهي تسبهم فيما تحسب

أنها تستلذ بأقوالهم

والكذب على الله وعلى كتابه وادخال ما ليس منه فيه من أفعل أنواع الكذب وأكبرها وهو كذب مخرج صاحبه من دين الله . والكذب على الناس لأسباب دنيوية ككذب لكتبه دون الاول فظاعة وعاقبة وعقوبة . وكلا النوعين كذب ولكن شتان ما بين النوعين . بل والايمان بالله منه الايمان الصحيح النقي المستوجب رضا الله . ومنه الايمان المشوب بالشرك والكفر بالله ، كإيمان المشركين . وهذا قد تقدم

أما التأويلات التي ذكرها الشيعي فهي تأويلات فاسدة قرمطية

(رابعا)

أما زعمه أنه جاء التهديد بالنار واللعن لمن ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات ، فزعم يأباه الله ورسوله والمؤمنون . فان الله لا يمكن أن يوعد بالنار أو يلعن إلا من يستحق ذلك الوعيد وتلك اللعنة . ولا يستحق النار واللعن إلا من فعل فعلا منكرا أو ترك أمرا واجبا . فانه لو قال من فعل كذا فله النار وكان ذلك الفعل الموعود عليه أمرا مستحبا ليس واجبا فعله ولا مؤاخذا فعله لكان ذلك القول كذبا صحيحا صريحا ، والله لن يكذب أو يخلف في وعده أو إبعاده . ولو قال من فعل هذا الامر فهو ملعون ، وكان ذلك الامر في الواقع أمرا غير واجب ولا معاقبا عليه ، لكان ذلك القول كذبا أيضا . لان اللعن معناه الابعاد من رحمة الله ورضاه ، كما يقول العلماء ، وكيف يبعد من رحمة الله من لم يفعل محرما ومن لم يدع واجبا ؟ هذا ما لا يكون

واذا كان الله يلعن ويوعد بالنار من يدع المستحبات ومن يفعل المكروهات فكيف يمكن أن يعلم الواجب من غيره والحرام من الحلال ؟ أمن الامر والنهي مثل (افعلوا) و (لا تفعلوا) ؟ إن هذا الرجل قد ذكر في (الأمر الخامس)

أن هاتين الصيغتين أي الأمر والنهي لا يدلان على الوجوب ولا على الحرمة دلالة
بيّنة لكثرة اللبس والاختلاف . وذكر هناك أيضاً أنه يصعب معرفة الواجب
والحرم من الأمر والنهي

فإذا كان الأمر بالشئ والوعيد بالنار واللعن لا يدل شيء منها على وجوبه
شرعاً ، فن أين يعلم وجوب الواجبات ؟ وإذا كان النهي عن الشئ والوعيد
بالنار واللعن على فعله لا يدل على أنه حرام شرعاً فكيف يعلم أن شيئاً من
الأشياء حرام شرعاً ؟ لاجرم أن أقوال هذا الرافضى تقضى بأن لا يعلم الحلال
من الحرام والواجب من غيره . وهذا عين الفوضى والانحلال والاباحية للسرفة
وهل يستطيع هذا المصنف أن يتصل من هذا الالتزام المخرج ؟ ليفعل إن
كان مستطيعاً

والأحاديث التي استدلل بها هنا قوله (من ترك فرق شعره فرق بمنشار من
النار) وقوله (لمن النائم وحده والمسافر وحده وآكل طعامه وحده) هي أحاديث
تحتاج الى الصحة والاثبات وبغير ذلك لا تقبل . وهذا خالف ما قاله (في الأمر
الخامس) وقدم من أنه من الخطأ المحض القول بمضمون الخبر لوجوده في الكتب
أو تصحيح بعض النامس له . وهذه الأخبار لو صحت لكان فرق الشعر واجباً
ولكان نوم الرجل وحده وأكله وحده وسفره وحده حراماً . فهل يستطيع تصحيح
هذه الأحاديث ؟ هذا ما يعسر عليه

وأما حديث المحلل والمحلل له فهو حديث رواه الامام أحمد والنسائي
والترمذى وصححه وروى مثله من طرق أخرى صحيحة

و (المحلل) هو الذى يتزوج المرأة قاصداً أن تحل لزوجها الأول . و (المحلل
' هو الذى يرضى ذلك ويطلبه . وهذا العمل من الفاعلين في غاية الخسة وضعة
ومغارها وهو حرام شنيع على الاثنين معاً (المحلل والمحلل له) وعلى المرأة

أيضاً اذا كانت عالمة وقد جاء في حديث آخر أن الرسول ﷺ قال (ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل ، لمن الله المحلل والمحلل له) رواه ابن ماجه ، ولا نحسب إنساناً يشتمل على شيء من إباء النفس والرجولة الحرة يرضى بأن يقدم زوجه الى رجل وحش ليفترسها كي يفترسها هو من بعده وعندنا أن هذا النوع من أقبح أنواع الزنا المنكر . فمن ذا الذي قال لهذا الرافضى إن هذا العمل ليس حراماً ، وقد اعترف أن الرسول ﷺ لعن فاعله ، ومن ذا الذى أعلمه أن ذلك حلال مكروه فقط ؟ ان منطقنا فى هذه المسألة هكذا : فاعل المكروه ملعون والدليل على أنه ملعون لعن المحلل والمحلل له . والدليل على أن هذا التحليل مكروه فقط وليس حراماً أن مرتكبكه وراضيه ملعونان . هكذا منطق هذه المسألة ، وهو منطق خلىق بأن يعزى للجان

نعم الشيعة تحلل (التحليل) لأنها ترى جواز ما هو أفظع منه ، أعنى متعة النساء وهي شر من التحليل وأبعد تخليقاً فى جواء الأثم والجريمة . فمن أباح متعة النساء فكيف يحرم فعل (المحلل والمحلل له) والمتعة التى تتعاطاها الرافضة أنواع صغرى وكبرى ، فمن أنواعها أن يتفق الرجل والمرأة المرغوب فيها على أن يدفع إليها شيئاً من المال أو من الطعام والمتاع وإن حقيراً جداً على أن يقضى وطره منها ويشبع شهوته يوماً أو أقل أو أكثر حسب ما يتفقان عليه ثم يذهب كل منهما فى سبيله كأنهما لم يجتمعا ولم يتعارفا . وهذا من أسهل أنواع هذه المتعة

وهناك نوع آخر أخبث من هذا يسمى عندهم بالمتعة الدورية ، وهي أن يحوز جماعة امرأة واحدة فيتمتع بها واحد من الصبح الى الضحى ثم يتمتع بها آخر من الضحى الى الظهر ، ثم يتمتع بها آخر من الظهر الى العصر ، ثم آخر الى المغرب ، ثم آخر الى العشاء ، ثم آخر الى نصف الليل ، ثم آخر الى الصبح . وهم يعلمون هذا النوع ديناً لله يشابون عليه . وهو من شر أنواع المحرمات

(١٢٠)

فالرافضة يحلون « التحليل » ويحلون ماشاءوا من الفواحش ماداموا يحلون
هذا النوع من المتعة المنكرة

أما نحن فنقول ان « التحليل » حرام والدليل على ذلك عندنا أن الرسول
الكريم لعن فاعله وقابله . ورسول الله ﷺ لا يلعن الا من استحق اللعن . ومن
لم يفعل محرماً أو يدع واجباً فلن يستحق اللعن
وأما الأمور المنسوبة الى الانبياء فقد تكلمنا عليها في الأمر الذي قبل هذا

(خامساً)

أما قوله « فحكم الوهابيون بكفر تارك الصلاة وإن لم يكن مستحلاً »
فنحن نقول : الكلام على هذا في مقامين :

(المقام الاول) أن الوهابيين ليسوا منفردين بهذا الحكم ولا مبتدعيه .
بل هم تابعون أئمة الاسلام : الامام أحمد وغيره . وقد شاركهم فيه جماهير من
الأئمة وعلماء الحديث والصحابة ومن بعدهم ومن قبلهم

و (المقام الثاني) بيان أن الحق مع من كفر تارك الصلاة . أما المقام الاول فقد
سبق (الوهابيين) اليه صحابة رسول الله . فروى الترمذى والحاكم وصححه على شرط
البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : كان أصحاب رسول الله
لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، وذكر في نيل الاوطار عن علي
رضي الله عنه بخصوصه أنه كان يكفر تارك الصلاة . والشيعه تدعى كذباً أنها
تابعة علياً وولده

وروى البخاري أن حذيفة الصحابي الكبير رأى رجلاً لا يتم الركوع
والسجود فقال ماصليت ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله عليها محمد ﷺ
وقال ابن حزم : « قد جاء عن عمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل

وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة أن من ترك صلاة فرض واحد متعمداً حتى يخرج وقتها فهو كافر مرتد . قال ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفاً »

وروى ابن رجب في كتاب (جامع العلوم والحكم) عن أيوب السخيتاني أنه قال : ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه . وهو يعني بذلك إجماع الصحابة . وروى ابن رجب في الكتاب المذكور أيضاً عن إسحاق أنه قال أجمع أهل العلم على ذلك . والعلماء المتقدمون إذا أطلقوا الإجماع يذهب أول ما يذهب إلى الصحابة وكبار التابعين . وقد لا يعنون غيرهم ولا يعتدون بالمخالفين بعدهم

إذن فقد سبق الوهابيين إلى هذه المسألة الصحابة أجمعين كما رأيت وسبقهم بعد الصحابة طوائف من علماء المذاهب والأخبار . فذهب الإمام أحمد واحدى الروايين عن الإمام الشافعى الكفار تارك الصلاة

قال ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) : « قد وردت أحاديث متعددة تدل على أن من ترك الصلاة فقد خرج من الاسلام . وقال عمر لا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة . وقال سعد وعلى بن أبى طالب من تركها فقد كفر »

وفي (الترغيب والترهيب) للحافظ المنذرى « قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم إلى تكفير من ترك الصلاة متعمداً لتركها حتى يخرج وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء . ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعبد الله ابن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبة وأيوب السخيتاني وأبو داود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وغيرهم »

إذن فالوهابيون لم ينفردوا بهذه المسألة . وإذن تخصيصهم بها ظلم أو قلة علم : ظلم إن كان يعلم ذلك فكتمه خداعاً وتغريباً ، وقلة علم إن كان يجهل ذلك ، ولا يعلم أن أحداً قال قبل من يسيهم (الوهابيين) بالكفار تارك الصلاة . وما هذا الرجل من الظالمين يبيعد . على أنى أقول فيه قولاً لا أخاف أن أخالف به

الحق وباطن الأمر فأقول : إن هذا المصنف الرافضى جعل من محام (الوهابيين) رمزاً للمسلمين الحق الذين يمثلون الاسلام الحق المبرأ من الشوائب والجهالات والبدع : جهالات الرافضة وبدعها وحقاقتها . فهو يقول قال (الوهابيون) وفعل (الوهابيون) و (الوهابيون) يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم . ويعنى بالوهابيين كل من جانب آراء الشيعة وباطلها الأحق ، ويعنى بالمسلمين الشيعة ومن دان دينهم وقبل خرافاتهم وضلالهم المدين . فكل من يأبى ذلك المعتد الشيعى فهو وهابى فى هذا الكتاب وعند صاحب هذا الكتاب . وكل من يطابق الشيعة ويتقبل آراءهم فى الله وفى دينه وأنبيائه وصحابته والأئمة فهو للمسلم الذى تبهدر به الكرامة ويستوجب العطف والحنو والرضا . هذا الأمر الذى أقوله فى هذا الرافضى ، والدليل على صحة ما أذهب اليه ، أنه قد عد كل من يقول من المسلمين با كفر تارك الصلاة وهابيا مستحلا دماء المسلمين وأموالهم ، وقد رأيت أن الصحابة - وقد كانوا قبل أن تعرف كلمة الوهابيين بأكثر من ألف عام - يقولون با كفر تارك الصلاة ، فهم وهابيون . ورأيت أيضا أن علماء الحديث والسنة يقولون با كفر تارك الصلاة ، وقد كانوا قبل الوهابيين بمئات الأعوام فهؤلاء الصحابة وهؤلاء المحدثون والأئمة وهابيون ضلال تجب مقاتلتهم ومعاداتهم عند هذا الرافضى أنه الله . إذن فالوهابيون ليسوا هم أهل نجد الذين نسبوا الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى ولد منذ مائتى عام تقريبا

والدليل على ذلك أيضا أنه يعد كل علماء الحديث والسنة وهابيين اذا ما وجدهم يأبون البدع فى الدين وفى العقائد مثل الاستغاثة بالأموات والبناء على القبور والحج اليها ونذر النذور لها والخلع بغير الله . إنه يجعل كل من أنكر شيئا من ذلك وهابيا ، وإن كان قبل أن يوجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمئات الأعوام وفى ص ٣٢٨ و ص ٣٢٩ جعل الامام أبا حنيفة وأتباعه وهابيين لأنهم

منعوا سؤال الله بحق أحد من خلقه ، وفي ص ٣٣٧ ثم ٣٣٨ وما بعد ذلك جعل ابن عبد البر الامام المحدث المشهور والامام البيهقي والنووي والقسطلاني وهابيين أيضا لانهم حظروا الحلف بغير الله ، وهكذا يصنع في جميع الذين يخالفونه من السابقين واللاحقين ، ولا أحسبه يعد محمد بن عبد الله ﷺ وسائر الانبياء بل وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه إلا وهابيين ، لو عرضت عليه أقوالهم ولم يدبر من قالها ، إنه يجعل كل الناس إذا ما تمسكوا بالسنة وهابيين تقدموا أم تأخروا كثروا أم قلوا وأما المقام الثاني - وهو بيان أن الحق في جانب الذين يقولون بالكفار تارك الصلاة - فنقول لا خلاف بين الناس أن دعوة الرسول الكريم كانت مرتبة هكذا : الايمان بالله إيماناً صحيحاً ، ثم الايمان بالرسول الكريم إيماناً صحيحاً ، ثم إقام الصلاة ثم سائر فروض الاسلام الخمسة ، ثم شعب الايمان ، ولا خلاف بين الناس أن الرسول الكريم لم يقبل الاسلام من أحد على أن يدع الصلاة مطلقاً ، وعلى أن يكتفى بالشهادتين والايمان الباطن ، ثم لا خلاف بين الناس أنه لم يكن أحد من صحابة رسول الله يدع الصلاة لوجه من الوجوه أو يعذر أحداً من المسلمين في أن يدعها ، ولا خلاف بعد ذلك أنه لم يكن يعرف في صدر الاسلام اسلام بلا صلاة ، ولا دين بلا صلاة ، ولا إيمان بلا صلاة . بل لم يمكن المسلمون يعرفون هذه الأسماء (الاسلام) و (الدين) و (الايمان) إلا أن تكون مقرونة بالصلاة وإلا أن يكون صاحبها مصلياً راعياً لله ساجداً قائماً بين يديه قيام الخاضع الخاشع المستكين ، ولم يكونوا يعرفون المسلم إلا أنه المصلي لربه الساجد الراكع له هذه أمور لا خلاف فيها . ثم لا خلاف أن أشرف مواقف العبودية هو موقف الصلاة ذات الركوع والسجود ، والقيام والقعود ، ولا أدل على عبادة العبد لمولاه من الصلاة التي يرغب فيها أشرف أعضاء جسده في التراب ، ويضع أرفع ما في جسمه فوق الارض ذلاً لله وعبادة له . ولا خلاف لأجل ذلك أن الصلاة أكبر برهان

يقدمه المؤمن بالله على إيمانه به ، وعلى اعترافه بأنه عبده الطيع وأن من يسجد له معبود مشكور ، وأنها أعظم وسيلة تقدم لاستئصال رضا الله واستحياء الرحمة من السماء الى الارض ، ثم لا ريب بعد ذلك في ان صلاة المسلم أدل على إيمانه بالله من اعترافه بذلك قولاً وشهادة ، وأدل من الشهادتين . لأن الصلاة شهادة فعلية كبرى بالغة . والشهادة الفعلية أدل من الشهادة القولية . على أن الصلاة فيها الشهادتان بل لن يجد المؤمن بالله دليلاً يقدمه على إيمانه في أنواع العبادات كلها أبلغ من الصلاة

هذه أشياء لا خلاف فيها . فمن ترك الصلاة فقد ترك أبلغ العبادات وأدلها على الايمان وأشرفها غاية ، وأكبرها وسيلة بين يدي الله وأعظمها استئصالاً لرحمته ورضاه ، وأكثرها خضوعاً وخشوعاً لرب الموجودات . ومن ترك مثل هذه العبادة فأن يكون إيمانه وما برهانه على صدقه في دعواه الايمان ؟ ومن ترك هذه العبادة فكيف يقال له انه ممن عبد الله وممن أسلم له ؟ ان كل أحد يستطيع أن يقول ، فالإنسان يستطيع أن يقول انه مسلم ، وانه مؤمن ، وانه محسن ، وانه صديق ولي ، وأنه فوق ذلك . ولكن العمل هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه ، وإذا كان من يأتى الشهادة بأن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مع إيمانه بقوله لا يعدم مؤمناً ولا من ناجين ، فأنى يكون مؤمناً ناجياً من لم يركم الله في حياته ركعة واحدة ولا سجدة واحدة مع وفور صحته وسلامة بدنه ؟ لسنا نستطيع أن نفهم أن من يأتى الشهادتين يكون كافراً مع ايمان قلبه ، ومن لا يصلى في حياته كلها مع ما وهبه الله من القوة والصحة والفراغ يكون مؤمناً مع المؤمنين المصلين الذين هم على صلواتهم يحافظون ؟ نحن نعلم بالضرورة أن الشهادتين ليستا أدل على الايمان والاسلام من الصلاة . وما أعظم شأن الصلاة لو يشعرون . ومن يشك في هذا ؟ هذا من جهة ، ثم نقول من جهة أخرى اننا لانستطيع أن نتصور رجلاً موفوراً

الصحة قوي البدن واسم الفراغ يقضي عمره الطويل العريض كله في لهوه ولعبه ،
وسروره ومرحه وخدمة شهواته ومآربه ، وخدمة دنياه وعاطفته ليلا ونهاراً ثم
لا يوحى أن يركم الله الذي وهبه كل ما هو فيه من سرور وقوة وحياة ركة
واحدة ولا سجة واحدة في حالته كلها ثم لا يكون من الكافرين الذين لا يوجد
في قلوبهم شيء من بصيص الايمان أو الاسلام

ونحن لا نستطيع أن نتصور أن مثل هذا الانسان يكون مسلماً ، أو أنه يحمل
في قلبه مثقال ذرة من الايمان بالله ومن خوفه وحبه والخضوع له والاعتراف به ،
أو أن يكون لدى مثل هذا الانسان تفكير في معاده ومقامه بين يدي الله يوم
الدين للحساب ثم الثواب أو العقاب ، كلا ان مثل هذا الانسان لن يكون في
قلبه شيء من الله ومن الايمان به والرجاء له ، وان قلب مثل هذا الانسان لا يمكن
أن يكون فيه شيء لا قليل ولا كثير فان الأمر كما قيل :

واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

وكما قيل أيضاً :

ان الحب لمن يحب مطيع

وانسان يكون فارغاً من الله فارغاً من كل لوازم العبادة لن يكون مسلماً ولا
مؤمناً . فالذي يدع الصلاة يكون كافراً ، لا لأنه ترك فريضة من الفرائض ، بل
لأن تركه الصلاة دليل على فراغ قلبه من الايمان ومن خشية الله وخونه وتعظيمه
وإكباره ومن فرغ قلبه من ذلك فليس مؤمناً ولا كرامة . هذه فلسفة هذه المسألة
ثم نقول على نحو آخر : لو كان ترك الصلاة لا يوجب الكفر ولا ينافي
الايمان والاسلام لكان ترك جميع الأعمال صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها من
أعلاها الى أدناها لا يوجب الكفر ولا ينافي الاسلام والايمان . لأن من لا يكفر
بترك الصلاة لن يكفر بترك غيرها من الأعمال . والذي يترك جميع الأعمال كلها

الصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجميع أفعال البر والخير من المحال والضلال أن يكون من المؤمنين المسلمين الداخلين الجنات مع الداخلين . هذا محال نظراً وعقلاً وديناً

هذا من طريق النظر ، وأما من طريق النص فالمسألة أوضح وأظهر . فقد أطنب الكتاب العزيز والسنة الصحيحة في مسألة الصلاة أى اطناب ، وأوعدا من تركها أو تهاون في أدائها أنواع الأياد وهددا غير المصلين بالنار والنفي والويل والكفر والشرك ، فقال تعالى « ماسلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » وقال « خلف من بدم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً » وقال تعالى « وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * وبلى يومئذ المكذبين » وقال تعالى « يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون » وقال تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » وقال « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين » الى غير ذلك من الآيات المعلومة

وأما الأحاديث فروى مسلم وغيره عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال (بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة) وروى أصحاب السنن أنه قال عليه السلام (العهد الذي بيننا وبينكم الصلاة فمن تركها فقد هلك) وروى الامام أحمد عن رسول الله أنه ذكر الصلاة يوماً فقال (من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف) وروى البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال (من ترك الصلاة فقد حبط عمله) وروى أحمد بن حنبل وابن ماجه أنه قال (من فاتته صلاة العصر حبط عمله) وروى البخارى ومسلم أنه قال عليه السلام (بنى الاسلام على خمس شهادة أن

لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) وفي حديث جبريل المشهور الصحيح: أنه لما سأل النبي عليه السلام عن الاسلام قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة الحديث . والآحاديث في هذا الموضوع كثيرة جداً والقرآن بجملة مبین فی آیات لا تخصیها الآن أن المؤمنین الذین یحوزون هذا اللقب هم الذین یقیهون الصلاة ویحافظون علیها وهذا مذکور فی أوائل السور كأوائل سورة البقرة ، وسورة الأنفال ، وسورة المؤمنون ، وغير ذلك . كما قد بین بجملة أيضاً أن أهل الجنة الوارثین لها هم العاملون الصالحات ، رأول ما یفهم من الأعمال الصلاة ولا شك ، وكم فی القرآن من أمثال قوله « ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » وقوله « هل تجزون إلا بما كنتم تعملون » وقد وضع البخاری فی صحیحه باباً جعل عنوانه (باب من قال الايمان هو العمل) لقوله تعالى « وتلك الجنة التي أوردتهموها بما كنتم تعملون » وما یوجد فی الكتاب العزیز علی ما أذكر أن الله قال لأحد من أهل الجنة ادخل الجنة بإيمانك المجرد من العمل وعقیدتك بأن الله وحده خالق كل شيء ، والشیطان نفسه مؤمن بالله وبأنه الخلاق وحده فلما أن قیل له اسجد لآدم فأبى السجود أصبح من الکافرين المبعدين من رحمة الله ولم ینفعه ایمانه بالله وبأنه خالق كل شيء ورب كل شيء بل قیل له اخرج منها انك رجم ، وهذا أمر یطول بنا القول فیہ اذا أردنا استقصاءه

وثبت أمر یجب أن یعرف ، ذلك أننا وجدنا بالاستقراء أن الذین لا یصلون یتجردون من الخیر ومن كل عاطفة دینیة لا یتأمنون من غشیان المحارم أصغرهما وأكبرهما ولا یتهیبون اقتحام السبل المضلة الأیمة ولا یدعون من الشر الا ما عجزوا عنه ولا یفعلون من الخیر الا ما اضطروا الیه ، وبالأجمال یدعون أنفسهم تذهب وراء سعیاتها والظلم من بعض سجاياها ولا شيء یحجزها عن آثامها سوى

مراقبة الله وخشيته ومن لم يصلّ الله فلن يراقبه ولن يخافه ولن يعبأ بشوابه أو عقابه وقد قال الله في هذا « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقد بولغ في تكرار الصلاة في اليوم مرات لهذا الغرض الاجتماعي العظيم غرض تنقية النفوس من آثامها وذنوبها ، فالذين لا يصلون هم ولا ريب جوارح الآثام وغذاء المعاصي والجرائم فهم لا يصلحون لأن يحملوا اسم المؤمنين أو يجازوا ما يجازى به المؤمنون . هذا مضاف الى ما تقدم من اجماع الصحابة على ا كفار تارك الصلاة

هذا عن اكفار تارك الصلاة . وأما قتل تاركها ، فقد ذهب أكثر أئمة الاسلام ومنهم الأئمة الثلاثة احمد والشافعي ومالك الى وجوب قتله حدا عند من لا يقول بكفره أو كفرا وردة عند من يقول بذلك . وذهب الامام أبو حنيفة كما هو مشهور في مذهبه وآخرون الى أنه لا يقتل بل يعزر مثل أن يضرب ويسجن ويهان حتى يصلى . واحتج القائلون بوجوب قتله بقوله تعالى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » . وبالحديث المتفق عليه « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة » الحديث . وقد ورد هذا الحديث وصح من طرق كثيرة . ولا خلاف بين أهل الحديث في صحته . واحتجوا أيضا بالأحاديث الكثيرة التي فيها أنه يقال للرسول الكريم « ألا تقتل فلانا » أو « ألا تأمرنا بقتله » لمن قال أقوالا تنهى عن نفاقه وغدره فيكون جواب الرسول الكريم : لا ، لعله يصلى . أو نهيت عن قتل المصلين . أو لا ما أقاموا الصلاة . ونحو ذلك واحتجوا أيضا بالأدلة السالفة الدالة على كفر من ترك الصلاة فان من يقول بكفر التارك يقول بقتله

هذه بعض دلائل القائلين بالقتل . وبدل عليه أيضا أن الصحابة أجمعوا على قتال من منعوا الزكاة بعد وفاة رسول الله وقال أبو بكر في ذلك كلمته المشهورة الخالدة « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه » واحتج

الصحابة على ذلك بالحديث المذكور « أمرت أن أقاتل الناس » . الحديث .
والاحاديث صريحة في هذه المسألة كما أن الآية المذكورة صريحة أيضا فان الآية
قيدت تخليّة سبيل الناس بثلاثة أمور: للتوبة من الشرك ، وإقام الصلاة ، وإيتاء
الزكاة - فمن لم يجمع هذه الأمور الثلاثة لم يخلّ سبيله ، ولم يعصم ماله ودمه من
سيوف المؤمنين

وأما جواب هذا الرفض عن الآية بادعائه الفرق بين من ولد مسلما وبين
من دخل الاسلام بعد كفره وادعائه أن الآية خاصة بالأول دون الثاني فجواب
وادعاء باطلان ، لأنه اذا سلم بأن من أراد الدخول في الاسلام بعد كفره فشهد
الشهادتين وتظاهر بمظاهر المؤمنين المسلمين إلا أنه لم يصل ولم يترك كسلا ، مع
اعترافه بوجوب ذلك كله ، إذا سلم بأن ذلك الانسان لا يحكم باسلامه ، ولا يخلّ
سبيله ولا ينجو من أسياف المؤمنين فكيف يدعى بأن من ولد على الاسلام وصار
مسلمًا بالتقليد والمحاكاة يحكم باسلامه ويخلّ سبيله ولا ينال بسوء وإن ترك الصلاة
والزكاة والفرائض أجمع ؟ لا يدري ما الفرق بين الرجلين في الخيال الرفض . . ؟
أنا أحسب أن الداخل في الاسلام حديثا أولى بالمعذر والصفح من المولد في الاسلام
إذا لم يصلّ وترك ويعمل لله عملا . ولكن هذا الرجل لا يدع المنطق يسير في
وجهه وسبيله الصحيح

وماذا يقول في نصراني أو يهودي أو ملحد أراد الدخول اليوم في الاسلام
والإيمان بالقرآن وبالنبي الكريم وبالدين جملة ، فأمن كذلك ولم يأت بأمر يقدح في
إيمانه واسلامه إلا أنه ترك الصلاة والأعمال كسلا مع اقراره بوجوبها وإيمانه
بأنها فريضة من الفرائض اللازمة . مثل هذا الرجل لا يحكم باسلامه هذا الشيعي
كما قال هنا ، ولكن يحكم باسلام جهال الشيعة الذين ولدوا شيعة رافضة يقدحون
في خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين ويعبدون الأموات ويأتون من المعاصي

(١٣٠)

بالأفانين ، وان لم يصلوا لله ركة واحدة ولم يعملوا خيرا قط . هؤلاء عند هذا الرجل مسلمون لا يؤفون ولا يساهون أما ذلك المسلم الحديث الفيلسوف مثلا المؤمن بالحجة والدليل فليس مسلما ولا مؤمنا عنده ، بل هو كافر يجب إزهاق روحه قالاية عامة لا يصح تخصيصها . والله لم يخصها ولا رسوله ولا أحد من المؤمنين المقتدى بهم

أما قوله ان الأحاديث التي أطلق فيها الكفر لم يرد بها الحقيقة فجوابنا عليه ما قدمناه في الأمر الخامس

وأما الحديث الذي زعم أنه يعارض الأحاديث الصحيحة في إكفار تارك الصلاة فهو حديث ضعيف لأن فيه راويا غير معروف . والحديث هو ما روى عنه عليه السلام أنه قال « خمس صلوات كتبهن الله على العباد من أتى بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وإن شاء غفر له » . رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه »

فهذا لا يستطيع معارضة الأحاديث الكثيرة الصحيحة والآيات السالفة

(سادسا)

قوله « واستحلوا القتل بترك بعض فرائض الاسلام على عادتهم في تكفير المسلمين وإحلال دماهم اقتداء بالخوارج »

تقول فيه إن هذا القول من هذا الرافضى طعن وجيم فظيع في جميع الصحابة وجميع العلماء الذين قالوا بوجوب قتل تارك الصلاة وهم أكثر العلماء كما قدمنا ، بل هو طعن وجيم فظيع في جميع المسلمين في جميع العصور ، لأنه لا يوجد مسلم في الأرض ولا امام من أئمة الاسلام الا ويكفر بترك بعض فرائض الاسلام . ولو أن أهل

بلدة من البلدان الاسلامية اجتمعوا على ترك جميع فرائض الاسلام كالصلاة والصيام والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك لوجب قتالهم في جميع المذاهب الاسلامية

وقد أجمع الصحابة بقيادة أبي بكر على قتال مانعي الزكاة ولم يخالف في ذلك أحدا على ولا غيره ، وأجمعوا على كفر تارك الصلاة كما قدمنا ، وأتى من على نفسه أنه كان يكفر تارك الصلاة

فالصحابة كلهم وهؤلاء الأئمة كلهم ضلال يستحلون دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج لأنهم قاتلوا مانعي الزكاة وأجمعوا على كفر تارك الصلاة كالوهايين فهم إذن وهايون . وهذا الرافضي إذن يرد عليهم في كتابه « كشف الارتباب في أتباع محمد بن عبد الوهاب » . وم كلهم من أتباع محمد بن عبد الوهاب المقتدين بالخوارج

وإذا ما كان هذا الشيعة يرد على هؤلاء المسلمين جميعا ويقدم فيهم كافة ، وينازعهم ويخالفهم فن هم المسلمون الذين يدعى الفجرة لهم والدفاع عنهم وانقاذهم من تكفير الوهايين وأسلافهم ؟ أم جهال الرافضة أعداء أبي بكر والصحابة الكرام وأعداء أهل السنة والجماعة ؟ ويل لصاحب هذا الكتاب من كتابه وويل للشيعة من عالمهم هذا

نحن نعلم أن الشيعة تقدم في هؤلاء المسلمين وتفاخر بالتقدم فيهم وتجاهر ، ونعلم أنه لا يسوءهم أن يقول فيهم هذا . ولكن لما كان هذا الرجل يدعى في هذا الكتاب أنه موافق المسلمين ما خلا الوهايين ، وأنه يغار لهم ويمدحهم مسلمين ويد أقوالهم حججا وبراهين كان عدلا أن نرد عليه بما رددنا

وقوله (انه لا يصح الهجوم على دماء المسلمين بأخبار غير ظاهرة) ويقول الأجهوري والاذرعي والحراني والميتي (قول جوابا له : ومن ذا الذي قال إن

(١٣٢)

أقوال هؤلاء حجة في الشرعيات فضلا عن أن تباح دعاء المسلمين بأرائهم ؟
ليعلم إن كان لا يعلم أننا معشر السلفيين لا نحتج في أصول ديننا إلا بأمرين :
كتاب الله وسنة رسوله . ونحن لا نذكر آراء العلماء إلا تقوية واستئناسا وردا
على من يدعي أننا منفردون بما نقوله في هذه المطالب العليا ، أو اقناعا لمن يدعي
التقليد والذهاب مع العلماء المتهتدين ، وهذا الرجل الذي يزعم أن هؤلاء العلماء
غالطون متشددون وأنه لا يجوز تكفير المسلمين انسياقا وراء آرائهم سوف يمر
بك أنه محتج بأقوالهم ويتعصب لها ويعارض بها الوحيين ، ولا سيما أقوال ابن
حجر الهيتمي ، بل ويكثر بذلك ويفاخر ، وسيمر بك أنه يستحل لحوم أكابر
علماء السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية ومن كان مثله بأقوال الهيتمي ومن هو أقل
من الهيتمي من أرباب البدعة الفلاة . فالرجل لدى هذا الشيعي فاضل محقق قوله
حجة إذا ما وجد عنده بدعة نكراه ، وجاهل غيبي لا يمتد بأرائه ولا بما يقول إذا
وجد عنده سنة أو حقا وهذا صنيع أسرى الأهواء
وأما أن الاخبار في الكفار تارك الصلاة غير ظاهره فجواب ذلك قد سلف

الامر السابع

قال مامنه « الاجماع حجة شرعية ، وهو قول وفعل ، والقول هو ما اتفقت
عليه أقوال أهل الحل والعقد من أمة محمد ، والعمل هو ما اتفقت عليه سيرة المسلمين »
قال « وهو حجة شرعية لقوله ﷺ (لا تجتمع أمتي على خطأ) أو لوجود معصوم
بينهم بناء على عدم خلو العصر من معصوم ، كما يقول أصحابنا ، وهو رئيس أهل
الحل والعقد ، أو لا يكشف عن أن ذلك مأخوذ عن صاحب الشرع » قال :
« والوهابيون يسمون الاحتجاج بالاجماع » ونقل لهم كلامي ذلك . قال « ولكن
الصنعاني وهو منهم أنكر وجود الاجماع وأنكر العلم به قائلا : " إن العلماء كثيررون

(١٣٣)

مبشرون في أطراف المعمورة ، فما أبعد أن يتفقوا على مسألة اجتهادية ، ثم ما أبعد أن يعلم ذلك لو وقع . قال الشيعي « ولكن كثرة العلماء لا تمنع وقوع الاجماع ولا تمنع العلم به إذا ما وقع ، فإنا نعلم بالضرورة اجماع العلماء على أن البنين تلقى الميراث فرضاً إذا لم يكن معهما اخوة وإن لم نشأه جميع العلماء ، ونر فتاويهم . كما نعلم بالضرورة إجماعهم على استحباب زيارة النبي ﷺ وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك به وبها ، وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها ، لاستمرار سيرتهم على ذلك قولاً وعملاً في كل العصور . بل ليست هنالك مسألة اتفق عليها المسلمون قولاً وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة » انتهى كلامه

(أولاً)

قلت : إذا ما كان هذا الشيعي يسلم الاحتجاج بالاجماع ، ويسلم أن الوهابيين الذين يرد عليهم بكتابه يسلمون ذلك ويعترف لهم به ، أي إذا كان هو وهم متفقين على الاحتجاج بالاجماع فما الفائدة في حشر هذه المسألة في الكتاب ؟؟
أهو يريد تضخيم حجم الكتاب وتكثير ورقاته ليرهب به الخصوم وليخضع الناظرين وليقال رد على الوهابيين بكتاب عدد ورقاته كذا . ومثل هذا ما ذكره في مقدمات الكتاب الثلاث فإنه لا يتعلق بأكثره شيء من الموضوع

(ثانياً)

قوله الاجماع حجة لقوله لا تجتمع أمتي على خطأ فيه نزاع . فإن هذا الحديث رواه الترمذي وغيره بلفظ ضلالة بدل خطأ . وهو حديث فيه رواية ضعفاء فلا يصح ومثله لا يقوى على أن يكون دليلاً على أن الاجماع حجة شرعية . وهو لو كان في بيان حكم من أحكام الفروع كالوضوء والطهارة لكان غير مقبول وغير

(١٣٤)

لازم العمل به لأجل ضعفه ، فكيف يقوى أن يكون دليلا على الاحتجاج بالاجماع
ومسألة الاحتجاج بالاجماع مسألة عقلية لا يستدل لها بالأخبار الواهية الضعيفة ،
فلو كانت دلائل الاجماع ما ذكر هذا الرافضي لما كان الاجماع حجة بلا ريب ،
ولكن للاحتجاج بالاجماع دلائل أخرى كثيرة قوية من الكتاب والسنة والعقل
مذكورة في كتب الأصول ، وفي كتب أخرى غابت عن هذا الرجل المؤلف

(ثالثا)

قوله : « أو لوجود معصوم بينهم » هذا الرأي خاص بالرافضة وحدهم
لا يشار كم فيه أحد من المسلمين ، وهو خطأ قائم على أخطاء . أولها اعتقادهم عصمة
الائمة ، ثانياً اعتقادهم وجود الامام المعصوم في كل وقت ، ثالثاً اعتقادهم الاتصال
به ولقائه ، رابعاً اعتقادهم أنهم يتلقون الدين من ذلك الامام المعصوم مباشرة أو
بوساطات ، وهذه كلها أخطاء لا يصدق منها شيء ولا يقبل أهل العقل منها شيئاً
وليس لرافضة على واحد منها دليل واحد
فالائمة ليسوا معصومين ، بل هم بشر يصيبون ويخطئون وهم يموتون كسائر
الناس ، ولا يختفون في المغارات والكهوف ، كما تدعى الشيعة . ومن مات منهم
لا يبعث حتى يبعث الناس للشواب والمقاب
وإذا كان المسلمون جميعاً ما خلا الشيعة لا يعتقدون عصمة الائمة ، بل ولا
يعتقدون وجود أحد من هؤلاء الائمة الذين تعيهم الشيعة ، ولا يصدقون بإمكان
الاتصال بهم ، كما لا يصدقون أن الدين يجوز تلقيه عنهم ، فكيف يقال إن دليل
عصمة الاحتجاج بالاجماع هو وجود الامام المعصوم . فإذا كان المجمعون لا يؤمنون
بوجود هذا الامام فضلاً عن أن يؤمنوا بعصمته فأنى يكون دليل اجماعهم هو هذا
الأمر الذي يبحدونه ولا يترفقون به ؟ قوم لا يترفقون بوجود فلان أو فلان هل

يمكن أن يكون ذلك « الفلان » هو مصدر هدام وعلومهم وفتاويهم . أو هل يمكن أن يتعلموا منه مسألة واحدة أو يتلقوا عنه أمراً من أمور الدنيا والدين ، وهم يؤمنون إيماناً لا شك فيه أنه غير موجود بل وهم لا يفكرون في هذا الفلان وفي انكاره بل وهم يرون أن المؤمنين به جهلة كذبة يجب أن يزجروا وأن ينهروا على هذه المرزلة الفاضحة ؟

إنه لا جواب عن هذه الأسئلة الا أن يدعوا أن هذا الامام المعصوم المزعوم يوحى الى الناس من حيث لا يشعرون ويقذف في صدورهم المعارف والعلوم قذفا خفيا لا يحسونه ولا يعلمونه ، ويلقى في قلوبهم الاجماع على المسألة ويهديهم اليها ، ويجمعهم عليها ، وهم لا يدرون من ذلك شيئاً ، فيجمعون بفعل هذا المعصوم الخفي ويكونون مصيدين في إجماعهم بتزويق هذا الامام الذي لا يعرف ، فاذا ما صار هذا الرافضى وشيعته الى هذا الجواب فقد صاروا الى تأليه ذلك الامام المعصوم واصطائه صفة الربوبية كما قدمنا في أول الكتاب أن شيوخم يؤلهون علياً ويؤلهون غيره من ولده وغيرهم

واذا ما صاروا الى هذا الجواب قيل لهم : ولعل مخالفكم لا يخالفونكم الا بالهام الامام المعصوم وهدايتة وارشاده . ولعلمم بتلقون منه بالطريقة المذكورة المسائل التي لا يوافقونكم عليها . ولعل المسلمين الذين لا يرتضون مذهب الشيعة ويعمدونه مروقاً وخروجاً مدفوعون الى ذلك بالهام ذاك المعصوم . وحينئذ يكون مذهب الشيعة ظلماً ، ومن مذهبهم كل ما يقوله صاحب هذا الكتاب . لأن الامام المعصوم هو الذي ألهم بطلان مذهبهم وبفضه الى الناس . وبصير هذا المؤلف غالطاً على جميع الفروض

فان شعبوا شعباً آخر وقالوا إن الله هو الذي يجمع المجمعين على المسألة التي ادعى فيها الاجماع ولكنه تعالى يجمعهم على رأي الامام المعصوم ويربهم ما يرى

ويرشدهم الى القول الذى يرضاه ويريده ؛ ان شعبوا هذا الشعب قيل إذن ما فائدة
الامام المعصوم وما الحكمة فى وجوده وعصمته والناس لم يستفيدوا من ذلك فائدة ما
لا قليلة ولا كثيرة . فليس له فى اجماع المجمعين أثر ولا شئ يذكر . وغاية ما فى
هذا أن الله أرى المعصوم وأيا وأراه الناس المجمعين . فصار الناس والامام المعصوم
متفقين فى ذلكم الرأى . ولكن لم يأخذ أحد عن أحد . فالامام لم يأخذ عن المجمعين
والمجمعون لم يأخذوا عن الامام . وهذا خلاف المفروض وخلاف ما تريده
الشيعة وتدعيه ؟

ولو ادعى مدع العصمة للاجماع نفسه بدليل شرعى أو عقلى لكان أهدي
سبيلا من ادعاء الشيعة فى هذا الامام وعصمته . وعقيدة الرافضة فى هذا الامام
المدعى من أشنع الممازل والنقائص الفكرية . فان هذا الامام الذى يدعون الايمان
به ويدعون أن من لم يؤمن به غير ناج من عقاب الله ليس هنالك دليل واحد
على وجوده فضلا عن عصمته وتبليغه الناس . فان أحدا لم يحسه باحدى الحواس
الحس ، أو يحس أثرا من آثاره أو تتصل به رواية عنه ، لاعتن الله ولا عن رسوله
الكريم ، ولا عن أحد من الثقة العدول ، ولا اضطره الى الايمان به عقل ولا نظر
ولا شئ من الأشياء التى يعدها الناس العقلاء حججا أو أنصاف حجج أو
أشباه حجج

واذا ما قيل لهؤلاء اذا ما كان هذا الامام المعصوم المزعوم موجودا بين أظهر
الناس وأنتم تصفونه بأكل الأوصاف من العصمة والقوة والعلم والعدل والرحمة
بالخلق وحب الحق ، فلماذا لا يظهر للناس أو لكم وحدكم ليقول الحق وينصره
ويخذل الباطل ويكسره ، وليدفع عن دين الله المهتضم ، وليقضى بين الناس فيما
اختلفوا فيه ، بل وليقضى بين الشيعة أنفسهم فى المسائل والاعتقادات التى اختلفوا
فيها ، أو اذا كان موجودا كما تدعون فلماذا لا يخرج المصحف الصحيح الذى

تدعونه ، والأمر الجديد في الدين الذي تزعمونه ، ولماذا يظل مختفياً هارباً بنفسه وأتباعه ومن به يؤمنون وإياه ينتظرون ، بل وذرية على وولده مظلومون مضطهدون كما تدعون ، اذا ما قيل لهم لماذا لا يخرج لأجل هذه الاغراض الشريفة والمطالب العالية لم يجدوا جواباً غير هروبهم إلى وصفه بالجبانة والخافة والاختفاء خوف الأعداء . ما أهونها من دعوى وأهونه من جواب !

ما آن للسرداب أن يلد القدي نلتتموه بزعمكم ما آنا ؟

فعلى عقولكم العناء فانكم نلتتم العناء والغيلانا

ومن ذا الذي لا يستطيع أن يلحق دعوى الشيعة في الامام المنتظر المعصوم فيزعم مثلاً أن تمت معصوماً آخر منتظراً خروجه يخالف معصوم الشيعة ويكذبه ويكذب قولهم فيه !!! ثم يزعم كما تزعم الشيعة أنه يتلقى من المعصوم المفروض وجوده عقائده وآراءه ومذاهبه وكل ما يتصل برأيه ودينه وصلته بالله وبالعالمين الدنيوي والآخرى . ثم يزعم فيه كل ما تزعم الشيعة في منتظرها من العصمة والمعرفة والقوة والكمال وغير ذلك !!! حينئذ تتعارض الدعاوى ويتكاثر المعصومون المدعون ، وتزعم كل طائفة أنها تتلقى ما قوله في الطوائف الأخرى عن معصومها الذي لا يخطأ ولا يخطيء ولا يكذب ولا يسو ولا يذنب ، وهذا نهاية الضلال والفوضى ، وهذا ما يقضى به كلام الشيعة ودعاواها . والمجب أن يكون هذا الامام المعصوم المعلوم رئيس أهل الحل والعقد !!! فأين كانت هذه الرئاسة ومتى كانت ومن الذي اعترف لصاحبها بالوجود فضلاً عن الاعتراف له بالرئاسة والزعامة ؟

واعجباً لقوم يعترفون بالزعامة والرئاسة لمن لا يرى ولا يحس ولا يسمع له قول أو يرى له أثر أو تشم له رائحة أو يدل على زعامته ورئاسته شيء من الأشياء المحسوسة أو المعقولة ، والناس يعجبون ممن يزعمون عليهم جاهلاً ضعيفاً عن القيام بفروض الزعامة وحقوقها . فكيف يقوم يسلمون قيادة زعامتهم عن رضا وطواعية

الى ميت من مئات الأعوام بل الى معلوم لم يوجد بالصفة المذكورة عند الشيعة
 واذا ضلّت البصائر يوما فإذا تقوله النصحاء ؟
 وقوله أو للكشف كلام باطل أيضاً ، فليس هنالك كشف بالمعنى الذي يريد
 هذا المؤلف ، والكشف لا يكون طريقاً من طرق الدين والأحكام الشرعية لو
 افترض وجوده عند بعض الناس . وما ادعى هذا الكشف أحد من سلف الأمة
 لا الصحابة ولا من بعدهم من الأئمة الراشدين . وادعاء الكشف هو الخطوة
 الجريئة الى ادعاء النبوة ثم تغيير الشرع والتلاعب به ، وما ادعى الكشف إلا
 ضالّ مارق أفسد عقله الخيال ، أو ملحد زنديق يكتم كفراته وإلحاده ، وإذا
 ما افتتح هذا الباب باب الكشف ولجّه كل غوى ميين واستطاع به إفساد الشرائع
 وإفساد العقول والضمائر

فهذا الرافضي مثلهو وشيعته الرافضة يدعون الكشف وغيرهم يدعى
 الكشف وكل يدعى وصلاً للبلبلى فتفسد (ليل) من كثرة من يلصقها ويدعى وصلها
 كذبا وفسوقا

(رابعا)

وأما ما أنكره الشيعي على الصنعاني من قوله إنه يعسر وقوع الاجماع وتسر
 معرفته لو وقع لكثرة العلماء وانتشارهم في أطراف الأرض فهو ليس إنكاراً على
 الصنعاني وحده ولكنه على جماهير كثيرة من العلماء سبقوا الصنعاني الى هذه المقالة
 فذهبوا الى أنه غير ممكن حصول الاجماع ، وذهبوا الى أنه غير مستطاع علمه لو
 حصل ، وذلك لكثرة العلماء ولما بين الأنظار والأذهان من التفاوت والاستعداد
 والاختلاف الى ما مع ذلك من تأثير البيئة واختلاف الأمزجة ، ومن تأثير
 الصحة والمرض والرضا والغضب ، وما يلحق ذلك من جزر الآراء ومدحها ، فذهبوا

لهذه الأسباب ولأسباب أخرى الى أنه غير ممكن وقوع الاجماع ، والى أنه لو أمكن فوقه لما أمكنت معرفة وقوعه ، فان العلماء لا يمكن أن يتفقوا أجمعين على رأى واحد كما لا يمكن أن يتفقوا في ساعة واحدة على أن يأكلوا طعاماً واحداً ، أو يلبسوا ذياً واحداً ، أو يفعلوا فعلاً واحداً ، أو يقولوا قولاً واحداً ، أو يكونوا على هيئة واحدة كجلسة واحدة ، أو نومة واحدة أو قومة واحدة أو لبسة واحدة ، وما أشبه ذلك مما لا يمكن الاجتماع عليه في ساعة واحدة عادة ، وان كان العقل بالعرف المنطقي لا يرى في ذلك مانعاً ، فان دائرة جازئات المقولات أوسع من دائرة جازئات العاديات

ثم لو وقع ذلك فكيف تقع معرفته ، وهى لا طريق لها إلا الرؤية أو السماع أو الكتابة ، ولا يمكن أن يرى انسان جميع العلماء المجتهدين المعاصرين . وعليه لا يمكن أن يسمع أقوالهم كلها ؟ وأما الكتابة فلا يمكن أن يكتب كل عالم كل آرائه وكل ما يقوله ، ولو كتب كل عالم جميع آرائه لا يمكن أن يكون قد رجع عن بعض ذلك مما قدر فيه الاجماع ، ولو فرض أنه كتب ذلك كله ، وفرض أنه لم يرجع عن شيء منه فهل يستطيع انسان ما أن يقرأ جميع ذلك كي يعرف أنهم أجمعوا على تلك المسألة المفترض فيها الاجماع ، ولو افترض أنه قدر على قراءة ذلك كله فقرأه فهل يمكن أن يحصر آراءهم كلهم في ذهنه في مسألة ما كي يعرف أنهم قالوا كلهم فيها قولاً واحداً متفقاً مجتمعاً ، ثم ألا يمكن أن يكون أحد من هؤلاء قد كتب رأيه تحت تأثير غيره وتحت تأثير قوة القاهرة !!! وهذا قريب على أصول الشيعة ، لأن الكذب الذى يسمونه التتبية جازئ عندهم بمعنى واسع كثير بل هو مرغوب فيه مثاب عليه في مذهب القوم

لهذه الأسباب ولغيرها ذهب جماهير من العلماء - وقد روى عن الامام احمد - الى أن الاجماع لا يمكن أن يحصل والى أنه لو أمكن فحصل لما عرف

وهؤلاء العلماء يفرقون في ذلك بين عصر الصحابة والمصور المتأخرة ، وبين
اجتماع الصحابة واجتماع غيرهم ، فقد يرون الاجماع ممكنا ويرون معرفته ممكنة في
عصر الصحابة وعصر التابعين لفقدان تلك الأمور الآتية في صعوبة وقوع الاجماع
وصعوبة معرفته لو وقع ، فيرون أن الاجماع قد يحصل في عهد الصحابة فيعرف
حصوله ، فلا إجماع عندهم غير اجتماع الصحابة ، وهذا ما يقوله طوائف من أهل
العلم والحديث

وأما قوله اننا نعرف بالضرورة إجماع العلماء على أن للبنتين الثلثين ، فهو
ضلال عن محل النزاع . فان النزاع في مسألة لم ينص عليها القرآن نصاً صريحاً أو
السنة الثابتة نصاً صريحاً لا يقبل الاختلاف ، أما المسائل المذكورة في النصوص بنحو
ظاهر بين فليست مما يحتاج لها بالاجماع . ومعرفة هذا النوع من المسائل ليست
قائمة على الاجماع ولا على معرفته . وانما طريق هذا أن يقول القائل القرآن ناص
نصاً جلياً على أن للبنتين الثلثين مثلاً . ولا يمكن أن يخالف مؤمن بالقرآن نص
القرآن والا لما كان مؤمناً وقد فرضناه مؤمناً . فكل مؤمن بالقرآن يقول ان للبنتين
منفردتين الثلثين . فالمسلمون اذن مجمعون على هذه المسألة ومثل هذا أن يقول القائل
المسلمون مجمعون على أن كتاب الله حق وهدى ، ومجمعون على أن محمد بن عبد الله
رسول الله ونحو ذلك . فهل يقال ان مثل هذا من الاجماع ، أو من دلائل وقوع
الاجماع والاحتجاج بالاجماع ؟ كلا . ان هذا لا يقوله عاقل . ونظيره قول
القائل : ان المسلمين مجمعون على أن البنتين ترثان الثلثين . وليتفضل القارىء
لهذا جيداً

وما ذكره من الاجماع على استحباب زيارة قبر الرسول وتعظيمه الى آخره
نرجى القول فيه الى مواضعه الخاصة به

وأما قوله « ان المسلمين ما أجمعوا على مسألة مثل اجماعهم على جواز البناء
على القبور وعقد القباب فوقها ، فهو من أعظم المجازفات الكاذبة بل هو قول

مشتمل على أنواع كثيرة من أنواع الكفر والضلال والخروج على اصول الدين
واصول العقل

أفليس من أعظم الضلال والخيال أن يقال ان المسلمين مجمعون على جواز
البناء على القبور وعقد القباب فوقها قولاً وعملاً أعظم من اجماعهم على وجوب
الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر فرائض الاسلام ، وأعظم من اجماعهم على
الايمان بالله وبرسوله ويوم الدين ؟؟ أفليس هذا من أعلى أنواع الالحاد ونقض
قواعد الاسلام ؟؟ والا فان مسلماً عاقلاً لن يقول ان المسلمين مجمعون على جواز
البناء على القبور أكثر من اجماعهم على وجوب الصلاة والصيام والحج وجميع
الفرائض التي لا يتم الاسلام الا بها ..

وهذا القول آت على اصول الشيعة من الفلو في القبور والاموات والتفاني في
ذلك . فهم يفضلون الحج الى المشاهد على الحج الى بيت الله الحرام ، بل على
الصلاة والصيام وجميع العبادات ويفضلون المشاهد على المساجد ويمرونها ويهجرون
بيوت الله وان عمروا شيئاً من ذلك فلاجل الاموات الموجودين فيه . . وقول هذا
الرجل دليل أي دليل على ذلك .. وبعد هذا القول ينكر على شيخ الاسلام ابن
تيمية وغيره أن قالوا ان الشيعة يحجون الى المشاهد ويفضلون الحج اليها على الحج
الى بيت الله الحرام وأنهم يهجرون المساجد ويمرون المشاهد ، ونحمد الله أن
أنطقهم بما كانوا يضمرون وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا أن المسلمين مجمعون على
التبرك بالقبور والبناء عليها وعقد القباب فوقها أكثر من اجماعهم على الصلوات
الحس وفرائض الاسلام قولاً وعملاً أي واعتقاداً أيضاً بل وأكثر من اجماعهم
على الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر . وعلى الايمان بالجنة والنار
والثواب والعقاب لأنه يقول « بل الانصاف أنه ما من مسألة اتفق عليها المسلمون
قولاً وعملاً من جميع المذاهب مثل هذه المسألة »

(١٤٢)

ونحن نعوذ بالله من خذلان الدنيا ويوم الدين ، وإذا ما كانت مسألة البناء على القبور ورفع القباب فوقها والتبرك بها بهذه المنزلة عند الشيعة ، فلا ريب أنهم يكفرون من ينكر من ذلك شيئا ، لأنه يكون منكراً حينئذ أعظم أمر ضروري في دين الاسلام - ونذكر هذا الرجل أنه قال في الامر الاول ص ٨١ وأن من الاحكام الشرعية ما هو نظري ، وجعل من أمثال ذلك البناء على القبور وقال هناك ان المخالف في الامور النظرية لا يضل ولا يفسد كما لا يعارض ولا يمانع ١١ وما أكثر ما بين القولين من التناخل

الامر الثامن

قال « ان الأصل في الأشياء أن تكون حلالا ما لم يعم دليل على أنها حرام واحتج بأنه فييح في الغل العقاب بلا بيان واحتج بقوله تعالى : « خلق لكم ما في الأرض جميعا » وقوله « وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا » وقوله « قل لا أجد في ما أوصى إلى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فاه رجس أو فسقا أهل لغير الله به »

(اولا)

قلت : لا داعي الى ذكر هذا الامر في هذا الكتاب ، لأن القوم الذين يصر الرد عليهم ليس لهم كلام خاص في هذه المسألة . ولا يمتازون عن العامة فيها بكلام ، وما أظنهم تكلموا فيها خاصة . أو أن لهم فيها رأيا خاصا بل ولعلمهم لم يتكلموا فيها لا نفي ولا اثباتا

ولا يتوقف موضوع رده على شيء من ذلك . لأنه يزعم أنه يرد بالكتاب وبالسنة وباجماع المسلمين وبسيرتهم التي لا تختلف وبالمقولات الباهرة القاهرة .

(ثانياً)

قوله هذا يخالف لقوله في الأمر التاسع الذي يلي هذا فإنه يقول فيه « البهمة ادخل ما ليس من الدين في الدين ولا يحتاج تحريمها الى دليل خاص لحكم العقل بسلام جواز الزيادة على أحكام الله ولا النقص منها لاختصاص ذلك بالله وبأنبيائه » فإذا كان العقل عنده يحكم بأنه لا يجوز الحكم بزيادة شيء ولا نقصانه تحليل ولا تحريم لأن التحليل والتحرير أمران خاصان بالله وبأنبيائه فكيف يحكم هنا بأن الأصل في الأشياء أن تكون حلالاً ؟

وإذا ما كان الأصل في الأشياء عنده أن تكون حلالاً فكيف لا يجوز أن تكون الأشياء التي لم يذكرها الشارع بتحريم ولا تحليل ولا مدح أو قدح حلالاً أو تسمى بدعة لأن الشارع لم يعملها ولم يحللها أو يحرمها ؟

وبيان هذا بوضوح أن مضمون كلامه في الأمر الثامن أن العقل يحلل ويحرم ومضمون قوله في الأمر التاسع أن العقل لا يحلل ولا يحرم ولا يحكم بشيء ما لم يحكم الله به فهو في أحد القولين إذن غلط ولا محالة

(ثالثاً)

قوله : ان الأصل أن تكون الأشياء حلالاً ما لم يكن هناك دليل . يقال فيه : هذا الدليل إما أن يدخل فيه الدليل العقل أو لا يدخل على أن يكون المراد بالدليل هنا قول الشارع خاصة ؟ ان أراد الأول وأراد أن الأشياء حلال ما لم يتم دليل لاعتقالي ولا قلبي على أنها حرام كان هذا الكلام ظرفاً من الفائدة والمعنى . إذ يكون تلخيص الكلام وبيانه هكذا : الأشياء قد يحكم العقل بأنها حرام ، وقد يحكم النص بأنها حرام وما لم يحكم العقل ولا النص بتحريمه فهو حلال . ومعنى هذا أن الأشياء قبل

ورود النص اما أن تكون حلالا واما أن تكون حراما والعقل يحكم بهذا تارة وبذلك تارة أخرى . ولا بد أن يحكم بأحد الحكمين ولا يتوقف أو يشك وإذا كان معنى الكلام كذلك فكيف يقال ان الأصل في الأشياء التحليل ما لم يتم الدليل ؟ ١١ فان هذا يمكن عكسه ويكون مثله بأن يقال ان الأصل في الأشياء التحريم ما لم يتم الدليل على التحليل . والقولان سواء لا يقدم أحدهما على الآخر إذا كان المعنى كذلك ، وما يراد بالدليل دليل العقل والنقل ، وعلى هذا لافرق بين قوله هنالك وبين عكسه . بل هما يفيدان معنى واحدا وكلاهما يكون صحيحا . وكيف يكون الحكم بالأمر وضده يفيد معنى واحدا ؟

هذا ان اريد بالدليل دليل العقل والنقل . وأما ان اريد بالدليل قول الشارع خاصة وأراد أن الأشياء كلها حلال ما لم يحرمها الشارع ، قيل هذا لا يصح على اصول الشيعة الداهيين مذاهب المعتزلة في التبييح والتحسين العقليين . وهذا أيضا يقتضي بأن يكون قتل النفس البريئة واغتصاب أموال الناس اغتصابا ، ونهب أعراضهم ، والكذب ، والبذاءة ، والشرك بالله وعبادة الاصنام وكل العظائم والكبر حلالا .. ولا ريب ١١١ وهذا غريب ١١١ فانت لا نشك أن انسانا لم تبلغه كتب الله ومحارمه وما جاءت به رسله لو عرضت عليه هذه المنكرات وكان سليم العقل والذوق لبادر الى القول بأنها حرام لا يصح الاقدام عليها ولا ضياعها فما اختاره هذا الرجل من الآراء باطل على الفروض كلها ..

(رابعا)

هذه المسألة فيها خلاف ومذاهب ذات عدد مذكورة في كتب أصول الفقه : قالت طائفة ان الأصل في الأشياء أن تكون حلالا قبل ورود الشرع ، وقالت طائفة أخرى ان الأصل في الأشياء أن تكون حراما قبل ذلك وطائفة ثالثة توقفت

في المسألة لم تختار شيئاً من الآراء . وطائفة رابعة فصلت في المسألة تفصيلاً طويلاً ، وأدلت كل طائفة بدلائل كثيرة معلومة . وهذا الرجل ذكر مذهبا من المذاهب واختاره وقطع به بلا دليل ولا حجة

أما الآيات المذكورة فلا دليل فيها لدى التحقيق . أما قوله (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) فمعناها أنه تعالى أوجد كل ما في الأرض من ماء وهواء ونبات وثمار ومعادن وخيرات وغير ذلك لأجلكم ولأجل أن تنفعوا به . لكن لا يمكن أن يقال إن الآية تريد أن كل شيء من ذلك حلال لكل انسان منكم ، لأنها لو أرادت ذلك لكان هذا الحكم باقياً أبداً ولكان كل شيء في الأرض حلالاً لكل انسان منا ، لأن إخبار الآية إما أن يكون قدرياً قضائياً وإما أن يكون شرعياً . فان كان قدرياً كان المعنى أن الله قدر أن يكون كل شيء في الأرض لكل انسان منكم حلالاً ، ووجب أن يكون ذلك المقدر دائماً في كل الأوقات ، لأن ما قدره الله لا يمكن أن يختلف ، وباطل أن يقال بعد مجيء الشرع إن كل شيء في الأرض حلال لكل انسان في الأرض . ثم الشيء الذي قدره الله لا يلزم أن يكون حلالاً في الشرع ، لأن الله قدر كل شيء حتى الحرام وسائر الكائنات والموجودات الضارة والنافعة

وأما إن كان الإخبار شرعياً وجب أن يكون حكمه مستمراً إلى اليوم وإلى غد وإلى قيام الساعة ولكن باطل أن يكون كل شيء في الأرض حلالاً لكل انسان في الأرض

وتوضيح هذا أنه لا يمكن أن يفهم من الآية أنها تريد أن كل شيء في الأرض حلال لكل انسان في الأرض . وذلك لأننا نقول وكل مسلم يقول كما في القرآن : إن الله خلق لنا ما في الأرض جميعاً ، مع وجود الحرام والحلال ومع وجود التحريم والتحليل . فإذا ما كان الله يقول (خلق لكم ما في الأرض جميعاً) في

الوقت الذى كان ينزل فيه التحليل والتحرير ، وفى الوقت الذى لا يمكن أن يقال فيه ان كل شيء فى الأرض حلال لكل انسان فى الأرض ، فكذلك لا يمكن أن تدل هذه الآية البتة على أن جميع ما هو فى الأرض حلال مباح لكل فرد من أهل الأرض

ومثل الآية : قول الناس جميعا (مصر للمصريين) و (فلسطين للفلسطينيين) والبلاد الاسلامية للمسلمين ونظائر هذا ، ولا يمكن أن يفهم انسان من ذلك أن كل شيء فى مصر حلال لكل مصرى ، وأن كل شيء فى فلسطين حلال لكل فلسطينى وأن كل شيء فى البلاد الاسلامية حلال لكل مسلم ومثل ذلك هذه الآية فهى بعيدة جداً عن محل النزاع وعن المعنى الذى يريد منه منها هذا الرفض

وأما قوله (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) فالذي فى الآية أن الله تعالى برحمته ورفقه لا يعذب الناس حتى يقيم عليهم الحجج بإرسال الرسل بالبينات وبالآيات . ولكن ليس فيها أن الأشياء كلها قبل إرسال الرسل محلاة بحيث يباح تناولها لكل انسان . لأن هذا معنى كونها حلالا ، ومن المستحيل أن تكون الآية دليلا على أنه حلال للناس أن يزنا وأن يقتلوا ويشرکوا بالله وأن يعبدوا الأصنام وأن يفسدوا كل الآثام قبل ورود الشرع

ولقد تدون الأشياء حراما قبل تحريم الشارع ونصه على أنها حرام ، ولكن لا يعذب على ذلك قبل إرسال الرسل لأنه تعالى قد بعث إلى جميع الأمم الرسل والمندرين كما قال (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا)

وأما قوله (قل لا أجد فيما أوحى إلى ... الآية) فلا شيء فيها مما يريد ، لأنها تقول قل لا أجد فيما أوحى إلى ، والنزاع ليس فى الأمور التى فى الوحي وبعد

الوحى وإنما هو فيما قبل الوحى . فالآية تقول قل لا أجد من المحرمات الطعومات شيئاً خلا للذكور فى الآية . ولكن هل معنى هذا أن الأشياء كلها لما كولات وغير لما كولات حلال مباح قبل الوحى ، اللهم لا

على أن ما فى هذه الآية خاص بالمطعومات ، والمسألة المفروضة هى أوسع نطاقاً من المطعومات ، فلو افترض أن الآية دالة على أن كل المطعومات مباح حلال قبل ورود الشرع لما دل على أن كل شيء كذلك ، ثم ان هنا أمراً غفل عنه هذا الرافضى ومن احتج بحججه على المسألة ، ذلك الأمر هو أن النزاع فى الأشياء قبل مجئ الشرع وقبل حكمه عليها بالتحليل والتحريم ، فإن كانت هذه الآيات دلائل على أن كل شيء حلال سوى ما نص على تحريمه كانت هذه الأشياء حلالاً بالنص بعد وروده لا بالبراءة الأصلية والاصالة قبل وروده كما يقولون . وعلى هذا تخرج المسألة من النزاع لأن النزاع لم يكن فى ما قام الدلائل على إحلاله أو تحريمه . فان ذلك لا نزاع فيه

والذى نذهب اليه فى اختيار هذه المسألة أن الحلال والحرام هنا إن كان يراد بهما الشرعيان ، أي الاذان نص الشارع على أنهما حلال أو حرام ؛ فالأشياء قبل ورود النص من الشارع لا حلال ولا حرام بهذا المعنى . لأن الحرام الشرعى هو الذى قال الشارع انه حرام ، والحلال الشرعى هو الذى قال الشارع انه حلال . والكلام مفروض فى الأشياء قبل الشرع وقبل حكمه بالاحلال والتحريم ، وقبل ورود الشرع بهذا أو بهذا لا يمكن أن يحكم على شيء لا بهذا ولا بهذا وهو بين وإن أريد بالحلال والحرام ما دل العقل على أنهما حرام وحلال أي قبيح لا يجوز فعله ، وقد يعاقب عليه وحسن يجمل فعله وقد يثاب عليه . إن أريد هذا فالأشياء فى الأصل منها الحلال ومنها الحرام ولا جرم . هذا اختيارنا فى هذه المسألة وعلى كل حال فالمسألة تكاد تكون اقتراضية

الامر التاسع

قال الشيعي « البدعة ادخال ما ليس من الدين في الدين بقصد الدين ، وهي حرام لا يحتاج تحريمها الى دلائل خاص لان العقل يحكم بقبوح الزيادة على حكم الله أو النقص منه لأن ذلك خاص بالله وبالأنباء . ولكن تشخيص البدعة يقع فيه اختلاف واشتباه فكم بدعة عدت سنة وكم سنة عدت بدعة . ويكفي للحكم على الأمر بأنه ليس بدعة دخوله تحت الاطلاقات الشرعية العامة . لهذا أخطأ قوم ممنوعوا القيام عند ذكر ولادة النبي عليه السلام فقد علم بالاطلاقات الشرعية العامة لزوم احترام النبي ﷺ وتعظيمه حياً وميتاً كل أنواع الاحترام التي لم ينص الشارع على منعها وأخطأ (الوهابيون) اذ ممنعوا الترحيم والتذكير وعدوها بدعتين ، وذلك خطأ لدخولها تحت الاطلاقات الشرعية الحاضرة على ذكر الله ودعائه ، وعلى الصلاة على النبي الكريم ، وتخصيص ذلك ببعض الأزمان والامكنة لغرض من الأغراض مع عدم اعتقاد أن ذلك التخصيص وارد في الشرع لا يجعله بدعة . وكذلك أشياء عدوها بدعا يحجب الكلام عليها » انتهى . قلت :

(أولاً)

نحن ندع له هذا التعريف للبدعة على ما فيه من نزاع . وندع له قوله : إن البدعة لا يحتاج تحريمها الى برهان خاص . ولكن نقول اذا ما اعترفت بأن البدعة حرام واعترفت بأنها ادخال ما ليس من الدين في الدين بإرادة الدين ، فكيف يقع الاختلاف والاشتباه في تشخيصها ومعرفة ما ، وقد أعطيتها التعريف الجامع المانع لديك . والاشتباه في ذلك يقع لدى من جهل ما هي البدعة أو جهل ما هي السنة فعز عليه تمييز هذه من هذه لجهله بحقيقتيهما . ومن عرف البدعة بأنها ما أدخل في

الدين ، أى زيد فيه بقصد الدين عرف السنة أنها هي العبادة المأثورة عن صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام قولاً أو فعلاً تصريحاً أو تلويحاً

وما على من اعترف بأن البدعة حرام وعرفها بأنها المزيد في الدين لأجل الدين الا أن يعلم الدين من مصادره النقية الصحيحة فيمسك بها بكلتا يديه ، ويرد ما لم يجد في المصادر الصحيحة النقية ردّاً قال هاجر : فانه واجد في مصادر الاسلام الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان إذا زار القبور يدعو لأهلها ولنفسه ثم ينصرف وواجد أنه عليه السلام كان يعلم أمهاته إذا زاروا القبور أن يدعو لأصحابها ولا أنفسهم . ولا يجد غير ذلك من الاستثناء بالأموات ، والمسح بالأجداث وتقبيلها وقراءة القرآن والاحزاب والاوراد فوقها . فهل يقع اختلاف أو اشتباه لدى المسلم المتبع سنة الرسول ﷺ أن السنة في زيارة القبور هي أن يدعو الزائر لمن زاره ولنفسه ثم ينصرف . وأن كل ما زاده الناس بعد ذلك هو من البدع المنكرة

ثم يرجع الى مصادر الاسلام الصحيحة الصافية فيجد أن رسول الله ﷺ وأصحابه ما كانوا يبنون على القبور ، ولا يضعون فوقها ما يضعه الناس اليوم ولا يسرجونها أو يكسونها أو يرصدون لها السدنة والحجاب لا يتراز أموال الناس وسرقها العلانية باسم الدين . بل يجد أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهى وأوعد فاعله أنواع الابعاد ، ووجد أن علماء الاسلام الحق نهوا عنه أيضاً وشددوا في النهى . فهل يشقه على من أراد السنة حقاً أن يعرف أن ذلك كله بدع فيجانبه بعيداً لانه يعلم أن الابتداع حرام لانه تشريع والتشريع خاص بالله وبأنبيائه

ثم يرجع أيضاً الى المصادر النقية فيجد أن الأذان الشرعي في زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والتابعين الى قرون بصفة محدودة معلومة محفوظة متواترة يملأ آذان الملايين في اليوم خمس مرات ، ويتدفق من موجات الهواء الى منافذ

حجرات المخدرات في خدورهن والقاعدات الملازمات بيورتهن ، وان أول كلمة فيه (الله أكبر) وآخر كلماته هي (لا إله الا الله) ولا يبد في رواية ولو ضعيفة أن مؤذنا كان في ذلك العهد المرضى عنه يختتم الأذان بالصلاة والسلام على الرسول الكريم جهراً مثل ما يفعله الناس اليوم . كما لا يجد أن مؤذناً في ذلك العهد النبوي كن يفعل شيئاً مما يفعله كثيرون اليوم قبل الأذان من الدعوات، المبتدعة والاشعار الجوفاء الجاهلة والانايد الكاذبة فيعلم أن السنة هي الأذان المبدوء (بالله أكبر) المختتم (بلا إله الا الله) وأن ما قبل ذلك وما بعده بدع منكورة مزودة فلن يصل اليه شيء من الاختلاف والاشتباه

وهكذا يصنع في جميع العبادات والاعتقادات يتعلم ما جاء عن صاحب الرسالة فيعرفه ويتبعه اعتقاداً وعملاً وقرلاً ويحارب غيره ولا كرامة . وهذا من اليسر المين على من أراده فان الله الرحيم بعباده لم يضع الشرع في قالب عسير يعجز فهمه ولم ينزل كتابه ألغازاً وأحاجي يصعب ادراكها بل وضع شرعه في قالب يسير وأنزل كتابه ميسراً قريباً لأنه دين الجميع الخاصة والعامة ، ولأنه دين الفطرة ومن أراد ذلك ففعله خلص من الاشتباه والاختلاف ولم يحسب السنة بدعة ولا البدعة سنة بل يضع هذه في موضعها وهذه في موضعها . وهكذا كان علماء الحديث والسنة كالأئمة الأربعة وكأئمة الحديث . وكذلك كان الصحابة والتابعون لهم باحسان كانوا من أهل السنة الخالصة المبرأة من الشوائب والمبتدعات لم يتسكوا بالبدع حاسبين سنناً ولم يهجروا السنن حاسبين بدعاً ، ولم يقولوا : إن معرفة السنة من البدعة سيرة كما يقول هذا الرجل ، أو يقولوا إن السنن التي هي دين الله ودين رسوله ودين أبي بكر وعمر والصحابة ودين الاسلام والتوحيد تشبه بالبدع التي هي دين الجاهلين الضالين وبقايا دين المشركين الغابرين ورشاش أديان اليهود والنصارى والصابئين . لم يقولوا في شيء من ذلك لا قولاً ولا عملاً ولا

اعتقاداً . وهذا لا ريب فيه ، وهل يستطيع المخالف أن يظفر بشيء منه ؟ وإنما يقع في ذلك ويغوص فيه الى أذنيه و فرق رأسه أشباه المعارض ممن ردوا البدعة موضوعاً وقبلوها شكلاً ، وبعبارة أوضح ردوها جملة وقبلوها تفصيلاً متعلقين بالاطلاقات والعمومات وأقل ما يمكن أن يتعلق به صاحب ضلالة وبدعة أو هوى وهذا كله برىء منهم عند اصابة النظر . فان قوله (ويكفى للحكم بأن الأمر ليس بدعة دخوله تحت العمومات والاطلاقات الشرعية) قول يراد به ادخال جميع البدع في الشريعة ومزج كل الخرافات في السنن النبوية المطهرة . ثم يراد به النقص على قوله الأول في إنكار البدع أو التنصل منه أو الرجوع عنه بهذا النحو الذى رضيه واختاره من اتباع العمومات والاطلاقات الشرعية ، وهو يعلم - وقد يكون لا يعلم - أنه بهذا القول يمكن الاستدلال على جميع البدع والاحتجاج لها بالعمومات والاطلاقات كما يدعى هو وكما يحتج وكما فعل في كتابه هذا . فانه قد أدخل جميع البدع المتعلقة بالقبور وأصحاب القبور من الاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم والحلف بهم ، ونذر النذور وتقريب القرابين لهم تحت ما ادعاه من وجوب التعظيم والاحترام لهم ، وهكذا صنع في جميع المحدثات التى حشدها في هذا الكتاب ودعا اليها من غير تفصيل ، وعلى هذا الأساس الواهى قال « وقد أخطأ قوم منعوا القيام عند ذكر ولادة النبی عليه الصلاة والسلام » فاذا ما قيل له إن هذا القيام لم يؤثر عن أحد من صحابة رسول الله وقد كانوا ولا ريب يذكرون ولادته عنده وبعد موته ، وقد كانوا أيضاً حراساً كل الحرص على العمل الصالح وعلى تعظيم النبی واحترامه بكل ما استطاع ويحل من أنواع الاحترام ، وقد كانوا أيضاً بصراء بما يجب لرسول الله وما يستحب وما يمنع من ذلك ، وكذلك لم يؤثر هذا القيام عن أئمة الهدى ومصابيح الدجى من رجال الحديث والسنة وثقة الأخبار لا بسند صحيح ولا ضعيف فاذا ما قيل له ذلك كله ، وقيل له أيضاً ان الرسول الكريم كان

حريصاً على تعليم أصحابه ما به يدركون ثواب الله ورضاه ، وعلى تعريفهم كل ما يقربون به من الجنة وما يبتعدون به عن النار ، وما أتى عنه ﷺ أنه أشار عليهم بالقيام عند ذكر ميلاده ، ولا أرشدهم إليه أو حضهم عليه . إذا ما قيل لهذا الرافضى هذا وأكثر منه كان جوابه : ان القيام عند ذكر ميلاده من أنواع التعظيم والاحترام ، وإطلاقات الشرع حاضرة على تعظيمه عليه السلام ، فهو مأمور بالقيام عند ذلك تضرعاً لا نصاً . لسكتنا نقول هذا باطل لأمر :

(أولها)

أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا يعلمون هذه الاطلاقات المدعاة ، وكانوا يعلمون أنه واجب اعظام النبي الكريم واحترامه ، وكانوا أتقى لله وأسبق الى الخيرات والطاعات من رجال الرافضة وجهال الشيعة ، وقد يكون قولنا هذا مثل ما قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف أمضى من العصا ونحن نستغفر الله من ذلك . بل كانوا أتقى الأنام على الاطلاق وأعرفهم بالله ورسوله وما يجب لهما على الاطلاق أيضاً . انهم كانوا كذلك علماء وعلماء ، ومع هذا كله لم يؤثر عن أحد منهم أنه قام عند ذكر ولادته عليه السلام ، ولا عند ذكر ولادة غيره من الأنبياء والصالحين ، ولا عند ذكر شيء من الأشياء العظيمة في دين الاسلام وفي أعماق الصدور المسلمة ، ومن ادعى ورود شيء من ذلك كان عليه البيان والتبيين

أفلا يدل هذا على أحد أمرين : اما على القدح في الصحابة لأنهم قصرُوا في حق الرسول الكريم ، وفي تعظيمه فسبقتهم الرافضة وجهالهم ، وإما على القدح في الشيعة ومن يقول قولهم هذا ، لأنهم ابتدعوا في الدين ما لم يكن منه إرادة الدين وخالفوا سيرة المسلمين الأولين المألومة بالتواتر العملى والسيرة الفعلية ؟ اتنا نختار

التدح في هؤلاء المبتدعين كلهم على أن تدح في أحد من صحابة رسول الله عليه
الصلاة والسلام

(ثانيا)

لم يكن القيام للرسول ﷺ مشروعا يوم أن كان حيا ، ولم يكن صحابته
يقومون له يوم أن كان بين أظهرهم يبصرونه ويسمعونه حينما يدخل أو يخرج
وحينما يقعد أو يقوم . بل لقد أنكر ذلك منهم وكرهه . « فروى مسلم في صحيحه
أنه قال لأصحابه إذ قاموا وراءه يصلون إن كنتم تفعلون فعل فارس والروم فلا
تفعلوا » وفعل فارس والروم هنا هو أنه يقوم بعضهم لبعض ويقومون لكبرائهم
وأهل الكبرياء منهم تعظيما وإكبارا وذلة وخضوعا ، وروى الامام أحمد بإسناد
صحيح عن أنس بن مالك قال لم يكن شخص أحب إليهم أى الى الصحابة من
رسول الله وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمونه من كراهيته لذلك ، والكرامة
يراد بها في الكلام الأول البغض . فيقال للمحرم انه مكروه ، أى حرام فظيع
كقوله تعالى « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » وقوله « ولكن كره الله
انبائهم » وفي الحديث الصحيح (ان الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال
واضاعة المال) ونظائر ذلك كثيرة . وروى أبو داود بإسناد زعم الهيثمى أنه
صحيح وروى الترمذى وقال حسن أنه عليه السلام قال : من أحب أن يشتمل له
الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار وروى أبو داود بإسناد زعم الهيثمى أنه
حسن أن الرسول خرج على أصحابه فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم
يعظم بعضهم بعضا

وإذا لم يكن القيام مشروعا له ﷺ حينما كان حيا عند حضوره وقيامه
وكان هو يكرهه أى ينفذه وكان أصحابه يدعون ذلك وهم لا يحبون أحدا بعد الله
حبهم له لأنه هو لا يريد ولا يرضاه منهم ، فاعجب أن يكون ذلك مشروعا عند ذكر

ولادته بعد وفاته وانتقاله الى الرفيق لاعلى ، والخطاب هنا لمن يفهمون ولا يقدرون
(ثالثها)

لو كان القيام عند ذكر ولادته مشروعا لانه تعظيم لكان ذلك مشروعا عند
ذكر الله تعالى وعند ذكر كلامه وذكر القرآن الكريم ، وعند ذكر الانبياء
والاولياء والصالحين . وعند ذكر الاسلام والاديان ، وعند ذكر كتب الحديث
والسنة ، وعند ذكر الائمة الهداة ، وعند ذكر كل شيء يشرع بالجملة احترامه
وتعظيمه ومن قام عند ذكر هذه الامور كلها أو قال ان القيام عند ذلك مشروع
كان الى الهوس اقرب منه الى العقل الذى تجدر به المخاطبة
ولا ريب أن هذا لازم كلام هذا الرافضى لزوما لا انفكاك له منه

والدليل على أن القيام عند ذكر هذه الامور مشروع ما ذكره هو من
الدليل على أن القيام عند ذكر الولادة مشروع ، والدليل هو الاحترام والتعظيم
ووجوبهما فى الجميع . ولا يشك أحد من المسلمين فى أنه اذا كان القيام لدى الذكرى
تعظيما كان الله وصفاته وكلامه أولى بذلك من الرسول ﷺ ومن جميع الخلائق .
بيد أننا نعلم بالضرورة أن القيام ليس مشروعا للمسلمين عند ذكر الله أو ذكر
كتابه أو ذكر صفاته وأسمائه وأفعاله ، ومثل هذا عند من يفهم القيام عند ذكر
ولادة النبي ﷺ

(رابعها)

نحن لانسلم أن القيام تعظيم دائما حتى يتجه ما قاله ، بل قد يكون التعظيم فى
خلاف للقيام . وهذا أمر يختلف فيه الأنظار وتقسب لديه المذاهب والآراء .
فقد يرى بعض الناس فى بعض البلاد ، فى بعض الأماكن ، فى بعض البيئات :
أن تعظيمه فى أن يجرد الناس أمامه جالسين خاضعين منصتين يستمعون لما يقول

ويتلقفون ما يتفوه به ، كما قد يرى آخرون أن التعظيم الجرم في أن يجلس للعظيم
بين أيديهم واضعاً يديه على ركبتيه إجلالاً وهيبة ، هيئة جلوس المشهودين . كما يرى
المتكبرون أن تمام تعظيمهم وتقديسهم في أن ينخر الناس لهم على الأذقان ركعاً
وسجداً عند رؤيتهم أو عند ذكراهم ونحو ذلك ، والدليل القاطع على أن التعظيم
قد يكون في غير القيام صفة الصلاة لله رب العالمين ، فإن الجلوس بين السجدين
وفي التشهدين تعظيم لله أي تعظيم والقيام في وقتها لا تعظيم فيه بل هو حرام
لا يحل فعله ومثل ذلك السجود فإنه أبلغ تعظيماً من القيام والركوع والجلوس
وهو في وقته التعظيم وحده وغيره ليس تعظيماً ، بل لا يجوز عمله
فالقيام إذن ليس تعظيماً في كل زمان ومكان في جميع الحالات . بل قد يكون
حراماً ممنوعاً لأنه خال من التعظيم والوقار ، فالدليل الذي ذكره على استحباب
القيام عند ذكر ميلاده ﷺ وهو التعظيم ليس دليلاً مقبولاً لما ذكرنا

(خامسها)

إذا كان كل ما فيه تعظيم مشروعاً لتقديمه للرسول الكريم . فإن السجود
والركوع والجلوس كهيئة التشهد ، كل ذلك تعظيم ولا ريب . فهل يقول هذا أن
ذلك كله جائز أن يفعل عند ذكر ميلاد الرسول أو عند ذكر اسمه ﷺ .
فيجلس من يجلس ويركع من يركع ويسجد من يسجد تعظيماً واحتراماً ؟ ان هذا
لازم لكلامه ، وإمكانه قول يرغب كل مسلم بنفسه عنه . فإن قيل أنه قد جاء النهي
عن السجود لغير الله . قيل إن الأخبار الناهية عن السجود للرسول وللخلق هي
أحاديث آحاد على مذهبكم تردون ما هو أصح منها وأكثر أسانيد وأجود رواية
فلا تصالح لمعارضة ما علمتموه بالضرورة والاجماع والتواتر والقرآن والسنة من
وجوب تعظيم الرسول الكريم واحترامه أنواع الاحترام والتعظيم والأحاديث
التي وردت في النهي عن السجود لغير الله أحاديث ليست قوية ، ولكن ذلك

معلوم تحريمه بنص القرآن وإجماع المسلمين بطريقة لا يرتضيها هؤلاء كما سوف يأتي

وإذا ما سلمنا مسألة السجود بغيرها كالجُلوس هيئة التشهد ، وبقي الركوع أيضا ، والتكفير^(١) عند الأعجام ، فإذا ما قيل ان المسلمين مجتمعون على أن السجود لغير الله لا يجوز بحال قلنا ليس إجماعهم على امتناع السجود لغير الله بظاهر من إجماعهم على امتناع الاستغانة بالأموات ، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله كطلب الرزق والهداية وغفران الذنوب وشفاء المرضى ورجع الغائبين . وقد أباح هذا ارافضى هذا كله كما سلف وكما سوف يأتي ، وإذا لم يكن الإجماع حجة في هذا لم يكن حجة في هذا . ثم نقول أيضا هب أن السجود عند ذكر ولادته لله لاله ، أيجوز ذلك . ان هذا يلزم قوله لزوما لا مفر منه ولكنه باطل بالضرورة والإجماع فالاحتجاج لإقيام بالادعاء أنه تعظيم احتجاج لا يثبت على حال وأما قوله ان الوهابيين أخطأوا أيضا في منع الترحيم والتذكير لجواز ذلك بما جاء عاما من الحض على ذكر الله ، والصلاة على النبي الكريم فهذا القول وهذا الاحتجاج سيئلهما سبيل أقواله الأول ، وأظنه يعنى بالترحيم والتذكير تلك الأشعار التي يشاد بها فوق المنارات قبيل صلاة الصبح ، وهي أشعار فائضة بالغلو المنكر ، وبالندبة الفاسدة ، والتوسلات الباطلة الممنوعة شرعا وذوقا وأدبا من التغزل بالرسول ومن ذكر الخلد الأسيل ، والطرف الكحيل ، والوجه الجميل ، ومن دعاء الأموات كشيوخ العرب وغير شيخ العرب ومن الإشادة بمذهب وحدة الوجود ، ومن غير ذلك من الأمور الباطلة التي اشتمل عليها ذلك الترحيم والتذكير ، اللذان يدافع عنهما هذا الرجل . ولا ريب أن ما ادعاه باطل بدلائل كثيرة :

(١) التكفير هو وضع اليد فوق اليد هيئة القائم في الصلاة

(أولها)

أن ذلك لم يكن شيء منه على عهد الصحابة ولا عهد من بعدهم من أهل القرون
المتى عليها للفضلة باخبار الرسول الكريم وبالقرآن العظيم . ولو كان ذلك خيراً لما
تركوه ليظن به المتأخرون الجاهلون بأسرار الشريعة وما تنطوي عليه من سمو
وبراءة وحكم عليا تنق على أفكار هؤلاء .

(ثانيها)

أن في هذه الأشعار من التوسل ودعاء الاموات الداهيين والقلو في الرسول
ﷺ وغيره ما استجىء البراهين على بطلانه ، فان فيها الاستغاثة بشيخ العرب
وفيها الاسراف في الدعاء وفي اللديح بل وفي كثير منها تأليه الرسول الكريم
واعطاؤه ما لا يكون الا لله وحده

(ثالثها)

لو كان هذا الدعاء مشروعاً بالجملة لكان ممنوعاً بهذه الصفة . فان المطلوب في
الدعاء أن يكون خفية سرّاً الا في حالات معلومة لوظائف لا يؤديها الاخفات .
والاسرار بالدعاء مأمور به على سبيل الاجمال في آيات وأحاديث كثيرة ، وذلك
لأغراض شريفة عليا نفسية . منها : الابتعاد عن مواطن الرياء والتفاق ، ومنها : أن
الاسرار أقرب الى الخشية والخشوع وحضور القلب ومنها غير ذلك . وقد قال الله
في ذلك « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين » ومن الظاهر جداً أن
يتسر هنا الاعتداء بالجهر بالدعاء وقال « واذكروا ربكم في فقهكم تضرعاً وخفية
ودون الجهر من القول بالقدوس والآصال » وفي الحديث الصحيح المشهور أنه ﷺ
سمع أصحابه يجهرون بالدعاء فقال : « أيها الناس اربعوا على أنفسكم ، فانكم
لا تدعون أصم ولا غائباً ، انما تدعون صمياً بصيراً أقرب الى أحدكم من عنق

راحلته « وفي الحديث أيضاً أن قوما سألوا الرسول قالوا: أقریب ربنا فتناجیه أم
 بیدفتناده فانزل الله قوله « واذا سألت عبادی عنی فانی قریب أحیب دعوة
 الداع اذا دعان » الى غیر ذلك من الآيات والأحادیث الدالة على أن المطلوب
 فی الدعاء ما خلا مواضع معلومة أن یكون سرّاً لا جهرًا . وقد ذكره لذلك كثیرون
 من أئمة الاسلام الدعاء بعد الصلاة جهرًا فی المساجد وان كان أصل الدعاء عقب
 الصلوات واردة فی أخبار صحيحة بل وإن كان قد جاء فی الأحادیث ما يدل على
 أن الجهر بالدعاء عقب الصلوات كان على عهد الرسول الكريم ولكن هؤلاء العلماء
 رأوا أن النصوص فی الاختفات أظهر وأكثر . وقد ذكر هذا الشاطبي فی كتابه
 الاعتصام المشهور . ولا ریب أنه لم یأت خبر واحد یخص هذا التحريم وهذا
 التذکیر من هذه العمومات المطلقة الطالبة من الناس أن یسروا بدعائهم ، ولو
 جاء ذلك لبادرنا الى القول به . وفي الاختفات بالدعاء فی هذه المواضع أسرار
 عظيمة لحفظها الشارع الحكيم وغفل عنها هؤلاء المغالون الخالفون . وذلك أننا
 وجدنا بالاستقصاء والاستقراء أن هؤلاء الذين یدعون هذه الأدعية فوق
 المنارات جهرًا انما یرون ذلك صنعة ووظيفة یؤدونها أداءً لیکاً بیداً عن مراقبة
 الله واردة الله تائین عن الخضوع والخشوع ، مملوین زهواً وغروراً ، مملوین
 بالخداع والفتاق . وهذا كله آت من طریق الجهر والمظاهرة بالدعاء وذكر الله
 وفي هذا ابطال حکمة الله فی دعائه ومناجاته

واذا ما كان الداعون لله المتظاهرون بدعائه بیدین حین دعائهم عن الخشبة
 ومراقبة الله كان لذلك أثر عظیم فی نفوس السامعین وما الله بغافل عن شيء من
 ذلك ولا مهمل له . بل وفي دعاء الله بهذه الطريقة الجوفاء امتحان لهذه العبادة العليا
 التي قال فیها رسول الله عليه الصلاة والسلام « الدعاء مع العبادة »

(رابعها)

ان السلف الصالحين قد أنكروا ما هو أقل من ذلك توغلا في البدعة وأقل
إثماً وعاقبة ، وذلك منهم محافظة على السنة وعلى الطريقة الاسلامية العملية الاولى
إذ هم يعلمون ولا يشكون أن الاسلام أراد من أهله المحافظة الشديدة عليه والتمسك
الشديد بالمأثور ومجانبة بنيات الطريق بشدة وصرامة ، وقد ذكر الامام الشاطبي
في كتابه المشهور « الاعتصام » قال « وحكى ابن وضاح قال ثوب المؤذن بالمدينة
في زمان مالك فأرسل اليه مالك فجاءه فقال له ما هذا الذي تفعل فقال أردت أن
يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا . فقال له مالك لا تفعل . لا تحدث في بلدنا شيئاً
لم يكن فيه ، وقد كان رسول الله في هذا البلد عشر سنين وأبو بكر وعمر وعثمان
ظلم يفعلوا هذا . فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه . فكف المؤذن عن ذلك وأقام
زماناً ثم انه تنحى في المنارة عند طلوع الفجر فأرسل اليه مالك فقال له ما هذا
الذي تفعل ؟ قال أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال له ألم أتفك ألا
تحدث عندنا ما لم يكن . فقال إنما نهيتني عن التثويب فقال لا تفعل فكف زماناً
ثم جعل يضرب الأبواب فأرسل اليه مالك فقال ما هذا الذي تفعل ؟ فقال أردت
أن يعرف الناس طلوع الفجر ، فقال له مالك لا تفعل لا تحدث في بلدنا ما لم يكن
فيه » وقال الشاطبي أيضاً في الكتاب المذكور :

« وروى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه دخل مسجداً أراد أن يصل فيه فثوب
المؤذن فخرج عبد الله بن عمر من المسجد وقال اخرج بنا من عند هذا البتدع ولم
يصل فيه . قال ابن رشد وهذا نحو مما كان يفعل عندنا بجامع قرطبة من أن يفرد
المؤذن بعد أذانه قبل الفجر التداء عند الفجر بقوله : حي على الصلاة . قال وقيل
إنما غنى بذلك قول المؤذن في أذانه حي على خير العمل لأنها كلمة زائدة في

الأذان من خالف السنة من الشيعة ، ووقع في المجموعة أن من مع الثوب وهو في المسجد خرج منه كفعل ابن عمر ، وفي المسألة كلام المقصود منه الثوب المكروه الذي قال فيه مالك أنه ضلال ، والكلام يدل على التشديد في الأمور المحدث أن تكون في مواضع الجماعة أو في المواطن التي تقام فيها السنن والمحافظة على المشروعات أشد المحافظة لأنها إذا أقيمت هنالك أخذها الناس وعملوا بها فكان وزر ذلك عائداً على الفاعل أولاً فيكثر وزره ويعظم خطر بدعته . وقد فسر الثوب الذي أشار إليه مالك بأن المؤذن كان إذا أذن فأبطأ الناس قال بين الأذان والاقامة قد قامت الصلاة . حتى على الصلاة . حتى على الفلاح . وهذا نظير قولهم عندنا : الصلاة رحمكم الله

وقد أحدث بالمغرب المسمى بالمهدي ثوبيا عند طلوع الفجر وهو قولهم أصبح لله الحمد اشعاراً بأن الفجر قد طلع لالزام الطاعة والحضور للجماعة وللندوة بكل ما يؤمرون به فيخصه هؤلاء المتأخرون ثوبيا بالصلاة كالأذان ، ونقل أيضاً إلى أهل المغرب الحزب المحدث بالاسكندرية وهو المعتاد في جوامع الأندلس وغيرها فصار ذلك كله سنة في المساجد إلى الآن ، فانا لله وإنا إليه راجعون . »
اه الشاطبي

وإذا كان مثل هذا الثوب وما ذكر هنا من التنضح وضرب الأبواب جراماً غير جائز عند عبد الله بن عمر وعند الإمام مالك وعند الإمام الشاطبي وعند هؤلاء العلماء فكيف يجوز هذا النشيد الهراء العامي المكسر لغة وشعراً وذوقاً ونحواً ؟ وكيف يجوز أن يقذف به من فوق المنارات منصات الداعين إلى الله وإلى الفلاح وإلى الصلاة وهان الصلاح . ؟ ولقد جاء أبلغ من هذا كله في المحافظة على المأثور وهجر المبتدعات عن أئمة السلف . فذكر الإمام الشاطبي في الكتاب المذكور قال :

« قال أبو مصعب : قدم علينا ابن مهدي ففصلى ووضع رداءه بين يدي الصف فلما سلم الامام رمة الناس بأبصارهم ورمقوا مالكا وكان قد صلى خلف الامام فلما سلم قال من هاهنا من الحرس ؟ فجاءه نفسان فقال خذا صاحب هذا الثوب فاحبساه فحبس فقبل له إنه ابن مهدي فوجه اليه وقال له ما خفت الله واثميت أنه وضعت ثوبك بين يديك في الصف وشغلت المصلين بالنظر اليه وأحدثت في مسجدنا شيئا ما كنا نعرفه . وقد قال النبي ﷺ : من أحدث في مسجدنا حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فبكى ابن مهدي وآلى على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً في مسجد النبي ﷺ ولا في غيره . وفي رواية عن ابن مهدي قال : فقلت للحرسيين تذهبان بي الى أبي عبد الله ، قالان إن شئت . فذهبنا اليه فقال يا عبد الرحمن تصلى مـ تلبّاً ؟ فقلت يا أبا عبد الله أنه كان يوماً حاراً كما رأيت فقتل ردائي على . فقال آله ما أردت بذلك الطعن على من مضى والخلاف عليه ؟ قلت الله . قال خليه » انتهى ما نقله الشاطبي

وما يكون وضع الرداء أمام المصلي في جانب المسائل المذكورة ؟ ان البون لشاسع . وهذا نوع من كراهة السلف للمحدثات ومقتها واجتنابهم إياها يعرف بها أنكون هذه الأناشيد من التذكير والترقيم حلالاً أم حراماً

(خامسها)

ان ملازمة المؤذنين هذه الأناشيد والأغاني وجهرهم بها فوق المنارات من الدعاء والصلاة على الرسول والاستغاثة بالخلق يوم الجهور والعامه أن ذلك واجب لا يصح تركه وقد وقع هذا فعلاً فان جماهير من العامة يرون وجوب الصلاة على الرسول عقب الأذان جهراً ولا يرون الأذان يصلح بدون ذلك وقد كان من جراء ذلك أنهم يشيرون بمن أذن الأذان الشرعى ولم يأت بهنم

البدعة المحدثه ، وقد وقع هذا مرات في بلاد مصر . وكان من جراء ذلك أن وقع قتل وجنایات وذلك لاعتقادهم وجوب هذه الصلاة وهم يعدون من لا يصلي كذلك مبغضاً للرسول الكريم ، تاركاً واجباً من أعظم الواجبات وأقدسها ، وكذلك شأنهم في الكثير من المبتدعات التي يشاهدونها صباح مساء . وإذا كان ذلك كذلك كان اللازم هجران هذه المبتدعات خشية أن تحسب سنناً واجبة . ولقد كان بعض السلف يدعون السنن خشية أن يظنها الناس فروضاً واجبة ، فكيف بالبدع ؟ قال الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام :

« لقد كان السلف يتركون السنن خوفاً اعتقاد العوام أمراً هو أشد من ترك السنن وأولى أن يتركوا المباحات ألا يعتقد فيها أمر ليس بمشروع . فقد ذكروا أن عثمان كان لا يقصر في السفر فيقال له أليس قد قصرت مع رسول الله ؟ فيقول بلى ولكنني إمام الناس فينظر الى الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين فيقولون هكذا فرض . قال الطرمطشي تأملوا رحمكم الله فإن في القصر قولين لأهل الاسلام . منهم من يقول فريضة فمن أتم فأتنا يتم ويعيد أبداً . ومنهم من يقول سنة يعيد من أتم في الوقت . ثم اقتحم عثمان ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء المآبة أن يعتقد الناس أن الفرض ركعتان . وكان الصحابة (١) رضي الله عنهم لا يضحون . قال حذيفة بن أسد : شهدت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان مخافة أن يرى أنها واجبة ، وقال بلال : لا أبالي أن أضحي بكبشين أو بديك . وعن ابن عباس أنه كان يشتري لحماً بدرهم يوم الأضحى ويقول لهكرمة من سألك فقل هذه أضحية ابن عباس . وقال ابن مسعود : اني لا ترك أضحيتي وانى لمن أيسركم مخافة أن يظن أنها واجبة . وقال طاوس ما رأيت بيتاً أكثر لحماً وخبزاً وعلماً من بيت ابن عباس ، يذبح وينحر كل يوم ثم لا يذبح

يوم العيد ، وإنما كان يفعل ذلك لئلا يظن الناس أنها واجبة وكان إماما يفتدى به . قال الطرطوشي والقول في هذا كالذي قبله ، وإن لأهل الاسلام قولين في الأضحية أحدهما سنة ، والثاني واجبة . ثم اقتضت الصحابة ترك السنة حذراً من أن يضع الناس الأمر على غير وجهه فيعتقدونها فريضة . قال الامام مالك في الموطأ في صيام ستة بعد الفطر من رمضان : أنه لم ير أحداً من أهل العلم والفقه يصومها . قال ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف ، وإن أهل العلم يكرهون ذلك ويخافون بدعته ، وأن يلحق أهل الجهالة والجفاء بربضان ما ليس منه لو رأوا في ذلك رخصة من أهل العلم ورأوهم يقولون ذلك فكلام مالك هنا ليس فيه دليل على أنه لم يحفظ الحديث كما توهم بعضهم ، بل لم يسل كلامه . يشعر بأنه يعلمه ، لكنه لم ير العمل عليه وإن كان مستحباً في الأصل لئلا يكون ذريعة لما قال ، كما فعل الصحابة في الأضحية وثمان في السفر . وحكى الماوردي ما هو أغرب من هذا وإن كان هو الأصل ، فذكر أن الناس كانوا إذا صَامُوا في السحن من جامع البصرة ورفعوا من السجود مسحوا جيابهم من التراب لأنه كان مفروشا بالتراب فأمر زياد بالقاء الحصى في سحن المسجد . وقال لست آمن من أن يطول الزمن فيظن الصغير إذا نشأ أن مسح الجبهة من أثر السجود سنة في الصلاة . وهذا في مباح فكيف به في المكروه أو الممنوع ^(١) (انتهى كلام الشاطبي)

وذكر الشاطبي في موضع آخر أن من ذلك نهى الرسول الكريم ﷺ أن يتقدم شهر رمضان بصيام يوم أو يومين وقال إن وجه ذلك عند العلماء مخافة أن يعد ذلك من جملة رمضان

بهذا ليعتبر المعتبرون

وأما ما يتعلق به هذا الرجل من العمومات والاطلاقات ، فجوأنا عليه أن

(١) نحن لا نقيّد بكل ما قلناه هنا ولكننا سقناه لغرضنا المذكور

نقول له اعلم أن هنالك أمراً يسمى البدعة الإضافية . والبدعة الإضافية هي الأمر المحدث على نحو لم يكن في الإسلام ولا في عصر الرسول الكريم ﷺ وعصر خلفائه الراشدين ، إذا ما كان أصل هذا الأمر موجوداً مشروطاً بالجملة لكن على نحو آخر وفي هيئة أخرى ، أي على شكل لم يكن معروفاً في صدر الإسلام ولا في أيامه الأولى . نظير ذلك مثلاً صلاة التوافل والسنن الرواتب التي تكون قبل الصلوات الخمس وبها ، فإن هذه السنن وهذه الرواتب مشروعة مرغوبة فيها بالجملة على أن تؤدي كما جاءت عن صاحب الشرع عليه السلام . ولكن لو أن قوماً اجتمعوا وانفقوا على أن يصلوها جماعاً بامام كما يصلون الفروض ثم واطبوا على تأديتها كذلك كانوا مبتدعين غالطين في هذه الصلاة غلطاً يلامون عليه ، ووجب لما ذكرنا زجرهم ونهيهم نهياً شديداً . وكان هذا العمل بدعة إضافية لا أصلية فان أصل النافلة مشروع مطلوب ولكنها بهذا الشكل المبتدع عليه غير مشروعة ولا جائزة

وكذلك الأذان للصلوات مشروع في أوقاتها المعلومة وهيئته المعروفة عن صاحب الرسالة . ولكن لو أذن لكل صلاة مرتان أو ثلاث أو أكثر خلا ما جاء في صلاة الفجر والجمعة كان ذلك غير جائز ولا مشروع ، وكان بدعة نكراء يجب اطراحها وإزالتها . هذا مع أنه لا ريب أن الأذان مشروع بالجملة وهو تعظيم لله وتوحيد وثناء وشهادة للرسول الكريم بالرسالة ودعاء إلى الله وإلى الفلاح والصلاة ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وإلى الصلاة وإلى الفلاح ؟
وكذلك لو كرر أكثر مما حفظ أو لو وضع في أوقات غير أوقات الصلوات أو لو غير ترتيبه . كل هذا يكون من الابتداع المذموم

وكذلك الصلاة على الرسول الكريم ﷺ مرغوبة فيها من باب طلبها ، مطلوبة طلباً مطلقاً ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشر أضعاف . ولكن هنالك أوقات لا تجوز فيها

هذه الصلاة . وهنالك هيئات لا تجوز عليها ، فلا تجوز الصلاة على الرسول ﷺ في مواضع من الصلوات المفروضة ذات الركوع والسجود ، فلا يجوز ذلك في أثناء القيام ولا في مواضع أخرى منها . وكذلك لو صلى عليه في التشهد جهراً لكان ذلك عملاً باطلاً . مع أن الصلاة عليه في التشهد مطلوبة وكذلك الجهر بالأدعية الواردة في الصلوات هو غلط ومبتدعات . مع أن أصل ذلك مشروع كله . ولكن وضعه في غير موضعه أو في غير هيئته يصيره من الأعمال المحرمة المنوعة وليس لصلاة العيدين أذان ولا إقامة ، فلو أذن وأقيم لها لأن الأذان والاقامة مشروعان بالجملة للصلوات ولأنهما توحيد ودعاء إلى العبادة والفلاح والخير لكنا بدعتين محرمتين ، ولكن فاعلها آثم محسوباً من المبتدعين الملوّمين ولم ينفعه أن كان أصل الأذان والاقامة مشروعاً . ومثل هذا أو أكثر مناسبة للموضوع الجهر بكلمات الاقامة كما يجهر بكلمات الأذان ، فإن ذلك يكون ولا ريب عملاً باطلاً وبدعة مذمومة ، مع أن الاقامة مشروعة ومع أن أصل الجهر بكلمات الاقامة أيضاً مشروع . مع هذا كله لا يكون هذا الجهر جائزاً ولا مستحباً ، ونظائر ذلك مما لا خلاف فيه ومما يوضح الموضوع الذي معنا كثيرة وبالأجمال فإن الشريعة الإسلامية يجب أخذها كما جاءت كاملة تامة بهيئاتها وأوقاتها وأعدادها « وكما وكيفها » لا ينال ذلك تغيير لازيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا تأويل . فإن زمان العبادة معتبر كما أن عددها معتبر وهيئتها معتبرة كما أن موضعها معتبر . فلا يجوز تغيير شكلها كما لا يجوز تغيير عددها ، فلا يجوز الزيادة فيها كما لا يجوز النقصان منها ، ولا يجوز الاختلاف بما كان يجهر به كما لا يجوز الجهر بما كان يخفت به وهكذا . وهذه أشياء لا خلاف فيها بين علماء الاسلام . والنقل في ذلك عنهم متواتر وكذا عن الرسول الكريم وعن صحابته والشيعة متناقضة لا تسير على هدى ولا على عقل ، فإن هذا الشيء يتمدح

هذه المبتدعات وينافح عنها ويكافح ، ويدعى أنها ليست بدعاً لأن أصلها مشروع وأرد بالجملة ، هذا قوله هنا . والشيعه يرون أن صلاة التراويح التي يصلونها المسلمون في كل مكان جماعة يمدونها كذلك بدعة وضلالة . وكذلك يرون الأذان الأول يوم الجمعة بدعة وضلالة ، كما يرون الدعاء في خطب الجمعات للخلفاء الراشدين بدعة وضلالة وكذلك يرون أشياء كثيرة أطبق عليها المسلمون في كل مكان قولاً وعملاً واعتقاداً من المبتدعات

هذه الأشياء : صلاة التراويح والأذان الأول يوم الجمعة والدعاء للخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة مبتدعات مذمومة عند الشيعة . أما صلاة التراويح فقد صلاها رسول الله ﷺ في أصحابه ليالي ذات عدد ثم تركها - أي ترك صلاتها - جماعة قائلاً « خفت أن تفرض عليكم » وفي خلافة عمر رأى الناس يصلونها فرادى في المسجد فأشار عليهم بالاجتماع عليها فاجتمعوا فصلوها جماعة ، وافتح الصحابة على ذلك لم يخالف منهم أحد فيما نقل لا على ولا غيره . ثم تنابح المسلمون على صلاتها كذلك جماعة في المساجد وواظبوا عليها إلى اليوم في سائر البلدان الإسلامية . بيد أن الرافضة أبوها وعدوها بدعة وزيادة في الإسلام ، وإن كانت الأحاديث الصحاح جاءت مرغبة في قيام رمضان وإن كان رسول الله ﷺ صلاها بأصحابه مرات ورغب في ذلك ثم خاف أن تفرض فتركها لا لأن صلاتها جماعة ممنوعة ، بل لخوفه أن تفرض . والأمر الذي كره هذه الصلاة إلى الرافضة جماعة هو أن عمر رضي الله عنه هو الذي أشار بالاجتماع عليها بعد رسول الله ﷺ فكان ذلك ، لأن الشيعة يكرهون عمر ويكرهون ما يأتي به عمر من السنن والدين . ولو أن بعض الجهال الفسقة هو الذي أشار بالاجتماع لهذه الصلاة لقاتل الشيعة ولقال صاحب هذا الكتاب إن هذه سنة وعمل صالح مستدلاً بأن أصلها مشروع مثل ما فعل في الترجيم والتذكير والقيام عند ذكر ولادة الرسول ﷺ وفي الصلاة على

على النبي الكريم عقب الأذان جهراً

وأما الأذان الأول يوم الجمعة فإن الذي أشار به هو الخليفة الراشد عثمان رضى الله عنه لما أن كثرت الناس في عصره واحتيج إلى دعوتهم لصلاة الجمعة واستماعهم الدعاء وإعلامهم حلول وقتها ، وهم كثيراً ما يعلمون الوقت إلا بالأذان والإعلان فأشار بهذا الأذان وأشار بأن يكون على الزوراء ، فكان ذلك ، ولم ينكره من الصحابة أحد ، وجرى العمل عليه في خلافة علي رضى الله عنه ومن بعده لم يغيروه وبقى إلى اليوم معمولاً به في أطراف الأرض ، وهذا من أعظم أنواع الإجماع ، ولكن الرافضة يعدون هذا الأذان بدعة قبيحة مع أن الأذان بالجملة مشروع مذكور في القرآن الكريم ، ومع أن ثنية الأذان للصلاة الواحدة وارد بالجملة كما في صلاة الصبح ، ومع أن الصحابة أجمعوا عليه ، ولكن كراهية القوم للخليفة عثمان أرتهم هذا باطلاً أو حلتهم على أن يدعوا أنه باطل

وأما الدعاء للخلفاء فوق المنابر يوم الجمعة فقد ورد بالجملة في الشريعة الدعاء للمؤمنين في الخطب وأتى الحث على الدعاء للمسلمين إطلاقاً وإجمالاً في القرآن وفي السنة . وأما الدعاء بالشكل الموجود اليوم فقد روى أنه قد كان في عهد عمر بن الخطاب ، وروى أنه كان في عهد خلافة عمر بن عبد العزيز

فأعجب للرافضة أن يعدوا هذا كله من المبتدعات المنكرة المضلة ثم يعدون القيام عند ذكر ميلاد الرسول ﷺ والصلاة عليه جهراً فوق المنابر والترجيم والتذكير والناشيد الجوفاء بتلك الأصوات النكراء سنناً وأعمالاً صالحة ١١
ويمكن يا هذا ! أمن العدل والحق أن تكون صلاة التراويح جماعة ، والأذان الأول يوم الجمعة ، والدعاء للخلفاء الراشدين بدعة منكرة تدمون أهل السنة والجماعة وتدمون الخلفاء الراشدين لها ولاجماعهم عليها . ثم تروحون تدعون أن الأغاني والناشيد المملوءة بالاستغاثات ودعاء الاموات المملوءة بالأخطاء اللغوية

والنحوية والشعرية سنن ممتلحة ؟ أمن العدل والحق أن يكون ما أجمع عليه الصحابة والمسلمون في كل زمان ومكان إذا ما استثنينا شراذم خارجة ضلالات وبدعا قبيحة ، وأن يكون ما اخترع الجبال والأغمار المتأخرون من الأمور الفاسدة كالرقص والزناه والحذاء فوق المنارات أعز مكان وأشر منه أعمالا صالحة ؟ ما هذا لعمرك الله بانصاف ولا دين

وأما زعمه أن تخصيص ذلك ببعض الأزمنة والامكنة لفائدة ما مع عدم اعتقاد ورود ذلك التخصيص عن الشارع لا يجعله بدعة فزعم باطل منكر . بل إن ذلك يجعله بدعة ذميمة ولا شك على كل الأحوال ، فلو أن إنسانا خص بصلاته على الرسول الكريم مكانا معيناً ووقتا معيناً لا يعدوها ولا يقصر عنها لكان بذلك مبتدعا ضالا في رأي جميع علماء السنة والحديث ، ولو أنه خص بذكره الله وقتا معلوما ومكانا معلوما لا يعدوها ولا يقصر دونها لكان ضالا مبتدعا في جميع المذاهب الاسلامية ، أو لو أنه خص بصلاته لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها وحين زوالها عند القبور وعند الشيخ فلان أو الضريح المعظم لكان بذلك ضالا مبتدعا وآتيا أمراً نكرا عند جميع الفرق الاسلامية

وقد صحت الاحاديث النبوية من طرق كثيرة مختلفة أن الرسول الكريم نهى عن ذلك أشد النهى . ولم يختلف علماء الحديث في صحة الاخبار بذلك . ولو أنه خص يوم الجمعة وليلة الجمعة بقيامه وصيامه لكان من الضالين المبتدعين بلا ريب . وقد صحت الروايات النبوية في النهى عن ذلك . ولو أنه خصص مسجداً من المساجد ذات المشايخ المعظمين لصلاته وصيامه وعبادته وأذكاره وقراءته القرآن لا يتجاوز ذلك المسجد لكان من الضالين المبتدعين بإجماع المسلمين الأولين وقد نهى السلف الصالحون عن ذلك أشد النهى وحذروا فاعليه . أتى ذلك من طرق كثيرة صحيحة معلومة عنهم

ومن ذلك ما رواه الامام أبو يعلى في مسنده أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو فيها فقال ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا تتخذوا قبوري عيداً ولا ييوتكم قبوراً فإن تسليمكم يبلقني أينما كنتم) وروى سعيد بن منصور أن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً عند القبر فناداه وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال مالي رأيك عند القبر فقال سلمت على النبي فقال إذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال إن رسول الله عليه السلام قال (لا تتخذوا قبوري عيداً ولا ييوتكم مقابر . لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا على) فإن صلاتكم تبلقني حينما كنتم . ما أنتم ومن بالأفدلس منه إلا سواء وهذان الخبران من رواية أهل البيت . والشيعنة تدعى أتباعهم ونهجها منهمجهم وتلقبها الأحكام عنهم . والخبر الأول عن علي بن الحسين المعروف بزين العابدين عن الحسين عن علي رضي الله عن الجميع . والثلاثة فيما نرى الشيعة من الأئمة المعصومين الذين لا يسهون ولا يغلطون ولا يقولون إلا الحق لا عدواً ولا سهواً فهذه رواية أهل البيت وهذه آراؤهم

وقال الامام الشاطبي في كتاب الاعتصام : « وقد نهى إلاكثر عن اتباع الآثار كما خرج الطحاوي وابن وضاح وغيرهما عن معروف بن سويده الأسدي ، قال : وافيت الموسم مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما انصرفنا إلى المدينة انصرفنا معه فلما صلى لنا صلاة الغداة فقرأ فيها « ألم تر كيف فعل ربك » و « لإيلاف قريش » ثم رأى أناساً يذهبون مذهبا ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قالوا : يأتون مسجداً هاهنا صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا . يقيمون آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعا . من أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ فليصل فيها وإلا فلا يعمدها

وقال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس مفتي أهل طرسوس يقول أمر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي عليه السلام فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة . قال ابن وضاح : وكان مالك بن أس وغيره من علماء المدينة يكرهون أيمان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ ماعدا قباء وحده . وقال : وممنهم يذكرون أن سفيان دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يقيم تلك الآثار ولا الصلاة فيها . وكذلك فعل غيره أيضا ممن يقتدي به وقدم وكيع أيضا مسجد بيت المقدس فلم يمدُ فعل سفيان . قال ابن وضاح فعليكم بالاتباع لأئمة الهدى المعروفين ، فقد قال بعض من مضى كم من أمر هو اليوم معروف عند كثير من الناس كان منكرا عند من مضى . وقد كان مالك يكره كل بدعة وإن كانت في خير . وجميع هذا ذريعة لثلاث يتخذ سنة ما ليس سنة أو يعد مشروعا ما ليس معروفا

وقد كان مالك يكره المجيء إلى بيت المقدس خيفة أن يتخذ ذلك سنة . وكان يكره مجيء قبور الشهداء ويكره مجيء قباء خوفا من ذلك مع ما جاء في الآثار من الترغيب فيه ولكن لما خاف العلماء عاقبة ذلك تركوه . وقال ابن كنانة وأشهب سمعنا مالكا يقول : لما أتاه ^(١) سعد بن أبي وقاص قال : وددت أن رجلى تكسرت وأنى لم أفعل . وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا بالمدينة فقال : أثبت ما في ذلك عندنا قباء إلا أن مالكا كان يكره مجيئها خوف أن يتخذ سنة « اه كلام الشاطبي

فهذه أقوال الرسول ﷺ وهذه أقوال أصحابه وأهل بيته وعلماء السلف أهل البصر بالدين وبأمرار الدين . فعلى من تنعمد الشيعة وإلى أين تذهب وعن تأخذ وعن تمتدى ؟

الامر العاشر

قال الرافضى : « الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها وباختلاف الأزمان والأمكنة والأحوال والأشخاص . فضرب اليتيم مثلاً محرم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب . وغيبة المسلم محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر^(١) والسجود عند قبر النبي مستحب بقصد شكر الله أن وفقه لزيارته . محرم بقصد السجود لغير الله . وكذلك مثلاً لبس الثوب الأزرق إذا عد زينة فى بعض الأزمان والأمكنة حرام على الزوجة فى أيام الحداد مستحب إذا أرادت التزين لزوجها ، وكذلك لباس الشهرة ولباس النساء المحرم على الرجال ، ولباس الرجال المحرم على النساء يختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأشخاص . وكدفن المؤمن العظيم بمجوار المزية فإنه حرام لأنه يعد إهانة له بخلاف دفن الزبال أو من صناعته نزح السكينيف وكذلك انزال الضيف الشريف فى مرابط الدواب معدود اهانة ، وليس كذلك المكارى . وقد يكون ترك القيام للمرء فى زمان أو بلاد معدوداً إهانة فيحرم ، وفى زمان آخر فى بلاد أخرى لا يعد كذلك فلا يحرم وملبوس الزهد وما كوله يختلف باختلاف الأزمان والأحوال والأماكن وكذلك هدم قبور الأنبياء والأولياء وقبابهم ومشاهدهم . فبأنه منهى عن ذلك نهى كراهة أو تحريم إلا أن الهدم فى هذا الزمان صار يعد اهانة لهم فيتعارض واجب وهو الهدم ومحرم وهو الاهانة ، فيقدم الأهم . ولا شك أن مراعاة علم اهانة النبي أو الولي أولى من كل شيء ، انتهى كلام الرافضى

قلت : هذا الكلام وإن عده قائله من أعلى أنواع الفلسفة وأصدقها أو عده

(١) الغيبة هي ذكر المرء بما يكرهه غائباً فكيف يتأتى نهيه عن المنكر بذكره

غائباً ١٢ هذا ما لا يكون

بعض من لم يحيط به علمًا حقًا وصوابًا - حاو لانواع كثيرة من أنواع الخلط
وارتجاج المنطق وركاكة التصور وضآلة البصر بالدين وضعف التأليف ولو أريد
بياناه كله لاحتمل وحده كتابًا مستقلًا . ونحن ندل على بعض ما فيه دلالة سرية
عجلى ، وذلك بأمور :

(أولا)

الصحيح أن يقال ان أحكام القصد بالأفعال تختلف تبعًا لاختلاف القصد بها ،
لا أن يقال ان الأفعال تختلف أحكامها باختلاف القصد بها كما ذكر هذا . فان
الفعالين المتساويين كما هو المفروض هنا لا يمكن أن يختلفا حكمًا وهما متساويان شكلًا
ودلالة إذا ما اختلف القصد بهما ، فيكون أحدهما حلالًا والآخر حرامًا ، أو يكون
أحدهما واجبًا والآخر جائزًا . وهكذا . ولكن الذى يختلف فى ذلك هو حكم
القصد لهذه الأفعال وما ينوى بها . فان نوى بها شر كانت هذه النية شرًا محرمًا
وإن نوى بها خير كانت خيرًا حلالًا مثابا عليها . فرجلان ضربا يقيم كما ذكر هذا
الرجل اتفق هذا اليقيم بالضرب أو ضر ، وكان أحد الضارين ينوى فى نفسه
العدوان والابتداء وكان الآخر ينوى التأديب والاصلاح ، فانه لا يقال هنا ان
حكم هذين الضارين اختلف باختلاف القصد فى نفس الضارين ، فكان أحد
الفعالين حرامًا وكان نظيره حلالًا مستحبًا . أو واجبًا ، ولكن يقال ان القصد بالفعالين
اختلف فكان قصد خير وكان قصد شر . أو فكان أحد القصدين خيرًا مثابا عليه
وكان الثانى شرًا معاقبًا عليه ، فالقصدان هما الاذان اختلفا ، لا الفعلان ، ولا حكم
الفعالين . ويوضح ذلك جيداً أن يعمل انسان طاعة من الطاعات المشروعة ، فيصلي
مثلا أو يصوم أو يحج أو يزكى أو يعمل عملاً آخر من أعمال البر : يصلى مرة ،
والحامل له على الصلاة غير الله كأن يرائي الناس ، أو يصلى طمعا فى شهوة دنيوية

يريد قضاءها بصلاته ، ويصلي مرة أخرى ، ويريد بصلاته وجه الله وحده والدار الآخرة ، فالقصدان هنا مختلفان والفعلان متفقان صورة وشكلا فلا يقال في مثل هذا يفتنا ان حكم الصلاتين اختلف تبعا لاختلاف القصدين ، بأن تكون إحدى الصلاتين حلالا والآخرى حراما . ولكن الذي يقال هنا ان الذي اختلف هو النصد بالصلاتين فاختلف الجزاء على ذلك تبعا لاختلاف القصد والنية ، لأن الأعمال بالنيات والمقاصد ، ويبان ذلك توضيحا أن الأفعال إما أن تكون في الأصل أفعال طاعة وخير كذكر الله ودعائه وكقصد المساجد وكالعطف على المنكوبين والبائسين وإما أن تكون أفعال معصية وشر كجحد الله وكالقدح في الأديان والأنبياء ، وكلخضوع لنير الله من الأموات ، وكقهر الأيتام ونهر السائلين والمحتاجين ، وإما أن تكون دائرة بين هذه وهذه وإما ألا تكون لا هذه ولا هذه

فالقسم الأول من الأفعال إذا ما جاء على وجه المشروع لا يمكن أن يكون معصية حراما وإن كانت نية فاعلة ما كانت ، ولكن قصد الفاعل هو الذي قد يكون إثما وبغيا محرما ، وقد يكون طاعة وبرأ وخيرا ، فالقصد بهذه الأفعال هو الذي يختلف فيكون حيناً حراما وإثماً ، وحيناً آخر برأ حلالا . أما الأفعال الظاهرة نفسها من هذا القسم فلن تكون حراما ، فمن ذكر الله ودعاه وأحسن إلى الفقير واليتيم والمنكوب ، وكان في ذلك غير تقي القصد والنية لم تكن هذه الأفعال ذكر الله ودعاؤه والاحسان إلى المحتاجين حراما وجريمة ، بل ذلك طاعة ولا ريب ولكن قصد بها معنى آخر

وأما القسم الآخر من الأفعال وهي أفعال المعصية والشر كالقدح في الأديان والأنبياء وكالزنا والسرقة ونهر السائل وقهر اليتيم ونظائر ذلك ، فليس بممكن أن يكون طاعة ، ولا يمكن أن يكون حلالا مثاباً عليه . لكن لو فرض أنه رخص في شيء من ذلك في حالة من الحالات لعرض من الأغراض في زمن من الأزمان لم

يكن ذلك الترخيص لأنه طاعة أو لأنه صار غير معصية . بل حكمه هو لم يختلف وإنما عارض حرمة معنى آخر ، كأن يكون وسيلة الى قهر معصية أكبر منه أو جلب طاعة فيها أكبر من ضرره هو ، فيؤتى أخف الضررين ، كما يقولون لنيل كبرى الفائتين ، فيؤتى الحرام ليتبر ما هو أحرم منه أو لتكتسب فائدة نفعها أعظم من ضرر ذلك الحرام المقترض ، ويكون ذلك كجائع خاف هلاك نفسه فوجد ميتة فأكل منها ليحفظ برمه . فالميتة ميتة لم تتغير ، وحكم الميتة هو لم يختلف لأنها حُرمت للضرر الذي فيها . وضررها لا يذهب أن وقعت في يد جائع يخشى على نفسه الملكة . ولكن هذا الضرر يحتمل لدفع ضرر أكبر منه ، وكذلك يقال في سائر الضرورات وما يباح عند الضرورات فيه الامنيان معاً المقتضى والممانع كما يقولون . ولكن يُقدم على الأخف الأسهل . وليس في هذا أن شيئاً من الأشياء

خرج عن حقيقته ، من حسن الى قبيح أو من قبيح الى حسن

وأما القسم الدائر بين أفعال الطاعات والخير وأفعال المعصية والشر كمثّل السفر مثلاً . فقد يكون سفرأ يراد به طاعة وخير ، وقد يكون سفرأ يراد به معصية وشر على حسب ما في نفس المسافر ، فهذا القسم في الواقع ليس طاعة في نفسه ولا معصية . فلا يستحق صاحبه لذاته ثواباً ولا عقاباً ولا قدحاً ولا مدحاً ، ولكن القصد فيه هو الذي يكون تارة هذا وتارة هذا ، فتارة يكون شرأ فيكون القصد نفسه هو الحرام والمعصية ، وتارة يكون خيرأ فيكون القصد نفسه هو الطاعة . أما السفر نفسه فإنه لم يوضع لا لهذا ولا لهذا فلا يكون بظاهره لا هذا ولا هذا

وأما القسم الرابع فمكال كلام المباح العادي وكالحركات العادية ونظائر ذلك فهذا أيضاً لا يقال له طاعة ولا معصية ، ولكن قد يكون في نية فاعله شيء من ذلك وإذن لا يصح قوله « ان الأفعال تختلف أحكامها لاختلاف القصد بها » وإنما الصحيح أن يقال ان القصد بالأفعال يختلف كثيراً ، ولو أنه صح قوله لكانت صلاة

من أراد بها غير الله حراماً معصية يطالب بتركها ويطلب بالتخلي عنها ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون ، فالصلاة طاعة مطلوبة من الناس وإن قصدوا بها غير الله كانوا معاقبين على القصد لا على الصلاة نفسها ، وكذلك من تصلى بماله في وجوه الخير والبر والاحسان وكان يقصد بعمله وصدقاته الفخر والمديح من الناس لأجزاء الله سبحانه وحده ، لا يقال إن عمل مثل هذا إثم وحرام ومؤاخذ عليه ، لأنه لو كان كذلك لكان مطالباً بتركه وهجرانه ، ولن يطالب بحسن بترك احسانه لأن نيته مدخولة ، بل أعمال البر والخير تقبل من فاعلها وحساب ضميره إلى الله وحده والله إن يقول له لماذا أنفقت مالك على المحتاجين والمعوزين ، ولا لماذا حوت على الأيتام والأطفال ؟ وإنما يقول له لماذا لم تقصد وجبى بذلك الاتفاق وأنا الذى مؤلك وأعطاك وأضلك ويسرك سبل جمع الأموال ثم يسرك سبل انفاقها والجود بها أألسنتُ أحق بأن ترعى رضاي وأرادنى بأعمالك وباتفاق مالك ؟ وإذا ما جاء فى الكلام خلاف ذلك ، فهو متوسم فيه بضرب من ضروب المجاز والتأويل السائغ فى الكلام الذى لا يعنى به التحقيق العلمى

(ثانياً)

قوله : « ان السجود عند القبر النبوى مستحب راجح بقصد شكر الله على أن وقفه لزيارته » قول قائم على أمرين : أحدهما أن من زار قبر الرسول ﷺ يستحب له أن يسجد لله شكراً على تلك الزيارة وذلك النوفيق . وثانيهما أنه جاز بلا كراهة ولا تحريم السجود عند القبر النبوى وعند القبور على وجه العموم . والمقدمتان كلاهما باطلة كاذبة وكلاهما خلاف سنة المسلمين العملية التى لا تختلف ولا يتنازع فيها اثنان من العلماء الذين لهم لسان صدق فى العالمين وإمامة فى المسلمين . أما الأمر الأول وهو استحباب سجود الشكر لدى زيارة القبر الشريف فلا ريب

أن ذلك عمل غير صالح وعمل غير مشروع . فلم يأت فيه خبر صحيح ولا ضعيف
لا عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته ولا عن أحد من أهل البيت وأئمة البيت
ولا عن أحد من علماء الحديث وعلماء الفقه كالأئمة الأربعة ، ولا عن أحد من
يشابه هؤلاء ديناً وعلماً . بل لقد كان الناس يزورون الرسول الكريم نفسه ويرون
ذاته السكرية ووجهه الكريم ويسمعون كلامه ويتمتعون بلقائه ، ولم يأت عن أحد
منهم أنه سجد عند لقائه شكراً لله على رؤياه ولقياه ، ولقد كان أصحابه الكبار
يمارقونه عليه الصلاة والسلام في الغزوات وفي الأسفار الطويلة وفي المهاجرة ثم
يلاقونه بعد الفراق وبعد اصطلائهم بغيران الاشواق فلا يسجد أحد من هؤلاء
الصحابة لله شكراً على أن ظفر بلقاء أحب الناس إليه وظفر بزيارته . انه لم يأت
عن أحد من هؤلاء أنه فعل ذلك أو هم به أو تحدث عنه ولا جاء عنه عليه السلام
أنه أمر بذلك أو أشار به أو ذكر له فضلا وقربة أو أباحه ، لا خلاف أنه لم يكن
شيء من ذلك فعمد إذاً يجوز هذا العمل ، وبأي دليل يعلم انه يشرع لمن زار
القبر النبوي أن يسجد شكراً لله ، بل وأين البرهان على أن زيارة القبر الشريف
عمل عظيم يستحق أن يسجد لله شكراً لاجله ، انه لم يأت حديث واحد
صحيح يدل على أن في ذلك فضلا ونوابا ، وأجرأ كبراً . وما جاء من
الأساطير في ذلك كلها غير صحيح ، كما سوف يجيء بحث ذلك في الباب
الخاص به . ولا عرف أن أحداً من صحابة الرسول أو أن أحداً من شيوخ السنة
والحديث والفقه كان يحرص على ذلك ويتطلب أجره ونوابه ، بل لقد جاء منهم
عن ذلك من طرق مختلفة كما مر عن علي بن الحسين ، وعن الحسن بن الحسن وعن
غيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد صح عن الامام مالك امام دار الهجرة
ومدينة الرسول ووكر الانصار والمهاجرين أنه كره أن يقال زرنا قبر النبي . وقد
روى هذا عنه القاضي « عياض » في الشفاء وغيره ، وذلك لأنه لم يعرف في ذلك

نقلا ولم يجده من سنة المسلمين التي وجد عليها أهل المدينة . كيف ذلك والسفر الى الرسول الكريم لما أن كان حيا لم يكن مطلوبوا لذاته ومرغوبا فيه نفسه ، وإنما كان السفر اليه مطلوبوا وواجبا حينما كان الناس يهربون بدينهم وعقائدهم وأقسامهم اليه وإلى المدينة عاصمة الاسلام ، وحينما كانوا يذهبون اليه ليتلقوا عنه الاسلام وتعاليمه ، أما بعد ذلك فلم يكن السفر اليه مطلوبوا ولا مرغوبا فيه ، والحجة على ذلك أنه عليه السلام كان يقول للناس بعد انتشار الاسلام وعلو سلطانه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) . وكان يأبى مبايعة الناس على الهجرة بعد الفتح ولكن يبايعهم على الاسلام والايمان والجهاد والنية ، وذلك لأن السفر الى ذاته الشريفة لم يكن مطلوبوا لذاته كما قلنا . بل يطلب ذلك لدى الفائدة كالرغبة في التعليم منه والجهاد معه ومناصرته والفرار بالدين اليه في دار منعمته وعزه ودار جيوشه وجنود الله الانتصار . أما بعد ذلك فلا فائدة في الذهاب اليه بهذه الدلائل

أترأه لا يرغب في السفر اليه حينما كان حيا ويرغب فيه بعد انتقاله الى الله وإلى الرفيق الأعلى ؟ هذا مالا يكون ، كيف والزائر اما أن يكون من أهل المدينة أو يكون من أهل الأقطار والبلدان الأخرى النائية فان كان من أهل المدينة نفسها فذهب الى القبر الشريف وزاره وطاف به ، فأى فضل حازه بهذه الزيارة ، وأية منقبة نالها يسجد لله شكراً لأجلها ؟ لا أظن أحداً يستطيع أن يثبت أن في ذلك أي في الوصول الى القبر الشريف فضيلة أو ثواباً . وأما الثواب الذي يكون بالصلاة والسلام عليه فانه يحصل للقريب من قبره والبعيد عنه ولا فرق . وقد جاء في الحديث أنه عليه السلام قال : « إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » وتقدم حديث علي بن الحسين الذي فيه (وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حينما كنتم) وتقدم قول الحسن بن الحسن (ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء) وروى البيهقي وابن أبي شيبة أنه عليه السلام قال « من صلى عليّ عند قبري سمعته

ومن صلى على نائياً بلغته (فالأشياء المشروعة كالصلاة والسلام على الرسول الكريم لا فرق فيها بين القرب والنأى فانها حاصلة في الحالتين . وأما مشاهدة القبر الشريف نفسه ومشاهدة الأحجار نفسها فلا فضل فيها ولا ثواب بلا خلاف بين علماء الاسلام . بل ان مشاهدته عليه الصلاة والسلام حينما كان حياً لا فضل لما بذاتهما ، وأما الفضل في الايمان به والتعلم منه والاقتداء به والنهج منهجه ومناصره . وبالإجمال ان أحداً من الناس لن يستطيع أن يثبت لزيرة القبر الشريف فضلاً ما وهذا واضح من سيرة المسلمين الأولين ، فانهم ما كانوا يتهاقنون على الزيارة كما كانوا يتهاقنون على الطاعات واتباع الرسول الكريم والسير على آثاره والنهج منهاجه في أعمال البر والخير . بل الذي جاء عنهم النهي عن الحرص على زيارة القبر الشريف كما سبق في حديث علي بن الحسين وحديث الحسن بن الحسن . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها كما قال الامام مالك

هذا اذا فرضنا الزائر من أهل المدينة المنورة

وأما ان كان من أهل الاقطار الأخرى النائية فهذا لا تشرع له الزيارة التي تكون بسفر مقصود كما سوف يجيء في الموضع الخاص به من الكتاب . فشاهدة القبر المطهر لا فضل فيها على الحالين والاقتراضين

وأما المقدمة الثانية وهي السجود عند القبر فنقول : ان ذلك لا يجوز ولا يشرع مطلقاً بل هذا من أعظم الذرائع والوسائل الى عبادة الرسول الكريم والغلو فيه وفي الأموات . وما فعل هذا أحد من علماء الاسلام الحق أو رضىه أو دعا اليه أو أباحه ، وقد جاءت الاحاديث الصحاح ناهية عن ذلك أشد النهي بأساليب مختلفة وطرق مختلفة وعبارات مختلفة فجاء في الصحيح (لمن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) وجاء فيه أيضاً (ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم من

ذلك) وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة الغنوي أن النبي عليه السلام قال « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » ، وروى الامام أحمد وغيره أنه عليه السلام قال « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » وقال « لا تجعلوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ فإن صلواتكم تبلغني حينما كنتم » رواه أبو داود ، وقال : « اللهم لا تجعل قبوري وثناً يسبى . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » رواه الامام مالك في الموطأ

والأحاديث في هذا الباب بالغة مبلغ التواتر للمعنى وستأتى في الباب الخاص بها ان شاء الله

وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم خوفاً للفتنة والعلو . وتقدم أنه لما رأى الناس يذهبون الى المسجد الذي صلى فيه الرسول عليه السلام ليصلوا فيه أنكر ذلك ونهى عنه . وقال ان مثل هذا هو الذي أهلك الأمم السابقة . وأنه أمر بقطع الشجرة التي يبيع تحتها الرسول ﷺ لما رأى أناساً يقصدون الصلاة عندها

وتقدم أن علي بن الحسين زين العابدين وأن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنكرا على الرجل الذي كان يدعو عند القبر ونهياه وأخبراه أن الرسول ﷺ نهى عن ذلك ومنعه

فإذا ما كان الصحابة ، الخلفاء وآل البيت ، وكان الأئمة كلاك وغيره ينهون عن الدعاء وقصد الدعاء عند القبر الشريف . فكيف تكون حال الصلاة عند القبر بل كيف تكون حال السجود الذي يسميه هذا الرجل سجود شكر لله ؟ ان الفرق بين الأمرين عظيم جداً . وليس من ريب أن السجود مفرداً في هذا المقام أشد خطراً على العقيلة وأكثر إيهاماً من الصلاة التامة ذات الركوع والسجود والقيام

واقعود فان السجود المفرد عند القبر يشمر إشعاراً قوياً بكاد يكون صريحاً أن السجود لمصاحب القبر . وبعبء جداً أن يفهم أحد أن ذلك السجود سجود شكر لله على أن وفق للزيارة

وروى الامام أحمد وابن ماجه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إني نذرت لله نذراً في مكان كذا فقال الرسول له : أكان بهذا المكان الذي نذرت الله فيه وثن أو طأطأة ؟ فقال الرجل لا . فقال له الرسول (أوف بنذرك) . ومعنى هذا أنه لو كان في ذلك المكان الذي نذر أن يذبح لله فيه وثن أو طأطأة كان يعبده أهل الجاهلية لما جاز أن يذبح لله فيه ولا أن يعبد الله فيه ، وإن كان العابد والذابح لا يقصد شيئاً مما كان يقصده أهل الجاهلية . وإن كان لا يقصد إلا وجه الله . ولا ريب أن مثل الذبائح الصلاة والركوع والسجود ونظائر ذلك . ولماذا هذا ؟ ؟ ؟ لاريب أن ذلك نأى عن مواقع الشبهات ووسائل الضلالة ، ومشابهة المشركين الناذرين لغير الله الذابحين للأصنام والآوثان . وإذا كان ذلك كذلك فلاريب أن السجود عند القبر الشريف فيه هذا المحذور بشكل أعظم وأكبر ، لأن الرسول الكريم ﷺ يخشى من الغلو فيه ومن عبادته أكثر مما يخشى ذلك في غيره لما له من المقام العظيم في نفوس المؤمنين ، ولما له من المكانة العظيمة عند الله ، ومن كان بهذه المنزلة كان ولا شك الغلو فيه ذريعة الى إعطائه أكثر من حقه . وقد عبدت الأنبياء وعبد الصالحون ، وعبد النصارى عيسى وعبد الشيعة علياً كما تقدم ، وعبد قوم نوح عليه السلام ودأ رسوماً وينوث ويعوق ونسراً - كما في القرآن - وم رجال صالحون كما روى ذلك البخارى عن عبد الله بن عباس ، وغيره عن غيره . ولقد جاء في الشرع أبلغ من هذا كله في معجبة مواطن الفتن وإفساد العقيدة ومعاكاة المشركين والكافرين ، وصحت الأحاديث من طرق كثيرة في كتب الصحاح أن الرسول الكريم نهي عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها

ووقت زوالها ، وذلك خوف أن يثب الى الأذهان أن الصلاة في هذه الأوقات
 شمس لا لله ، لأن المشركين كانوا أو كان طوائف منهم يسجدون للشمس في
 هذه الأوقات : وقت طلوعها تحية لها وسروراً بها ، ووقت غروبها توديعاً لها
 وتودداً اليها تعود طالعة . وهكذا دواليك ، وليس من ريب عند المسلمين أن
 خوف الفتنة في الرسول الكريم وفي الصالحين والأشياخ العظمين أعظم وأظهر منه
 في الشمس والقمر وسائر الأفلاك . فان غلوم في الرسول وفي الأولياء . يخوف ،
 بل وواقع أكثر منه في الشمس ، بل لا مناسبة بين الأمرين مطلقاً . والذي وقع
 وحق أنهم غلوا في الرسول وفي الأولياء ، ولكنهم لم يغلوا في الشمس ولا في
 غيرها من الأجرام العلوية . ولا ريب أنه يجب أن يعطى الشيء من التقدير بقدر
 ما له من التأثير ، وإلا كان الحكم جوراً لا عدلاً والعدل مطلوب في جميع الحالات
 وفي كل الأشياء . وقد جاء عن السلف من المبالغة في هذا الشيء الكثير ، حتى
 أنهم تركوا بعض السنن خوفاً أن تكون وسيلة وذريعة الى باطل ، وهو أن يظن
 الجهال أن هذه السنن واجبات وفرائض . فكيف اذا كان الشيء يخشى أن يكون
 ذريعة الى عبادة الخلق وإعطائه حق الله ؟ ! ان الفرق واسع بين . وقد سلف
 ما قلناه في ذلك من كتاب الشاطبي الاعتصام عن السلف الصالحين . فانظر أيديك
 الله فهم القوم روح الدين وتخوفهم من الباطل وفرارهم من الخطأ غايات ووسائل
 ولو ذهبنا نعد الدلائل على أن السجود عند القبر الشريف من أكبر الضلال
 وأعظم مكاييد الشيطان لطال بنا القول ولخرج بنا من المقصود . ولكن هذا الرجل
 لو طلب منه دليل واحد على جواز السجود عند القبر النبوي سواء أ كان هذا
 السجود جائزاً أم ممنوعاً لما استطاع اليه سبيلاً ، بل ولما وجد عالماً من علماء الاسلام
 المشهورين يوافقه عليه . وقول هذا حاله لا يعاب به ، ويا ويح طائفة الشيعة ١١١ كم
 لقي الاسلام والمسلمون من مبتدعاتهم واختراعاتهم وغلوم في عباد الله وانتقاصهم

حق الله . فأولوم عبدوا عليا وألهوه ، ثم ظلوا يشيدون المشاهد ويزخرفون القبور
ويعظمونها شتى التعظيم بالأقوال والأعمال وبكل ما استطاعوا ، وما اقتصروا على
ذلك ، بل غلوا وغلوا حتى ادعوا العصمة في أنفسهم ، وادعوا أنهم لا يخطئون ولا
يقولون إلا الحق لا عدأ ولا سهواً ، وحتى ادعوا أن من لم يدع فيهم العصمة ومن
لم يقدمهم على كل الناس فليس له إيمان ولا إسلام ، وهام بقيام يدعوون إلى
الاستغاثة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله ، ويدعون إلى السجود عند
القبور وفوقها مضلين على الناس مرادهم ، مدعين بأن ذلك سجدود شكر لله أو
مدعين أن في ذلك مجازاً أو تأويلاً . هذه وثنية ولكنها وثنية مخادعة مغررة غير
صرحة ولا صادقة . بل هي وثنية منافقة مضللة . والله بقصدهم محيط . فالسجود
لأجل الوصول إلى القبر كما يدعوون ، ثم هو عند القبر وقبلاته . فما بقي بعد هذا ؟؟؟
أنهم يحشدون في الكلام « شكر الله » دويثة وثنية لا أقل ولا أكثر

(ثالثاً)

قوله « وقد يكون ترك القيام للمرء في زمان ومكان إهانة فيحرم وقد لا يكون
إهانة في بلاد أخرى وزمان آخر فلا يحرم »

لا يدري ما معنى هذا ولا ما موضعه إن كان يريد أن الشرع جاء مفصلاً
هذا التفصيل ، أي قائلاً إذا كان ترك القيام للمرء إهانة فواجب عليكم أن تقوموا
وإلا أنتم لأن إهانة الناس جريمة . وإذا كان ترك القيام لا يعد إهانة فليس واجباً
عليكم القيام ، بل جائز أو مندوب أو مكروه أو حرام ، إن كان يريد أن الشرع
جاء بهذا التفصيل فهذا القول غلط فاضح واضح لا دليل عليه سوى الدعوى
والتحكم . وأما إن كان يريد أن الشرع جاء بتحريم القيام تعظيماً للناس ، ولكن
مع هذا إذا ما كان أناس في زمن من الأزمان يعدون ترك القيام لهم إهانة وجب

القيام للناس ، ولذلك الانسان الذي يمد ترك القيام اهانة له تخصيصا لما جاء في الشرع وتغييرا لما حكم به تبعاً لاختلاف العادات والأزمان والبلاد والأحوال والأشخاص ، فهو أيضاً غلط واضح ، فان شرع الله لا يغير ولا يخالف بمثل هذا ولو فتح هذا الباب لفسد الدين جملة . فقد يرى المتكبرون أن من الاهانة لهم أن يدعوا خدمهم ومن تحت سلطانهم فلا يلبوا نداءهم ولا يبادروا الى المشول بين أيديهم ، حتى ولو كانوا وقوفاً بين يدي رب العالمين ، يؤدون الواجبات الدينية فهل يقال انه واجب على الخدم في هذه الحالة وهذا الموقف أن يخرجوا من صلاتهم وقطعوا عباداتهم ليقوموا برغبات أولئك المخدمين المتكبرين لئلا تلحقهم إهانة أو يستشعروا أن خدمهم أهانهم ؟؟ الذي يقضى به كلام هذا الرجل إذا كان مراده ما ذكرنا أن يكون جوابه على هذا السؤال « نعم » ، وقد يرى كثيرون من البغاة الطغاة أن من الاهانة الكبرى لهم أن يسمع المجالس لهم النداء الى الصلاة فيقوم ويتركهم ليؤدى صلاته وليقوم بواجبه الديني فهل يحرم القيام للصلاة في هذه الحالة لئلا يشعر هؤلاء بالاهانة ؟؟ وقد يرى كثيرون من المتسمين بالعلم والمعرفة أن مطالبتهم بالدليل على ما يقولون اهانة لهم ، وأن معارضتهم بالدلائل إهانة أيضاً ، فهل يتقبل قولهم على علته وتفتق آثامهم ويترك جدالهم بالبرهان لئلا تلحقهم إهانة ؟ وكثيرون يرون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إهانة لهم . فهل يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوف إهانة الناس ؟ هذا ما لا يكون

وأما إن كان يريد أن الشرع جاء مبيحاً القيام للناس إباحة مطلقة في كل الحالات . ولكن قد يجب ذلك لمن يعدون تركه إهانة لهم وجرحاً في عزتهم او كبريائهم فهو أيضاً غلط فاضح واضح ، ولا يوجد مثل هذا التفصيل في دين الاسلام المسوى بين الناس ، الموعد المتكبرين ذوى الفطسة والعنجهية بالعذاب الآليم الأشد . ومحال أن يقال ان القيام مباح في الاسلام لكل الناس ، وجائز

(١٨٤)

لكل قادم . ولكنه واجب لمن يمدون تركه اهانة لهم ، فان في هذا الاعتراف بالفرقة بين الناس ، وجعلهم طبقات أشرفا وأطرافا وصغاراً وكباراً . وفي هذا الدعاية للكبرياء والتعظيم . وأى نفس لا تحب من الناس تعظيمها وإكبارها بالقيام وبغير القيام وبكل ما يشعر بالاحترام والتعظيم وهذا هو الفوضى بعينها إذ أن الله لا معنى لقوله هنا . وقد قدمنا في الأمر الذي قبل هذا أن أصحاب رسول الله عليه السلام ما كانوا يقومون له لما يعلمون من كراهيته القيام ، وتقدم أنه نهاهم عنه وقال : ان ذلك فعل فارس والروم ، فلا تفعلوا

(رابعا)

أما قوله « فهب أنه كان منهيًا عن البناء على القبور ورفع القباب فوقها ولكن لا يجوز هدم ذلك لأن هدمه صار يعد إهانة إلى آخره » فقول يدعو للاستفهام والثناء . فانه يقال لقائله : إما أن تريد أن ذلك أصبح يعد إهانة عند من يعتقد أن الاسلام نهى عنه ، ومن يعتقد أن الانبياء والعلماء نهوا عنه ؟ وإما أن تريد أنه إهانة عند من لم يعلم النهى عنه ، أو تريد أنه اهانة عند الفريقين ؟ أما الاول فليس بصحيح ، وكذا الثانى . فان الذين يعرفون أن الاسلام نهى عن هذا البناء وأمر بهدمه لا يمكن أن يعدوا القيام بالشرع والعمل بما جاء عن الرسول الكريم اهانة لا للرسول الكريم ولا للأولياء المتقين الذين لا يتعشقون مثل أن يروا الشرع قائما معمولاً به . هذا محال . بل إنهم يعلمون أن ترك الشرع وإهمال العمل بأقوال الشريعة وأقوال العلماء الأعلام هو الاهانة الكبرى البينة ، وهذا لا ينازع فيه من يعرف ما يقال ، ونحن لانستطيع ولا عاقل والله يستطيع أن يدعى أن انفاذ قول الرسول في هدم القباب يعد اهانة للرسول ! نعوذ بالله ! ! هذا من أعظم القديح في الرسول وفي العلماء وفي المسلمين عموما

وأما إن أراد أن ذلك معدود اهانة عند من لم يعرف الشرع ولا حكم الله في هذه المسألة . فالجاهل يُعلم ويعترف ، ولا يجارى على جهله وضلاله . فإن في هذا الاعتراف عملياً بالجهالات والضلالات ، والاسلام إنما جاء بالتعليم لتعليم الجاهلين ، لا الاعتراف لم بالحالة الراهنة الجاهلة ، وإلا لما كان هنالك حاجة الى الرسالة والرسول والكتب

وقد كان الاسلام يحمله معدوداً عند الجاهلين اهانة للاولياء والاصنام والآباء والأجداد والاشياخ . والنصارى يعدون ما جاء به الاسلام من التوحيد وتقديس الله اهانة لعيسى وأمه وللحبار والرهبان والقسيسين والآلهة الآخرين ، وما ترك الاسلام ولا الرسول الكريم الشرائع والتعاليم مجارة للجاهلين واعترافاً بالجهالات والضلالات مخافة أن يهينوا أحداً أو يؤذوا أحداً هذا محال وواضح في وقت واحد . فإنا قلنا هذا الرجل بعيد جداً عن المعرفة بعيد عن المنطق الصحيح السليم بعيد عما يجب أن يكتب ويذاع ، وأيضاً لا يرب أن كل طائفة منحرفة تغلو في أشياخها ومن تعتقد لهم الكرامة والتبريز غلوأ ترى من الاهانة معه لم أن يحملوا على الشرع وأن يؤخذوا به وبآدابه . قال 'نضة ترى أن من الاهانة الكبرى لعلى وبقية أئمتهم المعصومين أن يقال انهم غير معصومين أو أن يقال انهم يخطئون ويصيبون كبقية الناس ، وترى أيضاً أن من الاهانة تقديم أبى بكر وعمر وعثمان على على وذريته فهل تجارى الرافضة على هذا الاثم والمدوان أم تعلم وتدل على الطريق القويم ؟ الجواب معروف واضح

وكذلك الجهال الذين يغفلون في مشايخهم ويرونهم لا يخطئون ولا يغفلون ولا يجادلون ولا يهتض عليهم ، ولو فسقوا وكفروا وجاهلوا وخرجوا على الحشمة والآداب ، ولو تركوا الصلوات وفرائض الاسلام . فهل يجارى هؤلاء على هذا الجهل أم يعرفون ويعلمون ويردعون ؟ ان الجواب واضح معلوم

بل ان كثيرين من الغلاة الجبال يرون من الاهانة العظمى للرسول الكريم القول بأنه لا يعلم الغيب ولا يقدر على اجابة طلبات الطالبين . فهل يجارى هؤلاء الجبال ويتركون وجههم أم ينهون ويعلمون ؟ الجواب واضح معلوم على أننا نعارض هذا القول ونقول إننا نعرف بالضرورة أن من أضلم الاهانة للرسول أن ندع قوله والعمل به بعدا عن وهم اهانتته وخوفا من الاساءة للزعومة فإن في هذا الاعتراف ضمنا بأنه عليه السلام يكره العمل بما جاء به في هذه المسألة وأنه يجب أن يغلب فيه أكثر من المشروع والمطلوب الذي أتى به عن الله . ومن ظن فيه هذا الظن فقد قدح فيه أشنع القدح . بل اننا نعرف بالضرورة أن في ترك العمل بما قاله اهانة له مقصودة أو غير مقصودة ، والاحترام والاكرام له ولغيره في إفاذ قوله والعمل بما جاء به وما قاله من الحق وأهدى ، وهو لا يقول غير الحق والممدى

ولو أن رجلا معظما كملك أراد تعظيم مرء فطلب منه برغبة والخاص وتوكيد شديد أن يجلس بجانبه . فأبى ذلك المرء الجالس بدعوى التأدب والاحترام للملك وخوف الاهانة له لكان ذلك المرء غالطا جديرا باللامة والاهانة ، ولو قبل قول الملك وقبل كرامته فجلس بجانبه لما عد أحد ذلك اهانة للملك البتة . هذا على أن بين المثاليين خرقا عظيما يعلمه من يعلم مقام الرسول الكريم عليه السلام وبالأجبال الدول بمتضى ما قال هذا الرافضى مفسد للدين وللدنيا والمعقولات وهنا نذكر أن هذا الرجل يخطئ بين القبر وبناء القباب والمساجد عليه ، وقرق بين الأمرين . فالنبر لا يصح هدمه بتاتا ولا يقول بهذا أحد من المسلمين وإنما تهدم القباب والمساجد المشيدة فوق القبور لا القبور نفسها . فليفتن لهذا هذا ما تصلح مناقشته مما كتب هنا والباقي حشو وفضاء لا يتعلق بموضوعنا منه .
شئ ، وسوف يجيء بيان أكثر من هذا

الامر الحادى عشر

قال الرافضى « قد يتعارض محرم وواجب فيقدم الالهم ، وذلك كلس جسم المرأة الأجنبية فانه محرم ولكن اذا توقف على ذلك انقاذها وعلاجها وجب أو جاز . وكانظر الى العمورة ، فانه حرام وبياح للطبيب ، وعلى هذا كان واجبا على الوهابيين ألا يتعرضوا لهدم القبور فان هدمها يسوء ثلاثمائة وخمسين مايون مسلم ومراعاة هؤلاء أهم فى نظر الشارع من البناء على القبور . وهدم القبور لو كان ذلك مشروعا مطلوباً فان فى هدمها شق عصا المسلمين وتفريق كلتهم . أفلا أبقوا عليها كما أبقوا على القبر النبوي وهو عندهم محرم ولكن تركوه دفعاً لأعظم المفسدين ومراعاة لأهم المصلحتين » انتهى كلام الرافضى . قلت :

(أولاً)

كلامه هنا مفروض فيه أن هدم القبور واجب والبناء عليها غير جائز . ولكن يترك ذلك لأن فعله يقابل مفسدة كبرى وهي اغصاب المسلمين وتفريق كلتهم . فيترك هذا الواجب حذار هذا المحرم . فاذا كان ذلك كذلك قيل له أنت تدلى بهذا الكلام وهذه النصيحة بعد أن انتهى الأمر وقضى ، وهدمت القبور التى تحذر من هدمها الفتنة والفرقة كما تزعم . فلماذا هذا الكلام وهذه النصيحة اليوم ، ولماذا هذا النزاع وقد حم الأمر وهدم ماوجب هدمه وكان ما كان ؟ انه لا فائدة فى كلامك هنا اليوم البتة لأنه لو فرض أن الحق فيما تقول وفرض أنه كان من الحق أن تترك القبور كما هى مشيدة مرفوعة حتى ولو كان واجبا هدم ما فوقها من القبر مراعاة لشعور المسلمين حسب قوله . ولكن هذا الكلام على هذا النحو إنما ينفع قبل وقوع الأمر حينما كان مستقبلا يمكن امتثاله . أما بعد انتهائه واستبداره فلا فائدة فى الكلام اليوم غير تأريث المداوة التى يخافها وإحداث الفرقة التى يتقيا ، وغير زيادة الفتنة

والمداوة عداوات ، هذا لا ريب فيه . بل كان الواجب عليه اذا كان كما يفرض
وكما يقول أن يجهر وقد انتهى الأمر وحس المقذور بأن النجديين لم يفعلوا إلا واجبا
ولم يزيلوا سوى ماوجب زواله ، وذلك لتسكين الفتنة التي يذكرونها وتضييق الفرقة
التي يخوف بها ويخاف منها والتي يرضى ترك الواجب حذارها ، لا أن يذهب يتأدى
بأن النجديين هدموا القبور وآذوا المسلمين والصالحين وآذوا الرسول الكريم ،
وأمثال هذه الكلمات التي لا يراد بها غير أحداث البغضاء ، وإحراج الصدور ،
وتقايم الفتن . . .

وأیضا أنت أيها القائل اذا ما كان قولك حقا وكنت صادقا فيه حريصا على
جمع كلمة المسلمين حريصا على تمام المودة ما بينهم أفلا كان الواجب عليك حينئذ ألا
تهاجم أهل السنة بهذا الكلام الفاسد الباطل المثير لو فرض أنه صحيح وألا تكتب
ما كتبت في هذا الكتاب وألا تتعرض لأهل السنة من أهل نجد ولدولتهم القائمة
في ملجأ الدين وفي الحرمين الشريفين بالشريعة الإسلامية الفراء وبالقسط والعدل
حذار الفوضى والتقاطع بين أهل الاسلام . أفما تخاف اذا ما كنت صادقا في
النصيحة من أن يحدث كلامك حربا أو حقدًا أو عداوة ؟ فهلا نصحت نفسك
قبل أن تنصح أهل السنة القائمين بالشرع النبوي ، أفلا تتلو الكتاب الكريم :
« أتأمرون الناس بالبر . . . » الآية

وأیضا إذا ما كان هذا الشيعي محققا فيما قال حريصا حقا على لم شعث المسلمين
صادقا في هذه النصيحة ، فلماذا لا ينصح بني دينه وجلدته الرافضة وبنهاهم وينودهم
عن سب سادات المهاجرين والأنصار وخيار محابة الرسول الكريم وخيار المسلمين
من أهل السنة في كل زمان ومكان ؟ . فان طائفته الرافضة تجاهر كما قدمنا بتكفير
كبار الصحابة وأمهات المؤمنين أزواج النبی الكريم ورميهم ورميهم بكبر الكبريات
التي لا يستطيع الكثيرون من عقلاء الكفار حكايتها فضلا عن اختراعها والایمان بها ؟

بل أفلا ينصح نفسه هر فيزجرها باليهاجم الصحابة وأمّات المؤمنين وأئمة المسلمين
بالا كفار والمقادح الظالمة الأئمة ؟ أعدل أن ينصح من يهدمون القباب المشيدة
فوق القبور امتثالاً لأقوال الرسول ﷺ ولسنته وسنة أصحابه ومن تبعم بالاحسان
والايمان ، ولا تسدى هذه النصيحة الى من يكفرون الخلفاء الراشدين المهديين ،
ومن يكفرون زوجات النبي ﷺ في الدنيا والأخرى ، ومن يكفرون أفضل
البشر بعد الأنبياء لدى المسلمين أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحنيفة وطلحة
والزبير وعمر بن العاص وخالد بن الوليد ؟ أمن الحق أن يكون هدم القبور يسوء
المسلمين ويفرق كلمتهم ويشقت شملهم ثم لا يكون شيء من ذلك في كفار أبي بكر
وعمر وعثمان وكبار المهاجرين والأنصار ؟ أمن الحق أن ينصح من هدموا القباب
المزخرفة عبثاً وجهلاً وغلوا ، فيقال لهم لا تفرقوا كلمة أهل الاسلام ولا تؤذوا المسلمين
ولا يقال لمن كفّر أئمة الاسلام وأنصار الرسول وجنود الله لا تؤذوا الله ورسوله
والمسلمين ولا تفرقوا كلمة المؤمنين

فالعجب أيها الانسان ممن يقول ان أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير كفار
أو فسقة ظلمة إذا ما راح ينصح من يهدم الأبنية المقامة عبثاً على القبور عصياً نأله
ولرسوله ولصحابته ولأئمة المسلمين قائلان في هذا اساءة الى المسلمين . فاعجب ثم
اعجب ثم اسأل الله السلامة ، سلامة الدين والعقيدة والضمير

(ثانياً)

لنسلم أن في هدم القباب المشيدة شيئاً من خوف الفتنة ، وشيئاً من إيلاام بعض
النفوس . ولكننا نقول مع ذلك ان هدم القباب أرجح وأولى من إبقائها بدلائل
كثيرة . (أولها) أن المحذور في هدمها الذي ذكره هذا الرجل هو خوف الفتنة
والمداوة ما بين المسلمين ، هذا هو الذي يخشى ويرعى جانبه . ولكن هذا المحذور

غير صحيح وغير واجب الرعاية . بل ولا كان مشكوكا فيه عند المتأملين ، والشاهد على ذلك الواقع نفسه . فان القباب هدمت كما يدعى هو وقضي الأمر وعمل بالسنة الآمرة بهدمها وفض النزاع ، ومع هذا لم يحصل المخذور الذي خشيه الرافضى وعده مانعا من العمل بالسنة مانعا من هدم القباب ، والواقع أكبر دليل . بل المسلمون اليوم راضون عن الحكومة السعودية كل الرضا ، وهم يزدادون مودة لها ورضا عنها كل يوم وكل ساعة ، وما كان هدم القباب مانعا من هذه المودة ومن نعمائها ومن هذا الرضا ومن نموه . بل لقد كان ذلك من أسباب هذه المودة وهذا الرضا ، بل لقد كان هذا من الدلائل القاطعة على أن الحكومة السعودية هي الحكومة الشرعية السلفية حقا ، والواقع أفصح شاهد ، والدلائل على رضا المسلمين وانصباب أهوائهم نحوها تتناثر من كل جانب ، فلينظر ذلك من يريد الاعتراف بالحقيقة الخالدة والحق المصراح

واذا ما كان العمل بالواجب يعارضه خوف الوقوع في أحضان المحرم ثم تبين أن هذا المحرم الخشعي القائم في وجه العمل بالواجب لا يصح أن يخشى ولا أن يرمى لأنه لن يكون ولن يقع ، كان العمل بالواجب لازما ولا ريب ، وكان الغناء تخوف المحرم فرضا ولا شك . وهذه المسألة التي معنا هي كذلك . فان الواجب وهو هدم القباب المشيدة قد نفذ وانتهى منه ولم يقع شيء من المخذور الذي هو خوف الفتنة والفرقة . فكان الصواب الذي لا صواب في غيره القيام بهذا الواجب والامراع الى انفاذه (ثانيها) أن الذي فرضه هذا الرجل في المسألة أن هدم القباب واجب ، ولكن يعارض هذا الواجب محرم ، وهو الفتنة والتعادي بين أهل الاسلام ، فيتعارض الأمران فيرجح في رأيه الأخير أي خوف الفتنة واتقاؤها على الأول . ونحن نقول اذا كان الأمر كما ذكر كان العمل بالواجب ولا شك أرجح من تركه خيفة الحرام ، وذلك أن في بقاء هذا

المحرم محرمات أخرى . تتمدة كالنحو في أحجاب القبور ودعائهم والاستغاثه بهم والرجوع اليهم حين النكبات والحاح الحاجات ، ولتقديم القرابين والنذور والمدايا ، وإيقاد السرج والأنوار فوقها وسائر المحدثات فوق القباب المشيدة وهذه كلها محرمات شرعا وعقلا وذوقا كما سوف يأتى ، وإذا ما كان ذلك كذلك فلا ريب فى أن بقاء القباب وزخرفتها هو الذى يفرى بارتكاب هذه المآثم واجتراح هذه الكبائر المحرمة ، وهو الذى يقول للجاهلين باللسان الصامت والمشاهدة الصامتة اعملوا هذه الأعمال واغفلوا أكثر مما كنتم تفعلون ولا ريب أن قبرا سواء أكان قبر نبي أم قبر ولي لا تكون فوقه هذه الزخارف والظاهر من القباب والسرج والزينات والبناءات الماثلة لا يمكن أن يغفل فيه مثل ما يغفل فى القبر الذى تكون فوقه هذه الأمور ، والدليل على ذلك أن طائفة الشيعة تغلو فى قبور آل البيت وغير آل البيت من القبورين عندهم فى النجف و كربلاء للزينة قبورهم بالقباب والسرج والزينات غلوأ لا يجعلونه بل ولا بعضه للانبياء وأولى العزم منهم كعيسى وموسى وإبراهيم وغيرهم بل وخاتمهم ﷺ . بل ولعلمهم لا يفكرون فى هؤلاء الانبياء . فلا يستغيثونهم ولا يدعوهم أو يحلفون بهم أو يرجونهم أو يخافونهم ، والسبب فى ذلك هو ما ذكرناه من اغراء القبور بالغلو فى القبور وعبادته ، وما كان اعراضهم عن الانبياء الا لأنهم ليست لهم مشاهد مزخرفة مزينة بالقباب والزينات الباهرة ، ولا ريب أن الانبياء أولى بالغلو إن كان جائزا من آل البيت الامام على وأولاده رضى الله عنهم جميعا فلا شك اذن أن هدم القباب - اذا اقتضى الامر كما يزعم هذا المصنف - أولى من ابقائها حذار حدوث العداوات والخزانات ، لأجل هذه المفاسد الكثيرة التى أشرنا الى بعضها ، والتى تنجم من بناء القباب وبقائها

(ثالثاً)

إذا فرض أن المسلمين كلهم كما يدعى هذا الرجل يساؤون بذلك ويخشون به وقوع خلاف يتبعه قتال يتبعه ضعف الالام كما يقول ، إلا أنه يقابل ما ذكره أمر خطير لم يفتن له هو ، ذلك أنه يخاطب بكلامه هذا من بأيديهم الحل والعقد والسلطة والسلطان من رجال الحكومة السعودية ، الذين يأمرون وينهون وينفذون ولا شك ، وإذا كان ذلك كذلك وكانت الحكومة السعودية مطالبة بالترجيح بين الأمرين اللذين ذكرهما ، ومطالبة باتقاء أكبرهما ضرراً : هدم القباب المحرمة شرعاً ، واجتتاب ما يحدث العداوة وما يؤدي النفوس المسلمة ، فلا ريب أن بقاء القباب أعظم فساداً وخطراً وفتنة من هدمها ، ذلك أن التجديدين الذين هم جند الحكومة وجيشها وعدتها وعتادها في سلمها وحربها لا يرضون أبداً ببقاء القباب ، وهم يعلمون ولا يشكون أن إبقاءها خلاف الشريعة التي يتفانون في تطبيق أحكامها على أعمالهم ، ولا يرضون أبداً بتركها قائمة يطوف بها الطائفون ويلثمها اللاعنون ويمسحها للمسحون ويدعوها الداعون ويحتج فوقها جميع الآثام والأعمال المزدرة وهم يعلمون أيضاً أن هذا حرام كله بلا نزاع ، ويعلمون أنهم ما فتحوا الحجاز وغيره إلا لأقامة الشرع والعدل والسنة ومحاربة البدعة والدجل والخرافة ، وهم لا يشعرون شيئاً مثل عشقهم بث السنة النبوية وإبرازها كما كانت وكما يريد الرسول الكريم والصحابة والعلماء : أنهم لن يرضوا عن ذلك البتة ولن يقبلوا من حكومتهم سوى تفويض هذه المنكرات والمخالفات . هذا لا ريب فيه ، وإذا كان كذلك فهل من الحكمة والعقل والشرع أن تعتمد الحكومة إهمال الشريعة والعمل بالسنة النبوية ، ثم افضاب شعبها واحراج صدره بإبقاء البدع التي لا يشكون فيها لنيل رضا الشيعة ، وإثلا تُغضب الشيعة وتغضب الجاهلين بالشرع وقواطع

(١٩٣)

الاسلام ، ولتلا نمو العداوة في هذه الصدور الجاهلة ؟ هذا الرجل يريد هذا ، ولكن العقلاء جميعاً يعرفون أنه عين الجهالة والغباء والسفاهة

ولن ترضى الشيعة عن الحكومة السعودية ، ولا عن غيرها من الحكومات الاسلامية ما دامت تعرف لله حقه وللخلق حقه ، فلا تخلط بين الحقين ، ولا تهيب هذا حق هذا . وما دامت تغضب لسادات المسلمين ، ولا مهات المؤمنين ، وللخلفاء الراشدين . وما دامت تقتفي آثارهم قولاً وعملاً وعقيدة . فلما منع من رضا الشيعة قائم عند أهل السنة دائماً . وإذا كانت الشيعة لم يرضها أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ نفسه ولا أمهات المؤمنين رضى الله عنهم ، فعبث لعمر الله أن نحاول نحن إرضاءها أو فأمل رضاها . ومحال أن نظفر بذلك حتى تغضب الله ونجانب سبيل الأولين وسبيل الخلفاء الراشدين . ولن نجانب ذلك أبداً إلا أن يشاء الله أن نضل ونفوى . ولكننا نسأله الهداية والثبات عليها ، ونعوذ به من النوايا وأسبابها

(رابعاً)

أن فيما قاله هنا تركاً لأوامر الشرع وإبقاء على المحرمات لأسباب باطلة ، وخيالات متوهمة لما يأت دليل من الشرع ولا من العقل يدل على أنه يجب ترك الآوامر الشرعية لأجلها ، ويجب إبقاء المحرمات خوفاً منها . وما كان كذلك فلن يعبأ به ، ولو بالى المسلمون بأمانال هذه العلل والأوهام لما عديموا من يذكر لهم عللاً وأوهاماً مثل هذه وأحسن وأجود يتوسل بها الى إهمال الشريعة جملة وتفصيلاً وإلغاء أحكام القرآن والسنة المتواترة . مثل أن يقول الجاهلون لو عمل المسلمون بشرعهم وحدوده ومعاملاته وعقوباته وتسويته بين الطبقات الأشرف والأطراف لحدث كيت وكيت من المفساد والأخطار والفتن الموبقة . وبأمثال هذا تهمل

الشريعة جملة وتفصيلا . وهذه آخرة الشيعة وهدنها الأقصى . ولكتنا معاشر المسلمين قول أيننا « وان أرادوا فتنة أيننا »

(خامسا)

زعمه أن هدم القباب يسوء ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم - أى يسوء المسلمين تقريباً - زعم بعيد عن الحقيقة كل البعد . وما يسوء سوى الشيعة ، وسوى الجهال بالشريعة من العوام . وأما العالمون من المسلمين على اختلاف مذاهبهم والناس لهم تبع فانهم لم يساءوا بذلك ولم يذموه . بل أنهم استبشروا به وفرحوا ، وحمدوا الحكومة السعودية وشكروها على إقامة السنة وأحيائها بإزالة القباب والبنائات التي حملت على الشريعة وعلى القبور حملا ، وذلك لأنهم يعلمون أن الاسلام يأبى بصرامة البناء على الأضرحة ويأبى رفع القباب فوقها . وهذا موجود فى كل كتاب من كتب الحديث والنقح تقريباً بأسانيد متواترة تواتراً معنوياً . ويعلمون أن المذاهب الاربعية تأبى ذلك بصرامة وشدة ، وتأمر بهدم ما يكون من ذلك . وهذا موجود فى جميع المذاهب الاربعية وفى كتبها . وقد ذكر ذلك الامام الشافعى فى كتابه (الأم) أعظم كتب الفقه . وسوف يحىء الكلام فى هذا الموضوع . وهى مشيخة الأزهر أكبر معهد دينى اسلامى قد أنشأت لجنة من علماء الأزهر مختلفة المذاهب لتؤلف كتاباً فى محاربة البدع ، ومن جملة ما عدته من البدع البناء على القبور وتشيدتها واسراجها وتعليق التعاليق فوقها

ومن الدلائل على أن هذا الشيعى غير صادق فيما قال أن المسلمين أجمعوا أو كادوا يجمعون بالجملة على الرضا عن حكومة الحجاز وعلى أنها هى الحكومة السلفية القائمة بالشريعة كما كانت منقاة من البدع والضلال . وهذا قد أصبح واضحاً ملموساً فى كل صحيفة عربية تقريباً ، فان الاعتراف لهذه الحكومة بهذه الفضيلة

يكاد يقرأ في جميع الصحف الاسلامية على اختلاف منازعها ، وأنت واجد ذلك كثيراً واضحاً في أيام الحج وفي الأيام التي تلي الحج بعد أن يرى الناس بأبصارهم هذه الحقيقة الخالدة والفضيلة المميزة ، وقد كتب الناس كثيراً بعد دخول الحكومة السعودية الحجاز وأيدوها في مسألة هدم القباب وغيرها من المسائل التي ينكرها الرافضة بل وأشادوا بدمجها والثناء عليها ، والشواهد على هذا كثيرة عديدة وهل يستطيع هذا الرافضي أن يدلنا على رجل واحد من رجالات الاسلام أهل السنة الذين لهم قدم راسخة في الدين والعلم والايمان أنكر هدم القباب ، ورفع صوته ساخماً على حكومة الحجاز أن فعلت ذلك ؟ أحسبه يعلم أن ذلك غير مستطاع

وهذا الأزهر أكبر معهد اسلامي وأجمعه وأشهره هل سخط أهله ذلك أو أنكروه أو احتجوا عليه ، اذا كانوا يرونه مخالفاً للاسلام والدين كما يدعى هذا الرجل ، فانه لم ينكر ذلك من علماء الأزهر سوى بعض المعمورين الذين ليست لهم قدم راسخة في العلم وهؤلاء معلومون بالخنوع للاهواء والأغراض التي كانوا يخدمونها في ذلك الوقت . أما اليوم فكلمة الأزهر المسموعة التي لا تتنازع الموافقة التامة للحكومة السعودية في هذه المباحث ، والرضا عنها ، والاعتراف لها بأنها المحيية لسنة ولسيره السلف الصالح . وما يقال في الأزهر يقال في غيره من المعاهد الاسلامية

فالمسلمون لم يساءوا من هدم القباب ، ولم يفضوا لذلك على وجه الاجمال ، وإنما كان هذا من بعض الجاهلين بالدين الجاهلين بأسراره . ثم ان هؤلاء المنكرين الجاهلين أخذوا يرجعون عن ذلك ، وأخذوا يعترفون بالحقيقة الواضحة الخالدة

(سادسا)

هب أن المسلمين كافة أنكروا ذلك وفضبوا له ، وأنت فرضت هنا أن هدم
القباب واجب وكلامنا هنا على هذا الافتراض ، أفلا يكون المسلمون حينئذ غالطين
في الانكار والفضب والاستياء ؟

لا شك أنهم حينئذ غالطون ، لأنهم أنكروا القيام بالواجب وسيثوا به ، فهم
غالطون وجاهلون معاً بلاريب ، وإذا ما كانوا غالطين جاهلين أفلا يجب تعليمهم
وارشادهم ؟ ثم ألا يجب علينا القيام بالسنة والشرع غير حافلين بانكارهم واستيائهم
بما كانوا فيه غالطين ؟

لاريب أن المسلم يجب أن ينصر الاسلام وأن يقوم به ، وإن فضب الناس ،
وأن طالب الحق يجب أن يجهر به وأن ينصره قبله الناس أم رده ، علوه أم جهلوه
والاجماع نفسه ما قال القائلون به إلا لأنهم يعلمون أنه لا بد أن يكون له دليل
شرعى من الكتاب أو السنة وإن لم يطلعوا عليه ، ولولا افتراض هذا الدليل الشرعى
لما كان الاجماع حجة ولا مقبولا ، والشيعة نفسها لاتعتمد بالاجماع إلا لأنها تدعى
المعصوم ، فهى فى نفس الامر تخالف الاجماع وتكره

فإذا ما أبى المسلمون قبول الحق وأنكروه لم يوافقوا على ذلك بل وجب
تعليمهم وارشادهم ، ولكن المسلمين لن يفضبوا من الحق ولن ينكروه مجمعين فان
المسلمين لا يجمعون على جهل الحق . وكلام هذا الرافضى من أسوأ المقادح فى
المسلمين والزراية بهم لأنه يجعلهم يفضبون ممن قام بالاسلام ونصر السنة وأحيائها
بعد اندثارها . وقد برأ الله المسلمين مما رماهم به فانه وإن وجد من الكثيرين
الانكار لبعض الحق والاستياء منه ، وهذا مالا بد منه ، فانهم لن يجمعوا على ذلك
ولن تنفق كلمتهم عليه . والحق لا بد أن يوجد بينهم بالجملة
وأما الكلام على القبر النبوى الشريف فترجى القول فيه الى الأبواب الآتية :

الامر الثاني عشر

قال الرافضى « تكفير المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين ، وإحلال دمه وماله وعرضه عظيم لا يجوز الاقدام عليه استناداً الى نظريات واجتهادات يكثر فيها الخطأ ، والى أخبار فطنية قابلة للتكذيب وللتأويل مثل الاجتهادات والأخبار التى يستند عليها الوهابيون فى تكفير المسلمين ولا يكفر المسلم إلا بشئ قطعى . وكانت سيرة النبي ﷺ والصحابة والتابعين وتابعى التابعين معاملة الناس على الاكتفاء باظهار الشهادتين والتزام أحكام الاسلام . روى البخارى أنه عليه السلام قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم وأموالهم » وقال عليه السلام : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله » . وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله » .

« فيستفاد من هذه الأخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام ما لم يعلم شئ ينافيه ، ولا يلزم التفتيش والتجسس . ولنا قول ان المقر بالشهادتين الذى يصلي ويؤتى الزكاة لا يمكن الحكم بكفره مع ذلك لجواز أن يحكم بكفره مع ذلك كالحوارج والمجسمة ومنكر الضرورى . ولكننا نقول الاقرار بالشهادتين والتزام أحكام الاسلام كاف للحكم بالاسلام حتى يثبت ما ينافيه باليقين لا بالاجتهادات الفطنية والأخبار الفطنية وحتى ينتفى التأويل . وما حكى به الوهابيون المسلمين لم تجتمع فيه هذه الشروط » انتهى كلامه . قلت :

(أولا)

يا ليت الشيعة صدقوا ما قاله هذا الشيعي ، فلم يكفروا المقر بالشهادتين ، المتبع
طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام وشرائع الايمان . ياليتهم صدقوا هذا ،
ولكنهم لم يصدقوه بل هجموا على صحابة رسول الله ﷺ وأنصاره وأنصار الله
وجنود الاسلام بالا كفار والافساق وقذفهم بأشنع التهم الكبريات ، وهجموا
أيضا على من تولوهم من المسلمين بالا كفار والافساق والتضليل ودعوم « بالنواصب »
أي عداة آل البيت الذين ناصبهم العداء ، وقد عبدوا سائر المسلمين ما خلاهم هم
من النواصب الجناة الظلمة ، فاستحلوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم وقدموا في دينهم
ومعتقداتهم ، وقتلوا في كتبهم عن أئمتهم « خذ مال الناصبي وادفع الخس » كما
سوف يجيء ذلك مستوفى . وقد نزلوا آيات القرآن الكريم الواردة في رؤوس من
المشركين معينين معلومين على كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة
وحفصة وطلحة والزبير . وقد قالوا ان الجيت والطاغوت المذكورين في القرآن هما
أبو بكر وعمر ، وقالوا ان البقرة المذكورة في قوله : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة
الى آخر الآيات هي السيدة عائشة ، ونظائر ذلك من قبيح الرأي وفضيخ القول مما
سوف يأتي . فالشيعة لا يتقيدون بما قاله هذا الشيعي ولا يذعنون له . بل هم من أول
من استحل دماء المسلمين وكفروهم بل دماء سادات المسلمين وأموالهم وأعراضهم
فان كان في قوله هذا حق فليوجه الى الشيعة أولا

(ثانيا)

يقال لهذا الرافضي من مخالفيك في هذا الموضوع لا يحكم باسلام من أقر
بالشهادتين واتبع طريقة المسلمين والتزم أحكام الاسلام وصلى وصام وزكى وقام
بشرائع الاسلام والايمان ولم يأت بشيء يخالف ذلك ؟؟ ومن مخالفيك يقول

ان مثل هذا المرء كافر حلال الدم والمال ۛۛۛ

ان جميع من يزعم الرد عليهم في كتابه هذا لا يخالفون في أن الذي يقوم بما ذكر ويلتزمه ويقوم بأحكام الاسلام ويتبع طريقة المسلمين ويصلى ويصوم ويؤتي زكاة ويستقبل قبلة المسلمين ويجمع أشراف الايمان والاسلام مؤمن من خيار المؤمنين ومسلم من أفضل المسلمين ، بل وولى من أولياء الله المتقين المقربين ، فليعلم هذا إن كان لا يعلمه

ولكن ها هنا أمراً يجب أن يفهمه . هذا الأمر هو أن يعلم أن المراد من الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو معناها لا لفظها ، وأن المقصد منهما ما يدلان عليه من التوحيد والايان بأن الله وحده هو الاله الحق والايان بأن الرسول صادق فيما بلغ عن ربه ، وليس المقصد منهما النطق بهما مجردتين من الأوزام والموانع ، ومن الشروط والأحكام ، ثم أن يعلم أيضاً أن لهاتين الشهادتين شروطاً ونواقض ، وأن من قالمها بلسانه ليلاً ونهاراً معتقداً أو غير معتقد لا يمكن أن ينفعاه ولا أن ينجياه لا في الدنيا ولا يوم الدين اذا ما ظل يأتي بما يفسدهما ويتقضيهما من قول وعمل ، ولا خلاف في هذا لدى العقلاء والعلماء وهذا الرجل نفسه لا يخالف فيه بالأجمال ، وهو إن خالف إنما يخالف في أن هذه الأمور منافية للشهادتين مناقضة لهما . فلا يقول ان هذه الأشياء تناقض الشهادتين ، وإلا لو سلم هذا لسلم أن من قال الشهادتين وجاء بما يناقضهما يسلم أن الشهادتين لا غيتان فاسدتان ، وهذا لأن الألفاظ دلائل المعاني . فمن جاء بما ينقض قوله فقد أنقضى قوله وألغى دلالته بالنسبة اليه هو . فمن قال لا إله إلا الله وهو يعبد غير الله ويجعل معه آلهة أخرى لم ينفعه قول لا إله إلا الله بالاجماع والبداهة ، وكذلك من شهد أن محمداً رسول الله ثم جاء بما يفسد هذه الشهادة وما يطلبها من قول أو عمل فقد ألغاهما وأفسدها ، وهذه أوليات لانزاع فيها ، ولكن النزاع يقع فيما يدعى

أنه يفسد الشهادتين وينافيهما لاني أن من جاء بهما قد دقاز ونجا وإن آتى بما يفسدهما من الأعمال والأقوال

فنعن نقول مثلا ان الاستغاثة بالأموات والضراعة اليهم عند الرغبة والرهبة والمكوف على قبورهم والانتطاع اليها وتقريب القرابين والنذور والصدقات لها - نقول ان هذه الأعمال والأقوال تفسد شهادة أن لا إله إلا الله وتبطلها فلا تنفع قائلها الآتى بهذه الأشياء لأن الله معناه المعبود وهذه الأعمال والأقوال عبادة بل من أعلى أنواع العبادات ، فإذا ما قدمها لنير الله فقد عبده بلاريب ، والشهادة التي قالها بلسانه كلمة لم يعرف معناها فلم يعمل بما تدل عليه فصارت كلمة لاغية لاقيمة لها وصار في هذه الشهادة كجاهل باللغة قال هذا « ليث » عند ما رأى فأرأ حاسبا أن هذا اللفظ لهذا المخلوق . فإذا قال ذلك فلا ريب أن قوله هذا ليث ، يعنى الفأر لا يدل على أنه رأى ليثا لا بالنظر اليه هو ولا بالنظر الى من فهم ما يعنى

وهذا الشيعى وبعض الناس لا يعلمون أن هذه الأعمال والأقوال تنافى لا إله إلا الله وتنقضها فيذهبون يحسبون أن من قال لا إله إلا الله فهو مؤمن موحد مخلص الدين لله وإن استغاث الأموات وسألم ما لا يقدر عليه إلا الله كشفاء المرضى وهداية القلوب وغفر الذنوب ، وإن انقطع اليهم وسألم صباح مساء . فهذا كله وأكثر منه لا يضير قائل لا إله إلا الله عند هؤلاء ولا ينافى الشهادة لا من قريب ولا من بعيد لا فى الظاهر ولا فى الباطن لا تصريحاً ولا تلويحاً فالتزاع إذن فى هذه الأمور وفى معنى الشهادة ومعنى العبادة ومعنى التوحيد والايان والاخلاص . فالذى على هذا الشيعى إذن أن يبين أن هذه الأعمال والأقوال لا تنافى الشهادة ولا تفسدها . والذى علينا نحن أن نبين أنها تنافىها وتفسدها . وهذا هو الذى يفض التزاع ويزيل الخلاف والا فان مثل قول هذا الشيعى حشوعت لا حد له ولا ضابط . فهو يقول المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين للتمزم لأحكام

(٢٠١)

الاسلام مسلم ليس بكافر . أو ليس هذا الكلام كأن يقول قاتل من قال فهو قاتل ومن صلى فهو مسلم ومن زكى فهو مذك . أو أن يقول المسلم مسلم والمؤمن مؤمن أو الاثنان اثنان والثلاثة ثلاثة ! ومن ذا الذى يحتاج لمثل هذا الكلام ومن ذا الذى لا يعرف أنه حيث حشوا ؟ فان قوله « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين الملتزم لأحكام الاسلام ليس بكافر » بمثابة أن يقال المسلم ليس بكافر . لأن الذى يأتى بهذه الأمور هو المسلم . لأن من التزم أحكام الاسلام واتبع طريقة المسلمين صار مسلماً يقيناً . وهل يصح أن يقال ان المسلم حقاً ليس بكافر مادام مسلماً ؟ وهذا هو معنى كلامه . ولا ريب أن مثل هذا الكلام لا يجدي ولا يستفيد منه أحد لا من المخالفين لهم ولا من الموافقين . والذي ينفع هو أن يقيم البرهان على أن دعاء الاموات وسؤالهم ضرور الحاجات وتقديم النذور والهدايا إليهم والعكوف على قبورهم ليس بعبادة وليس بمناف للاسلام والايمان والتوحيد فاذا ما أقام الدليل على هذا أغناه عن هذا العبث والحشو . أما نحن فنعد القارىء أن تقيم الدلائل على أن ذلك عبادة وعلى أن من اجترحه فقد طعن إيمانه فى صميمه . ومكان هذا الأبواب الآتية الخاصة به . .

(ثالثاً)

كلامه هنا قلق متخاذل . فهو يقول فيه « المقر بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين لا يكفر » ويقول « إن الرسول والصحابة والتابعين وتابعى التابعين كانوا يكتفون من الناس بالشهادتين وبالتزام أحكام الاسلام » ثم بعد هذا القول ينقل الأحاديث النبوية القائلة بأن المسلم الذى يحرم دمه وماله هو من شهد الشهادتين ومن صلى وزكى وعمل بالاسلام : يقول هذا ، ثم يرجع ويتعصب هذه النتيجة الكاذبة : « فيستفاد من هذه الاخبار أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الاسلام » فهل هذه

(٢٠٢)

المقدمات وما ذكره هنا تكون نتيجة أن المقر بالشهادتين مسلم وأن، يحكم
بإسلامه ؟ كلا والله . فإن الكلام الذي ذكره الأحاديث التي روى يجب أن
تكون نتيجة مغايرة للنتيجة التي اغتصبها اغتصاباً ويجب أن يقال فيها إن المقر
بالشهادتين القائم بأعمال الإسلام ومظاهره من صلاة وصيام وزكاة وحج الملتزم
لذلك ظاهراً يحكم بإسلامه ولا يكفر ولا يقدم على إكفاره يجب أن تكون النتيجة
هكذا . وإن كان الكلام على وجه الإجمال حسوا وعبثاً . فاحداهما - النتيجة أو
المقدمات - يجب ألا تكون كما ذكر

(رابعا)

قد قدم في كتابه ص ٩١ وما بعدها في الأمر السادس أن تارك الصلاة
والزكاة والصيام أو فريضة من فرائض الإسلام لا يكفر ولا يخرج من الإسلام
بل يكون بالشهادتين مؤمناً معصوم الدم والمال لأنه مسلم ، وتقدم أنه عاب من
يكفر تارك الصلاة وفرائض الإسلام أو يستحل قتله وهجاء وسماء وهائياً مقتنياً
أثر الخوارج في إكفار المسلمين وفي الإكفار بالذنوب . هذا تقدم كله من هذا
الشيء ، ولكنه هنا نسي ما كتب هناك وحكم أن المسلم هو الذي يقبل الشهادتين
ويتبع طريقة المسلمين ويلتزم أحكام الإسلام ويصلي ويؤتي الزكاة ، وحكم بأن من ترك
شيئاً من ذلك لا يكون مسلماً ولا معصوم الدم والمال بل يقاتل ويقتل حتى يقوم به
كله وحتى يلتزمه أجمع بدليل ما ذكره وبدليل الأحاديث التي رواها من قوله
عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس) إلى قوله (وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة)
إلى آخر الحديث . فأى شيء هذا الخلط وأية ناحية ينسب وأى قول يقول ؟
وإذا ما كانت هذه الأحاديث صحيحة لديه حجة مقبولة وهي تصرح بأن
تارك الصلاة والزكاة وفرائض الإسلام يقاتل ويقتل وأن الشهادتين وحدهما

(٢٠٣)

لا يضمن الدم والمال ولا يكفیان فی إسلام المرء فما القول الذى قدم وما انهجاء
الذى حمله على من قال با كفار تارك تلك الصلاة أو قال بقتله ؟ أما قال هنالك فى
الامر السادس :

« وحكم الوهايون بكفر تارك الصلاة أو الزكاة واستحلوا القتل بترك بعض
فرائض الاسلام على عادتهم فى التسرع الى تكفير المسلمين واستحلال دماهم ،
وتشددهم فى ذلك اقتفاء بالخوارج » هذا نصه ، فما هذا القول هناك مع اعترافه هنا
أن الرسول الكريم أمر بمقاتلة الناس واستحلال دماهم وأموالهم حتى يقيموا
الصلاة ويؤدوا الزكاة ؟ ألا يكون فى هذا قادحا فى الرسول الكريم قادحا فى قوله
راميا إياه باستحلال دماء المسلمين وأموالهم اقتداء بالخوارج ؟ وإلا اذا ما سلم
أن هذا هو حكم الرسول الكريم وسلم أنه حكم حق لا ريب فيه فلماذا يهجو من
قال بقوله وحكم بحكمه ؟ لاجرم أنه لا بد من القول بأن المتبوع غلط ويرأه الله عما
قال ، أو القول بأن التابع راشد مهتد ، وأما القول بأن المتبوع راشد مهتد والتابع
ضال فوضى فى المسألة الواحدة فقول متدافع ، فالى أين يذهب هذا الرافضي ؟ وهذه
الاحاديث التى ذكرها دالة ولا محالة على أن الشهادتين منفردتين لا يضمنان الدم
ولا يكفیان فى إسلام المرء ودالة على أن تارك الصلاة مقاتل فقتل ، وقد قلنا
ان هذا ما ذهب اليه أكثر أهل العلم ، ودالة على أن الشيعة غير راشدة فيما قالته
هنالك وما قالته هنا

(خامسا)

نحن نقول قبله انه لا يجوز الا كفار اعتماداً على اجتهادات ظنية يكثر فيها
الخطأ وعلى أخبار ظنية قابلة التأويل والتكذيب كما صنعت الشيعة فى اكفار المسلمين
وخيار المؤمنين ولكننا نقول له إن الوهايين لم تكن أدلتهم فى هذه المطالب العالية

اجتهادات ظنية أو اخبار فردية قابلة التأويل والتكذيب . ولكن دلائهم القرآن يجملة والسنة الحميدة عمليا وقوليا كما سوف يبيى ذلك مفصلا فى أبوابه ، فان القرآن اجمالا أنى زاجرا أقصى أنواع الزجر وناهيا بأشد عبارات النهى عن دعاه غيره وعن الاستغاثة بالملوك والملوك بالملوك . وهذا لا يقبل التأويل ولا التكذيب البتة ، ثم هو أمر أيضا بافراد الله بالعبادة وافراده بالرجاء والخوف والخشوع والخضوع . وهذا لا يقبل التأويل ولا التكذيب البتة . وعن هذه الاصول تنفر جميع المسائل التى تطالب المخالفين بها وبطلانهم بها الاسلام جملة . فليعلم هذا . ولكن الشيعة هى التى تعتمد لا أقول على الاخبار الظنية والاجتهادات المدخولة فان الأمر أقل من ذلك . بل هى تعتمد فى اكناف الصحابة وأئمة المسلمين على روايات موضوعة بلا ريب وعلى تحريف القرآن التحريف الذى لا يقبله من أراد الله به خيرا ومن كان له دين يحاسبه أو ضمير يؤنبه

(سادسا)

أما اعترافه بكفر الخوارج والمجسمة ومنكر الضرورى . فسوف يعلم القارىء أن الخوارج على ما فيهم من الضلال والمروق والبدعة خير وأفضل من الشيعة إن كان فى هؤلاء ، أو أولئك خير وفصل . وانه اذا قيس شر الخوارج بشر الشيعة تلاشى وتضاءل ، وسوف يعلم القارىء أن السلف وعليك رضى الله عنه بالخصوص لم يكفروا الخوارج ، وأما المجسمة فقد انقضت كلمة المؤلفين فى النحل والفرق الاسلامية على أن أول من قال بالتجسيم وشبهه وأذاعه هم شيوخ الشيعة ووضعها منفيها وسوف يبيى البيان لهذا ، وقد تقدم جزء كبير من هذا النوع فى أول كتابنا ، وأما انكار الضرورى فان الشيعة هى أفرس الطوائف فى هذا الميدان وأجراها بلا خلاف ، أليسوا يتكبرون إيمان أبى بكر وعمر وعثمان وإيمان عائشة

وحفصة وطلحة والزبير وغيرهم ؟ أليسوا يزعمون أن المسلمين أجمعوا على جواز البناء على القبور أعظم من إجماعهم على الإيمان بالله وعلى الصلاة والصيام وسائر فرائض الدين ؟ أليسوا يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، يزعمون أن نسخة القرآن التامة الصحيحة عند إمامهم المنتظر سوف يخرجها ؟ أليسوا ؟ أليسوا ؟ فلهذه الأمور التي كثر بها هي مجتمعة بلا مشاحة في فرق الشيعة ، بل وشر منها بأضعاف مضاعفة ، فان كان هؤلاء كمناراً بدليل واحد فان الشيعة كذلك بدلائل عديدة

الامر الثالث عشر

قال ارافضى « أقوال المسلمين وأفعالهم المحتملة أن تكون صحيحة وأن تكون فاسدة يجب حملها على الصحيح ولا يجوز مطلقاً حملها على الفاسد الا مع العلم . وعلى ذلك سيرة المسلمين وإجماعهم وبه انتظام معاشهم ومعاملاتهم . فاذا رأينا مثلاً مسلماً يضرب يتيماً وأمكن أن يكون ضربه تأديباً وإيذاءً وجب حمله على الصحيح وهو التأديب ولم تنتقض عدالته ان كان عدلاً وكذا لو رأينا مسلماً يضاجع امرأة ولم نعلم أنها زوجته أو رأيناها يشرب شراباً أحمر ولم نعلم أنه خمر أو سجد أو فذر أو اشترى أو باع ونحو ذلك وجب حمل هذه الأعمال على الصحيح إلا أن يعلم الفساد ولا يكتفى الظن . وكذلك اذا قال المسلم قولاً أو فعل فعلاً له وجه أو معنى يوجب الكفر والردة وكان يمكن حمله على وجه أو معنى صحيح لا يوجب الردة ولا الكفر وجب حمل قوله وفعله على الوجه الصحيح الذي لا يوجب الكفر ، ولو كان احتمال هذا الوجه الصحيح ضعيفاً فضلاً عما لو كان ظاهراً أو مساوياً الوجه الفاسد في الاحتمال . فاذا استغاث مسلم بنبي^(١) أو ولى وجب حمله على معنى

(١) هنا يلت القصيد الذي ساق له هذه المقدمة

(٢٠٦)

لا يلزمه الكفر أو الخطأ . وكذلك لو قال لذلك النبي أو الولي أرزقني وعاف
ولدي وانصرني على عدوي ونحو ذلك ، واحتمل أنه يريد أن يكون له واسطة
وشفيعة على أن اسناد الفعل اليه من باب اسناده الى السبب كما في بنى الأمير المدينة ،
ولم يجز الحكم بشركه فضلاً عما لو علمت إرادته ذلك ، أو لو كان ظاهر حاله ذلك
باعتباره مسلماً يعلم أن هذه الأمور لا يقدر عليها غير الله « انتهى
بعد أن نستعين بالله من الشيطان ومن وساوسه وأوهامه وأغلوطاته نقول
الكلام هنا في ثلاث مقامات :

(المقام الأول)

هل من الصحيح والحق أن أفعال المسلمين الفاسقين والصالحين ، الأتقياء
والأشقياء ، العلماء منهم والجهلاء ، من يعرف الاسلام ومن لا يعرف منه غير كلمات
« الله » و « النبي » والاسلام ، ومن لا يستطيع أداء كلمة الشهادتين أداء صحيحاً
ومن لا يخشى الله ولا يخاف مقامه ، ومن لا يملك من الدين سوى اسمه ومولده
وشكله وزيه ؟ هل من الصحيح أن أفعال هؤلاء وأقوالهم يجب حملها مطلقاً على
الصحيح أى على أنها طاعات لم تشبها معصية ولم تخالفها بدعة أو ضلالة ؟ هذا هو
المقام الأول ، وجوابنا نحن عليه أن نقول كلا والله لا يمكن أبداً أن نحمل أفعال
هؤلاء جميعاً وأقوالهم جميعاً على أنها طاعات بريئة من الأثم ومن المعصية والبدعة ،
ولا يستطيع أحد متبصر يزن ما يقول قبل أن يقول أن يدعى ذلك . وإنما الصحيح
هنا الذي يصح أن يكتب وأن يقال التفصيل والتقسيم ، وأما إجمال ذلك بلامثنوية
فلا أحسب انساناً يمارى في بطلانه إلا أن يكون متعصباً له هو يقيم

أرأيت هاتيك النساء المتبايلات في الطرقات الطاليات وجوههن وأكفهن بالأصباغ
والمساحيق والألوان النكراء المتلوثة ، ثم أرأيت تلك الملابس التي ما وضعت على

الأجسام إلا كي تعرى وإلا كي تكون قيد الأبصار وشرك الفسق ثم رأيت تلك النظرات الحادة الفاترة وتلك المشية المتكسرة المتجاذبة ، ثم أجمعت تلك الضحكت السكرى الذابذة الداوية ، ورأيت تلك الاقسامات والاشارات والتهديدات . رأيت ذلك كله وممته كله ، ثم رأيت خير ذلك مما في الطرقات العامة والمجامع المزدهجة بالصدور المضطربة والأبصار الطامعة الى اقتطاف الفسق ومطارحة الهوى : رأيت ذلك كله ، أترك تستطيع أن تحمل هذا كله على الوجه الصحيح ، وعلى الأدب والعفاف والصون . وأترك تتأتم من أن تحمل شيئاً من ذلك على الخروج عن الآداب وعن الحصانة والعفاف ، لأن ذلك ما فعله المسلمات العارفت بأن ذلك حرام في الاسلام ، لا يبيحه دين الله ولا ترضاه شريعته المطهرة ؟ وأترك تستطيع أن تحمل نفسك على أن تتطلب لذلك كله الخارج البريئة والتأويلات الصحيحة ، لتقول ان هؤلاء النساء المسلمات لم يصنعن ذلك كله إلا لغرض شريف بارٍ يقبله الاسلام وتقبله الآداب العفيفة ، كأن تقول انهن ما صنعن شيئاً من ذلك إلا لأجل أزواجهن ادخالاً للسرور على قلوبهم وصوناً لأبصارهم عن أن تمتد الى محيا واضح وجبين مشرق . أو أن تقول انهن ما فعلن شيئاً من ذلك إلا لشكر الله على ما وهبهن من جمال وحمرة وغنى ، وإظهاراً لآيادي الله عليهن وعلى الانسان أجمع . أو أن تقول انهن ما فعان ذلك الاتيهيؤاً لعبادة الله وتزييناً لمناجاةه وتجملاً للقدو والروح الى بيوت الله للصلاة والعبادة . أو تقول غير ذلك مما لا يضن عليك الخيال بالشيء الكثير منه ؟

ان كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب في هذا الفجور المعروض للناظرين في الطرقات العامة والمزدحمات فقد يكون لك شيء من العذر اذا قلت ان أفعال المسلمين وأقوالهم جميعاً يجب أن تحمل على انها طاعات وعلى ما لا إثم فيه ولا خطأ . أما اذا ذهبت الى أن ذلك فسق ظاهر ، وفجور لا ريب فيه ، ودعارة فاضحة ،

وخروج على الآداب والأخلاق ، وسلوان على أهل أولئك النسوة وعلى الناظرين
اليين أيضاً لأنهم يريهن ما لا يقدرّون على نبه ككه وما لا يصيرون عنه ككه .
فأنت ذاهب ولا شك الى أن زعم هذا الشيعى زعم لا يقبله الله وزعم لا يقبله
الناس القدين لم يؤسروا بالأهواء والآغراض

ثم أرايت أولئك الشبان المتخثّنين ، الصافين بأجسامهم ما تصنعه الفتيات
بأجسامهن من تنميص وتخليج وتزجيج وتصفيف وقهرج . للتراكضين وراء
الفتيات ، الرامين لمن بأحر الألفاظ وأبردها ، المغالزين لمن ، المشيرين المادحين
المثنيين ، أرايت هؤلاء فى آفاق المجامع والطرقات ؟ أتراك تستطيع أن تبرئهم من
الاثم ومن الاتهام بسوء النية وفسق الضمير . أتراك تستطيع أن تحمل جميع ذلك
على وجه صحيح ومعنى برىء عفيف وأن تتطلب له ضروب التأويل والتفاسير التى
لا يضمن بها خيال . لأن هؤلاء الشبان مسلمون . ولأن المسلمين يجب ألا يتهموا
ويجب أن تحمل أقوالهم وأفعالهم المحامل الصحيحة البريئة مهما بعدت تلك المحامل
وشطت ؟ إن كنت تستطيع أن تذهب هذا المذهب فى هذا فقد يكون لك بعض
الغذر إذا ادّعت أن أقوال المسلمين وأفعالهم لازم حملها على البراءة والطهر ؟

أما إذا ما أبيت إلا اتهام هؤلاء الرجال بالفسوق والدعارة ، وإلا رميهم
بالانسلخ والأعلاص من الآداب الفضلى والأخلاق المطهرة ، واصررت على أنهم
فى حاجة الى تأديب صارم حاسم وعقاب رادع عارم ، فلا ريب فى أنك قائل ان
ما زعمه هذا الشيعى زعم أقل ما يقال فيه أنه زعم من هو فى حاجة الى أن يتعلم ،
وزعم من العلم فى غنى عن أن يؤلف فيه كتابا يتصدى فيه لأممى المباحث
البشرية ، أغنى للمباحث الالهية . ثم أرايت إنسانا مسلما وأيته يقبل فتاه فى الطريق
العام ويراشقها الألفاظ البذيئة ، أتراك تستطيع ألا تظن بهذا الفتى السوء والمكروه
أو أتراك تستطيع أن تقول إن هذا زوج هذه بلاريب ؟ إن كلام هذا الرافضى

يقضى بأن يكون الجواب نعم؟ ثم أرايت مسلما وجدته يضرب رجلا ضربا مبرحا وجيما على مرأى ومسمع من الناس ، والرجل المضروب يستمرخ ويستغيث ويطلب النجدة والعافية . أترانا مطالبين بأن نحمل هذا الضرب على التأديب والعقاب المشروع ، فلا نمد أيدينا لا نقاذ ذلك المضروب المستمرخ الصارخ لأن ذلك الضرب مشروع مطلوب لا يجوز منه ؟ ان كلام هذا الرافضى يقضى بأن يكون الجواب نعم ، أما نحن فنقول كلا والله . ثم أرايت رجلا مسلما رأيتاه حاملا سيفه على رجل لا نعرفه ليقتله ، أترانا مطالبين بأن نحمل ذلك القتل على القتل المشروع القصاص وأن فهم لزوما أن المقتول مستوجب القتل لذنب جناه ؟ أو رأينا مدعيا الاسلام ممن فظمت أخلاقهم وخشنت طباعهم يضرب ظلما ضربا فظيما وجيما والاسلام يصبح بأندى صوته : أغيثونى أغيثونى ، أترانا مطالبين لزوما بأن نبادر فنقول ان هذا الضرب ضرب تأديب لازم فيه حكمة وفيه فائدة كمسألة اليتيم الذي اقترضه هذا الرافضى ؟ ان الجواب عنده نعم ، وعند الجميع لا ثم أرايت لو وجدنا مدعيا للاسلام ينتاب إنسانا أقبح الاغتياب أو وجدناه يسبه كفاحا أقبح السب ، أترانا مطالبين بأن نحكم أن ذلك الاغتياب وذلك السب مشروعان وطاعتان إما لأجل تأديب ذلك المسيب المنتاب وإما لأجل النصح والتحذير منه أو لأجل أغراض أخر ؟ جواب الرافضى نعم ، وجواب الجميع لا الى غير ذلك من المثل التى تبين فساد كلام هذا الرجل وخطئه العظيم

أما المثل الذى ضربه لنا من ضرب اليتيم ، فهذا على حسب القرائن والشواهد فقد نحكم بأن ذلك الضرب إثم وإيذاء وجريمة ، وقد نحكم بغير ذلك . أما اذا لم تكن هنالك قرائن ولا شواهد لا فى الفلام المضروب ولا فى الضارب فالراجع لدينا فى هذه الحالة أن نقضى بأن ذلك الضرب ضرب غير مشروع وأن الضارب ظالم والمضروب مظلوم ، وذلك لأن الغالب على النفوس الظلم والشر والعدوان

ولأن الانسان ظلوم مكفار جيلة وطبعاً ، والظلم من شيم النفوس ، كما في الحكمة الطائفة ، وفي القرآن الكريم ان الانسان لظلوم كفار . وأما الرجل الذي يضاجع امرأة لا تدرى حالها ولا حاله فعلى حسب القرائن أيضاً يكون الحكم في هذه المسألة . فلو رأيناها يضاجعها في مكان مريب وحالة مريبة لرجحنا ألا يكونا زوجين ، وأن يكونا فاسقين عاهرين ، ولا سيما اذا علمنا رقة دينهما . وأما اذا ما وجدناه يضاجعها في بيته مع الطائفة والهدوء والشواهد الزوجية ففي هذه الحالة نرجح أنهما زوجان ، لا لأننا مطالبون بأن نحسن الظن بالرجل لأنه مسلم ولأن المسلم يجب أن تحمل أفعاله وأقواله على الطاعة ، كلا . وإنما نرجح ذلك بالقرائن الموجودة حتى ولو كان ذلك المضاجع غير مسلم . فإلهنا هنا في هذا الحكم ليست هي الاسلام بل هي القرائن المحيطة

أما شارب الشراب الآخر فعلى حسب ما تقضى القرائن أيضاً . فمن رأيناها يشرب ذلك الشراب الآخذ لون الخمر في حانات الخمر ودور الفسوق وجب أن نرجح أو أن نقطم أن ذلك الشراب خمر لا خل ، وأن ذلك الشارب آثم عاص ولا سيما اذا كان ذلك الشارب معلوماً بقلة الدين ورقته ، أو رأينا علامات التمل بادية عليه قائمة في عينيه وخديه وشفتيه . وهكذا يكون الجواب عن جميع المثل التي يذكرها هذا الرجل أو غيره

وليعلم أن ترجيح أحد الأمرين في هذه الحالات ليس بالاسلام ولا بالكفر بل بالقرائن والشواهد الخافقة بالموضوع ولا ريب ، فان اسلام أغلب الناس اليوم بل وفي أكثر الأيام لا يمكن أن يكون حاجزاً عن غشيان المحارم وركوب الآثام والجرائم ، واذا كان الأمر كذلك فلا يكون ادعاء المرء الاسلام برهاناً على أنه لا يعمل إلا الصالح من الأعمال ، وأنه لا يعمل السوء والآثم ، هذا خلاف الواقع المشهود

ثم يقال لهذا الرجل : اذا كان صحيحاً واجباً حمل أقوال المسلمين وأفعالهم على العادة والصحة وعلى البراءة من الائم والخطأ فلماذا لا تحمل أقوال مخالفيك ومن تزعم الرد عليهم على ذلك ؟ ولماذا لا تتطلب الخارج الصحيحة البريئة لما يقولون ويفعلون فتبرئهم من التضييل والتخطئة واللائمة ؟ أتراه حقاً أن تؤول لعامة الناس ودمائهم وفسادهم وجهالهم ولا تؤول لجباينة الاسلام ونصراء الملة كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلامذته ؟ بل لماذا لا تؤول هذا التأويل لصحابة رسول الله ﷺ فلا تكفروهم أو تفسقوهم . أتري التأويل والتخريج يسع جهال الشيعة وفاسقيهم وفي كل قوم فاسقون ولا يسع أبا بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي المطهرات وصحابة رسول الله ﷺ . أترون هذا من الحق والصواب ؟ ويحكم ! أترون في هذا شيئاً من الهدى والرشاد ؟

يسير جداً على من وجد تأويلاً بريئاً لجاهل يقول يا فلان اشقني يا فلانة اهدني قلبي واغفر ذنبي أن يجد ذلك التأويل البريء لأنني بكر وعمر وأن يجد لمن قال وهو من الدعوة الى الله ومن نصراء دينه « لا يستغاث إلا بالله ، والأموات لا يدعون ولا يستغاثون ولا ينفعون أو يضررون » أو قال « ان الله تعالى يجب أن يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من الاستواء على العرش والعلو على المخلوقات »

أما أن توجد التأويلات الصحيحة للجملة الظالمين اذا استغاثوا بالأموات ودمعهم وانقطعوا اليهم ثم لا توجد لمصاصة الناس وجباينة الاسلام فهذا مالا يصطبر عليه مسلم وما لا يطبق احتمالاً منصف

ثم ألا يعلم هذا الرافضي أن القرآن الكريم يقول في الشهادة والشهود : « وأشهدوا ذوي عدل منكم » في مواضع من كتابه . ألا يعلم لماذا يشترط في الشهود أن يكونوا ذوي عدل ؟ ألا يعلم أنه لو كان الواجب أن تحمل أفعال من

ادعى الاسلام وأقواله على الصحة والصدق والطاعة لما احتاج القرآن الى هذا الشرط شرط العدالة ، هذا واضح بين ثم ألا يعلم ما يشترطه المحدثون لرجال الرواة من معرفة حال الراوى والعلم بهدالته . ومن قولهم انه لا يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسلام وظهوره بشعائره . فكيف اذا ما كان فاسقاً واضح الفسق . وألا يعلم أنه لو كان واجباً الحل على العدالة والصحة لما كانوا فى حاجة الى اشتراط معرفة عدالة الراوى ، بل كان يكفى فى عدالته ادعاؤه الاسلام ، ومعرفة بأن الكذب حرام ؟! . هذا عن المقام الاول

(المقام الثانى)

يقال فيه نحن - وان سلمنا أن أفعال المدعين الاسلام وأقوالهم يجب أن تحمل على الوجه الصحيح البريء اذا كانت محتملة وجوهاً صحيحة وفاسدة - لا نسلم بأن الاستغانة بالأموات وطلب الرزق والعافية منهم والنصرة على الأعداء من هذا النوع المحتمل الوجوه الذى يجب أن يذهب فيه الى الوجه الصحيح البريء . بل نقول ان الاستغانة بالأموات ، كقولهم يا فلان أغثنى ويا رسول الله ارزقنى واهد قلبى واغفر ذنبى وأشبه ذلك من الأقوال الصريحة الصحيحة فى البطالان وفساد العقيدة ، ولا تحمل وجوهاً ولا وجهين يمكن أن تحمل على وجه صحيح برىء لا يمس العقيدة والايان . بل هي لا تحمل غير وجه فاسد صريح فى فساده وهو الاعتقاد أن الأموات قادرون على اعطائهم ما يسألونه استقلالاً ، إما بتفويض الله التصريف إليهم وأما بغير ذلك . ولولا هذه العقيدة ورسوخها فى نفوسهم لما فزعوا الى الأموات ولما جاءهم طامعين آملين ، ولوجدوا مندوحة عنهم ومن هذه الكلمات المملوءة بالعلم والاطمئنان إليهم والى قدرتهم على التصريف والامداد والاعطاء والمنع والضر والنفع . ولا يمكن أن يفهم أبداً لهذه الاستغاثات والضراعات موجب

ولا معنى اذا ما كان الداعون يعلمون أن من يدعوهم عاجزون عن فقههم ومن إعطائهم ومنهم . . ولا يستطيع إنسان عاقل أن يدعى أن انساناً يطلب شيئاً وحاجة ممن لا يقدر على شيء ومن هو عاجز عن فقه نفسه عنده

أترون هؤلاء الداعين المستغيثين بالأموات غير ما الكين لآلسنتهم ؟ أترونهم غير مختارين ولا كاملي التصرف ؟ وإلا فلماذا يقولون لمن يعلمون انه عاجز عن فقههم وعن نفع نفسه أغثنا ، أرزقنا ، اهد قلوبنا . ألا يقدرون أن يقولوا غير ذلك اذا ما كانوا يريدون غير ما يفهم من هذه الكلمات وغير ما وضعت له في الخطاب العام ؟ أية حكمة هؤلاء الجهال في عدولهم عن استعمال الكلمات فيما وضعت لتدل عليه واستعمالهم من الكلام ما يدل على معنى لمعنى آخر بعيد عنه جداً ؟ أيجد المرء لهذا شيئاً من الحكمة والفائدة ؟ ولا ريب أن هذه الأقوال والدعاوى أقوال قوم طيبة باطنية . وسوف يعلم القارىء أن هذا الشيعى من الشيعة الباطنية الغالية ، وليس من الشيعة المعتدلين الذين يرفعون للدين حرمة ولله وقاراً . وسيمر بالقارىء أنه على مذهب الناطميين الذين استولوا على مصر وأفسدوها أعواماً طويلة

فهذه الأقوال والاستغاثات صريحة في الضلالة لا ينزع في ذلك الا من ينزع في أن قول القائل « سبحانى عز شانى » وقول الآخر ان « لا إله الا الله ، ما فى الجبة الا الله » وقول الآخر « أنا ربكم الأعلى » وقوله « ما علمت لكم من إله غيرى » أقوال مؤولة مفسرة تفسيراً صحيحاً ، وانها ليست صريحة في الكفر والالحاد ، ولا ينزع فى ذلك الا من نازع فى قول بعض الملاحدة المدعين الاسلام « ان الأنبياء لم يأتوا الا بالشرك والالحاد » وقولهم « ان كلمة لا إله الا الله ناسدة ، وان القرآن كله تشبيه وضلال ، وان الدين الاسلامي دين للعامة دون الخاصة » وقول أحد هؤلاء الملحدتين :

عقد الأنام على الاله عقيدة وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ونفاثر ذلك من أقوال الملحدين . فالذى يحسن الظن بهذا يحسن الظن بذلك
والذى يقول إن هذا كفر ولا ريب لأنه إنباء عظيم عن فساد العقيدة يقول إن
ذلك أيضا كفر لأنه إنباء عظيم أيضا عن فساد الدين . والتفريق بين الأمرين
اضطراب والتأويل لهذا كله من أكبر أنواع الضلال والورق من الدين والعقل
وبما يرد على هذا الشيعى دعاواه فى التأويل لهؤلاء الداعين للاموات أن على بن
أب طالب رضى الله عنه حرق أوائك القوم بأذى بدور الشيعة لما أن قالوا له :
أنت ربنا وخالقنا ورازقنا . وهم كانوا من المتظاهرين بالتشيع المغالين فيه .
فأصرم على نيرانا عظيمة ورمم فيها مستحلا دماءهم . وقد عدم بهذه الأقوال
كفاراً لاحظ لهم فى الاسلام وقضى عليهم بالموت تحريقاً . فلماذا لم يؤول لهم على
إذا ما كان هنالك شيء اسمه التأويل ولماذا لم يعد أقوالهم هذه مجازات يراد بها
غير ظاهرها وما يدر منها فلم يبيع دماءهم إذا ما كان للتأويل أصل ؟ بل لماذا لم
يشك فى مرادهم فیسألهم عما يريدون . ولعلمهم يريدون غير ظاهر قولهم . ولعلمهم
يعرفون المجازات وضروبها ؟ الا يقال إن بين أقوالهم هذه ودعواهم فيه وبين
أقوال هؤلاء الدعاة للاموات فرقاً . فلا يمكن التسوية بين هذا وهذا . فالتا نقول
ليس للقام هنا مقام التسوية بين ما قاله الذين حرقهم على وبين ما يقوله هؤلاء
المتنعون الى الاموات وإنما الكلام فى المجاز واللاجوء الى التأويل . فان جاز
التأويل فى أحد هذين الأمرين جاز فى الامر الآخر وإن امتنع فى أحدهما امتنع
فى الآخر ولا فرق . والمخالف يوافق أن ظاهر أمر دعاة الاموات كفر ، ولكنه
أول ذاك وحمله على المجاز . ولولا التأويل والمجاز لحكم عليهم بالكفر والردة .
وكذلك يقال فى مقالة من حرقهم على هي كفر ظاهر ولكن التأويل واللاجوء إليه
يمنع التكفير ويدل على أن الظاهر غير مراد
ثم أى فرق بين قول القائل أنت ربنا وخالقنا ورازقنا لمخلوق وبين قول

الآخر أنت شافينا وغافر ذنوبنا وهادى قلوبنا ومغيثنا مما نزل بنا من الكرب والخطوب لميت تحت الثرى . أظن أنه لافرق بين الأمرين . فان هذا كله فعل الله لا يقدر عليه سواه . وقد أضيف إلى غيره سبحانه

وكذلك أيضا الامام على لم يؤول للخوارج لما رموه بالكفر والخروج من الدين لما أن قبل التحكيم ورضى بما قاله الحكمان . فلما أن قالوا له إنك قد كفرت فاعترف على نفسك بالردة بعد الايمان ثم ارجع الى الاسلام من جديد وإلا فلسنا منك ولست منا ونحن منك براء عد قولهم هذا صريحا في ضلالهم لا قبل التأويل ولا الحل على المجازات . فرد عليهم رضى الله عنه رد العارف بغرضهم وما يريدون وقد كان هينا عليه أن يحمل كلامهم على المجازات وأن يحمله من التأويل مثل ما يدعيه هذا الرافضى . ولكنه لم يصنع شيئا من ذلك

هذا ولعلم أنه إذا ما استطيع تأويل هذا استطيع تأويل كل شيء . وهذا عين الحبال وغاية الفساد . هذا عن المقام الثانى

(وأما المقام الثالث)

فالجواب أن يقال نحن وإن سلمنا أن أقوال المسلمين وأفعالهم يذهب بها الى الصحيح البريء . وسلمنا أن الاستغانة بالأموات من هذا النوع الذي يصح أن يؤول وأن يحمل على الصحيح إلا أنا نقول واثقين مطمئنين إن الاستغانة بالأموات وسؤالهم مالا يقدر عليه إلا الله كطلب الشفاء والمداية وغفران الذنب حرام بلا ريب وخروج على الدين وعلى التوحيد وإساءة أدب مع الله مهما أراد به قائله ومهما كان سليم النية والقصد . بل وإن كان لا يريد بقوله شيئا من الاشياء أو أراد المجاز والتأويل أو عقد فى ضميره معنى من المعانى التى لا تخالف الدين ولا تحمل سوء أدب لله . فهذه الاستغاثات بالأموات وسؤالهم المطالب العالية التى لا يستطيعها

مخلوق لا حي ولا ميت لا اشتراك ولا استقلال بل هي من عمل الله وحده وفعله وحده هي قلة أدب مع الله تمس إيمان قائلها وتصدم عقائدهم وتفسدها على كل وجه من الوجوه المفترضة في قصد المستغيث السائل . ولا يتازع مسلم في أن هنالك كلمات تقضى بكفر قائلها وخروجه من الاسلام وتقضى برده وإن كان قائلها لا يريد ما يبدو منها ، بل وإن صرح بأنه لا يعنى ما دلت عليه ألفاظه وكلماته وصرح أنه يشتغل المجازات والكنايات فيما يقول وإن ادعى ما ادعى من ذلك ، فإن من قدح في الاسلام أو في الله أو في الأنبياء حكم بكفره وردته بظاهر ما قال وإن زعم أنه يريد غير ما يفهم الناس من قوله بل وإن زعم أنه يحكي وينقل أو ذكر احتمالا من الاحتمالات ، فلا يمكن أن يقبل شيء من ذلك

وكذلك لو قال قائل أن القرآن ليس فيه ما يعرف العقيدة الصحيحة والدين الحق أو قال أنه جاء بالباطل أو أنه يخالف العلوم والواقع أو قال أنه متناقض متدافع أو زعم أنه جاء بالشر والفساد أو قال أن الرسول جاهل مثلاً ونظائر ذلك فمن قال شيئاً من ذلك كفر وحكم عليه السامع بالردة وحكم عليه المسلمون بذلك ولم يقساءوا عن ضميره وعما دقده في نفسه وعما ينويه ، بل ولم يشكوا أو يتوقفوا أو يختلفوا ، وبهذا ينتظم الأمر ويقع الزيف ويؤاد الاتحاد في صدور الملحدين وبضيق على الشر فلا يجد مناديج وفسحاً فلا ينمو أو يشب أو ينتشر . وبغير ذلك يختل النظام ويقلق جبل الأمن ويجد الضلال الخارج والمواج والمصادر والموارد ويبدى كل صفحته ويرفع كل عقيرته فيتنفس الملحد الحاد والضال ضلالته ويقول كل ما يشاء من الكلام الفاسد ومن سوء الأدب مع الله ومع الدين والمؤمنين والنبين ويذهب بكل شيء من ذلك إلى المجاز والتأويل ويفزع صاحبه إن أؤخذ إلى ذلك فلا استطاع أخذه أو مؤاخذه بقول من الأقوال وكلمة من الكلمات فتفسق النفوس وتشيع الفوضى الاعتقادية ولا محالة . وهذا ما حصل لبعض الناس الذاهين

هذا المذهب الفاسد حتى ان من قال « ما في الحجة الا الله » ومن قال « سبحانى عز شانى » وجد من يؤول له كلامه ويحملة الحمل الحسن ومن يحسن الظن به ، وكذلك قال قوم ان كلمة لا اله الا الله فاسدة ، وان الانبياء لم يأتوا الا بالشرك والشر وأن القرآن كله تشبيه وتمجيس ، وأن الاولياء أفضل من ارسل وقال أحدهم : أنا أفضل من جميع الانبياء والمرسلين ، وقال بعض المنتسبين الاسلام أكثر من هذا وأشنع ، فوجد من أحسن الظن بهذه الأقوال ومن أولها وفسرها بتفسير جميلة أو مقاربة ، ومن صدق الدفاع والزيادة عن أصحاب هذه المقالات حتى رموا من عارضوا قائلها بفساد العقيدة والكفر ، وهذا معلوم مدون في كتب مطبوعة يحسن بها الظن اليوم وقد يحسن بها الى ما بعد اليوم الى ما شاء الله . وهذا البلاء دخل من هذا الباب باب التأويل المبني على حسن الظن عن ادعى الاسلام أو ولد بين آباء مسلمين ومدعين للإسلام

ولا نعرف لماذا لا يسمع هؤلاء من الكلام المعروف البرىء ما وسع المسلمين الاولين وما وسع خيار المؤمنين اذا كان هؤلاء صادقين في الاسلام والايمان ؟ ولماذا لم يسمعهم ما وسع رسول الله وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً والأكرمين من الانصار والمهاجرين ؟ وما الذى اضطرهم الى تعشق هذه الألفاظ الموحشة والكلمات العظيمة الشنعاء اذا كانوا لا يريدون ظاهرها ، وان كانت لا تنبئ عن نبأ محبوب في صدورهم ؟ أم يرون في هذه الألفاظ الخيفة زيادة قرب الى الله أو فضل فلسفة أو عمق بحث ؟ كلا ان ذلك لا يكون ، وانهم لا يدعون هذا ، بل لماذا لا يسمعهم ما وسع عقلاء البشر من مسلمين وغير مسلمين من وضع الكلمات فيما وضعت لتلئل عليه ؟ إنه لا جواب عن هذه السؤالات الا أن يكون الجواب ان في نفوس قائلها أمراً نكراً عظيماً ، وإن من وراء هذه الألفاظ عقيدة قذف بها الزيف ، وهزها هرات متوالية تساقطت بها هذه الألفاظ المنكرة ، وأمطرت هذه الكلمات المحيطة

وإذا كان من الكلام ما هو كفر بظاهره كما رأيت فلا ريب لدينا أن من هذا النوع الاستغاثة بالأموات وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله وأن من هذا النوع أن يقول القائل الرسول خالقنا ورازقنا ومغيثنا ومحيينا ومميتنا وباعثنا . ومثله ولا خلاف أن يقول القائل انه عليه السلام يشفي مرضانا ويهدي قلوبنا ويفر ذنوبنا ويرد غائبينا ويوسع رزقنا . فتأمل هذا كافر ولا ريب ، وقد أجازته صاحب هذا الكتاب فخالف إجماع المسلمين بل وإجماع العقلاء من غير المسلمين ، وهذا لا فرق بينه وبين قول القائل ان الرسول أو غيره خالقنا ومحيينا ومميتنا ومحاسبنا ومعاقبنا أو مثبنا ، بل هذا كله يبيحه هذا الشيعي ويزعم أنه لا خطأ فيه ولا غلط ولا شيء من المؤاخذه بل هو مجاز معروف مشهور وارد في كلام العرب بكثرة لا تنكر

وقد قدمنا في الأمر الخامس أن هذه المطالب من الأموات متضمنة بلاريب الاعتراف بأنهم يعلمون الغيوب وأنه لا يخفى عليهم خافية قريبة أو بعيدة ، ولهذا يدعونهم من كل مكان وفي كل مكان ، وهذا الراقضي يقول أنهم يريدون بهذه الأدعية والضراعات أن يكونوا لهم شفعاء ووسطاء . فإذا سلمنا هذا كان يرهانا صارخاً بأنهم يعتقدونهم يسمعون دعاءهم من كل مكان بعيد أم قريب ولا يخفى عليهم شيء من هذا ، وهذا كفر مستقل ، لأن الله وحده هو الذي يسمع من كل مكان وفي كل مكان لا يشغله صوت عن صوت ولا هتاف عن هتاف ، فمن اعترف بهذه الصفة لمخلوق فقد باء والله بها والعياذ بالله ، وهذا لا ينازع فيه على ما أعلم هذا المصنف المتغالي في تعصبه ، وأيضا هذه الأدعية مشتملة على التعظيم الجرم والتسكين الوافر لهؤلاء الأموات وهذا نوع من أنواع فساد العقيدة سوف يجيء القول فيه وأما ما ذكره من المجاز كقولهم بنى الأمير المدينة فقد أسلفنا القول فيه مشبعا في الأمر الخامس وسوف يأتي زيادة بيان لهذا

الامر الرابع عشر

قال الرافضى « العبادة فى اللغة الذل والخضوع ومنه بعير معبد أى مذلل ، وطريق معبد أى مسالك مذلل ، وفتلت فى الشرع الى معنى جديد أو أريد بها معنى خاص من المعانى اللغوية

« فالعبادة بمعناها اللغوى الذى هو مطلق الذل والخضوع والالتقياد ليست شركاً ولا كفراً قطعاً وإلا لزم كفر الناس جميعاً من لدن آدم الى يومنا هذا لأن العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها أحد ، فيلزم كفر الملوك والزوجة والولد والخدام والأجير والرعية والجنود بل كفر الأنبياء

« ثم أنه ورد فى الشرع إطلاق العبادة والعباد على مطلق المطيع والطاعة فورد أن العاصى عبد الشيطان وعبد الهوى وقال الله تعالى « أفمن اتخذ إلهه هواه (١) » « اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع ما ورد أنهم ما صاموا لهم ولا صلوا وإنما حرموا عليهم حلالاً وأحلوا لهم حراماً فاتبعوهم ، وإن الانسان عبد الشهوات ، وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله وإن كل من ينطق عن غير الله فقد عبد غير الله . ومن هذا القبيل قول رابعة العدوية :

لك ألف معبود مطاع أمره دون الاله وتدعى التوحيداً
« ولا ريب أن هذه الأمور التى سميت عبادة لا توجب الكفر والارتداد ، وإلا لم يسلم منه أحد والضرورة قاضية بخلافه
« ثم أن من جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، وسجد يعقوب وزوجته وبنوه ليعوسف كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم . فدل على أن
(١) وصحة الآية « أفرايت من اتخذ إلهه هواه »

السجود ليس في نفسه قبيحاً وممنوعاً منه موجباً للشرك والكفر وان محي عبادة ،
والإلم يأمر به الله وأنه ليس مثل اتخاذ الشريك للبارى في جميع صفاته ، فان هذا
لا يعمل أن يأمر الله به أو يجيزه ولا يمكن الا أن يكون شركاً وكفراً . وعلم من
ذلك أيضاً أنه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحاً في نفسه ،
وشركاً وكفراً

« ثم انه ورد اطلاق العبادة على دعاء الله تعالى في القرآن بقوله تعالى « ادعوني
استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي » والاخبار بقوله عليه السلام « الدعاء
منع العبادة » ولكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه القوي قطعاً وهو النداء ، وإلا
لكان كل من نادى أحداً وسأله شيئاً عابداً له ، بل المراد به نداء الله وسؤاله
والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والآخرة به على أنه
الفاعل المختار والمالك الحقيق لأموال الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشاء . فن
دعاً مخلوقاً على هذا النحو كان عابداً له . أما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت
أن الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداً له ولا فاعلاً ما لا يحل

« فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً للشرك والكفر اذا وقع
لغير الله بل ولا محرماً ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر
المنهى عنه في القرآن والسجود لغير الله متفق على تحريمه ، وأن معاقب الخضوع
والانقياد لغير الله لا يوجب ذلك ولو فرض أنه محي عبادة وأن العبادة التي يترتب
عليها ذلك ليست العبادة اللغوية بل عبادة خاصة لا يمكن معرفتها الا ببيان الشارع ،
وبدون بيانه تكون مجملة ، وأنه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا التحريم
على ما يسمى عبادة الا اذا علم أنها من تلك العبادة الخاصة ومع الشك أو الظن
لا يجوز ترتيب ذلك الحكم . فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم أنه
من المنهى عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم كالتكفير والانحناء عند المعجم ورفع

اليده عند الجنود وكشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهى عنه ليس مطلق ما يسمى عبادة وخضوعا

ثم ان الذى علم تورب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات أو الاعتقادات أمور (الأول) اعتقاد المساواة لله في جميع الصفات أو أنه هو الله كما يقول عبدة المسيح وأمه فيما حكاه عنهم القرآن ، وكما يقوله السبئية في أمير المؤمنين على بن أبي طالب وكما يقوله الدروز في الحاكم أحد الخلفاء العلويين المصريين وغيرهم من الألوهية لشخص من الأشخاص ولو بطريق الحلول (الثانى) افكار الشرائع وتكذيب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيد الله ولم يعبد وثنا بل بقى على شريعة منسوخة (الثالث) ما ذكر مع عبادة الأوثان بما لم يأذن به الله بل نهى عنه من سجود ونحر وذبح لها وذكر اسمها عليه وطلبها بدمه وتعظيم باعتقاد استحسان ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد أن له تدبيراً واختياراً كما كان يفعل عبدة الأصنام سواء كان مع الاعتراف بوجوده وعدمه ، انتهى كلام العالمى

قلت : وهذا الكلام يتم على حيرة متمكنة وقلق مستول على عقيدة صاحبه حتى ليكاد القارئ يمس الحيرة والقلق والاضطراب مساً ، وقد جمع أنواعاً من الخطأ في المفردات والعقليات والمرويات والاعتقادات ، وبيان هذا بأمور :

(أولاً)

يقول ان العبادة معناها في اللغة الذل والخضوع والانتقاد . وعليه فكل من ذلّ لشيء أو خضع له أو انقاد فهو عابده لشيء . وهذا باطل بالاجماع لا يختلف في بطلانه رجلاً بمرغان مواقع كلام العرب . فانه لم يقل واحد من علماء الاسان ان كل خضوع عبادة ولا ان كل ذل عبادة ولا ان كل انقياد عبادة . ولا يوجد في كلام العرب كلمة واحدة تشهد لهذا القول لا من قريب ولا من بعيد . بل ان

الضرورة قاضية بطلان هذا القول وفساده ، والناس مجمعون على خلافه لا يظن
إنسان يتكلم اللغة العربية أن كل خضوع عبادة وكل ذل وإقياد عبادة . ولا
يمكن أن يقول انسان لمن رآه يخضع لأمر والده أو أمر رئيسه خضوعاً مشروعاً
لا إصراف فيه انه عبد أباه أو عبد رئيسه ولا أن يقول لمن ذل لمن هو أقوى منه
ولمن هو قادر عليه أو إققاد له إقياداً لا غلوف فيه بل إقياداً عادياً وخضوعاً عادياً
وذلة عادية : انه عبده أو انه عابده ولا يخطر هذا على بال انسان ، والناس كلهم
يعلمون أن تسمية مثل هذا عبادة غلط ولا ريب ، وهم لا يمكن أن يعدوا
أنفسهم عابدين لسلطة الحكومة وقانونها اذا خضعوا لذلك وإققادوا طوعاً أو
كرهاً ، ولا يرتابون في أن تسمية هذا الإقياد والخضوع عبادة غلط مبين ،
ولو كان هذا القول صحيحاً لكان المسلمون والمؤمنون حتى خيارهم وفضلاؤهم بل
ورسلهم وأنبيائهم يعبد بعضهم بعضاً عبادة لغوية حقيقية لأن من الإيمان أن
يذل بعضهم لبعض ذل تواضع وتواضع وتعاطف لا ذل هون وهوان . قال الله
تعالى في وصفهم « أدلة على المؤمنين » وقال تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين » وقال في بر الأبوين « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » ،
ولأن من الإيمان أن يطيع بعضهم بعضاً في المعروف وأن يتقادوا لأوامر
أولى الأمر منهم في خير معصية ولا إثم ، ولكن من الانتم والسخر أن
تال ان المسلمين باتباعهم هذه الأخلاق السوأية السامية عابد بعضهم بعضاً عبادة
، وية ، أو أن يقال انهم بهمة الآداب الالهية الفضلى العليا يؤمرون بأن يعبد فريق
فريقاً وأن تعبد طائفة منهم طائفة أخرى ، بل يؤمرون بأن يكون كل فريق
عابداً معبوداً

ومن أكبر الإثم والجرم أن يقال : ان أبا بكر كان يعبد رسول الله وأن
الصحابه كانوا يعبدونه ﷺ ، لأنهم كانوا مأمورين بطاعته والإقياد له والخضوع

لما يأمرهم به وقد كانوا كذلك ، أو يقال ان الصحابة كانوا يعبدون خلفاءهم وكانوا يؤمرون بعبادتهم ، والضرورة قاضية بأن من المدح والثناء أن يقال ان الصحابة والمؤمنين كانوا متطاولين ، وكانوا أذلة على المؤمنين ، وكانوا متفادين لأوامر زعمائهم الراشدين الأمرين بالمعروف ، ولكن من الهجاء المر والدم القبيح أن يقال انهم كانوا متعابدين ، وأنه كان كل منهم عابداً معبوداً ، بل هذا من الكذب والضلال المبين ، ولو كان الأمران سواء لافرق بينهما ، وكانت العبادة هي الطاعة والذلة والالقياد مطلقاً بلا قيد ولا شرط لكان الأمران مديحاً أو هجاءً و لكانا جائزين معاً أو ممنوعين معاً ، فإذا ما كان أحدهما مديحاً وثناءً وكان الآخر ذمّاً وهجاءً علم يقيناً بأنهما ليسا سواء وأنه ليس معناه واحد؟ وهذا واضح بين فالعبادة لغة ليست هي مطلق الذل والالقياد والخضوع بالاجماع والضرورة .

بل العبادة أمر أسمى من ذلك وأخص وأشرف

قال الزنجشیری فی تفسیره الکشاف : « العبادة غاية الخضوع والتذلل » . وكذلك قال غيره . وقالت العرب سبيل معبد . وبغير معبد . ويعنون بالسبيل المعبد : الطريق الذي وطئته الاقدام وطأ شديداً كثيراً حتى صار طريقاً لاجبا بينا . ويعنون بالبعير المعبد المذلل المتخضع شديداً بكثرة الحل عليه واقتياده إلى الخسف والهون والمتاعب حتى سلس قياده وذهب شماسه . ولا يقولون السبيل المعبد إلا إذا كان مطروقا موطوءا بشدة وكثرة حتى أصبح بينا واضحا . ولا يقولون أيضا بعير معبد إلا إذا كان مذلا مسلسا مقوداً كثيراً حتى صار طوع يد الصغير والكبير وطوع يد الصبي والمرأة . وأما ما ليس كذلك من السبل والبران فلا يقال له معبد ولا يحمل عليه هذا اللفظ

ويقال شعب معبد إذا ما أذل وأخضع كثيراً . ويقال عبد هذا الطائفة الناس أو استعبدتهم إذا أرهقهم ذلة وهونا وهوانا وأشبعهم خسفاً وعسفاً . حتى

انقادوا له اتقياد العبدان الممالك . قال الله تعالى حكاية عن نبي الله موسى مخاطبا عدوه فرعون « وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل » أى أن أنضعت بنى اسرائيل وجوعتهم من الذل أمره وأنكره حتى ذلت نفوسهم وتضاءلت وتخلت من العزة والحية حتى رحت تذبج أبناءهم صبرا وقهراً بلا ذنب ولا جريمة ، وتستحي نساءهم أى تستقيهن للخدمة والاذلال والأمر الآخريات الكبريات ، ويقال عاشق عبده الحب واستعبده إذا ما غلبه الحب على أمره وقاده هواه وهوى من أحب اتقياداً لا عقل له ولا اختيار فوهبه حبه وقلبه وجسده . وقد قال الله فى مثل هذا « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله » ويقال هذا عبد الدنيا وعبد الشهوات والمآرب الوضيعة ، لمن تهالك على خدمة الدنيا وانصرف اليها بقلبه وقالبه وروهبها نفسه وقلبه ووقته وذله وخضوعه وصارت شغله الشاغل ومأربه الأول والآخر . وفى الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ أنه قال « تمس عبد الدينار . تمس عبد الدرهم . تمس عبد الخميصة . تمس عبد الخيلة . تمس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » ، إن أصطى رضى وإن لم يعط سخط » وهذا وصف الغلاة فى خدمة الدنيا وما فيها من آكال وملابس ، من لا يبالون شيكاً إذا نالوا ذلك وظنوا به . ويقال لمن غلا فى شيخه فى حبه وتمظيمه ، وخوفه ورجائه فأحله أعمق جوانب نفسه حتى انقاد لارادته ودفع اليه زمام اختياره زمام نفسه وذاته وكان كما يعبر أهل الطريق مثل الميت فى يد غاسله يقالبه كما يشاء يقال لمن غلا هذا الغلو فى شيخه انه عبده . وفى القرآن الكريم « اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم » وهذا كما جاء فى تفسير هذه الآية من الرسول الكريم ﷺ أنه قال « انهم أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » وقال « تلك عبادتهم للأبحار والرهبان » هذا معنى الحديث . وهؤلاء من خلهم فى الأبحار والرهبان يزرون أن ما أحلوه فهو محلل عند الله ما

حرموه فهو محرم عنده لصلتهم بالله الوثيقة الخاصة ، وقربهم منه وإطلاعهم على ما يريد ، وصلتهم بأسراره وأسرار تشريع . وعلى هذا الاعتبار ذلوا لم يبلغ اللذ وأخلصه ، فاقادوا لما يهون ويريدون بلا عقل ولا اختيار ، حتى بلغ بهم الغلو أن راحوا يشترون لهم المنازل في الجنة من أحبارهم ورهبانهم ، وبأخضون بها الصكوك والوثائق المحتومة بخواتيم الكنائس والقسيسين ، كما راح المذنبون الجنة منهم ينثرون أسرارهم بين أيديهم ويفشرون ما أبحر حوه من الآثام والزلات الخفية المطوية حتى العذراء راحت تعترف لهم بما جنته على عفافها وعرضها وتشر سرها بين أيديهم ، ويرون أنهم بذلك لا يؤاخذون ولا يعاقبون على ما قدمت أيديهم من ذنوب بعد هذا الاعتراف للقسيسين والرهبان

وقد صار الى هذا الغلو الفظيع كثيرون من جهال المسلمين ومن جهال الشيعة خاصة ، فغلو في مشايخهم غلواً قبيحاً مزدري تخافوهم خوفاً نفسياً ضيقاً عظيماً عيقاً وراقبهم في الحضور وفي الغيب وعظموهم في صدورهم وفي أعمالهم تعظيماً جعلهم يمتثلون أنهم يدخلون بينهم وبين أنفسهم ، ويفضون الى ذات صدورهم وينفذون بينهم وبين سرائر أنفسهم ، فراحوا يزعمون وبأش ما يزعمون أنهم يعطون ما يجول في زوايا أنفسهم وأنهم يسمعون ديبب الخطرات النفسية ويرونها تنقلب على صفحات القلوب والصدور بعيون نورانية إلهية ، ليست ككده العيون المحدودة الجسدية الانسانية ، وأنهم يلمسون الأفكار والحلجات المترددة في صدور مريدتهم ومعتقدتهم بأيدي لا تحس ولا تمس ولا تدفع . وعلى هذا الغلو راحوا يدعون أن مشايخهم أعلم بهم منهم بأنفسهم . ولا تسأل عما لازم هذه العقيدة وما أثمرته من الذلة والخضوع والانقياد والطاعة العمياء لهؤلاء المشايخ أعاذنا الله من ذلك

ومن استسلم للذة نفسه وشهوتها وأخدمها عقله وقلبه وأعضاءه وسعى لها وحدها وحاسب نفسه لها وحدها ، من فعل ذلك فقد عبد لذته وشهوته ، وتعبير أصبح فقد

عبد حوائثته . وفي الناس عباد شهوات ولذات كما أن فيهم عباد أوثان وأصنام ، وكلا الفريقين عابد غير ربه ، وكلا الفريقين مؤاخذ ملوم ، وقد قال الله تعالى في عباد شهواتهم ولذاتهم « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه . أفأنت تكون عليه وكيلا ، وقد جاء عن السلف أنهم قالوا « الهوى معبود » واستدلوا بهذه الآية الكريمة : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ومن هذه المثل يرى القارىء أن العبادة في لغة العرب ليست هي مطلق الذل والخضوع والالتقياد والطاعة بلا قيد ولا شرط كما يدعى هذا الرافضى ، بل يرى القارىء من هذه المثل أن العبادة أمر أبلغ من ذلك وأخص ، ويرى أنها هي الذل البليغ المستولى على الظاهر والباطن ، مع الخضوع البليغ المستولى على الظاهر والباطن ، مع الحب القوى المستولى على الظاهر والباطن مع الرغبة والرغبة المستوليتين على الأعمال وعلى القلب والنفس ، فمن ذل لشيء هذا الذل ، وخضع له هذا الخضوع ، وأحبه هذا الحب ورغب فيه هذه الرغبة ورهبه هذه الرهبة فقد عبد ذلك الشيء سواء أ كان هو الله أم كان غير الله ، وسواء أ كان في ذلك مفرداً أم مشركاً ، وسواء أسمى ذلك عبادة أم سماه غير ذلك ، وسواء أ كان ذلك الشيء انساناً أم حيواناً أم جماداً حياً أم ميتاً

أما من أحب شيئاً كحب الزوج زوجته وحب الرجل أولاده ولم يخضع له فليس عابداً له لا لغة ولا شرعاً . وكذلك من خضع لشيء كخضوع المرء لمن هو أقوى منه كالخضوع للأسد وخضوع الشعب لسلطان الحكومة ولم يذل له ذلك الذل ولم يحبه ذلك الحب ولم يرهبه ويرغب فيه تلك الرهبة والرغبة فليس عابداً له وليس ذلك الشيء معبوداً . وكذلك من ذل لشيء ذلاً مفرداً مجرداً لم يكن عابداً له لا لغة ولا شرعاً . وهذا واضح

أما من جمع هذه الأمور كلها لشيء : للمخلوق أم للخالق فقد عبده ولا محالة لغة وشرعاً . فمن أحب زوجته ذلك الحب وخضع لها ذلك الخضوع وذل لها ذلك

الذل ورهبها ذلك الرهب ورغب فيها ذلك الرغب فقد عبدها لغة وشرعاً ، وبلغة أخرى فقد عبدها هواه وشهوته . ومثل هذا المرء لن يكون عبداً لله مادام عبداً لمرأته وشهوته

ومن أحب شيخه هذا الحب وذل له هذا الذل وخضع له هذا الخضوع ورهبه ورغب فيه تلك الرهبة والرغبة فقد عبده لغة وشرعاً . أما من أحبه فقط حب احترام وإجلال فليس عبداً له ، أو خضع له ولأمره لأجل مصلحة عاجلة أو آجلة فليس عبداً له أيضاً ، وكذا لو رغب فيه أو رهبه لمسأرب خاصة

وهؤلاء المتعلقون بالأموات في الشدائد لا ريب أنهم يحبونهم الحب الجرم ، ويخضعون لهم الخضوع الوافر ، ويدلون لهم الذلة البالغة ، ويرغبون فيهم الرغبة الغزيرة ، ويرهبونهم الرهبة الكبرى . ولولا هذه الأمور وتغلغلها في قلوبهم لما تجاوزوا إليهم كل صعب وذلول ، واقتحموا إلى الوقوف بين أيديهم كل شقة ومشقة وعقبة كشود ، لم ينهزموا عن المثول بين أيديهم وفي حضراتهم منهية ولم يعقبهم عن ذلك عائق لا فقر ولا حاجة ولا مرض ولا شغل شاغل . وهؤلاء الذين يدعون الأموات حاضرين بين أيديهم وغائبين وينادونهم من كل مكان شاحط بعيد عند ما يحزبهم الحوازب وتمضهم المصائب لا شك أنهم خاضعون لهم أذلة محبون راغبون راهبون . ولا شك أنهم يحملون لهم من هذا المعنى في قلوبهم وفي أعمالهم وأقوالهم النصيب الأوفر الأكثر . ولا شك أيضاً أن مخافتهم وحجبهم والرغبة فيهم والرهبة من غضبهم ومنهم والخضوع والذلة لهم قد اخترقت أجسام هؤلاء الدعاة وتخللت عظامهم وجرت في مساربها حتى اقتحمت القلوب والعقول والنفس فتألفت فيها ذرات وقطرات فتكاثر حتى صارت هي وحدها عناصر القلوب والعقول والنفس وجواهرها وإن رؤيت بالابصار دماً ولحماً وأعصاباً ثم ذهبت تقسم على الأعضاء من لسان وعيون وجوارح من ذات نفسها فصارت

فى اللسان دعاء وضراعة واستغاثة ، وفى العينين نظرات ساهمة متلهفة شاردة ، وفى القدمين خطوات عجل خاطفة ، وفى اليدين لمساً ومسحاً لتلك الاعتاب والأبواب والعمد والشبابيك ، وفى الشفاه لثماً وتقييلاً . وهذا كله لو حلل وتحلل فماد إلى مادته الأولى لصار ذلة وخضوعاً وحجاً ورجبة وروحية ، ولصارت تلك فى أوفر حالاتها . وهذا ظاهر لا ريب فيه

ومن المحال أن يدعو انسان إنساناً وهو غير خاضع له أو غير محب أو غير ذليل أو غير راغب فيه وراهب منه . فالذى يستغيث الأموات ويستجديهم ضروب الحاجات لا محالة من أن يرضب فيهم وأن يرهب منهم وأن يذل ويخضع لهم وأن يقف بين الخوف والرجاء وقفة يقف معها القلب والعقل والنفس وتتابع بينهما ضريات القلب ولمفات النفس . وهذا مما لا ريب فيه

فالعبادة ليست هي مطلق الذل والخضوع والالتقياد كما يزعم هذا الشيعى بل العبادة لغة هي ما ذكرناه . وإنما تتحدى هذا الشيعى ونطلب إليه أن يذكر دليلاً واحداً من كلام العرب نثرها أو شعرها ، أو من كتاب الله أو من حديث رسوله على أن مطلق الذل ومطلق الخضوع يسمى عبادة ، وأن كل خاضع وذليل ومطيع ومنقاد يسمى فى كلام العرب أو فى نصوص الدين عابداً . وأما ما ذكر فسوف نذكر ما فيه

(ثانياً)

وأما زعمه أن العبادة قد تقلت من معناها اللغوي إلى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من معانيها اللغوية فزعم غير صحيح ، وهو مبنى على زعمه أن العبادة فى اللغة معناها مطلق الذل والخضوع والالتقياد ، وقد رأيت وصحمت أن العبادة ليست هي هذا لغة وأنه لم يقل أحد من العرب أن كل ذل وخضوع وائقياد عبادة ولم

يشهد لذلك شاهد . بل الشواهد التي قدمناها كلها تبين كذب هذا الزعم
وإذ قد رأيت أن العبادة معناها غاية الخضوع والتذلل المتضمن للرغبة والرهبة
والحب والالتقياد والطاعة ، فلا يمكن الادعاء أن العبادة التي معناها هذا قد نقلت
الى معنى آخر أو أريد بها معنى خاص من هذه المعاني . فان مسلماً لا يمكن أن
يدعى أن هذه الأمور مجتمعة يصح أن تكون لغير الله لا لرسول ولا ملك ولا من
دونهما . بل هذه كلها يجب أن تكون لله وحده لا شريك له وهي من صفه الخاص
به ، ومن الدلائل على كذب هذا الزعم أنه لم يدع أحد من العلماء لا من السلف
ولا من الخلف أن العبادة في اللغة ليست عبادة في الشرع . ولم يدع أحد منهم أنه
تعمل عبادة غير الله ، وأنه لم يقل أحد من الناس للرسول الكريم لما طالب الناس
بعبادة الله وحده إننا لانعرف معنى العبادة التي تطالبنا بها فما هي ؟ ممها لنا لثرى
أنكون معك أم نكون ضدك ؟ ولنخص الله بها وحده ألا يلزم أن يسأل الصحابة
عن العبادة المطلوبة منهم اذا كانت ليست هي التي يعرفون . ثم ألا يعرفها لهم
الرسول أو القرآن وإن لم يسألوا عنها كما عرفوا الصلوات والصيام والحج وسائر
العبادات ؟ ثم ألا يكون سكوت القرآن والسنة عن تعريف الناس ذلك مع
مطالبتهم بعبادة الله وحده ثم سكوت الناس عن بيان ذلك بزهاً لا يدفع على أن
العبادة هي ما يعرفه الناس في خطابهم ؟ أنا أحسب أن الجواب نعم
ومن الدلائل على ذلك أن القرآن والسنة والناس جميعاً يسمون ما يصنعه
الناس قبل الاسلام للآوثان والأصنام عبادة . والذي كانوا يصنعونه هو الخضوع
لها والالتقياد والذلة والرغبة والرهبة وما يتفرع عن ذلك من الدعاء والنحر والنفير
لها والتسبح بها وأشياء ذلك فسماهم القرآن والحديث والمسلمون جميعاً عباد الأصنام
والآوثان وعباد غير الله . فهذا برهان لا ينازع على أن ذلك عبادة في الشرع وفي
القرآن والسنة وفي كلام الناس جميعاً

ومن الدلائل على خطأ مزعم هذا الشيى أنه لو لم تكن العبادة فى الشرع هى هذا أى ما كانت لغة لكأنت غير معلومة ولا مفهومه ولكن الأمر بها فى القرآن والسنة والحديث عبثاً لا قائمة فيه مطلقاً . لأنه أمر بما لا يعلم ولا يعرف بل هو تكليف مالا يستطيع . وهذا باطل على مذهب الشيعة الداهيين مذهب المترقة . وذلك أن هذا الرجل زعم هنا وفى مواضع من كتابه أن القل والخوف والرغبة والرهبه والخضوع والاستغانة والادعاء والنذر والحج وتكريب القرابين بل والسجود والركوع والصلاة والصيام ، زعم أن هذه الأمور كلها ليست عبادة شرعاً . وإذا كان ذلك كذلك فما هى العبادة فى الشرع إذن ؟ أنها حينئذ لا تعلم ولا تعرف وإن الأمر بها حينئذ أمر بما لا يستطيع علمه ومعرفته . وهذا فى غاية الركافة والقلق الفكرى . وعلى هذا أيضاً فإن المسلمين لا يعرفون ماهى العبادة شرعاً الى اليوم ، ولا يعرفون ما أمرم الله به من ذلك فى آيات كثيرة جداً وأخبار لا يحصرها حاصر فى السنة . وهذا محال على ما فيه من القبح فى جميع المسلمين السلف والخلف . وما جر الى هذا فهو باطل بلا نزاع

(ثالثاً)

وقوله حينئذ « فالعبادة بمعناها اللغوي الذى هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركاً ولا كفراً » الى آخر قوله قول غير صحيح . لأنه قائم على غلطه الفاحش الأنف وهو زعمه أن كل ذل وخضوع وانقياد عبادة فى اللغة ، وهذا غلط فى اللغة كما قدمنا . ولو كان هذا القول صحيحاً لكان الناس جميعاً عابدين معبودين ولكان الصحابة عابدين رسول الله ولكان هو أيضاً عابداً الصحابة لغة ولكان من قال بلسان العرب إن رسول الله كان يعبد الناس وكان الناس يعبدونه صادقاً لم يكذب . وكفى بهذا دليلاً على بطلان هذا الزعم وما شيد عليه

(رابعا)

وقوله « انه ورد في الشرع اطلاق العباد والعبادة على مطلق الطيع والطاعة »
 قول أيضا في غاية الغرابة والذكارة . وما قال انسان قبل هذا الرجل إن مطلق
 الطاعة يسمى عبادة لا لغة ولا شرعا وان مطلق الطيع يسمى عابداً لا لغة ولا
 شرعا . وما دل على هذا القول دليل . ولو كان هذا القول حقا لكان قول الله
 (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) بمنزلة أن يقال اعبدوا الله
 واعبدوا الرسول واعبدوا أولى الأمر منكم . ولكان قول الله (من يطع الرسول
 فقد أطاع الله) مثل أن يقال من يعبد الرسول فقد عبد الله . ولكان معناها هو
 هذا . وهذا عند المسلمين وعند غير المسلمين سخف وخروج من الدين

وأما قوله « فورد أن العامي عبد الشيطان وعبد الهوى » فهذا غلط في الشرع
 لم يقله رسول الله ﷺ ولا أحد من أممائه ولا أحد من العلماء المتهتدين بل هو من
 صنم الشيعة وعملها

وأما قوله تعالى « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » فليس المراد بهذا مطلق من
 أطاع هواه من المسلمين فإلم ببعض الآثام وليس بعض الذنوب اختطافا ولما . وإنما
 المراد بهذا أولئك الذين أعرضوا عن الله وعن دينه وعن رسوله وعما جاءهم به من
 الهدى والدين والخير . لم يرفعوا بشيء من ذلك رأسا ولم يحملوا أنفسهم على أن
 يشكروا في شيء منه أو يعنوا بشيء منه ، فظفروا على كفرهم وغيهم وضلالهم وعنادهم
 عاكفين لا يرمعون ، فأضفوا أعمارهم سادرين في الشهوات متعزمين بالذات متمطين
 أهواءهم تحب بهم إلى كل قاحشة فحشاء وتخدى بهم إلى كل ضلالة عياء ، لم يستغيثوا
 بهزاهن الواقع الصداح الفشوم المبحوم ، ولم يصيخوا لهتافات السماء ونداء الحق
 الصادع حتى عشيهم الحق اليقين واحتبس أنفاسهم الحام فسيقوا إلى غضب الله وإلى
 ناره ، وذلك مصير المعرضين عما خلقوا له ، العائشين كما تعيش الأنعام والأغنام

للأكل ولشهوات الحيوانية ، فهذا الذى اتخذ إلهه هواه فسعى لرضاه وحده
ولعبادته وحده ، فلم يعبأ بالله ولا بأمر الله ، فلم يعبأ الله به ولم يعبأ بأمره
أما ذلك المسلم الذى يلم الأحيان ببعض الذنوب طاعة لداعى الانسانية الضعيفة
وشطرها الحيوانى ، فلا ينسب أن يفتق وأن يعلم أن قدمه على حافة هوة عميقة
لا قرار لها فيبادر الى النجاة بنفسه والهروب الى ربه فيجد في تطهير نفسه وقلبه مما
لوثها من أدران الخطيئة وأضرار المعصية فيزداد الى ربه رجوعا وقربا ، وعن هواه
وداعية نفسه فراراً وبمداً . فليس هذا ممن اتخذ إلهه هواه ولكنه من الذين قيل
فيهم " أن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " ، فهذا
الذى عناء الله بهذه الآية ليس هو مطلق من أطاع هواه فدحضت في المعصية
قدماء ، ولكنه هو ممن ذكرنا من المعرضين عن الله وعن الدار الآخرة وعن
الرسول وعن هداه ولم يرد إلا الحياة الدنيا . وذلك مبلغه من العلم
وأما قوله تعالى « اتخذوا أجارهم وورهبانهم أربابا من دون الله » فهؤلاء هم
الآلى غلوا في أجارهم وورهبانهم فأنزلوهم منازل من التقديس والتبجيل لم ينزلهم
إياها الله ولم تنزلهم إياها أقدارهم وأعمالهم ، فأعطوهم من أنفسهم وقلوبهم ومن
دينهم ما لم يكن خليقاً إلا بالله وحده الذى خلق ورزق وهدى وأغنى وأقى فراحوا
يعظمونهم أفضل التعظيم ويدلون لهم وينقادون . فغلوا في حبهم وفي الذلة والالتقياد
لهم وفي الرغبة فيهم والرغبة منهم ، حتى أحلواهم رتبة التحليل والتحرير والتشريع
ورتبة غفران الذنوب وتقسيم الجنات على الأصفياء ومن ينقدون لهم الثمن غالياً
فراحوا يشترون لهم منازل في الجنات من الأجار والرهبان برفيع الأثمان ويتسلمون
الصكوك الموقعة بأيدي هؤلاء الأجار والرهبان كما أسلفنا ، فوهبهم بذلك أنضل
معاني العبودية من التقديس والتعظيم ، ومن إعطائهم وظيفة التحليل والتحرير
والتشريع ، فأحلوا لهم الحرام فأحلوه ، وحرموا عليهم الحلال فحرموه . وهذا معنى

قوله ﷺ « أليسوا قد أحلوا لهم الحرام فأحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه » فكانوا بذلك مشركين بهم ، غير موحدين الله ، ولم يكن قول الله هذا فيهم لأنهم أطاعوه مطلق الطاعة كما يدعى هذا الرجل . وآخر الآية برهان صارخ بتخطئة هذا القول

وقوله « وإن الإنسان عبد الشهوات » إن كان يريد أن الرسول ﷺ قال هذا كما يدل عليه قوله « فورد في الشرع » فهو غلط واضح وعزو الى الرسول ﷺ لا يصح . وإن كان يريد أن بعض الناس يقول هذا أو قاله فما الفائدة في وضعه هنا ، وكيف يكون من الشرع أم كيف يزعم أن هذا وارد في الشرع ??? وليس الكذب على الرسول هينا ولا سهل التبعة ، بل الكذب عليه كذب على الله والكذب على الله هو الملكة عينها « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا »

وقوله « وإن من أصغى الى ناطق فقد عبده » الى آخره الرواية من أضعف الغلط وأبعده عن الصواب ، ومن أعظم الاتم والجناية على الاسلام وعلى رسول الله ﷺ نسبة مثل هذا القول الى الشرع . فبلا يتق الله صانع هذا ، وهلا يعلم أن مثل هذا من أشد المقادح في الاسلام ونبي الاسلام ؟ وهذا القول لو عزي الى قائل ما أو الى زعيم ما لكان عيباً فيه وسبة فاضحة ، فكيف نسبته الى الرسول ﷺ المبلغ عن الله رسالته وما يتعلق عن الهوى ، ولن يقول مثل هذا الكلام إلا غبي سخيف أحمق وإلا فان عاقلاً أو نصف عاقل - ان كان للعاقل نصف - لا يمكن أن يقول إن من أصغى الى ناطق فقد عبده ، ثم يزعم أن هذه العبادة للناطق المصغى اليه هي في الواقع للمنطوق عنه ، فان كان ناطقاً عن الله فالمعبود هو الله ، وإن كان ناطقاً عن شاعر أو كاهن أو كذاب فالمعبود هو ذلك الشاعر ، أفبرى هذا الشيعي أن الرسول ﷺ اذا ما أصغى الى شاعر أو كافر يقول قولاً ما عابد لذلك الشاعر والكافر ، وهل يرى أن الكفار إذا ما أصغوا للرسول ﷺ وهو ينطق عن الله

(٢٣٤)

عابثون للرسول والله مما ؟ أي خطأ هذا وأي بعد ونأى من سبيل الرشاد
وأما قول رابعة العلوية :

لك ألف معبود مطاع امره (البيت)

إن صح عنها فهو من المبالغات الشعرية التي لا يوجد مثلها في الشرع لا في
القرآن ولا في السنة على أنها تريد بهذا أولئك المرعفين عن الله وعن عبادته وعن
القيام بواجباته اشتغالا بالذات والشهوات ، ذهاباً وراء المطامع الدنياء أولئك الذين
رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ولم يريدوا سواها ، أو فكروا في أن يسعوا لدار
الجزاء الأكبر أو يقدموا من صالح الأعمال المبرورة ما به يخلصون الى مائدة الله
التي أعدها في دار كرامته لمن عملوا الصالحات وخلصوا من الأدناس والأرجاس
وهؤلاء كأكثر من تروام اليوم من المدعين الاسلام والايان والتوحيد وهم
في الحقيقة الواضحة من أزهد الناس في التوحيد والايان ومن أزهد الناس في الجنات
وفي الجزاء إن كانوا يفكرون في ذلك أو يمررونه على أذهانهم . وهؤلاء من المحال أن
يكونوا موحدين أو مؤمنين أو مسلمين . فما يقال فيهم من عبادة خير الله والاشراك
به هو صحيح لا ريب فيه ، بل لو قيل إنهم موحدون . أعنى أنهم موحدون الدنيا
وما فيها من شهوات ولذات تشاركهم فيها الحيوانات الناهقة والراضية والتأخية كلها
لكان ذلك القول صحيحاً لا مبالغة فيه ولا كذب . ويعرف هذا من علم واحتدنى
ولم تكن هذه الأقوال للموحدين القائلين بفرائض الاسلام وشرائط الايمان
لذلات ولجت فيها أقدامهم بلا ريب

وقوله : لا ريب أن هذه الأمور التي سميت عبادة لا بموجب الكفر
يقال في جوابه : لا ريب أن الذين قال الله فيهم لا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو
سبحانه عما يشركون » والذي قال الله فيه « أنظرأيت ثم اتخذ إليه هواء وأخذله

(٢٣٥)

الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره ضلالة فمن يهديه من بعد الله أفلا يتذكرون » يقال لا ريب أن هؤلاء الذين عنان الله في هذه الآيات ليسوا مسلمين ولا مؤمنين ، وما قال أحد قبل هذا الشيىء فيما نعرف أنهم غير كفارين والآيات واضحة جداً . ولا ريب أيضاً أن أقواماً كثيرين باتباعهم أهواءهم وغلوهم في أشياءهم كفروا وقد كفر قدامى الشيعة إذ غلوا في على رضى الله عنه وادعوا حلول الله فيه ، فخرقهم

(خامساً)

قوله : « ومن جملة العبادة السجود وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وبنوه ليوسف فدل على أن السجود ليس في نفسه قبيحاً ولا ممنوعاً موجباً للشرك والكفر وإن سمي عبادة والا لم يأمر الله به » الى آخره . يقال فيه اما أن يريد أن السجود قد أمر الله به لبعض الخلق وهو الى الآن جائز مأمور به لأنه نوع من التعظيم وتعظيم العظيم مطلوب دائماً . واما أن يريد أن ذلك قد وقع في ظروف خاصة وأزمان خاصة لأناس خاصة . ولكنه اليوم غير جائز ولا مباح لغير الله ، بل هو من أكبر المحرمات شرعاً ؟

ان كان يريد الأمر الأول ويريد أن السجود اليوم مشروع مأمور به لمن عظمه الله كالأنبياء والأولياء كان هذا مروفاً من الاسلام بلا مرية لدى المسلمين عامة فان المسلمين لا يختلفون في أن السجود لغير الله كفر وخروج من الاسلام . فان السجود أفضل هيئات الصلاة وأفضل أركانها . وقد جاء في الحديث الصحيح « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ومن صلى لغير الله لولى من الأولياء أو نبى من الأنبياء تعظيماً وإكباراً فقد كفر باجماع العقلاء واجماع المسلمين . بل علم هذا محسوب من الضروريات الدينية التي لا يتنازع فيها . ولا خلاف بين

المسلمين أن من أباح الصلاة لغير الله فقد ارتد ووجب عليه حد الردة ان كان في بلد يقيم حدود الله . ومثل الصلاة السجود ولا خلاف . بل السجود هو أفضل هيئات الصلاة وأركانها . وهو أكثرها اقراراً بالخضوع والعبادة والذي يجوز السجود لغير الله أو يقول انه ليس شركا ولا كفراً يقول بجواز الصلاة لغير الله أو يقول إنها لغير الله لا توجب الكفر والردة . ومن أجاز الصلاة لغير الله أجاز الصيام والزكاة والحج والذبح والنذر والضراعة والرغبة والرهبة وكل ما يبعد الله به ويتقرب اليه بعمله من الأعمال الظاهرة والباطنة ، ومن أجاز ذلك مكله لمخلوق فقد اتعس ولا ريب في حماة الكفر والشرك والحماة ، فان العقلاء لا يرتابون في أن من تقرب بهذه الأعمال الى مخلوق عاجز مربوب فهو مارق من العقل ومن الدين

وأما ان أراد الثاني أي إن أراد أن السجود أبيض لأفراد تخصيصا في وقت مضى لا يجوز تعديده ولا القياس عليه ، بل يوقف لدى القدر المعلوم بلا زيادة ولا قياس ، إن أراد هذا لم يكن له في إيراد هذه الأمور هنا فائدة ولا حجة يناط بها فائتا لا نخالف أن القرآن قد أخبر أن الملائكة سجدوا لآدم وأن يعقوب وبنيه وزوجه سجدوا ليوسف ولا نخالف أن الله يفعل ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ، فله أن يخص ما يشاء بما يشاء من التعظيم والالجلال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون عما يفعلون وهو رب العباد ، والعباد مربوبون له يتصرف فيهم كما يشاء ويأمرهم بما يشاء وينهاهم عما يشاء ، لا اعتراض ولا ممانعة ، ومن عارض أو مانع كان من أتباع الشيطان الذي اعترض على أمره بالسجود لآدم ومانع فكان من الكافرين المقضي عليهم بالشقاوة الأبدية ، والعبادة حقه على عباده فلو أمرهم بعبادة من يشاء لكان عدلا منه ولزمهم أن يطيعوه وأن يعبدوا ما أمرهم بعبادته مقلعين مسلمين لا معترضين ولا آيين . ولكنه تعالى أمرنا ألا نعبد إلا إياه لا شريك له

مخلصين له الدين في كتابه وعلى لسان رسوله فقال تعالى « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وقال « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » وقال « وما أمروا إلا ليعبدوا الله » وقال « فاعبد الله مخلصا له الدين » والاجماع قائم على أن عبادة المخلوق كفر بالله وشرك لا يختلف في ذلك المسلمون ، وقائم على أن كل ما يسمى عبادة هو من خصائص الله وحده لا ند له

فقول هذا الشيعي هنا : « فدل على أن السجود غير ممنوع ولا موجب للكفر وإن سمي عبادة » قول فاسد باتفاق المسلمين بل هو خروج من الدين ولا ريب فيه . فانه لاخلاف بين أهل الاسلام أن كل أنواع العبادة من حق الله وان صرف شيء من ذلك لعبد ردة على جميع الحالات ، ولهذا لا يقول أحد من المسلمين إن سجد للملائكة لآدم وسجد يعقوب وولده وزوجه ليوسف كان عبادة . بل لم لا يشكون في أن ذلك السجود لم يكن عبادة لآدم ويوسف وهم يرون أن ذلك أمر غير العبادة ، وذلك لعلمهم أن العبادة حق الله وحده ليس لمخلوق منها قليل ولا كثير . فقال قائلون : إن سجد للملائكة لآدم إنما كان استقبالا له لا سجودا حقيقة ، وقال قائلون إن المراد بالسجود هنا هو التذلل له أى الخضوع والقيام بمصالحه ومصالح ذريته ، وقال قائلون في سجد يعقوب وأولاده إن معناه التذلل وقال قائلون إن معنى ذلك القيام عليه بالخدمة والآداب ، وقال قائلون غير ذلك ولم يقل أحد منهم إن ذلك السجود كان عبادة بوجه من الوجوه لاجتماعهم على أن المخلوق لا يعبد البتة ، وعلى كل حال فالمسلمون متفقون على أن ذلك السجود لم يكن عبادة سواء أعرفوا معناه الحقيقي والمعنى به أم لم يعرفوه . إلا أنهم مجمعون على أنه ليس عبادة

وليس بعيداً أن يكون المراد بالسجود هنا الخضوع . فان السجود كما تقول

كتب اللغة من معانيه الذلة والافتقار ، وقد قيل ان قوله تعالى « ادخلوا الباب سجداً » معناه خاضعين متقادين لأن السجود الذى هو وضع الجبهة على الارض لا يستطاع حين الدخول ، وقال تعالى « النجم والشجر يسجدان » أي يتقادان لأمر الله الكونى . وقال تعالى « والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال » الى غير ذلك من آي الذكر الحكيم . ولا يراد بذلك السجود الحقيقى المعروف ، وانما يراد ولا محالة الافتقار لأمر الله الكونى القدرى كما هو ظاهر ، ولهذا القول شواهد أخرى من كلام العرب كثيرة ، وقد قال عمرو ابن كلثوم فى معلقته المشهورة :

إذا بلغ الطعام لنا صبي نخر له الجبابر ساجدين
وقال المتنبي :

أبدو فليسجد من بالسوء يذكركني فلا أعاتبه صفحا وإهوانا
وقال الآخر :

فلما أتانا بعيد العكرى سجدنا له ورفقنا العمارا
ولا أحسب هؤلاء الشعراء يريدون بالسجود هنا وضع الجبهة على الأرض ولا أحسبهم يريدون سوى الخضوع والطاعة
وفى كتاب غريب الحديث لابن الأثير :

« وفى الحديث إن كسرى كان يسجد للطالع » والطالع هو السهم الذى يجاوز الهدف . والمعنى أنه كان يسلم لراميه ويسلم . قال الأزهري معناه أنه كان يخفض رأسه . يقال أسجد طأطأ رأسه وانحنى قال الشاعر :

وقلن له أسجد لليلى فأسجدنا

يعنى البعير . أي طأطأ لها لتركبها . فاما سجد فبمعنى خضع « انتهى

فالسجود بمعنى الخضوع والافتقار له شواهد من كلام العرب لا نجد
كما رأيت

والذي يزعم أن السجود لأدم ويوسف كان هو السجود الاصطلاحي المعروف
عليه أن يقيم الدليل على أنه كان كذلك وبغير ذلك لا يستمع لقوله وإذا ما
قال إن السجود المعروف الشرعي هو المفهوم من الكلمة عند الإطلاق قيل له نعم
إن ذلك كذلك في الاصطلاح المتأخر وفي كلام الفقهاء والشرعيين ، أما في كلام
العرب القديم فلا نجد دليلاً على أن ذلك هو السابق إلى الفهم عند الإطلاق ، ولا
شك أن ذلك يحتاج إلى الحجة وإلا فردود على من زعمه

ونحن نجد بعيداً جداً أن يكون سجود يعقوب وبنيه ليوسف سجوداً
اصطلاحياً ، أي وضع الجبهة على الأرض ، ومن البعيد القريب من المحال أن يكون
معنى الآية هكذا : ورفع أبويه على العرش وسجدوا له فوق الأرض ، فإن ظاهر
الآية السابق إلى الفهم منها أن السجود كان بعد رفعهم على العرش ، وهل يمكن
لمن هو فوق العرش أن يسجد على الأرض ؟

لا يقول قائل إن « الواو » لا تقضى بالترتيب والتعقيب مباشرة ، لأننا
نقول نحن : نرجع القارئ إلى ذوقه وفهمه البريء من المؤثرات الخارجية ، ليعرف
محجة قولنا ، ومن البعيد القريب من المحال أيضاً أن يسجد نبي عظيم من أنبياء الله
المعظم لابنه عند لقائه ثم يرضى ابنه وهو نبي عظيم بسجود أبيه له ، والابن مأمور
أبداً باكرام والده واحترامه الاحترام المشروع كله ، والسجود إذا كان هو
السجود المعروف فلا ريب أنه سجود غير واجب على يعقوب وبنيه وزوجه ليوسف
وإنما هو سجود جائز ، ولا أحسب أن عالماً يستطيع أن يدعى أنه كان واجباً على
هؤلاء أن يسجدوا ليوسف سجوداً حقيقياً ، وإذا كان ذلك كذلك أي إذا كان
هذا السجود سجوداً حقيقياً فهل من اللائق أن يعتمد يعقوب وبنوه وزوجه القيام

بهذا الجائز ؟ أفلا يكون من اللائق حينئذ ترك هذا الجائز وإماله ؟ ومن الدلائل على بعد هذا أنه لم يعبد مثله ، أى أنه لم يعبد أن نبيا عظيما سجد لابنه ، بل لم يعبد أن نبيا سجد لانسان آخر سجوداً اصطلاحياً

ولو كان هذا السجود هو ما يعنون لكان خاتم الانبياء وسيد المرسلين خليفاً به ، ولكان أحق بأن يسجد الناس له وأن يسجد له الصحابة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك وهو ممنوع بالاتفاق وباعتراف هذا الرافضى . بل انه ﷺ أنكر السجود له وأنكر ما هو أقل من السجود ، والمسلمون متفقون على أن من سجد للرسول أو لغيره من الخلق فقد ارتد وأن مأواه النار وبئس القرار

وقد يقرب ما نقول ويقويه أن يوسف عليه السلام كان رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين ، فلما سجد أبوه وبنوه وأمه له قال هذا تأويل رؤياى فى سجد الكواكب والشمس والقمر ، وسجد الكواكب والشمس والقمر لا يمكن أن يكون سجوداً اصطلاحياً ولا ريب . فالسجود الذى هو تأويل سجد الكواكب والشمس والقمر من القريب المتبادر أن يكون كذلك أيضاً ، أى أن يكون سجوداً على غير الشكل المعروف الذى هو وضع الجبهة على الأرض ، وقد قدمنا أن سجد النجوم وما لا يعقل معناه الخضوع والانتقاد فكذلك سجد هذه الكواكب وسجد الشمس والقمر وكذلك سجد يعقوب وبنيه وزوجه الذى هو تأويل رؤيا يوسف

هذا . وما يقال فى سجد يعقوب يقال فى سجد الملائكة ، فما زعمه هذا الرجل من أن هذا السجود كان سجود عبادة زعم لم يقم عليه من الدليل غير أنه يسمى سجوداً . ولكننا ذكرنا أن السجود فى كلام العرب قد يكون غير عبادة وقد يكون غير وضع الجبهة على الأرض ثم يقال أيضاً ان فى هذا ردأً كافياً عليه لو تفطن ، ووجه هذا أنه مسلم بأن

السجود لغير الله اليوم كفر وخروج من الاسلام ، ولا أحسبه ينازع في هذا وإن نازع فهو لن ينازع في أنه ضلال وحرام لأنه قال « ان المسلمين مجمعون على أن السجود لا يجوز لغير الله » وغير الجائز دائر بين أن يكون محرماً وأن يكون كفراً وشركاً وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذن يجوز أن يكون الأمر الواحد في بعض الأزمان لبعض المخلوقين جائزاً ولا ريب ، بل ويكون عبادة لله وطاعة ثم يكون في أزمان أخرى لأشخاص آخرين حراماً معصية بل وشركاً بالله وكفراً . وإذا كان كذلك قيل له إذن لا مانع من أن يكون الخضوع والتذلل والدعاء والتدعاء لبعض الناس وبعض المخلوق حراماً معصية بل كفراً بالله وشركاً ، ثم يكون ذلك في وقت آخر لأشخاص آخرين ومخلوق آخر في حالات أخرى جائزاً لا بأس به بل طاعة مثاباً عليها . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذن لا مانع من أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم والخضوع لهم حراماً ممنوعاً وشركاً وإن كان ذلك جائزاً مشروعاً في حق الأحياء وفي حق من هم قادرين على ما سأله فإذا ما وصلنا الى هذه النتيجة - ولا بد أن نصل اليها - وسلمها ولا بد أن يسلمها ، قيل له هذا خلاف قولك لأنك تقول في كتابك هذا في مواضع كثيرة إذا كان هذا الأمر مثل الاستغاثة شركاً وحراماً إذا ما طلب من الأموات فلا بد أن يكون شركاً وحراماً إذا ما طلب من الأحياء ، وإذا كان جائزاً أن يطلب من الأحياء فلا بد أن يكون جائزاً من الأموات ولا يجوز غير ذلك . لأن الشيء الواحد إذا كان قبيحاً في وقت وجب أن يكون قبيحاً في كل وقت وإذا كان حسناً في وقت وجب أن يكون حسناً في كل وقت ، وإذا كان شركاً في حالة وجب أن يكون شركاً في كل حالة ، وإذا لم يكن شركاً في حالة وجب ألا يكون شركاً في حالة من الحالات . وهذه الحجة يكررها ويديها ويعيدها في كتابه . ولكن ما ذكرناه هنا ينسفها من أساسها نسفاً ويقوض دعائمها سواء أقال ان السجود اليوم لغير الله شرك أم قال انه حرام دون

الشرك ، فالحجة قائمة على الفرضين والتقديرين ، إلا أن يلجأ الى القول بجواز السجود لغير الله في هذا العصر ، ولكنه يقول إن المسلمين مجتمعون على أنه لا يجوز السجود لغير الله ، ويقول كما سلف إن اجماع المسلمين حجة شرعية يجب احترامها . فهو حينئذ قائل أحد أمرين : قائل ان السجود لغير الله حرام فقط ، أو قائل انه شرك وكفر . فان قال بالأول وما أظنه يجرؤ على القول به - لأنه باطل بالاجماع - قيل له أليس الحرام قبيحاً في أثناء كونه حراماً ؟ فلا بد أن يكون جوابه نعم ، فيقال له حينئذ قد يكون الشيء الواحد في وقت قبيحاً حراماً وفي وقت آخر حسناً حلالاً ، فلا مناص من الاعتراف بهذا ، وإن قال بالثاني أى إن قال بأن السجود لغير الله شرك وكفر فقد ألقى السلاح وسلم بكل فقه ، فهو محتجج على الفروض كلها وليعلم أن هذا خلاف أصول الشيعة الضار بين على أعقاب المعتزلة في التقييع والتحسين العقليين

وقوله « وعلم من هذا أن مطلق التعظيم والخضوع ليس قبيحاً ولا كفراً أو شركاً » قول في جوابه إنما لم نقل ان مطلق ذلك شرك وكفر ولا قبيح ولا حرام (سادسا)

قوله « وقد ورد إطلاق العبادة على دعاء الله بقوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » وقوله ﷺ « الدعاء مخ العبادة » قول في جوابه لا ريب أن العبادة إذا ما ورد ذكرها في القرآن أو في السنة مطلقة كقوله « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وقوله « واعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً » وقوله « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقوله « عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » وقوله « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ... الى ثمود أخام صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله » وقوله « والى

مدن أخام شبيهاً قال يا قوم اعبدوا الله ، وقوله « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » ونظائر ذلك من آى الكتاب العزيز . فلا ريب أن العبادة إذا أطلقت كما أطلقت في هذه الآيات تضمنت الدعاء وغيره من أنواع العبادة كالصلاة والصيام والحج والزكاة والصدقة وسائر الأعمال والأقوال التي يزدلف بها المسلم الى الله ويلتمس بها رضاه ، ولا يمكن أن تكون هذه الآيات تخص معنى دون معنى من هذه المعاني ، فلا يمكن ألا يكون من ضمن العبادة المطلقة في هذه الآيات الصلاة أو الصيام ، أو الاستغفار أو التضرع أو الخشية أو الدعاء ، كما لا يمكن ألا يكون من ضمنها النداء والمناجاة بل ذلك كله داخل في معنى العبادة المطلوبة للأمور بها ، ولا يختلف المسلمون في ذلك ، ولا يقول أحد منهم ان هذه العبادة المطلوبة في القرآن ليس منها الدعاء والمناجاة ، بل علم الناس بأن هذه الأمور منها علم ضرورى لا يقبل الخلاف والنزاع ، ولا يختلف أن من دعا الله وأسكن في دعائه ونداءه وأكثر من نداءه فقد أطاع هذه الأوامر بعبادة الله بالجملة ، وأن من لم يدع الله تعالى وإن قام بجميع الفرائض وآمن به الايمان الصحيح البرى فقد عصى هذه الأوامر بالجملة . وترك نوعاً من أنواع العبادة ، وهذا أمر لا يسدو اليه خلاف

فالعبادة في الشرع - أي في القرآن والسنة وأقوال العلماء - هي عند الإطلاق كل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال وما يقرب اليه تعالى كالمراقبة والخشية والخشوع والخضوع والخوف والرجاء ونظائر ذلك ، ولا يختلف الناس أن من دعا الله فقد قام بجزء من العبادة المأمور بها ، بل ولا يختلفون أن الدعاء من أفضل أجزاء العبادة كما جاء في الحديث الذي ذكره الشيعى وهو قوله ﷺ « الدعاء من العبادة » وفي رواية « الدعاء هو العبادة » وذلك لشرفه وممو منزلته حتى كأنه خلاصة العبادة وأطيها ولا يختلف الناس أيضاً أن الدعاء والنداء كانا من أجزاء عبادة المشركين للأصنام وأنه اذا ما قيل « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم » أو قيل « والذين

اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى » أو قيل غير ذلك من الآيات والأخبار المصروفة بأن المشركين كانوا يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله ، تناول دعوتهم الأصنام بلا خلاف ، وقد ينص القرآن والسنة نصاً جلياً على أن الدعاء عبادة ، وحينئذ ينحسم النزاع ، وذلك كقوله تعالى « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » فان هذه الآية نص جلي على أن الدعاء عبادة وعلى أنه من أفضل أجزائها وأشرافها وكذلك الحديث القائل (الدعاء مع العبادة) وللقائل في الرواية الأخرى (الدعاء هو العبادة)

وأما قول هذا الشيعى « انه لا يراد بالدعاء هنا النداء وأن المراد نداء الله وسؤاله والقيام بنهاية الخضوع والتذلل وإنزال الحاجات به على أنه للفاعل المختار والمالك الحقيقي لكل الأمور المتصرف فيها . فمن دعا مخلوقاً كذلك فقد عبده ، أما من دعاه ليشفع له فلا يكون عابداً له ولا فاعلاً لا يحل » فنقول في جوابه : لا شك في بطلان هذا وخروجه عن السبيل الصحيح ، فان هذا الذى زعمه ليس من معانى الدعاء يقيناً ، فان العبد يدعو الله بضراعة وخشية فازعاً اليه فيكون عابداً له ويكون دعاؤه إياه عبادة وهو غافل عن هذه المعانى التى ذكرها الشيعى ، نعم لا خلاف أن بعض هذه الأمور التى ذكرها عبادة ولكنها عبادة مستقلة غير الدعاء وبعض هذه الأمور التى ذكر ليست عبادة مطلقاً ، وذلك كالإيمان بأنه تعالى الفاعل المختار والمالك الحقيقي والمتصرف فى كل شيء ، فان هذه الأمور ليست عبادة وليست من أجزاء العبادة ، ومن آمن بها لا يقال له انه عبد الله أو عابده ، ونحن نعلم أن الشيطان مؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه ، ولا يجوز مسلم أن يدعى أن الشيطان يعبد الله بهذا الإيمان ويؤدي اليه عبادة ، وكذلك كثيرون من الكفار والضلال يعللون هذه الأمور لله ويؤمنون بها له تعالى ولكن لا يقال انهم يعبدون

الله إلا اذا عملوا له تعالى أعمالا صالحة

فهذه الأمور ليست عبادة ولا ريب ، ولكن لا بد من الايمان بها والاعتراف
 لله بحجراتها ومن لم يؤمن بها لم يكن مؤمنا وإن عبد الله أنواع العبادات ، فالعبادة
 بدون ذلك لا تقبل فهي شرط في قبول الأعمال وإن كان الايمان بها ملازماً
 للعمل ، ولا يمكن أن يعمل لله إلا من آمن له بذلك ، ولكن هذا كالأعتراف مثلاً
 بوجوده تعالى ، فليس بممكن أن يعمل أحد لله عملاً خالصاً لوجهه إلا اذا آمن
 بوجوده ، ولكن هل يقول أحد من الناس ان الايمان بوجوده عبادة له أو يقول
 انه من أجزاء العبادة ؟ كلا . فان هذا شيء وذلك شيء آخر ، فما أمران متباينان
 فقول الشيعي ان العبادة عبارة عن مجموع هذه الأشياء قول لا يوافقه عليه أحد من
 أهل العلم والرفق ، ولن يجد له شاهداً من كلام العرب أو من رواية أئمة اللغة
 وتقليدها . ثم يقال ان ما قاله هنا يدل على أن من دعا مخلوقاً مؤمناً بهذه الأمور كلها
 أى مؤمناً له بأنه الفاعل المختار والمالك الحقيقي لأموال الدنيا والآخرة والمتصرف
 فيها كما يشاء ثم قام له بغاية الخضوع والتذلل وأنزل حاجات الدنيا والآخرة به . فمن
 دعا مخلوقاً على هذا النحو كان عابداً له حسب قوله ، وأما من دعاه على نحو أقول
 من هذا النحو وأضال فليس عابداً له حسب ظاهر قواه ، فمن دعا مخلوقاً بغاية
 الذلة والخضوع والخشية والهيبه وسأله حاجات الدنيا والآخرة واعتقد بأنه قادر
 على إعطائه ومنعه وعلى ضره ونفعه واعتقد أنه فاعل مالك ومتصرف إلا أن ذلك
 الملك والتصرف والفعل أمور محدودة ليست مطلقة ، فليس بما يد له وليس مشركاً
 بالله بل لا يكون عابداً له حسب قول هذا المصنف حتى يجعله في المنزلة التي يعمل
 المسلمون الله بها من العظمة والقوة وسعة السلطان واتساع الملك وإطلاق القدرة ،
 أما من دعا مخلوقاً ، وقام له بغاية الذلة والخضوع والضرعة والطاعة والهيبه والخشية
 معتقداً بأنه فاعل وقادر ومالك ومتصرف إلا أن ذلك كله محذور بمحدود العبودية

وحدود الألوهية فليس بكافر ولا مشرك ، وهذا الزعم في غاية الغفظة والغرابة وفي غاية الخروج على الاسلام والاساءة الى الله والى الدين ، ولو كان هذا القول حقاً لما كان عباد الأصنام والأوثان ولا عباد الأشجار والأحجار مشركين ولا كافرين ، فان هؤلاء القوم ما كانوا يعتقدون أن آلهتهم هي الفاعلة المتصرفة المختارة بلا حد ، بل هؤلاء المشركون يعلمون بأن الله من وراء هذه الأصنام والأوثان ويعلمون بأنه المالك لما للتصرف فيها نفسها كما يشاء ، وأنها لا أمر لها ولا سلطان معه تعالى ، وأنه غالب عليها وعلى أمرها وأمر عبادتها ، فهم يعلمون ذلك كله ، وقد اتخذوها لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم عنده تعالى ، وما كانوا يسوونها بالله التسوية التامة أو يرونها الله عز سلطانه وشأنه ، وهذه أمور لا يختلف فيها العلماء من المفسرين والمؤرخين ونقل الأخبار وجهابذة الفقه والحديث ، ولا يختلف هؤلاء أن شرك المشركين لم يكن يجمع هذه الأمور كلها للأصنام والأوثان فما قاله هذا الشيعي إن يوافقه عليه أحد لا من المسلمين ولا من غير المسلمين المغلاء . . .

أما الكلام على الشفاعة وطلبها من الأموات فنرجى القول فيه الى المواضع الخاصة به

(سابعاً)

قوله « فظهر أنه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجباً للشرك والكنهر اذا وقع لتعير الله بل ولا محرماً ، الا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهي عنه في القرآن والسجود لتعير الله المتفق على تحريمه » الى قوله ما يسمى عبادة وخضوعاً - قول فاسد أيضاً باتفاق كلمة المسلمين وينص الكتاب والسنة . فان القرآن قد نص في غير ما آية على أن العبادة كلها حق الله وحده وقد نهى في غير

ما آية عن عبادة غيره تعالى فقال تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » وقال « أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » وقال : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » وقال « فاعبد الله مخلصاً له الدين » وقال « بل الله فاعبد » إلى غير ذلك من آيات الكتاب الحكيم . وهذه نصوص تحرم بصراحة عبادة غير الله على أية حال كانت العبادة ، وتنادى أن العبادة لله وحده لا شريك له وأنها حق الله المفرد . وقد اتفق على ذلك المسلمون قاطبة ، فانهم لا يختلفون في أن كل عبادة لغير الله شرك وخروج من دائرة الاسلام . لا يخصون بهذا القول نوعا دون نوع ولا عبادة دون عبادة . وما أجازوه لغير الله من التعظيم وما يدخل في هذا لا يسمونه عبادة ولا يجوزون أن يسمى عبادة بل لو علموا أنه عبادة لعلموا أنه لا يجوز إلا لله وحده ، وعلموا أن صرفه لغيره تعالى خروج من الاسلام وذلك لاتفاقهم ولعلمهم الضروري أن عابد الخلق مشرك بالله . ولعلمهم بأن الأنبياء جميعا جاءت بأفراد الله بالعبادة وتخصيصه بها لا يخرجون من ذلك قسما دون قسم ولا جزءا دون جزء . ولن نجد النقيب في كلام المسلمين أن عالما من علمائهم قال بجواز بعض أنواع العبادة للخلق كما يدعى هذا الخلق ، ولا قال أحد منهم إن العبادة أنواع بعض أنواعها لله وحده وبعضها مشاع بين الله وبين عباده وبعضها من حق عباده وحدهم كما يدعى هذا الخلق . ونحن نطالب هذا الشيعي أن يدلي بكلمة واحدة عن واحد من علماء المسلمين أنه قال بجواز صرف بعض أنواع العبادة أو صرف شيء مما يسمى عبادة لعبد من عباد الله . ولن يظفر بشيء من ذلك ولعل أعجب الأمور أن يدعى بأن العبادة ليست لله وحده ، وأن المخلوقين تجوز عبادتهم . وكم لطائفة الشيعة من أحداث ورزايا في الاسلام وعلى أهل الاسلام ، ودعواه هنا بأنه لا يحكم بأن شيئا مما يسمى عبادة شرك إذا جعل لغير

الله بل ولا حرام حتى يخصصه الشرع بالتحريم بقضى بأن تكون الصلاة للمخلوق جائزة . وكذا الصيام والحج والتذوق والركوع وغير ذلك . ويقضى بأن من صلى وركع وصام وحج ونذر وذبح وحلق رأسه ونسك لرسول أو ولي أو صنم أو وثن لا يكون مشركاً ولا فاعلاً حراماً . وذلك لأننا لا نعلم دليلاً خاصاً فيه مقنع لهذا الشيى يدل نصاً على تحريم هذه الأمور لغير الله فضلاً عن أن نجد دليلاً ينص على أن جعلها لمخلوق يكون شركاً وكفراً . فلا ريب أن من لم يقل بأن العبادة لله وحده لا شريك له يلزمه لزوماً لا انفكاك له منه أن يقول إن المصلى والصائم والحاج والناسك لغير الله غير مشرك وغير آثم ، وقول يلزمه أن يبيح الصلاة والصيام والحج والنسك لغير الله ، قول يرغب العاقل المسلم بنفسه عنه بل هو قول يستوجب لصاحبه الرثاء والعطف

وقوله « إلا أن ينص الشارع على تحريمه كالسجود للشمس والقمر المنهى عنه في القرآن » دليل على أن القرآن عنده لا يدل وحده على تحريم السجود لغير الشمس والقمر من الأوثان والأصنام ومن الأنبياء والأولياء . فلا يدل القرآن عند الشيى على أن السجود والركوع للأنبياء والأولياء والأحجار والأشجار والأصنام والأوثان شرك ولا حرام . ولزعمه أن القرآن لا يدل على تحريم هذا يلجأ في تحريمه إن كان صادقا يزعم تحريمه لغير الله إلى الاجماع لا إلى القرآن والسنة ، وإذا لم يكن القرآن دالا على تحريم السجود للأصنام والأوثان والأحجار والأشجار وجميع العباد فعلام إذن يدل ؟ أليكون القرآن دالا على كل شيء ولكل شيء حتى على الضلالات كلها وعلى الخرافات والأمور المكفرة كما زعم هذا المصنف في ما قدمنا ثم لا يكون دالا على تحريم السجود للأنبياء والأولياء والأصنام والأوثان ؟ الله أكبر على هؤلاء المعرضين عن الله وعن دينه ورسوله و عما جاءوا به من العلم والهدى

وليعلم هذا أن أناساً ممن ينسبون إلى الأمة يبيحون السجود لغير الله بل ويسجدون هم لأشياخهم ومن يعظمونهم ، وقد أثبت التاريخ الجدد أن خلفاء الفاطميين وكانوا من المظهرين التشيع يلزمون الناس السجود لهم ، وكانوا أحياناً يقضون بالموت الناجز على من لم يسجد لهم عند ظهورهم ، وهؤلاء الفاطميون عند هذا الشيعة من أفضل المسلمين ، فالمسلمون على زعمه لم يتفقوا على تحريم السجود لغير الله ، ونعني بالمسلمين النتمين إلى الإسلام ، فعلم يعتمد في تحريم السجود لغير الله وبأية حجة يقول ذلك وهو لا يرى في القرآن دليلاً واحداً على أن ذلك حرام ؟؟

على أن الشيعة في الواقع لا يعتقدون بالاجماع ولا يحتجون به ، وإنما الحجة عندهم في قول المعصوم المختفي : ونحن نعلم يقيناً أنه لا معصوم حسب ما تزعم الشيعة فلا حجة في الاجماع ، فلا دليل إذن على تحريم السجود لغير الله ، وهو حينما ذكر فيما مضى أن الاجماع حجة وأراد أن يذكر دليلاً لم يذكر له من الدلائل إلا حديثاً واحداً واحياً ضعيفاً فأنى يكون الاجماع حجة بمثل ذلك الحديث الضعيف ؟؟ وليعلم إن كان يعتمد على الاجماع حقاً أن طلب الأموات مالا يقدر عليه إلا الله كسؤالهم الشفاء وهداية القلوب وغفران الذنوب أمر مجمع على تحريمه وجمع على أن فاعله لا نصيب له في الإسلام . ودليل الاجماع على تحريم السجود لغير الله عنده هو دليل الاجماع على تحريم طلب الأموات هذه المطالب العالية عندهنا . فاما تحريمها مما وإما إحلالها مما . والتفريق بينهما تحايلاً وتحريماً باطلاً لا وجه له . فليعلم هذا

وقوله « إذا فرض ورود النهي عن عبادة غير الله فما علم أنه من المنهى عنه حرم وما لم يعلم لم يلحقه الحكم » قول غريب . فما معنى الاقتراض هنا ؟ أفلم يلقه قوله تعالى « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه » وقوله « أمر ألا تعبدوا إلا إياه »

وقوله « تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » إلى غير ذلك وأما التكفير ^(١) والانحناء للذات بصنعهما الاعجاب والتعظيم والا كبر فلا يحمل عملها لغير الله . فإن التكفير هيئة من هيئات الصلاة وجزء من أجزائها والصلاة كلها وأجزاؤها كلها لله وحده . ليس لغير الله منها قليل ولا كثير . والصلاة كلها عبادة لله والعبادة جميعها لله لا شريك له . ولو جاز التكفير وهو أحد أجزاء الصلاة لغير الله لجازت الصلاة كلها لغير الله ، ولو جاز هذا الجزء من الصلاة لمخلوق لجازت الأجزاء الأخرى كالسجود والركوع والقيام والقعود والجلوس كهيئة المشهد . وعامة أجزاء الصلاة ، ولو جازت أجزاء الصلاة كلها لغير الله لجازت الصلاة كلها بالصفة التي تكون لله . ومن صلى لغير الله كفر بإجماع المسلمين وإجماع العقلاء من غير المسلمين . ومثل هذا يقال في الانحناء فإنه عند الأعاجم ركوع ، والركوع من أجزاء الصلاة أيضا . وما قيل في التكفير يقال في الانحناء فهما سواء ، ومن الجهل النظيم يدين الله القول بمجاوز الركوع والتكفير لغير الله . ولقد كان عليه السلام يكره القيام له ويكره من أصحابه أن يقوموا عند مجيئه . فكانوا يعلمهم كراهته ذلك لا يقومون له . بل لقد أنكر على الذين صلوا خلفه قياما وقال « إن كدتم أن تفعلوا اليوم فعل قاريين ، والروم . فلا تفعلوا » وقد روى ذلك مسلم في صحيحه كما قدمنا . وقد نهى أن يوطأ عقب الرجل أي أن يسير الناس خلفه تعظيما وإكبارا . رواه عنه عليه السلام ابن ماجه ، فإذا كان ينهى عليه السلام عن ذلك ويكرهه أفما يكون من الجهل الشنيع القول بمجاوز الركوع والتكفير للمخلوق والاسلام جاء بل الأديان كلها بإخلاص الدين وإسلام الوجوه والقلوب لله رب العالمين والنأي الشديد البعيد عن غير الله وعن كل مافيه رائحة العبادة أو صورتها أو محاسنها . وكفى قوله تعالى « وقوموا لله قانتين » وقوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي

(١) التكفير . هو الوقوف مع وضع الكف الأيمن على الأيسر هيئة المصل

وعما أتى الله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » ونظائر ذلك من الحث على أن يكون العبد خالصا لله قلبه وقالبه ، وروحه ووجهه وظاهره وباطنه وكل شئ فيه ومنه ، وكفى في هذه الآيات الصريحة البينة من الخوض على أن يكون المرء عبد الله وحده ، وأن يوحده وحده كما خلقه هو وحده ، وألا يكون لغيره تعالى حظ فيه ولا في عبادته ولا في أعماله وأقواله ، كما لم يكن لغير الله تعالى حظ في خلقه وإيجاده وهبته كل ما يتمتع به من معنويات وماديات وأن يكون اختياره كله لله تعالى كما كان اضطراره كله لله

وأما رفع اليد وكشف الرأس عند الإفراج فهذان العملان ليسا من الأعمال الخاصة بالعبادة فلا يحرم من هذه الناحية ، وإن حرما فن ناحية التشبه بالأعداء فإن التشبه بالأعداء منهي عنه شرعا ، وذلك لأن فيه انسلخا من القومية وركونا ولو صوريا إلى الأعداء الذين لا يريدون بنا إلا الهلاك وما هو شر من الهلاك ، وفي الركون إليهم ولو صوريا اعلاء لشأنهم واعزاز معنوي يتلوه اعزاز حسي لهم واعزازهم هم يلزمه ولا ريب الاضعاف لنا والتهوين لشأننا معنويا وماديا ، والامة لن يقوم لها شأن ما دامت تدين من شأنها وتحتقر نفسها ولو في الأمور العادية الصورية ، وإن أمة تزهد في مقوماتها وشخصيتها وترغب في محاكاة غيرها ومحاكاة أعدائها وفي مقوماتهم وعاداتهم لا ينتظر لها إلا الانحدار والهوى الأبدى في أعماق الضعة والدرجات السفلى ، فمن يعتبر من الناس المفتونين الخسودعين بأعدائهم وبقتليدهم

(ثامننا)

قوله « ان الذي علم من الكفريات ثلاثة أمور الأول اعتقاد الساراة لله في

جميع الصفات واعتقاد شيء من الأشياء هو الله أو اعتقاد حلول ذات الله في ذات مخلوق ، ثانيها إنكار الشرائع وإكذاب الرسل ، ثالثها عبادة الاوثان من السجود والنحر والذبح لها وذكر أسمائها على الذبائح وطلبها بدمائها وتعظيمها باعتقاد استحقاقها ذلك استقلالاً واعتقاد أن لها تدبيراً واختياراً ، قول باطل لا يوافق عليه أحد من أهل الملل ، فإن المكفريات سوى ما ذكر كثيرة جداً ولا ينازع فيما قوله أحد من أهل البصر بالاديان والمقولات

أما المكفر الأول عنده وهو الاعتقاد أن شيئاً مساوٍ لله في جميع الصفات أو الاعتقاد أنه هو الله أو أن الله حال فيه ، فما يقول في من اعتقد بأن مخلوقاً مساوٍ لله في بعض الصفات لا في جميعها ، كأن يعتقد بأن مخلوقاً مساوٍ لله في صفة العلم فقط ، أو صفة القدرة فقط ، أو صفة الإرادة فقط ، أو في القدم أو في البقاء ، أو في الكمال والبرادة من النقص ، أو في صفة السمع والاحاطة ، أو في صفة من صفاته تعالى ؟ أفلا يكون ذلك المعتقد كافراً خارجاً من الملة باعتقاد جميع أهل الملة بل باعتقاد أهل الملل جميعاً ؟ ولكن كلام هذا الشيعي نص صريح في أن المعتقد لا يكفر حتى يعتقد أن مخلوقاً مساوٍ لله في جميع الصفات لا في بعضها ، ولا ريب أن هذا باطل

وأما المكفر الثاني عنده ، وهو إنكار الشرائع وإكذاب الرسل ، فما يقول في من أنكر بعض الشرائع وأكذب بعض الرسل لا كل الشرائع ولا كل الرسل ؟ أفلا يكون ذلك لديه من الكافرين المالكين ؟ وما يقول في من أنكر بعض شريعة من الشرائع ، مثل أن ينكر أمراً واحداً من أمور الشريعة الإسلامية الثابتة في القرآن صراحة كالصلاة والحج والزكاة ونحو ذلك ؟ أفلا يكون ذلك لديه من المالكين البعدين وإن آمن بعد ذلك بسائر الشرائع وبالشريعة الإسلامية كلها ما خلا تلك المسألة المفروضة بل وإن أدى جميع الفروض على أتم الوجوه وأصحها ؟

ان قوله هنا نص جلى فى أن ذلك لا يكفر ما لم ينكر جميع الشرائع ويكذب جميع الرسل ، وهذا باطل بالضرورة

وأما الكفر الثالث عنده وهو السجود والنحر والذبح والتعظيم للأوثان باعتقاد استحقاقها ذلك لرفعتها الذاتية وباعتقاد أن لها اختياراً وتديراً ، فإقول فى من سجد ونحر وذبح وعظم الأوثان على نحو غير الذى ذكره هو ، مثل أن يفعل ذلك لها على اعتقاد أن الله أمر بذلك وطلبه من عباده فهو يرضيه ويريده منهم لا على اعتقاد أن لها تديراً واختياراً ورفعة ذاتية مستقلة ؟ أفىقول ان من يسجد للأوثان يذبح وينحر ويعظم بل ويصلى ويحج ويصوم ويعمل الأعمال الأخرى لائسه الكفر حتى يعتقد أن لها تديراً واختياراً ورفعة ذاتية وحتى يعتقد أنها تستحق ذلك بالاستقلال لا بالشرك مع الله ولا بفرض الله ذلك لها ؟ ان كلام هذا الشيعى نص فى أن ذلك ليس كفراً ، ولكنه على الرغم مما زعم باطل بالضرورة وبالإجماع وبالنص ، ولا يختلف المسلمون فى أن من سجد لوثن أو ركع له أو عظمه أو ذبح ونذر له أو ذكر اسمه على ذبيحته فقد ارتد سواء اعتقد أن لذلك الوثن تديراً واختياراً أم اعتقد أنه صنم من الأصنام لا يقدم ولا يؤخر ولا يرش ولا يبرى . ولا يختلف المسلمون أن المشركين الذين أبوا الاسلام والايان برسول الله ﷺ أو جمهورهم ما كانوا يعتقدون هذه الأمور جميعها لأصنامهم وأوثانهم ، ولا يختلفون أيضاً أنهم أو أكثرهم كانوا بالجملة يعلمون أن الله خالق أصنامهم وما يعبدون ، وأنهم ما كانوا يعبدونهم إلا لأجل أن يربوهم الى الله خالقهم وربهم الأعلى ، والقرآن ناص على ذلك فى آيات كثيرة معلومة

على أن كلامه هنا باطل ضعيف على جميع الافتراضات والحالات ، وذلك أن الذى يعتقد هذه الأمور التى ساقها هنا لصنم أو وثن ثم يذبح ويسجد وينحر ويعظم لذلك الوثن أو الصنم ويكون ذلك المعتقد الذابح الناذر الساجد كافراً عند

هذا الشيى فكفره إما أن يكون لأجل اعتقاده أن لهذا الوثن تدبيراً واختياراً واستحقاقاً ورفعة ذاتية ، وإما لأجل سجوده له وذبحه ونذره وتعظيمه وذكر اسمه على الذبيح ، وإما أن يكون لأجل الأمرين معاً . فإن كان كفره عند الشيى لأجل هذا الاعتقاد لم تكن هنالك فائدة فى اشتراطه الكفر بهذه الأعمال من السجود والنذر والنحر بل يكون حينئذ هذا الاشتراط لاغياً باطلاً مفسداً للمعنى الذى عنه ، وكان الواجب الصحيح أن يقول حينئذ ان من اعتقد التدبير والاختيار للأوثان واعتقد استحقاقها ذلك استقلالاً كفر على جميع الفروض سواء أعمل لها شيئاً أم لم يعمل شيئاً ، وسواء أسجد لها أم لم يسجد ، ولا ريب أن من اعتقد هذه العقيدة فى وثن من الأوثان فقد كفر بلا قيد ولا شرط

وأما إن كان كفره عنده لأجل عمله هذه الأعمال من السجود والنذر والذبح والتعظيم للأوثان لم تكن هنالك فائدة فى تقييد ذلك بالاعتقاد المذكور ، بل لم يكن من الصحيح الحق تقييده به ولا بغيره ، وكان الصحيح الواجب أن يقول ومن سجد للأوثان وعظمها ونذر لها وذبح و ذكر أسماءها على الذبيح كفر سواء اعتقد غير ذلك فيها أم لم يعتقد ، أما تقييد هذا بالاعتقادات التى ساقها فانه يفسد عليه المعنى الذى أراده بكلامه ، وإذا ما افترضنا أن هذا هو ما يريد بقوله هذا قيل له إذن قد أقررت أن السجود للأوثان والتعظيم والنذر والذبح و ذكر أسمائها على النحائر كفر وخروج من الاسلام على كل الوجوه سواء اعتقد الفاعل غير هذه الأعمال للصنم أم لم يعتقد شيئاً ، وإذا كان ذلك كذلك ، وإذا أقر بأن الأعمال للأوثان كفر قيل له ما تقول فى من عمل هذه الأعمال لرسول أو ولى أو عبد من عباد الله الصالحين الأموات أقول انه كفر كما قلت فى من عملها للأوثان أم لا أقول ذلك ؟ فإن قلت بالكفر أو فإن قال بالكفر قيل له إذن أقررت بالحقيقة ، وهى أن تعظيم الأموات والنذر والذبح لهم والعكوف على قبورهم شرك بالله وردة عن

الاسلام ، وهذا أكبر موطن الخلاف بين الشيعة وبين من كتب محاولا الرد عليهم ، وأما ان قال بالسلب ، أى ان قال ان عمل هذه الأمور للأنبياء والأولياء والصالحين الأموات ليس كفراً وليس مخالفاً للدين بل هو طاعة وقرب الى الله ، قيل له اذا كانت هذه الأعمال للأوثان عبادة لها وشركاً بالله العظيم فكيف لا تكون كذلك اذا عملت للأنبياء والأولياء ؟ أو ليس الشرك شركاً سواء أ كان لملك مقرب ونبي مرسل أم لحجر وشجر ؟ وهل عبادة غير الله تجوز للأولياء والأنبياء ولا تجوز للأحجار والأشجار ، وهل يتفق هذا مع سائر أقوال الشيعة فى كتابه ومع قوله فى الأمر الخامس عشر ان الأحكام على الأشياء لا تغير الموضوعات ؟ واذا كان ذلك كذلك كان جائزاً حينئذ أن يكون الأمر الواحدة شرعاً وتارة إيماناً باختلاف محله وزمنه لا باختلاف ماهيته ومادته وكان جائزاً أن تكون الصلاة للرسول والولى إيماناً بالله وإيمانهما ممن ليس رسولا ولا ولياً كفراً بالله وأن يكون دعاء الرسول الكريم والاستغاثة به والضراعة اليه ، وتقديم النذور والقراين الى قبره إيماناً وطاعة لله ، وأن تكون هذه الأشياء نفسها لو كانت لمن هو دون الرسول منزلة وقدر ككفراً وشركاً بالله ، وأن يكون الحج الى بيت معلوم كبيت الله الحرام طاعة وقرباً الى الله ، وأن يكون الى غيره كالقبور والمشاهد معصية وخروجاً من حدود الدين ودائرة الاسلام ، بل وأن يكون الطواف ببعض الاماكن إيماناً وإسلاماً كالطواف ببيت الله وبين الصفا والمروة وأن يكون الطواف بالاماكن الاخرى كفراً كالطواف بالاضرحة والمشاهد والقبور ، وأن يكون الحلف بمخلوق إيماناً ودينياً ويمخلوق آخر كفراً فيكون مثلاً الحلف بالرسول من الاسلام والتقى وبغيره كالخلف بأبي بكر وعلى والحسن والحسين وبالكعبة والمساجد كفراً بالله ونفاثاً ذلك . وهذا كله خلاف رأى هذا الرجل وخلاف ما كتب فى كتابه فما هو فاعل ؟

ويقال بأسلوب آخر أقرب إلى إصابة الغرض : إذن يجوز أن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وشد الرحال اليهم وتعظيمهم ديناً وتقوى ، واموراً جائزة وأن يكون دعاء الأموات والاستغاثة بهم وتعظيمهم وشد الرحال الى قبورهم والاقطاع اليهم كفراً وردة . وهذا ما ياباه هذا المؤلف وينكره وقد كانت حجة هذا الرجل للردة قوله : « لو كان دعاء الأموات والاستغاثة بهم شركاً وحراماً لكان دعاء الأحياء والاستغاثة بهم كذلك ، وإذا كان دعاء الأحياء لا شرك فيه ولا مانع فكذلك دعاء الأموات . فإذا كان ذلك في إحدى الطائفتين شركاً وحراماً كان كذلك في الطائفة الأخرى . وليس يمكن أن يكون في حالة شركاً وفي حالة إيماناً . وهذا باطل » هذا معنى كلامه وهذه الحجة إن كانت صحيحة كانت حجة ضده هنا ، وإن كانت باطلة فاسدة بطلت هذه الحجة التي بها يصول ويجول ويدعى أنه اذ ظفر بها قد ظفر بالحقيقة الخالدة

هذا على الافتراضين . وأما على الافتراض الثالث وهو أن يكون الكفر عندهم بمجموع الأمرين المذكورين أي باعتقاد التدمير والاختيار والاستحقاق والرفعة الذاتية للأوثان ، ثم بالسجود والنذر والذبح والتعظيم لها ، فيقال على هذا الافتراض انه باطل ولا شك في بطلانه كما قدمنا فان أحد الأمرين كفر بالاجماع ولا يتنازع المسلمون أن من اعتقد هذه العقيدة في الأوثان فقد ارتد وان لم يعمل لها عملاً . وأن من عمل لها هذه الأعمال فقد ارتد وان لم يعتقد فيها هذه العقيدة المذكورة ، ولا أحسب الرافضى يتنازع في هذا . فهذا الافتراض باطل أيضاً فإذا يصنع ؟

ثم نقول بمد هذا في المكفر الأول وهو الاعتقاد أن مخلوقاً ما مساو لله في اننا نسبعه جداً أن يوجد مخلوق عاقل يؤمن بالله يزعم أن مخلوقاً ما مساو لله

في جميع صفاته فنياً واثباتاً ويزعم أن ما يجوز على الله يجوز على ذلك المخلوق ولا يجب له يجب له وما يستحيل عليه يستحيل عليه . فهذه العقيدة ترى من البعيد القريب من المحال أن يتقلدها انسان يؤمن بالله

ومثل هذا ما يذكره بعض الناس أن من الفرق الاسلامية فرقة تزعم أن صفات الله كصفات المخلوقين . فيزعم أن الله يدأ كأيدينا ومهما كأصماعتنا وبصرأ كأبصارنا وهم جرا . فهذا القول وإن كتب وشهر فهو على ظاهره وحقيقته باطل كذب عندى لا أظن إنسانا يدعى الاسلام والايمان يقوله ويمتدده . وهذا والله اعلم قد دخل على الناس من طريق الاشقاء والاشترار . فان قوما يبالغون في اثبات ما جاء في النصوص من صفات الله ويحافظون على هذا الاثبات ويبالغون في المحافظة لا يرضون التأويل والتفسير بغير الظاهر المفهوم من النصوص فيثبتون لله تعالى الصفات الواردة في النصوص حقيقة بلا تأويل . فيحسب المخالفون لهم المؤولون الظانون أن هذه الصفات تمتضى التجسيم والتشبيه ان ذلك الاثبات عين التشبيه وأنه لا يمكن اثبات اليد لله إلا اذا كانت جارية مركبة من الدم والعظام والأعصاب كأيدى المخلوقين . فيروح هؤلاء يزعمون أن المثبتين يشبهون الله بخلقه حقيقة . وأنهم يقولون ان صفات العباد كصفات الاله . وهذا غلط عظيم ووم أعلن طريقه ما ذكرنا

نعم هنالك قوم قالوا بالحلول حلول الاله في ذوات الخلق كقول النصارى في الله وعيسى ، وكقول طوائف من الشيعة - حدثائهم وقدمائهم - ان الله حل في ذات على وذوات ذريته . وقد كان من الخلفاء الفاطميين وهم من المنتشيعين من يذهب هذا المذهب ويجهل به ، ويدعى حلول ذات الله في ذواتهم ، وكان الحاكم منهم ينزع هذا المنزع ويدعو اليه تصريحاً وتعريضاً ، حتى وجد من اعتقد فيه هذه العقيدة ، ويوجد اليوم من ينحله هذه الصفة ، وكان أقوام كثيرون غير هؤلاء

وهؤلاء يدينون عقيدة الحلول حلول الله في ذوات ما يعبدون ويعظمون ، وهذا مشهور عن طوائف من المذبحين الاسلام المزوج بالفلسفة البوذية الطاغية العائنة ، ولكن هؤلاء المصايين بداء الحلول والانحلال تمحصر دعواهم في أن ذات الله العظيم حلت في هذا الجسم المرئي المشهود لأمر من الأمور وغرض من الأغراض ولكنهم على رغم هذا لا يقولون ان الذات الالهية الحالة في الجسم الانساني الناسوتى مثل هذا الجسم القدي حلت فيه الذات المقدسة . أنهم لا يقولون هذا القول ، وهم انما قالوا بالحلول لأجل أن يعظموا من شأن من زعموا أن الحلول وقع في ذاته . قائلنصارى مثلاً يقولون ان المسيح هو الله أو ابن الله ، وهم يريدون بهذا القول معنى قولهم حل اللاهوت في الناسوت ، وهم يقصدون إعظام أمر عيسى عليه السلام والرافضة الذين يزعمون أن الله حل في علي وولده والذين يرفعون أنه حل في الحاكم وخيره من الخلفاء ، إنما يريدون بذلك إعظام ذلك الشخص الذي افترض فيه الحلول ، ولكنهم لا يدعون أن الله مساوٍ لغيره سواء اعتقدوا حلوله أم لم يعتقدوا . فليس هنالك فيما أحسب من المؤمنين بالله من يزعم أن مخلوقاً مساوياً لله في جميع الصفات فنياً وإثباتاً

وهذا الحلول الذى جعله الشيعة أول المكفرات أول من زج به في الاسلام فيما نعلم هم شيوخ الشيعة ومخترعو المذهب الشيعى ، وهذا الرجل يسلم أن عبد الله ابن سبأ - أول واضع المذهب الشيعى - كان يدعى ذلك في على رضي الله عنه ، وعبد الله بن سبأ اليهودي المدعى الاسلام والشيعة هو أول من زقا بالتحلة الشيعية الغالية وهو المخترع الأول لهذه الترهات الفاضحة في المذهب الشيعى المسرف ، وخلفاء الفاطميين كانوا يدعون الى ذلك ، أى الى مذهب الحلول جهرة ويدعون حلول الله جل شأنه وتمتدس في ذواتهم ، والفاطميون من الشيعة في الظاهر ومن المؤمنين العلويين لدى هذا الشيعى كما ذكرهم في كتابه ، قائلناة الأول للمذهب

الشيعة لدى هذا الشيعة كفار مرفقة من دين الاسلام حسب اعترافه
وبعد هذا يقال لا ريب أن حصره المكفرات في الأمور الثلاثة التي ذكرها
هنا باطل لا يصح باعترافه هو وباعتراف كل شيعة أيضاً ، أو لا بد كره هو أنه في
الأمور الثاني عشر صفحة ١٠٢ ككفر بغير هذه الأمور الثلاثة ، فأكثر منكرو
الضروري ، والخوارج ، والمجسمة ، وهم لم يقنعوا في أحد الأمور الثلاثة التي حصرت
المكفرات فيها

الامر الخامس عشر

قال الرافضي « لا شك أن الله فاقوت بين مخلوقاته في الفضل : ففي الأزمنة
فضل شهر رمضان على سائر الشهور وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف
شهر ، وفضل يوم الجمعة على سائر الأيام . وفي الأماكن فضل الكعبة على سائر بقاع
الأرض وتعيد الناس بالحج إليها والطواف حولها وفضل مكة والمساجد الأربعة
والمسجد الحرام على غيرها . وفي الأحجار فضل الحجر الأسود على غيره وتعيد
الناس باستلامه وتقبيله ، وفي الآبار فضل زمزم على غيرها . وفي الحيوانات فضل
الخنزير على غيرها وجعل بعض دم الغزال مسكاً . وفي بني آدم فضل الأنبياء على
غيرهم وفضل محمداً ﷺ على سائر الأنبياء وفضل الشهداء على غيرهم والعلماء على
الشهداء وعلى بعض الأنبياء ، بل الشيء الواحد له فضل في حال دون حال .
فالكنيف لا فضل له وهو في منتهى الخسة ، فإذا جعل مسجداً صار معظماً عند الله
وحرم تنجيسه ووجب تعظيمه ، وجلد الشاة يجعل نعلاً فيكون في منتهى الاهانة
ويعمل جلداً لقرآن فيكون في منتهى الاكرام والاعظام ، والرجل يكون كسائر
الناس فيعته الله بالنيرة فتجب طاعة أمره ونهيه ، أو ينصبه النبي بعده خليفة أو
المسلمون ، بناء على أن الامامة باختيار الأمة فيدخل في قوله تعالى « وأطيعوا الله

وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ومن هذا القبيل البقعة من الأرض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي أو ولي فتكتسب شرفاً وفضلاً وبركة^(١) لم تكن لها من قبل الدفن ويجب احترامها وتحرم اهانتها ، ومن احترامها قصدها لزيارة من فيها وبناء القباب فوقها والحجرحولها لتقى زائريها من الحر والبرد ، وعمل الأرضية لها التي تصونها عن كل إهانة وإيقاد المصاييح عندها لانتفاع زائريها واللاجئين اليها ، وجعل الخيمة والسدنة لها ، وتقييلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك ، ومن اهانتها هدمها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالأرض وجعلها معرضاً لوقوع القاذورات ووطء الدواب والكلاب والأدميين وبول الدواب والكلاب وغير ذلك . وما ورد مما يوم المنافاة لذلك مما سيأتى في محله على فرض صحته مخصوص بنهرها أو منصرف بحكم التبادر الى غيرها لما علم من الشرع من لزوم تعظيم أصحابها أحياء وأمواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم أحياء وأمواتا وهذا منها ، وهل يشك في هذا عاقل وهو يرى أن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليها فقال « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » أفيجعل الله لمقام رجل خليفه احتراماً ولا يجعل احتراماً لمدفن جسده أو جسد سيد الأنبياء ، وإذا كان له هذا الاحترام فلماذا حرم تقييله والطواف والتبرك به والصلاة عنده ودعاء الله ، كما يصلى عند مقام ابراهيم ويدعى ؟ فان كان لتوهم أنه عبادة له كعبادة الأصنام فهو توهم فاسد ؛ لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام الله وعمل بأمر الله وعبادة وإطاعة الله ، فهو كتقييل الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والحرم والمقام والمساجد والتبرك بماء زمزم وسجود الملائكة لآدم وإن كان لزعم ورود النهى فستعرف أنه لا نهى » انتهى كلام الشيعى . قلت والكلام في هذا من وجوه :

(١) ومن هنا يبتدىء بيت القصيد

(أولاً)

التفضيل لبعض المخلوقات على بعض قسمان : قسم منه يرجع لمزايا وجدت في المفضل دون المفضل عليه ، وذلك كتفضيل الخيل على غيرها من العجائات كالخير والبغال والأغنام . و كتفضيل الشهداء على غيرهم ممن تعدت بهم أنفسهم عن الجهاد وعن الموت قصفاً بالسيوف وطعنًا بالرمح . و كتفضيل العلماء على الجهلاء ، وتفضيل الأنبياء على من ليسوا أنبياء . وتفضيل الأولياء الاتقياء على الفسقة والعصاة المذنبين ونظائر هذا . فهذا القسم فضل على غيره لاختصاصه بفضائل لا توجد فيما سواه استحق بها عللاً وحكمة أن يكون مفضلاً على غيره ممن لم تقدر لهم تلك الفضائل . وهذا القسم لا كلام لنا فيه هنا ، فانه لا ينازع أحد من الناس أن الشيء يشرف ويفضل بقدر ما له من الفضائل النفسية والحاصل الحميدة الشريفة ، وبقدر ما يحدثه من آثار نافعة للامة والدولة والدين . هذا قسم

وقسم آخر فضل على غيره من غير أن نعرف له فضيلة ذاتية ترجع الى ذاته هو ولا مزية فيه تقضى بتفضيله وتقديمه على ما سواه فيما يبدو . وقد يكون شيء من ذلك لم نعرفه ولم يبد لنا . والله أعلم بالسرائر والخصيات . ومن هذا القسم تفضيل يوم الجمعة على سائر الأيام . وتفضيل شهر رمضان على سائر الشهور ، وتفضيل ليلة القدر منه على سائر الليالي وتفضيل الكعبة على سائر البلاد وتفضيل المسجد الحرام على سائر المساجد وأشباه هذا . فان هذه الاشياء فضلت على غيرها لا لأجل فضيلة خصت بها ترجع الى ذاتها ونفسها حسب ما نعلم بل فضلت محض تفضل من الله ومحض اختيار لحكمة تدق على الأفكار ويسمو منالها على العقول

وقد يقول قائلون إن التفضيل لهذه الاشياء التي ذكرت وأشباهاها لم يكن عن اختيار محض وقضاء خالب صرف لا سبب له غير ذلك بل تفضيلها راجع لأمر

امتازت بها عن سواها لفضائل خصها الله بها وحدها دون ما فضلت عليه : فيوم الجمعة فضل على بقية الأيام لما امتاز به من المزايا الكثيرة . وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة » وروى القرمذى وأحمد أنه عليه السلام قال (سيد الأيام يوم الجمعة فيه خمس خصال خلق الله فيه آدم وأهبطه فيه الى الارض وتوفاه فيه . وفيه ساعة لا يسأل العبد الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة) الى غير ذلك من فضائل يوم الجمعة . ومن فضائل هذا اليوم أيضا اجتماع المسلمين فيه للصلاة واحدة ولاستماع موعظة عامة أسبوعية فيوم الجمعة فضل على أيام الاسبوع لأجل هذه الفضائل التي انفرد بها وكذلك شهر رمضان فضل على سائر الشهور لأنه أنزل فيه القرآن فيه هدى للناس وبينات . وشرع فيه الصيام والقيام وصلاة التراويح ومدارسة القرآن الكريم . وقد كان جبريل يدارس الرسول الكريم القرآن في رمضان كل عام . ولأنه أيضا خص ليلة القدر دون سائر الشهور وليلة القدر خير من ألف شهر . وفضلت ليلة القدر على الليالي لأن القرآن نزل فيها ولأن الملائكة والروح ينزلون فيها حتى مطلع الفجر كما قال تعالى « تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر » وكذا فضلت مكة على غيرها لأنها جعلت مثابة للناس وأمناً فيها يقضون أمتانهم ويفسلون ذنوبهم وخطاياهم ويتطهرون فيها من أوضار المعاصي وأدناس القلوب ، يرجعون فيها الى الله خالصين من كل شيء إلا من ذكر الله والضراعة اليه وتلبية دعوته العامة والخاصة يحتمون هناك يشككون الى ربهم عدوان ضعفهم على قوتهم وتغلب مادتهم وحيوانيتهم على انسانياتهم وروحانيتهم ، ويهربون من نفوسهم ومن طبيعتها الجائرة العادية الى تلك البقعة مهبط وحى السماء ورسالة جبريل الى محمد بن عبد الله ﷺ

ويشئون إخوانهم آلامهم وآمالهم التي تعجز موجات الأثير عن أن تقلدتها في الأذان المسلمة القصية ، يلتقي المحبون لدى ذلك المحبوب الذي يولون وجوههم مع قلوبهم شطر وجهه وسناه في اليوم الواحد واللييلة الواحدة المرات الكثيرة ، وتقنور قلوبهم وأبصارهم نور ذلك المعشوق الذي لا يحول ولا يمحول كل يوم ماشاء الله على حسب ما ضمنتها القلوب من شوق وهوى

وكذلك فضلت مكة لوجود بيت الله الحرام فيها ، وفضله وفضله المسجد الحرام على غيره من المساجد فضل بانيه وهو ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، ولأن الله أمرهما ببنائه وتطهيره للطائفين والمعاكفين والركم السجود ، ولكثرة من صلى فيه من الأنبياء والأقياء والصالحين والخلفاء الراشدين ، ولأنه قبله أبصار المسلمين وهوى قلوبهم في الشرق والغرب حينما يفتنون أفضل مواقف العبد وهو موقف الصلوات لله رب العالمين الى غير ذلك من الفضائل التي قضت بتفضيل هذه الأشياء على غيرها : إذا قال قائلون ذلك قيل لم هذا أمر لا ريب فيه ولا خلاف . فان هذه الأزمان والأماكن المفضلة قد خصت بفضائل لم يخص بها غيرها من الأماكن والأزمان . بيد أن هذه الفضائل على كل حال فضائل ليست راجعة الى ذات هذه الأماكن والأزمان ولا الى طبيعتها ولا الى اختيارها واراقتها ، بل هي فضائل خصها الله بها محض تفضل ومنة ومحض اختيار قاهر غالب . ولا شك أن الله في ذلك حكما عالية لازمة ، ولم يكن تخصيصها بهذه الفضائل راجعا الى أمر قام بذاتها وطبعها قضى بتفضيلها على فاقده ذلك من الزمان والمكان ، وعلى هذا يقال ان هذه الأماكن والأزمان قبل تخصيصها بذلك كانت كثيرها ذاتا واستعدادا وطبيعة فلماذا خصت وحدها بهذه الفضائل ؟ ولو أن الله خص يوم الأربعاء بفضل يوم الجمعة لما كان لهذا مانع ، ولكن يوم الأربعاء أفضل من يوم الجمعة ، ويقال في سائر أيام الأسبوع مثل هذا ، ولو خص أحد شهور السنة بما خص به شهر

رمضان من الفضائل المذكورة مثل إنزال القرآن وإنزال الآيات البينات ومثل تخصيصه بليلة القدر لما كان هنالك مانع ولكان ذلك الشهر أفضل شهور السنة وأفضل من رمضان ، وكذلك لو خصت إحدى ليالي السنة بما خصت به ليلة القدر من الفضل لما كان ثمة مانع ولكانت تلك الليلة المفترضة أفضل من ليلة القدر وهكذا يقال فيما ذكر كله فالسؤال باق ، وهو لماذا فضلت هذه الأماكن وهذه الأزمان على غيرها بتلك الفضائل التي قضت بأن تفضل ما سواها ، ولا شيء من هذه الفضائل يرجع الى ذات تلك الأزمان والأماكن ، وقد كان ممكنا ومعهولا أن تكون تلك الفضائل لغيرها ، وممكننا أن يكون غيرها أفضل منها على هذا النحو الذي قوامه اختيار المولى ، وتفضله الذي لا يقف عند حد ولا يدع أحداً إلا يشمله ويمه ، وهذا هو السؤال عينه ، وهو سؤال جوابه في الظاهر الذي لا يمكن غيره أن يقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

وليس كذلك القسم الأول في الظاهر ، فانه قد امتاز بفضائل نفسية كسبية قضت بتفضيله على ما سواه ممن فقدوا تلك الفضائل والمزايا ، فان الذي فضل العالم على الجاهل هو العلم ، والذي فضل التقى على الفاسق الفاجر التقوى ، والذي فضل الرسول والنبي على سائر الناس ما امتازا به من الفضائل النفسية والفضائل الالهية التي مرجعها فضل الله ، والذي فضل الشهيد على غيره فضائله النفسية من قوة الايمان التي رجت به في غمرات الموت طائفاً مختاراً ، ومن الشجاعة التي دمت به في أحضان الحام المكروه ، ومن الدفاع عن دين الله الحق وعن العدالة ، ومن دفاع الظالمين والظلم ، ثم ما أصابه على ذلك من الآلام والموت المعبط الغيف الناجز ، كما أن الذي فضل الخيل على غيرها من البهائم ما خصت به من كرامة النفس وجمال الصورة وشدة الجري وطول الشوط وتعطفها طوع إرادة راكبيها ، واقتحامها ثبج الحروب والخوف والصروف والأشياء الأخرى

إذا علم هذا قيل ان تفضيل الأمر يرجع الى أمرين كما ذكرنا : أمر يرجع الى ما امتاز به المفضل من فضائل نفسية كسبية ، وأمر يرجع الى فضل الله المحض وجعل اختياره ، وعلى هذا يقال لهذا الرافضى : أما القسم الأول من ذلك الذي حكم بتفضيله بمقتضى ما فيه من الفضل فلا كلام لنا هنا فيه إذ لا ريب أن ما ثبت له فضائل لزم تفضيله بقدر فضائله لا كما يقضى هوئى المفضل وأرادته الذى ليس له من الأمر شئ.

وأما القسم الثانى أي القسم الذى ترجع فضائله الى خالص فضل الله واختياره الجليل فلا خلاف فى وجوب تفضيله على مقتضى ما تدل النصوص الصحيحة الواردة فيه ، ولا خلاف فى لزوم القول بما جاء فى النصوص من ذلك الفضل المقدر ، فما قال الشارع فيه انه أفضل من غيره يقول المسلمون ممكماً وطاعة وما قال فيه ان غيره أفضل منه يقول له المؤمنون ممكماً وطاعة ، لا عصيان ولا اعتراض على رب العالمين يلقى على الأفكار ما هو فاعل فيترك ما يخفى ويؤخذ ما بدا

الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وحيث يضم فضله وتفضيلاه ، وحيث يأمر وينهى ويقول ويفعل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ولن تحيط العقول المحدودة بحدود العبودية وبحدود الالهية ، العقول الضيقة الحادثة بأمرار علم من لا يحد علمه ومن لا يحاط بشئ من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ، وإذا ما كان المريض لا يمترض على أوامر طبيبه وما انسانان مخلوقان محدودا العلم فكيف يمترض الحادث العبد على رب العالمين خالق كل شئ العالم بما كان وما يكون

ولكن هذا القسم لا يمكن القياس عليه ولا يمكن إلحاق غيره به مما لم يبل الشرع على إلحاقه وقضيه وتفضيله ، لأن هذا القسم فى منزلة تسمو على متناول العقول وهبوطها ، وفى منتهى تقصير عن الصعود اليه الأذهان البشرية الكلية ، وفى مستوى رفيع من الحكمة الرفيعة تحار فيه البصائر وتقف الأبصار حيرى قائمة مشدوهة

لاستطيع التقدم ولا التأخر ولا الذهاب يميناً ولا شمالاً ، وما كانت حكمته كذا من الدقة والحفاء فلن يمكن القياس عليه بالاجماع والبداهة والضرورة
 أرايت لو لم يدل الشرع على فضل رمضان أو فضل يوم الجمعة مثلاً ، أنيمكن للعقول أن تهتدى إلى تفضيل رمضان على مجموع الشهور وتفضيل يوم الجمعة على مجموع أيام الاسبوع ؟ أو لو لم تدل النصوص على تفضيل مكة المكرمة ووجوب استقبالها حين الصلاة وقصدها من كل مكان لقضاء فريضة الحج إحدى فرائض الاسلام المقدسة ، وأن اسلام الله لا يكون تاماً كاملاً إلا إذا ما قصد تلك المشاعر والعالم رطاف بها وصلّى وجار إلى الله ودعاه وقبل بعض ذلك ورعى الجمرات وأحرم وأحل وحلق وقصر وذبح وأهدى ، أفيمكن أن تهتدى العقول إلى معرفة ذلك كله لولا النصوص والرسالات النبوية ؟ كلا إن ذلك كله من وراء العقول وفوق مستواها وفي منقطع تنقطع فيه أشواط الازدهان وما كان كذلك لا يمكن القياس عليه ولا يمكن تمدي النصوص ، بل يوقف في هذا القسم حيث وقفت النصوص ويذهب حيث ذهبت

فن قال لما أن ثبت تفضيل مكة وتفضيل الكعبة وتفضيل تلك المشاعر والعالم وتفضيل الحجر الأسود وجب قياساً على هذا تفضيل المشاهد والقبور وتفضيل آثار الأنبياء والصالحين وتفضيل ما لامس أبدانهم وما لمسوه بأجسامهم وما نزلوا فيه وطافوا به من الأرض والزمان ونحو ذلك كان غالباً غلطاً فاحشاً واضحاً . وكان قائلاً ما لم يقله أحد من المسلمين والعقلاء أجمعين . وهذا القول مثل قول القائل الآخر لما ثبت فضل يوم الجمعة وهو في معناه وصورته كسائر الأيام وجب تفضيل يوم السبت أو يوم الأربعاء أو يوم الثلاثاء أو يوم الخميس . لأنه لا فرق بين هذه الأيام في معناها ومادتها . فلا يوجد في يوم الجمعة أمر يفضل على سائر الأيام . فتجب التسوية بينه وبين أيام الاسبوع . وكن قال لما ثبتت فضائل شهر

رمضان وتفضيله وجب تفضيل سائر شهور السنة كلها لأنه لا فرق بين هذه الشهور في المعنى ولأن تفضيل هذا الشهر على جميع الشهور تفضيل لا موجب له ، وترجيح بلا مرجح

وهذا النحو من القول كقول هذا الشيعي هنا . ولا ريب أن هذين القولين سواء . ولا ريب أنهما خارجان عن حدود الدين بخالفان إجماع الأولين والآخرين من المسلمين

وهذا أيضاً مثل أن يقول القائل : إذا ما فضلت مكة المكرمة ووجب الحج إليها ووجب الاتجاه نحوها وقت الصلاة ووجب صنع كل ما يصنعه الحاج هناك من الطواف والاحرام والاحلال ورمى الجمار والسعي بين الصفا والمروة وتقديم الهدي وإشماره إلى غير ذلك من أعمال الحج وجب أن يفضل غيرها أيضاً من مواقف الأنبياء والأولياء وآثارهم ومنازلهم وما عبدوا الله فيه وصلوا فيه وقاموا وكأوا الإله فيه أو فوقه ووجب أن يكون ذلك الفضل كله لمدينة الرسول وقبره الشريف المطهر وكل مكان وقف فيه النبي الكريم وصلى فيه وعبد الله فيه وعنده من المساجد والمنازل والقنات والجبال والغيان كفار حراء وغار ثور . ووجب أن يقوم القادمون إلى مسجد الرسول الكريم وإلى منازل وآثاره في المدينة المنورة ومكة وما بينهما وغيرها بما يقوم به الحاج وما يصنعه من الاحرام والتلبية والتحليق والتقصير وجميع أعمال هذه الفريضة المقدسة فريضة الحج ، ووجب أيضاً أن يستقبل ذلك المصلون في صلواتهم ، ووجب ذلك أيضاً لمنازل الأنبياء ومساجدهم وآثارهم وما بهم عرف وكل ما هنالك في الشام وفي مصر وفي كل مكان ومنزل وفي كل مصر وفلاة . هذا القول وهذا الخيال مثل خيال هذا الرافض ومثل قوله سواء ومثل قياسه واستنتاجه . ومن قال هذا أو شك فيه خرج من حظيرة الاسلام بإجماع المسلمين ووجبت استنابته إن كان في بلد إسلامي وإلا نالته عقوبة المرتدين

ولا خلاف في ذلك

فالتقياس على هذه المواضع يستلزم القول بهذه الأقوال ، وهي أقوال بنذفي في إبطالها والنقض عليها تصويرها وتصورها . فاتها فاسدة بالاجماع والضرورة المحككة فالذى يذهب يستدل على تفضيل القبور وتفضيل الصلاة فيها واليهما وتقبلها واستلامها والسفر اليها وتقديم الهدى لها وأشعاره مستدلاً بأن هذه الأمور مشروعة في مكة المكرمة ومشروعة في معالم الحج هنالك يلزمه لزوماً صريحاً صحيحاً أن يجوز أعمال الحج كلها من التحليق والتقصير وري الجرات والفدية والاحرام وسائر واجبات الحج ومستحباته للقبور قبور الأنبياء والصالحين . بل وأن يجوز استقبال القبور في الصلوات قصداً وعمداً . لأنه إذا وجب هذا التعظيم للسكبة فكيف لا يجب لمسجد سيد الأنبياء ومدفن أكرم رفات وأشرفه على الله وعلى عباده المؤمنين ، وهو رفات سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام ؟ وكيف لا يجب لغار حراء وهو الغار الذى كان النبي الكريم بعد الله فيه ويهرب اليه من شرك المشركين وضلالات الضالين . وهو الغار الذى نزل فيه أول ما نزل الوحي وكتاب الله أفضل الكتب على أفضل الرسل لأفضل الأمم ؟ وكيف لا يشرع ذلك لغار ثور وهو الغار الذى نجا فيه رسول الله وصاحبه من طلب المشركين وأذام ومنه خرج ليضع أعظم شريعة إلهية محمولة ، وليدرب أعظم أمة ، ويخمد أعظم جند لمحاربة الرذائل ، وليخرج أعظم العلماء والفلاسفة والقواد لاصلاح البشر ولا نقاذ البشرية ولا فلات المعاني الانسانية للكفوفة المكبوتة بسلاطن الحيوانية وحدودها ؟ وكيف لا يشرع ذلك لمنازل الرسول الكريم ومنازل أزواجه الطاهرات في المدينة المنورة وغير المدينة . وقد أقام فيها أكرم جسد على الله وتلا فيها أكرم لسان أكرم كلام . وقد نزل فيها أكرم ملك على أكرم رسول بأكرم كلام . وقد سجد فيها أكرم ساجد ورع فيها أكرم راكم وقام

فيها قائما أكرم قائم وقانت ؟ ان الذي يذهب يقبس كفعل هذا الشيعي ويستدل كاستدلال هذا الرافضي يلزمه أن يجوز الحج أو يوجه بفروضة وسننه الى هذه للنازل وإلى هذه الآثار في المدينة المنورة وفي غيرها من المدن والبلاد وأن يجوز استقبال ذلك في الصلوات الخمس وفي غير الصلوات الخمس أو يوجه مثل ما كان هذا واجبا لمسكة المكرمة وكما استدلل بهذا هذا الشيعي على جواز ذلك ووجوبه للمشاهد والقبور

إن الاستدلال بهذا النحو الذي ذهب اليه هذا الشيعي استدلال أقل ما يوصف به أن يقال انه فاسد باطل ، وأن من احتذاه فقد أفسد الشرائع ومثل بها أشنع التمثيل وصيرها أمثلة ومثلة . وأصبح هو مثلا الاولين والآخرين من ذوى التفكير المضطرب والآراء الريبة الفجة والمنطق المريض القلق

(ثانيا)

هب هذا القياس صحيحا مقبولا بالجملة . ولكن هل يدل بعد ذلك على ما يريد منه هذا الرافضي ؟ كلا وبيان ذلك أن الذي يريد هو اذا كان الله قد فضل المساجد وفضل مكة وفضل يوم الجمعة وفضل شهر رمضان وفضل ليلة القدر وفضل العلماء والشهداء والأنبياء . اذا كان فضل ذلك كله وأوجب احترامه وتعظيمه كله وجب أن يكون هذا التفضيل والتعظيم والاحترام لقبور الانبياء وقبور الصالحين والعلماء ولآثارهم ولا يمكن أن تكون هذه المساجد والأحجار والبلاد والأيام والشهور أولى بالتفضيل والاحترام والتعظيم من قبور الانبياء والصالحين ومن آثارهم ومخلفاتهم . فيجب إذن أن يكون ذلك كله لهذه القبور والآثار والمخلفات على الوجه الآتم الافضل ويجب الاعتراف لهذا بهذا : هكذا استدلاله واحتجاجه وهكذا مقدماته ونتيجته : ولكننا نحن نقول هب هذا الاستدلال صحيحا مقبولا

مرضيا بالجملة وهب تفضيل قبور الانبياء والاولياء واجبا وكذا احترامها وتعظيمها ولكن هل يلزم التفضيل والاحترام والتعظيم جواز سائر ما ينتج عنه هذا الشيى ويدعيه من وجوب تقييل القبور واستقبالها والبناء فوقها وعقد القباب عليها وتقديم القرايين اليها وتزيينها بفاخر الزينات من الذهب والفضة والمعلقات والمجوهرات ، ومن شد الرحال اليها وقصدها من الاقطار الشاسعة النائية ، ومن الحلف بها والاقسام على الله بدواتها ؟ هل هذه الاشياء المبتدعة تلازم التفضيل والاحترام والتعظيم ؟ هذا الرافضى يدعى هذا ويدعى هذا التلازم ويدعى أنه لا احترام ولا تعظيم ولا تفضيل بنير ذلك . أما نحن فنقول كلا . انه لا يلزم هذا هذا . والدليل على انكلك هذا التلازم المدعى أن المساجد مفضلة محترمة معظمة كما يقول هذا المصنف الشيعى وهى مما قاس عليها مزاعمه ومع هذا لا يجوز استقبالها في الصلوات البتة اذا ما استثنينا المسجد الحرام ولا يجوز تقييلها ولا تقييل أرضها وجدرانها وسقفها ولا التمسح بها ولا تقرب القرايين اليها ولا شد الرحال لزيارتها ولا للصلاة فيها كما جاء في الحديث الصحيح المعروف « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجد المدينة » وكذلك لا يجوز تقييل بيوت مكة ولا التمسح بها ولا التمرغ عليها طلبا للبركة والتعبد . ولا يجوز شئ من ذلك في الكعبة وفى المسجد الحرام سوى ما ورد فى النصوص الصحيحة من تقييل الحجر الاسود واستلام الركنين اليمانيين . فلا يجوز من ذلك إلا ما جاء فيه النص الصحيح عن الرسول الكريم . وقد قال الخليفة عمر بن الخطاب عند تقييله الحجر الاسود قوله المشهور « والله انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا انى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » رواه البخارى ومسلم وغيرهما . وعمر يريد أن مثل هذه العبادات تؤخذ كما أنت عن الشارع أخذاً بإيمان واستسلام لا يزاد فيها ولا ينقص منها . وهو فى معنى قول على رضى الله عنه « لو كان الدين بالعقل لكان

أسفل الحنف أولى بالمسح من أعلاه » وكلهم يريد بهذا أن تمت أشياء من شئون الدين تبحر فيها العقول ولا تهتدى فيها إلى عين الصواب لحفاؤها وبعد منالها ولو كان في استطاعة العقول الوصول إلى أحكام الشريعة وإدراكها استقلالاً وبلا توقيف ورسالة إلهية لما كانت هنالك حاجة إلى ابتعاث الرسل والأنبياء وإلى الكتب المنزلة فيها الشرائع والأحكام . واطلب من الناس تحكيم عقولهم واتباع ما تراه وما تحسبه حقاً وديناً . ولكن الله يقول لأوفر الناس عقلاً وأصفاهم ذهنًا وقرينة « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للغائبين خصيماً » ومن هو دون الرسول أجدر بلا شك ألا يحكم إلا بما أراه الله ولا يختلف الناس أنه لا يجوز تقبيل حيطان مكة المكرمة ولا تقبيل بيوتها ومنازلها ولا التمسح بها ولا الاستقبال لها في الصلاة مع العلم بتفضيل مكة والاعتراف بذلك ومع تعظيمها وكذلك لا يجوز استقبال العلماء والشهداء والأنبياء في الصلوات قصداً وعمداً طلباً للبركة والاجر ، كما لا يجوز التمسح بهم ولا الطواف بمنازلهم ومساكنهم ولا الأتم لاثوابهم وما تباشر أجسامهم من شعار ودثار ولا النذور ولا تقريب القرابين لهم ، ولا الحلف بهم ولا الأقسام على الله بذواتهم : إن شيئاً من ذلك لا يجوز عقلاً ولا شرعاً مع تفضيل هؤلاء ، ومع قول الرافضى بوجوب تعظيمهم واحترامهم ومع اعترافنا له به ، وكذلك لا يجوز شيء من ذلك لبوم الجمعة ولا ليلة القدر ولا شهر رمضان ، فلا يجوز الحلف بهذا اليوم ولا بهذا الشهر ولا بهذه الليلة ولا يجوز تقديم النذور ولا الهدايا والقرابين لذلك ، مع أنها أزمان مفضلة ممتدحة . وهذا واضح

إذن ليس هنالك تلازم بين تعظيم الشيء وبين هذه المبتدعات والخرافات التي يدعيها هذا الرجل ويدعى أنها من شرائط التعظيم والاحترام للأمور بهما شرعاً وإذن يمكن القول باحترام الشيء وإعظامه من غير القول بهذه المبتدعات ومن غير

الالتزام لها ، بل هذا هو ما يجب وما يلزم المصير اليه عقلا وقلا ونظراً
والسر في هذا أن المراد بالتعظيم هنا هو التعظيم الشرعي ، أي التعظيم الذي
يقبله الشرع ويحله وبرضاه ولا يرى فيه مفسدة دينية أو دنيوية ، ولا يمكن أن
يراد بالتعظيم كل ما يمكن أن يعصده الانسان تعظيماً ولا كل ما يفهمه مشمولاً بمعنى
التعظيم ، ولا ما قد يعد في بعض الأزمان في بعض البلاد في بعض البيئات تعظيماً
واحتراماً ، إذ لو أريد ذلك لنسفت الشرائع جميعاً من أساسها ودعائها ، ولا يثبت
أنواع المحرمات والشرك والضلال المبين وعبادة الأصنام والأوثان ، ولا يبع من
ذلك الأمر الكثير ، فإن عبادة الملائكة والجن والأنبياء والأولياء بل والأصنام
والأوثان جميعاً لا يراد بها إلا تعظيم أولئك المعبودين والتعظيم من شأنهم والرفعة
لمقامهم ، وعباد الأشجار والأشجار يريدون بذلك إعظام الله وإعظام من جعلوا
هذه الأشجار والأشجار رمزاً وإشارة اليهم ، لأنهم يزعمون أن الله أرفع وأعلى
سلطاناً من أن يكونوا - وهم العباد الأذلة المذنبون - أهلاً لخطابه ودعائه كفاحاً ،
فينصبون نصباً يعبدونها ويدعونها ليصلوا بذلك الى الله غاية كل عبد ، وليقربهم
الى الله عز سلطانه ، لأن هؤلاء المعبودين أهل لدعاء الله ولخطابه لعلو مقامهم
ورفعة شأنهم لديه تعالى ، وأهل لأن يجيب دعواتهم ويتقضى حاجاتهم ، فيذهبون
يعبدون الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والأنبياء ، ويأتون من ذلك
بالطرف والأقارب ، وقد يثلون الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورونهم فيذهبون
يعبدون تماثيلهم وصورهم ، وفي هذا في زعمهم أبلغ التعظيم والاحترام لهم ، ولكن
شيثاً من ذلك لا يجوز في دين الله وإن عدوه تعظيماً وعدوه احتراماً وتفضيلاً ، وما
يدعيه هذا الرافض من تعظيم الأجداد وتعظيم من فيها من الأنبياء والأولياء
سبيله سبيل هذه الخارق الجاهلية الوثنية والأباطيل المنقبة للشرك أصلاً وفرعاً
والمنزعة من الوثنية صورة ومعنى

فالقول الفاصل في هذا الموضوع أن يقال لا ريب أن الله تعالى قد فاوت بين مخلوقاته في الفضل ففضل بعضها على بعض ، ورفع بعضها فوق بعض درجات في الاخلاق والأذواق والدين والفهم والاستعداد والصلاح ، وفي الرزق أيضاً وفي كل شيء . ولكن ليس معنى تفضيل بعض الخلق على بعض أن يغلب في المفضل وأن يعطى أكثر من حقه وأن يوهب حق الله وأن تضاف إليه الخرافات والمعتقدات الباطلة الفاسدة على حساب التفضيل ، وعلى حساب ما ميزه الله به من الفضائل والمكرمات . كلا . ليس الحق هو هذا ، ولكن الحق الذي يجب أن يصار إليه أن يعلم أن الله الذي فضل الفاضل ووهبه تلك الفضائل هو الذي يحد لفضله وتفضيله الحدود ويعرف تلك الحدود ، فلا تتعدى ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم عين الظالمين المومنين ، وما أتى الضالون الخارجون إلا من هذه الناحية ناحية الغلو في الفاضل وأهل التفضيل الذين قضى الله بأن يكونوا من المفضلين ومن أهل الفضل ، وما ضلت النصراني في عيسى عليه السلام وفي الاحبار والرهبان إلا من ناحية الغلو وناحية المبالغة في التعظيم والتفضيل ، وما ضل قوم نوح وعبدوا آلهتهم ودا ونسرا ويعوق ويغوث إلا من هذه الناحية نفسها ناحية الغلو وناحية المبالغة في التعظيم والتفضيل ، وما ضل العرب المشركون وغيرهم وغيرهم إلا من ناحية الغلو والمبالغة في الغلو والامراف في التعظيم لما كانوا يعبدونه من الملائكة والصالحين كما عبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ولا ضلت طائفة الشيعة وزاغت عقيدتها في علي وذرية علي ، وما زعموا فيهم الألوهية والارتفاع عن أفق البشرية ، وزعموا حلول الله في ذواتهم كما قال عبد الله بن سبأ ومن قال قوله منهم وهم أكثر إلا من هذه الناحية المريضة ، ناحية الغلو والمبالغة في الغلو ، وما قدحوا في خيار الصحابة وسادات المهاجرين والأنصار ومن تولاهم من المسلمين والمؤمنين إلا من هذه الناحية المدخولة المريضة في الانسان ، ناحية الغلو في علي رضي الله عنه وفي أولاده ، والا

من زعمهم غلواً وإسرافاً أنهم أهل الخلافة وحدهم وأربابها وحدهم ، ولا ضل
كثيرون من أهل الطريق وأهل الأحوال والتصوف إلا من هذه الناحية نفسها ،
فقد طوح بهم وذهب بهم الغلو في الأشياء المعظمين كل مذهب حتى وقف بهم
على حافة الهوة المهلكة العميقة حتى عبدوهم بل وألهوهم وادعوا عصمتهم وأكفروا
من ينازهم في حال من الأحوال ومخرقة من مخارقهم الباردة الفاسقة عن الدين
والعقل ، وقد روى الراون من هذا النوع الشيء الكثير المحجل للانسانية جماء
عن هذه الناحية المريضة حقاً في الانسان ، أعني ناحية الغلو والاطراء الذي لا يقف
بالانسان عند حد ، وقد بلغ الغلو بالانسان والتعظيم لمن يحب ويرضى الى حالة
مزودة حقاً فاضحة حقاً ، وقد بولغ في هذه الناحية حتى وجدنا من يدافع عن قال
الأقوال المنكرة العظيمة في الله ورسله ودينه ، الأقوال التي لا يستطيع أن يتفوه بها
الملحدون أعداء الأديان كلها وأعداء الاله والمرسلين ، فقد دافع عن قال ان كلمة
لا إله إلا الله فاسدة المعنى ، وعن قال سبحانه عز شأني ، وعن قال ان الأنبياء لم
يأتوا إلا بالشرك والكفر ، ومن قال القرآن كله ضلال وكذب ، ودافع عن قال
أفزع من ذلك ، وقد دافع عن صاحب هذه الأقوال المنكرة جماعات من الموسومين
بالصلاح والفتة والعلم ، وكلفوا أنفسهم مؤنة تأويل هذه الأقوال الشنعاء وتخريجها
التخريج الصحيح ، وتطلبوا لها الوجوه الصحيحة والتفسير المقبولة ، وما دفع بهم
الى هذه المضايق. والمآزق إلا الغلو والبالغة في التعظيم والاحترام ، وقد أغينا
الانسان وقد زعم أنه صفوة المخلوقات لا يقف عند حد في هذه الناحية ، وأغينا
يأتى بالأفانين والطرف والأعاجيب ، وهذا ما يحصل منه كل وقت ، ولولا ذلك لما
وجدوا مندوحة تبرر كونهم الى هذه المضايق الخفيفة المذمومة بلا ريب
وقد حدث المحدثون عن الحلاج وأصحابه ورووا عنهم من هذا النوع الشيء
الكثير المفظع المنكر ، وقد حدث الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام راوياً عن

الفرغاني مذيّل تاريخ الطبري أن أصحاب الحلاج غلوا فيه وفي التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويقبحون بمذرتة ، وحتى ادعوا فيه الألوهية تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد حدثوا والى اليوم يحدثون أن هذا الرجل المريض أغنى الحلاج لما أن حكم عليه بالقتل لأجل هذه الأقوال الباطلة وقتل وتناثرت دماؤه الأثيمة المجرمة زعم أصحابه والغلاة فيه أن دماؤه صارت تكتب اضطراباً أو اختياراً وهي سائلة هذه الكلمة « لا إله إلا الله ، الحلاج ولي الله »

ورعياً لهذه الناحية الواهية في الانسان كان من أقوال الرسول ﷺ المتواترة المعنى « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ولهذا أنكر ﷺ على من قالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا ، فقال ما معناه « لا يغوينكم الشيطان ولا يفتنكم ، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزاني الله بها » ، وأنكر على من قال له ما شاء الله وشئت وقال « أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده » وأنكر على من استغاثوا به من منافق في عصره يؤذي المؤمنين ، فقال لهم « إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وقال ذات يوم خطيب بين يديه من يطلع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال له ﷺ « بأس الخطيب أنت أ قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » أنكر ﷺ أن يجمع بين الضمير العائد على الله ، والضمير العائد عليه هو حذر القلو والذهاب مع القلو ، والقلو كما عرفت لا يقف عند حد ، ومن هذا السبيل أمر الخليفة النافذ البصر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويج تحتها الرسول الكريم ﷺ حينما رأى الناس يقصدون الصلاة عندها ، ولما رأى قوماً يتعمدون الصلاة في مسجد كان رسول الله ﷺ صلى فيه أنكر ذلك ونهى عنه ، وقال إنما هلاك من كان قبلكم بمثل هذا ، يقومون آثار أنبيائهم فأنخذوها كنائس وبيعاً ، وقال من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل وإلا فلا يتعمد الصلاة فيها ، وقد سلفت رواية هذا . وقد جاء عن

هذا الخليفة الراشد النافذ البصر بدين الله وبما جبلت عليه النفوس من فلسفة باطلة ومن ترهات متنوعة أباح من هذا محافظة على عقائد الناس وحذراً من الغلو في الاعظام والاحترام ، وجاء أيضاً عن غيره من الصحابة والتابعين وأهل المعرفة والبصر ، نجاء عنهم أنهم أحيانا كانوا يابون الدعاء لمن طلبه منهم ويزجرون من طلب منهم الدعاء ، وذلك خيفة الغلو فيهم ، لأنهم فهموا من حال الطالب ومقامه روح الغلو ومزيد التعظيم والتبجيل ، قد ذكر الامام الشاطبي في كتابه الاعتصام في الجزء الثاني صفحة ١٥٨ أن الطبري روى عن مدرك بن عمران قال كتب رجل الى عمر رضى الله عنه : قاعد الله لى ، فكتب اليه عمر إني لست بنبي ، ولكن اذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك ، قال الشاطبي « فاباية عمر رضى الله عنه في هذا الموضع ليس من جهة أصل الدعاء ولكن من جهة أخرى وإلا تعارض كلامه مع ما تقدم ، فكأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء ، فلذلك قال لست بنبي ، ويدل على هذا ما روى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال استغفر لى فقال غفر الله لك ، ثم أتاه آخر فقال استغفر لى ، فقال لا غفر الله لك ولا لذلك ، أنبى أنا ؟ فهذا أوضح في أنه فهم من السائل أمراً زائداً وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي أو وسيلة الى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم أو يجرى في الناس مجرى السنن الملتزمة

ونحوه عن زيد بن وهب أن رجلاً قال لحذيفة استغفر لى ، فقال لا غفر الله لك ، ثم قال هذا يذهب الى نسائه فيقول استغفر لى حذيفة ، أترضى أن أدعو الله ان تكن مثل حذيفة ؟ ، فدل هذا على أنه وقع في قلبه أمر زائد يكون الدعاء له ذريعة حتى يخرج عن أصله لقوله بعد ما دل على الرجل هذا يذهب الى نسائه فيقول كذا ، أى فسيأتى نساؤه لمثلها ويشتهر الأمر حتى يتخذ سنة ويعتقد في حذيفة مالا يحبه هو لنفسه ، وذلك يخرج المشروع عن كونه مشروعاً ويؤدى الى التشيع

واعتماد أكثر مما يحتاج إليه

وقد تبين هذا المعنى بحديث وواه ابن علية عن ابن عون قال جاء رجل الى ابراهيم فقال يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني . فذكره ذلك ابراهيم وقطب . وقال جاء رجل الى حذيفة فقال : ادع الله أن يغفر لي فقال لا يغفر الله لك فتحنى الرجل فجلس فلما كان بعد ذلك قال فأدخلك الله مدخل حذيفة أنه رضى ؟ الآن يأتي أحدكم الرجل كأن قد أحصر شأنه . ثم ذكر ابراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدث الناس فكرهه . وروى منصور عن ابراهيم قال كانوا يجتمعون فيتذاكرون فلا يقول بعضهم لبعض استغفر لنا . فتأملوا يا أولى الألباب ما ذكره العلماء من هذه الأصنام المنضمة الى الدعاء حتى كرهوا الدعاء اذا انضم اليه ما لم يكن عليه سلف الامة . فقس بعقلك ما ذا كانوا يقولون في دعائنا اليوم بأثار الصلاة بل في كثير من المواطن «

هذا كله ما ذكره الشاطبي . وقال هذه الآثار قد خرجها الطبري في تهذيب الآثار له . قال « وعلى هذا ينبغي ما خرج ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن ناسا من أهل الكوفة يقرؤون عليك السلام ويأمرونك أن تدعو لهم وتوصيهم فقال أقرؤا عليهم السلام وسروهم أن يعطوا القرآن حقه فانه يحملهم أو يأخذ بهم على القصد والسهولة ويحببهم الجور والحزونة . ولم يذكر أنه دعا لهم « ثم قال الشاطبي « وقد جاء في دعاء الانسان لغيره الكراهية عن السلف لا على حكم الاصل بل بسبب ما ينضم اليه من الامور المخرجة عن الأصل «

وما هذا الا قطع لمادة الغلو وحسم لجورثومة الضلالة المتفرعة عن الغلو في التعظيم والاحترام الذي ينادي اليه الجاهلون المترفون . وهذا كله يفسر قول الله تعالى « لا تغلوا في دينكم ولا تتولوا على الله الا الحق »

وليقارن العاقل الناصح لنفسه بين أقوال الرسول الكريم وأقوال السلف النيرة وبين أقوال هذا الرجل وشركائه ليعرف الفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال ، وانور والظلام ، ثم ليسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة من مخاطر الفتن والغوايات ومن شبهات الشياطين وشبهات الضالين المفتونين

(ثالثاً)

قوله « وفضل العلماء على الشهداء وعلى بعض الأنبياء » قول في غاية الغفلة والنكارة . وقد يكون والعياذ بالله من أقوال الكفر والردة . فان غير الانبياء لا يمكن أن يكونوا أفضل من الانبياء ولا يمكن أن يكونوا مثل الانبياء لا في دين ولا في علم ولا في سمو أخلاق ولا في شيء من الأشياء الممتدحة . ومن ادعى أن العلماء أفضل من بعض الانبياء كما ادعى هذا الرجل فقد أعظم على الله الفرية ، وأعظم القدح في الانبياء وفي التهورين من شأنهم . ولن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر ان أحداً من العلماء غير الانبياء أفضل من نبي الله موسى أو ابراهيم أو عيسى أو محمد ﷺ أو غيرهم من الانبياء ، ولا يمكن أن يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالملائكة والانبياء ان أحداً من الناس أفضل من نبي اصطفاه الله بنبوته وبكلامه وخطابه . واذا ما وجد ذلك العالم المزعوم أنه أفضل من بعض الانبياء هو والنبي في زمان واحد أفلا يكون واجباً على ذلك النبي أن يتعلم من ذلك العالم المزعوم أنه أفضل منه وأن يسأله علم ما يخفى عليه وما لا يعرفه وأن يتبع أمره وارشاده . ثم ألا يجب عليه أن يحترمه وأن يعظمه احترام المفضول للفاضل وتعظيم التابع للمتبع للمعلم ؟ لان معنى تفضيل العالم على النبي الحكم على ذلك العالم بأنه أعلم من ذلك النبي ، لان العالم ما فضل على النبي الا من جهة أنه عالم . فالعلم هو الموجب للتفضيل على ما زعم . ومن زعم أن نبياً من الانبياء يلزمه أن

يقوم مع أحد الناس ممن ليس نبيا هذا المقام فما هو من الراشدين ولا من المهديين
وليعلم أن هذا الزعم أى زعم تفضيل بعض العلماء على الانبياء من أقوال الرافضة
ولقد كفرهم القاضي عياض فى كتابه الشفاء لقولهم هذا ومن أقوال بعض الفلاسفة
الكافرين والصوفية الزائعين أيضا . فالفلاسفة الضلال يفضلون الفيلسوف على النبي
لامور زعموها وفلسفة باطلة ادعوها والصوفية الضلال يفضلون الصوفى والولى على
الرسول والنبي لفلسفة ومزاعم أيضا لفقوها . والرافضة تدعى أن أثبتنا الاثنى عشر
أفضل من الانبياء . وهذا من عيون الضلالات والعياذ بالله
وتد قال أحد هؤلاء التائبين المنقطعين فى تيه الضلالة :

مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى

فالولى عند هؤلاء الحيرى أفضل من النبي والنبي أفضل من الرسول . فالولى
أفضل من النبي ومن الرسول لديهم . والقرآن والسنة مملوءان دلائل على كذب
هذا القول . والمسلمون لا يختلفون فى ضلالة قائله ومنتهله . ومن الدلائل على ذلك
أنه لا خلاف فى أن من سب نبيا أو قدح فيه أو كفر به فقد ارتد ووجب قتله
كفرآ . وليس كذلك حكم من سب عالما أو قدح فيه أو كفر به . ولو كان العالم
أفضل من النبي لكان الحكم بالعكس فى العالم الذى زعم أنه أفضل من النبي وفى
النبي الذى زعم أن العالم أفضل منه

(رابعا)

أما جعل الكنيف مسجداً وجعل جلد الشاة حذاء ونملا وجعله أيضا جلداً
للقرآن الكريم كما افترض الرافضى وأن ذلك فى حاكه الاولى لا فضل له بل هو
مهيى محترق وأنه فى الحالة الاخرى مكرم مبجل . فيقال ليس كون الكنيف مهاناً
معناه أن مادته مادة ناقصة قدرة مغايرة لمائر اللواد التى صنعت منها . وليس معنى

جعل له مسجداً كما افترض الرافضى أنه بذلك ينقلب مادة أخرى مطهرة مقدسة مخالفة للمادة التى تنسب اليها من الحجارة والطوب والآجر والجص . ولا أن جدار المسجد وسقفه وأرضه أشياء مقدسة معظمة يلزم الناس اعظامها واحترامها وتقديسها وأن جدر الكنيف وسقفه وأرضه أشياء محقرة مزدرة ناقصة يلزم الناس استقارها وازدراؤها وتقيصها . كلا . . ليس هذا من الحق وليس هذا من الصحيح ، فان الأشياء هي الأشياء وحقاتها هي حقاتها لم تتغير ولم تنتقل من حقيقة الى حقيقة ولا من شيء الى شيء

ولو كان هذا حقاً لكان ما ينقل من المساجد من الأخشاب والتراب معظماً مقدساً محترماً وان فصل عن المسجد . ولكان ما ينقل من الكنيف من الأخشاب والأخشاب والتراب محترماً مزدري وإن فصل عن الكنيف وأزيل منه . ولكن المحترم لدى المسلمين المعظم هو معنى المسجد وما تدل عليه كلمة مسجد لأجل ما يدل عليه ويقارنه من عبادة وصلاة وركوع وسجود لله . ولا يجوز تنجيس تلك البقعة المعدة للصلاة لأن الطهارة الحسية مطلوبة فى الطهارة المعنوية من الصلوات والعبادات جميعاً والطهارتان مقترنتان غالباً فان من طهر معناه طهر ظاهره ومن طهر ظاهره طهر باطنه . وتلويث هذه المواضع المعدة للصلاة بالقاذورات والنجاسات يشمر باحتقار العبادة نفسها التى هي الصلاة . وهذا مأبى لأن أما كن الصلاة يلزم ابعادها عن النجاسات كلها حسية ومعنوية

وأما ببيان المسجد نفسه فليس معظماً من حيث مادته وبنائه ، ومن ادعى ذلك فقد أهدى . الانتجاع . ومن الدلائل على ما نقول أنه قد صرح فى الأحاديث المتكررة عن النبي الكريم أنه قال « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » وقد اتفق العلماء على معنى هذا الحديث سوى ما خصص من عمومه . فهل يجوز جريء أن يدعى أن الأرض كلها معظمة مقدسة لأنها كلها - الا مواضع مخصوصة معلومة -

مساجد يصلى فيها المسلم ويتجه فيها الى الله

ومن الدلائل القاطعة أن المساجد ما عظمت التعظيم المشروع إلا لأجل الصلوات ولأجل إعدادها مواضع لها . فالصلوات بلا ريب هي التي رفعت شأن المساجد فهي بلا نزاع أفضل من بنيان المساجد وأكرم . ومع هذا لا يجوز تعظيم الصلوات ذات الركوع والسجود والقيام والقعود والدعاء والتسبيح التعظيم الذي بعينه هذا الرافضي . وإنما معنى تعظيم الصلاة هو أن الله يحبها ويطلبها من عباده ويجازي فاعلها الجزاء الأوفى ويعاقب تاركها العقاب الصارم الوجيع . أما التعظيم الذي يريده هذا الرافضي فتعظيم من نوع آخر ، وهو تعظيم الخاضع الدليل للقهار المذل وتعظيم الصغير للكبير . وهذا النوع من التعظيم مأبى من المسلم لا يشرع له أن يفعله . ومعلوم أنه لا يشرع للمسلم أن يعظم أعماله من صلاة وصيام وحج وزكاة ودعاء . هذا النوع من التعظيم بل هذا لا يعرفه الناس ولا يخطر على بال سليم ، وعلى كل حال هذا القول لا ينفع هذا المصنف شيئاً ولو سلم له هذا التعظيم المزعوم . لأنه هو يريد أن يتوصل بهذا الزعم الى إياحة تهويل الأضرحة والبناء عليها والتمسح بها والسفر اليها من أقاصى البلاد الى آخر ما زعم وما ادعى . ولا يمكن أحداً من المسلمين لم يقل ان هذه الأعمال المذكورة مشروعة في المساجد وان عظمت وقدست وزعم لها ما زعم . ولا نحسب هذا الشيعي يخالفنا في هذا . واذا كان غير مشروع في المساجد فلن يكون مشروعاً في الضرائح وفي القبور ولدى الأشجار والأحجار

وكذلك لا يعنى بمجمل الجلد نملاً وجلداً للقرآن انه اذا كان جلداً للمصحف كان مقدس المادة معظمها . لا يقول هذا أحد من العقلاء ، ولكن المعظم هو كلام الله وقرآنه . فلما أن كانت اهانة المصحف بأوراقه وجلده تدل عرفاً وعادة على اهانة كلام الله واحتقاره حرم ذلك وامتنع وطلب من المسلمين إظهار الاحترام

لكلام الله ، والذي يظهر الاحترام للمصحف وجلده وأوراقه لا يريد بذلك إلا احترام كلام الله ولا يريد البتة احترام الأوراق والجلد والحبر إلا أن يكون جاهلا وهذا يجب تعليمه ، ولهذا أصبح إحراق المصاحف بأوراقها وجلودها وحبرها . أثيرى هذا أن جلدة المصحف نفسها وورق المصحف نفسه معظمان لذاتهما فيصبح مع هذا إحراقهما وجعلهما للنار وقودا ؟

وها هنا برهان قاطع على فساد كلام هذا الرجل نذكره . هذا البرهان هو أن صدور حفاظ القرآن تقوم مقام الأوراق والجلود والحبر للقرآن الكريم على أقل الأحوال . أثيرى أن الصدور الحافظة للقرآن يجب تعظيمها واحترامها لأنها حافظة فقط ؟ أو لا يرى أن من هذه الصدور ما يجب إهانتها وقرعه لأنه يحمل داء دوا ولأنه يحمل مرضا يسمى مرض القلوب ومرض الاعتقاد ومرض الهوى ومرض الشهوات

فزع هذا الرجل بأن جلدة المصحف في نهاية الاكرام والاعظام من الأقوال الصادرة عن الخطل وضلال الرأي

(خامسا)

وأما قوله : « ومن هذا القبيل البقعة في الأرض كسائر البقاع فيدفن فيها نبي أو ولي فتكتسب فضلا وشرقا وبركة » الى آخر قوله فهو كسائر أقواله بعيد عن التوفيق ومن الصواب فان الأرض لا تتشرف ولا تفضل ولا تعظم بوجود العظماء من الأنبياء والأولياء أحياء فيها . فكيف يكون لها ذلك إذا ما وجدوا فيها أمواتا أو وجد فيها رفاتهم وجثثهم كما أنها لا تفقد الشرف والفضل والبركة إن كان لها شيء من ذلك لوجود الأشقياء فيها من المجرمين والمشركين ومن المفسدين والملحدن فانه لم يضر مكة والمدينة ان حلما المشركون والظالمون

ورؤوس الكفر والضلالة ولم ينفع غيرهما أن حل فيه الأنبياء والأولياء والعلماء والشهداء ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف بوجود العظماء فيها أمواتا لعظمت وشرفت بوجودهم فيها أحياء ، وإذا لم تشرف ولم تعظم بوجود الأنبياء والأولياء فيها أحياء لم تشرف ولم تعظم بوجودهم فيها أمواتا ، ولو كانت البقاع تعظم وتشرف لوجود العظماء فيها من الأنبياء وغيرهم لكانت تحقر ويضيع شرفها وفضلها بوجود الأشقياء فيها ، وإذا لم يضرها من هذه الناحية وجود هؤلاء الأشقياء فيها لم ينفعها من الناحية نفسها وجود الصالحاء من الأنبياء وغيرهم فيها وهذا واضح بين ، وليس هناك دليل واحد يدل على أن الأرض تكسب شرفا وفضلا وبركة بمقدار من يحل فيها ممن لهم شرف وفضل ومنزلة رفيعة سامية ، ولو كلف هذا الشيعى الدليل على ذلك لما استطاع الظفر به ، والدلائل العقلية والشرعية كلها تخالف ما قاله وما ادعاه ، ولو أن القبور تشرف وتبارك وتفضل بدفن الصالحين فيها وحلول رقاتهم فيها أيضا لشرفت البيوت والثياب والأزياء وبودكت بنزول هؤلاء فيها ولبسهم إياها ، ولن يجزؤ بصير بالدين وبالمعقول أن يدعى أن ثوب التقى والولى وبَيْتِهما أشرف وأفضل من ثوب الفاجر والكافر ومن بيته ، ولن يدعى عاقل بأن كفن الصالح أفضل وأكرم من كفن الرجل الطالح . أو يدعى أن البنايات المشيدة على القبور متفاضلة ~~مكتفاضلة~~ أصحابها والذين يدعون مثل هذه الدعاوى ويقولون مثل هذه الأقاويل هم في حاجة إلى التعليم لا إلى المجادلة والمساجلة

والشيعى مصابة بهذا البلاء بلاء الغلو فيما يتصل بالصالحين وما يتصل بمن يدعونهم صالحين فاضلين فانهم يغلون في هؤلاء غلوا قبيحا مستكرها تتجافى عنه المعقول وتفتححه الأبصار . حتى لقد بلغ الغلو بالقوم أن يحملوا معهم الآتية من قبور الصالحين وآل البيت النبوى ويتزودوا بها أيضا ذهبوا كي يسجدوا عليها

ويضعوا جباههم فوقها حينما يصلون لله غلوا وتعظيما ، وهذا من شر الغلو ومن أنباه عن العقل والدين

ولولا التقليد الذى لا عقل له ولا بصر لما وجد من يصنع هذا فى هذا العصر ولكن وا أسفاه فما أضيع البرهان عند المقلد !

وأما البركة التى ادعاها المدافن الصالحين والنبين فلا يدري المسلمون ماهى ولا يدرون أية بركة فى القبور ، وكل ما ذكره هنا من تقييل القبور والبناء عليها وتعليق الستائر والمعلقات فوقها وإرصاد الخدم والسدنة لها ندع القول فيه الى الأبواب الآتية الخاصة به ، وسوف يرى القارىء أن ما قاله هذا المصنف هنا مصادم لنصوص الشريعة مصادمة بينة جلية ، وكذلك ما ذكر من تعريضها للقاذورات والنجاسات ووطء الدواب والكلاب لها ، ثم ما ذكر من تأويل النصوص وتحريفها لأجل مازعه من الدليل على ذلك كله وكل ما لم نتكلم عليه هنا ندع القول فيه الى الأبواب الخاصة به من هذا الكتاب

(سادسا)

قوله إن الله جعل احتراماً لصخرة صماء بسبب وقوف إبراهيم عليها فقال « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » الى آخره يقال فى جواب ذلك إن الاحتجاج بهذه الآية على وجوب تعظيم القبور والصلاة فيها واليهما وتقبيلها والطواف بها كالاحتجاج بقوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » الى آخر الآيات على وجوب الصلاة الى القبور والى شطر القبور وكلا استدلال بقوله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » على وجوب الحج الى المشاهد وقبور الصالحين من النبين والأولياء وكلا استدلال بقوله تعالى « وليطوفوا بالبيت العتيق » على

وجوب الطواف بالأضحية وبالمقامات ويقال في ذلك كله مثل ما قال هذا الرجل هنا : اذا كان الله أوجب استقبال المسجد الحرام وقت الصلاة لأن ابراهيم عليه السلام هو الذى بناه احتراماً وتيمناً وتعظيماً فكيف لا يكون هذا الاستقبال واجبا لمسجد خير الخلق وخاتم النبيين وسيدهم وفيه جسده الطاهر وقبره الشريف وقد صلى فيه ما شاء أن يصلى وقام فيه لله ما شاء أن يقوم ودعا فيه الى الله ما شاء الله أن يدعو . وهو الذى أمر بينائه وقد بنى مع البائين يديه الشريفتين . وقد جاءت فيه الفضائل المتكاثرة وقال فيه عايه السلام « ما بين منبري وبين روضة من رياض الجنة » وقد دفن به هناك أكرم الأجساد على الله وعلى المسلمين بعد الرسول الكريم جسداً أبى بكر وعمر . وان مثل هذا البناء وهذا المسجد الخلق بالاحترام والتعظيم وخلق بأن يكون فرضاً على المؤمنين استقباله في الصلاة وواجباً كما كان ذلك واجباً على المسلمين الى المسجد الحرام لأن ابراهيم خليل الله قد بناه ورفع قواعده وطهره للطائفين والزائرين والساجدين ؟

وكذلك يقال اذا كان الله أوجب الحج الى البيت العتيق وأوجب الطواف به وأوجب سائر أعمال هذه الفريضة ، وهذا البيت لا يزيد في الظاهر عن أن يكون أحجاراً وبناءً وتراباً ، فكيف لا يكون الحج واجباً الى مشاهد الأنبياء والأولياء ومطابخ أجسادهم الطاهرة ورفاتهم الكريم ونفوسهم الزكية : ان مثل هذه المشاهد لخليقة بوجوب هذه الفريضة اليها كما وجبت الى البيت العتيق الذى بناه نبي الله ابراهيم ١١

فان كان هذا الاحتجاج وهذا القول صحيحين مقبولين كان احتجاج هذا الشيعي وقوله صحيحين مقبولين ، وإن لم يكن هذا صحيحاً ولا مقبولاً وهو بلا شك غير صحيح وغير مقبول لم يكن قوله صحيحاً ولا مقبولاً فهما سواء فان صح أحدهما صح الآخر وإن بطل أحدهما بطل الآخر ، وهذا تلميح لا توضيح ، على

أن هذا الرجل لو كان بصيراً حقاً بما يقوله عليهما ، واقع كلامه لعل أنه غلط في هذا الاستدلال والقياس غلطاً مميّناً ، وذلك أنه يستدل بقوله : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى » على أنه يشرع تقبيل القبور والتمسح بها والتبرك وشد الرحال اليها وسائر هاتيك الدعاوي ، ولكن من ذا الذي قال له ان هذه الأعمال تجوز كلها وتشرع كلها في مقام ابراهيم ؟ ومن الذي سلم له وقال انه يجوز تقبيل مقام ابراهيم والتمسح به والاستشفاء وطلب البركة حتى يصح أن يكون دليلاً أو شبه دليل على جواز ذلك في غيره ؟ وقد أخرج الطبري في تفسير هذه الآية عن قتادة أنه قال : إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه

وقد اختلف المفسرون ما المراد بمقام ابراهيم في الآية ، فذهب ذاهبون الى أن مقام ابراهيم هو الحرم كله . أفيرى هذا الرجل أن الحرم كله يجوز تقبيله والتمسح والاستشفاء به وكل ما يدعيه هذا المصنف في المشاهد والقبور ؟ ان كان يجب بالاجاب لم يعا به ولا بجوابه ، لأنه خلاف الاجماع والضرورة . وقد ثبت في صفة حج النبي الكريم ﷺ أنه قام خلف مقام ابراهيم وصلى وقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى »

والذي نراه ونرضاه ، أن الأمر بالصلاة في المقام ليس لأجل أن ابراهيم قام فيه وصلى ، وليس لأنه مقام ابراهيم أو مقام غيره من النبيين ، بل إنما كان ذلك لأنه من بيت الله ، ولأن الله أراد من المؤمنين الصلاة فيه لأمر بعلمه وإن جهلوه ؛ وإنما قيل مقام ابراهيم لأنه معلوم بهذا الاسم معروف به ، ولو كان ذلك لأجل ما ذكره الشيعي لكان مقام سيد الأنبياء وخاتمهم أولى وأجدر بهذا الأمر وهذا الاجاب ، والكان اتباع آثاره والصلاة فيها مطلوباً مشروعاً ، ولكن ذلك ليس مطلوباً وليس مشروعاً بل هو منهي عنه كما تقدم عن الصحابة ومن بعدهم من الخلفاء وأئمة آل البيت ، وقد تقدم أن عمر أنكر على الذين رأهم يتعدون الصلاة

في المسجد الذي صلى فيه الرسول ﷺ وأمر بقلم الشجرة التي وقعت تحتها يعة
الرضوان لما رأى قوماً يعتمدون الصلاة تحتها ، وتقدم رأى علي بن الحسين
المعروف بزين العابدين وروايته ورأى الحسن بن الحسن وروايته ، وتقدم قول
الامام مالك وقول غيره من علماء السلف ، وتقدم قول الامام الشاطبي وغيره من
علماء الاسلام والسنة . تقدم أن السلف بالاجمال كانوا يكرهون اتباع آثار
الأنبياء والصالحين ويرون في ذلك ذريعة عظمى الى عبادة المخلوق والى فساد
العقيدة والتوق والعقل

وليس من ريب أنه لو كان اتباع آثار الأنبياء والصالحين مرغوباً فيه لفعله
السلف وتعبدوه ولفعله الصحابة وأئمة الاسلام المرغوب فيهم وفي الاقتداء بهم ،
ولكن لا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المعترف لهم بالامامة
الدينية أنه تعبد شيئاً من ذلك ، فلا يحفظ عن أحد منهم أنه تعبد غار حراء أو
غار ثور أو غيرها ليصلي فيه أو ليدعو أو يتحنث كما كان يفعل ذلك رسول الله
ﷺ ، ولو أنهم كانوا يعلمون في ذلك فضيلة وأجرأ لتسابقوا اليه ولبادروا الى
الآخذ به ، ولو أنهم كانوا يفهمون من شرعة الحج وقصد مشاعره ومن قوله تعالى :
« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلًى » هذه الروح وهذا المعنى الذي يذكره هذا
الرافضى لكانوا بلا شك من السابقين اليه العاملين به ، ولا يجرؤ لا هذا الرجل
ولا غيره أن يدعى أنهم كانوا يقصدون ذلك ويفعلونه كما لا يقدر أن يدعى أنهم
كانوا يعرفون في ذلك فضلاً وأجرأ فيرضون عنه ، كما لا يقدر أن يدعى أنهم كانوا
جهلوا هذا الفضل جهلاً تاماً عاماً حتى جاء هذا الرجل وغيره من الغلاة فهدوا اليه .
هذه أمور واضحة بيّنة

وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الجزء الثامن من كتاب فتح الباري
شرح صحيح البخاري ما يأتي :

« تمكلة : قال ابن الجوزى إنما طلب عمر رضى الله عنه الاستئذان ^(١) بإبراهيم عليه السلام مع النهى عن النظر فى كتاب التوراة لأنه سمع قول الله فى حق إبراهيم « أنى جاعلك للناس إماماً » وقوله « أن اتبع ملة إبراهيم » فلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة ، ولكون البيت مضافاً اليه وأن أثر قدميه فى المقام كرقم البانى فى البناء ليزكر به بعد موته ، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناء . انتهى وهى مناسبة لطيفة » انتهى كلام ابن حجر ومعنى هذا الكلام أن الله أمر بالصلاة فى مقام إبراهيم اقتداء به عليه السلام لا كما يدعى هذا الرافضى وقوله هنا « لأن احترام من جعل الله له حرمة احترام لله وعبادة » تقضى على ما قاله فى الأمر الرابع عشر فى معنى العبادة فإنه زعم هنا أن الاحترام عبادة لله وفى الأمر الرابع عشر ارتاب جداً فى معنى العبادة ولم يدر ما هو وأيقن أنها ليست هى العبادة القلبية ولم يجعل منها نهاية التعظيم والاحترام ولا الدعاء والتضرع لله بل ولم يجعل دعاء الله هنالك عبادة لله شرعية ، وهنا اعترف بأن الاحترام عبادة ، بل اعترف بأن احترام الصالحين والأنبياء عبادة لله

وحيث يقال له إذا كان احترام الصالحين عبادة لله فكيف لا يكون احترام الأحجار والأشجار عبادة إله وإما لغيره ؟ وأحسب أن هذا الرجل لا يمكن أن يدعى أن احترام الأحجار والأشجار عبادة لله ، وإذا لم يكن عبادة لله كان عبادة لغيره إذا ما كان الاحترام عبادة كما يدعى هنا وأما لو ادعى أن احترام الأشجار والأحجار وتعظيمها عبادة لله لكان هذا ادعاء أن المشركين وحيدة الأحجار والأشجار والتماثيل غير مخطئين وغير ضالين ، وإمكان هذا ادعاء يخالف الإسلام جبراً ، ومن ادعى وجوب احترام القباب المشيدة على القبور ، واحترام الشبايك والستائر المنصوبة على أضرحة الصالحين والنبیین ، واحترام الأبنية القائمة فوقها

(١) وذلك أن عمر طلب الى الرسول الصلاة فى مقام إبراهيم

- لأن ذلك كله متصل بذلك النبي أو بذلك الولي ومنسوب اليه - لكان مثل هذا الادعاء وجوب احترام الارض التي وطئها الصالحون والنبيون ، والمنازل التي نزلوها ، والبيوت التي ملكوها وسكنوها ، والكهوف التي حلوها ، والآثواب التي لبسوها ، والأشياء التي لمسوها ولا مسوها ، ومن ادعى وجوب تعظيم ذلك كله واحترامه على النحو الذي يريده هذا الرافضى كان بلا ريب من المالكين المبغضين ولا مسرة ولا كرامة

وليعلم أن من جملة معاني التعظيم والاحترام بل من شروط ذلك لدى هذا المصنف التثمين والطواف والتسبح والتبرك والبناء وتعليق الستائر والزينات الى آخر ما تصنعه الشيعة لدى القبور المعظمة . فن تعظيم الامر واحترامه عند هذا الشيعة تثمينه والطواف به والتسبح والتبرك والاستشفاء به . فإذا ما ادعى وجوب تعظيم كل ما يتصل بالأنبياء والصالحين - وهذا ما يدعيه - فقد ادعى جهرة وجوب تعظيم كل البلاد والمنازل والغيران والاحجار والأشجار والآثواب والجمادات والحيوانات التي اتصل بها نبي أو ولي ، وبعبارة أوضح وأصح فقد ادعى وجوب تثمين ذلك كله واستلامه والطواف به والتسبح والتبرك والاستشفاء به ، ومن ادعى أن هذه الأمور كلها من الدين فقد اعترف جهاراً بالشرك وبعبادة الأصنام والأحجار وآتى بأمر الدواهي وكبرى الكبريات ، ونعوذ بالله من هذا

وقوله : « فهو كتثمين الحجر الأسود وتعظيم الكعبة والمساجد والتبرك بجماء زمزم وسجود الملائكة لآدم » جوابه أن تقول قد قلنا الكلام عليه في صدر هذا الكلام

وقوله : « وإن كان لورود النعي فانه لانعى كما سوف يجيء » جوابه يأتي فيها يأتي

الامر السادس عشر

قال الرافضى : « الأحكام لا تغير للموضوعات . فاذا كان الموضوع على حالة أو صفة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم ، وهذا من البديهيات التى لا يشك فيها من عنده أقل إلمام بالعلوم . مثلاً اذا حرم الشرع شتم زيد أو أوجبه وكان الشتم فى نفسه مع قطع النظر عن الحكم بتحريمه أو وجوبه إهانة لزيد لا يصير بعد التحريم أو الوجوب احتراماً له ، وصحذا لو أوجب إضافة زيد أو حرماً وكانت فى نفسها إكراماً له لا تصير بعد إيجابها أو تحريمها إهانة له ، واذا كان تعظيم الخلق واحترامه والتبرك به والقيام فى خدمته بغاية الذل والخضوع وما أشبه ذلك عبادة له وشركاً بالله فاذا أوجب الله تعظيم الخلق واحترامه والتبرك به وإطاعته والذل والخضوع له ، ونحو ذلك لم يخرج هذا الوجوب عن كونه عبادة وشركاً ، بل يكون الله قد أوجب الشرك وعبادة الخلق ، لأن الحكم لا يغير الموضوع

« اذا عرفت هذا فاعلم أن وجوب تعظيم الخلق من جاد وانسان واحترامه والتبرك به وإطاعته والقيام فى خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم فى هذا ثابت فى الشرع بلا شك ، فقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ، ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما ، وأمر بطاعة الرسول وأولى الأمر وبالإتجار بأمره والانتهاه عن نهيه وعدم رفع أصواتنا فوق صوته ، وأمر بتعظيم المساجد والكنية والطواف بها وتعظيم الزام والحجر الأسود وبئر زمزم والتبرك بمائه وتعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد فى الشرع ، فلا بد حينئذ من التزام أحد أمرين إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركاً ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غيره ، ولما كان الشرك قبيحاً ، نهياً عنه موجباً للخلود فى جهنم ، يغفر الله ما دونه ولا يغفره بنص القرآن لم يمكن أن يأمر الله به ، فتمين

القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك ، انتهى كلام الشيعي
والجواب على هذا من وجوه :

(أولاً)

قوله الأحكام لا تغير الموضوعات الى آخره ، إما أن يريد أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات أو يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الموضوعات وماهيتها ؟ انه يريد بلا شك الأول بدليل ما ذكره من المثل بعد ذلك كشم زيد وإضافته وكذا ما ذكر من تعظيم المخلوقات والتبرك بها وسائر ما ذكره في هذا ، فانه كله يدل على أنه يريد أن أحكام الموضوعات لا تغير أحكام الموضوعات ، وليس يمكن أن يكون يريد أن الأحكام لا تغير نفس حقيقة الموضوعات وماهيتها ، فان ذلك لا يناسب موضوع البحث ، ولا يخالف فيه أحد ، ثم لا يحتاج الى الكلام والاحتجاج ، ولو أنه أراد هذا وأقام عليه الدليل الجلي لما أفاده شيئاً البتة ، لأن موضوعنا هنا يتعلق بأحكام الشرعيات وأحكام الأشياء ولا يتعلق بحقائق الأشياء وحقائق الموضوعات ، وهكذا مباحث الشرعيين جميعاً متعلقاً بأحكام الأشياء لا حقيقة الأشياء ، وإلا لو فرض أنه يريد الثاني أى يريد أن الأحكام لا تغير حقيقة الأشياء نفسها ثم أتى عليه بالحجج الكافية لما كان هذا دالاً على ما يريد إثباته هنا ، فإنا نقول آمنا واعترفنا أن أحكام الأشياء لا تغير حقيقة الأشياء ولا تغير حقيقة الموضوعات ، فإذا عساه يستفيد من هذا ؟ انه لا يدل مطلقاً على أن أحكام الموضوعات لا تغير وهو يريد هنا تناول الأشياء وأحكامها لا حقيقةها وماهيتها وإذا قد علم أنه يريد ما هنا أن الأحكام لا تغير أحكام الموضوعات احتيج مرة أخرى الى معرفة الأحكام التي لا تغير الأحكام ، وورد سؤال : ما معنى الأحكام لا تغير الأحكام ؟ فان ظاهره قاسد ، نهافت متدافع . وليس هذا من

الكلام الواضح الصحيح ، فليس من الصحيح أن يقال إن أحكام الموضوعات لا تغير أحكام الموضوعات ، فانه إن كان يعنى بالأحكام فى الأول والثانى الأحكام الشرعية كان هذا غير صحيح ، فان الأحكام الشرعية إذا وردت على الأحكام الشرعية كانت الأحكام الأخرى ناسخة للأحكام الأولى إن كانت مخالفة لها ، ومؤيدة مقوية إن كانت موافقة لها ، ومن المهود فى الشرع النسخ والتأييد والتقوية فإذا يريد إذن ؟ الذى يبدو لنا أنه يعنى أن الأحكام الشرعية على الأشياء لا تغير أحكام الأشياء العادية ، فإذا كان عند الناس زواج الأمهات والبنات فى عصر من العصور فى قطر من الأقطار حسناً وجيلاً فنزلت شريعة من السماء تنادى بتحريم هذا النوع من الزواج ذاكرة أنه من القبائح المحرمة شرعاً ، لم يكن هذا الحكم الشرعى السامى مغيراً لحكم العادة القاضى بأن هذا النوع من الزواج حسن لا قبيح وهذا كالتلحين المذكورين فى إضافة زيد وشتمه . فإذا كان هذا هو ما يعنى قيل له لا ريب أنه غلط جلى ظاهر ، فان أحكام الشريعة على الأشياء أو الموضوعات كما يعبر الشيعى تغير أحكام العادة والعرف على الأشياء أو الموضوعات كما يعبر الشيعى بلا خلاف بين المسلمين ، فقد تحكم العادة بأن شيئاً من الأشياء حسن جميل لا ينجس قاعه ولا يتنم بل وأنه إيمان وطاعة لله فتأتى الشريعة المنزلة من السماء فتغير حكم العادة والعرف وتبديل معاملة ، وتنقض بأن ذلك الشيء الذى حكم عليه العرف بالحسن والجمال والإيمان قبيح وشر وكفر وشرك بالله ، وقد يكون عكس ذلك تماماً . فتحكم العادة على الشيء بالقبيح والشر فتأتى الشريعة فتحكم عليه بالحسن والطاعة . وهذا مما لا نزاع فيه

والشرائع السامية ما جاءت بالأجمال إلا لتغير أحكام العادات الباطلة ،
وتبديل معامها

ولقد كنت - كم العادة عند الناس قبل الإسلام جواز عبادة الأصنام

والأشجار ، وعبادة الأصنام والأوثان والصلحين . وكانت هذه العبادة عند أولئك القوم جميلة ورضا لله وللآلهة المعبودة . فأتى الاسلام وحكم بأن تلك العبادة قبيحة وكفر بالله وفضب له وعصيان . وعصيان لنفس من كانوا يعبدونهم من الأنبياء والصلحين . فغيرت الشريعة السماوية حكم العادة . فصار الناس الذين كانوا يرون تلك العبادة عقلا وطاعة لله يرونها جهلا وعصيانا له . وكذلك كان حكم العادة في ذلك العصر عند أولئك الناس يرى من الحسن والطاعة وأد البنات والبنين خشية الفقر وخشية العار ، فجاء الاسلام وحكم بأن هذا الوأد قبيح شنيع ، وإثم كبير ، فصار الناس يعدونه قبيحا شنيعا حتى الذين كانوا يصنعونه

وكذلك كانت عند الناس في ذلك العصر أنسكة كثيرة يصفونها بالجمال والجواز والحسن . فجاء الاسلام حاكما على تلك الأنسكة بأنها القبح والشناعة الشنعاء فصارت قبيحة شنيعة عند الله وعند الناس

وكذلك يقال في كثير من عبادات المشركين وعاداتهم فانهم كانوا يرونها جميلة فجاء الاسلام وحكم عليها بالقبح فصارت كذلك ولم يبق لها ما كان يظنه الجاهلون من الحسن والحل والجواز

وقد تجرى عادة قوم في عصر من العصور على أن شيئا من الأشياء القولية والفعلية أمر يمتدح به ويفتخر ، فتأتى شريعة الاله وتحكم على ذلك الشيء الممتدح به الممتدح أنه أمر قبيح يذم فاعله ويعاب فيصبح كذلك في عرف أولئك القوم الذين كانوا يرون ذلك الرأي فيه . وقد يكون عكس ذلك . وهذا أمر لا يتنازع فيه . . .

وإذا كانت العادة تغير حكم العادة - وهذا مما لا خلاف فيه أيضا - فإن حكم الشريعة الالهية لن يكون دون ذلك ، ولن يمجز عما قدرت عليه العادة وحكم العادة . وقد تحكم عادة عصر وقوم بأن أمرا من الأمور حسن فتأتى عادة عصر

آخر وقوم آخرين فتحكم بأن ذلك الأمر عينه قبيح مذموم فاعله ، وإذا ما كانت العادة كذلك فالشرعية لن تقل عن أن تصنع صنم العادة بالعادة . هذه حقائق واضحة جلية أولية . وهي لا تتعلق بموضوعنا كثيراً لولا أن هذا الرفض حشدنا ، وحشرها في بحثه . فكان لزاماً علينا أن نتعرض لها تعرض موجز مختصر عجل . . .

وما ذكر من شتم زيد وإضافته ليس صحيحاً ولا حقاً أيضاً ، فإن المثالين كما ذكرنا ليسا موافقين لبحث المسألة ولا ملائمين لما يراد ، وإنما يصح المثالان أن يقال ليفرض أن شتم زيد كان عدلاً وجائزاً وغيراً لشتمه فجاء الشرع وحكم بأن شتم زيد ظلم وعيب في شتمه ، أفلا يكون بعد حكم الشرع عليه بأنه ظلم وعيب كذلك ؟ وكذا ليفرض أن الضيافة كانت مطلقاً مكروهة معيبة في الضيف والمضيف ، فجاء الشرع وحكم عليها بأنها جميلة وفضيلة في الاثنين معاً ، أفلا تكون كذلك ؟ أظن الجواب نعم ، هذا ما لا شك فيه

فلاريب إذن أن أحكام الشرع تغير أحكام العادة واصطلاحات الناس على الموضوعات وتربهم ما كانوا يعدونه عيباً وعاراً فضيلة وغيراً ، وما كانوا يعدونه فضيلة وغيراً عاراً وعيباً

(ثانياً)

قوله : « وإذا كان تعظيم المخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بقاية الذل والخضوع عبادة له وشركاً بالله فإذا أوجب الله ذلك لمخلوق ، لم يخرج الإيجاب عن أن يكون عبادة وشركاً ، بل يكون الله قد أوجب عبادة المخلوق والشرك به » يقال في جوابه محال أن يوجب الله تعظيم مخلوق والتبرك به والقيام في خدمته بقاية الذل والخضوع ، ومحال أن يبيح الله ذلك لعبد من عباده لا الأنبياء ولا من

دون الأنبياء . والله لا غيره هو الذي يجب على العباد أن يعظموه غاية التعظيم وأن يقوموا في خدمته وطاعته بغاية الذل والخضوع . وغيره سبحانه لا يجوز له ذلك البتة

وأى مسلم يجرؤ أن يقول إن العبد المسلم يعظم عبدا آخر غاية التعظيم ويقوم في خدمته بنهاية الذل والخضوع ؟ وإذا ما كانت غاية التعظيم جائزة لغير الله وكانت غاية الذل جائزة لغيره تعالى وكانت غاية الخضوع جائزة لعباد الله فما الذى بقى لله من ذلك . وما الذى يجب إفراده به من التعظيم والخدمة والخضوع والذلة ؟ انه لا شئ لله حينئذ من ذلك

أليس أكبر مظاهر الخضوع والذل والتعظيم هو السجود والركوع . ثم الصلاة جملة ! وهل هنالك مظهر لغاية الذل وأبلغ الخضوع أعظم من السجود والركوع والصلاة ؟ أقول هذا الشيعى ان السجود والركوع والصلاة لغير الله من جناد وحيوان وحجر وشجر جائزة لأن هذه الأمور هي أعظم مظاهر الخضوع وأبلغ الذل والتعظيم ، وقد قال إن ذلك جائز لغير الله ، ان كان يجب عنده حقا أن يعظم المخلوق من جناد وحيوان وإنسان غاية التعظيم ويذل له غاية الذل ويخضع له غاية الخضوع تقربا الى الله وتدينا كان ولا ريب واجبا السجود والركوع والصلاة للمخلوق : الأنبياء ومن دون الأنبياء . لأن هذه الاشياء هي غاية مظاهر الخضوع والذلة البالغة ؟ وإذا كان السجود والركوع والصلاة جائزة لغير الله كان غير الصلاة من العبادات كالحج والنذر والذبح والصيام والزكاة وغير ذلك جائزة أيضا لغير الله . وكان جائزا للمسلم المؤمن أن يؤدي جميع العبادات العملية والقولية من واجبات وسنن للأنبياء وغير الأنبياء من حجر وشجر وناطق وصامت تقربا الى الله بذلك إذ لا يمكن أن يقول قائل يعقل مايقول بجواز الصلاة والركوع والسجود للمخلوق ثم يقول ان العبادات الأخرى كالصيام والزكاة والحج لا تجوز

إلا الله فالنتيجة التي لا ريب فيها لكلام هذا الرجل جواز جميع العبادات الفعلية والقرولية لغير الله تقربا الى الله

وإذا كانت العبادات كلها تجوز بل نجب للعباد فما الذي بقي لله وحده لا شريك له ، وبماذا يوحد الموحدون ؟ الجواب وا أسفاه لا شيء

ما أبعد مزاعم هذا الرجل عن القرآن وعن روح الاسلام ومعنى الاسلام وما اتفقت عليه كلمة المسلمين ، وعقدت عليه ضائمهم ، وما أكثر هذه المزاعم الخاصة لقوله تعالى « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » ويقول تعالى « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين » ولنظير قوله « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله » ولقوله أيضا « وأنبيوا الى ربكم وأسلموا له » وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين ألا الله الدين الخالص » وقوله « فايبي فارهبون » وقوله « فلا تخشوا الناس واخشون » وغير ذلك من آي الكتاب

ولو أن فطينا تدبر كلمة « ومحياي ومماتي لله رب العالمين » وخلص من الأوهام وحقايل العقائد الطاغية لكفته دليلا وحجة على أن الاسلام يريد من أهله أن يخلصوا لله جملة وأن يهبوه كل خضوعهم وخشوعهم وذلم وخوفهم وقلوبهم وقوايلهم وأن يهبوه ذلك كله وحده لا شريك له وألا يهبوا غيره منه لا قليلا ولا كثيرا وقد سمى الله الدين النزل على جميع الانبياء (الاسلام) وكلمة الاسلام صريحة في أن المسلم هو الذي يستسلم لله وحده ويسلم له كل شيء فيه ويعمنحه ظاهره وباطنه ومادته ومعناه لا يشرك به شيئا . ولعل من العجائب أن تكون هذه الآيات بعض مافي القرآن ثم يذهب من يدعى الايمان بالقرآن ومن يدعى الاسلام يزعم ويكتب زعمه في كتاب ينشره على الناس أنه واجب على المسلم أن يخضع غاية

الخصوع ويذل غاية الذل للمخلوقات لا الأنبياء وحدهم بل ولا الانسان وحده بل
للعباد من أحجار وأشجار . وقد قدمنا أن الصعابة ما كانوا يقومون للرسول
الكريم تعظيماً له وإكباراً . لأنهم كانوا يعلمون كراهيته ذلك وقدمننا أنه أنكر
عليهم القيام وراءه في الصلاة قائلاً « ان كدتم تفعلون فعل فارس والروم . فلا
تفعلوا » وأنه نهاهم عن القيام له في مواضع معلومة . ولهذا ما كانوا يقومون له
وهذا معلوم بالنقل الصحيح . وعجيب أن يتأني الرسول القيام لنفسه ولمن هو دونه
ويدع ذلك المسلمون رعيًا لكراهية النبي عليه السلام ثم يقوم مسلم يدعى بأن
الجمادات والمخلوقات يجب تعظيمها غاية التعظيم ويجب الخضوع لها غاية الخضوع
والذل لها غاية الذل !

وفي كتاب نهج البلاغة المنسوب الى الامام على الذي تزم الشيعة أنه أعلى
وأسمى مما ثبت في البخاري ومسلم ما يأتي :

« قال ولقد لقي علياً رضي الله عنه عند مسيره الى الشام دهاقين (١)
الانبار (٢) فترجلوا له واشتدوا بين يديه . فقال ما هذا الذي صنعتوه ؟ فقالوا
خلق منا نعظم به أمراءنا . فقال على والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم ، وانكم لتشقون
به على أنفسكم في دنياكم وتشقون به في آخرتكم . وما أخسر المشقة وراءها
العقاب . وأريح الدعة معها الامان من النار »

فاذا كان مثل هذا منكراً عند على رضي الله عنه مؤاخذاً عليه عند الله فاعجب
أن يجوز ما يصحبه هذا الرافضي للانسان والجماد من التعظيم والذلة والخضوع
وقد قدمنا أيضاً أن رسول الله عليه السلام أنكر على رجل قال له ما شاء الله وشئت
وقال له أ جعلتني لله نداً بل ما شاء الله وحده . وأنكر على من قام بين يديه وقال
خطيئاً : من يعلم الله ورسوله فقد رشد . ومن يصمها فقد غوى . وقال له بئس

(١) الدهاقين زعماء الزراع (٢) الانبار بلدة في العراق

الخطيب أنت . قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى . وهذا في صحيح . سلم وأنكر على من قالوا له نستشفع بك على الله قائلا « شأن الله أعظم من ذلك . انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » . وقد حضر سارق بين يديه وقال أتوب الى الله لا إلى محمد . فقال عليه السلام : « أما هذا فقد عرف الحق لأهله » وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من السماء وقال لها أبواها قومي الى رسول الله واشكركه : كلا والله لا أحد إلا الله ولا أحد غيره فهو الذي أنزل براءتي . وهذا في صحيح البخاري وغيره . وأنكر قول من قالوا له أنت سيدنا وابن سيدنا قائلا لم : أيها الناس لا يفوينكم الشيطان ولا يفتنكم ، وكان من أقواله المشهورة الصحيحة : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم . إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » الى أشياء أخرى كثيرة في هذا الباب

فمن العجب أن تكون هذه من أقوال الرسول الكريم ﷺ ثم يقوم من يدعي الاسلام مدعياً أن المسلم يجب عليه أن يخضع لعبد مثله غاية الخضوع وأن يدل له غاية الذل وأن يعظمه غاية التعظيم ، ثم يزعم هذا القائل بأقواله هذه ويعجب بها فيضعها في قرطاس يحاول أن يشره بين الناس ليروا رأيه

ثم من العجب ألا يكون هذا التعظيم وهذا الذل والخضوع واجباً للأنبياء وللإنسان فقط بل يدعى أنه واجب للحيوان والجماد والحجر والشجر أيضاً ، ثم يقول بعد هذا إذا فرضنا أن هذه الأشياء المذكورة عبادة لمن كانت له ، ثم فرضنا أن الشارع أمر بها مخلوق نبى أو ولى أو حيوان أو جماد لم يلزم أن يكون الشارع أمر بعبادة غير الله ولا بالاشراك به ولم يلزم أن تكون الأمور المذكورة المأمور بها عبادة وإن كانت قبل الأمر بها عبادة ، هذا معقول على رأى هذا المصنف ، ونظيره عنده أنه ذكر في الأمر الرابع عشر أن السجود من جملة العبادة ، وأن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وأن يعقوب وبنيه وزوجه سجدوا ليوسف ثم ذكر في

هذا الأمر أن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره ولا أن يأمر بالاشراك به ، فالسجود إذن باعترافه عبادة والله أمر به للمخلوق باعترافه أيضاً ، والله لا يأمر بعبادة غيره باعترافه أيضاً ، إذن فالسجود كان عبادة فلما أن أمر الله به المخلوق لم يكن عبادة ولا أمراً بعبادة غيره لأن الله لا يمكن أن يأمر بعبادة غيره كما يقول هذا الشيعى وهذا نقض على قوله هذا بين ظاهر لا حيلة له في دفعه

(ثالثاً)

قوله « أن وجوب تعظيم المخلوق من جماد وانسان واحترامه والتبرك به وطاعته والقيام في خدمته بغاية الذل والخضوع وما ينتظم في هذا السلك ثابت في الشرع » قول هو إحدى مصائب الدهر ومآسيه

كان الناس العقلاء يزدرون عقول عباد الشمس والقمر وعباد النار والبرق وعباد الكواكب والحيوانات وعباد الانسان والجان والملائكة : كانوا يزدرون عقول هؤلاء الذين فتنوا بهذه المخلوقات فمظموها وذلوا لها واسقطوا الخضوع والمهانة والخوف والرجاء لها ، فاذا بامام من أئمة الشيعة ومجتهديهم ، من يدعى بالمجتهد المطلق وبالسيد الأمين يتوقل الدرجات ويسمو ثم يسمو فيسمو على الأقران والفرسان في هذا الميدان ، فيذهب يزعم أن المسلم صاحب دين التوحيد المصطفى الخالص ، وصاحب القرآن دين التوحيد والافراد يجب عليه أن يهون ثم يهون ويذل ثم يذل ويخضع ثم يخضع حتى يهوى ويسرف في الهوى والانحدار حتى يضع نفسه في سفلى الدركات ، ويصير تحت أرذل المخلوقات فيذل غاية الذل للجهادات ويخضع لها غاية الخضوع ويعظمها غاية التعظيم ، ثم لا يكفيه هذا كله بل يذهب يقول ويكتب ما يقول : انه واجب على المسلم أن يقوم في خدمة الجهاد من حجير وشجر بغاية ما يقدر عليه من خشوع وخضوع وذلة وخشية ، ثم لا يكفيه هذا كله

يل. يذهب يطلب البركات من الجماد كالأحجار والأشجار ، والبركات هي الزيادات ، أى يذهب يطلب الزيادة من هذه الجمادات ، الزيادة في العمر وفي المال والعقل والروح والدين والبنين ، وفي الماديات والروحانيات ، ممن يطلب هذا ؟ انه يطلبه من الجمادات الأحجار والأشجار والصخور والرمال ، ماذا يطلب منها ؟ انه يطلب منها البركات ، وعلى حد تعبيره هو يتبرك بها ، وماذا يعنى بالتبرك ؟ انه يعنى به طلب البركات أى الزيادات ، ثم يعنى به العكوف عليها والتمسح بها والتقبيل لها وتقريب القرابين اليها والاقطاع على وجه الاجمال اليها ، أهذا كله يصنعه المسلم للجماد الصامت ؟ أجل ، ثم لا يكتفى كل هذا بل يجب عليه أيضا أن يطعم الجمادات وأن ينقاد لأوامرها وينزجر عن نواهيها ، أو يمكن أن تأمر الجمادات وأن تتكلم حتى تمكن طاعتها والامتثال لأمرها ؟ أجل انها تقول وتتكلم ولولا ذلك لما قيل يجب طاعتها

يا لله لدين الاسلام ودين التوحيد من أصدقائه الذين هم أضر عليه من أعدائه ومن القائمين للدفاع عنه الذين هم أشد ايقاعا به من خصومه ؟ ويحك يا هذا ! ! اذا كان هذا كله جائزا أن يعمل المسلم للمخلوقات كلها حتى الجمادات والصامتات فما الذى بقى لمبدء الأصنام والمشركين والكفار ؟ وبماذا كان المشركون مشركين والكفار أعداء النبوة والأنبياء كافرين اذا كان تعظيم الجمادات غاية التعظيم والذل لها غاية الذل والخضوع لها غاية الخضوع من الاسلام ومن الايمان بالله ؟

أليس غاية الذل والخضوع والتعظيم هو الصلاة والركوع والسجود كما قلتم آنفا . فهل تقول انه جائز أن يصلى المسلم وأن يركع ويسجد للجماد وأن يصوم له ويذكر ويحج وينذر ويذبح ؟ ويح هذا ! ماذا بقى للمشركين بعد هذا ؟ ارجع الى كتب (الملل والنحل) وكتب (السير والأصنام) والى كتاب

(الملل والنحل للشهرستاني) في مباحث عبدة الأصنام وعبدة الأفلاك والشمس والقمر والكواكب كى تعلم كيف كانت عبادة هؤلاء للأصنام وللكواكب وكيف كانت الوثنية والشرك والكفر . إنك اذا رجعت الى ذلك وجدتهم يفتلون ويصنعون شرك المشركين بشكل قد لا يبلغ من الغلو والمغالاة فى الغلو ما تزعمه للجماد والانسان من التعظيم والذلة والخضوع ، وطلب البركات ، وضروب الحاجات

قال الشهرستاني فى كتابه المذكور تحت عنوان « عبدة الأصنام » :
« ولكن القوم لما عكفوا على التوجه الى الأصنام وربطوا حوائجهم بها من غير إذن ولا حجة ولا برهان ولا سلطان من الله ، كان عكوفهم ذاك عبادة وطلبهم الحوائج منها إثبات إلهية لها ، وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى ، فلو كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالوهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب »

وقال تحت عنوان (عبدة الكواكب) : « وهي (أى الشمس) ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والهداء ، ومن سنة عباد الشمس أن اتخذوا لها مناهل بيت خاص ووقفوا عليه ضياعاً وقرى وله سدة وقوام ، فيأتون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه أصحاب الملل والأمراض فيصومون له ويصلون ، ويدعون ويستشفعون به » . وقال الشهرستاني أيضاً تحت عنوان « آراء العرب فى الجاهلية » :

« أول من وضع الأصنام فى البيت عمرو بن لحي لما ساد قومه بمكة واستولى على أمر البيت ثم صار الى مدينة البلقاء فى الشام ، فرأى قوما يعبدون الأصنام ، فسألهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل المياكل العلوية والأشخاص البشرية فنسهر بها فنسهر ونسقى بها فنسقى ، فأعجبه ذلك وطلب منهم مناهل

من أصنامهم فدفعوا له « هبل » فسار به الى مكة ووضعها في الكعبة وكان معه أساف ونائلة ، فدعا الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله « قال « والعرب أصناف في ذلك صنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا لها القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحلوا وحرموا وهم الدهماء من العرب »
ثم قال الشهرستاني بعد هذا :

« فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتي ملك من السماء (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الأصنام المنصوبة . أما الامر والشرعية من الله اليها فهو المنكر فيعبدون الأصنام التي هي الوسائل ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا . وكان ود لكلاب وهو بدومة الجندل وسواع لهذيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له : ويعوث لمذحج ولقبايل من اليمن . ويعوق لهمدان . ونسر الذي الكلاع بأرض حير . وأما اللات فكانت لتقيف بالطائف والعزى لقريش وجميع بني كنانة ومناة للاوس والخزرج وضان . وهبل أعظم أصنامها عندهم ، وكان على ظهر الكعبة أساف ونائلة على الصفا والمروة وضعهما عمرو بن لحي وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وكان لبني ملكان من كنانة صنم يقال له سعد وهو الذي يقول فيه قائلهم :

أتينا الى سعد ليجمع شملنا فشدتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بقنوفة من الارض لا يدعولفى ولا رشد

وكانت العرب إذا لبث وأهلت قالت : لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » وقل غير ذلك وكذا قل غيره كابن هشام وغيره وأنت ترى من هذه النقول التي لا خلاف فيها بالجملة بين أهل العلم أن عبادة

الأصنام كانت عبارة عن تعظيم صور الافلاك وصور البشر المختارين المصطفين وتعظيم الاحجار والاشجار والذلة والخضوع لها وتقريب القرابين والهدايا اليها والاستشفاء بها . وما يشابه هذا . وهذا هو ما يزعم هذا الرجل أنه مطلوب من المسلمين أن يعملوه كله لاجهاد وللايحاء والمصلحين على أن هذا الرجل يتوقعهم في تعميم هذه العبادة وهذا التعظيم ، الخضوع ، التبرك . والذلة للمخلوقات من الاحجار والاشجار وآثار الانبياء والارباب . أما المشركون الذين حدثنا عنهم المؤلفون الثقات وحدثنا عنهم القرآن فما كانوا يعمدون بعبادتهم جميع المخلوقات من إنسان وحجر وشجر وجهاد صامت بل كانوا يختارون من ذلك ما يختارون ، يخلصون ما يخلصون من صور الافلاك النيرة العلوية وصور البشر المظلمة المخصوصين بالنسبة ، الولاية . كما يخلصون الملائكة لرفعة قدرهم وقربهم من الله ، وما زعموا زعم هذا المسلم الشيعي ، ما عمدا تعميمه ولا أباحوا ما أباح وهذا ظاهر -

والمؤلم حقاً أن يزعم أن هذا ثابت في الشرع ، أين في الشرع ما يأمر بتعظيم الجمادات وما يأمر بالذلة ، الخضوع لها وطاعة أوامرها لو كانت لها أوامر وما يأمر بالقيام في خدمتها بزيادة الذل والخضوع وما يقوم هذا المقام ؟ هذا ما لا يجد إليه سبيلاً وهذا ما يبني طلبة

هذا القرآن من الدقة الى الدقة ، ومن القاطعة الى المؤقتين ، ومن المؤقتين الى القاطعة ، أو من الله الى يائه كما يقولون ، بأمر بالخضوع وسرامة بعبادة الله والذلة له والرغبة والرهبة منه والخشوع والخضوع بين يديه وأن يخلص له الدين والرجاء والقصد والتوجه والاستسلام ظاهراً واطناً قلباً ، قابلاً ، ولكن لن نجد حرفاً واحداً يأمر بتعظيم الجماد أو الذلة والخضوع له أو الطاعة لأوامره والقيام في خدمته قيام ذلة وخضوع على وجه من الوجوه . وما هو القرآن وما هي السنة

بل لقد تواتر في القرآن وفي السنة الصحيحة الحث على أفراد الله بالدين وإخلاصه له وإخلاص العبادة بكل معانيها . وليس هنالك ريب في دخول هذه المعاني كلها في مضمون الدين ومشتقات العبادة . كما سلف هذا في الفصل الخاص بالعبادة ومن أعجب ما في هذا أن الشرع نهى عن الصلاة لله وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت انحرافها خوفاً من أن يكون في ذلك شبهة في أن للشمس في هذه العبادة حظاً أو نصيباً ما ، ونهى عن زيارة القبور في بدء الإسلام وقال طوائف من أهل العلم إن ذلك كان خوفاً من أن يتقدح في صدر الزائر أو يقع على لسانه أو على جوارحه شيء من الغلو في الاموات للزورين ، وقد تقدم أن عمر بن الخطاب كان ينهى عن اتباع آثار الرسول الكريم ومنازله ، وينهى عن عبادة الله في الأماكن التي كان النبي الكريم يعبد الله فيها ، وكذلك كان العلماء من السلف كالإمام مالك ينهون عن ذلك

ومن أعجب ذلك وأبلغه ما رواه الترمذي وغيره عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ونحن حدثاء العهد بكفر ، والمشركين سدره يكفون عليها ويلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الرسول الكريم « الله أكبر . أنها السنن . قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »

ولا ريب أن الصحابة ما كانوا يريدون بهذا الطلب أن يجعلهم يعتقدون أن الشجرة لهم وخالقهم ورازقهم ولا يريدون أن يصلوا لها وأن يصوموا وأن يركعوا وأن يسجدوا ، على أن المخالف لا يرى في السجود لغير الله شركاً . لا يمكن أن يكونوا يريدون شيئاً من ذلك ، لأنهم إنما قلوا من هذا وسكنوا به في دخولهم الإسلام ، وإنما كانوا يريدون تعظيم الشجرة والتبرك بها والمكوف عليها وتعليق الأسلحة وربط الحاجات بها والنزول تحتها للبركة والاستشفاع ، فقال لم

(٣٠٥)

الأنبياء الكرام ﷺ أن ما طلبتموه اليوم هو الشرك عينه وهو ما طلبته بنو إسرائيل من نبيهم موسى بلا فرق وإن كان هنالك فرق في اللفظ فقط . ولهذا تحقيق سيأتي . فلا ريب أن قول هذا الشيء هنا قول عظيم

(رابعا)

قوله « وقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد بتعظيم الوالدين وخفض جناح الذل لهما وإطاعة الرسول وأولى الأمر إلى آخره »
جواب هذا تقدم في الأمر الذي قبل هذا الأمر أي في الأمر الخامس عشر وفي الأمر الرابع عشر

(خامسا)

قوله « ولا بد حينئذ من أحد أمرين : إما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركا ، أو القول بأن الله أمر بالشرك وعبادة غير الله . والله لا يأمر بالشرك فتعين القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك »
يقال في جواب هذا : إن مثل هذا الرجل فيما قاله هنا كمثل من قيل فيه المثل المشهور « وفسر الماء بعد الجهد بالماء » وذلك أن مخالفه لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة لمن عظم ، فإنهم يرون وجوب تعظيم الرسول ﷺ وتعظيم سائر الأنبياء والمرسلين ، وسائر الصحابة وأئمة الدين ، وهم يعظمونهم التعظيم الخلق بهم ، ويرون أن من لم يعظم الأنبياء والمرسلين فليس بمسلم ولا بمؤمن ، ولا يرون أنهم بتعظيمهم إياهم يعبدونهم ويعملونهم لله شركاء ولكنهم مع هذا لا يعظمونهم كما يعظمون الله ، ولا يبالغون في تعظيمهم مبالغة تخرجهم عن نطاق الذوق والدين والأدب السماوي ، ولا يعظمون أحدا كالله كما لا يحبون أحدا كالله ، ولا يرجون

أحدًا كالله ، ولا يخافون أحدًا كالله ، ولا يأملون أحدًا كالله ، ولا يرهبون أحدًا كالله ، ولا يرغبون إلى أحد كرجبتهم إلى الله ، ولا يطيعون مخلوقًا كطاعتهم لله ، وهم يرون أن من سوى بين الله وبين عباده في هذه المعاني والأمور فقد فارق الإسلام واعتزل التوحيد المقترض على كل العبيد ، ثم هم يعظمونهم تعظيم العاقل لا تعظيم الجاهل فهم لا يهبونهم حق الله وما وجب له باسم هذا التعظيم وبحجة هذا الاحترام كما صنع أقوام ضلوا سبيل الله وسبيل العقل وتعدوا حدود الله وحدود العقل . فانهم بهذا انتقلوا من تعظيم العباد إلى انتقاص رب العباد ، وهذا شر الضلال . ولا شك في أن من انتقص الله وفرط في حقه أخلق باللائمة والاثم العظيم ممن تهاون في تعظيم عباده المصطفين المعظمين وفرط في حقهم فرارًا من إعطائهم حق الله الذي لا يكون إلا له لأنه ربهم ورب العالمين

فالمخالفون لهذا الرجل لم يدعوا قط أن كل تعظيم عبادة ولم يتفوهوا بهذه الدعوى لا تصريحًا ولا تلويحًا ، فإن كان كلامه قائمًا على أنه ليس كل تعظيم عبادة فليشر بأنه لا خلاف بينه وبين من يحاول الرد عليهم ، وليعلم أن السلفين أو الوهابيين كما يعبروهم لا يقولون ولا يدعون أن كل تعظيم عبادة . فليعلم بهذا عينًا وليطب بهذه النتيجة نفسًا ولكنهم يقولون أن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون . فالخلاف هو في هذا فأن كان يوافقهم على هذا كما يبدو من كلامه هنا فقد انتزع جبل النزاع واعترف بأن من التعظيم ما هو عبادة ومن المعظمين من هم معبودون ، وإذا ما اعترف بهذا لم يكن له أن ينازع من قال أن هؤلاء المعظمين للأموال المنقطعين إليهم في سرائرهم وضرائهم وفي شدتهم ورخائهم خارجون على عبادة الله عابدون لغير الله . وهذا هو محل الخلاف ومعتك الخصام فإن سلم هذا كما هو ظاهر كلامه فقد خسر الموقعة وألقى السلاح ، وإن لم يسلم أن من التعظيم ما هو عبادة بأن زعم أن كل تعظيم ليس عبادة البتة فقد صار إلى ما لا

يصبر اليه عاقل ، فانه حينئذ يلزمه القول بأن من عظم مخلوقا ما من صامت وناطق
أبأن التعظيم وأعظمه بل وإن عظمه فوق تعظيمه لله لا يكون مخالفاً للإسلام ولا واقعاً
في أمر يستوجب الكفر ، وهذا لا يقوله مسلم بل ولا عاقل غير مسلم ، وهذا رأس
ما تنكره عليه وعلى إخوانه في كتابنا هذا ، على أننا نقول ان هذا الشيى لا يسير
على علم واحد ولا على منطق متسق متماسك بل هو يسير على نحو قلق مضطرب
ومنتطق متدافع متهاافت ، وذلك أنه يقول هنا انه لا يمكن أن يأمر الله بعبادة غيره
لأن ذلك قبيح شنيع تدفعه العقول وتتأباه الأبواب الصحيحة السليمة . هذا ما قاله
هنا وقد قال في الأمر الرابع عشر السابق في معنى العبادة ان الله قد أمر بعبادة
غيره كما أمر الملائكة بالسجود لآدم ويعقوب وأولاده بالسجود ليوسف ، وزعم
هناك أنه ليس كل العبادة لله خاصة ، بل الخاص بالله من العبادة قسم مجهول غير
معروف ولا معلوم ، وقال أيضا انه لا يمكن أن يزعم أن كل أقسام العبادة خاص
بالله وحده لا شريك له

وهذا التدافع في كلام هذا الرجل سببه أن صاحبه ليس على صواب وحق
فيما يقول وما يكتب ، ولكنه يكتب توجهات فكرية وخطرات غير ثابتة ولا قارة
بشيء مضطربة لا تستقر على حال ولا تسير الى وجه سوى بل هنا وهناك
والله هو الهادى وحده ومن وراء كل قصد

الأمر السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

هذه الأمور الثلاثة خاصة بحياة النبي الكريم وبحياة سائر الأنبياء والشهداء
بل وبحياة سائر الناس في قبورهم ، وخلاصة ما ذكره في هذه الأمور الثلاثة أن
الأموات كلهم حتى الكفار منهم أحياء في قبورهم ، وقد ذكر في ذلك روايات
غالبها ضعيف ، وفيها ما هو موضوع مختلف

ونحن نقول لسنا ننازع في أن الآوات كلهم أحياء حياة يوزخية روحية غيبية بل وللسنا ننازع في حياة الكفار منهم هذه الحياة الغيبية الروحية ، وقد دلت على هذا الدلائل المتكاثرة من الكتاب والسنة ، وأجمع عليه أهل السنة من المسلمين ، وذلك أن المرء بموته تنتقل روحه إلى النعيم إن كان من المؤمنين الصالحين ، وإلى العذاب الأليم إن كان من الكافرين المفسدين ، وقد جاءت الآيات والأحاديث النبوية في ذلك وأجمع عليه المسلمون ما خلا شراذم أنكرت وجود العالم الروحاني مستقلا ، وهذه الشراذم المنكرة محجوجة بنصوص الدين التي ليس هذا مكان بسطها وبيانها ، ولكن الشيء الذي نقوله هنا : أن يعلم أن وجود العالم الروحي ووجود الأرواح بعد موت أصحابها في الجنة أو في النار ليس دليلا على أنهم يستغاثون ويستصرخون ويسألون الحاجات ، لأن وجود أرواحهم كما ذكر ليس يرهانا على أنهم يسمعون دعاء من يدعوهم واستصراخ من يستصرخهم ، وليس يرهانا على أنهم يقدرون على ذلك وعلى إعطاء ما يسألون لو كانوا يسمعون الاستغاثة والاستصراخ ، ثم لو فرض أنهم يسمعون ويقدرّون على إعطاء ما يسألون لم يكن هذا يرهانا على أنهم يفعلون ذلك . ثم لو فرض أنهم يفعلونه لم يكن يرهانا على أنه مباح للناس أن يسألوه إياه ، وأن يستغيثوه لأجله . وذلك لأنه ليس كل ما يفعل ويصنع يكون مباحا طالبا جائزا سؤاله ممن يقضيه ويعطيه ، وليس من ريب أن من ذلك ما هو ممنوع شرعا محرم عقلا ، وذلك كاستجداء الغني غير المحتاج وكطلبه الصدقة من المتصدقين ، فانه إذا سأل وهو غير معروف الحال ولا معروف الغنى يعطى شرعا ولا يجوز منعه ، مع أن استجداء الغنى محرم ممنوع دينيا ، فيعطى ما هو عليه حرام في الشرع وفي العقل ، وليس إعطاؤه ولا وجوب إعطائه دليلا على جواز سؤاله ما يعطى

ولهذا نظائر كثيرة معلومة ، ولا ريب أن هذه الأشياء كلها لابد لها من

الدلائل والحجج كى تكون مقبولة ، وأما بغير ذلك فلن تقبل ، وإننا نعلم بالضرورة وبالحجج الكثيرة أنه غير جائز الاستغانة بالأرواح ولا سؤلها ولا سؤل الأموات واستغاثتهم بحجة وجود أرواحهم وحياتهم ، ويدل على ما نقول أمور ~~كثيرة~~ عقلية ونقلية :

(أولها)

أن أعلم الناس بالاسلام وأنفذهم بصراً بالدين وأتاهم الله وأحرصهم على العمل الصالح ، الذين شهدوا تنزل الوحي ونزول القرآن ، وعرفوا أسباب نزوله ومواقفها وعرفوا مصادرها ومواردها ، والذين شهدوا الرسول الكريم يفسر لهم الكتاب الكريم بأقواله تارة وأفعاله تارة أخرى وعباداته تارة وتوليحا وتصريحا وإيماء وتنبها ، والذين هم أعلم الناس على الإطلاق بمرامى القرآن ومقاصد السنة وروحها وغواها ، وأعنى هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار أقول : إن هؤلاء كلهم يعلمون - ولا يشكون - وجود الأرواح بعد الموت : أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، ويعلمون ما ذكر الله فى ذلك من دلائل الكتاب والسنة . ولكن أحدا منهم مع هذا لم يحاول يوما أن يسأل ميتا حاجة من حاجاته لا الرسول الكريم ولا من هو دونه لا فى حالات السراء ولا فى حالات الضراء ، ولم يحاول أن يطلب ميتا قضاء حاجة واحدة من حاجاته التى تلازمه كل وقت والنى لا تنقضى ، وحاجة من عاش لا تنقضى ، ولم يستعرج الرسول ﷺ ولا غيره بعد الموت لنازلة نزلت أو عظيمة وقعت لازالتها أو تخفيفها أو تلطيفها

وقد أصيب الصحابة بعد موت النبى ﷺ بمصائب متنوعة دينية ودنيوية ووقعوا فى أفاين من أشراك البلاء ووقعوا فى نزاع فى مسائل كثيرة وفى حروب

طاحنة مؤلة وفي خلاف حاد في أمور صغرى وكبرى جوهرية وغير جوهرية
 باعتراف هذا الشيعى وباعتراف طائفة الشيعة كلها ، ولكنهم مع هذا لم يحاولوا أن
 يفضوا النزاع أو يكشفوا ما بهم من بلاء بالرجوع الى الرسول ﷺ وبالرجوع
 الى سؤاله ، والاستغاثة به والاستصراخ بشفاعته لهم عند الله ليكشف ما بهم ،
 وما أصابهم

وقد كان من السهل اليسور عليهم أن يفرغوا الى النبي الكريم أو الى غيره
 من الصحابة والشهداء فيطلبوه أن يحكم بينهم في مسائل الخلاف والنزاع وأن يفيهم
 وأن يشفع لهم عند الله ليخلصهم مما حل بهم من شراذم البلاء والضراء ويطلبوه
 العون والامداد اما بالفعل واما بالدعاء والشفاعة وإما بهما معاً وإما بغير ذلك مما
 يصنعه هؤلاء المفترون المتغالون لدى قبور أهل البيت النبوى

وقد كانوا رضى الله عنهم يرجعون الى النبي الكريم يوم أن كن حيا بين
 أظهرهم عند احمرار البأس واشتداد البلاء ، يسألونه الشفاعة والدعاء ويسألونه ما في
 استطاعة مخلوق مختار مثله أن يصنعه من العون والامداد والشفاعة والدعاء والحكم
 والقضاء بينهم . وهذا وارد كثير في كتب السنة الصحيحة بل هو متواتر عنهم
 بالأسانيد الصحيحة ، وهو أمر لا ينازع فيه أحد أو يجعله أحد من أهل العلم ،
 ومثله لا يحتاج الى ايراد الشواهد عليه لظهوره ولعلم الناس به ، ولأنهم
 لا يتنازعون فيه

فاقصار الصحابة عن ذلك كله بعد موت النبي الكريم وقد اصطدموا بحاجات
 ملحة إليه وبأمور طاغية باغية تتعلق المصطلم بها بالأسباب كلها قوتها وضعفها ،
 برهان لا يرام اضعافه ولا القدح فيه على أنهم يرون ذلك بعد الموت غير جائز
 وغير مشروع وعلى أنهم لا يختلفون في هذا ، لأنه لم يأت عن أحد منهم بسند يعبأ
 به أنه فعله ، وعلى أن الأموات مع وجود أرواحهم وحياتها لا يطمعون ولا

يستمرخون ولا يفزع اليهم البتة

وقد اصطلم الامام على رضي الله عنه على وجه الخصوص بمصائب جسيمة محطمة وبأمر نكراء جبارة ، وقد أحاطت الارزاء بسماواته وجهاته بحيث يعي القدمة الشجاع المحطمة الخروج منها ناجيا من داخلية الى خارجية ومن ديفية الى دنيوية الى غير ذلك ، ومع هذا كله لم يحاول يوما أن يرجع الى النبي الكريم ، والى الاستغاثة به والفرع اليه لطلب الشفاعة وطلب المدد والعون . ولن يجيء عنه في ذلك قل يشبه الحجج ويحرز اسم البراهين . وهذه خطبه وأقواله المتنوعة الكثيرة المجموعة في كتاب « نهج البلاغة » كما يدعى الشيعة ليس فيها لفظ واحد من هذا ، فلماذا أعرض عن الرسول ﷺ بعد موته ، إذا كان دعاؤه مستطاعا مشروعا لديه . .

وكذلك ابنته فاطمة رضي الله عنها واجهتها أمور تفرى بالفرع الى والدها عليه الصلاة والسلام وتفرى بالرجوع اليه لطلب النجدة والعون لكنها لم تفعل شيئا من ذلك ولم تحاوله على وجه من الوجوه

وكذلك الخليفة الحبي الأمين الهين اللين المبلى عثمان رضي الله عنه ، قد ابتلى بأعظم ما ابتلى به خليفة صالح مثله . ناز به الأشرار وحاصروه في بيته وضيقوا عليه ، ثم ولجوا عليه داره وقتلوه قتلة سوء في مدينة الرسول الكريم وجوار القبر النبوي الشريف ، وقد ضحى هذا ما لا يطاق من البلاء والارزاء الجسيمة ولكنه لم يسأل الرسول شيئا في هذه النوازل ، ولم يطلب منه اغاة ولا شفاعة ، ولا عونا ولا مددا . ولا ريب أنه قد كان في أشد الحاجات الى ذلك كله ، وأنه لا يمكن أبدا أن يصدق عنه وهو يعلم أنه مجديه وفاقه شيئا

ومثل هؤلاء هؤلاء غيرهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان وإيمان ، أصابهم ما أصابهم وحل بهم ما حل وانتقصت دنياهم ودولتهم وتناوبتهم

المصائب الخاصة والعامة فلم يستغيثوا بالأموات ولم يسألوهم شيئاً لا الرسول ولا من دون الرسول من الصحابة وآل البيت الطاهرين
فلماذا هذا الاقتصار عن الرجوع الى الأموات والفرع اليهم والاستعانة بهم
وطالب الشفاعة منهم اذا ما كان ذلك مشروعاً مستطاعاً ، واذا ما كان فيه خير في
الدين أو الدنيا ؟

ان الجواب الصحيح لهذا السؤال الصحيح هو الاعتراف بأن طلب الأموات
وسؤالهم والاستغاثة بهم والرجوع اليهم ليس جائزاً وليس مشروعاً ولا مستطاعاً
باتفاق الصحابة ومن تبعهم باحسان وباجماع سيرتهم العملية الصامتة ، ثم الاعتراف
بأن الاستغاثة بالموتى باطلة غير جائزة بالضرورة وبالاجماع الصامت وكل جواب
غير هذا هو جواب باطل مدخول متكلف . فأن من جاب عن هذا زاعماً بأنهم
كانوا يصنعون ذلك غير أنه لم ينقل اليها كان متكلفاً وقائلاً قولاً باطلاً لا ريب في
بطلانه ووهته . فان علماء الرواية والنقل كانوا يروون كل ما يتصل بعلمهم من سير
الصحابة ومن دون الصحابة ، وكانوا لا يدخرون وسعاً في إثبات ما يعلمون من
ذلك وفي روايته وتدوينه حتى لقد كانوا يلاقون المشاق ويقتحمون الشق النائية
المضنية برضى وطواعية في سبيل رواية شيء من ذلك ، ولقد كانوا ينقلون عنهم
ما قد يعدونه وما قد يعده غيرهم ما أخذ وضيوا في حق الصحابة الكرام ، كما كانوا
ينقلون التافة النزر من الأخبار . كل ذلك قد كان وأكثر منه حرصاً على الرواية
والتدوين وعلى اثبات سير الأولين . فكيف بعد هذا كله يعرضون عن أمثال
ما ذكرناه من الشئون الكبرى التي هي في صميم الدين وصميم العقيدة ؟ لا ريب
أن من اختار هذا الجواب فقد تكلف وقال قولاً باطلاً

وكنك من أجاب عن هذا بأنهم كانوا يجهلون جواز هذه الأمور والمسائل
ولا يرشونها مع ثبوتها وجوازها . أو أجاب بأنهم يعرفون هذا كله ولا يجهلون

الضرء نهم لما استطاعوا الى ذلك سبيلا . وذلك لانهم فقدوا الآلات التي بها يستطيعون أن يعملوا وأن ينفعوا ويضروا . فقد فقدوا الأيدي التي بها يعطشون والارجل التي بها يمشون فهم لا يستطيعون حراكا ولا بطشا ولا مشيا . فهم لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ومن لا يسمع ولا يبصر ولا يعطش ولا يعمل ولا يمشي كيف يرجى لدفع البلاء أم كيف ينقطع اليه رجاء فعه وعونه ؟ ان هذا مالا يسوغ ومن شك في هذا أو خالف فيه فهاهم الاموات ليدعهم وليستجيبوا له ان كان صادقا محقا (فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) . إن هذا تسجيل أى تسجيل على هؤلاء الضالين المشركين

لا يقولن قائل : إن المراد بهؤلاء هي الجمادات من الاحجار والاشجار ومالا يعقل ، وأنه ليس المراد بهم الصالحين من الأنبياء والأولياء الذين يدعون ويستغاثون فان هؤلاء يسمعون ويقضون الحاجات ويصلح شؤونهم ودعائهم والفرع اليهم . فالآية ليست دليلا على أن الصالحين الاموات لا يدعون لأنهم لا يسمعون ولا يعملون شيئا . لا يقولن قائل هذا فانه غير صحيح لدى من تدبر وفهم ؛ ذلك أن الآية تقول : « عباد أمثالكم » ولو كان المراد بالعباد هنا الاحجار والاشجار والجماد الصامتات - كما يزعم المخالفون - لقالت الآية عباد أقل منكم وأضعف من أضعفكم وأقل من أقلكم . لا أن تقول « عباد أمثالكم » فان المقام هنا مقام تهويل وتهوين . تهويل لدعوة الاصنام وعبادتها ، وتهوين لشأن من دعاها فالمطلوب هنا الاتيان بأوصاف المعبود الحقيرة والاشادة بنقصه وضعفه وهوانه فلا يليق - والحالة كما ذكرنا - أن يقال في ذم الاحجار والاشجار والجماد الصامتات لعابديتها إنها عباد أمثالكم . بل الاحجار والاشجار والجماد كله أضعف وأقص من هؤلاء ومن الانسان على جميع الوجوه

فاذا ما قيل والامر كما ذكرنا إن الاحجار والاشجار والجماد مثل الانسان

كان هذا القول تقريرًا للاحجار والاشجار ومديهما للعبادات ورفعًا من شأنها واعظامًا لأمرها . ولكنه ليس بلائق مدح هذه الاشياء والثناء عليها في مقام ذمها لمن عبدها وهام بها فصلى لها وصام وعمل لها أفضل الأعمال وأعطاها خالص له وصفوة معناه . ان هذا لو اوضح

هذا وجهه ، وفي الآية وجه آخر

وذلك أنها تقول « ألم أرجل يمشون بها أم لم يمشون بها أم لم آذان يسمعون بها أم لم أعين يبصرون بها » أى ألهم هذه الموصوفات التى هي الجوارح بصفاتها التى هي للشيء والبطش والسمع والأبصار . فكان الإنكار هنا للصفات أى كأن الإنكار هو للبطش بالأيدي والذنى بالأرجل والأبصار بالآعين والاستماع بالآذان ، وليس الإنكار لهذه الجوارح نفسها : أى كأن الآية على هذا النظم تنكر وجود هذه الصفات لهذه الموصوفات مع الاعتراف بالموصوفات ووجودها ، وهذا معلوم من نظم الآية المذكورة . فلو كان المراد بالمذمومين فى الآية الاحجار والاشجار والجماد دون المعبودين المقلاء من الأموات والبشر لكان نظم الآية غير ماذكر على نحو آخر : وذلك أن الاحجار والاشجار والجمادات فاقدة هذه الجوارح فضلا عن أن تكون لهذه الجوارح صفات تنكر أو تقر

فكان ينبغى أن يكون تأليف الآية اذا كان الأمر كما قدر هؤلاء هكذا ألم أرجل أم لم يمش بها أم لم أعين أم لم آذان لأن المراد حينئذ إنكار هذه الجوارح ونفيها عن الجماد لأنها ليست له وليس له منها شيء

هذا وجهه ، وفي الآية وجه ثالث ، وهو أن الضمائر المذكورة فى الآية كلها ضمائر متعقبات ، وذلك فى قوله (ادعوه) وفى قوله (ليستجيبوا لكم) وفى (ألهم) كذا ، وكذلك الاسم الموصول « الذين » وهذه الضمائر ليست موضوعة فى اللغة للعبادات من الاحجار والاشجار وما لا يعقل ، وإنما هى موضوعة للماعقلين . فهذا يرهان على

أن المدعويين في الآية هم المدعوون من العقلاء كالأنبيا والأولياء الاموات
هذا وجه ، وفي الآية وجه رابع

وذلك أن المشركين كانوا بلا خلاف يدعون الملائكة والجن والانس
أنبياء وغير أنبياء ويعبدونهم كما كانوا يعبدون غير هؤلاء من الاحجار والاشجار
والصور والتماثيل والاجرام العلوية والحيوان ، فجاءت الآية ناصة على أن هؤلاء
المدعويين المعبودين جميعا لا يسمعون ولا يبصرون ولا يبسطون ولا ينفعون أو
يضررون من دعاهم وطلبهم شيئا من الاشياء ، ولم تخص الآية من هؤلاء المعبودين
صنفًا دون صنف ولا طائفة دون طائفة . بل عمتهم كلهم وحدثت عنهم جميعًا بذلك
وهذا جلي واضح . فالذين يخرجون من هذه الاصناف صنفًا أو من هذه الأنواع
المذكورة نوعًا يفعلون مالا دليل لهم عليه . بل يفعلون ما ينازعه ظاهر القرآن
وظاهر اللغة . فالآية نص في المطلوب والمسألة

وقال تعالى : : والذين تدعون من دونه ما يكون من قطعهم ان تدعوهم
لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم
ولا يفتنك مثل خيبر ، وما قيل في الآية الأولى يقال في هذه الآية من السؤال
والجواب . فان هذه الآية بينة أيضا في أن من يدعون من البشر وغير البشر من
الملائكة وغير الملائكة من الجن وغير الجن من الجمادات والحيوانات ومن
الاحجار والاشجار في غفلة وشغل شاغل عن دعاء الداعين وسؤال السائلين
وفي انقطاع تام عن الدنيا وعما في الدنيا وعن تعلق بهم من أهلها . فلا يسمعون
دعاء من دعاهم لاقطاع الأسباب بين الداعين والمدعويين ، ولبعد المسافات بين
العابدين والمعبودين ، ولتباين ما بين العالمين عالم الدنيا مستقر الداعين ، وعالم
الأخرى مستقر المدعويين ، ولفرق ما بين هذين العالمين من الوسائل والغايات
ومن الأحكام والشئون ، ولفرق عظيم بين عالم الغيب وبين عالم الشهادة وبين

العالم الروحاني والعالم الجسماني أو بين عالم الأرواح وعالم الأشباح . فهم لهذا كله لا يسمعون صرخات الصارخين وهتافات المستغيثين

ثم لو قدر أنهم سمعوا ذلك بطريق مباشر أو بوساطات كثيرة أو قليلة خارقة أو عادية ، فهل ينفع الداعين والطارئين ذلك شيئا وهل يهبونهم شيئا مما يطلبون ويسألون ، لأن الغاية التي تطلب من الدعاء والاستغاثة هي الظفر المطلوب وبالخاصة التي أملت الدعاء والرجاء والسؤال والطلب ؟ كلا ، أنهم لن يستجيبوا لهم شيئا ولن يهبوهم بعض ما يسألون ولن ينفعوهم أو يضرهم أيضا لأنهم قد أفضوا الى حالة أخرى وعالم آخر لا يستطيع فيه النفع ولا الضر ولا السكج والعمل ولا السعي والنضال ، بل ما هنالك افضاء الى مكان الجزاء والمكافأة على الأعمال الخالية في الأيام الخالية ، فهو عالم لا يستطيع العبد فيه نفع نفسه ولا العمل لها ، فأنى يستطيع نفع غيره من أهل الدنيا وعالم المادة ؟

ولقد صح في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه أنه عليه السلام قال « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »

ذلك : ثم هل ينتهى الأمر عند هذا الحد ، ويطوى البساط على هذا بحيث لا نفع ولا ضرر ، فلا ينال الداعين من دعائهم هؤلاء الذين لا يسمعون دعاءهم ولا يستجيبون لهم نفع ولا ضرر ؟ كلا . ان الأمر لن ينتهى عند هذا المقدار ، ولن يطوى البساط عليه . بل الأمر غير ذلك ، فسوف يلاقى هؤلاء الداعون من جراء دعائهم الذي حسبوه لم نافعاً بلأ غير مقطوع ورزء أعظيما . ونعوذ بالله من الخذلان ومن الخزي يوم الدين ، فسوف يخذلهم المدعوون المأمولون وهم أحوج ما يكونون الى نصرهم وتأيدهم وهم أرجى ما يكونون لنصرهم ونفعهم ، فيتبرأون منهم في ذلك اليوم العصيب ، ذلك اليوم الذى كانوا يدخرون له شفاعتهم ووساطتهم وأنخدم بأيديهم

وسوف يكفرون بأشراكهم بعبادتهم إياهم ، فيلومونهم ويعنفونهم ثم يتبرأون الى الله منهم ، فيصبح ذلك كله حسرات على أولئك الداعين المساكين وخسرانا لا يجبر . وذلك هو الخسران المبين والخطب الجسيم

وهذا مثل قوله تعالى « يدعو لمن ضره أقرب من نفعه »

فآلية إذا بينة فيما نقول ، بينة في أنها تعنى المدعويين من الأموات الصالحين من الأنبياء وغير الأنبياء ، فان الضمائر الموجودة في الآية والاسم الموصول فيها صحيح متماسكة على أنها تعنى غير الجسادات وغير الأحجار والأشجار وأنها تعنى العقلاء

وقوله في الآية « ويوم القيامة يكفرون بشرككم » حجة أخرى قائمة على أنها فازلة في العقلاء المعبودين ، لأن الذين يكفرون بالشرك عادة وعرفا هم العقلاء لا الجسادات الصامتة ، إلا أن يصار الى القول بخرق العادة في هذه الآية ، ولكن لا نحسب أن ثمة حاجة الى هذا المصير

وفي الآية شيء آخر صريح فيما نزعم محقق ما نرى اليه ، ذلك أن الآية تقول « ولو سمعوا ما استجابوا لكم » ويعنى بهذا أن هؤلاء المدعويين لا يستجيبون للداعين البتة على جميع الحالات حتى ولو سمعوا دعاءهم وهتافهم بأن كانوا من العقلاء البشر أو كانوا من غيرهم كالجساد فخلق الله لهم الاسماع والافهام تزيينا لقانون العادة فسمعوا وفهموا ، وهم في هذه الحالة من هذه الناحية يكونون مثل العقلاء أصالة ، فهؤلاء المدعوون لا يستجيبون للداعين إذا سواه أ كانوا عقلاء أصالة أم كانوا عقلاء توقيتا بخرق العادة لهم ، فهم لا يدعون ولا يستجيبون لمن دعاهم على الاقتراضين ، أى على اقتراض أن يكونوا عقلاء ، واقتراض أن يكونوا غير عقلاء فخلقت لهم آلة العقل في زمن ما ، وهذا في غاية الصراحة والوضوح فيما ذكرنا وسأولنا . فالآية حجة ظاهرة على أن الموتى لا يسمعون ولا يستجيبون مع

وجود أرواحهم ومع حياتهم البرزخية

وقال تعالى « وما أنت بمسمع من في القبور » وقال في آية أخرى « فانك لا تسمع الموتى » وهاتان الآيتان على رغم ما يحملان من التأويل والتفسير جريحتان في أن الموتى وأهل القبور لا يسمعون الخطاب الذي يوجه اليهم أهل الدنيا إلا في حالات معلومة لأغراض أيضا معلومة

والذين يؤولون الآيتين يدعون أن المراد بالموتى ومن في القبور في الآيتين هم الكفار الذين لا يفهمون الدعوة ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها ولا يجيبون الى خير يدعون اليه ، وهو الاسلام والدعوة المحمدية ، فهم كالأموات من هذا الوجه وبهذا السبيل

ولا يراد بالأموات عند المؤولين الأموات حقيقة وإنما المراد ما ذكرنا هذا هو التأويل للآيتين عند طائفة المؤولين ، ولكن يقال لنفرض أن هذا التأويل صحيح ثم لنفترض أن الأموات ومن في القبور هم الكفار الأغبياء الصم البكم الذين لا يعقلون . لنفترض هذا كله ، ولكننا نقول بعد هذا الافتراض ان الآيتين تدلان على قولنا دلالة صحيحة واضحة لا ريب فيها ، ذلك أن وجه التأويل وتوضيحه هو أن الكفار مثل الأموات في أن الفريقين لا يسمعون دعوة النبي الكريم ولا ينتفعون بدعوة الاسلام ، لأنهم لا يفقهونها ولا يعلمونها ، فهم لا يتبعون النبي ﷺ ولا يستفيدون من دعوته أباهم الى الخير شيئا ، فالفرقان اللذان هما الكفار والأموات يشتركان في هذه الأمور والمعاني . هذا ما نقول

وإذا كان الأموات لا يسمعون دعوة النبي الكريم الى الاسلام ولا يفقهونها ولا ينتفعون بها مهما وجهت اليهم فكيف يسمعون دعوة من يسألهم حاجاته الخاصة الدنيوية المادية واستغاثة المستغيثين الطالبين منهم الحاجات السخيفة الباردة ؟ ثم كيف يفقهون هذه الدعوات ويفهمونها ويقبلونها مع أنهم كما فرضنا لا يفقهون

(٣٣٠)

دعوة النبي الكريم الى خيري الدنيا والاخرى ولا يفهمونها أو يقبلونها ؟ هذا ما لا يمكن أن يكون

فالآيتان مؤولتين وغير مؤولتين برهانان ناطقان على أن الأموات بشرأ وغير بشر لا يسمعون ولا يدعون ولا يستجيبون مع وجود أرواحهم ومع حياتهم الروحية النيلية

فهذه الآيات الأربع تستأصل شأفة الخصام والخلاف في هذا الموضوع الجلل مع الاعتراف الصريح بحياة الانسان الروحية العجيبة ومع وجوب الايمان بها وفي القرآن آيات أخرى تدل على ما دلت عليه هذه الآيات التي أوردنا أعرضنا عن إيرادها لأن المراد هنا الاشارة والتلويح لا الاستقصاء الجامع لأن ذلك يطول فيعمل

(ثالث الأمور)

لو كان جائزاً دعاء الأموات والاستغاثة بهم احتجاجاً بأن أرواحهم حية حياة روحية برزخية واحتجاجاً بوجود أرواحهم واتصالها بهم ان كانت متصلة لجازت دعوة الملائكة والجان والخور في الجنان ، ولجازت الاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم كما جاز ذلك كله من الأموات وأصحاب القبور ، فان حياة الملائكة والجن ولا سيما المؤمنين وحياة الخور المخلوقة في الجنان لا تقل عن حياة الأموات الروحية البرزخية ، وهؤلاء لا ينقصون عن أموات الانسان جدارة بالرجاء وبالاقتطاع اليهم ، بل لا ريب أن الملائكة والجن أولى بأن يدعوا ويستغاثوا وأن يستجيروا من الأموات وأصحاب القبور ، لأنهم بلا ريب أقدر منهم على ما يسألون وأجدر بالاجابة والسماع والاعطاء والنفع والضر ان كان الاموات قادرين على شيء من ذلك

ولا نحسب انساها يفهم ما يقال أو يفهم حقيقة الأشياء يذهب يجوز دعاء
الأموات والاستغاثة بهم وسؤالهم الحاجات وضروب المآرب احتجاجا بأنهم أحياء
حياة روحية برزخية ، ثم لا يذهب يجوز دعوة الملائكة والجان والجن والجنات التي خلقت
في الجنان وسؤالهم ضروب الحاجات ، بل إن من أعلى الأشياء ما هي أهل من
التقدير والانصاف والعدل قد يحكم بجواز الاستغاثة بالملائكة والجان ثم يمنع ذلك
بالأموات من البشر ، لأن أولئك ولا ريب أحق مما ذكرنا ، فقد خلقوا أعظم
استعداداً من البشر وأقدر على الأعمال والسعى وأوسع قوى حينما كان البشر
أشياء ، فكيف بهم بعد المات ؟ هذا ما لا ريب فيه وهذا ما لا خلاف في محته
ووجاهته

ولكننا بعد هذا نقول اتنا نعلم بالضرورة وبالبداهة الناطقة أنه من الحق بمكان
فهي ومن الجهالة التي لا ينأى وليدها سؤال الملائكة والجان والجن والجنات
بهم وطلب الحاجات منهم على حالة من الحالات ووجه من الوجوه . بل اتنا نعرف
معرفة الضرورة أن دعوة هؤلاء الخلق وسؤالهم الحاجات ليست من دين الاسلام
وليست من دين هبط من السماء وليست من شرعة نبت من عقل حكيم سليم . بل
نعرف بالضرورة أن الرسول ﷺ وأصحابه ما كانوا - بل ولا كان أحد منهم -
يستغيثون الملائكة والجان الخلق الآخر في عالم الغيب ، ولا كانوا يفزعون اليهم
من وجه المصائب والنوازل راغبين راهبين ، وأنهم لم يطلبوهم مطلقا شفاعة ولا
عوناً ولا مدداً ، بل ولم يذكروا في ذلك في يوم من الأيام كما نعرف معرفة الضرورة
أنهم لو وجدوا من يصنع ذلك لردوه عليه ولما بوه وذموه ولحجزوا بينه وبينه
ولقد كانوا يتلون بأشتات المصائب وأصناف الآلام في الدين والدنيا خاصة
وعامة حتى تضيق عليهم حلقات النجاة والخلاص ، وحتى يتطلبوا المخرج فيعزل عليهم
ويتلمسوا النجاة فتفر من بين أيديهم ، حتى يلجوا بجميع أسباب الخلاص ويمجروا

ذلك كله ويفعلوا كل ما ظنوه مخلصاً مخرجاً مما هم فيه ، ولكنهم على رغم هذا كله ما كانوا يرغبون بل ولا كان أحد منهم الى الملائكة والى الجان طمعاً في شفاعتهم والاستعانة بهم ودعائهم ، وهم يعلمون أنهم منهم في كذب وأن لهم من حياة الخلق أكلها

ولن يظفر الطالب لذلك برواية من هذا النوع لا صحيحة ولا ضعيفة ، وهذه كتب الاسلام ، هذا القرآن وكتب الرواية متوافرة ميسورة ، فمن شك في ذلك فليطلبه ليعلم أنه يطلب مالا يوجد

ثم مالنا ولهذا الاستدلال ؟ فان هذه المسألة معدودة عند المسلمين من ضرورات الاسلام وقواطعه التي لا يتسع لها الخلاف ، فلا يرتاب المسلمون البصراء بالاسلام أن من راحوا يدعون الملائكة والخور العين والجان فقد هوى في أعماق الوثنية وأركسوا في طبقات الشرك السحيقة التي لا قرار لها ، فان المشركين الأولين كانوا يدعون الملائكة ويدعون الجان ويستغيثونهم عند ما تلم بهم الملمات ربعباً ورهيباً فكانوا بذلك مشركين وثنيين ، وهذا ما لا يختلف فيه أهل الرواية والدراية ، وهذا كله حق لا تتسع له سبل الخلاف . واذا ما علم هذا وعلم أن دعوة الملائكة والجان والخلق الآخر في العالم الآخر ليست من الدين بحال من الأحوال ولا من العقل مع الاعتراف بأنهم أحياء وموجودون وقادرون على الأشياء التي لا يقدر عليها البشر الأحياء بله الأموات ، علم بداهة أن حياة الأموات وحياة أرواحهم الحياة البرزخية لا تقضى بدعائهم والاستغاثة بهم والرغبة اليهم والاعتماد عليهم ، وفي هذا فساد هذه الحجة التي تعلق بها هذا المصنف الرافضى حاسباً أنه اذ ظفر بها ظفر بأمر ذي بال وبسجة فاصلة ، وليس لديه من دفع لهذه الحجة والمعارضة إلا أن يقول بجواز دعاء الملائكة والاستغاثة بهم وطلبهم كل ما يطلب اليوم من الأموات البشر ، واذا صار الى ذلك صار الى محادة الضرورة والاجماع الصامت والى

(٢٢٣)

الوقتية في أبشع معانيها وصورها
وهذا ما يهرب منه الحرّاص على دينهم وعقولهم وعلى سمعهم ومن احتاطوا
لأنفسهم

(رابع الأمور)

هذا المخالف ذكر هنا أن الأموات مؤمنين وكافرين أحياء هذه الحياة
الروحية البرزخية ، فلكافرين هذه الحياة كما هي للمؤمنين وليست من خصائص
المؤمنين المسلمين ، وهذا ظاهر ، وقد دلت الدلائل الشرعية عليه ولا ينازع فيه
هذا المخالف ، بل هو قد ذكر هذا في كتابه هذا ، فهي من مسائل الاجماع بينه
وبين مخالفيه ، بيد أن الكافرين معذبون العذاب الاليم في جهنم وفي العرض عليها
وأن المؤمنين منعمون النعيم الاوفى في جنات النعيم يغدنون عليها ويروحون كما في
القرآن والسنة . وإذا كان ذلك كذلك قيل له إذا ما كانت الحياة حياة الاموات
دليلا لديك على جواز سؤال الاموات لأنهم أحياء كما كانوا يسألون أيام كانوا في
الدنيا ، فهذا المعنى لا فرق فيه بين الكفار والمؤمنين من الاموات من هذه الناحية
وكذا الفاسقون والفجار ، فاذا كانت الاموات من المؤمنين الصالحين يدعون
ويستغاثون ويحيون احتجاجا بحياتهم البرزخية والحي صالح لأن يدعى ويستغاث
ويحجب فكذلك الاموات من الكافرين والفاسقين والظالمين يجوز دعاؤهم والاستغاثة
بهم احتجاجا بحياتهم البرزخية كما كان ذلك جائزا كله يوم أن كانوا في الحياة
الأولى المادية وليس تمت فرق بين الفريقين في هذا المعنى من هذه الناحية

فاذا ما كانت حياة المؤمنين البرزخية دليلا على جواز سؤالهم والاستغاثة بهم
في قبورهم كانت حياة الاموات من الكافرين والفاسقين والظالمين دليلا أيضا على
جواز سؤال هؤلاء والاستغاثة بهم ، أو ليكن ذلك . وإذا لم تكن حياة هؤلاء .

الكفار والظالمين برهاناً على جواز الاستغانة بهم والاستغانة فلماذا كانت حياة المؤمنين برهاناً على جواز الاستغانة والاستغانة بهم ، والدليل الذي هو الحياة موجود لدى الفريقين المؤمنين والكافرين ؟ فلما أن يقال ان الحياة تدل على الاستغانة بالطائفتين أو لا تدل على جواز الاستغانة بأحدى الطائفتين لا هذه ولا هذه ، والتفريق بين الطائفتين بالطريقة المذكورة مع الاستدلال المذكور غير صحيح وغير مقبول

بيد أن أحداً من الناس لا هذا المخالف ولا غيره من المتشيعين للبدع لن يزعم جواز الاستغانة بالأموات الكفار والفسقة ، ولن يزعم جواز طلبهم حاجة من الحاجات على النحو المعمول عند القبور ، والبرهان كما رأيت ومممت يحكم بأنه لا فرق بين الفريقين في هذا المعنى ، فإذا ما علم بأن إحدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغانة بها علم ولا ريب أن الطائفة المساوية لها في ناحية من نواحيها مثلها في هذه الناحية المساوية ، وقد علم أن إحدى الطائفتين لا يجوز سؤالها ولا الاستغانة بها بالضرورة ، فلتكن الطائفة الأخرى مثلها في هذا المعنى ، وهذا أمر واضح ، وذلك أن حجة هؤلاء على جواز الاستغانة بالأموات وسؤالهم مختلف الحاجات محصورة في أنهم أحياء وفي أن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسبة متصرفة ، لأن الأرواح كما يزعمون لا تموت ، وقد احتج بهذه الحجة قوم آخرون قبل هذا الرجل فلم يفلح السبق عليه ، فإذا ما كانت الحجة على هذه المسألة كذلك فلا ريب في أنه لا فرق بين المؤمنين والكافرين في الأمر الذي ذكرناه ، وهؤلاء يرون هذه الحجة صحيحة مقبولة ، وإذا كان الأمر كذلك عندهم فلا ريب في دلالتها على الاستغانة بالأموات الكفار وشتمها إياهم ، ولكن لا هم ولا غيرهم يقولون بجواز الاستغانة والتوسل ~~بهم~~ ، وهذا يدل في التحقيق على أن هذه الحجة مدخولة فاسدة ، ولولا ذلك لما كانت بعض دلائلها فاسدة باطلة ، أما إذا فرقوا بين الطائفتين بأن زعموا أن

دليلاً قد دل على جواز سؤال الأموات المؤمنين ولم يدل دليل على جواز سؤال الأموات الكافرين ، فإلزام التفريق بينهما بالدليل الذي قضى بالفرق : إن فرقوا بينهما بهذه الطريقة قيل لهم إذن الحجة ليست هي حياة الأرواح ووجودها ، وإنما هي الدليل الخاص الدال على جواز الاستغانة بالأموات للمؤمنين ، ولكننا نحن افترضنا أن ما ذكر هنا حجة قائمة بنفسها . وقيل أيضاً مستحيل أن يجد المخالف دليلاً على أنه يجوز السؤال للأموات الكفار والظالمين دون الأموات المؤمنين الصالحين بل إن كل دليل ينقض على بطلان الاستغانة بأموات الكافرين والظالمين كذلك هو دليل قائم على بطلان الاستغانة بأموات المؤمنين

وقيل أيضاً سوف يجهل الكلام على ما زعم دلائل على سؤال الأموات ، وسوف يعلم أنه ليس هنالك دليل واحد صحيح يكون حجة على ما زعموا

وبعد هذا الذي قدمناه نقول : إن حال الأموات بعد كل فرض وتقدير ، وبعد تسليم كل ما زعموه من حياتهم وقدرتهم وتصرفهم وسعة سلطانهم ، وبعد إقصائنا عن جميع ما أسلفنا من المناقضات والدلائل نقول : إن حال الأموات بعد تسليم هذا كله لا تعدو أن تكون كحال الأحياء الذين في أما كن بيئة قصية فإن الأموات أيضاً وإن كانوا أحياء قادرين هم في أما كن أقصى وأثأى كما دلت على ذلك الدلائل الدالة على حياتهم وما زعموا لهم من تصرف وعمل . وقد أخبر القرآن الكريم أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون . وجاء في صحيح مسلم ما بعد تفسيراً للآية أن أرواحهم في حواصل طير تروح وتندو في الجنان . وجاء في أحاديث أخرى أن أرواحهم تنقل فوق أشجار الجنة وأزاهيرها الى يوم القيامة ، وفي المعنى أحاديث وآيات معلومة ، ومثل الشهداء - بل أعلى وأكمل من هذه الناحية - الأنبياء ثم سائر المؤمنين . وكذلك دلت الدلائل على أن الكفار والمجرمين في أطباق النيران الحامية ، وأنهم يرضون على النار غداً وحشياً حقاً

يزجوا فيها يوم الجزاء

واذا كان كذلك وكان قصارى أمر الأموات من النبيين والصالحين وغيرهم أن يكونوا كالأحياء الموجودين في أما كن قصة فن ذا يزعم أنه يجوز الاستغناء بمن كان في مكان قهي عن المستغيث . . . وإذا علم ذلك كله قيل إذن لا يجوز سؤال الأموات والاستغناء بهم حتى يجوز سؤال الأحياء البعداء الموجودين في الأما كن القصية ومن ذا يجوز الاستغناء بهم وطلبهم إلا أن تكون ثمت آلة تقبل الأصوات . ولا ريب أن من استغاث بالأحياء البعداء وسألمهم الحاجات المذكورة مدخول في عقله أو مصاب في دينه وعقيدته أو في الأمرين معاً

وقد يرى كثيرون من المغشوشين في عقولهم ودينهم أن شيوخهم متصلون بهم على القرب والبعد عالمون بهم وبما يعملون في الحضر والمغيب سامعون لأصواتهم وهتافهم بهم من كل مكان مبصرون لهم على كل حال وفي كل مكان قروبا أم بعدوا ، ويرون بهذه الطريقة أن شيوخهم موجودون في كل مكان حالون في كل ذات مخترقون كل مادة كثيفة إذ لا تحجبهم الحجب ولا تحول بين أسرارهم ومن يريدون ففهم أو ضرم الحوائل . وقد ادعى هذه الدعوى قوم زعموا من أهل العلم والدين في النبي الكريم وفي الأولياء والصالحين

وهؤلاء الذين يزعمون هذه المزاعم في شيوخهم وعلماهم المعظمين للمعتدين يذهبون يدعونهم ويستصرخونهم في كل مكان ومن كل مكان ، ويرون أنهم سامعون حاضرون مبصرون لا يخفى عليهم مكان من دعاهم ، ولا من هتف بأسمائهم ولا ما هم فيه . وهؤلاء بهذه المعتقدات الباطلة والاستغاثات القائمة على هذه المعتقدات جامعون أنواعا من الضلال والجهالات الطريفة متقلبون في طبقات من العمه والخيرة والشرك المبين والتشبيه برب العالمين

وهؤلاء الذين يدعون الأموات من كل مكان وفي كل زمان معتقدين أنهم

يسمعونهم ويعلمونهم ويرونهم فيجبونهم لا ريب في أنهم يرونهم موجودين في كل مكان أو يسمعون ويعلمون ما يكون في كل مكان ، ولولا هذه المعتقدات لم يهتفوا بأسمائهم من كل مكان ولم يدعواهم على النأي والقرب . فالذين يسألون النبي الكريم وغيره من الصحابة والمشايخ وهم في أقصى الأرض لا ريب في أنهم يرونهم موجودين سامعين من كل مكان وحيثما كانوا ، وإلا لما دعواهم في جميع الحالات في المحضر والمغيب . . . وهم اذا كانوا يعتقدون فيهم هذه المعتقدات لا ريب في فساد عقيدتهم وفي ضلالهم المبين وفي تشبيههم المخلوقين الضعفاء العاجزين المحدودين من كل وجه ذواتا ومعاني برب العالمين الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء والذي يعلم البعيد كعلم القريب ويرى الباطن كرؤيته الظاهر

وهذا أقل ما يقدر في من دعا الأموات معتقداً أنهم أحياء وأن أرواحهم موجودة حية عاملة كاسية ، والله العليم بما كان وبما يكون



وهنا انتهت مقدمته الثانية وتأتى بعدها المقدمة الثالثة وهي حسب زعمه في شبه الوهابيين بالخوارج

مقدمته الثالثة

في تشبيهه الوهابيين بالخوارج

قال الرافضى : « المقدمة الثالثة في شبه الوهابيين بالخوارج ، وذلك من عدة وجوه : (أولا) كما أن الخوارج شعارهم لا حكم إلا لله ، وهي كلمة حق يراد بها باطل كذلك الوهابيون شعارهم لا إله إلا الله لا توسل إلا بالله لا استغاثة إلا بالله . وهي كلمات حق يراد بها باطل . كلمات حق لأن المدعو والتوسل به حقيقة لرفع الضر وجلب النفع والمغيث الحقيقي ومالك أمر الشفاعة هو الله ، يراد بها باطل وهو منع تعظيم من عظمة الله بدعائه والتوسل به ليشفع عند الله ويدعوه لنساء ، وعدم جواز التشفع والاستغاثة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مفنياً وجعل له الوسيلة كجملة من كلماتهم المزخرفة . كقولهم لمن يقول يا محمد ويا فلان : هل الله أعطاك القوة أو محمد ﷺ فلا بد أن يقول الله . فيقولون له : لم لا تدعو الله وتدعو محمداً وهذا تمويه وتضليل يراد به باطل إذ لا يوجد أحد يعتقد أن محمداً أو غيره بيده الأمر أصالة ، وإنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة ، واعتراضهم هذا يرجع الى الاعتراض على الله الذى جعل الشفاعة لمحمد ﷺ ، والا فتى جعلها له فعلينا أن نطلبها منه . ولو صح اعتراضهم هذا لتوجه على من يسأل الدعاء من الغير فيقال له الله الذى يوجب دعاءك أو أخوك المؤمن فلا بد أن يقول الله فيقال له لم لا تدعو الله وتطلب من أخيك أن يدعو لك

وكقولهم لمن يقبل ضريح النبي أو المنبر الموضوع في مسجده وفي مكان منبره إنما تقبل حديداً أو خشباً جىء به من بلاد الافرنج ، ولم يطلوا أنه كما يحترم جلد الشاة بعمله جلدأ للمصحف والورق والمداد بكتابة المصحف عليه وبه كذاك يحترم الحديد والخشب القى وضع على قبر النبي ﷺ أو في مسجده وفي مكان

حنبره ، ومن بيانه في الأمر الخامس عشر « انتهى

قلت : ذكر الرافض في هذه المقدمة ثلاثة عشر أمراً من أمور الخوارج وزعم أن الوهابيين قد أتوا بهذه الأمور واتصفوا بهذه الصفات ، والنتيجة التي يسمي لها هي أن يزعم أن أهل السنة من أهل نجد هم الخوارج الضلال الذين جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة دالة لم قادمة في دينهم آمرة بقتالهم واستئصالهم ونحن هنا إن شاء الله ثبتت هذه الأمور التي ذكرها هنا واحداً واحداً ، وقد ذكر بالبرهان الصارخ المسكت أن أهل السنة أو من يشتقي أن يسميهم الوهابية بريثون من صفات الخوارج التي خصوا بها وضموا لأجلها . ثم نكشف أنهم ليسوا هم الخوارج وأنهم بريثون منهم كل البراءة بدلائل كثيرة تاريخية وحسية وعقلية ، لأن هذه الدعوى أي دعوى أنهم هم الخوارج أو منهم دعوى قديمة قد ردها كثيرون من أهل البدعة والجهالة وأنسوا بها وحسبوا مقدساً في أهل السنة لا يظفر بأهدم منه لهم ، وقد تواصل بهذه الدعوى كل من نالوا هذه الدعوة الإصلاحية السلفية بالدم والقذح ورجع آخرهم ما زقا به أولهم ، وقد زادها الآخر تلحيناً . ثم نذكر بعد هذا بالحجة الصارخة أن كل مافي الخوارج من شر وضلالة يوجد لدى الرافضة قوم هذا الرجل ما يقابل هذا الشر وهذه الضلالة بشكل أفظع وأوسع وأخبث . ثم بعد هذا نذكر شبه الرافضة بشر الأم أي بالامة اليهودية عدوة كل الأمم من وجوه كثيرة . ثم نذكر فضل اليهود على الرافضة وما فاقوم به من الحق والهدى إن كان عندهم فضل أو حق أو هدى . ولنا قول هذا ثلثاً ونهريجاً . ولا مقابلة للقذح بمثله ، بل إن هذه الأمور سوف نذكرها مؤيدة بالحجج الحسية والتاريخية مؤيدة بالكتاب والسنة وأقوال أئمة الاسلام الأقدمين الثقات الذين لا تمس امامتهم ودرايتهم ونصفتهم بمس سوء ، والله بالمقاصد محيط عليم واليه يرجع الأمر كله

أما قوله هنا « إن شعار الوهابيين لادعاء إلا الله ولا شفاعة إلا الله ، ولا توسل إلا بالله ، ولا استغاثة إلا بالله » فيقال في جوابه ان هذا الزعم على الاطلاق اقتراء جريء لم يقله الوهابيون ولم يمتقوه ولم يذكروه في كتاب من كتبهم فضلا عن أن يكون شعارهم الذي به يعرفون ويمتازون . فانهم لا يقولون اطلاقا لادعاء الا لله ، ولكنهم يقولون ان الأموات لا يدعون لأنهم لا يحيون ولا يقدرون وكذلك الاحياء لا يدعون لما لا يقدرون عليه ولا يقدر عليه الا الله ، وهذا كهداية القلوب وفقران الذنوب وشفاء المرضى ورد الغائبين وانزال المطر ونحو ذلك ، وكذلك الغائبون لا يدعون لما لا يمكن عادة أن يكونوا قادرين عليه مماعا وفعلنا . أما من كان يقدر على شيء عادة وعرفا وكان مشروعا طلبه لا محذور في سؤاله فلا مانع من دعائه وطلب العون منه بالاسباب المعقولة المشروعة بل أنهم يرون دعوة هذا أحيانا واجبة يؤخذ تاركها ويماقب عند الله وعند الناس ، وذلك ككفر بقرين أشفى على الملكة رأى من يستطيع انجاءه والأخذ بيده . فمثل هذا واجب عليه عندهم شرعا أن يطلب النجدة والعون من رآه مستطيعا انقاذه اذا لم يكن تمت مانع شرعى ، ولو هلك ولم يدعه الى نجدة له كان ملوما مؤاخذا عند الله والناس وكذلك يجب على المسلمين أن يدعوا بعضهم بعضا الى فعل المعروف والخير والى التعاون على البر والتقوى ، وأن يدعوا بعضهم بعضا الى الله والى سبيل الله وهداه والى ما فيه قوتهم وسعادتهم الدنيوية والآخروية بالاسباب العادية المشروعة ، فهذا وأمثاله لا بد من الدعاء اليه ولا بد أن يتداعى المسلمون والناس كافة الى القيام به بقدر المستطاع المقدور عليه ولا خلاف بين الوهابيين في ذلك بل لا خلاف بينهم في وجوبه شرعا ، وعقلا ولا خلاف بينهم أن من لم يصنعه آثم واقع في معصية الله ومحادته

والدعاء الذى يأمر به هو دعاء الأموات ودعاء الاحياء الى ما لا يقدر عليه

عادة الا الله كأن يطلب منهم هداية القلوب وغفران الذنوب وانزال الفيث ونحو ذلك

فرغم هذا الشيعى أنهم يقولون اطلاقا لا دعاء الا الله زعم أقل ما يقال فيه انه غير صحيح وأشد ما يقال فيه مما يستحقه أنه هوى وخيانة وبهتان مبین وكذلك هم لا يقولون على سبيل الاطلاق لا شفاعاة الا الله بالمعنى الذى يعنيه وهو إنكارهم الشفاعاة فانهم يؤمنون بالشفاعة للنبي الكريم وللأنبياء جميعا وللمؤمنين والملائكة بل وللاطفال كما جاءت بذلك الآثار والاخبار عن النبي الكريم وعن السلف الصالح ويؤمنون بالشفاعة فى الدنيا ويوم القيامة على الوجه المشروع الوارد فى النصوص الشرعية نصوص القرآن والسنة ويؤمنون بأن المؤمن يشفع للمؤمن فى الدنيا بمعنى أنه يدعو له ويسأل الله له الهدى والعفو ونحو ذلك ، وليست الصلاة على الجنائزة سوى شفاعاة للميت ، ويؤمنون بأن الشفاعاة يوم القيامة أقسام صغرى وكبرى وأن الشفاعاة الكبرى هى الشفاعاة لجميع الخلائق ليخلصوا من هول الموقف وعذابه . وهذه الشفاعاة الكبرى هى من خصائص محمد عليه الصلاة والسلام . والشفاعة الصغرى بل الشفاعات الصغرى هى أقسام كثيرة وليست من خصائص واحد من الناس بل الانبياء يشفعون والملائكة يشفعون والمؤمنون يشفعون والاطفال يشفعون لأبائهم وأولى قرباهم

وهذه الشفاعات الصغرى هى لأغراض عديدة منها ما يكون لرفع درجات المشفوع له ، ومنها ما يكون لتخفيف عذاب بعض الناس ، ومنها ما يكون لاجراج قوم مسلمين من النار لأنهم أدخلوها للذنوب اجتروحوها وأتوها ، ومنها ما يكون لمغير ذلك . فهذه الشفاعات يؤمن بها السلفيون كل الايمان لا يتنازعون فيها ولا يختلفون . وهذا مذکور فى جميع كتبهم الصغرى منها والكبرى ، وكلهم يقولون ذلك ويصرحون به ولا يختلف النقل عنهم فى هذا ، بل وهم يسألون الله جل شأنه أن

يوفر نصيبهم من هذه الشفاعات شفاعات سيد الأنبياء وشفاعات جميع الشافعين ، ولكنهم ينكرون من ذلك أن ينقطع المسلمون الى الأموات راغبين وراغبين يسألونهم الشفاعة ويطلبون منهم أن يشفعوا لهم قارنين ذلك بصنوف الآثام والمنكرات المهلكات ، زاعمين أنهم بهذه الشفاعة وبهذا الاستشفاع يفر لهم من أتوه من أقانين الضلال وسوء الأعمال ، بل وإن كانوا ليسوا أهلاً للشفاعة ولا من أربابها لجلالة ما يأتيه من عصيان الله وللكثرة ما يؤذونه بالعداوة والتناوأة ، مدعين أن هؤلاء الشفعاء يشفعون ولا محالة لكل من طلب منهم الشفاعة وأن الله يشفع كل شافع في كل مشفوع له ، وظانين أن هؤلاء الأموات يسمعون دعاءهم وضرعاتهم وعتاقتهم باسم الشفاعة والاستشفاع ، وما علم هؤلاء أنه لن يشفع أحد الا من بعد أن يأذن الله بالشفاعة للشافع ، ولن يأذن إلا لمن رضيه من عباده الجديرين بالشفاعة وبالعفو . وما علموا أيضاً أن هؤلاء المدعويين في شغل عنهم وعن عتاقهم شاغل وانهم ان يدعوم لا يسمعون دعاءهم وانهم لو سمعوا دعاءهم ما استجابوا لهم ولا شفّعوا وانهم يوم القيامة يبرؤن منهم ومن دعائهم ودعواهم ولا علموا أن الله تعالى قد أعظم اللائمة على الجاهليين لتعلقهم بهذه الدعوى وتعلقهم بالشفاعة والشفعاء ، وانهم قد أغفلوا لهم الخطاب والملامة لأنهم كانوا يقولون هذه المقالة ، ويدعون هذه الدعوى ، ولا علموا أيضاً أن الشفاعة تكون لمن عبد الله مخلصاً له الدين ولمن أتاه بقلب سليم ، ولن رضي عنه إلا لمن طلبها وألحف في طلبها وعاد بالأموات واقطع الى المالكين . وقد روى البخاري عن أبي هريرة أنه قال قلت يا رسول الله : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » ولم يقل كما سمعت أحق الناس بشفاعتي من طلبها وأوغل في الطلب

هذه حقائق لا ريب فيها وقد نص عليها الكتاب والسنة في آيات وأحاديث

(٣٣٣)

بمن إحسانها على المحصين ، وسوف تتكلم عليها في الباب الخاص بالشفاعة ، وهي حقائق لا خلاف بين أهل السنة فيها ولا خلاف فيها بين من يسميهم المؤلف الوهابيين . فانهم سلفيون بالمعنى الصحيح الخاص والعام ، بمعنى أنهم لا يخالفون السلف في صغيرة ولا كبيرة بل ولا يستحلون خلافهم والخروج على هدايتهم . فهم إذن لا ينكرون الشفاعة ولا يقولون لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذي يريد الرافضي ، بل هم يؤمنون بالشفاعة كل الايمان ورجونها ويسألون الله أن يكتبهم من أهلها وأن يزيد نصيبهم منها ، وإنما ينكرون الشفاعة الباطلة التي ردها القرآن ورجعها على طالبيها وآملها في آيات كثيرة معلومة

وإذن زعم هذا الشيعي أن من شعارهم لا شفاعة إلا لله بالمعنى الذي يريد هو زعم أخف ما يقال فيه أنه غير صحيح ، وأقل ما يقال فيه على أنه حق : أنه هوى وخيانة وبهتان للمؤمنين وإصرار على إيذاء المؤمنين وإحداث للشحناء والبغضاء . والله بأسرار الصدور علیم محيط

وكذلك هم لا ينكرون الاستغانة بالخلق إطلاقاً على الوجه المشرع المعقول العادي ، فلا ينكرون أن يستغنى المسلم بالخلق في الأمر الذي جعل الله في استطاعة الخلق القيام به وعمله بأسبابه الظاهرة ، ولكنهم ينكرون بصراحة وإباء الاستغانة بالأسوات بل الاستغانة بالخلق مطلقاً في ما لا يقدر عليه إلا الله . وما قيل في الدعاء من التفصيل ومن التجويز والمنع يقال في الاستغانة ، وقد قدمنا في فاتحة الكلام القول في الدعاء

وأما قوله لا توسل إلا بالله فقول غريب ، ومن ذا الذي يقول لا توسل إلا بالله وأي تركيب هذا وأي غلط يحمله ؟ فإن من المحال أن يجحد هذا القول به - أنه الصيغة في كلام من يزعم الرد عليهم . والله يترسل اليه لا يتوسل به كما قال في القرآن « اتقوا الله وابتهوا إليه الوسيلة » وقال « أولئك الذين يدعون يبتغون

الى ربهم الوسيلة ، وهكذا جاء التعبير في الأحاديث ، وإذا ما أريد نفي الوسيلة
فنياً عاماً بآثار قيل لا توسل الى الله ، أو لا توسل ، ولكن لن يقال لا توسل إلا
بالله في هذا المعنى ، فان معنى هذه العبارة أنه لا يتوسل إلا بالله ، وإلى من يتوسل
بالله لو كان هذا المصنف الشيعي يعرف مواقع الكلام ؟ هذا مالا يعقل وما يتقاس
الله عنه ، وعلى ما في هذه الكلمة من الخطأ اللغوي والمعنوي الاعتقادي يقال ان
من البهتان الصريح الصحيح الزعم أن الوهابيين ينكرون التوسل والوسيلة إنكاراً
مطلقاً عاماً ، وإن من البهتان المتعمد أن يقال أنهم يقولون لا وسيلة ولا توسل ،
فان الوسيلة الصحيحة والتوسل المشروع مذكوران في جميع كتبهم المطبوعة المشهورة
لا يختلف في ذلك ولا يختلف النقل عنهم فيه ، وأنهم يتوسلون الى الله الليل والنهار
التوسل الصحيح ويسألونه الوسيلة الليل والنهار وهم لا يرون الاسلام يصح إلا
بهذه الوسيلة وهذا التوسل وذلك أنهم لا يختلفون أن من الوسيلة والتوسل الى الله
الايان به وبالأنياء وجبههم واتباعهم والخذوذوهم ورجاء شفاعتهم وتشفيهم الله
إياهم بهم ، كما لا يختلفون أن من التوسل الى الله الأعمال الصالحة والأقوال
الصالحة والعبادات على اختلاف أنواعها ، وأن من ذلك كل ما دلت الدلائل
الشرعية على أنه يقرب الى الله ، وإلى رضاه وكل ما يحبه الله ويطلب به عباده ،
فالوسيلة التي هي الأعمال الصالحة وكل ما دل الشرع على أنه من الايمان والدين
هم لا ينكرونها بل يرونها لازمة بل هم يرون الدين كله توسلاً ووسيلة الى الله وإلى
رضاه ، وهذا لا يختلف فيه

ولكنهم ينكرون من ذلك توسل الجاهلية الذي هو عبارة عن الاستغاثة
بالأموات والانتطاع الى القبور وسؤال أصحابها مالا يقدر عليه إلا الله عز شأنه
وسلطانه . ثم ينكرون جميع هذه الأمور الشنعاء التي يجترحها هؤلاء الكافون على
الأجداد النازلون بأصحابها من الخضوع والخشوع والتسكن المشيع بالتأله كما سوف

يجب . فزعم هذا المصنف أنهم يتكرون الوسل والوسيلة ويوحون بهذا الانتكاز
إطلاقاً افتراء عليهم مقصود . فان هذا فيما أحسب لا يخفى على مثل هذا المصنف
لأنهم يذكرون في جميع كتبهم التوسل للمشروع والوسيلة المشروعة . فلن يند
هذا كله عن بال هذا الرجل ، ولكنه يعتمد ما يتقوله عليهم تمعداً ، والله يتولى
جزاء المتقولين ، وسوف نرى فيما بعد أن هذا الخلق خلق طائفتين اليهود والشيعه
ونعوذ بالله من هذا

هذا كله يقال ، ويقال بهذه الهوايين قالوا لا دعاء إلا الله ، ولا استغاثة
إلا بالله ، ولا شفاعه إلا الله . فإذا يكون ولماذا عدتهم غالطين بهذه المقالة إذا لم
يتفوا حقاً ثابتاً ولم ينصروا باطلا معلوماً ؟ أو ليس الله قد قال هذه المقالة إطلاقاً
بقوله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال « له دعوة الحق » وقال « قل
الله الشفاعه جميعاً » وقال « له ملك السموات والأرض » وقال « أم من يجيب
المضطر إذا دعاه ويكشف السوء إلا مع الله » وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
رواه الطبراني « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وقال الله وقال رسوله غير
ما ذكرنا . فإذا ما قالوا هذه المقالة التي زعمها هذا الشيعي كانوا في الظاهر موافقين
لهذه الآيات ولهذا الحديث ولغير ذلك من النصوص ، ومن قال قولاً موافقاً
النصوص الشرعية لا يمكن أن يلام عليه ولا أن يضاف إليه خطأ وضلالة ، وهذا
معلوم لا يشك فيه المسلمون ، ولكن القائل ان كان يريد بما قاله موافقاً النصوص
معنى باطلاً فاسداً أو كان يفهم من النصوص فيها باطلاً فاسداً ليم على ذلك المعنى
الذي أراده وعلى ذلك الفهم الذي قصده وأخذ بما كان باطلاً ضلالاً فقط لا على
الآقوال التي يقولها وفاقاً للنصوص الدينية وسيراً معها

والخوارج لم يؤخذوا على قولهم لا حكم إلا الله ، ولكن أوخذوا على أن فهموا
هذه الكلمة فيها باطلاً فاسداً وعلى أن خالفوا بذلك النصوص الأخرى واجماع

للسلمين وما دلت عليه المقولات ، ولأجل هذا قال الامام على ان كتبهم هذه كلمة حق يراد بها باطل . فهم اذن مبطلون في فهمهم هذه المقالة لاني قولهم اياها كما يدعون من كلام على نفسه . وعلى هذا قالوها يبيون لو كانوا يقولون اقوالا باطلة ويدعون الى باطل كانوا غالطين لهذا الباطل ولهذا الاقوال الباطلة لا قولهم لا دعاء الا لله ولا شفاعاة الا لله ولا استغاة الا بالله ، وهذا الرجل يدعى أنهم يريدون بهذه الاقوال أموراً باطلة فهو اذن لا يلومهم على نفس هذه الاقوال وإنما يلومهم على الباطل الذي زعم أنهم يريدونه بها . فعليه اذن أن يثبت أن عقيدتهم في دعاء الأموات والاستغاة بهم وجميع مآرده عليهم في هذا الكتاب ضلال مخالف للشرع ، وعلينا نحن أن نهدم ما يدعى وأن تثبت بالبرهان أنهم مصيبون وأنهم على صراط مستقيم وهدى مستبين من الكتاب والسنة ، وبهذا يماز الحق من الباطل وبفصل في المسألة فصلاً حاسماً تاماً

وأما زعمه أنهم يريدون بذلك باطلاً وهو منع تعظيم من عظم الله بدعائه والتوسل به وعدم جواز التشفع والاستغاة والتوسل بمن جعله الله شافعاً مغنياً وجعل له الوسيلة . فيقال جواباً له : أما تعظيم من عظمه الله فإن القوم الذين يحاولون هذا الشيى الرد عليهم من أوفر الناس تعظيماً له ومن أعظم اعترافاً بقدره وفضله وجاهه . ولكن ليعلم أن تعظيم من عظمه الله حقاً هو اخلاص الطاعة والالتقاد له وتقديم قوله وحكمه وسنته على أقوال جميع القائلين وعلى جميع شهوات النفس وحاجاتها المدخولة كما قال تعالى « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقد قال القاضي عياض في كتاب « الشفاء » تحت عنوان (معنى المحبة للنبي عليه السلام) : « قال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام » ، كأنه التفت الى قوله « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني » وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والالتقاد لها وهيئة مخالفته ، وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ، وقال

آخر : إثار المحبوب . وقال بعضهم : المحبة الشوق الى المحبوب . وقال بعضهم : المحبة مواطأة القلب لمراد الرب ، يحب ما أحب ويكره ما كره . وقال آخر : المحبة ميل القلب الى موافق له . هذا كله ذكره القاضى عياض

وليعلم أنه ليس من التعظيم فى شىء الاقتات عليه والابتداع فى شريعته ، وتقديم أقوال الرجال على قوله وعلى ما جاء به من الهدى والبيئات ، كما أنه ليس من التعظيم له عليه السلام الزعم بأن الأئمة معصومون كعصته أو أشده ، وليس من التعظيم له أيضاً الوقعة فى خيار أصحابه وإكفارهم ، أصحابه الذين نصره وآووه إذ خذله الناس وأخرجوه ، وليس من ذلك أيضاً رضى أزواجه بمفطحات الكبائر وسبهن والعيب لديهن الى غير ذلك من الفظائع الشيمية المعروفة ، وليس كذلك من التعظيم له فى شىء عصيانه وعصيان الله جبهة ومناذرة الكتاب والسنة بدعوى إعظام من عظمه الله وبدعوى حبه والقيام بحقه والاقطاع اليه إرضاء عن الله ، ونأيا عن جانه . وليس من تعظيمه كذلك سؤاله ما لا يسأل إلا الله وما لا يستطيعه إلا الله بزعم حبه وإعظامه . هذا كله ليس من التعظيم له ولا من الاحترام ، بل هو من الاساءة اليه والعصيان والاغضاب له . كما أنه ليس غلو النصارى فى عيسى وفى الأقباط والرهبان بدعوى تعظيمهم واحترامهم احتراماً لهم وتعظيماً ، بل ذلك إساءة الى عيسى وإلى الصالحين من الأقباط والرهبان . ومثل هذا وذلك خلو الشيعة فى على ودعواهم فيه العصمة والالوهية أو الرسالة أو ما لا يستحق من أنافين التعظيم الخاطيء . فهذا كله ليس من التعظيم وإن حسبه فاعله تعظيماً . ولو فرض أنه تعظيم لئمة أو عرفاً خاصاً أو عاماً لكان تعظيماً محرماً ممنوعاً لا يجوز ارتكابه ، لأنه عدوان ومجاوزة لحدود الله . والقانون العادل الصحيح فى هذا بل وفى كل أمر دينى هو السير قولاً وعملاً واعتقاداً على ما نهجه الكتاب والسنة وتأميراً وقولاً وذمماً . فهما الشاهدان العدلان الأذان لا يخونان ولا يخطئان . وليس من

العدل والصواب والدين مخالفتها ومحادثتها اتباعا للأهواء والأغراض ووساوس الشياطين المضلين وابتداع المبتدعين المخدوعين . فالتمسك بالكتاب والسنة هو المعظم لله ولن عظمه الله ، وهو الراشد المهتدي بلا ريب . والناذع الخالف لهما غير معظم لله ولا لمن عظمه الله بلا شك ، وإن ظن غير ذلك وادعى خلافه ، وهذا لا شك فيه بين أهل الأمة الإسلامية . وهذا هو برهان التعظيم وحجته الناطقة المادلة

وأما دعاء الرسول عليه السلام والسؤال له فليس يلزم أن يكون تعظيما له واحتراما لا شرعا ولا عرفا ، لا خاصا ولا عاما ، بل السؤال والدعاء كثيرا ما يكون محرما ممنوعا لأنه لا تعظيم فيه ولا احترام ، بل قد يكون إساءة للمشول واغضابا له ، وقد كان الناس يسألون الرسول عليه السلام يوم أن كان حيا بين أظهرهم فيخضب لذلك ويذم المسألة والسائلين ، ويمتدح التعفف والمتعفين ، ويقول « لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم » وقد كان يشترط على أصحابه في البيعة ألا يسألوا أحدا فكانوا كما اشترط عليهم حتى كان السوط كما ورد في الحديث يسقط من يد أخدم فلا يقول لأحد ناولنيه وقد كان كبار أصحابه عليه السلام من أقل الناس سؤالا له ومن أندرم ، حتى قيل إن أبا بكر الصديق لم يسأله شيئا في مدى صحبته إياه كلها . وهذا المعنى لا ريب فيه

فلو كان السؤال أو الطلب تعظيما ومشروعا دائما لما كان منها عنه محرما بصرامة وشدة وإن كثيرين من هؤلاء الذين يسألون النبي الكريم وغيره من المولى يسألون مسائل محرمة منها عنها لو كان المشول قادرا على إعطائها ومنحها . وهذه المسائل التي يسألها هؤلاء الجاهلون الرسل والأولياء وغيرهم من الآمات هي مسائل ما كان الصحابة يسألونها الرسول الكريم يوم أن كان حيا يروونه

ويراهم ويسمعونه ويسمعهم بل ولو سألوه شيئاً منها لا نكره ولنفاظه ذلك لأنها مسائل محرمة شرعاً وذوقاً

فالمسألة بالجملة محرمة ولكن تباح عند الضرورة الملحة كما تباح سائر المحرمات مثل الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ونظائر هذا . والأحاديث النبوية في هذا المعنى بالغة مبلغ التواتر المعنوي

وهذا الرافضى يدعى أن تعظيم الرسول هو دعاؤه ، فمن لم يدعه فليس معظماً له ولا معترفاً ولا قائماً بحقه المفروض اللازم من التعظيم ، وليكن معلوماً هنا أن مراده بدعائه هو دعاء الجاهلين والعامّة الذين يسألونه ضروب الحاجات الشخصية المادية ، كمن راح يسأله أن يزوجه أو يسأله أن ينصره على فلان أو فلان ، ويؤليه مركز كذا أو يعطيه مقدار كذا من المال وأن يرد عليه غائبه وإن كان حيواناً ، وأن يشفى مريضه وأشياء ذلك من غرائب المسائل التي لو سئلتها النبي ﷺ لكان إساءة إليه وقلة احترام له ، بل قد يكون تمديداً له ، ونحن نعرف أن من سأل الرسول هذه الحاجات يوم أن كان حياً فقد آذاه واحترقه في كثير منها ، ونعلم أن مثل هذا لن يكون له تعظيماً البتة

ولينظر الفرق بين من قال إن تعظيم الرسول هو سؤاله هذه الحاجات المادية الشخصية وبين من يقول إن تعظيمه ﷺ هو الاتباع له ظاهراً وباطناً ، والنهج منهاجه قولاً وعملاً واعتقاداً ، وألا يقدم قول أحد من الناس على قوله ، بل وألا يكون لأحد معه قول . لينظر القارىء أي القائلين أكثر تعظيماً له واحتراماً له ﷺ ، وأي هذين القولين هو التعظيم

على أن الدعاء المشروع نحن لا نكره كما قلنا آخفاً بل نوجه أحياناً ليس من الرسول فحسب ، بل من سائر المسلمين والمؤمنين ، والقانون الفاصل في هذا كما قلنا مراراً هو تحكيم النصوص الشرعية فما جاء فيها كان حقاً واجباً على المسلمين

فعله ، وما لم يرد فيها أو ما أنكرته كان باطلا واجبا على المسلمين رفضه واجتنباه .
ونكرر أيضا قولنا بأقنا لا ننكر الاستغاثة والتوسل المشروعين ولا الاستشفاع
الصحيح . وقد ذكرنا مراراً الفرق بين هذه الأمور ، وذكرنا أن منها ما هو
مشروع ومنها ما ليس مشروعاً ، فما ذكره إطلاقاً بأننا نمنعه هو افتراء متعمد كما
قلنا ، وما ذكره من أنهم يقولون لمن يسأل الرسول الكريم ﷺ وغيره من
الأموات : من الذى أعطاك القوة ؟ فإذا قال الله قالوا له لم تدعو فلانا وتدع الله
الذى أعطاك القوة ؟ يقال فى جوابه ان هذا الكلام صحيح لا ريب فيه ، فالذى
يعلم أن الله خالق كل شيء أقرب إليه من كل شيء وأرحم به من كل شيء وأعدل
من كل شيء ثم يعلم أن جميع ما به من النعم روحية ومادية حسية ومعنوية من الله
وحده لا شريك له ولا معين ، من يعلم ذلك كله كيف يهجر الله ويهجر سؤاله ،
ويذهب يدعو مخلوقاً عاجزاً عن نفع نفسه وعن دفع الأذى عنها ، مخلوقاً خاضعاً لله
فى كل شيء ؟ وكيف يذهب يسأل ميتاً أن يرزقه وأن يشفيه وأن يفيقه وأن
يكشف بلاءه وضراءه وكل ما به من الأوصاف والخطوب ، وهو يعلم أن ذلك
المخلوق المستول وان جل قد وقع به أشد الخطوب وأمر المصائب وذلك هو الموت
المختوم ، ألا يعلم أنه لو كان يقدر على ما يسأل لجاد به على نفسه ولنفعها ودفع عنها ؟
ويشبه هذا من قريب قول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ « ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثر من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير » فالذى يعرض عن
الله ويسأل المخلوق الميت رهين البلى والثرى كبريات المسائل مما لا يقدر عليها إلا الله
مصائب ولا شك فى عقله أو دينه أو فيها معاً ، وأين من يفهم قول الله « يا أيها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له . ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا
له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله
حق قدره إن الله لقوى عزيز » ؟ وما أجل ختم الآية بقوله إن الله لقوى عزيز .

ها هنا الاعجاز ، وها هنا البلاغة التي تتطامن عندها أعتاق فحول البيان إجلالا
وهية وصغاراً

وقول الرافضى « ان هذا تضليل إذ لا يوجد أحد يعتقد أن الأمر بيد محمد
أو غيره أصالة وإنما هو التوسل وطلب الشفاعة ممن له الوسيلة والشفاعة » يقال في
جوابه : ان الغرابة والاشكال من هذه الجهة اذ كان للمرء لا يعتقد أن الأمر
بيده من يسأله ويطلبه ويعلم أن من يطلبه منه لا قدرة له عليه مطلقا بل هو من صنع
الله وحده فكيف يسأله إياه ولماذا يدعو رغبة فيه ؟ وكيف لا يطلبه ممن يعلم أنه
بيده وأن بيده كل شيء وكل ما كان وما سوف يكون ؟ ثم يقال كذلك كان
المشركون لا يعتقدون أن الأمور بيد الأصنام أصالة كما سوف يحى . ثم لاندري
كيف يقول انه لا يوجد أحد يعتقد أن الأمر بيد غير الله أصالة ، ولا ندري كيف
عرف أنه لا يوجد من يعتقد هذه العقيدة ؟ أو ليس نظير هذه العقيدة موجوداً في
الناس في كل زمان ؟ أو ليس أوائل الشيعة أغنى السبئية ، اعتقدوا الألوهية في علي
باعتراف هذا الرجل ؟ فإذا ما وجد من اعتقد في علي الألوهية فكيف لا يوجد
من يعتقد في الرسول ﷺ ذلك أو مادونه من التصريف والاصطاء والمنع ؟ ومنطق
هذا الرجل منطق مريض بلا شك

وقوله هنا لا يوجد من يعتقد أن الأمر بيد الرسول أو غيره أصالة يدل على أنه
لا يرى بأساً في من اعتقد أن الأمر بيد غير الله لا أصالة بل نيابة عن الله في
تصريف الأمور وتدير الكائنات

وقوله « وإنما هو التشفع والتوسل » يقال في جوابه كلا والله ، فان من يقول
يا فلان أغثنى أو أرزقنى أو اشف مريضى أو اهد قلبى أو اغفر ذنبى لا يمكن أن
يقال في هذا انه متشفع ومتوسل البتة . والذي يسمى هذا بهذا الاسم غلط غلطين
خطأ لغوا إذ سمى هذا توسلاً واعتقادياً إذ أباح مثل هذا وحسبه من الدين ، وإذا

التوحيد الخالص وينكرونه أشد الانكار ، وهذا مذكور في آيات القرآن قال تعالى « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » وقال أيضا حكاية عن هؤلاء الخصوم « أجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا لشئ عجاب » الى قوله « ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا الاختلاق . أنزل عليه الذكر من يتنا ؟ » وقال تعالى « وان للساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً قل إنما ادعو ربى ولا أشرك به أحداً » الى غير ذلك من الآيات المصرة بأن خصوم الاسلام والنبي الكريم كانوا يقومون من ذلك التوحيد الخالص النقي الذي يريد من أهله أن يسموا الى الله في عليا سمواته وأن يتجاوزوا المادة وحدودها فيصلوا الى تعالى قلوبهم وعتولهم وإيمانهم واعتقادهم وأرواحهم وألا يكونوا في هذه الأرض مع المادة والماديات إلا بمادتهم فقط . أما أرواحهم وإيمانهم وتوحيدهم فمع الله فوق سمواته حتى اذا ما أراد بهم مريد من عوادي الطبيعة كيذاً أو أذلة أو إرهاباً لم يستطع الوصول ان استطاع الا الى مادتهم وإلى ما في تركيبهم من تراب وهياكل جسدية مادية . أما إيمانهم وقلوبهم وما كانوا به أهلاً لعبادة الله وخطابه ورسالاته وروحه فأسمى من ذلك وأبعد على المتناول المتناول

كان خصوم الاسلام والنبي يقومون هذا التوحيد النقي ، وكذا هذا الشيعى واخوانه يقومون هذا التوحيد نفسه من الموحدين اليوم . فاذا قالوا لم الله وحده وادعوا الله وحده ، ولا تدعوا مع الله أحداً ، واذا ذكروه سبحانه لا شريك له ولا معين اشمأزت قلوب هؤلاء المعارضين وهاجوا وماجوا وقدحوا وصخبوا واذا ذكر من دونه من الشايخ والمعتدين ودعوا واستغثوا واقطع اليهم فرحوا واستبشروا وطاروا على أجنحة السرور الى حيث لا يرجعون ، وأنسوا بذلك ورجوا به الخير والسعادة والمآفة

(٣٤٤)

فالفرقان : هؤلاء المخالفون وأولئك المخالفون للنبي المناوئون للإسلام
يصدران عن عقيدة واحدة ويعترفان من منهل واحد وحجة واحدة . أفما ترى
أن اليلة كالبارحة سواء كما يقولون في التعبير الصميم القديم
هذا جواب عن الوجه الأول من وجوه التشابه بين الوهايين والخوارج
ثم قال الرافضى : « (ثانيا) كما أن الخوارج مواظبون على الصلوات وتلاوة
القرآن والعبادة متصلبون في الدين طالبون للحق كذلك الوهايون متصلبون في
الدين ، يؤدون الصلاة لأوقاتها ويواظبون على العبادة وبطلبون الحق وإن أخطأه
ويتورعون عن المحرمات »

ونحن نقول في جواب ذلك إن التصلب في الدين والمحافظة على الصلوات
والعبادة ومطلب الحق بنية خالصة سالحة واجتناب المحرمات والآثام ، ان هذه
الأمور كلها لا يمكن أن تعد معاصي وعبوها ولا يمكن أن تكون مكان ذم
ومقدح وعيب في صاحبها ، بل هذه الأمور كلها فضائل وطاعات يثاب عاملها
ويعتمدح ويمجأزى عليها الجزاء الأوفى ، وان سعادة المرء في الأخرى موقوفة على
هذه الأمور ، وبقدر حظه منها يكون حظه من السعادة ، وان الأولياء ما كانوا
أولياء وان المؤمنين ما كانوا مؤمنين إلا بجمعهم هذه الأمور ومحافظتهم عليها
وتصلبهم فيها ، وما كان الشقى شقياً ولا العاصى عاصياً ولا أهل النار من أهل
النار إلا بمخالفة هذه الأمور وإهمالها ، وما استحق أهل الجنة الجنة ثم الخلود
الأبدى فيها الا بالايان والمحافظة على الصلوات والعبادات وإخلاص النية في
الناس الحق ، طلب الحقيقة العليا والا بالتورع عن المحرمات . هذا مالا ريب فيه
وما كان كذلك لا يمكن أن يعد مكان ذم ومقدح وعيب ، والخوارج لم يؤاخذوا
ويضلوا ويستحقوا عقاب الضالين الخارجين بتصلبهم في الدين ومواظبتهم على
الطاعات واجتنابهم المحرمات . هذا ليس هو موضع الذم فيهم بل ريب ، ولكن

القوم قتلوا وقموا لما ابتدعوه في كتاب الله وسنة رسول الله عليه السلام من البدع القبيحة الشنيعة ، وبوضعهم كتاب الله خلاف مواضعه ومخروجهم على سنة الصحابة والتابعين والارصيل الاول الافضل جهلا منهم وضلالا وقصوراً في الفهم وعرفان الحقيقة . حتى وقموا في اكناف الخلفاء واكناف الصحابة الراشدين ، وحتى طفقوا يعدلون عليهم ويحاولون تعليمهم وارشادهم . فأكفروا عليا وعثمان ومعاوية وعمر بن العاص ومن تولاهم أو سار سيرتهم واهتدى هديهم ونهج منهجهم واعترف بفضلهم وحققهم ، وقد طالبوا الخليفة علياً بأن يعترف على نفسه بالكفر والردة والا فالحرب بينهم وبينه ، العداوة المشبوبة للهلكة بين فريقهم وفريقه فضلوا بذلك وأضلوا كثيراً

وأصل ضلالهم قائم على القسح في الخلفاء وفي الصحابة ، وفروع ضلالهم متفرعة عن هذا الأصل الباطل الذي هو الوقوع في السلف ، حتى أنهم بعد المحاولات الكثيرة والمناوآت التي قاموا بها تأمروا على اغتيال ثلاثة من كبار الصحابة وهم علي ومعاوية وعمر بن العاص ، فقتلوا علياً وجرحوا معاوية وأصابوا خارجة مكان عمرو بن العاص الى تمام محنتهم وضرائهم للموجة ، فما هنا كان داء القوم وبلاؤهم ، ولم يكن آتياً من جهة طاعتهم ومواظبتهم على الصلوات والعبادات والتصلب في الدين وإخلاص النية في طلب الحق . كيف والشيعة يزعمون أن أئمتهم كانوا في غاية من المحافظة والمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وعلى غاية كبرى من التصلب في الدين واجتناب الآثام حتى زعموا أن علياً كان يصلي في الليلة الواحدة ألف ركعة مع قيامه بالجهاد وقتال الأعداء ، وزعموا أن علياً بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يصوم نهاره ويقوم ليله ، وأنه كان يصلي في اليوم واليلة ألف ركعة ، وأنه كان يبكي من خشية الله حتى خدعت الدموع لحم خديه وأنه سجد وأطال السجود حتى سمي ذا الثغفات ، وقد سموه زين العابدين ، وزعموا

أن ابنه محمداً الباقر كان أعظم الناس زهداً وعبادة حتى لقد بقر السجود جبهته ودعى لهذا الباقر ، وزعموا أن ابنه جعفر الصادق كان أفضل أهل زمانه وأعبدهم وكذا كان ابنه موسى الكاظم وكذا كان جميع أئمتهم في زعمهم أعبد الناس وأخشاهم لله وأعظمهم مواظبة على حقوق الله ورعيًا لجانبه واجتنابًا لمحارمه ، وهم ينسبون إليهم هذه المبالغات لتقوم لهم دعواهم بأنهم هم الأئمة المعصومون وأنهم أفضل الناس على الإطلاق وأحقهم بالامامة والخلافة

إذن لن تكون مواظبة الوهابيين على الصلوات والعبادات واجتنابهم المحرمات قدحاً ولا عيباً ، بل أن هذه فضائل يسلمها لهم خصومهم وأعداؤهم ويعترفون بها اضطراراً وكرهاً ، وإذا قد علم أن أصل ضلال الخوارج هو الوقعة في سلف الأمة ورعيها الأول وإكفارهم ومناصبتهم العداوة والحرب ، ثم الابتداع في الاسلام والخروج على السيرة الأولى الاسلامية سيرة الخلفاء ، ثم وضع كتاب الله خلاف وضعه ومواضعه فسوئاً ، نرى القاريء أن نصيب الشيعة من هذه البدعة أوفر نصيب وأوفر من نصيب الخوارج أنفسهم ، لأن الخوارج ان كانوا قد ابتدعوا الكفار على معاوية وعمرو بن العاص ومن تولاهم فإن الشيعة قد ابتدعوا الكفار أبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأزواج النبي الكريم ومن تولى هؤلاء وسار سيرتهم ونهج نهجهم من الصحابة والتابعين وأئمة الحديث والفقه والافتاء وسائر المسلمين ، وشتان ما بين البدعتين فظاعة ونكرا !

وإذا قد اعترف للوهابيين وهو الخصم المبين بالمواظبة على الطاعات والعبادات والصلوات وبهجران المحرمات وإخلاص القصد في التماس الحق والهدى ، فمن ذا يشهد لشيعة الرافضة بأحدى هذه الفضائل الجلائل والأمور الكبرى ؟ إن التاريخ من ألفه إلى يائه كما يعبرون يشهد بصراحة أن الرافضة كانوا أبداً وفي كل وقت على قبيض ذلك تماماً وكانوا على غاية من إهمال الواجبات والطاعات والعبادات

وعلى غاية من اقتحام مفاضب الله ومساخطه . وان التاريخ من الله الى يائه كما يقول بعض الكتاب يثم هؤلاء وهو على الحق الصانع بسره القصد والنية وباتباع الأهواء المضلة وبارادة السوء بالدين والمسلمين . وإن من أنطق الدلائل التاريخية على ذلك ما جاء به الفاطميون وهم إحدى طوائف الشيعة من المنكرات والمبتدعات الدالة على إرادة هدم هذا الدين وإفساده عمداً وقصدآ . ويكفي تدليلاً على هذه القضية أن يعلم أن واضح بذور هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ اليهودي المعروف . دع عنك طائفة القرامطة وما جاءوا به من البلاء المصوب على الاسلام والمسلمين وعلى الاخلاق والفضائل جميعاً . ومعلوم أن القرامطة كانوا متشيعين وكان وضعة مذهبهم فرساً ، وبين أحضان الفرس ترعرع المذهب الشيعي الرافضي العالي وهناك نما وشب وقاض على الآفاق فان أبا طاهر والحسن بن بهرام المعروف بأبي سعيد الجنابي وغير هؤلاء من أئمة القرامطة وناشري مذهبهم كانوا فرساً من بلدة جنابة إحدى البلاد الفارسية

ذلك واذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا صادقين راشدين : ان هذا الشيعي واخوانه من المبتدعين يشبهون خصوم الاسلام والنبي والمسلمين من وجوه كثيرة أحد هذه الوجوه قدسهم وعيهم للمؤمنين الصالحين ولزم أيام بالطاعات وباجتناب عصيان الله قال الله في خصوم الاسلام والمسلمين : « الذين يلزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم . سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » الى غير ذلك من الآيات الملوحة في هذا المعنى

وكذلك هذا الشيعي واخوته يلزون المؤمنين السلفيين ويعيرونهم ، بماذا يعيرونهم وبماذا يلزونهم ؟ بالطاعات والمحافظة على الصلوات وباجتناب المآثم والمحارم . فالفرقان : هذا الشيعي واخوته ، وأولئك المحاصرون للاسلام ولأوائل المسلمين بصدران عن رأي واحد وحجة واحدة . هذا عن الوجه الثاني الذي زعم

فيه هذا المصنف مشابهة الوهابيين للخوارج . ثم قال الرافضي :

« (ثالثاً) كما أن الخوارج كفروا من عداهم من المسلمين وقالوا مرتكب الكبيرة كافر يخلد في النار واستحلوا دماءهم وأموالهم وسبى ذراريهم ، كذلك الوهابيون حكموا بشرك من خالف معتقدهم من المسلمين واستحلوا ماله ودمه ، وبعضهم استحل سبى الذرية ، ولم يخاطبوه الا بقولهم : يا مشرك ، وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان تحجب الهجرة اليها ، وحكموا بقتال تارك الفرض وان لم يكن مستحلاً . وكذلك خرجوا عن السنة وجعلوا ما ليس سنة سنة مثل الخوارج »

قلت : وجواب ذلك أن يقال ان من عجائب الأيام وفكلماتها المضحكة قوماً المبكية قوماً آخرين أن تذهب الشيعة تهم أهل السنة من أهل نجد با كفار المسلمين واحلال دمائهم وأموالهم في حين أن الشيعة تعلن على رؤوس الأملاء ومسامع العالمين ا كفار خيار الأمة وا كفار كبراء الصحابة ومن تولاهم من فرق المسلمين على اختلاف العصور واعتقاب الياالي ١١ والذي يكفر أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص كيف لا يمنعه الحياء أو كيف لا يبعد عند الحياء . يمنعه من أن يتهم أحداً با كفار المسلمين ، وكيف لا يبعد في نفسه زاجراً يزجره عن التفوه بهذه الحديي حديي ا كفار المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وكيف لا يندى جبينه ويحمر وجهه خجلاً عند الخوض في هذه المسألة أعنى مسألة تكفير المسلمين ١٢ ان الشيعة لا تهيب المجاهرة با كفار هؤلاء الصحابة وبا كفار من يأخذ اخذهم من المسلمين ، ولا تهيب أن تسجل هذا الذنب العظيم عليها في تاريخها وفي كتبها المطبوعة المبدولة لعامتها . قال في كتاب الوشيعة :

« كتب الشيعة تكفر عامة الصحابة كافة ، لم ينح من التكفير سوى قليل

منهم لاتزيد عدتهم على سبعة ، وللشيعة الامامية في تكفير الاول والثاني أبي بكر وعمر صراحة شديدة ومجازفة طاغية ، وفي كتب الشيعة عن الباقر والصادق (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : من ادعى امامة ليست له ، ومن جحد اماما من عند الله ، ومن زعم أن أبا بكر وعمر لما نصيب في الاسلام) وفي المجلد الثاني من الوافي ^(١) صفحة ٤٤ وبعدها كلمات لا يقبلها الأدب . الاول والثاني أبو بكر وعمر في كتب الشيعة رجسان ملعونان . هما الجبت والطاغوت وهما فرعون هذه الآلة وهامانها ، وهما أشد أهل النفاق نفقا وعداء للنبي وضررا للاسلام . وفي كتب الشيعة أن أبا بكر أب لكل الشرور . لم يسم صديقا إلا بعد أن رأى في الغار معجزات أدهشته وسيرته فأضمر في قلبه (الآن صدقت يا محمد انك ساحر عظيم) . وفي كتب الشيعة في الكافي والتهذيب والوافي ^(٢) لعنات على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة وهم كل الأمة بببارات ثقيلة شنيعة وللشيعة في اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعية مأثورة ، وفي كتاب الوافي في كتابه الثامن وفي غيره كلام طويل ثقيل يدل على أن دأب الشيعة في الكتب والكلام والمجالس الانبساط في اللعنات . يقول الوافي لم يدع الامام أحداً من يجب أن يلعن الا لعنه وسماه وأول من بدأ بأبي بكر وعمر وعثمان . ثم مر على الجماعة ولمن الكل ، وللباقر والصادق على حسب ما ترويه كتب الشيعة دبر كل صلاة مكتوبة أورد لعنات على أربعة من الرجال منهم الاول أبو بكر والثاني عمر وعلى أربع من النساء منهن عائشة وحفصة وفي الكافي والتهذيب أدعية مأثورة عند زيارة قبور الأئمة في اللعن على العصر الاول وعلى كل الأمة تقول كتب الشيعة والله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم . في كل عالم سبعون ألف أمة . كل أمة

(١) الوافي أحد كتب الشيعة المعتمدة عندهم

(٢) هذه الكتب الثلاثة عمدة الشيعة

أكثر من الجن والانس لام لهم إلا الأمن على أبي بكر وعمر وعثمان
« وفي الكافي (٣ - ٣٩١) أن عائشة وحفصة كافرتان منافقتان مخلصتان في
النار ، وفي محائف الكافي كلمات تسمّز منها جلود الشياطين » ثم قال في الوشيعة
أيضاً « ما تقول كتب الشيعة في الدول الاسلامية : حكومات الدول الاسلامية
وقضايتها وكل علمائها طواغيت ، ومن تتحاكم الى الطاغوت وحكم له فان أخذه فانما
يأخذه سعته ، وان كان حقه في الواقع ثابتاً له لأنه يأخذه بحكم الطاغوت وقد
أمروا أن يكفروا به ، ويحرم على الشيعة أن تتحاكم الى الطاغوت ، وكل راية
ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاعوت يعبد من دون الله « الوافي » (٣ - ٢٨)
فكيف يكون أساس الدول الاسلامية على وجه الارض من أول الاسلام الى يوم
القيام والقيامة ان كانت عقيدة شعوبها وعقيدة رعاياها هذه العقيدة !

« وصرحت كتب الشيعة بأن كل الفرق الاسلامية كافرة ملعونة خالدة في
النار إلا الشيعة والمخالف مطلقاً شر من الكفار ، وصرحت كتب الشيعة أن دم
الناصب^(١) وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك جائز ، والناصب على
حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الخليفتين أبا بكر وعمر على عليّ أو يعتقد أمانتهما
وتقول كتب الشيعة ان الله قد نصب علياً علياً بينه وبين خلقه من أنكره فهو كافر
ومن أشرك معه آخر فهو مشرك وان إيمان المخالف في الامامة لا إيمان له هو
لنار وإلى النار . والمخالف في الامامة حكمه حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام
لكن الله أجرى عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة ، واذا ظهر القائم قائم
آل محمد أجرى على المخالف في الامامة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام
يقول الامام الباقر والصادق (لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم ،
والرجل منكم خير من مائة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتلهم كلهم) ويقول الامام

(١) الناصب جمعه نواصب وهم أهل السنة في اصطلاح الشيعة

في أئمة المذاهب الأربعة (لا تأتهم ولا تسمع منهم لعنهم الله ولعن ملهم للشركة)
 وفي التهذيب (١١٦ : ٢) ، (٢٥٢ : ٢) كان الصادق يقول خذ مال الناصب
 حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس ، هذا ما أردنا نقله من كتاب الوشيعة ، وقد
 قدمنا في أول كتابنا أشياء من عقائد الشيعة في الصحابة وفي المسلمين كافة ، وقوم
 يقولون هذه الأقوال كيف يجرؤون على اتهام أحد با كفر المسلمين ؟ ولا ريب أن
 غضب صاحب هذه الأقاويل الشنيعة للمسلمين وقيامه للذيادة عنهم أفضح من هذه
 الأقوال نفسها وأغرب

أما زعمه أن الوهابيين يكفرون كل من خالف معتقدهم وانهم يبادرون إلى
 الحكم عليه بالشرك . فهذه دعوى قديمة قلدها رجال عدة من أركان البدعة
 والجهالة ، وتناقلوها واحداً عن واحد وتواصوا بها السابق يوصى بها اللاحق
 واللاحق يوصى بها من بعده حتى جاءت النبوة هذا الشيعي فاستخضته سروراً
 وطرباً فطفق يتغنى بها مسروراً طرباً في كتابه هذا في مواضع منه مضيها إليها بعض
 التلميح والتنفيم خداعاً وتضليلاً . وما ربك بغافل عما يعملون . وقد كان أهل
 السنة من أهل نجد سابقاً وفي كل وقت يقابلون هذه التهمة المرددة والدعوى
 المعادة المكررة . وقد رموا بها من يوم أن ذر قرن سحدم - بقولهم سبحانه هذا
 بهتان عظيم

ومن عجيب أمر هؤلاء المدافعين عن البدع والعقائد المريضة أن يصروا رغم
 كل شيء ورغم أنف الحقيقة على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة ، تهمة إكفار
 المسلمين ، في حين أن هؤلاء القوم ينادون في جميع كتبهم للطبوعة ويسمعون
 الأذان الدانية والقصية بأنهم يبرؤن إلى الله من هذه الأكذوبة ويصرحون بأنهم
 لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب وإن كان عظيماً جليلاً ، ويصرحون بأنهم
 على مذهب السلف وأهل الحديث بنياً وإثباتاً لا يزيدون ولا ينقصون ولا يغيرون

عن ذلك مذنباً ولا حولاً ، وأنهم يتولون جميع المسلمين المؤمنين وإن جاءوا بالذنوب العظيمة ما لم يقوموا في كفر وشركه بل ويصرحون في جميع كتبهم بالبراءة من الخوارج إذ تقلدوا تكفير المسلمين بالآثام وإذا خرجوا على الخلفاء الراشدين ، مثل ما يبرؤون من الشيعة إذ تقلدوا تكفير الصحابة والخروج على الخلفاء الراشدين والوقية في دينهم ويتبرؤون من جميع هذه الآثام قديمها وجديدها وفي أقوالهم مشافهة وفي مجالسهم وفي كل مكان وفي كل أداة بيان . ثم بعد ذلك يصر هؤلاء المخالفون على اتهام هؤلاء القوم بهذه التهمة وهذه الاكذوبة الباطلة وإننا نعيد القديم فنقول إننا نبرأ الى الله من أن نكفر المسلمين ومن أن نكفر أحداً بذنوب ، ونبرأ الى الله من قول الخوارج : ان مرتكب الكبيرة كافر ، ومن قول الشيعة في إكفار الصحابة وأزواج النبي ، ونسجل على أنفسنا راضين مختارين أننا على معتقد الأئمة الأربعة ومعتقد المحدثين وأئمة السنة نقياً وإثباتاً . وذلك لأننا نعرف أن هؤلاء السلف هم أهل الحق والهدى وأنهم أجمعوا في العقائد على الهداية والإيمان والبصيرة النافذة في دين الله وأن المخالفين لهم من أهل البدع يتسكمون في ضلالات وجهالات يجهلون مصادرها ومواردها وتذهب بهم الى حيث لا يجدون إلا غضب الله وسخطه ، ولهذا ننحن لهم مجانبون ولبدعهم آيون هاجرون

هذا وإذا ما أردنا أن تناقش قوله هنا مناقشة منطقية جدلية علمية قلنا : قوله : وحكوا بشرك من خالف معتقدهم ، الى آخره إما أن يريد به أنهم حكوا شرك من خالفهم في أصول الدين وأمهات العقائد بمعنى أنهم كفروا المخالفين لهم الذين وقعوا في الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التي علموها ودانوها . فلما أن يريد به أنهم حكوا بشرك من خالفهم مطلق مخالفة ولو في أمر لا يوجب الخلاف فيه الشرك والكفر على ما تقضي به الأصول التي علموها ورضوها . إن كان يريد الأول قيل له : ان جميع الناس جماعات وآحاداً كذلك يصنعون لا يخالفون

في هذا ولا ينازعون أو يرتابون . فان كل انسان يؤمن بالايمان والكفر يحكم
بكفر من وقع في الكفر على مقتضى أصوله التي عليها ورضيها ، ولا معنى للكافر
عند الناس إلا أنه من وقع في الكفر حسب ما يفهمون ، ولا معنى للمشرك عندهم
إلا أنه من صار الى الشرك كما يفهمون ويعلمون . فالمشرك عندك وعند غيرك هو
الذي خالفك فصار الى الاشرار ، والكافر عندك وعند غيرك هو الذي خالفك
فصار الى الكفر على مقتضى علمك وفهمك أنت ، ولو لم يكن المشرك عندك هو من
وقع في الشرك لم يكن ثمة مشرك عندك ، ولو لم يكن أيضا الكافر عندك هو من
وقع في الكفر حسب ما تفهم لما كان هناك كافر لديك . وهذا لا خلاف فيه بين
العقلاء . فان الناس جميعا يحكمون بشرك من وقع في الشرك وبكفر من أتى بالكفر
حسب ما يفهمون ، كما يحكمون بطول من حسبه طويلا وبعمرة من حسبه أحر ،
وقيام من حسبه قائما . واذا ما أريد الانكار على أحد في هذا لم يقل له كيف تحكم
على من اعتقدت انه كافر بالكفر وعلى من اعتقدت أنه مشرك بالشرك ، ولكن
يقال له كيف اعتقدت بأن هذا العمل شرك وكفر أو ملازم للكفر والشرك ؟ وما
الدليل لديك على أن من عمل كيت وكيت فهو مشرك أو كافر في حين أنه لا دليل
لك على ذلك بل الدليل قائم على خلاف قولك ، دال على خلاف ما تحسب ؟
وكذلك لا يقال كيف حكمت بأن من وقع منه القيام قائم وبأن من انصف بالحجرة
والطول فهو أحر وطويل ، ولكن يقال كيف علمت وحكمت بأن فلانا قد وقع منه
القيام وبأنه قد انصف بالحجرة والطول ، كيف والناس يخالفونك في ذلك ولم
مثلك أعين بها يبصرون وآذان بها يسمعون ، ولست أعلم منهم . هذا ما يقال في
مثل هذا ، وهذا ما تقضى به القوانين المنطقية الموروثة الطريقة والتليدة
إذن فالذي على هذا الرفض أن يقيم الدليل على أن مخالفته يحكمون بالشرك
والكفر على من ليس مشركا ولا كافرا ، لا أن يقول إنهم يحكمون بالشرك والكفر

على من اعتقدوه ككفراً مشركاً . فان هذا المعنى يشترك فيه جميع الناس العقلاء كما ذكرنا . فليبه مثلاً أن يقيم الدليل على أن طلب الأموات ما لا يقدر عليه إلا الله ليس كفراً ولا شركاً ، فاذا ما استطاع - ولن يستطيع - إقامة الدليل على ذلك صبح له أن يقول إن مخالفته يحكون على المسلم بالشرك والكفر اذا ما كفروا من طلب الأموات هذه المطالب العليا التي لا يستطيعها إلا الله وحده . أما غير هذا من القول فعبث وحشو

هذا إن أراد الأول ، وأما ان أراد الثاني : أي ان أراد أنهم يحكون بالشرك على من خالفهم مطلق مخالفة ، ولو في أمر لا يوجب الشرك والكفر قلنا هذا تناقض باطل وقول لا يعقل فانهم هم وغيرهم لا يمكن أن يحكموا على أحد بالشرك والكفر حتى يعتقدوا أنه قد جاء بالشرك والكفر وحتى يعتقدوا أن ما حكموا عليه لأجله بذلك كفر أو شرك وهم إذا حكموا على أحد بأنه مشرك أو كافر فلا ريب أنه قد عمل الكفر والشرك حسب اعتقادهم ولو لم يعتقدوا ذلك لما حكموا عليه به . وهذا من الضروريات الواضحة التي لا يتنازع فيها العقلاء وهذا قصارى فلسفة كلام هذا الرافضى المعارض ، وقصارى ما فيه من دخل ودخن

وقوله : « واستحلوا ماله ودمه وبعضهم استحل سبي الذرية » الى آخره من الآكاذيب الطائفة المقصودة التي لا شبهة لها يمكن أن يتعلق بها جارها وقد حارب النجديون المخالفين المعتدين عليهم عشرات المرات وانتصروا في مواقع كثيرة معلومة . وقد كان المخالفون لهم هم البادئين المهاجمين ؛ وكان النجديون هم المدافعين المظلومين ، وهذا ما لا ريب فيه ، ولكن لن يستطيع هذا المعارض أن ينقل عنهم صادقاً أنهم سبوا الذرية في موقعة من المواقع ، ولنقل ذلك عنهم إن استطاع ، ولن يستطيع أن ينقل عنهم أنهم استحلوا مال أحد من القوم الذين

استطاعوا التغلب عليهم والظفر بهم . وهذه حروبهم في الحجاز واليمن والأهجرة
والقديمة تشهد صادقة جاهرة على ما قول ، وعلى أن هذا لم يصدق فيما قال
أما إن كان يريد أنهم استحلوا الأموال التي تكسب من المحاربين للقائين
كالاخاثر والعدد الحربية ونحوها مما جمعه المحاربون الفازون فقتل هذا كل الناس
مسلمين وغير مسلمين يأخذونه ويستحلون أخذه ، لا لأن صاحبه كافر خارج من
الاسلام بل لأن قوانين الحروب تقضى به ، وتبيحه السياسة العامة ، لأنه مجموع
من مال الأمة

وقوله « وجعلوا دار الاسلام دار حرب ودارهم دار إيمان نجيب الهجرة إليها »
قول تبطله أفعال الحكومة السعودية اليوم ومواقفها من سائر الحكومات الاسلامية ؟
وها هي قد بعثت مفوضين لها في أقطار يزعم هذا الرجل أنهم يعدونها ديار حرب
تجيب الهجرة منها ولا يجوز اللقاع فيها ، وها هي خطابات جلالة الملك عبد العزيز كل
عام بين وفود الحجاج تبطل هذا الزعم ، وها هي حكومة جلالتة تبعث البعث
العلمية دينية ومدنية الى الأزهر والى غير الأزهر ، وفي هذا قضى صريح لزعم
هذا الشيعي

نعم نحن لا ننكر أن في بلاد نجد قوما لم يضرىوا في الأرض ولم يارقوا بلادهم
فلم يرقوا ما في الخارج ، سمعوا أنه في كثير من البلدان الاسلامية تفشو المعاصي
وتباح وكذا سائر المنكرات من الكفر والالحاد والقدح في الأديان عامة وفي الاسلام
خاصة وفي الأنبياء ، وسمعوا أن المسلم لا يستطيع أن يجبر بدينه أو أن يقول كلمة
الحق أو أن يعادى الباطل ولو بالكلام واللام . ان قوما هناك سمعوا هذه الروايات
المبالغة ، وهم لم يروا ولم يعلموا الحقيقة فقالوا بناء على هذا ان المتنام هناك حيث
لا يستطيع المسلم أن يعبد الله وأن يقول الحق وأن يحفظ عرضه ودينه لا يجوز ولا
يباح ، بل نجيب عليه الهجرة فراراً بنفسه ودينه وبعرضه الى حيث يستطيع أن ينجو

بذلك من هذا البلاء ويبحث يستطيع أن يقول الحق . وهذا كله قائم على جهل الحقيقة ثم على المبالغات في الحديث والرواية ، ويقابل هذا أن فريقاً من المسلمين في البلاد العربية وغير العربية مثل مصر والشام والعراق وغير هذه البلدان يسمعون أن النجديين أو الوهابيين كما يقولون خصوم للنبي الكريم ﷺ وللأولياء والصالحين وللمسلمين أجمعين ، وأنهم يأبون الصلاة والسلام على النبي ﷺ ، وأنهم يضربون وقد يقتلون من يصلى عليه عليه ﷺ ، وأن من يذهب إلى ديارهم على خطر عظيم في ماله ونفسه ودينه ، ويسمعون أيضاً غير ذلك من الأكاذيب الشائعة التي أذاعها دعاة السوء والهوى طاعة لأغراض دينية دنيوية ، فيحكم هؤلاء الذين سمعوا هذه الروايات بأن أولئك القوم المعروفين بالوهابيين قوم خارجون ضالون لا يصلح البقاء بين أظهرهم ولا في بلادهم لذلك ، ومبث هذا كله هو الكذب والارجاف وإذاعة السوء والفاحشة ، وقد قال واحد من هؤلاء المرسومين عند العامة بالفقه والدين في حلقة درسه الخافل بالدهماء الجهلاء : ان الهجرة اليوم تجب من الحجاز لأجل ما هنالك من الضلال والوروق ، وهذا كله من الجهل والفرارة ودواؤه العلم والمعرفة ولكن هل من الانصاف والحكمة أخذ أمة بأسرها بما يقوله بعض الأغرار اتخذاعاً باشاعات سمعوها لا عن عقيدة اعتقدوها ، وهل اذا قال بعض الأغرار ممن لم يخبروا الدنيا وممن لم يعرفوا ما فيها قولاً من الأقوال المبنية على السماع المخدوع المضل يؤخذ أولو الأمر والشأن بما قالوا ؟ هذا عين الضلال والخطأ ، وهذا مالا نرضاه لأنفسنا ولا لأخواننا ، وهذا ما نذكره إنصافاً للحق والحقيقة

وقوله « وحكموا بقتل تارك الفرض وإن لم يكن مستحلاً » قد سلف الجواب عليه في الأمر السادس من مقدمته الثانية ، وتقدم أن قوله هذا ملصق في المسلمين جميعاً وفي جميع الفرق الإسلامية حتى في الشيعة نفسها

وأما زعمه أن الوهابيين خرجوا عن السنة وخالفوها فجوابه يعرف من كتابنا

هذا ومن أقوال هذا الشيعة التي نرد عليها ، ومن الطريف الطريف أن تتم الرفضة
والشيعة أهل السنة من أهل نجد بمخالفة السنة وبالحروج عليها

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

هذا وإذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا صادقين راشدين : ان الرفضة
يشبهون المنحليين من الأديان جملة من وجوه كثيرة ، منها أن الفريقين لا يالون
الأديان فلا يفضيرون لله ولا لحارمه فلا يؤاخذون أو يلومون من كفر بالله ومن
جعل له أنداداً ولا من عبد خلقه وضرع إلى الأموات ولا من أعرض عن ربه
وعن رضاه وعن حكيمته في خلقه ، وإنما يفضيرون للجهال الأغوار للمنحليين من الدين
ومن الفضائل ويدفعون عنهم ، حاملين على من غضب لله فساوأ خصوم دينه
وخصومه ، كما فعل هذا الشيعة هنا ، فالفرقان يصدران عن عقيدة واحدة
ويغترقان من منهل واحد ، فمن الأحق باللائمة يا ترى ؟

ثم قال الرفض « رابعاً - كما أن الخوارج استندوا في شبهتهم هذه إلى
ظواهر من الآيات والأدلة التي زعموها دالة على أن كل كبيرة كفر ، كذلك
الوهابيون استندوا في هذه الشبهة إلى ظواهر بعض الآيات والأدلة التي توهموها
دالة على أن الاستغاثة والاستعانة بغير الله شرك وعلى غير ذلك من معتقداتهم »
قلت : وجواب ذلك أن يقال لا يعاب القوم بأن استدلوا على عقائدهم بظواهر
الكتاب والسنة والمعقولات بل هذا أمر لا بد منه . فإن العقائد التي لا تستند على
أدلة الكتاب والسنة لا تقبل ولا يجوز التعلق بها ، وليس يعيب العقيدة أن تشهد
لها ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الأدلة الشرعية ، بل الذي يعيب العقيدة ألا
تكون لها مستندات شرعية لامن الكتاب ولا من السنة هذا هو ما يضير العقيدة وما
يعيبها وما يقضى بردها . أما استنادها على الكتاب والسنة والأدلة الشرعية فليس
هذا بدليل على بطلانها وعلى استحقاتها الرد والنقض . فإن عقائد المسلمين الراشدين

كافة مستندة على ظواهر الكتاب والسنة وظواهر الدلائل الشرعية ، وإن من دلائل صدق العقيدة وصوابها استنادها على كتاب الله وسنة نبيه ، ومن دلائل بطلانها ألا تكون لها مستندات شرعية . فانه إذا لم يكن لها ذلك لامن الكتاب ولا من السنة كانت عقيدة باطلة لأنه لم يدل عليها الكتاب والسنة . وما لم يدل عليه الكتاب والسنة غير مفروض على السلم احترامه ديناً . أما ان كان يريد أن هذه الظواهر هي ظواهر كاذبة خادعة وهذا هو ما يريد قلنا ان الكلام على هذه المسألة سوف يأتي بيانه وسوف يعلم أن دلائلنا على هذه المطالب العليا هي دلائل يئنة لا تقبل الجدل والنزاع وسوف يعلم أنه لم يوجد ما يمارضها من العقول ولا من المنقول ، وأن المعارضات التي يقابلون بها ظواهر الكتاب والسنة هي معارضات وهمية ترجع الى الظن والتخمين والتحولات التي يستطيع تسليطها على جميع الكلام الموجود في الدنيا وما سوف يوجد كما صنع ذلك أقوام ولا يزالون يصنعونه فيما يضعونه بينهم من عقود ومعاهدات ومحالفات راحوا يؤولونها ويفسرونها كما يشتهون وكما تقضى مصالحهم وأهواؤهم لا كما تقضى نصوص الكلام اتباعاً للاهواء والآفانية الظالمة الخاسرة ، وهؤلاء المخالفون المعارضون من الحال أن يظفروا بآية واحدة أو حديث واحد صحيح يدل - ولو بوجه ضعيف - على جواز الاستغاثة بالأموات والاقطاع الى القبور رغبة ورهبة . أما النهي عن دعوة الأموات الذي هو قولنا وما ندعو اليه فالقرآن والسنة مملوآن بذلك باعتراف هذا الرجل إلا أنه يلجأ الى التأويل والتحريف ويفزع من دلالتها الصادقة الى التمثل البعيد . والتأويل والتحريف لن يعجزا أحداً من الناس ولن يعصم منها كلام في الأرض أو في السماء ، ولكن هذا ليس دليلاً على أن من استطاع ذلك أو حاوله فأدركه راشد بل تحريف الكلام والذهاب به عن سبيله الواضحة المعلومة هو سنة اليهود كما ذكر الله ذلك عنهم في آيات من كتابه ناعياً عليهم . وهذا الرافضي يذكر هذا

هنا ليدفع به مالا به أن يقوله له من يقرأ كتابه وهو أن يقال شتان ما بينك وبين مخالفتك ! فانك تلجأ أنت فيما تدعى وتقول الى التأويل البعيد والاستمساك بالأراء المتطرفة الغالية التي لا مستند لها من الكتاب والسنة ، وأما مخالفوك فاتهم بقولك بقل الله وقول رسوله وأقوال الأئمة من أهل الحديث والسنة ، ويضعون أمامك ألوانا وأفانين من دلالات القرآن والحديث وأقوال أئمة المسلمين بعبارات واضحة بيّنة وأساليب صريحة ظاهرة وأشياء لا يوجد ما يعارضها أو ما يقوى على معارضتها ، وإذا ما كان ذلك كذلك فكيف ترجو من القراء أن ينصروك على مخالفتك وهذا مقدار ما بينكم من الفرق والبون ؟ فهذا الرافضي ذكر ما ذكر هنا دفعا لهذا الاعتراض الذي لا بد منه قائلا إن استناد العقيدة على دلائل الكتاب والسنة ليس دليلا على الاقتران بالحق ، وهذا كما وقع للخوارج . ولكن يقال له ان الخوارج لم يضلوا لأنهم استندوا في عقائدهم على ظواهر الشرع ولكنهم ضلوا لأنهم ابتكروا عقائد ضالة باطلة . فاذا ما استطاع الشيعة أن يقيم الدليل على أن عقائد مخالفيه في هذه المسائل العالية ضلال أدرك ما يريد أن يقول وإذا لم يفعل ذلك لم ينفعه ما قال ولم ينفعه أن يستند مخالفوه على ظواهر النصوص ولم يضرهم هم ذلك

هذا وإذا أردنا أن نقابل أدبه بمثله قلنا ونحن صادقون : ان هذا الرافضي واخوانه يشبهون أخصام الاسلام والوحدة الالهية من وجوه كثيرة . منها أنهم يفلون في العباد حتى يضعوهم في أفق أسمى من أفقهم بلا سلطان من الله ، وأما ينتحلون ذلك بشبهات ومقاييس مضطربة مختلة وأمور مركبة من أمزاج الأوهام الملتفة كما قال الله فيهم « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم » ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) وهذا كهذا ولا فرق

ثم قال الرافضى : « خامساً - كما أن الخوارج استحلوا قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم كذلك الوهايون استحلوا قتال ملوك الاسلام وأمرائه لأنهم باعنتقادهم أئمة ضلال فاصرون للشرك والبدع » قلت وهذا أيضا من الأكاذيب الشهيرة . فان الوهايين لم يبدؤا أحداً من ملوك الاسلام وأمراء المسلمين بالقتال ولم يخرجوا على أحد منهم الخروج القدى يريد ، وهذه التواريخ المختلفة هل يستطيع أن يظهر منها بالدليل على ما قال من استحلال الوهايين قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين وخروجهم عليهم ؟ وهذه حكومة الحجاز القائمة اليوم . هل خرجت على أحد من ملوك الاسلام وأمرائه وهل بدأت أحداً منهم بالقتال والمناوأة المزعومة ؟ وهذه الحكومات الاسلامية محيطة بجبهاتها وحدودها ليس بينها وبينها حاجز سوى رعاية الله وامتنال أمره ثم الضن بدماء العرب والمسلمين ثم وفاء النفس فهل بدأت أحداً من هذا الحكومات بالقتال والخروج أو هل استحلت قتال ملك من ملوكهم ؟

وقد نعرش كثير من هذه الحكومات بها وأساءت اليها وفاتها بألوان من الأذى والسوء ، فهل قابلت هذه الاساءات بالقتال والثورة والجزاء العادل المشروع أم كانت تدفع بالتي هي أحسن ، ونجزي الاساءة بالاحسان والذنب بالغفران ؟ أو ليست كما يشهد الناس كلهم ما زالت تزدلف من الحكومات الاسلامية كلما ابتعدت عنها هذه الحكومات وتلين عليها كلما قست هي عليها ، أو ليس هذا مما لا ريب فيه ومما لا ينكره منكر أو يجحد جاحد ؟ وان أكبر دليل وأقرب على ذلك وعلى تعدد هذا الشيعى الوقعة الجريئة ذلك الموقف الذى اختارته الحكومة السعودية من حكومة اليمن فى الحرب الأخيرة العلومة ، فقد وقفت الحكومة السعودية الوهاية من تلك الحرب أشرف موقف وأنبه قبل وقوع الكارثة ، وفى أثناء وقوعها ثم فى تدبير وقفها ثم بعد انتهائها . رعمعت يوم ذاك صنعا هو غاية ما يصنعه

أعمل الناس وأرأف الناس وأحلمهم وأعفاهم ، فقد تمحشنت بها حكومة الامام يحيى
الشيعة المعتدلة مرات وفي كل مرة تقض الطرف عن ذلك بل وتجاهله وتستهمله من
الاحداث المحلية الهينة ، بل وتودد الى الحكومة اليمانية وتجدد لها الولاء حتى
حسب ذلك ضعفاً ، وحسب موقف الضعيف العاجز أمام القوى الغالب ، حتى
تطورت المسألة فهاجمت حكومة اليمن أطراف المملكة السعودية مريدة التوغل في
أحشائها ، فأرسلت الحكومة السعودية الى ملك اليمن الاحتجاج بلطف وتودد
ورفق مراراً ، فلما لم يفد ذلك الاحتجاج المذكور لجأت الى أن تقابل المنير
المهاجم بما يفرضه عليها الدين الحنيف وتبيحه القوانين الحربية كلها ففعلت ذلك
مكرهه ، فتغلبت بسرعة مذهشة عجيبة على جيوش اليمن واكتسحتها وامتلكت
ناصرية النصر في جميع الميادين ، واتفقت كلمة الناس حين ذاك على أن حكومة اليمن
صائرة الى الفناء والتلاشي وأن الحكومة السعودية داخلة صنعا عاصمة اليمن ولا بد
وأجمت على ذلك ولهجت به جميع الصحف العربية في مصر وغير مصر ، وصار
هذا الأمر حديث الناس ورأيهم الذي لا يشكون فيه ولا يرتابون ، ولكن
ولكن حدث حادث عذ خارقة لا مثيل لها في سجل الحروب العالمية وفي الصراع
بين داعي العفو والكرم وداعي الواجب ، واجب النفس وواجب الأمة المتفوقة
الغالبة بأموالها ودمائها ، وحدث حادث عذ المثل الأعلى للتسامح والكرم في أمر
لم يهد الناس فيه تسامحاً ولا كرمًا ، وهو أمر الحرب واجتناء ثمار النصر : دعى
الملك عبد العزيز سيد الحكومة الوهابية الى وقف الحرب ووقف تقدم جيوشه فلبى
ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائفا مختاراً ، ثم دعى الى الصلح فلبى ذلك الدعاء
وأولئك الداعين طائفا مختاراً ، ثم دعى الى ما هو أكثر من ذلك وأعز على النفس
دعى الى إخراج جيوشه من البلاد التي احتلها بالدماء والخسائر الفادحة على أن
تتحمل وحده تلك الخسائر وتلك المغارم دون من جناها وأصلها ، فلبى ذلك

(٣٦٢)

الدعاء وأولئك الداعين طائفاً مختاراً ، ثم دعى الى ما هو أسخى من ذلك كله وأدخل في ضروب البطولة ، دعى الى عقد معاهدة مع حكومة اليمن التي بالأس آفته ثم حاولت اقتحام بلاده ثم اقتنحها فلم يكن منه إلا أن يلج ذلك الدعاء وأولئك الداعين طائفاً مختاراً

لج ذلك كله غير مكروه ، ولو لم يلج لما كان ظالماً ولا ملوماً ، ولما كان قاعلاً أكثر مما يفعله أعدل الناس وأرأفهم وأحطهم

انتهى هذا كله وقابله العالم في أطراف المعمورة بالاعجاب والدهشة والثناء الحار المتواصل ، وصار هذا الصالح السمودي والنفو الوهابي حديث الناس وأغنية المتحدثين المعجبين ، وصار مثلهم المضروب في الكرم الحربي وتعشق السلم وحسن دماء المسلمين والحرص على ولاء أهل الاسلام ، وراح الناس المعجبون المغالون بأهم القرب ومدنيتهما وسلمها ورحمتها يدلونها على مكان الشرف ومكان الحلم ومكان الشفقة والتعاق بالسلم ويرونها مكان ذلك في جزيرة العرب المحرقة المتبيدة بين هضبات نجد منبت الشيخ والقيصوم . تلك البلاد الدائرة بالقرآن المتمسكة بسنة النبي العربي ﷺ

هذا أول فصول هذه القصة النادرة المعجزة ، ثم يلي هذا فصل آخر لا يقل عن الأول روعة وجلالا وجمالا ، وهذا الفصل هو فصل محاولة الاعتداء على حياة جلالة الملك عبد العزيز في الشهر الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام واليوم الحرام . وذلك أن نفراً من رجال حكومة اليمن وموظفيها المقريين لم يرضهم عفو جلالة الملك وكرمه العجيب وتسامحه النادر المثال ، أو بالأصح لم يرضهم انتصاره الباهر ، وإن كان هو لم يحن زهر ذلك الانتصار ونعمه مادياً عاجلاً ، بل وإن كان هو المدافع وهم المهاجمين ، فانتصروا باغتياله وانزاع حياته التي هي حياة أمة وملة غيلة وخيانة على رغم أنف المعاهدة المبرمة والصداقة المعقودة والاحسان الجليل الجليل الذي وقته

منهم واختاره طائفا مختاراً : هجموا على جلالته محاولين اغتياله وهو يطوف في بيت الله الذي جعله الله آمناً وجعل من دخله آمناً يؤدي نسكه وشعائره حجه وعبادة ربه . ولكن ! ولكن الله أنزل لطفه ورحمته وأهبط أحد شتونه الخفية التي تهبط الأحيان في الأرض لرفع أمر عظيم ، فدفعت الكرة عن عبادة المؤمنين وبيته الحرام وبلده الحرام ، فكف تلك الأيدي الأثيمة وجعل بينها وبين حياة عماد هذه الأمة ورجائها برزخاً موصولاً بالسماء منسوجاً من سلطان الله ورحمته لا يستطيع اجتيازه إلا بسلطان من الله ، ولكن سلطان الله لا يناله الظالمون المعتدون الغادرون مرّت القارعة ومر ما كان مخوفاً أن يتلوها من الحن والارزاء والمصائب الجسام بسلام وبقيت حياة الملك الغالية ، وعرف مصدر هؤلاء الأثمة وأثبت التحقيق أموراً عظيمة خطيرة كان الناس يظنون أنها سوف تعيد البلاء جذعاً ، والشر في عنفوانه وعنفه . ولكن حدث حادث آخر عذّب الناس خارقة أخرى ومثلاً أعلى في الصفح والعفو ، وفي النزاع العنيف بين داعي الجزاء العادل وداعي العفو الشامل ، جرّت إرادة الملك عبد العزيز على هذه الحادثة وعلى ما اكتشفته التحقيق فيها من أمور ودخائل عظيمة أذبال العفو والاغضاء والصفح الجميل ، ووهبت الحقوق كلها لرضا الله ولوجهه الكريم ، لمن لا يضيع لديه حق ولا ينسى لديه إحسان وعرف ، فمدّ الناس هذا الفصل من فصول هذه القصة أروعها وأجلها وهبّ الناس المفتونون المعجبون بأوربا ومدنيتها وشرفها وغرامها بالسلام والتريث لدى حمية الأنوف العزيزة الآية يدلونها على مكان المدينة ومكان الشرف الرفيع ومكان عشاق السلام عند التهاب المعاطس أنفاً وحمية . هنالك في جزيرة العرب في هضبات نجد حيث يدان لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

أقيمك أن يكون أصحاب هذه المثل الزائفة والمواقف العجيبة يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم دعاة شرك ونصراء ابتداع ؟ أو يمكن

أن يكون قوم يترفعهم هذا السيد الجليل الذي رفع رؤوس العرب والاسلام بصفتها،
وصفوه يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين لاعتقادهم أنهم دعاة شرك
ونصراء بدعة ؟ اللهم سبحانه ! اللهم ان هذا ليهتان عظيم
أفيض هذا الشيعي عن خطوات هذه الحكومة نحوا كتساب صداقات
الحكومات الاسلامية وملوك المسلمين ، والسعي الحثيث الى الاقتراب منهم وتجهيد
الولاء والمودة لهم في كل وقت ، ثم ما تعقده معهم من معاهدات الصداقة والمحالقات
الدفاعية عن بيضة العرب وقلب الاسلام ؟

أما إن كان يريد بقتالهم ملوك الاسلام ما وقع من القتال بين زعماء هذه
الدعوة وبين الجيوش العثمانية وولاتها وما وقع بينهم وبين والى مصر محمد على باشا
وبينهم وبين أشراف مكة الأقدمين . ان كان يريد هذا قيل له : إنك أنت قد
ذكرت في أول كتابك أن الدولة العثمانية وولاتها قد حاربوا الوهابيين في قلب
بلادهم وما جوم في أقصى ما منهم حتى خربوا عاصمتهم واكتسحوها وحتى أخذوا
أميرهم عبد الله بن سعود هو ورجاله وقتلوه صبراً في بلاد الخلافة ، وذكر
أيضاً في أول كتابك أن الشريف مكة غالباً المعاصر لدرور هذه الدعوة قد غزا
الوهابيين ما يزيد على خمسين غزوة مدى خمسة عشر عاماً مهاجماً لهم في أحشاء
بلادهم ، وذكر أنت في هذا الكتاب أن هذا الشريف كان يغزو كل من قبل
دعوة الوهابيين . موقعاً بهم الخسائر الهائلة في الرجال والمال ، وذكر غير ذلك
من اضطهاد النجديين والبنى عليهم ومحاولة قتالهم واذلالهم . فإذا كان حقاً
ما ذكرت أو بعض ما ذكرت فهل يصلح معه أن تدعى أن الوهابيين يستحلون
قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم ؟

أفما كان الصحيح الذي يطرد مع ما ذكرت أن تدعى أن ملوك الاسلام هم
الذين كانوا يستحلون قتال الوهابيين والقضاء عليهم وغزوهم في ديارهم لأن بعض

المحمولين على العلم من المشايخ الرمحيين أفترهم بكفرهم وبزوم الخروج عليهم
وباستئصال شأفتهم كما تقول وكما تدعى

نعم انهم حاربوا أشراف مكة وافتتحوا الحجاز أولاً وأخيراً ولكن بعد
ماذا ؟ بعد أن اعتدى عليهم الأشراف وبعد أن بدؤهم بالقتال والسوء والأذى
وبعد أن ألبروا عليهم الأضغان وأثاروا بهم الحفاظ والمداوات ، وبعد أن أشاعوا
عنهم مقالات السوء من كفر وبدعة وخروج على المسلمين وعلى الاسلام أيضاً ،
وأخيراً بعد أن حالوا بينهم وبين حج بيت الله الحرام الذى جعل فيه سواء الحاضر
والباد ومنعهم من أداء هذه الفريضة المقدسة ، ويعترف بهذا الشيى فى كتابه : ثم
نعم حاربوا بعض الجيوش التركية ولكن بعد ماذا ؟ بعد أن اعتدت تركيا عليهم
مرات وبدأت بقتلهم وأذايتهم . ومن ذا يقول من العقلاء إن المدافعين عن
أنفسهم وبلادهم يستعملون قتال ملوك الاسلام لذلك ؟ ثم لو فرضنا أنهم بدؤا
الدولة العثمانية بالقتال والثورة الدمرة - وهذا ما لم يكن - لما كانوا فاعلين أكثر
مما فعله سائر العرب والمسلمين إبان الحرب الكبرى وقبلها وبعدها . أوليس شريف
مكة الذى يدافع عنه هذا الرجل هوى وتغريراً ، بل أوليس جماهير رجالات
العرب وزعمائهم قد قاموا فى صفوف الحلفاء والدول الغربية الظالمة فى الحرب
العالمية يحاربون تركيا الدولة المسلمة ويحاربون الخلافة الاسلامية فى هيكلمها ؟
أفما أعلن هؤلاء كلهم الخروج والثورة على الدولة العثمانية واقفين فى صفوف
بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغير هؤلاء من دول أوروبا الظالمة الباغية ؟ أو ما أبى
الملك عبد العزيز امام الوهابيين الانضمام الى دول أوروبا لحرب تركيا مثل
ما فعل رجالات العرب وهو يعلم ما صنعتة بآبائه وبلادهم من العسف والتغريب .
أفما رغبه الحلفاء فى الانضمام اليهم ، فبقى مصرراً على الحياد باعتراف هذا الشيى
فى كتابه

ثم اذا كان يعتبر وقوع الحرب بين جيوش الامبراطورية العثمانية وبين أمراء النجديين السعوديين - وهم مبدوؤن بالحرب كما ذكرنا - دليلا على أنهم يستحلون قتال ملوك الاسلام والخروج عليهم فليعلم أن الحرب قد قامت بين جيوش الدولة العثمانية وبين دولة ايران الشيعية مرات ، وحدث قتال بين جيوش الدولتين والامتين حنيف ، فليعتبر هذا القتال وهذه الحرب برهانيين على أن الشيعة يستحلون الخروج على ملوك الاسلام وقتالهم

ولو كان هذا الشيعي يرى الحق ويحرص على قوله لقال مبادراً ان الشيعة هم الذين يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمراء المسلمين ويستحلون الخروج عليهم وتبديد شملهم وتفريق كلمتهم فان الشيعة بمجملتها ما كانت الا خروجاً على الخلفاء الراشدين وعلى الملوك المسلمين وأمراء المؤمنين ، فهي مؤسسة على هذا الغرض والمعنى . أعنى على منابذة الخلفاء ومناصبتهم العداء والبغضاء . فإلّا أول وضعة المذهب الشيعي أعنى عبد الله بن سبأ كان أول أمره وأول ما قام به وسعى للشروع وكذا كان غيره هو القدح في الخلفاء الراشدين والحث على الخروج عليهم وعلى قتالهم . لأنهم فيما زعموا ظلمة مفتصبون مالم يسلموا قد ظلموا علياً وآله فافغصبوا حقهم للشروع الواجب وهو الخلافة . وعبد الله بن سبأ هذا هو الذي دبر أبعد الله ثورة الناس بخليفتهم عثمان حتى راح قتيلاً شهيداً ، وهو الذي ملأ صدور الناس عليه ضغينة وحقداً بما أبداه من الغيرة الكاذبة لآل النبي والولاء المخادع لهم والفضائل المزورة والدعاوى الباطلة الحق . فكان أول وضعة هذا المذهب هو أول السعاة الى القيام على الخلفاء واغتيالهم والثورة بهم . ثم تتابع الشيعة والمتشيعون على المناداة بمعاداة الخلفاء والأمراء المسلمين الشرعيين والخروج عليهم واغتيالهم من استطاعوا اغتياله وخضد شوكة من استطاعوا خضد شوكته ، ولا يزالون هكذا الى يومنا هذا كما فعل هذا الشيعي العاملي هو واخوانه نحو الحكومة العربية النجدية

ولقد لقبت دولة بنى أمية من هؤلاء البلاد الأحر والشر المستطير . فقد نسجوا
الثورات المحكة تلو الثورات المدمرة عليها وكادوا لها بكل ماوصلت اليه حيلهم
وأذهانهم من مكاييد وحاكوا لها ما استطاعوه من حيلالات الشر والخداع وجاءوا
من ذلك بالأفانين حتى زال ملك بنى أمية وخرج الأمر من بين أيديهم وهلك
خلافهم . وكذلك لقبت دولة بنى العباس من هؤلاء أيضا ألوان البلاد
والدسائس والثورات المتلاحقة . وجاءوا من ذلك بالأفانين حتى زال ملكهم
أيضا وطاحت خلافتهم وخرج الأمر من بين أيديهم . ودولة بنى العباس ودولة
بنى أمية هما دولتا الاسلام العظيمتان اللتان رفعتا الاسلام والمسلمين حقاً متطاولة
وهذه حقائق لا تنازع . وما كان الشيعة والمقشيعون يدعون من الحكيك للخلفاء
والامراء والاختيال لهم والخروج عليهم إلا ما عجزوا عنه وخافوا من عقابه حز
الغلام وتطايير الرؤوس . وليذكر من لا يذكر من هؤلاء البغاة المقشيعين المختار
ابن أبى عبيد الثقفى الشيعى وما قام به من ثورة دامية أثيمة مقرونة بدعوة دينية
هوجاء طائشة . وليذكر من هؤلاء المقشيعين دولة بنى بويه ودولة الصفويين
الفارسيين . ثم ليذكر دولة الفاطميين العبيدين وما أنزلوه من الاضرار الجسيمة
بالاسلام والمسلمين والخروج على خلفائهم وأمرائهم واقتصاب السلطان والأمر
منهم بالكيد والقدور والدعاوى على الله وعلى الاسلام وعلى النبي الكريم وعلى
آله الطاهرين ثم بالحروب والقتال وامتشاق حسام الفتنة والتمرد والخروج
دع عنك القرامطة البغاة وما أصابوا به الخلافة الاسلامية والمسلمين من
إصابات هزت جنبات الاسلام هزات لا تزال آثارها مشهودة ماثلة فى معنى
الاسلام وفى نفوس المسلمين وفى أخلاقهم ورجولتهم ، والقرامطة كما يعلم كانوا
من الشيعة الغالية . ولهذا كانوا يصاغخون الفاطميين العبيدين عند هذا المعنى . وقد
كان يخرج زعماء القرامطة ودعاتهم من بلاد فارس مثل أبى سعيد الحسن بن

بهرام واخوته . فان هؤلاء وغيرهم من مشهورى القرامطة البارزين فى حلبة
العدوان والظلم كانوا من بلدة جنابة إحدى البلاد الفارسية . وكان يخرج
آخرين منهم فى اليمن مثل على بن الفضل القرمطى ، وقد أظهر هذا الدعوة فى
بده أمره للمهدى المنتظر فخدع به كثيرون من أهل اليمن وترقى أمره الى أن تغلب
على اليمن ، ودخل صنعاء وزيد وأصبح ذا ملك واسم مهيب . ثم ادعى النبوة
وأحل المحرمات ، وكان مؤذنه يقول بين يديه أشهد أن علي بن الفضل « يعنى
نفسه » رسول الله . ثم ارتضى جبل طقيانه فى وادى الائم والخطيئة فراح يكتب
أحبابه بمثل هذه الكلمات : « من باسط الأرض وداحيها ، ومززل الجبال ومرسيها
علي بن الفضل الى عبده فلان » . وقد سالت نفس هذا الطاغية فى صنعاء اليمن
بعد أن شق به الملك ثلاثة عشر عاما ، وكان يخرج آخرين منهم فى العراق مثل
حمدان قرمط . وقد نبغ فى سواد الكوفة ، قال المقرئى ^(١) « وكان ابتداء أمر
قرمط هذا فى سنة أربع وستين ومائتين وكان ظهوره بسواد الكوفة فاشتبه مذهبه
بالعراق وقام من القرامطة ببلاد الشام صاحب الحال والمدثر والمطوق ، وقام
بالحرين منهم أبو سعيد الجنابي من أهل جنابه وعظمت دولته ودولة بنيه من بعده
حتى أوقعوا بمساكر بغداد وأخافوا خلفاء بنى العباس وفرضوا الأموال التى تحمل
اليهم فى كل سنة على أهل بغداد وخراسان والشام ومصر واليمن ، وغزوا بلاد الشام
وبغداد ومصر والحجاز وانتشرت دعائهم بأقطار الأرض فدخل جماعات من
الناس فى دعوتهم ومالوا الى قولهم الذى سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام
وصرفها عن ظاهرها ، الى أمور زعموها من عند أنفسهم وتأويل آيات القرآن
ودعواهم فيها تأويلا بعيدا انتحلوا القول به بدعا ابتلعوها بأهوائهم فضلوا
وأضلوا كثيرا »

وكان مخرج آخرين منهم في البحرين . وقد اتخذوا لم بلدة في العراق سموها
الجمجرة وذاعت دعوتهم في القطيف والاحساء وأحدثوا ما شاء الله من الفساد
والضلال . وقد كان من فعل القرامطة سبي الذرية

وقد ادعى هذا الشيعة^(١) أن القرامطة خرجوا ونبغوا في نجد زاعماً أنه
أرسله الى هذا العلم بعض العلماء الذين سأل الله أن يكثر في المسلمين من أمثالهم .
ولم ير الله أنه لو وجد لكل ما قاله من خطأ تأويلات صحيحة لما وجد لهذا شيئاً من
هذا ، أما ان كان يريد قيامهم في القطيف والاحساء فلعمري الله أنه أبعد المرء . فان
القطيف والاحساء أولاً لم يكونا مظهراً لعداوة هذا المذهب ولكنه سأل اليهما من
سماة فارس والعراق كما تقدم ، وثانياً فان الاحساء والقطيف لم يكونا من البلاد
النجدية البتة ولكنهما يقعان تحت سلطان نجد اليوم . ويغلب فيهما الى هذه الساعة
مذهب التشيع وبالأخص القطيف ، ولعل هذا من بقايا القرامطة

فالقرامطة من الشيعة وإلهم منشأ وعقيدة وأصلاً وفرعاً ، وعندي أن
ثورات الشيعة ووقائعها في أركان الخلافة الاسلامية ورجعتها إياها أحياناً طويلة
من الأسباب البارزة في عجز الخلافة عن مقاومة موجات التتار المندفعة وفي ذوبها
أمامها ثم في عجز المسلمين عن سد سيل الصليبيين الجارف وانهيال مجدهم الرفيع ،
حينما اصطدم بأول عاصفة من تلك العواصف بعد أن كان نسيهم الناس يستطيع
تقويض ما اجتمع على تشييده وبنائه الظلم كله ، والله الأمر من قبل ومن بعد

ومن دأب الشيعة أنهم لا يتركون دولة يكونون تحت سلطانها وسلطانها تهدأ
أو تستريح من الثورات ومن الاغتيال الدنيء ، وقد لقيت حكومات العراق منهم
الأميرين لو فرتهم هنالك بما يحدثونه من الشعب والعدوان ، وقد نال شر الشيعة
كل أحد . وهؤلاء الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان لم ينجوا منهم ، وهم اذا عجزوا عن

(١) ص ٤٨٦ من كتابه هذا

الشرجيرة وبراحا تسنموه وركبوه خديعة وضدراً . ونذكر هنا على سبيل المثال
 حادثة مشهورة ، هذه الحادثة هي أن أحد أئمة آل سعود البررة وهو الامام
 عبد العزيز بن سعود قد وقع صريعاً مقتلاً بيد شيعة من أهل العراق ذهب الى
 الدرعية عاصمة آل سعود يوم ذاك مدنياً الورع والتقوى والزهد ، فأحسن اليه
 الامام عبد العزيز وأكرم مثواه ، وكان في الواقع قد حضر لاغتيال هذا الامام
 ونحن لا نشك في أنه دسيسة جمعية شيعة هدامة ثورية قد دبرت هذا الاغتيال ،
 ويسرت أسبابه ، فلما أن وثق هذا الشيعة الخائن من إمكان أداء مهمته المجرمة
 أخرج خنجرأ كان قد استبطنه معه وطعن الامام وهو يؤدي فرض صلاة العصر
 في مسجد الدرعية عاصمة مملكته فخرّ صريعاً وقضى نحبه بتلك اليد الشيعة الاثيمة
 ومن عهد قريب يذكره القراء حاول جماعة من الزيدية - والزيدية محسوبون من
 طوائف الشيعة - اغتيال جلالة الملك عبد العزيز هو وولي عهده حينما كانا يطوفان
 في بيت الله يؤديان نسكهما في الحادثة المعروفة للذكورة فوقهما الله شر ما حاولوا
 وما راموا ، الى أمور يطول وصفها من أحداث الشيعة ومصائبهم في الاسلام
 والمسلمين . قلو كان هذا الشيعة يريد قول الحق قال صادقاً : ان الشيعة هم الذين
 يستحلون قتال ملوك الاسلام وأمرائهم والخروج عليهم لاعتقادهم أنهم نواصب
 نصبوا العداء لآل النبي عليه السلام . ولو لم يكن جريئاً على أن يغضب الحق أو لو
 كان يكره الجهر بالباطل الصريح الصحيح لأعرض عن هذا

ثم قال الرافضي : « سادساً - كما أن الخوارج لا يبالون الموت لأنهم راضون
 بزعمهم الى الجنة كذلك الوهابيون يظهرون بسالة وإقداماً لأنهم بزعمهم راضون
 الى الجنة ويقولون في حروبهم مع المسلمين :

هبت هبوب الجنة وين انت يا باغيها »

قلت لا ريب أن الشجاعة والاقدام على الموت في الحروب من صفات المدح

والرجولة الكاملة ومن صفات المؤمنين المتقين وصفات الأنبياء والمرسلين ، وقد اتفقت كلمة العقلاء على امتداح الشجعان والثناء عليهم واحلالهم محل الاحترام والاحلال كما اتفقوا على هجاء الجبناء واحتقارهم والزراية بهم والقبح فيهم . وقد اتى الله كثيراً في كتابه على الشجاعة والشجعان وأمر بالاقدام وخوض غمار الموت بالرضا والثبات كما ذم الجبن والجبناء وأوعدهم العذاب ووصفهم بصفات يرغب المؤمن بنفسه عنها . والقرآن يجملته واصف المؤمنين بالشجاعة والاقدام على حلقات الموت بثبات ورباطة قلب وجاش ، وواصف الكافرين والمنافقين والفاسقين بخلاف ذلك ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم وخيار المسلمين من الأئمة في غاية الشجاعة والاستهانة بالموت والخطر . وكانوا يمتازون على جميع المخالفين لهم من الكفار والمنافقين بهذه الصفة أغنى الشجاعة والتهوين لشأن الموت . والشيعنة تدعى أن علياً كان أشجع الشجعان على الاطلاق وكان أعظم الخلق إقداماً على مهابط الموت ومساقت الردي ، ويدعون أنه لولا شجاعته لما قام للاسلام عمود ولما اخضر له عود وينشدون في ذلك :

ألا إنَّ الاسلام لولا حسامه ~~كمحفظة عنز~~ أو قلامة ظافر
يجل عن الأعراض والآين والتمنى ويكبر عن تشبيهه بالعناصر^(١)

وهذا من الغلو الموبق . وفيه ما فيه من التحقير للنبي الكريم ولسائر المسلمين الذين نشروا الاسلام وأعزوه بمهجم الغالية ومن التحقير للاسلام نفسه . حفظنا الله من سوء ومن الغلو الممقوت

فالشجاعة ممدوحة بكل لسان والجبن مذموم بكل لسان . فلا يمكن أن

(١) يقال إن هذين البيتين لابن أبي الحديد ولكنني أشك في هذا لأن الرجل عنده شيء من الاعتدال بل ما لبعض غلاة الشيعة المؤلمة

تكون الشجاعة والمهجوم على الموت مما يذم به مخالفو هذا الرجل بالضرورة
والبداهة والاجماع

وأما زعمه أن ذلك كان في حرب المسلمين فنقول قد قدمنا في الأمر الذي
قبل هذا أن النجديين كانوا في جميع حروبهم مبدؤين بالظلم والأذى وأنهم
كانوا في ذلك كله مدافعين ذائقين عن أنفسهم وعن دعوتهم ودينهم وبلادهم
من هاجمهم واقتحموا عليهم أرضهم وديارهم ومن أساءوا اليهم مختلف الاساءات
والظالوم المبدؤ بالحروب والايذاء واجب عليه أن يدافع بشدة وقوة ثم واجب عليه
أن يطمئن الى حسن عقباء وأخراه وواجب عليه أن يقدم ببسالة وشجاعة بكل
نفسه وجسمه

وهل يعلم هذا الرجل من القوم الذين قاتلهم النجديون أو يعلم ماذا كانوا
يعملون وما كان حظهم من الاسلام والدين والأخلاق الانسانية الفضلى ، أو هل
يعلم كيف كانوا يعيشون ومن أين يعيشون وكيف كانوا يفعلون ويعيشون بمهج
الناس المسالمين الوادعين وبأموالهم وما كانوا ينشرونه من الغارات والثورات
والفوضى والأذى في كل مكان على كل إنسان وعلى كل خلق مرضى كريم . ثم
ماذا كانوا يجتثون على الدولة والامة وأخلاق الانسان الكريمة وعلى العدالة من
الويل والتخريب والافساد ؟

وليعلم أن من قاتلهم النجديون ليسوا خيراً من معاوية بن أبي سفيان وعمر
ابن العاص وأهل الشام الذين كان على - رضى الله عن الجميع - هو وأصحابه
يقاتلونهم ويستبيحون قتالهم واستئصالهم وتخريب قواعدهم وبنياتهم كما تقول
الشيعة وتدعى على عليّ بل وكان على ومن معه يقولون إن قتلانا في الجنة
وقتل الشام من جند معاوية في النار كما تنقله طائفة الشيعة عنهم ، وفي كتاب نهج
البلاغة المنسوب لعل الشيء الكثير من هذا بل وفيه التصريح الواضح بوجود

قتال أهل الشام وهذا لا تنازع فيه الرافضة بل هي تدعيه وتبالغ فيه . فإذا ما كان قتال معاوية ، ذلك الصحابي الجليل الذي قد لم الله شعث المسلمين بذكائه ودهائه وحمله ، وقتال من معه من الصحابة والتابعين والمسلمين يجوز شرعاً للهات التي تدعيها الشيعة فكيف ينكرون على النجديين قتال قوم بدأوهم بالأذى والظلم والعدوان وملثوا الأرض بالفساد والمنكرات الفاضحة وإتيان الفواحش كبرياتها وصغيراتها ظاهراً وباطناً ، والدفاع عن استحل ذلك وغس فيه جسمه وقلبه حتى فرق رأسه ، ومن تركوا شرع الله وراء الظهور فأضاعوا الصلوات والصيام والحج والزكاة ، ونحوا كوا إلى الطاغوت والعجبت وهجروا كتاب الله قولاً وعملاً واعتقاداً وحاربوا من دان بكتاب الله وسنة رسوله وعادوه صنوف العداء وبالأجمال من أرقلوا في كل فاحشة واستحقبوا كل إثم ؟ ألا يعلم هذا الرجل أنه لولا هؤلاء النجديون ولولا غيرتهم الملتية للدين والله ورسوله وكتابه ثم لولا شجاعتهم النادرة في الدفاع والنضال لكانت جزيرة العرب اليوم - ومنها الحرمين مكة والمدينة والحجاز كله - غيرها اليوم ولا صابها والله أعلم بما يكون ما أصاب غيرها من بلاد العرب والاقطار الاسلامية المفجوعة بكرامتها وحريتها ؟ فلا يتدبر هذا جيداً ؟

إذا محاسن الآتي أدل بها كانت ذنوبي قتل لي كيف أعتذر ؟
ثم قال الشيعي : « سابعا - كما أن الخوارج على جانب من الجور والغبوة كذلك الوهابيون على جانب من الجور . فينبأهم يحرمون الترحيم والتذكير لآله يزعمهم بدعة وأمثال ذلك ويتوقفون في التلغراف لدمهم وقوفهم على نص فيه ويمرمون التدخين ويماقبون عليه ، تروا يكفرون المسلمين ويستحلون أموالهم ودماءهم ويقاتلونهم بالبنادق والمدافع لطلب الشفاعة من جعل الله له الشفاعة وتوسلهم بمن له عند الله الوسيلة »

قلت : وجواب ذلك أن يقال إن أغبي الأغبياء وأجهد الجامعين عند الناس

أجمعين من يتأثمون من أن يضيفوا إلى جهال العامة وفساقهم إنما أو خطأ تورعا
وتدينا في حين أنهم يضيفون إلى أصحاب النبی الکریم وأزواجه وإلى خيار البشر
أفطن الأقوال وشر التهم . وإن أغبي الأغياء وأجد الجامدين من يكفرون أمثال
أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وطلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص ثم
يتودعون ويلج بهم تورعهم حتى يأبوا أن يضيفوا إلى من ادعى الاسلام غلطا
وإنما أو ضلالة فيكلفون أنفسهم أن يؤولوا كل مايقوله جهال المدعين الاسلام من
الفاظ الكفر والردة والاساءة الى الله . وإن أغبي الأغياء وأجد الجامدين
من تحملهم عداوة أبي بكر وعمر وإخوانهم من كبار الصحابة على اجتتاب أمثالهم
ومعاداتهم بحيث لايسمون أو يقسمون بها . وهذا ماتصنعه الشيعة الغالية . فانك
لا تجد فيهم من اسمه ابو بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو . وإن أغبي
الأغياء وأجد الجامدين من يأتون بشاة مسكينة وينفقون شعرها ويذيونها أفانين
العذاب موحيا إليهم ضلالهم وجرمهم أنها السيدة عائشة زوج النبي الکریم وأحب
أزواجه اليه . ومن يأتون بكبشين وينفقون أشعارها ويذيونها ألوان العذاب
مشيرين بهما الى الخليفين أبي بكر وعمر وهذا ماتأنيه للشيعة الغالية . وإن أغبي
الأغياء وأجد الجامدين من يقيمون المناحات والمآتم الباكية الضاحكة السخيفة
كل عام حاشدين فيها أنواع المضحكات المبكيات : يضربون خدودهم ويشقون
جيوبهم بل ويضرب بعضهم بعضا بالمدى ويصنعون الصنائع المنكرة . وذلك
ماقتله طاقة الشيعة كل عام يوم عاشوراء حزنا على من مات منذ أكثر من
الف عام . وإن أغبي الأغياء وأجد الجامدين هم الذين ضيوا إمامهم في السرداب
وغيبوا معه قرآنهم ومصحفهم . ومن يذبحون كل ليلة بخيولهم وحيرهم الى ذلك
السرداب الذي ضيوا فيه إمامهم ينتظرونه وينادونه ليخرج اليهم . ولا يزال
حندم كذلك منذ أكثر من ألف عام . وإن أغبي الأغياء وأجد الجامدين هم

الذين يزعمون أن القرآن محرف مزيد فيه ومنقوص منه ، وأن الصحابة هم الذين فعلوا ذلك وأن ذلك وقع منذ ثلاثة عشر قرناً ولم يستطع أحد في هذه العصور كلها أن يأتي بالقرآن الصحيح الكامل . فهم ينتظرون ذلك القرآن المشتتل على فضائل آل البيت النبوي . وأن أغبي الأغياء وأجد الجامدين من يزعمون أن جبريل قد غلط في أداء رسالته فنزل بها على محمد وكان مرسلها إلى علي . وإن أهل الغباوة والجلود هم الذين قالوا لعل أنت خالقنا ورازقنا . . فلما أمر بهم فطرحوا في النار قالوا وهم يحترقون : الآن عرفنا أنك أنت الله اذ لا يذب بالنار إلا رب النار . وإن أهل الغباوة والجلود هم الذين يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء وأنهم معصومون وأنهم لا يقولون إلا الحق أبداً لا عدا ولا خطأ ولا ينسون أو يسهون وأن أقوالهم حجج كحجج القرآن بل أقوى وأصح . وإن أهل الغباء والجلود هم من نرد عليهم بكتابتنا هذا . وسوف نرى القاريء من آرائهم وعقائدهم ومسائلهم الخاصة بهم ما يجعله يقول غير شك إن وصف الغباء والجلود لا ينطبق تمام الانطباق على طائفة مثل انطباقه على طائفة هذا الرجل : قال الامام ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٤ :

« وأعجب من هذا تفسير الرافضة للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذي ذكره هرون بن سعيد العجلي وكان رأس الزيدية فقال :
 ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال منكرا
 فطائفة قالوا إمام ومنهمو طوائف سمته النبي المطهرا
 ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت إلى الرحمن ممن تجفروا
 برئت إلى الرحمن من كل رافض بصير ياب النقي في الدين أعورا
 إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى عليها وإن يعضوا على الحق فصرأ
 ولو قال ان الفيل ضب لصدقوا ولو قال زنجي تحول أحمرأ

وأخلف من يول البعير قانه اذا هو للاقبال وجه أدورا
 فقبح أقوام رموه بفرية كما قال في عيسى الفري من تنصرا
 « وهو جلد بخر ادعوا أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون الى علمه وكل
 ما يكون الى يوم القيامة . فن ذلك قولهم في قول الله « وورث سليمان داود »
 أنه الامام وورث النبي علمه ، وقولهم في قول الله « ان الله يأمركم أن تدبجوا بقرة »
 انها عائشة ، وفي قوله « قتلنا اضربوه ببعضها » انه طلحة والزبير ، وقولهم في
 الحمر واللبس انهما أبو بكر وعمر وفي البيت والطاغوت أنهما معاوية وعمر بن
 العاص ، مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب من بلنه كتابنا هذا عن استماعها
 وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن الا بتأويل رجل
 من أهل مكة لشعر قانه قال ذات يوم ما سمعت بأ كذب من بنى تميم ، زعموا
 أن قول القائل :

بيت زرارة محتب بفنائته ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
 انه في رجال منهم . قيل له : فما تقول أنت فيهم ؟ قال البيت بيت الله وزرارة
 الحبر ، قيل فمجاشع ؟ قال زمزم جشعت بالماء . قيل فأبو الفوارس ؟ قال أبو قبيس
 قيل له فنهشل ؟ قال نهشل ؟ وفكر ساعة ثم قال : نهشل مفتاح الكعبة لأنه طويل
 أسود فذلك نهشل . والرافضة أكثر أهل البدع اقترافاً ومحلاً ، فمنهم قوم يقال لهم
 البياينة منسوبون الى رجل يقال له بيان قال لهم إلى أشار الله اذ قال « هذا بيان
 للناس وهدى وموعظة للمتقين » وهم أول من قال بخلق القرآن ، ومنهم للنصورية
 أصحاب أن منصور الكسف وكان قال لأصحابه في نزل قوله : « وان يروا كفافاً
 من السماء ساقطاً » ومنهم الخناقون والشداخون ومنهم التراية وهم الذين ذكروا
 أن علياً كان أشبه بالنبي عليه السلام من التراب بالتراب فقلط جبريل حين بث
 الى على لشبهه به ، ولا نعلم في أهل البدع والآهواء أحداً ادعى الريوية لبشر

غيرهم فان عبد الله بن سبا ادعى الريوية لعلني فأحرق على أصحابه بالنار ، وقال في ذلك :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجبت ناري ودعوت قنبرا
ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة
لنفسه ، وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته ، فصدقته قوم واتبعوه وهم
الكنيسانية . هذا كله ذكره ابن قتيبة ، وقد ذكر ابن بطوطة في رحلته المشهورة
أنه مر ببعض بلاد الشيعة فوجدهم يتحامون لفظ العشرة فرارا من العشرة
الصحابة المبشرين بالجنة فكان الباعة في الأسواق اذا ما أرادوا أن يقولوا عشرة
قالوا تسعة وواحد فحضر تركي فسمع واحدا منهم يقول ذلك فصر به بسلاح معه ،
وقال قل عشرة بالدبوس ، وذكر أنهم بنوا مسجدا وجعلوا له تسع قباب لم يجعلوها
عشرا سيرا مع مذهبهم

وقد ذكر المقرئ في خطه وذكر غيره أشياء مضحكة عن الخلفاء
الفاطميين الشيعة وخاصة الحاكم بأمره منهم ، وقد ذكر هو وغيره عن هذا أنه
كان قد أصدر أمره بتحريم الملوخية والزبيب وما كولات أخرى وأنه عاقب من
باعوا ذلك أشد العقاب الى أشياء أخرى منجدة

ونحن نحب والله أن هؤلاء لم يلجئونا الى نشر هذه الترهات . وقال المقرئ
« وفي سنة ٣٩٣ قبض الفاطميون على ثلاثة عشر رجلا ضربوا وشهروا على الجلال
وحبسوا ثلاثة أيام من أجل أنهم صلوا صلاة الضحى ، وفي سنة إحدى وثلاثين
وثلاثمائة ضربوا رجلا وطافوا به المدينة من أجل أنه وجد عنده كتاب الموطأ للإمام
مالك . وقرأ سجل فيه من الناس من أكل الملوخية المحمية لمعاوية بن أبي سفيان
ومنهم من أكل البقلة للسامة بالمخرجير المنسوبة لعائشة رضي الله عنها ومن التوكلية
المنسوبة الى المتوكل . ومنع من عيين الخبز بالرجل ومن أكل الدليس ومن ذبح

البقر إلا إذا عاهة ماعدا أيام النحر ومنع أن يباع شيء من السمك بغير قشر وألا يصطاده أحد من الصيادين ، وكتب في شهر صفر من هذه السنة على سائر المساجد وعلى الجامع العتيق بمصر من ظاهره وباطنه وعلى أبواب الحوانيت والحجر وعلى المقابر سب السلف ولعنهم وقش ذلك و لون بالاصباغ والذهب وعمل على أبواب الدور والمقاصير وأكره الناس عليه وتسارم الناس الى الدخول في دعوتهم . وفي سنة ٣٩٧ قبض على جماعة ممن يعمل الفقاع ومن السماكين والطباخين وكبست الحمامات فأخذ عدة ممن وجد بغير منزر فضرب الجميع ثم قرئ سجل في ربيع الآخر في سنة ٣٩٩ أن لا يحمل شيء من النيذ والموز ولا شيء من الفقاع والدلتيس والسمك الذي لا قشر له والترمس العفن . وفي سنة ٤٠٠ شهر جمادى بعد ما ضربوا بسبب بيع الفقاع والملوخية والدلتيس والترمس ، وقد ذكر المقرئ غير ذلك ^(١) وقد ألف جماعة من الشيعة قديماً رسالة سموها « المنار والشيعة » وكان أحد مؤلفيها هذا الرجل أغنى الشيخ محسن أمين العامل ، وقد جاء في هذه الرسالة أن كربلاء أفضل من مكة لوجود آل النبي فيها ، وفي الرسالة أيضا أن زيارة آل البيت أفضل من الحج

فمن أغنى مؤلفي هؤلاء وأجد ؟ وإن أغنى الأغنياء وأجد الجامدين من قدحون في أهل السنة من أهل نجد مع ارتكابهم هذه المواقف التي لو أضيف أحدها الى من اجتمعت له أنواع الفضائل لغير فضائله . فكيف اذا كانت هذه الأمور شائعة في طائفة أفضل ماتدعيه لنفسها من الفضائل والأعمال الصالحة غلوها في آل البيت وحبها إياهم الحب الذي لا عقل له حتى زعموا في فريق منهم اللوهمية وفي آخر النبوة وزعموا في الائمة العصمة كالأنبياء

أما ماعده للوهابيين من الجلود فان ذلك جهود منه لا منهم ، ويان ذلك هو

هذا : أما الترحيم والتذكير فقد تكلمنا عليهما في الأمر التاسع من المقدمة الثانية وأما توقفهم في التلغراف ان صح النقل عنهم فيقال : ان توقفهم في هذا كان قبل أن يعرفوا حقيقته وقبل أن يدخل بلادهم وأن يملوا عنه شيئاً ولا كيف هو . ولا عيب عليهم في هذا وليس فيه شيء مما يدل على الجود والنباه ، ولنا نشتك أن مخترع التلغراف نفسه لو حدث عنه قبل أن يكون لارتاب فيه بل لهجم على التكذيب والمبادرة الى الحكم باستحالته ، ولئن قارب جداً وتزمت جداً ليقولن انه سحر ، وكذا أكثر الناس ، بل كل الناس . وقد نشرت إحدى المجلات من قريب أن أحد فلاسفة أوروبا كان يقسم بأن التلغراف سحر وأنه من عمل الشياطين بعيد اختراعه ، وفي الحكاية المألوفة أن أحد الخلفاء أهدى ساعة الى أحد ملوك أوروبا فخاف منها هو ووزراؤه وحسبوا شيطانا وان أعرق الناس حضارة اليوم ومدنية وأعظمهم اختراعاً واقتنائاً بالمخترعات لو لم يروا عجائب هذا العصر ولم يملوا كيف صنعها فحدثوا عنها لبادروا الى الانكار والى عزوها الى الخرافة والخبيل والحكم المتمتون منهم بأنه كله سحر وهذا لا يرتاب فيه . فان الانسان لم يخلق عالماً بكل ما كان وبكل ما يكون ولم يخلق محيطاً بأسرار الوجود ومساثيره ومغاليق الطبيعة ، ولا عيب عليه اذا جهل هذا إلا اذا عيب بأنه لم يكن رباً عليماً بكل حقائق الأشياء تعالى الله عن المشابهة والانداد والمائل من الناس هو من يتوقف في الحكم على مالا يعلم حقيقته حتى يعلمها ، وليس المائل هو الذي يعلم كل شيء . فان ذلك هو الله وحده ، والذي قاله بعض النجدين من التوقف في التلغراف اذا صححت الرواية عنهم هو أخف مما يروى عن سائر الناس فان الناس أول ما حدثوا بفلك قابلوه بالتكذيب والجحود ، ومثل هذا ليس حقيده للرب يدين الله بها فيؤاخذ عليها وبها وإنما هي أمور ترجع الى اطلاع المرء وتعليمه وسعة مداركه التجريبية ، ولا يصيب النجدين بهذا إلا جامد متعصب

وأما تحريم الدخان فلا شك أن العقلاء يوافقون عليه ويحمدونهم ويمدونه من فضائلهم ومحامدهم ، فإن في الدخان ثلاثة أضرار لأرب فيها (أولها) إضعاف الصحة وإضعاف الصدر خاصة والجنابة على الصحة محرمة في جميع الأديان والقوانين (ثانيها) إضاعة المال وتبذيره في شيء لا ينفع بل يضر كما ذكرنا ومن الحرق والسفه والله أن يباح الدخان للفقراء المساكين الذين لا ينالون الخبز إلا اغتصابا وانهابا واقتتالا . (ثالثها) أن في هذا تهوية للأجانب الأعداء علينا نحن أى على الاسلام وبلاد المسلمين وعلى العرب وبلاد العرب . لأن المال الذى يضيع من المسلم في الدخان هو راجع الى الجيوب الأجنبية بل الى المصانع الأجنبية التى تصنع الطيارات والديابات والمدافع وسائر المدمرات لتحطمتها بها ولتغتصب بلادنا وخيراتنا وحياتنا من جيوبنا ودمائنا

هذه أمور ثلاثة لا ريب فيها ، ولأجل هذا حرم الدخان كثيرون من الناس لا يدينون بدين لا بالآل ولا بغيره . وكثيرون من الأطباء يحرمونه بقائما لأجل بعض الأسباب التى سردناها ، وكذا الاقتصاديون ، لا لأجل الدين والإيمان . ويأليت المسلمين يحرمون هذا الدخان ويمنعون تعاطيه ألبتة . ويأليت حكومة الحجاز تشتد في منعه وفي مراقبته الشديدة حتى لا يصل بلادها منه شيء كى تشتري بأمانه أشياء ضرورية تنفع الدولة والملة والأفراد والجماعات والاسلام والمسلمين . إذن لفرح بذلك المؤمنون ولا مبالاة بما يقوله المتعصبون للمعاندون

وأما زعمه أنهم يكفرون المسلمين ويقاثلونهم بالبنادق والمدافع ، فنقول ان هذا من الزاعم التى قد ذكرنا مرات أنها افتراء محض وسيجزى الله المفتريين . وليراجع الوجه الخامس من هذه الوجوه ثم الوجه السادس ففيهما الجواب عن هذه التهمة وسنزيد الموضوع بياناً

وهلا يكتفى هذا الرجل منا بأن قول له والناس أجمعين اننا نشهد الله والعالم

أنا لا نكفر أحداً من المسلمين ولا نستحل قتال أحد منهم ولا ماله بل ونبرأ الى الله من يستحل ذلك ونصرح بأن الصحابة والتابعين والمحدثين والأئمة الأربعة ومن سار سيرتهم راشدون كلهم مؤمنون بالله لإيماننا صحيحاً ناجون من العذاب بل وأنهم من أهل الجنة والنعيم . فها يقنعه هذا ، أم هو مصر على هذه التهمة لأنه لا يريد غيرها ، وعلى الله حساب الجميع وسيجزي كل امرئ ما هو أهله

ثم قال « ثامناً - كما أن الخوارج قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر مقاومة أئمة الضلال ورفع الظلم كذلك الوهابيون قال بمقاتلتهم جماعة ممن ينسب الى العلم لظهورهم بمظهر رفع البدعة التي لا شك في وجودها بالجملة وأنه لا عبادة ولا شفاعاة الا لله ولا استعانة ولا استغاثة الا بالله وهذه كذلك كلمة حق يراد بها باطل كما عرفت »

قلت : والجواب أن قول لا ريب أن رضا أهل العلم والدين عن مقالة من المقالات وذهابهم مذهب أهل تلك المقالة وانتسابهم اليهم وموافقتهم لإمام لا يدل على بطلان المقالة وبطلان مذهب قائلها ولا يدل على أنها ضلال وأن أصحابها من الخوارج المذمومين الذين أمر رسول الله ﷺ بقتلهم والذين قاتلهم أصحابه . بل لا ريب أن موافقة أهل العلم من المسلمين الموصوفين بالورع والمعرفة لمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد قوية لها واحترام . وأن ذلك إن لم يكن دليلاً على أنها صواب وعقل وهدى لم يكن دليلاً على أنها خطأ وضلال وجبل . ولا نزاع في هذا وما رأينا علم الله أعجب ولا أشد من هذا الشيعي ومن آرائه في كتابه هذا الذي تعرض به لهذه المطالب العالية الرفيعة ، ولا نعلم أحداً علم الله قبله زعم أن قول جماعة من أهل العلم بمقالة من المقالات وعقيدة من العقائد برهان على أن أهل تلك المقالة وأهل تلك العقيدة إخوان الخوارج فيما ينمون به . ولو كان هذا صحيحاً لكان جميع الناص إخواناً للخوارج مذمومين ملوئين ضالين . فان كل طائفة من

طوائف المسلمين إذا ما استثنينا طائفة الشيعة الغالية قد قال بمقتلاتهم ومذاهبهم
 جماهير من أهل العلم والدين وما من مقالة لامام من الأئمة المشهورين إلا وقد قال
 بها رجال كثيرون من أهل العلم المشهورين ورضوها وتعبدوا الله بها . بل ما من
 مقالة قالها الامام عليّ إلا وقد قال بها غيره من الصحابة ومن بعدهم من أهل الصلاح
 والامامة وكافحوا عنها . بل ما من مقالة صحيحة إلا ولا بد أن تكون مقالة جماهير
 من العلماء البارزين في ميدان المعرفة والدين والصلاح . فهل يكون الناس أهل الحق
 جميعا مشبهين الخوارج الضالين فيما اختصوا به عند هذا الشيعي ؟ ولو كان حقا
 ما قال لكان ذلك كذلك . وإذا كان هذا كان المسلمون جميعا ضالين ومن إخوان
 الخوارج الضالين ، وكان هذا الرافضي رادا على جميع المسلمين حتى على الصحابة
 وعلى علي وعلى آل البيت النبوي وعلى أئمتهم المعصومين . وإذا كان يريد أن
 المسلمين جميعا يشبهون الخوارج وكان يريد أن يقرر ذلك فالتنا حيثنلا نأبي بل
 لا فيظننا أن نشابههم كما يشابههم جميع المسلمين ، بل لسنأ رضى غير ذلك . لآنا
 مع المسلمين ومع الصحابة والتابعين ومع المحدثين ومع الأئمة المشهورين ومع
 أصحابهم ومن تبهم بالاحسان والهدى . وهذا المصنف لا يدري أنه ليست جميع
 أعمال الخوارج باطلة أو لا يدري أن من أعمالهم ما هو هدى وحق بلا ريب .
 بل كذلك جميع الطوائف حتى الضالة . ولا يعلم أنه لا يجب مخالفة الخوارج في كل
 شيء قالوه أو عملوه وأنهم لا يخالفون إلا فيما ضلوا وزلوا به . وإن مامهم من الحق
 والهدى لا يخالفون فيه ولا يترك ذلك لأجل مخالفتهم : كأن الرجل لا يعلم من
 هذا شيئا ، ولهذا يعد على التجديدين وعلى سائر المسلمين موافقة الخوارج كما قال
 هنا في كل مقالة قالوها وعقيدة اعتقدوها . حتى لم يبق عليه إلا أن يقول أنهم
 يشبهون الخوارج في تجريم الفواحش كالزنا والزبا والخمر ، وفي الايمان بالله وتصديق
 النبي والرضا عن أبي بكر وعمر ، وما بقى الا أن يقول أنهم يشبهون الخوارج في

(٣٨٣)

حب العدالة والانصاف وفي الورع وفي الانسجام بالاخلاق الفضلى التى اتسم بها
بعض الخوارج كالشجاعة والاقدام والتضحية والصدق والصراحة والجهر بالحق
إذا ما عرفوه . وقد عد عليهم من مشابهة الخوارج الشجاعة والاقدام . كلا أيها
الرجل إن الخوارج بل كل طائفة فى الدنيا لا تخالف الا فى ضلالها وباطلها وجهلها
لا فى كل ما قالته وعملت . وهذا لا يخالف فيه عاقل

فوافقة أهل العلم والدين لأهل السنة من أهل نجد لا تضيرهم ولا تقل على
أنهم غالطون قائلون باطلا . ولا شك أن أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين
البصراء بالدين يوافقوننا على هذه المطالب العالية ، أعنى عبادة الله وحده ،
والانقطاع اليه وحده وهجران المهازل والخرافات الشيعية وغيرها من الاحداث فى
الدين والآراء المدخولة المكروهة

حقا ان الذين يقولون المقالات التى لا يوافقهم عليها أحد من المسلمين
لا الخوارج ولا غيرهم م الرافضة القائلون وأمثال هذه المقالات الخاصة بهم كثيرة
قدمننا أشياء منها فى أوائل هذا الكتاب وفى أثناءه

ثم ان اعترافه هنا بأن البدع موجودة فى الاسلام بالجملة يخالف ما صنع فى
كتابه هذا . فانه دافع عن جميع المبتدعات صغيرها وكبيرها التى نحرص نحن كل
الحرص على تطهير الاسلام منها زاعماً أن ذلك كله من سنن المسلمين العملية التى
تناقلوها خلفاً عن سلف بالاجماع والتواتر المشهور . فأين البدع إذن الموجودة
بالجملة التى اعترف بها اذا ما كانت جميع أعمال العامة الجاهل من صميم الاسلام
والايمان ومما جاء به كتاب الله وأجمع عليه المسلمون ؟

وأما ما ذكره من الشقاعة والاستعانة والاستغاثة بغير الله فسوف يجيبه

الكلام عليه

ثم قال الشيعى : « ناسأ - كما أن الخوارج قال فيهم رسول الله يمرقون من

الدين كما يخرج السم من الرمية وفي رواية يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السم من الرمية كذلك الوهابيون أشار إليهم رسول الله عليه السلام بقوله « اللهم بارك في شأمننا اللهم بارك في يمننا قالوا وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شأمننا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن أو قال بها يطلع قرن الشيطان » رواه الامام أحمد وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أنه عليه السلام قال اللهم بارك لنا في شأمننا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فأظنه قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله قال وهو مستقبل المشرق رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمر أن النبي عليه السلام قام إلى جنب المنبر فقال الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس »

ثم ذكر الشيعي بعد هذا أن هذه الأخبار تعني نجد بلاد الوهابيين نصا لا تتحمل غير ذلك . وذكر أن بعض الوهابيين قال ان الأحاديث تعني نجد العراق ذا كرا أن النجد نجدان فأكذب هذا القول مصرا على أن الأخبار تعني بلاد نجد مبعث هذه الدعوة السلفية وأنها تشير بذلك أي بالزلازل والفتن إلى معتقد الوهابيين فيكون هذا القول نصا واضحا من النبي عليه السلام في ذم هذه العقيدة وهجائها وطلانها

ونحن نقول ليس من ريب في صحة هذه الأخبار ولا في ثبوت ألفاظها عن النبي الكريم ، ولكن الشأن في دلالتها وفي صحة ما حملها عليه هذا الرجل ، وفي التزام التي انتزعا منها ثم في النتيجة التي اغتصبها واختصرها من هذه الأحاديث والكلام هنا في مقامين : الأول ما هي البلاد التي عناها النبي الكريم بأقواله هذه . وثاني : هل يمكن أن تكون دليلا على ما زعم من ذم العقيدة السلفية

النجدية اذا ما ثبت أن النبي الكريم عنى بأقواله هذه البلاد النجدية المعروفة التي
ترعرعت فيها هذه الدعوة وسالت منها في أطراف المعمورة بعد أن كادت تغفى
عليها المحدثات وينساها المسلمون ، وبعد أن تضاءلت فانكشفت في بياض صدور
حفظها الله من غبار الفتن وبخار الضلال الشامل العنيف

أحاديث ذم المشرق

أما المقام الأول وهو ما البلاد المعنية بهذه الأخبار النبوية ، فنقول : ان الذي
ورد فيها هو ذم المشرق مصرحاً به وباسمه أو مشاراً اليه مثل قوله هاهنا الفتنة وهو
متجه الى الشرق ومشير اليه . والثاني مما ورد ذكر لفظ نجد تصريحاً وتخصيصاً إذ
قلوا وفي نجدنا يا رسول الله قال هناك الزلازل والفتن . الى آخر الأحاديث . هذا
ما ورد إجمالاً مما يستدل به على معرفة البلاد المقصودة بهذه الأخبار المذكورة
فيقال أما ذم الشرق إجمالاً فلا يمكن أن يكون دليلاً على ذم نجد صريحاً يقيناً
ولا يمكن أن يكون دليلاً على ذم هذه البلاد وذم عقائدها بالضرورة الواضحة .
وذلك أن ذم المشرق إطلاقاً بلا تعيين ولا تقييد إما أن يراد به كل ما هو مشرق
للمدينة للنورة ولنبي عليه السلام حينما أشار وقال قوله . وإما أن يراد به جهة
واحدة من الجهات الواقعة شرق المدينة ، وعلى الأول لا تكون هذه الأحاديث
في نجد تمييزاً لمعنى يخصها وحدها كالعقيدة السلفية مثلاً وإنما يكون القم للمشرق
حاماً لمعنى يقوم بالمشرق كله ليس هو العقيدة والدين بلا شك . وعلى الثاني أى
على أن الأحاديث تعنى جهة من جهات شرق المدينة جهة غير معينة فلا يمكن أن
يكون ذلك أيضاً مراداً به البلاد النجدية تخصيصاً الا بدليل خاص لأن البلاد
النجدية مثلاً على قول الخصوم قطر واحد من أقطار كثيرة واقعة شرق للمدينة
المتورة وليست البلاد النجدية أولى بهذا الهجاء وبهذه الزلازل والفتن من البلاد
التي تشاركت في الوقوع شرق المدينة وفي الشرق مطلقاً إذ لا ريب أن البلاد

النجدية لم يقع فيها من الأحداث التي يصح أن تسمى زلازل وفتنًا أعظم مما وقع في الأقطار الأخرى الشرقية باعتراف هذا الرجل كما سوف ترى . وذلك أن بلاداً كثيرة وأقطاراً متعددة هي في الشرق وفي شرق المدينة المنورة . فالعراق مثلاً في الشرق وفي شرق المدينة وبلاد العجم منشأ كل البلاء في الشرق أيضاً وكل ما هو شرق العراق وبلاد فارس وبلاد نجد أيضاً هو شرق المدينة صالح أن تكون الأحاديث المذكورة متناولة له ، وهذا لا خلاف فيه ولا ريب . وإذن من الظالم وما لا يقبل ولا يرضى أن يدعى أن ذم الشرق في الأحاديث النبوية يعني البلاد النجدية لما قام فيها من دعوة مغلصة دون البلدان الكثيرة والأقطار التي هي شرق المدينة وشرق نجد أيضاً وشرق مطلقاً ، وليس هنالك دليل واحد يدل في هذه الأحاديث التي ذكرت فيها الزلازل والفتن يعين البلاد النجدية ويعين أنها المعنية بهذا المعجاء دون البلاد الأخرى التي هي شرق الحجاز

ولو أن مؤرخاً من المؤرخين المنصفين المطلعين على ما وقع في هذه الأقطار من الفتن والزلازل والضلالات من أول ما عرف التاريخ تدوين الأحداث إلى يومنا هذا أو من أول ظهور الإسلام إلى يومنا هذا طرح عليه هذا السؤال : أي هذه الأقطار أكثر إنتاجاً للفتن والزلازل والضلالات ، وأيهما أفرس وأجرب في هذا الميدان ميدان الزلازل والفتن والضلالات . وأيهما أولى بهذه الأحاديث وما فيها من ذم وهجاء وأيهما يصح أن يكون مفسراً لها معنيًا بها . أقول : لو أن مؤرخاً عارفاً واسع المعرفة منصفاً ألقى عليه هذه الأسئلة لما استطاع أن يذكر البلاد النجدية في جوابه هذه الأسئلة ، ولو أنه ذكرها لما استطاع أن يقدمها على غيرها من هذه الأقطار الشرقية من جهة الحجاز والمدينة ولما استطاع أن يقول أنها أولى بهذه الأخبار من بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر الأتراك الذين جاءوا واندفعوا من جهة الشرق فماتوا البلاد بالبغي والفساد وأوسعوا المسلمين إعتاقاً

وتمتيل ورزايا تقطر منها القلوب المؤمنة وصفحات التاريخ الجدد ما حتى يومنا هذا . حتى لقد تناولوا على مقام الخلافة في دار السلام فصرعوا الخليفة وصرعوا غيره من أركان الخلافة وأركان العلم الاسلامي وزلزلوا عزة الاسلام زلزلة ظلت شرفاته وأركانه من هولها تنساقط الى يومنا هذا تباعا بوساطة واحدة أو بوساطات ذات عدد . وظلت تلك الزلزلة تهز أبراج الاسلام والمسلمين هزات لم تهدأ الى يومنا هذا ولم تفتأ تهد من معاقل الاسلام ودوره ما تهد والله شهيد على هذا وشهيد على أن الشيعة ورجال الشيعة البارزين كانوا إذ ذاك أعواناً لهؤلاء الطغاة الدمريين ودلاً لهم على الاهتداء الى ثغور الاسلام ، حتى صنعوا ما صنعوا من الآثام والنضائح بالخليفة والخلافة والعلماء ورجال الدولة العظماء . اذن من الظلم الميين الذي لا يجزو عليه محب للعدل والانصاف والحق والذي لا يرضاه لنفسه المؤمن بالله أن يزعم أن النبي الكريم إذا ما ذم المشرق لضلال وزلزال يحدث فيه يقال انه يعني بذلك الدم البلاد النجدية دون الشرق كله ودون بلاد فارس وبلاد العراق وبلاد التتر وما يقع شرق ذلك من البلاد والأقطار

ومما يدل على قولنا هذا ومما يفسر هذه الأحاديث ما رواه مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه قال لجماعة من أهل العراق : « يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة . سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : ان الفتنة نجىء من ها هنا وأوماً يده نحو المشرق حيث يطعم قرن الشيطان ، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له « وقتلت فسكاً فنجيناك من النعم وفتناك فتونا »

هذا وأغلب روايات هذا الحديث تدور على عبد الله بن عمر ، وكذا الحديث الذي فيه ذكر نجد نصاً ، فكأن هذه الأحاديث حديث واحد قيل في مكان واحد

وحادثة واحدة وقد فسر هذا الحديث بما سمعت ، وهذا النص احدى روايات

الحديث فهو يفسر باقى الروايات

وقال الحافظ ابن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى ^(١) فى شرح قوله عليه الصلاة والسلام رأس الكفر نحو المشرق : « وفى ذلك إشارة الى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا فى غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبى عليه الصلاة والسلام كما سوف يأتى فى موضعه . واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سوف يأتى ببيان واضحاً فى الفتن » ثم قال فى كتاب الفتن (الجزء الثالث عشر ص ١٠) بعد قوله عليه الصلاة والسلام انى لأرى الفتن تقع خلال يوتكم كوقع المطر : « وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضى الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن فى البلاد بعد ذلك . فالقتال بالجلل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهر وان كان بسبب التحكيم بصفين . وكل قتال وقع فى ذلك العصر انما تولد عن شىء من ذلك أو عن شىء تولد منه . ثم ان قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على امرائه ثم عليه بتوليته لهم . وأول مانشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتى ان الفتن من قبل المشرق »

وبعد هذا نقول : ما أعجب أمر الشيعة وما أغربه ، تارة يدعون أن هذه الأحاديث النبوية تعنى بالمشرق الذى يخرج الزلازل والاضلالات والفتن البلاد النجدية كما قال هذا الشيعى ، وتارة يزعمون أنها تعنى بذلك العراق مطلع الخوارج الذين خرجوا على الامام على وقتلوه وأكفروه ومطلع الحجاج وغيره . وتارة يقولون ان الأحاديث تشير الى أم المؤمنين وزوج النبى الكريم السيدة عائشة

رضى الله عنها وان الاشارة نحو للشرق كانت الى حبرتها وبيتها ابناء عما
سوف تنفع به الاسلام والامام من الضلال والفتن والخروج والقتال إذ قاتلت
عليك وجنده

قال المجتهد الشيعي النجفي الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر في كتاب كشف
الغطاء وهو من كتب الشيعة المرجوع اليها (ص ١٧) : « المثالب الثابتة للصحابة
التي تأتي الاسلام فضلا عن الايمان والعدالة كثيرة لا يمكن حصرها » ثم قال
(ص ١٩) : « روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : قام النبي عليه الصلاة
والسلام خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة وقال الفتنة تخرج من هنا قالها ثلاثا حيث
يخرج قرن الشيطان وروى البخاري قال خرج النبي من حجرة عائشة وقال رأس
الكفر من هنا من حيث يطلع قرن الشيطان ، وان كتب الامة مملوءة من ذم عائشة
وذم أيها بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام ^(١) فهذا ما يقوله المجتهد الشيعي الشيخ
جعفر ابن الشيخ خضر في تفسير هذه الأخبار النبوية وكذا قال صاحب كتاب (رسالة
الشيعة) وفي المكان المعنى بها الذي تنشأ منه هذه الزلازل والاحداث وأسباب الشيطان
وذلك المكان هو بيت السيدة عائشة الذي كان مبطاً لوحى الله وقرأه ودينه بوساطة
سيد الملائكة جبرائيل عليه السلام والذي كان يتلقى فيه محمد عليه الصلاة والسلام
رسالة ربه وآيات كتابه وشرائعه السماء . وذلك الذي ذكرناه آنفاً هو ما يقوله
المجتهد الشيعي الآخر الشيخ محسن الأمين العامل في تفسير هذه الأحاديث وفي
المكان المعنى بها ، وهذا المكان على تفسير هذا المجتهد هي البلاد النجدية التي
أطلعت هذه الدعوة الخالصة السلفية النقية التي تطالب أهلها بالرجوع الى هدى
السيدة عائشة وهدى أيها وهدى سائر السلف من الصحابة ومن بعدهم الذين زعم
الشيعة ان المثالب الثابتة لهم لا تنحصر لكثرتها ووفورها . فإلى هذه التفسير الحق

الصحيح يا قوم . وأى هذه الأقوال ما عناء النبي الكريم أيها الناس . وإى الامامين المجتهدين الشيعة المصيب في ما قال وما اختار . وأيها المحروم من لقاء الحق والحقيقة في هذه الأقوال النبوية الصحيحة ! فانه ان كان المعنى بالاحاديث البلاد النجدية كما يقول الشيخ محسن الأمين العامل في كتاب « كشف الارتباب في اتباع محمد بن عبد الوهاب » لم يصح ما قاله الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر في كتاب « كشف الغطاء » وان صح ما قاله الشيخ جعفر خضر في أنها تشير الى بيت السيدة عائشة لم يصح ما قاله الشيخ محسن الأمين العامل . فاذا صح أحد القولين بطل الآخر واذا ما أصاب أحد الشيخين خطأ الآخر إلا أن يزعموا أن الاحاديث تشمل هذا وهذا بمعنى أنها تعنى البلاد النجدية وبيت السيدة عائشة بالذم والهجم فاذا زعموا هذا الزعم قلنا لم إن لنا الشرف الأعظم والفضل المبين أن نجتمع نحن والسيدة عائشة بنت الصديق الأكبر وزوج النبي الكريم في خبر أو أمر من الأمور ، واننا نسأل الله أن يجعلنا من حزبها وأوليائها وجلسائها في دار الجزاء وفي هذه الحياة الدنيا ونبرأ الى الله من خصومها ومن استطابوا ثلبها والوقعة فيها هذا جواب الاحاديث التي فيها ذم المشوق اطلاقا وتعميما . وأما الجواب عن الاحاديث التي فيها ذكر نجد بالاسم ، فنحن ندع الجواب عن هذا للمحافظ ابن حجر المحدث المصري الشافعي الشهير في كتابه فتح الباري وللإمام الخطابي ولصاحب القاموس . قال المحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري (الجزء الثالث عشر صفحة ٣٦) :

« كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر . فأخبر النبي أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر . وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سببا لفرقة بين المسلمين وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به . وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة . قال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كل نجد بادية

العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة . وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهي خلاف الغور فانه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة . انتهى . وعرف بهذا وهاء ماقاله الداودي إن نجداً من ناحية العراق فانه توهم أن نجداً موضع مخصوص ، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً ، انتهى كلام ابن حجر . وقال في القاموس : « النجد ما أشرف من الأرض . الجمع أنجد وأنجداد ونجد ونجد . والطريق الواضح المرتفع وما خالف الغور أى تهامة وتضم جيمه مذكر (١) . أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراق والشام وأوله من جهة الحجاز ذات عرق »

هذا جواب المقام الأول من المقامين وهو الكلام في تعيين البقعة المعنية بهذه الأحاديث . وأما المقام الثاني وهو بعد التسايم بأن هذه الأحاديث تشير الى البلاد النجدية المعروفة ، فهل تدل على بطلان العقيدة السلفية القائمة فيها اليوم ، التي يدعوها هذا الشيعي بالمذهب الوهابي ؟ هذا ما سوف نتكلم عليه هنا . فنقول : لنفترض أن هذه الأحاديث نص صريح في ذم البلاد النجدية ، ونص صريح في أنه منها تخرج الفتن والزلازل وقرون الشياطين بل والشياطين أنفسهم : لنفترض هذا كله . ولكننا نقول إن هذا لا يدل على فساد هذه العقيدة المترعة في تلك البقعة من الأرض بالمنطق السليم الواضح . والدليل على ذلك أمور :

أولها - هذه الأخبار إما أن تدل على ذم جميع المعتقدات التي وجدت والتي

(١) قد جاء في شعر العرب تذكير نجد وهو الأكثر وتأنيثها وقد جاء

هذا في الشعر العربي خللاً لمن أنكر التأنيث

سوف توجد في هذه البلاد في كل زمن وعلى كل حال . وإما أن تترك على ذم
بعض هذه العقائد لا كلها . بمعنى أنها لا تنفي بطلان جميع المعتقدات هناك بل تنفي
نوعاً خاصاً منها . أما الافتراض الأول فليس يمكن أن يكون صحيحاً . إذ لا يمكن
أن يدعي إنسان أن كل العقائد التي يدين الله بها أهل البلاد في جميع الأوقات مما
اختلفت وتضاربت باطلة فاسدة ومردودة غير مقبولة . هذا ما ليس يمكن وإن
المخالف نفسه لا يستطيع أن يدعي لأنه يزعم أو لابد أن يزعم أن العقائد النجدية
كانت صحيحة سليمة لا عوج فيها ولا ضلال قبل طرود هذه الدعوة التي دعا إليها
الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأيقظها في الجزيرة العربية منذ مائتي عام تقريباً ،
ويزعم هذا المخالف أن الذي أفسد عقائد النجديين أو أن الفاسد منها هو هذه
الدعوة الجديدة وصاحبها ويزعم أن أهل نجد كانوا قبل ذلك منذ أكثر من مائتي
عام راشرين مسلمين مؤمنين ويزعم هو وغيره من المبتدعين أن أهل الشيخ محمد
ابن عبد الوهاب صاحب هذه الدعوة كايه وأخيه وغيرهم كانوا سليمي العقيدة
غير فاسديها لأنهم كانوا يرفضون الدعوة ويزعمون أنهم كانوا ناقلين من الشيخ
محمد ومن دعوته ومن ناصريها حتى ألفوا الكتب في الرد عليه وعلى دعوته كما
صنع أخوه الشيخ سليمان واعتمد هذا الشيعة على ما كتبه هذا الأخ في مواضع
من كتابه . فهذا الافتراض إذن لا يمكن أن يدعى ولو ادعى ما أمكن أن يكون
صحيحاً ولا مقارباً للصحيح . فلم يبق إلا الافتراض الثاني وهو أن يكون الذم في
هذه الأحاديث صائراً إلى بعض العقائد النجدية لا إليها كلها . وهذا لا يمكن
أن يزعم أحد لا المخالف ولا غيره بطلانه وإذا كان ذلك كذلك أي إذا كانت
هذه الأخبار دليلاً على ذم بعض العقائد النجدية إطلاقاً بلا تعيين ولا تعريف
فكيف علم المخالفون أن المذموم هو هذه الدعوة لا ما خالفها من المبتدعات ؟ ومن
أين جاءهم أنها هي الباطلة المهجوة دون سواها ؟ ولماذا لا يكون غيرها أصح المخالف

لما أغنى ما يدعو اليه هؤلاء هو الفاسد الباطل المهجو ؟ لا ريب أن المخالف لا دليل له على دعواه أن هذه الدعوة هي المسمومة نصا بهذه الأخبار . ولا ريب أنه لا بد من الدليل وإلا كانت الدعوى باطلة مردودة ولا كرامة . ونحن نستطيع أن ندعى وأن نقول إن هذه الأحاديث دليل على بطلان ماخالف هذه الدعوة السلفية ودليل على فسادها خلاف ما ادعى المخالفون فنزعم أن الأخبار تشير الى ذم تلك المعارضة الأثيمة التي رقت في وجه هذه الدعوة السلفية النقية في أول أمرها يوم أن ذرت ثمرتها من وراء تلك الصحراء تلك المعارضة التي دبرها أولئك الخصوم ثم هؤلاء الخصوم ، والتي سوف يلحقهم وزرها في الدنيا ويوم يبعثون ، وليست تشير الى ذم هذه الدعوة نفسها بل هي تشير الى امتداحها والثناء عليها من هذا الطريق وبهذا النحو الذي ذكرنا . فان الدعوة قد لقيت مقاومة شديدة واهوالا مرعبة في بدء أمرها الى يومنا هذا الى ما يشاء الله من أهل البلاد أنفسهم من أولئك الذين نشئوا على هذه الأمراض الاعتقادية السخيفة التي يدعو اليها هذا الشيعة ويدعى جبهة أنها من صميم الاسلام ومن مصاحبة التوحيد

فما المانع من أن يراد بالازلال وبالفتن وبقرون الشيطان الطالع في هذه الاخبار مقاومة هذه الدعوة ومناوأتها والقيام في سبيلها وسبيل انتصارها وظهورها . هذا يمكن أن يقال بلا ريب . واذا ما قيل فلن يستطيع المخالف أن يجد له ردا أو مردا ، لأنه ليست دعواه العكس أولى وأصح وأحق بالقبول والرضاء والبرهان . والدعويان من هذه الناحية - مع الاغضاء عن القرائن الاخرى الخارجة - سواء لا تقدم إحداها على الاخرى إلا ببرهان جلي . فاذا ما ادعى المخالف أن الدليل على أن الأحاديث لا تعني سوى ذم هذه الدعوة الوهابية بمعنى أنها تشير الى بطلانها وفسادها ، قلنا له هذا هو محل النزاع ومترك الآراء . فان أصل دعواك أن هذه الدعوة السلفية باطلة مخالفة لدين الاسلام . فاذا ما أثبت هذا لم تحتج الى

هذه الأحاديث لا ثبات بطلان هذه الدعوة. خير أنا ندعى بحق وصدق ولا شك
أن هذه الدعوة ليست سوى الاسلام قبل أن تشوبه الشوائب ويهتدى اليه
الدخيل الغريب الضال

وقد ذكرنا دلائل متنوعة على ذلك وسوف نذكر غير ما ذكر إن شاء الله .
وإذا ما ثبت أن هذه الدعوة هي الاسلام نفسه نقيا خالصا من الدخيل والغريب
المقوت فلا ريب في أن هذه الأحاديث النبوية لا يمكن أن تعنيها وأن تكون
مشيرة الى ذمها وهجائها . وعلى ذلك لا ريب أنها تشير الى ذم ما خالفها وما لم
يكن منها ولا بأمرها . وعليه لا مانع من أن الأحاديث تشير الى ذم تلك المقاومة
الطاغية التي لقيتها الدعوة ، والى تلك المناوأة الظالمة التي ابتدأتها بالصدام والخصام ؛
هذا كله يمكن أن يقال ويمكن أن يصح نظراً وبحسب . وليس ما زعم الرافضى
المخالف أولى منه بالقبول والتسليم ، ولا أظهر في عين الحجة والدليل . وما كان
كذلك ان يكون حجة ولا دليلاً له إلا أن يكون دليلاً وحجة عليه ، فاما أن يكون
عليه وله ان أمكن ذلك ولكنه غير ممكن ، واما أن يكون عليه نحسب ، واما أن
يكون له لا عليه فلا يمكن دليلاً وانظروا لما سمعتم

فهذه الأحاديث لا دليل له فيها ألينة ولا يستطيع أن يتزع منها شبهة يمكن
أن تروج وأن تجوز على غير الجاهلين والمقلدين الذين لم يوهبوا ملكة التفريق
بين الصحيح والمريض والحق والباطل والظلام والنور

(ثانيها) قد جاءت نصوص الدين ذامة لبعض البلاد إجمالاً ذماً إن لم يكن مثل
ما في هذه الأحاديث التي يدعون أنها في البلاد النجدية فليس دونه وليس أقل منه .
فجاء في القرآن الكريم قول الله : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها
رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون »

وليس من شك أن هذه القرية ليست في البلاد النجدية وقد قيل إنها هي مكة المكرمة فهي التي كفرت بأنعم الله برسالة محمد عليه السلام وما جاء به من الهدى والنور ومجد الدنيا والاخرى، ولا ريب في أن الآية أشد لهجة ذم من الأحاديث وقال تعالى « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا اإنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم إلا تكاذبون » الى آخر الآيات وليس من شك في أن هذه القرية ليست في نجد . وقال تعالى « سأريكم دار الفاسقين » والخطاب لموسى وقومه ، ولا خلاف في أن دار الفاسقين في هذه الآية الكريمة ليست البلاد النجدية وليست منها بل لقد عم الله البلاد كلها بالتنفيذ والتفريع بعد أن خص كل قرية وأهلها بذلك فقال « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون - الى قوله - أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون »

والآيات في الكتاب العزيز في هذا المعنى كثيرة معلومة . وكذلك جاء أيضاً في السنة وفي مقالات الصحابة ومقالات من نعدم الشيعة معصومين لا ينطقون إلا صواباً وحقا ذم بعض الأقطار وهجاؤها تخصيصاً مثل هذه الأحاديث المدعى أنها في البلاد النجدية ، فروى البخارى ومسلم عن أسامة بن زيد قال : أشرف رسول الله ﷺ على أطام المدينة فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا ، قال « فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقم المطر » وهذا في المدينة المنورة ، وهناك أحاديث أخرى . وقد تقدم ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن سالم بن عبد الله بن عمر أنه قال : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأر كبكم للكبيرة . سمعت أبي عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو يشير نحو المشرق : « الفتنة من هاهنا » وهذا في العراق . وفيه أحاديث أخرى كثيرة منها أحاديث الخوارج

وغيرها ، وفي كتاب نهج البلاغة - وهو من الكتب الشيعة المزعوم اتصال نسبها بالامام علي رضي الله عنه - أن علياً كتب لعبد الله بن عباس يقول : « واعلم أن البصرة مهيئت لإبليس ومنغرس الفتن » وفي نهج البلاغة أيضاً عبارات قاسية شديدة في ذم أهل العراق وفي ذم شيعة علي والزراية بهم ، والشيعة تدعى أن : « يا قال ذلك كله . وفي كتاب الوشيعة : « وفي الكافي (٢ : ٣٩٦) وفي كتاب التهذيب (٢ : ١٥) أن بعض الناس قال للمصدق أحد أئمة الشيعة : أنزل مكة ؟ قال : لا تنزل ، أهل مكة يكفرون بالله جبرة . قال : أنزل في حرم النبي ؟ قال هم شر منهم ، أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفاً ، عليك بالعراق بالكوفة ، أهل الشام شر من الروم ، والمخالف شر من سائر الكفار ، لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم » الى غير ذلك من هذا الصنف ، وإذا ما كان ذلك كذلك وكانت سائر البلاد قد ذمت تخصيصاً وأضيفت اليها أنواع خاصة من الكفر والضلال والفتن ، وكانت المدينة المنورة دار الاسلام ودار النصر ودار الهجرة قد اقتحمتها الفتن و-الت اليها وابلا ورذاذاً في حالات مختلفة ، وأخبر عن ذلك النبي ﷺ وأرى ذلك يتساقط بين بيوت أصحابه من المهاجرين والأنصار كتساقط المطر الهاطل ، وكان هذا كله قد وقع ، ثم إذا ما كانت مكة والشام التي دعا لها النبي الكريم ، وكانت جميع بلاد المخالفين للشيعة هي مأوى للضلال والكفر ومنغرس الشر والجبت والحيدة عن الصواب الواضح للتبليغ ، وكانت الكوفة مهيطة من مهابط الشيطان ومنغرسا من مغارسه التي تمرها الشياطين الصغار والكبار . إذا كان ذلك كله واقعاً لا ريب فيه باعترافات الشيعة وبنقل كتبهم المعتمدة الصحيحة لديهم ، فلماذا يتخذ ما ورد في البلاد النجدية - إذا ما افترض وروده - من هذه النصوص أمراً صريحاً في ذم نجد وأمرراً صريحاً في ضلالها وضلال أهلها وبطلان عقائدهم واختصاصهم بمزيد الضلال والفتن والمخالفة ؟

ولماذا لم تتخذ هذه الآيات وهذه الأحاديث التي وردت في البلاد الأخرى
برهاناً على ضلال أهل تلك البلاد وفساد عقائدهم ومذاهبهم وما ينتحلون ؟ ولأى
أمر كانت الأحاديث الواردة في تيجد حجة على أن النجديين أهل ضلال وتفن
وعقائد باطلة فاسدة ولم تكن تلك الآيات والأحاديث والروايات عن الأئمة
للمعصومين لدى الشيعة الواردة في مكة والمدينة والعراق والكوفة ومصر والشام
والبلاد الأخرى حجة على أن أهل هذه البلدان أهل ضلال وتفن وزيف وخروج
على شرع الله وطريقة رسوله والسلمين والمهتدين ؟ ولماذا لم تكن هذه الآيات
والأحاديث والروايات دلائل على اختصاص أهل هذه الأقطار بالضلالات
والكفر وعصيان الله العظيم . كما كانت الأحاديث التي زعمت نصاً في ذم البلاد
النجدية برهاناً عندكم على اختصاص النجديين وولعهم بالضلال والعقائد الباطلة ؟
إن الجواب الذي لا يكون غيره جواباً القول بدم هذه الأقطار جميعاً وهجائها
جميعاً والاعتراف بأنها مطروح الفتن وملعب الشياطين ومطالع قرونهم جميعاً
لا فرق بين حجازها وعراقها وشامها ومصرها وبعثها وغورها وتهاها كل
على قدر مافيه من هذا الضلال وهذا المعصيان أو الاعتراف بأن إضافة ذلك الى
البلاد النجدية تخصيصاً ضلال وظلم وهوى متمرد : أما أفراد البلاد النجدية بالمذمة
والملامة دون هذه البلدان الإسلامية - وقد جاء فيها باعترافكم وعن أئمتكم من الذم
والمقادح أضعاف ما جاء من ذلك في البلاد النجدية - فهو صنع من لا يحترم الحق
ولا القراء ومن لا يرجو الله وقارا ولا يخاف له مقاماً

فالنسبة التي تخرج بها من هذا ويخرج بها القارىء هي الاعتراف بأنه لم يمس
في البلاد النجدية على كل الافتراضات والوجوه ذم يخصها دون سائر البلدان
الإسلامية ، وأنه إن لم فضلها البلاد بهذه المعاني الضلال والفتن وقرون
الشياطين فلن فضلها هي

هذا اذا نظرنا الى الروايات والنقل مغضين عن الامر الواقع المشهود . لأن الكلام مع هؤلاء ~~مكذبا~~ فرض وكذا كان . أما اذا ما نظرنا الى الامر الواقع المشهود فانتا لانرضى بهذا الحكم وهذه التسوية اليوم ، ولا يرضاها أحد من ذوى الصدور البريئة من الخلق والهوى . فان انسانا يعقل وينصف لا يستطيع أن يدعى أن في البلاد النجدية اليوم مثل ما في سائر البلدان الاسلامية الاخرى من الافتتان واتباع الشيطان ومن الزلازل المعنوية والمادية ومن العقائد المبلحدة الفاسدة هذا ما لا يمكن أن يدعيه منصف وان فرض في نجد ما فرض من هذا بل وان يولغ فيه والذي نريد أن ندعيه ونزعه هو الاعتراف بأن جميع الأقطار المأهولة الاسلامية وغير الاسلامية قد زعمت وسرف وترتع أيضا في أنواع كثيرة من الضلال والعصيان والخروج على قانون الله وعلى العدالة وعلى الشرع وعلى كل فصيلة منها المقل ومنها المكثري في أوقات مختلفة وفترات من الزمن متعاقبة منها الطويل ومنها القصير ومنها البارز الجلي ومنها المستور الخفي ولكن ذلك لا يعنى الدوام والملازمة في كل الأوقات وجميع الحالات ولا يعنى أن ذلك لا ينفك عن القدر الذى وقع فيه فان الاخلاق والاعمال والعقائد وكل شيء . دول تتعاقب الطيب يتلو الخبيث والخبيث يتلو الطيب ، والباطل يتلو الصحيح والصحيح يتلو الباطل ، وهكذا كل شيء . فالناس وأنفسهم لا يبقون على حالة واحدة . ووتيرة منتظمة . فلا ينعمون بطاعة الله وهدهاه أبدا كما لا يرتطمون بعصيان الله وبالضلال أبدا ، ولكن مرة ومرة وحالة بعد حالة : ميل ثم اعتدال واعتدال ثم ميل هدى فهو وهوى فهدى والله يفعل ما يشاء ويهدي من يشاء كما يضل من يشاء ، وعلى هذا المعنى نعتف لهم أن نجدنا وكذلك جميع البلدان المعمورة قد وقعت فيها الفتن المدمرة ووقع فيها أنواع وأفانين من الضلال وطاعة الشيطان ، وهذا لا ينازع ولا يمانع ، ولكن الذى تأباه ونعته هو زعم هؤلاء المغوسين فى الاهواء الممقوتة

أن هذه الدعوة التي طهرت البلاد من أسباب الفتن والضلال والفوضى والعدوان والمجاهرة بالآثام وعبادة الاحجار والاشجار وسائر ما هنالك هي ماعنته هذه الاحاديث وما دعت به الفتن والزلازل . هذا ما ناباه وما ياباه المنصفون معنا

(ثالث الامور) : نقول لا يمكن البتة أن تكون هذه الاخبار تشير الى ذم هذه الدعوة الاصلاحية وبيان ذلك أن هذا الشيعي وجميع المخالفين يدعون أن واضح هذه العقيدة الأول وباذر بذورها هو شيخ الاسلام ابن تيمية ثم حوار يوه الذين أخذوا عنه هذه المعارف والمقائد كابن القيم وابن عبد الهادي ونظرائهما ويدعى هذا الشيعي تباعاً لغيره أن هذه الدعوة لم تكن معروفة قبل ابن تيمية وحوارييه في الاسلام ويدعون أن هؤلاء هم الذين وضعوا هذه العقيدة وهم الذين جلوبها وعذبوها ونشروها وحشدوا لها أنواع الدلائل والشبهات من القرآن والسنة والمقولات ، وهم الذين ألفوا فيها الكتب والرسائل الكثيرة المختلفة ودعوا الناس بشدة وضراوة وإقدام اليها حتى أجابهم قوم ونار بينهم أباقون وعذبواهم وسجنوهم واستتأبوهم . ثم يدعون أن حدوث هذه الدعوة في البلاد النجدية طارئ جديد غريب منذ مائتي عام بمعنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ناشر هذه العقيدة في بلاد العرب ، ويدعون أن الشيخ محمد والنجديين كلهم بل وكل من يدين لهذه العقيدة وكل من ينعم بها ويرفضها إنما ارتشفوا ذلك كله ارتشافاً من هذا الرجل وتقلوه نقلاً تاماً بلا زيادة ولا نقصان ولا استدلال من كتبه وكتب أنصاره الأبرار . وقد ألفت هذه الكتب منذ ستمائة عام على وجه التقريب .

هذا ما يقوله هؤلاء كتابة ومشافهة . فنقول لهم نحن حينئذ لاخلاف في أن شيخ الاسلام ابن تيمية وأعدائه المشهورين الذين وقفوا معه حياتهم على نشر هذه المبادئ كانوا جميعاً شاميين مولداً ومنشأً ومستقراً ووفاء ، وأن دعوتهم هذه أول ما قاموا بها كانت في الشام وأنها هناك نشأت وظهرت وانتشرت ، وأنها عرفت

في الشام ودانها أهل الشام قبل أن تمر في نجد وقبل أن يدينها النجديون ، وأن الناس تقلوها عن مولدها الشام قبل أن تنمليها البلاد النجدية بأعوام ، ولكن بشكل لم يكن منظما وعاما ومجديا مثلما كان في البلاد النجدية بفضل آل سعود الذين هبوا لنصرتها ونشرها وتوسيع نطاقها باللين والشدة

فهذه الدعوة كانت شامية كما ترى قبل أن تكون نجدية ، بل انها ما أتت البلاد النجدية على قول هؤلاء المخالفين إلا من طريق الشام ومن كتب شيخ الاسلام وتلامذته الأبرار ، فاذا ما كانت هذه الدعوة شامية قبل أن تكون نجدية واذا ما كان رجالها ووضعها القدامى كما يقول المخالف شاميين وكانت عنهم عرفت وأخذت كما جاءوا بها بلا تصرف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، وكان رجالها العظيم الذي ألف الكتب القوية الحية في نصرتها والدفاع عنها والدعوة اليها شاميا ، وكان الناس الى اليوم يصدرن عن هذه الكتب الشامية التيمية وبها ينفعمون ويحتجون اذا كان ذلك كله صحيحا وكانت هذه الدعوة فتنة وضلالا كما يزعمون أفلا يكون من الانصاف حينئذ والصواب أن يدعو رسول الله ﷺ على الشام ، وأن يمتنع من الدعوة لها لأنها هي التي أخرجت هذه الدعوة ، وهي التي فتنت الناس بها ومنهم النجديون كما يزعم الشيعة . أفلا تكون حينئذ البلاد الشامية أولى بالمذمة والملامة والمهجة والتوقف عن الدعوة لها من البلاد النجدية لأن الشام هي التي أخرجت هذه الدعوة ونصرتها قبل نجد ، بل هي التي وضعتها ودعت الناس اليها حتى أجابها النجديون وغيرهم من أفراد الرجال وغربائهم

واذا كانت الزلازل والفتن المشار اليها بالاحاديث المتقدمة هي هذه العقيدة وكانت البلاد التي عناها النبي الكريم بقوله هي البلاد النجدية فكيف يكون الحديث النبوي هكذا : اللهم بارك لنا في شأمننا وفي يمتنا . قيل وفي نجدنا ، قال هناك الزلازل والفتن وهناك قرن الشيطان ، بل كان يجب حينئذ أن يمتنع من الدعاء

لشام ويأباه قائلا هناك الزلازل والفتن وهناك قرن الشيطان قبل أن يقول هذا في البلاد النجدية إذا ما كان المعنى هو ما يقوله المخالفون . وهذا ما لا ريب فيه ولا إحجام عنه

وكذا يقال لو كانت الفتن هنا والزلازل هي هذه العقيدة السليمة وكان المعنى بذلك هي البلاد النجدية لأبي الدعاء أيضاً لليمن ، وذلك لأن الشيخ الصنعاني والشوكانى يمينان ، وهما من وضعة هذه العقيدة ومن المؤلفين فيها الحاملين على ما خالفها أشد الحملات ، وما كتباه فيها مطبوع مقروء منشور . ومما كتباه كتاب « تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد » وكتاب « الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد » وقد كانا معاصرين لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب وكانا قائمين بنشر الدعوة والدعوة اليها في بلاد اليمن حينما كان شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قائماً بنشرها والدعوة اليها في بلاد نجد . وهذا الشيعي يعترف في كتابه هذا أن الصنعاني كان من وضعة هذا المذهب ويتعرض للرد عليه أحياناً في كتابه . فإذا كان هذا كله صحيحاً فلماذا خصت البلاد النجدية بهذا الدم دون الشام وهي منشأ هذه الدعوة ودون اليمن وقد كانت من مناشيء هذه الدعوة . والناس الى عصرنا هذا يقرؤن ما كتبه الصنعاني والشوكانى في هذه المباحث العليا - وهما يمينان - ويتفقون بما كتباه ؟ انه لو كان حقاً كلام الخصوم لامتنع النبي الكريم من الدعاء لهذه الأقطار الثلاثة الشام واليمن ونجد ، ولدعا عليها كلها وحدث عنها وعن فتنها وزلازلها وقرونها شياطينها كلها ، ولا تبدأ بالشام وخصها بمزيد ذلك وأوفره وأكثره ثم تنقح بنجد أو باليمن ثم تلت بثالثهن ، ولما كانت نجد شر الثلاث ولما كانت سوى حديها . هذا وليذكر هذا الشيعي أن الشام قبل أن تكون مقر شيخ الاسلام ابن تيمية باذر بذور المذهب الوهابي كما يقول ومقر تلامذته كانت مقر معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص ويزيد بن معاوية وسائر ملوك الدولة

الأموية ، معاوية هو الذي قاتل عليا وقتل من أمحابه وشيعته في الحرب التي قامت بينهما الخلق الكثير ، ويزيد هو الذي قتل السبط الشهيد الحسين بن علي بن بنت رسول الله ﷺ كما يقولون واستباح المدينة المنورة وفعل بأهلها الأفاعيل العظام ، ومع هذا كله ومع غيره يدعو رسول الله ﷺ للشام ثم تزعمون أنه عليه السلام يخص البلاد النجدية بالمذمة والملامة ويصفها تخصيصا بالفتن والزلازل وكثرة الشياطين ، ولا يمكن أن تعتقد الشيعة أن الوهابيين مهما غلوا في الضلال وقتل المسلمين ومهما ابتدعوا من الفتن والزلازل يعدلون في ذلك معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية وعمر بن العاص أو عبد الملك بن مروان أو غيرهم من خلفاء الأمويين فكيف بهم مجتبعين ، وكيف بهم منضمين إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته وما جاؤا به من الزلازل والفتن على رأى الشيعة ؟ لا ريب أن شيعة واحدا لا يمكن أن يدعى أن الوهابيين أولى بالمذمة والملامة من هؤلاء كلهم : الأمويين والتميميين ، ولا يمكن أن يدعى أن الضلال والفتن والزلازل التي وقعت في البلاد النجدية أعظم وأكثر من الزلازل والفتن التي خبطت فيها البلاد الشامية بسبب الأمويين والتميميين . فلا يمكن على ما ذكر أن تكون البلاد النجدية أخلق بالهجوم وبالتجريح من الشام لدى الشيعة . ولا يمكن أن تكون فتنها وزلازلها أولى بالتحديث عنها والتحذير منها من زلازل الشام وفتنها . هذا ما لا ينازع فيه الشيعة فما يصنعون ؟

ليفكر في هذا جيدا هؤلاء المخالفون مجانبين الهوى والتعصب الذميم ، فاني زعيم حينئذ بأن القوم سيفيرون آراءهم وعقائدهم في هذه الدعوة السلفية والفكرة الإسلامية البريئة من المبتدعات للردولة

وبعد هذا نقول : إن الفتن والزلازل في هذه الاخبار لا يراد بها العائدو الآراء سواء أكان مقرها البلاد النجدية أم غيرها من البلدان . وإنما يراد بها الحروب

والاضطرابات والمصائب الآكلة الشارية . ولا نزاع أن البلاد النجدية خبطت كغيرها في حروب واضطرابات دامية لا يرضاها الشرع ولا يرضاها النجديون أنفسهم . ولكن هذه الدعوة السلفية الوهاية هي التي قضت على هذه الفتن والاضطرابات والقلقل وهي التي وترت أسبابها ووسائلها باستئصال ومهارة وأذاقت تلك البلاد طعم الأمن والاستقرار والهدوء والراحة وألبستها عصوراً مختلفة لا تزال كذا إلى اليوم وإلى الأبد إن شاء الله لباس الأمن والإيمان والاسلام والسلام . فهذه الدعوة ليست فتنة ولا زلزالاً وإنما هي خصم ذلك ومحطته ومبدلته بما يتمتع به أهل تلك البلاد اليوم وقبل اليوم وما بعد اليوم من الطمأنينة الشاملة والاستقرار الحاضر في كل مكان وفي كل شيء . فهذه الأحاديث على افتراض أنها تعنى البلاد النجدية مستقر هذه الدعوة السلفية لا تعنى بالفتن والزلازل هذه العقيدة بل ولا غيرها من العقائد والآراء الصحيحة والباطلة . وإنما تعنى الحروب والاضطرابات والمصائب الغاشمة . ولا يناع أحد في حدوث هذا المعنى في جميع الأقطار ومنها البلاد النجدية . ولكن شيئاً من ذلك لا يعنى فساد العقيدة التي تقع في البلدة التي وقعت فيها الحروب والقلقل ، وهذا ظاهر

وبما ذكرنا هنا يعلم أن من الباطل القوى الصارخ الزعم أن هذه الأحاديث تدل على فساد هذه العقيدة الخالصة لله حتى لو افترضنا أن الأخبار تشير إلى البلاد النجدية إشارة صريحة واضحة . وبهذا يعلم وينادي بفشل هذه الحجة وإفلاسها السرمدي الأبدي وقد عنيت بعض العناية ببيان هذه المسألة وهذه الأحاديث لأن أقواماً كثيرين يرددون هذه التهمة ويكثرون من ترديدتها ويطربون لها أشد الطرب ، ومن شدة طرب المخالفين وإعجابهم بها أنه يقل أن تجد من يكتب في هذا الموضوع فلا يتخذ هذه الشبهة حجة من حججه وسلطاناً من سلطانيته التي بها يصول ويصول ، ويتغنى ويتجنى ، والهموى بعظم الشبهة الصغيرة

الكاذبة حتى يراها أكبر من الحجة الكبيرة الصادقة ، والهوى هو الهوان قلب
أصمه كما يقولون

ثم قال الرافضى « ومن الاخبار المرجح ورودها فى الوهاية قوله عليه
السلام فى ذى الخويصرة التميمى إن من ضئضىء هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجيرهم يرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون
أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد ، والضئضىء الأصل والمعدن
فيكون المراد من ضئضىءه أي من أصله وعشيرته لامن نسله وعقبه لأن عشيرة الرجل
هي أصله ومعدنه ، وذو الخويصرة وابن عبد الوهاب من أصل واحد وعشيرة
واحدة فكلاهما تميمى كما أن جملة من رؤساء الخوارج كانوا من بنى تميم . فبعد
انطباق أكثر صفات الخوارج على الوهاية يترجح كون هذه الاخبار شاملة
لهم » انتهى

قلت هذا زعم من لا يتقى الله ولا يخاف حسابه ولا حساب الضمير المؤنب ،
فأين هذا الرجل التميمى من هؤلاء الذين يسميهم الوهايين لو كان يخاف الله
ويرجو لقاءه ؟ فان هذا الرجل أعنى ذا الخويصرة شهد النبي عليه السلام يقسم
الغانم فأنكر قسمته وأتهمه بالجور فقال له أعدل فان هذه قسمة لا يراد بها وجه الله .
فمنصب رسول الله وقال « ويحك فمن يعدل إن لم أعدل » فقال بعض الصحابة
دعنا يا رسول الله نضرب عنقه . ثم قال « إن من ضئضىء هذا الرجل قوما يقرؤن
القرآن ولا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان » فأين من
يقول للنبي الكريم فى وجهه أعدل فأنك لم تعدل من قوم لا يرون لأحد إسلاماً ولا
نجاة حتى يستسلم ظاهراً وباطناً بلسانه وعقيدته وعمله لما جاء به النبي الكريم من
المهدى والدين ، ويرون أن من شك فى عدل الرسول أو فى أمر من الأمور التى
سواء بها أو من عارض قوله أو فعله أو خطأه أو أضاف اليه نقصاً ما أو عيباً ما

فقد حبط إسلامه إن كان مسلماً وارثاً ولزمه عقاب المرتدين ، ويرون أن أفضل الأولياء والمؤمنين وخيار المسلمين هم الذين يقشبهون به عليه السلام وهم الذين ينهجون منهاجه ويسلكون سبيله ويمضون على ما جاءهم به بالنواجد والامتنان ما استطاعوا وقدروا ؟ بل وأين هذا الرجل القاتل لرسول الله اعدل وأبين أمهاته ومن اتبعه من قوم أغضبوا هذا الشيعي وقومه وأسألوا حفاظهم وأغضبوا كثيراً من الناس قديماً وحديثاً وهاجوم عليهم وعلى الإيقاع بهم وعلى إيدائهم لاستمساكهم بسنته وتشددهم فيها ودعوتهم الناس إلى ذلك وحملهم على ما جاء به من الهدى والنور ومكافحة كل ما خالف سنته وهديه وإيائهم كل مبتدع بصرامة وجراءة وحزم وعزم ؟ أين ذلك الرجل الذي قال اعدل لأعدل الخلق وأعرفهم بوجوه العدل ومواقفه على الإطلاق من قوم لا يستحلون لمسلم في الأرض أن يرغب بنفسه عن سنة من سنن رسول الله لا صغيرة ولا كبيرة لا شكلية ولا معنوية ولا أن يدع قوله وحكمه لقول إنسان ما وحكمه وإن كان من كان من الفضل والورع والدين والعلم ، ولا يرون لأحد معه كلاماً ورأياً ويرون أن من فعل شيئاً من ذلك فقد خاب وخسر إلى غير نهاية وأصبح من المالكين الخالدين في هلاكهم ؟ أين هذا الرجل من قوم يعدون فضل المرء بقيمته وشرفه وصلاحه وورعه وحب الله إياه وجههم هم إياه بقدر ما لديه من الاعظام لرسول الله والاستسلام لما جاء به ولسنته وهديه قولاً وعملاً وعميدة ورأياً ؟ أين هذا الرجل القادح في رسول الله كفاحاً في وجهه من قوم لا ينطقون إذا جدد الجد إلا بقال الله ويقال رسول الله وقال الصحابة « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون » ولكن هذا الشيعي لو كان جريئاً على أن يصعد بالحق لقال إن الشيعة قد فرست الخوارج في هذا المضمار مضمار القدح في الرسول وفي الاعتراض على أحكامه وأقضيته وما جاء به ، واتهامه بالجنف والعدول عن

العدل والنصف . فقد ردت هذه الطائفة ما رضى به نبي الله وقضى به في أمور كثيرة معلومة فقد رضى صحبة أب بكر الصديق الخاصة له ومؤازرته إياه ومرافقته في أروع الاوقات وأخلد الساعات ، وقضى بإمامته : الصغرى والكبرى . إمامة الصلاة وإمامة الخلافة ، وقضى له بالايان الذى لا يلحق وبالفضل الذى لا ينال ولا يطال ، ورضي عنه الرضا الذى لا سخط بعده وأحبه الحب الذى لم يحبه أحدا من الناس غيره ومات على ذلك وأجمع الصحابة والمسلمون عليه ، ولكن الشيعة لم ترض ذلك كله فعدلت عنه لأنها لم تجد فيه العدل والصدق ، فقضت بضده وبمخالفته : فخالفت قضاء رسول الله وما أحبه ورضيه ، وخالفت قوله وقوله . وكذا لم ترض الشيعة قضاءه عليه السلام في حبه عائشة والرضا عنها وتفضيلها على النساء . فقد حوا فيها وفي دينها ورأيها وأدبها فأذوها وآذوا المؤمنين بإيذائها وكذلك لم يرضوا قضاءه في أصحابه وحبههم والرضا عنهم وقضاءه بأنهم من أهل الجنة وأهل الايمان والدين والتقوى وخوف الله وأن الله رضى عنهم فأحبهم وأحبوه ورضوا عنه ورضي عنهم . ففضواهم بكفرهم ونفاقهم وخداهم وإيثارهم الدنيا على الله وعلى رسوله وعلى آل بيته . فاتهمهم بالكبائر من الشرور وبالعظائم من الأمور وكذلك لم يرضوا بقضائه عليه السلام في على بن أبى طالب وآل بيته الأطايب فادعوا لهم وفيهم فوق ما قضى به عليه السلام لهم وفيهم من الحق والمكانة والرتبة العالية فادعوا فيهم العصمة بل والنبوة والالوهية كما قدمنا في أول الكتاب وفضلهم على من فضله عليه السلام عليهم . بل وفضلهم على الأنبياء والمرسلين وزعموا أن كل ما يقولونه حق لا ريب فيه وأنهم لا يقلعون أبداً لا عمداً ولا سهواً . بل وقد حوا في رسول الله أعظم من قدح ذى الخويصرة التميمي وإخوانه فيه فزعموا أن الرسالة كانت لعلى بن أبى طالب ولكن جبريل غلطاً أو عمداً نزل بها على محمد عليه السلام . فالرسول في الواقع هو على وأما محمد فليس رسولا إلا

بغلط جبريل أو تعمد الغلط ، وهذا قول لطائفة من الشيعة معروفة تسمى الفرابية وقد قدمنا هذا في صدر الكتاب الى فظائهم وعظائم معلومة مبثوث كثير منها في هذا الكتاب . قدحت فيها الشيعة على القضاء النبوي وعدلت عنه فيها زاعمة أن ذلك ليس عدلاً ولا حقاً بشكل هو أفظم وأعظم من دعوى ذي الخويرة واخوانه الخوارج . وسيجد القارىء لكتابتنا الشواهد العديدة الصادقة على قولنا هذا وحينئذ يقال من أين انتزع زعمه أنه يرجح ورود حديث ذي الخويرة في النجدين . ؟ إما أن يكون من كون ذي الخويرة تميمياً لأن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب تميمي فكلاهما من قبيلة واحدة والحديث أخبر أن هؤلاء القوم الذين وصفوا بهذه الصفات يخرجون من ضئضئ ذي الخويرة أى من أصله وقبيلته . أى أنهم يكونون من بنى تميم وإما أن يكون انتزعه من الصفات الواردة في الحديث وهى أن هؤلاء القوم المنبأ عنهم يرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وأنهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان . وإما أن يكون انتزع ذلك من الامرين معا . فان كان الاول أى إن كان زعم ترجيح هذا الحديث في الوهابيين لأن ذا الخويرة هو وصاحب هذه الدعوة تميميان قيل له لقد أبعدت الرمي وادعيت المستحيل : هب أن الرسول الكريم أخبر أنه يخرج من قبيلة بنى تميم قوم يكونون شر الناس يكفرون بالله وباليوم الآخر وبالأنبياء ويمثلون الارض جوراً وضلالاً والحاداً ويتوكلون كل فاحشة فحشاء ويستبطنون كل رية نكراء فكيف يعلم أنه يعنى هؤلاء القوم المنبأ عنهم فلانا ومن تبعه أو فلانا ومن ناصره ؟ وكيف يعلم أنه لا يعنى غير هؤلاء وهؤلاء ؟ إن معرفة مثل ذلك مستحيلة لا يمكن إدراكها بهذا النحو . وإذا ما زعم زاعم أن المنبأ عنه هو فلان ونصراؤه استطاع آخر أن يزعم أن ذلك هو فلان آخر ومن سار سيرته . وإذا قال قائل إن المعنى بهذا الخبر هو من جاء بكذا

وكذا من الآراء استطاع آخر أن يقابله فيقول إن المعنى به هو من جاء بكيت
وكيت من الآراء والمقائد التي تخالف ما جاء به الأول . فاذا زعم زاعم بأن
الرسول الكريم يعنى بحديثه هذا الوهابيين من التميميين كما زعم هذا الرافضى قيل له
ولماذا لا يكون يعنى به التميميين المخالفين لهذه العقيدة المناهذين لها ولما جاء به
أصحابها من الإصلاح والدعوة الإسلامية السلفية ؟ ولماذا لا يكون يعنى أقواما
آخرين غير هؤلاء وغير هؤلاء من بنى تميم الذين جاءوا بما أخبر به الحديث أو
سيجيئون به ؟ وكيف يعلم أنه يعنى الوهابية بهذا الخبر ؟

إن مخالفه يستطيع أن يزعم أن القوم المنبأ عنهم بهذا الخبر هم التميميون الذين
يصيرون إلى مذهب الشيعة ويميلون إليه وإلى ما فيه من المقادح في الصحابة وفي
السلف وفي المسلمين وأنهم هم الذين يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية .
وأنهم هم الذين يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ، وأنهم إذا قرءوا
القرآن لا يجاوز حناجرهم . وذلك لما قالوه في الله ورسوله وفي الصحابة وفي علي بن
أبي طالب وذريته من التآلية والغلو وما قالوه في خلفاء الإسلام وعلمائهم من القبح
والاكفار الجريء وما جاءوا به من المبتدعات في القبور والمشاهد إلى غير ذلك من
بدع القوم . والشيعة من يوم أن خلقها الله لم تقا تل أحدا من أهل الأوثان
والمشركين . بل أنها تكون أبدا في صف هؤلاء خصومة للإسلام . ولكنها قاتلت
المسلمين وأهل التوحيد منهم كما سوف يرى

وهل كانت الخوارج الذين قاتلهم علي إلا إحدى فرق الشيعة راحوا يحبون
عليا إلى حد الغلو المذموم والامراف المستبشع ورجعوا يفضونه ويعتقونه إلى حد
الأكفار والتضليل الباطل . فما كانوا سوى فرقة من فرق الشيعة . فالشيعة
انقسمت فرقتين متعاديتين ممسكتين بطرفي الإفراط والتفريط : فرقة كفرت عليا
وذمتهم وهم الخوارج ، وفرقة غلت فيه حتى ادعت فيه الألوهية وما لا يليق إلا بالله

وزعمت فيه العصمة وفي ذريته وزعمت أن الخلافة وراثية فيهم ، فن نازعهم فيها أو قال خلاف قولهم فهو كافر خارج . وزعمت فرق منهم فيهم الالهية والنبوة والرسالة . وهذه الفرق من الشيعة هي بلا ريب شر من الخوارج . وهم أبعد عن الاسلام وعن علي وذريته منهم . قلنا من غلا في حق الله فاكفر عليا أو غيره زعمه أنه خالف حكم الله وتمدى على حقوقه تعالى أقل شرا وضلالا ممن غلا في مخلوق فوهبه حق الله وزعم أنه حال فيه أو انه هو الله أو أنه هو الرسول أو كالرسول في العصمة وفي وجوب اتباعه فيما قال . وسوف يجيء بيان هذا

فإنباء النبي الكريم أنه سوف يخرج من بني تميم قوم يأتون بأقانين من والضلال الكفر والبروق لا استطاع أن يفهم أنه نص في قوم معينين لا في الوهابيين ولا في غيرهم الا أن ينبيء الحديث عن أولئك الذين سوف يخرجون بأوصاف وأشياء معينة فتأتي بتلك الصفات والأشياء جميعاً فرقة من الفرق فيقرب حينئذ جدلاً أو يكون يقينا لا ريب فيه أن الحديث انباء عن هذه الفرقة . فاذا ادعى المخالف أن الوهابيين قد جمعوا الصفات والأمور التي أنبأ عنها الخبر النبوي وأتوها كلها قيل له هذا هو أساس المسألة وقاعدة الدعوى وهذه هي المصادرة في رأس البحث . فاذا استطاع هذا الرافضى اثبات أن الوهابية مرقوا من الاسلام الى آخر ما في الحديث قام له ما ادعى وأغناه هذا عن كون هذا الرجل الذي قدح في حكم الرسول ﷺ تميمياً أو غير تميمي ، وهذا هو الافتراض الثاني ، وسنتكلم عليه . أما الاخبار المطلقة عن قبيلة من القبائل بأنه يخرج قوم أو أقوام منها يكفرون بالله ويمرقون من الاسلام ويقرؤون القرآن ولا يؤمنون . فلا يمكن أن يكون هذا الاخبار المطلق قدحا في كل من كان من تلك القبيلة من هذه الناحية أي من ناحية انحداره من القبيلة المذكورة المنبأ عنها ، ولا يمكن أن يكون دليلاً ولا شبه دليل على ضلال هذا الرجل الممين وفسقه وكفره لأنه انحدر من القبيلة التي قيل

إنه سيخرج منها قوم يكفرون ويفسقون ويحاربون الله ورسوله ويقتلون المسلمين .
هذا ما يعد في نظرنا من المحال

وقد أخبر النبي الكريم عن قبائل كثيرة من العرب وغير العرب بأنهم سوف يحدثون أشياء منكراً ويحدثون في الأرض وفي الإسلام أموراً عظيمة . وقد صرح عنه عليه السلام أنه قال « يكون هلاك أمتي على يد غلبة من قريش » وصح عنه أنه قال « اللهم العن رعلًا وذكوًا وعصية عصوا الله ورسوله » وصح عنه أنه دعا على مضر وقال « اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » وفي الصحيح أنه عليه السلام كان يقنت في صلاة الفجر ويقول في صلاته « اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف ، اللهم العن لحيان ورعلا وذكوًا وعصية عصت الله ورسوله » وصح عنه أشياء كثيرة في ذم غير هؤلاء من القبائل والأحياء فهل هذه الأخبار تدل على القدح في شخص معين ينسب إلى إحدى هذه القبائل والأحياء أو هل تدل على أن إنساناً بعينه ملعون مذموم عاص لله ورسوله لأن النبي الكريم دعا عليهم جملة لأشياء جاؤا بها ؟ وهل يقال في كل قرشي أنه يهلك الأمة الإسلامية لقوله عليه السلام هلاك أمتي على يد غلبة من قريش ؟

هذا ما يقضى . كلام هذا الشيعي ولكنه باطل بلا ريب ، ويمكن أن يكون هذا من الأجوبة عن قوله عليه السلام قالوا وفي نجدنا قال هناك الزلازل والفتن وكذلك جاءت أحاديث صحيحة نبوية يثنى بها على بعض القبائل والأحياء فصح عنه عليه السلام أنه قال : « غفار غفر الله لها . وأسلم سالمها الله » وفي الصحيح أنه قال « الانصار ومزينة وجبينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله موالياً دون الناس والله ورسوله مولاهم » إلى نظائر لذلك كثيرة . فهل يستطيع عاقل أن يدعى أن مثل هذه الأخبار دليل وبرهان على فضل كل رجل انتسب لأحدى هذه القبائل والأحياء ودليل على أن إنساناً بعينه مولى لله ورسوله وراض عنه الله

ورسوله بدليل هذه الاحاديث لا بدليل أعماله وصلاحه ؟ اللهم لا

ومثل ذلك ما جاء ذمًا نوعيًا على سبيل الاجمال اقبيلة من القبائل وحى من
الأحياء أو بلد من البلدان فانه لا يدل على ذم كل فرد وإنسان انحد من تلك
القبيلة أو نبت في ذلك البلد . وهذا كهذا سواء فيها لا يدلان على ذم ولا مدح
معينين بالضرورة والاجماع .

فقبيلة بنى تميم كثيرها من قبائل العرب جاء فيها ذم مجمل مطلق إن كان لمثل
هذا أن يسمى ذمًا وقدجا في القبيلة إجمالاً . بل هو ذم لطائفة منها مبهمه قائم
بالأعمال الشنعاء التي ذمت من أجلها . وهذا أقل من الذم العام للقبيلة على أن هذا
الحديث في بنى تميم يعارضه ما هو مثله أو ما هو أقوى منه في مدحهم . ففي نهج
البلاغة أن علياً رضي الله عنه قال لعامله في البصرة عبد الله بن عباس « قد بلغني
تمرك بنى تميم وغلفنك عليهم وإن بنى تميم لم يغيب لهم نجم إلا طلع لهم آخر
وانهم لم يسبقوا بوغهم (أى حرب) في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحماً ماسة
وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها » هذا قول على
مرجع الشيعة كما تزعم . وروى البخاري ومسلم أن أبا هريرة قال لا أزال أحب
بنى تميم لثلاث سمعتهم من رسول الله سمعته يقول « هم أشد أمتي على الدجال »
وجاءت صدقاتهم فقال هذه صدقات قومنا ، وكانت سيئة منهم عند عائشة فقال
اعتقها فانها من ولد اسماعيل . فهذا يقابل ذاك . فان كان حديث ذى الخويصرة
دالا على هجاء بنى تميم كان هذا الحديث وكان قول أبي هريرة وقول الامام على
دالين على فضل بنى تميم وامتداحهم . وان دل خبر ذى الخويصرة على بطلان
الدعوة السلفية الوهابية لأن بعض دعايتها كان تميمياً كان هذا الحديث وهذان
الاثران عن على وأبي هريرة دلائل ثلاثاً على صحة هذه الدعوة وقوتها . واذا
قيل إن القوم الذين أشار اليهم حديث ذى الخويصرة هم الوهابيون كما زعموا

أمكن أن يقال معارضة لهذا القول الباطل : إن القوم الذين أشار إليهم النبي عليه السلام بقوله هم أشد أمتي على الدجال وبقاى الحديث هم الوهابيون وإن النجوم التى تتعاقب واحداً إثر واحد كلما غاب نجم ظلم نجم آخر من بنى تميم فى حديث على رضى الله عنه هم النجوم الوهابية أو الوهابيون من هذه النجوم التى حدث عنها على مرجع الشيعة فيما تزعم ، وقيل أيضاً إن الحديث النبوى والأثر العلوي انباء إن عن هذه الدعوة وعن رجالها ونصرائها ، وكان هذا القول لا يقل عن قول الرافضى فى حديث ذى الخويصرة قوة ولا يفوقه ضعفاً ، وكانت هذه بتلك ونحن لا نقول هذا القول احتجاجاً وبحثاً . ولكننا نقوله معارضة ومقابلة ونفى أنه إن صح قول الرافضى فى حديث الدم فلن يقل عنه صحة قولنا فى حديث المدح حديث أبى هريرة وقول على ولا يمكن أن يكون احتجاج الشيعى صحيحاً وهذا الاحتجاج باطلاً . بل إن كان احتجاجنا باطلاً كان احتجاجه أبطال وأوغل فى البطلان ، وإن كان احتجاجه هو صحيحاً كان احتجاجنا أصح وأوغل فى الصحة . فما هو فاعل ؟ وأين هو ذاهب ؟

هذا ثم يقال لهذا الرجل إن هذه الدعوة ليست دعوة تيمية كما تحسب وليست خليفة بهذا الوصف . وليست هذه النسبة بأصح من نسبتها إلى قبيلة أخرى من قبائل العرب الذين أجابوا الدعوة وقابلوها بالتسليم والرضوان وصالحوها مصالحة إذعان . فإن هذا الشيعى يزعم أن باذر بذور هذه الدعوة الاول هو ابن تيمية ثم تلامذته وأنها عنهم أخذت وعرفت وأن النجديين نقلوها عن هؤلاء نقلًا تاماً . وابن تيمية وتلامذته سوريون وليسوا من بنى تميم . ثم إن النجديين الذين قبلوها ونصروها ليسوا قبيلة واحدة وليسوا كلهم ينحدرون من أصلاب تيمية بل بنو تميم إحدى القبائل النجدية العربية التى انشرفت صدورهم لهذه الدعوة ودانتها وأحببتها وآل سعود الكرام الذين نصروا الدعوة بالقوة واللين ونشروها ودافعوا عنها

وداموا على عهدها وولائها في السراء والضراء ليسوا من بني تميم كما سوف يأتي . فالذين ابتدعوا الدعوة كما يدعى الشيعة وهم ابن تيمية وتلامذته ليسوا تميميين والذين نصروها وآووها ودافعوا عنها كل الاوقات وهم آل سعود ليسوا تميميين ، والذين قبلوها ودانوها ليسوا من قبيلة واحدة بل من قبائل مختلفة . وان من دعائها ووضعها كما يقول الشيعة الصنعاء وكذا الشوكاني وهما ليسا تميميين واذا كان ذلك كذلك فلماذا تكون هذه الدعوة تيممية ولماذا تدم اذا ما ذم بنو تميم وغاية ما في ذلك أن أحد دعاة الدعوة القائلين بنشرها وإحيائها تميمي وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ ولكن هذا لا يقضى بأن تكون الدعوة تيممية يقينا ونسبتها الى بنو ذهل بن شيبان القبيلة التي نمت آل سعود أولى من نسبتها الى بني تميم ونسبتها الى آل تيمية الذين نجلوا شيخ الاسلام ابن تيمية أولى من نسبتها الى بني تميم الذين نجلوا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب باعث علم السلف في جزيرة العرب

فهذه الدعوة ليست تيممية صرفاً ، فلو ذم التميميون قاطبة وخصوا بأوفر الملامات وأوفى النقائص لم يلحق هذه الدعوة من ذلك شيء على جميع الوجوه والافتراضات . فليعلم هذا الشيعة
وكم نجل بنو تميم من عالم لا يبارى في علم ولا في دين ، ومن شجاع لا يصاول ولا يطاول ، ومن مصلح قد ومن عابد زاهد من عباد الله الاخيار
القرين

وقول الشيعة ان جملة من الخوارج كانوا من بني تميم يقال عليه ان الخوارج كانوا من قبائل عديدة وليسوا من قبيلة واحدة ولا كان هذا المذهب الشاذ مذهب قبيلة من القبائل أو حتى من الأحياء وقد كان الخوارج من بني تميم وكانوا من طي ومن بني يشكر ومن مراد ومن غير هؤلاء وكان أشق الخوارج

وقد يكون أشقى الناس قاطبة عند الشيعة من قبيلة مراد وهو عبد الرحمن بن ملجم
المرادى الخارجى قاتل علي رضى الله عنه ، فاشترك بنى تميم فى هذا المذهب
مذهب الخوارج كاشترك غيرهم فيه من قبائل العرب وغيرهم . وليس بنو تميم
أولى بهذا المذهب من سائر الناس ، وهذه حقائق يقينية . هذا جواب الافتراض
الأول ، وهو تقدير أنه انتزع الحجة من الحديث المذكور من كون ذى الخويصرة
تميمياً . وأما الافتراض الثانى وهو أنه انتزعها من اجتماع هذه الصفات صفات
الذين يخرجون من ضنقى ذى الخويصرة فى الوهاية فنقول ان هذا هو أصل
المسألة ومبدؤها وهذا هو معترك الخصام بين أهل السنة والشيعة . فإذا قال الشيعى
ان هذه الصفات - وهى أنهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز حناجرهم وأنهم يعرفون من
الاسلام مروز السهم من الرمية ، وأنهم يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل
الأوثان - اذا ما قال ان هذه الصفات قد اجتمعت فى أهل السنة من التجديدين
قل له كلا والله . ويتبين جواب هذا الافتراض من قراءة كتابنا هذا . واذا
ما علم جواب الافتراضين علم جواب الافتراض الثالث

تنزيل الآيات النازلة فى الكفار على من عمل عملهم

د عاشر - كما أن الخوارج عمدوا الى الآيات الواردة فى الكفار
والمشركين فجعلوها فى المسلمين والمؤمنين وكذلك الوهايون جعلوا الآيات
النازلة فى المشركين منطبقة على المسلمين . أما صدور ذلك من الخوارج فيدل عليه
ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمر فى وصف الخوارج أنهم انطلقوا الى آيات
نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية فى غير البخارى أنه عليه
السلام قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه .

وعن ابن عباس لا تنكونوا كالحجوارج تأولوا آيات القرآن في أهل القبلة وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشركين فجهلوا علمها فسفكوا الدماء وانتهبوا الأموال . وأما صدور ذلك من الوهابيين فيدل عليه ما سيأتي من جعلهم الآيات الكثيرة النازلة في المشركين منطبعة على المسلمين مثل : أغير الله أنخذ وليا . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا . فلا تجعلوا لله أندادا . له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم شيء . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة النازلة في المشركين والكفار فيجعلونها منطبعة على المسلمين انطباقا من غير مائز ولا فارق » انتهى

قلت وما ذكره هنا هو من الخرافات المبتهلة والآراء الساذجة الفاترة وما لما ذكر وجه في العلم ولا نسب في المنداق ولا انتماء الى الحق ، وبيان ذلك أن القرآن الكريم قد جاء قانونا عاما شاملا صالحا لكل زمان وفي كل مكان . لا يخص عصرآ دون عصر ولا مكانا دون مكان . وقد جاء يجمّل الأشياء الحمودة والمنمومة الصالحة والطالحة وجاء بالخير وبالشر وبالايمان والكفر ذاما قسما مادحا قسما آمرا بقسم ناهيا عن قسم داعيا الى قسم زاجرا عن قسم مخبرا أن جزاء قسم من ذلك الجنات والرضا وأن جزاء القسم الآخر النار والغضب الالمى . ولم يعرف ذلك الخير والشر أو الصالح والطالح بمن عمله من الناس ولم يمدح الخير من ذلك لأن العامل له فلان أو فلان ولم يذم الشر لأن العامل له فلان أو فلان . بل إنما عرف العامل بعمله فعرف الخير بمن جاء بالخير والشرير بمن جاء بالشر وعمله وأتى على من أتى عليه بما عمل من صالح وذم من ذم بما عمله من عمل طالح . فالأخبارم الذين عملوا الصالحات والخيرات ليس لهم مكان معين ولا زمان معين ولا سمة غير ذلك ، والاشرارم من عملوا الأعمال الطالحة والشرور الفاضحة ليست لهم سمة غير ذلك وليس لهم مكان معلوم ولا زمان معلوم ، والمؤمنون هم

الذين جاءوا بأشراط الايمان وشرائطه والكافرون هم الذين جاءوا بأشراط الكفر وشرائطه ، فن جاء بأعمال الايمان فهو المؤمن ومن جاء بأعمال الكفر فهو الكافر ، ومن جاء بهذا حيناً وبهذا حيناً فهو في كل حين حكمه حكم ما جاء به ففي الحين الذي يأتي فيه بأعمال الايمان يكون مؤمناً ، وفي الحين الذي يأتي فيه بأعمال الكفر يكون كافراً ، والذي يأتي بهذا وهذا في وقت واحد يكون مؤمناً من جهة كافراً من جهة أخرى أى انه يكون مؤمناً وكافراً . وما يؤمن أكثر بالله الا وهم مشركون ، ومعرفة الخير والشر والايمان والكفر وصالح الأعمال وطالحها تكون بالاجمال بمعرفة ما في القرآن وما في السنة النبوية فما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه خير وإيمان فهو خير وإيمان والذي عمله مؤمن خير . وما أنبأ عنه القرآن أو السنة بأنه شر وكفر فهو كذلك ومن عمله فهو من الكافرين الاشرار . فالناس يعرفون بالأعمال خيبرها وشرها ويحكم عليهم بما يعملونه من ذلك ويعطون الاسماء من أعمالهم وأفعالهم . فما أنبأت عنه نصوص الدين لانه كفر فمن عمله فهو كافر وان كان من كان وان كان من سلالة النبيين وما أنبأت عنه نصوصه بأنه إيمان فهو إيمان وعامله مؤمن وان كان من سلالة المنافقين والمتنبئين والمتألهين ، بل وان كان من هؤلاء في سابق أمره . وما أنبأت عنه النصوص بأنه طاعة فهو طاعة وان كان عاملها من كان ، وما أنبأت عنه بأنه معصية فهو معصية وعامله عاص وان كان من كان من الصالحين والأولياء الفاضلين والعلماء المشهورين . وما أنبأ عنه الاسلام بأنه شرك فهو شرك وعامله مشرك وان كان قبل ذلك من خلاصة المؤمنين الموحدين . وما أنبأ عنه بأنه توحيد فعامله موحد وان كان قبل ذلك من رؤوس المشركين والملحدين

وهكذا يقال في جميع أعمال العباد مما يثاب عليها ويعاقب . فالصدق مثلاً ممدوح مثاب عليه ، فن جاء به فهو صادق ومثاب على صدقه . والكذب مذموم

ومعاقب عليه فمن جاء به فهو كاذب ومعاقب على كذبه . والزنا محرم شنيع مجازى عليه الجزاء الأليم فمن عمل به فهو زان آت بأمر شنيع وفاحشة شنعاء وهو لاقى على ذلك جزاءه العظيم . والعفاف عمل صالح مثاب عليه فمن عفا فهو حنيف صائن نفسه عن أمر شنيع وهو لاقى على ذلك الجزاء الأوفى . وترك الصلاة كفر بالله أو فسق على رأى الآخر فمن ترك الصلاة فهو كافر أو فاسق على الرأىين وجزاء التارك جزاء العصاة أو الكافرين وإن كان من كان . وإقام الصلاة صلاح وإيمان بالله فمن أقام الصلاة فهو من المثابين المصلين . وسب الأنبياء كفر فمن سب نبياً فقد كفر وإن كان من كان . وعبادة الأصنام والأوثان شرك بالله فمن عبد وثناً أو صنماً فهو من عبدة الأصنام والأوثان المشركين بالله فهو من أصحاب الجحيم وهكذا دواليك بلا خلاف ولا نزاع بين العقلاء والعلماء العارفين بل وأنصاف الجاهلين . فدعاء غير الله من الأموات والأصنام والملائكة والجان وكذا دعاء الأحياء وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله إما أن يكون خيراً جائزاً أو شراً محرماً فان كان الثانى لم يكن جائزاً عمله لا للمشركين والكافرين ولا للمؤمنين المسلمين ولا فرق . وإن كان الأول كان جائزاً عمله للمشركين وللمؤمنين ولا فرق . ولم يكن جائزاً لهؤلاء ممنوعاً على هؤلاء بالاجماع والبداهة . وهو لو كان جائزاً لم يكن جائزاً لأن المشركين لم يعملوه وإذا كان ممنوعاً لم يكن ممنوعاً لأن المشركين عملوه ، كلالهذه ولا لهذا ، وإنما منع لما فيه من الشر والقبح ولأن الله أراد منه مطلقاً ويجاز الأمر لما فيه من الحسن ولأنه لا قبح فيه ولأن الله يريد أن يجيزه ولا تأثير لغير ذلك مطلقاً . وكل شيء ينهى الله المشركين عنه فى القرآن أو فى السنة فالمسلمون منهيون عنه أيضاً ، وكل شيء يحكم عليهم بالكفر والشرك لأجله فالمسلمون مشركون كافرون إذا فعلوه . وكل شيء يبيحه الله للمشركين أو يمتدحهم على فعله فهو مباح للمسلمين وهم ممدوحون عليه إذا ما فعلوه . هذا إذا لم

يكن هنالك نسخ وإلا فالحكم للناسخ
ولا يمكن أن ينهى الله المشركين والكافرين عن أمر من الأمور لأنه شرك
أو كفر ويكفرهم ويحكم عليهم بالشرك لفعلهم إياه ، ثم يكون ذلك الأمر حلالا
للمسلمين وطاعة وإيمانا وتوحيدا ، بل إذا ما قال الله في كتابه لقد كفر المشركون
وكفرت اليهود والنصارى ، ونحو ذلك لأنهم دعوا الأموات وعبدوا الأصنام
والآوثان وضرعوا إلى الأحجار والأشجار ورجعوا إلى ذلك وطافوا به وذبحوا
ونفروا له ، فكل من يفعل هذه الأمور من المسلمين وغير المسلمين فهو كافر
ومشرك والمسلمون جميعا يحكمون على فاعلي ذلك بالكفر والردة والخروج من الملة
وهذا معنى قولهم المشهور « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب » وذلك أنه
ينظر إلى المعنى العام الذي تريد الآية النهي عنه والدم له بالاغضاء عن سبب نزولها
من هذه الناحية فينهي عنه وينظر إلى المعنى العام المباح في الآية بالاغضاء عن
سبب نزولها وعن الحادثة التي نزلت بمناسبةها فيمتدح ذلك المعنى العام ويباح ،
ولا تنهيد الآية المحللة والمحرمات المأدحة والذامة مطلقا بالحادثة التي نزلت بمناسبةها
ولا بفعل العبد المكلف إذا نزلت الآية لأجل فعل فعله وأمر قام به من الطاعات
أو المعاصي فنزلت مادحة أو ذامة مبيحة أو حافظة . ولو أن الآيات قيدت بأسباب
نزولها لما كان القرآن عاما لكل الحوادث ولكل أعمال المسلمين ولما أمكن العمل
به في كل زمان ولما استطيع أخذ الأحكام اليوم وقبل اليوم منه ولكان ضيق
الدائرة محدود الفائدة . وذلك أن الكثير من النصوص نزل لمناسبات خاصة
وحوادث خاصة إما من المسلمين وإما من غير المسلمين . وقد ألفت الكتب في
هذا الموضوع موضوع أسباب النزول ومميت بهذا الاسم « أسباب النزول »
وذكر من ذلك الشيء الكثير . وقد تكون آيات الحدود والعقوبات في القرآن
أسبابها خاصة . وقد يكون أكثر الأوامر والنواهي أسبابها كذلك خاصة . وإذا

ما كانت الآيات مقصورة على أسبابها استطيع أن يقال بقصر هذه الآيات آيات التشريع كلها على الأسباب الخاصة التي نزلت أو أن حدوثها . وهذا القول الذي قاله هذا الشيعي - أن للمشركين آيات وللمسلمين آيات وأن ما نهى عنه المشركون وأكفروا به لا ينهى عنه المسلمون ولا يكفرون به - هو قول بقصر الآيات على أسبابها ، وقول بتحديد معانيها بالامر الذي نزلت من أجله . وهذا هو الغلط العظيم البعيد

والسرفى هذا كله أن الامر ينهى عنه ويحرم لأمر يرجع اليه هو لا إلى نفس عاملة . وأن الامر يباح ويؤمر به لأمر يرجع اليه هو لا إلى نفس عاملة . وهذا مالا خلاف فيه بين العقلاء . فالشرك منهى عنه لأجل ما فيه هو من التبع والظلم والشناعة لا لأن عاملة فلان أو فلان . والتوحيد مأمور به مطلوب من العباد لأجل ما فيه من الحسن والعدل والعقل . لا لأن عاملة فلان أو فلان ، وإذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن ما نهى عنه المشركون في القرآن الكريم وأكفروا بفعله فالناس كلهم مسلمين وغير مسلمين منهيون عنه وكافرون إذا هم فعلوه ، وأن ما أمر به المسلمون من الصحابة ومن بعد الصحابة مأمور به كل الناس مسلمين وغير مسلمين صالحين وفاسقين ، وهذا ظاهر لا يسمو اليه شك ، وما زال المسلمون والعلماء والأئمة الأعلام يستدلون بالآيات العامة النازلة في الكفار والمشركين وفي اليهود والنصارى وفي سائر الفرق الخارجة على دين الله وعلى فطرته الأولى على ما يقتون به المسلمون وما يريدون أن يفعلوه هم ، وما زالوا يأخذون من تلك العمومات الحجج والدلالات على معتقداتهم وإيمانهم ، ولا خلاف عندم أن القرآن إذا ما نهى اليهود أو النصارى أو المجوس عن أمر من الأمور أو أخبر أن ذلك كفر فيهم أنهم هم أيضا منهيون عن ذلك الامر وأنه كفر فيهم إذا ما هم صنعوه ولا ريب أنهم لن يقولوا إن ذلك الامر كفر في اليهود والنصارى ومن نزل فيهم

النفس فقط وأما نحن فلا جناح علينا أن نفعل ذلك ولسنا مطالبين بفعله أو تركه
وقد عقد الامام الشاطبي في أول كتابه الاعتصام فصلاً مبسوطاً رد به على
البدع والمبتدعين محتجاً بعموم الآيات النازلة في أهل الكتاب من اليهود والنصارى
وفي المشركين والكافرين ، ومستدلاً بالاطلاق والعموم ، وقد كثر في ذلك
الفصل روايات وأقاويل كثيرة وردت عن السلف من الصحابة ومن بعد الصحابة
من التابعين ومن بعد التابعين قد احتجوا فيها بالآيات المطلقة النازلة أصلاً في
طوائف الشرك وأهل الكتاب على إثم البدعة وخطأ المبتدعين من المسلمين ، وعلى
ما أوعدهم الله به من العقاب الأشد الاليم . قال في الفصل المذكور : « والنقل يدل
على بطلان البدعة والابتداع من وجوه أحد الوجوه ما جاء في القرآن مما يدل على
ذم من ابتدع في دين الله بالجملة » ثم ذكر قوله تعالى في أول سورة آل عمران
« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات
فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » وذكر
في تفسير الآية الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبي الكريم قال « إذا
رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وذكر
رواية أخرى عن عائشة قالت : تلا رسول الله الآية وقال « فإذا رأيتم الذين
يمجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم » قال وجاء عن أنى غالب واسمه
حرور قال كنت بالشام فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج فنصبوا على درج
في دمشق . فكنت على ظهر بيت لي فرأى أبو أمامة فنزلت فاتبعته فلما وقف عليهم
دمعت عيناه وقال سبحان الله ! ما يصنع السلطان ببني آدم قالها ثلاث مرات
كلاب جهنم كلاب جهنم . شر قتلى تحت ظل السماء ثلاث مرات . خير قتلى من
قتلهم . طوبى لمن قتلهم أو قتلوه . ثم التفت الى وقال يا أبا غالب إنك بأرض
كثير فأعاذك الله منهم . قلت رأيك بكيت حين رأيتهم . قال بكيت رحمة

حين رأيتم كانوا من أهل الاسلام . هل تقرأ سورة آل عمران ؟ قلت نعم
 فقرأ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات الآية ، وإن هؤلاء كان
 في قلوبهم زيغ ثم قرأ قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
 جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . فأما
 الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فنفقوا العذاب بما كنتم تكفرون
 وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون » قلت هؤلاء هم يا أبا
 أمامة ؟ قال نعم . قلت من قبلك تقول أو شيء سمعته من النبي عليه السلام ؟ قال
 إنى أذن لجرى . بل سمعته من رسول الله لا مرة ولا مرتين حتى عد سبعا . قلت
 ألا ترى الى ما فعلوا قال عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم . قال وروى ذلك اسماعيل
 القاضي وغيره

قال ونقل حميد بن مهران قال سألت الحسن : كيف يصنع أهل هذه الاهواء
 الخبيثة بهذه الآية في آل عمران « ولا تكونوا كالذين تفرقوا » الآية ؟ قال
 يذوها ورب الكعبة وراء ظهورهم . قال ابن وهب سمعت مالكا يقول ما آية
 في كتاب الله أشد على أهل الاختلاف من أهل الاهواء من هذه الآية « يوم
 تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين » الآية . قال مالك فأى كلام أين من
 هذا ؟ فرأيتهم يتأولها لأهل الاهواء . ورواه ابن قاسم قال لى مالك : إنما هذه
 الآية لأهل القبلة

قال الشاطبي : وما ذكره مالك في الآية نقل عن غير واحد كالذي تقدم
 للحسن . وعن قتادة في قوله « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا » يعنى أهل
 البدع . وعن ابن عباس يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . قال تبيض وجوه أهل
 السنة وتسود وجوه أهل البدعة

قال الشاطبي : ومن ذلك قوله « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست

منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » . قال وهذه الآية جاء تفسيرها في الحديث من طريق عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ يا عائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من هم ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة . يا عائشة انت لكل ذنب توبة ما خلا أصحاب البدع والأهواء ليست لهم توبة وأنا منهم يرى وهم مني براء . قال ابن عطية هذه الآية تعم أهل الأهواء والبدع والشذوذ في الفروع وغير ذلك من أهل التعمق في الجدال والخوض في الكلام . هذه كلها عرصة للزال وسوء المعتقد . وحكى ابن بطال في شرح البخاري عن أبي حنيفة أنه قال لقيت عطاء بن أبي رباح بمكة فسألته عن شيء فقال من أين أنت قلت من أهل السكوفة . قال أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . قلت نعم . قال من أي الاصناف أنت ؟ قلت ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحدا بذنب . قال عطاء عرفت فالزم . وعن الحسن قد خرج يوما عثمان بن عفان يخطبنا فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت لا أبصر أديم السماء . قال وممنا صوتنا من بعض حجر أزواج النبي عليه السلام فقيل هذا صوت أم المؤمنين . قال فسمعتها وهي تقول ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب وتلت : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » . وعن أبي هريرة أنها نزلت في هذه الأمة . وعن أبي أمامة انهم هم الخوارج . قال القاضي : ظاهر القرآن يدل على أن كل من ابتدع في الدين بدعة من الخوارج وغيرهم فهو داخل في هذه الآية لأنهم إذا ابتدعوا تجادلوا وتخاصموا وفرقوا وكانوا شيعا

ثم قال الشاطبي : ومنها قوله تعالى : « ولا تكونوا من المشركين » من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون » . وقد قرئ

« فارقوا دينهم » وفسر عن أبي هريرة أنهم الخوارج . ورواه أبو امامة مرفوعا : وقيل هم أصحاب الاهواء والبدع . قال : روي عائشة مرفوعا الى النبي عليه السلام . وذلك لأن هذا شأن من ابتدع حسبا قاله القاضي اسماعيل . وكما تقدم في الآيات الأخرى

ثم قال الشاطبي : وفي البخاري عن عمر بن مصعب قال سألت أبي عن قول الله « هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا » هم الحرورية ؟ قال لا . هم اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا بمحمد وأما النصارى فكذبوا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب ، والحرورية هم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه . وكان شعبة يسميهم الفاسقين

قال : وفي تفسير سعيد بن منصور عن مصعب بن سعد قال : قلت لأبي « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » أهم الحرورية ؟ قال لا . أولئك أصحاب الصوامع . ولكن الحرورية الذين قال الله فيهم « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم » وقد جاء عن علي بن أبي طالب أنه فسر الآخسرين أعمالا بالحرورية أيضا ، فروى عبد الله بن حميد عن أبي الطفيل قال قام ابن الكواء إلى علي فقال يا أمير المؤمنين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ قال منهم أهل حروراء . وهو أيضا منقول في تفسير سفيان الثوري . وفي جامع ابن وهب أنه سأل عن الآية فقال له ارق إلى أخبرك وكان على المنبر فرقى اليه فتناوله بعضا كانت في يده فجعل يضربه بها . ثم قال له علي : أنت وأصحابك . وخرج عبد بن حميد أيضا عن محمد بن جبير ابن مطعم قال أخبرني رجل من بني أود أن عليا خطب الناس بالعراق وهو يسم فصح به ابن الكواء من أقصى المسجد فقال يا أمير المؤمنين من الآخسرين أعمالا ؟ قال أنت . فقتل ابن الكواء يوم الخوارج . ونقل أهل التفسير أن ابن

الكواء سأله فقال أنتم أهل حروراء وأهل الرياء الذين يحبطون الصنيعة بالمنة . فالرواية الأولى تدل على أن أهل حروراء بعض من شملتهم الآية . ولما قال الله في وصفهم « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا » فوصفهم بالضلال مع ظن الاهتداء دل على أنهم هم المبتدعون في أعمالهم عموماً كانوا من أهل الكتاب أولاً ، من حيث قال النبي كل بدعة ضلالة . فقد يجتمع التفسيران في الآية : تفسير سعد بأنهم اليهود والنصارى ، وتفسير على بأنهم أهل البدعة . لأنهم قد اتفقوا على الابتداع ، ولذلك فسر كفر النصارى بأنهم تأولوا في الجنة غير ما هي عليه ، وهو التأويل بالرأى فاجتمعت الآيات الثلاث على ذم البدعة وأشهر كلام سعد بن أبي وقاص بأن كل آية اقتضت وصفاً من أوصاف المبتدعة فهم مقصودون بما فيها من الذم والحزى وسوء الجزاء ، إما بعموم اللفظ وإما بمعنى الوصف

ثم قال : وجاء عن سفيان وأبي قلابة وغيرهما أنهم قالوا كل صاحب بدعة أو قرية ذليل واستدلوا بقول الله « أن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المقترين » وخرج ابن وهب عن ابن عون عن محمد بن سيرين أنه قال : إني لأرى أمرع الناس ردة أصحاب الأهواء . قال ابن عون وكان ابن سيرين يرى أن هذه الآية في أصحاب الأهواء « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » الآية . وذكر الأجرى عن أبي الجوزاء أنه ذكر أصحاب الأهواء فقال : والذي نفس أبي الجوزاء في يده لأن تملىء داري قردة وخنازير أحب إلى من أن يجاورني رجل منهم ، ولقد دخلوا في هذه الآية « ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله ، وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور » قال : والآيات للصرحة

والشيرة الى ذمهم والنهي عن ملاسة أحوالهم كثيرة
 هذا بعض ما ذكره الامام الشاطبي في الفصل المتقدم الذكر من كتابه
 الاعتصام الدائم الاسم ، وقد تركنا من الفصل أشياء أخرى رغبة في الإيجاز .
 وبما نقلناه هنا تعلم أن السلف من الصحابة والتابعين وسائر علماء الحديث
 والفقه والدين لم يزالوا يحتجون بعموم الآيات على ما يشمله لفظها أو معناها من
 أفعال المسلمين وأقوالهم ، وإن كانت قد نزلت أصالة في أهل الكتاب : اليهود
 والنصارى ، وفي المشركين والكافرين والملحدين . والتفاسير القديمة والحديثة
 المشحونة بتفاسير السلف والخلف ملأى بذلك . ومن طالع ابن جرير وابن كثير
 والرازي وغير هؤلاء وجد من ذلك الشيء الكثير

وقد حكى الامام الشاطبي في مكان آخر من كتابه قال : حكى الباغي عن
 الامام مالك أنه قال لا تجالس القدرى ولا تكلمه الا أن تجلس اليه فتغلظ عليه
 لقوله تعالى « لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله »
 فلا توادهم . قال وحكى ابن وهب عن مالك أيضا أنه كان إذا جاءه بعض أهل
 الأهواء يقول أما أنا فعلى بينة من ربى وأما أنت فشاك فاذهب الى شاك مثلك ،
 فخاصمه ثم قرأ قوله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى
 وسبحان الله وما أنا من المشركين »

قال الشاطبي أيضا : وحكى صياض عن سفيان بن عيينة قال سألت مالكا عن
 أحرم من المدينة وراء الميقات ؟ فقال هذا يخالف الله ورسوله أخشى عليه الفتنة في
 الدنيا والعذاب الآليم في الآخرة ، أما سمعت قوله تعالى « فليحذر الذين يخالفون
 عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقد أمر النبي ﷺ أن يهل
 من الميقات

وقد استدلل الشاطبي في كتابه المذكور بكثير من الآيات النازلة في المشركين

(٤٢٦)

والكافرين على ذم الأهواء وأصحاب الأهواء والبدع وأصحابها من المسلمين ،
وذكر من ذلك نماذج كثيرة ، وروى عن علماء السلف من الصحابة ومن جاءوا
بعدهم أشياء متعددة من هذا النوع وهذا الاستدلال

وقد ذكر فخر الدين الرازي - وهو الخصم الألد للسلفيين كما يزعم المخالفون -
في تفسيره ما هو أدخل في موضوعنا وأظهر في النقض على هذا الخصم ومن جرى
معه في هذا الشوط ، فذكر في تفسير قوله تعالى : « ويعبدن من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » قال : « ونظيره في
هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكاير على اعتقاد أنهم إذا
عظموا قبورهم فإنهم يكونون لهم شفعا عند الله تعالى »

وهذا نص من هذا الشيخ لا يقبل الخلاف والخصام في أنه يرى تعظيم القبور
والاشتغال بها والمكوف عليها كفرًا وخروجًا من حظيرة الاسلام وإن كان الفاعل
لذلك من المسلمين ومن المدعين التوحيد ، بل هو قد كفر بقوله هذا هؤلاء
المتوسلين الداعين للاموات صراحة

وقد تأول السلف قول الله تعالى حكاية عن ذلك الشقي الذي قال في القرآن
« إن هذا إلا سحر يؤثر » إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر » في من زعم
من المبتدعين أن القرآن مخلوق فأكفروا من قال هذه المقالة من مبتدعة أهل
الاسلام أهل الأهواء ، وكذلك احتج العلماء من السلف وغيرهم بقوله تعالى « فان
تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » على أن تارك الصلاة من المسلمين
يقتل والآية نازلة أصالة في المشركين . واحتج من يقول بالكفر تارك الصلاة
من المسلمين بالآية الأخرى « فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في
الدين » والآية نازلة في الكافرين ، واحتجوا بقوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت

مصيرا « على الاحتجاج بالاجماع وأن من خالفه فهو ضال أو كافر ، وهذه الآية صريحة في أنها نزلت أصلا في غير المسلمين ، ولكن احتجوا بالاطلاق والعموم واستدلوا بقوله تعالى في أهل الكتاب « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » مضافا إليها الحديث النبوي الآتي في تفسيرها على تحريم التقليد وقضايته وأن المقلدين على خطر عظيم ، واستدلوا بقوله تعالى : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » على تحريم تحريف الكلام وعظم جريرة المحرفين لقول عن سيده المعلوم ، واستدلوا بقوله تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم » على تحريم الغلو في الدين وعظم جريرة من يفعلون ذلك من المسلمين وغيرهم ، واحتجوا بقوله تعالى « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » على عظم جريرة من دعى الى كتاب الله وسنة رسول الله فأبى أن يجيب وأعرض عن الداعي ، واحتجوا بقوله تعالى « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » على أن من يصنع ذلك من المسلمين يكون جزاؤه عند الله ما في هذه الآية من الاعداء الأشد ومن الطرد عن رحمة الله واحتجوا بقوله تعالى « ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » على ذنب من لم يصنع ذلك من المؤمنين على عهد الرسول الكريم بل والمخالفون أنفسهم احتجوا بالآية على الذهاب الى قبر الرسول بعد وفاته وطلب الاستغفار والشفاعة منه ودعائه والضراعة اليه . مع أن الآية نازلة أصالة في جماعة من المنافقين الى غير ذلك من احتجاج المسلمين في جميع المصنوع بالآيات النازلة في جماعات أهل الكتاب والمشركين ، وعلماء الاسلام لا يختلفون في أن كل أمر ينهى الله المشركين والكافرين عنه ويعيبهم به ويوعدهم عليه بالنار والعذاب لا يختلفون في أن ذلك الامر محرم على المسلمين لا يحل لهم أن يقرؤوه بوجه من

الوجه إلا أن يستكون من الأمور التي تختلف فيها الشرائع الإلهية إذا جاء دليل على النسخ

فقول الشيعي إن الوهابيين ينزلون الآيات النازلة في المشركين والكافرين في المسلمين قول يوجه إلى المسلمين جميعاً كما رأيت

هذا ما يقال أولاً . ثم يقال بعد هذا : إما أن يريد هذا الرجل أن الوهابيين يتأولون هذه الآيات في من هو مسلم حقيقة وفي من جمع شرائط الاسلام والايمان فيكفرونه ويحكمون عليه بالردة والكفر وهو مسلم مؤمن ، وإما أن يريد أنهم يتأولون هذه الآيات في قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا كذلك بل هم مشركون كافرون وغاية ما عندهم ادعائهم الاسلام والايمان ادعاء وليس عندهم وراء ذلك الادعاء شيء من الاسلام والايمان

هذا هو ما يمكن أن يريد به قوله هذا . فان كان يريد الأول . قيل له هذا محال باطل . فانهم لا يكفرون المؤمنين ولا يستحلون إكفارهم والقدح في عقائدهم بل يرون الكفار المؤمنين من أكبر الكبائر وأجل الذنوب ، وأما إن كان يريد الاقتراض الثاني أي إن كان يريد أنهم يتأولون الآيات النازلة في المشركين في قوم ادعوا الاسلام والايمان وهم ليسوا مؤمنين ولا مسلمين بل هم مشركون لعلمهم ما كان يعمل المشركون . قيل له هذا حق منهم لا ريب فيه ، وكل الناس يصنعون صنيعهم ويرون رأيهم . فان الكافر كافر سواء ادعى الاسلام أم ادعى الكفر ، والفاسق فاسق وإن زعم أنه صالح تقي ، والكاذب كاذب وإن ادعى الصدق والقاتل قاتل وإن قال أنى برىء ، والظالم ظالم وإن قال بلى شديقه انه لم يظلم أحداً وأنه المثل الأعلى للعادل ، وهذا لا ريب فيه فان الحقائق ثابتة كما هي وإن سميت بأسماء غير أسمائها بل وإن لم تسم مطلقاً والحق حق وإن سمى باطلاً ، والباطل باطل وإن سمى حقاً . فن ادعى لنفسه الاسلام وهو ليس كذلك فلا

ريب أنه ليس كذلك . ولا أحد من المسلمين العارفين يدعى أن أحداً بادعائه الاسلام والايمان ادعاء فقط يكون مسلماً مؤمناً وهو يعمل أعمال المشركين ويأتى ما يأتىه الكفرون من الشرك والتتديد . هذا باطل فلا بأس حينئذ في أن تأول الآيات النازلة في المشركين في من عملوا أعمالهم وفضلوا أنفسهم ، سواء أتقدموا أم تأخروا ، وسواء أشعروا بحقيقتهم أم لم يشعروا

فإن قال الشيعى ، ولا بد أن يقول ، إن الوهابيين يتأولون هذه الآيات في المسلمين الذين يسألون الأموات ويدعونهم من كل مكان ويطلبونهم ضروب الحاجات دنية ودنيوية ، عاكفين على قبورهم منقطعين اليها ، وهؤلاء مسلمون وإن فعلوا ذلك ، بل وإن فعلوا أكثر منه وأشد . فإن هذا لا يوجب الكفر ولا الشرك . إن قال الشيعى هذا ، وهذا هو ما يقول ، قيل له قد رجعنا بهذا الى أصل المسألة ورأسها وصادرت القضية المطروحة بيننا وبينك ، فإن أصل قضيتنا نحن أن دعاء الأموات المنقطعين اليهم السائلين جميع الشئون مثل ما نشاهده اليوم عند كل ولى بل عند غير الأولياء : قضيتنا أن هؤلاء ليسوا مسلمين ولا مؤمنين وأنهم في هذه المطالب وهذا الغلو ضاريون الاسلام في الصميم ، ومصيبون التوحيد في المقتل . . وأنهم بذلك لاحقون عبدة الأصنام . وهذا ما سوف نتولى إقامة الدليل عليه من الكتاب والسنة . وهذا ما ثبتته إن شاء الله في هذا الكتاب ، أما مخالفونا كذا الشيعى فإنهم لا يخالفوننا في أن هؤلاء إذا كانوا كافرين عاملين أعمال الكفار يصح تأول الآيات النازلة اصالة في المشركين والكافرين فيهم وإن كانوا يدعون الاسلام ، ولكن هؤلاء المخالفين يخالفوننا في أن هؤلاء الداعين للأموات كفرون أو مشركون ، بل هم يزعمون أنهم مؤمنون ويزعمون أن دعاء الأموات وسؤالهم الحاجات لا يستوجب الكفر والشرك ، بل يدعون أن ذلك من الايمان والدين الذي جاءت به الأنبياء ونزلت به الكتب السماوية

فهذا هو أصل القضية والدعوى . فالحلاف بيننا وبين هؤلاء هو في دعاء
الأموات والانقطاع اليهم أ كفر هو أم إيمان ، ونحن نقول إنه كفر وهم يقولون
انه إيمان ، ولا خلاف بيننا في أن المشركين والكافرين من المدعين الاسلام
والإيمان تشملهم الآيات النازلة في الكافرين والمشركين . فالذى على هذا الشيعى
إذن أن يقيم الدليل على أن هذه الأعمال التى تجترح فوق الأرضة ليست شركا
ولا كفرا ، علينا نحن إقامة الدلائل على أنها شرك بالله ، وإلا فان اعتراضه
بالشكل الذى ذكر منطلق الى جميع المسلمين . فان كل مسلم يعتقد أن كل كافر
تشمله الآيات النازلة في المشركين والكافرين وان ادعى الإيمان والتوحيد
والإخلاص . بل وان كان يحفظ القرآن والسنة ويعظمهما ويعظم شعائر الله ودينه
وكتبه ورساله . هذا ما لا ريب فيه ولا يتنازع الناس في أن من كفروا وأشركوا
من المسلمين أى المدعين الاسلام واقعون تحت إبعاد الآيات النازلة في المشركين
والكافرين الأوائل ، ولكن الخلاف يقع بينهم هل هذا الانسان المعين كافر
وهل ذاك العمل المعين كفر . فاذا اعتقد أحد منهم أن إنسانا كافر فلا بد أن
يوقعه تحت الآيات النازلة في الكافرين . فالكلام هنا راجع الى أساس المسألة
وهي هل الاستغانة بالأموات وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله إيمان أم كفر . فان
كانت كفرا بطل كلام هذا الشيعى وان لم تكن كفرا كان اعتراضه منطلقا الى
الزعم أن هذه الأعمال كفر لا الى تنزيل الآيات النازلة في المشركين والكافرين
فيمين ليسوا مشركين ولا كافرين ، وهذا لا ريب فيه ، وذلك أن من تأول آية
نزلت في المشركين فيمين ليس مشركا إنما تأولها كذلك لاعتقاده أن ذلك الذى
تأولها فيه مشرك كافر ، ولولا هذا الاعتقاد لما تأولها كذلك . فالاغراض ان كان
ثم اعتراض راجع الى الاعتقاد بأن ذلك الانسان المعين هل أعمال المشركين
لا الى تأول الآيات العامة فيه اذا اعتقد أنه مشرك كافر . هذا ما يقال في المسألة .

من الجهة الفنية الجدلية ، وهذا ما يقال ثانيا

ثم يقال بعده : إن من الخطأ الظاهر الزعم أن الآيات التي استدلو بها على أن الأموات لا يدعون ولا يسألون نازلة كلها في الكافرين والمشركين أصالة فإن هذا الزعم ليس صحيحا ، فكثير من هذه الآيات نزل خطابا للمسلمين والمؤمنين ، وبعضها نزل خطابا للرسول الكريم خاصة . فقول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » من يقول من العلماء إنه نازل في المشركين خاصة ؟ وليس من شك أن الآية إن لم تكن خطابا للمسلمين منفردين فهي خطاب عام للفريقين المؤمنين والكافرين . وقوله تعالى « قل أئندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا . قل إن هدى الله هو الهدى » هو في دعاء المسلمين غير الله من الأصنام والملائكة والأولياء وغيرهم . وقوله تعالى « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة » عام كل من دعا غير الله . وقوله « ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون » عام كذلك . وقوله « أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء أله مع الله » خطاب موجه للعباد كافة . وقوله « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين » ان لم يكن خاصا بالرسول فليس خاصا بالمشركين والكافرين . وقوله تعالى خطابا لرسوله « قل أخبر الله أئخذ وليا » نص في أن الرسول ومن تبعه من المؤمنين لا يتخذون من دون الله أولياء . وقوله تعالى « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » خطاب لنبية كما هو ظاهر . وقوله « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » خطاب للنبي أيضا ، وقوله « فاعبد الله مخلصا له الدين . ألا الله الدين

(٤٣٢)

الخالص ، خطاب أيضا للنبي . ونظائر ذلك كثيرة معلومة لانستطيع حصرها كلها في هذا الكتاب

فزعم هذا الشيعي أن هذه الآيات التي يستدلون بها على امتناع دعوة الأموات نازلة في المشركين خاصة غلط مبين ، وهذا ما يقال ثالثا

ثم يقال بعد ما تقدم : ان هذا الشيعي لو كان جريئا على أن يقول الحق لقال إن الشيعة هي التي تناول الآيات النازلة في أئمة الكفر والشرك في خلاصة المؤمنين والمسلمين خيار أصحاب النبي وجنود الله من الانصار والمهاجرين ، وهذا أمر لا يختلف الناس فيه وأمر لا تنكره الشيعة ، بل هي تفاخر به وتكاثر ، وكتبهم المعتمدة المطبوعة ملأى بهذا أى تناول الآيات النازلة في المشركين في صحابة رسول الله ومن دونهم

قال ابن قتية في كتاب تأويل مختلف الحديث صفحة ٨٦ « وقد قالوا في قول الله عز وجل إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة أنها عائشة ، وفي قوله فقاتنا اضربوه ببعضها انه طلحة والزبير ، وقولهم في الحجر والميسر أنهما أبو بكر وعمر وفي الجبب والطاغوت أنهما معاوية وعمر بن العاص مع عجائب أرغب من ذكرها ويرغب من بلغه كتابنا عن استماعها »

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : « ان الذين أدخلوا في دين الله ما ليس منه وحرفوا أحكام الشريعة ليسوا في طائفة أكثر منهم في الرفضة فانهم أدخلوا في دين الله من الكذب على الرسول ما لم يكذب به غيرهم وردوا من الصدق ما لم يرد به غيرهم ، وحرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم مثل قولهم ان قوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) نزلت في علي . وقوله تعالى (مرج البحرين) على وفاطمة (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين (وكل شيء أحصيناه في امام مبين) علي بن أبي طالب

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران . « فقاتلوا أئمة الكفر » طلحة والزبير . والشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية . « ان الله يأمركم أن تدبخوا بقرة » عائشة . ولئن أشركت ليحبطن عملك أي ان أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية . وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم . ثم من هذا دخلت الامماعيلية والنصيرية في تأويل الواجيات والمحرمات^(١) .

وقال صاحب كتاب الشيعة ص ٩٣ : « أما التحريف الذي وقع والذي يقع فان كتب الشيعة كلها قد حُرِفَتْ وتحرف آيات كثيرة وسوراً عديدة في تأويلها وتنزيلها . وقد جمعتُ آيات تزيد على مائتين من أمهات كتب الشيعة حُرِفَتْها كتب الشيعة أشنع تحريف . ومن أشنعها أن قول الله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلاً) انها قد نزلت في الصحابة بعد وفاة النبي وأن الصحابة والأئمة قد أنصكرت ما لم يولدوا حسداً وبغياً . أصول الكافي (٢ : ١٥٨) وهذه الصحائف في أصول الكافي موضوعة على ألسنة الأئمة إن ثبتت فهي عيب على الأئمة لا ريب في وضعها وضعها كتب الشيعة وحرفت الكتاب الكريم تحريفاً شنيعاً ومنها أن قول الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) يقول الكافي هم أولياء أبي بكر وعمر اتخذونهم أئمة دون الامام الذي جعله الله وهو علي . قيل لصادق ألم يكن علي قويا في دين الله قال بل قيل فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يدفعهم وما منعه من ذلك . قال الصادق آية في كتاب الله منعه . قيل أي آية قال « لو تزيَّلوا لعدونا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً » كان لله ودائم مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومناقضين ولم يكن علي

يقتل الآباء حتى يخرج الودائع . فلما خرجت على علي ظهر من ظهر فقتلهم . عن الكافي في الوافي (٢ : ١٥٢) . وروى العباس عن الباقر قال : لما قال النبي « اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمر بن هشام » أنزل الله « وما كنت متخذ للضالين عضدا »

« وأصول الكافي ذكرت كل الآيات محرفة تحريفا يخرجها عن أن تكون كلام حافل . وكل آية نزلت في الكفار رجعتها الشيعة إلى الصديق والفاروق ومن اتبعها إلى كل الأمة : « إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا » تقول أصول الكافي (٣ : ٣٢٥) إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان . آمنوا بالنبي أولا ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي . ثم آمنوا بالبيعة اعلی ثم كفروا بعد موت النبي ثم ازدادوا كفرا بأخذ البيعة من كل الأمة » وقال أيضا صاحب الوشيعة ص ٤١ : « وروى الوافي عن التهذيب والكافي (٢ : ٤٥) عن الباقر لما أخذ النبي يوم الغدير بيده على صرخ إبليس في جنوده صرخة لم يبق منهم أحد في بر ولا بحر الا أقاله . فقالوا ماذا دهالك ما سمعنا لك صرخة أوحش من هذه . فقال نعم فعل هذا النبي فعلا ان تم لم يعص الله أحد أبدا . فقالوا يا سيد أنت كنت لأدم أغويته . ولما قال المناقون إنه ينطق عن الهوى وقال أحدهما لصاحبه (أبو بكر لعمر) أما ترى عينيه تدوران في رأسه كأنه مجنون ، يعنون النبي صرخ إبليس صرخة تطرب لجمع أوليائه ثم قال أما قلتم اني كنت لأدم من قبل قالوا نعم قال آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب وهؤلاء أنكروا العهد وكفروا بالرسول . ولما قبض النبي وأقام الناس أبا بكر لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في ألويته وجمع خيله ورجله ثم قال لهم اطربوا فلن يطاع الله أبداً حتى يقوم إمام ثم تلا الباقر (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين) قال الباقر : كان تأويل هذه الآية لما

خبض النبي والظن من ابليس حين قالوا انه ينطق عن الهوى صدقوا ظن ابليس .
وفي الوافي (٢ - ٢٥) عن سلمان عن علي ان اول من بايع أبا بكر هو ابليس وان
النبي قد قال ان اول من يبايع أبا بكر في منبري هذا هو ابليس . وفي الوافي
(٢ : ٤٧) قال الصادق : ان قول الله (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون) نزل في أبي بكر وعمر حين قالوا
يوم القدير انظروا الى عيني تدوران كأنهما عينا مجنون . ويقول الصادق (ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) نزلت في أبي بكر وعمر
وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسالم والمغيرة حين كتبوا الكتاب وتاهدوا
وتقاسموا اثن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبداً . ونزل
(أم أيرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم) هاتان
الآيتان نزلتا في هؤلاء . وعن الباقر والصادق إن أبا بكر ساعة موته دعا بالويل
والثبور فجعل يقول هذا محمد وهذا علي يشرائني بالنار ويده الصحيفة التي تعاهدنا
عليها في الكعبة وهو يقول : لقد وفيت بها يا منافق اظاهرت على ولي الله فابشر
بالدرك الأسفل من النار في أسفل السافلين . وفي الكافي (٢ - ٥١) عن الصادق
عن الباقر أن الرسول أقبل يقول على أبي بكر وهو في القار يرتعد اسكن فان الله
معنا وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن . فلما رأى النبي ﷺ حاله قال له أتريد أن
أريك أصحابي من الأنصار في المجالس يتحدثون وأريك جعفراً وأصحابه في
البحر يفوصون ؟ قال نعم : فسح النبي يده على وجهه فنظر أبو بكر الى الأنصار
يتحدثون ونظر الى جعفر وأصحابه في البحر يفوصون ، فأضمر في تلك الساعة
انه ساحر ، فسمى صديقاً »

ومن الظريف أن تكون الشيعة مخترعة هذه الغرائب والعظائم ثم يجرؤ هذا
الشيعة على اتهام أهل السنة بتأويل الآيات النازلة في الكافرين في المؤمنين

والاحاديث التي ذكرها هنا أما الأول وهو قول عبد الله بن عمر في الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين . فيقال فيه إنه يعني بذلك مثلما ذهبت اليه الشيعة إذ جعلوا الآيات النازلة في رؤوس الكفار وصناديد الشرك في خيار الصحابة من الأنصار والمهاجرين أمثال أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة وحفصة وغير هؤلاء من سادات المسلمين ، وذلك أن الخوارج قد أكفروا الخلفاء في عصرهم وأكفروا من تولاهم ورضى حكمهم من المسلمين . فأكفروا عثمان وعلياً ومعاوية وعمر بن العاص ومن تولى هؤلاء أو أطاعهم أو دان لحكومتهم ، والشيعة فعلت ما هو أشنع من فعل الخوارج . فأنهم ~~كفروا~~ الخلفاء الأربعة إلا علياً وبعضهم تناول علياً أيضاً بالتجريح والتكفير وأكفروا الصحابة ما خلا طائفة قليلة تولت علياً في زعمهم وعرفت له الحق الذي عرفته له الشيعة : وأما من عدا هؤلاء من الصحابة والخلفاء فكفار لدى الشيعة وتأولت فيهم الآيات النازلة في الكفار كما سبق . فأكفرت سائر المسلمين الذين يتولون الخلفاء الثلاثة أو يقدمونهم على علي والذين يتولون معاوية وغيره من الأمويين والذين لا يكفرون هؤلاء ، وتأولوا أيضاً الأحاديث في إكفار المسلمين كما تأولوا الآيات ، وتأولوا قوله عليه السلام : « ليزادن أقوام عن حوضي يوم القيامة فأقول أصحابي أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . » إنهم مازالوا على أعقابهم مرتدين فأقول سحقاً سحقاً ، فزعموا أن هذا الحديث يدل على أن الصحابة ومنهم الخلفاء ومنهم أمهات المؤمنين كمائشة وحفصة قد ارتدوا بعد وفاة النبي عليه السلام . وبعض الشيعة يزعمون أنهم كانوا منافقين ومخادعين للنبي ، وأنهم ما آمنوا ولا أسلموا . وكذلك تأولوا حديث الفتنة من قبل المشرق الفتنة هاهنا بأن الإشارة كانت إلى عائشة رضي الله عنها كما تقدم عن أحد شيوخهم في أحد كتبهم وهو كشف الغطاء

وفعل الشيعة في هذا الباب مثل فعل الخوارج إلا أن الفرق بين الطائفتين أن الشيعة أفرس وأعدى في هذا الميدان ميدان العدوان على المسلمين وعلى عقائدهم فإن الشيعة يكفرون أقواماً لا يكفرهم الخوارج بل يتولونهم ويحبونهم كأبي بكر وعمر اللذين تخصهما الشيعة بأشد المهجاء والمذمة والتضليل . فقول عبد الله بن عمر يعني هذا النوع من الاكفار والاعتداء على المسلمين ومن التأويل الفاضح لكتاب الله ، ولا يمكن أن يعني بقوله هذا أن الخوارج يكفرون عباد القبور المتقطعين اليها . قالت الخوارج لم يصنعوا ذلك لأن عبادة القبور بدعة محدثة في الاسلام بعد ما تناقص العلم وتزايد الجهل وكثر الداخلون في الاسلام من الزنادقة الذين ما ادعوا الدخول فيه إلا لأجل الدس فيه وإفساده ونحن لا نرتاب أن عباد القبور بالنحو الموجود اليوم وبالنحو الذي يدعو اليه هذا الشيعي لو كانوا موجودين في عهد الصحابة وعهد أئمة الاسلام لما توقفوا في إكفارهم وفي الحكم عليهم بالردة وهذا ما يأتي بيانه وعلى كل حال هذا راجع الى أصل القضية . فان كان عباد القبور كفاراً ومشركين فلا ريب في أنهم داخلون في الآيات النازلة في المشركين ولا يشك في هذا أحد لا عبد الله بن عمر ولا غيره ولا هذا التحالف ، وان كانوا غير كفار أمكن أن ينطلق هذا الاعتراض الى هؤلاء الذين كفروا بعبدة القبور

وأما الرواية الأخرى التي قال انها في غير البخاري عن عبد الله بن عمر ان الرسول قال أخوف ما أخاف على أمتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فيقال في الجواب قال أحد علماء الهند وهو الشيخ محمد بشير من كبار المحدثين في عصره في كتابه صيانة الانسان إن هذا الحديث ليس من رواية عبد الله بن عمر وإنما هو من رواية عمر رضى الله عنها رواه عنه الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ، وفي سننه اسماعيل بن قيس الأنصاري وهو متروك الحديث ذكر

ذلك في مجمع الزوائد . قال حديث عن عمر لا عن عبد الله بن عمر ثم هو حديث ضعيف . هذا من جهة السند وأما من جهة معناه فلا ريب في صحته . فان المتأولين للقرآن الكريم وللسنة النبوية الواضعين لها في غير مواضعهما هم أكبر المعائب التي زعمت العقائد الاسلامية الصحيحة الثقية من الاخلاط والفضلات الضارة ، والفرق المتأولة للقرآن والسنة هي من أعظم المعاول الهدامة لصرح الاسلام للشمخ وبنائه الرفيع المنيع ، وما أكثر ما أتى الاسلام من هذه الناحية ناحية التأويل والتفسير الباطل لنصوصه . فان المتأولين لم يدعوا في الاسلام عقيدة يقينية ولا نصاً ثابتاً لا شك فيه إلا تناولوها بالتشكيك وبالاغتراضات الفاشلة وبالتأويلات السخيفة . أليست الشيعة قد أولت فرائض الاسلام الخس بأن الراد بها رجال . أليس قد تناول أحد شيوخهم واسمه بيان قول الله « هذا بيان للناس » في نفسه ، وتناول شيخ آخر منهم وهو المفيرة بن سعيد العجلي قوله « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك » في الخليفة عمر ، وتناول قوله « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » فزعم أن الأمانة التي عرضت على السموات وعلى الأرض والجبال هي منع على رضى الله عنه من الخلافة فتورعت هذه المخلوقات عن هذا الاثم فقام أبو بكر بالخيلولة بين علي وبين الخلافة بإرشاد عمر ومعوته على شريطة أن تكون له الخلافة من بعده ، والانسان الجهول الظلوم في الآية هو أبو بكر ، وتناولت فرقة منهم وهي المعروفة بالمنصورية أصحاب أبي منصور العجلي أحد شيوخ الشيعة قوله تعالى « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » في صاحبهم هذا ، وزعموا أنه الكسف الساقط من السماء ، وهكذا زعم هو لنفسه ، وتناول أحد شيوخهم وهو بيان وأصحابه البيانية قول الله « كل شيء هالك إلا وجهه » في أن الاله يهلك كله حاشا وجهه ، وزعمت طائفة منهم أن كل مؤمن يوحى اليه

وتأولوا قول الله « وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله » على معنى الا بوحى اليه من الله ، وكذا تأولوا قوله « وأوحى ربك الى النحل » في ذلك ، وتاول أحد شيوخهم وهو أحد الكيال وأتباعه الكيالية الصراط المستقيم في نفسه واللجنة في الوصول الى علمه من البصائر والنار في الوصول الى ما يضافه ، وزعم أحد شيوخهم أن قول الله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام » يعني به على بن أبي طالب ، وزعموا أن قوله « ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا » يدل على أن من وصل الى الامام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يعلم ووصل الى الكمال ، وهذا كله ذكره الشهرستاني في كتابه المال والنحل والشهرستاني قد شرط على نفسه في مقدمة كتابه ألا يعزو الى قوم إلا ما وجدته في كتبهم لا في كتب مخالفيهم ، وقد ذكر هذا أيضاً غير الشهرستاني ، وتقدم بعض هذه التأويل الفاضحة مثل قولهم إن قول الله يأمركم أن تذبحوا بقرة يعني بها السيدة عائشة وقولهم في فقاتلوا أئمة الكفر أنهم طلحة والزبير وأن الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية ، وأن المراد بقوله ولئن أشركت ليحبطن عملك لاشرك بين علي وأبي بكر في الولاية ، وقالوا إن المراد بالبحرين في قوله مرج البحرين علي وقاطمة وأن الأوّل والمرجان الحسن والحسين ، وقالوا في قوله تعالى « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » أنه علي وقالوا في قوله « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » ان هؤلاء هم آل أبي طالب وامم أبي طالب عمران ، وتأولوا الحبث والطاغوت الواردين في الكتاب العزيز بابي بكر وعمر ونظائر ذلك من الأقوال التي اعتدوا بها على كتاب الله وعلى الاسلام وعلى المسلمين وعلى الصحابة وعلى الرسول وعلى الائمة وعلى الذوق وعلى الأدب والمنطق وعلى كل فضيلة

وكذلك تأولوا آيات التوحيد توحيد الاسماء والصفات وتوحيد العبادة

والألوهية بأولات في نهاية الفساد والنأى عما أراد الله وعما تدل عليه اللغة التي نزل بها القرآن فحرفوا الآيات الأمرة بتوحيد الله وعبادته وإفراده بالدعاء والرجاء والألوهية تحريفاً سوف يرى القارىء منه ضرورياً متنوعة في هذا الكتاب وكذلك حرفوا آيات الصفات أشنع التحريف كما يجد القارىء ضرورياً من ذلك في هذا الكتاب أيضاً، حتى زعموا أنه يجوز سؤال العباد كل ما يسأل الله من المطالب العالية التي لا يقدر عليها سوى الله . فجوزوا أن يطلب العبد من الميت أن يهدي قلبه وأن يغفر ذنبه وأن يزيد في أجله وأن يرجع له غائبه وأن يدخله الجنات ونظائر ذلك . وحرفوا الآيات الزاجرة أفسى الزجر عن دعاء المخلوق ورجائه وندائه وعن التعلق به والانقطاع إليه بل لقد حرفوا القرآن كله . فان أم مسألة عنى بها القرآن هي مسألة توحيد الله وإفراده بالعبادة من النداء والدعاء والرجاء دون الأموات ومن لا يقدر على شيء من خلقه العاجزين الضعفاء . ثم لم يقفوا عند هذا الحد من التحريف الشائن المشوه حتى ذهبوا يؤولون كلام هؤلاء الداعين للأموات المنقطعين إلى الأجداث فزعموا أن قول القائل من عبدة القبور يا فلان اشفني واغفر ذنبي معناه كن لي وسيطاً وشفيعاً ، وزعموا أنهم لا ينعون ظاهراً قولهم وما يثب إلى الأذهان منه . فجمعوا بذلك بين أنواع كثيرة من الأخطاء والأوهام والتحريف الشنيع لكلام الله وكلام خلقه

فهذا الحديث إذاً أصبح كان يعني هؤلاء ونظراءهم من المحرفين المؤلفين لكلام الله وسنة رسوله الواضعين لهما في غير مواضعهما . فالحديث رد على الشيعة وإخراجهم إن كان صحيحاً

وأما أهل السنة من أهل نجد الذين يدهى الرد عليهم فانهم مستمسكون بسنة السلف وطريق الرجيل الأول من المؤمنين المعظمين لكلام الله وسنة رسوله الواقفين حيث وقفنا . وهم من أبعد الناس عن التأويل الموعج ، بل هم من أمقت

الناس لهذا التأويل ولمن يتعاملونه ويمنحون اليه . فهم لا يجيزون تأويلا واحدا لم ينقل عن السلف وعن خير القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وطلقاء الحديث والفقه والدين وأئمة الفتوى المشهورين بالعلم وبالصالح والامامة . بل هم لا يقولون قولا واحداً أو يرون رأيا واحداً لم يؤثر عن السلف لافي الأصول ولا في الفروع وهم لا يقولون في التوسل ودعاء الاموات وغير ذلك إلا بما نقل عن السلف وعن أئمة الاسلام . لا يسبقون الى رأى فى ذلك ولا يبتدعون بدعة واحدة . وهم فى تفسير كتاب الله لا يعدلون عن تفاسير السلف من الصحابة والتابعين ، ولا يرضون عن ذلك البتة ، بل يرون أن الذين يرضون عن تفسير السلف من الصحابة وأئمة الدين غاطلون مبتدعون ولا ريب ، ومن طالع كتبهم عرف لهم ذلك

وقوم هكذا يفعلون لا يمكن أن يكونوا من الذين يتأولون القرآن ويضعونه فى غير مواضعه ، الا أن يكون السلف كذلك لأنهم لهم تبع . وحاشا الله السلف عن هذا

فلا يمكن تأول هذا الحديث فيهم . ومن تأوله كذلك فقد صار هو تأويلا له . وهذا الشيى الذى أول أصحاب الخوارج وهذا الحديث فى أهل السنة من أهل نجد هو فى الحق واقع تحت تأويل هذا الحديث وغيره من الأحاديث فى هذا المقام . فانه قد تأول النصوص الواردة فى الخوارج الضالين الذين أ كفروا الصحابة والمسلمين فى أهل السنة من التجديدين المتمسكين بالوحيين وبما جاء عن السلف الصالح نفيًا وإثباتًا لا يزيدون ولا ينقصون فكان الرافضى بهذا التأويل من المؤولين الواضعين للنصوص فى غير مواضعها . لأنه تأول أحاديث الخوارج

الضلال فى أهل السنة . فما أخلفه بما فى هذا الحديث من ملامة وهجاء ١١ وما أقبح قول الباطل ، ولكن أقبح منه أن تحمل ما نيك من باطل على

البريء إلا من الحق

وأما الرواية الثالثة التي عراها إلى عبد الله بن عباس قال قول فيها إن كانت صحيحة كالقول في الروايتين قبلها ، يد أنى لا أحسبها صحيحة عن ابن عباس فإن ظاهرهما بعيد عن الحق . وذلك أنه يقول إن آيات القرآن نزلت في المشركين وأهل الكتاب إطلاقاً . وليس من الحق ولا مما يشابه الحق الزعم أن آيات القرآن كلها نزلت في المشركين وأهل الكتاب ، بل هذا الزعم خلاف الحق وخلاف الإجماع والمعلوم بالبداية . ومن الأمراء الذي لا يقبل الادعاء أن القرآن قد نزل في المشركين وأهل الكتاب خاصة . وإذا ما كان قد نزل في المشركين وأهل الكتاب خاصة وكان كل ما نزل في المشركين وأهل الكتاب لا يجوز الاحتجاج به على أعمال المسلمين وأقوالهم ، فبماذا يحتج على أعمال المسلمين وعقائدهم ، ومعرفة الصحيح والباطل منها ، فبماذا يعرف المسلمون عقائدهم ودينهم وما يصح من ذلك وما لا يصح إذا ما كان القرآن قد نزل في المشركين الكافرين خاصة ؟ أنه لا مرجع حينئذ لعقائد أهل الإسلام ولما يجمل من الآراء وما لا يجمل . وهذا عين الانسلاخ والتصل من الدين جملة

ثم قال الرافضو : « حادى عشر - كما أن الخوارج سيأثم التحليق والتسبيد كما جاء في الأخبار الكثيرة ، ومن الموجه أو المعلوم انطباق تلك الأخبار على الوهابية أو عليهم وعلى الخوارج ، وفي خلاصة الكلام أن التابعين لمحمد بن عبد الوهاب كانوا يأمرؤن من اتبعهم بخلق رأسه ولا يتركون من اتبعهم ينارقه حتى يخلقوا رأسه ، وكان عبد الرحمن الأدهل يقول لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب ويكفى في الرد عليه قوله عليه السلام في الخوارج « سيأثم التحليق » فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان ابن عبد الوهاب يأمر بخلق رؤوس من اتبعه من النساء . فدخلت في دينه امرأة وجددت إسلامها بزعمه فأمر بخلق رأسها

فقلت شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل فلو أمرت بحلق لحى الرجال لساخ
أن تأمر بحلق رؤوس النساء فلم يجر جواباً . انتهى كلامه
ونحن نقول : لا ريب أن الحوارج كانوا يحلقون رؤوسهم ، ولا ريب أن النبي
الكريم ﷺ قد أخبر أن من علاماتهم وصفاتهم التحليق . فانه قال فيهم سيماهم
التحليق والتسبيد . والتسبيد قيل هو الحلق وقيل هو التشعيث . هذا لا ريب فيه
عندنا ، ولكن قول الشيعة : « ومن المرجح أو المعلوم انطباق هذه الأخبار على
الوهامية » قول فاسد مردود ، ويان ذلك أن حجته في هذا القول هي أن النجديين
فيهم من يحلقون رؤوسهم . بل أكثرهم يصنعون ذلك ، ولكن فات الشيعة النظر الى
معنى السيمى فان سيمى القوم وهي علامتهم ما به يتميزون عن غيرهم وما به يعرفون
ويختصون ، وإلا اذا كان الأمر مشتركاً بين الناس مشاعاً بين أصنافهم فليس سيمى
لطائفة ولا علامة . فان السيمى فيها معنى التسمية والعلامة فيها معنى التعلیم . فالأكل
والشرب ليسا سيمى لطائفة من الناس ، وذلك لأن الأكل والشرب أمران يشترك
فيهما الناس بل ويشاركهم فيهما الحيوان . وكذلك اللباس ليس سيمى ولا علامة
لأحد من الانسان لأنه مشاع بين أفرادهم . وكذلك الكلام والمشي وجميع الأشياء
المشتركة المشاعة وهذا ما لا ريب فيه . فالسيمى هي العلامة المميزة لصاحبها عن غيره
وهي قد تكون إضافية وقد تكون حقيقية نظراً لاختلاف الزمان والمكان والبيئة .
فالصلاة والسيام وحج البيت الحرام وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
كل هذه الأشياء سيمى للمسلمين تميزهم عن غيرهم من الأمم التي ليست مسلمة .
وذلك لأن هذه الأمور خاصة بالمسلمين لا يفعلها سواهم ، ولكن الايمان بالله أى
الاعتراف بوجوده والضرعة اليه ودعائه ليس سيمى للمسلمين ، وذلك أن هذه
الأمور يشارك المسلمين فيها غيرهم من الالهيين المقربين بالأنبياء وبالديانات لا ينفرد
بها المسلمون . وكذلك مثلاً الاقرار بالبعث والجزاء والحساب والدار الآخرة

لا يقال إن ذلك سيمى المسلمين . لأن جميع المؤمنين بالأنبياء وبالوحي الالهي يؤمنون بذلك ويعترفون به لا ينكرونه ، ولكن هذا قد يكون سيمى للمؤمنين بوجود الاله . لأن من لا يؤمن بالله لا يمكن أن يؤمن بذلك . فهو سيمى لمن آمن بالله لأنه يميزهم عن الجاحدين للملحين ، وهكذا يقال في أشباه ذلك مما لم نذكره وإذا ما علم هذا قيل إن « التحليق » لا يمكن أن يكون سيمى لأحد اليوم لأن التحليق أمر فعله أم كثيرة في أقطار كثيرة من الاقطار الاسلامية . فلا يمكن أن يكون سيمى للتجدين يقينا ، وذلك أنهم ليسوا هم وحدهم الذين يخلقون وؤوسهم . فأكثر العرب في جزيرتهم يخلقون وؤوسهم كالتجدين سواء . فالحجازيون يخلقون ، وأهل اليمن يخلقون ، وأهل عمان يخلقون ، وفي العراق من يخلقون ، وفي الشام (سوريا وفلسطين) من يخلقون ، وفي مصر من يخلقون ، وفي التجدين من يخلقون ، ومنهم من يوفرون شعورهم كما في غيرهم من يصنعون ذلك ؛ ولا فرق بين التجدين وبين غيرهم من العرب في هذه المسألة مسألة التحليق . فهم لا يتميزون عن أهل اليمن أو عن أهل الحجاز أو عن أهل عمان أو عن أهل البحرين والكويت والعراق والشام بذلك . فلا يمكن أن يكون مظهر ذلك علامة لأحد هؤلاء للتجدين ولا لغيرهم من أهل هذه البلاد . فكل هؤلاء فيهم من يخلقون ، وفيهم من يقصرون ، وفيهم من يوفرون ويطلقون هؤلاء يوجدون في نجد كما يوجدون في هذه الاقطار أيضا ، ولهذا لا يمكن أن يكون خلق الرأس علامة لأهل قطر من هذه الاقطار ولا لأهل مذهب من هذه المذاهب . فن رأى مخلوق الرأس لم يمكن أن يستدل بهذا على بلده وقطره أو عقيدته ومذهبه ، وكذلك من رأى من يوفرون شعره ومن يقصره لم يمكن أن يستدل بذلك على قطره وبلده أو عقيدته ومذهبه . فاذا مارأيت من خلق شعر رأسه واستأصله فلن تحكم لأجل هذا بأن هذا الخالق المستأصل نجدى ، وإذا رأيت

من وفر شعره وبالع في توفيره قلن تستطيع أن تحكم عليه بأنه غير نجدى بمجرد توفيره شعره . بل أمكن أن يكون ذلك نجديا وأمكن أن يكون غير نجدى وكذلك الخالق يمكن أن يكون نجديا ويمكن أن يكون غيره ، وهذا لا ريب فيه ، وهذا لأن خلق الرأس ليس من خصائص النجديين ولأن توفيره ليس من خصائص غيرهم . فالخلق ليس سمي لم يقينا والتوفير والاعفاء ليس سمي لغيرهم بلا شك . بل هما أمران مشتركان موجودان في النجديين وفي غيرهم

وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن البتة أن يعد خلق الرأس سمي لأهل نجد ، لأنه كما ذكرنا شائع فيهم وفي غيرهم . وذلك كما أنه لا يمكن أن يكون لبس (العقال) أو العباءة سمي لهم ، لأن غيرهم من العرب يلبسون ذلك . وكذلك مثلا اعفاء شعر الوجه لا يمكن أن يكون سمي للنجديين ولا لغيرهم من المسلمين وغير المسلمين . لأن ذلك كله فعله خلق كثيرون في بلاد العرب وفي غيرها من العرب وغير العرب من المسلمين وغير المسلمين كخلق الرأس ولا فرق . والخير القائل في الطائفة الضالة « سيام التحليق » لا يمكن أن يعنى بهذه السمي أمرا عاما مشتركا يوجد في الطائفة المذمومة وفي غيرها . وإنما يعنى سمي خاصة مميزة فارقة لا توجد إلا في الطائفة وحدها في عصرها الكائنة فيه . وإلا إذا كان يعنى أمرا يوجد في الطائفة وفي غيرها وفي مخالفيها الذين يقاتلونهم ويظفرون بها ويثابون على قتالها فكيف يكون سمي لها وعلامة عليها . والسمي كما ذكرنا هي الخاصة الفارقة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون خاصا بالطائفة المشار إليها ، كما أن مجرد الصلاة والصيام والقيام بفرائض الاسلام لا يمكن أن يعد علامة على الخوارج . لأن هذه الأمور يؤديها جميع المسلمين ليست من فرائض الخوارج . ومن عده هذه العبادات سمي للخوارج أو لطائفة خاصة من طوائف أهل الاسلام فقد غلط

غلطاً ظاهراً للخاصة والعامة

فالسبب المذكور في الحديث لابد أن تكون خاصة بأهلها وبالطائفة المقصودة بالخبر وبالمذمة . وهذا واضح معلوم . وعلى هذا ليس التحليق سبباً للنجديين بالضرورة البينة ، وإذا ما قال قائل كهذا الشيى إن المعنيين بهذا الخبر هم النجديون لأنهم يخلقون شعورهم قيل له ولماذا لا يكون به غير النجديين من الخالقين شعورهم أو قيل له على سبيل البت إن المعنيين به قوم كذا ممن يخلقون . وإذا قال إن هذا الحديث يدل على مذمة النجديين لأنهم يشاركون الخوارج في التحليق قيل له إذن هو دليل على مذمة جميع العرب وجميع المسلمين الذين يخلقون . حينئذ لا يكون الذم متوجهاً إلى هذه العقيدة التي تنكرها وتأبأها . لأن الذم قد انطلق حينئذ إلى من لا يدينون بهذه العقيدة السلفية ممن يخلقون شعورهم من المسلمين سوى النجديين . وإذا كان هذا الذم منطلقاً إلى أصحاب هذه العقيدة السلفية وإلى خصومها ومن لا ينعمون بها عينا لم يكن ذكر هذه المذمة في النقص على أصحاب هذه العقيدة حقاً ولا صواباً ولم يكن جعلها من الأدلة على فساد هذه العقيدة إنصافاً ولا عدلاً ، ولم يكن في هذا دلالة لا قرينة ولا ضئيلة على ذم هذا المذهب وضعفه وبطلانه . وإذا كان المخالف يريد أن هناك ذنباً يشترك فيه النجديون وغيرهم من الناس لا يتعلق بالدعوة السلفية بل بشيء آخر ، إذا كان المخالف يريد هذا وكان ما ذكر هنا لا يثبت غيره قيل له : نحن لا نتعرض في كتابنا هذا إلا لإبطال المقالة التي توجه إلى هذه الدعوة وأصحابها خاصة . وأما من قدح في المسلمين كافة فهذا له مقام آخر . وإذا قال هذا المخالف إن هذا يدل على أن الوهابيين من الخوارج لأنهم يوافقونهم في خلق الشر قيل له إذن المخالفون للوهابيين الذين يخلقون شعورهم من الخوارج أيضاً . وإذا كان الوهابيون والمخالفون لهم خوارج فالسؤالون كلهم خوارج . وهذا

محال باطل لا يقال

هذا ، وما هنا شيء آخر في المسألة . وهو أن النجديين كانوا قبل هذه الدعوة وبمدها يخلقون ويعفون ، وكان الذين قبلوها في أول أمرها والذين ردوها وحاربوها يخلقون ويعفون أيضاً ، لا ينفرد أصدقاء الدعوة بذلك دون خصومها ، ولا يختص خصومها بشيء منه أيضاً . ولا يمتاز أحد الحزبين عن الآخر لا بهذا ولا بهذا . . فليس أصدقاء الدعوة يخلقون خاصة ولا خصومها يعفون خاصة ، ولم يكن النجديون قبل ظهور هذه الدعوة يعفون شعورهم ثم صاروا بعد ظهورها يخلقون ، ولم يحدث في هذا تغيير في الحالتين ولا في الطائفتين ، ولم يكن هذا مقارنة الدعوة ولا ضده مقارنة ضدها . وهذا لا ريب فيه . وإذا كان هذا الأمر موجوداً فاشياً في النجديين قبل الدعوة وبمدها ، وكان هذا الأمر بعد ظهور الدعوة كما كان قبل ظهورها ، وكان خصوم الدعوة في ذلك مثل أصدقائها وكان أصدقائها مثل خصومها ، أعني أنهم يخلقون ويعفون ويقصرون ، يفعلون هذا وهذا وهذا في الحالتين والزمنين . إذا كان هذا كله صحيحاً - وهو صحيح - فكيف يكون دليلاً على ذم الدعوة وبطلانها ، ولا يكون دليلاً على ذم ما خالفها وبطلانها ، وكيف يكون فيمن قبل الدعوة ذماً ولا يكون فيمن ردها كذلك ؟ أم كيف يكون قدسها في النجديين بعد ظهور هذه الدعوة ولا يكون قدسها فيهم قبلها ؟ ولا ريب أنه إن لم يكن ذنباً في خصوم الدعوة وقدسها في البلاد قبل ظهورها . فلن يكون كذلك في أصدقاء الدعوة وفي بلادها بعد ظهورها . وإن كان ذنباً لأصدقائها فلا بد أن يكون كذلك لخصومها ، وإن كان قدسها في البلاد بعد انتشار الدعوة فيها فلا بد أن يكون كذلك قبلها . وهذه أوليات واضحة جلية . ولكن المخالفين لا يرضون هذا ولا يقبلونه . وهو يدل دلالة جلية ظاهرة على غلط هؤلاء المخالفين وعلى غلط هذا الشيعي المتعصب

فما ذكره هنا لن يمدد قصصا وعييا في هذه العقيدة إلا أصحاب الأهواء الجائرة
هذا الذى ذكرناه خاص بالرجال . أما النساء فما كن يحلقن شعورهن فى
تلك البلاد ألبتة ، بل مازلن الى اليوم يوفرن الشعور ويرغبن فى توفيرها
وكثافتها وطولها وهن يفخرن بذلك . وما ذكره هذا الشيعى عن الشيخ دحلان
من أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه كانوا يأمرون النساء بحلق شعورهن
هو كذب صريح وبهتان لا شبهة لصاحبه فيه ، فما يوجد فى نجد امرأة واحدة
تحلق شعرها لا اليوم ولا قبل اليوم الا أن يكون ذلك لمرض ألم يدعو اليه
وجوبا ، ولا يوجد فى النجديين رجل واحد يأمر نساءه بأن يحلقن شعورهن
لا اليوم ولا قبل اليوم ، وهم لا يشكون فى إثم من يأمر بذلك ويحث عليه ، فهذا
الذى ذكره هنا والذى ذكره من حكاية المرأة للمعرضة على الشيخ محمد كذب
قبيح ، وهذا الكذب الجرى . يكفى والله العاقل دليلا على بطلان أمر هؤلاء
المعرضين وفساد ما يدعون اليه وما يحاولون الانتصار له . فان الكذب لا يلجأ اليه
إلا أهل الباطل والكذب ، وأما أهل الحق فهم لا يحتاجون الى ذلك فى نصرة
حقهم وعقيدتهم ودينهم . بل هم يجدون فى الحق الذى معهم مقسما ومقنعا يغنيهم
عن الرجوع الى اختلاق الأكاذيب ، ولا يفترون الكذب الا من فى قلوبهم مرض
ودغل مر قبيح ، ولهذا كانت النبوة مقارنة للصدق وكان الصدق مقارنا للنبوة
لا يفترقان ، وكانت النبوات مقارنة للكذب وكان الكذب مقارنا لها لا يفترقان
أبدا ، وكان النبي أصدق الصادقين ، وكان المنتهى أ كذب الكاذبين ، وبرهان
النبوة الواضح هو الصدق ، وبرهان النبوة الكاذب هو الكذب : فالحق قرين
الصدق والصدق قرين الحق لا يفترقان . والكذب قرين الباطل والباطل قرين
الكذب لا يفترقان . وهذا الذى ذكره هذا الشيعى كذب صريح ، وكذلك
قوله : انهم كانوا يأمرن أتباعهم بأن يحلقوا شعورهم قبل أن يفارقهم كذب أيضا

وعند الله جزاء الكاذبين المفترين

والقول الذى نقله عن عبد الرحمن الأدهل وهو قوله انه لم يفعله - أي خلق الرأس - أحد من المبتدعة قول يبطله ما نقله الشيعة نفسه من أن الخوارج كانوا يفعلونه ، وما أنخلق أهل الباطل بالتناقض والهموى ، وما أبعدهم عن الحق والهدى ، وإلى الله يرجع الجيم الأوائل والأواخر ، وإلى الأياب والحساب ثم الثواب والعقاب . يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً

ثم قال الرافضى : « ثانى عشر - كما أن الخوارج يقتلون أهل الاسلام ؛ ويدعون أهل الأوثان كما أخبر النبي كذلك الوهايون يقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان . ولم يقتل منهم أنهم حاربوا أحدا سوى المسلمين أو قتلوا أحدا من أهل الأوثان . وفي قتلهم أهل الطائف أولا وآخرا بلا ذنب وقتلهم أهل كربلاء سنة ١٢١٦ وغزوم بلاد الاسلام المجاورة لهم كالعراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وغيرهم ، وقتل من غفروا به من المسلمين . وقتلهم نحو ألف رجل من اليمنيين جاءوا للحج بيت الله الحرام سنة ١٣٤٠ وعدم غزوم لأهل الأوثان . وقد امتلأت الأرض الحاددا وكفرا ، وتوجيه بأسهم وحربهم كله إلى المسلمين خاصة بعد ما ضعفت قواهم واستعمرت بلادهم وصار الاسلام غريباً في وطنه أقوى شاهد على ذلك »

اتمى كلام الرافضى

قلت : وهذا قائم على خطئه القديم وهو زعمه أن الوهايين يستحلون قتال المسلمين ، ويستحلون أموالهم ودماءهم . وقد ذكرنا مرات ومرات أن هذا كذب مشهور ، فالوهايون لا يستحلون قتال أحد من المسلمين ، بل هم لا يختلفون أن قتل المسلم من أكبر الذنوب التى تهن بالشرك والكفر بالله . وذلك لأنهم سلفيون

عقيدة وعملا وقولا لا يختلفون على السلف ولا يطلبون سوى التهج مناجهم . ولو فرض أنهم أو أن طائفة منهم كفروا طائفة من المسلمين أو قاتلهم ، أو شكوا في أيمانهم لم يكن ذلك لأن من مذهبهم الكفار المسلمين وقتلهم كلا ، وإنما يكون هذا لو وقع من الأغلاط التي يقع فيها بعض الجماعات وبعض الأفراد . وأغلاط الأفراد والجماعات ليست معدودة يقينا مذهبيا للطائفة التي ينتمون إليها . ومثل هذا مثلا أن ينلظ بعض علماء الشافعية أو الحنابلة أو الحنفية ، أو غير هؤلاء ، فيكفرون بعض المسلمين لاعتقادهم أنهم كفروا وأنهم قد جاءوا بما يستوجب الكفر . فإذا ما وقع مثل هذا وهو يقع كثيرا في كل زمان ومكان لم يقل أن أهل المذهب الذي ينتمى إليه هذا العالم الذي غلط فاكفر غير الكافر يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم . وكذلك إذا ما قاتل ملك أو أمير أو قائد يعزى إلى مذهب من المذاهب الأربعة أو غيرها طائفة من المسلمين أو ملكا من ملوك المسلمين أو غزا بلادا من بلاد المسلمين لأسباب صحيحة أو باطلة لم يدل مثل هذا على أن أهل مذهب ذلك الملك أو الأمير أو القائد يستحلون قتال المسلمين ويبيحون دماءهم وأموالهم ، كلا ، كلا . أن مثل هذا لن يكون ، ومن قال به وذهب إليه فهو من الضالين الآميين . ولو صح مثل هذا لقل أن جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الإسلامية يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم وذلك لأنه ما من مذهب من المذاهب المشهورة الظاهرة في الإسلام الا وقد قاتل بعض رجاله وبعض المحسوين عليه قوما مسلمين ، وغزوا بلادا إسلامية لأسباب قد تكون صحيحة ، وقد تكون فاسدة ، وقد تكون مبيحة ذلك القتال ، وقد لا تكون مبيحة ، وما من مذهب من هذه المذاهب الا وقد أ كفر بعض رجاله وبعض المحسوين عليه قوما من المسلمين وقوما ليسوا بكافرين لشبهة قامت لديهم حسبوها موجبة الكفر والقبح وقد يظهر لهم بعد ذلك أنهم ظالمون ومضطرون . ثم قد يرجعون عن ذلك

وقد يصرون عليه لأنه لم يظهر لهم غلطهم . وقد يخالف في هذا بعض رجال المذاهب الأخرى ، وقد ينازعونهم ويجادلونهم ، هذا ما يقع كثيرا في كل زمان وفي كل دولة وفي كل مذهب وفي كل أمة ومن جعل مثل هذه الأعمال الفردية التي يأتيناها الأحيان بعض الأفراد والجماعات مذهبا عاما وعقيدة عامة لتلك الطائفة التي كان أولئك من أفرادها ومن علمائها أو جهالها ، فقد أخطأ خطأ لا أغنه يعذر عليه ولا يسلم من تبعته ومعاقبته

ومثل هذا لو وقع من بعض الوهابيين ونحن نفترض هذا افتراضا استكفارا أحد من المسلمين أو مقاتلته أو القدح في دينه وعقيدته ومذهبه : إذا وقع مثل هذا لم يكن دليلا ولا شبه دليل على أن الوهابيين يبيحون قتال المسلمين ويكفرونهم ويقدمون في عقائدهم ومذاهبهم يقينا . ومن ذهب هذا المذهب وأبى إلا إياه فقد لزمه أن يقول ان جميع المسلمين وجميع أهل المذاهب الإسلامية يبيحون قتال أهل الإسلام ويستحلون قتالهم وا كفارهم والقدح في عقائدهم وأديانهم ومذاهبهم على النحو الذي ذكرناه . وهذا عين الضلال وهذا عين القدح في المسلمين عامة

والمذهب بل والدين كله يؤخذ من قواعده وآساسه وأصوله العامة الثابتة التي يرجع إليها حين الاختلاف والنزاع ، والتي رضى بها رجال المذهب أو الدين كلهم بلا خلاف بينهم إلا أن يكون شاذاً مردوداً . أما أن يؤخذ المذهب أو الدين ويحكم عليه بما يعله بعض أفراد أو بعض جماعاته أحيانا إما غلطاً وإما صواباً فليس ذلك من الحق في شيء ، وليس هذا فعل أهل الانصاف والعدل . بل هذا هو فعل أهل الأهواء . وأصول للمذهب الوهابي هي أصول مذهب السلف الصالح والرجل الأول من الأصحاب والتابعين والفقهاء والمحدثين وأصول مذاهب الأئمة الأربعة ، ومن هذه الأصول المرجوع إليها أنهم لا يكفرون مسلماً بذنوبها . كان الذنب جايلاً ، وأنهم لا يستحلون دماء المسلمين . بل وأنهم يرون قتال

للمسلمين واستحلال دمايتهم وأموالهم من أعظم العظائم وأغشها عند الله وفي دين الله وأنهم يلتزمون الآيات والأحاديث في تحريم دماء أهل الاسلام وتحريم أموالهم والقدر فيهم والايذاء لهم وأنهم يبرؤون الى الله ممن لا يلتزمون ذلك ومن لا يقفون عنده فنياً وإثباتاً . بل ومن أصول المرجوع اليها أنهم يتولون المسلمين كافة ويحبونهم كافة ، ويفضون لهم ويغارون لهم كافة ، ويدعون لهم الخير كافة ، ويحبون المسلم البعيد الوطن أكثر من حبيب القريب النسب والوطن ممن ليس مسلماً ولا عابثاً بالاسلام . هذه الأمور من أصول هذا المذهب لا يتنازعون فيها ولا يختلفون ، وهذا ما يذكرونه في جميع كتبهم المشهورة المقروءة للعلامة للخاص والعام ، وهذا هو ما يجب أن يؤخذ به المذهب وما يجب أن يثبت عليه أوله وكل ما سواه يجب أن يرد اليه . فهو الأصل والمرجع الاطى ، وهذا الأصل يتقبله جميع أهل السنة والجماعة لا ينكره منهم أحد

هذا ما يقال إجمالاً عما يدعيه هذا الشيعى من أن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم ، وأن أهل القبلة جميعاً كفار مارقون من الاسلام والملة عندهم

وأما قوله إنه لم ينقل عن الوهابيين أنهم حاربوا أحداً سوى المسلمين أو قتلوا أحداً من أهل الأوثان فيقال في جوابه : إن كان يريد بغير المسلمين وبأهل الأوثان الذين لم يحاربهم الوهابيون ولم يقتلهم هم من لا يؤمنون بأصل الاسلام ولا بالرسالة المحمدية من اليهود والنصارى والمجوس وإخوان هؤلاء . فصحيح أن السلفيين الذين قاموا في نجد منذ مائتى عام وتقبلوا إرشاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الصحيحة للرجوع بالناس الى الاسلام قبل أن يصاب بالاخلط والاحداث فهضوا نهضتهم المعروفة الفتية الملتبة التي قلبت الأحوال والأحكام في البلاد النجدية وفي الجزيرة العربية ، فاجتمعوا على إمام واحد بعد أن كان لكل بيت

امام ، وعلى عقيدة واحدة بعد أن كان لكل واحد منهم عقيدة ، وقاموا بفروض الاسلام كاملة تامة باخلاص ووفاء ومحافضة وتحمى : ان كان هذا الشيى يريد أن هؤلاء السلفيين لم يقاتلوا اليهود والنصارى والمجوس ومن لا يدينون بأصل الاسلام وبالنبوة المحمدية ، فمن نسل له أن هذا صحيح وأنه حق لاشك فيه . ولكن هل يرى أنهم مؤخذون بهذا وأنهم مقصرون ؛ وأنهم لم يقوموا بالواجب ؟ إن كان يريد هذا فقد أبعد والله المرمى . فهل يريد منهم أن يقاتلوا إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وأن يجتازوا البحار والقفار والليل والنهار ليقاتلوا الوثنيين فى اليابان وفى الصين وفى طرفى الارض الشرق والغرب ؟ أفيريد منهم هذا وهو يمتدح فى كتابه بأن الأتراك والأشراف والمضريين قد اجتمعوا على حربهم ومناوأتهم والتضييق عليهم فى دارهم وفى كل مكان ، وتماثلوا على غزوهم فى بلادهم مرات ، وأنهم مازالوا يحاربونهم ويعشون الأجساد والجيوش الكثيفة الجراءة لاستئصالهم والقضاء عليهم ، وأنهم مازالوا يوقعون بهم الخسائر الفادحة فى الرجال والأموال ويدقون قوتهم وينتقصونها من جميع أطرافها . مازالوا كذلك وما زالوا حراماً عليهم حتى قهروهم واحتلوا ديارهم وخربوا عاصمتهم وأخذوا أميرهم وأسره أسرى ثم قتلوه صبراً فى بلاد الخلافة ، أفيريد منهم أن يركبوا الى هذه الأمم فيصلوا اليها فى ديارها لينزوها وينازلوها وهو يذكر فى كتابه أن شريف مكة غزا النجديين فى بلادهم فى مدة خمسة عشر عاماً أكثر من خمسين غزوة حينما كانوا ضعافاً حديثى العهد بالوجود والظهور ، وفى عصر لم يكونوا قد ملأوا شعثهم ولا جمعوا كرامتهم فيه وفى وقت لم يصبروا القوة الرهوبة التى بها يستطيعون مصادمة الباغين ومقارعتهم ، إن كان يريد منهم هذا فالرجل فى حاجة الى أن يخلق له عقل آخر ليفكر به ولينظر ويمجادل وليكتب به على الوهايين كتاباً ينقد به عقائدهم وأعمالهم ويهجم به رجالهم وشيوخهم وكتبهم ويؤلف به الشبهات

والأوهام على عبادة الاجداث

ليفرض هذا الشيعى أن النجدين أرادوا غزو هذه الأمم وحربها بعد أن يفرض استعدادهم التام لذلك . أفيرى أن أولئك المسلمين الذين غزوم في بلادهم يتركون لهم السبيل الى وجوههم ويدعونهم يصلون الى هذه الغاية ؟ ألا يرى أن هؤلاء الذين قاتلوم في أحشاء بلادهم سوف يقاتلونهم حينئذ ، وسوف يكونون لهم الخصوم اللد ؟ اذا كان يعترف بأن الاتراك والاشراف وغيرهم لم يدعومهم يجمعون ويقرون ويعملون بالشريعة الاسلامية الصحيحة ، ولم يدعومهم يهدؤن يوما بل مازالوا يترصبون بهم الدوائر وينتظرون بهم الاندحار ، واذا كان يعترف بأن هذه القوى العديدة الممنوعة ما زالت تناوئهم وما زالت تغرى بهم وتقاتلهم وكان يعترف بأن قوتهم المادية لم تكن كفتا يوما لمنازلة هذه القوى المادية الفاشية فما له يريد منهم المحال . فيريد منهم أن يسافروا الى أقصى الشرق وأقصى الغرب لينغزوا الوثنية والنصرانية لئلا يكونوا عنده من الخوارج المارقين ؟ ولعمرو الله ماهذا بمنطق يزى به وتتكلف فقرات طبعه ونشره

وليس من الذنب والخطيئة في السلم أن يكون عاجزاً عجز مادة ومشغولاً بنفسه وحاله عن مناهضة أعدى أعدائه وألد أخصامه ، وليس من الذنب له والخطيئة أن يمتدى عليه من هم أقرب اليه ممن يراد منه أن يمتدى عليهم من الخصوم ، وليس من الذنب للنجدين أن يجتمع على اضعافهم ووقف حركتهم وتقدمهم قوى متكاثرة تغرق قوامهم وما يمتلكونه من ذلك : ليس في هذا عيب البتة

وإذا شئنا تقرب هذه المسألة لهذا المخالف العنيد قلنا له هذا على بن أبى طالب أفضل البشر عندكم - وهو المصنوم الذى لا يفعل ولا يقول سوى الحق - قد قضى مدة خلافته كلها في حرب المسلمين وقتالهم والاستعداد لمناجرتهم . وما

امتشق في خلافته كلها حساما على أحد من الكفار والمشركين ، ولا على أحد من اليهود والنصارى والمجوس . فحارب معاوية بن أبي سفيان ومن معه من المسلمين والصحابة ، وحارب عائشة وطلحة والزبير ومن معهم من المسلمين ، وحارب الخوارج وأنت تعترف أن عليا ما كان يكفر الخوارج وما كان يراهم قد خرجوا من نطاق الاسلام : فمات على هؤلاء كلهم الحسام ، ولم يعاطه جيشا من جيوش الكفر في مدة خلافته كلها . أتقول إنه كان ممن يقاتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان ؟ إن قلت إنه كان مدفوعا إلى ذلك دفعا وأنه كان يقاتل هؤلاء بحق لأنهم هم الباغون عليه الخارجون ، وإن قتالهم كان واجبا فرضا لخروجهم على الامام الحق المنصوص عليه ، ومحاولتهم اغتصاب حقه الواجب المفروض ، وقلت إنه كان مشغولا بذلك عن قتال الكفار والمشركين فلم تواته فرصة حربهم في مدة خلافته كلها . إذا قلت هذا قلنا لك : وهذا هو جوابنا عن النجديين ولا ريب . فانهم كانوا المبتوثين في هذه الحروب كلها . وإذا كان الامام على رضى الله عنه لم يحارب المشركين في خلافته كلها وكان مشغولا عن ذلك بحرب المسلمين ، وكنت واجدا له رضى الله عنه معذرة وحجة تخلصه من الذنب واللام ، وهذا مالا شك فيه عندكم ، فالك قطع بانه لا عنر للنجديين في حروبهم ، بل قطع أنهم بذلك ضالون مستوجبون المؤاخظة والعقوبة ، وأنهم به خوارج أو كالخوارج . ولعل الحصول على العذر للوهابيين في هذه المسألة اقرب من الحصول على العذر للامام على . وذلك أن عليا كان لديه من العدد الحربية وعدد الجيوش أعظم مما عند النجديين بأضعاف مضاعفة ، وكان سبيل غزو الكفار والمشركين أيسر وأقرب على علي وأجناده منه على النجديين ، ولم يكن في طريق علي - إذا ما أراد غزو الكفر والشرك - ما في طريق النجديين من المخاطر والعقبات والموانع إذا ما أرادوا ذلك . ولكن الامام عليا كان لدى الشيعة معذورا

كل العذر ، فلماذا لا يهتد هؤلاء القوم النجدين اذا ما تركوا ماتركه الامام
على ، بل ان عجزوا عما عجز عنه على رضى الله عنه وهو الخليفة المصوم
عندكم المؤيد من الله العالم بما كان وبما يكون ، وهو البطل الفرد الذي
لا يسامى ولا يجارى

هذا ولعل لهذا الشيعى من من الشيعة والمشيحين قاتل الكفار والمشركين
وغزاهم في ديارهم . ومن من الشيعة والمشيحين من أصحاب السلطة وان ضئيلة
حزيرة لم يحاربوا المسلمين ويشبوا عليهم السيوف ويسفكوا دماءهم ويهيجوا
أموالهم بكل الطرق الممكنة ؟ ليدلنا على من شاء من الشيعة لم يفعلوا ذلك ولم
يركوا ذلك ؟ من منهم لم يحاربوا المسلمين ويقاتلوهم ؟ ومن منهم لم يدعوا
الكفار والمشركين بل ويهيجوا الكفار بلاد المسلمين عن رضى وطواعية

هذا التاريخ ليحتل نواحيه وليفص في أحشائه ، وليخرج لنا منه قصة
واحد يخالف ما قول وتكذبه . إن أشهر سلطان كان للشيعة هو سلطان الفاطميين
الذين قامت لهم دولة كبيرة مرهوبة حيناً من الزمان في مصر والشام . فهل يعرف
هذا الشيعى كيف نشأت هذه الدولة ، وكيف قامت ، وكيف ظهرت ، وكيف
انتصرت ، وكيف كانت ؟ إنها لم تظهر ولم تنصر ولم تكن ولم تقم الا على أشلاء
المسلمين وعلى بحار من دمائهم وعلى الكيد للخلافة الاسلامية ، والغارات عليها
ومناوأتها تارات بالنفاق والدس وتارات بالحرب والضرب وامتشاق الحسام على
الرقاب المسلمة المؤمنة ، هذا هو ما قامت به هذه الدولة الشيعية إزاء المسلمين
وإزاء الخلافة الاسلامية . ولكن ماذا فعلت بالكفار والمشركين في ابان سلطانها
وعنفوانها ؟ وما كان موقفها من الصليبيين للغيرين على الاسلام وعلى الممالك
الاسلامية ؟ وماذا افتتحت من بلاد الشرك والكفر ؟ ليفكر هو ولينظر بماذا يجب
وماذا يكون جوابه ، ثم يجب ان استطاع ونحن نذكره بأقرب من هذا . وذلك أن

نقول له هاتان دولتا الشيعة القائماتان اليوم احدهما في إيران والاخرى في اليمن هل يستطيع أن يقول لنا انهما غزتا الكفار والمشركين ، وانهما حاربتا دولة من دول الكفر والشرك ، وقد اعتدى على هاتين الدولتين الكفار ولا يزالون يمتدون واغتصبوا أجزاء معلومة من مملكتيهما ظلماً وعدواناً ، ولا يزالون يحاولون المزيد من هذا النصيب . فإذا فعلتا هاتان الدولتان الشيعيتان إزاء هؤلاء الظالمين ؟ وهل فتحت هاتان الدولتان شبراً من أرض الكفر والشرك ؟ هذا ما يطالب هو بمجوابه . ثم هل يعلم أن هاتين الدولتين قد حاربتا المسلمين كثيراً وسفكتا دماء مسلمة غزيرة في عصور مختلفة . ليدعنا نرث الأستار على هذا كله ونضرب منه صفحاً ، فالتا لا تتعشق هذه الذكري ولا هذا الغرام . وما ذكرناه إلا ضرورة وجزء بجزء

ومن الحقائق التي لا ريب فيها أن الشيعة ما زال هواها وحبا منصبا مندفعاً جهة خصوم الاسلام وهدامه في كل المصور . ويتجلى هذا حين نكبات الاسلام ومحن المسلمين . وقد ذكر علامة العراق المرحوم محمود شكرى الألوسى أن أهل إيران الشيعيين قد زينوا بلادهم وحوانيتهم فرحاً وسروراً يوم أن انتصر الروس على المسلمين وعلى الدولة العثمانية ، وعدوا ذلك اليوم عيداً . وروى الحافظ الذهبي أن أبا القاسم بن عبيد الله الفاطمى أمر بلعن الأنبياء وأطلق منادياً ينادى بلعن الفار ومن لا ذ بالفار يعنى النبی وصاحبه أبا بكر ، وأنه هو الذى أغرى أبا طاهر القرمطى بغزو مكة وبهتريق الكعبة واقتهاب الحجر الأسود وقتل الحبيب . وقد كانت الشيعة عوناً لقتار الذين غزوا الاسلام والممالك الاسلامية حتى دخلوا دار الخلافة وقتلوا الخليفة بمعونة النصير الطومى الامماعلى ومكيدة ابن الطمى الشيعى وزير المستعصم . وهكذا كانت الشيعة في كل الأوقات اعوانا للكفار والمشركين على الاسلام والمسلمين ، لا يدخرون وسعاً من الايقاع بالاسلام

وأهلهم ، ولا يجمعون عن نصرته الكفار والضلال بنية إذلال المسلمين وتحطيم أهل السنة ، ولا عجب في هذا فانهم يستحلون قتال الخلفاء الراشدين أمثال أبي بكر وعمر فضلا عن دونهم من أهل السنة ، ويزعمون أن المسلمين قد اتفقوا على قتل الخليفة عثمان وأن خيار الصحابة كانوا يرون وجوب قتله والخروج عليه ، ويزعمون أن عليا كان من الخارجين عليه المشيرين بقتله الراضين به ، ويزعمون أن قتله كان واجبا ، وأن الخروج عليه كان واجبا ، وأن انتزاع الخلافة والأمر منه كان واجبا ويزعمون لأجل هذا أن قتلته الأئمة محزون عند الله خيرا ، وأنهم ما فعلوا إلا الحق والواجب

وكذلك يرون أن الخروج على أبي بكر وعمر كان واجبا وأن قتلهم كان واجبا ، وأن من خرج عليهما وقتلهم كان عند الله مشكورا مجزيا ولهذا فان طوائف منهم يمتدحون أبا لؤلؤة الغلام المجوسى القاتل لعمر ويدعون لهذا الغلام ويرجون له المغفرة والثواب جزاء فعلته هذه . ولهذا تذكر كتب الشيعة أن المنتظر اذا ما ظهر هدم مساجد المسلمين وهدم مسجد المدينة ، وهدم حجرة النبي ونش قبر صاحبه وأخرجها وما حيان طريان ثم صليهما على خشبة وحرقهما ، لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام ومن ظلم آل على من يوم أن خلق آدم الى يوم القيامة انما صدر عنها ، فالأوزار منحة عليها راجعة اليهما

وكذلك يرون وجوب الخروج على جميع الخلفاء العباسيين والأمويين وقتالهم والحاق جميع الخطوب والأضرار بهم ، وهكذا غيرهم من الأمراء والخلفاء وهذه أمور لا خلاف فيها عند الشيعة العاتية وهذا كله هو ما تقضى به أصول الشيعة وقواعد مذهبهم . وما كان يمنع طائفة الشيعة من أن تسدى الى المسلمين الأضرار والمحن إلا العجز . ولا كان يقعد بها عن الثورة على الخلفاء والأمراء والملوك إلا العجز أيضا والخذر . ومن دين الشيعة التقية التى قد يلجأ اليها كل

انسان منهم

واذا كانوا يرون الخروج على الخلفاء كأبي بكر وعمر ويرون وجوب قتالهم وقتلهم فكيف لا يرون وجوب الخروج على جميع من جاءوا بعدهم من الملوك من أهل السنة ، وكيف لا يرون وجوب قتالهم بكل الوسائل المؤدية الى قتلهم حربا معلنة أو اغتيالاً وغدرا ؟

هذا ما نقوله أولاً . ثم نقول إن زعمه ان الوهابيين لم يقاتلوا أحداً من أهل الاوثان قائم على خطئه القديم ، وقائم على أن عبادة القبور والصالحين الاموات بالشكل الشائع اليوم بين الشيعة ومن ضاهاهم لدى قبور الصالحين وآل البيت ليس من الشرك ولا من الوثنية المصريجة الصحيحة ولا من عبادة غير الله ولا مما يمنعه الاسلام وغيره من دين الله ولا مما دلت الدلائل الصحيحة على أنه من الشرك ومن الفلأ المنهى عنه نهياً صريحاً واضحاً في آيات القرآن وفي الاحاديث الصحيحة المتواترة . ولو أنه علم أن هذا كله شرك بالله العظيم وعلم أن دعاء الاموات والاستغاثة بهم وسؤالهم جميع المطالب كما يفعله جمهور العامة والخاصة والعامة من الشيعة وكما يدعو اليه في كتابه هذا وفي غير هذا الكتاب وثنية صريحة لو علم ذلك كله لما قال ما قاله هنا ولما شك في أن النجديين قد قاتلوا الوثنية وطهروا جزيرة العرب والبلاد النجدية من هذا الشرك وهذا الفلأ القبيح الجافى الفظيع الذي لا يتنازع العقلاء اليوم في أنه من عبادة غير الله

وقد كانت بلاد العرب وكانت البلاد النجدية قبل ظهور هذه الدعوة ملأى بعبادة الأحجار والاشجار وعبادة القبور والمشايخ والصالحين ، وكان الناس يستنجدون بالقبور ويطوفون بها ويحجون اليها وينذرون وينذبحون لها ويحلفون بها ويرجونها ويخافونها ويرضون فيها كما يرضونها ، وكان طلاب الحاجات يقصدونها من كل مكان على اختلاف حاجاتهم وتكاثر طلباتهم ، فكان الفقير يأتيها مرجياً

الغنى ، والريض يأتيها مرجياً الشفاء ، والمنكوب مرجياً العافية ، والعانس مرجية الزراج ، والعاقر المقيم مرجية البنين والبنات ، والرقوب التي لا يعيش أولادها مرجية أن يعيشوا ، والحائف المطلوب مرجياً الأمن والسلامة ، وكان من أصيب بشئ غلته من الشيخ فلان لأنه قد قصر في حقّه وأعرض عن برّه فلم يهد إليه ولم ينذر له ولم يقدم له شئاً ولا وقوداً . فبادر الى الشيخ طالباً الصفح والغفران مقدماً اليه وإلى حجابهِ وسدنته ما يستطيعه وما لا يستطيعه من الهدايا والتذورات ومن الضراعة والمسكنة مقدماً اليه قلبه وجسمه ، وكان من أصيب بخير غل ذلك الخير قد جاءه من الشيخ فلان لأنه عنه راض وبه معجب ومعنى لأنه اليه لجأ ورجع وبه تعلق ولاذ وله أهدى ونذر وله رعى ودعا فجذفى برّ ذلك الشيخ ورحجابه وسدنته وجعل له من وقته ومن قلبه ومن لسانه ومن ماله ومن ذريته نصيباً موفوراً وسهماً وفيراً . فعاش بين الناس وبين أهله بجسمه ، وأما قلبه فلذلك الشيخ صاحب ما يتقلب هو وأهله فيه من خير ونعمة . فان ذكر الله ذكر الشيخ ، وان ذكر ما هو فيه من نعمة ذكر الشيخ ، وان ذكر السلامة ذكر الشيخ ، وان رأى مصاباً ذكر الشيخ ، وان رأى معافى ذكر الشيخ ، وان نام ذكر الشيخ وان استيقظ ذكر الشيخ ، وان حلف حلف بالشيخ ، فعند كل شئ يذكر الشيخ ، وفي كل وقت يهتف باسمه وكل ما فيه من خير ومعنى هو للشيخ وإلى الشيخ منسوب . وما كان هذا نصيباً للمشايخ وحدهم ، ولا كان الناس للمشايخ فقط ، ولعل من ملاحجار والاشجار والابواب أكثر وأمن ممن ملاحجار والاشجار والاولياء ، ولعل نصيب الشجيرات للزورة المعظمة ، والاحجار للزورة المعظمة من ذلك لا يقل عن نصيب الاشياخ والاولياء

هذا بعض ما كان هناك قبل هذه الدعوة ، وهذا ما كان في كل مكان من بلاد العرب وغيرها من البلدان الاسلامية ، وهذا ما حاربته التجديون وما طهروا

البلاد منه حتى رجموها حنيفة اسلامية ، وهذا ان لم يكن شركاً وعبادة للاصنام
فما هو الشرك وما هي عبادة الاصنام ؟ وان لم يكن محارب هذا محارباً للشرك
والوثنية ومحارباً للاصنام والآوثان فكيف تكون محاربة الاصنام والآوثان ، ومن
هم المحاربون للوثنية والشرك ؟

إننا نقول واثقين مما نقول : ان هذه وثنية مضاعفة ، وان من حاربها فقد
حارب الوثنية ، وبراھیننا ماسوف نذكره في کتابنا وهذا ما نهضنا لاثباته ولأهـاض
الدلائل علیه ، والشیعی یزعم أن هذه الأمور كلها من الايمان بالله ومن توحيد
وعبادته ، وقوله هنا ان الوهايين لم يحاربوا الاصنام والآوثان قائم على زعمه أن
الأمور المذكورة ليست شركاً ولا عبادة لغير الله بل وليست حراماً ولا إثمًا ،
فهذا الخطأ قائم على ذلك الخطأ . ولا يصدق زعمه أن الوهايين لم يحاربوا الوثنية
حتى يصدق زعمه أن ما يصنعه الناس اليوم وقبل اليوم على جوانب الأضرحة ولدى
الاحجار والاشجار ليس وثنية ممقوتة . فزعمه هنا هو ما يسمى عند علماء الجدل
مصادرة الدصوى . فاذا عجز عن إقامة الدليل على أن هذه المخازي في احشاء
الأضرحة ولدى الاحجار والاشجار ليست شركاً بالله فقد بطل زعمه أن النجديين
لم يحاربوا الوثنية ، واذا ما أقننا البراهين نحن على أن ذلك شرك ووثنية فقد بطل
زعمه هذا . فهو لا يصدق حتى يصدق قوله إن عبادة القبور والمشايخ ليست شركاً
ولا وثنية وليس أحد قوليـه بأصدق من الآخر

وأما ما ذكر من قتلهم أهل الطائف وأهل كربلاء وغزوم العراق وشرق
الأردن . فيقال هذا القتال إما أن يكون مشروعاً وإما أن يكون غير مشروع . فان
كان مشروعاً لم يجر لومهم عليه لأنه أمر مشروع ، وان لم يكن مشروعاً قبل
غاية هذا أن يكون خطأ ولده الاحتكك والمجاورة ، والاحتكك والمجاورة
يولدان أمثال ذلك دائماً ، وهذا معهود في جميع المصورين بين جميع الطوائف والأمم

وهذا أمر لا يختص به مذهب دون مذهب ، ولا عقيدة دون عقيدة . فكما يقع من أهل الحق يقع من أهل الباطل وكما يقع من أهل السنة يقع من الشيعة والنسبيين وكما يبدأ به الظالمون قد يبدأ به المظلومون أحيانا ، وأية طائفة من الطوائف وأمة من الأمم لم يقع بينها وبين جيرانها الخلاف الباسع على امتشاق السيوف من اغمارها وعلى سفك الدماء والمصادمات الدامية ؟ هذا يقع كثيرا ، ولكن أحدا من العلماء والمؤرخين لن يعد مثل هذا عقيدة ولن يجعله دليلا على أن من وقع منه ذلك يستحل قتال المسلمين ودماءهم أو يستحل قتال الناس كافة . كلا ان أحدا من العلماء لا يذهب هذا المذهب ولا يسلك هذا المسلك . أوليس هذا الشيعي قد ذكر في مقدمة كتابه أن غالبا شريف مكة قد غزا النجديين في بلادهم وقتلهم سراة ، وأنه قتل ونهب منهم ما استطاع ، وأن الأتراك قد حاربوا النجديين وفزؤهم عدة مرات ، وقتلوا منهم ومن أمراءهم صبورا وضربوا خلقا كثيرا ، وأن محمد علي باشا وأولاده قد غزوا النجديين في أحشاء بلادهم وألبوا عليهم العرب والأعراب والأتراك والسودان ، وبعثوا إلى حربهم العدد والعدد العظيم وأنهم مازالوا كذلك حتى تمكنوا منهم فقتلوا منهم وفعلوا بهم الأفاعيل ، وشقتوا أمراءهم وزعماءهم وعلماءهم ؟ قال هذا القتال لا يكون منكرا ولا دالا على استحلال قتال المسلمين وقتلهم ، ثم يكون قتال النجديين أهل الحجاز أو غيرهم بعد ان ظلموهم ومنعواهم من الحج منكرا ودالا على أن النجديين يستحلون قتال المسلمين وقتلهم ومال قتال الأتراك للنجديين وهجومهم عليهم في ما منهم بعد عرفا ودينا وطاعة ثم يكون قتال النجديين لبعض ولادة الأتراك وعملهم بعد أن بدؤوهم بالظلم منكرا ، عصيانا وذهابا مذهب الخوارج أو ما ذكره في كتابه أن محمد علي باشا وابنه إبراهيم قد حاربوا الدولة العثمانية وهزموها وقهروها ؟ قال هذا القتال لا يكون دالا على شيء ثم يكون قتال النجديين للأتراك بعد اعتدائهم عليهم منكرا ودالا على

للضلال والخروج على المسلمين وعلى استحلال قتالهم ودمائهم ؟ ما هذا لعمر الله
بمدل ولا عقل

هذا نوع من الرد على هذا الشيى قول بعه : إن هذه الحروب التى ينكرها
على النجديين هى حروب بعضها مشروع ولا شك ، وذلك كافتتاح الحجاز أولا
وآخرا . وذلك لأسباب خاصة بالنجديين وأسباب أخرى عامة للمسلمين . فان
الأشراف الذين هم ولاية الحجاز والذين غزاهم النجديون قد أفسدوا البلاد
وملثوها بغيرا وإثما ومنكرات متنوعة ، حتى فسدت النفوس والعقائد ونضعضت
الأخلاق ، وصارت البلاد المقدسة جحما وأتون رجس وبلاء من جميع الوجوه
لا يطاق . الحجاج يسلبون فى الطرق ويقتلون . ويحتال الدجالون وللبتدعون
الكذابون على ما بقى معهم من المال على حساب الدين والعقيدة الباطلة . فالجبيج فى
الطريق يقتلون وينهبون ، وفى المدن والحرم الآمن يخدعون ويضلون ، ثم
لا يجدون نصيرا ولا منيئا ولا عوناً يشكى اليه . وكانت البلاد معرضة لأعظم
الآخطار الخارجية ، كما قد أصابها أعظم الأضرار الداخلية . هذا بعض ما كان
هناك من الاسباب العامة للمسلمين

وأما الاسباب الخاصة بالنجديين ، فذلك أنهم قد أوزوا وتحذوا وأخير على
بلادهم وغزوا فى ديارهم وسبوا وسبت عقيدتهم ودينهم وأذل وطورد من ظهر يودهم
وولائهم ثم منعوا من الحج ومن القيام بهذه الفريضة . وألبت عليهم الضغائن
وحبكت حولهم المكاييد : كل هذا بعض ما كان . فكان بعض هذا مبيعا غزو
البلاد واقاذاها من الآخطار المحدقة بها من دينية إلى سياسية إلى أدبية إلى اجتماعية .
وكان هذا ما لا بد منه . وكان هو عين الحكمة والصواب كما شهد الناس وذكروا
وكا وقع وكان

وأما غزو كربلاء فكان غزواً لتلك المنكرات الشيعة الفاضحة التى تتأبها جميع

الأذواق السليمة بل والأذواق المريضة التي لم تمت بعد . على أن كربلاء كانت ولاية من ولايات الدولة التركية . والدولة التركية كانت معلنة الحرب على النجديين كما يعترف الشيعة نفسه . فكان غزو النجديين لأرض الدولة التركية غزواً لعدو ظالم محارب . وهذا لا يمنع أحد . وكذلك ما يذكره من هجومهم على العراق . وأما ما ذكر من قتل أهل اليمن ، فجوابه أن تذكره بالحرب اليمنية السعودية الأخيرة ، ثم ما تلاها من محاولة اغتيال جلالة الملك عبد العزيز ، ثم موقف حكومة جلالته من ذلك ، وما أظهرته من الحلم والصبر والحرص على حقن الدماء المسلمة . بل هذا يبدد كل ما حاكه هذا الشيعة من التهم المبهلة .

وأما ما ذكره من قتل حجاج اليمن ، فهذا قد وقع خطأ . فإن النجديين ظنوا أولئك اليمنيين عوناً ومعدداً لجند الشريف ملك الحجاز إذ ذاك حينما كان يغازي النجديين ويهاديهم ويعتدي عليهم . وكانت هذه الحادثة بعد موقعة حربية قامت بين النجديين وبين الجيوش الحجازية الهاشمية ، وقد اعتذر جلالة الملك عبد العزيز لجلالة الامام بحجي عن هذه الحادثة بأنها وقعت خطأ . وأنه يقدم للامام بحجي الاعتذار والدية . فتم الرضا بين الملك عبد العزيز والامام بحجي وزال ما بينهما من أثر في النفوس يرجع الى هذه الحادثة

وهل يظن الشيعة أن النجديين يستحلون قتل الحجاج المخالفين لهم في بعض الاعتقادات ؟ أفلا يعلم أن الحجاز اليوم مقصده جميع الطوائف الاسلامية ، ويقصده فريق قليل من الشيعة ؟ أفيلظن أن هؤلاء الحجاج يقتلون هناك وأن النجديين يستحلون قتالهم ، وأن من ذهبوا إلى الحجاز لا يرجعون ؟ أو لا يعلم أن الحجاج لم يكونوا في عصر من العصور آمن منهم في هذا العصر على عهد السلطان السعودي الوهابي ، وإن الناس لم يأمنوا على دمائهم وأموالهم في عصر من العصور أمنهم على ذلك في هذا العهد . والعالم كله شهيد بهذا

وكذلك يقال فيما ذكره من غزو شرق الاردن فان هذا الغزو قد كان من بعض القبائل النجدية جزاء غزو بعض القبائل في شرق الاردن وفي العراق بعض الحدود النجدية . ولم يكن هذا الغزو إلا مكافأة وجزاء بجزاء ، ولم يكن صادراً عن أمر الحكومة . والحكومة لم تسير ذلك الجيش الغازي . وإنما سبيله ما ذكرناه . ومثل هذا لا تؤاخذ به الحكومة ، ولا يؤاخذ به أولو الأمر منها . ولو أن هذا الغزو كان برضى الحكومة لكان له في ذلك الوقت مبيع ومبرر ظاهر . وذلك أن الاساءات كانت تتلاحق نحو النجديين ونحو حكومتهم وبلادهم من جهة تلك الأقطار . وكانوا هنالك يسيئون اليها ويتعسفون في المطالب ويحكون لها الدسائس ويمشون للقلقل . وكانوا يريدون القضاء عليها . وكان زعيمهم الاكبر لا يفتأ يسعى لايقاع أعظم الضرر بالنجديين . وهذه أشياء معلومة . وقد كانت الحكومة السعودية تتلقى من أولئك أمورا كان يكفي بعضها أن يكون مبيحا للغزو وامتناع الحسام . ولكنها كانت كما شهد الناس أزهد الحكومات في الحرب وفي سفك الدماء . والحرب اليمنية النجدية الاخيرة أنصم دليل على هذه القضية

ومن تهافت الشيعة ومن الدليل على سوء نيته قوله ان النجديين لم يحاربوا أحداً غير المسلمين ، مع قوله انهم هاجموا شرق الاردن والعراق . وقد ذكر في موضع آخر من كتابه صفحة ٥٦ أنهم لما أن هاجموا شرق الاردن قاتلتهم الطيارات والدبابات البريطانية فقتلت منهم وأصرت ، وأن الامرى اطلقوا بأمر الانجليز . فالبلاد التي تدافع عنها الدبابات والطيارات البريطانية أليست بلاداً بريطانية ؟ أو ليس من غزا تلك البلاد المحمية بالطيارات والدبابات البريطانية فقد غزا بريطانيا ، ومن غزا بريطانيا كيف يقال له انه يغزو المسلمين . وكيف يعد غزو بريطانيا دليلاً على أن ذلك الغازي يغزو المسلمين ويقاثلهم ؟

وذكر (ص ٥٨) أن النجديين لما أن غزوا العراق اشتكى العراقيون الى

الانجليز قائلين إما أن تدفعوا عنا ونحميكم من النجديين ، وأما أن تدعونا ندفع
عن أنفسنا . وذ كر أن معتمد الحكومة البريطانية فاوض جلالة الملك عبد العزيز
في أمر هذا الغزو ، وأن الملك أجابه بأنه لا علم له بذلك وأنه سيسأل قائد تلك
الغزوة عما فعل . وذ كر في الصفحة نفسها أن الطيارات الانجليزية قدردت الغزاة
النجديين عن العراق وقدفتهم بقنا بلها

فكيف يماسك هذا الكلام الشيعي ! وأحسب أن النجديين لو غزوا الهند
إقال هذا الرافضي إنهم غزوا المسلمين واستحلوا قتالهم . ذلك أنه لا يريد إلا أن
يقول ان النجديين خوارج مستحلون دماء المسلمين وأموالهم والخروج عليهم شاء
الواقع أم أبى . فكل شيء يقف في سبيل هذا الغرض ينكره ويأباه ويلج به إباؤه
وهذا كما قيل في المثل (معزى ولو طارت)

ومن أ كذب ما كتب قوله : « وقتلهم من ظفروا به من المسلمين » فانتنا
لا ندرى والله كيف يجرؤ على أن يزعم أن النجديين يقتلون كل من ظفروا به من
المسلمين والناس كلهم يرون المسلمين يؤمون الحجاز كل عام من جميع الأطراف
ليؤدوا فريضة الحج ، ثم يؤوبون الى بلادهم سالمين موفورين لم تقتل منهم نفس
واحدة ولم يرزأ منهم أحد ولم ينل منه النجديون منال سوء لا في مال ولا في نفس
ولا في شيء من الأشياء . بل ويشهد كل من رجع من هنالك أن الأمان والسلام
لا يجدهما المرء الا هنالك حيث يرفرف العلم السعودي الوهابي ذو السيفين وذو
الشهادتين . ولو كان هذا الرافضي صادقا في زعمه لما أبقى على الرافضة في الاحساء
والقطيف من قلب المملكة السعودية . والرافضة بلا خلاف من شر الفرق للبتدعة
ومن شر أهل الضلالة عقيدة ورأيا وقولا ، ومن أبعد المنحرفين عن النجديين
منزعا ومذهبا ، لأن الرافضة أغلى الفرق المنتسبة للإسلام في الباطل ، وأفظها
عقيدة في الخلق . فانها بينما تكفر خيار الأمة تضيع آخرين منهم في مصاف الآلهة

وتتهم حق الله المعلوم . ولكن الرافضة في المملكة السعودية لا ينالون بسوء ويكتفى منهم باظهار الاسلام وبألا يشيعوا عقائدهم الخاصة الباطلة ككفار الصحابة . وهذا وحده يكفيننا وحده نقضا لما قاله في جميع كتابه من التهم

ثم قال الرافضي « ثالث عشر - كما أن الخوارج كلما قطع منهم قرن نجم قرن كما أخبر عنهم أمير المؤمنين علي عليه السلام . كذلك الوهابيون كلما قطع منهم قرن نجم قرن . فقد حاربهم محمد علي باشا واستأصل شأفتهم ووصل ولده ابراهيم باشا الى قاعدة بلادهم الدرعية وأخربها . ثم نجم قرنهم بعد ذلك وقطع ثم نجم وقطع مراراً » انتهى

قلت وما لما ذكره هنا حاصل ، فانه ان كان يريد بالمشابهة بين الوهابيين والخوارج هنا بقاء كلتا الطائفتين وتماقبيهما ، فإلهذا من حاصل ، فان الاسلام الصحيح يشبه هذا أيضا ، فانه باق الى قيام الساعة ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح المشهور : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » فالاسلام الصحيح بل والاسلام الذي يعرفه هذا الرافضي باق غير زائل حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فهل يضره أن يكون المذهب الخارجي الباطل باقياً كذلك ، يطفو تارة وبرسب أخرى ، ويعلو ويسفل ؟ بل وكذلك شأن كل مذهب وفكرة في الدنيا فان من دأبها التعاقب ، الظهور حيناً والخفاء آخر ، والقوة مرة والضعف مرة ، وما من مذهب إلا وهو كذلك حتى المذهب الشيعي الرافضي الباطل ، فانه مازال يقوى ويضعف ويعلو ويخفى ، وكما اختفى منه قرن ظهر له قرن آخر ، ولن يزال كذلك حتى يغمسه الله في محيط العدم اللانهائي ، فالحق والباطل والهدى والضلال والايمن والكفر : كل أولئك تشترك في هذا المعنى الذي ذكره ، لا يختص بهذا الضلال دون الهدى ، ولا الهدى دون الضلال ، ولا الحق دون الباطل ، ولا

الاسلام دون غيره من الأديان ، ولا الأديان دون الاسلام ، ولا المذهب الخارجى دون غيره من المذاهب الأخرى ، فلا ينفرد بهذا دين الاسلام الصحيح دون للمذهب الشيعى الرافضى الباطل وما يقاربه أو يباعد

فهذا المعنى بالاجمال مشترك مشاع بين جميع الآراء والمذاهب الثابتة ذات الأنواع ، لا ينفرد بها شيء دون شيء . فاذا فرض أن المذهب الخارجى كاذ كره الشيعى ، وفرض أنه باق خالد يعلو ويهبط وفرض أن المذهب الوهابى - فى تعبيره والمذهب السلفى فى تعبيرنا - كذلك أيضا يعز حينا ويظهر ، ويضعف آخر وينزوى لم يكن فى هذا شيء من الدلالة التى يعينها الشيعى ويحاول إثباتها ، كما أن الاسلام نفسه إجمالا كذلك ، يعز حينا ويظهر ، ويضعف آخر وينكش ، وهكذا جميع الفكر كما ذكرنا ، فليس ما هنا شيء يختص به المذهب الخارجى أو الشيعى أو غيرهما ، وهذا واضح لا ريب فيه ، وكذلك محاربة المذهب السلفى ومحاربة أهله بعض الأزمان والتغلب عليهم وعليه ، والتحدى له ولم ، لا يدل شيء من ذلك على بطلان المذهب ومخالفته الحق ، بل هذا المعنى ان لم يدل على صحته وصدقه فلن يدل على ضعفه وبطلانه ، بل هذا لا يدل على أحد الأمرين لا دلالة قوية ولا ضعيفة ، فان الحق قد يحارب ويغلب أهله ، كما أن الباطل قد يحارب أيضا ويهزم نصرؤه ، وقد تكون النتيجة العكس ، يحارب الحق فيكون الغالب الظاهر ، كما أن الباطل قد يحارب فيكون الغالب القاهر ، على حسب ما تقضى به سنة الله الكونية ومشيتته النافذة ، وهذا كله مشهود مشهور فى كل زمان ومكان ، وهذا الاسلام نفسه تارة يعز ويمز به أهله ، وتارة يضعف فيضعف أهله ، ولم يكن تغلب الكفر والكفار عليه دليلا على أنه هو فى نفسه باطل ، ولم يكن خنوعه للكفر والكفار دليلا على أنهم فى أنفسهم مهتدون ، وكذلك هزيمة أهل هذا المذهب بعض الأوقات لما منوا به من الضعف الخلقى أو النفسى أو الإهمال لما يفرضه

الاسلام والعقل من الاستعداد لنبوءات الزمن وجمع الالهة الطواريه والطوارق المفاجئة أبداً ، لا يدل على أن للذهب في نفسه باطل غير صحيح ، حتى يدل قهر الآديان والأخلاق والعفاف في بعض البلدان والأزمان على بطلان هذه الأمور في أنفسها . وهذا مما لا يتنازع فيه الناس ، فالما ذكره هنا من حاصل يطعم طامع في التمسك به ، وأبعد الله الهوى ! فانه يري بصاحبه كل مرمى ، ويمتنع به كل صعب وذلول !

وهنا انتهت وجوه الشبه التي زعمها الرافضى بين النجديين والخوارج ، وهنا انتهينا من النقض على وجوهه وتسويدها ، وبعد هذا نذكر هنا ثلاثة أمور لازم ذكرها : أولاً إقامة البراهين على أن الوهابيين ليسوا هم الخوارج ولا منهم ، ثانياً الحجاج على أن الشيعة شر من الخوارج ، ثالثاً شبه الرافضة بشر الأمم أعني باليهود

ليسوا هم الخوارج

حاول هذا الرافضى كما حاول غيره من نصراء البدعة والهوى تلفيق الدعاوى على أن أهل السنة من أهل نحمد الداعين الى الرجوع بالاسلام سيرته الأولى تقيا من الشوائب والأخلاق والذخيل هم الخوارج الذين جاءت الأنبياء النبوية الصحيحة في مذمتهم وهجائهم وفي الأنبياء عن عظم مصائبهم على الاسلام والمسلمين وقد حشد هذا الرافضى بكل قوته الشبهات التي تغنى بها من قبله ، وحاول بها إثبات هذه القضية ، وقد كتبنا عليها ما رآه القاري قبل هذا . ونحن هنا نذكر الدلائل الواضحة على خطأ هؤلاء القوم في هذه الدعوى وهذه المحاولة ، ونذكر الحجاج الكافية على أن أهل السنة الذين يسميهم هؤلاء بالوهابيين براء من الخوارج ومن آراء الخوارج ، وبراء من أن يكون بينهم وبينهم شبه يختصون به دون أهل الحق من المؤمنين والرعيل الأول الصالح

فنتقول ان أصل المذهب الخارجي قائم على القدح في النبي الكريم وفي عدله وقضائه ، ولذلك قال أولهم ذوالخويرة لما أن شاهد بعض قسمة الرسول وأقضيته قوله المشهور : اعدل يا محمد ! فان هذه القسمة قسمة لا يراد بها وجه الله ! فغضب النبي الكريم وقال قوله المشهور في الخوارج : ان من ضئضئ هذا قوما يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم يرقون من الاسلام كما يرق السهم من الرمية ، والوهايون بمحمد الله من أبعد الناس عن هذا البلاء بلاريب ، والشيعي نفسه يمتزف أن مذهب الوهابيين قائم على مضادة هذا المعنى والقول ، وهم لا يشكون أن من قدح في عدل الرسول وقضائه وقسمته أوشك في ذلك فهو بري من الاسلام لاحظ له فيه ، ودعوتهم قائمة على دعوة الناس الى الاقتداء بالنبي الكريم في صغير الأمور وكبيرها وفي أقوالها وأفعالها ، وقائمة على أن المسلم لن يفلح ولن يكون مسلماً إلا اذا اقتدى بالرسول ﷺ وتشبه به وعلم أنه ينال رضا الله وسعاده الابدية بذلك ، فالوهايون بلا شك من أبعد الناس عن الخوارج في هذه الصفة ومن أبعد الناس عن مشابعتهم في ذلك ثم ان أصل مذهب الخوارج أيضا اكفار على بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ومن وافق هؤلاء الصحابة من الصحابة والتابعين ومن سار سيرتهم من بعد ، ولهذا يكفرون الخلفاء الأمويين والعباسيين ومن رضي حكومتهم وخلافتهم

وفكرة الخوارج قائمة على هذا ، ولكن الوهابيين يرمون الى الله من هذا القول وقائله ، ويشهدون بحق وصدق أن هؤلاء الذين أكرههم الخوارج وحكروا بردتهم من أفضل البشر وأصدقهم ديناً وإيماناً وسيرة وسريرة ، ويشهدون لهؤلاء الصحابة والخلفاء ولمن اتبعهم منهم بسلامة العقيدة ووفور الايمان . ثم يشهدون أيضاً أن غاية اسلم القوى الاسلام أن يتشبه بهم وأن يقبس منهم عقيدته وفعله وأن يفعل ما كانوا يفعلون ويعتقد ما كانوا يعتقدون ، وأن يعلم أن من حاد عن

سبيلهم ورضب عن سننهم وطريقهم فهو من الهلكى الضالين وأن من قدح فيهم أو شك في أمرهم فاحر من أهل السعادة والهداية

ثم ان الخوارج أيضا يرون فاعل الكبيرة - وبعضهم يقول وفاعل الصغيرة - ككفرآ مرتدآ مأواه النار خالدآ فيها لا يخرج منها بل يبقى في عذابها الأليم مابقى عبدة الاصنام والأوثان والكواكب والبشر ، ولكن الوهايين براء من هذا القول ومن قائله فهم لا يرون ان ذنبآ من الذنوب وان جل قاض بكفر مرتكبه ولا يخرج له من جماعة المؤمنين ولا موجب له الخلود فى النار . بل يرون أن المسلم وان فعل الذنوب الكبيرة من المسلمين الناجين من الخلود فى النار : وما فعله من الانتم له جزاء دون جزاء الكفر والشرك ، والله أن يجازيه على ذلك ليطهره ثم يخرج به الى الجنة بعد الجزاء والتطهير ، والله أن يعفو عنه وأن يغفر ذنبه وأن يدخله الجنة ابتداء بلا سابقة عذاب ولا عقاب كما قال تعالى « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » . فلن يلتقى إذا الوهايون والخوارج أبدا مع اقتراف مبادئهم وأصول مذاهبهم

والخوارج يأبون تحكيم الرجال ويعدون ذلك كفرا ، ولهذا أ كفروا عالياً والذين معه وخرجوا عليه لما أن قبل التحكيم بينه وبين خصمه معاوية ، وقد طلبوا منه الاعتراف على نفسه بالكفر ثم الاعتراف بالرجوع الى الاسلام أنفا . فابى على ذلك فأبوا الاعتراف له بالايان وأصروا على إ كفاره والخروج عليه ، وقد قالوا فى ذلك الحين قولتهم المشهورة « لا حكم إلا الله » فقال على كلمته المشهورة رداً على كلمتهم (كلمة حق يراد بها باطل) والوهايون بريثون من هذا الرأى ومن أصحابه بل هم يرون رأى الامام على حينما قال لهم : ان المصحف لا يتكلم فلا بد من رجال يتكلمون عنه ، وقال ابن حزم فى كتاب الملل والنحل تحت عنوان « شنع الخوارج » من الجزء الرابع صفحة ١٤٤ ان قرقة من الأباضية وبينهم رجل يدعى زيد بن أبى

أنيسة كان يقول إن في هذه الأمة شاهدين عليها هو أحدهما ، والآخر لا يدري من هو ، وإن من كان من اليهود والنصارى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب لا إلينا كما تقول العيسوية من اليهود . قال فاتهم مؤمنون أولياء الله وإن ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع اليهود والنصارى ، وإن دين الاسلام سيفسخ بنفى من العجم يأتي بدين الصابئين وقرآن آخر ينزل عليه جملة واحدة إلا أن جميع الاباضية يكفرون من قال بشيء من هذه المقالات ويستحلون دمه وماله ، وقالت طائفة من الاباضية إن من زنا أو سرق أو قذف فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب من فعله فان تاب ترك وإلا قتل على الزدة ، وشاهدنا الاباضية بالاندلس يحرمون طعام أهل الكتاب ويحرمون أكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهاراً في رمضان فاحتلم ، ويقيمون وهم على الآبار التي يشربون منها إلا قليلا منهم ، وقال أبو اسماعيل البطيحي وأصحابه لا صلاة واجبة إلا ركعة واحدة بالفداء وأخرى بالعش ، ويرون الحج في جميع شهور السنة ويحرمون السمك حتى يذبح ، ولا يرون أخذ الجزية من المجوس ويكفرون من خلب في الفطر والأضحية ، ويقولون إن أهل النار في النار في لذة ونعيم ، وأهل الجنة كذلك ، وقالت سائر الأزارقة بإبطال رجم من زنا وهو محصن ، وقطع يد السارق من النكسب وأوجبوا على الحائض الصلاة والصيام في حيضها وقال بعضهم لا ، ولكن تقضى الصلاة إذا طهرت كما تقضى الصيام ، وأباحوا دم الأطفال ممن ليس في عسكرهم وقتل النساء أيضا ممن ليس في عسكرهم ويرات الأزارقة ممن قعد عن الخروج لضيف أو غيره ، وكفروا من خالف هذا القول بعد موت أول من قال به منهم ، ولم يكفروا من خالفه في حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير عسكرهم ويقتلونه إذا قال أنا مسلم ويحرمون قتل من انتمى إلى اليهود أو النصارى أو المجوس ، وبهذا شهد رسول الله عليهم بالمرور

من الدين كما يمرق السهم من الرمية . إذ قال عليه السلام « أنهم يقتلون أهل
الاسلام ويتركون أهل الأوثان » وهذا من أعلام نبوته ، وهو من جزئيات
الغيب فخرج نصاً كما قال ، وقالت النجدات ليس على الناس أن يتخذوا اماما
انما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم ، وقالوا من ضعف عن الهجرة لعسكرهم فهو منافق
واستحلوا دم القعدة وأموالهم ، وقالوا من كذب كذبة صغيرة أو عمل عملا
صغيراً فأصر على ذلك فهو كافر مشرك ، وكذلك أيضا في الكبائر وان من عمل
من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم ، وقالوا جائز أن يذهب الله المؤمنين
بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا ، وقالوا أصحاب الكبائر منهم ليسوا
كفاراً وأصحاب الكبائر من غيرهم كفار ، وقد بادت النجدات . وقالت طائفة
من الصفرية يوجب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن أو كافر ، وكانوا يؤولون
الحق بالباطل ، وقد بادت هذه الطائفة ، وقالت للميمونية وهم فرقة من العبادرة
يجواز نكاح بنات البنات وبنات البنين ، وذكر ذلك عنهم الحسين بن علي
الكراسي وهو أحد الأئمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا
الاباضية والصفرية ، وقالت طائفة من البيهسية وهم أصحاب أبي يهس وهم من
الصفرية ان كل صاحب كبيرة فيها حد لا يكفر حتى يرفع الى الامام . فاذا أقام
عليه الحد فحينئذ يكفر ، وقالت النونية وهم طائفة من البيهسية ان الامام اذا قضى
قضية جرد وهو بخراسان أو غيرها ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته
حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو كانوا بالأندلس واليمن ، وقالوا أيضا
لو وقعت قطرة خمر في جب ماء بئلا من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب
فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله قالوا الا أن الله يوفق المؤمن
لاجتنابه ، وقالت الفضيلية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم
يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر أو الدهرية أو اليهودية أو النصرانية فهو مسلم

عند الله مؤمن ، ولا يضره اذا قال بلسانه ما اعتقد بقلبه ، وقالت طائفة من الصغرية ان النبي اذا بعث في حين بعثه يلزم جميع أهل للشرق والغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع . فمن مات منهم قبل أن يبلغه شئ من ذلك مات كافراً . وقالت العجاردة : ان من بلغ الحلم من أولادهم وبناتهم فهم براء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ . وقالت طائفة من العجاردة : لا تتولى الأطفال قبل البلوغ ولا نبراً منهم لكن تقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ . وكان من قول المكرمية ان من آتى كبيرة فقد جهل الله فهو كافر ، ليس من أجل الكبيرة لكن لأنه جهل الله . وقالت طائفة من الخوارج : ما كان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقه فليس فاعله كافراً ولا مؤمناً وأما ما كان من المعاصي لا حد فيه فهو كفر وفاعله كافر . وقالت الحفصية : من عرف الله وكفر بالنبي فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله أو جعله فهو حينئذ مشرك . وقال بعض أصحاب الحارث الأباضي : المنافقون على عهد رسول الله إنما كانوا موحدين لله أصحاب كبار . ومن حماقاتهم قول بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول : كل ذنب صغير أو كبير ولو كان أخذ حبة من خردل بغير حق أو كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهو شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار إلا ان يكون من أهل بدر فهو مشرك من أهل الجنة ، وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم . ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسى تغليذ بكر ابن أخت عبد الواحد المذكور ، فانه كان يقول : ان المجانين والبهائم والأطفال ما لم يبلغوا الحلم فانهم لا يألمون البتة لشئ مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك أن الله لا يظلم أحداً . هذا كله ما ذكره ابن حزم

وقال الشهرستاني تحت عنوان « مذاهب الخوارج » :

« ويدع الأزارقة ثمان : احداها ا كفار على وتصويب ابن ملجم قاتله . الثانية

١ كفار القعدة عن القتال وان كانوا موافقين . الثالثة جواز قتل أطفال المخالفين ونسأهم . الرابعة إسقاط الرجم عن الزانى إذ ليس فى القرآن ذكره وإسقاط حد القذف عن قذف المحصنين من الرجال مع وجوب الحد على قاذف المحصنات من النساء . الخامسة الحكم بأن أطفال المشركين فى النار مع آبائهم . السادسة أن التقية غير جائزة فى قول ولا عمل . السابعة تجوز أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته أو كان كافراً قبل البعثة . الثامنة اجتمعت الأزارقة على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر ملة وخرج به عن الاسلام جملة وكان مخلداً فى النار مع سائر الكفار واستدلوا بكفر إبليس . هذا بعض ما ذكره ابن حزم والشهرستاني . وهذا ما ينقله عنهم عامة من كتبوا فى الملل والنحل ومقالات الاسلاميين . وهذه البدع التى خالفوا بها أهل السنة والجماعة وعرفوا بها وأضيفت اليهم وحدهم وابتدعوها وحدهم يتبرأ منها الوهابيون ومن القول بها ، ويتبرؤون من أهلها ولا يوافقونهم على واحدة منها ولا يوافقونهم الا على الحق الذى معهم ، الذى يوافقهم عليه أهل السنة والجماعة ، والذى قام البرهان على أنه حق لا باطل ، وهذا كما يوافقهم غيرهم من المسلمين ، لأن الحق قد يكون مشتركاً ، وقد يقول الحق من قال الباطل ، وبالمذى من قال بالضلال ، ومثل هذا لا يضير ولا يمنع القول به ، وإنما الذى يمنع هو ما اختص به أهل الضلال وحدهم وما انفردوا به عن أهل الحق .

وإذا كان الوهابيون يخالفون الخوارج فى جميع ضلالاتهم وبدعهم الخاصة بهم التى ذموا لأجلها وكانوا لا يشاركونهم إلا فيما شاركهم فيه أهل الحق فخطئ كل الخطأ من زعم أنهم يشبهونهم أو أنهم منهم ، وما أبعد المسافة بين الخوارج وبين من يسميهم هؤلاء الوهابيين ! فان الأمور التى يأخذها هؤلاء المخالفون على أهل السنة لم يذكروها التاريخ ولم يذكروا أن أحداً من الخوارج قال بها أو دعا إليها أو رضيها وامتنعها ، ولم يذكروا أن الناس أنكروها عليهم فى عصرهم ولا ذموم لأجل

شيء منها ، فإن الأمور التي ينكرها المخالفون على أهل السنة هي مسائل التوسل والتعلق بالقبور والمكوف عليها ودعوة الموتى وما يقارن ذلك من تقديم النذور والقراين وما يضاف الى هذا من الحلف بهم والتعظيم القوي لهم والاقطاع اليهم والى قبورهم رغبة ورهبة ، ثم مناوأة البدع والبتدعين ومحاولة تخليص الاسلام منها بمقوة ، ثم الوقوف بالمسلمين مواقف السلف الأول من الصحابة والتابعين ومن جاءوا بعدهم من المحدثين والفقهاء والعلماء الربانيين ، ممن اتفقت كلمة المسلمين على امتداحهم والثناء عليهم وعلى أنهم من أهل الدين والصالح والاعتصام بالكتاب والسنة ، ثم مسألة صفات الله التي نصت عليها الكتب المقدسة كلها والآحاديث النبوية ، وذلك كمسألة علو الله على عرشه . هذه هي أشهر المسائل التي يعيبها هؤلاء المخالفون على أهل السنة ، وهذه الأمور لم يقل بها الخوارج ولم يتكلموا فيها مطلقا إلا كما يقول وكما يتكلم فيها غيرهم من السابقين ، ولم يرد عن أحد منهم في هذه المسائل شيء ، لأن الناس في ذلك العصر لم يكونوا يسبحون في هذه المباحث ، لأنه لم يوجد من يصنع ذلك ومن يغفلون في القبور هذا الغلو الشنيع وما يتصل بذلك من الآوهام والآحادات الباطلة

فالبدع التي ابتدعها الخوارج ودعت اليها وقاملت لأجها لا يقول بها أحد من الوهابيين بل هم كلهم يبرؤن الى الله منها ، والأمور التي يأخذها هؤلاء عليهم لم يقل بها الخوارج ولم يدعوا اليها كما ذكرنا ، فكيف اذن يقال ان هؤلاء هم أولئك أو منهم أو أنهم يشبهونهم وينهجون منهاجهم ؟ وكيف لا ينجل مدعى هذا وكيف لا يرجو لقاء الله ؟ أليس هذا من أبطل الباطل وأرذل الهوى ؟

الشيعة شر من الخوارج

على ما لدى الخوارج من الباطل والشر والمنكر نعترف بأن الشيعة أكثر منهم شرّاً وباطلاً ومنكراً ، ونعترف بأن الشيعة أبعد عن الاسلام وعن الدين والعقل وعن فعل الخير من الخوارج ، ونعترف بأن الخوارج خير منهم من كل الوجوه أو من أكثرهم . وبيان هذا فيما يأتي :

(أولا)

لا يختلف أهل البصر والدراية بالتاريخ أن أصل المذهب الشيعي موضوع على الاتحاد والكيد للاسلام وأهله والغدر بالعرب والفساد لهم ولحكوماتهم ومحاولة تقويض خلافتهم وسلطانهم حسداً وبغياً وبغضاً للدين الذي نشره ونصروه فانتصروا هم به . وذلك أن واضع أساس هذا المذهب هو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الاسلام خداعاً ونفاقاً لافساده وافساد أهله وللإيقاع بهم وبه . ولقد نال بعض غرضه وألحق بالاسلام والمسلمين هو وأصحابه ما ألحق من الأضرار المادية والمعنوية ومن الفتن الجارفة المدمرة . فانه أظهر في أول أمره التقى وحب النبي وآل بيته ، ثم ادعى أن آل البيت مظلومون ، وأن المسلمين لهم ظالمون وأنهم هم أهل الخلافة وحدهم ، لا يجوز خروجها منهم ولا انتقالها عن علي وذريته وراح يدعو الى هذا القول هو وأصحابه بمكر ودهاء محكيين بارعين ، وصار يترنم بهذه النغمة وهذا الطنبور بمثابة عجيبة حتى تغيرت النفوس ووقع فيها ما وقع من التكرار للخلفاء وللعصاة والمسلمين الذين ولوهم الخلافة ورضوا بذلك الصفقة وأخذ هذا المعنى يذو في بعض الصدور ويتضاعف شيئاً فشيئاً حتى قاضت به فحدث ما حدث في فجر الاسلام من الفتن المقتالة والخلاف الطاحن المدمر وجميع ما حدث

فى ذلك العصر يرجع الى هذه الفتنة وأخوانها إما بوساطة واحدة وإما بوساطات ثم ذهب هذا اليهودى الشيعى برتل مدائح على ويمدد فضائله وأخذ يبالغ فى هذا ويسرف ، منتقلا من خطوة الى خطوة ومن دركة الى دركة أوهد حتى صاح بتلك الدعوة الهائلة ، وأحدث أكبر الأحداث فى الاسلام فادعى فى على الالهية ، وأن جزءا إلهيا حل فيه ، وأظهر هذا الجزء الالهى صفاته ومعانيه وأفعاله وخواصه فى ذات على وعلى أعضائه وجوارحه ، ولهذا كانت أفعاله خارقة معجزة وكان قوله فوق أقوال البشر ، وكانت أفعاله أفعالا لا يستطيعها المخلوقون . فهو لهذا يستحق العبادة ويستحق التأليه وامم الربوبية وصحتها ، وهو إذا يستحق أن يخاطب خطاب الاله ويدعى دعاء الرب وينادى نداءه ، فترا كضت هذه الدعاوى والمزاعم الشيعية فى الظاهر ، الالحادية فى الباطن ، الى بعض النفوس والصدور ، فنزلت فيها منزلة التقديس والتبجيل وتمكنت منها وانتشرت على أعضائها فراح هؤلاء الى على وقالوا له أنت الله أنت الخالق الرازق وخلعوا عليه أخص صفات الله الفرد الصمد ، فكان رأى على فى هؤلاء أن يعاقبوا أشد العقوبات . لأن دعواهم هذه من شر الدعاوى ، فأضرم النيران وقذفهم فيها غير مأسوف عليهم ، وقضوا بالتحريق ، فقالوا وهم يحترقون الآن صبح أنك أنت الله إذ لا يمدب بالنار إلا الرب النار . وهذه المقالة منهم العجيبة فى تلك الساعة الرهيبة تدل على أحد أمرين : على الدهاء والخبث اللذين ما فوقهما دهاء وخبث ، إما على رسوخ هذه العقيدة الباطلة فى تلك الصدور رسوخا ألقى على وجه الدلائل و لمجج السافر قناعا من أبخرة الباطل والعمى حتى راحت لا تبصرها ولا تبصر شينها . وأما هذا اليهودى مقتربى هذه النحلة فقد هرب وذهب يجتاب البلاد الاسلامية جادا فى نشر دعوته هاربا معه بهروبه مذهبه المنافق الساكر واضعا فى كل أرض يحتلها جذور هذا المذهب ، وهكذا اتسع وانتشر . وما زال الى يومنا

هذا يطفو ويرسب ويفعل ما يفعل من الفساد والفوضى ، ويصنع ما يصنع من الضلالات المبتكرة الخبيثة . قال الامام ابن حزم في آخر صفحة من الجزء الرابع من كتاب الملل والنحل « وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام وإخراج الضعفاء منه الى الكفر إلا على أسنة الشيعة » وقال في آخر كلامه على فرق الشيعة « واعلموا أن كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فاما عنصرهم الشيعة والصوفية ، فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله » بل نحن نقول إنما عنصر ذلك هم الشيعة وحدهم والصوفية أنفسهم إنما عنصرهم الشيعة . قال الشيعة يرجع هذا البلاء كله . ومنهم يبدأ ، وقال ابن قتبية في كتاب تأويل مختلف الحديث : « ولا نعلم في أهل البدع أحداً ادعى الربوبية غير الرافضة . فان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلي ، ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم . فان المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته فصدقته أصحابه واتبعوه وهم الكيسانية » وقال الامام المقلبي في كتابه العلم الشاخب « قال بعض العلماء انني بزیدی صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا ، وانني برافضی صغير أخرج لك منه زنديقا كبيرا يريد أن مذهب الزيدية يجر الى الرفض ، والرفض يجر الى الزندقة » هذا كلام المقلبي ، ولهذا كانت الدول المنتسبة الى الرافضة من أكفر الخلق وأكثرهم افتتانا بالاحاد والضلال ومخاصمة الاسلام والمسلمين ، والمثل الأعلى لهم الفاطميون والاسماعيلية والقرامطة ، وكل لقي الاسلام والمسلمون من ويلات هؤلاء التشيعيين . فالمؤرخون البصرياء بالتاريخ وبنشوء النحل والآهواء في الاسلام لا يشكون أن أصل مذهب التشيع مؤسس بالنفاق والكيد للاسلام ، وأن وضعته ما كانوا مؤمنين بل كانوا ملحدین كذا بين ادعوا الاسلام لحربه من قريب ، وهؤلاء هم رؤساؤهم أما جمهور الشيعة فقد يكونون مخدوعين حسنى النية والقصد لا يضمرون الكفر

والغدر بالاسلام ، ولكن جاءهم هذا البلاء من جانب الجهالة والضلالة وخديعة
 زعمائهم المحكة البرمة ، هذا ما كان من مذهب الشيعة وابتدائه
 وأما أصل مذهب الخوارج فلا ريب أنه ليس قائما على الاتحاد والكفر وإرادة
 السوء بالاسلام ، ولكنه قائم على الجهالة والضلالة وضعف البصر بالدين وضالة
 العقل . فداؤم هو الجبل ، وهذا الشيعة يعترف بهذه الحقيقة ، ويعترف أن
 الخوارج كانوا يطلبون الحق ، ولكنهم قد أخطأوه ، وقد نقل عن علي في كتابه
 أنه قال « لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب
 الباطل فأصابه » ولهذا كان الخوارج في غاية الاجتهاد والحرص على العبادة والخير
 وأشتات الطاعات ، وكانوا يتهاكفون على نصرة الحق الذي يقتنعون به ،
 ويقذفون بأنفسهم في أكناف الموت والمهلكة في سبيل نصرة عقيدتهم ونصرة
 الأمر الذي يروونه حقا وهدى ، وقد كانوا يجاهرون بعقيدتهم في كل مكان
 وزمان لا يرهبون سلطانا ولا يرهبون قتلا أو سجنًا أو مصادرة ، وكانوا يفتنون
 التقية التي يقول بها الشيعة ، وكانوا مياالين نزاعين للصدق وقول الحق يفتنون
 الكذب والتناق والادمان في الدين وفي أمر الله وهذا كله لأجل إرادتهم الله
 ولأجل مآلديهم من حسن النية وسلامة القصد ، وما كان بلاؤهم سوى الضلالة
 والجهالة ولأجل ذلك رجع أكثرهم لما خرجوا على علي وأكفروه فذهب اليهم هو
 وند الله بن عباس فكلبهم وأرياهم مواقع غلطهم ، وذلك لأنه لا غرض لهم أو
 لا أكثرهم غير الحق ونصرتهم ؛ ولهذا رجعوا لما أن سفرهم جبين الهدى فأبصروه
 وعرفوه بخلاف وضعة مذهب الشيعة . فانهم ادعوا الألوهية في علي فأنكر ذلك
 عليهم وهاله فاستتابهم . فأصروا على ما قالوا وأبوا تصديق من زعموه المآ وكيف
 يكون المآ ثم يكذب ؟ أم كيف يكون المآ فيعصوه كفاحا لأجل طاعته على ما زعموا ؟
 وكيف يعذبهم على ما قالوا إذا ما كان حقا ؟ وكيف يطالبهم بالرجوع عن مقالة

الحق ؟ وكيف يهرب منه زعيمهم عبد الله بن سبا ؟ وأين المفر من الاله ؟ لا ريب أن بعض هذا يدل على أنهم منافقون ، وأنهم لا يريدون الحق ، وأنهم في زعمهم الوهمية على كاذبون يخادعون لا معتقدون ولا مؤمنون ، وهذا من الامور الظاهرة لدينا ولدى أهل البصر بالدين ونشوء الآهواء والعقائد في الاسلام . وإذا كان ذلك كذلك فلا ريب أن من ادعوا الاسلام والايمان نفاقا وخداعا واضراراً به وبأهله شر من دخلوا الاسلام وأرادوه حقاً باخلاص وصدق ، ولكنهم ضلوا وأخطأوا فقالوا أقوالاً باطلة منكراً وابتدعوا بدعاً سخيفة كما أتيح للخوارج ، فلا ريب إذن أن الشيعة شر من الخوارج وأنأى عن الحق والدين ، وهذا كما نقل هذا الرافضى عن الامام على أنه قال : « ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه »

ومما يدل على أن الرافضة أبعد من الخوارج أن علياً حرق الشيعة الغالية وقضى عليهم بالموت تحريقاً لما أن بلغت مقاتلتهم وظفر بهم ولم يدع منهم إلا من لم يستطعه . أما الخوارج فانه لم يقاتلهم ولم يبدأهم بالحرب حتى بدؤوه هم وقتلوا من قتلوا من أصحابه ، والمحفوظ عنه أنه قال للخوارج لما أن خرجوا عليه : « لكم علينا ألا نمنعكم من المساجد وألا نمنعكم من النىء وألا نقاتلكم حتى تقتلونا » وحفظ عنه أنه سئل عنهم : أكمفارهم ؟ فقال : لا . فقيل له : أنما نقولون ؟ قال لا . فهو لم يحكم بكفرهم ولم يقاتلهم إلا بعد أن قاتلوه وقتلوا من قتلوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل وأقلقوا الأمن والسلام . أما الشيعة الغالية فانه عاقبهم أصرم العقوبات بمجرد أن سمع مقاتلتهم فأصروا عليها . وهذه براهين تدل على مقدار الفرق بين الطائفتين وتدل دلالة جلية على أن الشيعة شر من الخوارج

(ثانی الامور)

ان باطل الخوارج وأول منكر جاءوا به هو قدحهم في الامام علي وفي خلافته ثم الخروج عليه واستحلال قتله وقتاله ، وهذا أول منكر جاءوا به وأعلنوه ، وهذا ولا ريب ذنب عظيم . ولكن ما عند الشيعة من هذا أفضح وأعظم . وذلك أن الشيعة يكفرون من هم أفضل من علي ومن معه من الصحابة ، ويستحلون قتالهم وقتلهم . فهم يكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة وطلحة والزبير وجميع الصحابة ما خلا شذمة قليلة . وأما الجمهور فكفار منافقون لديهم يجب قتالهم والخروج عليهم بلا ريب ولا هوادة . وقد نقلوا في كتبهم وعن أنمتهم من القبح والظلم في الصحابة ما هو في غاية المنكر والبذاءة والفحش ، مقالات نحسب الخوارج لا يستطيعون روايتها والتحدث بها فضلا عن ابتداعها ثم اعتقادها . وقد قلنا في هذا الكتاب أشياء من ذلك غاية في الخروج على الأدب والحياء . مثل قولهم ان الجيت والطاغوت هما أبو بكر وعمر ، وأن البقرة المأمور بذبحها هي عائشة ، وأن أئمة الكفر هم طلحة والزبير ، وأن الذي قال للانسان اكفر هو عمر ، الى غير ذلك من المقالات التي لا يقولها ملحد عاقل فضلا عن مؤمن بالله ورسوله وباليوم الآخر ، ولا نحسب الخوارج يستطيعون التفوه به به المقالات لما فيها من فساد الذوق وفحش التعبير

ولا ريب أن من يكفر الصحابة جميعا إلا القليل ، ومن يكفر أفضل الأئمة كأبي بكر وعمر وأموات المؤمنين شر من يكفر عثمان في شطر من حياته وعليًا في شطر من حياته أيضا فلا شك إذن أن الشيعة شر من الخوارج من هذه الناحية : ناحية العدوان على عقائد المسلمين وإيمانهم ، وهذه الناحية هي أبرز ناحية في الخوارج ، وهي من أعظم ما ابتدعوا وابتكروا . وقد بذت في طائفة الشيعة

وسبقتم سبقاً مينا كما رأيت ، ففى بلا شك منهم

(ثالث الأمور)

لا نذك في أن لدى الخوارج من الأخلاق الفضلى والسجايا المحمودة كالصدق والاستقامة والشجاعة والدين والتقوى والجد في العبادات والنأى عن مواطن الذم والضعف والسوء ما لم يوجد لدى طائفة الشيعة ، فان الخوارج كانوا من أصلق الناس والشيعة من أكذبهم ، والخوارج من أشجع الناس والشيعة من أجبهم ، والخوارج من أعبد الناس كما جاءت بذلك النصوص وكما قرر ذلك التاريخ ومنه تاريخ المحالفين والشيعة من أقل الناس ديناً ، والخوارج من أقول الناس للحق وأحرثهم عليه والشيعة من أكتهم للحق وأبعدهم وأجبهم عنه . وإجمالاً ما من خلق فاضل طيب صالح إلا والخوارج يفضلون الشيعة فيه ويسبقونهم اليه ، وان لدى الخوارج أخلاقاً وفضائل مرضية لم يكن للشيعة منها لا قليل ولا كثير فقد دلت حروب الخوارج ومنازلتهم مخالفهم ودلت مواقفهم الصارمة مع الخصوم على أنهم من أشجع الناس وأصدقهم وأفرضهم وأخلصهم نية وقصداً وعلى أنهم من أزهد الناس في الدنيا ومن أبعدهم عن الحرام وركبوا الآثام ودلت حروب الشيعة ومواقفتهم الخصوم على أنهم بعكس الخوارج في ذلك كله وأنهم من أكذب الناس وأوسهم قصداً وأضعفهم قلوباً وأجرعهم عند الحروب ، وأكثرم تهافتاً على الدنيا ولذاتها . وقد دل على ذلك كله خذلانهم علياً وبنيه ذلك الخذلان المتواصل المتلاحق المسبوق بأنواع الخداع والتغدير . وقوام أمر الشيعة شيطان : النفاق والفس . وقوام أمر الخوارج شيطان : الشجاعة والاندفاع في نصرة ما يعتقدونه حقاً . فالخوارج يعملون بما يطمون بصبر وجلد ومثابرة عجيبة ، ويجاهدون مخالفهم بشجاعة وإقدام وصدق وصرامة ، والشيعة لا ينصرون

ما يزعمونه الحق من المعتقدات الا بالخداع والمكر والدسائس ، ولهذا كانت التقية قوام أمرهم ، وكانت هي الأمر الذي به يعنون وله يهتمون . فخرؤبهم هي اغتيال وكيد ونفاق وتحريش ، ولهذا نجد علماء الحديث والرواية يفرقون بين الخوارج والشيعة فهم يروون عن غلاة الخوارج ويصححون أخبارهم ويحتجون بها لأن الخوارج وان كانوا ضلالا ناثين عن الحق لا يكذبون ، وكيف يكذبون وهم يعدون الكذب كفرا موجبا الدخول في النيران . ولكنهم لا يروون عن غلاة الشيعة ولا يحتجون بروايتهم والمحدثون لا غرض لهم في حب هؤلاء ولا بغض هؤلاء ، ولكن غرضهم هو الحق وحده . وكثيرون من أهل الحديث يرغبون عما رواه الرافضة مطلقا . لأنهم أجرياء على الكذب والزور كما فعل هذا الشيعي في كتابه هذا . فانه حشاه وطعمه بالأكا ذيب المفقوتة تعمدا وقصدا ، وقد روى الامام البخاري في صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج وخطيبهم المفوه وداعيتهم الأشهر ، وهو الذي امتدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل على رضي الله عنه وأبياته في هذا مشهورة أولها :

يا ضربة من تقى ما أراد بها إلا ليلغ من ذى العرش رضوانا
فهذا الخارجى معدود لدى المحدثين ولدى أهل السنة جميعا من غلاة الخوارج
الضلال ومن دعائهم ومع هذا كله روى عنه البخارى في صحيحه والبخارى معروف
أمره وتشده في الرواية ، وكتابه معدود أصح كتب الحديث عند أهل السنة
من المسلمين وأدقها شروطا وشرايط ، ونحن نعلم يقينا أن البخارى لا غرض له في
هذا سوى الحق والحق وحده ، وقد قال أبو داود : ليس في أهل الأهواء أصح
رواية من الخوارج ، وقيل ان حديثهم أصح الأحاديث ، وقال المافظ ابن حجر
في مقدمة فتح الباري « . . . والبدعة الموصوف بها اما أن تكون مما يكفر به أو
يفسق ، فالكفر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة

كما في غلاة الرافضة من دعوى بعضهم حلول الالهية في علي أو غيره ، أو الايمان بوجوه الى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذلك ، وليس في الصحيح من حديث هؤلاء شيء ألبته ، والمفسق بها كبدهم الخوارج والروافض الذين لا ينلون هذا الغلو وغير هؤلاء من الطوائف المخالفة لأصول السنة خلافا ظاهرا لكنه مستند الى تأويل ظاهره مائع ، فقد اختلف أهل السنة في قبول حديث من هذا سبيله اذا كان معروفا بالتحرز من الكذب ، مشهورا بالسلامة من خوارم الروعة ، موصوفا بالديانة والعبادة : فقليل يقبل مطلقا ، وقيل يرد مطلقا ، وقيل بالتفصيل »

فالرافضة الغلاة مردودو الرواية مطلقا كما ذكر الحافظ ابن حجر وأما الخوارج وبعض الشيعة غير الغلاة ففي هؤلاء الخلاف على ما ذكر . وفي الواقع أن الرافضة كلهم غلاة الا من شاء الله ، ولكنهم يستترون بالتقية ويكتمون أحيانا غلوهم الشديد عملا بهذه التقية . وأنت اذا راجعت ما ذكره ابن حزم والشهرستاني في كتاب الملل والنحل عن طوائف الشيعة علمت أن القوم كلهم غلاة وفوق الغلاة أيضا . وليراجع ما نقلناه في صدر الكتاب عن الشيعة

فليس في فرق الخوارج من يرد حديثه مطلقا على ما ذكر الحافظ ابن حجر أما الشيعة فيرد حديث الغلاة منهم مطلقا ، وذلك لسوء اعتقادهم وجرائمهم على الكذب وشهادة الزور . قال أشهب سئل مالك عن الرافضة ، فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون . وقال حرملة سمعت الشافعي يقول لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة . وقال يزيد بن هرون زروي عن كل صاحب بدعة اذا لم يكن داعية الا الرافضة فانهم يكذبون . وقال شريك أهل العلم عن كل من لقيت الا الرافضة فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا . . وقال الأعمش أدركت الناس لا يسمونهم الا الكذابين . وقال الأعمش أيضا : لا عليكم أن تذكروا هذا ، فاني لا آمنهم أن يقولوا : انا أصبنا الأعمش مع امرأة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هذه آثار ثابتة صحيحة رواها أبو عبد الله بن حنبل في كتاب « الابانة » الكبرى هو وغيره ذكره في منهاج السنة الجزء الاول ص ١٤ ومن تأمل في كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل القديمة والحديثة وجد المحدثين وقلة الرجال وعلماء السمة والآثر يحاذرون الشيعة والرواية عنهم كل الحذر ويזהدون في أخبارهم ويوهنون الاحاديث المروية عنهم كل التوهين ، لان الرافضة معروفون لديهم بالكذابة ومنع الأخبار تدنيا ، أو خداعا وضرارا بالاسلام والمسلمين . ولا نجد نقدة الرواة والروايات بقدرهم في طائفة مثل قدحهم في الرجال المشهورين بالرفض وفي ما يروون . ومن أشد القدح في الرجل أن يقولوا : رافضى ومن أشد التوهين للحديث أن يقولوا ان في سنده رافضيا أو شيعيا غاليا

وبالاجمال لا خلاف بين علماء السنة والحديث والأدب والتاريخ أن الخوارج خير حالا من الرافضة ، ولا خلاف أنهم يفضلونهم ويفوقونهم في أكثر أبواب الخير والفضل وأقانين المحاسن والفضائل وان الرافضة يفضلون الخوارج ويفوقونهم في النفاق والخداع والكذب وخبث الطوية والسريرة وفي الضعف والجبن والعجز عن القيام بالحق الذي معهم والانتصار لما قالوا انه حق

واستمع الى موقف أحد الخوارج بين يدي زياد ابن أبيه ... قال الشيرستاني في كتاب الملل والنحل : « ونجا عروة بن اذينة من حرب النهروان وبقي الى أيام معاوية ثم أتى الى زياد ابن أبيه ومعه مولى له ، فسأله زياد عن أبي بكر وعمر فقال فيهما خيرا ، ثم سأله عن عثمان ، فقال كنت أتولاه على أحواله ست سنين ثم اتبرأ منه بعد ذلك للاحداث التي أحدثها وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن علي رضي الله عنه فقال أتولاه الى أن حكمتم اتبرأ منه بعد ذلك ، وشهد عليه بالكفر ، فسأله عن معاوية فسبه سبا قبيحا ، ثم سأله عن نفسه ، فقال : أولك لزنية ، وآخرك لدعوة ، وأنت ما بين ذلك عاص ربك . فأمر به زياد فضربت عنقه ، ثم دعا

مولاه وقال صف لى أمره وأصدق ، فقال أظن أم اختصر ؟؟ فقال بل اختصر ،
فقال ما أتيت بطعام فى نهار قط ، ولا فرشت له بلبيل فراشا قط . هذه معاملته
واجتهاده ، وذلك خبئه واعتقاده »

وهذا مثل من أمثال صدق القوم وشجاعتهم وقولهم لما يرونه حقاً لا يخشون
سلطاناً ولا قتلاً ولا تمدياً . وفى هذا الدليل على شدة اجتهادهم فى الدين والعبادة
وعلى أنهم ما أصيبت مقاتلهم الا من جهة الجهل والضلال ، ونصيب الرافضة من هذا
أوفر من نصيبهم بلا شك

فالخوارج خير منهم حالاً بلا نزاع بين أهل العلم والبصر

(رابع الأمور)

ان لدى الشيعة عقائد منكرة افتردوا بها وحدهم لا يقول بها الخوارج ولا
يشاركونهم فيها ، وهذا النوع كثير معروف . من ذلك قولهم بمصصة الأئمة ،
وأنهم لا يفلطون ولا يقولون غير الحق لا سهواً ولا عمداً ، وأنهم مثل الأنبياء فى
ذلك بل أفضل وأصدق . ومثل قولهم يرجع الأئمة بعد الموت وبعد الغيبة الطويلة
وكزعهم أن علياً فى السحاب وأن البرق تبسمه والرعد صوته ، ومثل قولهم فى
آخر أئمتهم الثانى عشر أنه غاب واختفى فى سرداب فى سر من رأى وأنه سوف
يعود الى الظهور فينتقم من النواصب أى أهل السنة ، ومن ذلك قولهم بالتناسخ
تناسخ الأرواح . ومن ذلك أيضاً زعمهم أن القرآن محرف وأنه حنف منه ثلاثة
أرباعه ، ومن ذلك زعمهم أن هنالك نسخة هى الصحيحة للقرآن كتبها علي وأنه
سوف يظهرها ، وأنه كان لدى فاطمة أيضاً مصحف ، ومن ذلك اتهامهم جبريل
بالغلط ، وزعمهم أنه كان مرسلأ الى على فغلط فنزل بها على محمد ﷺ . وهؤلاء هم
الفراية منهم . ومنهم من يزعمون أن جبريل تعد ذلك ولهذا يعادونه ويعتقونه

ومن ذلك تحريفهم القرآن التحريف الذي لا يحظر على بال من يريد الحق ورضا الله ، وقد ذكرنا من هذا التحريف نماذج في أول الكتاب وفي ثناياه ، ومن ذلك قولهم بالبداء على الله أى وصفه بالعلم بعد الجهل ، ومن ذلك نزوعهم الى التشبيه كما كان ينزع المشامان منهم ، وأن الله على صورة الانسان ، وأن طوله كذا وعرضه كذا ، وقد تقدم قل هذا عنهم ، ومن ذلك قول بعضهم بفناء الجنة والنار ، قال ابن حزم : « وفي الكيسانية من يقول ان الدنيا لا تفتى أبداً » ، ومن ذلك قولهم بالنبوة بعد محمد ﷺ وقولهم بأنبياء كثيرين بعد النبوة المحمدية ، قال ابن حزم في الملل والنحل : « وقالت طائفة منهم ان على بن أبى طالب والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على والحسن بن محمد والمنتظر . ان هؤلاء أنبياء كلهم » . وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب نقلا عن كتبهم ما يثبت أنهم يردن الأئمة أنبياء وفوق الأنبياء ، ومن ذلك قول طوائف منهم باسقاط الشرائع وإحلال الحرام وكل شيء ذكره ابن حزم والشهرستاني في الملل والنحل وغيرهما ، وكذلك أسقطوا الواجبات من الصلاة والصيام والحج والفرائض الأخرى . ومن ذلك قولهم بالهية آدم والأنبياء بعده نبياً نبياً الى محمد ﷺ ، ثم بالهية على عليه السلام . قال ابن حزم : « وفرقة قالت بالهية آدم والنبيين بعده الى محمد ﷺ ثم بالهية على ثم بالهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن محمد . وأعلنت ذلك الخطائية نهائياً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى ، فخرجوا لصدر النهار في جموع عظيمة ينادون بأعلى أصواتهم : لبيك جعفر ، لبيك جعفر . قال ابن عياش وغيره كأنني أنظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلهم . ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالهية محمد بن اسماعيل بن جعفر وم القرامطة . ومنهم من قال بالهية أبى سعيد الحسن بن بهران الجنابي وأولاده من بعده . ومنهم من قال بالهية أبى القاسم النجار

القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور « هذا ما ذكره ابن حزم وساق بعده كثيرين ألهمهم طوائف من الشيعة . قال « وكل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء » ومن ذلك قول طوائف منهم بحلول الله في ذوات أنثىهم ومشايخهم . ومن ذلك أنه قد نبئت منهم فرق هي أ كفر من جميع أهل الملل وأشد حقا من جميع الحقى المشركين وهؤلاء كالنصيرية والاسماعيلية والقرامطة . فهذه الفرق معدودة من فرق الشيعة . بلا خلاف بين المؤلفين في الملل والنحل كالشهرستاني وابن حزم وغيرها ، بل الشيعة أنفسهم يعدونهم منهم ، وهذه الفرق أشد ضرراً على الاسلام والمسلمين من اليهود والنصارى ، وأبعد عن الاسلام وعن جميع الأديان وأكفر بالله وبرسله وكتبه وباليوم الآخر وأصول الأخلاق التي اتفقت عليها كل الديانات الى غير ذلك من عيوب الضلالات التي انفردت بها طائفة الشيعة دون الخوارج بل ودون أعظم الطوائف إلحاداً وزيفاً ، وهذه الضلالات الشيعة لا يوجد لدى الخوارج ما يعادلها ويساويها حماقة وقبحاً ونأياً عن العقول والمنقول . واتنا نحيل القاريء الى ما ذكر في أول هذا الكتاب عن طوائف الشيعة وما اختصت به من الجهل والموى

وحيث يدو للقاريء الفرق واضحا جليا بين الشيعة والخوارج ويعلم حيثئذ أن الخوارج وهم من الضلال الناهين خير من الشيعة وأدنى الى الخير والدين والعقول والأخلاق الفضلى

والبرهان القاطع على أن هؤلاء شر من هؤلاء أن هذين المذهبين قد بزغ قرناهما في زمن الخليفة على وزمن الصحابة وأئمة التابعين ، فعاقب على الطائفتين وأوقع بالفريقين ، ولكن لينظر الفرق بين ما فعله بهما من العقاب والعذاب . أما الخوارج فإنه لم يقاتلهم ولم يستحل دماءهم حتى بدؤا هم بالقتال وحتى قتلوا من المسلمين من قتلوا وحتى أخافوا الطريق وأقلقوا الأمن . بعد هذه الأمور وبعد أن استتابهم

ودعاهم الى الحق والى الاقصار عن سفك الدماء وعن هذا العدوان كى يدعهم وما
يعتقدون بعد هذه الامور كلها قاتلهم فى حكم الدفاع واستأصل شأفتهم اضطاررا
وقد حفظ عنه أنه لم يكفرهم ولم يحكم عليهم بالردة وبالخروج من الاسلام . ولهذا لم
يستحل أموالهم ولا سبى نسايتهم وذرياتهم ، وقد سئل عنهم : أهم منافقون
ومشركون ؟ فكان جوابه : انهم ليسوا مشركين ولا كافرين فليل له : ما هم
إذن ؟ قال : هم اخواننا بنوا علينا فقاتلناهم . وقد نقل الراضى عن على أنه قال :
لا تقاتلوا الخوارج من بعدى ، فانه ليس من طلب الحق فأخطأ كن طلب الباطل
فأصابه ، وقد تقدم هذا ، والشيعة يزعمون أن عليا عنى بالذين طلبوا الباطل فأصابوه
معاوية ومن معه من الصحابة والتابعين كما فسره صاحب نهج البلاغة ، فمعاوية
ومن معه من المسلمين هم شر عند القوم وعند على على زعمهم من الخوارج ، هذا
موقف على من الخوارج ، أما موقفه من أوائل الشيعة الذين نبخوا فى عصره ،
فكان موقفا أصرم وأشد ، وذلك أنه ما ظفر بهم ووقعوا فى قبضته حتى أعظم
أمرهم وما جاءوا به فاستنابهم فأصرروا فأصرم النيران وحرقتهم فيها ، وما سلم من
ذلك إلا من أعياء طلبه ومن فر بكفره وجلده الى سقر الله وعذابه . هكذا كان
موقف على من الطائفتين ، وهذا الموقف يبين لنا الفرق واضحا بين الطائفتين ،
ويوضح جليا أن الشيعة شر من الخوارج وأحق بزيد العقاب والعذاب
والتأديب الوجيع

ومن أين البراهين على أن الشيعة الغالية شر من الخوارج أن السبئية
والاسماعيلية ومن غلا غلوم من فرق الشيعة كفار باتفاق المسلمين وباتفاق العلماء
الذين أدر كرم وعلموا ما كانوا عليه

وأما الخوارج فقد اتفق الصحابة على أنهم غير كفار ، وقد تقدم قول على
فيهم ، وأنه لم يكفرهم لاهو ولا أحد من الصحابة ، بل كانوا يمدونهم مسلمين

ظالمين خارجين . ولهذا قاتلهم واهتقوا على حربهم ، ولكنهم لم يستحلوا أموالهم ولا نساءهم وذرياتهم ، لأنهم قاتلهم دفاعاً لشرهم وعدوانهم لأنهم يكفرون مخالفينهم ويستحلون قتالهم وقتلهم . ولو كانوا يعتبرونهم كفاراً لاستحلوا أموالهم وذرياتهم لأن الكفار هكذا يعاملون . ولما أن ضرب عبد الرحمن بن ملجم علياً رضى الله عنه وقبضوا عليه وأرادوا قتله قال على دعوه فإن مت قاتلوه قصاصاً وإن عشت رأيت فيه رأيي . وهذا يدل على أنه لا يمدد كافراً والآخر بقتله لردته . وقد كان رجال من الخوارج ومن زعمائهم يستفتون الصحابة كعبد الله بن عباس فيفتونهم كما يفتون المسلمين ، وقد قدمنا أن المحدثين كانوا يروون عن الخوارج وعن زعمائهم ورجال دعوتهم . وقد علمنا أن البخاري قد روى في صحيحه عن عمران بن حطان شاعر الخوارج الذي امتدح قاتل على عبد الرحمن بن ملجم . وأحاديث البخاري من أصح الأحاديث عند المسلمين . ولو كانوا كفاراً لما استجازوا الرواية عنهم ولما روى عنهم البخاري في أصح كتب الإسلام بعد القرآن . فالصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة الدين لم يمددوا الخوارج كفاراً . أما غلاة الشيعة كالسبئية والامعاعيلية والقرامطة فلا خلاف في كفرهم . وهذا برهان مستقل على أن هؤلاء القوم شر من الخوارج وأبعد عن الله وعن دينه وعن أهل السنة والجماعة . وقد جاءت أحاديث نبوية في ذم الشيعة والتحذير منهم تنصيهاً ونخصيصاً . وقد قدمنا هذه الأحاديث في صدر كتابنا . وتلك الأحاديث سواء أجمعت أسانيداً أم لم تصح فمعناها صحيح . فإن القوم رفضوا الإسلام ولفظوه ، وعبدوا المخلوق وألهوه ، وادعوا أعظم دعوى في الإسلام ، وخرقوا فيه أعظم خرق في إيمان عنفوانه وفورته في عصر الخلفاء الراشدين ، وقد قالوا لأحد أركان التوحيد الذين لا تزال أسيافهم تقطر من دماء الشرك والمشركين ، والكفر والكافرين : أنت الله ! أنت خالقنا ورازقنا . فقال لهم ويحكم ، إنما أنا عبد من عباد الله ، بشر

مأسور بأعراض البشرية ، آكل وأشرب وأحتاج حاجات الانسان ، وحاجات
المخلوق الضعيف المربوب المسير المصير ، فأنا وما تدعون ، وأين أنا من مقام
الالهية ؟ وبحكم ! ارجعوا عن هذا الأثم وهذا الحدث الأعظم . ان سيفي وسوف
اخواني الصحابة لم تجف بعد من دماء الشرك والوثنية . أليوم تدعون هذه
الدعوى ولما يعض إلا قليل ، وهذه معالم الشرك لا تزال ماثلة خاوية محطمة
تبصرونها وتبصرون فيها آثار طعنات التوحيد وضربات تنذركم بأننا ما قمنا ولا كنا
إلا لمنهضة الشرك وتدمير الوثنية ؟ أفى تدعون هذه الدعوى ثم تأتون لتنتروها
بين يدي ؟ ويلكم منى ثم ويلكم من الله ربكم ، ثم ريلكم من ناره وعقابه . ثم
الويل لكم أبداً حيث تحلون وحيث ترحلون ؟ فاذا قالوا لالههم الذى زعموا ،
وربهم الذى ألهموا عندما سمعوا قوله هذا ؟ انهم قالوا له لقد كذبت ، وما صدقت .
فأنت إلنا حقاً ولكنك تكذب وما تصدق ! ويل القوم أو يكذب الاله ، أو
ينهى عن عبادته ويفض على من عبده ؟ أي اله هذا ، وأي نفوس هذه ؟
ويل القوم يعبدون الهام يأمرهم بعبادته ثم لما أن رأوا ذلك الاله وسمعوا قوله ونهيه
أكذبوه ولم بطيعوه ! أفيعبدون من يقاؤون له كذبت شفها . أفيعبدون من
يعاقب على عبادته ومن ينهى عنها ؟ لقد ضعف الطالب والمطلوب والرب والربوب
هؤلاء هم الرافضة ، وهؤلاء هم الذين رفضوا الاسلام حقاً ، ولفظوه بلا شك
وهؤلاء هم شر من الخوارج ومن غير الخوارج ومن هم شر من الخوارج

شبه الشيعة باليهود

تشبه الشيعة اليهود من وجات ووجوه كثيرة . ولا عجب فى الأمر ، فان
أصل المذهب الشيعى كما قد ذكرنا مرات قد وضعه اليهود وأسسوه ودعوا اليه
سراً وجهاً حتى قام وصار مذهباً مستقلاً مبايناً المذاهب والنحل مخالفاً لما بميزاته

وخصائصه الكثيرة المختلفة ، فان عبد الله بن سبأ وهو من أصل يهودي ، أظهر الاسلام لما رأى فعلاته ووثباته القوية التي سحقته اليهود وغير اليهود من أهل الأديان الباطلة والذل الفاسدة ، ولم يكن أسلم قلبه ولا آمن باطنه ولكنه ادعى الاسلام مكيدة وغدراً ونكاية لها نظائر وأشباه اليوم بين المسلمين وبين خاصة المؤمنين ، وغريب من هؤلاء أن ينكروا الدعوة الى الدين الصحيح فسرأ وهم يسيحون الدعوة الى الأديان الباطلة والالحاد المخذعا ونفاقا فلما أن أظهر هذا اليهودى الاسلام الممزوج بالمشيم ووجد من لبوا دعوته راح فى جد ونشاط ودؤوب يهودي على العقائد اليهودية على المسلمين الضالين ، والعقائد الباطلة الملعنة حتى قام من ذلك المذهب الشيعى خليطا من الوثنية واليهودية والنصرانية ومن شر الأديان ، ومن الاسلام خير الأديان أيضا . وقد كان مناقرو الأمم ودهاتها الخبيثاء يجدون لمكايدهم ومصايدهم مراتع خصبة بين طوائف الشيعة يثرون فيها آراءهم وبدورهم ، فلا تلبث أن تثمر الثمرات المرة ، ولا تلبث أن يتكاثر ثمرها المرير وتفرع عنها النزوع والاصول والأشياء الأخرى ، وكان هؤلاء الكائدون المنافقون لا يجدون مأوى يرضونه ولا قبولاً يرتاحون الى تقيجته عند غير طوائف الشيعة ، حتى أنهم لا يجدون ذلك عند الخوارج أنفسهم الذين هم من أضل الفرق ومن أكثرها شراً وبلاء وجها ، ولأجل هذا ادعى الاسلام المشيم أقوام كثيرين كان غرضهم محاربة الاسلام الصحيح ومحاربة أهله من كذب . فادعى هذا الاسلام المشيم آحاد وجماعات من سائر الأمم والشعوب والذل خصوا بالدهاء العظيم والمكر الميى والطوية الماكرة الخبيثة . فأحدثوا فى الشيعة المحسوبة على الاسلام الأحداث الكبرى والآراء النكراء ، ومثلوا بالاسلام أشنع التمثيل . وأنت اذا درست المذهب الشيعى واجد فيه من كل الملل أفسدها وأبطلها وأقربها الى الجهالة والنكارة . ولكن المذهب يمتاز بالمفردات اليهودية المتكاثرة . والسبب الظاهر فى

هذا أن المذهب كان واضعه الأول يهوديا كما ذكرنا . وقد أدخل فيه ما استطاع من اليهودية وغيرها من أئيم الآراء والعقائد

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل : « وأما نشأت شبهاتهم (أى الشيعة) من مذاهب الخلوية ، ومن مذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى ، إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخالق بالخلق فسرت هذه الشبهات في آذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » فالشيعة تشابه اليهود من وجوه كثيرة من ذلك أن الشيعة تقول بالبداة على الله واليهود تقول بذلك أيضا ، والمراد بالبداة أن الله يقول شيئا ثم يبدو له أى يظهر له أن المصلحة والحكمة في خلاف ذلك فيبدل ذلك القول ويريد غيره ، وهذا وصف لله بالجهالة . تعالى الله عن قول الجاهلين

ومن ذلك أن اليهود يقولون بالتشبيه تشبيه الله بخلقه ، فيصفونه بالحزن والبكاء واللقوب وأعراض النقص ، وكذلك الشيعة يشبهون ، ويصفون الله بصفات الخلق والنقص ، وقد قدمنا ذلك ، قال الشهرستاني « وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة » وقال مثل هذا في غير موضع من كتابه الملل والنحل ، وكذا قال غيره كالإشعري وابن حزم ، وقال ابن حزم : « وكان داود الجوازي من كبار متكلمي الشيعة يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الانسان »

ومن ذلك أن اليهود ينادون جبريل عليه السلام ويمقتونه ويقولون هو عدونا وكذلك الشيعة تمدح فيه وتمتته ، لأنه في زعمهم قد أرسل إلى على فغلط فنزل على محمد عليه السلام . وبمضهم يزعم أن جبريل تعد ذلك . وقد تقدم الكلام على هذا مرات

ومن ذلك أن الطائفتين قد ضربت عليهما الذلة والمسكنة فاليهود قد أخبر الله

عنهم بذلك وسجله عليهم في الكتاب العزيز وقد أنبأنا به منذ أربعة عشر قرناً ونصف وأبانه بيانا صريحا واضحا ، ومن ذلك اليوم إلى اليوم واليهود لا يزالون يتقلبون في الذلة والمسكنة والهوان ، لم تقم لهم قاعة ، ولم تثبت لهم دولة وقد حاولوا هذا مرات وإلى اليوم يحاولونه واستخدموا أموالهم الكثيرة الوافرة في هذه الأمنية ولكنهم فشلوا وسيلازمهم الفشل في هذا أبداً ما داموا يهوداً ، وما داموا يخضعون للاخلاق والمعاني اليهودية ، وما دامت نفوسهم نفوساً يهودية . وكذلك الشيعة قد حاولوا مرات في عصور مختلفة الاستيلاء بالآمر والنهوض بأعباء الملك والسلطان وانزاعه من أيدي أهله ، وقد نالوا جزءاً طفيفاً من ذلك في فترات من الزمن ، ودانت لقوتهم بعض الأقطار أحياناً قصيرة زائلة ، ولكنهم ما زالوا أذلة صاغرين حتى في أيام دولتهم وسلطانهم ، وحتى في الاقطار التي دانت لهم في الظاهر واعترفت لهم بالملك . فانهم ما زالوا يخافون غيرهم من أهل السنة وغير أهل السنة وما زالوا يصانعونهم وينساقونهم ويستعينون بهم في تثبيت دعائم ملكهم وإقرار الأمر في أيديهم وما استغنوا عن أهل السنة أو عن غيرهم في عصر من العصور في ضبط الملك وإقرار الأمر ، وما استغنوا عن مداخلتهم ومداخلاتهم في عهد من العهود عهود عزم وعهود ذلهم ، بل كانوا أبداً في حاجة إلى غيرهم ومصانعتهم ومعاونتهم في جميع أمورهم سياسية وغير سياسية ، وما استقلوا بالآمر وضبطه من جميع الوجوه يوماً من الأيام . ولهذا كانوا دائماً في حاجة إلى التقية أي النفاق ، وهم يمتدحون التقية ويروون لها فضائل ويستدلون لها بالقرآن ويروون عن أهل البيت النبوي فيها أشياء منكرة مكذوبة بلا ريب ، وما احتاجوا إلى هذه التقية وافتقروا إلى المصانة دائماً إلا لهوانهم وذلم المؤبد ، وتجدهم في كل مكان يكتمون مذهبهم ولا يكادون يبرحون به في مكان غير مكانهم وعش غير عشهم وهذا المصنف نفسه يحوم حول هذه التقية كثيراً في كتابه ويلجأ إليها في أغلب مباحثه . ويقال انه يظهر الاعتدال

والقصد اذا ما جلس الى أهل السنة وخاطبهم وخاطبوه . وأنه لا ييوح بذهبه
وتعصبه ضد الصحابة وأهل السنة بين أهل السنة ، وهذه تقيسة ومصانعة ان كان
يفعل ذلك . وإلا فالرجل من الشيعة الغلاة ، وهو في كتابه هذا يحتج كثيراً بكلام
أهل السنة وكلام المحدثين والأئمة الأربعة وكلام أصحابهم من الفقهاء الذين
يكفرون الرافضة الغلاة ويرمونهم بأشد المقادح ، ويرى القارىء تلبساً وغشاً أنه
يرضى قول هؤلاء العلماء ويقيم لأقوالهم وزناً وأنه يرى ما يقولونه حججاً ، ولكنه
في نفس الأمر ليس كذلك ، بل هو لا يرضى بأبي بكر وعمر وخيار الصحابة
والمهاجرين حاكين ولا يعتد بأرائهم وما أجمعوا عليه فكيف يعتد بأقوال الأئمة
الأربعة وغيرهم من المحدثين الذين نهاية الكمال والفضل لديهم أن يتشبهوا بالصحابة
وأن يكونوا من حزبهم المقتدين بهم

ولولا ما ضرب على هؤلاء من الذلة والمسكنة والصغار كما ضرب ذلك على
اليهود لما كانوا في حاجة الى هذه التقية أو هذا النفاق . والعزيز الحى الأبى لا يرضى
بالتقية ولا يلجأ إليها . وليس هنالك ما يضطره إليها ولأما يقضي عليه بها وإنما الذى
يلجأ إليها هو الأذل أو الجبان . وهذا واضح . ولأجل هذا لا يقول أهل السنة
بهذه التقية الرافضية ولا يبيحونها . بل هم يرونها من النفاق المزدرى المهيين

فاليهود والرافضة في هذا سواء وإخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه كما قال الله «من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه» وكذلك الرافضة يحرفون الكلم عن مواضعه بل هم
هندي وعند من رأى تفاسيرهم للقرآن أفرس من اليهود في هذا الميدان وأسبق ،
وقد وضعنا نماذج من ذلك في ثنايا هذا الكتاب وفي مقدمته . وذلك كقولهم
في البقرة وفي الجبت والطاغوت وفي أئمة الكفر وفي الشجرة الملعونة في القرآن ،
وفي اللؤلؤ والمرجان وفي الكسف الساقط من السماء وفي البيان . الى غير ذلك من

تأويلهم القرآن ، ولقد جمع بهم هذا حتى أولوا الواجبات والمهرمات بأن المعنى بها رجال يراد مواليتهم ومعاداتهم . وقد دخل الباطنيون والملحدون من بابهم وسيلهم ومنهبتهم كما تقدم عن ابن حزم وغيره

ومثل هذه التأويلات هي عند المسلمين شر من الكفر بالنصوص . فلو أن الرافضة كفروا بتلك الآيات وكذبوها وقالوا انها من كلام البشر وكفروا بالقرآن لكن أخف من هذه التأويلات الباطلة ولا سترأحوام وأراحوأغيرهم من عنايتهم وعناء تأويلاتهم ، ولبقى هذا الباب باب التحريف الآحق الأهوج مقفولا دون الاسلام ونصوصه ، فلم يلجج الملاحطة والباطنية وأهل النفاق والمكابد

وأرباب هذه التأويلات يعرفون ولا شك أنهم يحتالون للخلاص من هذه النصوص احتيالا ، ويعلمون أنهم يفسرونها تفسيراً هوخلاف مايريد الله وخلاف ما يفهم جميع العقلاء منها ، ولهذا فاتهم في الباطن يكفرون بالنصوص وينكرونها ويقابلونها بالجحود والانكار والازدراء ، وذلك أن المذهب أصالة موضوع على الاتحاد والزندقة والكيد للاسلام ، وان كان هذا قد يخفى على عامة الرافضة وبعض خاصتهم ، فاليهود والرافضة في هذا إخوان شركاء

ومن ذلك أن اليهود والرافضة لا يعدلون في حبههم ولا بغضهم ، ولا يقتصدون في توليهم ولا في تبريهم ، بل كلتا الطائفتين مسرفة في هذا وهذا ، ظالمة في هذا وذاك . فبينما ترى اليهود يغفلون في بعض الأنبياء وفي بعض الأجيال ويتخذونهم آلهة وأربابا ، ويعبدونهم أنواع العبادات ويذلون لهم أعظم الذل ، إذا بهم يقدحون في فريق آخر من الأنبياء ويهددون اليهم شر التهم والعظام ويؤمنونهم بالهت وبما هو فوق الحبث كذبا وزورا . كذلك الرافضة ، فبينما تراهم يغفلون في الامام على وبعض ذريته ويؤمنونهم ويؤمنون أن الله حل في ذواتهم لشرفهم وقداستهم ، إذا بهم يقدحون في الفريق الآخر من الصحابة والمسلمين أمر القدح

ويربونهم بالكفر والتفاني وسوء الطوية وسائر الأدواء النفسية الاعتقادية كذبا وزورا ، خلق يهودى وفعله اسرائيلية موروثية مستعارة

ومن ذلك أن اليهود يستحلون دماء المسلمين العرب وأمواهم بكل الوسائل بالخداع والربا الفاحش والاغتياى والغش وبما استطاعوا من الوسائل اليهودية ، ويقولون ليس علينا فى الأمين سبيل كما فى القرآن ، كذلك ارافضة يستحلون دماء أهل السنة جميعا وأمواهم بكل الوسائل بالاغتياى والغدر والاحتياى والغش وبما استطاعوا من صنوف الوسائل الباطلة ، والرافضة لا يستطيعون شيئا من ذلك إلا فعلوه وارتكبوه واعتقدوه ديناً وقربة الى الله لأن أهل السنة جميعا فواصب كافرون لا بأس فى النيل منهم كل منال ، وقد قلنا فيما مضى عن أحد أئمتهم المعصومين عندهم قوله « خذ مال الناصبى حيثما وجدته وادفع اليها الخمس » وقد ذكرنا نماذج من هذا فى مقدمة الكتاب

ومن ذلك أن اليهود يتعشقون القبور ويهيمون بها هياما ويصبرونها مساجد غلوا وافتتانا . وقد قال ﷺ « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » الى غير ذلك من الأحاديث التى سوف تأتى ، وكذلك ارافضة ينلون فى القبور والمشاهد غلواً قبيحاً ، غلوا اليهود أو أشد ، ويتعشقونها كاليهود أو أشد حتى أصاروها مشاهد ومعابد ومساجد بل أصاروها كالكمبة ومشاعر الحج يحجون اليها كما يحج المسلمون الى بيت الله الحرام من كل مكان ، ويطوفون بها كما يطوف الموحدون ببيت الله ، ويسعون حولها كما يسعى المؤمنون بين الصفا والمروة ، ويشدون اليها الرحال من كل مكان كما يشد عبد الله الرحال الى حج بيت الله وأداء فريضة الحج المقدس . ان هؤلاء يصنعون ذلك كله حول القبور بل يصنعون ما هو أكثر ويعظمون للمشاهد أكثر من تعظيمهم بيت الله ، ويفضلونها عليه كما قد قدمنا فى مقدمة الكتاب أنهم يفضلون كربلاء لأن فيها بعض المشاهد على مكة المكرمة وهم يزينون

الأضرحة بفاخر الزينات ، ويلقون عليها مختلف الملقبات . يفعلون ذلك كله
 ويزيدون عليه ، يفعلون غلواً شديداً . وهذا أمر لا ينكره أحد حتى أنهم أنفسهم
 لا ينكرونه بل إنهم به يفاخرون ويكاثرون . وهذا الكتاب الذى هو كشف
 الارتياح مؤلف لهذا الغرض والدفاع عنه ومحاولة إقامة الدلائل على أن ذلك كله
 من دين الله الحنيف

ومن ذلك أن اليهود يفعلون في تقديس الأحبار والرهبان الى حد العبادة
 والتأليه كما قال تعالى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وقد جاء
 في الحديث تفسيراً للآية أنهم من غلوهم في تقديسهم وإبعادهم عن مواضع الاتهام
 والارتياح كانوا إذا أحلوا لهم الحرام أحلوه ، وإذا حرموا عليهم الحلال حرموه ،
 لأنهم لقداستهم وقربهم من الله ، كما يزعمون ، لا يقولون سوى ما يريد الله ،
 ولا يشرعون إلا ما يريد أن يشرعه ، ولا ينطقون سوى الحق والهدى . وكذلك
 الرافضة يفعلون في أئمتهم غلواً تأليه وعبادة ، ويقدسونهم حتى يضعونهم في درجات
 هي فوق مستوى البشر والخلق ، فهم يقولون بمصمتهم من الأخطاء والذنوب
 والنسيان ، ويقولون أنهم لا ينطقون سوى الحق لا ساهين ولا عامدين ، ولا
 يفعلون سوى الحق أيضا لا اختياراً ولا اضطراراً ، ولا يريدون سوى ما يريد
 الله ، فهم مع الحق والحق معهم أينما كانوا لا يفارقهم ولا يفارقونه . لأنهم يعبرون
 عما يريد الله ويترجمون شئونه وحكمه لصلتهم به وإطلاعهم على أسراره

ومن ذلك أن اليهود وغيرهم كالنصارى ليس لدينهم ولما يأتونه ويفد كونه
 عن أنبيائهم أسانيد لا صحيحة ولا ضعيفة ، ولا لمن يروون عنهم كتب تراجم صحيحة
 معتبرة لها أسانيد متصلة ، بها يعرف حال ذلك الراوي المحدث وتعرف قيمته
 الدينية والعلمية والخلقية ، بل كل ما عندهم أشياء مجهولة منقطعة الأسانيد مظلمة
 للمعنى ، لا يعرف من رواها ولا كيف رواها ولا أين وصلت الى المتأخرين

والأجيال الغابرة . ولهذا غيرت اليهودية وغيرها من الأديان وداخلها ما داخلها من التعريف والتبديل والزيادة والنقصان ومن الضياع والفساد ، ونفق على أهلها مانفق من الأكاذيب والأماجيب والمناكير المحجلة . ولهذا فإن أهل هذه الأديان لا يستطيعون أن يثبتوا صحة ما يعزون إلى الله وإلى أنبيائهم من الروايات والشرائع على الطريقة العلمية الصحيحة ، ولا يستطيعون أن يستيقنوا هم صحة ذلك وصحة عزوه إلى من يعزونه إليه . وإنما يأخذون ذلك ويقبلونه مغضين عن اعتراضات القوانين العلمية ، ومناقضات القضايا المنطقية ، وكذلك الرافضة ليس لعقائدهم ومفرداتهم التي بها يبنوا أهل السنة والجماعة واختصوا بها وصاروا بها رافضة مستقلين عن غيرهم أسانيد صحيحة ولا روايات متصلة مقبولة ، ولا لمن يروون عنهم ما يروون من هذه المفاريد والخصائص تراجم معروفة صحيحة يتقدون بها هؤلاء الرواة ، ويعلمون بها مكانتهم العلمية والدينية والخلقية ، ويعرفون بها أم أهل الرواية والنقل والتحديث عنهم ، أم هم قوم منافقون دأبوا على السكيد للإسلام وأهل الإسلام ، وسعوا لإفساد الشريعة من طريق الرافضة والازدلاف إليهم . وقد ذكرنا أن الرافضة هم المأوى الرحب ، ينضوى إليه كل مناوى الإسلام خداعا وغشاً ، وأن الرفض هو الصلة المحكمة المبرمة لمن أراد الاتصال بالدين الخفيف لكيدته وفساده . فليس لدى الرافضة رواية يصح الاعتماد عليها والركون إليها إلا أن تكون من روايات أهل السنة والجماعة والا أن تكون مروية في كتب أهل السنة والجماعة ، والا أن يكون رواها من أهل السنة والجماعة ، ولا يمكن معرفة رجل من رجال الشيعة ولا معرفة ما كان عليه من صحة وضعف ومن دين ومروق إلا من طريق كتب أهل السنة وتراجهم ، ولا يمكن معرفة ما تزويه الشيعة وتضيفه إلى الرسول والأخيار من آل البيت وإلى الدين إلا من طريق أهل السنة وأقوالهم وكتبهم ، كما أنه لا يمكن معرفة ما كان عليه الأنبياء

موسى وعيسى وغيرهما ، ولا معرفة ما جاءوا به من الشرائع والكتب الا من طريق
للمسلمين وكتب الاسلام فان المسلمين شهداء على الناس ، ودينهم شهيد على الأديان
بما أنزل الله من الهدى والنور والبينات على قلب خاتم الأنبياء ، فهم الذين يعرفون
صحيح الأديان من باطلها ، وهم الذين يشهدون للحق بأنه حق وعلى الباطل بأنه
باطل ، وهم الذين يرثون الأنبياء مما أضيف اليهم من الجهالات والضلالات
والرعونات الفاضحة التي ألصقها بهم الجاهلون والأنصار الأغبياء . ولولا الاسلام
وكتابه ونبيه لما عرف ما عند أهل الكتاب من حق وباطل ، ولما عرف ما جاءت
به أنبياءهم لاختلاط ذلك على أهل الأديان أنفسهم ، ولضياع الأسانيد والروايات
التي بها يميز الكذب من الصدق ، ويعرف الصادق من الكاذب . وهذا ما أشار اليه
الله بقوله « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا » وهذا هو شأن الرافضة مع أهل السنة ، لا يمكن أن يعرفوا حق
ما عندهم روايات وآراء من باطله الا من طريق أهل السنة . ولهذا يلجأ الرافضة الى
العمل بالرقاع للزورة ، ويزعمون أن صاحب الوقت أو إمام الوقت هو الذي
يكتب الرقاع ويضع فيها ما يراد من الشرائع ويثبت فيها جواب الأسئلة الموجهة اليه
تبيانا لشيعته . ولأجل هذا أيضا ، أي لأجل فقدان الأسانيد يزعمون أنهم يروون
عن رسول الله عن الله ، وأن الناس يروون عن الناس . كما قال أحد أئمتهم :
« ذروا الناس فان الناس أخذوا عن الناس ، وانكم أنتم أخذتم عن رسول الله »
ذكره في الوافي

هذا والرافضة يزعمون أن القرآن محرف ، ويزعمون أن التقية جائزة بل
واجبة ، ويزعمون أن أهل الحق وآل البيت ما زالوا يكتُمون الحق ويخفون الهدى
طيلة تلك المصور التي كانوا فيها مظلومين تمية عندهم ، ويزعمون لذلك أن عليا
وغيره من الأئمة الراشدين كانوا كاتمين النصوص الواردة في فضلهم وحقهم وفي

الوصاية بالخلافة وولاية الأمر لهم واحدا فواحدا ، وأنهم كانوا كاتمين المصحف الصحيح الذى كتبه على وكذا مصحف فاطمة طيلة هذه العصور تقية أيضا ، وإن حليا كان يرى الصحابة المنافقين خصومه وخصوم آل بيته يحرفون القرآن ويدلونه ويحذفون منه ما يحذفون من فضائله وفضائل آل بيته وذريته وهو موافق لهم فى الظاهر تقية أيضا ، ويزعمون أن المصحف الكامل الصحيح سوف يظهره الامام المنتظر اذا مظهر ، ويزعمون أن الامام المنتظر هارب بنفسه مخفى عن الانظار ، أنظار أعدائه وأصدقائه كاتم أمره ومأمعه من الحق والمهدى تقية أيضا ، ويروون عن آل البيت روايات فى غاية الغرابة فى هذه التقية وفى فضل العمل بها

فاذا كان هذا كله صحيحا ، أى اذا كان القرآن محرفا مبدلا ، وكانت التقية أى كتمان الحق والمهدى خيفة الأعداء جائزة وواجبة فى كل هذه العصور والعهود ، وكانت هذه التقية تقضى باخفاء الحق وترك الناس فى لبسهم وضلالهم يعمهون فى هذه العصور المتطاولة كلها ، وإن الامام منهم قد يقول القول وهو لا يريد ولا يرى ما يقول حقا ، ولكنه يقوله تقية ، فكان ينفى الواقع ويثبت ما ليس واقعا تقية أيضا

اذا كان هذا كله صحيحا فكيف تمكن عندهم معرفة حق ما من القرآن أو من السنة وكل ما هنالك يتطرق اليه احتمال التحريف واحتمال صحت التقية وما تقضى به من كتمان وموافقة على الباطل ؟ إن هذا مالا يمكن معرفته . وهذا مالا حيلة للشيعية فى دفعه ولا فى الانفكاك منه

فان شيعية اذن لا يمكن أن يعرفوا الحق من الباطل الا أن يرجعوا الى أهل السنة والى كتبهم وأسانيدهم وهدايم ، كما أن اليهود وغيرهم من أهل الكتاب الاديان لا يمكن أن يعرفوا ما جاءت به أديانهم وأنبيائهم الا أن يرجعوا الى

الاسلام وكتابه ونبيه خاتم الانبياء

ومن ذلك أيضا أن اليهود يقولون بالتقية وكنان الحق والمواقفة على الباطل ، قال الله تعالى محدثا عنهم « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ، ولا تؤمنوا إلا بما نبع دينكم ، أي آمنوا واكفروا على حسب ما ترون من الاضرار بالمؤمنين والهدية لهم ، أي آمنوا واكفروا تقية ومكيدة ، وكذلك الرافضة يقولون هذه المقالة ويدعون هذه الدعوى ويسرفون في ذلك ، أي يقولون غير الحق ويكتمونه كما قدمنا ، ولم في هذه التقية روايات غريبة ، من ذلك ما يقوله الباقر والصادق : « من أظهر الحق وترك التقية في دولة الباطل كان ممن لم يرض بقضاء الله ومن خالف أمر الله وضيع مصلحته التي اختارها لعباده ، فهو مارق من الدين » . ذكره في أصول الكافي ، وكما كان هؤلاء الذين حدث الله عنهم من أهل الكتاب يظهرون الايمان بما آمن به المؤمنون خداعا وحيلة لردم عن دين الله كذلك كان رجال من الشيعة يدهون الاسلام ويظهرون التشيع نفاقا وضغنا الذين آمنوا كما صنع ذلك واضع المذهب الشيعي الأول ، والله أعلم بما كانوا يعملون

هذا ومثابه الشيعة لليهود كثيرة متعددة ، ومن أجمع ذلك ما رواه الامام ابن شاهين في كتاب اللطف . وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب صفحة ٤٣ فليراجع وكذلك الشيعة يشبهون النصارى من وجوه عديدة فنضرب عنها صفحا . ثم ان اليهود والنصارى يفضلون الشيعة في أشياء غير ما ذكر في تلك الرواية التي أحلنا القارىء عليها في أول الكتاب فلنضرب عن ذلك صفحا أيضا

محمّد

وبهذا تمت مقدمات الكتاب وتم التقض عليها والابطال لباطلها بالشكل الذي رأى القاريء ، وبلى المقدمات من الكتاب الباب الأول منه

باب كتاب الرافضى الاول

وعنوان هذا الباب في كتاب الشيعي « باب في ذكر جميع معتقدات الوهابية
ومحور مذهبهم الذي يدور عليه . »
ونحن نلخص ما في هذا الباب ونذكر كل ما اشتمل عليه من الدعاوى
ونذكر الجواب عما في ذلك من غلط وغلط . .

الاجتهاد

ذكر أولا ما خلاصته أن الوهابيين يدعون جواز الاجتهاد في بعض الأمور
والمسائل لا في الأمور كلها ولا في المسائل كلها . وذكر أنهم يقولون لا يجوز لنا
أن ندع السنة النبوية إذا ما بان لنا وعلمت لأجل تقليد بعض الأئمة ، ولكن
التقليد لا يجوز إلا عند الضرورة وعند خفاء السنة النبوية المخالفة لما نأور عن
الامام المراد تقليده . ثم ذكر عن بعض علمائهم أنه قال : « ولا نعترض على
أحد في مذهبه إلا إذا اطلعنا على نص جلي يخالف لأحد الأئمة وكانت المسألة
ما يحصل بها شمائر ظاهرة كإمام الصلاة فنأمر الحنفى والمالكي مثلاً بالطائفة في
الاعتدال والجلوس بين السجدين لوضوح ذلك بخلاف جبر الشافعى بالبسملة
فلا تأمره بالاسرار . ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ،
وقد اختار جمع من أئمة المذاهب الأربعة خلاف مذهب مقلدهم »

هذه خلاصة ما ذكر الشيعي عن الوهابيين في الاجتهاد وفي نظرهم الى هذه
المسألة المأونة في كتب الأصول . ونحن لا ندرى هل الشيعي يريد بهذا ذمهم
أم مدحهم ، وموافقهم أم مخالفتهم . فان هذا الرأي الذي قلده عنهم في الاجتهاد

هو من أهل الآراء وأبعدنا عن الإفراط والتفريط وعن القلو في التقليد والخلو في الاجتهاد . فان هنالك طرفين مذمومين في هذه المسألة : طرفاً مفرطاً وطرفاً مفرطاً . طرف يقول : يلزم التقليد مطلقاً وعلى كل حال ، ولا يصح الاجتهاد ولا مخالفة الماضين ولو بحثت بذلك النصوص وقامت الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وشيوخ الاسلام ، بل لا تصح محاولة ذلك ، ولا محاولة فهم الكتاب والسنة ، ومحاولة أخذ الأحكام منهما والاستقلال في فهم نصوصهما ، وان كانت واضحة جلية وظاهرة قوية . ثم يخلو هذا الطرف المتطرف فيزعم أن باب الاجتهاد ، أى باب الاعتراف من منهل الكتاب والسنة قد أغلق منذ أزمان قديمة وأن هذا الباب لا يجوز اجتيازه ولا فتحه ألبتة . ثم يخلو هذا الطرف في التطرف فيذهب يزعم أن من حاول الاستقلال في فهم شيء من كتاب الله أو سنة رسوله وحاول الاجتهاد ومخالفة الامام المقلد في مسألة من المسائل التي ظهر له دليلها قوياً ظاهراً فقد ارتد أو كاد . . . فخرم هذا الطرف من الطرفين المذمومين استعمال العقول فيما خلقت له ، وحال بينها وبين وظيفة الفهم لأشرف كلام وأجل موضوع ، وهو كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، وحرما لذة الدليل والبرهان ولذة الظفر بالدليل والبرهان ، البرهان على الله وعلى عبادته ومعرفته وشرعه . وحرم الإنسان أخص وصف له وأجله وهو وصف العلم والمعرفة القائمين على الدليل والحجة فجنى هذا الفريق على الدين وعلى كتاب الله وعلى العقول وعلى الانسان أكبر جناية وأشدّها ضرراً . فصدئت العقول والأذهان والقرائن من طول الرقود ، وركنت ثم تناقصت ، وتكامل نقصها وركودها حتى مامت أو كادت . فضعف الدين وضعف أثره في تلك النفوس ، وقلت ثمرته التي كانت تظهر على الأعضاء والجوارح والأعمال ، وتناقص العلم بين المسلمين ، ووقف الاتاج والثقافة حتى نسيت المؤلفات القوية النافعة ، الناحية منى الفهم والاستقلال

في الفهم ومطالبة الدليل ، ورُغب من هذا الصنف من العسكب حتى هجر ونسى وأصبح مطموراً تحت أكداس النسيان والجهالات واستبدل الناس بهذا النوع الذي هو أدنى وأحط ، فأنحط التأليف ونزل جداً ، وتبع نزول ذلك نزول اللغة وأنحطاطها وفسادها وتدهورها ، هذا التدهور الذي لانزال آثاره بادية في التأليف وفي اللغة نفسها وفي سائر العلوم ، ولا يزال ذلك يحتاج الى العلاج والتعليب ، ولحق هذا سلسلة أمراض لقوية ودينية وعقلية انفطرت حباتها حينما سقطت الحبة الأولى من هذا العقد المتناسك الحبات . وفي سبيل الشيطان ما لقي الاسلام والمسلمون من جراء هذا الطرف المتطرف

وأما الطرف الثاني فزعم أن الاجتهاد أمر مباح لكل أحد ولكل قائل وناطق بلا قيد ولا شرط ، وليس بلازم أن يكون في حدود الكتاب والسنة ، ولا تحت نطاق الشريعة المعلومة بالاجماع والتواتر ، ونطاق الاسلام المضروب على كل المسلمين من قاص ودان ، ولا تحت نطاق اللغة العربية التي نزل بها الكتاب والسنة . بل الاجتهاد أمر مشاع مباح لكل وارد وقائل في جميع المسائل وجميع ضروب الأصول العلمية للخاصة والعامة . فن ارتشف رشفات عجبى خاطفة من علوم الفلسفة العابثة . حب يجتهد في أصول الاسلام ويتحكم فيها ، ويؤولها تحريفاً وإفساداً ، وينزلها على ما اختطف من هذه الفلسفة الفاوية . تخالف الأصول والقواعد والمقائيد التي هي أصل الدعوة الاسلامية ، وخرج على الاجماع وعلى الكتاب والسنة وعلى سنن المسلمين في جميع العصور الاسلامية الذهبية ، ومن انغمس في الصوفية البوذية البرهمية الاتحادية وابتل بمائها وبجهاها الماذية المازلة راح يهذو في ذات الله وفي صفاته ودينه وشرعه ، وفي الأنبياء والملائكة وفي الكتب المقدسة وراح يبعث الكلمات الملحدة الفاسقة الكافرة ، وراح يدعى دعاوى الكافرين الملحدين ، ويقول أقاويل الفاوين المنكرين . تخالف الاجماع وتخالف أصول الاسلام

وخالف الكتاب والسنة وما اتفق عليه المسلمون في جميع المصور ، وذهب بحد في المسلمين وفي الأنبياء والمرسلين وقض هو الدين ورداه من على كتفيه فأصبح إمام المارقين المتجردين ، بل وراح يدعي في نفسه الألوهية والربوبية والنبوة أن تواضع ، فصار رأساً في كل ضلالة وفي كل حماقة وفي كل بلية ، ومن شام يرق المعرفة والعلم ولم يرد ، وقصدت به نفسه وحاله عن البلوغ والورود راح يحاول الاجتهاد في كتاب الله وفي سنة رسول الله وفي اللغة وفي وسائل ذلك كله ، وهو لم يملك وسيلة واحدة من تلك الوسائل الأولية ، فعبث بالكتاب وبالسنة وباللغة وبكل شيء . خالف الاجماع والاصول والمقائد الأولية ، فصار هو بدعة سيئة في الدين وفي الأمة وفي اللغة . وفي سبيل الشيطان ما لقي الاسلام والمسلمون من بلاء هذا الفريق

فهذان الطرفان المتقابلان طرفان مذمومان مخالفان للشرع وللعقل ولاجماع المسلمين قبل أن يلامس عقائدكم وعقولكم هذا الضعف والفساد ، وذلك الانحطاط التنيع

وأما ذلك الفريق الوسط المعتدل الواقع بين هاتين المنطقتين الحارة جداً ، والقارة جداً ، فهو الفريق الذي لا يفرط إفراط هؤلاء ، ولا يفرط تفريط أولئك بل يقول ان القصد كله هو معرفة حكم الله وحكم رسوله ﷺ وسنة المسلمين العمالية العلية في عصور الاسلام الفنية . فهذا هو ما يراد معرفته والعلم به لأن الدين لله ومن الله واليه وحده يرجع ، فالمسلم واجب عليه أولاً أن يعرف كتاب الله وما جاء فيه من الهدى والنور وأن يعرف سنة رسوله ﷺ وما جاء فيها من الهدى والنور وأن يعرف ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المصطفين . فاعرفه من ذلك بوسائله اللازمة الصحيحة وجب عليه الاستمسك به والمعروف عما خالفه من الآراء والأقوال والأعمال ، لأنه لا غاية للمسلم وراء

الله ووراه رسوله المبلغ عن الله ، ولأن ذلك هو قول علماء الاسلام الهداة كافة ، ولأن ذلك هو ما أنزل لأجله كتاب الله وسنة رسوله وجمله باقيا محفوظا الى قيام الساعة للرجوع الى الله للجزاء من ثواب وعقاب ، ولكن اذا كان المرء المسلم عاجزاً عن معرفة دليل مسألة من شرع الله من الكتاب والسنة ، وعاجزاً عن الاستقلال واستخراج البراهين من النصوص ودار الأمرين أن يعمل برأيه هو واجتهاده ، وبين رأى امام كبير من أئمة الاسلام واجتهاده اختار رأى ذلك الامام على رأيه هو واجتهاده ، وأحسن الظن بذلك الامام المعروف بالعلم والدين قبل أن يحسن الظن بنفسه واجتهاده هو ، لأن المسألة حينئذ مسألة رأى واجتهاد لا مسألة برهان وحجة ، والمسلم الصحيح هو من لا يأخذ القروير يديه ، فلا يفضل دينه وعلمه وعقله على عقل امام من أئمة الاسلام الهداة وعلى دينه وعلمه . أما اذا وضع له البرهان من الكتاب والسنة فليس بمجاز له ترك هذا البرهان الشرعى تعللاً بالتقليد واتباع فلان أو فلان . فان الذى يفعل ذلك يكون مخالفاً للاسلام والكتاب والسنة وللإمام الذى زعم تقليده ، يزعم أنه ترك الكتاب والسنة اعتلالاً بالتقليد له . وذلك أن أئمة الاسلام جميعاً ولا سيما الصدر الأول ومنهم الأئمة الأربعة كانوا يعتقدون مثل هذا التقليد أشد المقت ، وينهون عنه أشد النهى ولا يرتضونه المسلم أبداً . بل لقد جاء عنهم جميعاً النهى عن التقليد واتباع الرجل ما لم يعرف دليسه وحجته . وكل واحد منهم قال اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وقال قائلهم اذا خالف الحديث قولى فاضربوا بقولى الحائط ، وقال الآخر : لا تقلدنى ولا تقلد ما لكأولا الشافعى ولا غيرهما وانظر من حيث أخذوا وخذ . وهذا المعنى متواتر عن الأئمة فمن ترك النصوص الواضحة تقليداً لامام فقد خالف الدين وخالف ذلك الامام وقامه التقليد الذى ترك النصوص له ، لأنه لو كان متقلداً لذلك الامام تقليداً عاقلاً لما خالفه فى أمره بالأخذ بالدليل والنهى عن التقليد مع وضوح الحجة وظهورها .

فهؤلاء لا مقلدون ولا مجتهدون ولا متبعون فإذا يصنعون ؟؟

وهؤلاء الجامدون على هذا التقليد يتعللون بعمل واهية في تركهم النصوص الواضحة المخالفة لمن زعموا تقليده ، مثل قولهم : لعل هذا النص منسوخ ، ولعله ضعيف ، ولعله متروك الظاهر ، ولعله مخصوص . ومثل قولهم : ان الكتاب والسنة عريان ونحن لا نعرف اللغة العربية ، فان في اللغة المجاز والحقيقة والتورية والكنائية وأنواع المجازات ، ونحن لا نعرف هذا كله ويخفى علينا الشيء الكثير منه . يتعللون بهذه العلل في هجران النصوص ، وما علموا أن هذه الايرادات ترد على كلام الامام الذين زعموا الاستمسك بتقليده واتباعه وعلى كل المؤلفين الذين يقولون لهم مذهب ذلك الامام . فان كلام الأئمة لا يخلو أيضا من المجازات والكنائية والاستعارة وضروب البلاغة ، فهذه الأمور الموجودة في كلام الله وكلام رسوله موجودة بشكل قد يكون أخفى وأغمض في كلام الأئمة ومن يقلدونهم ، وكذلك يوجد المنسوخ والمخصوص في كلام الأئمة . ويراد بالمنسوخ هنا الرأي المرجوع عنه . وقد عرف كثيراً أن الامام من الأئمة يقول القول ، ويفي الفتوى ، ويرى الرأي استناداً الى دلائل مخصوصة ثم تبدو له دلائل أخرى ومعارضات غير تلك فيرجع عن ذلك الرأي والقول وتلك الفتوى الى رأي آخر وفتوى أخرى اعتماداً على الدلائل الاخرى ، فيكون الرأي الأول منسوخاً أى مرجوعاً عنه . ولهذا قد ينقل عن الامام الواحد في المسألة الواحدة مذاهب متعددة ، ويوجد لبعض الأئمة الكبار ما يسمى بالمذهب القديم والمذهب الجديد ، أي المذهب المرجوع عنه والرجوع إليه

فان كان مثل هذه الايرادات تقضى بالامراض عن الأخذ من الكتاب والسنة ومحاولة فهمها ففقت هي نفسها بوجوب الاعراض أيضا عن كلام الأئمة وكتبهم والاعراض عن محاولة الفهم لما كتبوا وقالوا ، لان هذه الايرادات ترد على كلام

الائمة وكتبهم ولا سيما القصاص القدماء منهم مثل الامام الشافعى ومالك وأبى حنيفة وأحمد . وهذا لا يقبله المخالفون أنفسهم . فما كان مثله فهو مثله فى الحكم ، فهذه الشبهات التى تردد وتقال لمن دعا الى الكتاب والسنة الواضحة شبهات داحضة لأنها لو صحت لامتنع العمل بالكتاب والسنة وأقوال الأئمة أيضا ، وهذا لا يصير اليه أحد ، لانه وسيلة الى باطل بالاجماع والضرورة ، وإذن لا مفر من وجوب العمل بما دلت عليه السنة الصحيحة وبما دل عليه كتاب الله وإن خالف ذلك ما جاء عن الامام المقلد ، لان الامام مهما كان ليس معصوماً . والعصمة لكتاب الله ولسنة رسوله فقط . أما إذا لم يكن هناك دليل صريح صحيح من الكتاب والسنة ودار الامر بين رأى المرء ورأى الامام حسن المصير الى رأى الامام واجتهاده لدينا . هذه هى الخطة الوسطى المثل القصية عن الافراط والتفريط ، وهذا قول أهل السنة من أهل نجد وغيرهم ، وهذا قول المحققين من علماءهم قديماً وحديثاً ، وهذه هى خطة نقول علماء المذاهب الاربعة وكبارهم فانهم يأخذون برأى الامام ويفتقون به ويحكمونه مع احترام الكتاب والسنة ومحاولة فهمهما واستخراج الدلائل منهما ، فإذا ما ضلت لم سنة أو آية مخالفة لما صح عن الامام ، والامام إنسان يخطئ ويصيب ، كما يعلمون لم يعدلوا عن الكتاب والسنة ، ولم ينفوا عنها مذهباً ولا بهما بدلاً ، بل حكموا وأفتوا بهما وقالوا : إن هذا هو مذهب إمامنا بمقتضى القاعدة التى وضعها بقوله : إذا صح الحديث فاشهدوا أنه مذهبى ، فوافقوا بهذا الكتاب والسنة وإجماع أهل البصر بالدين ، ووافقوا امامهم القائل إذا صح الحديث فهو مذهبى . فجمعوا بذلك بين أشد الحق ومقاريفه ، وما من مذهب من المذاهب الاربعة وغيرها الا وعلاؤه الفضلاء المحققون يهتدون بهذا المسلك ، ويتهجون هذا المنهج المستقيم . ولهذا يوجد فى المسألة الواحدة فى المذهب الواحد الآراء المختلفة ، منها رأى الامام نفسه ، ومنها رأى أصحاب الامام أو بعض أصحابه ،

فيقال هذه المسئلة قال فيها الامام كذا وقال فيها صاحبه فلان ، أو صاحباه فلان وفلان كذا وكذا ، فجاء فلان من المتأخرين فرجح رأى الامام على آراء الاصحاب أو فرجح آراء الاصحاب على رأى الامام نفسه ويقولون في هذه المسئلة رأى لأحد أصحاب الامام الشافعى أو أصحاب الامام مالك أو أصحاب الامام أحمد أو الامام أبى حنيفة . ويقسمون المجتهدين قسمين : قسم هو المجتهد المطلق كالأئمة الأربعة ، وقسم هو مجتهد المذهب . وهؤلاء هم من دون القسم الأول . ويقسمون الاجتهاد نفسه قسمين : اجتهدا مطلقا عاما واجتهادا خاصا في بعض المسائل دون بعض . وهذا ما يسمى بتجزئة الاجتهاد ، وهو الاجتهاد في بعض الامور دون بعض . وهذا يحيزه بجاهير من علماء المذاهب والأصول . وهذا مدون في ككتب أصول الفقه . وتجزئة الاجتهاد معقولة ومنقولة لاريب في جوازها وصحتها . وهذا ما يقوله علماء نجد وغيرهم من أهل السنة والجماعة . وهذا ما كان عليه السلف الصالح في كل زمان ومكان . فهل الرافضي يريد بما قاله هنا مدحهم أو القدح فيهم ؟

أما الشيعة فانهم يجتهدون ذلك الاجتهاد المتهور المأذى ، الذى لا يتقيد بكتاب ولا سنة ولا لغة ولا معقول ولا اجماع ولا ضرورة ، ويفخرون بهذا النوع من الاجتهاد ، ويزهون به على أهل السنة ، ويدعون . علماءهم بالمجتهدين ، والعالم منهم بكبير مجتهدى الشيعة ، وبالمجتهد الأكبر ، وأمثال هذه الألقاب المنتصبة الأندلسية وقد أرى القارىء أفانين من هذه الاجتهادات الرافضية ، ونماذج من اجتهادات صاحب هذا الكتاب أحد كبار مجتهدى الرافضة في هذا العصر . ولعمرك الله ان التقليد الأسمى الأصم الأبكم خير من هذه الاجتهادات وأفضل عند الله وعند عباده . وإن اجتهدا واحداً من هذه الاجتهادات لشر من تقليد البهايم السائمة

وأما طريقة أهل السنة من التجديد الذين يحاول الرد عليهم صاحب هذه الاجتهادات ، فإنها طريقة لا يمكن أن يعيها الا جاهل بها أو بالدين والنظر أوبهما معا أو صاحب هوى قاصر قاهر . وهذا الرافض يحاول بمجده وبكل طاقته أن يجمع لهم زلات واغلوطنات يستطيع بها من ممعنهم وإيذاء عقائدهم ، فما استطاع أن يفعل سوى أن يعد عليهم انكارهم هذا الضلال المنكر الفاضل الذي سوف تقوضه بهذا الكتاب . وسوف نبين ان شاء الله أن جميع ما قالوا في هذا الباب صواب بلا غلط ، وحق بلا باطل ، ويقين بلا شك . والله بكل شيء محيط وهو من وراء كل قصد

الاستواء على العرش واثبات صفات الله

ثم هجم هذا الرافضي ثانيا على هذه المسألة الخطيرة وقال ما خلاصته : « إن الوهابيين وامامهم ابن تيمية قد اباحوا حتى التوحيد ونسبوا الى الله مالا يليق . فأثبتوا له جهة فوق والاستواء على العرش والنفوذ الى سماء الدنيا والمجيء والقرب . وغير ذلك من الصفات كالوجه واليدين والأصابع والعينين والمحبة والرضا والغضب ، وأنه يتكلم بحرف وصوت ، فجعلوه محلا للحوادث ، وأثبتوا هذه الصفات كلها وغيرها لله بمعانيها الحقيقية من دون تأويل . وهذا تجسيم صريح

« أما ابن تيمية فقال بالجهة والتجسيم والاستواء على العرش حقيقة . وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت ، وهو أول من زقا بهذا القول وتبعه تلاميذه ، وقد حكم علماء عصره بكفره وألزموا السلطان قتله أو حبسه فحبس ومات محبوسا » ونحن ننقل ما حكوه عنه في ذلك . وما قالوه فيه لتعلم قيمة ابن تيمية عند العلماء ، وهنا نقل بعض المقادح فيه عن ابن حجر الهيتمي المسكي زما ذكره

الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « الدرر الكامنة » من مقادح الخصوم فيه ، وما ذكره بعض الغلاة من المتأخرين . . والمقادح التي قلها تنحصر في أمرين أحدهما كذب وبهتان مبين ، والآخر صحيح ، ولكن الحق هو ما قاله كما سوف نرى . أما الأمر الذي هو كذب فهو ما ذكر من أن ابن تيمية كان يسعى للإمامة الكبرى ويضمر هذا في قلبه ، وإنه كان لهذا يتتبع أخبار ابن التومرت ويمتدحه ، وما ذكر من أنه كان يفسد في الخلفاء من الصحابة ، وأنه كان يقول إن عثمان كان يحب المال ، وأن عليا كان مخذولا حينما توجه ، وأنه كان يقاتل لورثاسة والملك لا للدين ، وأنه أسلم صبيًا ، والصبي لا يصح إسلامه ، وأنه كان ينفذ عليا ، وأنه قدح في أهل البيت . وكذا ما ذكر من أنه كان يقول إن الله جسم وأنه في جبة . هذا أحد نوعي المقادح . وهذا كله كذب صحيح صريح . وأما الأمر الآخر من المقادح فهو ما ذكر من أنه كان يقول إن الله مستو على العرش ، وأنه فوق المخلوقات ، وأنه يقر الله سائر الصفات الواردة في النصوص الصحيحة ، وأن الله يتكلم بحرف وصوت . فهذا كله صحيح عن ابن تيمية . هذا خلاصة ما ذكره من المقادح في هذا الإمام . وبعد هذا قال : « وقد ائتمني محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه آثار ابن تيمية فأثبتوا لله الجهة والجسم واليدين والأصابع واستدلوا بالآيات والأحاديث في ذلك . ومن هذه الدلائل أن جبراً من أجاب اليهود جاء إلى رسول الله فقال : إنا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والأرض على أصبع وسائر الخلق على أصبع ، فيقول أنا الملك ، فضحك النبي عليه السلام حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر اليهودي ، ونزلت الآية « وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . وهذا خطأ فإن ضحك النبي ليس تصديقا لقول اليهودي بل تكذيب وتمعجب منه » وإثبات هذه الصفات الاستواء على العرش وإثبات الجهة والرحمة والرضا

والغضب واليدنين والأصابع هو عين التجسيم الذي أجمع المسلمون على كفر معتقده
لاستلزامه التركيب والتعيز والوجود في جهة ، ويلزم من إثبات المحبة والرضا
والغضب والرحمة بمعانيها الحقيقية ، وهي ميل القلب ورقته وهيجان النفس وعدم
هييجانها ، كونه محلاً للحوادث الموجب حدوثه

« والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين : التجسيم أو القول بالحال ، وكلاهما
محال . لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ومع الكيف
تجسيم فلا بد من التأويل والمجاز

« ومن هذا تعلم أن ما يروى عن الامام مالك من قوله : « الاستواء معلوم ،
والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » كذب لا يكاد يصح . وذلك أنه ان أراد
أنه معلوم بمعناه الحقيقي فهو ممنوع بل عدمه معلوم لاستحالة الجسمية على الله ،
واستحالة الاستواء الحقيقي بدون الجسمية ، وإن أراد أنه معلوم بالمعنى المجازي فلا
يصلح شاهداً لقوله ثبت حقيقة الاستواء ، ولا يكون السؤال عنه حينئذ بدعة ،
ولا يلزم الكيف حتى يقال انه مجهول ، وإن أراد أننا نؤمن به على حسب ما أراده
الله وإن لم نعلمه تفصيلاً ، فإن كان يحتمل أنه أراد حقيقة الاستواء ففاسد لما عرفت
وإن كان التردد بين المعاني المجازية فقط فأين حقيقة الاستواء التي أثبتناها ؟

« وإذا كان ما قال الامام مالك حجة عند هؤلاء فلم لم يقولوا ان الراجع
استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عند الدعاء حسياً أمر به مالك المنصور ؟
« والجحود للحقيقة والاقرار بها حكم عليها والحكم على الشيء فرع معرفته ،
فيلزم أولاً أن نعرف ما أريد بهذا اللفظ هل هو معناه الحقيقي أو المجازي لنعرف
ما وصف به نفسه فنقر به . وإذا كان المعنى الحقيقي يستحيل إرادته فلا يكون مما
وصف به نفسه ، فلا يكون جحوده كفراً . وما أشبه هذا بقول النصارى في الابن
والآب وروح القدس . والامر الذي يكون فوق العقل لا يمكن للمقل الاذعان به »

هذا خلاصة ما ذكره الرافضي هنا ، ويعلم الله وحده ما في هذا الكلام من
الهموى والخلط والاصطدام بالحقائق الخالصة . وسوف نذكر من هذا ضروريا كثيرة
والكلام عليه من وجوه :

التشبيهي

(أولا)

يقال ان الذين أباحوا حتى التوحيد وهتكوه ونسفوه وأضافوا الى الله ما لا يليق
بقدسه وجلاله وكاله من التشبيه والتثيل هم طائفة الشيعة لا غيرهم ، وهم شيوخ هذا
الرجل ، لا من يحاول الرد عليهم كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، ولا خلاف بين
علماء الملل والنحل أن التشبيه والتثيل ، تمثيل الله بخلقه ، لم يوجد في طائفة من
الطوائف المنحرفة مثلها وجد في طائفة الرافضة ، ولا خلاف بين علماء الملل والنحل
أن التشبيه أول ما دخل على الطوائف الدائنة للإسلام إنما دخل عليها من شعر
الرافضة وجانب شيوخها القداحي ، ولا خلاف أيضا أن التشبيه كان أصلا ووضعا في
طوائف الشيعة وشيوخها ووضعة منذهبها وبناءة نحلها كما سوف ترى هذا منقولا عن
الكاتبين في الملل والنحل . وتأويل هذا ووجهه أن واضع مذهب الشيعة هو رجل
يهودي وهو عبد الله بن سبأ الصنعاني ، كما ذكر مرارا . واليهود هم أهل التشبيه
والتنقص لله جل وعلا فهم يضيفون اليه تعالى من التشبيه والتثيل أقله وأرذله
فيؤمنون أن الله يبكي وأنه يحزن ويتعب ، وأنه يستريح وأنه فقير وهم أغنياء كما في
القرآن ، وأن يده مغلوطة ، غلت أيديهم . فدخل هذا اليهودي المتشيع هذه العقيدة
اليهودية وهذا التنقص اليهودي في مذهب الشيعة وعقائدها كما قال الشهرستاني في
كتابه الملل والنحل وكما قال غيره . ثم ابتدعت طوائف الشيعة بدعا منكرة
مخزية أخرى ، وقالوا على ما نقل لليهم من اليهود وزادوا وأضافوا وابتصكروا

واخترعوا ، حتى فرست الشيعة اليهود في هذا النقص الذي هو التشبيه
والقدح في الله

قال يهود وضعوا لهم البنور وفيهم كان النبات والنور والريح الذي هو خسران .
ونحن لا نقول هذا اجتهداً من عند أنفسنا ، ولا استخراجاً من دلائل غامضة معجزة
ولا قتلاً عن الوهابيين الذين تطلب لهذا الرجل مخاصمتهم ، ويطلب له أن يدعى
عليهم هذه الدعاوى . ولكننا ننقل عن اتفقت كلمة الناس على أنهم لا هوى لهم
في القدح في الشيعة والدم لمذهبيهم وعن علماء ثقات أثبات اتفقت كلمة الناس على
صدقهم ودينهم ، وعلى إرادتهم الحق والصدق ، وعن علماء شرطوا على أنفسهم
مثل الشهرستاني ألا يدعوا على طائفة مذهبها لما إلا ما وجدوه في كتبها المعروفة
قال الشهرستاني في باب مذاهب الشيعة : « ومنهم الغالية ، وهم الذين غلوا
في حق أئمتهم وأخرجوهم من حدود الخلقية ، وحكوا فيهم بأحكام الألوهية . فربما
غلبوا واحداً من الأئمة بالاله وربما شبروا الاله بالخلق ، وهم على طرفي التلو والتقصير .
وانما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ، ومذاهب التناسخية ، ومذاهب اليهود
والنصارى . إذ اليهود شبهت الخالق بالخلق ، والنصارى شبهت الخلق بالخالق .
فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة ، حتى حكمت بأحكام إلهية في حق
بعض الأئمة ، وكان التشبيه بالأصل والوضع في الشيعة ، وانما عاد الى بعض أهل
السنة بعد ذلك ومنهم الكاملية . ومذهبهم أن الله قائم بكل مكان ، ناطق بكل
لسان ، ظاهر بشخص من أشخاص البشر ، وذلك معنى الحلول . وقد يكون الحلول
بجزء وقد يكون بكل . أما الحلول بجزء فهو كاشراق الشمس في كوة ، أو كاشراقها
على البلاد ، وأما الحلول بكل فهو كظهور ملك في شخص ، أو كشيطن بحيوان
» ومنهم المغيرة أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي . غلا في حق على رضي الله
عنه غلواً لا يعتقده عاقل ، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه ، وقال ان الله صورة وجسم

ذو أعضاء على حروف الهجاء ، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور ، وله قلب تنبع منه الحكمة . وزعم أن الله لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقه على رأسه تاجا . قال وذلك قول الله « سيح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى » ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه فغضب من المعاصي فغرق فاجتمع من عرقه بحران ، أحدهما مالح ، والآخر عذب ، والمالح مظلم والعذب نير . فاطلم في البحر النير فأبصر ظله فأنزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأبقى باقي ظله ، وقال لا ينبغي أن يكون معي إله غيري

« ومنهم المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي ، زعم أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فسح بيده رأسه وقال : يا بنى انزل وبلغ غنى » ومنهم الخطاوية أصحاب أبي الخطاب . زعم أن جعفرآ هو الإله في زمانه ، وليس هو المحسوس الذي يروونه ، ولكن لما نزل هذا العالم لبس هذه الصورة فرآه الناس فيها . وقد قتل لهذه الدعوى

« ومنهم المشامية أصحاب هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه ، وهشام الجوالقي الذي نسج على منواله في التشبيه . حكى ابن الراوندى عن هشام أنه قال ان بين معبوده وبين الأجسام تشابها ما بوجه من الوجوه ولولا ذلك لما دلت عليه وحكى الكهبي عنه أنه قال هو جسم ذو أبعاد ، له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ، ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشير نفسه ، وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة ، وأنه يتحرك وحركته فعله ، وليست من مكان إلى مكان ، وأنه متناه بالذات غير متناه بالقدرة . وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال : ان الله تعالى يماس لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ، ولا يفضل عن العرش شيء منه . وقال هشام بن سالم الجوالقي ان الله على صورة انسان أعلاه مجوف ، وأسفله مصبت ، وهو نور ساطع يتلألأ ، وله حواس خمس ويد ورجل

وأف وأذن وعين وفم ، وله وفرة سوداء ، وهو نور أسود ، ولكنه ليس لحماً ولا
 دماً . وقل عنه أنه أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصية الأئمة ، ويفرق بينهما
 وغلا هشام بن الحكم في حق علي رضي الله عنه حتى قال انه إله واجب الطاعة
 » ومنهم النعمانية أصحاب محمد بن النعمان ، وافق هشام بن الحكم في أن الله
 لا يعلم شيئاً حتى يكون ، وقال : ان الله على صورة انسان . وبأي أن يكون جسماً ،
 ولكن قال قد ورد في الخبر أن الله خلق آدم على صورته وعلى صورة الرحمن فلا بد
 من تصديق الخبر

» ومنهم اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي . زعم أن الملائكة
 تحمل العرش وأن العرش يحمل الله ، وهو من مشبهة الشيعة ، وقد صنف لهم كتباً
 في هذا

» ومنهم طائفة النصيرية والاسحاقية ، وبينهم خلاف في إطلاق اسم الالهية
 على الأئمة ، قالوا ظهور الروحاني بالجسد الجاني أمر لا ينكره عاقل . اما في جانب
 الخبر فكظهور جبريل ببعض الأشخاص والتصور بصورة أعرابي والتثمل بصورة
 البشر . وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة الانسان حتى يعمل الشر
 بصورته ، وظهور الجن بصورة بشر ، حتى يتكلم بلسانه ، وكذلك نقول ان الله
 ظهر بصورة أشخاص ، ولما لم يمكن بعد رسول الله من هو أفضل من علي بن
 أبي طالب وبهذه أولاده المخصوصون وهم خير البرية ظهر الحق بصورتهم ونطق
 بلسانهم وأخذ بأيديهم وعن هذا أطلقنا اسم الالهية عليهم . وانما أثبتنا هذا
 الاختصاص لملي دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد من عند الله مما يتعلق بباطن
 الأمرار . قال النبي ﷺ : أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر . وعن هذا
 كان قتال المشركين الى النبي وقاتل المنافقين الى علي . وعن هذا شبهه بعيسى بن
 مريم ، وقال لولا أن يقول الناس ما قالوا في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالا ،

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة ، وقلم باب خبير لا بقوة حيوانية من أدل الدلائل على أن فيه جزءاً إلهياً وقوة ربانية ، أو يكون هو الذي ظهر الإله بصورة وخلق يديه وأمر بلسانه . وعن هذا قالوا كان هو موجوداً قبل خلق السموات والأرض وقال كنا ظلة عن عرش العرش فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا . والنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي والاسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة ،

ذكر هذا كله الشهرستاني في كتابه الملل والنحل وقد ذكر غير هذا تركنا نقله ، وقد ذكر كثيراً من هذا ابن حزم في كتابه الملل والنحل ، وكذلك ذكره المقرئ في الجزء الرابع من الخطط ، وذكره جميع من كتبوا في مقالات المسلمين ولا يختلفون في نقل هذا عن الشيعة لأنه متواتر عنهم مثل تواتر قولهم في الإمامة وفي الصحابة وفي عصمة الأئمة قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب منهاج السنة قد افترق على نقل هذا عن الشيعة حتى الشيعة نفسها تنقل هذا كابن النعماني وغيره منهم . قال الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين : « اختلفت الرافضة أصحاب الإمامة في التجسيم ، وهم ست فرق الفرقة الأولى المشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضي يزعمون أن معبودهم جسم وله نهاية وحد طويل عريض عميق طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه لا يوفي بعضه عن بعض ، وزعموا أنه نور ساطع له قدر من الأقدار في مكان دون مكان كالسيكة الصافية ، يتلألأ كالؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها . ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، والفرقة الثانية من الرافضة يزعمون أن معبودهم ليس بصورة ولا كالأجسام ، وإنما يذهبون في قولهم إنه جسم إلى أنه موجود ولا يثبتون الباري ذا أجزاء مؤتلفة وإعاض متلاصقة ويزعمون أن الله مستور على العرش بلا كيف ولا مماسة ، والفرقة الثالثة من الرافضة يزعمون أن ربهم على صورة الأفسان ويمنعون أن يكون جسماً ، والفرقة الرابعة من الرافضة المشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي يزعمون أن ربهم على

صورة الانسان ، وينكرون أن يكون لحماً ودماء ، ويقولون انه نور سامع يتلألأ
 يابضا ، وانه ذو حواس خمس كحواس الانسان . له يد ورجل وأنف وأذن
 وفم وعين ، وأنه يسمع بغير ما به يبصر ، وكذا حواسه كلها متقاربة عندهم . وحكى
 أبو عيسى الوراق عن هشام هذا أنه كان يزعم أن لربه وفرة سوداء ، وأن ذلك
 نور أسود ، والفرقة الخامسة يزعمون أن لله ضياء خالصاً ونوراً بجناً وهو كالصباح
 من حيث ما جئته يلقاك بنور ، وليس بذئ صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في
 الأجزاء ، وأنكروا أن يكون على صورة الانسان أو على صورة شيء من الحيوان .
 والفرقة السادسة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا
 يتحرك ولا يسكن ولا يماس

« واختلفت الرافضة في حلة العرش . أيحملونه أم يحملون الله ! وم فرقتان
 فرقة يقال لها اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي يزعمون أن الحلة
 يحملون الباري ، واحتج يونس أن الحلة تطيق حمله وشبههم بالكركي وأن رجله
 تحملانه وهما دقيقتان ، وقالت فرقة أخرى إن الحلة تحمل العرش ، والباري
 يستحيل أن يكون محمولا » انتهى كلام الأشعري

وهذه النقول متواترة عن الرافضة وطوائفها ، ولأجل انحراف القوم الى
 التشبيه وانصبابه في نفوسهم وقائدهم انصبابا قالوا ما قالوا من العقائد والأقاويل
 الباطلة في الله وفي الأئمة . فزعم مبتكر مذهبهم وأصحابه أن الله حال في علي وفي
 ذريته ، فزعموه ألها وزعموم آلهة ، وقالوا له أنت الله أنت خالقنا ورازقنا !
 وعن هذا التشبيه ألها الأئمة وعبدوهم في كل عصر ومصر . فهم أكثر الناس بلا
 خلاف تشبيهاً وتنقصاً لرب العالمين . فذهب الرافضة قائم أصالة على رفع المخلوق
 وخفض الخالق ، وعلى تنقص الله في سبيل إعظام عبادته ، وعلى هذا الأساس ألف
 هذا الشيعة كتابه هذا وسلك هذا المسلك ، ومن العجب أن الشيعة قد جمعوا

بين رذيلتي التعميل والتثليل ، ورذيلتي التشبيه والجمود . فطوائف منهم كما رأيت يقولون هذه الأقوال المنكرة في الله ، ويضيفون الى قدسه وكأله هذه النقائص ويشبهونه هذا التشبيه المهرى ، ويمثلون خلقه به ويمثلونه بخلق هذا التثليل المردى وطوائف أخرى منهم يذهبون الى تقيض هذا المذهب ، ويقولون تقيض هذه الأقاويل فيغلون في التجريد والتعميل ، فيجردونه من الأوصاف ومن صفات الكمال خوف التشبيه كما يزعمون . فينكرون جميع الصفات ويحددون ما علم بالضرورة عقلا وشرعا من أوصاف الله ، ويجردونه تجريدا لا يقبله العقل ولا الدين . حتى أنهم يرفعون عنه التقيضين في وقت واحد . فيقولون إن الله لا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، ولا موجود ولا معدوم . ويقولون لا يصح أن يقال انه حي ولا أنه ميت ، ولا أنه كبير ولا أنه صغير ، ولا أنه موجود ولا أنه معدوم ، ولا أنه قادر ولا أنه عاجز ، ولا أنه خالق ولا أنه غير خالق ، ولا أنه مرید ولا أنه غير مرید . أى أنهم لا يصفونه بالنفى ولا بالاثبات . وهذا باطل بداهة عند جميع الخلائق العقلاء ، لأنهم لو وصفوه بصفة من هذه الصفات كما يزعمون لكان مثل خلقه الذين يوصفون بها ، ولو جردوه من هذه الصفات لقام به ضدها ، وهذا محال فلا يصح حينئذ النفي ولا الاثبات ، ولا وصفه بصفة ولا بضدها ، وهذا معلوم عنهم ، وقد ذكره الشهرستاني وغيره كالمقرى في خططه عن طائفة الاسماعيلية منهم ومن هذه الطائفة كانت دولة الفاطميين

وليعلم أن هذا الشيعي صاحب هذا الكتاب من المدافعين عن الفاطميين كما سوف يجرى ، قال الشهرستاني في هذه الطائفة : « ووضعا كتبهم على منهاج الفلاسفة ، فقالوا في الباري لا قول موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك جميع الصفات ، فان الاثبات الحقيقي يقتضى شركة بينه وبين سائر الوجودات في الجهة التي أطلقنا عليها وذلك تشبيه ، فلم يمكن الحكم

بالاتبات المطلق ولا النفي المطلق ، بل هو الله المتقابلين ، وخالق الحاصين والهاكم بين المتضادين ، ويقولون هذا عن محمد بن علي الباقر وأنه قال لما وهب العلم بحالين قيل هو عالم ، ولما وهب القدرة للقادرين قيل هو قادر ، فهو قادر وعالم ، بمعنى أنه وهب العلم والقدرة لا بمعنى أنه قام به العلم والقدرة ، أو وصف بالعلم والقدرة . فقيل فيهم أنهم فاة الصفات حقيقة ، معطلة الذات عن جميع الصفات . وكذلك تقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث ، بل القديم أمره وكلته والمحدث خلقه وفطرته ، هذا ما نقله الشهرستاني ، وقد ذكره عنهم وعن الفاطميين المقرئ في خطه وذكره غيرها من المؤلفين في هذا الباب ، وقد ذهبت طوائف منهم إلى أشنع من هذا وأقبح فزعموا أن الله خلق صفاته كالعلم والارادة بعد أن كانت معدومة . قال الأشعري « اختلفت الرافضة في القول بأن الله عالم وقادر وسميع وبصير وهم تسع فرق : فالفرقة الأولى منهم الزرارية أصحاب زرارة بن أعين الرافضي يزعمون أن الله لم يزل غير سميع ولا عليم ولا بصير حتى خلق ذلك لنفسه . والفرقة الثانية السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ ، يفتون في هذه المعاني ، يزعمون أن القول فيها ما يقول جعفر كائنا قوله ما كان ، ولا يعرفون هذه الأشياء قولا . والفرقة الرابعة يزعمون أن الله لم يزل لا حيا ثم صار حيا . والفرقة الخامسة وهم أصحاب شيطان الطائي يزعمون أن الله عالم بنفسه وليس بجاهل ، ولكنه إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ، فأما قبل أن يقدرها ويريدها فمحال أن يعلمها ، لأنه لا شيء يعلم ولكن الشيء لا يكون شيئا حتى يقدره والتقدير عندهم الارادة . والفرقة السادسة أصحاب هشام بن الحكم يزعمون أنه محال أن يكون الله لم يزل عالما بالأشياء بنفسه وأنه إنما يعلم الأشياء بعد أن لم يكن عالما بها ، وأن العلم صفة ليس هو ولا هي غيره ولا بعضه ، فلا يجوز أن يقال العلم محدث أو قديم ، لأن العلم صفة والصفة لا توصف . ولو كان لم يزل عالما لكأن المعلومات لم تزل لأنه لا يصح عالم إلا

بمعلوم موجود ، ولو كان عالماً بما يفعله عباده لم تصح المحنة والاختيار . وقال هشام في سائر صفات الله كقدرته وحياته ومحمه وبصره وإرادته أنها صفات الله لا هي الله ولا غير الله ، وقد اختلف عنه في القدرة والحياة فمنهم من يحكى عنه أنه كان يقول : ان الله لم يزل قادراً حياً ، ومنهم من ينكر أن يكون قال ذلك . والفرقة السابعة من الرافضة يزعمون أن الله عالم بنفسه كما قال شيطان الطاق ، ولكنهم يزعمون أن الله لا يعلم الشيء حتى يؤثر فيه أثره والتأثير عند عدم الإرادة . فإذا أراد الشيء علمه وإذا لم يرد له لم يعلمه ، ومعنى أراد عندهم أنه يتحرك حركة هي إرادة فإذا تحرك علم الشيء وإلا لم يجز وصفه بأنه عالم . والفرقة الثامنة يزعمون أن معنى أن الله يعلم أنه يفعل ، فإن قيل لم أن الله لم يزل عالماً بنفسه ، اختلفوا فمنهم من يقول لم يزل لا يعلم نفسه حتى فعل العلم لأنه قد كان ولم يفعل ، ومنهم من يقول لم يزل يعلم نفسه . فإن قيل لم فلم يزل يفصل قالوا نعم ، ولا نقول يفعل الفعل . ومن الرافضة من يزعم أن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون إلا أعمال العباد ، فانه لا يعلمها إلا حال كونها . والفرقة التاسعة يزعمون أن الله لم يزل حياً عالماً قادراً ، ويميلون الى نفي التشبيه ولا يقرون بحدوث العالم

« واختلفت الرافضة في إرادة الله ، فمنهم من يقول هي حركة ، فإذا أراد الشيء تحرك فكان ما أراد . ومنهم من يقول إن إرادة الله ليست حركة »
هذا ما نقله عن الرافضة سائر العلماء مثل الشهرستاني والأشعري وابن حزم والمقرئ ، وغير هؤلاء . وهذه أمور منقولة عنهم بالتواتر لا يمكن جردها ولا إيايتها . وفي منهاج السنة أن شيوخ الرافضة المؤلفين يذكرون هذه الأمور عن الشيعة بلا خلاف . ومن أقبح خطل الشيعة في التشبيه قولهم على الله بالبذاء ، أى يعلمه الشيء بعد جبهه إياه ولهذا ينير إرادته . وقد أسلفنا هذا . ومن أقبح هذا القبيح قولهم : إنه تعالى يحمل في المخلوقات وفي أجسام بعض خلقه مثل الأئمة ،

وهذا من شر التشبيه وأخذه . وقولهم إنه تعالى يبدو في صور بعض عبادہ وأن هؤلاء العباد الذين يحل الله في ذواتهم يستحقون العبادة والتقديس ، كما كان يذهب هذا المذهب الفاطميون ، وكانوا يدعون إلى عبادة أنفسهم ويعصرحون بأنهم آلهة

والعجب أن جميع طوائف الشيعة ما بين مفرط ومفرط في هذه المطالب العالية فطوائف غالية مشبهة تشبيها شديدا ، وطوائف أخرى غالية في التعطيل والجحود كما رأيت ، فهما طرفان متباعدان فقد بينهما الوسط المعتدل القائم بالقسط والعدل فالشيعة ما بين مشبه لله بخلقه ، واصف له بالصفات التي لا تكون إلا للمخلوقين ، وما بين معطل لله مجرد له من جميع الصفات والأوصاف . وليس في الرافضة فيما رأيت من هم على مذهب السلف ، بل كلهم ينقمون من السلف ومن أهل الحق والاعتدال فالمشبهون المجسمون منهم يرمون السلف بالتعطيل والجحود ، لأنهم أنكروا التشبيه والتجسيم ، والمجردون المعطلون منهم يرمون السلف بالتجسيم والتشبيه والايمان بالباطل ، اذ آمنوا بما جاء في النصوص المتواترة الصحيحة . فالسلف ممقوتون عند هؤلاء وهؤلاء ، عند المعطلين وعند المشبهين المجسمين ، والفريقان أنفسهما متنابذان متلاعنان لأنهما متباعدان جدا . فالمشبهون منهم يذمون المعطلين ويقعون فيهم ، والمعطلون يذمون المشبهين ويقعون فيهم ، فكلا الفريقين عائب معيب ، وكلاهما ذام مذموم ، والله ورسوله وعباده الصالحون منهم براء ، والحق عن هؤلاء وهؤلاء فيمكن قصي . ومن العجيب المألوم أن تكون هذه عقائد الشيعة وآراؤهم في الله ما بين تشبيه قبيح صريح ، وما بين تعطيل صريح قبيح ، ثم يقوم واحد منهم ، من هؤلاء المشبهين المعطلين يرمي أهل السنة والحديث كابن تيمية وتلاميذه الأبرار ، بأنهم مشبهون لله ، وأنهم قائلون عليه بالإطيل اذ وصفوه بما وصف هو به نفسه في كتابه ووصفه رسوله في سنته نفيًا وإثباتًا ، لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ولا

تمثيل ، زاعما أن ذلك يلزمه التشبيه والباطل ثم زاعما أن هذه الصفات لا تكون
 إلا للاجسام ولا يوصف بها غيرها
 وأما دعواه أن شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وتلاميذه وأهل السنة من
 أهل نجد يقولون ان الله جسم وأنه في جهة ، وأنه يشبه أحداً من خلقه في صفة
 من صفاته ونعت من نعوته ، فهذه دعوى يتقلاها ويؤوه بأعها هو ومن افتجرها له
 وقلة فيها ، ممن تعبدوا الله بالأكاذيب والاختلاق على رجال السنة والحديث
 تقريراً وتنفيراً وخداعاً مزيها . ولو لم تكن كتب ابن تيمية وتلاميذه الأبرار
 وأهل السنة من أهل نجد مطبوعة منشورة في أنحاء العالم ، معروفة للخاصة والعامة
 لقلنا كذب على غائب مجهول ، قد يروج وقد ينفي ، وقد يحسب من الحقائق
 الصادقة ، وقد يكون كذلك ، وقد يخادع الكاذب نفسه ويفش علمه ويفلم دينه .
 أما الكذب على معلوم حاضر فلا يجرؤ عليه إلا أناس قليلون استهانوا بالحق وبالحق ،
 واستهانوا بالعلم وبأنفسهم . وضأثرهم ، ثم استهانوا بالناشرين والطابعين والقارئین .
 هذه كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه وكتب النجديين موجودة في كل مكان ،
 قد طبع الشيء الكثير منها . وهذه مقالاتهم وآراؤهم في هذه المطالب المتنازع
 فيها بينهم وبين هؤلاء الخلف المخالفين . وهذه أقاويلهم في الله وفي صفاته ، مثل
 الاستواء على العرش ومثل كلامه ونزوله إلى مماء الدنيا وسائر صفاته تعالى ، هل
 يستطيع أحد من الناس أن يجد فيها أنهم زادوا على النصوص الصحيحة من الآيات
 والأحاديث الثابتة ، أو أنهم قالوا على الله قولاً لم يكن في كتاب الله ولا في سنة
 نبيه أو أنهم وصفوه بصفة غير متواترة النصوص ، أو أنهم قالوا ان الله جسم أو
 عرض ، أو أنه يشبه خلقه في ذاته أو في صفاته أو في شيء من الاشياء ، أو يجد
 أنهم يشكون في ذلك أو يجوزونه أو يلائنون من قاله من أهل البدع والآهواء
 والافتئات على الله ؟ هل يستطيع هذا الخالف المدعى أو غيره من الناس أن يجد

واحدا من هذه الامور في كتب شيخ الاسلام ابن تيمية أو كتب النجدين ؟ إن أبلغ التعجيز وأبلغ اظهار الثقة بالقول هو التحدى . وإنا لهذا نتحدى هذا المخالف وغيره من المخالفين لنا ، ونقول لهم جميعا : أرونا أمراً واحداً من هذه الامور التي زعمتموها على القوم إن كنتم صادقين أرونا أن شيخ الاسلام أو ابن القيم أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو أحداً من هؤلاء قال ان الله جسم ، أو قال إنه يشبه خلقه في ذاته أو في صفاته أو في شأن من شئونه أو قال انه يوصف بما لم يصف به الكتاب أو السنة ، أو ما أجمع عليه سلف الأمة ، أو أن أحداً من هؤلاء جوز وصفه تعالى بذلك . أرونا ذلك فان لم تفعلوا ، ولن تفعلوا ، فأتقوا الله واحترموا القارئين واحترموا العلم . ومن جمع أكاذيب وأموراً مناهضة للواقع وألفها وطبعها في كتاب فلا يمكن إلا أن يكون قد علم أن كتبه لن تقرأ ، لاستخفافه بنفسه ، أو ممن استخف هو بالقراء وتفعلهم ، وإنا لا نتحدى المخالفين في هذا ونطلب اليهم نقل ما زعموه لأن الأمر يحتاج الى هذا التحدى ، بل انما تحديناكم زيادة إعجاز وإقناع وإلا فقد كتب هؤلاء العلماء الذين اتهموا بأنهم يقولون ان الله جسم وأنه في جهة وأنه يشبه خلقه في غير ما كتاب من كتبهم للطبوعة الانكار الصريح على من قال من أهل الابتداع كالرافضة وغيرهم ان الله جسم أو أنه في جهة أو أنه يشبه خلقه وعلى من وصف الله وصفاً لم يرد في الكتاب ولا في السنة . وقد ذكر ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم للطبوعة ما لا نحصى من التصريحات بأنهم لا يقولون ان الله جسم أو أنه في جهة من الجهات ، وقد ذكروا ما لا نستطيع إحصاءه أن من قال ذلك فقد ابتدع وقال في الله الباطل وما لا يليق ، وأنه تجاوز الحدود وهجم على للنكر . وقد ذكر في منهاج السنة في الرد على الشيعة في غير موضع منه ، وذكر في غيره من كتبه للطبوعة ، أنه لا يصح أن يقال ان الله في جهة ولا أن يقال انه ليس في جهة ، ولا أن يقال انه جسم أو أنه غير جسم ، أى ان ذلك لا يثبت ولا يثبت ،

قال لأن ذلك النفي وذلك الاثبات لم يردا في كتاب ولا سنة ، ولم ينقل عن سلف الأمة ، قال ولأن النافي قد ينفي حقاً قائماً ، والمثبت قد يثبت باطلاً ، فإن القائل ذلك ، أى القائل ان الله ليس في جهة قد يكون يريد بهذا انه ليس على العرش ولا فوق السماء ، فيكون بقوله هذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وقد يريد القائل انه في جهة أنه حال في مكان أو أنه محمول على شيء من خلقه مثل العرش أو غيره ، فيكون بهذا قائلاً على الله الائم والضلال ، وقد يكون القائل انه جسم يريد أنه مثل الأجسام المؤلفة من اللحم والدم والأعصاب والعظام ، وهذا باطل وضلال ، وقد يريد من قال أنه ليس بجسم أنه ليس قائماً بنفسه ، وأنه ليس مستوياً على العرش ولا بائناً عن خلقه ، فيكون بهذا مخالفاً الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وإذن لا النفي يجوز ولا الاثبات خوف الابتداع والوقوع في الضلال وإذن لا يصح المصير الى ما لم يرد لا نفيًا ولا إثباتاً ، وإنما حسب المسلم أن يلتزم قول الله وقول رسوله ﷺ ، وأن يرض عمارغباً عنه ولا سيما في باب العلم بالله وبصفاته ، ومن يتمدد حدود الله فقد ظلم نفسه

فإن تسمية وتلاميذه والتجديون يصرحون جبراً بأنه لا يجوز القول بالجهة ولا بالجسم لا نفيًا ولا إثباتاً ، ويأبون القول على الله وفي صفاته بما لم يرد في النصوص وما لم يؤثر عن السلف ، ويرون أن من قال شيئاً من ذلك فقد ابتدع وقال في الله وعليه الباطل والائم . وهذا مذكور في كتبهم كلها . فمن الائم إذن والجنابة الكبرى اتهمهم بذلك ، ومن الاقدام على الذنب الاقدام على هذا الاتهام وإذا لم تؤخذ مذاهب الناس من كتبهم وكلامهم فم تؤخذ ؟ وإذا لم يؤخذ الرجل بما كتب وقال فبماذا يؤخذ ؟ ان كل انسان يستطيع أن يكذب ويستطيع أن يتم الأبرياء ويستطيع أن يضيف الى عظماء الرجال ما يمليه عليه هواء أو قصه ولكن الشأن في تصديق ذلك وإقامة البراهين على صدقه ومن ذا الذي يعنى أو

يتعاضى عما كتبه الرجل مذهبا له ليتقبل طوعا أو كرها ما ينسبه اليه أهل الضغن والخصومة الظالمة الاختلاق كما قلنا لا يعجز أحدا وقد اختلق الضغن والهوى على للصديق والفاروق وعثمان وعلى غيرهم ممن هم ذو نهم أو فوقهم . وهل يعجز من اقترف على هؤلاء وساق إليهم التهم سوقا من كل وجه أن يسوق ذلك أو بعضه أو أكثر منه إلى ابن تيمية وتلاميذه وإلى التجديد كافة ؟ إن ذلك لن يعجزه ولكن الذى يعجزه حقا هو تصديقه وإقامة البرهان عليه

فإن قيل إن أحد الناس طبع فى هذه الايام رسالة زعم فيها أن شيخ الاسلام ابن تيمية قال فى كتابه منهاج السنة إن الله فى جهة ، وقال أشياء أخرى فى المنهاج وفى كتابه العقل والنقل ، وأن صاحب هذه الرسالة زعم أنه دل على المواضع التى قال فيها ابن تيمية ذلك من كتابيه المذكورين بالصفحة ، إن قيل هذا قلنا إن صاحب هذه الرسالة لم يرد الحق والصدق ، ولم يرد أن يكون امينا فى نقله وقوله . وبالرجوع الى المواضع التى دل عليها من ذينك الكتابين يعرف أن صاحب هذه الرسالة لم يكن صادقا ولا حريصا على أن يكون صادقا ، ويعرف أنه كان يتصيد الكذب ويحتال على الاختلاق . ولعل كثيرين من الناس لم يكونوا يحسبون أن عالما يحترم نفسه ويحترم العلم والتأليف ، يمكن أن يقول خلاف الحق متعمدا ، ثم يذهب يدل على مواضع جريته فى صفحات الكتاب الذى اجترم على صاحبه ما اجترم ثم يذهب يرشد الناس إلى أنه غير صادق فى علمه وتأليفه ! ولعل هذا اللون من الابتكار نوع من أنواع الخداع وترويع الجريمة والبهينة وابعاد الظنة والتهمة ، وذلك أن الناس كلهم أو جلهم لم يبلغ بهم سوء الظن بالناس ، وبالعلماء المؤلفين منهم خاصة أن يظنوا ان الرجل منهم يذهب ينقل عن كتاب مطبوع مقروء موجود فى المكاتب الخاصة والعامة ويدل على ما نقل بالصفحة ثم لا يكون فى ما نقل وكتب صادقا ! ان هذا النوع من الابتكار فى الخداع لم يكن الناس يألفونه ويعرفونه .

ومن ثم كان من صنم هذا واقترفه جامداً في وضع نفسه عن الاتهام وسوء الظن
 بعيداً ، جامداً في الاضلال والخذاع ، اللذين لا يفسان على أحد !
 واثنا نرجو من وقعت في يده هذه الرسالة أن يرجع الى المواضع التي ذكر أنه
 وجد فيها ضلال ابن تيمية وزينه ليعلم من الضال الزائع حقا ، وأما من لم يطلع على
 هذه الرسالة فيكفيه أن يتناول ما شاء من كتب هذا الامام وكتب تلاميذه ويقرأ
 ما شاء من هذه الكتب ، فانه لن يجد فيها قولاً واحداً في الله أو في صفاته إلا أن
 يكون موجوداً في الكتاب أو في السنة الصحيحة ، وأما ما ليس كذلك فلن يقوله
 فان قلت إنا نعترف بأن ابن تيمية وتلاميذه ، وكذا النجديون ، لا يقولون
 بالجهة ولا بالتجسيم والتشبيه صراحة ونصاً ، ولكن إيمانهم بهذه الصفات ، مثل
 الاستواء والصفات الأخرى على ظاهرها ، يقضى بالتشبيه والتجسيم والقول بالجهة
 فهو كذلك لزوماً واقتضاءً ولا معنى للإيمان بهذه الصفات إلا الايمان بهذه الأمور
 اللازمة لها ، ان قلت ذلك قلنا : هذا ما سوف نتناوله بالبيان في الفصل الآتي :

الاستمراء على العرش

نعم ان هؤلاء الأئمة يؤمنون بأن الرحمن على العرش استوى ، وأنه فوق
 جميع المخلوقات ، كما جاء ذلك في جملة الكتاب الكريم والسنة وسائر الكتب
 السماوية ، ويؤمنون أيضاً بسائر الصفات التي صحت نصوصها مثل أن الله يرحم
 عباده رحمة عامة ورحمة خاصة ، وأنه يرضى من عباده الايمان وأعمال البر ، ويكره
 الكفر والمصيان والشر ، ويمقت الاثم والفسوق وأنواع الفساد ومن عملوا ذلك ،
 ويحب عباده الطاهرين المتقين أهل الدين والعدل والصدق والمروءة وأنواع الفضائل
 ويغض أهل الظلم والكذب والخبث وأقارب الرذائل ، ومثل أن له يداً ليست
 كأيدينا ، ووجهاً ليس كوجوهنا ، وكلاماً بحرف وصوت كما جاء في الأحاديث

الصحيحة ولكن ليس ككلامنا ولا كمعروفنا وأصواتنا ، وأن له ذاتاً ووجوداً وحقيقة وإرادة وعلماً ومشية وحياة واختياراً وغير ذلك من صفات الكمال الواردة في الكتب المتقدمة والتي أرشدت إليها العقول السليمة . ولكن شيئاً من ذلك لا يشبه شيئاً من صفات المخلوقين في وجه من الوجوه ولا معنى من المعاني ، فكما أن ذاتاً لا تشبه ذوات الخلق فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم ، والكلام في الصفات كالكلام في الذات ، فإذا كانت ذاته تعالى لا تشبه ذوات المخلوقين ، والمخلوقين ذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم يقينا

والأمر الجامع لهذا أن نؤمن بجميع ماورد لله في كلامه وكلام أنبيائه من الصفات والشئون إيماناً خالصاً يربثنا من التعليل والتشبيه ومن التجريد والتشبيه ، فلا يجوز لنا نفى ما ورد له من الصفات كما لا يجوز لنا تشبيه ذلك بصفات الحوادث فمن شبه فقد ضل ومن نفى فقد ضل ، والثاني كالتشبيه كلاهما غلط ضال ، وكلاهما قائل على الله غير الحق . والثاني والتشبيه متقاربان متلازمان لا ينفصلان ، فكل مشبه ناف وكل ناف مشبه ، ولولا التشبيه لما كان النفي ، ولولا النفي لما كان التشبيه فان الثاني ينفي هذه الصفات عن الله لظنه أنها في الله لا بد أن تكون مثل صفات الخلق ، ولا بد أن تكون مشابهة ما يسمى باسمها من أوصاف العباد ، ولا يمكن أن تكون مخالفة صفاتهم أبداً ، ولأجل هذا الظن لجأ الى النفي والتعليل ، فقد شبه أولاً ونفى ثانياً ، فهو مشبه ناف ، فهو إذن جامع الضلالتين ، ولو أنه لم ينتقد هذا التشبيه لما كان هنالك ما يضطره الى النفي ، ولو أنه علم أن صفات الله كذاته لا تشابه ولا تماثل ، لما لجأ الى الإبطال والنفي وإلى تأويل النصوص . فالثاني كما قلنا مشبه ناف ، ولأجل هذا نجد المزمعين الذين يعلمون أن هذا التشبيه المزعوم مرفوع ممنوع ، والذين يعلمون أن الله وصفاته لا يشبه شيئاً لا يرون أهمية أمراً يدعوهم الى التأويل وإلى التعليل . فقد علموا أن صفات الله ليست كصفات عباده

فآمنوا بها مع هذا التنزيه فخلصوا من هاتين الضاللتين ، أغنى التشبيه والتعطيل ، وخلصوا بذلك من مخالفة التصوص والخروج على الاجماع الأول ، ولهذا فانك غير واجد حجة واحدة عند فناء الصفات غير دعواهم ان الايمان بها يقضي بهذا التشبيه ، ولهذا يسمون المؤمنين مشبهين مجسمين . ويدعون عليهم خطأ أنهم يقولون بذلك صراحة ، وذلك لحسابهم أنه غير ممكن الايمان بهذه الصفات الا مع التشبيه والتشبيه باطل بلا ريب . ولأجل ما ذكرنا نجد الطوائف المشبهة تصير آخره الى التعطيل وتثبت بينها طوائف أخرى معطلة ملحة في التعطيل ، وقد ذكرنا آنفاً أن هذا المرض - أغنى التشبيه - أصلاً ووضماً كان في طوائف الشيعة وأنهم هم الذين ابتكروه في الاسلام . وهم الذين غلوا وبالغوا فيه أشد المبالغة والغلو ، وذكرنا أن طوائف منهم كالإسماعيلية كانوا يقولون بالتعطيل الصريح التام ، حتى أنهم يأبون وصفه تعالى بصفات الوجود والحياة والقدم والبقاء والعلم والخلق والارادة وأخص صفات الربوبية ، لزعيمهم أن وصفه بهذه الصفات عين التشبيه والتشبيه لا ريب باطل ، ولأن وصفه بصفة من هذه الصفات الوجودية يقضي بأن يكون مشاركاً خلقه للوصوفين بها ، والله لا يشاركه مشارك في صفة من الصفات وأمر من الأمور وإلا لو شاركه مشارك في شيء من ذلك لكان هو مثل ذلك المشارك . فباطل إذن وصفه تعالى بشيء من تلك الأوصاف ، حتى امتنع أن يقال انه موجود أو حي أو خالق أو رازق خيفة ذلك المحذور فلزم تجريده تجريداً تاماً ، ووجب جحد جميع صفاته جحداً تاماً ، فكانوا بهذا حقاً معطلين ملحدين ، بل كانوا أئمة هؤلاء الخاسرين الضالين ، وكانوا أيضاً قائلين بما يستحيل وجوده وما لا يعرف مثله ، فإن الناس ، ما خلا هؤلاء ، يعلمون بداهة بأن أحداً موجوداً قائماً بنفسه لا يمكن أن يكون مجرداً من جميع الصفات ، ولا يمكن أن يعترف إنسان بوجود شيء وهو ينفي عنه جميع الصفات ، ان هذا من أبين الأمور المستحيلة ،

وأن القول به من أعظم المخارق والمهازل التي يصاب بها العلم والدين الفرط من الزمان . وأما إن كانوا يريدون أن هذه الصفات ثابتة لله قائمة به ولا ريب ، ولكن مع هذا يتمتع وصفه بها ويتمتع الاخبار عنه بأنه متصف بها فهذا أيضا واضح البطلان ، لأنه إذا كان المانع عندهم من وصفه بالصفات هو خيفة مشاركة المخلوقين له لم يكن السكوت عن وصفه بها وقيامها به نافعا ولا دافعا شيئا مما خذروه وخافوه لأن الخوف هو من مشاركته تعالى الخلق في الصفات لا من الاخبار عنه بتلك الصفات . فان التشابه يكون بين الموجودين بما يتصفان به من الأمور الوجودية لا بالاخبار عنهما بأنهما مشاركان أو تماثلان في حقيقة من الحقائق . فان الاخبار عن الموجودين بأنهما متشابهان وهما ليسا كذلك لا يقضي بأن يكونا متشابهين ، والاعراض عن وصف المتشابهين بالتشابه لا يقضي بأن يكونا غير متشابهين . وهذا ضروري لا يرام نزاعه ، فالشيء الثابت في الواقع ثابت في نفسه سواء أخبر عنه بالثبوت أم لم يخبر عنه ، بل هو ثابت وان قيل انه غير ثابت . فالوجودان التماثلان تماثلان سواء أخبر عنهما بذلك التماثل أم لم يخبر ، والموجودان المتباينان اللذان لا تماثلان هما غير متماثلين سواء أقيل انهما تماثلان أم قيل انهما ليسا كذلك . وحينئذ قل الله إما أن يكون موصوفا ، وإما أن لا يكون موصوفا ، فان كان موصوفا فالشبهة التي أنكروا لأجلها وصفه واردة ، وهي أنه يكون بذلك شبهه خالقه الموصوفين ، وحينئذ فالأخبار عنه بالصفات لا يضر شيئا ولا يقوى الشبهة المذكورة والاعراض عن الاخبار بذلك لا ينفع شيئا ولا يدفع هذه الشبهة أو يضعفها . وأما ان قيل انه مجرد من جميع الصفات في الواقع قيل هذا مستحيل استحالة لا يدفعها عاقل ، فان كل موجود موصوف ، وما لا يوصف هو معدوم بلا شك . فالذي يقول ان الله ليست له صفات إنما يقول بتعبير آخر ان الله ليس موجوداً وليس لهذا العالم رب . ولهذا كان مصير هؤلاء الى الاتحاد المطلق والجلود الصريح .

فانه لا فرق في التحقيق بين من يقول ان الله موجود ولكنه ليس له وصف من الأوصاف الوجودية ولا يمكن وصفه بشيء من ذلك ، وبين من يقول ان الله غير موجود . فان القولين في المعنى والنتيجة واحد وحاصلهما واحد فهما سواء غير أن القول الأول يفوق الثاني تنافضاً ومكانة في الاستحالة ، فان إنكار وجود الوجود أقرب في العقول من القول بأن هناك موجوداً قائماً بنفسه لكن ليس له صفة ما من الصفات ولا يمكن الاخبار عنه بأمر من الأمور ، وهذا أثبت المستحيلات نسبياً وأظهرها في أوليات العقول الصحيحة بل والريضة . ومن ثم فالتنازع ، ولا نشك في صحة زعمنا ، أن أصحاب هذه المقالات المستحيلة هم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا بأن لهذا العالم خالقاً ولا يؤمنون بالشرائع ، بل هم ملحدون خالصون ولا ريب عندنا في هذا ، فان مقالات المؤمنين لا تشبه بمقالات الملحدين ، وان نفحات الإيمان لا تلبس بلفحات الكفران ، وان لموارد الأقوال دلائل على مصادرها ولمصادرهما فلتات تتم على مواردها

ثم نعود الى أول المسألة فنقول : لا ريب في أن القرآن بجملته ، بل الكتب السماوية بجملتها ، دلائل ناطقة وظواهر قاطعة على أن الله في السماء مستو على العرش استواء يليق به ، وأن السنة النبوية بجملتها دالة على ذلك دلالة لا ريب فيها ، وأن كلام السلف الأول ، الصحابة فمن بعدهم من أهل السنة وعلماء الأثر والحديث مؤيد ذلك كله تأييداً لا شك فيه . لا ريب في ذلك كله ، ثم لا ريب أن الفطرة والضرورة بمد ذلك شاهداً عدل وصدق على هذه القضية ، قضية علو الله على خلقه . هذا ظاهر عندنا غنى عن ذكر دلائله ، ويكفي من أراد أن يعلم هذه الحقيقة أن يقرأ ما تيسر له من القرآن أو من السنة ، وأن يلم الإمامة سريعة قصيرة بأثر السلف وعلمهم والروى عنهم . وقد ألفت في ذلك الكتب كما فعل الحافظ الذهبي في كتابه « العلو » وابن القيم في كتابه « اجتماع الجيوش الإسلامية » وقد

تفنن الكتاب العزيز في هذه المسألة أى تفنن . وأثبتها بمبارات مختلفة واضحة ،
 وبأساليب متنوعة ظاهرة ، وبطرق من القول والكلام كثيرة . كل ذلك ينهى عن
 معنى واحد ، من علو الله على خلقه إنباء لا شك في صدقه ، فتارة يخبر عن ذلك
 بلفظ الاستواء على العرش ، وقد أتى هذا اللفظ في جملة سور من القرآن ، وتارة
 يخبر بلفظ الاستواء الى السماء ، وتارة يخبر بقوله « يخافون ربهم من فوقهم »
 وتارة يخبر بأنه العلى وأنه الأعلى ، وتارة يخبر بأن الملائكة ترجع اليه وبأنه
 ذو المعارج ، وتارة يخبر بأنه رفع اليه عبده عيسى ، ويقول « بل رفعه الله اليه
 وتارة يخبر بأن الكلم الطيب يصعد اليه ، وتارة يخبر بأنه في السماء ، وتارة يخبر
 بأن الكتاب ينزل من عنده وأن الملائكة ينزلون من لدنه ، وتارة يخبر بأن كل
 خير وفضل ونعمة بالناس آت من جانب السماء ، وتارة يخبر بأنه عرج بعبد محمد
 عليه السلام اليه وبأنه كان يقلب وجهه في السماء انتظار أمر ربه بقوله : « قد نرى
 قلبك وجهك في السماء » وتارة يخبر بأن موسى عليه السلام قال لفرعون إن ربى
 في السماء فقال فرعون « يا هامان ابن لى صرحا لى أبلغ الآسياب ، أسباب
 السموات فاطلم الى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا » أى فى قوله ان ربى فى السماء
 وتارة يخبر بأنه يدبر الأمر من السماء الى الأرض ، وتارة يخبر بأن الشهداء الذين
 قتلوا فى سبيل الله أحياء عنده والشهداء فى السماء ، وتارة يخبر بأنه ربيع الدرجات
 وتارة يخبر بأن الملائكة عنده ، والملائكة فى السماء قال : « ان الذين عند ربك
 لا يستكبرون عن عبادته » وتارة يخبر عن تلك المرأة الصالحة بأنها قالت رب ابن لى
 عندك بيتا فى الجنة ، وتارات يخبر عن ذلك بغير هذه الألفاظ بما لو أول كله
 لماد الشرع كله مؤولا وما لو عد كله متشابها لماد الشرع كله متشابها كما قال
 الفيلسوف ابن رشد فى كتابه مناهج الأدلة المطبوع مع كتابه الآخر المعروف
 بفلسفة ابن رشد . فانه قال فى هذا الكتاب : ان ظواهر الشرع ونصوصه تدل

كلها على أن الله في السماء ، قال : وهذه النصوص لا يصح عدّها من التشابهات لأنها لو عدت من ذلك لعاد الشرع كله متشابهاً ، ولا يصح أيضاً تأويل هذه النصوص ، لأنها لو أولت لعاد الشرع كله مؤولاً ، وذلك لأن أحكام الشريعة تؤخذ من نصوصها الظاهرة لا من شيء آخر ، فإذا أمكن أن تكون نصوص علو الله على خلقه ، وهى نصوص لا تخصى ، مؤولة أو متشابهة أمكن أن تكون نصوص جميع الأحكام الشرعية مؤولة أو متشابهة لأنها ليست أبعد عن التأويل وعن عدّها من التشابهات من نصوص هذه المسألة التى معنا ، أعنى مسألة علو الله ، فإن نصوص العلو ليست أقل ولا أغمض من نصوص دلائل البعث الجثمانى وحشر الأجساد ودلائل وجوب الصيام والصلاة والزكاة والفرائض الأخرى ، ونصوص دلائل رؤية الله ودلائل الشفاعة وتخليد الكافرين أبدأً فى الجحيم ، والمؤمنين أبدأً فى جنات النعيم وإخراج المؤمنين من النار بعد تطهيرهم من ذنوب اجتروحوها وغير ذلك ، وإذا أمكن أن يؤول كل هذا أو يعدّ كله من المتشابه فالشرع إذن كله مؤول متشابه ، وحينئذ تبطل الشريعة وتبطل نصوصها وتصير لغواً لا فائدة فيه بل لا يستفاد منها حينئذ غير الشبهات وغير عناء التأويل وتطلب وجوهه ومخارجه ، وفى هذا غاية الفساد والبلاء على الأمة والدولة ، وما يدعيه هذا المصنف هو مقدمات لهذا البلاء . وقد وقع ما حذرهُ القاضى ابن رشد . فقد بالغ الناس فى التأويل وفى الادعاء على النصوص بأنها متشابهة حتى تناول التأويل كل شيء وكل نص حتى زعم بعض المؤولين أن المراد بالصلاة والصيام والحج والزكاة رجال عظماء يراد ولاؤهم واحترامهم وحتى أولت دلائل التوحيد وعبادة الله وحده كما فعل الرافضى . وهذا بلاء تكفى ملاحظته

هذا الذى ذكرناه أفاين من جملة تعبير القرآن الحكيم عن هذه المسألة ، وأما السنة نالامر فيها أكثر وأظهر وماغيها من هذا لا يحصى ولا يحصر ، وقد أراد

بعض الحفاظ أن يجمعوا بعض ذلك فوضعوا كتباً خاصة كما فعل الحفاظان الذهبي وابن القيم في الكتابين المذكورين ، وعلى من يشك في هذا ومن يريد أن يعلم به أن يراجع هذين الكتابين . أو كتاب التوحيد لابن خزيمة . أو كتاب الأسماء والصفات للبيهقي . أو كتاب التوحيد للبخاري وما كتبه عليه ابن حجر العسقلاني أو كتاب السنة لابن الإمام أحمد أو ما شاء من كتب السنة والحديث التي ألفها حفاظ الإسلام وحملوا الشريعة . وأمامه ما يشاء من كتب الصحاح والمسانيد والجوامع مثل صحيح البخاري ومسلم والسنن وغير ذلك من كتب الحديث لانخص كتاباً دون كتاب ولا إماماً دون إمام . وقد جمع الحفاظ الذهبي من ذلك في كتابه المسمى بالعلو من الأحاديث ما جاء في صفحة ١٥١ من الكتاب المذكور وجمع ابن القيم من ذلك ما يقارب هذا أو ما يزيد ، وقد عد الذهبي بعض الحفاظ الأخبار التي رواها في كتابه متواترة وجعل من ذلك حديث معاوية بن الحكم الذي فيه إنه جاء رسول الله ﷺ بجارية سوداء يريد أن يعتقها فقال لها رسول الله من أنا ؟ قالت أنت رسول الله . قال لها أين الله ؟ قالت في السماء . فقال رسول الله أعتقها فانها مؤمنة ، وقد خرج هذا الحديث مسلم في صحيحه وخرجه من لائحته من المحدثين ، وقد صدر الذهبي به الأخبار التي رواها في كتابه ، وجعله النسائي تفسيراً لقوله تعالى « ثم استوى الى السماء » وقد روي هذا الحديث من طرق كثيرة مختلفة بمبارات مختلفة عن معاوية بن الحكم وعن غيره من الصحابة ، وهذا الحديث لا ريب في صحته عن رسول الله ﷺ عليه السلام ولا ريب في وضوحه ودلالته على المسألة دلالة قاطعة لا يمكن النزاع فيها ولا الاختلاف ، ولا يمكن تأويله ولا الانفصال عنه بتأويل أو تخريج بعيد أو الدعوى بأنه من اللقشات ، وقد حاول بعض المتأخرين الانفصال منه ومن معناه فذكر له تأويلات باطلة فاسدة . فمن ذلك أنه زعم أن النبي الكريم أقر هذه الجارية على قولها إن الله في السماء وهو يعلم

أن قولها هذا كفر وتشبيه لأنها كانت جاهلة فاكتفى منها بهذا القول الذى هو باطل . وهذا تأويل يؤول الى القدح في النبي وفي الشريعة وفي القرآن وفي كل دين لأن محصل هذا الجواب أن الرسول الكريم يقر على الكفر بل ويمتدحه ويثنى عليه وعلى صاحبه بل ويحكم بأنه إيمان ! وهذا غاية الضلال . ثم ألا يعلم هذا المؤول أن الجاهل يعلم ويعرف ولا يقر على جهله وكفره وضلاله ؟ وإذا كان الرسول يقر الجاهلين على الجهل وعلى خلاف الحق فمن ذا بعد الرسول يعلم الجاهلين ويهدي الضالين ؟ ثم إذا كان اقرار النبي الكريم الجارية على ضلالها وكفرها إنما كان لأجل جهلها وغبائها كما يدعون ، فلماذا لم يذكر هذا ولماذا لم يذكر في لفظ واحد في رواية واحدة أن الله ليس في السماء وليس مستويا على العرش تحذيراً من هذا الضلال الذى أقره وجعله إيماناً وإسلاماً وشهد لقائلته بأنها مؤمنة ؟ ولماذا لم يقل النبي الكريم إذا كان الأمر كما يذكرون للجارية أو لرب الجارية جثى بها بعدى أعرفها أن قولها هذا كفر ومروق من الإسلام ؟ بل ولماذا يشهد لها بالإيمان حينما قالت الكفر وكان يمكن أن يقتصر على قوله اعتقها دون أن يقول قانتها مؤمنة لئلا ينساق هذا الباطل الذى هو الإيمان بأن الله في السماء الى بعض الأذهان ؟ بل لماذا لم يقل لها : لا تقولى هذا بل قولى إن الله ليس في السماء ولا فوق العرش ولا في جهة من الجهات ؟ وهل في مثل هذا صعوبة أو خفاء ، وقد كان ممكناً أن ينتفع بهذا غير الجارية من الحاضرين إذا فرض أن عقل هذه الجارية كان ضيقاً لا يتسع لفقه مثل هذه العقيدة ولا يمكن أن تؤمن إلا بالحسيات ؟ وإذا ما تركنا كل ما قلنا وفرضنا أن ما قاله المخالفون حق فلماذا لا يصنعون صنع النبي الكريم فيدعوا الجاهل بعتقده أن الله في السماء . لأنهم جهال لا يؤمنون إلا بمثل ما آمنتم به تلك الجارية ولماذا يكتبون كتباً يقولون فيها إن من دان هذه العقيدة فهو كفر ثم ينشرون هذه الكتب بين العامة الجاهلاء ؟

وفي هذا الحديث دلالة أخرى من ناحية أخرى على أن الله في السماء ، وذلك أنه يدل على أن الناس كانوا في عصر النبوة وعصر نزول القرآن والشرائع يؤمنون بملو الله ، وقد جاء هذا في أخبار وروايات وأشعار معلومة ومع هذا لم يجيء في القرآن ولا في السنة لفظ واحد يقول إن الله ليس في السموات أو يطلب من الناس أن يخالفوا فطرتهم المحبولة على الإيمان بملو الله . بل قد جاء القرآن والسنة شاهدين لعقيدتهم هذه مقرر لما جيلوا عليه من أن الله فوق كل شيء ، ولا ريب أنه كان لازماً تغيير هذه العقيدة لو كانت باطلة ؛ ولو كانت عقيدة تشبيه وتجسيم كما يقول المؤمنون . فلا شك إذن في بطلان أمثال هذه التأويلات وشناعتها ، وقد ذكر بعضهم للحديث تأويلاً آخر أبعد من الأول . ذلك أنه زعم أن قولها إن الله في السماء ليس معناه أنه تعالى في السماء كما يراد ، وإنما معنى قولها هذا إيمانها بالله وتوحيدها وهجرانها الأصنام وعبادتها . لأن قولها إن الله في السماء اعتراف منها بهجران الأوثان وما يعبد من دون الله في الأرض ، ومثل هذا القول لا يستحق عندنا أن يسمى تفسيراً أو تأويلاً بل هو قول دون ذلك ، وما هو إلا تلاعب أطفال ، ومجاجة ديان ، وهو كقول أحد شيوخ الشيعة واسمه « بيان » في قوله تعالى « هذا بيان للناس » إنه هو المعنى ، وقول آخر منهم واسمه الكسف في قوله تعالى « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً » أنه هو المراد بالآية وكقولهم في البقرة للتأمر بذبحها إنها هي عائشة وأشباه ذلك ، ومثل هذا يقل عن أن يسمى تأويلاً وعن أن ينقل لأنه رأى في الحديث ، ولكن ينقل أن نقل عبرة وعظة وما من قول ونص في الدنيا إلا ويمكن تسليط أمثال هذه المزاعم الباطلة عليه ويمكن افساده والخروج منه ومن دلالاته بأمثال هذا الهراء والعناء ، وهذا يؤدي إلى الانفسال من كل شيء ، وهذا ما صار إليه المفتونون بأشياء هذا العناء المسمى عندهم بالتأويل حتى عاد الشرع كله مؤولاً ولكن أهل الحق يرغبون بدينهم

وبعلمهم عن هذا

ذلك ، وأما ما نقل عن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المعروفين المشهود لهم بالسبق والتبريز في هذه المسألة فشيء لا يحصره حاصر ولا يجمعه من حاول الجمع والاحاطة . فان القوم كانوا لا يختلفون في أن الله فوق سماواته وجميع خلقه ، وقد نقل اتفاقهم على ذلك جميع المؤلفين في المسألة من أهل السنة قديما وحديثا ، فنقل اتفاقهم القاضي المالكي الفيلسوف ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة وقال ان أهل الشرع ما زالوا يثبتون ذلك ويصرحون به حتى جاءت المعتزلة والمتأخرون من الأشعرية فنفوه لزاعم زعموها غير صحيحة ، قال وظواهر الشريعة ظاهرة في إثبات هذا بحيث لا يمكن تأويلها ولا عدها من المتشابهات . ونقل ذلك القرطبي في تفسير قوله ثم استوى على العرش قال وقد كان السلف لا يقولون بنفى علو الله على خلقه ولا ينطقون بذلك بل ينطقواهم والكافة باثبات ذلك لله كما نطقت كتبه وأخبرت رسله ، قال ولم ينكر أحد من السلف أن استواءه على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فانه لا يعلم حقيقة كيفيته ، ونقل اتفاقهم ابن قتيبة في كتاب تأويل مختلف الحديث ، وقال ان الأمم كلها عربها وعجمها تقول ان الله في السماء بقاضى فطرها ، قال ولا ينكر علو الله على خلقه إلا من لقن الإنكار تلقينا وعلمه تعلما . ونقل ذلك أيضا ابن عبد البر في شرح موطن الامام مالك وفي غيره كما ذكره عنه الحافظ الذهبي في كتابه العلو ، قال أجمعت الصحابة والتابعون على أن الله على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في هذا أحد محتج بقوله وقال ان أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة في الكتاب العزيز والسنة وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، قال وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها فهو مشبه ، قال وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ، ونقل هذا وأشباهه ابن حجر العسقلاني الشافعي في فتح

البارى شرح صحيح البخارى فى الجزء الثالث عشر فى تفسير قوله تعالى « وكان عرشه على الماء » ونقل الاتفاق الذهبى فى كتابه الملو ونقل عن غير واحد من علماء السنة والجماعة أنه نقل الاتفاق على ذلك ، ونقله أيضا ابن القيم ، ونقل الامام الأشعرى اتفاق أهل السنة على أن الله فى السماء ، ذكر ذلك فى كتابه « الابانة » وهو كتاب مطبوع معروف وذكره فى غير هذا الكتاب . ونقله ابن الامام أحمد ابن حنبل فى كتاب « السنة » والكتاب مطبوع ، ونقله ابن خزيمة فى كتاب التوحيد وهو كتاب مطبوع مشهور ، ونقل الاتفاق أيضا غيرهم ممن لا يحصون من علماء السنة وحمله الآثار وقد حاول الحافظ الذهبى وابن القيم أن يجمعا جملا من أقوال الصحابة ومن بعدهم فى كتابيهما الملو واجتماع الجيوش الاسلامية فجمعا شيئا كثيرا يحمل المطلق على ذلك لا يشك فى أن المسألة من قواطع الاسلام وضرورياته ، ومن الاجماع المتناقل فى جميع العصور والأوقات ، وقد جاء ما جمعه الذهبى من ذلك فى مائة وتسعين صفحة وجاء ما جمعه ابن القيم ما يقرب من هذا أو ما يزيد عليه ، وللافتاف فى علم هذا أن يراجع الكتابين أو يراجع ما كتبه ابن حجر على تفسير قوله « ركان عرشه على الماء » من صحيح البخارى ، أو يراجع كتاب التوحيد لابن خزيمة ، أو كتاب السنة لابن الامام أحمد أو كتاب الأسماء والصفات لليبى ، أو غير ذلك من آثار السلف . وما من كتاب من كتب السنة إلا وفيه الروايات العديدة عن الأئمة يقررون بها صفة الملو لله وينكرون على من أنكرها . وقد نقل هذا الذهبى فى كتابه المذكور عن يقارب مائتين من علماء الاسلام الفحول المشهورين ، كلهم يقول باستواء الله وكلهم ينكر على من أنكر هذه الصفة لله وكثيرون منهم ينقلون على ذلك اجماع أهل السنة والجماعة فى جميع العصور والبلدان ، وهذا غير ما ذكره من ذلك عن الصحابة والتابعين . ومن جملة من نقل عنهم هذا الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل

وقله عن زعماء اللغة كابن الأعرابي والأصمعي وابن قتيبة ولعلب ولفطويه ، وقله عن أئمة المفسرين أمثال ابن جرير الطبري والبغوي والقرطبي ، وحكاه عن أئمة علماء الكلام والنظر نظير أبي المعالي امام الحرمين والأشعري والباقلاني وأبي بكر ابن فورك ، وحكاه أيضا عن أئمة الصوفية والزاهدين كعبد القادر الجيلاني وشيخ الاسلام أبي بكر اسماعيل الهروي الانصاري صاحب كتاب « منازل السائرين » وغير هؤلاء ، وحكاه عن أئمة الحديث وحمل الأثر أمثال البخاري ومسلم صاحبي الصحيحين . قال البخاري في آخر صحيحه من كتاب التوحيد : « باب وكان عرشه على الماء ، قال أبو العالية : استوى الى السماء أرتفع ، وقال مجاهد : استوى علا على العرش » ثم أورد بعض الأحاديث الواردة في علو الله على عرشه وخلقه مثل قول زوج النبي الكريم زينب : ان الله زوجني في السماء . ثم قال البخاري : « باب قول الله تعرج الملائكة والروح اليه وقوله اليه بعد الحكم الطيب ، وقال أبو جرة عن ابن عباس بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء ، قال مجاهد : العمل الصالح يرفع الحكم الطيب . يقال ذر المارج الملائكة تعرج الى الله » ثم ساق بعض الأخبار النبوية الناصة على علو الله على عرشه وخلقه ثم عقد أبو ابا كثيرة في ما تنكره الجهمية المعطلة من صفات الله كصفة اليد والعين والذات والوجه والرؤية ونحو ذلك ، ذاكراً الآيات والأحاديث الناصة على إثبات هذه الصفات لله ، مردياً بذلك الرد على المعطلين فناء هذه الأوصاف ، زاعمين أنهم بنفيها ينفون عن الله التشبيه والتجسيم كما يزعم هذا الشيعة المؤلف . ومن حكى عنهم الذهبي الايمان بهذه الصفة أي صفة العلو لله كبار التابعين كمجاهد ومسروق وكعب الأحبار وسعيد بن جبير وآخرين كثيرين غير هؤلاء . وكذلك حكاه عن طوائف من كبار الصحابة وساداتهم . وإجمالاً جمع من هذه القول كتاباً كبيراً مستقلاً أسماه « العلو على الفغار » وكذلك صنع

الحافظ ابن القيم الحنبلي المشهور

قائلة : الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح الأول ، متفقة على أن الله في السموات مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وكماه ، ومتفقة على أن إنكار هذه الصفة ضلالة ظاهرة وبدعة منكرة ، وخلاف لدين الاسلام ولضرورياته ولنصوصه المتعددة المتكاثرة ، ولكن دليلاً واحداً من أحد الأمور الثلاثة : الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح يدل على جحد هذه الصفة لن يظفر به طالبه ، أو يجده ملتزمه

فما في كتاب الله ولا في سنة نبيه لفظ واحد يدل على نفي هذه الصفة وجحدها ويدل على أنه لا يصح وصف الله تعالى بها . وكذلك لن يظفر بكلمة واحدة من كلام السلف والأئمة المشهورين الواقفين حيث وقف الكتاب والسنة والمنتبهين حيث انتهوا تدل على أن الله ليس في السماء وليس مستوياً على عرشه ، أو تقول إن إثبات هذه الصفة لله تشبيه أو تجسيم ، ولا جاء عن أحد من هؤلاء أنه أول النصوص الواردة في هذا ، ولا أنه فسر شيئاً بخلاف الظاهر البادي منها لفصحاء الناس . ومن المطالبة بما لا يمكن إدراكه أن نطالب المخالفين لنا بكلمة من الكتاب أو من السنة أو من كلام السلف كالصحابة والأئمة الأربعة مثلاً تدل على إنكار هذه الصفة أو تدل على أن في إثباتها لله قصصاً أو تشبيهاً أو تجسيمياً ، أو ما يرعه هؤلاء الخوفاً المخالفون . ولعل العاقل يعرف أنه من المستحيل البين أن يكون قول بملأ الله على عرشه وخلقه ضلالاً أو تنقصاً لله ، ثم لا يوجد لفظ واحد في الكتاب ولا في السنة يشير إشارة قريبة أو بعيدة إلى بيان هذه الحقيقة وكشف هذه القضية الاعتقادية ! أو يليق أن يبين الكتاب والسنة أحكام الوضوء والطهارة والحيض ونحو ذلك ويدل على أنواع المحرمات دلالات واضحة بينة ، ثم لا يذكر فيها لفظ واحد يشير إلى أن الله ليس في السماء وأن القول بذلك بدعة موبقة ،

وعقيدة فاسدة ، بل وأن يملأ الكتاب والسنة نصوماً ودلائل على عكس ما يدعون وعلى أن الله في السماء فوق عرشه وفوق جميع خلقه ، ثم لا يرد عن السلف من الصحابة ومن بعدهم أنهم أولوا شيئاً من ذلك أو أنكروه أو زعموا ما يزعمه هؤلاء النفاة الجحدة ؟

أفيمكن أن يبلغ استخفاف السلف بأصول الاسلام وعقائده وفي صفات الله أن يعلموا أن ظاهر الكتاب والسنة كفر وتشويه ثم لا يحذروا المسلمين القارئین للكتاب والسنة المؤمنين بهما من هذه الظواهر الباطلة المصروفة عن ظاهرها . ثم لا يكشفوا لهم عن وجه الحق والصواب ولا يعرفون التأويل الواجبة لتلك النصوص وهم يعلمون أن في الناس الجاهل والعالم ، والذكي والغبي ، والعربي والأعجمي ، وهم يعلمون ما بين القول البشرية من اختلاف وتفاوت ، وسوء وهبوط ، وصحة ومرض ، وضعف وقوة ، وانحراف واعتدال ، وثورة وهدوء ، الى غير ذلك من أسباب الاختلاف وأسباب الوقوع في الضلال ، وجنوح الآلباب عن هداها وعن الوصول الى الحقيقة مفردة بلا هاد ولا مرشد ؟ ثم لا يقفوا عند هذا الحد من السكوت عن بيان هذه الظواهر التي زعمت باطلاً فاسدة . بل تتوارد أقوالهم والروايات عنهم على إقرار هذه النصوص والايان بها والأمر بامرارها على ظاهرها والقول بأن من أولها أو فسرهما بخلاف ما بدا منها فقد أخطأ وصار الى الضلالة البادية ، بل ويجهرون بأن الله في السماء وعلى العرش ، ثم يجهرون بأن المنكرين ذلك قائلون على الله وعلى دينه وكتابه الباطل والاثم الصريح الصحيح كما تقدم النقل عنهم

ان مثل هذا معدود نهاية القدح في السلف وفي حملة الاسلام وصداقة النبي الكريم ونعوذ بالله من هذا

هذه حقائق لا خلاف فيها ، والمخالقون أنفسهم يسترفون بأن ظواهر النصوص

ونصوص الكتاب والسنة دالة على إقرار هذه الصفة لله ، ودالة على أن الله في السماء ولكنهم بعد هذا الإقرار والاعتراف يزعمون أن هذه النصوص الظاهرة مؤولة مصروفة عن ظاهرها مفسرة بغير ما يفهم منها عند التلاوة . والامر الذي حملهم على التأويل بخلاف الظاهر المتبادر هو في زعمهم المقول وقضاياها القاهرة التي لا تكذب فيما زعموا ، فانهم قد زعموا أن هذه الظواهر لا يصح أخذها كما هي ولا التسليم بها تسليماً مطلقاً على طول الخط كما يقولون ، بل يجب عرضها على المقول وقضاياها فان قبلتها قبلت وإن ردت ردت وأولت وفسرت . والمسائل الاعتقادية عند هؤلاء تتلقى من المنطق المؤسس على المقول لا من النصوص وظواهرها

قال هؤلاء النافون : وقد عرضنا هذه المسألة ، مسألة علو الله على عرشه وأخواتها على العقل فما قبلها ولا دان لها بل قضى بانكارها ولزوم تأويل نصوصها فصار حتماً علينا ذلك فذهبنا حيث ذهب العقل وأنكرنا ما أنكره العقل ، ولم نخالفه قيد شعرة ، قالوا : وأولاً العقل لكننا من أول المؤمنين بعلو الله . لأننا لا نستطيع أن ندعى أن الكتاب والسنة لا يدلان على إقرار هذه الصفة . كلا بل الكتاب والسنة دالان بجهلتهما على ذلك وعلى كل الصفات التي أنكرناها كالرحمة والغضب والرضا والصفات الأخرى ، ولهذا نسمى أنفسنا مؤولين ، ونعترف بأن ما فسر به النصوص هو مجازات دل عليها العقل وأوجب للمصير إليها ولا يمكن أن نزعم لأنفسنا أننا مستمسكون بالظاهر وإنما نزعم أننا راشدون بهذا التأويل وبالعدل عن ظاهر ، لأن العقل ، وهو مصدر الاعتقادات ، أرشدنا إلى هذا وقضى علينا به فما علينا في هذا من حرج وما لنا منه بد . ونحن لأجل هذا نؤتم من تمسك بالظواهر وتدعوهم إلى التأويل لأننا نعلمه غالطاً وقائلاً على الله ما لا يسلمه العقل وما هو من سمات الحدوث وصفات العباد

هذه هي حقيقة أمر هؤلاء المؤولين النافين لعلو الله على إحسان الظن بهم

ونبرئتهم من فساد القصد ، فوجب علينا حينئذ أن نضع اللثام عن هذه القضية العلمية الكبرى ، وأن نكشف أمر دعوى هؤلاء وما معهم من قضايا زعمت عقلية ، وزعمت قاضية بالتأويل وبانكار علو الله . وإذا ما استطلعنا تبديد الشبهات أو الحجج التي زعموها حائلة بينهم وبين اقرار هذه النصوص والايان بهذه الصفة هان علينا رجع هؤلاء الى الحق والى الحقيقة ، وهان عليهم هم الرجوع الى ذلك والنكوص عن التأويل البعيد وصاروا الى مالا يد من المصير اليه وهو الايمان بالله وبكتاب الله وبسنة رسوله ظاهراً وباطناً وهذا ما نرجوه ونحاوله . ولكن يشترط قبل هذا في مثل هذه المباحث العليا لأجل الوصول للحقيقة فيها أن يقتنازل المرء عن هواه وعن كبريائه ، وعن التقليد الذي لاعقل له وعن العصبية الجاهلية الباطلة كي يشيم لمعان الحق عند ابقسامه وعند وضوح ناره ونوره . فان لالحق نوراً باهراً ولكن لا يبصره إلا المتواضعون ، أما المتكبرون فانهم وان غشيمهم وأحاط بجهاثهم لا يبصرونه . والحق أشرف على الله وعلى الحق من أن يذل لأصحاب الأهواء وأسرى التقليد وأهل الصدور الموقرة بالحق والهموى والحسد . واتنا بعون الله نذكر هنا عمدة ما يحتجون به من العمليات على هذه القضية ونكشف غلطها وضعفها كيلا يبقى لهم عذر ولا حجة . ولا بد من سؤال الله العون والمدد ، ولا بد من الضراعة اليه كي يلهمنا السداد والرشاد ، ويمنحنا التوفيق والعناية فان عبداً يتخلى ربه عنه وعن عونه لا يفلح أبداً ، وإن عبداً يرعاه الله ويسدد خطاه لا يمكن أن يضل سبيله

فنتقول نرجع الى شبهات هؤلاء التي احتجوا بها على تفهيم فنجعلها تنحصر في أمور تأتي على ذكرها وعلى ذكر ذى الشأن والبال منها . وإننا نذكر الشبهات على المسألة الكبرى مسألة علو الله ونذكر جوابها . وهذا يفتى عن ذكر الشبهات على باقى الصفات . فاننا اذا حسمنا مادة الاعتراضات على العلو فانكشفت باطله لم تبق الاعتراضات الاخرى على الصفات الاخرى ، فان هذه أم الصفات وباب المسألة ورأسها كما هو ظاهر

شبهات النافين علو الله

(الشبهة الأولى)

قالوا لو كان الله فوق العرش لكان جسماً ، والتجسيم باطل ، فكونه فوق العرش باطل إذن

هذه إحدى شبهاتهم يدكرها بعضهم مطلقة هكذا وبعضهم يزيد في التذليل وصياغة الشبهة . ونحن نقول ان هذه الشبهة قائمة على دعويين : الأولى أن كل ما هو في جهة فهو جسم ، والثانية وباطل أن يكون الله جسماً . أما الدعوى الأولى فباطلة بأمرين ضروريين : أحد الأمرين أن الأعراض والمعاني في جهات بالمشاهدة والضرورة ، وهي ليست بأجسام لأنها قسيمة الأجسام ، وثاني الأمرين أن المخالفين يسلمون لله صفات كثيرة كالعلم والحياة والقدرة والخلق والارادة والوجود ونظائر ذلك ، ومع هذا لا يقولون : ان الله جسم ، بل يصرحون بأنه غير جسم ويكفرون من قال ذلك ، فاذا كانت هذه الصفات لله لا تفضى بأن يكون جسماً ، كما يدعون ، لم تكن صفة العلو والاستواء على العرش قاضية بذلك . وهذا إزام لا يخلص ولا مفر منه . ولو طلع المخالفون الى السموات ونزلوا الى أعماق الأرضين ، وجمعوا الجن والانس والذاهب والفاير على أن يجدوا فرقاً بين الأمرين ومخلصاً من هذه الحجة وهذا الإزام لما وجدوا ذلك ولما استطاعوا اليه سبيلاً . وبهذين الأمرين تبطل المقدمة الأولى من هذه الحجة . ونزيد على هذين الأمرين أمراً ثالثاً ، هو أن نقول : إدعاء المخالف أن كل ما هو في جهة جسم ليس أظهر ولا أبين من أن يقال كل ما ليس فوق ولا تحت - الى آخر التنقي - معدوم لا وجود له . فهذا المعنى الذي تؤدي اليه هذه الحجة هو أظهر بطلاناً في الموازين العقلية من المعنى الذي أقاموا له هذه الحجة . ولن يكون حقاً ما يؤدي الى باطل ،

ولن يكون حقاً ما يلزمه الباطل لزوماً عقلياً لا محيد ولا قرار عته . ونزيد أمراً رابعاً بأن نقول : هذه الحجة ليست واردة على الله من حيث هو مستو على العرش ومن حيث هو في السماء بل هي واردة عليه من حيث هو موجود ولا شك ، كأن يقال الله موجود والموجود إما أن يكون جسماً قائماً بنفسه ، أو عرضاً قائماً بغيره ، ولا ثالث لهما . فالله موجودات كلها كذلك ، والله موجود ، فاما أن يكون جسماً وإما أن يكون عرضاً ، وباطل أن يكون الله عرضاً ، فلم يبق إلا أن يكون جسماً فهو جسم إذن ، فثبت أنه جسم سواء أُنقِلَ أنه في السماء أم لا في السماء ولا في غيرها . فلا ضرر إذن من القول بأنه في السماء لأنه لا يلزم هذا معنى فاسد من حيث هذه الصفة نفسها . وحينئذ يقال : إن أمكن أن يكون ثم موجود ليس جسماً أمكن أن يكون ثم موجود في السماء أو في غير السماء وليس جسماً بالضرورة ، وإن لم يمكن ذلك ، بأن لزم أن يكون كل موجود جسماً أو عرضاً لم يبق في نفي مسألة الاستواء والمعلو على العرش قائمة ، لأن المفروض أن هذه الصفة نفيت خوف التجسيم . وقد ثبت أن التجسيم منصب على الله من حيث وجوده لا من حيث طوره وما يلزم الموجود لازم له . أما الاستواء على العرش وعلى الخلق أو الكون في جهة من الجهات فهو من لوازم الوجود نفسه فهو لازم لا ملزوم من الناحية للدكورة . وهذا واضح جداً وما على المرء إلا أن يتدبره جيداً ليتضح له جيداً . وبهذه الأمور الأربعة فسدت المقدمة الأولى من الشبهة الأولى

وأما المقدمة الثانية ، وهي قولهم والله باطل أن يكون جسماً ، فنقول اتنا نحن لا نقول ان الله جسم ولا نستجيز هذا القول ، كما لا نقول ان الله في جهة ولا نستجيز هذه المقالة ، وإنما نقول : الرحمن على العرش استوى كقول السلف قاطبة ، لأننا قدينا أقولنا وعقائدنا بالكتاب والسنة لا زيادة ولا نقصان ، والنقصان عندنا كزيادة ، والزيادة مثل النقصان لأنهما كليهما قول على الله وفي الله بلا يرهان من

الله ، بيد أنا نقول إن المخالف لم يذكر برهاناً على صحة هذه المقدمة كي تكون مقبولة يحق له أن ينفي بها ما تواردت عليه نصوص كتب الله ، ويحق له بها أن يؤول الكتاب والسنة ، ولا ريب أن قولاً يقضى بنقد النصوص وتحريفها غير حقيق بالقبول إذا لم يكن له حجة قاطعة . ولا ريب عندنا أن من علم أن إثبات استواء الله على عرشه يقضى بأن يكون جسماً قضاء لا شك فيه يلزمه أن يؤمن بما يقضي به ذلك وبما تمضي به هذه الصفة ، لأن هذه الصفة التي هي علو الله قد اتفقت عليها النصوص بلا خلاف . أما ما زعم بأنه ترك النصوص وأولها لأجله فانه لم يذكر عليه برهاناً واحداً . ولا يجوز بنقد النصوص للتواترة دعياً لشبهة لم يذكر لها برهان واحد

والمخالفون إذا ما قيل لهم : ما برهانكم على أن الله ليس جسماً ، ولماذا تنكرون أن يكون جسماً إذا كنتم تزعمون أن الإيمان بهذه النصوص يقضى بأن يكون جسماً وما يلزم الحق حق وما يقضى به الملهدي هدى : إذا ما قيل لهم هذا المقال ، وسئلوا هذا السؤال قالوا انه لا يصح الإيمان بالنصوص الدالة على أنه جسم لأن الأجسام حادثة . فلو كان الله جسماً لكان حادثاً ، ولكن الله غير حادث بل هو قديم يرجع إليه جميع الحوادث ، ولأجل هذا أولنا النصوص ان استطعنا تأويلها ودفعناها إن لم نستطيع التأويل ؟ ثم لو سئلوا مرة أخرى وقيل لهم : ما برهانكم على أن الله لو كان جسماً كان حادثاً لقالوا لأن الأجسام كلها حادثة فلو كان جسماً لكان حادثاً مثلاً ، ولكن لم يدبر هؤلاء أن قولهم : لو كان الله جسماً لكان حادثاً لأن الأجسام كلها حادثة مثل قول من يقول : لو كان الله موجوداً لكان جسماً أو عرضاً . لأن الموجودات كلها إما أجسام وإما أعراض ، ومثل أن يقال لو كان موصوفاً بصفة لكان مركباً متعددأ وإمكان جائزاً سلبه صفته وتجريده منها لأن كل موصوف في الشاهد يجوز أن يفقد أوصافه ، وأن يقال : لو كان حياً لجاز موته ، لأن كل حي

(٥٤٩)

فى الشاهد يجوز أن يموت وأن يفقد حياته ، ولو كان بصيراً لجاز أن يعود أعمى لأن كل بصير فى الشاهد يجوز أن يصير أعمى ، وأشبه هذا الكلام الذى يعارض هذه الشبهة التى يحاول هؤلاء المؤلفون أن يطلوا بها قواطع الاسلام ، ولا ريب أن هذا الكلام مثل قول النافين : لو كان جسماً لكان حادثاً ، وهذه الأقوال كلها باطلة فاسدة لا برهان لها غير القياس الفاسد الباطل

ولا شك عندنا أن من قال ان الله جسم لا كالأجسام كما يقال ذات لا كالدوات وشيء لا كالأشياء أرشد وأهدى ممن راح يجرى الله من صفات الكمال وأوصافه الثابتة له فى جميع كتبه على السنة جميع رسله خوف التشبيه والتثليل ولا شك أيضاً أنه اذا كان يمكن أن يكون الله لا فوق ولا على العرش ولا فى جهة من الجهات ، وهو الرب العظيم الموصوف بأوصاف الكمال ، أمكن أن يكون جسماً وهو الاله العظيم القديم المنزه عن سمات الحدوث وصفات الحوادث ، ولا شك أيضاً أن تعطيله سبحانه وتعالى من أوصافه الثابتة له عقلاً وتقلياً كصفة العلو وغيرها أدخل فى النقصان من القول بأنه جسم لا كالأجسام ان كان فى هذا نقص كما يقال شيء لا كالأشياء ، وذات لا كالدوات فهذه الحجة باطلة ، ومقدمتها باطلتان مدخولتان وهذه هى الحجة الأولى

(الشبهة الثانية)

قالوا : لو كان الله فوق العرش أو فى السماء لكان متحيزاً والله منزّه عن الأحياز . فالله ليس فوق العرش ولا فى السماء اذن هذه هى الشبهة الثانية ، وجوابها أن نقول : هم يريدون بالحيز هنا للكان فيريدون بقولهم : انه ليس متحيزاً انه ليس فى مكان ، وحينئذ يقال : هذا الحيز أو المكان الذى قيل ان الله منزّه عنه اما أن يراد به شيء وجودى مخلوق

فيكون المعنى ان الله ليس حالاً في مكان مخلوق حادث ، وليس مطروفاً في شيء من ذلك ، واما أن يراد به شيء علمي اعتباري ، فيكون المعنى أنه تعالى ليس في الجهة التي يراد بها الفضاء المحض أى انه ليس فوق الخلائق ولا فوق العالم . فان كان للمعنى الأول هو المراد قيل : أجل اتنا ننزه الله جل شأنه عن أن يحل في شيء من مخلوقاته أو أن يحل فيه شيء منها بل هو تعالى بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه ، وهو سبحانه فوق جميع الخلائق منفصل عنها منفصلة عنه . فهذا المعنى منفى عن الباري باطل في حقه . وأما ان كان التقدير الثاني هو المراد ، وكان يراد بالحيز هنا الفضاء فيراد أنه تعالى ليس فوق الخلق ولا بائناً عن العالم ، قيل هذا باطل وهذا ما تأباه إذ هو خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف والرعيال الاول . فان ما فوق العالم وما فوق الخلائق فضاء محض وعلم صرف ليس شيئاً وجودياً مخلوقاً وليس حادثاً لأنه علم ، والعلم قديم ، لأنه ليس مخلوقاً . إذ المخلوق هو الشيء الوجودي فالذي يخلق هو الوجود لا المعدم . فان الفضاء عبارة عن لا شيء والعالم المخلوق المربوب الحادث واقع في الفضاء حالاً فيه ، والفضاء ليس حالاً في شيء لأنه علمي اعتباري ، ولو كان كائناً في شيء مخلوق حادث لكانت المخلوقات المهيئة الشخصية في الخارج لا نهاية لها ، وهذا باطل ضرورة ، وعلى هذا إذا قيل ان العالم كائن في مكان ، وان المخلوقات واقعة في مكان أو حيز قيل ماذا يعنى بالمكان أو بالحيز الذي زعم أن المخلوقات كائنة فيه ؟ أيعنى أن الخلائق كلها حالة في شيء مخلوق حادث بعد أن لم يكن ؟ أم يعنى أن العالم المخلوق قائم كله في المدم الذي يبر عنه بالفضاء والحلاء أو باللاشئ ؟ أما الاول فلا يمكن أن يعنى لأننا اذا قلنا العالم أو الخلائق حيينا بذلك جميع ما خلقه الله وجميع ما حدث بعد ان كان في عالم المديتات ، واذا كان ذلك كذلك فلا يمكن أن تكون الخلائق كلها كائنة في خلائق أخرى ، بحيث مامن مخلوق يفرض إلا وقد حل في مخلوق

آخر ولم جرا . فان هذا يلزمه الحال المتمنع . لأننا اذا قدرنا أن المخلوقات سلسلة متواصلة الوحدات ، كل واحدة منها واقعة في أخرى ، وقف بنا التقدير ولا محالة عند آخر السلسلة ثم قيل : وآخر السلسلة بماذا يحل ؟ فلا بد ألا يكون آخر السلسلة حالاً في مخلوق من السلسلة نفسها . لأننا فرضناه آخرها ولو كان ما فرضناه آخرها كائناً في مخلوق آخر لما كان هو آخرها ، وما من شيء يقدر الآخر للسلسلة والنهاية للخلائق إلا ويسأل عنه هذا السؤال ويورد عليه هذا الاشكال حتى ينتهي السؤال عند آخر نهاية الخلائق ، ولا يمكن أن يكون بعد نهايتها شيء منها والا لما كان ما سميناها نهايتها نهايتها ، وهذا باطل ، ولا بد أن يكون للخلائق نهاية ، ونعني بالخلائق الاشياء الحادثة المعينة ، وهذا ضرورى . فالمخلوقات المعينة الخارجية محدودة بمحدود جعلها الله لها . وما لا يكون له حدود لا يمكن أن يكون مخلوقاً مروباً بلا شك ، وعلى هذا نفترض العالم كله - ونعني به المخلوقات - مخلوقاً بشكل كروى يشبه البيضة أو البطيخة أو القبة أو ما مائل ذلك . فاذا ما افترضنا العالم كله كذلك فلا بد من أن نفترض لهذا العالم الكروى المحدود سطحاً ، ونعني بالسطح النهايات من جميع جهاته الخارجية كسطح البيضة مثلاً . فاذا ما افترضنا هذا كله فلا بد من أن نفترض أن سطح العالم قائم في الفضاء المحض العدمى ، ولا بد أن نقول إنه قائم في شيء غير مخلوق ، بل قائم في الفضاء ، وحينئذ اذا قال قائل : ان العالم قائم في مكان أو حيز قيل له ما تعنى بهذا ؟ أتعنى أن العالم قائم في عالم آخر ؟ إن كنت تعنى هذا فهذا باطل ضرورة وإن كنت تعنى أنه قائم في الفضاء الذى هو ليس بمخلوقا وليس في الحقيقة شيئاً وإنما تعنى أنه قائم في لا شيء قيل هذا حق صحيح ، ولكن تسمية هذا حيزاً أو مكاناً يجب ألا يفهم منه معنى غير صحيح يترتب عليه معنى آخر غير صحيح . فان الالاماء كثيراً ما تغير الحقائق في أنفس المسمين لها لا في ذاتها هي .

فليبرع هذا جيداً

وعلى هذا فإذا قال قائل : ان الله في حيز أو في مكان قيل له ماذا تريد بالحيز والمكان ؟ أتريد أنه فوق العالم أجمع وفوق المخلوقات كلها ليس في شيء منها وليس منها شيء فيه ، وتعني أنه منفصل عنها ومنفصلة عنه وأنه على العرش استوى ؟ فان كنت تعني هذا قلنا : هذا حق صحيح لا ريب فيه ، ولكن الكلام في تسمية هذا حيزاً أو مكاناً ، فالتنا نأبى إطلاق هذا اللفظ على هذا المعنى لأن فيه اشتراكاً ، ولأن فيه إيهاماً ، ولأن بعض الناس قد يعني به باطلاً ليس فيه ، ولأنه لم يرد شرعاً والخلاف يرجع حينئذ إلى الألفاظ . أم تريد بقولك إنه في حيز أو في مكان أنه حال في شيء مخلوق مظروف فيه ؟ فان كنت تريد هذا فهو باطل فان الله سبحانه منزّه عن أن يحل في شيء من خلقه أو أن يحل فيه شيء ، منهم بل هو بائن عن المخلوقات وهذا معنى قول السلف ان الله بائن عن خلقه وخلقه بائن عنه . وبهذا التفصيل ينكشف الاشكال ، وتنكشف هذه الشبهة

(الشبهة الثالثة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفي السموات لكان على إحدى حالات ثلاث بلا ريب : إما أكبر من العرش وإما أصغر وإما مساوياً له ، قالوا : والحالات الثلاث باطلة . فالقول بأنه على العرش باطل إذن ، قالوا أما القول بأنه أصغر من العرش أو مساو له فلا ينافي عاقل في بطلانه ، وأما القول بأنه أكبر منه فباطل أيدينا ، لأنه لو كان كذلك لكان تعالى مركباً من أمرين اثنين : من القدر المساوي للعرش ومن القدر الزائد عليه الذي صار به أكبر منه ، والباري مبرأ من التركيب والأجزاء لأن المركب لا بد أن يكون له مركّب ، والمركّب مخلوق حادث ، لأنه على وزن مفعول ، ولا بد له من فاعل ، وهذا محال باطل ،

وبهذا صح أن البارئ ليس مستويا على العرش وليس في السماء والجواب أن نقول : هذه الشبهة - ان كانت صحيحة أو كانت باطلة - ليست واردة على الله - ان صح أن ترد - من جهة استوائه على العرش وعلوه على خلقه ، وإنما هي واردة عليه تعالى ان أمكن الورد من حيث وجوده تعالى . فان الله موجود والعرش موجود فهما موجودان فهما داخلان تحت هذا الاعتراض وارد عليهما هذا التقسيم بأن يقال مثلا : ان الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا متساويين أو يكون العرش أكبر أو يكون الله أكبر ، لأن كل موجودين إما متساويان أو أحدهما أكبر من الآخر ولا بد ، وباطل أن يكون الله أصغر من العرش أو أن يكون مساويا له إذ لا يقول عاقل إن ربه أصغر من العرش أو أنه مثله ، وأما القول بأنه أكبر فلا يمكن أيضا ، لأنه اذا كان أكبر كان مركبا من أمرين اثنين : من القدر المساوي للعرش ومن القدر الزائد عليه ، وباطل أن يكون الله مركبا لأن المركب مفعول والمفعول لا بد له من فاعل ، وتقصد البارئ عن التركيب والحدوث ومماته أو يقال مثلا : الله موجود والعالم موجود ، فهما إما متساويان وإما أن يكون العالم أكبر أو يكون الله أكبر والأقسام الثلاثة باطلة لما ذكر . أو يقال الخالق موجود والخلق موجود فاما أن يكونا متساويين ، وإما أن يكون الخالق أكبر أو يكون الخلق أكبر ، ولا فرار من الأقسام الثلاثة ، والأقسام الثلاثة باطلة لما ذكر أيضا ، أو يقال نحو ذلك من الأقسام والتقسيمات التي لا تخرج عما ذكر الخصوم . والنتيجة التي تلازم هذه المقدمات الصحيحة عند المخالفين معلومة باطلة بالضرورة والاجماع لأن النتيجة تكون حينئذ هكذا : فاما أن يكون الله غير موجود أو يكون العالم غير موجود ، والأمران باطلان بالاتفاق ، فلا بد إذن أن تكون المقدمات التي ألفت هذه النتيجة مقدمات باطلة فاسدة وإذا ما كانت المقدمات هكذا لم تكن صالحة لأن تكون دافعة للنصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث

في استواء الله على عرشه وخلقه ، بل لم تبق صالحة لشيء من الأشياء . وهذا هو المطلوب

وليس من شك عندنا في أن هذه الشبهة واردة على الموجودين من حيث الوجود لا من حيث أن أحدهما في جهة من الآخر ولا من حيث أن أحدهما مستو على الآخر فالتنا إذا عرضنا على العقول موجودين مفضين عن جميع الأحوال الأخرى من علو وهبوط وقرب وبعد ، واستواء وغيره ، فلا محالة أن فنترض العقول أن هذين الموجودين إما متساويان ، وإما أن يكون أحدهما أكبر والآخر أصغر ، ومن المحال الظاهر ألا توجب العقول هذه القسمة وأحد هذه الأقسام قبل أن يعرض عليها أو يعرض فيها مكان أحد الموجودين من الآخر وحيزه من حيزه ، وقبل أن تعرف أن أحدهما مستو على الآخر والآخر مستو عليه ، أو أنهما متباينان منفصل كل واحد منهما عن قرينه ، هذا ما لا بد منه . فإذا عرض على العقول بعد هذا أن أحد هذين الموجودين مستو على الآخر أو فوقه أو تحته أو عن يمينه أو عن شماله أو نحو ذلك لم يزدنا هذا شيئاً ولم يغير حكمها وتقديرها أحد الأقسام الثلاثة وقضاءها بأنه لا انفصال عن تلك القسمة المفروضة . فكان أحد الموجودين من الموجود الآخر لا تأثير له مطلقاً من هذه الناحية في وجوب اقتراضها هذه الأقسام الثلاثة وإيجابها لأحد الأقسام . فان كان ممكناً أن يكون هناك موجودان لا تجب فيهما هذه القسمة ولا يجب لهما أحد الأقسام أمكن أن يكون هناك موجودان مستو أحدهما على الآخر ، وكل واحد منهما في جهة من أخيه مع القول بأن هذه القسمة ليست واردة عليهما وليس أحد الأقسام واجباً لهما ، وإن لم يمكن أن يكون هناك موجودان إلا ولا بد أن ترد عليهما هذه القسمة والشبهة فلا فائدة في قبي الاستواء مخافة ورود هذه القسمة وأحد هذه الأقسام ، لأن ذلك وارد على الموجود من حيث هو موجود لا من حيث أن ذلك الموجود في مكان وجهة . وهذه أمور أولية

لا يمكن أن ينازع فيها من تصورها تصوراً جيداً فهذه الشبهة إذن داحضة لا يعبأ بها

وما يبين بياناً قاطعاً أن هذه القسمة واردة على الوجود لا على الاستواء أننا نعلم بالبرهان العقلي القاطع أن المكان الذي هو الفضاء المحض الذي هو ظرف الخلائق الحادثة ليس في مكان ولا يحتاج إلى مكان ، لأننا لو قلنا إن المكان يحتاج إلى مكان لمكان هذا قولاً باطلاً مستحيلاً . فالمكان الذي هو الفضاء الذي هو ظرف الخلائق لا يحتاج إلى مكان ولا يمكن أن يكون في مكان . وإذا علم أن المكان الذي هو الفضاء والخلاء ليس في مكان قيل إن العقول كافة إذا عرض عليها هذا المكان الذي هو الفضاء والذي ليس في مكان ، ثم عرض عليها موجود آخر ، فتصورت هذا الموجود وتصورت المكان الذي هو الفضاء ، فلا بد أن نفرض أن هذين الأمرين أعني الفضاء والموجود المفترض إما أن يكونا متساويين في القدر وإما أن يكون الفضاء أكبر ، وإما أن يكون الموجود الآخر المفترض أكبر ، ولا يمكن أبداً ألا تفترض هذه القسمة ولا يمكن إلا أن تقضى بأحد هذه الأقسام ، ولا يمكن أن تقدر إمكان الخروج من هذه القسمة العقلية ، هذا غير ممكن مع العلم بأن المكان الذي هو الفضاء ليس في مكان ولا يمكن أن يكون في مكان ، ولا يحتاج إليه البتة . إذن هذه القسمة وهذه الأقسام الثلاثة المذكورة ترد على الأمرين بلا ريب وإن كان أحدهما ليس في مكان ، بل وإن كان ليس مستوياً على شيء ولا محتاجاً إلى هذا الاستواء مطلقاً ، كما وردت هذه القسمة على المكان المفترض وعلى الموجود المخلوق

وإذا كان ذلك كذلك علم أن هذه الشبهة وهذه القسمة تعرض للأمرين لأن كلا منهما في مكان ، ولا لأن أحدهما فوق الآخر ومستو عليه ، بل الشبهة أو القسمة ترد على الأمرين من حيث ذاتهما ووجودهما ، أما الاستواء أو العلو فأمر

لا تأثير له من هذه الناحية يقينا

وشئ آخر يدل على هذا دلالة واضحة ، ذلك أننا إذا افترضنا وجود أمرين قبل وجودهما وقبل كونهما ، فلا بد أن نقدر أن هذين الأمرين حينما يوجدان إما متساويان وإما أن يكون أحدهما أكبر أو أصغر ، ولا بد أن نقدر هذه القسمة وأن نعلمها ونحكم بها جميع العقول على هذين الأمرين الذين قدر وجودهما تقديرًا وفرض فرضًا قبل أن يوجدوا ويخلقوا ، فإذا وجدوا وخلقوا بعد التقدير والافتراض لهذه القسمة لم يتغير هذا التقدير ، ولم يختلف هذا الافتراض يقينا ، وإنما يطلب بعد وجودهما معرفة أحد هذه الأقسام المفترضة ، أما إيجاب وجود هذه الأقسام الثلاثة وهذه القسمة الثلاثية فأمر معلوم قبل وجودهما وقبل خلقهما في مكان ما ، بل وقبل التفكير في المكان وفي وجوب المكان لهما إذ هذا أمر آخر . هذه أشياء واضحة جلية لا خلاف فيها عند من تصورهما تصورًا جيدًا

وهؤلاء لما وجدوا أن الموجود المستوى على الشيء لا بد أن يكون أكبر من ذلك الشيء المستوى عليه أو أصغر أو مساويًا حسبوا أن وجوب هذه القسمة آت من جهة صفة الملو والاستواء ، وما علموا أن ذلك آت ان كان آتيا من جهة الوجود ، فاختلط عليهم الأمر فقالوا ما قالوا ، وهذا غلط بلاريب

وعلى كل حال فإن هؤلاء لن يظفروا بفرق بين قولهم هذا وحجتهم هذه ، وبين أن يقول غيرهم : الله موجود والعرش موجود ، فاما أن يكونا متساويين أو أو أن يكون الله أكبر أو يكون العرش أكبر ، والأقسام الثلاثة باطلة . فهذه الحجة واردة ولا محالة ، فلا فائدة إذن في نفي الاستواء فراراً منها إذ هي واردة سواء أقييل بالاستواء أم بانكاره

هذا ما يقال من جهة ، ثم يقال من جهة أخرى : ولماذا لا يقال الله تعالى أكبر من العرش بل أكبر من جميع المخلوقات ؟ بل لماذا لا يجب هذا القول ولماذا

لا يجب أن يكون كذلك كما يقول المسلمون في صلواتهم وفي كل حالاتهم : الله أكبر ، أى أكبر من كل كبير ومن كل شيء في الأرض وفي السماء ، كما يقولون الله أعظم وأعلم وأمثال ذلك مما لا يختلف المؤمنون بالله في جوازه ووروده في الشرائع جميعا ، وفي اتفاق الناس المقرين بالله تعالى عليه ؟ وهم اذا قالوا أمثال هذا الكلام كان مرادهم أنه أكبر وأعظم وأعلم من جميع المخلوقات والموجودات ، لا يتنازعون في هذا كما لا يتنازعون في جوازه وجواز قوله ، بل كما لا يتنازعون في وجوب قوله واعتقاده . ومتى اختلف المؤمنون في أن الله أكبر وأعظم وأعلم من جميع الكبرياء والعظماء والسما ؟ ومتى كان مثل هذا القول واعتقاده باطلا أو مختلفا فيه أو مشكوكا في جوازه ؟ فالله أكبر من العرش ومما تحت العرش ومن كل شيء في الأرض أو في السماء ، وهل ينازع في هذا مؤمن أو يباه عارف بالله ؟

يا ويح هؤلاء المخالفين ! ويا ما أكثر حيرتهم وأطول حسرتهم ! أنكروا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه وفارقوا نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح وعاندوا الفطرة والبداية ، فجددوا هذه الصفة ثم شعبوا عن هذه البدعة ما شعبوا ، وفرعوا عنها ما فرعوا ، وما زالوا يفرعون ويشعبون ، حتى قالوا بانكار أن يكون الله أكبر من عرشه ومن خلقه ، فأنكروا أن يكون الله كبيرا ثم أنكروا أن يكون أكبر من غيره ! وليس إنكارهم أن يكون الله أكبر من خلقه بأقل قبحا وضللا من إنكارهم علوه واستواءه على عرشه ، وهذه عاقبة من ينفذ كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه السلف زاعما أنه هدى الى ما لم يهد اليه السلف الصالح وزاعما أنه قد اخترق طباق الظواهر حتى نفذ في قلب الحقيقة وغرق في أحشاء الحق القصي المكتم المضمون به على أهل النصوص والظواهر والآيات الظنية وأحاديث الأحاد ! أما المسلمون جميعا الذين لم تنسد فطرتهم وقلوبهم ، والذين وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة وانتبهوا حيث انتبهوا فيطمعون أن الله أكبر من العرش

ومن كل شيء ، ويملمون أن من أنكر هذا فقد ضل الضلال البعيد وجحد صفة من صفات الحق لا يتنازع العقل والنقل في وجوبها لله . وأما ما يقال في الشبهة بأنه لو كان أكبر من العرش لكان مركبا من القدرين المساوي والزائد فهو قول مركب من أمشاج الباطل منسوج من خيوط الأوهام الواهية ، وبيان هذا أن هذه الشبهة أو الحجة مثل أن يقال : لو كان لله صفات وذات لكان مركبا من أمرين من الذات والصفات ، والمركب لا بد له من مركب لأنه مفعول فلا بد له من فاعل يخلق فيه التركيب والامتزاج ، فالحق إذن إما أن يكون مركبا وإما أن لا يكون له صفات أو لا يكون له ذات لثلا يكون مركبا . وهذه أشياء فاسدة باطلة ، وهذا مثل أن يقال : لو كان الله موجودا لكان محتاجا إلى موجد إذا ما من موجود في الشاهد إلا وهو محتاج إلى من يوجد من وجوده ومن يحفظ له الوجود ، وعلينا هذا كملنا أن كل كبير وكل ما هو أكبر من غيره فلا بد له من فاعل قاهر أوجد له الكبير وخلق فيه صفة الكبير وألف أجزاءه وما هو به كبير حتى صار كبيرا وحتى أصبح أكبر من غيره فإن كان هذا القول صحيحا كان ذلك مثله صحيحا ، وإن كان باطلا كان ذلك مثله باطلا . لأنه لا فرق بينهما في القانون العقلي يقينا مع مراعاة أن الأشياء العقلية لا تؤخذ بالالفاظ والعبارات

ومثل هذه الحجة أو الشبهة أيضا أن يقال : لا ريب أن صفات الله متغايرة كل صفة خلاف الصفة الأخرى لفظا ومعنى ، وكذلك أسماءه . فلا ريب أن صفة طله غير صفة خلقه ، وإن صفة خلقه غير صفة إرادته ، وصفة إرادته غير صفة أمره ونهيه ، وصفة أمره ونهيه غير صفة وجوده . فصفاته تعالى وكذلك أسماءه متغايرة متعددة . فإن اسمه الرحمن غير اسمه المنتقم الجبار ، واسمه الخلاق غير اسمه العالم والمريد ، وأشباه هذا ، وإذا كان ذلك قيل إذن صفات الله وأسماءه مركبة من أشياء مختلفة متعددة ، والمركب مخلوق مصنوع . فلما أن

تكون صفات الله وأسماءه مخلوقة حادثة ، وأما ألا يكون له أسماء ولا صفات . لأن القول بأن له ذلك قول بأنه مركب مخلوق محتاج الى من يركبه ، ولا شك أن هذه الاقويل ونظائرها أقاويل فاسدة باطلة مع أنها لا فرق بينها وبين حجبتهم هذه يقينا . والدلائل التي تؤلف نتائج باطلة لا بد أن تكون هي باطلة أيضا وإن لم يعرف مكان فسادها وبطلانها ، وهذا غير لازم في معرفة بطلان الامر وفساده وكشف الغطاء عن هذا أن كلمة « التركيب ، والمركب » فيها اشتراك واشتباه يلبسان الحق بالباطل كثيرا ويقنعان وجه الحق حتى تضل عنه الابصار والبصائر وهذا شأن جميع الألفاظ المحدثه المبتدعة التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة . فان للمركب قد يراد به الشيء الذي كان مفرقا فجمع وألف بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا كما يقال الساعة أو الطائرة مركبة ، والانسان مركب من مواده الاولى كما قال الله تعالى « في أى صورة ماشاء ركبك » أى جمعك بعد أن كنت أجزاء مفرقة في الماء والهواء والغذاء ، ومثل هذا مركب حقيقة لقلة وشرعا وعقلا ، وأهل اللغة يسمون هذا النوع تركيبا ومركبا لا يختلفون في هذه التسمية وهذا الاسم

وقد يراد بالمركب ما يمكن أن يفترض العقل جواز تركيبه وجواز أن يكون قد جمع وركب بعد أن كان مفرقا مبغثا . والعقل قد يفترض الحالات وما لا يمكن وجوده في الخارج . فقد يفترض أن التقديم الواجب الوجود قد لا يكون واجب الوجود ولا قديما وقد يفترضه حادثا وغير موجود في زمن من الأزمان وحالة من الحالات ، كما قد يفترض الحادث الوجود المخلوق للربوب قديما واجب الوجود لا يمكن قناؤه ولا عدمه ، وقد يفترض أيضا كل موصوف وإن كان قديم الوصف والصفة ، فاقد أصفاته مجردا من أوصافه ، كما قد يفترض كل شئ ميتا قانيا ، بل قد يفترض الشئ لا قديما ولا حادثا ولا واجب الوجود ولا جائزه ، ولا خائفا

ولا مخلوقا . وقد يفترض غير ذلك من الحالات التي لا يمكن أن تقع في عالم الوجود والحقيقة المشهودة ، كما قد يسمى أقوام علم الله وإرادته وسائر صفاته وأسمائه تركيبا فيفزعون الى انكار الاسماء والصفات لأجل ذلك ولأجل أنهم حسبوا هذا تركيبا لا بد له من مركب يوجد فيه التركيب والامتزاج ، كما سمى هؤلاء النفاة لعلم الله عظمته وكبره تركيبا ففزعوا منه وأنكروا أن يكون الله كبيرا وأكبر من عرشه وخلقه فماندوا النصوص والضرورة والفطرة والدلائل العقلية التي لا تعد ، وجعلوا هذه البدعة المنكرة حجة على البدعة الأخرى وهي انكار علو الله واستوائه على خلقه وعرشه ، ولكن لا ريب أن هذه الأقوال وأمثالها أوهام متماسكة آخذ بعضها برقاب بعض أخذت تقليداً واتباعاً مجرداً من الاختيار ، وقلد فيها الآخر الاول بلا نظر ولا بصرفز أمرها وشأنها حتى حسبت حقاً لا يدفع ولكنها في الحق من أضعف الباطل وأهونه ، وذلك ان التركيب هو الجمع والتأليف بين الوحدات المتفرقة المبعثرة كتركيب الانسان والآلات المصنوعة مثل الطيارات والساعات وأشياء هذا فهذه أشياء مركبة حقيقة لغة وشرعا وعقلا لأن مركبا قد ركبها وأوجد لها صفة التركيب والمركب ، وقد كانت قبل هذا ليست كذلك ، فهي مصنوعة مخلوقة حادثة ، وأما ما ليس هنالك برهان على أنه مركب وأنه أوجد له التركيب غير افتراض العقل ذلك واقتراضه جوازه ، واقتراض أنه كان له التركيب بعد التفريق فهذا ليس مركبا يقينا لا لغة ولا شرعا ولا عقلا حتى يقوم الدليل على أنه قد لحقه وصف التركيب والمركب بعد عدمه . فان التركيب وصف ، أو نسبة بين أمرين أو أمور ، حادث باحداث قادر عليه متقدم عليه زمانا ومكانا . هذا هو التركيب بلا خلاف بين أهل اللغة والعقل ، وحينئذ فاعلم بالبرهان أنه كذلك فهو مركب قد لحقه تركيب مركب فاعل ، وما لم يعلم أنه كذلك سوى افتراض العقل أو الوم فلا يقال انه مركب ولا يوصف بالتركيب يقينا . وهذا

جلى واضح . وهكذا سائر المعاني وما يسمى بالاعراض أو الصفات ، فالخلق مثلاً يراد به الابداع المسبوق بالعدم . وكل موجود من قديم وحادث قد يفترضه العقل أو الوهم مخلوقاً وقد يفترض أن صفة الخلق الذي هو الابداع قد لحقته بعد عدمها ، كما قد يفترضه قديماً واجب الوجود لم يطرأ عليه عدم ولا خلق ، وكما قد يفترض أن كل موصوف ، وإن كان قديم الوصف حادث الوصف مخلوقه ، كما قد يفترض الحى وإن كان قديماً يجوز أن يموت ويفنى ، إلى أشباه ذلك مما مصدره الوهم والافتراض والتصور العام والقياس الناقص ، ولكن شيئاً من ذلك لا يقبل ولا يصح أن يقبل حتى يقام عليه البرهان القوى الصحيح والحجة الظاهرة القوية ، فلا يقال إن موجوداً ما مخلوق حادث حتى يدل البرهان الصحيح عليه ، ولا يقال إن حياً من الأحياء يمكن أن يموت وأن يفقد حياته حتى يقام على ذلك البرهان الصحيح أيضاً ، ولا يقال إن موجوداً ما مركب حتى يقام على هذا القول البرهان أيضاً . وقد يقوم العقل كما ذكرنا أن القديم الواجب الوجود ، الذى وجوده من ذاته حادث مخلوق لا لدليل سوى أنه موجود ، والموجود قد يكون كذلك ، أي قد يكون حادثاً مخلوقاً كما جاء فى الحديث الصحيح أن النبى الكريم ﷺ قال : « يحىء أحدكم الشيطان فيقول هذا الله خلق العالم فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فلينته » وهذا العارض يرد على عقول كثيرين من المؤمنين ، وقد يحتمل فى صدورهم حتى يعسر زياله فيذهبون يتساءلون عن ذلك ويذهب الشيطان يلقي السؤال المذكور فى الحديث ويصوغه على ألسنة العصاة بهذا الوسواس كما ورد على عقول هؤلاء المخالفين أنه لو كان الله كبيراً وأكبر من العرش لكان مركباً مؤلفاً ، فأنكروا لذلك أن يكون كبيراً ، ثم أنكروا تبعاً لهذا الاستواء والعلو . والعقول تعلم بداهة بطلان هذا الوهم والسؤال ، وتعلم بداهة أنه لا بد من الإيمان بقديم واجب الوجود لا يفترق إلى غيره بوجه واحد من وجوه الافتقار والاحتياج . وإلا لو كانت الموجودات

كلها حادثة مخلوقة لكائنات الحوادث تحدث بلا محدث وبلا سبب حادث . وهذا باطل فاسد بنظرات العقول الأولى . فان من أظهر علوم البشر وأدومها عليهم أن الحوادث لا تحدث بأنفسها بلا محدث سابق عليها

وعلى هذا فاذا قال المنكرون لعن الله الله انه لو كان تعالى أكبر من العرش لكان مركبا قيل لم ماذا تريدون بالتركيب ؟ أتريدون أنه مركب لمركب فاعل أوجد فيه التركيب بعد أن كان فاقداً ذلك ؟ ان كنتم تريدون هذا المعنى قيل لكم : كيف علمتم أنه اذا كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه فلا بد أن يكون مركباً ذلك التركيب ، وما البرهان عليه ؟ لاشك أن مثل هذه المقالة لا بد لها من الحجة الظاهرة ، كما أن قول القائل : الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا ولا بد أن يكون له موجد لا يقبل ولا يسمع إلا يبرهان . وهذا المقال مثل ذلك المقال عند التبصر . فان قولهم : الكبير والأكبر لا بد أن يكون مركباً لمركب وهبه صفة التركيب مساو للقول بأن الموجود لا بد أن يكون حادثا مخلوقا لخالف محدث ، ومساو للقول بأن الموصوف من حيث هو موصوف حادث الصفة مخلوقا فهو جائز أن يفقد ذلك وأن يعود غير موصوف ، ومساو للقول بأن الحى من حيث هو حى موهوب الحياة معطاهها ليس واجبها ولا قديمها ، فهو جائز عليه أن يفقدتها الى أشباه هذا . وهذه أقوال كلها فاسدة باطلة

وأما ان كانوا يريدون أنه لو كان كبيراً وأكبر من عرشه وخلقه لكان مركبا ، بمعنى أن العقل أو الوهم قد يفترضه كذلك ، قيل لم هذا لا يضير شيئا ، وذلك أن العقل يفترض الحالات التي لا يمكن أن تقع في الخارج ، كما أنه قد يفترض موجوداً لا قديماً ولا حادثا ، ولا واجب الوجود ولا جائزه ، وهذا محال صدقه ووقوعه ، وكما قد يفترض القديم حادثا والحادث قديماً . وقد يفترض جسما قائما بنفسه ليس في مكان ولا جهة من الجهات بحيث لا يمكن الإشارة اليه

وقد قال قائلون : ان هناك رباً قديماً قائماً بنفسه مصدراً لجميع الحوادث مجرداً من جميع الصفات الوجودية والعدمية . وهذا من أظهر المحالات في العلوم البشرية ، فان موجوداً ما لا يمكن أن يتجرد من جميع الصفات العدمية والوجودية ، وليس الموجود إلا الموصوف بصفة الوجود والثبوت والامتياز عن غيره وعن الممدومات وإلا فان الموجود المجرد من الصفات مساو للمدوم بل هو المدوم عينه . ومن قال ان الله موجود وهو مجرد من جميع الصفات فقد قال بإنكاره ولكن بعبارة مناقضة غبية ، وبعبارة جاهلة مراوغة ، ولا فرق عندنا بين أن تقول : ان عندى شيئاً لا يميناً ولا شمالاً ولا فوق ولا تحت ، ولا فى جهة من الجهات ، وليس له وجود ولا عدم ولا امتياز ، ولا يوصف بصفة من قلة وكثرة ، وبين أن تقول ليس عندى شيء . فالقولان سواء فى أن كلا منهما يعبر عن العدم والفقدان ، بيد أن القول الثانى أصرح وأخف وأوضح فى المراد ، وكذلك لا فرق بين أن تقول ان للعالم رباً مجرداً من جميع الأوصاف بحيث لا يوصف بعلم ولا حياة ولا وجود ولا قدرة ولا علو ، وبحيث لا يوصف بصفة من الصفات وبحيث لا يشار اليه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، وبين أن تقول ليس للعالم رب ولا خالق . ولهذا كانت أقوال هؤلاء المعطلين معدودة عند السلف من الإلحاد الصريح والجحود رب العالمين ، وكانوا لأجل هذا يشتدون فى الحكم على الجهمية أئمة التعطيل ، ويسمونهم الملحدين والكفار أحياناً ، ويمتدون بقتلهم ردة ، لأن مقالاتهم هذه هى من شر أنواع الإنكار والإلحاد . ولا ريب عندنا أن الذين ابتدعوا هذه العقائد الجهمية المعطلة فى الاسلام كانوا خونة ادعوا الايمان والاسلام خداعاً وكيداً ليفسدوا ذلك . وهناك أقوال رواها عنهم السلف مثبتة فى كتاب السنة لابن الامام أحمد بن حنبل ، وفى كتاب خلق أفعال العباد للبخارى تدل دلالة قوية على ما نقول . وقد حدثوا عن الجهم بن صفوان أحد مراجع التعطيل والتجريد

أنه أنكر وجود الله أربعين صباحاً ، وذكروا عنه أنه مرّ بآية الرحمن على العرش استوى فتمعر وجهه غيظاً وفضياً ورمى بالمصحف من يده ، وقال : لو استطعت أن أحك هذه الآية من المصحف لفعلت . ولا ريب أن مثل هذا القول لا يصدر عن قلب لامسه الإيمان وعقد على الاسلام . وقد علم أن جماعات كثيرة دخلوا في الاسلام أو ادعوا الدخول فيه على الأصح ميكدة للاسلام وخداعا لأهله كما فعل ابن سبأ واضع المذهب الشيعي العالي ، وكذلك فعل غيره ، علم منهم من علم ، وجعل من جهل

(الشبهة الرابعة)

قالوا : لو كان الله فوق عرشه وخلقه لكان محدوداً بمحدود ذاتية مكانية ، والله ليس محدوداً بمحدوداً

والجواب أن نقول : ان هذه الحجة كما قد قدمنا ترد على الموجود من حيث هو موجود ، ومن حيث هو قائم بنفسه ، لا من حيث انه مستو على العرش أو على شيء من الأشياء . فان كانت هذه الحجة صحيحة واردة فهي واردة على كل حال لا يدفعها نفي الاستواء والعلو على العرش ، وان لم تكن صحيحة ولا واردة لم يوردها ولم يقض بورودها القول بالاستواء والعلو . فالقول بالاستواء - سواء أ كان حقاً أم باطلاً - لا يضر ولا ينفع في هذه المسألة يقيناً . وذلك أن يقال لو كان الله موجوداً لكان محدوداً ، لكن الله لا يحد بمحدود ذاتية مكانية ، أو يقال الله موجود وكل موجود محدود فلا بد أن يكون محدوداً . فان أمكن أن يكون ثمت موجود قائم بنفسه ، موصوف بكل صفات الكمال ، وليس محدوداً أمكن أن يكون هنالك موجود مستو على الخلق ، وليس محدوداً بمحدود لا زماني ولا مكاني ولا ذاتي وإن لم يمكن وجود شيء ما وقيامه بنفسه إلا أن يكون محدوداً بمحدود ونهايات لم يند نفى

الاستواء والعلو في دفع هذه الحدود والنهايات لأنها واردة على الوجود لازمة له .
فالقول إذن بنفي الاستواء والعلو لا يضر ولا ينفع في هذه المسألة ألبتة . وهذا واضح
وإذا كان ذلك كذلك لم يحجز القول بانكسر ما افقت عليه الكتب المقسة
والفطر كلها والضرورة والاجماع دفعا لشبهة هي غير مدفوعة ولا باطلة . وهذا
لا نزاع فيه عند من تبصر وفهم

والقول بالحد لذات الله لم يرد في الكتاب ولا في السنة تنصيحا وتصريحا فيها
أعلم . ولكن جاء هذا القول عن السلف الصالح ونطقوا به وجعلوه معنى لاستواء الله
على عرشه وعلوه على خلقه ، وانفصاله عنهم وانفصالهم عنه تعالى ، فان مذهب السلف
الذي لا يختلف فيه بينهم أن الله سبحانه مستو على عرشه عليّ على خلقه بائن عن
غيره بائن غيره عنه . وهذا هو الفصل بينهم وبين أهل البدعة والضلالة ، لأن فريقا
من المبتدعين صار الى القول بحلول الله في خلقه وحلوله في كل مكان وذات ١١
وهذا شر من قول النصارى والحلولية . وفريق آخر متأخر صار الى القول بأن الله
لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا بائن عنه ولا حال فيه
ولا فوق ولا تحت ولا يميناً ولا شمالاً ولا وراء ولا قدام ولا تمكن الإشارة اليه
بوجه من الوجوه . وهذا القول مساو لقول الملحدين المنكرين لوجود الخالق إلا أنه
بعبارة مراوغة منافقة . وهذا مثل أن يقال : ان الله لا موجود ولا معدوم ، ولا
خالق ولا غير خالق ، ولا قديم ولا حادث ، كما يقول هذا الاسماعيلية وغيرهم
من فرق الشيعة . وهذا كله جحود والحاد بلا خلاف بين العقلاء

فلم يبق بعد هذين القولين الباطلين الكاذبين سوى قول السلف وصدر الأمة
الأول من الصحابة والتابعين وغيرهم ، وهو القول بأن الله فوق خلقه مستو على
عرشه منفصل عن المخلوقات منفصلة عنه . وهذا عند السلف هو معنى القول بالحد
ولا بد من الحد بهذا المعنى . ويراد بالحد التمييز بين الخالق والمخلوق والتفريق بينهما

بالذات والصفات وكل شيء . ومناه عندهم أن الله ليس حالاً في خلقه وأن خلقه ليسوا حالين فيه ، لأن القول بالحلول قول أهل الكفر والنسب . ولا يراد بالحد غير هذا المعنى ، ومن ظن أنهم يعنون بالحد سوى ما ذكرنا فقد غلط عليهم . ونصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف مجمعة على هذا المعنى لا تختلف فيه ، وإن كان هذا اللفظ خاصة لم يرد في كتاب الله ولا في سنة نبيه ، وإنما قاله كثير من أئمة السلف والسنة لما شاعت البدع ، بدع الجهمية المعلقة وبدع المعتزلة والشيعة تمييزاً لمقيدتهم وعقيدة السلف عن عقائد هؤلاء المصلين ، فقالوا : إن الله فوق خلقه مستو على عرشه بحد كما قال الإمام أحمد ، نقله عنه ابنه عبد الله في كتاب السنة . وقال هذا غير الإمام أحمد كابن المبارك وعثمان بن سعيد الدارمي من أئمة السنة والآثر . وهؤلاء الأئمة الذين قالوا هذا يعلمون أن الأفضل هو الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة سليكاً وإيجاباً ، ويعلمون أن هذا اللفظ لم يرد في نصوص الشريعة فيما نعلم وإن كان معناه وهو ما ذكرناه في تفسيره متواتراً في النصوص ، متواتراً عن الصحابة والتابعين . ولكن لما ظهر المبتدعون النفاة وقالوا تلك المقالات التي لا تغفل قال السلف إن الله مستو على عرشه وفوق خلقه بحد تمييزاً لمقالاتهم ومقالات السلف عن أقوال الجهمية والمعلقة ومعنى قولهم بحد هو ما ذكرناه من أنه فوق خلقه لا كما يقول أهل التعطيل والحلول

وهؤلاء المتكلمون يضمنون ألفاظاً مبتدعة لمعان صحيحة ثابتة لا يختلف فيها فينفرون الناس عن الحق بما يعبرون عنه به من البارات المخترعة الموحشة والألفاظ المبهمة المشتركة بين المعاني الصحيحة والباطلة . ولتصريح عن المعنى المقام الأول في قبوله ورده . وذلك مثل تمييزهم عن الصفات والأفعال بالأعراض وحلول الحوادث في ذات الله ، ومثل تمييزهم عن علو الله بالتحيز والحد والتجسيم ، ومثل تمييزهم عن صفات الذات بالجوارح وظواهر ذلك من الألفاظ المبهمة المشتركة التي يراد

بها حيناً حق ويراد بها حيناً آخر باطل . ولو أن هؤلاء القوم تأدبوا بآداب الله وآداب كتابه وآداب رسوله فوقفوا عند عبارات الكتاب والسنة وعبارات السلف الصالح وعبروا عن صفات الله وأسمائه بالألفاظ الشرعية المنقولة ، ولم يخترعوا ألفاظاً مبتدعة ولا عبارات مصنوعة حادثة لوقفوا بمنجى من هذا الضلال في أنفسهم ، والتضليل لغيرهم ممن يؤخذون بالألفاظ والكلمات المنحوتة التي أريد بها الاستغزاز والتحويل والتخويف . ولأجل هذا كان السلف الأول لا يعللون من الفاظ الشرع ، ولا يقولون لفظاً لم يرد ، وإن كان معناه صحيحاً حقاً ، وإن كان مرادفاً لفظ الوارد في الشرع إلا أن يلجئوا إلى شيء من ذلك الجاء ، وبفرض عليهم فرضاً ، وكانت بدع المخالفين تقضى بالتصريح والتعبير بألفاظ أخرى أمس بفهم المخالفين المعاصرين ، كما جاء عنهم في الحد والعلو على العرش بالذات والبينونة عن الخلق . ولكن العاقل الحازم لا يدع الحق الصحيح استيحاشاً من تعبير مبهم مشترك ، أو تعبير فاسد باطل ، بل العاقل ينظر إلى الحق حيثما كان وأين كان ، فينتزعه من مكانه وينزع إليه لا يتبنيه خوف تعبير أو تعبير

(الشبهة الخامسة)

قالوا : الاستواء على العرش إما أن يكون حادثاً ، وإما أن يكون قديماً ، ولا بد من أحد هذين الأمرين ، والأمران مستحيلان ، أما الثاني فلا يمكن البتة فإن العرش حادث كائن بعد عدم ، وما كان حادثاً لا يمكن أن يكون الاستواء عليه قديماً ، فهذا لا يمكن بالبداية . فالاستواء إذن لا يمكن أن يكون قديماً فلم يبق إلا أن يكون حادثاً ، ولكن الاستواء الحادث على الباري مستحيل أيضاً ، وذلك أنه يلزمه أمران أحدهما قيام الحوادث في ذات الله ، وهذا باطل ، وثانيهما

أن هذا انتقال وحركة والانتقال والحركة مستحيلان في حقه تعالى . فاقول بالاستواء إذن باطل

والجواب أن قول : أجل ان الاستواء على العرش الحادث حادث ولا ريب كما قال تعالى « خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش » في آيات عدة ، فالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض الحادثة . أما ما ذكره من أن في هذا إتيان الحوادث في ذات الله وهو باطل ، فجوابه أن يقال : قد اتفقت نصوص الأديان كلها ، واتفقت الروايات عن السلف الأول وعن المسلمين جميعا بل عن المؤمنين بالله كافة ، على أن الله لا يزال يفعل ويقول ويحيي ويميت إذا شاء ، كل يوم هو في شأن ، وقد دلت الخلوقات الحوادث على ذلك ودلت الكائنات المشهودة على أنه كل يوم هو في شأن ، ودلت الضرورة على هذا . وما من مؤمن بالله إلا وهو يعلم أن الله يفعل ما يشاء متى شاء لا مانع ولا معترض عليه ، ولأجل هذا يدعو ويضرب اليه في حالاته كلها في السراء والضراء وفي الرخاء والشدة ، لأنه يعلم علم اليقين أن الله دائم الفعل دائم التصريف ، دائم الخلق دائم الأحياء والاماتة والرزق ، يحدث من أمره ما يريد ، ويريد في خلقه ما يحدث ، يكلم من شاء إذا شاء ويرزق من شاء متى شاء ويميت من يميت إذا شاء ويحيي من شاء متى يشاء ، ويشي من شاء حين يشاء ، ويمرض من شاء حين يشاء ويقرب ممن يشاء ويبعد ممن يشاء ، يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب . اليوم يقضى بحياة أقوام وغداً يقضى بموتهم ، واليوم يقضى بافطار عبده فلان وغداً يقضى بافطائه . واليوم يقضى بمن هذه المولة وغداً يقضى بذلها واليوم يقضى بذلها وغداً يقضى بمنزها ، واليوم يقضى بإبعاد عبده فلان وغداً يقضى بتقريبه ، واليوم يقضى بصلاحه وغداً يقضى بفساده ، يفعل ما يشاء ويمتار وهو شديد الحال . لا خلاف بين الأديان ، ولا خلاف بين أهل الأديان ، أن هذا

كله بعض شأن الله في خلقه وملكه ، ولا خلاف بينهم وبينها أن خلقه اليوم غير
 خلقه غدا ، وأن إيجاده أمس غير إيجاده اليوم ، ولا خلاف بينهم وبينها أن من
 أوجده اليوم ليس قديما ، وأن شفاه اليوم من كان بالأمس مريضا ليس أزليا ،
 وأن اغناؤه اليوم من كان بالأمس فقيرا ليس قديما ، وأن استواءه على العرش
 الحادث له بداية زمنية ، وأن نداه عباده موسى وعيسى وإبراهيم ونوحا ومحمدا
 ﷺ كائن بعد خلقه أيام ، وأن خلقه أيام حادث له ابتداء ، ولا خلاف بين
 أهل الأديان السماوية في هذا وفي أمثاله ، ولا خلاف بينهم في أن أفراد هذا كله
 حادثة كائنة بعد أن لم تكن ، ولا خلاف بينهم في أن هذا هو معنى كونه مختارا
 يفعل ما يشاء حين يشاء وأن هذا لازم القدرة والربوبية ، وأن من لا يفعل متى
 شاء ليس قادرا ولا جليل الوصف ، ولا ريب أن من أنكر هذا الوصف لله فقد
 سلبه أخص أوصاف الربوبية وسلبه القدرة والكمال ، وأن القادر هو الذي تتجدد
 أفعاله وتتعاقب خلقه وصنعه ويحدث من أمره ما يشاء ثم يفعل وأنه لا يزال كذلك
 وهذا هو معنى وصفه القادر والرب للدير ، ومن جملة صفاته المتجددة الاستواء
 على العرش والعلو على الخلق ، فإن كان ممتعا عليه الاستواء لأن في ذلك قيام
 الحوادث في ذاته كان ممتعا عليه خلق العرش وخلق غيره من الحوادث ، لأن في
 ذلك أيضا قيام الحوادث بذاته . فإن الخلق وصف ذات كالاستواء والعلو إلا أن
 الفرق بينهما أن الخلق وصف بعد والاستواء وصف لازم ، ولكن كلاهما كائن
 بعد أن لم يكن ، فكما أن الاستواء على العرش لا يمكن أن يكون قديما ، لأن العرش
 حادث والاستواء على الحادث حادث ، فكذلك خلق العرش وغيره من المخلوقات
 لا يمكن أن يكون قديما بل لا بد أن يكون حادثا ، لأن إيجاد الحادث لا بد أن
 يكون حادثا ، بل الإيجاد من حيث هو إيجاد معين لا بد أن يكون حادثا كائنا
 بعد أن لم يكن . وإن أمكن أن يكون خلق الحادث قديما أمكن أن يكون الاستواء

على الحادث قديما ولا فرق وإن لم يمكن هذا لم يمكن هذا . قال كلام في الاستواء على العرش كالكلام في سائر الصفات من الخلق والايجاد والاحياء والامانة ونظائر ذلك . فان كانت افراد هذه الصفات حادثة متجددة كما دلت النصوص والمتولات واجماع المؤمنين بالله ، فلا مانع إذن من القول بالاستواء على العرش وعلى المخلوقات جميعا ، ولا مانع من القول بأن الاستواء على هذا حادث ، وإن لم تكن افراد هذه الصفات متجددة كائنة بعد أن لم تكن ، بأن كانت قديمة أزلية قيل ان الاستواء كذلك قديم أزلي ليس حادثا . فاذا قيل : كيف يمكن أن يكون الاستواء على الحادث قديما ؟ قيل كيف يمكن أن يكون إيجاد الحادث قديما ؟ فان كان هذا معقولا كان ذلك معقولا ، وإن لم يكن لم يكن . فاذا قالوا اننا قلنا إن افراد صفات الله ، مثل الايجاد والخلق والاحياء والامانة قديمة لأنها لو كانت حادثة لكان في هذا قيام للحوادث والأعراض في ذات الله وهذا محال ، قيل كذلك ليقول : ان الاستواء على العرش الحادث قديم ، لأنه لو كان حادثا لكان في هذا قيام الحوادث ، والأعراض في ذات الله وهو محال . وكل ما يوردون على الاستواء على العرش من هذه الجهة المذكورة يورد على سائر الصفات المذكورة ، وما كان جوابا لهم عن هذه الصفات كان جوابا لنا عن الاستواء على العرش ، وما كان وارداً على الاستواء فوق العرش كان وارداً على الصفات المذكورة . وبالأجمال الاستواء على العرش صفة من هذه الصفات ، والقول فيه كالقول فيها وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لتخصيص الاستواء بهذه الشبهة دون غيره . بيد أنه لا ريب عندنا في أن صفات الله وأفعاله متجددة ، وأنه يحدث كل يوم من أمره ما يشاء حسب تجديد الكائنات . فان الكائنات متجددة دائماً حادثة مشهود حدوثها وتخليقها وتغيرها وتطورها ، وهذه الحوادث المشهودة المرئية ، وهذا التغير المشهود المرئي ، لا بد من القول بأنها وبأنه متغيرة متغير باحداث محدث وتغيير

منير قاهر فاعل ، ولا بد أن ترجع هذه الأحداث ويرجع هذا التغير الى علة موجبة ضرورة ، والقول بخلاف هذا قول بمحدث الحوادث بلا محدث خالق غالب ، وهذا باطل عقلا وقلا وإجماعا . فلا ريب أن محدث هذا كله هو الله رب العالمين

إذا علم هذا كله قيل هذه الحوادث المتجددة المتغيرة كل وقت إما أن يكون خلق الله إياها وإرادته خلقها قديما أو حادثا ، لا بد من أحد القولين ، أما القول بأن خلقه إياها وإرادته لها قديمان فباطل ، لأنه إذا كان الله قديما وكان خلقه المخلوقات قديما وإرادته خلقها قديمة وجب أن تكون هي أيضا قديمة ضرورة ، لأن المعلوم المخلوق لا يمكن أنه يتأخر عن علته الموجبة التامة الخالقة ، وإلا لو تأخر المعلوم المخلوق عما فرض أنه علته للموجبة التامة لما كان معلولا لذلك ولا مخلوقا له ، ولكننا فرضناه معلولا لمخلوقا ، فلم يبق إلا القول بأن خلقه المخلوقات حادث كائن بعد أن لم يكن

أو يقال بعبارة أخرى حدوث هذه الحوادث المشهودة المتجددة إما أن يكون بأحداث محدث أو بلا أحداث ، الافتراض الثاني باطل ، فلم يبق إلا أن يكون حدوثها بأحداث محدث . وهذا الأحداث الذي حدثت به الحوادث إما أن يكون قديما وإما أن يكون حادثا ، لكنه لا يمكن أن يكون قديما ، لأنه لو كان كذلك لكانت الحوادث أيضا كذلك ضرورة كون الأحداث إحداثا لها ، فأحداث الحوادث لا بد أن يكون حدوثها مقارنا له ، كما أنه لا يمكن أن يحدث ضرب بدون مضروب وبدون قبول المضروب للضرب ، ولأن الأحداث لا معنى له إلا أن يكون حادثا ، فإن معنى الأحداث هو الإيجاد لشيء من الأشياء أتت عليه أطوار من الزمن لم يكن موجودا فيها ، ولا معنى للأحداث سوى هذا . فلم يبق إلا القول بأن أحداث الحوادث وحوادثها حادثان

أو يقال بعبارة أخرى : الحوادث التي سوف تحدث بعد اليوم إما أن يكون الله أحدثها وإما أن يكون لم يحدثها بعد وسوف يحدثها إذا شاء ، أما القول بأنه أحدثها فباطل بالضرورة والمشاهدة ، لأنه لو كان أحدثها لحدثت ولوجدت ، ولا يمكن أن يقول عاقل : ان الله قد أقام الساعة وحشر الناس وحاسبهم وأدخلهم الجنة أو النار اليوم . فلم يبق إلا القول : بأن الله لم يحدث الحوادث التي لم تحدث بعد وأنه سوف يحدثها إذا شاء .

أو يقال بعبارة أخرى : إما أن يكون الله - بجميع صفاته الحقيقية وإضافيها - قديما أزليا بحيث لا يقوم به تعالى فعل ولا كلام ولا خلق ولا إيجاد ولا فاع ولا ضر ولا إحياء ولا إماتة بعد أن لم يكن ، وإما أن لا يكون كذلك ، بل يكون الله بصفاته الحقيقية التوحيدية قديما لم يزل ولم تزل أفراد صفاته تتجدد وتقوم به ، فيتكلم ويفعل ويخلق ويهلك إذا شاء ويصنع ما يشاء متى يشاء أزلا وأبدآ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . أما الافتراض الأول فلا يمكن القول به عقلا ، لأنه لو كان كذلك لزم أحد أمرين باطلين ، أحدهما أن تكون الحوادث المخلوقة قديمة ، وثانيهما أنه يلزمه ألا تحدث الحوادث وألا يوجد مخلوق ما . والأمران باطلان بالمشاهدة . وذلك أنه إذا كان الله بجميع صفاته - من خلق وإيجاد وفاع وضر وإحياء وإماتة - قديما لم يزل فكيف حدثت الحوادث اذن وبماذا حدثت وما من زمن يفرض إلا وكان يمكن أن تحدث فيه ؟ ولماذا حدثت في زمن دون زمن وقد كانت جميع الأزمان سواء بالنظر الى حدوثها فيه ؟ وما الذي رجح أن تحدث في الزمن الذي حدثت فيه على الأزمان الأخرى التي لم تحدث فيها وقد فرضنا كل شيء قديما وفرضنا أنه لم يحدث مرجح ما لحدوث الحوادث في الزمان الذي حدثت فيه على غيره من دولات الزمن ؟ وما الذي جعل ما حدث اليوم لم يحدث أمس أو قبله أو بعده وهذه الأوقات كلها سواء

بالنظر الى ذات الخلاق وصفاته القديمة ؟ ان القول بهذا قول يحدث الخلاق بلا خالق ولا فاعل . فلم يبق الا الافتراض الثانى ، وهو أن الله بصفاته قديم لم يزل لكن افراد صفاته وأفعاله لم تزل تتجدد ولم يزل يريد فيخلق ويشاء فيفعل ، كما قال انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذه أمور ظاهرة تدل دلالة قاطعة على أن الله يفعل ما يشاء ويخلق ما يريد متى أراد ومتى شاء ، وتدل على أن من أنكر ذلك زاعما أنه أنكر قيام الحوادث بذات الله فقد عاند الضرورة والمقول ونصوص الأديان كلها ، فان الشرائع قائمة على أن الله دائم الفعل ودائم الخلق والايجاد وتصريف هذا الكون من حال الى حال ومن طور الى طور . ولا ريب أن من أنكر أفعال الله متى شاء وحين يريد فراراً من القول بقيام الحوادث بذاته تعالى فقد تنقصه وسلبه أخص أوصاف الكمال والربوبية . فان الكامل هو الذى لا يزال يفعل ويخلق ويقول ويصرف خلقه وعباده ، ويثقلهم من حال الى حال ومن شأن الى شأن ويفعل ما يشاء متى يشاء . وأما من ليس كذلك فلا شك أنه ناقص عاجز مغلوب على أمره . ولو عرض على العقول موجودان ، أحدهما دائم الفعل والايجاد والتصريف والآخر جامد ساكن ، لا يمكن أن يقوم به فعل ولا ايجاد ولا تصرف ولا كلام ولا ارادة ولا يقوم به شيء مما يسمى حوادث ، لحكت العقول جميعاً بأن ذلك الوجود الدائم الفعل والايجاد هو الكامل الأعظم ، وأن الثانى الذى لا يمكن أن يقوم به فعل ناقص مهين فاقد أشرف الأمثال وأسمائها

وقد عاب الله في غير ما آية من الكتاب الأصنام والأوثان بعجزها عن الفعل وعن الكلام وعن الضر والنفع . وذلك لأن من لا يفعل ولا يمكن أن يفعل اذا شاء ناقص معلوم نقصه في جميع العقول وقرارات الفطر . ولهذا قال السلف : من زعم أن الله لا يتكلم اذا شاء فقد زعم أنه يعبد صنماً . ذلك أن الصنم عاجز عن

الكلام وعن الفعل . فالذين يقولون ان الله لا يتكلم ولا يفعل حين يريد خوف قيام الحوادث والأعراض به بضربون له تعالى أسوأ الأمثال وأدناها وهي الأصنام والأوثان العاجزة عن أن تفعل وأن تقول وأن تحدث شيئاً ما ، فثقلها هو المثل الأدنى للعاجز الضعيف ، والله المثل الأعلى والصفات الحسنى . « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون »

وهؤلاء النفاة المطلون يضعون لصفات الله وأفعاله وأسمائه أسوأ الأسماء فيسمونها بالأعراض والحوادث ، ثم يقولون : ان الله منزّه عن الأعراض والحوادث ، فلا يقوم به عرض ولا حادث ، فيلبسون ويمثلون أولاً ، ويحيطون ويعطلون آخراً ، فيجمعون بين الرذيلتين : التشبيه والتعطيل . والناس الذين لا يحيطون بمراميهم ولا يسعون على أعراضهم يندعون ويؤخنون بهذه العبارات والأسماء ، فانهم اذا قيل لهم : ان الله منزّه عن الأعراض والحوادث حسبوا هذا صحيحاً فلم ينازعوا فيه ، لأنهم يحسبون أن الأعراض والحوادث التي يزهون الله عنها هي ما يعرفونه في كلام الناس واصطلاحهم فان ذلك في كلام الناس هي التغيرات والاستحالات ، والحوادث عندهم هي الأشياء المخلوقة والطوارئ المفاجئة المؤذية . ولا ريب أن الله منزّه عن هذا كله ولكن ليس هذا هو ما يريدون تمزيه الله عنه ، وإنما يريدون به تعطيله من أفعاله وصفاته وما يقوم به من أوصاف الربوبية كالخلق والإيجاد والضر والنفع والخطاب والكلام ، وغير ذلك من الصفات اللازمة لفعل لما يريد ، القاهر فوق عباده ، ولكنهم ترجعوا الأنفال والصفات بالأعراض والحوادث تنفيراً وإجحاشاً من الايمان بصفاته وأفعاله فكان هذا كما قال ابن الرومي :

تقول هذا مجاج النمل تمدحه وإن تشأ قلت ذاقه الزعير
مدحاوئنا وما جاوزت وصفها والحق قد يتره سوء تميز

ولو أن هؤلاء النفاة سمووا الأشياء أسماءها فسموا صفات الله وأفعاله بالصفات والأفعال كما سماها الله وأنبيأؤه والسلف قاطبة وجهور المسلمين وقالوا إن الله منزّه عن الأفعال والصفات ومنزّه عن أن يفعل وأن يقول وإن ينادى وأن يخلق ويوجد ما يشاء إذا ما شاء لما آمن لهم الناس ولما خدعوا بقولهم وتعطيلهم . وهذا كما وصفوا الاستواء على العرش بالامعاء المنفرة الباطلة فسموه بالاحتياج الى الجبهة والتمكّن والتحيز والتجسيم والتشبيه والتحديد وأشياء هذه الكلمات الموضوعة إرادة الاستفزاز والتشليم . ومن جهلوا ما يرى اليه النفاة وسمعوا منهم هذه الألفاظ انخدعوا وانقادوا لهم ولما يريدونه من التعطيل ووقفوا فيما وقعوا فيه من حيث لا يشعرون ولا يعلمون ، ولهذا وجب التفصيل والتفسير ومخادعة الألفاظ المبتدعة . فان للالفاظ سلطانا أحيانا غالبا على المعاني . والبصير لا يصرفه سوء التعبير عن الحق وقبوله . هذا ما يقال أولا عن شطر هذه الشبهة الأول

ويقال في الجواب أيضا : نفرض أن ذات الله لا يقوم بها فعل ما ، لا يخلق ولا استواء ولا غير ذلك ، ولكن هل يلزم من استوائه على عرشه بعد خلقه وبعد خلق السموات والأرض أن يكون قام بذات الله فعل هو الاستواء على العرش والعلو على الخلق ؟ اننا نقول في جواب هذا السؤال كلا انه لا يلزم هذا هذا . وذلك أننا نفرض ان الله كان كما كان أزلا وكما يكون أبدا ثم خلق العرش وخلق سائر خلقه من ممالك وأرضين تحت ذاته المقدسة فصارت المخلوقات من عرش وغيره تحته تعالى وكان هو فوق ذلك مستويا عليه كله من غير أن يقوم بذاته شيء ومن غير أن يقوم به الاستواء وهذا ظاهر جلي . ومثله أن نفترض أن العرش كان قديما في مكانه الذي هو فيه فخلقت السموات والأرض تحته فأصبح هو فوق ذلك وأصبح مستويا عليه من غير أن يقوم به فعل ولا تغيير ولا وصف ما

ذاتي ، ومن غير أن يقوم به عرض من الأعراض . فالشرط الأول من هذه الشبهة باطل على جميع الافتراضات سواء أقيـل ان الله يقوم بها الأفعال المتجددة المتكررة ، أم قيل انه لا يقوم به وصف ما متجدد

وأما الجواب عن الشرط الثاني من الشبهة وهو أنه يلزم استواءه على العرش اذا كان حادثا الانتقال والحركة ، والانتقال والحركة في حق البارئ باطلان ، فيقال : الجواب عن هذا أمران ظاهران ، أحدهما أنه لا مانع من القول بالانتقال على الله ، وقد دلت الدلائل التي لا تحصى من الآيات والأخبار الصحيحة المتواترة على أنه تعالى يحىء يوم القيامة لحساب الخلائق ويفصل القضاء والمجازاة المؤمن بأعماله والكافر بأعماله كما قال تعالى : « وجاء ربك والملك صفا صفا » . وقال : « هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك » والآيات في هذا كثيرة معلومة . وقد تواتر قوله عليه الصلاة والسلام « ينزل ربنا كل ليلة إلى عمام الدنيا » وما يذكر المصلون النافون من الشبهات على أخبار إتيانه باطل ضعيف وذلك أنه ما من اعتراض يوجه الى صفة إتيانه الا ويوجه الى صفاته كلها حتى المعلوم منها بالعقل ، بل ويوجه الى ذاته ووجوده ، فان الكلام في الذات مثل الكلام في الصفات ، والكلام في الصفات كالقلام في الذات ، فاذا قال النفاة : لا يأتي إلا الأجسام قيل لهم ولا تقوم الصفات إلا بالأجسام وأنتم تترفون له ببعض الصفات ولا يوجد أيضا الا ما هو جسم أو عرض ، وأنتم لا تقولون انه جسم ولا عرض ، فان أمكن أن يكون موصوف بالصفات وليس جسما أمكن أن يأتي وهو ليس جسما ؛ وان كان لا يمكن ذلك الا اذا كان جسما فالله جسم سواء أقيـل بجواز الانتقال أم قيل بامتناعه فالقول إذن بامتناع الانتقال عليه لا وجه له ، وما يورد النفاة من شبهة على أخبار إتيانه إلا ويورد مثل ذلك على ما يترفون به من الصفات له . ولو أن النفاة جمعوا الجن والانس والحاضر

(٥٧٧)

والغايير وجهبوا على أن يفرقوا بين صفة الايمان وخيرها من الصفات لما وجدوا
الى ذلك سبيلا

هذا هو الجواب الاول . والجواب الثاني أن يقال إنه ليس بلامزم استواءه
على عرشه بعد خلقه أن يقوم بذاته انتقال أو حركة ، وذلك أننا نفترض أن الله
كان كما كان أزلا وكما يكون أبدا ثم خلق العرش تحته فصار مستويا عليه من غير
أن يقوم به ثقل ولا حركة . ومثل ذلك أن نفترض السموات قديمة كما هي
في مكانها فخلقت الأرض تحتها فصارت السماء فوقها من غير أن يقوم بها انتقال
ولا حركة . فهذه الشبهة باطلة على جميع الافتراضات وهي باطلة أيضا بوجوده
أخرى كثيرة ، ولكننا نوجز ايجازا

(الشبهة السادسة)

قالوا : استواء الله على العرش إما أن يكون واجبا وإما أن يكون جائزا ،
ويعنى هنا الجواز والوجوب العقليان . أما القول بأنه واجب فباطل ضرورة ،
وذلك أننا نعلم بالبداهة الظاهرة انه ليس واجبا عقلا استواء الله على عرشه ، بل
نعلم بداهة أنه ليس واجبا خلق العرش ووجوده فضلا عن وجوب الاستواء عليه ،
كيف والعرش مخلوق حادث وهو لذلك جائز عليه الفناء بقدرته الله وإرادته
القاهرة . وما كان كذلك لا يمكن أن يكون الاستواء عليه واجبا ضرورة . وأما
أن قيل : ان استواءه على العرش جائز ، قيل اذا كان أزلا وقبل خلق العرش
ليس مستويا على شيء وكان ممكنا عقلا وشرعا ألا يكون فوق العرش ولا فوق
غيره ، بل وألا يكون في جهة من الجهات بحيث يصدق ان يقال انه لا فوق ولا
تحت ولا يمينا ولا شمالا ولا متصل ولا منفصل وجب ان يكون اليوم وان يكون
أبدا كما كان أزلا لا فوق العرش ولا فوق غيره . قالوا : وحجة القائلين باستوائه

على العرش القوية القاهرة هي زعمهم ان موجودا قديما كان أو كان حادثا لا يمكن أن ينفك من ان يكون في إحدى الجهات ، فاذا أمكن ألا يكون الله فوق ولا تحت ولا في جهة من الجهات قبل خلق العرش وخلق غيره من المخلوقات كما سلمتم بطلت هذه الحجة ، وكان غير واجب ان يكون الموجود في جهة من الجهات ، وكان ممكنا عقلا ألا يكون الله بعد خلقه العرش والمخلوقات الأخرى في إحدى الجهات ، وممكننا ان يقال انه تعالى لافوق ولا تحت ولا ، ولا ، قالوا : وفي المسئلة قولان لثالث لهما ، أحدهما انه واجب ان يكون الله في جهة من العالم وهذه الجهة هي الجهة العليا ، إذ مستحيل عقلا ان يكون هناك موجود قائم بنفسه ثم لا يمكن الإشارة اليه بانه هنا أو هناك ، والقول الثاني انه باطل عقلا وشرعا ان يكون الله في جهة من الجهات وان تكون الإشارة الحسية اليه ممكنة . هذان هما القولان المعروفان في هذه المسئلة ، أما اختراع قول ثالث وهو ان يكون النفي والاثبات كل منهما جائزا ممكنا لا واجبا ولا لازما فهو شيء مخالف للاجماع مخالف المعروف فهو باطل لذلك . وبهذا بطل القول باستواء الله لاجوازاً ولا وجوباً

والجواب عن هذه الحجة أن قول : اننا لانزعم ان الاستواء على العرش واجب لعقلا ولا شرعا

ولكن قول : ان استواءه على العرش بعينه جائز عقلا ثابت شرعا ، وكذا استواءه على ما يشاء من خلقه ولا يلزم كون الاستواء على العرش ليس واجبا أنه لا يقع البتة

وهذه الحجة تشبه أن يقال : خلق هذا العالم إما أن يكون واجبا وإما أن يكون جائزا ، أما الأول فلا يمكن يقينا ، إذ القول بنجوز كلها ألا يخلق الله شيئا من العالم وألا يخلق السماء أو الأرض أو العرش أو فلانا أو فلانا . وأما الثاني ، وهو أن يكون خلق العالم جائزا لا واجبا ، فلا يمكن أيضا ، لأن الله تعالى يجب

أن يكون اليوم وأن يكون أبداً كما كان أزلاً ، وقد كان أزلاً بلا خلق ، وكان لم يخلق هذا العالم ، وكان ولا شيء معه فيجب أن يكون في كل وقت على ما كان عليه في الأزل قبل أن يكون هناك موجود سواء . فثبت أن الله لم يخلق هذا العالم لا وجوباً ولا جوازاً ، أو فيجب ألا يخلق الله شيئاً لا على سبيل الوجوب ولا على سبيل الجواز

وهذا الاحتجاج يشبه هذه الشبهة على نفي الاستواء ، ولكن هذا الاحتجاج باطل وكاذب بالضرورة والمشاكلة ، ومثله هذه الشبهة . فاحتجاجان باطلان مثلاً هذا قبل خلق العرش وقبل خلق المخلوقات ووجود شيء غير الله ، أما بعد ذلك فلا يمكن القول بأنه تعالى ليس في جهة من العالم ، ولا القول بأنه لا فوق ولا تحت ولا متصل ولا بمنفصل كما يقولون بل هذا مستحيل بطلانه ، إذ كل موجودين لابد أن يكون أحدهما في جهة من الآخر بحيث يمكن الإشارة الحسية إلى كل منهما بأنه هنا أو هناك ، ولا يمكن غير هذا . وإنما كان هذا ممكناً في حق الله قبل خلق العرش وخلق غيره لأن هذه المسألة ، أي مسألة المسألة الإضافية لا تصدق إلا بين اثنين أو أكثر ، فيقال إن هذا فوق هذا أو تحت أو أمامه أو خلفه ومتصل به أو منفصل عنه وقريب منه أو بعيد عنه . أما إذا كان الوجود واحداً قط فيمتنع هذا التضايك ، لأنه لا يكون كما قلنا إلا بين ذى العدد . وكون الله قبل خلق العرش وخلق الكائنات لا فوق ولا تحت ولا أمام إلى آخره لا يخل على أنه بعد خلقه ذلك يكون كذلك ، بل ولا يدل على جوازه وإمكانه . والدليل القاطع على هذا أننا إذا فرضنا أن الله خلق مخلوقاً واحداً وانفرد ذلك المخلوق بالوجود ، فهذا المخلوق لا يقال له في حالة انفراده إنه فوق أو تحت أو عينا أو شاعلاً أو متصل أو منفصل ، أو قريب أو بعيد على رأى هؤلاء قينا ، وذلك أن هذه الأمور والتقسيم لا تصدق إلا بين متضايكات من اثنين فأكثر ، وقد فرضنا أن الوجود

واحد فلا تضاييف وقتئذ يقينا إلا أن يزعم أن هذا المخلوق الواحد لابد أن يكون في جهة من الله ومتصلا به أو منفصلا عنه ، فاذا ما زعم هذا ورضيه المخالفون فقد سلموا مسألة النزاع ، ولكن هذا خلاف المقترض ، بيد أن هذا المخلوق المنفرد بالوجود الذي اهتم عليه أن يقال انه فوق أو تحت أو . حينما كان منفردا لا يمكن أن يكون كذلك بعد مشاركة غيره له في الوجود ، ولا يمكن أن يقال انه لا فوق ذلك المخلوق الآخر المشارك ولا تحته ولا متصل به أو منفصل عنه ولا في جهة من جهاته ، لأنه كان كذلك قبل أن يوجد غيره وحينما كان هو الموجود وحده ، هذا كله لا يمكن ، بل لابد أن يكون في جهة من الآخر ، ولا بد أن يكون قريبا أو بعيدا منه ، وهذا أمر ضروري . وإذا كان ذلك كذلك قيل إذن كون الله قبل أن يخلق شيئا ، وقبل أن يكون معه موجود لا يقال له انه فوق ولا نحو ذلك لا يدل على أنه بعد خلقه العرش وخلق المخلوقات كذلك بل لا يدل على أنه يمكن هذا عقلا كما رأيت في المثل الذي ضربناه ، وهذا بين

فالكلام في هذه المسألة له حالتان : حالة قبل خلق الخلق وقبل وجود شيء سوى الله ، وحالة بعد وجود العرش وبعد وجود غيره من المخلوقات ، ففي الحالة الأولى التي لا يوجد فيها غير الله يمتنع أن يقال إن الله فوق أو نحو ذلك . وذلك أن معنى فوق أنه فوق شيء من الأشياء ، ويمتنع بداهة أن يقال انه فوق شيء في حين أنه لا شيء هذا ممتنع ضرورة وامتناع ذلك منسوب لما ذكرناه من أن الفوقية ونحوها من الأمور النسبية التي لا تصدق الا بين الشيء ذي العدد ، لا لأجل أنه ممتنع ذلك على الله كما ظن المخالفون ، ولهذا فانه لا فرق بين التقديم والإحداث ، وبين الخالق والمخلوق من هذه الناحية . وأما في الحالة الثانية ، أي في حالة وجود المخلوقات للتضاييفات ، فليس بممكن أن يقال إنه تعالى لا فوق العالم ولا في جهة ، أو يقال انه لا قريب ولا بعيد ، لأن هذا مستحيل على الوجود من

حيث هو موجود . والذين يقولون بالاستواء على العرش يطمون أنه قبل أن يخلق شيئاً لا يمكن أن يقال أنه فوق أو نحو ذلك لأجل ما ذكر ، والذين ينكرون الاستواء يطمون أن موجوداً واحداً إذا لم يشاركه غيره في الوجود لا يمكن أن يقال إنه في جهة من الجهات وقت افتراذه بالوجود، وإن كانوا يطمون أنه في حالة مشاركة غيره له في ذلك لا بد من أن يكون في جهة من ذلك الموجود الآخر . هذا كله معلوم ، ووجهه هو ما ذكرناه

هذا ولعلم أن قولنا أنه تعالى قبل خلق العرش والعالم ليس في جهة معناه أنه لا يمكن أن يقال أنه فوق أو تحت أو نحو ذلك ، لأن هذه الألفاظ موضوعة لتعبر عن النسبة بين الأمرين أو الأمور . فإذا قيل هذا فوق هذا كان معناه أنه فوق شيء موجود ، فإذا لم يكن إلا موجود واحد لم يصح أن يقال أنه فوق ، وهذا ككلمة « مع » فإن هذه الكلمة لا تقال إلا حيث تعبر عما فوق الواحد ، فإذا لم يكن إلا واحد فقط لم تقع هذه الكلمة في الكلام . ولا يفهم أحد من قولنا أنه قبل خلق العالم ليس في جهة أننا نعني أنه لا يمكن أن يكون فوق شيء ولا أن يستوى على شيء كما فهم المخالفون ، فإن كان أحد من الناس يعنى بالقول بأنه كان في الأزل ليس في جهة أنه لا يمكن أن يستوى على العرش لم يسلم لهذا أن يقول أنه كان أزلاً ليس في جهة ، وإنما يسلم له التمييز الذي لا ينفي حقاً ولا يتخذ طريقاً لإبطال أمر من الأمور الصحيحة . والألفاظ إنما جعلت لتعبر عن الحقائق والأمور الموجودة في النفوس ، فهي ليست سوى آلة

فمن قال أنه لم يكن في الأزل في جهة ، وكان يعنى بهذا أنه لا يمكن أن يكون فوق الخلق ولا فوق العرش ، كان غالطاً في التعبير غالطاً في نفسه ، وحينئذ لا نسلم له هذا التمييز . ومن قال هذا وكان مراده ما ذكرناه كان قوله صحيحاً لغة ومعنى ولكن هذا لا يشهد لقول المخالفين للتكرين لهذه الصفة ، صفة الملوك والاستواء ،

فهذه الحجة ، كيفما صرفت وقلبت ، باطلة داحضة

(الشبهة السابعة)

قالوا : ان القائلين بالاستواء وبالمو على العرش يزعمون أن الله لا بد أن يكون أزلا وأبداً في جهة ، وأنه لا يمكن عقلاً أن يكون هناك موجود ، سواء أكان قديماً أم حادثاً ، الا ولا بد من أن يكون في جهة من الجهات بحيث تمكن الإشارة الحسية إليه فيقال انه هنا أو هناك أو هناك ، وأنه لا يستغنى عن الجهة إلا المعلوم الذي لم يوجد . قالوا : ولو كان هذا صحيحاً لوجب أن تكون الجهة قديمة مع الله ، ولكن المسلمين يملكون أن ما سوى الله حادث كائن بعد العدم ، ثم لو كانت الجهة قديمة لكانت غير مخلوقة ولا مرهوبة ، إذ القديم لا يعقل أن يكون مخلوقاً ، إذ المخلوق هو الكائن بعد العدم ، وكل المسلمين يملكون أن ما عدا الله مخلوق مرهوب لله وحده . ثم قالوا : والله كيف يحتاج في وجوده الى شيء غيره كالجهة أو غيرها فان المحتاج في وجوده الى غيره لا يكون واجب الوجود ، فان واجب الوجود الذي وجوده من ذاته لا يحتاج الى غيره مطلقاً . قالوا : وبهذا يعلم أن الله تعالى لا يحتاج الى الجهات ولا الى غير الجهات كالاستواء وغير الاستواء

والجواب أن يقال : ان هذه الشبهة أو الحجة قائمة كلها على غلطة واحدة واضحة ، هذه الغلطة الواحدة الواضحة هي أنهم ظنوا انه اذا قيل أن الله فوق العرش أو فوق السموات أو فوق المخلوقات ، أو قيل انه في جهة - وهذا القول ممنوع شرعاً لأنه لم يجهز ذكره في النصوص - غنى بذلك مكنون الله عز شأنه وسلطانه حالاً وكائناً في شيء مخلوق وفي ظرف محيط به موجود فيه ، وغنى بالجهة أمر وجودي يحتاج اليه الباري تعالى أمره لا يستغنى عنه ، ولا يمكن وجوده إلا ملزوماً لذلك الأمر الوجودي مقارنة له في الوجود الزماني والمكاني ، وأنه لو فقد

ذلك الأمر الوجودى اللازم لوجوده فنقد ذلك للزوم الذى هو الوجود ، لأن
الأمرين متلازمان مقترنان لا ينفك أحدهما عن الآخر وجوداً زمانياً ومكانياً .
هذا مثار الغلط ومأثمه ، وهذا هو سبب الشبهة وموضعها . فيقال لهؤلاء الغالطين :
ان القائلين بذلك والقائلين بأنه تعالى فى جهة من الجهات فوق ، أو فوق الخلائق
كلها أو هنا أو هناك ، لا يفتنون بالجهة هنا أمراً وجودياً لا حادثاً ولا
قديماً ، ولا جائز الوجود ولا واجبه . ولكنهم يفتنون بذلك أنه تعالى بائن عن
خلقه وأن له وجوداً حسياً ووجوداً من جميع جهات الوجود ومعانيه ، بحيث يمكن
الإشارة الحسية اليه وبحيث يرى بالابصار فوق الرأى مواجهة ، وبحيث يقال أنه
فوق العالمين وفوق العرش ، وأنه يقرب من خلقه ويبعد كما يشاء أنواع القرب
اللائقة به كلها : لا يفتنون بذلك القول أكثر من هذا . ولفظ الجهة فيه اشتباه
واشتراك يوقمان كثيراً فى اللبس والضلال . وذلك أن قوما يطلقون الجهة ويريدون
بها المكان المخلوق للوجود الكائن بمعد المدم ، وقوم آخرون يطلقون الجهة
ويريدون بها الفضاء المحض ، الذى هو العدم المحض ، ويمنون بالقضاء المحض الفراغ
الذى تشغله الموجودات بوجودها ، والجهة على التفسير الأخير لا مانع من القول
بأنها قديمة ، بل لا بد من ذلك وذلك أنها كما ذكرنا عدم خالص ، والعدم قديم
عريق فى القدم إذ هو خلاف الوجود . وإذا كان الوجود الذى هو وجود المخلوق
حادثاً كان عدمه ولا محالة قديماً ، فإن عدم الحادث بلا ريب قديم ، إذ لو لم يكن
عدمه قديماً لكان وجوده قديماً ، وإذا كان وجوده قديماً كان هو قديماً ، والقديم
ليس مخلوقاً ضرورياً ، وقد فرضناه قديماً . فإذا علم هذا وعلم أن الجهة بهذا المعنى
الذى هو الفراغ البحت قديمة ، وهى العدم المحض ، علم أن هذه الشبهة واجية باطلة
وعلم أنه لا مانع من القول بأن الفراغ كان بلا بداية زمنية وقتية ، وعلم أن قول النفاة
ان الله يكون حينئذ محتاجاً الى الجهة قول مبنى على هذا الغلط وهذا الاشتباه اللفظى

وذلك أن هذا القول مثل أن يقال : أن الله محتاج الى عدم الشريك له والى عدم قدم الخلق والى عدم وجوبهم لذواتهم وأشياء ذلك . وهذا كلام لامعنى له ولا طائل تحته ، وهو مثل أن يقال : أن الله محتاج الى وجوده والى امتيازته على جميع الخلائق ومباينته لهم فى الصفات والذات وما يدخل تحت هذا . وهذه الأقوال والفلسفات خلق بالعقل ألا يهبها شيئا من وقته ونفسه وعلمه . بل هذه الفلسفات وأمثالها من أمراض الفكر البشرى التليدة والطريفة . وهذا يشبه ما قاله نفاة الصفات : لو كان لله صفات قديمة لكان القدماء غير واحد ، وهم الله وصفاته ، ولكان بذلك محتاجا الى غيره ، ويعنون هنا بالغير الصفات اللازمة لله . وقد يشبه قولهم هذا فى قدم الفراغ والفضاء أن يقال لو كان قديما بلا بداية زمانية لكان الزمان قديما ولكان الله فى قدمه ووجوده محتاجا الى الزمان لا يستغنى عنه فى وجوده ، فإن الانسان عندما يتصور الزمان وحقيقته يعسر عليه جدا أن يتصور وجود أمر من الامور الا ولا بد أن يكون هنالك زمان تتعاقب دولاته وأطواره على وجود ذلك الموجود المفروض وجوده فى وقت من الاوقات

اذن فالجهة أو الفراغ أو الفضاء الذى يعنى به العدم البحت لا بد من القول بأنه قديم لا بداية لقدمه ، لأنه لو لم يكن قديما لكان عدمه حادثا ، واذا كان العدم حادثا كان الوجود قديما . ولكن قدم الوجود أي وجود المخلوق باطل . واذا علم المخالفون هذا علموا بطلان هذه الشبهة بلا شك

ومحى قول ، كما قدمنا ، اذا كانوا يفهمون من الجهة معنى باطلا فليعلموا أن هذا المعنى الباطل لا تصح ارادته . واذا كانوا لا يستطيعون التعبير عن المعنى الصحيح الا بذلك اللفظ الذى يقع فيه الاشتباه والاشتراك وجب هجران ذلك اللفظ ووجب التمييز بتعابير الشرع المفهومة فرارا من الاشتراك والاشتباه وما يسوق الى الباطل أو يدفع عن الحق . فاذا كانوا لا يفهمون من الجهة الا المعنى

الباطل الفاسد لزم حبران هذه الكلمة وإنكارها ولزم الوقوف عند كلام الشرع وما لا اشتباه فيه . وحينئذ لا علينا نحن أن ننكر هذه اللفظة معبرة عما يعنون بها من المعنى الفاسد الباطل ، ووجب أن نقول : ان الله فوق العباد وفوق العرش والقاهر فوق عباده ، لا نزيد على هذا ولا نقص منه ، فلا نطلق الجبة ولا الحيز ولا الفراغ ولا الفضاء ولا ما لم يرد في النصوص الصحيحة في هذا المعنى هرويا من الاندفاع في الأخطاء الآتية من جانب الالفاظ المبتدعة التي نتحمل حقا ونحمل باطلا ، ونحمل هدى ونحمل ضللا . أما كلام الشرع فيجب الأخذ به على كل حال ، لا يصح العدول عنه بحال ، لأنه هو الحق ومن فهم منه باطلا آيين له باطله وكشف له خطؤه مع الاستمسك بما قال الشارع على كل حال

(الشبهة الثامنة)

قالوا : لو كان الله مستويا على العرش لكان محمولا له . وتعالى الله عن أن يحمله شيء وعن أن يكون في حاجة إلى حامل يحمله والجواب أن يقال ان استواءه على العرش لم يكن لاحتياج إليه ولا لضرورة دعت لذلك الاستواء ، بل الله الغنى عن كل شيء ، وكل شيء فقير إليه لا يستغنى عنه لحظة واحدة ولا يقوم بنفسه دونه تعالى في لحظة من اللحظات . استوى على العرش وهو الحامل للعرش ولغيره من الخلائق . وتعالى الله أن يحمله حامل أو يفترق إلى قوة حامل . ولكن استواؤه على العرش وعلوه على الخلق فعل من أفعاله وصفة من صفاته وشأن من شؤونه لحكمة من حكمة العلية ، لا عن فقر واحتياج ، ولا عن ضرورة موجبة ملازمة . فلم يكن في هذه الصفة التي هي العلو على الخلق والاستواء على العرش مفترقا إلى ذلك ، كما أنه في خلقه للعالم لم يكن مفترقا إلى الخلق ، وكما أنه لم يكن في فعل من أفعاله مفترقا ولا محتاجا ، وكما لم يكن في أوامره ونواهيه وشرائعه

وأفعاله محتاجا ، ولو كان يلزم استواءه على العرش أن يكون محتاجا للزم أن يكون ذلك الاحتياج لازما لجميع أفعاله الاختيارية ، وجميع أوامره ونواهيه وشرائمه . وإذا لم يكن في شيء من ذلك محتاجا فلن يصحكون في صفة الاستواء والمثل كذلك بالضرورة . فان الكلام في صفة الاستواء كالكلام في سائر الصفات والأفعال فما كان واجبا وجائزا على نوع الصفات والأفعال كان واجبا وجائزا على أفرادها وما كان ممتعا على أفرادها كان ممتعا على نوعها . وليس هنالك فرق بين صفة الاستواء والمعلوصفة الخلق والايحاد من هذه الناحية نفسها . وكل ما يمكن أن يعد شبهة على الاستواء والمعلو من هذه الناحية يمكن أن يعد شبهة على الخلق والايحاد من الناحية المذكورة

ولكن لا ريب في بطلان كل ما يعد شبهات على صفة الخلق والايحاد والأفعال المتعدية . فكذلك لا ريب في بطلان ما يعده المخالفون شبهات على الاستواء والمعلو

والاستواء على العرش لا يلزمه شيء مما ذكره لا عقلا ولا لغة ولا عرفا . فهذه الخلوقات ، والله المثل الأعلى ، قائم بعضها فوق بعض ، مستو بعضها على بعض ، ولم يقض هذا بأن تكون كلها متعاملة بلا انفكاك ، ولم يلزم أن يكون الأعلى محمولا بالأسفل ، أو يكون الأسفل حاملا للأعلى . فهذه السموات وهذه الأجرام العلوية قائمة فوقنا وفوق الأرض ، ولم تكن الأرض حاملة لها ، ولم تكن نحن حاملها ، بل وهذا السحاب ناهض فوقنا وفوق الأرض ولنا حامله وليست الأرض حاملة له . وكذلك يقال في الهواء وغير الهواء مما في هذا الملك العريض . فان أجزاءه مخلوق بعضها فوق بعض وليس الأعلى محمولا بالأسفل ، بل الأسفل والأعلى قائمان بقدرة الله وبأمره وسلطانه ، وهما في الافتقار إليه تعالى سواء ، وهما في العجز عن الاستغناء والقيام بالنفس صنوان

وإذا كانت المخلوقات كذلك فأن الله خالق المخلوقات أعلى وأولى ألا يكون في استوائه على العرش وعلمه على الخلق محتاجا ولا محولا لشيء من هذا العالم المخلوق القائم بذاته وأمره تعالى بهذه الشبهة لا تعدو أن تكون عارض ومتمحرة هبة من هبات الحق

(الشبهة التاسعة)

قالوا : لو كان الله فوق العرش وفوق الخلائق كما تزعمون دون الارض ودون الجهات الاخرى وهذا هو ما تزعمون وتقولون ، لكن محدوداً ، ويعنى أنه يكون ذا حدود ونهايات ذاتية تنتهى عندها الذات : قالوا : ومن الباطل الصارخ الزعم أن ذات البارى محدودة بهذا المعنى والجواب أن يقال : ان هذا الاعتراض يرد ، ان كان صحيحاً ، عليه تعالى من حيث هو موجود ، لا من حيث هو مستو على العرش على الخلق بأن يقال الله موجود ، والموجود اما أن يكون متناهى الذات واما أن يكون غير متناهيها ، ولو لم يكن متناهيها لكان ممزوجاً مخلوطاً بالوجود ، حالا في المخلوقات حالة هي فيه وهذا باطل ، ثم محال ألا يكون متناهى الذات ، لأن هنالك موجودات أخرى مألثة فراغاً ما ، وهذا الفراغ المملوء بهذه المخلوقات لا يمكن أن يكون فيه غيرها اذ لو كان كذلك لما كانت هذه المخلوقات شاغلة فراغاً ما ، وهذا باطل بالاتفاق . وعلى كل حال لا يمكن أن يزعم أن هنالك موجوداً مألثاً بذاته الفراغ كله ، اذ لو كان كذلك لما وجد غيره . فلو فرضنا أن ذات الله غير متناهية بالمعنى الجاف الحسى الذى يعنيه هؤلاء المبردون المعطلون لما أمكن أن يوجد غيره من الموجودات الحسية المادية ، إذ لا مكان لما حينئذ في هذا الوجود واذن لا يمكن القول بأن ذات الله غير متناهية بالمعنى الحسى الجاف ، فلم

يقبض إذن خير القول بأن ذاته متناهية سواء أقبل بالاستواء على العرش أم لم يقبل به
فهذا القول لا يزيد هذه القضية ثبوتاً وصحة ، وإنكاره لا يدفعها ولا يدفع لزومها .
فالإيمان بالاستواء لا يضر المؤمن بذلك ، والمجحد له لا ينفع المجاهد له ، فلا يصح
- والأمر كما ذكر - إنكار صفة من صفات الله الواردة في جميع كتب الله وعلى
جميع السنة الأنبياء فراراً من أمر لا يمكن الفرار منه وحذار قضية لا يمكن حذارها
فهذه الشبهة واردة على جميع المؤمنين بالله لا تختص القائلين بالاستواء والعلو
افراداً . فالجواب إذن عنها مشترك بين جميع الالهيين من المؤمنين بالاستواء
والمنكرين له . فان كان يمكن عند هؤلاء ألا ترد هذه الشبهة على الموجود من حيث
هو موجود ، ولا على الله إذ هو موجود وأمكن ألا يكون الله متناهي الذات ، أو
أمكن أن يكون متناهيًا مع القول بأنه ليس محدوداً . إن أمكن هذا عند المخالفين
أمكن بلا شك القول بالاستواء على العرش والعلو على الخلق مع إنكار أن يكون
متناهي الذات ومحدودها ، ومع القول بإنكار هذه الشبهة جملة ، وإن لم يمكن هذا
لم يمكن هذا ، ولا حيلة للمخالف في هذا البتة . ولا ريب أنه إذا عرض على العقلاء
موجود وثب إلى عقولهم افتراض أن يكون هذا الموجود محدود الذات متناهيها ،
وإن لم يفكروا في علوه واستوائه على غيره ، بل وإن لم يفكروا في صفة من صفاته
اللازمة له . وإذا عرض على عقولهم بعد هذا علو ذلك الموجود واستوائه على مكان
كذا وفي جهة كذا لم يزد هذا افتراضهم أن ذلك الموجود لابد أن يكون محدود
الذات متناهيها . فهذه الصفة التي هي صفة الاستواء لا تزيد في لزوم هذا الافتراض
ونسيان هذه الصفة لا ينقص الافتراض لزوماً ووجوباً

وكل شبهة تقدم في وجود الباري لا ريب في أنها شبهة داحضة لا يعاب بها ،
فهذه الشبهة حكها كذلك لأنها تنقض على وجود غاية كل موجود . هذا ما يقال
من وجه ، ثم يقال من وجه آخر : إن كلمة محدود الذات - وما شابهها - كلمة ذات

وجوه على حسب اختلاف فهم الناس إلهاء ، ولما من ذلك ما هو حق ، وما هو باطل ، وكذلك أكثر صفات الله ، والذين يصيرون الى الانكار والجحود انما أتوا من هذه الناحية ، ناحية الابهام القائمة على اختلاف الناس في فهم ما يقال وما يسمعون ، فكن أقواما كثيرين صاروا الى إنكار أمور صحيحة ثابتة لأنهم فهموها وعقلوها على غير الوجه الصحيح الذى فهمه وعقله المؤمنون ، وهذا علة من علل الاختلاف على الحق والتزاع فيه ، ولعله علة الطل في كثير من هذا :

الحق واجب على من يخافون الانزلاق في مدارج الباطل ودرجات النقي أن يرموا هذا جيداً وأن يتجنبوه بحذر واتقاء . وعلى هذا وجب علينا أن نقابل كلمة محدود بالتربث العاقل ، فلا نبادر الى ردها ودفعها جملة بلا امتحان لمنهاها ولما تحصل من حق أو باطل كحال أغلب الصفات التي ينكرها هؤلاء النفاة الجعلة ، وقد جربنا عليهم انكار الحق المعلوم الثابت وحشة من ألفاظ وضعوها له بدون نقوذ في أحشائه وبواطنه . وهذا خطأ قديم ، وحديث أيضا ، تتابع عليه الناس وقد فيه آخرم مذهب أولهم . وقد يقول بعض الناس الحريصون على الدقة التي لا خير فيها في هذا المعنى : ان المخلوقات محدودة ولا ريب ، لأنها لو لم تكن محدودة لما كانت مخلوقة ، واذا ما كانت محدودة فلا ريب أن الفعل الذي وجدت به محدود أيضا . والفعل الذي وجدت به المخلوقات هو فعل الله أى خلقه وإيجاده . وغير ممكن البتة أن تكون المخلوقات محدودة ثم يكون الأحداث الذي به حدثت ووجدت غير محدود . فتكون نتيجة هذا أن يقول صاحب هذا القول الدقيق الجامع الى الفلسفة : ان الخلق الذى هو الإيجاد - وهو صفة من صفات الله - محدود . فتكون صفة من صفات الله محدودة ، وإن كان هذا بأباه أمثال هؤلاء بهذا النحو . ومثل هذا يقال في صفات أخرى من صفات الحق جلت قدرته وتسامت حكمته . وهذا من الدقة التي لا خير فيها كما قلنا ومن الفلسفة

المفاسة . وأقرب من هذا في افهام هؤلاء خطأهم أن يذهبوا على أنهم يمدون لله صفات محصورة لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها ، ثم يزعمون أنه جائز ألا يكون لله سوى تلك الصفات المحصورة التي يمدون ويهدون . وهذا عند هؤلاء من أصول التوحيد والتنزيه . فإذا كانوا يمدون صفات الله أو يجوزون ذلك ، أو لا يرون مانعا أن تكون صفات الله محدودة فما لهم لا يقبلون هذا المعنى في الذات ؟ وهذا لو كان باطلا في الذات لكان باطلا في الصفات ، وإذا كان جائزا في الصفات كان جائزا في الذات . وهذا عندي ظاهر جلي . وتحديد الصفات على هذا المعنى المقصود عندهم معلوم من بطلان أن يكون الله موصوفا بكل الصفات . فإن نفى بعض الصفات الموجودة عن الله - سواء أ كانت نقصا أم كانت كالا - قول بتحديد الصفات فانه إذا قيل : هو موصوف بكذا غير موصوف بكذا ، وقيل إن هذه الصفات واجبة له وتلك باطلة في حقه ، كان هذا صريحا في هذا التحديد . فهو على الأقل قول بتحديد صفاته تعالى بالكامل من الصفات . ولكن هذا على كل حال تحديد لصفات بالقسم المحمود منها دون الناقص المذموم . وليس من شك في أن انكار صفة الاستواء وغيرها من الصفات تحديد صريح في وصف البارئ ، فإن من أقر له بجميع الصفات ثم أنكر صفة الاستواء فقد حد صفاته تعالى وقال بقتاها ، وكذلك انكار صفة ما من صفاته هو قول بالتحديد والتعديد . فإن المفهوم العقول من قولهم : حدد هذا الأمر أنه جعل له حد وغاية يتف عندها لا يجوزها . والذين ينكرون بعض أوصاف الله أو ينكرون أن يكون موصوفا بنوع كذا من الصفات هم يحددون بهذا - ولا ريب - أوصاف الحق ويحصرونها في غير ما ينكرون وما يأتون من الصفات التي ظنوها نقصا في ذات الله . وإذا كان هذا التحديد الفلسفي الدقيق عند النفاة جائزا في صفات الله القائمة بذاته القديمة بدم ذاته ، بل إذا كانوا قائلين بهذا التحديد راضين به فلماذا ينكرونه في

الذات لينكروا بانكلوه أمرا ثابتا في جميع الكتب المقدسة وعلى جميع السنة الأنبياء
والسنة جميع الملائكة ؟ وماذا يعنون ويريدون بقولهم : انه يكون محدودا إذا ما كان
فوق العرش وفوق الخلق دون الأرض ودون الجهات الأخرى ؟ أيعنون أنه يكون
حينئذ محدودا بفعل حاد محدد أو جد له ذلك الحد المفترض ؟ ان كان هذا أو
نحوه من المعاني الباطلة هو ما يعنونه قيل لهم : كلا ان الله ليس بمحدود على هذا
الاعتبار والتفسير ، ولا يجوز أن يكون محدودا ، وهذا لا يلزم القول بالاستواء
والعلو . ومن قال ان هذا يلزم هذا كان قائلنا قولنا باطلا بلا شك ، بل وكان
مصادرا في أصل المسألة ، وكان قوله هذا كأن يقول قائل : اذا كان الله موصوفا
بصفة ما فلا بد أن يكون غيره أوجدها له . وذلك أن الحد لا يعدو أن يكون صفة
من الصفات ، لأنه في الشاهد هيئة من الهيئات ، وهذا هو حقيقة الصفات . أم
يعنون بذلك أنه يكون حينئذ في السماء وفوق العرش دون الأرض ودون الجهات
الأخرى ؟ فان كان هذا هو ما يعنون قيل لهم : هذا هو حقيقة الدعوى وهذا هو
ما قوله وما يقوله المثبتون وما جاءت به كتب الله ورسالات الأنبياء كما سبق ،
فما المانع منه ، ولماذا كان القول به باطلا عندكم ؟ هذا ما لا تجادلون له دليلا يركن
اليه العقل ويأنس به العلم المنافي للجهل

هذا وليعلم أن إطلاق الحد على الله قد ورد عن بعض الأئمة الكبار أمثال
الامام أحمد وأبي حنيفة ، وقد ذكر هذا عنه ابنه عبد الله في كتاب السنة ،
وجاء هذا أيضا عن عبد الله بن المبارك ، وأطلقه عثمان بن سعيد الدارمي وأشاد به
في كتابه النقض على المريسي من شيوخ الجهمية المعطلة ، وقد جعل الدارمي إنكار
ذلك من أقوال الجهمية ، وجاء هذا عن غير هؤلاء من شيوخ الاسلام المجتمع على
إمامتهم وزعامتهم العلمية والدينية وهم يريدون بالحد ما ذكرناه من أن الله تعالى
بائن عن خلقه بائنون عنه ليس حالا فيهم وليسوا حالين فيه ، ويعنون أنه فرق

المخلوقات ليس تحت شيء منها وليس فوقه منها شيء وفاق النصوص
فهذه الشبهة لا تخرج عن أن تكون حلقة من سلسلة هذه الشبهات الواهية النظام
التي أرينا القارىء حلقات منها . ومن البلاء أن تردّ النصوص التي لا تدخل تحت
الاحصاء ، وأن تردّ المعقولات القاهرة المنادية بماو الله على خلقه ومحموه فوق مماواته
إحتراما لأمثال هذه الأوهام العارضة ، التي تمكن معارضتها بأضعاف أضعافها من
أمثالها . وما كان ممكنا أن تقبل العقول أمثال هذه الأوهام لولا أنه ليس كالعقول
البشرية قبولاً للحق وقبولاً للباطل ، وصعوداً في معارج الكمال ونزولاً في دركات
النقصان . وما ان كالعقول البشرية ثقلياً بين هوى الضلال وتعشق الهداية ، وحيرة
بين داعي الحق ومنادي الباطل . لهذا كان الحق عزيزاً وصاحبه أعز ، وكان
الباطل ذليلاً وصاحبه أذل . وعلى الله وحده قصد السبيل

(الشبهة العاشرة)

قالوا : قد ثبت علمياً أن الأرض كروية الشكل ^(١) وأن الناس يسكنون
سطوحها من جميع جهاتها ، بل والعالم كله كروي الشكل ، فما كان فوق من هم
في أقصى الشرق كان تحت من هم في أقصى الغرب ، وما كان تحت أهل المشرق
كان فوق أهل المغرب وما كان فوق رؤوس من يسكنون أقصى الشمال كان
تحت أقدام من يسكنون أقصى الجنوب . وبالإجمال فما كان تحت أقوام كان
فوق أقوام آخرين . وكل ما كان قابلاً أن يكون في الجهات فلا بد أن يكون
فيها كلها لأجل ما ذكرنا ، فالشمس مثلاً اذا كانت فوقنا معشر الشرقيين كانت
في الوقت نفسه تحت الغربيين ، واذا كانت فوقهم كانت تحتنا ، وهكذا الأمر

(١) قد قال علماء الاسلام بكروية الارض ومن القائلين بهذا ابن تيمية وابن

القيم وابن حزم والرازي وابن الجوزي وابن المنادي وغيرهم

فى جميع الأفلاك العلوية ، ومعنى هذا أنه ليس هنالك جهة ثابتة حقيقية لشيء من الأشياء الموجودة فى الجهات ، وهذا كالكرة مثلاً فإنه ليس لسطحها بالنسبة إليها جهة حقيقية بل كل ما يفرض لها فوقاً يمكن أن يفرض لها تحتاً ، وهكذا ، والعالم مثل هذا لأنه كروى . وحينئذ لو فرض أن الله فوق العرش أو فوق العالم أو فوق السموات لكان معنى هذا أنه فوقها وتحتها ، أو فوق بعضها وتحت بعضها ، ولكان قولنا : إنه فوق العالم مساوياً لقولنا : إنه تحت العالم ، ولجاز أن يقال : أنه تحت السموات وتحت العرش وتحت الخلق ، كما يقال أنه فوق ذلك ، أو لكان ممتنعاً هذا وهذا ، أو واجباً هذا وهذا لما ذكرنا ، كما نقول أن الشمس تحتنا حينما تكون فوق من هم تحتنا فى الجهة المقابلة من سطح الأرض ، وكما يقول من هم تحتنا : أن الشمس تحتهم حينما تكون فوقنا نحن ، وهم جراً . ولكن القول بأن الله تحت خلقه أو تحت بعض خلقه قول باطل بالاتفاق بين نفاة الاستواء ومثبتيه . والقول الذى يلزمه هذا الباطل باطل ، فالقول بأن الله فوق العرش أو فوق الخلق باطل لأجل ذلك . قالوا وذلك أننا نعلم أن المثبتين لعلو الله على خلقه لا يجوزون بوجه من الوجوه القول بأنه تعالى تحت المخلوقات أو تحت شيء منها لا العرش ولا غيره ، كما لا يجوزون أن يتجه إليه عباده فى جهة غير جهة العلو والسماء . قالوا ولأجل هذا - ولأجل هذه المقدمات الضرورية المسلمة بالاجماع - ذهبنا الى إنكار علو الله ، واضطررنا هذه المقدمات الصحيحة الى هذه النتيجة الصحيحة اضطراراً لا يستطاع عقلاً ونظراً الانفكاك منه بحال من الأحوال . فalcائلون إذن بالاستواء والعلو فاعلون خارجون على قضاء هذه الحقائق الصريحة الصحيحة

قلت هذا خلاصة هذه الشبهة ، والجواب أن يقال : إن بعض أجزاء هذه المقدمات غير صحيح وبعضها صحيح ، ولكنها على كل حال لا تؤدى الى هذه النتيجة التى هى إنكار علو الله واستوائه على عرشه . وبيان ذلك أن يقال : أن علم العقلاء

اليقيني بأن كل موجود لابد من أن يكون في إحدى الجهات لا انفكك ولا مهرب
 آيين وأثبت من علمهم هذه المقدمات ثم علمهم إنتاجها هذه النتيجة القاضية بنفى علو
 الله على خلقه ، ثم علمهم لزوم هذه النتيجة لهذه المقدمات ، فالعقلاء يعلمون أن الموجود
 - قديما كان أو حادثا - لا يمكن أن ينفك عن أن يكون في إحدى الجهات من
 الموجودات الأخرى إذا افترض وجود موجودات أخرى أعظم وأثبت من علمهم
 أن الموجود الكائن في إحدى الجهات - كالمعلوم مثلا - لابد أن يكون فوق وتمت
 وفي كل الجهات أو لابد أن يكون فوق شيء تحت شيء آخر ، بل العقلاء يعلمون
 أن الموجود من حيث هو موجود لامناس من أن يفرضوه في إحدى الجهات من
 الجهة التي هم فيها ، ولا يمكن أن يعلموا موجوداً أو يفرضوه دون أن يعلموا فوراً
 أنه لابد أن يكون في إحدى الجهات . أما علمهم أن ذلك الموجود - إذا كان في
 إحدى الجهات ، فلا بد أن يكون فيها كلها ، أو أن يكون في جهة بالنسبة إلى قوم
 وأخرى بالنسبة إلى آخرين ، إن أمكن أن يعلموا ذلك - فلم نظري مكتمسب
 قائم على مقدمات يطول فيها النزاع والاختلاف ، وجاهير الناس اليوم وفي كل
 يوم يعلمون أن الموجود هو وإحدى الجهات لا ينفك عن ، ولكنهم يجهلون هذه
 المقدمات التي أريد بها نفي العلو جهلاً تاماً واضحاً - بل لو عرضت عليهم هذه
 الأشياء وذكرت لهم ، ثم طلب منهم الإيمان بها لردوها وأنكروها ، ولما استطاعوا
 أن يدركوها فيصدقوها ، بل ولعجبوا من المسلمين بها القائلين ، لأنها لديهم أشياء
 باطلة وفلسفة واهية

وإذا علم هذا قيل : اتنا لو أنكرنا علو الله واستواءه على عرشه - قائلين انه
 لا فوق ولا تحت كما يقولون فراراً من هذه الشبهة - لكنا غالطين غلطاً فاحشاً .
 وذلك أننا نكون حينئذ قد أبطلنا الأمر الضروري اليقيني ، الذي هو أن الموجود
 قديما كان أو كان حادثا لابد أن يكون في جهة ، فراراً من الاصطدام بالخطأ

النظري الظني الذي هو ان ما كان في جهة من الجهات فلا بد أن يكون فيها كلها ، أو أن يكون في جهة بالنسبة الى قوم وفي أخرى بالنسبة الى آخرين ، ثم فراراً مما في هذا المعنى من الخطأ والضلال . ولكن الذي عليه العقلاء في جميع المصور والامم بلا خلاف أن الأمر الضروري لا يطله الأمر النظري الظني ، وأن الحقائق الثابتة بالضرورة لا تدفع هروباً من الوقوع في خطأ نظري ظني . فمثلاً العلم بأن المفعول الحدث الكائن بعد عدم لا محالة من أن يكون له فاعل محدث خالق وهبه صفة الوجود والظهور علم ضروري تلتقي على تصديقه والاذعان له جميع العقول والأذهان بلا تواطؤ ولا بمالأة ولا ادارة نظر أو احتمال فكرة لا قرينة ولا بعيدة ، فلو أراد مرید أن ينازع هذا العلم الضروري ، وأن ينتزعه من العقول بما استطاع وبما يمكن أن يستطیع من المعارضات والشبه التي قد تهوى اليها بعض الرؤوس ، والتي قد تحتل زوايا بعض الأذهان الرخوة الضعيفة إزاء كل داع ودعوة ، والتي لا بد أن تكون نظرية باطلة واهمة ، لكان هذا المرید غلطاً غلطاً جلياً ، ولكان جميع ما يدلى به من الشبهات والمعارضات باطلاً بلا تعرف لكان بطلانه وموضع خطئه سوى أنه يراد به إبطال أمر ضروري ، والأمور الضرورية لا تبطلها النظريات وإلا لبطلت الضروريات والنظريات ، إذ ما من أمر نظري إلا ولا بد أن يفتنى الى ضروري يسلمه الجميع ، فالضروري قاعدة النظرى ، والنظرى فرع له ، والفرع كما يقولون لا يقدر في أصله وقاعدته وإلا لبطل الأصل وفرعه

وكذلك نعلم بالضرورة أن الأمر الواحد للمعين للشخص لا يمكن أن يكون في زمن واحد في مكانين مختلفين محتلاً لذلك المكانين بذاته الواحدة الممثلة للشخصية ، فكل ما يورده على هذا العلم الضروري من الشبهات لا تتردد في ردها ورجعها على قائلها ، لأنه يراد بها القدر في شيء اجتمعت العقول كلها على علمه والاعتراف به والتسليم له بلا تواطؤ ولا بمالأة ولا احتمال فكرة . وهكذا يقال في

أمثال هذا من الحقائق الانسانية المجتمع عليها

وكذا يقال : ان العقلاء بل وغير العقلاء يملكون يقيناً بلا تواطؤ ولا بمالأة أو تواص أن الوجود من حيث هو موجود - ويستوي في ذلك القديم الواجب الوجود، والحادث الجائز الوجود - لا بد أن يكون في جهة من المتصور وجوده المسلم بوجوده ، ولا يمكن بداهة أن يقول قائل : ان هذا أو ذلك موجود الا ويثب ذهنه فوراً الى جهة من جهاته يتلمس وجود ذلك الموجود ويتطلب الاتصال به أو الانفصال عنه . ولن يقول قائل سليم العقل - ولا أغنى سليم العقل من الضعف والمرض ، بل سليم العقل من الدعايات المدخولة البلاء - : الله موجود إلا ويحاول ذهنه الوثوب الى جهة من الجهات أو الى كل الجهات متمسكاً بذلك الموجود ولن يقول قائل : يا فلان أو يا من اسمه كذا وصفته كذا ، الا ويتحرك ذهنه إلى جهة من الجهات التماساً لذلك المدعو المهتوف باسمه وصفته . هذا ما لا شك فيه بين العقل والمنطق ذى المقدمات المتزعة من الواقع المشهود ، والاجماع الانساني الموروث الذي يتغير في هذا الوجود ما يتغير وهو حيث هو ثابت مكانه لا يتحلل ولا يزول

وإذن فكل ما يورد على هذا العلم لا يمكن الا أن يكون باطلا ، لأنه قدح في الضروري ، والضروري - كما قلنا - لا يتحمل القدح ولا يقبل القدح فيه بوجه من الوجوه ، لأن للبشر علوماً ومدارك ثابتة لا يمكن أن تتزع ، ولا يمكن أن يتغير فيها الحكم والعلم مهما تغير الزمان وأهل الزمان ، وذلك العلم والحقيقة التي هي أن الموجود لا يتصور الا أن يكون في إحدى هذه الجهات المألومة للبشر أحد هذه العلوم والمدارك البشرية الثابتة التي هي إحدى قواعد وآساس المدارك الانسانية التي تلتقي عليها جميع الأذهان في جميع العصور والبيئات المختلفة . فلو أنك سألت إنساناً ما في أقصى الشرق ، ثم سألت آخر في أقصى المغرب عن هذه المسألة لما

ظفرت باختلاف بينهما ، وان كان بينهما من الاختلاف في أمهات المسائل الاجتماعية والدينية والأدبية مقدار ما بين وطنيهما المشرق والمغرب من الأبعاد والمسافات . وقد قام قائلون منذ قرون عديدة يعالجون هذه الضرورة علاجاً شديداً ويحاولون أن يقتنعوا أنفسهم أولاً ، وأن يقتنعوا غيرهم من الاتباع والمخالفين ثانياً بأن ربهم ليس منهم قريباً ولا بعيداً ، وأنه ليس بمتصل بهم ولا منفصل عنهم ، وأنه لا يمكن الإشارة والاتجاه إليه بحال من الأحوال مستعنيين بما نبغوا فيه وفي حذقه من صناعة الجدل ، وصناعة السفسةطة ، وصناعة التهريج المضل ، واضعين ذلك في كتب ضخمة معروفة بذلوا فيها غاية جهدهم وغاية جهد الإنسان وما أوتيته من نبوغ وذكاء ومهارة ، ولكنهم رجعوا كما بدؤوا وانتهوا حيث ابتدؤوا ، ثم نظروا فإذا هم لم يخرجوا من هذا المعمان الأبقيل وقالوا واعترض وأجيب . أما الحقيقة فهي باقية كما كانت ، وكما سوف تكون كذلك أبداً وإلى النهاية ، وأما أنفسهم فكانت أيضاً كما كانت وكما سوف تكون أبداً وإلى النهاية ، لا تعترف إلا بالحقيقة ، ولا تخضع في هذه المسألة إلا لما لا يمكن الاقنات من الخضوع له . أما ما قالوا وما كتبوا فانه لم يعد نطق الأوراق ، ولم يكن إلا غباراً لحرب شعواء يشتمها على الحق أولاً وعلى الأهل والاخوان ثانياً انخداعاً بأقوام ما كانوا قط شرفاء ، واتباعاً لاهواء ما كانت قط صالحة بارة . ومثل هذا لا يمكن أن يكون في مقدوره إطفاء نار الحق ونوره

ومن العجيب أن هؤلاء المخالفين بهذا التعطيل لم يستطيعوا إخفاء الحق بمجوارهم إذ استطاعوا إخفاءه ونكرانه بالسنتهم فان واحداً من هؤلاء المنكرين لم يستطع أن يمل هذا الإنكار على شيء من جوارحه سوى لسانه . أما بقية أعضائه فهو عاجز وكل شيء عاجز عن املاء هذا الكذب عليها . ألسنا نجد أشد هؤلاء لجاجة وإنكاراً وتعطيلاً قلبه يذاه وعينه وجهه جسمه على هذا كله وعلى ما قال

وما كتب في حياته كلها . فنجد عينيه تشخصان الى السماء ، ويديه ترتفعان حيث تلمس العقول بارثها غاية كل شيء ؟ ألسنا نجد جسمه كله عند ثورة الارض به يريد السمو والسماء . لا يريد غير ذلك ليهرب الى الله من الارض وأهلها ، ومن كذب الارض وكذب أهلها ، ومن هذه الكذبة الاعتقادية التي وضعها غير الحق على لسانه ؟ ألسنا نجد الناس جميعا للتكرين والمؤمنين قد اعتقروا على هذا بأفعالهم حينما يرغبون أو يرهبون ناسين كل ما قالوا وكل ما كتبوا ؟ ومن غريب ما في الانسان أن تعبد من ينكر استواء الله وعالوه يسمو ببصره الى السماء حينما يقول لك إن الله ليس في السماء ! كأن بصره وطبعه أيما الا تكذيب لسانه في جميع حالاته أفلا ترى في هذا كيف يستخلص الحق من الباطل ! وكيف تبقى للحق أعلام يهتدي بها المهتدون وان جهد الباطل كله على طمس أعلام الحق كلها ! بل ألسنت ترى أن الحق أوضح ما يكون وألمع ما يرى حينما تحيط به ظلمات الباطل وحنادسه الكثيفة ! أفلمست تعبد في هذا كله مقنعا بأن كل ما يعارض علو الله واستواءه على عرشه باطل باطل ، وضلال ضلال ؟ أما اذا حاول المعطلون المخالفون الانفلات من هذا الالتزام وهذا العلم الضروري الناضج بمحاولة من محاولاتهم المعلومة . كأن يقولوا مثلا : ان الموجود - وان كان من حيث هو موجود لا بد أن يكون في إحدى الجهات كما تذكرون - بيد أنا نستثنى من هذا القانون العام الشامل الله رب العالمين . لأنه ليس كالموجودات فلا يشملها قانون عام يشملها كلها بضرورة مخالفتها إياها في الصفات وفي ما يجوز وما يجب وما يمتنع فهو - وان كان لا يعقل موجودان البتة إلا ولا بد أن يكون أحدهما في جهة من الموجود الآخر - فالله ليس كذلك لأنه ليس كمثل شيء : ان حاول المخالفون المعطلون الانفلات مما ذكرناه من الالتزام بهذا قلنا جوابا عن هذه المحاولة : إن صح لكم هذا المذهب في هذا المهرب صح لنا جماعة أهل الاثبات المسكين بالنصوص الشرعية أن

نجاب عن هذه الشبهة التي أقيمت على علو الله واستوائه بهذا الجواب الذي اخترتموه بأن نقول مثلاً : هذه الشبهة التي أقيمتوها على الاستواء والعلو بنظرية كروية الأرض والعالم - وإن كانت ترد على كل موجود يكون في إحدى الجهات لا ترد على الله وعلى علوه واستوائه ، ولا يصح أن ترد ، وإن وردت على المخلوقات كلها ضرورة مخالفتها إياها في الصفات وفي ما يجب وما يجوز وما يتمتع فالله ليس كمثل شيء لافي علوه واستوائه ولا في غير ذلك من الصفات ، وحينئذ فكل ما يورد على جوابنا يورد على جوابكم ، وكل ما تمحيون عنه بهذه الطريقة نجاب عنه نحن بالطريقة أيضاً نفسها سواء مثلاً . فتكافأ الشبهتان على أقل الاحوال وساعتئذ لا يبقى إلا الرجوع الى دلائل أخرى فترجع الى نصوص الاديان فنجدها متفقة أعظم اتفاق على استواء الله وعلوه بلا خلاف . فلا يبقى إلا الايمان بالاستواء والعلو على جميع الافتراضات والاحوال ، وهذا هو المطلوب . هذا ما يقال في جواب هذه الشبهة أولاً

ثم يقال ثانياً : ان الذي قوله نحن وندعيه هو أن الله مستو على عرشه على خلقه كما جاءت بذلك النصوص المتواترة في الكتاب والسنة . لا يزيد على هذا ولا تنقص منه ، ولا تتقدمه ولا تتأخر عنه . فان كان هذا القول وهذا الاعتقاد شيء مما ذكره المعارضون في هذه الشبهة فهو حق يلزم المصير اليه والقول به . لأن ما يلزم الحق لا يمكن أن يكون باطلاً ، ولأن ما يقضى به الحق لا يصح القضاء بخلافه ، والحق لا يمكن أن يلزمه الباطل ، وإلا لو لزمه لما كان من الحق في شيء يقينا والصحيح لا بد أن يكون صحيحاً بنتائجه ولوازمه وكل ما لا ينفك عنه فان كان حقاً ما ذكره في هذه الشبهة من أنه يلزم استواءه على العرش - مع كون الأرض كروية الشكل ، وكذلك العالم أجمع - أن يكون تعالى محيطاً بالخلائق محيطاً بكل شيء لم يبق هنالك مانع عقلي أو قلمي يمنع من المصير الى هذا ، وينم

من القول بأنه محييط بالعباد وبالمخلوقات أجمعين إحاطة تليق بذااته وصفاته وجلاله لا كما يحيط المخلوق بالمخلوق تعالى الله عن ذلك وعن شبه المخلوقات ، وقد جاءت النصوص دالة على إحاطته كما ذكرنا قال الله « وكان الله بكل شيء محيطا » الى آيات أخرى معلومة في هذا المعنى ، ولكن يلزم أن يرعى في هذا رفع التشبيه والمبالغة في التنزيه ، كما يلزم هذا المعنى في جميع صفات الله وجميع شئونه الظاهرة والباطنة واذا رعى هذا وحفظه المثبتون انقطع لجأج المنكرين الجاحدين وخصامهم وشغبهم وشبهاتهم

وكذلك ان كان يلزم علوه على خلقه واستواءه على عرشه وفاق النصوص المتواترة أن يكون فوق بعض الخلق وتحت البعض الآخر بالنحو المذكور في قاطبة الشبهة وجب القول بهذا ولزم المصير اليه إذعانا وتسليما لا اعتراض ولا ممانعة ولم يكن في هذا المعنى نقص ما . فان هذا بالصفة المذكورة في الاعتراض ليس فيه ما يؤذي وينكر ، والناس اذا فهموا في صفة « التحت » نقصا أو ضعفا أرادوا به « التحت » المهود لهم وللعام في الاصطلاح العام الساذج . لا التحت الذي عنوه بهذه الشبهة ، فان هذا تحت من نوع آخر لا نقص فيه ولا ضعف . ومن ذا مثلا يستطيع أن يفهم في الشمس نقصا أو ضعفا اذا قيل : انها تحت الأرض وأهل الأرض على النحو المذكور في الشبهة المذكورة في طائفة هذا الكلام . وليس من ريب أن القول بالتمثيل الذي ينتحله هؤلاء النفاة من أنه لا فوق ولا تحت ولا قريب ولا بعيد أقرب الى الاستحالة والبطلان والنقص والضعف من القول بالاستواء والعلو وان لزم هذا ما ذكره . هذا ما يقال ثانيا

ثم يقال ثالثا : ان هذه الشبهة فاسدة باطلة من أساسها ، ذلك أن كلمة « فوق » وكلمة « تحت » كلمتان اصطلاحيتان عرفيتان تواضع الناس على اطلاقهما ليعبرا عما يفهمه عامة العارفين باللغة منهما عند الاطلاق المجرد ، وليس للعقل الفلسفي والمنطق

الفنى تصرف فى ذلك البتة ، فلو أريد بكلمة « التحت » ما يراد بكلمة « فوق » وأريد بكلمة « فوق » ما يراد بكلمة « التحت » لما نازع ذلك العقل ولما وجد فيه مكانا ومساغا للاعتراض والمواقفة ، وذلك أن مثل هذا ليس من خصائص العقل ولا من وظائفه ، وكذا أمثاله مما مرده الى العرف المجرد الخاص أو العام ، فما معنى كلمة « فوق » وما معنى كلمة « تحت » ؟ وعلى ماذا يدلان عند عامة أهل اللغة واللسان ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الفصل فى هذه المسألة

لا ريب أن الأرض تحتنا - سواء ارتكزنا عليها بأرجلنا أم اتجهنا اليها برءوسنا أو جنوبنا أو ظهورنا أو غير ذلك من سطوح أجسامنا ، ولا ريب أن السماء فوقنا سواء اتجهنا اليها برءوسنا أم بأرجلنا أم بأية ناحية من نواحي أبداننا ، إذن فالفوق ليس هو ما يلى رأسك ، والتحت ليس هو ما يلى رجلك ، وليس أحد هذين المعنيين هو ما يلى سطحا معينا من سطوح جسمك ، وهذا كما رأيت فى مثالى السماء والأرض ، فما الفوق وما التحت إذن ؟

لا شك أننا نحس أجسامنا تهوى الى الأرض وتريد الانغماس فيها ، ونضطر الى ذلك اضطرارا لا حيلة لها فيه ولا فى دفعه ورفعها ، ثم نحس أنه لولا صلابة الأرض ورفعها إيانا لتجلبجنا فى أحشائها ولقدمننا فى بطنها الخفيف المظلم ، وبعبارة أخرى نحس أنه لولا ما وهب الله الأرض من القوة والأيدى على دفعنا ورفعنا لابلتمنا ولا نفسمنا فى قلبها الى قرار معلوم لا يمدى

هذا هو ما نحسه نحو الأرض التى تقول أنها تحتنا ، والتى هى تحتنا حقيقة

ولا شك

ثم ان أجسامنا تأبى الاتجاه على كل الحالات الى السماء وتعالى ما تعانى فى محاولة الدنو منها والوصول اليها مهما خفت أجسامنا ومهما ثقلت ومهما وضعت واتجهت . هذا ما نحسه نحو السماء التى تقول أنها فوقنا والتى هى فوقنا ولا شك .

ونحن اذا ما امتطينا أجنحة العلم فخلقنا في الهواء على متن طائرة كانت الارض تحتنا والسماء فوقنا مهما اتجهنا ومهما ذهبنا . وكذلك كل ما هو فوق الارض من هواء وسحاب وخلائق أخرى ، فالسماء فوقه والارض تحته كيف كان وكيف عرض واتجه ، فما هو الفوق والتحت إذن ، وكيف يعرف هذان من هذه الامثال المذكورة ؟؟

اتنا اذا امتحننا ما ذكرناه جيدا وسبرناه حقا ظهر لنا ان التحت هو الجهة التي نجذب أجسامنا مدفوعة نحو الانحدار اليها والهوى فيها والارتكاز عليها ، أو بعبارة أخرى ان التحت هو الجهة التي تجذب اجسامنا جذبا وتجرها اليها جرا طبعيا دائما كما نجذب نحو الارض التي هي تحتنا بلا شك ، وظهر لنا أيضا أن الفوق هو الجهة التي نجذب أجسامنا بطبيعتها تآبي الاندفاع اليها والذهاب نحوها دائما وعلى كل حال كما نجذب نحو السماء التي هي فوقنا بلا شك . إذن فالتحت هو الجهة الجاذبة والفوق هو الجهة المضادة لذلك ، وإذن فالسماء فوقنا وفوق أهل الأرض كافة سواء أ كانت محيطة بالأرض من جميع الجهات أم كانت غير ذلك ، وذلك أن أهل الأرض أينما كانوا فالسماء كائنة منهم في الجهة المضادة للجهة الجاذبة التي هي التحت ، فالسماء فوق جميع من هم فوق سطح الأرض لأنهم حيثما كانوا - في الشرق والغرب والشمال والجنوب والجهات كلها - يجدون أنفسهم في الجهة التي حيث تكون السماء منها فوق على النحو الذي ذكرناه من جهة الجذب وضده . ولو أن هابطا هبط في جوف الأرض حتى المركز الذي ينتهي عنده الجذب لكانت السماء فوقه من الجهة الأخرى ، أي من الجهة التي هبط نحوها مجذوبا بمركز الأرض . ولو أن انسانين هبطا الى المركز من جهتين متقابلتين - كالشرق ومثلا والغرب ، حتى التقت أرجلهم وتلامست - لما كان أحدهما فوق الآخر ولا تحته لأجل ما ذكرناه من معنى للفوق والتحت ، واذا كان الهابط من جانب - ينجح الأرض الشرقي نحو مركزها

(٦٠٣)

حتى وصله فعلا لا يقال له ان سطح الأرض الغربي الذي نزل نحوه تحته عندما يصل
المركز فيكون مما يلي وجليه فكيف يقال ان أهل المشرق تحت أهل المغرب مثلا
إذا ما افترضنا الأرض ككروية وكانت كذلك وأن أهل الجنوب تحت أهل
الشمال ؟ ان هذا مالا يكون وما لا يصح ، وكيف يصح هذا وهو لو صح لكان
أهل المشرق تحت أهل المغرب ، ولكان أهل المغرب تحت أهل المشرق ، وأهل
الجنوب تحت أهل الشمال ، وأهل الشمال تحت أهل الجنوب ؟ وهذا باطل ، لأن
الشيء اذا كان تحت شيء كان ذلك الشيء فوقه لا تحته ، وأما أن يكون هذا
تحت هذا وفوقه فأمر باطل كاذب ، وليعتبر هذا المعنى بالاشياء الكروية الهيئة
كالبيضة والبطيخة مثلا ، فانهما كرويتا الشكل ولا يقال لهما ان هذا السطح تحت
هذا السطح وأن هذا فوق ذلك ، بل يقال ان سطحهما هو الأعلى من جميع الجهات
وعلى هذا فاذا توم متوم أن الشمس تكون تحتنا نحو نصف الليل كان غالبا
ظلمة واضحا ظاهرا ، وذلك أن الشمس في تلك الساعة التي يتوم الوام فيها أنها
تحتنا هي فوق أهل الأرض الذين يحسبون تحتنا في سطح الأرض المشرق المقابل
واذا كانت فوق من هم تحتنا على النحو المذكور فكيف يقال انها تحتنا ؟ بل هي
فوقنا كما هي فوقهم في جميع الأوقات والحالات ، وقد ذكرنا أن من هبط الى
مركز الأرض حتى وصله لا يكون ما بعد المركز تحته ، فكيف يكون تحته ما بعد
المركز وما فوق المركز ؟ واذا ما افترضنا السموات ، أو شيئا آخر غير السموات
كرويا مثل القبة ، ثم افترضنا وجود شيء في مستوى الدائرة دائرة القبة كانت
القبة فوق ذلك الشيء من جميع الجهات ، ولم يكن شيء من سطوح القبة المجوفة
تحت ذلك الشيء الموجود في دائرتها ، وكان كل من وقف فوق سطح ذلك
الشيء يرى القبة فوقه ويشير اليها اشارته الى السموات والعلويات ، فالسماء فوق
الأرض ومن عليها مطلقا وعلى جميع الحالات والاعتبارات ، وكذلك الاجرام التي

ينظر اليها من عل هي فوق الأرض وأهلها على كل حال . وإذا علم هذا جيداً قيل
فإنه الذى هو فوق كل شيء ، والذى له العلو المطلق التام على كل شيء فى الأرض
أو فى السماء . ليس هو تحت شيء وليس فوق شيء دون شيء ، بل هو القاهر
فوق عباده عليهم وسفليهم وهو العلي الأعلى . وكل عبد يتجه اليه تعالى أينما كان
ويضرع الى مقامه العلى من جهة السماء وجانب العلو لا من جانب السفلى والأرض
فهذه الشبهة باطلة على كل الأحوال . هذا ما يقال ثالثاً

ثم يقال رابعاً : ان هذه الحجة واردة على الوجود من حيث هو موجود
لا على العلى من حيث هو على ففى - ان كانت صحيحة - واردة على البارى لأنه
موجود لا لأنه فوق الخلق والعرش ، وذلك أن يقال : الله موجود ، والموجود اما
أن يكون فى جميع الجهات واما أن يكون فى جهة دون الجهات الأخرى ، ولكن
لا يمكن أن يكون فى كل الجهات لأجل ما ذكرناه ، ولا يمكن أن يكون فى جهة
دون الجهات الأخرى لأجل ما ذكرناه أيضاً وذكره هم فى الشبهة . ولا ريب
أن ورود هذا الاعتراض على الموجود لأنه موجود أوضح وألزم من وروده على
المستوى والأعلى من حيث هو مستو وأعلى . ولا يمكن أن ترد الشبهة على الاستواء
والعلو ثم لا ترد على الوجود والامتياز . فمن استطاع أن يعلم موجوداً ليس فى جهة
من الجهات وليس عرضة لذلك استطاع ولا شك أن يعلم موجوداً مستوياً عالياً
وليس عرضة لهذا الاعتراض ، ومن لم يستطع أن يعلم مستوياً عالياً ولا بد أن
تخلص اليه هذه الحجة لم يستطع أن يعلم موجوداً ما يمكن أن يخلص من هذا
الاعتراض . فالاقتراض - ان كان صحيحاً - وارد على كل حال سواء أقيـل ان
الله فوق الخلائق مستو على العرش أم قيل غير ذلك . فانكار الاستواء والعلو
لا يدفع الشبهة ، والايمان بالاستواء والعلو لا يزيد الشبهة قوة وصحة كما ذكرنا
وحينئذ لا معنى لانكار الاستواء هروباً عما لا مهرب منه . فوجب الايمان بما دلت

عليه النصوص من علو الله واستوائه على عرشه وخلقه ، وسائر الصفات الثابتة
النصوص ، وبهذه الأمور الاربعة خلصت صفة الاستواء والعلو من هذه الحجة
المقامة على مسئلة كروية الارض والعالم

هذه شبهات عشر طالما صال بها المعطلون على استواء الله وخلوه قد أرينا
القاريء لهذا الكتاب حقيقة أمرها ومقدار حظها من الضعف والخلل والركلة
وقد وضعنا أمام كلتا عينييه البراهين على أنها شبهات داحضة كاذبة ، وعلى أنها
لا بد أن تحترق عند اصطدامها بأول لفحة من لفحات المنطق الصحيح المؤلف من
الواقع ومن المعقول المبرمج والمنقول الصحيح

وهذه الشبهات العشر هي أفضل مامع المعارضين علو الله وأقوى مافي أيديهم
من سلطان وحجة يصولون بها على النصوص المتواترة في جميع كتب الله قديها
وحديثها ، وعلى الفطر البشرية التي لا تختلف ولا تضل مجتمعة متفقة

وإذ قد كشفنا الغطاء عن هذه الشبهات ، وعريناها من بهارج الخداع والفضلال
وأسمال الباطل البالية ، وألبسناها لباسها الحقيقي القوي هو بخار الاغلاط وغبار
الجلد الآثيم ، وزينة الشيطان المضل . فلا ترى بنا ولا بالقاريء الكريم حاجة الى
غيرها مما مرده الى هذه الشبهات العشر . على أن كل ما يمجده المؤمن الفطين في
سبيله الى عرفان الحقيقة ولقاء الحق من عقبات ومعارضات يستطيع أن ينتضي عليها
حسناً قاطعاً وينزع سلاحاً حاداً من صميم ما ذكرناه هنا . أما هذا المؤلف
الشييعي فانه لم يذكر شبهة واحدة من هذه الشبهات ولا من غيرها على ما قال وعلى
قدحه في النصوص رقدحه في المؤمنين بها . بل رجي بها دعوى خزبي متعثرة
بصخرات الحق القوي الصلب . فما ذكرنا هنا من هذه المباحث والمعارضات
والاجوبة عنها . ليس جواباً ولا دفعا لما كتبه هذا الرجل في كتابه هذا . لأنه
لم يأت بشيء من ذلك . وانما هذه حقائق عليا تقدمها لمن يقرءون كتابنا ممن

قدر لهم أن عثروا . أو سوف يقدر لهم ما لا أن يعثروا يعض هذه المزالق العلمية
الاعتقادية التي خطت بأقلام لم يرد الله أن يذيقها طعم الحقيقة ، ولا أن يسبق لها
شراب الاطمئنان والايمن الشبم

أما ما يزعمه بعض الناس من أن هنالك نصوصا دينية يصح أن تؤخذ براهين
على انكار استواء الله على عرشه وعلوه على خلقه ، فليس لدينا من جواب لهذا
الزعم سوى أن نطلب الى القارىء أن يرجع الى الكتاب والسنة ويتقاصها آية
آية وحديثا حديثا ، فان وجد آية واحدة أو حديثا واحدا تقول أو يقول ان الله
ليس فى السماء وليس على العرش ، أو نحو ذلك من أنواع الدلالات ، فكل
ما كتبناه باطل عاثر ، بل ان لم يجد الكتاب والسنة بالجملة دالين أنواع الدلائل
على ما تقول فانتا راجعون عن جميع ما قلناه فى هذا الباب من الحجج والبيانات .
ولكن هيات هيات لما يزعمون ولما يحاولون ويقولون ١١

مذاهب السلف فى علو الله واجتماعهم عليه

وأما قول هذا الرجل : ان أول من زقا بعلو الله هو ابن تيمية . ثم تبعه
الوهابيون . فالجواب أن يقال :

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم
لا ريب أن هذا القول وأمثاله من أعظم المآسى العقلية الدينية ، بل ان هذه
الأمور ونظائرها من المصائب التي شاء الله وهو الفاعل لما يشاء أن تكون جرحا
بالدواميا فى صميم الانسانية ومكان الشرف والفروغ منها لا يلتئم على رغم
ما يديه الانسان من ضروب الذكاء والدهاء والمعارف المبتكرة المغرورة ، واتى
وأي الحق لا أعلم بماذا أضلل هذا الانتحار العلمى الدينى الذي ينساق اليه هذا الرجل
بخطا واسعة حثيثة ١ ولو أن رجلا لم يعلق بأسباب العلم أو لم يحترف صناعة العلم

(٦٠٧)

ادعى هذه الدعوى لكان عندنا وعند العلم من المومنين المأخوذين بما قالوا ، فاذا قول ويقول العلم في رجل يدعى هذه الدعوى بمدأن اشتغل بالعلم مدة أعمار رجال ؟ من المستبعد أن يكون مرجع هذا هو النقصان العلمي ، ومن المستبعد أيضا عند من لم يلم بأمراض الانسانية أن يكون مرجعه الانحدار في هوة الهوى السحيقة التي لا قرار لها عن رضا واختيار

لا يدري أن الناس سبقوا شيخ الاسلام ابن تيمية الى القول بهذه المسألة وتقريرها وهتك حجاب من أنكرها من الجهمية المعطلة واخوانهم الثائمين الخيري هذا مصيبة على العلم وعلى المشغولين بأسباب العلم ، هذا ان كان لا يدري ، وأما ان كان يدري هذه الحقيقة الاعتقادية العلمية ، ويدري مكانها من الحق والواقع والعلم والعلماء فاختر أن يلقي عليها حجاب الانكار والجحود انسياقا مع الهوى ، وامتناناً للعلم واستهانة بالقراء ، وانتقاماً من العلماء الأبرياء ، ثم استهتاراً بأمر الله ، ونسياناً لحسابه والموقف بين يديه للثواب والعقاب فالمصيبة أعظم وأجل ، وهما أمران أحلاهما مر

يقول المجتهد الشيعي ان أول من زقا - أي نادى - بملو الله واستوائه على عرشه هو شيخ الاسلام ابن تيمية النابغ في القرن الثامن الهجري ، ثم قلده من قلده من تلاميذه وأتباعه !

ونحن نقول له : لا والله لم تصب أيها الشيخ المحترم ولم ترشد ، وأسفاه ! بل قول بالبرهان والاثبات : لقد سبق ابن تيمية وأتباعه ومن جاؤا بعده الله رب العالمين في كتابه العزيز في آيات بينات خالافات يمز علينا احصاؤها الآن ، ويعرف عامة المسلمين - به الباطل - الشيء الكثير الكافي منها . ومن هذه الآيات الخالافات قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وقد جاء هذا اللفظ في سور ذات عدد من كتاب الله . ومن هذه الآيات البينات الخالافات قوله تعالى : « بل

رفعه الله اليه » وقد جاء معنى هذه الآية في غيرها من السور المحكمة ، ومن هذه الآيات البيّنات الخالدات قوله تعالى « تخرج الملائكة والروح اليه » ومن ذلك قوله « أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض » الى غير ذلك من الآيات البيّنات الخالدة المنادية بملو الله واستوائه على عرشه ، وقد ذكرنا أطرافا كثيرة من هذا النوع آتفا

ولقد سبق أيضا ابن تيمية وأتباعه والوهابيين الى ذلك محمد بن عبد الله عليه صلوات ربه وتحياته المساطلة ، وهذا في ما لا يجمعه جامع من أقواله الصحيحة الصريحة المعلومة . وقد جمع من ذلك الحفاظ ، حفاظ السنة كتبها خاصة كبيرة ، كما فعل الحفاظان الذهبي وابن القيم في كتابيهما « العلو » و « اجتماع الجيوش الاسلامية » وفي هذين الكتابين الشيء الكثير المنعك كل من جانب الهوى ، وهذا أشهر وأظهر من أن تضرب له الأمثال ويدل على وجوده بالآحاد

ومن ذلك الحديث المشهور ، أعنى حديث الجارية التي قال لها رسول الله : « أين الله ؟ » فقالت : في السماء ، فقال رسول الله لمولاهما : « اعتقها فانها مؤمنة » وقد عد الحفاظ الذهبي في كتاب العلو هذا الحديث من الأحاديث المتواترة ، وقد أسند له طرقا وأسانيد كثيرة . ومعنى هذا الحديث في الأحاديث النبوية أنه حيحة أعظم من أن تضرب له الأمثال أو يدل على صحته ومكانه . والمخالفون أنفسهم لا يخالفون في هذا ، ولكن الخلاف بيننا وبينهم في التأويل والتفسير ، فهم يدعون ذلك ويدعون إمكانه ، وأما نحن فنرفضه ونأبى إمكانه لغة وشرعا وعقلا وقد ألمعنا الى هذا في ما غبر من الكتاب

ثم لقد سبق شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه والوهابيين الى ذلك جميع الصحابة ومن بعدهم من التابعين ومن بعدهم من أعلام السنة الذين وقفت عندهم الامامة والزعامة الاسلامية والعلمية ، أمثال الأئمة الأربعة ، وأمثال شيوخ الحديث

وجهاذته وتقاده ، نظراء البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي
والآخرين ، وغيرهم وغيرهم كما سوف ننقل ذلك من مصادره الصحيحة الموثوقة ،
والشيعة يعترفون بهذه الحقيقة ويعترفونها لعلاء السنة ويقدمون فيهم لاجلها .
ويضيفونها الى معانيهم المزعومة الممدودة في كتب القوم ، وقد ذكر هذا ابن المطهر
الحلي الشيعي في كتابه الذي ألفه في الامامة وفي القدح في الصحابة وفي الخلفاء
الراشدين خاصة ، ثم القدح في جميع المسلمين الذين لا يرغبون في الانتهاء الى الشيعة
والى آرائها الخاصة الخاطئة ، وهذا الكتاب هو الكتاب الذي قضه عليه شيخ
الاسلام ابن تيمية بكتابه الكبير « منهاج السنة » وذكر ابن المطهر هذا في كتابه
هذا أن من الدلائل على بطلان مذاهب أهل السنة وفساد أمرهم الاعتقادي قول
طوائف منهم ومن أئمتهم بعلو الله واستوائه على عرشه وما في ذلك من التشبيه ،
وهذا اذا صح من ابن المطهر الشيعي بطل قول هذا الشيعي الآخر : انه لم يقل أحد
بعلو الله قبل ابن تيمية وتلاميذه ، واذا صح قول الشيخ محسن العاملي بطل قول
ابن المطهر الحلي

والقوم لا يتبعون طريقة واحدة ولا يسلكون منهاجاً واضحاً معلوماً ، بل هم
يتحرفون مع الهوى هنا وهناك ، ويسيلون في أودية الاغراض الظالمة ، فحينما
يريدون القدح في ابن تيمية وتلاميذه الا يراهم يقولون انه لم يقل بعلو الله أحد قبلهم
وحينما يريدون الوقعة في المسلمين كافة يقولون أنهم كانوا مشبهين بمجسمين قائلين
بعلو الله وبجلوسه على العرش ، قائلين غير ذلك من الآراء المقوتة الباطلة ، وهذا
مع الاسف المر - ليس من دأب أهل الايمان ولا من أخلاق العلماء والمتقين .
حفظنا الله من سوء والمقت والغضب

هذا وقد قدمنا في طالع هذا الكتاب بعنوان « حماقات الشيعة » أن شيوخ
الشيعة كانوا مشبهين ومجسمين . قائلين في الله شر الأقوال من وصفه بالحلول

والجهل والبداء وممات الخلق الأخرى الناقصة ، وكانوا قائلين باستواء الله وعلمه ولكن بشكل ردي لا يليق بذات الله وكلماته وعظمته ، وليراجع هذا في صفحة ٤٢ من هذا الكتاب ، وقد ذكرنا هذا المعنى في غير موضع من الكتاب عن شيوخ الشيعة القدماء الذين وضعوا أحجار هذا المذهب وطافوا بأركانهم عصوراً غير قصيرة من مسلمين قيادة هذه الطائفة ، وذكرنا عن أئمة النقل الذين كتبوا في النحل مثل الشهرستاني أن أول من زقوا بالتشبيه في الاسلام هم شيوخ الرافضة هؤلاء عن الأمة اليهودية العريضة في التشبيه ونعت الله بما لا يليق به من ممات الخلق العاجزين الضعفاء . فما غير به هذا الرافضي شيخ الاسلام ابن تيمية وزعم أنه هو المبتكر له قد سبقه اليه شيوخ الشيعة والرافضة . غير أن الفرق بينه وبينهم في هذا واضح جلي ، فابن تيمية كجميع السلف الصالحين يقولون بالاستواء والعلو كما في النصوص مع التقديس والتنزيه ورفع التشبيه وقوفاً مع النصوص الصحيحة بلا تقدم ولا تأخر أما شيوخ الرافضة فانهم يقولون ذلك وغيره مما لا يليق بذات الباري من النقائص بشكل ناقص ممقوت مع التشبيه الصريح الممقوت . بل ويهوون في هذه الهوة البعيدة القرار فيزعمون أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الله ! تعالى الله عن ذلك ، وقد تقدم هذا عن شيوخهم القدماء ، ويزعمون أيضاً أن الله ينزل من عليا سمواته فيحل في أجسام تأكل وتشرب ونجوع وتظأ وتلاق ما يلاق الآكل الشارب من الأعراض والعوارض المادية الترابية المفروضة عليها في كتاب الأزل المحكم

يقول هذا الشيعي المجتهد : ان أول من زقا بعلم الله هو ابن تيمية وأتباعه والوهابيون ! ونحن نقول : ان السلف قاطبة كانوا مجمعين على الاقرار لله بهذه الصفة ، ومجمعين على مذمة من أنكرها من الجهمية والمبتدعين الضالين ، ونقول : أيضاً انه لم يسند عن واحد منهم لا من الصحابة ولا من بعدهم من أئمة التابعين

والمحدثين ، كالأئمة الاربعة ومن سار سيرتهم ونهج نهجهم سوى انه انكر هذه الصفة أو أول شيئا من نصوصها ودلائلها الشرعية المتواترة . وعلينا نحن ان نثبت هنا البراهين المتكاثرة على دعوانا هذه وصدقها

قال القاضي الفيلسوف ابن رشد المتوفى سنة ٥٩٥ هجرية في المجموع له المطبوع المعروف « بفلسفة ابن رشد » : « القول في الجهة ، وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية ، رغلوا في الشرع كلها تقضى بأثبات الجهة ، وبعد هذا أورد بعض النصوص ثم قال : « الى غير ذلك من الآيات التي ان سلط التأويل عليها عاد الشرع كله مؤولا ، وإن قيل فيها إنها من المقشاهات عاد الشرع كله متشابهة لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء . وإن منه تنزل الملائكة بالوحي الى الانبياء ، وإن من السماء نزلت الكتب ، وإليها كان الاسراء بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك . والشبهة التي قادت فناء الجهة الى نفيها أنهم اعتقدوا أن اثبات الجهة يوجب إثبات المكان ، وإثبات المكان يوجب اثبات الجسمية . ونحن نقول ان هذا كله غير لازم » فأفسد هذه الشبهة وذكر كلاما قال بعده : « فقد ظهر لك من هذا أن اثبات الجهة واجب بالشرع وبالعقل ، وأنه هو الذي جاء به الشرع وأنبنى عليه ، وإن ابطال هذه القاعدة ابطال للشرائع »

هذا بعض ما ذكره فيلسوف المغرب وعالمه قاضي القضاة في مصره ، الامام المالكي محمد بن رشد ، وهو متوفى قبل أن يولد ابن تيمية وتلاميذه ، وقبل أن يعرف الوهابيون بأزمان

وقال مؤرخ مصر الكبير المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ في كتاب الخطوط الجزء الرابع ص ١٨١ : « اعلم أن الله لما بعث نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام من

للعرب رسولا الى التلى جيمًا وصف لهم ربهم بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه
 العزيز الذي نزل به على قلبه عليه الصلاة والسلام الروح الأمين وبما أوحى اليه
 وبه تعالى ، فلم يسأله عليه السلام أحد من العرب بأسرهم قرويههم وبدويهم عن معنى
 شيء من ذلك كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك
 مما لله فيه أمر ونهي ، وكما سأله عليه السلام عن أحوال القيامة والجنة والنار ، اذ
 لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة
 عنه عليه السلام في أحكام الحلال والحرام ، وفي الترضيب والترهيب وأحوال
 القيامة والملاحم والفتن ، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجها ومسانيدها
 وجوامعها . ومن أضمن النظر في دواوين الحديث النبوي ووقف على الآثار السلفية
 علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة على اختلاف
 طبقاتهم وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مما وصف الرب
 سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيه محمد عليه الصلوات
 والتحيات بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات ، نعم ولا
 فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل ، وإنما أثبتوا له تعالى صفات
 أزلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسمع والبصر والكلام والحلال والاكرام
 والجلود والانعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلام سوقا واحداً ، وهكذا أثبتوا رضى
 الله عنهم ما أطلقه الله على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك . مع نفي مماثلة
 المخلوقين فأثبتوا رضى الله عنهم بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع
 ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ، ورأوا باجمعهم اجراء الصفات كما ورت
 ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله وعلى اثبات نبوة محمد عليه
 الصلاة والسلام سوى كتاب الله ، ولا عرف أحد منهم شيئاً من الطرق الكلامية ،
 ولا مسائل الفلسفة ، ففضى عصر الصحابة على ذلك ،

ثم قال القريري ص ١٨٨ من هذا الجزء أيضا « وقد كان الناس قبل أنزال الشرائع يسمون الرسل عليهم بالله إنما هو بطريق التنزيه له عن صفات الحدوث وعن التركيب والافتقار، ويصفونه سبحانه بالاعتدال المطلق، وهذا التنزيه هو للشهور عقلا. فلما أنزل الله شريعته على رسوله محمد ﷺ وأكمل دينه كان سبيل العارف بالله أن يجمع في معرفته بالله بين معرفتين: أحدهما للعرفة التي تقتضيها الأدلة العقلية، والآخرى المعرفة التي جاءت بها الأخباريات الإلهية وأن يرد علم ذلك إلى الله تعالى ويؤمن به وبكل ما جاءت به الشريعة على الوجه الذي أرادته الله من غير تأويل بفكره، ولا تحكم فيه برأيه، وذلك أن الشرائع إنما أنزلها الله لعدم استقلال العقول البشرية بأدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه في علم الله وأنه لما ذلك وقد قيدت بما عندها من إطلاق ما هناك ؟ فإن وجهها علما بمراده من الأوضاع الشرعية ومنعها الاطلاع على حكمه في ذلك كان من فضله تعالى فلا يضيف العارف هذه المنة إلى فكره. فإن تنزيهه لربه بفكره يجب أن يكون مطابقا لما أنزله سبحانه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام من الكتاب والسنة وإلا فهو تعالى منزّه عن تنزيه عقول البشر بأفكارها. فإنها مقيدة بأوطارها فتزيهها كذلك مقيد بحسبها وبموجب أحكامها وآثارها إلا إذا ضلت عن الهوى فإنها حينئذ يكشف الله لها الفطاء عن بصائرهما ويهديها إلى الحق فتزده الله عن التنزيهات العرفية بالأفكار العادية، وقد أجمع المسلمون قاطبة على جواز رواية الأحاديث الواردة في الصفات، ونقلها وتبليغها من غير خلاف بينهم في ذلك. ثم أجمع أهل الحق منهم على أن هذه الأحاديث مصروفة عن احتمال مشابهة الخلق لقوله تعالى « ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ^(١) » : فإذا ثبت إجماع المسلمين

(١) وهذا صحيح، فإن الذين يقرون لله هذه الصفات وغيرها يملكون أنها لا تشابه صفات المخلوقين البتة، بل الله بصفاته وذاته ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

على جواز رواية هذه الأحاديث ونقلها مع إجماعهم على أنها مصروفة عن التشبيه لم يبق في تعظيم الله بذكرها إلا نفى التعطيل لكون أعداء الله ممنوا ربهم أسماء نفوا فيها صفاته . فقال رسول الله هذه الأحاديث المشتملة على ذكر صفات الله ونقلها عنه أصحابه البررة ، ثم نقلها عنهم أئمة المسلمين حتى انتهت إلينا ، وكل منهم يرويها بصفته من غير تأويل لشيء منها . مع علمنا أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير . ففهمنا من ذلك أن الله أراد بما نطق به رسوله عليه الصلاة والسلام من هذه الأحاديث ، وتناولها عنه الصحابة وبلغوها لأئمتهم أن يغص بها حلق الكافرين ، وأن يكون ذكرها نكتة في قلب كل ضال معطل مبتدع يقف أثر المبتدعة من أهل الطبائع وعباد العلل . فلذلك وصف الله نفسه الكريمة بها في كتابه ، ووصفه أيضا رسوله بما صح عنه وثبت . فدل على أن المؤمن إذا اعتقد أن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، وأنه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد كان ذكره لهذه الأحاديث تمكين الإثبات وشجاعة في حلق المعطلة ، وقد قال الشافعي رحمه الله « الإثبات أمكن » فله الخطأ ولم يبلغنا عن أحد من الصحابة وتابعيهم أنهم أولوا هذه الأحاديث والذي يمنع من تأويلها اجلال الله من أن تضرب له الامثال ، وأنه إذا نزل القرآن بصفة من صفات الله كقوله « يد الله فوق أيديهم » فإن نفس تلاوة هذا يفهم منه السامع المعنى المراد به ، وكذا قوله « بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء » فإن نفس تلاوة الآية بيان للمعنى المقصود ، وأيضا فإن تأويل هذه الأحاديث يحتاج أن يضرب لله فيها المثل . نحو قولهم في قوله « الرحمن على العرش استوى » الاستواء هو الاستيلاء كقولك استوى الأمير على البلد ، وأنشدوا :

قد استوى بشر على العراق

فلزمهم تشبيه الباري يشتر . وأهل الإثبات نزها جلال الله عن أن يشبهوه

بالأجسام حقيقة ولا مجازاً ، وعلوا مع ذلك أن هذا النطق يشتمل على كلمات متداولة بين الخالق وخلقته ، وتحرجوا أن يقولوا مشتركة لأن الله لا شريك له ، ولذلك لم يتأول السلف شيئاً من أحاديث الصفات مع علمنا قطعاً أنها عندهم مصروفة عما يسبق إلى ظنون الجهال من مشابهتها لصفات المخلوقين ^(١)

« واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الاسلام أن الفرس كانت من سمة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة في أنفسهم بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والسياد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتنعوا بزوال الملك منهم على أيدي العرب ، وكانت العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً ، تعاضلهم الأمر وتضايفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد الاسلام بالحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق . فرأوا أن كيده على الحيلة أنجح ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستألفوا أهل التشيع باظهار محبة أهل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واستبشاع ظلم علي بن أبي طالب ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى . فقوم أدخلوهم إلى القول بأن رجلاً ينتظر يدعى المهدي عنده حقيقة الدين ، إذ لا يجوز أن يؤخذ الدين عن كفار ، إذ نسبوا أصحاب رسول الله إلى الكفر . وقوم خرجوا إلى القول بادعاء النبوة . وقوم سلكوا بهم إلى القول بالحلول وسقوط الشرائع . وآخرون تلاعبوا بهم ، فأوجبوا عليهم خمسين صلاة في كل يوم وليلة . وآخرون قالوا : بل هي سبع عشرة صلاة في كل صلاة خمس عشرة ركعة . وهو قول عبد الله بن عمرو بن الحارث الكندي قبل أن يصير خارجياً صفرياً . وقد أظهر عبد الله بن سبأ اليهودي الاسلام ليؤكد أهله ، فكان هو أصل إثارة الناس على عثمان رضى الله عنه . وأحرق على منهم

(١) وهؤلاء الجهال كالنفاة لأنهم ما نفوا إلا لا اعتقادهم أن هذه الصفات

لا تكون لله إلا كما تكون لخلقته

طوائف أعلنوا إلهيته . ومن هذه الأصول حدثت الاسماعيلية والقرامطة ، والحق الذى لا ريب فيه أن دين الله ظاهر لا باطن فيه ، وجوهر لا سر تحته ، وهو كانه لازم كل أحد لا مسامحة فيه ، ولم يكتم رسول الله عليه السلام من الشريعة ولا كلمة ولا أطلع أخص الناس به - من زوجة أو ولد عم - على شيء من الشريعة كتمه عن الآخر والاسود ورعاة القتم ، ولا كان عنده عليه الصلاة والسلام سر ولا رمز ولا باطن غير مادما الناس كلهم اليه . ولو كنتم شيئا لما بلغ كما أمر . ومن قال هذا فهو كافر باجماع الامة

« وأصل كل بدعة فى الدين البعد عن كلام السلف والانحراف عن الصدر الاول » انتهى كلام المقرئى وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى شرح صحيح البخارى الجزء الثالث عشر ٣١٥ : « وقد نقل أبو اسماعيل المروى فى كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن على بن خلف ، قال كنا عند أبى عبد الله بن الاعرابى فقال له رجل : « الرحمن على العرش استوى » فقال هو على العرش كما أخبر ، قال يا أبا عبد الله إنما معناه استولى . فقال اسكت . لا يقال : استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد . ومن طريق محمد بن أحمد بن النضر الأزدي سمعت ابن الاعرابى يقول أرادنى أحمد بن أبى دواد أن أجد له فى لغة العرب « الرحمن على العرش استوى » بمعنى استولى فقلت : والله ما أصبت هذا . وقال غيره لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش لأنه غالب على جميع المخلوقات . ونقل محمى السنة البغوى فى تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع ، وقال أبو عبيد وغيره بنحوه ، وأخرج أبو القاسم اللالكائى فى كتاب السنة من طريق الحسن البصرى عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول . والاقرار به إيمان والجحود به كفر . ومن طريق ربيعة بن أبى عبد الرحمن أنه سئل : كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير

معقول وعلى الله الرسالة ، وعلى رسوله البلاغ ، وعلىنا التسليم . وأخرج البيهقي بأسناد جيد عن الأوزاعي قال كُنا - والتابعون متوافرون - نقول ان الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي أنه مثل عن قول الله « ثم استوى على العرش » فقال هو كما وصف نفسه . وأخرج البيهقي بأسناد جيد عن عبد الله بن وهب قال : كُنا عند الامام مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله « الرحمن على العرش استوى » كيف استوى ؟ فاطرق مالك فأخذته الرضاء . ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال « كيف » وكيف عنه مرفوع ، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجه . ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أم سلمة لكن قال فيه : والافرار به واجب ، والسؤال عنه بدعة . وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ، ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف . قال أبو داود : وهو قولنا قال البيهقي وعلى هذا مضى أكابرنا وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق الى المغرب على الايمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله في صفة الرب من غير تشبيه ولا تفسير . فمن فسر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عما كان عليه النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفارق الجماعة لأنه وصف الرب بصفة لا شيء^(١) . ومن طريق الوليد بن مسلم سألت الأوزاعي ومالكاً والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة . فقالوا أمرؤها كما جاءت بلا كيف . وأخرج ابن أبي حاتم في مناقب الامام الشافعي عن يونس بن

(١) ومثل الجهمية الشيعة المعطلة الغالية الذين ينكرون صفات الله ويحرفون نصوصها ويصفونه بصفة لا شيء .

عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول : لله أسماء وصفات لا يسم أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فانه يندر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكر . فنثبت هذه الصفات وتنفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال « ليس كمثل شيء » وأسند البيهقي بإسناد صحيح عن أحمد بن أبي الخوارى عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه ، ومن طريق أبي بكر الصبيعي قال مذهب أهل السنة في قوله « الرحمن على العرش استوى » قال بلا سكيف ، والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل . قال الترمذي في الجامع عقب حديث أبي هريرة في النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ، وقال في باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه الروايات فتؤمن بها ولا تتوهم ولا يقال كيف : كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمروها بلا كيف ، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه ، وقال إسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه لو قيل يد كيد ، ومممع كسمع . وقال في تفسير سورة المائدة : قال الأئمة تؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير ، منهم سفيان الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك . وقال ابن عبد البر : أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة ولم يكتفوا شيئاً منها ، وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج ^(١) فقالوا : من أقربها فهو مشبه ، فسامم من أقربها معطلة . وقال امام الحرمين في الرسالة النظامية : اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها والنزوم ذلك في آيات الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب أئمة السلف إلى الانكشاف

عن التأويل واجراء الظواهر على مواردنا وتفويض معانيها إلى الله تعالى . والذي نرتضيه ديناً وتدين الله به عقيدة اتباع سلف الامة للدليل القاطع على أن اجماع الامة حجة ، فلو كان تأويل هذه الظواهر سحماً لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى . وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومن عاصرهم ، وكذا من أخذ عنهم من الائمة ، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة »

هذا بعض ما قاله الحافظ ابن حجر المصنف وما نقله في شرح كتاب التوحيد من صحيح البخارى أصح كتب المسلمين بعد كتاب الله

وقال امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة المتوفى سنة ٢١١ هـ في كتاب التوحيد ص ٦٨ : « باب ذكر استواء خالقنا على عرشه ، فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما أخبر في قوله « الرحمن على العرش استوى » وقال « هو الذي خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش » فنحن نؤمن بنحو الله أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية انه استولى على عرشه لا استوى ، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا حنطة ، مخالفين لأمر الله ، وكذلك الجهمية »

ثم ساق بعد هذا الاحاديث الدالة على العلو والاستواء . فذكر حديث العباس بن عبد المطلب الذي عدد فيه رسول الله أشياء من خلائق الله وكونه والذي في آخره : « والله فوق ذلك » وذكر حديث الاعرابي الذي استسقى برسول الله وقال : انا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك ، فنضب رسول الله

وقال : ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد من جميع خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ، أتدري ما الله ؟ ان الله على عرشه ، وعرشه على سوائه ، وسوائه من أرضه . وذكر حديث أبي هريرة الذي فيه ان رسول الله قال : « وإذا سألكم الله فاسألوه الفردوس ، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تخرج أنهار الجنة » ثم ذكر حديث أبي هريرة الآخر الذي فيه أن الرسول قال : « لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » وساق هنا أحاديث أخرى معلومة . ثم قال : « باب ذكر البيان أن الله عز وجل في السماء كما أخبر في محكم كتابه وعلى لسان رسوله عليه السلام وكما هو مفهوم في فطر المسلمين ، علمائهم وجهالهم ، أحرارهم ومماليكهم ، ذكراهم وإناثهم ، بالغيب وأطفالهم ، كل من دعا الله جل وعلا فأنما يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفله ، وقد ذكرنا استواء ربنا على العرش في الباب قبل ، فاسمعوا الآن ما أتوا عليكم من كتاب ربنا الذي هو مسطور بين الدفتين ، مقروء في الحاريب والكتائب مما مصرح في التنزيل أن الرب عز وعلا في السماء لا كما قالت الجهمية المعطلة إنه في أسفل الارضين . فهو في السماء . قال : « أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض » وقال : « أم أأنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا » . أفليس قد أعلمنا خالق السموات والارض وما بينهما في هاتين الآيتين أنه في السماء . وقال « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » . أفليس العلم محيطا أن الرب فوق من يتكلم بالكلمة الطيبة فتصعد إلى الله كلمته ، لا كما زعمت الجهمية المعطلة . ألم تسمعوا يا طلاب العلم قول الله لعيسى بن مريم : « يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى » . أفليس انما يرفع الشيء من أسفل إلى أعلى ، لا من أعلى إلى أسفل . وقال : « بل رفعه الله إليه » ومحال أن يهبط الانسان من ظهر الارض إلى بطنها أو إلى موضع أخفض منه وأسفل ، فيقال : رفعه الله إليه ، لان الرفة في لغة

العرب الذين بلغتهم خطوبتنا لا تكون الا من أسفل الى أعلى وفوق ألم تسمعوا قول الله
« وهو القاهر فوق عباده » ، أوليس العلم يحيط أن الله فوق جميع عباده من الجن
والانس والملائكة الذين هم سكان السموات جميعاً ، أو لم تسمعوا قوله تعالى « والله
يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون
يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » فأعلمنا في هذه الآية أن ربنا فوق
ملائكته وفوق ما في السموات وما في الأرض من دابة ، وأعلمنا أن ملائكته
يخافون ربهم الذي هو فوقهم ، والمعطلة تزعم أن معبودهم تحت الملائكة . ألم
تسمعوا قوله « يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه » أليس معلوماً في
اللغة السائرة بين العرب التي خطوبتنا بها وبلسانهم نزل الكتاب أن تدبير أمر السماء
الى الأرض انما يدبره المدير ، وهو في السماء لا في الأرض ، كذلك مفهوم عندهم
أن المعارج للمساعد قال تعالى « تعرج الملائكة والروح اليه » وانما يعرج الشيء
من أسفل الى أعلى وفوق ، لامن أعلى الى دون وأسفل . فتفهموا لغة العرب ولا
تغالطوا . وقال : « سبح اسم ربك الأعلى » فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل
شيء وفوق كل شيء ، والله قد وصف نفسه في غير موضع من كتابه وأعلمنا أنه
العلي العظيم أفليس العلي - يا ذوى الحجج - ما يكون عالياً ، لا كما تزعم المعطلة
الجهمية أنه أعلى وأسفل ووسط ومع كل شيء وفي كل موضع من أرض وسماء وفي
أجواف جميع الحيوانات . ولو تدبروا الآيات من كتاب الله لعقلوا أنهم جهال
لا يفهمون ما يقولون وبان لهم جهل أنفسهم وخطأ مقائهم
« ثم اسمعوا يا ذوى الحجج دليلاً آخر من كتاب الله أن الله عز وعلا في
السماء مع الدليل على أن فرعون مع كفره وطقبائه قد أعلمه موسى بذلك ، وكأنه
قد علم أن خالق البشر في السماء ، ألا تسمع قوله تعالى يحكي عن فرعون « يا هامان
ابن لي صرحاً ، لعلی أبلغ الأسباب ، أسباب السموات ، فاطلع الى إله موسى

ففرعون يأمر ببناء صرح فحسب أنه يطلع الى اله موسى ، وفي قوله « واني لأظنه كاذبا » دلالة على أن موسى قد كان أظنه أن ربه أعلى وفوق ، وأحسب أن فرعون إنما قال لقومه « واني لأظنه كاذبا » استدراجا منه لهم أخبرنا الله في قوله « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا » فأخبر تعالى أن هذه الفرقة جحدت - يريد بالسنتهم - لما استيقنتها قلوبهم ، فشبه أن يكون فرعون إنما قال لقومه « واني لأظنه كاذبا » وقلبه أن كليم الله من الصادقين لا من الكاذبين . والله أعلم أ كان فرعون مستيقنا بقلبه - على ما أولت - أم مكذبا بقلبه ظانا أنه غير صادق . وخليل الله ابراهيم عليه السلام عالم في ابتداء النظر الى الكوكب والقمر والشمس أن خالقه عال فوق خلقه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس . ألا تسمع الى قوله « هذا ربي » ولم يطلب معرفة خالقه من أسفل إنما طلبه من أعلى مستيقنا عند نفسه أن ربه في السماء لا في الأرض »

ثم قال بعد هذا الذي سقناه من كتابه المذكور :

« باب : ذكر سنن النبي عليه الصلاة والسلام المثبتة أن الله عز وجل فوق كل شيء ، وأنه في السماء كما أعلمنا في وحيه على لسان رسوله ، إذ لا تكون صنته أبداً المنقولة عنه بنقل العدل عن العدل موصولا اليه الا موافقة لكتاب الله لا مخالفة له »

ثم أورد جملة من الأحاديث الدالة على العلو والاستواء ، فأورد قوله عليه الصلاة والسلام « أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء » وأورد قوله عليه الصلاة والسلام : « الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج اليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم . كيف تركتم عبادي ؟ قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم

يصلون » ثم أورد قوله عليه السلام : « أنا أمين من في السماء » ثم ذكر حديث المعراج بالنبي إلى الله ثم قال : « وفي الأخبار دلالة واضحة أن النبي عليه الصلاة والسلام عرج به من الدنيا إلى السماء السابعة ، وأن الله تعالى فرض عليه الصلوات على ما جاء في الأخبار . فذلك الأخبار كلها دالة على أن الخالق فوق سبع سموات لا على ما زعمت المعتلة . وفي خبر الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء في قصة قبض روح المؤمن وروح الكافر ، قال في قبض روح المؤمن : « فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء لا يتركونها في يده طرفة عين ، فيصعدون بها إلى السماء فلا يمرون بها على جند من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بأحسن أسمائه ، فإذا انتهى بها إلى السماء فتحت لها أبواب السماء ، ثم يشيها من كل مماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة ، ثم يقال اكتبوا كتابه في عليين » ثم أورد الحديث الذي فيه أن قريشاجات الحصين وكانت تعظمه ، فقالت له كلم هذا الرجل لنا فإنه يذكر آلهتنا ويسبها ، فجاءوا معه حتى جلسوا قريبا من باب للنبي عليه السلام ودخل الحصين فلما رآه النبي عليه السلام قال أوسعوا للشيخ - وعمران وأصحابه متوافدون - فقال الحصين : ما الذي ييلفنا عنك أنك تشتم آلهتنا وتذكرها ، وقد كان أبوك جفنة وخيزراً ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : يا حصين كم إله تسبد ؟ قال : سبعة في الأرض وواحداً في السماء قال فإذا أصابك الضر من تدعو ؟ قال الذي في السماء . قال : فإذا هلك المال من تدعو ؟ قال الذي في السماء . قال فيستجيب لك وحده وتشر بهم معه ؟ ثم قال : « باب ذكر الدليل على أن الإقرار بأن الله في السماء من الإيمان » وذكر في هذا الباب حديث الجارية المشهور الذي فيه أن الرسول الكريم قال لجارية جيء بها إليه . أين الله ؟ فقالت في السماء فقال لمولاهما أعتقها فأنها مؤمنة

وقد أورد هذا الحديث من طرق وبعبارات ذات عدد ثم قال « باب ذكر أخبار ثابتة السند رواها علماء المجاز والعراق عن النبي عليه الصلاة والسلام في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا ، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية ، لان نبينا عليه السلام لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا الى سماء الدنيا ، وأعلمنا عليه السلام أنه ينزل ، لم يترك بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من أمر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول ، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية اذ النبي لم يصف لنا كيفية النزول . وفي هذه الاخبار ان الله عز وجل فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا انه ينزل اليه ، اذ محال في لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل الى أعلى ، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى الى أسفل »

ثم ساق الاحاديث المشهورة في نزول الرب كل ليلة الى سماء الدنيا في النصف الآخر أو في الثلث الآخر . وهذه الاحاديث ثابتة عن رسول الله يقينا .

هذا بعض ما ذكره امام الائمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد

وقال الذهبي في مقدمة كتاب « العلو » بعد أن أورد بعض الآيات في علو الله واستوائه على عرشه « فإن أحببت يا عبد الله الانصاف فقف مع نصوص القرآن والسنة . ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات ، وما حكاه من مذاهب السلف . فاما أن تنطق بعلم واما أن تسكت بحلم ، ودع المراء والجدال ، فان المراء في القرآن كفر . كما نطق بذلك الحديث الصحيح ، وسترى أقوال الائمة في ذلك على طبقاتهم بعد سرد الاحاديث النبوية . جمع الله قلوبنا على التقوى

« وإيماننا بما ثبت من نعوتنا كإيماننا بذاته المقدسة عن الأشياء من غير أن نتعمق الماهية فكذلك القول في صفاته فؤمن بها ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة

من غير أن تتعقلها أو تشبها أو نكفها أو تمثلها بصفات خلقه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فلاستواء - كما قال الامام مالك وجهامة غيره - معلوم والكيف مجهول . ومن الأحاديث الواردة في الملو حديث معاوية بن الحكم ، ثم أخذ في ذكر الأحاديث والآثار وأقوال الصحابة والتابعين والأئمة أئمة للفرسرين ، وأئمة المحدثين ، وأئمة الفقهاء ، وأئمة علماء الكلام والصوفية ، وأئمة أهل اللغة ، وغير هؤلاء ، فجاء الكتاب في ٣٤٧ ص كلها دلائل على علو الله واستوائه على عرشه وقال الامام الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ في كتاب « الابانة » في أصول الديانة « ص ٣٣ :

« باب ذكر الاستواء على العرش . ان قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟ قيل له : نقول ان الله مستو على عرشه كما قال : « الرحمن على العرش استوى » . ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم نحو السماء اذا دعوا ، لأن الله مستو على العرش الذى فوق السموات ، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحيطونها اذا دعوا نحو الأرض

« وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : ان قول الله « الرحمن على العرش استوى » انه استولى وملك وقهر وأنه عز وجل في كل مكان . ، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق ، وذهبوا في الاستواء الى القدرة ولو كان هذا كما ذكرنا لكان لا فرق بين العرش والأرض ، فالله قادر عليها وعلى كل ما في العالم . فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الأفراد ، لأنه قادر على الأشياء مستول عليها ، واذا كان قادراً على الأشياء كلها ، ولم يميز عند أحد من المسلمين أن يقول ان الله مستو على الحشوش والأخيلة ، لم يميز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذى هو

عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها

« ويقال لهم : إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره كما يقول ذلك أهل العلم ونقطة الأخبار وحلة الآثار ، وكان الله في كل مكان ، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها ، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه ، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته . وهذا الحال المتناقض . تعالى الله عن اقتراءكم عليه علواً كبيراً » وما يؤكد أن الله مستو على عرشه دون الأشياء كلها ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ (وهنا ذكر حديث النزول المعروف ثم قال) :

« دليل آخر ، قال الله : (يخافون ربهم من فوقهم) ... فكل ذلك يدل على أن الله في السماء مستو على عرشه ، والسماء باجماع الناس ليست الأرض ، فدل على أن الله منفرد بوحديته مستو على عرشه

« دليل آخر ، قال الله : (وجاء ربك والملك صفا صفا) وقال عيسى : (اني متوفيك ورافعك إلى) . وأجمعت الأمة على أن الله رفع عيسى إلى السماء . ومن دعاء أهل الاسلام جميعاً إذا هم رغبوا إلى الله في الأمر النازل بهم يقولون : يا ساكن العرش ، ومن حلفهم جميعاً : لا والذي احتجب بسبع سموات

« دليل آخر ، وقال الله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) وقال (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) وقال : (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) وقال : (وعرضوا على ربك) ، كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه ولا خلقه فيه وأنه مستو على عرشه ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا بذكرهم إياه وحدانية ، إذ كل كلامهم يؤول إلى

التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي ، أتريدون بذلك التنزيه ونفى التشبيه ؟
فنمود بالله من تنزيهه يوجب النفي أو التعطيل

« دليل آخر ، روت العلماء عن النبي ﷺ أنه قال : ان العبد لا نزول قدماء
من بين يدي الله حتى يسأله ، وروت العلماء أن رجلا أتى النبي ﷺ بأمة سوداء
فقال يا رسول الله اني أريد أن أعتقها في كفارة فهل يجوز عتقها ؟ فقال لها النبي
ﷺ : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال فمن أنا ؟ قالت أنت رسول الله ، فقال
النبي ﷺ : أعتقها فانها مؤمنة ، وهذا يدل على أن الله على عرشه فوق السماء »

هذا بعض ما ذكره الامام الأشعري في كتابه « الابانة في أصول الديانة »
وقد ذكر مثل هذا في جميع كتبه المؤلفة في هذه المطالب العليا ، وهذه نماذج من
النقول عن السلف وأئمة الاسلام والفقهاء المشهورين في جميع الأمصار الاسلامية في
جميع العصور . والنقل في هذا المعنى عن السلف والعلماء لا يجمعه كتاب جامع ولا
يحيط به محيط ، والفرض هنا الاشارة الخفيفة والامامة المعلى ، لا الاحاطة الجامعة
الشاملة وقد جمع الحفاظ من ذلك كتباً كباراً كما فعل الحفاظان الذهبي وابن القيم
في كتاب « العلو » وكتاب « اجتماع الجيوش الاسلامية » ، وقد قلنا في هذين
الكتابين الاقرار بملو الله والانكار على من أنكره عن جميع علماء الأمصار المشهورين
بالعلم والامامة والتقى والدين والسنة ، وعن قلاعهم ذلك الأئمة الأربعة وكبار
أئمة الحديث والفقهاء كالبخاري ومسلم ونفرائهما ، وفي كتاب « السنة » تأليف
الامام ابن الامام عبد الله بن أحمد بن حنبل المولود في مطلع القرن الثالث الهجري
تهول كثيرة متواترة عن أساطين السنة والحديث والفقهاء الاسلامي ، تقرر كلها صفة
العلو والاستواء لله رب العالمين بحماسة وصراحة ، وتنادى بملامة المنكرين الجاحدين
لهذه الصفة من الجهمية المبتدعين ، والكتاب موضوع اصالة لهذا الغرض وللإغراض
الأخرى المتصلة به من صفات الله والرد على المنكرين المحرفين

ونحن نقف عند هذا الحد ، ونحيل الراجح في الزيد من هذه المعارف والعلوم
الالهية على كتب السنة كلها ، لا نخص كتابا دون كتاب
أفلا يرى القارىء بعد هذا أنه يسوغ لنا أن نعد قول هذا الشيعي : « ان
ابن تيمية هو أول من زقا بملو الله » انتحارا عليا فظيما ، ولكنه انتحار لا تعبه
راحة المنتحرين ان كان المنتحرين أن يراحوا ١٢ ثم ألا يحس القاريء الاشفاق
على هذا المصنف الشيعي الجريء على ما الخير في الاحجام عنه والتثريب له ١٢
يا ما أضعف رأى من يريد نصرة رأيه ومذهبه واضعاف مخالفه بقول غير
الحق واتتعال غير الصدق ١١ وصدق الله العظيم إذ يقول : « وأما الزيد
فيذهب جفاء »

قصة الخبر اليهودي وغلط الرافضي

ومن الخلط الشنيع ما زعمه هذا الرافضي في قصة الخبر اليهودي الذي جاء
لنبي عليه السلام وقال : انا نحمد أن الله يجعل السماوات على اصبع ، والأرضين على
أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك النبي عليه السلام
عند مقالة الخبر وتلا الآية الكريمة « ما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه » . فقد زعم هذا الرافضي أن
ضحك النبي عليه السلام لم يكن تصديقا لذلك الخبر ، ولكنه كان انكارا وتكذيبا
وذلك ليقوم له انكار هذه الصفات والكفر بها
وهذا الزعم غلط شنيع باطل يردده الحديث نفسه ، وترده الآية الكريمة ،
وترده الأحاديث الاخرى المتواترة في إثبات هذه الصفات لله . أما الآية فانها
تقول : « ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه » فهي إذن تصريح صريح بمعنى هذا الحديث ، واعتراف به .

واقرار له ، وذلك أنها أثبتت أن الأرض بما فيها تقع في قبضة الله يوم الدين ، وأن السموات يوم ذاك تطوى يمينه أيضا . وهذا هو معنى قوله : ان الله يجعل السموات على اصبع والأرض على اصبع وجميع الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، واذ كان معنى الحديث ثابتا في القرآن لم يصح لمسلم انكاره استيعاشا من معناه ، والا لكان الانكار له انكارا لمعنى الآية . فلو قال الشيعى أو غيره ان الفرق بين الآية والحديث أن الحديث فيه اثبات الأصابع لله بخلاف الآية فليس فيها ذكر لذلك ، قيل له ان فى الآية أن الأرض تكون يوم القيامة فى قبضة الله ، وأن السموات تكون ذلك اليوم أيضا مطوية يمينه ، وفى الآية القبض والعلو وفيها اثبات اليمين لله . فاذا لم يكن معنى القبض للأرض والعلو للسموات ومعنى اليمين لله منكرا باطلا لم يمكن أن يكون معنى الأصابع وجعل الخلائق على الأصابع باطلا منكرا ، فان كان هذا وصف كمال كان ذلك وصف كمال أيضا ، وان كان وصف نقص كان الآخر أيضا وصف نقص ، ولا بد ، فهذا كذا والحديث فى معنى الآية والآية فى معنى الحديث ، واذا كان هذا كله صحيحا - وهو صحيح - لم يصح بقينا أن يكون ضحك النبى الكريم تكذيبا لما قاله الخبر ، لأن تلاوته الآية برهان لا يدفع على أنه يريد بذلك تقرير قول اليهودى وتصديقه إذ قد نزل عليه مثله فى كتاب الله وصار بهذا مصدقا لرسالات الأنبياء قبله ، ورسالة نبى الله موسى التى منها مقالة ذلك الخبر اليهودى فى شأن من شئون الله وصفة من صفاته . وجليّ جداً أن تلاوة النبى الكريم للآية الكريمة - بعد أن قال الخبر ما قال - تقرير أى تقرير ، وإثبات أى إثبات !

على أن هذا الحديث مصدق لجملة القرآن للثبوت لله فى غير ما آية صفة البدين والصفات الأخرى . ولا يمكن إقرار نصوص البدين وإنكار نصوص الأصابع الصحيحة الثابتة ، فان المعنى فى الأمرين واحد كما ذكرنا

(٦٣٠)

هذا من جهة القرآن الكريم ، فهو دال على إقرار هذا الحديث لا على إنكاره .
وأما من جهة الحديث نفسه فانه راد على الرافضي صراحة ، راد ما قاله من أن الضحك كان تعبياً وتكدياً صراحة أيضاً ، وذلك أنه قد جاء فيه نصاً أن الضحك كان تصديقاً لمقالة اليهودي كما رواه البخاري كذلك في كتاب التوحيد وكتاب التفسير من صحيحه ، وكذا رواه غير البخاري . نزع الرافضي أن الضحك لم يكن تصديقاً - بعد تصريح الحديث نفسه بأنه كان تصديقاً - زعم مزهود فيه مرغوب عنه

هذا من جهة الحديث نفسه ، وأما من جهات الأحاديث الأخرى فهي أيضاً رادة قول الشيعة أبلغ رد ، ذلك أن معنى هذا الحديث قد جاء من طرق أخرى من كلام النبوة ابتداء ، فروى البخاري في كتاب التفسير وكتاب التوحيد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « ان الله قبض الأرض يوم القيامة ، وتكون السموات يمينه ، ثم يقول : أنا الملك » وروى أبو هريرة عن رسول الله أنه قال : « قبض الله الأرض ويطوي السموات يمينه ، ثم يقول أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ » روى هذين الحديثين البخاري وغيره ، وهذان الحديثان - وهما من كلام النبوة ابتداء - في معنى قول الخبر اليهودي ، فهما يدلان يقيناً على أن ضحك النبي الكريم كان تصديقاً واستحساناً ، لا إنكاراً وإلزاماً كما يزعم الشيعة على أن الأحاديث النبوية الصحيحة في إثبات هذه الصفات لله أحاديث متواترة معلومة لا يمكن المؤمن جعلها ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » رواه مسلم في الصحيح وروى أيضاً أنه عليه السلام قال « المقسطون على منابر من نور على يمين الرحمن » وفي المعنى أحاديث أخرى ذات عدد

فهذا الحديث صحيح ، وضحك النبي ﷺ تصديق وإقرار ، ولا شك . ولا

تدري كيف يمكن أن يكون قول هذا اليهودى باطلا ومنكراً في حق الله - كما يزعم الشيعي - ثم لا ينكره النبي ﷺ بل يقابله بالضحك والهدوء ! ولا شك عندنا أن هذا القول لو كان كما يزعم الشيعي باطلا وتنقصا لله لا ينكره النبي ولا ظهر الانكار والامتناع الشديدين كما كان دأبه المعلوم حينما يسمع في الله أوفى دينه أو في أنبيائه وكتبه ما ليس حقا ولا صدقا . وأقل الناس حماسة لدينه ولربه لا يستطيع أن يقابل القول الباطل الضلال في الله وفي صفاته بالضحك والابتناس ، بل لابد من الانكار والفضب والتصريح بذلك . وأما من زعم أن النبي الكريم يسمع القبيح فيضحك ولا ينكر فقد زعم زعما لا قره ولا نرضاه لنبي الله ﷺ أبداً . وأما تلاوة الآية فليس إنكاراً بل هي إقرار وتصديق كما ذكرنا ، وقوله : « ما قدروا الله حق قدره » معناه أنهم لم يعظموا الله كما يجب للجلالة وعظمته وسلطانه الواسع الذي منه ما في الخبر مما سوف يصنعه تعالى بالخلائق يوم الدين . والمعنى أنهم لم يعبدوه العبادة اللازمة المطلوبة من العبد للرب ، ومن الخلق الضعيف للخالق القوي القاهر . فما زعمه هذا الشيعي في هذا الحديث غير صحيح ولا كرامة . أما ما يذكرون على هذه الصفات من الاعتراضات المعلومة من لزوم الجارحة ، والتجسيم والتشبيه . فجواب هذا كله يؤخذ مما ذكرناه آنفاً في صفة الاستواء والعلو

زعم الرافضي أن قيام الصفات بالله

يعاند صفة القدم

وأما قوله : « ويلزم من اثبات المحبة والرضا والفضب والرحمة بمعانيها الحقيقية - وهي ميل القلب ورقته ، وهيجان النفس وعدم هيجانها - كونه محلاً للحوادث الموجب حدوثه » فقول لم يؤسس على شيء من أجزاء المنطق الصحيح المحترم .

وطك أن هذا القول قائم على أمرين اثنين ، أحدهما أن هذه الصفات حوادث ثانيهما - ان الحوادث لا تقوم بذات الله ، لأن ما قامت به الحوادث حادث ، فتوله هذا قائم على هذين الأمرين ، ولكن يقال له : اذا صح لديك أن يوصف الله بـ « التكوين » كالخلق والايجاد والاحياء والامانة والنعم والضر والاحداث وسائر معاني التكوين ولم يلزم هذه الصفات هذا المعنى الباطل الذي أنكرت فراوأ منه صفات الرحمة والمحبة والغضب والرضا ، فكيف يلزم هذا المعنى هذه الصفات ؟ وما الفرق بين أنواع هذه الصفات ، التي أنكرت والتي سلمت ؟ وهل هذا إلا تحكم محض في الله ودينه ، وفي المقولات لا نصيب له من للنطق والبرهان والدليل ؟ ألا ترى أنه لو كان هذا الاحتجاج المذكور صحيحا لامتنع به وصف الله بصفة من الصفات ولا تمتنع أن يقوم به فعل من الأفعال وأن يحدث شأنا من الشئون ، لأن قيام هذه الأمور بذات الله معناه قيام الحوادث به : ولو قامت به الحوادث لكان حادثا ، لأن الحادث لا يقوم بذات القديم . ولا شك أن من ذهب يحتاج هذا النوع من الاحتجاج صار به احتجاجه - ولا محالة - الى انكار جميع صفات الله وأفعاله ، اللازمة والمتعدية حتى يروح ينظم دينه وعقله وعلمه غزلا ونسييا في امتداح أطلال التعطيل . والتعطيل لم يزل خصم الاله والنبي والايمان ، ولم يزل جرثومة الكفر ومادة الالحاد

فهذا القول قائم على أمرين باطلين فاسدين ، أحدهما تسمية صفات الله حوادث وثانيهما إنكار الصفات على حساب إنكار الحوادث ، وكلا الأمرين إثم وجناية . فان تسمية صفات الله حوادث من الأسماء الباطلة المنكرة ، ومن القول على الله وفي الله من غير ما حجة ولا برهان . ومن أظلم ممن فعل ذلك ! وإنكار صفات الله على حساب إنكار الحوادث إثم وجناية أيضا ، فهما جنايتان قائمة إحداها على الأخرى ومن القبيح أن يسمى الحق بأسماء الباطل كي ينكر على حساب إنكار الباطل ، ومن

الاقبح أن يسمى الباطل بأسماء الحق كي يقبل ويحترم على حساب قبول الحق واحترامه ، وهاتان جريمتان متلازمتان قديمتان لم يزالا عون الباطل وحرب الحق ! أو ليس ما قاله هنا في معنى أن يقال : ان إثبات صفات الرضا والفضب والمحبة والرحمة بمعانيها الحقيقية اللائقة بالله يلزمه قيام الصفات بالله ؟ ان هذا هو معنى ما قاله الشيعي ، ولكن الفرق بينهما هو الفرق ما بين المبارتين ، فاشيعي اختار ألفاظا منكورة مبتدعة وعبارة زرية مردولة ، فكان ملبسا مضللا ، ونحن اخترنا عبارة شرعية دينية معهودة ، فكانت مقبولة مرضية . وما من صفة من صفات الله إلا ويمكن تشويها والتفجير من الايمان بها بالتعبير عنها التعابير المبتدعة الزرية الخفية ، ولكن هذا لا يفعله من يريدون الحق والمداية . فقول هذا الرافضي إذن : ان إثبات هذه الصفات لله يلزمه أن يكون محلا للحوادث معناه في التحقيق : ان إثبات الصفات لله يلزمه قيام الصفات بالله ، فاذا قيل : نعم ، ولماذا لا يجوز أن تقوم بالله صفات ، وهل يمكن غير هذا ؟ لم يكن لهم من جواب سوى تلك الحجج الواهية التي أنكروا بها الاستواء والعلو ، وقد أرينا القاريء الكريم حقيقة ذلك أما تفسيره المحبة بميل القلب ، والرحمة برفقه ، والفضب بهيجان النفس ، والرضا بعدم هيجانها ، فتفسير باطل كاذب ، وذلك ان هذا التفسير ان أمكن أن يصبح في صفات المخلوقين لم يمكن أن يصبح في صفات الله ، وذلك ان صفات الله لا تفسر بصفات خلقه وعباده ولا تقاس عليها كما أن ذاته لا تفسر بصفات خلقه ولا تقاس عليها ، وكما أن شؤونه لا تقاس على شؤون المخلوقين الما جزين الضعفاء . ومن فعل ذلك فقد ضل ضللا بعيدا . وذلك أن الله بصفاته وذاته أعظم وأجل من أن تحيط به العقول المخلوقة المحدودة وأن تتحكم فيه ، ثم أجل وأعلى من أن تفهمه كما تفهم المخلوق الميّن . والشئ لا يفسر بالشئ ولا يقاس عليه إلا اذا كان مثله أو قريبا منه ، أما اذا كان مابنا له كل الباطنة فلن يكون ذلك التفسير وذلك

القياس إلا باطلين كاذبين . ولكن جل الله أن يكون له مثل أو شبه . ونحن نجد معاني هذه الصفات ومعاني غيرها من الصفات مختلفة في المخلوقات اختلاف حقائق وخصائص كما اختلفت المخلوقات أنفسها ، فأني تتفق إذن صفات الله وصفات العباد وكيف تكون صفات من ليس كمثل شيء شبه صفات عباده ؟

وإذا كان معلوماً لدى جميع المؤمنين بالله أن ذات الله لا تشبه ذوات العباد ، فليكن معلوماً أيضاً أن صفاته لا تشبه صفاتهم ، وإذا كانت ذات الله ليست مادة ولا مركبة من أمثال اللحم والعظام والأعصاب وذوات الخلق لا تكون إلا كذلك فكذلك رحمته ومحبته ورضاه وغضبه ليست معانيها ما ذكره الشيعي وإن كانت في المخلوقات لا تكون إلا ما ذكر . وإذا كان علم الله وخلقه وإرادته وكلامه وجميع صفاته المعترف بها ليست كصفات البشر وغيرهم من الخلق فأني تكون هذه الصفات : الرحمة ، والمحبة ، والرضا ، والغضب ، مثل صفات عباده - ميلاً ورقة وهدوءاً وهيجاناً ، كما فسر ذلك الشيعي ؟ !

إن مما يري النطق بالحيرة والعجز أن يجد لهذه الاسئلة جواباً إلا أن يلجأ الى الاعتراف بما قلناه من أنه لا فرق بين ما يقرونه من ذات الله وصفاته ، وما ينكرونه من ذلك

يا هذا ! ان المسألة سهلة ميسورة قريبة ، فأنت تعترف بمخالفة ذات الله لذوات خلقه - وله ذات ولهم ذوات - فكيف تعجز بعد هذا أن تعترف بمخالفة صفاته لغيرها من صفات العباد ؟ ! وإن من المعقول المعروف ان الذوات اذا اختلفت اختلفت الصفات ، وان الذاتين المتباينتين لا يمكن أن تتفق صفاتهما ومعانيهما ، اذ لا شك أن الصفات تابعة للموصوفات ، فأمر يخالف أمر آ في الذات لا بد أن يخالفه في الصفات ، ولا تتفق الصفات حتى تتفق الموصوفات . فيسير اذن على من آ من بأن ذات الله لا تشبه ذوات الخلق أن يؤمن بأن صفاته لا تشبه صفاتهم ،

فهذه من هذه ، والبايان سواء . واذا كان في المسألة سر أو غموض كان في الايمان باختلاف الدوات لا في اختلاف الصفات المختلفة الدوات . ولكنك أنت يا هذا مؤمن بأن الدوات مختلفة ، وان الايمان بذلك الاختلاف سهل ميسور ، فما عليك بعد من غضاضة في أن تؤمن بما ذكرنا من اختلاف الصفات التي ذراتها مختلفة يا هذا ، ان القول باتفاق الصفات مع اختلاف الدوات قول باطل يخالف لمبادئ العلوم المنطقية ، وللمقولات الاولى المشتركة بين العقلاء ، ومن زعم أن صفات ذاتين مختلفتين متماثلة متشابهة فقد نازع المنطق الصحيح والمقول الصحيح ، وقال قولاً تأباه كل العلوم البشرية الصحيحة الثابتة . وما عليك يا هذا الا أن تفهم هذا فهما جيداً بعيداً عن ارث الهوى والعصية والتقليد

ومن المناسب بعد هذا أن نذكر كلمة جاءت في كتاب « نهج البلاغة » الشيعي نورد على هذا الشيعي ما زعم هنا في تفسير هذه الصفات فنقول جاء في احدى الخطب المنسوبة الى الامام علي في وصف الله وتفسير صفاته قوله : « يريد ولا يضم ، ويحب ويرضى من غير رقة ، ويغض ويغضب من غير مشقة » هذا صريح من علي في ابطال ما زعمه الشيعي في تفسير هذه الصفات ، فهل هم سامعون ؟

لا يلزم الاستواء معرفة الكنه

واما قوله : « والقول بالاستواء يلزمه أحد أمرين التجسيم أو القول بالمحال وكلاهما محال ، لأن حصول حقيقة الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل ، ومع الكيف تجسيم ، فلا بد من التأويل » فقول باطل أيضا غاية البطلان . أما أن الاستواء لا يلزمه التجسيم فقد سبق بيانه في فصل « شبه النافين لمع الله » ، وأما أن ذلك أيضا لا يلزمه المحال فقد سبق بيانه أيضا في الفصل المذكور . وأما قوله : « أن حصول الاستواء مع عدم الكيف محال بحكم العقل » فيقال له : ما تقول في ذات الله

وفي وجوده وحقيقته ؟ ألسنت تتر بأن الله ذاتا وحقيقة ووجودا ؟ ان الجواب لا بد أن يكون « نعم » ، ثم نستأنف السؤال ونقول ما نقول في الذات والوجود والحقيقة ؟ أتقول ان هذه الامور حاصلة بكيف أم بنير كيف ؟ فان قلت انها حاصلة بكيف قلنا هذا تجسيم وهو باطل كما ذكرت ، وان قلت بنير كيف قلنا هذا محال كما ذكرت في الاستواء وانكاره ، وما كان جوابا عن هذا كان جوابا عن الاستواء والعلو ولا فرق . وهذا الإلزام لما ذكره على الاستواء والعلو أعير عقول العقلاء كافة ، وذهب بيان ملوك البيان جميعا ، ثم جهد على أن يجحد مخرجا منه لما استطاع ، ولما كان منتهاه الاحيث كان مبتداه .

هذا ما يقال من جهة الإلزام ، وأما من جهة البحث الخالص فنقول : لا ندري كيف لا يمكن الايمان بالشئ . الا مع علم كينه وكنهه ، ولا ندري كيف يصح هذا القول أو كيف يطعم في صحته !! ألسنا نؤمن بأرواحنا ايمانا لا شك فيه ، ولكننا نجهل كيف هي وكيف حصولها في أبداننا . ولو زعمنا أننا نفلم كيف أرواحنا وكيف حلولها في أجسامنا ، وكيف خروجها منها ، لزعمنا ما لا يصح زعمه . بل أليس كل انسان . . يعلم أن له ادراكا وشعورا ، واحساسا ، وعلماء ، وسمعا ، وبصرا وغير ذلك من أعراض الحى النامي ؟ ولكن انسانا منا لا يدري كيف يحصل له ذلك ، ومن عرف أسباب هذه المعانى القوية ولا شك . . أسبابها البعيدة وجعل أسباب الاسباب ، وجعل كيف تحصل هذه الاسباب ، وكيف تكون هذه القوة المودعة في هذه الاعضاء ، أغنى القوة التى تحصل بها هذه المعانى والمشاعر ... ولكننا مع جهلنا هذا كله لا نشك في وجود شئ منه .

بل نستطيع أن نقول ان كل موجود . . مهما كان وجوده . . لا نفلم كيف هو ، ولا كيف يكون ، ولا كيف يتطور ، ولا كيف يصرعه الزوال والاضمحلال ، مع قربنا منه ، ومشاهدتنا إياه الليل والنهار . هذه الكهرباء اقرب شئ .

الينا وأملق شيء بنا ، نشاهد آثارها وأعمالها وخصائصها ، ونستظلمها ونستمد منها ما نستمد ، ومع هذا كله لا يعرف كيف هي ولا كلف كنهها وحقيقتها
 إذن من الخلل العظيم الزعم أن الايمان بالشئ مقارن لمعرفة كنهه وكيف هو
 وإذن من الخلل العظيم قول الشيعة في هذا الفصل الذى نقلناه : « والجحود للصفة والاقرار بها حكم عليها ، والحكم على الشئ فرع معرفته ، والأمر الذى يكون فوق العقل لا يمكن للعقل الاذعان به » ، وإذن فالحكم على الله بالوجود فرع معرفته والله لا يمكن أن يعرف المعرفة التى يعينها الشيعة ، وإذا لا يمكن الحكم بوجوده ، ولا الاذعان به ، لأنه فوق العقول ، وفوق إدراكها وأفهامها ، فمن آمن بالله فقد زعم أنه فى متناول عقله وأنه ليس فوق إدراكه ، ومن زعم أن الله ليس فوق عقله وأن فى قوة إدراكه أن يفهم ذاته وحقيقتها فقد كذب وضل الضلال الأبعد ، فكيف يخلص هذا الرجل للؤلؤ من عاقبة أفواهه ؟

يعز على الله أن أعرف بأى قلم يكتب هذا الرافضى وبأى عقل يفكر ، ويعز على أن أعرف كيف يرضى لنفسه أن تقساقط فى هذه الدركات ، وأن ينتحر هذا الانتحار العلمى الشنيع طائفا مختاراً ، ويعز على والله أن ينغمس فى هذا النقصان العلمى العتلى قلم من يشهد ألا اله الا الله وأن محمداً رسول الله . يعز على كل هذا ، ثم يعز على أن يقوم صاحب هذه المزاعم يعز على أن يحب عقلية اسلامية فى جميع القرون الاسلامية الوسطى ، ويسمها بالجهالة والغبارة ، كما سوف يجىء ، يعز على والله كل هذا ، ثم يعز على أن يتدحرج فى هذا النقص رجال يؤمنون بالله ويرسلوه رسول الحكمة والعقل والصواب ، هذا يعز على ، ثم يعز على أن يكذب قول الامام مالك المشهور : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة » بأمثال هذه الأوهام الخزية . وهذه الرواية عن الامام مالك التى زعم أنها كذب رواية صحيحة المعنى والاسناد ، وقد جاءت عن مالك وعن غيره بأسانيد صحاح قال

الحافظ الذهبي في كتاب العلو ان الرواية ثابتة عن مالك صحيحة ، وقال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري : ان سند الرواية قوى ، وقال أيضا قد أخرجها الامام أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة بالاسناد الى أم سلمة زوج النبي ، قال : ورواها أيضا اللالكائي بالاسناد عن الامام ربيعة شيخ مالك ، وذكروا عن ربيعة الحافظ الذهبي في كتاب العلو بالاسناد ، ورواها غير هؤلاء . وقد تواتر معنى هذه الرواية عن السلف والائمة ، فقد كان السلف قاطبة يؤمنون بذلك ويرفعون عنه الكيف ، ويشترطون على من أنكره أو سأل عن الكيف . وأى مسلم يأبى الايمان بذلك أو يظن أنه يستطيع أن يعرف كيف هو ، أو كيف ذات الله أو كيف صفاته ، أو يأبى الايمان بهذه الأمور حتى يعلم الكنه والكيف ؟ أو ليس كل مؤمن يقول : ان الايمان بالله واجب ومعلوم ، وأن الكيف مجهول ، وأن السؤال عنه - أى عن الكيف - بدعة ؟ وأي عارف بالله يسأل سؤال مالك فلا يجاب جوابه ؟ الله موجود ، فكيف وجوده ؟ ألا يكون الجواب الذى لا بد منه أن الوجود معلوم ، وأن الله موجود معروف بدلائل مخلوقاته ، وآثاره الظاهرة والباطنة ، وأن الكيف مجهول ، والسؤال عنه - عن الكيف - بدعة ؟ ان هذا جواب لا يختلف العلماء أهل البصر فيه اذا سئلوا السؤال المذكور ، وهذا السؤال وهذا الجواب كالسؤال والجواب المذكورين في الحكاية الروية عن الامام مالك التى لم يتسع لها صدر هذا الرافضى ولا حله فأكذبها

« الرحمن على العرش استوى »

كيف استوى ؟

ان الاستواء معلوم بالفطرة وبالعقل وبالإجماع وبالتصوص المتواترة عن السلف ، وأن الكيف مجهول ، إذ كيف يعلم المخلوق - المحدود ذهنًا وعقلًا وجسمًا

وبداية ونهاية وكل شيء - الله أو صفاته أو صفة من صفاته ؟ وكيف يعلم هذا المخلوق الخفير الزرى كنه الله وكنه استوائه ؛ وهو عاجز عن أن يعلم كنه نفسه وكنه روحه وكنه ما يحيط بجهاه ؟ ان هذا ما لا يكون ، وان السؤال عن الكيف بدعة ، لأنه لم يؤثر في الاسلام ، ولأن علمه فوق الطاقة ، ولأنه يوقع في الأثم والضلالة ، ولأنه قول على الله وفي الله بلا علم ولا حراية . هذا جواب لا يختلف المؤمنون بالله فيه اذا سئلوا ذلك السؤال الذى سئله الامام مالك . فاذا ينكر الشيعى ، وبماذا يكذب بهذا الصدق عن أئمة الصدق ؟ ان هذه الرواية صحيحة الاسناد ، صحيحة المعنى بلا شك ولا ريب

أما ما ذكره عن الامام مالك من استقبال القبر الشريف والتوسل بصاحبه عليه الصلاة والسلام فندع الكلام فيه للباب الخاص به الآتى

ابن تيمية

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا لدى الفضل حتى عد ألف بواحد ان التفاوت المقدور بين افراد النوع الانسانى تفاوت لم يقدر بين أفراد نوع آخر من أنواع هذه الخليقة الغريبة المظيمة ، فالتفاوت الكائن بين أفراد فصائل هذه المخلوقات هو تفاوت محدود ضئيل بقدر محدود ضئيل أيضا ، قريب النسبة والشبه ، قريب « الكم » و « الكيف » تفاوت لا يجل حتى يسود فصيلة فرد منها ويزن العدد الكثير فضلا واستحقاقا وجدارة . أما التفاوت بين أفراد نوع الانسان فهو تفاوت عظيم لا يقف عند حد ، ولا تحيط به غاية من الغايات ، ولا يخضع لقانون من قوانين الطبيعة المحدودة الضئيلة العاجزة . فأكثر أفراد الانسان كهؤلاء الذين نراهم يلجئون هذه الدنيا من بابها الخشبي ثم تخذف بهم وراء سورها الفولاذي ، لم يختلفوا وراءهم فيها من آثار سوى « عملية » الولادة

وعنائها ، ثم عملية الاكل والشرب وبلائها ، ثم « عملية » الموت والتكفين والدفن وأرذائها ، ثم ما بين ذلك وما بعده من ذكرى خائفة رياحا أرواح فضائل الانسان الكامل

ثم من الانسان أفراد - وما أقلهم - ليسوا كهؤلاء الذين نراهم صباح مساء الا بقدر ما كسبهم يد الله من الثوب الظاهر المساوي لأثواب هؤلاء الجاهير الظاهرة لكي يستطيعوا الاتصال بهم ، ولكي يأمنوا بمرآهم اذا أوحش ما بينهم وبينهم سمو السماء على الارض ومفارقة الرذيلة للفضيلة واستيحاش معنى الشيطان من معنى النبي

وقد جلّ هذا التفاوت بين أفراد هذا النوع ، حتى ان الفرد منه ليسمو به . معناه حتى يصبح أهلاً لأن يتصل بالله ، وأن يقربه منه نجياً ، ويحمّله رسالته وشرائعه وأسراره ، حتى يفترض على جميع أفرادهم أن يخضعوا معانيهم وعقائدهم ونفوسهم لمعنى هذا الفرد وعقيدته ونفسه وما جاء به من الآداب والشرائع ... وتنزل بأفراد آخرين معانيهم ونفوسهم حتى لا يقدروا على الاقتلات من معنى من معاني الحيوان الأعجم البهيم ، بل حتى يروحوا يعلمون الحيوان فنوناً من أفاين الحيوانية « الانسانية » المبكرة فيصبحون أساندة لهذا المخلوق الأعجم البهيم . وهذا شأن جواهر هذا الانسان المغرور . وليس ما بين هذا النجم المالىء للدنيا نوراً وحيوراً ، حياة وجمالاً ، هذا النجم الذى نسميه « بالشمس » وبين أضال نجم لا تتبادر الى الحادة تراه يمس مطلا من خلال الظلم الخالكة بصيص الأمل المريض فى الجبهة المحدودة المريضة من تفاوت بأعظم مما بين أفراد نوع الانسان العجيب من التفاوت المنقطع النسبة ، وليست حاجة ما فى هذه الأرض من حيوان ونبات الى هذه الشمس والى نورها وحرارتها وسائر معانيها وخصائصها بأشد من حاجة متانى هؤلاء الأفراد والجاهير ، وحاجة أرواحهم ، بل وبقائهم فى هذه الدنيا الى

هؤلاء الأفراد الممتازين منهم ، والى نبوغهم بينهم الحين بعد الحين حتى لا تقطع آثارهم وتعاليمهم ومعانيهم وما جاؤا به من المعاني والآداب السماوية التي لولا وجود هذا القدر الضئيل منها بين قوائم هذه الجماهير ومخازينهم المطبوعة لأصبحت الأرض غيرها اليوم ، ولكن الانسان شيئاً آخر غيره اليوم ، فان كل ما تشهده الأحيان الفارطة العجلى من المعنى الصالح الجليل ، والفعل الطاهر المقدس الغريب لا مما على مسرح هذا الكون الآثم الفاسق الدنس إنما مرّده الى هؤلاء الأفراد للممتازين ، من بقايا ما خلفوه من الآثار والمعاني الممتازة ، ولولا هذا لأصبحت الأرض بأهلها جميعاً لا يطاق ، وأتون رجس لا يطهر أبداً ، ولهذا فان الجانب الذي ينقص حفظه من هؤلاء الممتازين ومن آثارهم وهداياتهم ومعانيهم الموروثة ينقص حظ أهله من ذلك بقدره من الطهارة والسمو الروحي النفسى ، ويزداد بقدر ما نقص من الشقاء والآثام والنزول الروحي والرجاسة النفسية ، وكل ما لهذا المعنى من آثار وممان قيحة مجرمة تعانينا اليوم أمم وصفت بالمدنية وبالزعامة العالمية الثقافية المخدولة ، ومن أبصر علم

وهناك فريق آخر دون هذا الفريق الذى نسميه ممتاز الممتاز ليسوا بالأنبياء ولا بالمرسلين ، ولا بالمتصلين برب العالمين ، ولكن الله القدير سريد قد أعدهم لحل ما يخلفه الأنبياء والمرسلون من المعارف والآثار والعلوم ، فاختصهم بقسم من السموات الروحي والعظمة النفسية ، تسمى الأمم تلو الأمم ، ثم تذهب تباعاً ، ولم يقدر لها كلها معرفة ما خصهم الله به من هذا القسم ، ولا معرفة ما كانت عليه نفوسهم التي عاشوا بها بين الجماهير من السموات والعظم والفضل الذى لا يه قدره إلا واحده وواهب كل فضل وخير ونعمة بافغة سائفة

ومن الغريب فى هذا القسم الممتاز أنه كلما أمعن ذهاباً فى عالم الخفاء وضح أمره وفضله ، وان من تخلفوا عنه زماناً ومكاناً يعرفون من حسن آثاره وأياديه

البيضاء على الجميع ما لم يعرفه المعاصرون له ، الذين كانوا يرونه صباح مساء ، وهذا لأن صيون المعاصرة عمياء ، ولأن هوى المعاصرة شيطان قوى ، لا شغل له إلا مسازلة الحسنات والقضاء على أصحابها بسلاح الشيطان نفسه ، لا بسلاح المحاصمة المحترمة المنصفة ، فما أحسن أثرهم هم في الناس ، وأقبح أثر الناس فيهم !
وقد كان من ألمع هؤلاء الممتازين الذين أعدتهم إرادة الله لحل رسالة الإصلاح الثقيلة ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني ثم الدمشقي ، النابتة المشهور المولود سنة ٦٦١ هـ ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ

أقتر نعر السماء عن نجم هذا النابتة ، وأضاء كوكبه الوقاد في أفق العالم العربي الاسلامي بمد أن نكسب الاسلام والمسلمون والعرب على وجه الخصوص بأعظم النكبات المادية والمعنوية الروحية ، الخاصة والعامة ، وبعد أن اصطاحت عليهم وعليه جميع الأرزاء الجسام التي طاحت بأفضل المعاني الروحية الخلقية الاعتقادية ، التي نشر العرب والمسلمون بها رسالة الله ، واستطاعوا بها وحدها أن يقصوا أجنحة أعظم ظلم كان يسود الأرض إذ ذاك ، وقلعوا أيضا بها وحدها أظفار أطنى الأمم الطاغية ، العريقة في نسب الطغيان ، ونسب القوة المادية الآئمة . فقد أصيب الاسلام وأمه قبل تلاقؤ هذا النجم الثاقب في الأفق العربي الاسلامي المحمدي بأشتات للمصيبات التي صرعت أعز ما كان يفتخر به المسلم ، وأعظم ما كان يقل به الحديد ، ويشقت نظام الجوع الظالم الباغية ، ويفلق به هامات الباطل ، وينذل به كل عزيز بغير الحق وبغير الله الحق ، فقد أصيب الاسلام بدسائس الشيعة الباطنية الملحدة ، وبثوراتهم الظهيرة والمضرة ، وبما نسجوه من حيل ومكايد سلطوها على جوهر الاسلام وصميم التوحيد ، وعلى مكان الايمان والعقيدة والفضل من النفوس المسلمة فقتلت من قتلت ، وجرحت من جرحت . ثم أصيب بالقرامطة ، أحد فروع الشيعة الغالية الباغية ، وبالتار وبالصليبيين ، وبخير هؤلاء من الأرزاء الآخذ بعضها

يرقاب بعض ، سلسلة طويلة الحلقات ، متماسكة النظام ، يجرأ ولها آخرها ، مندفة كلها بحماسة وحرارة نادرتين إلى معنى القرآن ومعاني أهله اللابقاع به وبهم إيقاعا يظل التاريخ يتحدث عنه ما دام للتاريخ حديث ، وما دام له محدثون . فتم لها حقاً أعظم ما أرادت وما اشتتهت . فنالت من الاسلام ومن المسلمين أعظم مثال ، ومثلت به وبهم أقبح تمثيل ، ولا يزال ينن كما لا يزالون يثنون من تلك الجراحات والضربات القوية ، ولا يزال مقيداً كما لا يزالون مقيدون بتلك الأصقاع التي كبل بها وكبلوا ، والله المستعان على تحطيم ذلك كله

أفسدت هذه الفتن معنى الاسلام ومعنى المسلم ، حتى صار الاسلام غير الاسلام وصار المسلمون غير المسلمين ؛ استبدلوا الشرك بالتوحيد ، وعبادة الأموات بعبادة الله ، وهذيان اليونان ، وهذيان فلان وفلان بالقرآن ، ووعونات ان سيناء وأخلاق مزدك وخازر وقرمط بسنة محمد ﷺ ، واستبدلوا ما تآثر عليهم من عقائد اليهود الباطلة ، وفضلات الجوس والفرس ودسائسهم العقلية والدينية بسنة المسلمين وطريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، فوضعوا على كل شيء في الاسلام جميل مشرق الصورة والمعنى نطقاً كثيفاً من القبح والسخف المقوت والحلقات المردولة ، فانطلقت تلك الشعل الالهية المقدسة الأخاذة بالأبصار والبصائر ، وانطمس ذلك الدين الأغر البهيج تحت تلك الاطلال والافتقاص الخلفة من بقايا تلك الأديان البالية المحرفة ، فاستعجمت الأنفس والعقول ، واستعجمت الألسنة والمعادن ، واستعجمت الحكومات والسياسات والادارات وكل شيء كان اسلامياً عربياً مبيناً ، فاختفى وجه الحق وبعد مثاله على طالبيه ، فاستشعر المسلمون القلة والضعف ، ورضوا بالدون والمون والقسمة الخامسة الضيزى ، وخفقت الرؤوس والنفوس ، وكان ما كان بنتائج وغاياته الالهية الطبيعية اللازمة . وكان إحدى هذه النتائج والغايات أن ذاب المسلمون أمام سيل التتار والصليبيين ، فنالوا

منهم ومن الاسلام ما نالوا ، وضربوه وضربوه ضربات هذه بقايا جراحاتها
وآثارها مشهودة منظورة في العالم الاسلامي المنكوب ، والله لا يغير ما يقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم ، ولا يظلم ربك أحدا

هذه بعض حالة الاسلام والمسلمين الاجالية حينما تلا هذا الكوكب الوهاج
بين هذه الحنادس الخالكة التي أعدت لتبديدها هذه النفس التي نظر الله اليها
نظرة واحدة أعدها لحل هذه الرسالة العليا ، ولاحياء رسالة خاتم الانبياء عليهم
الصلاة والسلام . ان الحل لتقيل باهظ منقض كاهل العزم الجبار العنيد ، ولكن
حرارة الايمان تستطيع أن تصبر وتذيب كل شيء يقف في سبيل الخير والهدى
والرشاد . فاذا إذن يفعل ؟

نظر فبين حوله وما حوله . فوجد كل شيء فاسداً يحتاج الى اصلاح
والعلاج والثورة الحازمة ، ووجد أن هذا الإصلاح المطلوب لا يمكن أن يكون إلا
بمعاذاة أكثر هؤلاء الجماهير الضالة عن سبيل الله ، ووجد أن هذه المعاذاة لا بد لها
من الأخطار ، ولا بد لها من الاستهانة بالأخطار . فالنفس والجسم رخيصان في
سبيل أداء رسالة الله وإصلاح خلقه ، والنفس والجسم ملك لله . فهو واهبها
وآخذها متى شاء رغم كل شيء فلا يرج في الضن بهما ، والنفس والجسم ان لم يضح
بهما في سبيل الله وبياعاً لله ولدينه ضحى بهما وبيعا في سبيل الشهوات . أو وضحت
بهما الأمراض والنكبات ، وان لم يذبهما الجهاد في سبيل الحق والإصلاح للخلق
أذا بهما الأكل والشرب ، وإن لم يصرعا في ميدان الحق صرعا في ميدان الباطل
فما أضل اذن وأغبي من ييخل بنفسه وجسمه على الله وعلى الحق وهداية الخلق
ثم يسخر بهما - مغتبطاً بصفقته - على هذه الشهوات الحيوانية التي يشارك الانسان
فيها جميع الحيوانات والدواب ! إن هذا لشر الضلال وأخسر الصفقات
أترى هؤلاء - الذين يعيشون ليعيشوا ، ويأكلون لياكلوا ، ويشربون ليشربوا

ويحيون ليحيوا - راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يرضون بالهزيمة الروحية والانتحار النفسي والعيش في كنف الدل والباطل والموان خيفة أن يعرضوا شهواتهم ولذاتهم وآ كالم وأشرتهم وحاجات أجسامهم الأخرى للنقصان والضياع راشدين مهتدين ؟ أو ترى هؤلاء الذين يطلبون الحياة والمز بداراة الموت والدل راشدين في سجل الوسائل والغايات ؟ أو ترى هذه النفس الانسانية خليفة بأن تكون خادمة لهذه الدنيا ، بل لحاجات هذا الجسم الضئيل المادي ؟ وما حاجاه سوى الاكل والشراب المستحيلين بعد الى ما يؤفف من ذكره واسمه ! أترى أحداً من هؤلاء الناس عاقلاً أو سالكا سبيل العاقلين ؟ بل أترى الانسان الذى زعم لنفسه أنه صفوة المخلوقات خلق هذا الخلق البديع وخص به هذا العقل العجيب . ثم لا تكون الغاية منه سوى غاية أكثر هؤلاء الجماهير من هذا الانسان المغبون ، حياة البهائم : أكل وشرب ، وما يقبم الاكل والشرب ، ثم موت كوت البهائم ؟

نرا كضت هذه الأسئلة عجبلى على خاطر هذا النابغة الشفاف المشرق فكان جوابه عليها كلها بلا توقف ولا تريث : كلا والله ، ان الأمر لغير ذلك وان حياة الانسان لأعلى وأعلى من أن تباع لشهوات هذه الدنيا التى هي مر مختصر الى منزل الانسان الاول والآخر . فلا بد من اجتياز هذا المر بغاية ما يستطاع من النشاط والحزم والعزم والسرعة والحركة : هذا ما لا بد منه وليكن بعد ذلك ما يكون . فالعاقبة معروفة مضمونة على كل حال . إذن فليهاجم الباطل من كل نواحيه ، ولتلك قلاع حصونه فوق من لاذوا بها ومن ناموا تحت ظلها البارد العيش . هؤلاء العلماء قد قعدوا عن نصرة الحق وعن مقاتله رغبة فى الدنيا . فركبهم رجال الدنيا الظالمون مطايا الى شهواتهم وآربهم الدنيا ولبئس ما كانوا يضلون ! بل وأكثرهم جهلوا الحق وضلوه فأضلوا كثيرا

وهؤلاء جماهير العامة نهب مقسم بين ضلالات العلماء وظلمات الرؤساء ،
فليهاجم هؤلاء كلهم على منهاج الشرع المضاع ومنهاج العدل المنقوس
نهد هذا النابغة لكل فرقة من هذه الفرق يدعوها الى الحق بعد أن يعرضه
عليها عرضاً جلياً واضحاً مؤيداً بالكتاب والسنة والمقولات الخالدة المشتركة .
فوضع كتباً خالدة في جميع الفرق المنحرفة عن الحق ، وفي نقد ما عندها من ضلال
وباطل وعدول عن منهاج الحكمة والصواب . وكان قد اجتمع له من أسباب المقدرة
على نقد الباطل وكشف خباياه ما قد يقل أن يجتمع لسواه . وهذا من أسرار حكم
الله الطيفة الخفية ، لأن العصر الذي كان فيه ، والميدان الذي وقف على شطبيه
وضغافيه كانا يحتاجان الى ذلك ، وقد اعترف له بجميع هذا أجهد جاحدى فضله
ومنكرى شمه . فهاجم الفلاسفة الملحدون ، وهاجم المتكلمين المخطئين ، وهاجم
الشبهيين والمطلين ، وهاجم سائر المبتدعين ، وهاجم القبوريين ، أو القبريين على
قول التنطيين ، وهاجم غير هؤلاء من أصناف المبتدعة الضالين . وقد هاجم
الرافضة والفرق المتفرعة عنهم كالترامطة بجملة وشدة ، وذلك لكثرة مصائب
هؤلاء وعظم ما نكب الاسلام والمسلمون بهم . فالرجل نفاذ البصيرة ، حادّ الذهن ،
لا يقول في طائفة قولا ، ولا يضعها وضعا ، الا ويكاد لا يخطئ مرماه ، وقد كان
صريحاً جداً ، شجاعاً جداً ، وكان شجاعاً في صراحته ، صريحاً في شجاعته ، فكان
لا يتهيب أن ينقد الرجل الكبير الشهير ، ذا الاتباع والأنصار الكثيرين ، بل
ولا يورّى أو يصانع اذا قد أحد هؤلاء ، فنجدته ينقد مثل الفزالي وابن رشد
والرازي من المتكلمين المتفلسفين بصراحة وجراءة ، ويسميهم في نقده ويمدد
عليهم الأغلاط التي صاروا اليها ، ونجدته ينقد مثل ابن عربي وابن الفارض ،
والحلاج وغيرهم من المتصوفين الاتحاديين بصراحة وجراءة ويسميهم بأسمائهم
ولا يهاب أن يقول للجانب الأسود فيهم انه جانب أسود ؛ أو أن يقول للابيض

انه أبيض وان زعموه جميعا أسود ، فيعده عليهم أغلاطهم وما قاله العلماء فيهم من المقادح والتهم الكبيرة ، ولكن على شرط أن تكون صحيحة ، ونجده ينقد الأشاعرة وغيرهم من الطوائف المشهورة بصراحة وجراءة ، ويعده ما لديهم من الأغلاط والأخلاق ، وينقد كبار الفقهاء والمفسرين والمؤرخين اذا انحرفوا عن الصواب بالصراحة المهددة

كان شجاعا صريحا كما ذكرنا ، فكان لا يهاب أن ينقد هؤلاء الرجال وسوام اذا خرجوا عن جادة السلف الصالح والزعل الأول تقدأ لا مصانة فيه ولا ظلم ولا عدوان ، بل يعترف للمخطئ بمحامده وفضائله ، وما كان غضبه على الرجل ورده عليه ما عنده من الأخطاء ليمنه من أن يعترف له بالفضل الثابت ، فكان غضوبا للحق صريحا في غضبه ، ولكنه كان عادلا في ذلك منصفاً ، وكان كل ما يريده من هؤلاء الذين يتقدم ويعرض للرد عليهم ومهاجمتهم هو أن يأخذوا أخذ السلف الأول من الصحابة والتابعين للمتهدين ، والائمة الراشدين كالائمة الاربعة وشيوخ الاحاديث وال اخبار ، ولهذا كان معظما للسلف كل التعظيم ، مشيداً بفضائلهم ومناقبهم كل الاشادة ، غضوبا لهم أشد الغضب ، شديداً على من عابهم وسبهم أعظم الشدة ، ومن هنا كان شديداً على الرافضة والشيعة الغالية السبابة العيابة ، ولهذا السبب نفسه كان مغضوبا عليه مكروها أشد الكراهية لدى هذه الطائفة . وقد وضع في الدفاع عن الصحابة والسلف ، وفي نقد خصومهم والمعتدين عليهم من الشيعة كتابا خالدا عظيم القدر جليل المباحث ، وهذا الكتاب هو المعروف « بمنهاج السنة » فهو بحق يمد مدره السلف الفصيح ، ولسانهم الناطق ، وصوتهم الذائع الندي ، وحجتهم الظاهرة ، وآيتهم القاهرة الباهرة ، وكتابهم المنشور الخالد ، وهو المذيع لعلومهم ، الناشر لها

كانت هذه المباحث الجليلة العليا قبل أن يكتب عنها هذا النافذة ، وقبل أن

يمسها بقله الالهى البليغ مفرقة الدلائل ، مشتتة البراهين ، فاقرة جامدة ، وكانت مطبوسة مضورة تحت طبقات هائلة كثيفة من أبخرة الضلال وقساطل الباطل الخيف ، وكان طالبا القليل النادر يمز عليه أن يظفر بها وأن يراها كما ذكرنا ، وكان اذا وجدها وجدها بشكل ضعيف لا يدعو الى الاطمئنان التام والرضا الشافى ، وكان لقلة النصير والموافق هيويا مستخفيا ، كثير التردد والاحجام والوقوف ، وكان يعانى غير ذلك ، فلما أن قام هذا النابغة المائل فسها بقله البليغ وحضا بيبانه الباهر وحججه الظاهرة القاهرة ، ووقف بها وقفة طويلة وقصيرة ، وأخيرا لما أن كتب فيها وقال بصوته الرنان المقيم المقعد : أيها الضالون ، أيها المترددون ، ألا ، ألا ، ها هو الحق ، ها هى الحقيقة ، ها هو مراد الله ودينه وشرعه . أجا به كل شيء . ما سوى الهوى والحسد . : أن قد صدقت وهديت وورثت ، الى اليوم لا يزال هذا هو جواب كل شيء ما سوى الهوى والحسد ، قاتل الله الهوى والحسد ، وقاتل من طاف بكعبتهما وأمّ قبلتهما

من الذي جعل عبادة القبور والاتقطاع الى الاموات علما مدروسا مجموع الاطراف والبراهين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي جعل الكلام فى صفات الله وأسمائه علما مدروسا محبوبا الأطراف مجموع الحجج قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى هتك الأستار وكشف الأسرار عن أولئك الانحاديين الملحددين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى رد جيوش الرافضة أعداء السلف وخصوم الصحابة وشناة ملوك الاسلام وخلفائه ، مدحورين مكسورين ، ينصب على جموعهم غراب الذلة ، وبومة الهوان قبل هذا النابغة العظيم . نضر الله وجهه ونضر وجه والدين نجلاه ، وأعز أرضا حملته وأظلمته ؟ ومن الذى كشف نيات الباطنية الملحددين وسدد الى مرامهم الخبيثة سهم الله القاتل المسمى قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذى دحر عباد الصليان ، وعباد الأبحار والزهبان ، ووضع على جباههم تراب

المون والموان قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي مثل بمنطق اليونان الذي عنه المفتونون فوق القرآن . فأضلوا به أهل الايمان . وحكوه في كلام الله وكلام الانبياء والمرسلين ، وأصاروه الحكم المحكم في عقائدهم ودينهم وإيمانهم : - من الذي أصار هذا المنطق أضحوكة المؤمنين قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي حكم بين دولتي المعقول والمنقول ، وماز بين هذا وهذا وأبان وظيفة هذا ووظيفة هذا ، ومن الذي أبلغ الناس هذا البلاغ أن المعقولات الصريحة لا يمكن أن تخالف المنقولات الصحيحة ، بعد أن حار في هذه القضية كبار النظار وضل فيها غول المتكلمين ، مثل فخر الدين الرازي ونظرائه : - من الذي فعل هذا كله قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي استطاع أن يهجم على ضلالات كبار الاتحادية الملحدون ، أمثال ابن عربي الطائي والحلاج وابن الفارض وابن سبعين ، ومن الذي جلى دخانهم وخفيات أغراضهم وما يرمون اليه من إلحاد جارف ، وكفر كثيف عنيف قبل هذا النابغة العظيم ؟ ومن الذي أظهر زيف أهل الفلسفة الضالة الهازلة ، وأظهر جناباتهم على الأديان والعقائد والمعول ، أمثال ابن سينا والفارابي ، وأشباههما من قادة الكفر المحلى بأثواب الايمان والاسلام قبل هذا النابغة العظيم ؟

أرفضت الانسانية بعد عناء عن هذا الرجل الذي لا كالرجال ، فنظر حوله فوجد أمهات المسائل الاعتقادية الكبرى ، وأشدّها غموضاً وخفاء تنتظر رجلاً الموقوت المنتظر ، ثم وجد هذه المسائل الكبرى القامضة قد عقد نطاق بعد نطاق من الشبهات والريب الموبقة حول نواها المحرقة للإيمان ، المذبية لبرده ويرده ، وقد تراعي فيها الخاصة قبل العامة من أهل ذلك العصر الضال أهله : هؤلاء هم الفلاسفة الملحدون ، قد أوردوا على إيمان المؤمنين ، وبقين الموقنين مالا قبل لهم بدفعه أو رفعه من الشبهات والمعارضات الهائلة التي أوقعوا في حبالها من شاء الله

من قادة الفكر والفلسفة في ذلك العهد ، فأوردوا مشاغباتهم وشبهاتهم على قدم العالم وخلوده ، وعلى اختيار الله ، وعلى العقل الأول ، وعلى الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وعلى النبوات وأعظم الالهيات ، وعلى غير ذلك مما هو معلوم مدون ، وبما لا تزال شظاياها تلفح قلوب وعقول قوم أعرضوا عن مهابط اليقين ، ورغبوا من تراث المرسلين ، وهؤلاء هم الاتحادية السخفاء المترنمون بأناشيد وحدة الوجود واتحاد الخالق والمخلوق ، بمعنى أنه ليس هناك رب ومربوب ، ولا مؤمن وكافر ولا عالم وجاهل ، بل ليس هناك انسان وحيوان ، ولا ملك وشيطان ، الى آخر هذا المذيان الذي أصيب بمكروبه القاتل قوم وصفوا بالايمان والولاية ، والعلم والتحقيق الرجوع اليه . وقد طاح في هذا الميدان رجال ما كان أحذقهم وأذكاهم وأصنافهم أذهانا وألبابا ، ولكن أسرار مشيئة الله من وراء ذلك كله ، ومن فوق الذكاء والعلم وجميع المواهب الكاملة والناقصة : هؤلاء الاتحادية المرضي قدأصابوا من شاء الله من أهل الايمان والدين ، وأفسدوا العقول والفطر بمرض الاتحاد الموبوء ، وأطالوا في تجميل هذا المرض ونشره ، وجهدوا لايقاع من وصلوا الى قلبه وعقله فيه من خاصة الناس وعامتهم ، وهؤلاء المفتونون بفلسفة اليونان ومنطقهم الناقص المتهاافت قد احتاشوا المؤمنين الى ناره فأحرقوا بها تلك الدائرة المكفوفة على احترام القرآن ونصوصه ، وكلام النبوة وأحاديثها ، إذ راحوا يزعمون لهم أن القرآن وأن الأخبار النبوية وأن جميع النصوص المنزلة على الأنبياء والمرسلين ليست أداة إيقان ، ولا مصدر ايمان ، فلا يليق الرجوع اليها في نسق الاعتقادات المطلوب فيها اليقين الذي لا يتاله الشك ، وأنه لا مناص من الرجوع في أمر كهذا الى منطق اليونان ، والى ما قاله فلان وفلان ، فراجت هذه الدعاية الضالة ، ووجدت في المؤمنين من زادوها تنغيما وتلحينا ، فزلت أقدام ، وضلت أفهام . وهؤلاء المعطلون لذات الله ، المجردون لذاته من الصفات ، من أركان المبتدعين ،

وأصناف الفرق الخيرية كالمعتزلة والشيعة ، والمؤمنين من طريق الفلسفة الناقصة ، وغير هؤلاء قد أطالوا الشغب والاحتجاج على تجريد ذات الله من الصفات الثبوتية ثم وصفه بالأوصاف الملعنة السلبية ، ومن القول بخلق القرآن ، الى غير ذلك من أقوال الضالين عن صحيح المعقول والمنقول ، وقد دانت لهؤلاء الشبهات ودان لهم سلطان الاشكالات ، حتى كادت أصواتهم تكبت كل صوت

وهؤلاء الباطنية المنافقون المخادعون قد أجادوا إخفاء أمرهم ، وترويع كفرهم ، بما أضفوه على ذلك من لبوس الايمان ، والتحقيق الدقيق ، والفلسفة العتيدة العميقة ، حتى ضلوا على الناس أمورهم وأغراضهم الحقيقية ، فأضلوا كثيراً . وهؤلاء الرافضة قد رفعوا أصواتهم وعقائهم بسب السلف ، والوقیعة في صحابة النبوة ، وقد مردوا على إكفار المؤمنين ، وثلب المسلمين ، حتى زوروا في ذلك الكتب والأسفار ، ودعوا اليها الناس بلا حياء ولا حذر ، فأغروا بعض من بأيديهم السلطة الحاكمة ، فنيلت ظهور المؤمنين ، وجرحت مشاعرهم وعقائدهم ونفوسهم ، وكان ما كان ، وأحدثوا ما أحدثوا من الشبهات والمعارضات والمشاغبات في ايمان الصحابة - ولا سيما الكبار منهم - وفي دينهم . وهما هم عباد الصلبان قد استطالوا على المسلمين وعلى نبيهم ودينهم ، ونسجوا ما نسجوا من الآ كاذب والأوهام والمغالطات القوية المضلة ، وهما هم غير هؤلاء وهؤلاء من خصوم الشعلة الالهية المقدسة المتقدة في جزيرة العرب لاختراع الانسانية - أينما كانت - من ظلمات المادة ، وظلمات ما اختلقت المادة من العقائد والمذاهب المردية الفاسدة ، فقد صاروا إلباً واحداً ، وصفاً صفاً لاطفاء هذه الشعلة المتقدة هنالك بين الصحراء والسماء ، أنقى البقاع جوا وهواء ، وأطهرها أرضاً وسما ، وأعفها نفوساً وقلوباً وضوئاً : قد هبوا كذلك فأذلوا المؤمنين وكوا صوت الحق المبين ، وبعثوا ما بعثوا من الهيئات والجلبيات حول نداء السماء ، حتى ظهر الباطل على الحق ، وساد

المفسدون في الأرض . كان هذا كله وكأنه لم يكن إلا إرهاباً لهذه المعجزة الإسلامية الباهرة ، وتوطئة لبروزها وبروزها البروز الذي قدر لها رأى هذا النابغة العظيم هذه العوادي المائلة محدقة بجهات الاسلام ووجهات أهله ، منطلقة كلها الى خنقه وخنقهم ، ورأى من أهله الاستخذاء والخنوع والاستسلام ، هذه الأمراض التي ينكرها الاسلام الحار الملتهب . فما لبث أن انفع الى الميدان وحاديه ما لا يمكن وصفه من الايمان والعزمات ، التي لو جسمت لما كانت حديداً ولا فولاذاً ولا غير ذلك من شديد المادة وصلبها ، والتي لو جسمت لما كانت سوى الايمان وعزماته . فما هنالك أصلب من الايمان اذا وجد مكاناً قابلاً وقلوباً تخلص به . فما لبث أن ظهر في الميدان وصار ملء الأفواه والأسماع والقلوب والنفوس

صمد الى هذه العوادي المحدقة بجهات الاسلام ووجهات أهله ، وسلط عليها أشياء لا يدري ما هي ولا كيف كانت إلا أن الناس يسمونها النقل والعقل ، ويسمونها أحياناً أخرى الحجج والبراهين . فقد انتزع من هذا النقل وهذا العقل ، ومن هذه الحجج والبراهين أشعة ليست من الشمس ولا من القمر ، ولا من النار أو النور ، ولا غير ذلك من الأشياء المشرقة الوضاعة ، ولكنها أشعة تنسب الى العقل والى النقل ، والى الايمان وعزماته ووثباته . فما هي إلا جولات صادقة مؤمنة حتى انجلت تلك الظلمات ، وانجابت ذلك العثير الأدكن ، فاذا الميدان ملآن بمجث الأبطال ، أبطال الضلالات ، ومجث الصناديد ، صناديد الشبهات ، واذا بالبقايا المنهزمة تنادى بالويل والحرب ، وتعج صاحبة مولودة قاتلة بصوت واحد : هذا ما لا يطاق ، هذا عدو الجميع ، فليحاربه الجميع ، وليكن إلماً واحداً عليه ، وليقاتله بكل سلاح ، وليكن هذا السلاح ما يكون من الكذب والتناق والحداغ وشهادة الزور وقول الزور والباطل والوشايات ، لا يتورع من شيء ولا يتأثم من أمر

(٦٥٣)

وضع هذا النابغة كتباً خالدة في هذه الفرق الضالة كلها جاءت آيات خالدة في التأليف من اسعاد البيان ، ومواتاة البرهان ، بل جاءت ثورة راشدة مظفرة على ذلك الضلال الجارف الخيف ، وكان هو أعز قائد ساق الحملات المظفرة الى صاكر الجهالات والترهات النازية للقلوب والعقول والمعتقدات ، وأصبح هو - بعد ذلك - زعيم المصلحين ، ومن أشرف الهبات الالهية السماوية التي يرسلها الله الاحيان الفارطة العجلى على أضرار هذه الأرض وأضرار أهلها ترحضها ، ولتنفسها ولتدفع ما يمكن دفعه منها عن هذه الخليقة الغرقى في سيئات أعمالها واختيارها الناقص الخداج . وقلّ ان كتب كاتب في الاصلاح ، وفي غزو الجهالات والمبتدعات الا كان صادراً عن تراث هذا الامام وعمّا خلف من الكتب الخالدة ، والمعين العلى الذى لا ينضب ولا يفيض

كان الرجل - كما رأيت - مهاجماً غنياً قوياً ، وكانت حياته وكتبه مهاجمة عنيفة متواصلة الحلقات . وأى شئ كان في ذلك العصر لا يجب الهجوم عليه لاصلاحه ولتنقيته مما أصابه من الاخلاط والأضرار الضارة الفاسدة ! ولأجل هذا كثر خصومه ومناوئوه ومعادوه ، وكثرت الوقعة في دينه وعلمه وأخلاقه وما كان يرمى اليه من المطالب العليا الشريفة ، وقد زاد العداوات والخصومات به ضراوة واستشلاء ما كان عليه من المجاهرة بالحق ومصادقة الحق ، ومن كان صديقاً للحق فلا يطعم في صداقة أكثر هؤلاء الناس . ومن كان حريصاً على صداقة الناس فلن يكون من أصدقاء الحق والصدق ، وقد قال بعض السلف قديماً : ان كلمة الحق لم تدع لنا من هذا الخلق صديقاً ، أو ما هذا معناه

فكان هذا الامام لا يبالى في مقالة الحق والمعروف شيئاً ولا يهرب أمراً ، فكان يصدع بالحق للقريب والبعيد ، ويأمر بالمعروف الصديق والعدو ، والكبير والصغير وكل أحد ، وكان لا يتحرى مسالة شعور خصم الحق ، فكان لا يتحرى

من الألفاظ أخفها أو أقبلها للتأويل والمنازعة ، لأنه كان بعيداً عن المصانعة والمداهنة في إرضاء الله ، فكان في ذلك شبيه السلف الاول الصالح ، وبقيّة ذلك الطراز الواضح من سلفنا الماجد . وقد كانت هذه الصفة من أبرز ما في حياته البارزة ، وكان لأجل هذا صابراً على صنوف الأذى والظلم من السجن والتعذيب والتشريد والتكفير الذي كان يقاظه به خصومه العاجزون المائمون بالدنيا ولذاتها وصابراً على رقة الحال التي رافقت طول حياته حتى خرج من الدنيا كما دخلها مخفياً من تبعاتها وتكاليفها ، ولولا هذه الصفة المكيّنة فيه ، ثم لولا زهادته في ما هنالك لاستطاع أن يرقى إلى أعلى المناصب العليا ولاستطاع أن يعيش من المترفين المنعمين وأن تسقيه الدنيا المترفة بكفيتها أفضل ما فيها من لذة وشهوة ، كما سقت غيره من العلماء الذين لا يدانونه في شيء من فنون العلوم والمعارف ، ولكن لكل وجهة ... هو موليا

والقصة التي كانت بينه وبين أبي حيان النحوى امام عصره ومصره في العلوم العربية تدلنا على مقدار راح هذا الشيخ بمقالة الحق لا مدحاجة ولا مصانعة ذلك أنه بعد أن ذاع اسمه وأمر أمره ، قدم الى مصر ففقد عدة مجالس التي فيها عدة محاضرات في التفسير والشؤون الاجتماعية والدينية العامة ، فحضر أبو حيان أحد مجالسه فأخذ بما سمع واستولى على مكان الاعظام والا كبار منه ، فلما انتهى من محاضرتهم قام أبو حيان وأنشده على البديهة قصيدة يمتدح بها ويزجى إليه إعجابه وسروره واعتباطه به ، جاء في هذه القصيدة :

قام ابن تيمية بنصر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وبهذا المجلس أصبح أبو حيان من أنصار هذا الشيخ الخالصين ، ومن أحواله وأحوال حبه وإجلاله وتقديره . ثم بعد هذا قدر أن قام بينهما كلام في بعض المسائل النحوية وجاء اسم سيويوه - فاستدل ابن تيمية على مقاله ورأيه بأشياء

اجتهادية فعارضه أبو حيان بأقوال سيديوه . فغضب ابن تيمية وأغلظ القول ؛ وقال
 أن سيديوه ليس رسولا للنحو والعربية حتى يقبل قوله بلا حجة ولا برهان وحتى
 يلزم الناس الأخذ بكل ما قال ، وقال أن سيديوه قد أخطأ في كذا وكذا موضعا
 من كتابه أنت لا تعرفها . وبهذا تنكر أبو حيان للشيخ وصرم حبل وده وقطع
 علاقته به ، وعاد ذاما له ، واقفا في دينه وعقيدته . وما كان دينه وعقيدته قبل
 هذه الحادثة غير دينه وعقيدته بعدها ، ولكن التخير هو الهوى . فبعدا للهوى !
 وما كان أشد حاجة الشيخ الى صداقة ابن حيان ومدجاته فيها لو كان يركن الى
 شيء من هذا أو يقيم له وزنا في حياته وأمره ! ولكنه لم يأب العلم هذه الصداقة
 حينما وجدها تستحق اللطم ، فاستراح منها حين علم أنها سوف تكلفه مالا يستطيع
 ومالا يريد من المصانعة والمداجاة المقوتة لديه ، وهكذا كان خصما المداجاة في
 الحق والمصانعة في الله . ولو أن الله خلق فيه شيئا يقبل شيئا من هذه الأخلاق
 لاستراح من كثير مما لقيه وأصابه من العذاب والاذى في سبيل الحق ، ولكن
 في استطاعته ووسعه أن يمن على العلماء الرحيمين وغيرهم من رجال الدنيا بشيء
 من المداجاة والمصانعة ، والتلطيف من خلافهم وإبطال أمرهم ، فينال بذلك
 رضاهم . بل ينال أشد احترامهم وتقديرهم لأنهم كانوا في حاجة عظيمة الى مسالمتهم
 ورضاهم عنهم لخوفهم من دينه على دنياهم ومن زهدهم على جشعهم ، ومن قوته
 بإيمانه على ضعفهم بمناصبهم ورتبهم الدنيوية ، وقد كان في مجالس المناظرة التي
 عقدت بينه وبينهم يبدى من ذلك ضروب العجائب . حتى أنه كان لا يدع كلمة
 تمر بالمجلس إلا ويوليها ما تستحق من المقت والغضب والثورة إذا كانت من ذلك
 النوع الباطل الذي يمتته ويزدريه ويكرهه ، ولا يبالى أن تكون كلمة من بيده
 الفصل في أمره والقضاء عليه بالحياة والموت والسجن أو ما كان من ذلك أن
 كان لخلق من هذا الأمر شيء فكان الناس المحصور والاصدقاء يعجبون من

أمره عيياً بمزجاً بالاعجاب ثم بالاحترام والهيبة المكظومة ، وكان بعض العلماء الفضلاء في تلك المجالس يتعمدون تفسير كلام الشيخ تفاسير ذات وجهين أو وجوه ، ويحملونه معاني لا تثير حفاظ الخصوم الشائين كثيراً . ولا تنأى عما يريده الشيخ كثيراً أيضاً ، وكانوا يريدون بذلك الدفع عنه وإبعاده عن سخط الخصوم وأذاهم وظلمهم بما في أيديهم من السلطة ، سلطة المناصب الرسمية . ولكن الشيخ كان لا يرضى هذا التوفيق ولا هذا الدفاع ، ولا ذلك التفسير ، ولا تلك المداجاة في الحق خيفة خصومه ، وكان يرى أنه إذا كان صاحب الباطل والدنيا شجاعاً قوياً في الدفاع عن باطله ودينه ، وجب أن يكون صاحب الحق والدين أشجع وأقوى في الدفاع عن دينه وحقه . فكان لذلك يثور وكان يفسر كل ما قاله وأراد تفسيراً واضحاً جريئاً تماماً غير مبال بأن يفض من يفض وأن ينجل من ينجل ، وأن يتخلى عن صداقته من يتخلى ممن لا يثورون ثورته على غير الحق ، ومن ليسوا صرحاء صراحته في قول الحق والصبر عليه ، فكان في أمره كله أعجوبة الأعاجيب ، وذلك أنه كان يعلم حق العلم أنه إن لم يكن صريحاً هذه الصراحة ، قوياً هذه القوة ، صلباً تلك الصلابة فلن يفصل بين الحق والباطل ولن يتميز الفريقان ، فريق الدنيا وفريق الأخرى ، وحزب الله وحده وحزب الشهوات والآكال والمشارب

وقد كانوا ثلاثة رجال وقفوا ثلاثة مواقف متشابهة : أبو بكر الصديق يوم أن أراد الأعراب والأمم الموتورة أن يضربوا الاسلام وخلافته ووحدته الضربة القاتلة ، وأحمد بن حنبل أيام فتننة المعتزلة والقول بخلق القرآن والبدع الأخرى الجارفة التي لعبت بالاسلام وقلوب أهله وعقولهم أدواراً كان لها الأثر الأسوأ في معنى الاسلام وفي معنى المسلم ، والثالث هذا الامام في قيامه على الضلال والابتداع والجحود والموت الديني العقلي الشامل . فكان الثلاثة - نضر الله وجوهمهم -

متشابهين في صدق العزمات والمقامات ، وفي الصلابة في الحق والاستمانة بكل مافى سبيل ذلك من الأخطار والأضرار . وبالثلاثة اندفع عن الاسلام والمسلمين ما اندفع من الأرزاء والمصائب الذكراء ، ولله في خلقه صفايا يصنعهم على عينه ويربيهم التربية التي تعد لهم لوظائفهم التي أعدها لهم وأعد لهم ما ، وهو أعلم حيث يضع أمره وسره

وبهذه الصفات والخلائق التي طبع عليها هذا الامام لم يكن عجباً أن يكثر أعداؤه المعاصرون له من العلماء الرسميين ، ورجال الدنيا الطاغية ، ولم يكن عجباً أن يناله ما ناله من الأذى والاهانة والتجريح والوقعة في دينه وعقيدته ، ومن صنع إلا كاذب عليه ، فانه لم يأت أحد بمثل ما جاء به إلا كان نصيبه مثل نصيبه ، وإلا لقي مثل ما لقي من الظلم والاعتات الجائرة العاشم وقد قيل :

وكأنما علم العليم وفضله جرم جناء على الوضع الجاهل

فهذا عالم رسمي يخدم السلطة الجائرة التي هي على كل حال لا يمكن أن ترضى الحق أبداً ليصيب عندها ما يصيب من أعراض الدنيا الملعونة ، فهذا العالم يخاف على منصبه ودنياه التي ابتلى بها حتى أصبح غير قادر ولا صابر على فلاحها وفراقها بعد أن علق بأسبابها وأخذت هي بمقادته وناصيته ، فهو يخاف هذا الامام أن يفسد عليه أمره ودنياه ، وأن يبعد عنه العامة وهو لم يكن إلا بهم . فهذا العالم الرسمي الحكومي لا يمكن أن يرضى عن هذا الشيخ وعن دعوته ، فلا بد له إذن من حربه وخصومته لتسلم له دنياه وجاهه الكاذب الزائف

وهذا شيخ ضريح كبير مزور معظم ينطف عليه ذهباً وفضة ، ويرجى الى صاحته الصدقات والتدوير الحرام بجهالات الأمة والجاهير المسكينه ، فهو يخاف مثل هذا الامام أن يفسد عليه أمره بعلمه ودينه وفتاويه ، فيخرجه مما دخل فيه من الدنيا فما أحوجه الى مناوآته ومخاصمته !

وهذا وال ظالم ، يضرب ظهور الناس ويغتصب أموالهم ، فهو يخاف هذه
 التزعة الزاهدة في الدنيا على أمره وجبايته وسلطانه القاتم على الظلم . ولن يعجب
 مثل هذا الوالى من العلماء إلا الراغب في الدنيا ، ليستمتع هذا بدنه المناق ويستمتع
 ذلك بفضلات دنياه ، وإذن لا بد لهذا الوالى من مناوأة هذا الامام ، ولا بد له من
 إخفاء صوته والحيلولة بينه وبين الجماهير لئلا يفسد عليهم ، ثم لا بد له من إجابة
 رغبات الراغبين في ظلمه ومطاردته ، من علماء الدنيا ، وعبيد السوط والعصا ليخلو
 لهم الجو

وهذا شيخ نحلة فاسدة مريضة تدر عليه الرزق الوافر والجاه العريض ،
 وقلعه على عرش الزعامة الالهية وتلف بحبوته الولاية والنبوة ، بما يدعيه ويدعو
 اليه من مظالم الآراء ومفسد العقائد والدعاوي . فلا بد لهذا الشيخ - إبقاء على ملكه
 وملكوته - من منازعة هذه الدعوة الإصلاحية التي يدعو اليها هذا الامام المصلح
 وهؤلاء قوم ترعرعوا في كنف الابتداع والخرافات ، فتعشقوها صفراً حتى
 صاروا لا يطيقون فراقها ولا النزع عنها ، فهم إذن يمتنون من يريد منهم أن يدعو
 ذلك وأن يسلموه ، ومن غزاه ونار به من أهل الإصلاح والتطهير

وهؤلاء قوم رافضة يعبدون الله بلعن السلف وسب صحابة رسول الله ،
 ويقولون في الله وفي الأنبياء والأولياء والمسلمين الأقوال المنكرة الشنعاء ، فهم
 يكرهون أمثال هذا المصلح العظيم لأنه هو الذي يهتك أستارهم ، ويكشف أسرارهم
 وينلهم بسلطان الحق وملك البرهان ، ويضرب على رقابهم وأيديهم السلاسل
 والأغلال يطوهم المؤمنون وتدوسهم عساكر الله ، فلا بد لهؤلاء الرافضة من معاداة
 هذا الامام والخط من قدره والوقعة في دينه وشرفه غضباً لباطلهم المقهور وطاغوتهم
 المحطم بيده الله الغالب

وهؤلاء قوم ملحدون قد استمالوا على ضغفاء المؤمنين فأذلوهم بشبهاتهم

ومشاغباتهم وحيلهم المنكورة يرون أنهم في حاجة الى عدااء هذا الشيخ واتهامه بأهمات الكبائر تنفيراً عنه وحطاً من قدره ، لأنه هو الذى استطاع أن ينتقم منهم للحق وأن يثأر منهم لله ولحزبه ودينه ، ولأنه هو الذى استطاع أن يلقي فوق رؤوسهم ما رفعوه ليقوه على دين الله وحلى عباده المؤمنين ، فهذه الطوائف كلها وغيرها وغيرها من طوائف الالحاد والضلال والأهواء لا تستطيع إلا معاداة هذا الشيخ وإلا انكاره وانكار فضله ودينه وإصلاحه ، لأن الاعتراف له بذلك يناقى الأغراض والأهواء التى يخدمون والتى وهبوا لها حياتهم وأنفسهم ودينهم وكل ما يملكون من المعاني الإنسانية

فليس بمعجيب إذن ولا بمنكر أن يلاقى من هؤلاء القوم في عصره وفي أغلب العصور الكراهية المرة والعداء العنيف ، وأن يلقي الأذى وكل ما تستطيع النفس الإنسانية الظالمة الناقصة من الاجرام ومعاينه ، وليس بمعجيب أن يسعى هؤلاء غير راقين الله ، ولا راقين معنى من المعاني العاجزة عن التساقط في هوة الأهواء التى لا يسرها مثل أن تلغ في دماء الفضائل ، وأن ترتفع في الشهوات المتخمة على أشلاء أهل الفضل والشرف الماجد المطهر الى انشاب أظافر المدوان في سالفته ، وليس بمنكر أن يناله أذاً كما نال الأنبياء وجميع المصلحين في كل زمان ومكان ؛ وليس هذا بتناقض من قدره ، ولا ببدال على أنه من الخارجين على الحق ، بل هذا كله معدود زيادة في قدره ، وحسنات يخصصه الله بها لما أن صابر وصبر وجاهد في سبيله وسبيل دينه ودافع عن حرمة ومحارمه . فلا تقرر عينا هذا الشيعى أن ظفر بقدح وعيب في هذا الامام ، وأى ذى عرض نقى أبيض لم يوجد من يقول له انه لدو عرض أسود ! وأى ذى قدر رفيع لم يوجد من يحاول خفضه والهبوط به تحت أقدام الرذائل ! بل راية فضيلة في هذه الأرض لم تحارب وتطارد ! وأى معنى ماجد شريف سلم من المطاردة والأذى !

(٦٦٠)

هذا الله في عليا سمواته قد أنكروه وسبوه وآذوه وأضافوا اليه من النقائص
والمعائب ما نزهوا أنفسهم عنه . وهؤلاء الرسل قد كذبوا وأوذوا وقتلوا وألحق
بهم أنواع الايذاء والبلاء . وهؤلاء الصحابة لم يسلموا من عدوان الشيعة ومقادحهم
وباطلهم ، فأكفروهم وسبوه وقالوا فيهم الصيالم . وهذا على رضى الله عنه إله
طوائف منهم ، ونبي طوائف ، ووصي الجميع قد أكفر وسبّ وقدح فيه وفي آله
الطاهرين الطيبين ، وهكذا كان سبيل جميع المصلحين ، وهكذا كان سبيل هذا
الناخلة الفذ ، وهكذا كان سبيل من قالوا للجانب الأسود في هذه الانسانية : إنه
أسود ، ولليل في هذه الأرض أنه ليل . فان هذا الانسان المغرور لا يرضيه إلا من
يقول للجانب الأسود فيه : أنه أبيض شديد البياض ، ولليل الحالك الظلام أنه
شديد الضياء !

فهل ضارّ الأنبياء والمرسلين وجميع المصلحين تنقص المتنقسين وقدح القادحين
واتهام المتهمين ؟ أم عاد ذلك كله حسنات موفورة وارتعاعاً لأقدارهم الرفيعة وبرهاناً
لهم على محاربتهم الفساد والزور والضلال والظلام وكل نقائص الانسان ؟
قال ابن عساكر في كتاب بيان كذب المقتري : « قال عبد الرحمن بن مهدي :
لولا أني أنكره أن يعصى الله لتنتيت ألا يبقى في هذا المصر أحد إلا وقع في »
واغتاني ، وأي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته يوم القيامة لم يعمالها
ولم يعلم بها ؟

وليس من يذكّر بالسوء مغبونا ، بل الذام واللاعن له يصير ملمونا ، وكيف
يكون المذكور بسوء الذكر مرجوما ، وقد صار مثاباً وذاكراً بما قال فيه
مأثوماً ؟ . . . »

وذكر ابن عساكر أيضاً بالسند قال رجل لعمر بن عبيد : يا أبا عثمان
إني لأرحمك مما يقول الناس فيك ، قال يا ابن أخي أسمعني أقول فيهم شيئاً ؟ قال :

لا ، قال : إياهم فارحم . قال : وأرسل اليه بعض الناس يذكروه بالسوء والأذى ، فقال لحامل الرسالة : قل لمرسلك القيامة تضمننا ، والموت يجمعنا ، والله يحكم بيننا . وروى ابن عساكر أيضا بالسند قال قيل للحسن البصري : ان قوما يحضرون مجلسك ليتتبعوا سقط كلامك فقال الحسن : يا هذا اني قد أطمعت نفسي في جوار الله فطمعت ، وأطمعتها في الحور العين فطمعت ، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم تطمع اني لما رأيت الناس لا يرضون عن خالقهم علمت أنهم لا يرضون عن مخلوق مثلهم . ثم روى ابن عساكر بالاسناد الموصول الى مجاهد قال سأل يحيى بن زكريا ربه ، قال يا رب اجعلني أسلم من ألسنة الناس ، فأوحى اليه : يا يحيى لم أجعل هذا لي فكيف أجعله لك ؟ قال ابن عساكر : « ولا شك أن الله لما قبضهم الى رحمته ، وتوفاهم عند منتهى آجالهم ، أراد أن يجري لهم الثواب بعد توفيقهم بأن يكتب لهم أجرا بما يقال فيهم مع أجر ما قدموا من صالح الاعمال ، وعلموا الناس في سائر الأحوال ، لئلا ينقطع عنهم الأجر بعد مماتهم ، ويكون ذلك زيادة لهم في الحسنات . . . »

ثم روى بالسند عن عائشة رضى الله عنها أنه قيل لها ان قوما يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى انهم ليتناولون أبا بكر وعمر ، فقالت أتعجبون من هذا ؟ إنما قطع عنهم العمل وأحب ألا يقطع عنهم الأجر . ثم روى عن الامام الشافعي بالسند أنه قال : ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم . وروى ابن عساكر في هذا الفصل من هذا الكتاب في الامام أحمد بن حنبل :

أضحى ابن حنبل فتنة مأمونة ويحب أحمد يعرف المتنسك
 فاذا رأيت لأحد متقصا فاعلم بأن ستوره ستهتك
 وإذن ليس لهذا الرافضى مسرة في أن يجد من يقدحون في شيخ الاسلام

ابن تيمية ومن يكفرونه وينالونه بأفانين العدوان والمقادح ، وليس في هذا شيء من الدلالة على فساد أمره أو عقيدته ، فلا تقرر عين الشيعة ولا أعين اخوانه من أهل الزور والابتداع والضغن المر اذا وجدوا حاجيا لهذا النابغة العظيم ، وفي ديوان حكمة الشعر :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
وما قدح في ابن تيمية الا أهل النقص والجهل والغباء ، أو من آثروا الدنيا وشهواتها على الله وعلى الحق . وهؤلاء لم يكونوا يوما من الأيام قائلين للحق ، ولا راضين عنه

ابن تيمية أيضا

قال الرسول عليه الصلاة والسلام « ان الله عند كل بدعة كيد بها الاسلام وليا يذب عنه ويتكلم بعلاماته ، فاغتنموا تلك المجالس » رواه أبو القاسم ابن عساكر في كتاب بيان كذب المقتري

وجع الانسان ! ما أقساء وما أظلمه إذا قدر ، وما أضعفه إذا عجز ! هذا أنبح المسلمين قاطبة في القرون الاسلامية الوسطى كلها ، وهذا أجمعهم لشتمائل الرجل المسلم الكامل من الاقدام والشجاعة ، والصراحة والصرامة والذكاء ووفور المعرفة وسعة الأفق العلمي والزهد في الدنيا ولذاتها وشهوات النفس وما ربحها والاعراض عن وسائل العلو والشهرة وذبوع الاسم والذكر ، الى غير ذلك من الشتمائل التي تحدث عنها الكتب ولا تحصل عليها العين : هذا أفضل المسلمين ذهنا ونفسا في تلك العصور كلها يفسر عليه ظلم الانسان وطفئانه وولعه بالنقص والناقصين فتوافر همه ، وتصطلح ما ربه المختلفة على اضطهاده وعلى نيله بألوان الأذى والظلم ، فيحارب في حياته كلها ، ويمس بالسوء والبلاء ، ويراد به كل منكر لولا دفع الله ، فيظل عمره

كله مطارداً محارباً لا يفتنم بشيء من حياته سوى ما في نفسه من الإيمان ويرد
الإيمان ، ولذة الروح والقلب بالله وبرضاه بما قدم من صالح ، وما قام به وأسداه
إلى ظالميه ومطارديه من نصيح وإرشاد . حتى يفار الله على روحه الطاهرة ، ونفسه
الذكية المعذبة بآثام الإنسان الآثم ، فينتزعها - جلّت قدرته وحكمته - من بين
جدران سجن وضعه فيه الإنسان غيرة منه على باطله وجهله وفساده وما آثمه فيذهب
إلى الله تاركاً لم دنياهم يتصاولون عليها كما كان تاركها لم يوم أن كان حياً بين
أظهرهم ، مخلقاً وراءه عقله وعلمه وجهاده الطويل المضني زهرات دانية يجتنيها من يجتنى .
ثم لا يكتفى ظلم الإنسان الإنسان أن يقف عند هذه المرحلة من التعذيب والمطاردة
والجناية على العلم والفضل والدين . لم ينته هذا عند انتهاء حياة هذا الشيخ وخروجه
من الدنيا القاسية موجع الفؤاد والنفس على ما لاقى من ظلم وأذى ونفى وتشريد
وسجن وتعذيب لا شيء غير قوله للظلام : هذا ظلام ، وللأسود : هذا أسود .
فيظل خصومه وأعداؤه يمتحنون له التهم ، ويعثون إلى روحه - في الملأ الأعلى -
الافساق والاكفار والنقائص الأخرى على أجنحة الهوى والحقد والحسد والحبلة
الناقصة الآثمة ، ويظلمون يشرفون ويفربون في تطلاب المثرات والمهلكات للرجل
وفي لم شعث ما يحسبونه ثمة في دينه ، أو نقصاً في علمه ، أو خدشاً في نفسه وشرفه
وورعه ، ثم لا يقتصرون على هذا كله ، فيرواحون يختلقون عليه الأباطيل في دينه وورعه
وعلمه ونفسه اختلاقاً لا شبهة فيه ولا سمعة للحق في معامه ، ثم يذهبون يستصرون
الفتاوي في كفره وفساد أمره ، ثم يظلمون يتوارثون هذا الظلم وهذا الكذب في
العالم ، ثم يتسع أفق هذا الظلم وهذا الكذب في العلم كلما اتسعت حلقات الزمان ،
وكلا بعد الرجل عن خصومه وظالميه ، ثم يبدع الآخر من هذه الجرائم والمآثم
ما قصر عنه جواد الأول ، أول خابط في هذا الآثم الإنسانى ، وأول آكل من
شجرة الخبيثة ، ثم لا يكون بعد ذلك لتوفر دلائل البراءة ووضوحها لدى

هؤلاء الخصوم الباغين قيمة ما لا فلا يعدلون عن تهمة رموا الشيخ بها مهما قامت الدلائل صارخة في آذانهم قائلة : انكم لكاذبون ، وإنكم لباغون ظالمون ويح الانسان ! ما أظلمه وأبغاه ! أما شفع لهذا النابغة عند أولئك الناس علمه ووقور معارفه ؟ ثم أما شفع له دينه وزهده واعراضه عن الدنيا ؟ ثم أما شفع له إخلاصه وحب الخير وغيرته على الدين والحق ؟ ثم أما شفع له لإقدامه وشجاعته وهجومه على الخطر والعذاب رغبة في الحق وإسعاد الخلق ؟ ثم أما شفع له ما فتق لهم من أحكام المعارف والعلوم ، وما دل عليه من وجوه الدلائل وسبيل العلم ؟ ثم أما شفع له عندهم ما رفع عنهم من ضغط المارقين الملحدين ، وما دحر وهزم من جحافل الباطل والضلال ؟ ثم أما شفع له ما أخرج من كتب خالدة يانعة الفوائد والمعارف ، تجد فيها جميع الطوائف - على اختلافها - فوائده ومعارف يميز عليها أن تجدها في غيرها ، ويصدر عنها كل وارد ظمآن الى مناهل العلم والعرفان ريان شبعان ؟ ثم أما شفع له ما أضاف الى خزائن العلم وما أفاد دولة المعارف من علوم ومعارف ؟ ثم أما شفع له انصافه وعدله وما كان عليه من بعد عن السوء والشر ؟ أما شفع لهذا النابغة الفذ شيء من هذه الفضائل ، أو أما شفعت له كلها مجتمعة تخففت عنه ما لاقى من أذى ، وما مسه من ظلم ، وما ناله من تكفير وإفساق وآثام عظيم ؟ أفليس للعلم حرمة ، وللدين شفاعة ، ولأورع مكانة في هذه الدنيا المجرمة الفاجرة ؟

أيها الناس هبوه قد أخطأ الصواب في أشياء ، وهبوه قد زل وقال أقوالا كان الصواب ألا يكون قالها ، وهبوكم قد أحصيتم عليه كما زعمتم سيئات وذنوباً : هبوا ذلكم كله محيياً ، ولكن ألا تنظرون بعد هذا الى حسنات الرجل وأياديه البيضاء التي قلدها جيد العلوم والمعارف ، ودفع بها عن الاسلام والحق ، وعن الأخلاق والفضل ، أفن الانصاف أيها الناس أن تفرق بحار فضائله وحسناته ومحاسنه في

ضمضاح سيئاته المقررة المزعومة ١٢

ان أساس التهمة التي راموا بها اصابة دين هذا الشيخ ، واصابة علمه وعتيدته هو زعمهم أنه ما كان معظماً للنبي الكريم ، ولا معترفاً بما يجب له من الاحترام والاعظام والحب ، وانه كل من يقول أقوالاً هي تنقص له عليه الصلاة والسلام واهباط له من رتبة العالية الرفيعة ، ومن مقامه السامي الرفيع . هذه هي التهمة التي شادوا عليها جميع مقادحهم وعدوانهم الظالم ، ولقد كان منشأ هذه التهمة عندهم هو تمسك هذا الشيخ بالسنة النبوية الصحيحة ووقوفه عند النصوص الثابتة . فما جاء في النصوص كان حقاً لازماً الاحترام له والعمل به وإلا فلا ، وعلى هذا الأساس الصحيح الثابت الدعائم منع الاحداث التي أحدثها الجاهل الأغرار ظانها رفعة أقدر الرسول عليه الصلاة والسلام واحتراماً له وإعظاماً ، وهي في الواقع والدين ليست كذلك ، فمنع مثلاً الاستغانة بالرسول عليه السلام وبغيره بعد المات ، ومنع سؤاله مالا يقدر عليه إلا الله حياً وميتاً ، ومنع شد الرحال والأسفار لأجل زيارة قبره الشريف . لأنه هو الذي منع هذا عليه الصلاة والسلام بقوله « لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة » ولأن السلف كانوا يكرهون ذلك ويأبونه فلا يفعلونه ، ومنع أيضاً التمسح بقبره الشريف وتقبيله ، وأمثال هذه المبتدعات المنكرة التي لم يكن السلف الصالح يعرفونها ولا يعملونها ، والتي جاءت النصوص بالاجمال ناهية عنها . وجاء الاسلام بالاجمال أيضاً منكرها

فزعم هؤلاء أنه بأقواله هذه قد أساء الى الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأنه أنكر حقه المعلوم المفروض على جميع المؤمنين ، وأنه قد تنقص له ! وساء ما زعموا وما قالوا

ومن يُسر له أن يعرف هذا الامام وأن يقرأ شيئاً من كتبه الخالدة فلا يشك

في أنه معظم للنبي الكريم عليه السلام ، عارف لمقامه ولحقوقه ، قائم بها ، محب له عليه الصلاة والسلام أعظم مما عند هؤلاء المعارضين جميعا ، وأنه لم يقم أحد منهم بحقوقه عليه السلام قيام هذا الامام ، بل وأنهم كلهم مجتهدون لم يؤدوا حقه المشروع المفروض مثل ما أدّاه هذا الامام مفرداً واحداً

أو ليس هو الذي أغضب هؤلاء الخصوم وتقبل عدوانهم وظلمهم واذام راضياً مسروراً اقتصاراً للسنة النبوية وقياساً بحقها وغضباً لها ، ودفعاً للبدع والجهالات والضلالات المخالفة لها ؟ أو ليس هو الذي كتب كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » في بيان حقوق النبي الكريم ، وتعدد فضائله ورفع قدره وماله من الواجبات على المسلمين أفراداً وجماعات . حكومة وشعباً ؟ وقد جمع في هذا الكتاب وأبان من فضل الرسول فيه ما لم يصنعه ، وما لا يستطيع أن يصنعه هؤلاء الخصوم المخالفون القادحون بمجتمعين متعاونين ، أو ليس هو الذي قد كتب كتاب « العقل والنقل » الذي مافي الوجود له نظير ثان ، كما يقول تلميذه البار ابن قيم . رزية ؟ وقد ألف هذا السفر المفرد المنقطع النظير في باب دفاعه عن النصوص من قرآن وحديث ، وذوداً عن الكتاب والسنة ، واقصاء واحباطاً للشبهات والمعارضات التي أهدقت بالنصوص الثابتة وأحاطت بها من كل جانب حتى عظم الويل وجل أمر الشكوك والشاكين والمشككين حتى زعم رجال من الموصوفين بالايان وبالزعامه والامامة والنبوغ في العلوم العقلية والفلسفية والدينية وغيرها ، ان النصوص أبداً لا تستطيع أن تفيد العلم والمعرفة واليقين المطلوب في الاعتقادات ، وإنما غاية جهدها وحولها وطولها أن تكون مفيدة الظن لا غير وانها لذلك لا تصلح أن تكون مرجعاً من مراجع الايمان والاعتقاد ، وأن المؤمن لا يصح له أن يأخذ منها وصفاً ولا شأناً من أوصاف الله وشؤونه ، ولا أن يتلقى عنها نظرية علمية البتة ، وأن المرجع - ولا مرجع سواه - للاعتقادات هو العقل

وحده ، والبحث القائم على المقدمات العقلية لا غير ثم زعم هؤلاء أن النصوص المتواترة قد تخالف العقل وقد يخالفها العقل ، بحيث لا يمكن التوفيق ولا إيقاع الصلح بينها البتة ، وأنه إذا ما عرض شيء من هذا النوع وجب تقديم العقل وتحكيمه في النصوص معها كان أمرها ، ومما كانت واضحة الدلالة ، متواترة الرواية ، وأن المسلك الذي لا مسلك غيره حينئذ اما رد النصوص وإنكارها وسلوكها في نظام المكذوبات ، وأما تفسيرها تفسيراً يشهد العقل والنقل وكل شيء أنه ليس هو التفسير المراد بها ، وهو ما يسمونه بالتأويل ، هذا قانون وضعه قوم وصفوا بالايمن وبالفلسفة وقوة الحجة وبالإمامة والزمامة ، وقد حافظوا على العمل بهذا القانون بدقة ووفاء وإخلاص له ، فسلطوه على الكتاب والسنة حتى أضاعوها ونزعوا منها سلطانها القوي الواسع في القلوب ، الذي وهبها إياه الايمان ويرد اليقين

وقد فتن كثيرون من المؤمنين ومن العلماء أيضاً بهذا الطاغوت ، فها به الناس وأكبروه وحسبوه الحقيقة الخالدة الواحدة حتى نهى له هذا الامام الالهى فوضع كتاب « العقل والنقل » أو « موازنة صحيح المنقول لصريح المقول » فهد به هذا البناء المشمخر ، وحطم به هذا الصنم الذي عبد العقول فسجدت له العقائد الرخوة والايمن المريض وشهدت بألوهيته القلوب العجفاء . فعزز به سلطان النصوص ورده ، وقوى أمرها ، وشرذم من حولها تلك الأوهام والشبهات ، بل نفخها فلم تقم الا حيث شاء الله أن تقم ، ثم أحاط النصوص بنطاق بعد نطاق من التقديس والا كبر والجلال حتى أعاد لها ما فقدته من سلطان وشأن ، وحتى أقام شهود الصدق من المقول والمنقول على أن النصوص الصحيحة لا يمكن أن تازعها المقولات الصريحة ، وأن كل ما زعم منازعة ومعارضة هو أغلاط باطلة غزت المسلمين وعقائدهم من جهات الفلسفات الأعجمية الضالة الناقصة التي انبعثت في

الجو الاسلامي بعد اتساع نطاق الحضارة والفتوحات الاسلامية ، وأبان لأجل ذلك أن الواجب على المسلمين كافة تحكيم النصوص الصحيحة في كل ما زعم من المقولات والفلسفات ، فرجم لها قدسها وجلالها وقوتها وكل ما كان لها أيام أن كان الاسلام غضا طريا ، وأيام ان كانت عقائد المسلمين خالصة قوية نقية من هذه الأمراض ، والذي يرجع الى هذا الكتاب يعرف هذا جيدا

وما كان في هذا الكتاب إلا معظما للرسول ﷺ أصبح التعظيم ، قائما بالدفاع عنه وعن حقوقه أفضل القيام ، عارفا له من الواجبات والرتب الرفيعة ما لم يعرفه هؤلاء الخصوم الزاعمون أنه كان غير معظّم له ﷺ وغير معترف بحقه وعظيم شرفه ومن من هؤلاء الخصوم القادحين دافع دفاعه في فصل واحد من فصول هذا الكتاب ؟ ومن منهم أغنى غناؤه في هذا الزيادة عن الكتاب والسنة ؟ أو ليس هو الرجل الذي أفق عمره كله وراحته في مناصرة السنة والدفاع عنها ، ومناضلة البدع والاحداث النكراء حتى أخرج من المؤلفات في هذا ما لا يستطيع إخراجها أحد فيما أحسب والله أعلم . ولا تضيق فضل الله الواسع ، وحتى أخرج من ذلك ما يعد ثروة طيبة باقية على الدهر وحدثاته حينما كان غيره من المشايخ الرعيين عاكفين على شهواتهم ، مشغولين بأنفسهم وما ربهما عن الله وعن دينه وعن نصرة الحق ؟ أو ليس هو الرجل الذي استطاع أن يرفع أعلام السنة بعد تنكيسها ، وينكس رؤوس البدع والاحداث في الدين بعد ارتفاعها بمهارة فائقة ؟ أو مثل هذا الامام أيها الناس يوصم بتنقص النبي الكريم وبانكار حقوقه ؟

ثم ان ها هنا تهمة أخرى يرددها الخصوم كثيرا ، وهذه التهمة هي زعمهم أنه كان ينزع الى عقيدة التشبيه ، وأنه كان يقول أقوالا ما لها تمثيل الله بخلقه ووصفه بصفات الحوادث وممااتهم ، وقد أعادوا هذه التهمة وأبدوها ، وأكثروا من إبدائها واعادتها ، وقد أنسوا بها كل الأنس ، وحسبوا الحسام القاتل لخصمهم

وافضائله ، وهذه التهمة من أ كذب التهم وأفجرها ، فانه لا ريب أن هذا العالم كان من أعظم الناس تنزيها لله وبعداً عن هذه النقيصة ، ومن أعظم الحاملين على المشبهين الضالين ، وهذا يظهر من جملة كتابنا هذا ومن جيم كتبه . وما أخلفه بأن يكون القاتل :

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم
ما أبعد العيب والتقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والمهرم
أجل لقي هذا النابغة خصومات نكراه ظالمة ، خصومات قاسية ضيقة من بني
عصره ومن بعدهم ، ونالوا منه كل منال تمجيداً وقدحاً واتهاماً مزرياً ، وإكفاراً
وإفساقاً ، وأمعنوا كل الامعان ، وجهدوا غاية الجهد ارادة اثبات أنه ضال فاسد
الأمور والدين والعقيدة ، وارادة ترويج هذه البهينة على الجماهير وإقناعهم بها ،
وبأنها حق لا باطل فيها ، وجدوا غاية الجهد ابتغاء النيل منه وإلحاق أعظم الأذى
به ونثر أشد أنواع الظلم في سائر جهاته ، وراموا - لو استطاعوا - ألا يدعوا للخير
والسعادة اليه منذاً يخلصان اليه منه ، وألا يدعوا للحياة ومعانيها لديه منها نصيباً ،
وما كان مقامهم هذا منه إلا يرهاناً فاصعاً قاهرراً يقدمه الخصوم أنفسهم بأيديهم على
ما لهذا الامام النابغة من القدر والمكانة في النفوس التي تنكره وتشكر مكانه بألسنتها
وما أقام هؤلاء وأقدمهم إلا ما يجدونه في أنفسهم وفي ثنايا سرايرهم من اعظام مبعثه
للعظم الذاتى الذى شاء الله له ، ومن إكبار منشؤه الكبر الذى قسمه مقسم الحفظ
والحلايق والفضائل ، وأحفظ في هذا المقام أياتاً شعرية جاء فيها :

لو لم تكن لى فى القلوب مهابة لم يطنن الأعداء فى ويقدحوا
كالليث لما هيب خط له الزبا وعوت لهيبته الكلاب النبح
يرموتنى شزر العيون لأتقى غلست فى طلب العلى وأصبحت
ووجدت من يمزو هذه الأيات لهذا الامام ، ولكنى أشك فى هذا العزو

لأن الرجل لم يكن نيساها ولا مزهوا ولا مخورا بنبوذه وما خص به من آيات القدرة الالهية ، وما أذكر فيما قرأت له ما يدل على إدلاله واعتزازه بنفسه وعلمه ومواهبه النادرة ، وقد يتاح لك أن تقرأ له الآيات الخالدة في التحقيق وفي المبوط على أسرار الحقائق الغامضة ، فلا تحس منه إلا أنه يكتب أشياء عادية قريبة يستطيع كل واحد أن يكتبها وأن يلم بها ، وقد يورد ما يورد من الآراء النادرة الطريفة التي لم تشرئب اليها أعناق العلماء الربانيين لبعدها عن مطارح العقول ومهابط الفطن فيأخذ يصغرها ويهون من شأنها حتى يحسب القاريء أن ذلك يعرفه كل الناس وأنه من المعارف العامة التي لا يختص بملها قوم دون قوم ولا طائفة دون طائفة ولن تجده البتة يذهب يقول للقاريء اتقى سابق الى رأي من هذه الآراء وان لي فضلا في بيانه وتقريبه ، وهذا الخلق من فضائل هذا الامام . وقد نجد الكثيرين من العلماء الكبار المقدمين يحبرون المقدمات الطوال في تعريف مواهبهم وامتداح كفاياتهم وعلمهم ، والاشادة بعظم تميزهم وتفوقهم وإحاطتهم بالعلوم وأسرارها والفنون وطرائفها ، الى آخر ما يقال في هذا الباب

ولاجل هذا أشك في صحة نسب هذه الآيات الى هذا الامام ، بل أكاد أوقن أنها لغيره من التياهين بعلومهم ومعارفهم ، والمعهود عنه مثل قصيدته الثائية المشهورة التي مطلعها :

أنا الفقير الى رب البريات أنا المسيكين في مجموع حالاتي

وروح صاحب هذه القصيدة غير روح صاحب هذه الآيات

ولكن هذه الآيات - سواء أكانت له أم كانت لغيره - هي في معنى ما ذكرناه من أن مقام الخصوم العنيف الطاغى من هذا الامام برهان يقدمه الخصوم على رقة قدره ، وعظم أمره ، فإنا قد وجدنا الفضائل كثيرة الحساد الثائنين ، ووجدنا أنه لا يسطع بالخصومات العنيفة والعداوات الملحة إلا التابون

المظلم ، وأنه يتنبر حيف للمرء من هذه يكون حظه من النبوغ والفضل ، وهذا معقول مفهوم المعنى ، وذلك أن كل ما في هذا الوجود خلق زوجا : فالليل والنهار ، والنور والظلام ، والجود والبعد ، واليبوسة والرطوبة ، والخير والشر ، وغير هذه الأمور كلها أشياء خلقت أزواجا متقارنة ، وأضدادا متخاصمة ، هذا ضد ذاك ، وذلك ضد هذا ، وكل ضد يغالِبُ ضده ، فحيث تكثر المحاسن والفضائل تكثر أضعافها ، وحيث يشتد معنى العلم يشتد معنى الجهل ، وحيث تَجِدُ السمو العظيم تَجِدُ الهبوط العظيم ، وحيث تَجِدُ التقى والورع والدين تَجِدُ الفجور والفسوق ، وحيث يستيقظ معنى الفضيلة يستيقظ معنى الرذيلة ، موقف الضرة من الضرة ، وحيث ينبعث معنى النبي ينبعث معنى الشيطان ، وحيث تَجِدُ النبوة في فعلها فعلها تَجِدُ الكذابة في فعلها فعلها ، ولأجل هذا كان أشد الخصومات والعداوات هي التي يصطدم بها الأنبياء والمرسلون ، لأن أشد المعاني الالهية التي يرسلها الله إلى الأرض هي المعاني التي جاء بها الأنبياء والمرسلون ، ولأجل هذا كانت خصومة الرافضة واخوانهم ، وعداوتهم لأبي بكر وعمر وكبار الصحابة والمسلمين عينية قويتين ، لأن معاني هؤلاء الصحابة النبوية الالهية قوية عنيفة ، فكانت المعاني المضادة لها من المعاني الشيطانية قوية عنيفة أيضا . ولأجل هذا كانت عداوة الرافضة لهذا الامام شديدة قوية ، لأن معانيه المضادة للمعاني الرافضية الباطلة قوية عنيفة . ولقد لحظ الشاعر هذا المعنى حيث قال :

لقد زادني حبا لنفسي أتى بيض الى كل امرئ غير طائل
واهتدم هذا المعنى شاعر القوة والواقع بقوله :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

والمعنى في هذا كله هو ما ذكرناه من أن المعاني هي التي تتعاضد وتتخاصم فعنى الرجل الناقص لا يمكن أن يعجبه معنى الرجل الكامل ، ومعنى الرجل الورع

الصالح لا يمكن أن يعجب معنى الرجل الفاجر الفاسق ، ومعنى الضعة والمهبط والحسنة لا يمكن أن يرضى عن معنى الرفعة والمجد والشرف الرفيع ، والعلم لا يمكن أن يرضى عنه الجبل ، والظلام لا يمكن أن يصالح النور . فمعانى الرسل والأنبياء والعلماء الفضلاء لا يرجى أن ترضى عنها وأن تعجب بها معانى الشياطين والفاسق والجهلاء والسفلة الوضعاء ، وإذا كنا لا نرجو من السارق أن يرضى عن حد السرقة الصارم ولا من الزانى أن يرضى عن حد الزنى الصارم ، ولا من القاتل أن يرضى عن حد القتل الصارم فلن نرجو من الناقص أن يرضى عن معنى الرجل الكامل ، ولا من عبد الشهوات والآهواء أن يرضى عن عبد الله وحده لاشريك له ، ولامن الجاهل أن يعرف كنه العالم الجليل ، وقد ألم بهذه المعانى كلها بألفاظ موجزة قوله ﷺ « الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » وهذا تأويل ما تجده بين الرجال الكاملين كالأنبياء ومن دونهم ، وبين الناقصين الكاملين فى النقصان من خلاف ونزاع لا يهدأ ، وهذا هو تأويل ما تجده أيضا بين عشاق الفضيلة وعباد الذليلة من بغضاء وخلاف حاد عنيف ، وهذا هو تأويل ما تجده من تناكر بين الظلام والنور . ونحن اذا ما أردنا من وضع ناقص أن يرضى عن رفيع شريف كامل كان معنى هذا أن تقتل معنى ذلك الناقص الوضع وأن نجرده من معناه وطبعه ، أو أن نقيم الدلائل له على أن ذلك الشريف الكامل ناقص وضعيه مثله ، وأنه لا يمت الى الشرف والكمال الا بالاسباب التى يمت هو به الى ذلك ، وأما أن نطلب منهما الائتلاف والاتفاق ، وهما مختلفان - فالمعنى - كـ الاختلاف ، فهذا بعيداً عن أن يكون صحيحاً مقبولاً فى طبائع الأشياء وفى القانون العام الذى قيد الخلاق خلقه بوثاقه القاهر القاسر . وهذا كأن نطلب من الحيوان أن يكون إنساناً عاقلاً فاضلاً ، وان ما بين أفراد النوع الانسانى من التفاوت والخلاف أعظم وأظهر مما بين نوع الانسان ونوع الحيوان

(٦٧٣)

وإذن لن نرجو من هذه المعاني الناقصة الوضعية أن ترضى عن هذا المعنى
الحرف الشريف الرباني الذي وهبه الله - جلّت قدرته وحكمته - هذا الامام النافعة
المعظم ، وإذن لا تقرر عينا هذا الشيعة الرافضي بأن أنكر معناه ومعاني اخوانه
معنى هذا الامام ، أو ان وجدوا لذة روحية هائلة في ثلبه والوقعة في عرضه ودينه
وعقيدته ، فان مرجع هذا هو ما ذكرنا لا الى نقص وعيب في الشيخ نفسه

ابن تيمية أيضا

كان العلماء الناهلون بكلمات الفلسفة ، الذين استقروا طويلا وطويلا بكفى علم
الكلام المطعم بالفلسفة أسرى خاضعين للفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات
الأممية ، لا يمدون ما قاله - ولو تظنوا - ارسطو وتلاميذه وأشياخه من الآراء
في الالهيات والنبوات والطبعيات ، وكان قصارى جهد العالم الفاضل وحادي فضله
ونبوغه وعلمه أن يفهم ما قاله أولئك السادة وما أثر عنهم ، وأن يحتج لآرائهم
وعقيدته وكل ما يقوله برواية - ولو ضعيفة محتملة - عن أحد هؤلاء الاشياخ وكان
فضل الرجل ووفور علمه يوزن بمقدار اطلاعه على آثار هؤلاء الفلاسفة وإلمانه
بأغراضهم وما يرمون اليه من معان عميقة عزيزة سابعة في الاحشاء الكونية البعيدة
القرار وكان الغريب عن هذه العلوم اليونانية الناقصة جاهلا أو ناقصا وإن كان من
كان ، وان جمع ما جمع من علوم وثقافات يفرق ضحاضحا هؤلاء الفلاسفة
أجمعين . وبالأجمال كان كل شيء خاضعا لهذه الفلسفة المخادعة وكانت هي مرد
أولئك القوم ، وكعبة عقولهم ومصدر إيمانهم وعقائدهم . وكانوا يفضبون غضبا شديدا
لهذه الفلسفة ، وينالون ما استطاعوا من أراد أن ينال منها وأن يظهر لها عيبا أو نقصا .
هذا الامام الغزالي - وحسبك به ذكاء وعلماء ودينا - قد سبج في هذه الفلسفة سبجا
طويلا ، ونفذ الى أعماقها وأحشائها محاولا إخراج تلك اللائحة والدرر المذكورة

بين طوائف الأنصار والمعتبين المخلصين ، ثم محاولا أن يتطهر بحارها الغزيرة من
أوضاع الشكوك والريب ، ومن معاني الآمية والجهالة الموصوف بها من لم يفرق دينه
وعقله وعقله وقلبه في قاموس هذه الفلسفة المريضة الموبوءة ، وبعد أن سبج هذا
الامام - أغنى الغزالي - في هذه الفلسفة ، واكتشف أمرها وما طويت عليه ،
وقلبها ظهراً لبعث ، وبطناً لظهر - كما يقولون - فرأى عيوبها ونقائصها وضلالها
وضع كتاباً في قدها وفي النقض على أصحابها وأربابها أممائه « تهافت الفلاسفة » ،
وقد نقض في هذا الكتاب من آرائهم ومذاهبهم أشياء كثيرة قضا فرياً ، وأبان
من أخلاط القوم وتهافتهم الشيء الكثير ، وردّ به كفرهم وإلحادهم بالله وبالأنبياء ،
وجلبى أغراضهم التي كانت تدق على أفكار الجماهير من عشاقها ، المسيحين بمحمد
الناشرين لوجهها عقولهم وقلوبهم وعقائدهم وإيمانهم بالله ! أفتظن أن هذا الكتاب
أرضى جميع المسلمين أو شكروه لمؤلفه ؟ كلا ، ان طوائف من العلماء المعظمين لهذه
الفلسفة غضبوا لها وهبوا للدفاع عنها وعن أصحابها ، مؤولين كل ما فيها من الخروج
على الإيمان والأديان ، محاولين اصلاحها والنيل من الغزالي التأثير بها وعلى رجالها
وكان من هؤلاء المناضلين على الغزالي لذلك القاضي الفيلسوف ابن رشد ، فانتصر
لها من صاحب « تهافت الفلاسفة » ووضع كتاباً بممائه « تهافت التهافت » ردّ به
على الغزالي وتحامل عليه وما أنصفه في كثير ، ثم ألف ثالث كتاباً ثالثاً حاول به
الحكم بين الغزالي وابن رشد . وإلى اليوم يوجد من يقضون لابن رشد على الغزالي .
وهذا الذي فعله القاضي ابن رشد يدلنا على قدر هيأ الناس بهذه الفلسفة ، وقدر
إكبارهم إياها واقتنائهم بها وبأربابها حتى انتقم الأخ من أخيه غيرة وغضباً لها .
وهذا من أبلغ ما يكون التعظيم والعلو في التعظيم

وقد كان لعلو في هذه الفلسفة أثر بارز قوى في عقائد المسلمين وعلماء الكلام
منهم على وجه الخصوص ، فاتهم قد حكموا هذه الفلسفة في كتاب الله وستة رسوله

ﷺ ، وفي عقائد الاسلام الضرورية القاطمة ، وسلطوها على النصوص حتى سلبتها سلطانها وحكمها ، حتى صارت هي المرجع لما والحكم المتحكم فيها . وحتى لم يبق للكثيرين من هؤلاء غرض في النصوص غير الاشتغال بتأويلها وتحميلها التفسير الباطلة المنكرة لغة وعقلا وذوقا ودينا لتصبح موافقة أو ساجدة خاضعة لهذا المشوق المعبود ، وتجد هذا واضحا جليا في مكتب أمثال ابن سينا والفارابي والامدي والرازي ، وغير هؤلاء كشيوخ المعتزلة وغيرهم ، وأما الرافضة فهم أقل من ذلك ولهذا الغلو الاثر القوي في انحراف عقائد كثيرين من المسلمين من طريق علم الكلام والجدل . والى اليوم يوجد من يحلون هذه الفلسفة المحل الأول من نفوسهم وعقائدهم وإيمانهم

هكذا كان سلطان هذه الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات العجيبة التي نقلت الى اللغة العربية في عصور الاسلام القوية

وقد كان من أسباب هيام المسلمين بهذه الفلسفة أن بعض الخلفاء قد وقعوا في حبائلها وغرامها فعموا بها وشجعوها ، ونثروا الأموال الطائلة على القائمين بنشرها وتعليمها ونقلها الى اللسان العربي الفنى . فأكبر الناس هذه الفلسفة وعظموها تعظيم هبة واحترام وإجلال ، وتهيؤوا أن يقولوا فيها شيئا غير المديح والثناء ، وغير التشبيب وصنع النسب في خيالها وطيفها ومحاسنها الفاتنة ، فاجتمعت لها جميع أسباب السلطان والزعامة على العقائد والثقافات المختلفة ما بين إلهية ومادية الى عصر هذا الامام

أما هذا الامام فقد كان أول من أعلن الثورة والتدرد على هذه الفلسفة وعلى هذا السلطان الغريب ، وأول من رفع النداء والصوت بسقوطها واندحارها ، وأول من قام بمجد ونشاط لاجباطها وتمويض سلطانها ، وإظهار عوارها وعيوبها وقصها ضمتها زتهاقتها ، وكان أول من هاجم شيوخها وأساطينها بجرأة وصراحة نادوتين

فقد تصدى لهذه الفلسفة وأنصارها في مختلف كتبه بالنقد والتجريح القائلين على الباحث العلمية الصادقة ما بين عقلية وقلبية ، وقد شيوعها ووضعها نقداً جريئاً صريحاً بجمهرة ومعرفة واسعتين محيطتين ، وتناول سائر نظرياتهم في الالهيات والنبويات والطبعيات بالانتقاد الصريح القوي ، وأورد من أغلوطاتهم الشيء الكثير وفي أكثر كتبه تجمداً ألواناً كثيرة من هذا ، بل يكاد القاري يجد هذا النوع في كل كتاب من كتبه . فقد تقدم نقداً قوياً شديداً في مسألة قدم العالم ، وقد المتأخرين المقلدين لهم كابن سينا وأخوانه في قولهم ان العالم قديم وحادث معاً ، وقديم ومخلوق لله أيضاً ، ويعنون بهذا أنه قديم الوجود الزماني ، بمعنى أنه لم يكن حادثاً وجوده بعد عدمه ، ومع قدمه الزماني هو مخلوق لله وحادث أيضاً ، ويعنون بهذا أن وجوده تابع لوجود الله قديم بقدمه ، فهو لازم له تعالى لزوم المعلول لعلته لموجبة ، وتأويل هذا أن العالم لم يكن حادثاً بخلقه تعالى واختياره ، وأنه لهذا ليس مختاراً ولا فعلاً لما يريد ، وقد قد هذا القول في مواضع من كتبه ، وتجد شيئاً من هذا في أول كتاب منهاج السنة . وكذلك تقدم في قولهم : الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، وكذا في إنكارهم الصفات ، وفي قولهم انه علة موجبة ، تعالى الله ، وكذا نقد أقوالهم في الأفلاك وفي الفلك الأول ، وما قالوه من أن حركات الأفلاك هي السبب في حدوث الحوادث اليومية ، وكذلك نازعهم في الجوهر الفرد وفي تماثل الأجسام ، وكذلك كشف أغلوطهم في النبوات والوحى ، وكذلك أكثر ما قالوه في المنسكيات ، وأظهر ما شاء الله من خلطهم ودعائهم ، وكذلك هاجم منطقهم المأوله ، وأظهر ما فيه من النقصان والدوران والتخليط والتضليل ، وما أحسن قوله في هذا المنطق : « ان معرفته لا تفيد الفهم ، وجهله لا يضر الذكي » وكذلك هاجمهم في غير هذا . وقد كان في جميع مهاجماته شديداً عنيفاً وحاداً قوياً لكنه مع هذا يعترف لهم بما معهم من الحق والصواب ، ويمتدحهم لأجله وبضيفه اليهم

والعجيب أنه في نقده هؤلاء الفلاسفة يعتمد على الفلسفة أكثر من اعتمادهم هم عليها ، ويبدى من المعرفة بها ما يجعل قاريه كلامه يتضائل ويصغر في أفق نفسه وأفق الوجود مهما كان ذلك القاري تياها مغروراً . وعندى أن كتب هذا الامام تصلح علاجاً لمرض المغرورين بعلومهم وثقافتهم وذكائهم الفياش . فها علينا إلا أن نقول لكل مغرور تياها : اقرأ كتب هذا الامام يفارقت غرورك ويذب كبرك . وما أذكر أنى قرأت شيئاً من كتب هذا النابغة إلا أحسبته أنضال وأقل في نفسي ، وأحسست ذلك الأفق الذى أراه انفسى يضيق ثم يضيق حتى يكاد المدم يغلب الوجود . وما فتحت له كتاباً إلا أحسست ذلك الغرور الذى يغلب المره وعقله وحقيقته في فجر حياته يذوب شيئاً فشيئاً حتى يكون مكانه ذلك الانهزام النفساني المخاذل الذي يهاجم النفس أحياناً فيهرها هزاً عنيفاً حتى تكاد تترك كل شيء مما يتعاطاه الناس الراغبون الآملون في هذه الدنيا السعادة والنجاح والفوز ولقد كتبت مرات ، ومرات أيضاً أطلق القلم وكل شيء وأكب على دراسة كتب هذا الامام عند ما يعرفونى هذا المخاذل النفساني الذى يعرف نفساً رأيت فجأة ، وعلى غير انتظار أعظم الأمثال البشرية . وما أحسب انساناً يفهم ما يقرأ يوفق لقراءة بعض كتب هذا الشيخ ثم لا يجد الرغبة الملحة في الاستزادة ، أو لا يجد الاندفاع اليه والاكبار له والايمان الصادق بصدق نظرائه وآرائه . وقد عرفنا أن أقواماً ربوا على مقت هذا الشيخ والخوف منه ومن كتبه كانوا يتحامون أن يقرءوا له شيئاً خيفة أن يجذبهم الى سحره أو ضلاله على ما علموا ، فكانوا يتقونه اتقاء مرض الملعون . وقد كان هذا دأب خصوم الأنبياء والمصلحين العالمين ، فانهم يلجؤون الى تحذير الجماهير الاتصال هؤلاء المصلحين من الأنبياء فن دونهم بحجة الفيرة عليهم وعلى عقائدهم القديمة الموروثة ، التى يريد هؤلاء المصلحون تغييرها وانزاعها من بين سرائر قلوبهم ، وكان هؤلاء الخصوم يعلمون أن هذا

أعظم سلاح يلجؤون إليه في مناهضة الإصلاح ومناهضة المصلحين وذلك أن سلطان الحق لا تستطيع الحيلولة بينه وبين أعماق النفوس السليمة إلا بالابتعاد بين مهايطه ومهايط أهله ، الذين يمرضونه على القلوب والعقول عرضا واضحا صحيحا ، ولهذا ظن الناس يؤتون أكثر ما يؤتون من ناحية التضليل والمضللين

ولو أن المعجبين بالفرابين وعلومهم وتحليلاتهم الموصوفة بالدقة والتحقيق ، وبموضوعهم في أحشاء الحقائق الخفية أتيح لهم أن يقرءوا لهذا النابغة الفذ لتبدلت نظراتهم الى الفرابين والى المسلمين أيضا ، ولاصبحوا مسلمين شرقيين لا غربيين ثم لطفوا من علومهم واعجابهم بكل ما يقذف به الغرب الغابن هذا الشرق المقبون ، ولكن ضل القائد فضل القود وضعف الطالب والمطلوب

وبما اتفق لهذا الشيخ مما لم يتفق لسواه أنه في كل علم يسبق التخصصيين للبرزين فيه : فهو في عصره يفوق المحدثين في علوم الحديث رواية وحداية وحفظا وقدأ ، ويسبق علماء الكلام في علم ما قيل وما يقال ، وما في ذلك من آراء ومذاهب ، وما لكل مذهب من استدلال وحجة ووجه ، ويفوق الفقهاء في معرفة الفقه ووجوهه ومذاهبه ، ويعرف فقه كل مذهب أعظم من معرفة رجال المذهب له ، ويفوق المفسرين بما قيل في تفسير الآية من الآراء والمعاني حديثا وقديما ، عن السلف وعن الخلف ، وما في الآية من وجوه واحتمالات وروايات وآثار ، ويفوق الفلاسفة في معرفة فلسفتهم ، وما قاله المتقدمون والمتأخرون منهم ، من المسلمين وغير المسلمين ، هذا الفارابي وابن سينا وابن رشد والفخر الرازي محدودون في الطليعة الأولى من فلاسفة المسلمين المعنيين كل العناية بما قاله أرسطو وأخوانه من فلاسفة اليونان ، ولكنه مع هذا اذا تعرض لنقد أحد هؤلاء الفلاسفة أو لنقد جمعا أورد الشيء الكثير من آراء أولئك الفلاسفة القدامى مما فلت هذه الطبقة من فلاسفة الاسلام ، ويفوق علماء الملل والنحل في علم ذلك ، أما في علوم

السلف الصالح والاحاطة بآرائهم وما قالوه في كل وجه من وجوه العلم والمعرفة
 فهو لا يجارى ولا يلحق له غبار ، وهذه الناحية أبرز ناحية في نواحيه ، وأما في
 العلوم العربية : النحوية والصرفية ودقائق اللغة وأسرارها وأفرادها فله الباع الطولى
 والقدم المراسخة ، وما به من هذا في سائر كتبه يعرفنا مقدار نبوغه في هذه العلوم
 وقصته السابقة مع أبي حيان النحوى تدلنا على قوة هذا الجانب فيه ، وقد قيل أنه
 سئل عن حرف « لو » وما فيه من الوجوه وما له من المعاني ، فكتب فيه كتابا
 مستقلا ، ولله من الأسرار والحكم في خلقه ما لا يستطيع النفوذ اليه كله ذهن نالقه
 وهذه الصفة المحيطة فيه لم تتفق فيما أذكر لتيرة من العلماء ، فان من المستقرا أن من
 نبغ في علم أو علمين أو علوم قصر - ولا بد - في العلوم الاخرى أو جهلها جهلا
 تاما ، وهذا ما اتفق لجهاطة العلماء وفحولهم ، أنظر هذا الامام الغزالي مثلا عالم
 بالكلام وبالفلسفة وبالفقه وأصوله ، ولكنه متأخر جدا في علوم الحديث رواية
 ودراية ، وفي علوم السلف رواية ودراية أيضا ، وفي علوم التفسير ، وفي علوم
 اللغة ، وفي غير ذلك ، وهذا أيضا الفخر الرازى نابغ في الجدل وفي صناعة الحجة
 المسفطة وفي علوم الكلام ، ولكنه بعد ذلك متأخر جدا فيما تأخر فيه الغزالي ،
 وهذا أيضا الفيلسوف القاضي ابن رشد ليس خيرا من هذين الشيخين في ما تأخرا
 فيه . وعلى هذا النحو انظر الى جميع العلماء - الا من شاء الله - نخدم كذلك ،
 نابغين في جانب أو جوانب ، مقصرين في الجوانب الاخرى ، والله من خلقه
 صفايا بمنزلة

فهذا الامام إذ ينقد الفلاسفة ويهاجمهم ينتقد ويهاجمهم بعلم واسع وخبرة
 مستفيضة ، تارة بعلومهم وفلسفاتهم ، وتارات باحسن من ذلك . ثم هو محدود
 أول رافع لم الثورة والتمرد على هذه الفلسفة الاجنبية الباطلة التي ألحقت بالاسلام
 واصله ماشاء الله من الاضرار المادية والمعنوية الخاصة والعامة ، وأول مناد باجلاء

هذا الغريب الثقيل المؤذى من ساحة المسلمين المؤمنين المحمدين ، وأول من حل
 الفأس لتحطيم هذا الوثن المعبود دون الله في بلاد الاسلام والتوحيد والايان
 والقرآن ، وأول من رفع الكأس القاتلة ليفرغها في جوف هذا العدو المحتل لغزو
 قلوب المسلمين وعقائدهم . وليس الاحتلال للمقائد والايان والاخلاق دون
 الاحتلال العسكري للديار أخطارا وأضرارا ونتائج مشؤومة . وليس الحامل على
 محتل العقائد والقلوب دون الحامل على المحتل العسكري ثوابا وفضلا . فابن تيمية
 بهذا المكان المحمود غير مدفوع

آثار ابن تيمية في العالم الاسلامي

الآثار التي ترتبت على ظهوره

ولقد كان هذا الامام من أفذاذ الرجال القلائل الذين يعمدون الى تاريخ
 الانسانية الأسود القاتم فيلونونه بالوانهم الالهيّة التورانية الناصعة ، ويعمدون الى
 صحائف مظلمة مخيفة أملاها دين الانسان الجاهل ، وعقله الناقص ، ونقصه الكامل
 فيمزقونها بأسلات أفلامهم ، ويحجلون مالم يمزقوه بخيوط من نور الله المشرق
 في جوانب معاني الانسان المريضة المظلمة اشراق الشمس في جوانب المادة الكثيفة
 المظلمة ، ويضلون من وجه هذا الوجود معاني ظلمه ، كما تفصل الشمس معاني
 ظلماته ، ويطهرونه من جرائم امراضه العقلية والقلبية ، كما تطهره الشمس من
 جرائمه الجسدية المادية . ولولا هذه المعاني الالهيّة المشرقة في بعض القلوب
 الممتازة لما عرف الانسان الفرق بين المعنى الاسود والايض ، وبين المعنى
 المشرق والمعنى القاتم ، كما لا يستطيع ان يميز الجسم الأسود من الجسم الايض ،
 والحالك من الناصع لولا نور الله الذي أظهره في بعض الجاد من خلقه . وليست
 مادة الانسان بأحوج إلى النور المادى من معناه الى النور المعنوي ، وليس

بصره بأحوج الى نور الشمس من بصيرته الى نور المعنى . والناس قد يعيشون في ظلمات المادة كما يعيش العميان ، ولكنهم لا يعيشون في ظلمات المعنى الا بقدر ما تبقى بينهم من أنواره

ولهذا الامام آثار كثيرة بارزة في بناء هيكل الاصلاح الاسلامي العظيم ، وفي توجيه الناس وجوها ما كانوا - فيما يظن - مهتدين اليها - الا ما شاء الله - لولا جهاده الصابر المصابر ، وما خلق معدا له من النبوغ في جميع نواحي النبوغ البشرى المستعمل في ما يرضى واهب النبوغ وواهب كل شيء . وقد قامت على يد هذا الامام هياكل كثيرة من هياكل الاصلاح :

١ - فلا شك أنه هو الرجل الفرد الفذ الذي قد بحث في العلوم الاسلامية الحياة والنشاط والحركة الدؤوب بعد الركود والرقود والجمود ، وهو الذي شجذ عزائم العلماء وألهب جهودهم وأشواطهم نحو الكمال والفضل والخير والسمو ، وذلك بما قام به من الهجوم والنضال العلى العنيف ، والحملات الشديدة القوية التي صباها على أهل التقص والضعف والقصور والتقليد والركود والجوع القهقرى ، ثم بما أرى الحاسدين المطاولين المسامين من التفوق والتبريز القاهر الواضح ، وبما أبداه من النشاط وغزارة العلم ووفور الذكاء والمعرفة ، وتطلب الحقيقة الخالدة الواحدة بالجد الذي لا يدرك ولا يطال ، ثم بما أكسبه ذلك كله من هيئة الصدور ومحبتها ، وبعد الصيت ورفعة القدر والشأن ، والاستئانة بالدنيا وأهلها ، فان هذه الأمور الفاضلة التي فاز بأشرفها وأطيبها هزت أناس ذلك العصر هزات أيقظت النائم ، وشجذت الكليل ، وحركت الساكن ، واصطدمت بهم اصطدام الموجب بالسالب أو المخلوب بالغالب ، وأحدث هذا الاصطدام ما يحدث التقاء موجب الكهرباء بسالبها من الاشرار والنور والقوة وايراز أشد ما في الطبيعة من السر الكامن والطبع القوى الحاد . فأن الاصطدام المعنى القوي بالمعنى الضعيف مثل ما لاصطدام الجسم

القوي بالجسم الضعيف من ذلك : فاما حلم القوى الضعيفة ، وإما دفعه الى جهته ووجهه فراح يفعل فعله ويقصد قصده . وهذا هو ما كان من معنى هذا الامام ، فانه حلم ما لا يصلح للبقاء وكتبه وأذله ، ووجه الصالح الطيب الى الخير والنافع المفيد ، فقامت نهضة علمية زاهرة ، وقوية ناجحة ، هو الباعث الموقظ لها ، فكثر العلماء النابغون ، والمؤلفون الخالدون في عالم التأليف الخالد الصالح ، واتسعت آفاق العلم والعلماء وجلت منازعهم ومناحيهم ، فقامت سوق العلم والمعرفة ، وقام في تلك الآونة رجال عدوا - والى اليوم يعدون - من أفذاذ العلماء ونوابغ المؤلفين المحيطين بآفاق المعارف والعلوم والفنون ، ما بين عقلية ورقلية . ولقد كرم هؤلاء الرجال أمثال ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وغير هؤلاء من الرجال المعاصرين لهذا الامام ، والمعاصرين المعاصرين ، من المخالفين له والموافقين ، فان المخالفين قد استفادوا منه مثل ما استفاد الموافقون ، فالمخالف وان أقر الاعتراف له والموافقة فقد حملته المنافسة ، وحمله حب البقاء وخوف الفناء حتى هدد المنافسة والاستعداد له والتسلح بما تسليح هو به . وقد تلاحت سلسلة هذه النهضة العلمية وامتد أثرها الى الامام عصوراً طوالاً أفاد بها العلم والتأليف والدين ما لا يقدر من الفوائد القيمة الباهرة الظاهرة ، وفضل هذا كله يرجع الى مصدر هذه النهضة الأول

وقد خطت عصور وقرون على هام الأمم الاسلامية والعربية قبل ظهور هذا الامام ركزت فيها العلوم والمعارف والثقافات ركوداً يشبه الموت في معانيه ، وتبلدت فيها الأذهان تلبداً كاد يقطع الصلات بين حاضر الاسلام وغايه ، وبين المسلمين والاسلام . ولو أنك طالبت عصوراً ضخمة سبقت مولد هذا الشيخ بعالم واحد يشار اليه كأولئك العلماء الذين ولدت عصور الاسلام الأولى ، كأولئك الذين كانوا في عصر هذا الامام وما بعده عصره من المتأثرين بعلومه ووجوده ،

وعلوم تلاميذه ووجودهم ، لما أجابتك تلك المصور إلا بالمجز والاعتراف
بالافلاس الظاهر

فهذا الامام هو بلاريب أبو النهضة العلمية الاسلامية في صصور الاسلام
الوسطى ، وما زال المصلحون في الاسلام من ذلك العهد الى اليوم يفكرون بذلك
الرأس وينتزعون منه معاني الاصلاح وحججه ، عرف ذلك من عرفه ، وجهه
من جهله

٢ - لاريب أن هذا الشيخ هو أول نائر ثورة قوية منظملة ثابتة ذات قواعد
وآساس وبراھين قاهرة معلومة على الدخيل الغريب في الدين ، وعلى المبتدعات
الحق ، وأنه هو أول من أرسل الصوت المدوى القارع مطالباً بإبعاد كل غريب في
الدين عن الدين ، ومطالباً بأخذه خضاً طرياً كما جاء ونزل ، وكما تلقاه المسلمون
الأولون من محمد بن عبد الله ﷺ

أجل ، لاريب أنه هو أول من آذن الابتداع والمبتدعين بالحرب والعداء ،
وأول من أقام سوق الحرب العنيفة بين أنصار السنة وأنصار البدعة ، وأنه هو القائد
الأعظم المظفر زعماء الاصلاح الحاملين على كل غريب في الدين : عملياته واعتقاداته
وما نعلم أن عالماً أبلى بلاده في معجزة الابتداع والمبتدعين ، وما نعلم من أحسن
مهاجمة ذلك وتأليف الدلائل لمهاجمة مثله ، ولا نعلم من ألف ما ألف في هذه المطالب
العليا من الكتب المنقطعة المثال في شجوة تأليف الحجج وتصنيف الدلائل عقلية
ونقلية ، ثم في ذبوع الاسم ، وما من يلبى من أبواب البدع المحمولة على الاسلام
جلا إلا وقد كتب فيه وأجاد ما شاءت له الاجادة ، وإلا وقد حشر من البراهين
العقلية والنقلية ، على الانتصار للجنة ما لا أمل لأحد - فيما نعلم - بأن يسبقه فيه .
وقد أخرج في جميع أبواب الاجتهاد - التي لم تطرق قبله إلا لماماً واختطافاً وكلمات
طائرة قصيرة - كتباً عظيمة كبيرة مملوءة بالدلائل والبراهين القاهرة ، حتى أصار

هذه المباحث مطروقة ميسورة ، معلومة الدلائل مجموعتها ، يسهل على كل أحد
الالمام بها وعرفانها سريعاً بسهولة ، بعد أن كانت كلمات شاردة قصيرة ، أو كتباً
مشوشة لم تنضج ، ولم تصبح جديرة بالبقاء والانتشار الذين قدرا لمؤلفان ،
هذا الامام الفذة ، وآية ذلك أنه ما من داع من دعاة الابتداع الا ويعقته
ويعت اسمه ، ويتمنى لو استطاع محو اسمه من بطون الكتب وقلوب الرجال ،
وصفحات الدهر والوجود ، وما من داع من دعاة البدعة الا وقد آذاه ، وأضاف
اليه من التهم والا كفار والافساق واختلاق الا كاذب ما استطاع . وقد
أنكر ما أنكره هو من البدع جهامير الطماء من جميع المذاهب وجميع البلدان ،
وألف فريق منهم في ما ألف هو فيه ، ولكن قدح المبتدعين وهجاءهم
- على رغم ذلك - ينطلقان اليه وحده ، وهذا لأنهم يطون أنه هو القائد
الأكبر المظفر لنزو المبتدعات والجهالات . وآية ذلك أيضاً أنه ما من داع
من دعاة السنة الا ويحمله ويوده ، ويزجى اليه أجل الثناء الخاص الماطر ، ويفاخر
بالانتماء اليه وطائفته ، ويعجب به وبكتبه ، ويحرص على قراءتها والاستفادة منها ،
ويعترف له بالامامة والزعامة ، ويرجع اليه كثيراً مما عنده من المعرفة والهداية الى
السنة وحبها والحرص عليها والقيام بنصرتها والقيام عنها ، فهو العدو الأشهر للبدع
وأربابها ، والصديق الأكبر للسنة وأصحابها ، فما عادى المبتدعون في عصره وبعده
مثله ، ولا أحب أهل السنة والاعتصام بها في عصره وبعده مثله ، فقد نال من أهل
السنة أخلص الولاء والرضاء ، وناله من أنصار البدعة أشد الكراهة والمقت ، فله
أجل ثناء أولئك وأكبر عداؤهم هؤلاء ، فله أعظم العداوة وأعظم الولاء ، فهو محبوب
مكروه ، محبة يحبه بشدة ، وكارهه يكرهه أيضاً بشدة ، وهذان برهانا على أنه هو
رجل السنة الأواحد ، وخصم المبتدعات المفرد ، فعلى يديه تم نصر السنة على
المبتدعات ، وانتصار أهل السنن على أهل البدع ، وبه قام الفرقان واضحا جليا بين

الحزين والطامنين والأميرين ، وهذا لا يدقعه الا مكابر للحق ، مغموس في الهوى
أو في الجبل أو فيهما معا

٣- لا ريب أنه هو الذى استطاع بمهارة وقوة أن يوفق بين نصوص
الشريعة الثابتة وبين العقولات الصريحة ، وأن يزيل ما بينهما من اختلاف مدعى
وتعارض حسب حقا عصوراً طويلة ، حتى أسبغ الى العقولات والى المقولات معا
وقد جاء هذا الامام وامهات الدين الاعتقادية قد عقدت حولها وعليها ألوان
من الشبهات والمعارضات المختلفة الخيفة : فكانت على الصفات السمعية عقد ، وعلى
قيام الصفات بذات القديم عقد ، وعلى الافعال الاختيارية وقيامها به تعالى عقد ،
وعلى مغايرة الصفات للذات عقد ، وعلى صفات الحكمة والتعليل والاختيار عقد ،
وعلى صفة الكلام عقد ، وعلى صفة الاستواء والموعد ، وعلى حدوث العالم
عقد ، وعلى بحث الاجسام عقد ، وعلى النبوات والكرامات والمعجزات عقد بمد
عقد ، وعلى التوفيق بين العقل والنقل عقد أية عقد . وبالأجمال كانت على سائر
أمهات الدين الاعتقادية عقد معتدة ، وكانت الفلسفات الاجنبية المعربة قد نسجت
على قطعات الاسلام الضرورية العقد والاشكالات من كل جانب ووجه ، حتى
صار أكثر الناس المصايين بهذه الفلسفة ازاء النصوص فريقين فريقاً زهد فيها
وسخر منها بمد أن أيمن مخالفتها للعقولات الضرورية التى لا تنازع ، فكان موقفه
منها موقف المحرف المؤول ان اصطدم شئ منها بشئ من عقلياته . وفريقاً قبلها
بايمان واستسلام ظاهر على مضض مع اعترافه بأنه لا يمكن الاصلاح بينها وبين
المقولات فى الظاهر ومع اعترافه بأنه لا يمكن إقناع العقليين بها ، وكان غاية أمره
أن قال إنها فوق العقول البشرية . فلا مناص من التفويض والامراض عن محاولة
فهمها وعلمها . وكان موقف هذا الفريق موقف القادح للمادى للمعقول ودلائله ،
كما كان موقف الفريق الأول موقف القادح للمادى للنصوص . وكان موقف كل

ريق من الآخر موقف المتنصص الذام ، فكان أهل العقليات يسمون أهل النصوص بأنهم لا يمتلون فلا يليق بهم الخطاب ، وكان أهل النصوص يسمون أهل العقليات بأنهم ملحدون كافرون ، فواجب على المؤمن الفرار بدينه وإيمانه منهم ومن عقلياتهم لئلا يضلوه ويفسدوه . وكان إحلال الصلح بين الفريقين بعيداً لا يرنجى وكان لكل من الفريقين أتباع وأنصار ، وكان الظفر - أئني الظفر بكثرة الاتباع والأنصار - غالباً في جانب العقليين ، لأن الناس مجبولون على الفرار مما لا يفهمون ولا يدركون ، وعلى الاستمسك بما فهموا وعلموا . وبهذا كان للمعتزلة التفوق على خصومهم في عهد المأمون والواثق والمنتصم ، حتى لقد استطاعوا أن يكسبوا هؤلاء الخلفاء العظام ، وأن يجعلهم من أنصارهم ، الحاملين الناس على عقيدتهم وآرائهم بالسيف والوسط والسجن . ولست أشك أن هذا الامام لو كان هو الخصم المناهد للمعتزلة في ذلك العهد لاستطاع رفع الحنة عن أهل الحديث ولاستطاع أن يقف أولئك الخلفاء عن الاندفاع في تيار الاعتزال الجارف ، ولاستطاع أن يدهمه ذلك السلطان العلى الاعتزالي الذي طاح برقاب كانت بريئة ، وأشاط بدماء ما كان أخلفها بأن تصان وتسبقي

هذا ما كان من الأمر بين المقولات والمنقولات قبل ظهور هذا الامام . فلما أن ألقى الأمر كما ذكرنا عهد إلى تبديد هذه الفمة ، وتصدى الإصلاح بين العقل الصريح والنقل الصحيح . فأشاد البراهين على أنها اخوان لا يختلفان أبداً ، وأن كل نص صحيح صريح لابد أن يسير العقل الصحيح الصريح في جانبه مؤيداً مقوماً لا مخالفاً منابذاً ، فتم له ما حاول وأشاد صرح ما أراد . فكان فيصلا من فياصل الله وفاروقا من فواريقه ، فكان هو أول من تم له التوفيق بين المقولات والمنقولات والإصلاح بينهما بمهارة خارقة عجيبة . فلنضعه بهذا المكان بلا جهمجة ولا احجام

٤ - ثم ليس من شك في أن النهضة الإصلاحية الإسلامية المشهودة في هذا

المصر ، والقائمة منذ قرنين بشكل واضح جلي ، والمدوي صوتها منذ قرون الحين
 بعد الاحيان ، هذه النهضة الرامية الى تخليص الدين من الترهات والزيادات -
 مرجعها الى هذا الامام والى كتبه القيمة المضمنة آراءه وعلومه ونظرياته للناضجة
 الصحيحة ، وما من اصلاح ديني في هذا العصر الا وهو السبب له إما مباشرة منزحاً
 من كتبه مباشرة ، وإما بوساطات قليلة أو كثيرة تتصل حلقها الأخيرة به ومؤلفاته
 الخالدة فالعالم العربي والاسلامي المنادي بالاصلاح الديني الاعتقادي الرامي الى تخليص
 الدين والعقل من كل دخيل غريب باطل - مدين كله لهذا الامام ولكتبه بأفضل
 ما معه وهو فكرة الاصلاح وإبعاد الدين عن الترهات ، بل لاريب أن دعاة البدع
 والضلالات الاعتقادية المريضة القادحين في هذا الامام وفي إصلاحه مدينون له
 بأفضل واستنارة الأذهان وصل العقائد ، وذلك أنه بثوراته ومهاجاته ومؤلفاته
 التي لجوا في عدائها ومطاردتها ومهاجتها قد هزّ نفوسهم وعقائدهم ودخائلهم هزات
 تطايرت من هولها وشلتها أنواع كثيرة من رخيص الآراء ، وهجين العقائد ،
 فانصقلت عقائدهم وأذهانهم وآراؤهم شيئاً فشيئاً ، وفارقوا كثيراً من المبتدعات
 للردولة الناقصة تحت ضغط قانون المنافسة والمجازفة والمساجلة اما يعلم منهم وإما
 بغير علم ، فله عليهم بذلك الفضل العظيم ، والأيادي التي لا يستطيعون جزاءها
 عرفوا ذلك أم جهلوه

وقد قامت على هياكل هذه النهضة الإصلاحية الراجعة إليه حركات سياسية
 نافعة ، ويوجب لها المزيد والقوة والنشاط والانتشار والعز الباذخ ، وإليه يرجع
 الفضل في قيام الدولة العربية السعودية أولاً وأخيراً . وذلك أن هذه الدولة الفتية
 قائمة على قواعد الاصلاح الديني وتخليص الاسلام مما لوثه من الأوضار الاعتقادية
 والعقلية ، ولا ريب أنه هو الدال على هذا الاصلاح الذي قامت عليه هذه الدولة
 بواسطة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه ، فهما مشتركان في هذا

الفضل العظيم . ولهذا فان رجال هذه الحكومة وأنصارها يحملون له خالص
الولاء والاحلال

فالنهضة الإصلاحية الإسلامية في العالم العربي والإسلامي اليوم وقبل اليوم
بعدة قرون مدينة لهذا الامام ، راجعة إليه وإلى كتبه الخالدة ، فهو - ولا شك -
أبو النهضة الإسلامية الحديثة ، وهو - ولا شك - الواضح لأساسها وقواعدها
الرأسية الثابتة . ولو أننا أردنا معرفة جميع دعاة الإصلاح في هذا العصر لوجدناهم
جميعاً من المتخرجين على كتبه المدارس لها . وهذا أمر لا يدفع ولا ينكر

٥ - ثم لا ريب أن هذا الشيخ أول من أبدى عيوب الفلسفات الأعجمية من
يونانية وغير يونانية ، وأول من أبدى أضرار مزج هذه الفلسفات بالعقائد
الإسلامية الصافية ، وأول من عد ما نال إيمان المؤمنين من جراء هذه الفلسفات
وجراء مزجها بالعقيدة التي مصدرها القرآن والرسالة الحميدة ، وأول من أبدى
مخالفته لنصوص الدين ، ودلل على أنها هي الباطلة عقلاً وقللاً ، وعلى أن النصوص هي
الصحيحة عقلاً وقللاً ، ثم هو أول من هاجم الفلاسفة المهاجرة القوية الباردة ، ووضع
الثام من أخطائهم وأخطائهم ، وأول من أبدى للمخدوعين المغرورين بهم أمكنة
الضعف والنقص فيهم بأساليب مختلفة كثيرة

٦ - ثم لا شك أنه هو أول من خرج على ذلك الأسلوب اللفظي المنتصب
الأسجاع والأوزان ، الشائع بين العلماء والأدباء قبيل خروجه وفي عصره . بعد أن
ركبت العلوم وتناقص العلماء في عصور الانحطاط والجهل والضعف الشامل كل شيء
في الاسلام لأسباب ذات عدد أصابت الاسلام وأهلها أصابات بالغة موحشة . فكان
العلماء والمكتتاب والأدباء أيضاً مقيدون بالسجعات المريضة والألفاظ الملهمة ،
المسوحة بكلف التكلف ، الملونة بألوان البلاغة اللفظية الفارغة . فكانت الأساليب
أساليب لفظية لأن اللفظ ومحاولة تزيينه - على حساب ذلك الذوق المالك - كان

هو المقصود المرعى أولا وآخرا . فكان القول والتأليف يجيء - ولا محالة - ركيكا فارغا هالكا ، لا يمكن أن يصل مكان الشعور أو يلامس النفس والقلب والعقل ، وكان غايته أن يطرب الأسماع لتوقيعه سجمات المتناكرة المتعادية ، فكان أئمة العلماء والأدباء والكتاب خاضعين لهذا العرف البلاغى الميت

أما هذا الامام فانه كان نائرا على كل بدعة وعلى كل ضعف وقص ، حتى على بدعة الأسلوب وضعف التأليف ، وقص الكتابة ، فكانت أقراله وألفاظه وآراؤه ومعانيه لا تتقيد إلا بوثاق الحق والقوة ، ولا تخضع إلا للبرهان والحجة ، أما الناس وعاداتهم وعرفهم الخاص والعام ومبتدعاتهم وأهواؤهم : أما ذلك كله فليس جديرا بأن يقيد المرء به نفسه وعقله ودينه وألفاظه وعاداته . فكان لذلك يرسل ألفاظه كما كان يرسل معانيه وآراءه حرة طليقة غير مقيدة إلا بالمعنى الذى أراد أن يفهمه الناس وأن يفهموه . فللمعنى هو المقصود والمراد ، وأما الألفاظ فعارض له وأزياه فيجب أن تكون تابعة له خاضعة . فكما يجب أن يكون الثوب ملائما لذلك الجسم المعروض فيه وأن يكون بقدره فكذلك يجب أن يكون اللفظ ملائما لمعناه وبقدره أيضا . ولهذا جاءت أساليبه أساليب علمية محكمة مفهومة المعنى بسهولة ويسر ووضوح ، بعيدة عن التكلف وعن الزخارف اللفظية المفضوشة ، بعيدة عن خدمة الأوزان والتوقيع الأدائى الآلى ، لا تنكف قارئها في فهم معناها والاحاطة بمرماها إلا بقدر ما يكلفه انتقال المعنى القريب من صفحة هذا الوجود الى صفحة قلبه ونفسه . ولهذا أيضا كانت مؤلفاته خالدة لأنها تلامس شعور القارئ قبل أن تمر بأذنه ، ولأنها قد أفرغت في قالب الفطرة الالهية الأولى ، فما من قارئ لما إلا ويمجد فطرته المولودة مع شعوره وفهمه وعلمه وجسمه ، فهي حبيبة الى كل قلب وهي خالدة ما خلدت القلوب والمشاعر

ولو أنك عرضت فصلا من فصوله العلمية التى كتبها منذ أكثر من ستة قرون

على كتاب هذا العصر وعلمائه لما حسبوا ذلك إلا من توليد عصرهم ومن نتاج
الأقلام والألأباب العصرية . وهذا هو آية الخلود ، ومثل هذا هو الجدير بالبقاء
والديوع من الكلام العالمى ، فهذا الامام مجدد فى الاسلوب والتأليف كما كان
مجدداً فى الآراء والنظريات والمبادئ
وقد تأثر صفوة تلاميذه أساليبه كما تأثروا بمعانيه واصلاحاته ، فكانوا
بذلك ممتازين .

هذه بعض النواحي الاصلاحية التى قدمها هذا الامام الى الاسلام والمسلمين ،
والى العرب والعربية ، فما أعظم بركته ! وما أحسن أثره فى نفسه وفى أمته !

المقاصح فى ابن تيمية

وأما ما ذكره هذا الشيعى وما ذكره غيره من المقاصح فى هذا الشيخ فيقال
فى الجواب عن ذلك : ان المقاصح التى ذكروها قسمان : قسم كذب على الرجل
لا أصل له ، وقسم صحيح النسبة اليه ولكن الحق هو ما قاله فيه . أما قسم الأكاذيب
فهو ما ذكره من أنه كان يقول ان علياً كان مخذولاً حينما توجه ، وأنه عاجل
الخلافة مراراً ففاته ، وأنه كان يقاتل لثأرته لا للديانة ، وأنه كان يحب الملك ،
وأن عثمان كان يحب المال ، وأن أبا بكر أسلم شيخاً يلزم ما يقول وأن علياً أسلم
صبيلاً لا يلزم ما يقول وأن الصبى لا يصبح إسلامه ، فهذا كله كذب صريح ،
وكذلك ما ذكره من أنه كان يفض آله البيت النبوى ، وأنه كان يسعى للخلافة
والامامة ، وأنه كان ينسب الجسم والجهة الى الله ويضل من لم يقل ذلك ، وأنه
كان يقول بأن شيئاً من المخلوقات قديم . فهذه الأمور كلها كذب صريح وبهتان
عند الله جزاؤه . ولقد صرح فى أكثر كتبه المعروفة للقرومة بانكار هذه التهم
وإبطالها والرد على القائلين بها ، فقد أنكر صراحة فى غير ما كتاب من كتبه
القول بأن الله جسم أو أنه فى جهة ، ولكن يقر ما جاء فى النصوص من الاستواء

والعلم المطلق ، لا يزيد ولا ينقص ، وصرح كذلك في جميع كتبه بأن كل ماسوى
الله وصفاته حادث كائن بعد عدم ، وقد رد ردوداً باهرة على الفلاسفة وغيرهم من
القاتلين بقدم شيء من العالم ، وألف الحميج الخالدة القاهرة على حدوث العالم وجميع
أجزاء هذا الكون ، وقد دافع عن الصحابة عموماً وعن آل البيت خصوصاً في
مالا نعلمه من كتيبه ولا سيما كتاب « منهاج السنة » الذى ردَّ به آثام الشيعة
وعدوانهم على الصحابة وعلى المسلمين ، وأحرق شبهات النواصب القادحين في آل
النبي ﷺ ، وشبهات الشيعة القادحين في الصحابة وفي الأمة الاسلامية عامة .
وما كتب كاتب - فيما نعلم - دفاعاً عن الصحابة كافة ، وعن المسلمين كافة مثله في
كتابه « منهاج السنة » وفي غير هذا الكتاب من كتيبه الدائمة الاسم ، المطبوعة
وغير المطبوعة . وقد دافع خاصة عن الخليفة المهين الابن عثمان رضى الله عنه وحرق
مقادح الشيعة الظالمة فيه ، وحل ما نسجوه من التهم واللذام حول دينه وعمله
وايمانه حتى انقشع ذلك الجهام المدمم عن معاء محبة رسول الله ﷺ وأركان
دينه ودعوته رضى الله عنهم جميعاً . وقد كانت مقادح الرافضة قبل ذلك غشاء
كثيفاً حائلاً بين الأبصار وبين محاسن أولئك الصحابة الكرام
وأنا أشهد الله شهادة حق أسأل عنها بين يدي الله يوم القيامة أتى لا أعرف
حالاً أحسن الدفاع وصدق الدياد عن محبة رسول الله ﷺ وآل بيته مثله في
كتاب منهاج السنة ، وأشهد الله شهادة حق وصدق أسأل عنها يوم الدين أتى لا أعلم
من رد عدوان الرافضة وعدوان النواصب على الصحابة وعلى آل النبي ﷺ مثل
هذا الامام الربانى

فهذا القسم كله كذب ظاهر على الشيخ ، وعند الله جزاء الكاذبين . ومن
شك في هذا تحدياته وطلبنا اليه أن يدلنا على شبهة واحدة من هذه الشبه في كتاب
من كتبه ، بل ليدلنا على شبهة من هذه الشبه لم يصرح هو بضدها وبابطالها وبالرد

على القائلين بها في سائر مؤلفاته . أما ان يقول حاقذ ذو ضغن ان فلانا كان كذا وكذا ، وكان في دينه وعقيدته كيت وكيت - في حين أن جميع كتبه تنادي بخلاف قول ذلك الحاقذ - فأمر لا يعبأ به العاقل ولا ينعم به الحق ميتا

ومن مصائب الدنيا والله أن يقول هذا الشيعة ان ابن تيمية منافق لأنه قال في عثمان ما ذكر من حب المال في حين أنه هو وإخوته الشيعة يكفرون عثمان ويكفرون أبا بكر وعمر وعائشة وغيرهم ، ويقولون فيهم أعظم الأقاويل ويندون اليهم من الآثام ما قد يتأثم من غشياته أعلام الفجار والكفار ! ويل للانسان ! فما أظلمه وما أجهله !

واذا كان من قال ان عثمان يحب المال وأن عليا كان مخذولا وأنه كان يحب الرئاسة والملك ، اذا ما كان قائل هذا مناققا وزنديقا ، فما يكون من قال في أبي بكر وعمر وعائشة وفي سائر الصحابة والمسلمين ما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وفي أثنائه ؟

هذا جواب القسم الأول من المقادح التي هي كذب واختلاق . وأما القسم الثاني من المقادح التي هي صدق ولكنها ليست مقادح وإنما هي فضائل قائمة فهي انه يقول بملو الله على خلقه وعرشه ، وأنه يؤمن بجميع ما جاء في الآيات والأخبار الثابتة من صفات الله كالنزول الى السماء الدنيا ، والمجيء والقرب والوجه واليدين والأصابع ، والرضا عن المؤمنين والصالحين ، والغضب على الظالمين والكافرين وكلهبة للحق والايمان والاستقامة ، والكره للباطل والفسوق والمروق ، وأنه تعالى يتكلم بحرف وصوت - كما دلت عليه الدلائل - فهذه الصفات وغيرها وغيرها من أوصاف الكمال لله يؤمن بها هذا الامام إيمانا خالصا قويا ، ويدعو الى الايمان بها جميع المؤمنين ويخطئ من لم يؤمن بها ، ولكنه يؤمن بها مع التنزيه ورفع التشبيه كما يؤمن بذاته تعالى وأسمائه وسائر صفاته مع التنزيه ورفع التشبيه . فلا يقول :

(٦٩٣)

ان هذه الصفات لله تشبه صفات المخلوقات . كما لا يقول : ان ذاته تعالى تشبه خوات المخلوقات ، ولا ينكر هذه الصفات خوف التشبيه وبمجة التنزيه . كما لا ينكر ذات الله وأسماء وصفاته الأزلية خوف التشبيه وبمجة التنزيه ، واذا كان ممكنا الايمان بالذات والحقيقة والوجود وسائر مالا يمكن الانكار له من الصفات - مع المحافظة على التنزيه والاستمسك به - كان ممكنا الايمان بهذه الصفات المذكورة مع المحافظة على التنزيه والاستمسك به أيضا ، ولو كان الايمان بهذه الصفات قاضيا بالتمثيل - كما يزعمون - لكان الايمان بالذات والوجود والحقيقة قاضيا بذلك فالذات والصفات في هذا المعنى سواء لزوما واقتضاء ، والتفريق بينهما غلط لا حيلة في دفعه أو رفعه ، ولا ريب أنه اذا لم يكن للمؤمن بالذات لله والوجود وبعض الصفات مشبها أو ممثلا لم يمكن أن يكون للمؤمن بسائر الصفات الثابتة مشبها ولا ممثلا ، وأنه اذا ما كان للمؤمن بسائر الصفات مشبها ومثلا فلا بد أن يكون للمؤمن بالذات وبعض الصفات كذلك أيضا ، ومن الحال عقلا ونظرا وجدلا الخلاص من هذا الالتزام . ولو استعان الخالف بالجن والانس وكل ما خلق الله على أن يجد مخرجا من هذا الالتزام لما وجده ، ولو أصر عقله عقول العقلاء جميعا ثم جهد على أن يظفر بفرق بين الأمرين لاصياه ذلك الفرق

قابن تيمية - كسائر السلف والعلماء المستمسكين بالنصوص والآثار - يؤمن بما جاء من الصفات لله رب العالمين بلا تفريق بين صفة وصفة ، ولا بين نص صحيح ونص آخر صحيح . إذ كل ذلك من عند الله . ثم يعلم بعد أن الايمان بذلك ليس فيه شيء من تشبيه الله بالمخلوقات ، وليس في شيء من ذلك قص ولا ضعف لا يليق بالله . بل ثم يعلم أن الايمان بذلك هو عين التنزيه والتقديس والاجلال والاكبار لله رب العالمين ، ويعلم أن السطليين المجردين هم المشبهون للمثلون حقا . إذ لولا شعورهم بذلك ، وشعورهم بأن النصوص بظاهرها تشبيه

وتمثيل لما فزعوا الى التأويل والتجريد ، زاعمين أنهم ما فزعوا إلا من تشبيه الله وتمثيله بخلقه ، ومن وصفه بصفات الحدوث التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة . فالتشبيه أولاً قد قرئ - ولا بد - في قوس المؤولين للنكرين . فالذين ينكرون على ابن تيمية وغيره من السلف الصالح الايمان بالصفات الثابتة للنصوص ويزعمون أنهم ان آمنوا بذلك كانوا مشبهين - في حين أنهم هم يؤمنون بذات الله ووجوده وأنواع أخرى من صفاته ، ولا يرون أنهم شبهوا ولا مثلوا - غلطون غلطاً فاحشاً ظاهراً ، وتحقيق هذا البحث قد ألمنا به في ثانياً هذا الكتاب وأول هذا الفصل

إذن شيخ الاسلام ابن تيمية يؤمن بصفات الله الواردة في النصوص الثابتة ايماناً قوياً حازماً ويدعو الى الايمان بذلك بلا تفريق بين صفة صفة ، كما يؤمن السلف قاطبة ، وهذا من حسناته لا من سيئاته

وأما قوله « ومنهم من ينسبه الى الزندقة لأنه قال ان النبي عليه الصلاة والسلام لا يستغاث به » فيقال في جواب ذلك أولاً انه لم يقل أن النبي لا يستغاث به مطلقاً حياً وميتاً في ما يقدر عليه ومالا يقدر عليه . بل الذي قاله ودونه في جميع كتبه وشهره في الفصول الطوال هو أنه لا يستغاث بالنبي عليه السلام ولا بغيره في ما لا يقدر عليه إلا الله من ضرور الحاجات وضرور المطالب العليا . كما لا يستغاث به بعد وفاته وبعد انتقاله الى الرفيق الأعلى ، ولا وهو غائب لا يسمع الداعي ولا يسمع دعاءه ولا يقدر على اجابته عادة . أما في الحياة فلا خلاف في جواز الاستغاث به في ما يقدر عليه من الشؤون والحاجات التي جعل الله له القدرة على أن ينعم فيها شيئاً . بل ولا خلاف في جواز الاستغاثة بسائر المؤمنين في ذلك فضلاً عن أكرم الخلق على الله وعلى المؤمنين ، وكذلك في الدار الآخرة في ما يقدر عليه . فهذا كله لا ينكر منه ابن تيمية شيئاً . بل لقد ذكره وذكر

جوازه ووجوبه أحيانا في جميع مؤلفاته ، وهذا أمر لم يختلف المسلمون فيه قط
فالقول بأنه ينكر الاستغانة بالرسول إطلاقا حيا وميتا قول كاذب ، والخالف نفسه
بما أنه كاذب ، وأنه خلاف منذهب الرجل المعروف

ثم يقال ثانياً : كيف يكون قائل ذلك - لو فرضنا أن أحداً قاله - زنديقاً وهو
لفظ حديث نبوى مشهور ، وقد ذكره الشيخ في كثير من كتبه ؟ والحديث هو
أنه كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام منافق يؤذى المؤمنين ، فقال بعض
المسلمين : لنستغث برسول الله من هذا المنافق ، فكان رد النبي عليه السلام :
« إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله » وإذا كان التكلم بالنصوص زنديقاً فما
يكون المسلم المؤمن ، وبماذا يتكلم الصديق الولي ؟ ! نعوذ بوجه الله من سوء القلب
هذا ، ولنعلم أن كمال الأنبياء وغيرهم من عباد الله الأبرار ليس في أنهم
يفيئون الناس ويقضون حاجات الخلق ، ويقدررون على الاعطاء والمنع والضر والنفع
ولا في أنهم يسألون ويستغاثون ويدعون . ليس كمال الأنبياء والصالحين في شيء
من ذلك حتى يكون منكر ذلك منكراً كالمهم وفضلهم وشرفهم ، ولكن كالمهم
وفضلهم وشرفهم في أن الله جعلهم موضع سره وهدايته ورسالته ، وجعلهم المدد
اليه والدلال عليه ، المعروفين لمهايط رضاه ومواقع سخطه . فن أنكر هذا كان
- ولا ريب - منكراً قندرم وشرفهم وفضلهم قادحا فيهم أيضاً ، لا من أنكر
الاستغانة بهم ، وأنكر قندرتهم على إغناء العباد وقضاء حاجاتهم وما ربهم ، وهذا
لا يتنازع فيه العارفون بالإسلام وبأصل دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهذا
ما دل عليه الكتاب والسنة جملة وتفصيلاً . ولهذا كان أعظم أصحاب النبي عليه
السلام أقل الناس سؤالاً له واستجداء ، وكان الأعراب والجنابة وغلاظ الطباغ
أكثر الناس سؤالاً له واستغانة به ورغبة في عطايه ومنحه ، وكانوا يتفتنون في
اقتراح المسائل عليه واقتراح المطالب والحاجات المختلفة ، وقد يذهب الضلال

وضآلة العقل والفهم بكثيرين الى أن القدرة على الأمور المستحيلة عادة وشرعا مقارة للنبوة ومعنى النبي ، فكانوا يذهبون الى أن النبي هو الذي يستطيع أن يصنع لهم ما يريدون وما يشتهون وما يتمنون على دنياهم ويقترحه عليهم شهواتهم وأنفسهم ولهذا كثيراً ما طالبوه بمسح المطالب كإيجاد السكون والآنهار والجنات في الصحارى المقفرة وأمثال ذلك من المطالبة برفق السماء وانزال اللاتكة ، والكتب المكتوبة ، الى آخر ما قصه القرآن من مسائل الماعدين الكافرين للأنبياء عليهم السلام . وهذا كله مبنى عندم على أن النبي هو القادر الفعال لما يريد المعطى لما يسأل ويطلب ويقترح عليه ، ولأجل هذا كان جواب الله عن رسله أمثال قوله : « قل سبحان ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً » « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » وهذا كله رد على أولئك القوم الذين يريدون من النبي والنبوة نيل المآرب الدنيوية والاغاة والغوث . ولكن وظيفه النبوة هي غير ذلك ، هي أسمى وأجل ، هي وظيفه التلميم والارشاد والهداية الى الله ، والى الصلاح والفلاح ، والى كسر ناموس الشهوات الطاغى العنيف ، والى الأخذ بيد الروح والمعانى الروحية لتتنصر على للمادة والماديات ، فناموس النبوة مضاد لناموس الشهوات المادية ، ملطف من حدته وعنفة ، فإذا ما عزت دوة الأرواح والمعانى الفاضلة ذلت - ولا محالة - دوة المادة الشهوانية بعنف وشدة ، هذه هي وظيفه النبوة

أما الاعطاء والمنع والخلق والإيجاد والاغاة والغوث ونحوه ، فذلك كله لله رب العالمين لا شريك له ولا معين ، وما كان لله لا يصح أن يضاف الى خلقه ولا أن يطلب منهم ، ومن فعل ذلك فقد ضل وجهه ، فيجب التفريق بين الحقين : حق الله وحده وحق رسله وأنبيائه وعباده جميعاً ، والضلال العظيم هو الخلط بين الحقين ، أو إعطاء هذا حق هذا

إذن ليس الزنديق هو الذي يقول : ان الأنبياء - بل والخلق جميعاً - لا يستغاث بهم في ما لا يقدر عليه الا الله وحده ، وإنما ذلك هو المؤمن حقاً ، العارف بحق الله وحق عباده ، المعطى كلاحته ، لا خلط ولا ضلال هذه هي جملة المقادح التي حورب بها هذا الامام ، وأراد المخالفون أن يلبغوا بها ما يشتهون من ابداء دينه وعقله وعلمه وصمته ، وان لقاريه المنصف حكماً عادلاً من نفسه يحكم بين هذا الشيخ وبين خصومه الشائئين بعد أن وضعنا بين يديه ما زعموه له من السيئات والصيوب ، وقليل مما كان له من الحسنات ، وان الحق لا يضيع بين الله والناس ، وان المفلس حقاً ، المغبون حقاً ، هو ذلك الذي أعدم من الفضائل والحسنات ، فراح يهادى أهل ذلك انتقاماً لنقصه وعيبه من كمال الكاملين وفضل الفاضلين

ما ذكره ابن بطوطة عن ابن تيمية

يوجد هنالك في رحلة الرحالة المشهور ابن بطوطة حكاية عن ابن تيمية اتخذها الخصوم حجة على ما ينهبون اليه من اتهام الرجل وأتاهم دينه وعقيدته . وخلاصة هذه الحكاية ما يأتي قال : وكان في دمشق الشام من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام ، يتكلم في الفنون الا أن في عقله شيئاً ، وكان أهل دمشق يظلمونه أشد التعظيم ، وكان يعضهم على المنبر . وتكلم مرة بأسر أنكره الفقهاء ورفعوه الى الملك الناصر فحبس ، فألف في السجن تفسيراً لقرآن معناه « البحر المحيط » يقع في نحو أربعين مجلداً ، ثم أطلق من السجن فصاد الى وعظ أهل دمشق ، فحضرت يوم الجمعة وهو يخطب الناس على منبر الجامع ، فكان من جملة ما تكلم به أن قال : ان الله ينزل الى معناه الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من حرج المنبر ، فأنكر عليه فقيه مالكي ، فقام الجمهور الى هذا الفقيه فضربوه بالنعال

والأيدى ضرباً شديداً ، ثم حلوه الى دار قاضى الحناطة فأمر بسجنه وتعزيره ،
فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره ، ثم كتب الى الملك الناصر فى
ما حدث وذكر له قول ابن تيمية أن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة يقع طلاق واحدة
وأن المسافر يقصد زيارة القبر النبوى لا يقصد الصلاة وسوى ذلك مما يشبهه ، فأمر
الملك الناصر بسجنه فسجن حتى مات

هذا خلاصة ما فى رحلة ابن بطوطة من هذه الرواية والذى يمتدنا من الحكاية
هو ما ذكر عنه أنه قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولى هذا . أما ما قاله فى
الطلاق الثلاث فقد اعترف له الناس أخيراً بأن ما قاله هو الحق الذى يرجع اليه
وقد رجعوا الى العمل بذلك فى محاكمهم للشرعية ، وأما ما ذكر فى السفر الى
زيارة القبر الشريف فندع القول فيه الى الباب الخاص به ، وأما ما ذكره فى
النزول فهو ما تكلم عليه هنا فنقول ان هذه الحكاية مفرغة - كما رأيت - فى قالب
المدح والاطراء فهو - على ما قيل فيها - من كبار الفقهاء ، وهو كبير الشام ، والناس
هناك كانوا يعظمونه أشد التعظيم ، وهو يتكلم فى جميع الفنون ، وهو لا يدع
الاشتغال بالعلوم رتابة حتى فى أدق الساعات وأحرج الأوقات ، وقد وضع
وهو مسجون معذب القلب والبدن كتاباً فى تفسير كلام الله يقع فى ما يقارب
أربعين مجلداً ، والناس يحبونه جداً ويغارون له جداً حتى ان من أنكر عليه شيئاً
مما قال ضرب وأهين وعذب وعزر وسجن وهو من الفقهاء الطماء . هذا ما ذكره
ابن بطوطة من كلمات الثناء والاطراء لهذا الامام ، فالحكاية مفرغة فى قالب
الامتداح والثناء . أما انه قال ان الله ينزل الى السماء الدنيا كنزولى هذا فهذا هو
مكان القدم والخطأ لو كان حقاً قال ذلك ، ولكننا نقول - واقفين مما قول - ان
الرواية على ظاهرها وسياقها للذكور خير صحيحة ولا ثابتة لأمرين اثنين لاشك
فيها أمر يرجع الى سياق القصة ، وأمر يرجع الى أنها خلاف المتواتر عن الشيخ

في جميع كتبه . أما ما يرجع الى سياق القصة فيقال : لا ريب أنه لو كان قال ذلك حقاً لغضب عليه الناس جميعاً ، ولوقفوا كلهم منه موقف ذلك الفقيه المنكر المحتج لأن المسلمين جميعاً لا يشكون في أن من قال ان الله ينزل كنزول الخلق ، أو أن صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات الخلق فقد ضل ضلالاً بعيداً ، ولو كانت الرواية صحيحة عنه كما ذكرت لما عاقب قاضي الخنابلة ذلك الفقيه للنكر الغاضب بل لشكره ولجأه بالامتداح والثناء ، والغضب للشيخ لا أحسبه يبلغ بذلك القاضي الحنبلي أن يذهب يمتدح من أنكر تمثيل الله بخلقه من العطاء ، هذا مالا نظنه بذلك القاضي . ثم لو كانت هذه الرواية صحيحة عن الشيخ كذلك لكان كلام ابن بطوطة فيه غير كلامه المذكور في الرحلة ، وأيضاً لو كانت صحيحة لما استجاز ابن بطوطة ولا ذلك الفقيه ولا غيرها من الحاضرين الصلاة خلفه . وظاهر القصة أنه صلى بهم الجمعة ، وظاهرها أيضاً أنهم لم يدعوا الصلاة وراءه . هذه أمور راجعة الى القصة نفسها والى سياقها تدل بمجموعها دلالة قوية ظاهرة على أن الرواية غير صحيحة بالنص المذكور

وأما الأمور الدالة على بطلان الرواية ، التي لا ترجع الى القصة نفسها ، فهي : ان هذه المقالة مخالفة لأقواله التي لانحصى من التنزيه والاختلاف بطريقتي السلف الصالح ومخالفة لما علم عنه بالضرورة من أنه لا يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة من صفات المباد ، وهذا معلوم عن الشيخ بالضرورة والتواتر ، وهذا ما صرح به في ما لا يمد من كتبه للطبوعة المشهورة . ومما يدل دلالة لا تكذب على كذب الرواية واختلافها أنه قد كتب كتاباً شرح به حديث النزول الى سما الدنيا ، وقد طبع الكتاب ، وهو بجملة وتفصيله كذاب لهذه الرواية ، وقد قال في مواضع لا نعدا من هذا الكتاب : ان نزول الرب وسائر صفاته ليست كهصفات المخلوقات ، ولن يوجد في هذا الكتاب ولا في غيره من كتبه لفظ واحد يشير الى

صحة الرواية وإقرار معناها أو يتهاون في إنكارها ، بل كل ما كتبه
 في كذاب لها صريح . ولا ريب أن مذهب الرجل يجب أن يؤخذ مما كتبه يده
 وما دونه ليكون رأيا له وعقيدة لا بما يتلقفه بعض الناس عنه من ألسنة الريح ومنطق
 الهوى والهواء . ولو أن آتيا أتانا وحدثنا عن الامام مالك أو الشافعي أو أحمد
 أو غير هؤلاء كالبخاري أو مسلم أو ابن حزم أو ابن تيمية أو غيرهم بحديث يخالف
 ما هو مشهور في كتبهم وما هو معلوم عنهم في مذاهبيهم بالتواتر والضرورة لما كان منا إلا
 أن نرد ذلك الحديث وأن نكذبه وأن نلج في تكذيبه وإنكاره ، ولما أجزنا البتة
 أن يكون ذلك الحديث صحيحا مقبولا ، وهذا أمر لا شك فيه عند جميع العقلاء
 العارفين بالموازين العقلية

فهذه الرواية كذب على الشيخ لأنها مخالفة لجميع ما كتب في جميع كتبه ،
 ولأنها مخالفة لما قاله في الكتاب الذي شرح به حديث النزول ، فلا يصح الاعتماد
 عليها بحثا ومنطقا

هذا ما يقال من جهة ثم يقال من جهة أخرى : ان الدلائل على كذب هذه
 الحكاية كثيرة ، منها أنها لم تذكر في مجالس مناظرته لخصومه في الجلسات التي
 عقدها السلطان له ، ولو كانت صحيحة لأخذ بها مجادلوه ومناظروه . ومجالس
 مناظراته مدونة معلومة ، ومنها أن الذين ردوا عليه وقصروا فيه من المتصلين به
 للوطنين الشائنين له لم يذكرها ، وهي لو كانت صحيحة فذكرها لكأنت من
 أعظم المقادح فيه ، وكانت أقوى من جميع ما ذكروه لأجل أنخاف سمعته وعلمه
 ودينه ، ومنها أن رجلا مسلما لا يمكن أن يقول ان صفة من صفات الله تشبه صفة
 من صفاتي ، هذا ما لا يمكن أن يقوله مسلم يؤمن بالله مهما كان نزوعا الى الزيف
 والخيال الاعتقادي فضلا عن عالم محدود من أكبر علماء المسلمين . هذا كله يدل
 على أن القصة على ظاهرها كذب ولا ريب

وحينئذ يقال : هل تتمد ابن بطوطة الكذابة على الشيخ ؟ هذا ما لا ميل اليه وان كان ابن خلدون قد ارتاب في كثير مما ذكره في رحلته ، ومال الى أن الكذب أو الخلط والنسيان قد داخل ذلك حتى ارتفعت الثقة من الرحلة بما فيها من غرائب وأخبار ، ذكر ذلك ابن خلدون في المقدمة ، بل وان كانت دلائل الخلط في الرحلة وانحة جليلة عديدة ، فإن فيها أشياء من البعيد جداً أن تكون من الصديق الحق . اتنا لا نميل الى التكذيب رغم ذلك كله ، وإذن يقال كيف تخرجون هذه الحكاية ؟ فنقول من القريب أن يكون هنالك حرف سقط من الكلام ، على أن يكون قد قال : « ان الله ينزل (لا) كنزولى هذا » ، فسقط حرف (لا) ، وقد سمعت السيد رشيد رضا رحمه الله يذكر هذا الاحتمال ويميل اليه ، وإذا ما اختير هذا الاحتمال التأم سياق القصة وتماسكت أجزاؤها ودانت لواقع ولذهب الشيخ المعلوم الذى لا يختلف

وها هنا احتمال ثان لا مانع من الذهاب اليه ، وهذا الاحتمال هو أن يكون النسيان قد غلب الرحالة في هذه القصة ، وهذا قريب لأن الرحلة لم تجمع إلا بعد أن طوّف ما طوّف ، وآب الى بلاده متمتع بالجسم والنفس بعد الأصوام الطوال المُنسية ، وبعد الأسفار الشاقة المضنية ، ويظهر أنه ما كان يذكر في جمع الرحلة وجعلها كتاباً إلا بعد أن ألقى عصا التسيار واستقر به النوى ، وهذا كله يحمل احتمال النسيان قريباً

هذا ثم انه لم يكن هو الجامع للرحلة المؤلف لأجزائها ، وإنما جمعها وألفها تلميذه ابن جزى ، ولهذا يوجد فيها كلام كثير ليس من كلام الرحالة وإنما هو من كلام الجامع الراوى ابن جزى . وهذا واضح من قراءة الرحلة ثم يقال بعد هذا أن ابن بطوطة لم يذكر - على ما في الرحلة - انه سمع ألفاظ ما ذكر من ابن تيمية مشافهة ، وإنما زعم أنه قال ذلك فقط . حينئذ يقال : لعل

(٧٠٢)

غير صادق أبلفه هذه المقالة الكاذبة فخالها حقاً وصدقا ، والله العليم . ولو لم يبق إلا
إكذاب ابن بطوطة لصرنا الى إكذابه لأجل الدلائل المذكورة

القادحون فى ابن تيمية

الخرفان الناس فىك ثلاثة مستعظم أو حاسد أو جاهل
لو أنك أردت أن ترجم موقف الناس إزاء كل عظيم من عظماء هذه الدنيا
لما ترجته بأحسن ولا أصدق من هذا البيت الشعري الصادق . فان الناس - مها
اختلفوا طباعاً وجهات - ثلاثة رجال إزاء كل عظيم بارز رفيع القدر والجاه
رجل معظم مستعظم ، وهذا هو من أفلت من وناق الجبل وصنوه الحسد . ورجل
ثان حاسد حاقد ، وهذا هو من آمن قلبه رغماً ، وسكفر لسانه رغماً أيضاً .
ورجل ثالث جاهل لا يعرف العظيم ولا العظيمة ، لاهما فرق سمائه وفوق
مذاهب عقله ونفسه وطبعه ، فهو يعيبهما ويزدريهما ويحتقرهما لأنه لا يعرفهما
ولا يعرف قيمهما

فواقف للناس فى كل الأمم والعصور والبيئات من كل عظيم لاتعدو ثلاثة
مواقف : موقف المعظم المحب ، وموقف الحاسد الحاقد ، وموقف الجاهل الغر
وفتش عن كل عظيم فى هذا العالم المجيب فلن تجده إلا معظماً محسداً محبوباً ، ولن
تجد الناس إزاءه إلا معظماً أو حاسداً أو جاهلاً ، ومن حكم الله البالغة أن كل حق
محقق فى هذه الدنيا لا بد أن يكون له أنصار وعشاق يصدقون الدفاع عنهما فى
هذا العالم الصاخب بالآثام والجرائم . ثم يتولون حفظ ذلك وإبلاغه وإيصاله الى
الاجيال الآتية والناحية لتقوم الحجة الظاهرة على الشائنين الجاحدين ، وما من
فضيلة فى هذه الارض إلا ولا بد أن يسكون لها حاسدون محققون ، تطرف
أعينهم رؤيتها ، وينضج أكبادها استدكارها . حتى ان الناس كانوا - وهم الى

اليوم كذلك - يستدلون بكثرة الحاسدين على عظم الحسود وكثرة فضائله وابن تيمية كان أحد هؤلاء العلماء الذين كان لهم مستعظمون معظمون وكان لهم حاسدون حاقنون ، وكان بهم الأغرار الجاهلون ، وقد اقتلت عليه هذه المعاني الثلاثة : الحسد والتعظيم والجهل أى اقتتال منذهب منها يفعل فعله في المعاني الثلاثة ويضرم في كل معنى أثره المحتوم . أما المعظمون له المستعظمون فهم كل من سما بنفسه ، دينه وأدبه على رذيلة الحسد والحقد ، وارتفع به قدره وجده واستعداده عن وهلة الجهل والغباء ، وأما أعداؤه وخصومه فهم أمرى الحسد والجهل إذ خافوه على مكاناتهم العلمية الجمهورية ، وعلى مناصبهم المادية الدنية ، واذ قصرت أنفسهم عن علم مادعا اليه من الإصلاح والهداية المحمدية فأنكروا أمره وتناولوه بالتجريح والتفكير والتهم الموبقة الكاذبة

فاذا قال هذا الرافضي : ان ابن تيمية قد سب وقدح فيه وكفر وحبس وعذب ومات مسجوناً معذباً ، قلنا له : أجل ، وأى مصلح عظيم لم ينله نصيب من ذلك ؟ ومتى كان هذا دليلاً على فساد أمر الرجل وفساد ما دعا اليه وجاهد لأجل اعلائه ونصرته ؟ ونحن لو عكسنا الاحتجاج لكان هذا العكس أهدي وأصدق من احتجاج الرافضي ، وذلك أن المهود الأكثر أن السلطة تلج بحجارة المصلح الداعي الى العدل والحق عادة ، وكثيراً ما يصطدم رضا السلطة والزعامة الزمنية برضا الحق وأهله ، وقليل أن تتفق وجهة الحق ووجهة السيف والوسط . وما زال الناس يستدلون بمناصرة العالم الديني للحكومات على فساد أمره وحرصه على الدنيا وزهده في الآخرة والدين ، ولا يزالون يستدلون بمغاضبته الحكومات ومغاضبتها هي اياه ، وازوراره عنها وازورارها هي عنه على صلاح أمره ورغبته في الله وفي الدار الآخرة وفي قول الحق وادغام الباطل والظلم ، ونحن نرى بأبصارنا في الحاضر وقرأ في بطون الكتب في الغابر أن أكثر العلماء الذين تمتعوا برضا

السلطة وبذعها وورقها إنما نالوا من ذلك بقدر ما فقدوا من دينهم وعقولهم
وشرفهم وضمايرهم وحرقاتهم وعلمهم وآدابهم

وإذن لن يدل تمذيب ابن تيمية وحجسه ومطاردته على نقص في دينه أو خلل
في علمه أو ضلال في عقيدته، وإن كانت لهذا دلالة كانت على قوة دينه وصلاح
أمره وعقيدته وإعلان الحق وإن رغم كل كاره له

فإذا قال هذا الرافضى أو غيره من الخصوم لهذا الامام : ان العلماء في عصره
أو بعد عصره قد أجمعوا على إكفاره ، واضلاله ، واجتمعوا على الرغبة عنه وعن
دينه ومنهجه ، قيل : كلا والله ، وما اجتمع على عداوته وخصومته الا خدام
الدنيا ، وحساد الفضائل ، وأحلاس البدع ، وشيع الترهات المخجلة ، هؤلاء الذين
اصطلحت شهواتهم وما ربهم بما يدعو اليه هذا الامام هم الذين جدوا في عداوته
وإيذائه والحق الأذى الأعظم به ، أما العلماء الربانيون الذين يريدون وجه الله وحده
ويريدون أن ينتصروا للحق قبل أن ينتصروا لشهواتهم وهوى أنفسهم فقد كانوا
من أنصاره المبجلين له ، المعترفين بسبقه وإمامته وديانته وفضله وقيامه لله مقام
الصدقين المجاهدين . وقد اجتمع فضلاء المذاهب الأربعة وغيرها وكبارهم على
الثناء عليه والاعتراف له بالتهريز في فنون العلوم وبالقيام بحق العلم قولاً وعملًا .
وثناء الناس عليه ، المعاصرين له والمتأخرين ، لا يجمعه كتاب جامع . وقد ألقت
الكتب الضخمة في تعداد فضائله وفي امتداح العلماء الكبار له ، وقد وضعت في
ترجمته الأسفار الكبار ، ومن الكتب المؤلفة في الثناء عليه وفي نقل مدح العلماء
للمعاصرين والمتأخرين له كتاب « الرد الوافر » تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر
الشافعى المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وكتاب « القول الجلى في ترجمة شيخ الاسلام
ابن تيمية الحنبلى » تأليف الشيخ صنى الدين الحنفى البخارى ، وكتاب « الكواكب
المدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية » تأليف الشيخ مرعى الحنبلى . وهناك

كتب أخرى غير هذه الكتب منها المطبوع ومنها غير المطبوع . والنقول في هذه الكتب امتداحاً وثناء على هذا الامام ، والشهادات له ، شهادات أكابر العلماء والكتاب والأدباء ومدحهم لا يستطيع جمعها في كتاب واحد . ولشهرة هذه الكتب وذبوعها نستغنى عن إيراد شيء من ذلك ، ونحيل القارئ إليها . والذي نريد هنا هو أن نقول لهذا الرافضى : ان من الهوى المربى والانحطاط المسف فوله : « ان العلماء في عصره حكموا بضلاله وكفره ، وألزموا السلطان قتله أو حبسه » ، أفعمى هذا الشيعى عن هذا الشهادات المدونة في الكتب الكبار في الثناء عليه وفي تعداد حسناته ومحاسنه ؟ وكيف يستطيع من يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يزعم أن علماء عصر هذا الامام قد أجمعوا على إكفاره والمطالبة بقتله وقد استطاع رجال عدة أن يجمعوا كتباً ضخمة من شهادات العلماء المعاصرين بالثناء عليه والاعتراف له بالامامة والزعامة العلمية ؟ ما أغنى الدين والحق عن الكذابة وإتهام الأبرياء إذا كان هؤلاء يزعمون أو يظنون أنهم ينصرون الدين ويخدمون الحق ؟ وما أخلق العلماء بالصدق ومقالة الحق إذا كان هؤلاء ينصبون أنفسهم مناصب العلماء المرشدين ؟ وما أقيح الكذب ولكن أقيح هذا القبيح أن يكون ممن يقولون للناس أنهم هم المؤمنون وخدمهم ، وهم الناجون المستمسكون بخلائق آل النبي ﷺ وخدمهم ؟ ولكن أقيح هذا القبيح أيضاً أن يكون صادراً ممن لم ترضهم سيرة أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة والصحابة الآخرين ؟

ولا نعلم كيف يتفق قوله هنا أنهم أجمعوا على ضلاله وكفره ، وأنهم مع هذا « طالبوا السلطان بقتله أو حبسه » ؟ فانهم إذا كانوا يرونه كافراً لم يصح أن يكتفوا بحبسه دون قتله بل لابد من القتل ، إذ هذا هو حد المرتدين المغيرين لدينهم ! ما أجدر الباطل بالتناقض !

واننا نسأل هذا الشيعى : من من العلماء نال من الثناء مثل ما نال هذا الامام

الفذ؟ ومن من العلماء كتب فيه من المديح والاطراء مثل ما كتب فيه؟ ومن منهم وضعت فيه المجلدات الكبيرة ثناء ومدحاً قبل هذا الشيخ أو بعده؟ اننا ندع جواب هذه الأسئلة للواقع الذي لا يكذب ولا يحابي ولا ينافق

نعم نحن نسلم للرافضى أن ابن حجر الهيتمى المكي قد قدح في ابن تيمية وسبه وأضاف اليه ما شاء من الاتهام والتضليل والاكفار، ولكننا نقول ان الجواب عن ذلك هو معرفة الفرق بين ابن تيمية وبين ابن حجر الهيتمى وبعد ما بينهما من بون الأفق العلمى. وما مثل قدح الهيتمى في ابن تيمية إلا كقدح جاهل من جهال الشيعة في أبى بكر الصديق أو عمر بن الخطاب أو عثمان أو عائشة أو غير هؤلاء من الصحابة وأركان الاسلام، وما قيمة هذا القدح في الميزان العلمى الصادق؟ ثم ان الجواب عن هذا أيضاً أن ننظر ما الذى نقمه الهيتمى من ابن تيمية، وما ضلاله وزيفه لديه! ان القدح الذى نقله الرافضى عن هذا الهيتمى في ابن تيمية هو ما زعم أنه كان يقول بالجهة والتجسيم، وهذا كذب على الشيخ كما قدمنا، فان ابن تيمية يذكر صراحة القول بالجهة والتجسيم في جميع كتبه، ولكنه يقر الاستواء على العرش والعلو على الخلق وينكر ما سوى ذلك من الأقوال المبتدعة فاذا كان قدح الهيتمى في هذا الامام كذباً صريحاً فما قيمة الكذب؟ ومتى كان الكذب واضعاً من قيم حقائق الأشياء الصادقة؟ ثم يقال: ان ابن حجر هذا، القادح في شيخ الاسلام ابن تيمية هو القادح أيضاً أمراً القدح في الشيعة، وقد أنصحبهم مقادح وملازم في كتابيه « الزواجر » و « الصواعق ». فان كان قدحه في انسان ما يدل على نقص ذلك الانسان وفساده ونقص دينه وفساده كان قدحه في الشيعة دالاً على ضلالهم وفساد أمرهم ودينهم، وإلا لم يدل قدحه في ابن تيمية على ما أراد هذا الشيعى. فالشيعى على كل حال غير خارج من الميدان إلا بعكس ما أراد

وأما ما نقله من كتاب « الدرر الكامنة » فنقول له : ان كتاب « الدرر » ليس من تأليف الهيتمي كما زعم ، وإنما هو من تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني المحدث المشهور ، مؤلف كتاب « فتح الباري » شرح صحيح البخاري . ثم نقول : ان الذي فعله هذا الرافضي يدل على خنوعه الفاضح لهواه ، وذلك أن ابن حجر في هذا الكتاب قد ذكر ترجمة طويلة لشيخ الاسلام ابن تيمية فيها المقادح وفيها الممادح أيضاً دأب جميع كتب التراجم الحافلة ، فذكر في الترجمة ثناء اثنين كما ذكر مقادح القادحين ، وان كان هو لا يرضى القدح فيه ولا يصدقه ولا يقره ، وإنما نقله استيفاء للبحث وإتماماً للترجمة . أما هو فانه يبالغ في الثناء على الشيخ وإعظام أمره ودينه وعلمه وذكره الخارق النادر المثال ، وينقل أقوال التزكية الكثيرة الطيبة فيه ، التي قالها كبار العلماء المعاصرين للشيخ . وفي الترجمة من الثناء والاطراء الشيء الكثير ، ومما ذكره في الترجمة بعد الثناء الطويل : ان القاضي امام الدين القزويني وأخاه جلال الدين قالوا : من قال عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية شيئاً عزرائه . وذكر من المنتصرين له من جميع المذاهب ومن كبار القضاة والمحدثين والفقهاء والأدباء الخلق الجم . ومن شاء معرفة ذلك فليراجع الترجمة في الكتاب المذكور

أما هذا الشيعي فانه فعل فعل من تغلبت خصومته وحقدته على دينه وعلى جلال السن ووقار الامامة . وذلك أنه اقتصر قصداً وعمداً من الترجمة الحافلة على المقادح كأنه لم تكن الترجمة سواها ، وكأنه لا مادح لهذا الامام ، ثم ورى أن ذلك هو رأى صاحب الكتاب فيه وهو يعلم أن الأمر ليس كما ورى . فكان بذلك صانعاً ما لا يصنعه « السيد الأمين » ، صانعاً ما لا يقره الافتخار بالانتماء الى آل النبوة ، والافتخار بالانتصار للحق . وما كان أولياء النبوة والحق إلا المتقون ، وما كان المتقون إلا من يتقون الظلم والكذب والمعدوان على أنصار الحق والدين . ويسير

على من أراد أن يعرف ما اختار هذا الرجل لنفسه ولدينه ولسمته من الظلم للعلم والعلامة أن يراجع هذه الترجمة في كتاب « الدرر الكامنة »

فابن حجر العسقلاني مؤلف كتاب الدرر الكامنة من المعجبين بهذا الامام المطرین له ، وكل ما ذكر من المقادح في الترجمة لم يكن من رأيه ولكنه نقله على عادة الناس من استيفاء الترجمة قدحاً ومدحاً

هذا ثم يقال أن لا بطل مقادح القادحين في الشيخ طريقاً آخر غير ما ذكر وهو طريق صحيح لا ريب في صحته ، وذلك أن يقال : هبوا أننا لم نظفر بمادح للشيخ ، وأننا لم نجد من قال فيه كلمة خير وثناء وتزكية لا في عصره ولا في العصور اللاحقة من بعده ، وهبوا أننا وجدنا كثيرين من القادحين فيه الخاصمين له الناقين منه ومن مذهبه وعقيدته وآرائه وعلومه : هبوا هذا كله صحيحاً فهل يدل على ضلال الشيخ وفساد أمره واعتقاده ، وعلى أن القادحين فيه صادقون راشدون ؟

والجواب أن يقال : كلا ان شيئاً من هذا لا يدل على شيء من هذا . وبيان ذلك أن الخالفين والموافقين ، القادحين والمادحين ، متفقون على أن هذه الكتب المشهورة المطبوعة المنسوبة الى هذا الشيخ هي كتبه حقاً ، وأنها هي علمه ومذهبه واعتقاده وآراؤه ظاهره وباطنه ، ومتفقون على أن المآخذ الموجهة اليه هي مادونه في هذه الكتب من آراء زعم أنه بها خالف الجمهور وخالف الحق والاسلام وحينئذ علينا الرجوع الى هذه الكتب والحكم عليه وعلى عقيدته وعلمه بما فيها من حق وباطل وهدى وضلال ، ولا يصح التمويل على ما ليس فيها ولا أخذه بما خالفها ، وكل ما يقوله الخصوم ويزعمونه لا قيمة له . لأن كتب الرجل هي الحكم الحاكم له أو عليه ، وما دونه الرجل بيده في سائر كتبه هو أصدق شاهد عليه أو له . هذا ما لا شك فيه وما لا ريب في صحته ووجاهته ، وإذا علم ذلك كله

قيل لا شك أن المخالفين للشيخ والموافقين متفقون على أن الرجل كان من أصدق الناس دفاعاً عن الدين والحق ، ومن أعظمهم غيرة له ، وأنه كلف من أغزر الناس علماً وذكاء ، وأنه كان من أزهدهم في الدنيا وأرغيبهم في الآخرة ، وهذا كله ما دلّت عليه جميع كتبه ، وأما ما خالفه الخصوم فيه وما قدحوا فيه لأجله - وهو الوجود في كتبه - فهو جملة أمور معروفة . أشهرها دعوته إلى الأخذ بنصوص صفات الله كالاستواء وغيره بدون تشبيه ولا تعطيل . ثم دعوته إلى توحيد الله القاضي بأن الأموات لا يدعون ولا يستغاثون . ثم ما قال في مسألة الطلاق الثلاث . ثم الحلف به ، أى تعليقه على أمر من الأمور ، إلى مسائل أخرى هينة دون ما ذكر باعتراف الخصوم له ، وهذه الأمور صحيحة عنه مثبتة في كتبه لا شك أنه قال بها ودعا الناس إليها بشدة وحاسة ، وهذه هي ما يمكن أن يثبت له خصومه من السيئات والمقادح لو كانت هذه سيئات ومقادح . فإذا ما قام الدليل القاهر على أن هذه المسائل من حسناته المشهورة القائمة الواضحة لم يبق في أيدي الخصوم القادحين مقدح واحد فيه . ومن كتابنا هذا تؤخذ الدلائل على أن الحق قرين هذا الإمام في هذه المطالب العليا المذكورة

أما مسألة الطلاق الثلاث والحلف به فقد رجع الناس إلى العمل بما قاله ودعا إليه ، وما كان يقدح في دينه لأجله ، وقد تكلم الناس هذا العصر في هذا كثيراً وأشادوا الدلائل على إصابته الحق والرشد . بل رجّعوا دلائله على هذه المسائل الاجتماعية الخطيرة . فلم يبق إذن لدى الخصوم من المقادح في هذا الإمام شيء يعتد به أو يقام له وزن

هذه كلمات موجزة في الدفاع عن هذا الإمام الفذ ، وفي إبطال مقادح طالما تقنى بها الشنآن والظلم والخصومة والهوى ، وطالما أهين بها العلم والفضل والتقى سطرناها على عجل دون أن نراجع كتاباً أو أن نستشير منها حرقاً واحداً ، ودون

أن نستعين بترجمة من تراجم الامام الكثريرة المعلومة ، ولم ننقل في هذه الكلمات كلمة مما قاله معاصرو الشيخ فيه من الثناء والامتداح والاطراء لأن ذلك كله مذكور في تراجم الأقدمين من تلاميذ الشيخ وغيرهم يسهل على من أراد الاستزادة من ذلك الرجوع اليها والالمام بها ، وإنما كان كل غرضنا أن نضع جلالاً يسبق اليها أحد في ترجمة الشيخ منتزعة من مكتبه وعلمه وما أحاط به من زمان ومكان وإنسان ، ونحن نرى أن أصدق التراجم هو ما كان منتزعا من كتب المترجم وعلمه وزمانه ومكانه . أما التراجم التي يقال فيها : قال فلان ، وقال فلان فهي تراجم يكثر أن تكون غير صادقة ، وذلك ان مثل هذه التراجم يبنى غالباً على المبالغة والامراف في القدح والمدح والتعريض والتعديل ، وهذه حال أكثر كلام الناس في من يحبون ويكرهون ويذمون ويمتدحون ، ولم يسلم من هذا النقص إلا قوم خصوا من الله بأن يكونوا موازينه في الأرض لتوزن بهم معاني الناس وأقدارهم ومعاني غير الناس وأقدارهم ، ولكن هؤلاء الموازين قليل ما هم

وإننا نرجو من الله للمثوبة والأجر الجزيل على كل حرف نسطره دفاعاً عن هذا الشيخ وعن علمه وإصلاحه ، فانه إن كان ذنب من اعتدى على العلماء المجاهدين عظيمًا فإن ثواب من قام بالدفاع عنهم أعظم ، وإن كان شانيء الحق ظالماً فإن شانيء أهله أظلم

ونحن لا نذكر عالماً فذاً لقي من الظلم والأذى والسوء والعدوان - في حين استحقاقه خلاف ذلك كله - مثل هذا الرجل العظيم . ولا نعلم سمعة نال منها الحقد والحسد والجهل والخصومة مثل ما نالت هذه الأدواء من سمعة هذا الشيخ العظيم ولا نعلم ذكرى غمطت وأهينت وكبتت - وهي من أحق الذكريات بالذشر والازهار والامتداح - كذكره ، ولكن قضت حكمة الله الزالبة القاهرة ان العدل لا بد أن يأخذ مجراه ، وإن طالت أيام الظلم والجور ، حتى يقال متى نصر الله ؟ !

العبرة في حياة هذا الشيخ

نشأ هذا الشيخ طريداً غريباً ، ثم شب فقيراً معزولاً ، ثم اكتهل وشاخ مطارداً معذباً ، ثم لج به تقادم السن وخصومة الخصم حتى أودع السجن وحرم لذة الحرية ولذة التطواف لهداية الناس ، وحيل بينه وبين القلم والقرطاس ، خيفة أن يفيد اصلاحه وعلمه ودينه ، فحرم بذلك أعظم اللذات وأشرفها عليه . وهكذا ظل تحت تقادم السن وكاب هذا الظلم ، حتى فزعت روحه الى الله في مماته تشككو اليه ظلم الانسان الانسان ، وجور الباطل على الحق ، مخلفاً وراءه ما استطاع أن يخلف من العلم والاصلاح ، منزوياً في بعض زوايا القلوب وعلى صفحات الأوراق . فعاش ما عاش في هذا العالم بعيداً عن الدنيا وعن أهلها وعن لذاتها وممتعها ، بعيداً عن السلطان وعن أهل السلطان ، قليل الأنصار والأعوان من حملة السيف والسوط ومن أهل النراء والجاه الكاذبين الظالمين القائمين على غير تقوى الله وعلى غير الحق حتى استطاع الأعداء الظالمون أن ينالوا منه وأن يظلموه وأن يتجادى ظلمهم إياه فلا ينقطع حتى يبعث الله اليه رسولا من رسله فيستخلص روحه الزكية من بين جدر سجن الظالمين وعلى أعين حرسه . هذا ما كان نصيبه من هذه الدنيا أما خصومه وظالموه ومعذبوه فقد كانوا يتنقلون - بينما كان يتنقل هو بين السجون ومطاردة المطاردين - بين الآكال الشبية ، والأثواب النضفاضة ، والفرش الرفيعة ، والقصور الضخمة النخمة ، ويخطرون بين السيف والصولجان في الحول والعبيد والعديد بين الأمر والنهي . وهذا ما كان من نصيبهم هم في هذه الدنيا فإذا كان ؟

نعم . دار الفلك دورات ، ودار بدورته كل شيء فيه . فإذا الظالم والمظلوم ، وإذا الشيخ والخصوم ، وإذا كل شيء رهين أمر الله المحتوم . انقطعت اللذات والشهوات

وتحطم السيف والصولجان تحت « عجل » الفلك الدوار ، وتنداعت تلك القصور
وتهاوت تلك السجون ، وذهب كل شيء وأمن في الذهاب والخفاء ، وأمن
الفلك في الدوران أيضا ، فكان في كل دورة من دوراته يقذف بخصوم ذلك الشيخ
الجليل المعلوم قذفة قوية الى عالم الفناء وظلمات الخفاء ، ويقذف بالشيخ الجليل
المعلوم قذفة أقوى وأشد الى الحياة والى الظهور والبروز ، وكان في كل دورة من
دوراته يحطم آثار من آثار أولئك الخصوم تحت « عجلاته » ويظهر آثارا من آثار
ذلك الشيخ على رغم الباطل وحداته . فإزال الشيخ يحيى وخصومه يموتون ، ويظهر
وهم يختفون ، حتى صار هو في موته أحى منه في حياته ، وصار في بطن الأرض
أظهر منه على ظهرها ، وحتى صار خصومه بعد حياتهم أفضى منهم قبل الحياة ، وبعد
وجودهم أخفى منهم قبل الوجود ، حتى اذا بقارىء يقرأ قول الله : « فاما الزبد
فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » واذا بهاتف يهتف وأكثر
العيون نائمة : أيها العلماء ! انما هما أمران ، دنيا ودين ، أما الدنيا فبئست الموضة
ثم بئست الفاطمة ! انما هي كالحبيبة التي قيل فيها :

ويلاء ان نظرت وان هي أعرضت وقمّ السهام ونزعن أليم
ان الدنيا كلها بما لها من شرف ومجد وخطر لا تعدو أن تكون حاجة الجسم ،
حاجة البطن ، حاجة ما دون البطن ، حاجة أضفى حيوان أعجم في هذا الوجود .
انما الدنيا كلها بمادتها ومحاسنها لا تتجاوز أن تكون ذرات متتلة طوافة مرت
بأجسام هذا الوجود ومواضع شهواته ، واستتمت بها هذا الوجود من حيوانه أرذله
وأشرفه ، ومن أناسيه أرذلهم وأشرفهم ، ومن نباتاته أرذلها وأشرفها
فهل يدري الا كل والشارب ماذا يأكل وماذا يشرب ؟ لعله لو درى ذلك
لخفف من غلوه وغلواته في هذه الدنيا : دنيا المساكين والشاربين . . . انما الدنيا
هي الدنيا

وأما الدين فهو لله ، منه نزل وإلى جلاله يصمد ويمرج ، أنزله ووضعته في ذلك للكان المحفوظ « القلب » ليحفظه من طغيان الجسم ومكروه الذي هو الشهوة لتكون شهوده القضية التي هي ثمرة الدين ، ولتظهر فيه بعض آثار الإلهية وآثار العبودية الصادقة الموحدة لترضى ما ترضى ، وتمحو ما تمحو من ظلام هذه الأرض وظلمها ، ولتخفف ما تخفف من كلب الاعضاء الفاسقة في هذا الانسان ، ولتحد من طغيانها واغتيالها ، ولتثمر عليها من برده وبرده ما يلطف اضطرابها ولهييها المحرق للكان القضية

أيها العلماء ، إنما العالم ملك أو شيطان ، وما من شيء في هذا الوجود فليس كنفيس العلماء ونفيسه كخسيسهم ، وما أهنر العلم محروما من الشهوات وما أذل منصوصاً فيها ، وما أخسر العالم صفقة يمين بطله لصوم هذه الأرض « الشرفاء » ليصيب الفضلات مما يسرقون وينهبون على حساب طله المزيف وما أربحه صفقة ينفق طله ليصيب رضا الله ، وليخلص به إلى مائدته المدة لمن صاموا عن موائد هؤلاء الصوم « الشرفاء »

وبيع العلماء ! ان في استطاعة العالم أن يهز أعظم عرش في هذا العالم لو أنه صان طله وضم به على غير الله ثم قام بمحقه !

أيها العلماء . انظروا ، انظروا ، كيف عاش من مات ليحيى طله ، وكيف مات من عاش ليحيى شهوده ! أنهما مثلان ما أعظمهما ! أجل ، صدق الله العظيم « فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

عبر الله على القصص

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله

(٧١٤)

فهرس

الجزء الأول من كتاب الصراع بين الاسلام والوثنية

صفحة	
١	الشعاع المابط
٣٩	لماذا ألقت هذا الكتاب
٤٢	حاقات الشيعة
٦٣	مقدمة كتاب الشيعة الثانية وفيها أمور كالمقدمات لمباحث الكتاب
٣٢٨	مقدمة الشيعة الثالثة ، وهي في شبه الوهابيين بالخوارج كما زعم ، وتقد
	ذلك كله
٣٨٥	أحاديث ذم المشرق ، وذم البلاد النجدية
٤١٤	تأول الآيات النازلة في الكفار في من عمل عملهم
٤٢٦	تكفير الرازي المتوسلين بالأموات
٤٦٩	ليسوا من الخوارج
٤٩٢	شبه الشيعة باليهود
٥٠٤	الاجتهاد
٥١٢	الاستواء على العرش وإثبات صفات الله
٥١٥	التشبيه
٥٢٩	دلائل الاستواء على العرش
٥٤٦	شبهات النافين لعلو الله

(٧١٥)

صفحة

٦٠٦ مذاهب السلف في علو الله ، اجماعهم عليه

٦٢٨ قصة الخبر اليهودي وغلط الرافضي

٦٣١ زعم الرافضي أن قيام الصفات بالله يعاند صفة القدم

٦٣٥ لا يلزم الاستواء معرفة الكنه

٦٣٩ إن تبيينه

كتب المؤلف

- ١ البروق النجدية
- ٢ شيوخ الأزهر
- ٣ الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم
- ٤ مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها
- ٥ نقد كتاب حياة محمد
- ٦ الثورة الوهابية

رقم الإيداع ٣١٥٦ / ١٩٨٢

مجمع التتبع للدراسات والبحوث

امام المسجد الحرام يسجل قصيدته عن :

الصراع بين الاسلام والوثنية

لم نجد ابلغ من ان
ننقل سطور ابن القصيدة
البساعة التي كتبها
الاستاذ الجليل الشيخ
عبد الظاهر ابو السمح
امام المسجد الحرام
وخطيبه ومسدير دار
الحديث بمكة المكرمة في
هذا الكتاب لتقدمه بها..
يقول الاستاذ الشيخ :

الا في الله ما خط الصراع
«صراع» لا يماثله صراع
صراع بين اسلام وكفر
خير بالبطولة عبقرى
يقول الحق لا يخشى ملاما
لنصر الدين واحترم الصراع
تميد به الاباطح والقلاع
يقوم به القصيمي الشجاع
له في العلم والبرهان باع
وذلك عنده نعم المتاع

اعبد الله من على الاسارى
ابنت عوارهم وصرعت منهم
لقد احسنت في رد عليهم
لقد كنا نعد الرفض جرما
كتاب قد حوى علما غزيرا
واطعمهم هدى فهمو جياع
اكابرهم ، ولم ينج الرعاع
وجفتهم بما لا يستطيع
فبين كفره هذا «الصراع»
له من نور صاحبة شعاع

الا لله درك يا ابن «نجد»
وكم لك من مواقف خالداات
«بروك» في سما الحق تعلو
«وفصلك» ما يزال يشع نورا
«ونفادك» هيكلا احلى واحلى
كبت الخصم ، فانقطع النزاع
بها للحق عز وارتفاع
وفيها للذى عمى انضاع
وفي راس العدى منه انصداع
به للناس ما مرضوا انتفاع

لقد رابطت في مصر فاغنى
وكم سيف لدى الهيجاء ينبو
وان يراعك السيل سيف
فدم واسلم لاهل الحق تقضى
لعمري منك عن جيش دفاع
ولا يجدى بها الا الصراع
إذا ما شمتته اندكت قلاع
على من ليس عندهم اتباع

عبد الظاهر ابو السمح

مكة : عام ١٣٥٧

الصراع بين الإسلام والوثنية

تأليف

عبد الله علي القضيبي

الجزء الثاني

الخميني يسمع

نداء ورجاء وتذكير مخلص للخميني ولأهل عقيدته :
كم هي خطيئة معاداة من نصرُوا الدين ونشروه بادعاء
الانتصار والانتقام لمن ارادوا نصره ونشره
وكم هي خطيئة أن يشوه الدين بتحويله الى بغضاء وأحقاد
وعداوات وعدوان وحروب يزعم تجهيله ونصره ونشره
وكم هي خطيئة أن يسحب من النفوس المحبة للمحبة
والسلام .. المحتاجة الى المحبة والسلام بحجة غرسه وتوكيده في
النفوس بالرصاص والفتاخر والسيوف
ما أنذل وأفجر وأكثر البغضاء والاحقاد والحروب باسم المحبة
والسلام . باسم السلام .. باسم الاسلام

الطبعة الثانية

القاهرة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٧ م

الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

رقم الابداع بدار الكتب

١٩٨٢ / ٥٦٣١

﴿ تقریظ الجزء الأول من كتاب الصراع ﴾

نشر في ما يلي هذه القصيدة البارة التي قرظ بها الاستاذ الجليل الشيخ
عبد الظاهر أبو السمح إمام المسجد الحرام ، وخطيبه ، ومدير دار الحديث بمكة
المكرمة الجزء الأول من كتاب « الصراع » قال حفظه الله :

ألا في الله ما خط اليراع	لنصر الدين واحتدم الصراع
« صراع » لا يماثله صراع	تميد به الأباطح والتلاع
صراع بين إسلام وكفر	يقوم به القصيمي الشجاع
خبير بالبطولة عبقرى	له في العلم والبرهان باع
يقول الحق لا يخشى ملاماً	وذلك عنده نعم المتاع
يريك « صراعه » أسداً هصوراً	له في خصمه أمر مطاع
كأن بيانه سبل أئى	تفيض به المسالك والبقاع
تسايره جنود الحق حق	لتخشاه الأسود والسباع
إلى صراعه فانظر كيف أسوا	عليهم من مثلهم رقع
فبعضهم أسير أو قتل	وبعضهم يصيح ولا دفاع
أعبد الله من على الأسارى	وأطعمهم هدى فهمو جياع
أبليت عوارم وصرعت منهم	أكابرم ، ولم ينج الرطاع
لقد أحسنت في رد عليهم	وجشتم بما لا يستطاع
لقد كنا نند الرفض جرماً	فبين كفره هذا « الصراع »
كتاب قد حوى علماً غزيراً	له من نور صاحبه شعاع
يرد به على الضلال طراً	وينقض ما افتروه وما أذاعوا
ويصلى الرافضى به سعيّاً	تلظى ، ما لها عنه انقطاع

يخزي كل ذى رضى غوى
 يسبون الصحابة خير صحب
 ومن شهد الرسول لهم بفوز
 ويحمل قلبهم بغضاً شديداً
 يقولون : الأيمن حبا بوحى
 فهل فى الأرض كفر بعد هذا
 فما للقوم دين أو حياء
 ألا لله درك يا ابن «نجد»
 وكم لك من مواقف خاللات
 «بروقك» فى سماء الحق تملو
 «وفصلك» ما يزال يشع نوراً
 «وتقدك» هيكلأً أحلى وأحلى
 وكل ردودك الحسنى متاع
 ومنها مادحرت به «شيوخا»
 فجاهد فى سبيل الله تؤجر
 لقد رابطت فى «عسراً غنى»
 وكم سيف لدى المهيجه ينبو
 وان يراعك السيل سيف
 قدم واسلم لأهل الحق تقضى
 خلاصة دينه السوءى خداع
 وأزواج النوى ولم يراعوا
 بما فصحوا بأنفسهم وباعوا
 لخير الخلق ليس له قناع
 وخان . وما لهم عن ذا ارتداع
 وحرثوا لمن يهوى متاع
 بحسبهم من الخزى «الصراع»
 كبت الخصم ، فانقطع النزاع
 بها للحق عز وارتفاع
 وفيها للذى عى اتضاع
 وفى رأس العدى منه انصداع
 به للناس ما مرضوا انتفاع
 تلذ لمن له فيها استماع
 لهم فى الدين جهل وابتداع
 من الرحمن إن قوم أضاعوا
 لعمري منك عن جيش دفاع
 ولا يجدى بها إلا اليراع
 إذا ما شمتته اندكت قلاع
 على من ليس عندهم اتباع
 عبد الظاهر أبو السمح

حاجة المسلمين الى الكفاح

﴿ لماذا سميت هذا الكتاب : « الصراع » ؟ ﴾

الجواب أننى سميت هذا الاسم لأننى لم أجد المسلمين يحتاجون فى هذا العصر إلى شئ يحتاجهم إلى الصراع وإلى ما للصراع من آثار ونتائج . فأنكبوا فى بلد من بلدانهم ، ولا فى حرمة من حرمتهم ، ولا فى مجد من أمجادهم ، ولا فى حق من حقوقهم ، ولا فى شئ من أسيانهم إلا بعد أن نسوا الصراع ، وبعد أن ملوه وهجروه ومالوا إلى الدعة والركود والهدوء الذليل الجبان . وما بلغ المسلمون الأولون ما بلغوا ، ولا فال الاسلام ما فال من ملك أذل كل ملك ، وسلطان صرع كل سلطان ، ومجد وطى كل مجد إلا بالصراع ، وإنهم - اليوم وبعد اليوم وفى كل وقت - لن ينالوا حقاً من حقوقهم ، أو يستردوا كرامة من كراماتهم ، أو يثأروا من عدو ظالم ، أو يجيدوا فى هذا العالم الجياش بالمظالم إنصافاً إلا بالصراع وبانفصومة العنيفة الحادة الملتهبة .

الصراع ضرورى لحياة الشعوب ولبقائها . وكل شعب فقد هذا الدواء فقد - ولا محالة - الحياة ، وأكلته الشعوب ، وطحنه تنازع البقاء ، وذهب أفسلاً بين أشنات المطامع والأهواء ، ولقى مثل ما لقى الشرق الوديع المسالم من الغرب الهائج المحارب .

لقد صار اليوم أغبي الأغباء من يحاول أن ينال حقه باسم العدالة والرحمة أو باسم القوانين الخاصة أو العامة ، أو باسم المدنية والانسانية ! وصار المقبون حقاً المجنون حقاً ذلك الضعيف المهزول المسالم ، الجائى على ركبتيه الضميفتين

المهزولتين أمام ذلك الجبار القوى الظالم ، يستجديه حقه ، ويسأله إنصافه ويطلب إليه بمدمعه ، لا يمدفه ، أن يمسح الدم عن أظفاره الدامية ، ويطمحه من لحوم الضعفاء الأبرياء ، ويناديه باسم المدنية ، وباسم الحقوق الانسانية وصار لا يوجد العدل إلا حيث يوجد الجور ، ولا توجد السلم إلا حيث توجد الحرب ، ولا يوجد الحب إلا حيث توجد الكراهية والبغضاء ، ولا يوجد القانون إلا حيث يوجد من يمزقه ، ولا توجد الانسانية ولا التحدث عن حقوقها إلا حيث يوجد من يضربونها بالضربات القاتلة . وصار الأقوياء الباطشون لا يذكر و العدالة ، ولا الحقوق ، ولا القوانين ، ولا المعاهدات ، ولا الشرف ، ولا سائر هاتيك الفضائل النارية إلا إذا تحددوا إلى الأقوياء الباطشين الظالمين أمثالهم . أ ، الضعيف العاجز عن الصراع ، الهارب إلى الدعة والسلم فانه عند هؤلاء الأقوياء الشرفاء إلا التمدين ومعناه إفساد الأخلاق والأذواق والعقائد ، وإلا الاستمنا ومعناه الجوع والجهل والذل والمرض وسائرنا للبؤس والشقاء من مظاهر ومعان والا الانتداب ومعناه مافى فلسطين .

كان في الناس في الزمان الأول من يظنون أن القتال هو الذي يحدث القتل وأن الشجاع المقاتل يقتل دون الجبان المسلم الراضى بالدلة ، المقر للخسف في دينه ووطنه وشرفه ، وكانوا يحسبون أن الجبناء أطول آجالا من الشجعان فقالوا يقرب حب الموت أجالنا لنا * وتمكره آجالهم فنطول وقالوا أيضاً :

فيم الشماتة إعلناً بأسد وغى ؟ * أفنام الصبر إذ أبقاكم الجزع وكانوا يظنون أن من كره الموت ففر من وجهه ومن أسبابه نال الحياة الطويلة : لأنهم كانوا يظنون الأقوياء الظالمين لا يقاتلون إلا المقاتلين ، ولا يحاربون إلا المقاومين ، وكانوا يحسبون الانسان يأنف من قتل المسلم المستسلم . ولهذا كان

كان من يحرصون على الحياة يهرعون إلى السلم والاستسلام . وكان لا يقدم على الحرب والمقاومة إلا من رخصت لديهم الحياة وهان عليهم القتل . وعلى هذا كانت تكون الحرب ، وكانت تكون السلم . أما اليوم فقد تبين للناس كافة حق للجبناء البلباء منهم أنه لا يقتل إلا الجبان ، ولا يقع في الحرب إلا الهارب إلى السلم ، ولا ينال الشر إلا أهل الخير والدعة واللين والسلام ، وأنه لا ينجو من الموت إلا المقاومون المصارعون ، الموقدون الحرب بموقديها ، الجازون الشر أضغافه ، الطائرون إلى كل هيمة ، وعلماؤا أنه لا أمل لطالب الحياة فيها إلا أن يكون أبداً رجل حرب وكفاح وصراع وإقدام . إذن ليقبل للجبناء : إنكم بالجبن تقتلون أنفسكم ، وبالهرب من الحرب تقعون فيها .

لقد سالم المسلمون وأخلصوا للسلم ، وأحبوا فبالنوا في جبههم ، وكرهوا الحروب وأخلصوا في كراهم حتى نفروا من كل حرب ومقاومة ، ونخلوا من كل يفضاء وحقد وكره لهذا الغرب الحقود الظالم المخارب قروناً طويلة ، وقد ظلوا يفتقون الحروب ويتقون أسبابها حتى ذهبت بلادهم ، وزال ملكهم ، وتلاشت هيبتهم ، ومنوا بكل ما هم فيه اليوم من هوان وذلة وفقر وجهل وعجز وخزى حتى صاروا ، وهم يمدون بأربعمائة مليون ، لا يحسب لهم حساب ، ولا يقام لإرادتهم ورأيهم وزن ، ولا يذكرون حين تقسم الأسلاب والمغانم . وليست الأسلاب ولا المغانم سواهم وسوى بلادهم وحقوقهم . وصارت أقل دولة وأذلها تأخذ منهم ماتريد ، وتقال من بلادهم ما تشتهى دون أن تستأذنهم أو تسألهم أو يخطر لهم حساب على بالها . وكان من أروع مظاهر هذا البلاء الذي أصاب المسلمين عامة أن استعمرت دويلة أوربية ضئيلة ، لا يزيد عددها على خمسة ملايين شعباً من المسلمين يبلغ تعدادهم ستين مليوناً ، وهذه في الغرب وهؤلاء في الشرق . وكان من أبغض هذا الخزي الذي شمل المسلمين أن تقدم هذه الدولة المعجوز على فعلتها

(ح)

المنكرة في فلسطين ، هذه الفعلة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ الظالمين المتوحشين كلها ، ثم لا تهتز جنبات العالم الاسلامي احتزازاً ترتفع به أمم وتسقط به أخرى - إن المسلمين لو لم يصابوا بهذا الفشل الذي لا مثيل له ، ولو لم يملوا الصراع المقدس ما استطاعت بريطانيا أن تكشف سوءتها وحقاتها ومذنباتها الزائفة في فلسطين على منظر العالم الاسلامي العربي ومسمعه ، وعلى رغبه ، ثم لا ينضب غضبة يتحطم بها أكبر عرش مرصع بالجواهر المنهوبة من خزائن المسلمين ومن عروشهم المحطمة ، الواحد تلو الآخر بنسائس هذه المعجزة وطفانها وكيدها .

هذا شعب عربي مسلم ، في بلد عربي إسلامي ، يقع في قلب البلدان العربية الاسلامية ، تغير عليه دولة أوربية ، فتحكمه وتحكم فيه أخبث أنواع الحكم والتحكم باسم الانتداب الملعون ، فقتله أولاً كل معاني السيادة والعزة ، ثم لا يكفئها هذا ، بل تمتد يداها إلى مكان العقائد والايمان والخلألق الفاضلة من أهله فتحاول إفساده وتخبيثه ليسهل عليها ما تريد ، ثم لا يكفئها هذا أيضاً بل تبسط يديها إلى القصور وإلى الأكوخ لتنزّل فيها الفقر والبؤس ، ولتغلاهما من معاني الشقاء والفاقة ، وتبسطهما إلى الجيوب لتنتزع منها ما بقي فيها من ماله قليل ، فتبلغ أقصى ما تريد ، ثم لا يكفئها - ويلها - كل ذلك ، بل تقوم فبحر جيوشها وأساطيلها وطائراتها وسائر قواتها المزودة بأموال المسلمين وأموال العرب لتشرّد هذا الشعب المنهوك بانتدابها - قاتله الله - من وطنه ووطن آباؤه وأجداده ووطن دينه منذ القرون القصية ، وفيه مقدساته الدينية ، وفيه رقات أسلافه الأكرمين الأولين وفيه كم أراق دماءه وبذل مهجة لحايته وصون حرمانه من عدوان العادين ، وفيه كم ساد وحكم وذاد عنه المقيرين . . . لتشرّده من وطنه كي تهيبه التأمين المشردين المنهوقين من اليهود المقيوتين في كل مكان وزمان ، ليزرعوا

فيه خبثهم وحقدهم وفتنادهم الجبلى ، و لينشروا فيه المعانى اليهودية المجرمة ، وليكونوا الجرثومة الفتاكة القتالة في قلب الشعوب العربية الاسلامية حتى يغلبها الفناء ، وليكونوا في وطنهم ذاك الموهوم المزعوم مصدراً خصباً لشقاء المسلمين وشقاء العرب ، ومصدراً تهديد بلادهم بالمعاني الاسرائيلية الذميمة من كذب . . . فلما أن قام هذا الشعب العربي الباسل المتبوك بانتداب هذه الدولة المعجوزة قائلاً : لا ، لن أخرج عن وطني ليكون وطناً لبني إسرائيل الأندال وإن رغمت بريطانيا القوية ، وإن رغم كل ظالم على وجه الأرض ، وقائلاً : إن وطننا قد حميته ودفعت عن سيادته وعن عروبه وإسلامه أربعة عشر قرناً من القرون القاسية العاصفة لا يمكن أن أتزكه في عام واحد ، ولا في عشرين عاماً ، ولا في عشرين قرناً إن شاء الله ، ولو ساقطت بريطانيا كل قواتها وأساطيلها وجيوشها وشياطينها لتحارب إرادة الله القوى ، ولتقاوم مشيئته . فإن شعباً لا يعرف إلا الله لن يغلبه من لا يعرف الله ، وإن من لا يعرف إلا الحق لن يذل لمن لا يعرف إلا الباطل ، وإن شعباً تنميه آباؤه وجدوده إلى السلطان صلاح الدين ، ثم ترتفع به إلى المعتصم وعبد الملك بن مروان ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ثم تسو به صعداً إلى الصديق وإلى الفاروق وإلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وطارق بن زياد وموسى بن نصير ، ثم تسو به أكثر حتى تصله بسيدنا و سيد العالمين محمد بن عبد الله ﷺ - لن يقر هذا الظلم والخسف أبداً في وطنه ودينه ، ولن يقبل هذا العقوق الفظيع لأبائه وسلفه — وإن شعباً دينه الاسلام ، وقد ثل عروش القبطية والكسروية ، وأذل اليهودية والنصرانية والمجوسية وكل دين باطل أو محرف بمحنة من الأعراب والعرب الأُميين الذين لم يفارقوا الصحراء الجرداء إلا إلى الفتح والملك ، والا إلى مدائن كسرى وخزائنهم وإلى القصور البيضاء والجنات الخضراء في الشام ومصر وفي الشرق والغرب — لن يترك وطنه الاسلامي

(٢٤)

العربي يهود ويتنصر ويصبح كمنّا للمجرمين من اليهود المشردين المطردين بقوة الانجليز وجبروتهم أو بقوة أوروبا كلها .

فلما أن قام هذا الشعب الباسل وقال قولته هذه ، ورفعها على أطراف السنان بعد أن لم يجد رفعها على أطراف اللسان لم يكن من هذه الدولة القوية الموصوفة - كندا وخبداً - بالعدالة والتمدن ، إلا أن تسحب أصناف مكايدها ودسائسها وقواتها إلى هذا الشعب العربي الأبي ، تفعل به ما لم يفعله شعب همجي منذ كانت الدنيا : تأتي المدينة فتهدمها بأسرها وتنسف مبانيها التاريخية وغير التاريخية فتجعلها في ساعات أو لحظات خراباً كأن لم تمسها يد العمران منذ آلاف السنين ، ثم تأتي المدينة الأخرى وتسوق جميع رجالها إلى السجن ، وفي السجن من العذاب والقسوة ما لا يعرفه إلا زبائنه وإلأرب فلسطين المساكين ، ثم تأتي المدينة الثالثة فتحشر جميع أهلها وتضع على أيديهم الأختام ، صمة الاجرام ، كأنهم بهائم توضع عليها المسام ، ثم تأتي المدينة الرابعة وتطلب إلى سكانها أن يخرجوا كل مافي جيوبهم وأيديهم وبيوتهم من مال ، وكل مافي أفواههم من خبز ، وما على ظهورهم المحطمة من ثياب بالية - وماترك الانتداب ومراية اليهود من ذلك شيئاً باسم الغرامات . وهذه أخبث سرقة يحلها القانون الانجليزى المتمدن ، وهي سرقة لاتماثلها سرقات اللصوص العاديين ، وهي سرقة بالقانون كما أن المنتسدين والمستعمرين قطاع طريق بالقانون السحري الفظيع . ثم تأتي المدينة الخامسة فتجمع كل من فيها ، فتسدد إلى صدورهم ورؤوسهم المدافع والمسدسات ، تفننوا في الإرهاب ، ووحشية يقصر عنها إن شاء الله كل شعب شرقي وإن بلغ ما بلغ من القسوة والاجرام ، ثم تأتي المدينة السادسة فتروح تقتل وتنهب بلا حساب ولا قانون . ثم بعد ذلك كله تبعث وزارة المستعمرات في لندن إلى حاكها بأمره في فلسطين تهيب السلطة المطلقة في أعمال النهب والتقتيل والتخريب والاصوصية

(ك)

المسماة بالفرامات . . . فيقتل العربي إذا وجد في منزله أو في أرضه رصاصة أو حديدة أو مدية أو بندقية صيد .

هذا شعب عربي مسلم في بلد إسلامي عربي ، يقع في قلب البلدان العربية الإسلامية ، تغير عليه هذه الدولة الأوروبية ، فتفعل به هذه الفملات السوداء في تاريخها وفي وجوه العرب والمسلمين ، ثم لا ينتطح فيها عنزان ، ولا تقط رقاب ، ولا تفتى جيوش ، ولا تحطم عروش ، بل ثم لا نجد كلاماً فيه قوة ، وفيه جد ، وفيه صرامة ومرارة ، وفيه حسرة ولوعة ، بل ثم تبقى العلاقات والصدقات والمعاهدات والمحالقات مع هذه الدولة كما هي ، لا تصاب بالاختلال ولا بالانحلال ولا بالنخمة ، بل نذهب نصلحها بأحدى يديها ويدها الأخرى ممدودة جباراً نهاراً إلى هذا القطر الإسلامي العربي لتساخه من العروبة والإسلام لتصيره يهودياً إنجليزياً لتعاد نكبة الأندلس من جديد .

إنني أطلب إلى كل قارئ لهذه الكلمة أن يتذكر ما يأتي : فلسطين بلاد عربية وأهلها عرب ، والإنجليز ليسوا عرباً - فلسطين بلاد إسلامية وأهلها مسلمون ، والإنجليز مسيحيون أو ملحدون - فلسطين بلاد شرقية وأهلها شرقيون والإنجليز غربيون أوروبيون - أهل فلسطين لا يريدون الإنجليز ولا يريدون تمدينهم ، والإنجليز لا يخافونهم على بلادهم ومستمراتهم - أهل فلسطين لهم أخلاق وللإنجليز أخلاق أخرى تخالف أخلاق أهل فلسطين وأخلاق العرب عامة - أهل فلسطين لا يحبون في حكم الإنجليز إلا البؤس والفقر وكل ألوان الهوان ، والإنجليز يعرفون هذه الحقيقة : - هذا كله صحيح ، إذن ما المسوخ لتحكم الإنجليز في فلسطين وفي أهلها ؟ وأي قانون بشري عادل يحل هذا التحكم المقرون بهذه النكبات ؟ وما الفرق بين هذا العمل المسمى بالانتداب وبين عمل الصوص المهاجرين لبيوت الآمنين المسلمين ، ليأخذوا ما فيها بقوة السلاح والارهاب ؟ نعم .

(ل)

إن بين العاملين فرقا ، هو أن اللصوص لا يفعلون ذلك إلا تحت ضرورة الفاقة والحاجة ، أما الانجليز وغيرهم من المستعمرين والمنتدبين فانهم يفعلون ذلك عن غنى وثروة طائلة ، وفرقا آخر ، هو أن اللصوص لا يهاجمون غالباً إلا بيوت الأغنياء والمثريين ، أما الانجليز فلا يهاجمون إلا على الفقراء العاجزين ، أما الأغنياء الأقوياء فانهم لا يجرءون عليهم بل يساعدونهم على التهام الضعفاء (١) وفرقا آخر ، هو أن اللصوص لا يقومون بعملهم إلا خفية والسلا ، أما الانجليز فانهم يفعلون ذلك في وضوح النهار بكل تبجح وافتخار ، على سمع العالم كله ومرآه فيها وفرقا آخر هو أن اللصوص لا يمتدقون إلا أنهم لصوص مذنبون . أما الانجليز فانهم يفعلون ذلك ويترحمون أنهم بعملهم هذا يمتدقون الشعوب المنحطة ، وينشرون فيها الملوم والثقافات ، ويهدون لها الخير والرحمة ، وينزلون عليها المن والسوى ، وفرقا آخر هو أن الانجليز يفعلون ذلك بالقانون ، أما اللصوص فلا يدعون أن لهم قانونا ، وفرقا آخر هو أن اللصوص لا تمتد أيديهم إلى غير المال ، أما هؤلاء فتمتد أيديهم الناعمة الصفراء إلى كل شيء حتى إلى مكان الإيمان والاعتقاد لتحرقه وتمزقه لتخل أيها الفارئ بنفسك ساعات أو لحظات ، ولتتذكر فعل الانجليز في فلسطين وفي غيرها من البلدان العربية الإسلامية ، وفعل غير الانجليز بالعرب.

(١) ومن النبادة ان يقوم قاصمون منا بمتدقون موقف الحكومة البريطانية من المشكلة الألمانية التي تشككوا في فاسية ، وقد سموا رئيس وزاراتها رسول السلام ، لانه قام بعمل يمدن أكبر الحيات الانجليزية ، اذ أعلن ألمانيا القوية على التهام تشككوا سلوفا كيا الضميمة خوفا على دولته من الوقوع في الحرب . وهذا العمل الذي استحق به تشمبرلن ان يسمى رسول السلام هو عمل جدير بأن يعطيه لقب « رسول المتآمرين على الضمفاء » ، وهذا تطلب إيطاليا وفرنسا وأمريكا وألمانيا أيضا وغيرهن السدوان على الدول الضميمة فيخرج رجل سلام اخر من لندن ليغطي القوى الضعيف خوفا من الحرب . فكيف تأمن الدول الصغيرة بعد الآن ؟ والا ان كانوا رسل سلام حقا فإني رسالتهم عن الحبشة والصين وعن فلسطين ؟

(م)

والمسلمين في كل مكان ، ولتتذكر موقفك من هذه التوكيدات الديرية الوطنية ،
ولتفرض نفسك مع جماعة من أصدقائك وأقربيك وبنى دينك ولتتذكر في فلاة من
الأرض ، فنجأهم للصوم وقطاع الطريق ، فأخذوا أموالهم وما يملكون ، ثم أفسدوا
أخلاقهم ، ثم أعمالوا أساحتهم في رقابهم ومقاتلهم ، وكان ذلك على مسمع ومشهد منك
وكان في استطاعتك أن تعمل شيئاً لا تقاوم فلم تفعل شيئاً ، بل ولم تقل شيئاً ولم
تتعب نفسك . فما ترى موقفك هذا ؟ ألا تود أن تبتلعك الأرض ولا تقف
هذا الموقف الذليل الجبان ؟ فهل ترى أيها القارئ فرقا بين موقفك وموقفك
وموقف جميع المسلمين من فلسطين وبين ذاك الموقف الجبان الخزي ؟ ويزداد
الموقف شناعة إذا كان للصوم غرباء يغيرون ويغزون من بعيد ، ثم يزداد
فظاعة إذا كان للصوم أقل عدداً من خصومهم أضعافاً مضاعفة ، ثم يزداد فظاعة
وشناعة إذا ظلت علاقاتنا بهؤلاء الصوم « المقدسين » هلاقة العبد الذليل بسيد
الجبار ، بل أقل وأذل والله ، لأن العبد قد يظن على سيادة سيده ، وقد يشور به
وينازعه البقاء إذا أمعن في إذلاله وعذابه .

إن ألمانيا - وعددها ستون مليوناً - قامت في وجه العالم كله لتقاتله إذا لم
يخضع لإرادتها من أجل ثلاثة ملايين من الألمان ، محكومين بدولة أوربية مسيحية ،
متمتعين بأفضل ما تتمتع به « الأقليات » . وأخيراً انتصرت ألمانيا انتصاراً لا
مثيل له ، وانهمز أمام إرادتها شيوخ الاستعمار الجشع ، واندركت فرقا منها هياكل
الديمقراطيات القائمة على غير الحق . وقال الألمان ما أرادوا بالنحو المعلوم الخزي
لفاعليه إلى الأبد . وأنتم أيها المسلمون - وعددكم أربعمائة مليون - وأنتم أيها العرب
- وعددكم سبعون مليوناً - تقررون هذه المظالم التي لا تقرها البهائم في أنفسكم ودينكم
وأوطانكم . والله لو كان عددكم هذا لألمانيا أو لغيرها من الدول الحية لمارت
العالم كله بأيديها عزلاء من كل سلاح إلا من هذا العدد الهائل ، ثم لمسكت

(٥)

فأصية النصر. والله لو لم تملوا الصراع « المقدس » لكان لكم ولهؤلاء شأن آخر. ولكن كرهتم الصراع فاجترأت على آسادكم وآجامكم ثعالب الأمم ومن لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم. إنكم أيها المسلمون غالطون إذ تظنون أنكم تنجون من طغيان الغرب بالمسألة والمجاملة والملاينة، ولكن كلا والله، لن تنجوا منهم إلا بالحرب والمخاشنة، فان فلسطين لم تنج من الانجليز واليهود بمسالتها، وأن قطراً عربياً أو إسلامياً واحداً لم تنج المسألة والملاينة. بل لقد ذهبت البلدان العربية، والممالك الإسلامية ضحايا الدين والركون إلى الدعة والسلم رغبة في الحياة، ولكن السلم لا تنال بالسلم، والحياة لا تدرك بالرغبة فيها، والحقوق لا تطلب بالنوم عنها.

والله لو أنكم وقفت من انجلترا موقفاً جريئاً حازماً، ورفتم في وجه ظلمها عصاً، لكان أجدى وأنفع من كل احتجاجاتكم وضراعاتكم الدليلة! والله لو علمت أنكم سوف تقابلون عدوانها بغير البكاء لو قفت هي منكم موقفكم اليوم منها: موقف المحتج المتوسل الضارع! هذا مصطفى كمال، قد زار في وجه فرنسا زأوة واحدة، فتركت له لواء الاسكندرونة السوري العربي صاغرة هاربة رغم كل شيء. وأين مصطفى كمال وقومه الأتراك من أحفاد الأكرمين: العرب نجدة وشجاعة وأخلاقاً وعدداً؟ ولكن مصطفى كمال زار وأفهم فرنسا أنه يريد أن يهجم، وأما أنتم فبكيتم وأفهمتم انجلترا أنكم لا تريدون إلا أن تبكوا، وإلا أن يقال: إنكم قد أعزتم بالبكاء.

ماذا تفرون لو كنتم أنتم في مكان بريطانيا، وكانت بريطانيا في مكانكم؟ أفعى لو كنتم تفعلون ببلدان انجليزية وبأهلها مثل ما تفعله انجلترا في فلسطين وأهلها من العدوان الصارخ: أنظنون انجلترا تقبل ذلك منكم أو تنام عليه؟ أو تظنونها إن مجزت عن حر بكم العسكرية تهجم عن أن تعلن الحرب عليكم من

جيات أخرى ؟ أنظنونها تبقى على صداقتكم وعلاقاتها السلية بكم ؟ لا نظنوا شيئاً من ذلك أبداً .

إنكم لن تخلصوا من عدوان هؤلاء الأعداء إلا بالكراه العميق ، وبالبغضاء الحادة . وإنكم لن تعزوا حتى تكونوا جرأاً على أن تقولوا لأعظم فيلسوف فيهم : إنه أحمق جاهل ، ولا أبرح حكمة يأتون بها : إنها سفاهة ، ولأرقى مدنية يشيدونها : إنها همجية ، وحتى تقولوا للذهب الذي يخطر ونكم به من السماء : إنه طوب ، إنه حجارة قاتلة ، إنه قنابل الغربيون لا يضررون لكم إلا بالبغض والحقد والاحتقار . فمن الجبل أن تقابلوا هذه النفسيات بالحب والإخلاص والامتداح والتعظيم . . . الأوربيون مجردون من القلوب ومن العواطف الانسانية ، وهم إن لم يعدلوا خوفاً وقسراً ، فلن يعدلوا رحمة وإنسانية . . . لقد أخلاصتم لهم وأحسنتم بهم الظن وبعديانهم وطفياهم حتى خضتم الحروب انتصاراً لهم . فإذا لقيتم عندهم وماذا كانت النتيجة ؟ لقد ذهبت بلادكم وكاد يذهب دينكم وأخلاقكم ، ثم هاجم الآن محاولون إفناءكم . وإنهم لن يتأخروا عن ذلك إن استطاعوا . . . يجب عليكم أن تقابلوا الداء بالداء ، والشر بالشر ، والحقد بالحقد والبغضاء بمثلها . . . يجب أن تقولوا لهم :

لا تطعموا أن تهينونا ونكرمكم وأن تكف الأذى عنكم وتؤذونا
الله يعلم أنا لا نحبكم ولا نلومكمو أن نلّا نحبونا
كل له نية في بغض صاحبه في ذمة الله فتليكم وتقولنا
إن كل إنسان فينا يحتاج إلى أن يكون شديد الكفاح ، شديد المقاومة .
فالصانع عندنا يحتاج إلى الكفاح ، ليتماك إزاء صناع أوروبا وأمريكا واليهود ،
والناجر يحتاج إلى الكفاح لينجو من تجار هؤلاء الغزاة المنافسين ، وسائر أصناف
العمال يحتاجون إلى هذا الكفاح لئلا تقضى عليهم منافسة هؤلاء الأعداء المهرة ،

ع

والعالم الديني يحتاج إلى هذا السلاح لئلا تطفئ أفكار هؤلاء القوم وعقائدهم على عقيدته ودقته ، فيذهب بحرف دينه وينسل منه انسلالاً خدعة وضلة ، والعالم المدنى يحتاج إلى هذا السلاح ، لئلا يغلبوه ويصرعوه ويلسوه آياه وسلفه ، وما جاؤا به من علوم ومعارف ، فيذهب يضيفها إلى هؤلاء الكذبة إن قبلوها واعتقدوها صحيحة ، ويذهب بردها ويسخر منها إن لم يقبلوها جهلاً أو حسداً وكرهه للعرب والمسلمين ، وللشرق والشرقيين ، والغنى الذى يحتاج إلى هذا الصراع لينافس هؤلاء الذين قبضوا على زمام الثروات وأمسكوا بناصية الأسواق كلها بشركاتهم ومصانعهم ومعاملهم ومضارباتهم ومقامراتهم ، والزعيم عندنا يحتاج أيضاً إلى هذا الصراع لئلا تذوب زعامته فى زعامات هؤلاء الأعداء المكرة ، ولئلا يكون لهم قابلاً ، وعلى أهوائهم ومشوراتهم الماكرة سائراً دائماً ، ولئلا يقود أمته وقومه بزعامته الرخوة الذائبة إلى الهاوية ، والهاوية هنا ليست سوى الركون إلى الغرب الظالم ، فان الغربيين لا يمكن أن يخلصوا لنا معشر المسلمين ، وان أخلصوا للشياطين . بل هم أبداً يرون الاسلام والمسلم المدوين الواجب خربهما ما أمكنت الحرب . والصحفى والكاتب والمؤلف يحتاجون إلى هذه المقاومة ، لئلا يقنوا فى رجال صحافة أوروبا ومؤلفيها وكتابها . وكل مخلوق عندنا يحتاج إلى هذا السلاح . ولو أننا لم نجعل هذا النوع من الجهاد « المقدس » لما تقدم فينا أهل النفاق والخيانة والمروق والفسوق ، وتأخر أهل الصلاح والاستقامة والایمان والاخلاص والكفاية ، ولما أمكن أن يكون كل شئ « لدينائى أيدى هؤلاء الأعداء من اليهود والأوربيين المخلصون غير الشرفاء ، ولما كان كل شئ سائراً طبق أهوائهم ومصالحهم ، ولما كانت مظاهر البلدان الاسلامية مظاهر إفرنجية أوربية خالصة : تنظر إلى الشركات القوية الراجعة فتعجبها فى أيدى هؤلاء الدخلاء ، وتنظر إلى المصانع والمعامل الشيطة الناقصة فلا تحتاج إلى أن تسأل : لمن هذه ، إذ هى للقوم بلا

(ف)

شك ، وتنظر إلى المتاجر الكبرى المزدحم عليها فلا تشك في أنها ملك لهم ، وتنظر إلى الأحياء الحية المحاطة بمظاهر النعيم والغنى والترف فتجدها خاصة بهؤلاء الضيوف ، وتسمع بأصحاب الثروات الطائلة فلا تردد في أنهم منهم . وتنظر وتسمع كل شيء فلا تجد إلا ما يسوءك ويدى شعورك إذا كنت من أولئك المتألمين الشاعرين . والذي يؤلم حقاً أن الذين ينمون هؤلاء المستعمرين وينمون ثرواتهم هم المسلمون والعرب ، ثم لا ينالون منهم إلا الاحتقار والازدراء والاحتكار الذي مثيل له ، حتى إن أصحاب المصانع والأعمال منهم يستعملون — إذا سمحوا — المسلمين الوطنيين العمال بما لا يشبعهم خبزاً حافاً . ولهم على ذلك أن يسبوا ويسبوا دينهم ووطنهم وزعماءهم ونبيهم ، وعلى العمال المسلمين أن يشكروهم على ذلك وأن يتقبلوه بالرضا والتسليم ، وإلا فالويل لهم ولوطنهم معهم ! وإحجياً من جريح لا يتألم من جراحتة ! ويأويلناه للدليل لا يشعر بذاته ، ولظالم يتعبد ظالمه !

إن الأمر أيها الاخوان جد العجـد ، إنه الحياة أو الموت ، وإن الخطاب إلى البقايا التي لما يقتلها هؤلاء الأعداء ، لملهم يمدون أيدي الاقتاذ والانتشال ، أو لملهم يهربون ، على الأقل ، بأنفسهم من هذه الأشرار القاتلة ! أما هؤلاء الذين وقوا في أيدي هؤلاء الضيوف الظالمين لمضيفهم السنين والأعوام فهم على بساط الموت ، قد فقدوا كل حول وقوة ، فلا يستطيعون شيئاً من الخير لأنفسهم ، وإنما هم في انتظار الطبيب الرحيم الماهر المنقذ ! فهل يوجد فيكم أيها الاخوان ذلكم الطبيب ؟ وإذا لم يكن موجوداً أفلا تعملون لإيجاده ؟

انظروا أيها الاخوان إلى حقائق الأشياء نظرات تتجاوز المظاهر لتشعروا أن الهلاوية في الانتظار ، وأنكم إن لم تستيقظوا فالويل للنائم تحت سياط الأعداء الذين لا يرحمون ! أليس من البلاء أيها الاخوان أن يستولى هؤلاء على كل شيء

(ص)

في بلاد المسلمين حتى على الماء وعلى النور وعلى النار، حتى إن الوطني المتحمس لوطنيته لو أراد الاستغناء عما ليس وطنياً، وأراد أن يعيش وطنياً في ملبسه ومأكله ومشربه ومركبه، وضروريات حياته ما أمكنه ذلك ! أو ليس من المؤلم حقاً ألا يوجد في بلاد المسلمين أجنبي واحد فقير أو عاطل ، وأن يكون المسلمون كلهم في بلادهم فقراء بؤساء ، لا يظفرون بالكفاف من العيش المر إذا استثنينا الموظفين والوارثين وأمثالهم والقليل التزر من غيرهم . على أن هؤلاء أنفسهم منطلقون إلى الفاقة العامة بخطوات واسعة ، ومنطلق ما معهم إلى جيوب هؤلاء الأجانب بسرعة مدهشة وبطريقة تترك المحب لدينه ووطنه وقومه حيران مكبوتاً ، حتى صار المسلمون كلهم كما قيل :

لا يَألف الدرهم المضروب صرتنا

لكن يمر عليها وهو منطلق (إلى الحاجات)

أذهب إلى المتاجر والشركات والمصالح الأجنبية، وانظر كيف يتدفق عليها الوطنيون المسلمون ، وكيف ينثرون بقايا ما معهم من مال قليل على موائد هؤلاء الأجانب بجود لا نظير له ، ثم عرج على المتاجر والمصالح الوطنية المسلمة إن كان شيء من ذلك ، وانظر كيف يخيم عليها الفقر والكساد والبؤس، وانظر كيف يهرب منها الوطنيون المسلمون ، وكيف يضمنون عليها بالعاملة ، ثم لك بعد ذلك أن تتألم ما وسعت الألم ، وأن تحزن ما شاء لك الحزن ، وأن نخشى كما نخشى الأكارون البصراء أن تصبح البلاد الإسلامية — المستقلة وغير المستقلة — خالصة لهؤلاء الضيوف بكل مراقبتها ومواردها ، وأن ينقرض المسلمون تحت عوامل الفاقة وما يلزم الفاقة من الأمراض والتشريد والشتاء العام القاتل .

ومن الحكايات المؤلمة أنني كنت يوماً أحادث أحد الاصدقاء فقال ذاك الصديق على سبيل الدابة المرة : إننا معشر المسلمين الوطنيين نطلب

س ق

الاستقلال لبلاذنا مع أن الجاليات الأجنبية أولى منا بهذا الطلب في بلادنا نفسها
لكثرة مصالحهم ولاستيلائهم على كل شئ فيها ١١ وما أصدق هذا القول ١ وما
أشد وقعه على ذوى الدين والوطنية وعلى ذوى النفوس اليقظة الشاعرة :
إذن ما أخرجنا إلى الصراع ١ وما أخرج صراعنا إلى القوة والشدة ١ وما أخرجنا
إلى أن نكون من الحديد والفولاذ ، لا من اللحم والدم والمظالم ١

اللهم أيقظ قومي فاتهم فاعلمون ١١ عبد الله على القصيمي

بالقاهرة

شعبان سنة ١٣٥٧



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى
آلهم ومحبيهم أجمعين . أما بعد فهذا هو الجزء الثاني من كتاب « الصراع بين
الاسلام والوثنية » الذي ننقض به إنشاء الله كتاب الشيعة « كشف الارتباب
في اتباع محمد بن عبد الوهاب » وقبل الأخذ بموضوعه نقول :
ظن بعض الذين قرؤوا الجزء الأول من كتابنا أننا قد نجلنا الشيعة ما لم
يكن من قولهم ولا من اعتقادهم ، وأننا قد تكذبنا عليهم وعزونا إلى مذهبهم
ما هم منه بريئون . وقد جاء هؤلاء الظانين ظنهم هذا من غرابة ما وجدوه هناك
من عقائد القوم وأقوالهم التي لا يقولها مجتمعة من يؤمن بالله وبرسوله . ونحن نقول
لهؤلاء الظانين هذا الظن المستبعد أن يكون كل ما ذكرناه في الجزء الأول
عن الشيعة صحيحا ثابت النسب إليهم : إنا قد كنا نحن مثلكم لا نصدق بعض
هذا الصديق فضلا عن أن نصدقه كله . وكنا لا نشك في أن مسلما لا يمكن أن
يذهب إلى القول بتلك الأباطيل التي قالتها الشيعة ، والتي نقلناها من كتبهم
التي كتبوها بأيديهم وطبعوها بمطابعهم في بلادهم . وكنا نحسب أن أمثال تلك
المتكررات التي تضاف إلى هذه الجماعة لا منشأ لها في الأثر سوى الخصومة

وكنسها وهواها وزورها . وكنا نمر بما نجده في كتب التاريخ والملل والكلام
لأهل السنة من هذه الاعتقادات التي يقال إن قوماً من المسلمين يزعمونها
ويعتقدونها ويكفرون منكرها ، فلا نحسب ذلك إلا من مبالغة الخلاف واسرافه
الخصومة ولجاجة الهوى وشهوة الانتقام . وكنا نلظن أن الخلاف وإن كان ذا دين
وتقوى وحسب ونسب معزق في الفضل والنبل لا يمكن أن يخلص من التزبد
والافتعال ولا ينجو من التكنب والتقول : هكذا كنا نقول حتى لمسنا هذه
هذه الحقيقة المرة التي كتبناها بأيدينا ووجدناها سافرة مبتذلة في كتب الطائفة
قديمها وحديثها سفيهاً وفاقها فما وجدنا مناصاً من الاقتناع ولا مفراً من الايمان
بأن الخبر قد كان دون الخبر وأن السماع دون العيان ، وأن الباطل في كتب
القوم لا يحيط بأطرافه ولا يطل على جميع آفاقه باحث ولا عليم ما خلا الله وحده ..
وقد قرأت بعض كتب القوم قبل كتابة الجزء الأول من الصراع وقرأت
بعضها في أثناء كتابته وبعضها آخر بعد ذلك ، وكنت كلما قرأت لهم من هذه
الكتب وجدت ما لم أجد ، وعلمت ما لم أكن أعلم ، وما لم يكن يخطر لي على بال
من عظيم المقالات وشنيع الآراء وغريب الزور .

جهل حقيقة
الشيعة

وقد تبين لي بعد أن قرأت عدداً غير عديد من هذه الكتب أن جميع
الذين كتبوا في نقد الشيعة ونقد معتقداتها لم يكن فيهم كاتب واحد عرف الحقيقة
كلها ولا علم ما كان يجب أن يعلم من مذاهبهم ونحلهم الغريبة . ولا قرأ ما كان
يجب أن يقرأه من مؤلفاتهم وما سجلوه على أنفسهم وعلى أئمتهم من الباطل
والعدوان ومن الحنث العظيم . بل جميع الذين كتبوا في هذه الأبواب كانوا يجهلون
الأمر البين بغيره من معتقدات هذه الفرقة وكانوا لا يعلمون منها إلا اليسير
الأقل . والسبب في هذا والله أعلم أن جماعة الشيعة كانوا في أكثر الأعصار
والأمصار لا يجرؤن على نشر كتبهم ولا إذاعة معتقداتهم كما هي ، بل كانوا أبداً

يفرون إلى التقية وإلى المصانعة والمداهنة . وكانوا يجدون في الكتان
المكان المتسع للفسيح لا يواء هذه الكتب ولوضعها كما يشاءون ويريدون محملة
بأخطر هذه الأفكار المنبوذة بين جميع الأملاء التي لا يستطيع البوح بها في
بلد يرمى أهله الإسلام والحق . ولهذا الكتان وهذه التقية كانت كتب القوم
المنفعة بعقائدهم الخطيرة بعيدة عن أيدي الناس بعيدة عن تناول العامة .
فكان يعسر على من أراد كتبهم أن يظفر بها وعلى من أراد الرد عليهم أن
يعرف حقيقةهم . فكانت الردود عليهم كلها حتى الردود المبالغ فيها المدفوعة
بأعنف التعصب تقع دون المرمى وتقتصر عن الغاية كما هي عندهم . وعلى هذا
فكل ما يقرؤه القارئ في نقد هذه الجماعة ونقد عقائدها فليعلم أن الحقيقة
السافرة في كتبهم أنفسهم فوق ذلك كله . .

وبين يدي الساعة كتاب « فرق الشيعة » طبع النجف سنة ١٣٥٥ كتاب فرق
من الهجرة تأليف أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي أحد علماء الشيعة
الإمامية ومؤلفيها الكبار ، صححه وعلق عليه السيد محمد صادق آل بحر
العلوم ، وكتب مقدمته هبة الدين الشهرستاني ، وقامت على طبعه المطبعة
الحيدرية الإمامية . والكتاب كما يدل اسمه موضوع لبيان عقائد من يشملهم
اسم الشيعة العام : الاثنا عشرية وغيرهم . وقد قال في هذا الكتاب : « فلما
قبض النبي افترقت الشيعة ثلاث فرق : فرقة قالت إن عليا امام مفترض الطاعة قول الشيعة
بعد رسول الله واجب على الناس القبول منه والأخذ عنه ولا يجوز غيره . وقد في الشيعة
وضع عنده النبي من العلم ما يحتاج إليه الناس من الدين والحلال والحرام
وجميع منافع دينهم ودنياهم ومضارهم وجميع العلوم جليلها ودقيقها واستودعه
ذلك كله واستحفظه إياه . ولذلك استحق الإمامة ، ومقام النبي لعصمته وطهارة
مولده وسابقته . . . وقالوا إنه لا بد مع ذلك من من يقوم مقامه بعده رجل من

من ولده من ولد فاطمة بنت محمد عليه السلام . معصوم من الذنوب طاهر من
المعيب مبرأ من الآفات والمعاهات في كل من الدين والنسب والمولد ، يؤمن منه
العمد والخطأ والزلل منصوص عليه من الإمام الذي قبله مشار إليه باسمه وعينه
الموالي له ناج والمعادي له كافر هالك ، والمتخذ دونه وليجة ضال مشرك . وأن
الإمامة جارية في عقبه ما اتصلت أمور الله وأمره ونهيه . . وفرقة منهم

من قول

يسمون الجارودية . قالوا بتفضيل علي ولم يروا مقامه يجوز لأحد سواه . وزعموا أن
من دفع علياً عن هذا المكان فهو كافر ، وأن الأمة كفرت وضلت في تركها بيعته
وجعلوا الإمامة بعده في الحسن بن علي ثم في الحسين ثم هي شورى بين أولادهما .
فلما قتل علي عليه السلام افتترقت التي ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله
ورسوله فصاروا فرقتين : فرقة منهم قالت إن علياً لم يقتل ولم يموت ولا يقتل ولا
يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً
وجوراً . وهي أول فرقة قالت في الاسلام بالوقف بعد النبي من هذه الأمة وأول

الجارودية

من قال منها بالغلو . وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبيد الله بن سبأ وكان
عبد الله بن سبأ ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم ، وقال إن علياً
أمره بذلك فأخذه على فسأله عن قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح عليه الناس :
يا أمير المؤمنين أقتل رجلاً يدعو إلى حجبكم أهل البيت وإلى ولايتكم والبراءة
من أعدائكم ! ففسره إلى المدائن . وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي

من قول

أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً وكان يقول وهو على يهوديته في
يوشع بن نون بعد موسى بهذه المقالة فقتل في اسلامه بعد وفاة النبي في علي بمنزل
ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض الإمامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكشف

عبد الله بن سبأ

الرفض مأخوذ بخالفه . ومن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية
من اليهودية . ولما بلغ ابن سبأ نبي على بالمدينة قال للنبي لعنه كذبت لوجنتها بدماعه في

سبعين حسرة وأقت على قتله سبعين عدلاً لعلنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض . . . وفرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية فسموا الكيسانية وإمامهم بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذي طالب بدم الحسين وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه . وإمام لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكفي بأبي عمرة كان اسمه كيسان وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً . وكان يقول إن ابن الحنفية وصى على بن أبي طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجل ، وكان يزعم أن جبريل يأتي المختار بالوحي من عند الله فيخبره ولا يراه . ثم قال النوبختي بعد كلام : « وبقى أصحاب الحسين على القول الأول بإمامته حتى مضى ثم افترقوا بعده ثلاث فرق : فرقة قالت بإمامة ابن الحنفية . وفرقة قالت : إن ابن الحنفية هو الإمام المهدي وهو وصى على بن أبي طالب ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه . وإمام خرج الحسن بن علي إلى معاوية محارباً له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه ، وإن الحسين إنما خرج لقتال يزيد بإذنه ولو خرجا بنسب إذنه هلكا وضلا ، وإن من خالف ابن الحنفية كافر مشرك ، وأن محمداً استعمل المختار على المراقين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدمه وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا . وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم . فهم يسمون المختارية ويدعون الكيسانية . فلما توفي ابن الحنفية تفرق أصحابه فصاروا ثلاث فرق : فرقة قالت إن ابن الحنفية هو المهدي سماه على مهدياً لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك ، ولكنه غاب ولا يدرى أين هو وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه . وهم أصحاب ابن كرب ويسمون الكرية . وكان حمزة بن عمار البربري منهم ، وكان من أهل المدينة ففارقهم

وإدعى أنه نبي وأن ابن الحنفية هو الله وأن حمزة هو الإمام وأنه ينزل عليه سبعة أسباب من السماء فيفتح بين الأرض ويملكها . فتنبعه على ذلك ناس من أهل المدينة والكوفة فلعنه أبو جعفر وبرى منه وكذبه وبرئت منه الشيعة . فأتبعه على رأيه رجلان يقال لأحدهما « صائد » وللآخر « بيان » وكان بيان تباثا بالكوفة ثم ادعى أن محمد بن علي بن الحسين أوصى إليه . وكان حمزة بن عمار لإحلال جميع نكح ابنته وأحل جميع المحارم . وقال : من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه . فأصحاب ابن كرب وأصحاب بيان وأصحاب صائد يفتظرون رجوعهم ورجوع أصحابه ويزعمون أن ابن الحنفية يظهر بنفسه بعد الاستئثار عن خلقه ينزل إلى الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم . وفرقة قالت إن ابن الحنفية حي لم يمت وأنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تفسدوه الأرام وعن يمينه أسد وعن يساره أسد يحفظانه إلى أوان خروجه ومجيئه وقيامه وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشر به النبي وأنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً . فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا إلا قليلاً من أبنائهم . وهم إحدى فرق الكيسانية . ومن الكيسانية السيد الحيرى وهو الذى يقول :

يا شعب رضوى ما لن بك لا يرى * حق منى تخفى وأنت قريب
لو ظاب عنا عمر نوح أيقنت * منا النفوس بأنه سيثوب
وفيه يقول أيضاً :

ألا حى المقيم بشعب رضوى * وأهد له بمنزله السلاما
أضر بمعشر والوك منا * ومموك الخليفة والإماما
وعادوا فيك أهل الأرض طرا * مقامك عنهم سبعين عاما
لقد أمسى بجانب شعب رضوى * تراجع الملائكة الكلاما
وما ذاق ابن خولة طعم موت * ولا وارت له أرض عظاما

وإن له به لثقل صدق * وأندية تحفته كراماً
«ويروى قوم أن السيد الحميري رجع عن قوله هذا وقال بإمامة جعفر بن محمد
وقالت فرقة مثل قول الكيسانية في أبيه بأنه المهدي، وأنه حي لم يمت وأنه يحيى
الموتى وغلوا فيه». وبعد هذا ذكر فروعا للفرقة السابقة ثم قال: «فهم كلهم
غلالة يقولون من عرف الامام فليصنع ما شاء. وفرقة قالت أوصى عبدالله بن محمد
ابن الحنفية إلى محمد بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب لأنه مات عنده بأرض
الشرارة بالشام. ذلك أن محمد بن علي كان صغيرا عند وفاة أبي هاشم وأمره أن
يدفعها إليه إذا بلغ فلما بلغ دفعها إليه. فهو الامام وهو الله وهو العالم بكل شيء
ومن عرفه فليصنع ما شاء. وهؤلاء غلالة الروندية. وفرقة قالت إن الامام القائم
المهدي هو أبو هاشم وولي الخلق ويرجع فيقوم بأمر الناس ويملك الأرض ولا
يوصى بعده وغلوا فيه وهم البيانية أصحاب بيان النهدي. وقالوا إن أبا هاشم نبي
بيانا عن الله فيبيان نبي وتأولوا في ذلك قول الله «هذا بيان للناس وهدى
واضحى بيان بعد وفاة أبي هاشم النبوة وكتب إلى أبي جعفر يدعو إلى نفسه وإلى
الإقرار بنبوته ويقول له أسلم تسلم... ولما قتل أبو مسلم عبد الله بن معاوية
افتقرت فرقته بعده ثلاث فرق وقد كان مال إلى عبد الله بن معاوية شذاذ من
حنوف الشيعة برجل يقال له عبد الله بن الحارث وكان أبوه زنديقا من أهل
المدائن فأخرج من شيعة عبدالله جمعا فأدخلهم في الغلو والقول بالتناسخ والأظلة
والدور وأسند ذلك إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ثم إلى جابر الجعفي فخدعهم
بنلك حتى ردهم عن جميع الفرائض والشرائع والسنن. وفرقة منهم قالت إن
عبد الله بن معاوية حي لم يمت وأنه مقيم في جبال أصفهان. لا يموت أبدا حتى
يقود نواصيها إلى رجل من ولد فاطمة. وفرقة قالت إن عبد الله بن معاوية قد
مات ولم يوص ولم يوص له إمام فتابوها وصاروا مذبذبين بين حنوف الشيعة

من عرف
الامام فليصنع
ما شاء

فرقة البيانية

المنكرة في فلسطين ، هذه الفعلة التي لم يسبق لها نظير في تاريخ الفلسطينيين المشوهين كلها ، ثم لا تهتز جنبات العالم الاسلامي اهتزازاً ترتفع به أمم وتسقط به أخرى . إن المسلمين لو لم يصابوا بهذا الفشل الذي لا مثيل له ، ولو لم يملوا الصراع المقدس ما استطاعت بريطانيا أن تكشف سوءتها وحقاتها ومدينتها الزائفة في فلسطين على منظر العالم الاسلامي العربي ومسمعه ، وعلى رغبه ، ثم لا يفضب غضبة يتحطم بها أكبر عرش مرصع بالجواهر المنهوبة من خزائن المسلمين ومن عروشهم المحطمة ، الواحد تلو الآخر بدسائس هذه الفجور وطغيانها وكيدها .

هذا شعب عربي مسلم ، في بلد عربي إسلامي ، يقع في قلب البلدان العربية الاسلامية ، تغير عليه دولة أوربية ، فتحكمه وتتحكم فيه أخبت أنواع الحكم والتحكم باسم الانتداب الملعون ، فتسلبه أولاً كل معاني السيادة والعزة ، ثم لا يكفها هذا ، بل تمتد يداها إلى مكان العقائد والايمان والخلائق الفاضلة بين أهله فتحاول إفساده وتخبثه ليسهل عليها ما تريد ، ثم لا يكفها هذا أيضاً بل تبسط يديها إلى القصور وإلى الأكوخ لتتزل فيهما الفقر والبؤس ، ولتلاهما من معاني الشقاء والفاقة ، وتبسطهما إلى الجيوب لتنتزع منها ما بقي فيها من مله قليل ، فتبلغ أقصى ما تريد ، ثم لا يكفها - ويلها - كل ذلك ، بل تقوم فتمرح جيوشها وأساطيلها وطائراتها وسائر قواتها المزودة بأموال المسلمين وأموال الغرب لتشرذم هذا الشعب المنهوك بانتدابها - قاتله الله - من وطنه ووطن آبائه وأجداده ووطن دينه منذ القرون القصية ، وفيه مقدماته الدينية ، وفيه رفات أسلافه الأكرمين الأولين وفيه كم أراق دماءه وبذل مهجه لحايته وصون حرمانه من عنوان العادين ، وفيه كم ساد وحكم وذاد عنه المغيرين . . . لتشرده من وطنه كي تنهبه التائبين المشردين المنبوذين من اليهود المحقوتين في كل مكان وزمان ، ليزرعوه

بدن خبيث يمزجه فيه بالدنيا، وجعله في أقبح صورة ورزقه أنتن رزق وأقنره.
وتأولوا في ذلك قول الله « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
ربي أكرمني ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني » فكتب الله
هؤلاء ورد عليهم قولهم لمصيتهم إياه فقال : « كلاب لا تكرمون اليتيم » وهو
النبي « ولا تحاضون على طعام المسكين » وهو الامام « وتأكلون التراث أكلاماً »
ولا تخرجون حق الامام كما رزقكم وأجراه عليكم ... ومنهم فرقة تسمى المنصورية
فرقة المنصورية
وهم أصحاب أبي منصور وهو الذي ادعى أن الله عرج به إليه فأدناه منه وكله ومسح
يده على رأسه وقال له بالسريانية : أي بني . وذكر أنه نبي ورسول وأن الله اتخذ
خليلاً . وكان أبو منصور هذا من أهل الكوفة وكان لا يقرأ ولا يكتب فادعى
بعد وفاة أبي جعفر أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده ثم ترقى به الأمر
إلى أن قال كان علي بن أبي طالب نبياً ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعلي بن
الحسين ومحمد بن علي وأنا نبي ورسول والنبوة في ستة من ولدي يكونون من
بعدي أنبياء آخرهم القائم . . . وكان يأمر أصحابه بخلق من خالفهم وقتلهم
بالأغتيال ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي وزعم قتل المخالفين
أن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله وأن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه هو
بالتأويل ثم ظفر عمر الخناق بابنه الحسين بن أبي منصور ، وقد تنبأ وادعى مرتبة
أبيه وجببت إليه الأموال وتابعه على مذهبه بشر كثير وقالوا بنبوته . قال
النوبختي : « فهذه صنوف الغالية من أصحاب عبدالله بن معاوية والعباسية الروندية
وغيرهم . غير أن أصحاب عبدالله بن معاوية يزعمون أنهم يتعارفون في انتقالهم في
كل جهنم صاروا فيه على ما كانوا فيه مع نوح عليه السلام في السفينة ومع النبي
عليه السلام . ويسمون أنفسهم بأسماء أصحاب النبي يزعمون أن أرواحهم فيهم
ويتأولون في ذلك قول علي بن أبي طالب وقد روى عن النبي « إن الأرواح

جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » ففصحو ، تتعارف كما قال علي عليه السلام . وقال بعضهم بالتناسخ وتنقل الأرواح . . . وبعد هذا نقل النوبختي كلاما كثيرا في التناسخ وفي تفصيله وتفصيل قولهم فيه قال بعده : « وقالت الكيسانية يرجع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها ، ويرجع محمد وجميع الأنبياء فيؤمنون به ، ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان وآل أبي سفيان ويهدم دمشق ويفرق البصرة . وأما أصحاب أبي الخطاب ومن قال بقولهم فانهم افترقوا لما بلغهم أن أبا عبد الله لعنه وبريء منه ومن أصحابه . . . فصاروا أربع فرق ففرقة منهم قالت إن أبا عبد الله جعفر بن محمد هو الله وأن أبا الخطاب نبي مرسل وأحلوا المحارم من الزنا والسرقه وشرب الخمر وتركوا الزكاة والصلاة والصيام والحج وأباحوا الشهوات بعضهم لبعض وقالوا من سأله أخوه ليشهد له على مخالفته فليصدقه ويشهد له فإن ذلك فرض عليه واجب ، وجعلوا الفرائض رجالا مموهم والفواحش والمعاصي رجالاً وتأولوا على ما استحلوه قول الله (يريد الله أن يخفف عنكم) وقالوا خفف عنا بأبي الخطاب ووضع عنا الأغلال والآصار يمتنون الصلاة والزكاة والصيام والحج . . فن عرف الرسول النبي الامام فليصنع ما أحب . وفرقة قالت بزيع نبي رسول مثل أبي الخطاب . وفرقة قالت « السري » رسول مثل أبي الخطاب أرسله جعفر وقال إنه قوي أمين وهو موسى القوى الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الاسلام والاسلام هو السلام وهو الله ونحن بنو الاسلام كما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه . وقد قال رسول الله « سلمان ابن الاسلام » فدعوا إلى نبوة السري ورسالته وصلوا وصاموا وحجوا لجعفر بن محمد بن جعفر ولبوا له وقالوا لبيك يا جعفر . . وفرقة قالت جعفر هو الله وإنما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحل فيها فكان ذلك النور في جعفر ثم خرج منه فدخل في أبي الخطاب فصار جعفر من الملائكة ثم خرج .

قول
الكيسانية
في الرجعة
ترك جميع
الفرائض
والشرائع

من أبي الخطاب فدخل في معمر وصار أبو الخطاب من الملائكة فمعمر هو الله
فخرج ابن اللبان يدعو إلى معمر وقال إنه الله وصلى له وصام وأحل الشهوات كلها
ما حل منها وما حرم . وليس عنده شيء محرم . وقال لم يخلق الله هذا إلا لخلق
فكيف يكون محرماً ؟ وأحل الزنا والسرقه والميتة ولحم الخنزير ونكاح الأمهات
والبنات ونكاح الرجال وزعم أن كل شيء أحله الله في القرآن وحرمه فإنا هو
أسماء رجال . فخاصه قوم من الشيعة .

وبعد هذا ساق كلاماً كثيراً في تأليه المخلوق قال بعده : « فهذه فرق الغلو إلى من يرجع
عن انتحل التشيع . وإلى الحرمدانية والمزدكية والزنديقية والدهرية مرجعهم الغلاة من
جميعاً . وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الخالق وإثباتها في بدن مخلوق على الشيعة
أن البدن مسكن لله وأن الله نور وروح ينتقل في هذه الأبدان . ثم إن الشيعة
العباسية الروندية افترقت ثلاث فرق » وفصل أقوال هذه الفرق الثلاث ثم أخذ
في بيان أقوال فرق الشيعة حتى ختم الكتاب .

وهذا الذي نقلناه بنصه من الكتاب نموذج صحيح للكتاب كله . وقد ذكر
عن طوائف منهم أن الامام يعلم كل شيء وأنه مثل النبي في جميع أموره . وذكر
عن طائفة أنها زعمت أن المنصور هو الله وأنه يعلم سرهم ونجواهم . وذكر عن
طائفة أنها ادعت أن آل النبي وذريته صغارهم وكبارهم في المعارف والعلوم سواء
وأن الطفل في المهد يعلم ما يعلمه الكبير لا يفضل عليه بشيء . وأن منهم من قال :
من زعم أن من كان في المهد والخرق ليس علمه مثل علم الرسول فهو كافر بالله مشرك .
وأن منهم من قال ليس أحد من آل النبي يحتاج إلى أن يتعلم من أحد لا منهم ولا
من غيرهم بل العلم ينبت في صدورهم كالنبت الزرع بالمطر . وذكر عن طوائف منهم
أنهم ألوهوا أشياخهم وأنهم زعموهم رسلاً وآلهة . وحكى عن طوائف القول بالتناسخ
والمحول وعن طوائف أخرى القول بالبداة وحكاها عن أئمتهم المعصومين . وحكى

عن طوائف أخرى أنهم قالوا الإمام واحد وهو روح تنتقل في سائر الأئمة ولكنه .
واحد لا يتعدد . وحكى عن فرقة أنها زعمت أن النبي انقطعت عنه الرسالة في حياته
في اليوم الذي أعلن فيه إمامة علي بن أبي طالب وهو يوم « غد برخم » قالوا
وقد انتقلت الرسالة في ذلك اليوم من النبي إلى علي . واعتلوا لهذا بقول النبي
« من كنت مولاه فعلي مولاه » قالوا وهذا القول خروج من النبوة والرسالة
وتنازل عنهما لعلي . وحكى عن فرقة أنها ذهبت إلى أن الشريعة الإسلامية
نسخ الشريعة سوف تُلغى بنفسها القائمة ، واعتلوا بالروايات التي نقلوها عن أئمتهم الذين زعموا
الإسلامية معصومين مثل قولهم لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا . وحكى عن طوائف أنهم
ذهبوا إلى وجوب قتل أهل القبلة وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر . واعتلوا
بقول الله « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وذهبوا إلى سبي النساء وقتل
الأطفال واعتلوا بقول الله (لا تنزع على الأرض من الكافرين دياراً) وزعموا
أنه يجب البدء بقتل من قال بالإمامة ممن ليس على قولهم . واحتجوا على ذلك
بالقرآن . وحكى عن فريق أحلال الفروج والغلمان وجميع المحرمات واحتج هذا
الاستدلال الفريق بقول الله (أو يزوجه) ذكرانا وإنا نأمر وعن فريق آخر أحلال نكاح
بالقرآن على الرجال زاعمين أن ذلك من التواضع . وحكى عن غير هؤلاء غير هذا البلاء . وما
أحلال نكاح من فرقة من فرق الشيعة إلا وحكى لها آفة من هذه الآفات .

الرجال

وهذا الذي حكاه أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه « فرق الشيعة »
يوافق ما حكاه عنهم جميع من كتبوا في الملل والنحل كالأشعري وابن حزم
والشهرستاني والمقرئزي وغيرهم من أهل السنة وغير أهل السنة . وهذا الذي
نقلناه عن هذا الكتاب الشيعي الإمامي لهذا المؤلف الشيعي الإمامي يصدق
ما حكيناه عن الطائفة في الجزء الأول ناقلين له من كتب أهل السنة . وكنا
حين ذلك لم نر كتاب فرق الشيعة وإلا لنقلنا منه لأن كتب أهل السنة ليكون

ذلك أمكن في اظهار الحجة وتقديم أظافر النزاع والعناد .
نعم قد يقولون إن هذه الفرق التي يحكى عنها النوبختي وغيره هذه الآفات
الاعتقادية والآفات العقلية ليست موافقة لما تذهب إليه طائفة الامامية الاثنا عشرية
الحقة . بل هي تبرأ من هذه الفرق جميعا وتضلها جميعا وتحكم عليها بالزيغ فن
المدوان إذن ذكر هذه الفرق في معرض الرد على طائفة الامامية ، ومن المدوان
أيضا مزج هذه الفرق الضالة بها وهي تعود بالله منها . . . إذا قالوا هذه المقالة
قلنا لهم : إن أثمتكم أنفسكم فملوا هذا الذي فعلناه ، وذكرنا هذه الفرق التي
يشملها لفظ الشيعة العام وإن لم يكونوا اثنا عشرية مع طائفة الاثنا عشرية كما
فعل النوبختي وغيره من علماء الشيعة . وقلنا لهم إن الجامع بين هذه الفرق وبين
فرقة الامامية هو الذهاب إلى التشيع والاستمسك به وإن كان بينهم فرق وخلاف
في التفصيل فلا يضر ولا يمنع هذا الذي فعلناه وفعله غيرنا من أهل السنة
ومن الشيعة ومن كتبوا في عقائد الناس وإن كانوا غير مسلمين . ولهذا نجد
مؤلفي الشيعة عندما يريدون تعداد الشيعة وبيان كثرتهم وعظمتهم وشأنهم في
العالم الاسلامي يذكرون كل من يشمل لفظ الشيعة والتشيع ، فيذكرون الزيدية
والاسماعيلية . ويذكرون أيضا غيرهم . وقد فعل هذا الشيخ محسن الأمين
الداملي في كتابه « أعيان الشيعة » في مواضع ، وهو وغيره يشيدون بذكر
الفاطميين ويفخرون بهم ويعدونهم منهم وإلهم مع أن الفاطميين ليسوا
اثنا عشرية وإنما هم إسماعيلية . وقد وجدنا مؤلفي الامامية يذكرون حين الرد على
أهل السنة كل من قابل الشيعة وإن كان من يذكرون بعيد جدا عن أهل
السنة بالمعنى الخالص . فهم عندما يتعرضون لنقد أهل السنة ولردع عليهم يذكرون
أقوال الجهمية والخبرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة ويسبونهم بما تقوله إحدى هذه
الطوائف من الاغلاط والمنكرات مع أن هذه الفرق ليست جميعا من أهل السنة

بل أهل السنة يبرؤن منها ومن باطلها ، بل بعض هذه الفرق أقرب إلى الشيعة منهم إلى أهل السنة كالمعتزلة مثلاً . فإن أصولهم تخرج إلى أصول الشيعة أكثر من جنوحها إلى أصول أهل السنة . فعد المعتزلة من الشيعة أصدق من عدم في أهل السنة ، ولكن كتاب الشيعة يمدون المعتزلة في أهل السنة لأنهم يخالفونهم في أصول الإمامة . ومقياس الناس عند الشيعة مسألة الإمامة والغلو في علي وولده ، ثم القدح في أعدائهم أو من زعمهم لهم أعداء وإن كانوا أصدقاء . ويصدق هذا الذي ذكرناه أننا وجدنا هؤلاء القوم مثل محسن الأمين في كتابه « أعيان الشيعة » ومثل غيره يذكرون في عداد الشيعة مثل محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ومثل الحافظ أبي نعيم ومثل ابن إسحاق صاحب السيرة ومثل غيرهم بل يذكرون في تعدادهم كل من قال كلمة غلو في آل البيت من الشعراء والكتاب والعلماء والفقهاء وغيرهم . ولهذا يذكرون من شعراء الشيعة مثل كعب بن زهير وأبي الأسود الدؤلي وأمثال الفرزدق وأبي نواس الفاسق ومسلم بن الوليد وأبي تمام والبحري والمتنبي وغيرهم من أهل الفسق والشعر والأدب ، لأنهم قالوا بيت شعر أو كلمة فيها ربح غلو أو ربح تفضيل لعلي . ومن غريب أمر هذا الرجل — أعني صاحب كتاب أعيان الشيعة — أنه عمد إلى جميع الشعراء الفحول والكتاب البارزين وأصناف العلماء وحمل الأقلام فعدهم في كتابه شيعة . ولو صدق هذا الذي فعل لكان أبو حنيفة والشافعي ومالك وابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم وغيرهم من عيون الشيعة . بل لكان الوهابيون الذين يقدح فيهم ويستحل الوقعة في أعراضهم من متعصبى الشيعة . لأن هؤلاء جميعاً يمتدحون علياً وذريته ويوالونهم ويعادون من يعاديهم ويقولون إن من الإيمان ومن الإسلام حبهم وموالاتهم . ولا يشك مؤمن بالله وباليوم الآخر أن أئمة الحديث والفقهاء السنة أمثال الأئمة الأربعة وأمثال شيوخ الحديث وغيرهم أقرب إلى

على وإلى حبه وإلى أهل بيته ومواليتهم من أمثال أبي نواس والبحتري وأبي تمام وأبي الطيب المتنبي . والقوم يعدون هؤلاء الشعراء جميعا شيعة ولا يعدون الأئمة الأربعة ولا غيرهم من شيوخ السنة شيعة ، بل يعدونهم من خصوم على وخصوم آل النبي ومن أعدائهم الفجار الكفار . ومن غريب أمر هذا الرجل أنه أنكر في كتابه على من عد هذه الفرق الزائفة غير الاثنا عشرية من الشيعة وزعم أن هذا من التضليل والتلبيس . ولكن ها نحن وجدنا علماء الشيعة أنفسهم يعدون هذه الطوائف النائية عن الحق التي ذكرنا بعض عقائدها من فرق الشيعة وهو نفسه يفعل ذلك أحيانا . ونحن لم ندع قط أن كل قول تقوله طائفة من طوائف الشيعة يكون قولاً لجميع طوائفها ، ولكن ندعى أن الباطل الموجود في طوائفها كلها لا يوجد مجموعاً في أهل نخلة من النحل ولا ملة من الملل بل هم يفوقون العالم بأسره في وفرة الأخطاء والخطايا والضلالات الكبرى . ولم توجد هذه الآفات الشيعية التي ذكرها النوبختي في فرق الشيعة مجتمعة في فريق ولا فرق من خلق الله فيما نعلم . على أنه قد اجتمع في طائفة الامامية الاثنا عشرية من ذلك ماظم الوادي . ونحن هنا نورد نماذج من هذه الآفات ناقلين لها من كتبهم المطبوعة في مطابعهم المسماة بأسماء أئمتهم :

﴿ النبي هو موجد العالم عند الشيعة ﴾

قال السيد محسن الأمين العاملي في كتاب أعيان الشيعة الجزء الخامس إيجاد الرسول
ص ٥٢٠ قال الشيخ إبراهيم بن يحيى الشيعي الاثنا عشرى في امتداح النبي للعالم اقل
عليه الصلاة والسلام :

ساد الورى بفضائل وفواضل * وأقلها إيجاد هذا العالم
أنا عبدك التن الذى لا يبتنى * إلا رضاك وأنت أرحم راحم
وفضائله

فأقل فواضل النبي وفواضله إيجاده العالم وهذا كفر بلا مرية .

﴿ رجوع الأمر كله إلى علي ﴾

ثم ذكر السيد محسن في هذا الجزء عن الشيخ إبراهيم بن صادق أحمد -
علمائهم ص ٢٢٠ أنه قال في علي :

يا مَنْ إِلَه الْأُمْرِ يَرْجِعُ فِي غَد * وَلَدَيْهِ أَعْمَالُ الْخَلَائِقِ تَرْفَعُ
وَلَهُ مَالُ ثَوَابِهَا وَعِقَابِهَا * يَمْطِي الْمَطَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
﴿ علي عندهم غير محدود الذات والصفات ﴾

رجوع الامور
كلها إلى علي
بن أبي طالب

وفي هذه القصيدة يقول :

وَأَرَى الْأَلَى لَصِفَاتِ ذَاتِكَ حُدُودًا * قَدْ أَخْطَأُوا مَعْنَى عِلَّاكَ وَضَمُّوا
وَلَايَ مَجْدِكَ يَا عَظِيمَ الْمَجْدِ لَمْ * يَتَدَبَّرُوا وَحْدِيثَ قُدْسِكَ لَمْ يَعُوا
وَلَكِ الزَّمَامُ تَهَبُ مِنْ أَجْدَانِهَا * وَالشَّمْسُ بَعْدَ مَغِيبِهَا لَكَ تَرْجِعُ
وَالشَّمْسُ بَعْدَ مَغِيبِهَا إِنْ رَدَّهَا * بِالسَّرْمَنِكَ وَصَى مُوسَى يُوْشَعَ
فَهِيَ الْتَى بِكَ كُلَّ يَوْمٍ لَمْ تَزَلْ * مِنْ بَدءِ خَطَرِهَا تَغِيبُ وَتَطْلُعُ
وَالدَّهْرُ عَبْدُكَ طَائِعٌ لَكَ لَمْ يَزَلْ * وَكَذَا الْقَضَا لَكَ مِنْ يَمِينِكَ أَطْوَعُ
وَلَنْ أَطَاعَ الْبَحْرُ مُوسَى بِالْعَصَا * ضَرْبًا فَمُوسَى وَالْعَصَا لَكَ أَطْوَعُ
وَلَنْ نَجْتَ بِالرَّسْلِ قَبْلَكَ أُمَّةٌ * فَلَقَدْ نَجْتَ بِكَ رَسْلَ رَبِّكَ أَجْمَعُ
وَصِفَاتُكَ الْحَسَنَى يَقْصُرُ عَنْ مَدَى * أَدْنَى عِلَّاهَا كُلُّ مَدْحٍ يَصْنَعُ
وَالْحَمْدُ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ ثَنَاؤُهُ * وَعَلَى سِوَاكَ لَوَاؤُهُ لَا يَرْفَعُ
وهذا لا يقوله مسلم ولا مؤمن بالله وقوله « فموسى والعصا لك أطوع » وقوله
« نجت بك رسل ربك أجمع » وقوله « بالسرم منك » البيت ، هي أقوال لا يتفوه
بها المؤمنون وهي تشير إلى ألوهية علي وقدمه ، ونعوذ بالله من هذا .

﴿ وجود على واسع كل الوجود ﴾

وقبل هذه الآيات من هذه القصيدة يقول الشيخ إبراهيم هذا في على :
وجوده وسع الوجود وهل خلا * في عالم الامكان منه موضع وجود على بن
كشاف داجية القضاء عن الوري * بمزائم منها القضاء يروع أبي طالب في
﴿ آل النبي يملكون أمور العالمين ﴾ كل مكان

وتقل في الجزء الخامس ص ٦٧٣ في ترجمة الشيخ إبراهيم العاسلي قوله
في آل النبي :

المملون بكل علم أحجمت * عنه الخواطر غير كنه الذات
ملكوا أمور العالمين فأمرهم * ماض على الأحياء والأموات ملك آل النبي
وفي ص ٦٨٧ من هذا الجزء عن هذا الشيخ بعد أن ذكر الرسول وفاطمة لأمر العالمين
والحسن والحسين وجعفر وحمة وعقيلاً وعبد مناف قال:

هم التسعة نفر الذين إليهم * أمور الوري في النشأتين تتول
ولو لام ما ساغ فعل لفاعل * ولا طاب منه القول حين يقول
﴿ الدنيا والأخرى أقل عطايا السيدة زينب ﴾

وذكر ص ٥٨٨ من الجزء الخامس للشيخ إبراهيم بن يحيى العاسلي قوله
في السيدة زينب :

وكيف لا يطلب الدنيا وضرتها * مولاكم وهما أدنى عطايك
﴿ مجاورة أحد قبور أهل البيت يعصم من سؤال القبر ﴾

وذكر في ص ٣٥٠ من الجزء الخامس للشيخ إبراهيم الكفعمي أحد علمائهم
قوله طالباً أن يدفن في كربلاء :

سألتكم بالله أن تدفنوني * إذا مت في قبر بأرض عقير

فأنى به جبار الشهيد بكر بلا * سليل رسول الله خير مجير
فأنى به فى حفرتى غير خائف * بلا مرية من منكر ونكير

﴿ أحد ضربات على أفضل من عبادة الخلائق أجمع ﴾

قتل على لأحد
المشركين
أفضل من
عبادة
الخلائق
أجمعين

ومن أقبح الغلو الذى يتخبطون فيه ما ذكره السيد محسن الأمين فى كتابه
« أعيان الشيعة » ص ٢٣٤ من الجزء الثانى وص ١١٣ من الجزء الثالث قال:
إن قتل على بن أبى طالب لعمر و بن عبدود أفضل من عبادة الجن والانس
والملائكة وملايين العوالم أمثالهم إلى قيام الساعة ، قال ولولا هذه القنلة لما عبد الله
فى الأرض . قال وفى قراءة « وكفى الله المؤمنين القتال بلى »

ولا يخفى ما فى هذا من الإثم والباطل ومن التنقص للأنبيا والمرسلين
والملائكة والمؤمنين ، ومن التهوين لهم ولعبادتهم وطاعتهم لله . ولن يقول مسلم
إن عليا كله بجهاده وأعماله وجميع أحواله أفضل من أحد الأنبياء فضلا عن أن
يقول إن قتله لرجل من المشركين أفضل من عبادة جميع الأنبياء والمرسلين
ومن عبادات الجن والانس والملائكة وملايين العوالم من أمثال الجن والانس
والملائكة ، وفيهم الأنبياء والرسل ، وفيهم محمد وموسى وعيسى وإبراهيم ونوح
وغيرهم ، وفيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم . وقد ذكر هذا الرجل فى
مواضع من كتابه أن عليا كان يقتل فى جميع غزوات المسلمين وحده أكثر من الشطر
وأن المسلمين جميعا مع الملائكة يقتلون الباقى وهو مادون الشطر ، فجميع أبطال
الصحابة مع الملائكة المسومين لا يستطيعون مجتمعين أن يقتلوا العدد الذى يقتله
على وحده . وهذا ضرب من ضروب الجنه والهوس . وقد ذكر أيضا ص ٤٤٦
من الجزء الثانى أنه لا كفء لفاطمة غير على وأنه لولا على لما كان آدم ولا من
بعده كففا لها .

﴿ إنكارهم لبنات النبي ﴾

إنكار بنات

النبي عليه
السلام

ومن عجيب أمر القوم ومن لجأهم في عداوة الخلفاء الراشدين وانحدارهم في جحد فضائلهم أنهم ينكرون أن تكون رقية وأم كلثوم زوجا عثمان وابنتا النبي عليه السلام : ينكرون أن تكونا من بنات النبي ويزعمون أنهما ليستا ابنتين له . ذكر هذا الإنكار أحد علمائهم وقتهائها وهو السيد محمد مهدي القزويني الكاظمي في كتابه منهاج الشريعة الجزء الثاني ص ٢٨٩ وص ١٩١ والقوم يريدون بهذا تجريد عثمان من فضائله التي قلده الله إياها حتى ألبسه خمر مصاهرة نبيه وتزويجه بابنتين من بناته، وهذا مجد لم ينله على نفسه . ولكن إنكارهم هذا يدل على استهتارهم بدينهم ونبيهم وبآله وذريته وأهل بيته . ولولاؤهم للبيت النبوي هو أعظم مالهيم من المفاخر التي يدلون بها فيما يزعمون . فأين ما يزعمون وأين ما به يفاخرون ويدلون ؟؟؟ وما يلحق بهذا أن هذا الشيخ نفسه أعنى محمد مهدي القزويني زعم في هذا الجزء من كتابه ص ١١٨ أن التتار الذين هجموا على عاصمة الإسلام بغداد فخر بها وقتلوا خليفة المسلمين المستعصم كانوا مسلمين مؤمنين بالله . وفي الصفحة التي بعدها امتدح كل من أعلن على قتل الخليفة وتمزيق خلافته ، وذكر أن ابن الملقمى إن كان حقا قد خامر ومالاً المغيرين على بغداد وصرع خليفته فقد فعل حسناً وأفعلاً جيلاً يشكر عليه . وهم يريدون بهذا القول الثناء على التتار وامتداحهم لأنهم في رأيهم قد أنقذوا بما يشكرون عليه وهو قتلهم الخليفة العباسي وقتل رجاله وعلمائه .

﴿ ذرية النبي جميعا محرمون على النار معصومون من كل سوء ﴾

أولاد النبي

محرمون على

النار وعلى

العصيان

وفي الجزء الثاني صفحة ٣٢٧ من كتاب « منهاج الشريعة » المتقدم زعم مؤلفه أن الله قد حرم جميع أولاد فاطمة بنت النبي على النار . وأن من فاته الحق

منهم أولا فلا بد أن يوفق إليه قبل وفاته ، قال : ثم الشفاعة من وراء ذلك . وقال في « أعيان الشيعة » الجزء الثالث صفحة ٦٥ إن أولاد النبي عليه الصلاة والسلام لا يخطرون ولا يذنبون ولا يعصون الله إلى قيام الساعة .

﴿ بنو أمية ليسوا من قريش ولا من العرب ﴾

بنو أمية من
الروم لا من
العرب .

ومن فظيخ ما خطوه بأيديهم عداوة للعرب وخصومة للموكلهم وتحريفا لكتاب الله ما ذكره في كتاب « ذخيرة الدارين في ما يتعلق بالحسين » تأليف السيد عبد المجيد الحسيني الحائري الأمامي . قال صفحة ٤٨ الجزء الأول (طبع النجف) بعنوان « نسب معاوية ويزيد وزياد وعمر وبن العاص » : « ذكر الحلي في كتاب « نهج الحق » عند نقل مثالب الصحابة أن معاوية كان لأربعة من الرجال قال السيد التستري في كتاب « إحقاق الحق في بيان نسب بني أمية » إن نسبهم بطريق علماء أهل البيت أنهم ليسوا من قريش وإنما كانوا لعبد رومي اسمه « أمية » قال ونسبهم النسابة الجاهلاء إلى قريش . وفي تفسير الصافي الفاضل القاشاني في سورة الروم قال وقرئ في الشواذ « غلبت الروم » (بفتح الحرف الأول) وهم من بعد غلبهم سيغلبون « بضم حرف الياء . قال وقد روينا من طريق علماء أهل البيت في علومهم وأسرارهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم أن قوما ينسبون إلى قريش وأن أصلهم من الروم ، وفيهم تأويل هذه الآية ، « غلبت الروم » ومعناها أنهم غلبوا على الملك وسيغلبهم بنو العباس » انتهى كلامه ونحن فترك هذا الكلام بدون تعليق .

﴿ ملوك أهل السنة أولاد زنا عند الشيعة ﴾

ملوك أهل
سنة أولاد
اعند الشيعة

وفي هذا الجزء من هذا الكتاب صفحة ٥٠ قال : فبنو أمية جميعهم ليسوا من صلب قريش وإنما هم ملحقون . . . والعجيب أنهم يشهدون على أنفسهم

بأنهم أولاد زنا وأولاد مخانيث ثم يقدمونهم على من ليس فيهم عيب ، ولا في نسبهم ريب . انتهى كلامه .

وأهل السنة لم يقدموا على علي وعلى الحسن والحسين وذريتهم الصالحين غير أبي بكر وعمر وعثمان . فكان هؤلاء المخدولين يعنون بهذه المقادح الملعونة هؤلاء الخلفاء : الصديق والفاروق وعثمان . وقد ذكر صاحب كتاب أعيان الشيعة (الجزء الثالث صفحة ٣٦) هذا المعنى بعبارة لا أستطيع نقلها وحكايتها . وذكر صاحب « ذخيرة الدارين » أيضا أن عمرو بن العاص وطلحة بن عبيد الله وسعد ابن أبي وقاص وابنه عمر والزبير وابنه عبد الله : ذكر أن هؤلاء جميعا أولاد زنا

الباكي على
الحسين محرم
على النار

﴿ من بكى أو تباكى على الحسين حرم على النار ﴾

وفي « ذخيرة الدارين » صفحة ١١٥ قال : من بكى أو تباكى على قتل الحسين

حرم جسده على النار .

على بن أبي
طالب قسيم
النار

﴿ على قسيم النار وهو مخلص الخلائق يوم القيامة منها ﴾

وفي صفحة ١١٦ قال : إن عليا يندود الخلق يوم العطش فيسقى منه أوليائه ويندود عنه أعداءه ، وإنه قسيم النار وإنها تطيعه يخرج منها من يشاء ، وإنه هو الذي يخلص الخلائق يوم القيامة عند الله .

زيارة الحسين
نجاة

﴿ زائر الحسين ناج وزيارته أفضل من الحج والاعتمار ﴾

وفي هذه الصفحة قال : « ومن أتى الحسين زائراً كان في ضمان الله وكان بمنزلة من حج واعتمر ولم يخل من الرحمة طرفة عين وإن مات مات شهيداً وإن بقي لم يزل يحفظه حتى يفارق الدنيا » .

الشفاء وإجابة
الدعاء في قبر

﴿ الشفاء وإجابة الدعاء في قبر الحسين ﴾

وفي صفحة ١١٩ قال : « إن الله عوض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في الحسين

ذريته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره ، ولا تعد أيام زائره جائيا وذاهبا من عمره .

الامام المنتظر
يأتي بدين
جديد

﴿ الامام المنتظر يأتي بأمر جديد وكتاب جديد ﴾

وفي كتاب « أعيان الشيعة » (الجزء الرابع القسم الثاني صفحة ٥٣٠) قال قال الصادق عليه السلام : إذا قام القائم دعا الناس إلى الاسلام جديدا وهداهم إلى أمر دثروضل عنه الجمهور . وإنما سمى القائم مهديا لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه ، وسمى القائم لقيامه بالحق . وعنه عليه السلام قال : إذا قام القائم هدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه ، وحول المقام إلى الموضع الذي كان فيه ، وقطع أيدي بني شيبه وعلقها بالكعبة وكتب عليها : هؤلاء سراق الكعبة . وعنه عليه السلام قال : إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعا رسول الله في بدء الاسلام إلى أمر جديد . وعن الباقر نحوه . وعن الباقر أيضا قال : إذا خرج يقوم بأمر جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد . ليس شأنه إلا القتل لا يستبقى أحدا ولا تأخذه في الله لومة لائم . وعنه في حديث : لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد وكتاب جديد وسلطان جديد من السماء . وعنه عليه السلام قال : إذا قام القائم سار إلى الكوفة ، فهدم بها أربعة مساجد . ولم يبق على وجه الأرض مسجد له شرف الاهدمه ، ووسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج في الطريق ، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات .

هذه أقوال الأئمة المعصومين عند القوم ومقالاتهم . وهي صريحة في أن هنالك كتابا صحيحا وقرآنا غير هذا القرآن وغير هذا الكتاب الذي بين أيدي المسلمين . وبعد هذا يحاول محاولون من مؤلفي هذه الطائفة التضليل على من لم

يعرف حقيقتهم وحقيقة دعاويهم فيذهبون يقولون : كلا ، إننا معشر الشيعة الاثنا عشرية لا نقول بشئ من هذه المقالات بل نبرأ منها ومن قائلها . وهم يفرون إلى التقية والخداع والتضليل وإلا فهذه مقالات الأئمة الذين يزعمونهم معصومين كالأنبيا والمرسلين ، بل أعظم وأفضل وأصدق عندهم من أولى العزم من الأنبياء بيينة في هذا الأمر الذي يحاولون اخفائه وكنيائه .

أما هدم المساجد وزعمهم أن القائم المنتظر يهدم كل مسجد له شرف فقد جاء عن هؤلاء الأئمة من طرقهم هم أن القائم إذا ظهر هدم مسجد النبي عليه الصلاة والسلام وأخرج أبا بكر وعمر منه طريين فصليهما ثم حرقهما . وجاءت روايات كثيرة في كتبهم أنه يهدم جميع المساجد . والشيعة أبدأهم أعداء المساجد ولهذا يقتل أن يشاهد الضارب في طول بلادهم وعرضها مسجداً .

وحسن لهم هم أن يهدموا مساجد المسلمين وأن يهدموا مسجد النبي والمسجد الحرام وكل مسجد له شرف ، وغير حسن من أتباع السنة الحمديدية الصافية أن يهدموا القباب والبنائات المشيدة على الأموات ترغيباً في عبادتهم وإشراكهم بالله وقولهم في الرواية : « وقضاء على العرب شديد » لا يدري من لم يعرف مقدار حقنهم على العرب لماذا خصومهم دون سواهم من الأمم والشعوب بشدة ذلك القضاء المنتظر . ولما الله هذه الجماعة ! فلقد غذيت بعداوة العرب وبغضاً لها منذ أن كانت إلى قيام منتظرها من غير ما سبب أتاه العرب المساكين سوى نشرهم هذا الدين . والله المطلع على ذات صدورهم .

﴿ كل جهاد في سبيل الله باطل ومقصية عند الشيعة ﴾
 ومن أشنع ما ذهب إليه هذه الفرقة أنها زعمت أن الجهاد في سبيل الله باطل موضوع ، وأن المجاهدين فاسقون عاصون أن لم يكن ذلك تحت لواء على بن أبي طالب أو أحد أولاده . المعصومين ! فنندم أن جميع فتوح الاسلام التي

بطلان الجهاد

في سبيل الله

تمت في عصر الخلفاء الراشدين وفي عصور من بعدهم من الخلفاء والأمراء
 والملوك فتوح قائمة على عصيان الله ومخالفة أمره وشرعه . وعندهم أن كل من
 اشترك في فتح بقعة من بلاد الكفر والشرك بعد النبي آثم عاصي لله ولرسوله
 سواء كان قائداً أم كان مقوداً ، وسواء أكان أهيراً أم كان مأموراً . وهم يذكرون
 روايات في هذا الباطل والاثم العظيم عن أئمة البيت النبوي . والروايات بلاريب
 مكتوبة . ولو كانت صحيحة عنهم لما كانوا عندنا ولا عند المسلمين من المرضيين
 وقد ذكرت هذه المسألة في كتاب « أعيان الشيعة » (الجزء الرابع القسم
 الأول صفحة ١٣١) . وقد ذكر قول أحد الكتاب عن الحسين رضي الله عنه
 وعن جهاده مع المسلمين : « ويتنقل مع جيوش المسلمين إلى أقطار الأرض في
 فتح إفريقية وغزوة جرجان وطبرستان وقسطنطينية » . فقال الشيعة مؤلف
 « أعيان الشيعة » تعقيباً على ما ذكر من جهاد الحسين : « ولا يخفى أن ذلك
 كله اختلاق . فالحسين لم يكن ليسير تحت تلك الرايات التي يراها رايات ضلالة ،
 وخصوصاً راية يزيد بن معاوية . ولم يكن ليؤيد سلطنة الظلم والملك العضوض ،
 وأخوه الحسن الذي كان أقرب منه إلى المسألة لم يرض أن يحارب الخوارج تحت
 راية معاوية ، وقد قال مامعناه : أنت أحق بأن أجاهدك من الخوارج . فالحسين
 الذي علم حاله في إباء الضيم والمجاهرة بالحق هل يمكن أن يسير تحت مثل تلك
 الرايات وأمير المؤمنين عليه السلام قد قال : لا تحاربوا الخوارج بعدى ، فليس
 من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه . وأئمة أهل البيت كانوا يرون
 مسير أبي أيوب الأنصاري لمحاصرة القسطنطينية قلة فقه منه . فهل يمكن أن
 يفعلوا ما عابوه على غيرهم ؟ » انتهى كلامه فض الله فاه .

فهل يجمع المسلم بأعجب من هذا ؟ وهل يقول مثل هذا القول من يؤمن بالله
 وباليوم الآخر ومن يريد أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الكفر والشرك هي

السفلى ؟ وأبو أيوب الأنصارى مات غازيا مجاهدا في بلاد الروم في خلافة معاوية .
رضى الله عنهما . ومتى كان المجاهد في سبيل الله الذاهب إلى ربه في جهاده قليل
الفقه ياقومنا ؟ هبوا أيها الناس معاوية شر الخليقة كلها فلماذا لا يجوز معاوته على
الخبر والطاعات . ولماذا لا يجوز جهاد الكفر والفساد والجهل والظلم معه ونحت
رايته وفي أمرته ؟ إن المسلم - يامن يزعمون أنهم مسلمون - مأمور بأن ينصر الحق
وأن يكون مع الحق وأن يجاهد في سبيل الله وفي سبيل اعزاز دينه وكلمة الله أين
كان وحيث كان ومع من كان . ولو أن المسلمين وجدوا كفارا يناصرون الاسلام
وأهله لكانوا معهم .

والقوم يظنون أن قول على المذكور : « لا تقاتلوا الخوارج بعدى »
الحديث ، إبطال للجهاد في سبيل الله ، ويحسبونه يعنى أن كل مسلم يجب
عليه أن يغمد سيفه وأن يحطم رمحه فلا يجاهد ولا يقاتل لأن كل جهاد وقتال
بعده باطل موضوع لأن الملوك والخلفاء القائمين بالجهاد بعده كلهم من غير
المعصومين . وهذا باطل والرواية عن على باطلة ولو صححت لما أمكن أن يكون
معناها ما زعموا .

وقول الرافضى : « ولم يكن ليؤيد سلطنة الظلم والملك المضوض » قول غريب
باطل . لأن الجهاد في سبيل الله ليس تأييدا للظلم والملك المضوض وإنما هو
تأييد لدين الله ونشر له . وإذا لزم الجهاد في الحق أن يكون فيه إعزاز لدولة أحد
الخلفاء الظالمين عند الشيعة لم يكن هذا الجهاد باطلا ولا تأييدا للظلم والملك
المضوض . وهل يجوز للمسلم أن يترك الجهاد في سبيل الله مع المسلمين المجاهدين
خيفة أن يكون في جهاده تقوية لخلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو غيرهم
من الخلفاء والملوك ؟ وهل ينهب من يؤمن بالله واليوم الآخر إلى أن إبقاء ديار
الكفر والظلم والشرك تحت الكفار والمشركين والجاهلين أفضل وأولى من إدخاله

في حوزة المسلمين والاسلام تحت سلطنة معاوية أو خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان لئلا يكون في هذا توسيع لسلطان أحد هؤلاء الخلفاء والملوك الظالمين ؟ وهل يقول مؤمن بالله وباليوم الآخر إن عمرو بن العاص مثلا آثم في غزواته في سبيل الله وفي فتحه مصر وفتح غيرها من بلاد الكفار والمشركين ، أو يقول إن كل من اشتركوا في فتح مصر تحت قيادة عمرو بن العاص أو فتح فارس أو الشام أو المغرب أو غير ذلك مما فتح في سبيل الله : هل يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر إن كل من اشتركوا في هذه الفتوحات الاسلامية عاصون آثمون لأنهم يجاعدون تحت رايات الملوك الظالمين ، ولأنهم بذلك يؤيدون سلطات الخلفاء والملوك المعتدين المغيرين على حقوق غيرهم وعلى الخلافة والسلطان ؟ ألا جازى الله هذه الطائفة أعدل جزاء ، فما أشد خصومتها لله ولدينه ولعباده المؤمنين .

إن المؤمن لا يشك في أن هذه الاقاويل لا تصدر إلا من قلوب ترشح بغضا للاسلام وكراهة لله ولرسوله ولأنصاره الابرار المجاهدين .

﴿ الرجعة ومعناها عندهم ﴾

الرجعة
وحقيقتها

تروى فرقة الشيعة الاثنا عشرية عن علماء أهل البيت النبوي روايات كثيرة في الرجعة والايان بها والحللة على من ينكرها أو يشك فيها حتى روى عن أئمة البيت إكفار من لم يؤمن بها . ومن رواياتهم عنهم قولهم : « من لم يؤمن برجعتنا ، ويقر بمتعتنا فليس منا » . وهم يزعمون أن مسألة الرجعة من ضروريات مذهبهم ، ومنكر الضرورى لديهم كافر كما تقدم عن الشيخ محسن الأمين العامل في الجزء الأول من كتاب « الصراع » . فالقوم لا يختلفون في الايمان بالرجعة ، ومن خالف فيها عندهم فليس إماميا اثنا عشريا أى فليس مسلما . وقد ألفوا فيها وفي اثباتها كتباً كثيرة قديمة وحديثة . وكلمة « الرجعة » تمر كثيراً بمن ينظر في

كتب الرجال وكتب الجرح والتعديل ، فيجدهم يقولون مثلاً : «فلان يؤمن بالرجمة» ، أو يقول بالرجمة . وقد يخفى ما تريده الشيعة من هذه الكلمة على كثير من الناس وعلى الخاصة منهم . وقد كنت حينما كتبت الجزء الأول من الصّراع لأجمل مرادهم الحقيقي من هذه الكلمة ، وكنت أظنهم يمتنون بذلك رجوع علي بن أبي طالب أو رجوع أحد الأئمة الاثني عشر إلى الحياة الدنيا ، أو نحو ذلك . وما كنت أعرف غرضهم الحقيقي كما هو ، وقد ظهر لي بعد ما يعنون حقيقة بالرجمة بعد أن راجعت شيئاً من كتبهم .

فالرجمة عندهم معناها رجوع جميع المؤمنين : الأنبياء فن دونهم والأئمة المعصومين وغيرهم ليقاتلوا جميعاً تحت راية علي بن أبي طالب ، ورجوع جميع الكافرين : أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمر وبن العاص وغيرهم من أتباعهم والمواليين لهم لينثار على وآله والمؤمنون منهم ، وليجازوهم ما فعلوه بهم من ظلم وعدوان وتغلب . فكل من محض الإيمان يرجع ليكون تحت راية علي ، وكل من محض الكفر يرجع للثأر والانتقام منه . فالرجمة ليست خاصة بعلي ولا بالأئمة ولا بالمؤمنين ولا بالكافرين . وأنا أورد هنا بعض رواياتهم عن علماء أهل البيت الذين هم عندهم معصومون :

١ — عن أبي عبد الله الصادق في قول الله «ويوم نحشر من كل أمة فوجاً» رواياتهم فلا قال ليس أحد من المؤمنين قتل إلا يرجع حتى يموت ، ولا أحد من المؤمنين الرجمة مات إلا يرجع حتى يقتل .

٢ — وعن موسى الخنيط قال سمعت أبا عبد الله الصادق يقول : أيام الله بملائمة يوم يقوم القائم ، ويوم الكرة ، ويوم القيامة .

٣ — وعن فيض بن أبي شيبه عن أبي عبد الله الصادق يقول وتلاً هذه الآية « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » الآية ، قلت ليؤمن برسول الله

ولينصرون على بن أبي طالب ، قال والله من لدن آدم وهلم جرا . فلم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا أرجعهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي على بن أبي طالب ٤ — وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر في قول الله : « يا أيها المدثر قم فأنذر » يعني محمدا وقيامه في الرجعة فينذر فيها ، وفي قوله : « إنها لأحدى الكبر » يعني محمدا نذيرا للبشر في الرجعة ، وفي قوله « وما أرسلناك إلا كافة للناس » يعني في الرجعة .

٥ — وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر قال سئل عن قول الله : « ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم » . فقال يا جابر أتدرى ما سبيل الله ؟ قلت : لا والله ، فقال القتل في سبيل على وذريته . فن قتل في ولايته قتل في سبيل الله ، وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وموتة . إنه من قتل نشر حتى يموت ، ومن مات نشر حتى يقتل .

٦ — وعن أبي عبد الرحمن القصير عن أبي جعفر قال قرأ هذه الآية : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم » فقال أتدرى من يعني ؟ فقلت : يقاتل المؤمنون فيقتلون ، فقال لا . ولكن من قتل من المؤمنين رد حتى يموت ، ومن مات رد حتى يقتل . وتلك القدرة .

٧ — وعن جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال قلت له : قول الله : « إنما لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » فقال ذلك والله في الرجعة . أما علمت أن أنبياء الله كثيرا لم ينصروا في الدنيا وقتلوا ، وأئمة قتلوا ولم ينصروا . فذلك في الرجعة . قلت : « واستمع يوم ينادى المنادى » الآية . قال : هي الرجعة .

٨ — وعن أحمد بن عقبة عن أبيه عن أبي عبد الله أنه سئل عن الرجعة . أحق هي ؟ قيل له : من أول من يخرج ؟ قال الحسين يخرج على أثر القائم .

٩ — وعن حنان بن سدير عن أبيه قال سألت أبا جعفر عن الرجعة فقال :
ينسكرها القدرية ثلاثا .

١٠ — وعن داود البرقي قال قلت له عليه السلام : إني قد كبرت ودق
عظمي وأحب أن يختم عمري بقتل فيكم ، فقال : وما من هذا بد ، إن لم يكن في
العاجلة يكون في الآجلة .

١١ — وعن فضيل بن شاذان عن أبي جعفر قال : إذا ظهر القائم ودخل
الكوفة بعث الله من ظهر الكوفة سبعين ألف صديق فيكونون في أتباعه وأنصاره .
هذه الروايات قد نقلناها كلها من كتاب « النجعة في الرجعة » طبع النجف
صفحة ٢٧ وما بعدها ، تأليف محمد رضا الطبسي الخراساني ، وقد قال بعد أن ساق
هذه الروايات : « ومن أراد أكثر من ذلك فليراجع في مظانها . وقد ذكر المحدث
الحر العاملي في كتابه « الأيقاظ » أكثر من ستائة حديث . وقال في ذيل كلمة
« مؤمن بإيابكم » : ان فيها دلالة واضحة على رجوع رسول الله وأوصيائه الأئمة .
وإني قد اطلعت على ستائة وعشرين حديثا » انتهى قوله .

وقال صفحة ٢٥ وما بعدها : روى الشيخ حسن بن سليمان في كتابه المختصر
باسناده عن سلمان الفارسي قال : دخلت يوما على رسول الله فنظر إلى ، إلى أن
قال يا سلمان خلقت الله من صفوة نوره وخلقت من نوري عليا ، وخلقت من نوري
ونور علي فاطمة ، وخلقت مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فسمانا بخمسة وآله من صفوة
أسماء من أسمائه ، ثم خلقت منا ومن نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن
يخلق الله سماء ولا أرضا ولا هواء ولا ماء ولا ملكا ولا بشرا . وكنا بعلمه أنوارا
نسبحه ونسمع له ونطيع . وهنا ذكر له أسماء الأئمة الاثني عشر إلى آخرهم وهو
القائم المهدي . قال سلمان فبكيت ثم قلت يا رسول الله وأني لى بادرا بهم ؟ قال :
يا سلمان إنك مدرهم وأمثالك . قلت يا رسول الله إني مؤجل إلى عهدهم ؟ قال :

يا سلمان اقرأ : « فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجازوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ، ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » قال سلمان فاشتد بكائي وشوقى وقلت : يا رسول الله بعهد منك ؟ فقال إى والذى أرسل محمدا إنه لبعهد منى وبعلى وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو مظلوم منا وفينا ، إى والله يا سلمان ثم يحضر إبليس وجنوده وكل من يحض الإيمان ومحض الكفر محضا حتى يؤخذ بالتقصص والثرات ولا يظلم ربك أحدا ، ونحن تأويل هذه الآية : « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض » الآية . قلت وقبح الله الكذابين .

وفى هذا الكتاب أيضا صفحة ٢٣ قال : كانت لمؤمن الطلاق مع أبى حنيفة حكايات كثيرة منها أنه قال يوما يا أبا جعفر تقول بالرجعة ؟ قال نعم . قال أبو حنيفة أقرضنى خمسمائة دينار فاذا عدت أنا وأنت رددتها إليك . فقال له : أريد ضميناً أنك تعود إنسانا وإنى أخاف أن تعود قدرا فلا أتمكن من استرجاع ما أخنت . وقد ذكرت فى الكتاب روايات كثيرة من هذا النوع الشنيع . وقد أشار مرات إلى كفر من أنكر هذه الرجعة أو شك فيها . ونقل عن أحد شيوخهم ومؤلفيهم أنه قال : يقينى بالرجعة أشد من يقينى بالقيامة . وذكر فى مواضع أن الإيمان بالرجعة من ضرورات مذهب الإمامية وأنها من أصول اعتقاداتهم ... ومن أشنع ما زعموه فى هذه المسألة الشنيعة أنهم قد حددوا للرجعة ٨٠ ألف سنة .

هذا هو قولهم بالرجعة وهذا هو ممنهاها لديهم وما يريدونه منها . ولينظر بعد هل هؤلاء ممن آمنوا بالله وبرسوله وبالإسلام !

بماذا يعرف الشيعي الحق ؟ .

الناس كلهم مؤمنون وكافرون يستدلون على الأمر بدلائل العقلية والنقلية

الهدى فى
مخالفة
المسلمين

إلا هذه الفرقة ، فانها تستدل على الأمر بغير ذلك وتعرف الحق من الباطل بما
يخجل المسلم ذكره ونقله ... فأنا وأنت والعقلاء كافة نعرف أن هذا حق وأن ذلك
باطل لأن هذا دلت عليه دلائل الحق وذلك دلت عليه دلائل الباطل ، أما الشيعي
الاثنا عشري فيعرف الحق بأنه ما اعتقده أهل السنة باطلا فتر كوه ، ويعرف
الباطل بأنه ما اعتقده أهل السنة حقا ففعلوه . فاذا أراد الشيعي أن يعرف أحلال
هذا أم حرام ، أحق أم باطل ، نظر إلى عمل أهل السنة ومن ليسوا شيعة فاعملوه
وقبلوه فهو حرام وباطل بلا شك ، وما هجره وجانبوه فهو حلال وحق بلا ريب .
هذا هو فيصل التفرقة بين الحق والباطل والحلال والحرام والاسلام وغير الاسلام
عند طائفة الشيعة . ونحن ننقل رأيهم ورواياتهم في هذا الباطل وهذا الجزى الفاضح .

روى المشايخ الثلاثة بالاسانيد عن عمر بن حنظلة قال سألت أبا عبد الله لا يجوز التحاكم
عن رجلين من أصحابنا تكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكم إلى السلطان إلى المسلمين
أو إلى القضاة ، أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو باطل فأنما يتحاكم
إلى الطاغوت ، وما يحكم له به فأنما يأخذ سحتنا وإن كان حقه الثابت لأنه أخذ
بحكم الطاغوت وإنما أمر الله أن يكفر به قال : « يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت
وقد أمروا أن يكفروا به » . قلت فكيف يصنعان ؟ قال ينظران من كان منكم
قد روى حديثنا ونظر في بحلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به فإني قد
جعلته عليكم حاكما ، فإذا لم يقبل حكمنا فأنما يحكم الله استخف وعلينا قد رد .
والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله ، إلى أن قال : ينظر ما وافق
حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة فيأخذ به ويترك ما خالف الكتاب
والسنة ووافق العامة . قلت أرأيت إن كان الفقهاء عرفا حكما من الكتاب والسنة
فوجدنا أحد الخبرين موافقا للعامة والآخر مخالفا لهم بأي الخبرين يؤخذ ؟ قال
بما خالف العامة فإن الرشاد فيه . قلت فإن وافقهم الخبران جميعا ؟ قال ينظر إلى

ماهم أميل إليه . قلت فان وافق حکامهم الخبرين جميعا ؟ قال إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات » قال صاحب الكتاب الذي تنقل منه هذه الروايات بعد ذكره هذه الرواية : « كذا يوجه الجمع بين موافقة الكتاب والسنة ومخالفة العامة مع كفاية واحدة منهما لإجماعا » . يريد أن مخالفة العامة مطلوبة على كل حال بلانظر إلى الكتاب والسنة فان في خلافهم الرشاد والهداية إجماعا .

وعن زرارة قال سألت أبا جعفر قلت يأتي عنكم الخبران المتعارضان فبأيهما آخذ (إلى أن قال) أنظر ماوافق منهما العامة فاتركه وخذ بما خالف ، فان الحق في خلافهم ، قلت ربما كانا موافقين لهم أو مخالفين فكيف أصنع ؟ قال اأذن خذ بما فيه الحيلة لدينك .

وفي رسالة القطب الراوندى بأسناده الصحيح عن الصادق قال إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فنروه فان لم تجدوه في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة فما وافق أخبارهم فنروه ، وماخالف أخبارهم فخذوه . وروى بسنده أيضا عن ابن السرى قال قال أبو عبد الله : إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم . وروى بسنده أيضا قال خذ بماخالف القوم وماوافق القوم اجتنبه . وبسنده أيضا عن محمد بن عبد الله قال قلت للرضا كيف نصنع بالخبرين المختلفين ؟ قال : إذا ورد عليكم خبران مختلفان فانظروا ماخالف منهما العامة فخذوه وانظروا ماوافق أخبارهم فنروه . وبسنده عن ابن مهران قال قلت لأبي عبد الله : يرد علينا حديثان واحد ينهانا وواحد يأمرنا قال لا تعمل بواحد منهما حتى تلقى صاحبك وتسأله . قلت لا بد أن نعمل بواحد منهما . قال خذ بمافيه خلاف العامة . وعن علي بن أسباط قال قلت للرضا يحدث الأمر لا بد من معرفته وليس في البلد

الذى أنا فيه أحد من مواليك أستغثيه ، قال اعط فقيه البلد واستفتني في أمرك فاذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه فان الحق فيه . وعن أبي إسحاق الأرجاني قال قال أبو عبد الله : أتدري لم أمرتم بالاختلاف ما يقوله العامة ؟ فقلت لا أدري فقال إن عليا لم يكن يدين الله بشيء إلا خالف عليه العامة ، إرادة لا بطل أمره ، وكانوا يسألونه عن الشيء الذي لا يعلمونه فاذا أفتاهم جعلوا له ضدا من عندهم ليلبسوا على الناس . وفي رسالة ابن الحصين : أن من وافقنا خالف عدونا في قول أو عمل فليس منا ولا نحن منه . كذا الرواية والظاهر أنها محرفة . وفي رواية الحسين بن خالد قال : شيعتنا المسلمون لأمرنا ، الآخذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا . ومن لم يكن كذلك فليس منا ، ويكون حال اليهود الوارد فيهم قوله ﷺ : « خالفوهم ما استطعتم » . وقال أبو عبد الله الصادق أيضا : ما سمعته مني يشبه كلام الناس ففنيه التقية ، وما سمعته مني لا يشبه كلام الناس فلا تقية فيه . وعن أبي بصير عن أبي عبد الله قال ما أنتم والله على شيء مما هم فيه ولا هم على شيء مما أنتم فيه ، فخالفوهم فانهم ليسوا من الحنيفية على شيء .

روى هذه الأخبار كلها الشيخ مرتضى الأنصاري التستري الامامى الاثنا عشرى في كتابه « فرائد الاصول » صفحة ٣٣٥ وما بعدها .

والشيعة إذا قالوا « العامة » أو « الجمهور » كانوا يعنون أهل السنة ومن ليسوا شيعة . فهم يعرفون الحق بأنه ما خالفه أهل السنة ، والباطل بأنه ما كان عليه أهل السنة . وأهل السنة عندهم لا يمكن أن يكونوا على شيء من الرشاد والهدى والحنيفية بل كل أمرهم باطل وضلال وخلاف على الدين . والتحاكم إليهم وإلى علمائهم وقضائهم وسلاطينهم وخلفائهم من التحاكم إلى الطواغيت . وقد أمر الله بالكفر بهم لا بالتحاكم إليهم . والمتحاكمون إلى الطواغوت منافقون ضالون بلا ريب ، فمن تحاكم إلى قاض أو حاكم أو سلطان أو خليفة من أهل السنة فقد نافق وضل

وخالف نبي الله وشرعه . ولا يجوز استحلال شئ ما يحكمهم وقضائهم ، حتى صاحب الحق نفسه لا يجوز له أن يأخذ حقه المعلوم الواضح بحكم أهل السنة . ومن أخذ حقه يحكمهم وقضائهم فقد أخذه حراما وسحنا ١١

وما ندرى ماذا يقولون في المتحاكين إلى المحاكم الأفرنجية والالحادية منهم ، ومن شيعتهم ، وماذا يقولون في من أخذ حقه أو حاول أخذه بقضاء هذه المحاكم ؟ أظن هذا لا بأس به عندهم ولا عقوبة فيه ولا حوب .

وقولهم إن عليا لم يكن يدين الله بشئ مما عليه العامة قول نعوذ بالله منه . ومن قائله . فإن العامة يدينون بوجود الله وبأنه واحد وبأن رسوله صادق ، ويدينون بالاسلام والجنة والنار ، ويؤمنون بالانبياء والملائكة والرسول والحساب . والعقاب . فهل كان على يخالفهم في شئ من هذا أولا يدين بشئ منه ؟

الحق أن القوم يسرفون على أنفسهم في عداة أهل السنة وكرهاتهم ، والحق أنهم بهذا أبعد عن المسلمين من غير المسلمين ، والحق أنهم ينحلون المسلمين من العداوة والشنآن مالا يستطيع أن ينحلهم إياه أعداء الشعوب والأمم جميعا : فأننا ما رأينا ولا سمعنا أن طائفة تعرف الحق والباطل بموافقة طائفة أخرى ، ومخالفتها غير طائفة الشيعة . ومهما عشت أراك الدهر عجبا !

﴿ مصحف فاطمة ، جامعة علي ، الجفر ﴾

المصاحف

غير القرآن

نزعم الشيعة في مازعم أن لديها ولدى الأئمة من آل البيت كتباً ثلاثة غير القرآن ، في كل كتاب من الكتب الثلاثة كل ما يحتاج إليه الناس من أمور الدين وأمر الدنيا ، بل كل كتاب يشتمل على جميع الحلال والحرام ، وجميع الإحداث التي تقع إلى قيام الساعة : أحد هذه الكتب الثلاثة مصحف فاطمة بل مصحفها ، فقد ذكرنا في جميع كتبهم الموضوعة لبيان هذه الشؤون أن

هنالك مصحفا لفاطمة كان عندها وكان الأئمة من ولدها يتوارثونه من بعدها .
وقد ذكر هذا المصحف في الجزء الأول من كتاب « أعيان الشيعة » .
ومؤلف « أعيان الشيعة » هو مؤلف كتاب « كشف الارتباب » وقد أطل
الكلام عليه صفحة ١٨٧ - ١٩٣ ، وذكر روايات عديدة عن الأئمة فيه : فنقل
عن الصادق أنه قال : وعندنا مصحف فاطمة وما يدريهم ما مصحف فاطمة اقل
فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، وليس فيه من قرآنكم حرف واحد ، وإنما هو
شيء أملاه الله عليها أو أوحى إليها . وعنه أيضا قال : وعندنا مصحف فاطمة وفيه
ما يكون من حادث وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة . وعن محمد بن مسلم قال
كانوا يأتون أبا عبد الله الصادق يسألونه عما خلف رسول الله فقال لهم كلاما جاء
فيه : وخلفت فاطمة مصحفا ما هو قرآن ولكنه كلام من كلام الله أنزله عليها
بأملاء رسول الله وخط على بن أبي طالب . وذكر روايات أخرى دل بعضها
على أن المصحف أوحى إليها وأنزل عليها في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وهو
الذي أملاه وعلى كتبه . ودل بعضها على أنه أنزل عليها بعد وفاة رسول الله ،
نزل به جبرئيل وأملاه عليها . . . فجمع صاحب الكتاب بين الروايات بأن زعم
أن لفاطمة مصحفين لامصحفا واحدا ، أحدهما أوحى إليها في حياة الرسول ،
والثاني أوحى إليها بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . فللفاطمة إذن مصحفان
لامصحف واحد ، كلاهما قد أوحى إليها . وقد قدمنا في الجزء الأول أن القوم
يزعمون أن أئمة آل البيت يوحى إليهم ، وأن الملائكة تأتيهم بالوحي من الله ومن
السماء . وتقدم قولهم إن الأئمة لا يفعلون شيئا ولا يقولونه إلا بوحى من الله ، وتقدم
أن الفرق عندهم بين محمد رسول الله وبين الأئمة من ذريته أن محمدا كان يرى
الملك البنازل عليه بالوحي وأما الأئمة فيسمعون الوحي وصوت الملك وكلامه ولا يرون
شخصه . وهذا هو الفرق لديهم بين النبي والامام وبين الرسل والأئمة . وهو فرق

لا فرق بين
الامام والرسول
عند الشيعة

لاحقيقة له . فالأئمة من آل البيت عندهم أنبياء ورسول بكل ما في كلمة النبي والرسول من معنى . لأن النبي الرسول هو إنسان أوحى الله إليه رسالة وكلفه تبليغها ونشرها ، سواء أكان وحى الله إليه بواسطة الملك أم بلا واسطة . وسواء أرى شخص تلك الواسطة أم لم يره بل سمع منه وعقل عنه . هذا هو النبي الرسول . ورؤية الملك لا تدخل لها في حقيقة معنى النبي والرسول بالاجماع . ولهذا يقولون الرسول هو إنسان أوحى إليه وأمر بالبلاغ ، والنبي هو إنسان أوحى إليه ولم يؤمر بالبلاغ . ولم يحملوا لرؤية الملك دخلا في حقيقة النبي وحقيقة الرسول . وهذا لا ينافي فيه أحد من الناس ، فالشيعة يزعمون لفاطمة وللأئمة من ولدها ما يزعمون للأنبياء والرسل من المعاني والحقائق فهم يزعمون أنهم معصومون وأنهم يوحى إليهم وأن الملائكة تنزل عليهم بالرسالات وأن لهم معجزات أقلها إحيائهم الأموات كما يقولون في أفضل كتبهم . ويزعمون أن طاعتهم مفترضة كالأنبياء والمرسلين ، وأن كل ما يجب للأنبياء والرسل يجب لهم . بل يزعمون أنه يجب لهم أكثر مما يجب لأولى العزم من رسل الله . ولهذا يفضلون الأئمة عليهم . ولديهم أن علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين أفضل من إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وغيرهم . ومن ثمة يقولون إن هؤلاء الأنبياء والمرسلين سوف يعادون في الحياة الدنيا عند عودة علي وعودة بنيه كي يقاتلوا بين يديه ، وكي يكونوا من أجنادة . ففاطمة وعلي بن أبي طالب وأولادهما أنبياء رسل لدى هذه الفرقة بلا ريب ولا شك ، بل هم أفضل الرسل والأنبياء . وهم وإن مانعوا في شيء من ذلك في التسمية والاسماء . أما الحقيقة فيسلمونها بكل ما فيها . وهؤلاء المصابون يدعون أن الوحي الذي نزل على فاطمة أكثر من الوحي الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام ، فانهم يقولون إن في مصحف فاطمة مثل القرآن ثلاث مرات ويقولون مع هذا إن لها مصحفا آخر . فاذا فرض أن المصحفين

مقساويان كثرة كاتا مثل القرآن ست مرات . فالوحي الذي أوحاه الله إلى فاطمة
مثل القرآن الذي أوحاه إلى عبده محمد ست مرات وهذا غاية الخذلان والاملاص
من الدين والعقل . . . والعجيب أنهم يكفرون من قال بنزول الوحي أو بالنبوة
بعد محمد عليه السلام كما يكفرون من ادعى النبوة . قال الشيخ محمد الحسين آل
كاشف الغطاء في كتاب « أصل الشيعة وأصولها » (الطبعة الثانية صفحة
١٠١) : « ويعتقد الامامية أن كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد محمد أو نزول
وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله » هذا نص كلام آل كاشف الغطاء في « أصل
الشيعة وأصولها » وعلى هذا الذي ذكره فالامامية وأئمتهم المعصومون كفار كلهم
يجب قتلهم واخلاص منهم لأنهم يدعون نزول الوحي بعد رسول الله على الأئمة
جميعا إلا أنهم يدعون أنهم لا يرون الملك النازل بالوحي عليهم ، ويدعون نزول
الوحي على فاطمة بعد وفاة والدها . وأنه قد أوحى إليها مثل قرآننا هذا ثلاث
مرات وليس فيه من قرآننا حرف واحد ، وأنه قد أوحى إليها كتاب وهو
المعروف بمصحف فاطمة عندهم ، بل كتابان هما مصحفها ، ويدعون أن الأئمة
المعصومين : عليا فمن بعده كانوا يتوارثون هذين المصحفين ويقولون للناس إنهما
قد أوحيا إلى فاطمة بعد وفاة النبي وفي حياته . وهذا لا يختلفون فيه ولا في
نصوصه . وليراجع كتاب « أعيان الشيعة » الجزء الاول صفحة ١٨٧ - ١٩٣ ،
بل لتراجع كتبهم كلها التي يسمونها الكتب الحديثية
فذهب الامامية الاثنا عشرية قائم على الكفر والاحاد ، وأئمتهم كفار
يجب قتلهم وقتلهم على ما قال آل كاشف الغطاء . فاذا يقولون ؟ نحن نعرف أن
هذا الذي قاله آل كاشف الغطاء وأمثاله من إنكارهم ما هم مجمعون عليه وأخفاهم
إياه إنما يذهبون فيه إلى التقية والمداهنة التي هي أصل مذهبهم ومبناه . وقد نقلوا أبي الله ان
عن أئمتهم أنهم قالوا : « أبي الله أن يعبد الاسرا » . وبهذه التقية لهم أن ينكروا يعبد الاسرا

كل شيء وأن يقرأوا كل شيء ولا يصح لي ولا لك أن نأخذ من انكارهم انكارا ولا من اقرارهم اقرارا مادام الذي انكروه أو أقروه يصح أن يدخل في باب التقية وأن يكون منها، ولهذا يزعمون أن الأئمة من آل البيت كانوا يقولون لا تباعهم وشيعتهم هذا حرام وهم يرونه حلالا، وهذا حلال وهم يرونه حراما وإن لم يكن بينهم أحد من يتقون أو يخافون ولكنهم يفعلون ذلك لا يقاتع الخلاف بينهم كيلا يعرف انهم شيعة أو لاجل أن يظن انهم ليسوا من الشيعة . وقد استفتى أحد الشيعة إماما من أئمتهم ، لأدري اهو الصادق ام غيره ، في مسئلة من المسائل فافتاه فيها ثم جاءه من قابل واستفتاه في المسئلة نفسها فافتاه بخلاف ما أفتاه عام اول ، ولم يكن بينهما أحد حينما استفتاه في المرتين ، فشك ذلك المستفتى في إمامه وخرج من مذهب الشيعة وقال : ان كان الامام انما افتانى تقية فليس معنا من يتقى في المرتين وقد كنت مخلصا لهم عاملا بما يقولون ، وإن كان ما أتى هذا هو الغلط والنسيان فالأئمة ليسوا معصومين إذن والشيعة تدعى لهم العصمة . ففارقهم وانحاز إلى غير مذهبهم . وهذه الرواية مذكورة في كتب القوم . وهكذا الأمر في مقال آل كاشف الغطاء في « أصل الشيعة وأصولها » . هذا هو مصحف فاطمة أو مصحفها .

جامعة علي وما فيها من العلوم والمعارف وأما الجامعة فهي كتاب من كتب علي بن أبي طالب ، على ما يقولون ، أملاه رسول الله وكتبه على بيده ، طوله سبعون ذراعا ، وهو من الجلد ، يزعمون أن فيه كل شيء من الاحكام والحلال والحرام ومن الأحداث والحوادث . وفيه كل قضية وفيه مالا يحتاجون معه إلى غيره وغيرهم ، والناس يحتاجون اليه وإليهم . عن أبي مريم قال قال أبو جعفر : عندنا الجامعة وهي سبعون ذراعا ، فيها كل شيء حتى أرش الخلدشة ، أملاه رسول الله وخطه علي بن أبي طالب . وعن أبي عبيد الله الصادق أنه سئل عن الجامعة : فقال تلك صحيفة طولها سبعون ذراعا

فيها كل ما يحتاج الناس اليه ، وليس من قضية الاوهى فيها حتى أرش الخلدش .
وعن أبي بصير عن أبي عبد الله قال : ان عندنا الجامعة وما ينزبههم ما الجامعة ؟
هي صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ، فيها كل حلال وحرام وكل شيء
يحتاج الناس اليه حتى الأرض في الخلدش . وفي البصائر بعدة أسانيد عن الصادق :
ولكن عندنا الجامعة فيها الحلال والحرام . وعنه أيضا وعندنا الجامعة كتاب
طوله سبعون ذراعاً ، أملاه رسول الله وخطه على بن أبي طالب فيه والله جميع
ما يحتاج اليه الناس إلى يوم القيامة حتى إن فيه أرض الخلدش والجليلة ونصف
الجليلة . وعن الباقر قال في كتاب على كل ما يحتاج اليه حتى أرض الخلدش . وعن
الصادق قال اما والله إن عندنا مالا نحتاج إلى أحد والناس يحتاجون إلينا ، أن
عندنا لكتابا أملاه رسول الله وكتبه على بن أبي طالب ، على صحيفة فيها كل
حلال وحرام . وعن الفضيل قال قال الباقر : عندنا كتاب على سبعون ذراعاً ،
ما على الأرض شيء يحتاج اليه إلا وهو فيه حتى أرض الخلدش . وعن محمد بن
مسلم عن الباقر قال : إن عندنا صحيفة من كتب على فنحن نتبع ما فيها لانعموها ،
وقال إن علينا كتب العلم كله : القضاء والفرائض والحديث . وعن الصادق قال :
أما والله ان عندنا مالا نحتاج معه الى الناس وإن الناس ليحتاجون إلينا .

ذكر هذه الروايات كلها الشيخ محسن الأمين العاملي في كتاب « أعيان
الشعبة » صفحة ١٦٦ - ١٧٣ من الجزء الأول . وقد ذكر روايات أخرى كثيرة
في هذا المعنى . كلها تنص على وجود هذه الجامعة عند علي ، وتنص على أنها من
إملاء رسول الله وكتابة علي ، وعلى أن فيها كل شيء وكل الحلال والحرام ، وكل
المعلوم على اختلافها واختلاف أصنافها ، وتنص على أنها تغني عن كل شيء
وأنها لا يغني عنها شيء وأنهم لا يحتاجون معها الى شيء . فهي تغني عن القرآن
وعن السنة وعن كل مامع المسلمين من نصوص وعلوم وقرآن وحديث ، لأنهم

يذكرون أن فيها أصغر المسائل وأخبهرها وبيان ما يحتاج إليه البشر إلى قيام الساعة من العلوم والمعارف . وإذا كان ذلك كذلك فما حاجتهم إلى القرآن وإلى الحديث وإلى ما مع المسلمين من ذلك . ولهذا تجد القوم لا يبالون بالقرآن ولا بقرآته أو حفظه ، ويقل جدا أن يقتنوا المصاحف أو يمنوا بطبعها ، لأنهم في غنى عن ذلك : تغنيهم الجامعة ويغنيهم مصحف فاطمة ، ثم يغنيهم الجفر ، فما حاجتهم إلى كتاب الله ! ومن نظر في كتب القوم علم أنهم لا يرفعون بكتاب الله رأسا . وذلك أنه يقل جدا أن يستشهدوا بآية من القرآن فتأتي صحيحة غير ملحونة مغلوطة . ولا يصيب منهم في إيراد الآيات إلا المخالطون لأهل السنة العائشون بين أظهرهم . على أن إصابة هؤلاء لا بد أن تكون مصابة . أما البعيدون منهم عن أهل السنة فلا يكاد أحد منهم يورد آية فتسلم من التحريف والغلط . وقد قال من طافوا في بلادهم : إنه لا يوجد فيهم من يحفظون القرآن . وقالوا إنه يندر جدا أن توجد بينهم المصاحف . وقد قالوا في الرواية المتقدمة : « إننا لانمدو العمل بما في الجامعة » وقالوا : إننا لا نحتاج إلى أحد وهما الجامعة . ومرادهم أنهم لا يحتاجون إلى ما في أيدي الناس من قرآن وحديث وسنة . وقد سموها الجامعة ويعنون أنها قد جمعت كل شيء . ومن عندهم علم كل شيء عن الله وعن رسوله كيف يحتاجون إلى القرآن أو إلى الحديث ؟ وإنما يحتاج اليهما الظمان إلى المعرفة وإلى ورود الحقيقة ، أما من خصه الله بعلم كل شيء فلن يحتاج إلى شيء من العلوم والتعليم . هذه هي الجامعة أو الكتاب الذي يسمونه الجامعة ، وهذا هو رأيهم وقولهم فيها .

الكلام على الجفر ومعناه
وأما الجفر فقد قالوا : إنه أحد مؤلفات علي بن أبي طالب . وقد زعموا أيضا أن في الجفر كل شيء وكل العلوم حلالها وحرامها ، أحداثها وحواشيها . ما كان وما سيكون في غابر الزمان وحاضره وآتيه . قال المحقق الشريف : « الجفر والجامعة

كتابان من كتب على ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث إلى انقراض العالم . وكان الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونهما ويحكمون بهما . وعن أبي مريم قال قال أبو جعفر الباقر : وعندنا الجفر وهو أديم عكاظي قد كتب فيه حتى امتلأت أكارعه فيه ما كان وما هو كائن إلى قيام الساعة . وقال الصادق : هو جلد ثور مدبوغ كالجراب فيه علم ما يحتاج اليه الناس إلى يوم القيامة من حلال وحرام . وقال : إنما هو جلد شاة ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة ، فيها خط على وإملاء رسول الله ، ما من شيء يحتاج اليه إلا وهو فيه حتى أرش الخدش وفي رواية أخرى قال : فيه كل ما يحتاج اليه حتى أرش الخدش والظفر ، وفي رواية أخرى عنه قال : عندي الجفر الأبيض ، قلنا وأي شيء فيه ؟ قال زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم والحلال والحرام ومصحف فاطمة . وفيه ما يحتاج اليه الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد ، حتى إن فيه الجلدة بالجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش . قال وعندي الجفر الأحمر ، قلنا : وأي شيء في الجفر الأحمر ؟ قال السلاح ، وذلك أنه يفتح للدم ، يفتحه صاحب السيف للقتل . وهذه الرواية نص في أن عندهم في ما يدعون جفرين أبيض وأحمر ، أحدهما للعلوم كلها وللكتب كلها ، والاخر للدم والقتال والسلاح . ونعوذ بوجه الله من الجفرين : الأبيض والأحمر . وفي رواية أخرى عنه : وفيه علم الانبياء والاوصياء .

ذكر هذه الروايات وكثيرا غيرها الشيخ محسن الأمين العاملي في كتاب « أعيان الشيعة » صفحة ١٧٣ - ١٨٤ من الجزء الأول . وقد قال بعد ذكره الروايات : « والظاهر من الاخبار أن الجفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال وحرام وقضايا وأصول ما يحتاج اليه الناس في أحكام دينهم وما يصالحهم في دنياهم » قال وما أحسن ما قال المعري :

لقد عجبوا لآل البيت لما * أروهم علمهم في جلد جعفر
ومرأة المنجم وهي صفري * أرتة كل عامرة وقفر

اشتغال الجفر على جميع العلوم والأوصياء كلهم وفيه الكتب المقدسة وفيه جميع الحلال والحرام ، وفيه باختصار وعلى علم الله وإيجاز علم الله كله . لأنهم يزعمون أن فيه ما كان وما يكون . وهذا يعني كل العلوم . ففيه علم الله كما هو . وهذه المزاعم تنحط عن أن تناقش مناقشة علمية أو أن توضع تحت امتحان البرهان أو في كفة الحجة ، وإنما هي مزاعم أشنع سب لها ورد عليها أن تقدم للقراء وأن تساق إليهم على علائها وبألفاظها ، وهكذا نصنع نحن بها .

والذي لا يمكن أن يقله أحد مهما نخرق عقله زعمهم أن جلد شاة يمكنه أن يحوى جميع العلوم والمعارف على اختلافها وكثرتها بالتفصيل حتى يذكر فيه أرش الخدش والجلدة ونصف الجلدة وثلاثها وربعا ، وهذا يكفى عن غاية التفصيل وغاية البيان . ومماثل هذا إلا أن يقول قائل : إن الخلائق كلها من سموات وأرضين وشموس وأقمار ونجوم وكواكب وأفلاك وكل شئ موضوعة كلها في جلد نملة أو جلد ذرة ! ومن يقل هذا أو يصدقه سوى الشيعة الامامية الاثنا عشرية أهل العقول والمعارف ؟ !

والذي نريد أن نقوله للقوم هو : أين عزب هذا الجفر عن المسلمين ، وأين عزبت الجامعة ، وأين عزب مصحف فاطمة أيضا ، وأين عزبت مؤلفات على التي تدعون وتدكرون ؟ أين عزبت هذه عن المسلمين جميعا ، لماذا لم يظهرها رسول الله ، ولماذا خص بها عليا وبنيه دون سائر الصحابة وسائر المسلمين ؟ أفما كان واجبا عليه البيان والبلاغ والتسوية بين الناس كافة في أداء رسالة ربه التي بعثه بها ليكون بشيرا ونذيرا للعالمين أجمع ؟ وليبلغ القاصي والداني ، وإلا فما بلغ

رسالة ربه ولا بين البيان المفروض عليه وعلى كل رسول مثله ؟ ثم لماذا لم يظهر هذه الكتب على بن أبي طالب كما أظهر القرآن في ماتدعون ، ولماذا تركها مكتومة خاصة به وبأولاده وذريته ، وهل يفعل ذلك إمام معصوم مثل علي ، بل لماذا لم يظهرها سائر الأئمة المعصومين الوارثين لها ، ولماذا أجازوا لأنفسهم أن يحتازوها دون سائر المسلمين ، وأن يبخلوا بها على العالمين ، وهل يفعل هذا من يؤمن بالله وباليوم الآخر ؟ أجيبوا يامن يزعمون أنهم مسلمون ، وأنهم موالون لآل البيت محبون لهم قائمون بما يجب لهم من الموالاة والحب والتكريم دون أهل الاسلام قاطبة .

أيليق بالنبي وبأهل البيت وبالأئمة المعصومين أن يكتبوا هذه الكتب وأن يبذلوا في كتابتها والاستئثار بها حتى يدركها الضياع والفناء ؟ أجيبوا أيها المسلمون . بل ولماذا ضاعت هذه الكتب من بيننا ومن بينكم كلها ولم يضع كتاب الله مع أن كتاب الله إذا صدق ما زعمتم ليس إلا نقطة من بحار بالنسبة إلى تلك الكتب الضائعة . وذلك أن مصحف فاطمة فيه مثل القرآن بضع مرات والجامعة فيها كل شيء بالتفصيل ، والجفر فيه جميع العلوم والكتب والاحداث والحوادث بالتفصيل الدقيق البالغ حتى الجدة ونصفها وثلاثها وربعا وأرشد الخلدش والظفر وليس كذلك القرآن بالاجماع ، بل هو في بيان الحلال والحرام محتاج إلى السنة ، لا يقوم بنفسه في بيانها وبيان الحلال والحرام وسائر شرائع الهدى ، فضلا عن أن يدعى أن فيه كل شيء تفصيلا . فهذه الكتب إذن أولى بالمحافظة عليها وأولى بالرعاية والصيانة من القرآن ومن كل شيء إذا صدقتم في ما زعمتم . فلماذا ضاعت كلها ولم يضع القرآن ، بل ولم يضع منه حرف واحد والحمد لله على ذلك ؟

ومن البلاء ذير مامر من أصنافه أنهم عددوا لعلي بن أبي طالب في كتاب مؤلفات علي بن أعين الشيعة « من المؤلفات أحد عشر : أولها جميع القرآن وتأويله ، ثانيهما أبي طالب

كتاب أملى فيه ستين نوعاً من أنواع العلوم ، ثالثها الجامعة ، رابعها الجفر ، خامسها صحيفة الفرائض ، سادسها كتاب في زكاة الانعام ، سابعها كتاب في أبواب الفقه . ثامنها كتاب في الفقه ، تاسعها كتاب عهده للاشتر ، عاشرها وصاته لمحمد ابن الحنفية ، الحادى عشر كتاب عجائب أحكامه . وقد ذكروها في الكتاب المذكور صفحة ١٥٤ — ١٨٧ بعنوان مؤلفات أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد زعموا أن الأئمة من ولده كانوا يتوارثون هذه المؤلفات العلوية وكانت عندهم . فاين هي اليوم وأين ذهبت ؟

والحاصل أن دعاويهم هذه هي التي أفسدت عليهم الأمر وصرقتهم عن كتاب الله وعن سنة رسوله . لأنهم إذا زعموا أن لديهم من الكتب كجامعة ومصحف فاطمة والجفر مافيه كل شئ من أمور الدنيا وأمر الدين على وجه التفصيل الدقيق والبيان التام فما حاجتهم إلى ماع المسلمين من القرآن والحديث . والسنة ! وعلى هذا فما أخلقهم بالانصراف عن كتاب الله وعن السنة وعن كل علم وهدى .

﴿ مواكب البكاء والعويل واللطم والدم هي الدين عند الشيعة ﴾

ما تتم
عاشوراء

سئل حجة الشيعة الامامية الاثنا عشرية في هذا العصر الشيخ محمد الحسين . آل كاشف الغطاء : « عن المواكب المشجية التي تقيمها الشيعة في يوم عاشوراء تمثيلاً لفاجعة الحسين ، وعما يصحب تلك المواكب من ندب ونداء ، وعويل وبكاء ، وضرب بالاكف على الصدور . وبالسلاسل على الظهور : هل هذه الاعمال مباحة في الشرع فأجاب ، قال : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ، لكم فيها منافع إلى أجل مسمى » . ولا ريب ان تلك المواكب المحزنة من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية : وما أحسب التعرض للسؤال عن تلك الاعمال

التي استمرت عليها منذ مئات الأعوام ، وذلك بمشاهدة أعظم العلماء مع عدم التكبر مع انها بمرأى ومسمع منهم : ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلا دسيسة أموية ، أو نزعة وهابية ، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى اطفاء ذلك النور الذي أبى الله إلا أن يتمه ولو كره الكافرون . كما أنى لا أرتاب في أنه لو تمت لهم هذه الحيلة وعطلت تلك المواكب سرى الداء واستفحل الخطب وجملوا ذلك باباً إلى إمامة تلك المحافل التي بإحيائها أحياء الدين وبإماتتها إمامة ذكرى الأئمة الطاهرين (إلى أن قال) والرجاء ترك الخوض في هذه الأمور المتسالم عليها خلفاً عن سلف والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة (الى أن قال) فلا إشكال في أن الظلم على الصدور وضرب السلاسل على الظهور وخروج الجماعات في الطرقات بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة ، بل راجحة مستحبة وهي وسيلة من الوسائل الحسيلية وباب من أبواب سفينة النجاة . وأما الضرب بالسلاسل والخناجر والادماء فهو كسوابقه مباح بمقتضى أصل الإباحة بل راجح بقصد اعلان الشعار للاحزان الحسينية (إلى أن قال) وأما الشبيه فلا ريب في أن أصل تشبيه شخص بآخر مباح جائز وقد ألقى الله شبه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه وهو يهوذا الاسخريوطى (إلى أن قال) بل في ذلك (والاشارة إلى المواكب) من الحكم والاسرار السامية المقدسة ما يقصر عنه اللسان ويضيق به البيان . . . »

وجاء في هذا الجواب أيضاً قوله : « سأتم عن المواكب الحسينية زاد الله شرفها وعماً يجرى فيها من ضرب الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف والادماء وقرع الطوس والطبول والشبيه والخروج في الشوارع بالهيات المتعارفة ، ولعمري ما كنت أحسب أن هذا الموضوع يمرض على النقد والتشكيك » .

ثم فصل الجواب وكان حاصله أنه لا شك أن أهل البيت قد لطموا خدودهم

ولنموا صدورهم على الحسين ، ولا شك في أنه يشرع التأسي بهم . . . هذا في بيان حسن اللطم واللدن . وأما خروج الموكب والزفات فقال في بيان استحبابه أو بيان وجوبه : « ولولا خروج الموكب في الطرقات لبطلت الغاية وفقدت الثمرة وانتفى الغرض من التذكار الحسيني بل ومن الشهادة الحسينية » هذا هو لفظ الجواب . ولا ريب أنه إذا لزم ترك الموكب بطلان الغرض من استشهاد الحسين وشهادته كان القيام بها من أعظم الواجبات الدينية .

وقال عن ضرب الهموس والظهور بالسيوف والسلاسل : « لا ريب أن جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حد ذاته من المباحات الأصلية ، ولكنه قد يجب تارة وقد يحرم أخرى . وحسبك قصد واساة الحسين وآل بيته وإظهار التفجع عليهم وتمثيل شبح من حالتهم أمام عيون محبيهم . ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهات محسنة وغايات شريفة ترقى بتلك الأعمال إلى أعلى مراتب السكال » . قال . « أما ترتب الضرر أحياناً بنزف الدم المؤدى إلى الموت أو إلى المرض المقتضى لتحريمه فذلك كلام لا ينبغي صدوره من ذى لب . أما أولاً فأننا مارأينا أحدا مات أو تضرر من تلك المحاشد الدموية . وأما ثانياً فعلى فرض حصول تلك الأمور فأنما هي عوارض وقتية .. » ثم تكلم على ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطلوس فامتدحها كلها . وكذا امتدح إقامة « الشبيه » و « التمثيل » ثم قال : « ولعمري إن تعطيل تلك المظاهرات لا يلبث رويداً حتى يعود ذريعة إلى سد أبواب المآثم الحسينية ، وعندها لا يبقى للشيعة أثر ولا عين ، ولنذهب الشيعة ذهاب أمس الدابر . فان الجامعة الوحيدة والرابطة الوثيقة لها هي المنابر الحسينية . وما تلك المنابر والوساوس ، إلا من جراء هاتيك الدسائس - نزعة أموية ، ونزعة وهابية ، يريدون إحياء بنى أمية ، وإزهاق الحقيقة الحمديّة ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون . . » إلى آخر جوابه .

هذه الفتوى نقلناها كلها من كتاب ألفه هذا الشيخ اسمه « الآيات البينات في قمع البدع والضلالات » طبع النجف في المطبعة العلوية سنة ١٣٤٥ من الهجرة . فعند القوم أن هذه المواقب المخجلة الفاضحة التي يزعمون أن فيها تأسيًا بالحسين وآله ومواساة له ولهم : يزعمون أن هذه المواقب من شعائر الدين وأن تعظيمها من تقوى القلوب ، وأن فيها منافع لهم وللإسلام ، وأنها من أعظم شعائر الشيعة الإمامية . وأن السؤال عنها ومحاولة التشكيك فيها من دسائس الوهابيين والأمويين - يشيرون بهذا إلى الكفر والشرك ، يزعمون أن هذه المواقب بصراخها وعويلها وما فيها من لطم وندم ومنكرات - يزعمون أنها هي قوام الدين وحياته يزعمون أن في إحيائها إحياءه وإن في إمامتها إمامة الأئمة الطاهرين وإمامة ذكراهم . ولا شك أن هذا كفر صراح عديم بل هو عديم من شر أنواع الكفر . يزعمون أن هذه المواقب من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة وإلى النجاة من النار ، يزعمون أن تمثل أشخاص بأنهم عداة الحسين وقتلوه داخل في هذه الفضائل المزعومة المكذوبة . يزعمون أن في ذلك كله أسراراً وحكماً سامية مقدسة يعجز عن بيانها اللسان والبيان . يزعمون أن إقامة هذه المآتم أو المآتم قيام بفرض الاستشهاد الحسيني ومحافظة على حكمة شهادته ، يزعمون أن إبطال المآتم إبطال لشهادته ولحكمتها وغرضه منها : يزعمون هذا كله يزعمون غيره مما ذكره في هذا الكتاب وفي غيره ومما يفعلونه في أيام عاشوراء .

ولا ريب أن هذه المزاعم من أشنع المخازي الانسانية التي عرفها التاريخ في كل أطواره وعصوره ، والتي وقع عليها بصر الوجود قديماً وحديثه ، وأنها عار وشنار يلحقان فصيلة الإنسان أين كانت ومتى كانت ويلقيان بأنف كبرياتها تحت الرغام !

أى شيء هذه المواقب والمآتم والمآتم ؟ وأى عقل أو دين يجيزها أو يرضها ؟

ومضى أجاز الدين أو أجازت العقول أن يكون الناس العقلاء مثل النساء النواذب
المولات في الطرقات : يضربن الصدور والحدود ، ويشقن الجيوب ويفتن
الشعور ، وينادين بالويل والثبور ؟ أى شئ هذا وأى عقل أو دين يجيزه ؟
ذاك كله خزي بين ولكن أشد هذا الخزي زعمهم أن إقامة والقيام به من
أعظم مظاهر الدين وأعلى مراتب الكمال وزعمهم أن في إحيائه أحياء الدين
وفي إمامته إمامته ، ثم زعمهم أن ذلك كله من أعظم شعائر الشيعة !! برأ الله خير
الأديان من هذا الخزي .

هم يدعون أن هذه المآتم مظاهرات ، نعم ، مظاهرات ، ولكن يراد بها
التظاهر على من ؟ إن كانوا يتظاهرون بها على يزيد وقاتلى الحسين فما أجل من
يتظاهرون على الأموات ! وإن كانوا يتظاهرون بها على المسلمين من أهل
السنة فأهل السنة ينقمون من قاتلى الحسين أشد النقمة ويحملونهم تبعة ذلك
ووزره . فما وجه التظاهر عليهم إذن وهم ينكرون قتل الحسين ويكرهون
قاتليه ؟ فعلى من التظاهر إذن ؟

ثم هم يزعمون أيضاً أن البكاء والعويل وضرب الحدود والصدور وسائر الجسم
بالسيوف والخنجر والسلاسل والآلات الحادة وإن أفضى إلى الموت من دين
الله وبما برضى الله ويرضى النبي والحسين وآله . ونحن نقول لهم : إذا كان هذا
كله من الدين وكان فيه مواساة للحسين وتأس به فما تقولون في قتل المرء نفسه
لهذا الغرض نفسه : تأسيا بالحسين ومواساة له وجزعاً عليه وعلى ما ناله من سوء
والظلم والبلوى ؟ إن قلتم إن هذا جائز ودين مشروع قلنا ياليتكم صدقتم وفعلتم ،
وإن قلتم : غير جائز وغير مشروع قلنا لكم : وكيف جاز جرح المرء نفسه بالسيف
وبالحديد وإدماؤه جسمه ثم امتنع قتله نفسه والعلة في الأمرين واحدة ؟ فإن قلتم
إن في القتل إزهاقاً وفناءً وأما الضرب والجرح فليس فيهما شئ من ذلك قلنا نعم ،

ولكن القتل أدل على المواساة وعلى التأسى وعلى قوة الجزع وفزارته من الضرب بلا قتل وأنتم تزعمون أن الحسين قتل نفسه تعمدًا وتزعمون أن إظهار أقصى غايات الجزع عليه مطلوب مشروع مثاب عليه ، وأقصى غاياته هو القتل والفناء . وإذا كان من الجزع المشروع على الحسين ضرب الجسم والبدن بالسيف وبالحديد القاطع كان من الجزع المشروع عليه بلا شك قتل النفس . فانه إذا دل الضرب على الوفاء والجزع والتأسى كان القتل أدل على ذلك . ولا يوجد دليل واحد يدل على جواز ضرب الجسم والنفس بالحديد وبالسيوف والخنجر والسلاسل إلا ويدل على جواز قتل النفس وإزهاق الروح . . . وذلك أن القوم إذا سئلوا : ما الدليل على جواز ضربكم أجسامكم بالآلات الحادة القاتلة قالوا : الدليل أن هذا الفعل يدل على التأسى بالحسين والمواساة له والجزع عليه وهذه الأمور مطلوبة مثاب عليها وحينئذ يقال لهم قولوا إذن إن القتل جائز مشروع مثاب عليه لأنه أدل على هذه الأمور التي زعمتموها مطلوبة مشروعة . وهذا أظهر وأولى من ذلك لوجه كثيرة مفهومة . فإذا قالوا : إن الله قد نهى عن قتل النفس وعن قتل المرء نفسه قلنا وكذلك نهى عن الجزع والحزن وإيذاء النفس أو الجسم عند المصيبة وأمر بالصبر والتسليم له ولا رادته وحكمه ورغب المصاب في أن يقول عند مصيبتة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وقد قال تعالى : «و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » وقال في جزائهم : « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » . وقد نهى نبيه وعباده المؤمنين كثيرا عن الحزن والجزع وحثهم على الاستمسك بعرا الصبر والاحتساب والتسليم لقضائه وقدره وقدرته . وهذا لا يحصى في كتاب الله . وقد قال تعالى : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير » لكيلا تأسوا الآية . وهذا باب (٤)

لا يحاط به ولا يحتاج إلى بيانه لأنه معروف مشهور . أما الأحاديث فلا نذكرها
للقوم في هذه المسألة لأنهم يفتخرون بردها وتكذيبها .

والجزع لا يمدح أبداً ولا يؤمر به أبداً ، وكذا الحزن . والذي يجوز من ذلك
لا يجوز إلا لأنه اضطرارى قهرى خارج عن طاقة البشر ، ولكن لا يؤمر بشئ منه
ولا يمدح شئ منه أو يناب عليه . أما القتل فقد قال الله فيه : « كتب عليكم
القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » الآية ، وقال « ولو
أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم
ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم » الآية ، وقال : « فتوبوا إلى
بارئكم فاقتلوا أنفسهم ذلكم خير لكم » الآية .

والقتل والقتال بالجملة مطلوبان ، أما الجزع والحزن فمكران أبداً .
ولا يجوز منهما إلا ما غلب عليه المرء . فن جزع وحزن قسراً عند لان ذلك .
فوق الطاقة والله لا يكلف عبده فوق طاقته وصبره ولكن لا يؤمر المرء بشئ من
هذا . فما يستدلون به من ذلك على ما يذهبون إليه لا يدل على شئ من أمرهم .
فانه إذا فرض أن بعض علماء آل البيت بكى على الحسين وتوجع عليه أو حزن
وأسف لم يدل هذا على أن شيئاً من هذه الانفعالات مطلوب مأمور به ، وإلما
يدل على أن المؤمن القوى الصابر قد يجزع وقد يبكى ، فيكون معذوراً غير ملوم .
فلا ريب إذن أنه إذا جاز ضرب الجسم بالحديد وبالسيف ونحوه جزئاً على
شهيد كربلاء ومواساة له وتأسيا بمجاز قتل المرء نفسه لهذه الأغراض نفسها ،
فما يقولون ؟ ولا يبرى كيف تشرع هذه المآثم والمواكب بكاء على قتيل كربلاء .
ولا تشرع على سواء ! وقد قتل قبله الأنبياء ، وقتل الأولياء وقتل أصحاب الحسين .
وقتل أولاده المصومون وقتل أخوه الحسن : قتل هؤلاء جميعاً اغتيالاً بالسم .
ماتزم الشيعة ، وقتل على بن أبى طالب وقتل حمزة وقتل من هم أفضل من .

الحسين من أنبياء الله ورسله ، فلماذا لا يقيمون شيئاً من المآتم على أحد من هؤلاء ولماذا خصوا الحسين بها ؟ بل قد مات رسول الله عليه الصلاة والسلام وموته أشد المصائب ولا شك على المسلمين ، فلماذا لا يقيمون مواكب الجزع والحزن والبكاء عليه وعلى افتقاده . وهذا إن شِرع على المقتول شرع على الميت فمن كان فقهه رزاً عظيماً حزن عليه الناس سواء أكان فقهه بالموت أم بالقتل ومن لا فلا ، وآلة الموت لا تدخل لها في جواز الجزع ولا في منعه . فلا يحسن الجزع على مقتود لأنه فقد بالقتل ، ولا يقبح على آخر لأنه فقد بالموت . وهذا واضح جلي ، فاجابهم ؟ فانهم إذا جزعوا على الحسين ولم يجزعوا على النبي ﷺ ولا على غيره من الأنبياء وأبطال الأمة دل ذلك على أن جزعهم لم يكن على الحسين ولم يكن تأسياً به ولا مواساة له وإنما هو الجهل والعناد والثورة على سلاطين المسلمين وخلفائهم ومحاولة إضرار الفتن وإيقاظ النائم منها ، ولو لم يكن هذا هو ما يريدون ويعنون لما خصوا قتيلاً ببلاء بنلك دون العالمين جميعاً . والدليل على أن هذا هو غرضهم وما يرمون إليه أنهم يسمون هذه المواكب مظاهرات كما تقدم والمظاهرات ظاهر ما يعنى بها وما يراد منها . والدليل أيضاً زعمهم الآنف : أن ترك هذه المآتم تضييع لغرض استشهاد الحسين ولما أراد من وراء تقديمه نفسه ضحية . وقد ذكروا أن لهذه المواكب أسراراً وحكماً سامية مقدسة يعجز عن بيانها اللسان والبيان . وما هذه الأسرار والحكم المزعومة سوى محاولة الثورة والفتن المحرقة وتغيير النفوس على أوائل المسلمين وعلى خلفائهم ولو كهم وسلاطينهم . وكل هذا قد يهون ولكن الذى لا يهون أبداً هو زعمهم أن العويل في الطرقات وضرب الحديد والصدور بالحديد والآلات الجارحة وتنفث الشعور والمناداة بالعويل والثبور - من أعظم شعائر الإيمان وشعائر الاسلام ومن أعظم ماتناله به الشفاعة ، ركب به في سفينة النجاة ، وكيف يزعم مسلم أن شيئاً من هذا

فيه إعلاء للدين وإحياء له وأن في تركه إماتته وإماتة الأئمة المعصومين الطاهرين ؟ وكيف يقول من يؤمن بالله وباليوم الآخر : إن إقامة إنسان لضربه ولتمثيل به وإسبه ومحاولة الهجوم عليه على توهم أنه هو قاتل الحسين : كيف يدعى من يؤمن بالله وباليوم الآخر أن ذلك من العقل أو من الدين فضلا عن أن يقال إنه من أعلى مراتب السكال وشعائر الدين ومشاعره ؟ هذه هي النافخة ، وهذه هي سبة الانسانية أين ذهبت ووجدت .

ولقد كنا نظن أن هذه المواقف من أعمال جهال القوم ودهماتهم وحدهم لا يرجعون فيها إلى رأى عالم منهم ولا مشورة مثقف من رجالهم ، وما كنا نحسب أن علماءهم بل كبار علمائهم وفضلائهم يفتنون بمجوازي شيء منها ، والآن علمنا أن علماءهم وجهالهم سواء فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
هذه شذرات من خطايا القوم أثبتناها على عجل فننتقل منها إلى موضوع الكتاب ونقضى ما في « كشف الارتياح » .

لا بد من الغيرة . وقبل ترك هذه المقدمة أقول : لينحطم هذا القلم ولتتناثر هذه الأنامل ، لأصحاب النبي وليودع رسيس هذه الحشاشة ، ولينطفئ هذا الشعاع إن لم أشف صدور المؤمنين من هؤلاء الذين مازالوا يشفون صدر الشيطان وصدر الباطل والاثم من صحابة النبي ومن خلفاء الأمة ومن أركان الملة وأبطال الاسلام ومجاهديه وفاتحيه . ولن نجعل بمن لا يرضيهم هذا الصنيع ومن لا يعجبهم هذا السبيل ، فانه إذا حق للناس أن يغاروا على مبادئهم الحزبية ، وأن يتقاتلوا حفاظا على رجالها أو من زعموا من رجالها ، فما أخلق المسلم بأن يغار على أمثال الصديق والفاروق وخالد وعمر وأبي عبيدة وسائر أولئك الأبطال الذين علقوا الاسلام وفتوحه بقرص الشمس مشرقة ومنربة . وإذا كان الناس اليوم يحطم بعضهم بعضا ، فيحطم الأثم أخاه في يبلاد قيل في وصفها : إنها مطلق النور ومصنع الحريات والعرفان -

غيرة على تلك الأحزاب المبسوطة على العدوان والظلم ، السائمة في حقول الشهوات والذنابات المحرمة ، فكيف لا يحق للمسلم الصادق أن يدفع عن المسلمين وعن أبطال الاسلام ومفاخر الانسانية دفاعاً موقوفاً على القلم والكلام !

ولا يفكرن أحد في الوحدة وفي التأليف بين المسلمين وبين هذه الجماعة ، لا يمكن تأليف فاق مذاهبها ومبادئها لا يمكنها أبداً من الرضا عن المسلمين ومن الاقتراب اليهم الشيعة ولا إلى ودهم ولا ينهم . وإذا كانت هذه القرون الطويلة التي مرت بهم لم تستطع أن تأكل من صدورهم ومن كتبهم العداوات التي يحملونها لأبي بكر وعمر وعثمان والآخرين - بل ظلت في صدورهم وفي كتبهم حتى اليوم تزداد ذكاه واتقادا وتوجهاً - فكيف نرجو نحن منهم محبة أو ولاية أو صداقة ؟ انهم ما الذي نرجوه من الاتحاد بهم والاقتراب اليهم ؟ إنهم لن ينفعونا شيئاً ، ولن يزيدونا إلا ضعفا وهونا وهوانا وخبالاً !

انريد منهم أن يجاهدوا معنا أعداءنا وأعداء الاسلام ، وهم يقولون إن الجهاد باطل موضوع لا يجوز إلا تحت راية الامام المنتظر ، وهم يقولون أيضاً : إن الذين فتحوا بلاد الكفر والشرك من المسلمين آثمون عاصون لانهم تحت إمرة غير معصوم أمثال عمرو وخالد وأبي عبيدة وأسامة ؟ بل أنريد منهم أن يجاهدوا معنا أعداءنا وهم يقولون إننا أحق بجهادهم من الكفار والمشركين كما تقدم ؟ إذن أني نرجو شيئاً منهم ؟ أم نريد منهم العلوم والمعارف وقد وضعنا أمام القارئ نماذج من علومهم ومعارفهم ؟ أم نريد منهم القوة وهم مازالوا الضعف في الاسلام والوهن في صفوف المسلمين ؟ أم نريد منهم كثرة العدد ، وماذا نفعل بكثرة العدد ؟ والمسلمون لم يؤتوا من قلة العدد . إنه القناء والوباء والبلاء . ومسلم واحد مثل خالد بن الوليد خير للاسلام من الشيعة في جميع عصورها . أم نريد منهم

أن يقينوا في بلادنا تلك المواقب المحزنة في أيام عاشوراء وتلك المآثم التي تقدم القول فيها ، فيصبحوا فينا نوابد متنقلة ، تصيح وتقول وتلطم وتلدن وتسب في الطرقات . . . كأنهم نسوة في زار ، أو عار في نار ؟ أنحاول إرضاءهم كي يمثّلوا هذه الفضائح بين أعيننا وعلى مسامعنا فيربو في الرجال معاني النساء الضعاف الجزعات التي لا سلاح لمن إزاء المصائب سوى العويل وشق الجيوب وتنف الشعور واللطم والندم والصراخ المفزع الرنان ؟

سألتوا التاريخ أم ماذا تريد منهم وقد كانوا أبدا خربا على المسلمين ، وعونا لأعداء المسلمين ، المرادين بهم الفواق ؟ سألتوا التاريخ قولوا له : في أي عصر من عصورك كتبت في صفحاتك لهذه الطائفة جهادا أو نصرا للإسلام أو دفاعا عنه بين صفوف المجاهدين من المسلمين ؟ بل قولوا له في أي عصر من عصورك لم تكتب على هذه الطائفة أنحيارها إلى غير المسلمين وانكفاءها شطر أخصام الإسلام فرارا من المسلمين ؟ قولوا للتاريخ وهو أصدق ناطق وبحيب : أما كانوا أعوانا وعميونا لطاغية التتار على المسلمين وعلى خليفتهم ، ثم أما حاولوا قتل البطل المجاهد السلطان صلاح الدين بينا هو يناجز عبدة الصليبان ويحاربهم ولكن الله أنجاه منهم ومن عدوانهم ؟ وقد خصوا هذا البطل العظيم بمزيد العداوة وعنيف الخصومة . بل قولوا أي بطل من أبطال الإسلام وفاتحيه ومجاهديه لم يكرهوه ويمقتوه ماخلا على بن أبي طالب ، وما ولاؤهم له بلاء ولكنه البلاء ؟ إذن ماذا تريد منهم ومن الاقتراب اليهم وتألفهم لو كان ذلك ممكنا ميسورا ؟ إننا نريد مسلما واحدا سليما قويا ولا نريد ألف مريض هالك ، ونريد جيشا مؤلفا من ثلاثمائة بطل كإبطال بدر ولا نريد جيشا مؤلفا من أربعمائة مليون من أمثال هؤلاء المسلمين الذين يسبون أمثال أبي أيوب الأنصاري وخالد بن الوليد وعمر و ابن العاص وغيرهم لغة وهم بلاد الكفار وتمنعهم إياها تحت رايات وصفوها بالظلم

والعدوان . لا تريد صورا ولا أسماء ولا عددا ولكن نريد رجالا وإيمانا وقوة وتفانيا
في نصرة الحق وفناء في خدمة الاسلام .

وأخيرا نقول : ألا أسخن الله عين من يحرص على إرضاء أعداء الصديق
والفاروق وعثمان وخالد وعمر والمغيرة وأبي أيوب وأبي عبيدة وطارق وموسى
ابن نصير وصلاح الدين

ولن نسالم مرءا كان حربهم حتى يمود بياضا حالك القار

كتبه في يوم ٤ شهر صفر سنة ١٣٥٧

عبد الله على القصيمي

بالقاهرة



﴿اعتقاد الوهابيين في النبي عليه السلام وفي الانبياء والصالحين في قبورهم﴾
ثم قال الرافضى في كتابه « كشف الارتياح في اتباع محمد بن عبد الوهاب »
تحت العنوان المذكور : « واعتقادهم في النبي عليه الصلاة والسلام أن الاستغاثة
به وطلب الشفاعة منه والتوسل به إلى الله والتبرك بقبره والصلاة والدعاء وتكبيره
كل ذلك شرك وعبادة للأوثان والاصنام محلة للمال والدم . . . وأنه يحرم السفر
لزيارته ويجب هدم ضريحه وتقبيله وأن ضريحه صنم من الأصنام ووثن من
الأوثان بل هو الصنم الأكبر والوثن الأعظم ، وكذلك سائر الانبياء والصالحين .
وفي خلاصة الكلام : كان محمد بن عبد الوهاب يقول عن النبي إنه طارش ، وإن
بعض أتباعه كان يقول عصاى هذه خير من محمد لأنه يلتفت بها في قتل الحية
ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع وإنما هو طارش ومضى ، وكان يقال ذلك
بمحضرته ويبلغه فيرضى ، وكان يقول وجدت في قصة الحديدية كذا وكذا
كذبة . » انتهى كلام الرافضى .

والجواب أن يقال ما صدق الرافضى ولا أنصف حيث زعم أن هذا الذى
ذكره هو اعتقاد الوهابيين في النبي وفي الانبياء وفي الصالحين . وقاتل الله
الكذابين وقتل هذه الفرقة فما يوجد على الأرض أ كذب منها ولا من يستحل
الكذب والظلم والزور مثلها . . . واعتقاد الوهابيين في الانبياء عليهم الصلاة
والسلام أنه يجب على كل مسلم أن يظلمهم التنظيم المشروع كله أحياء وأمواتا
وأن يحبهم الحب الصادق الماثل أكثر من حبه لنفسه ولأهله وللناس أجمعين ،
وأن يعلم أنه لا نجاة له فى أخراه وفى أولاه أيضا إلا بطاعتهم واتباعهم والأخذ
بهديتهم واقتفاء آثارهم أحياء وأمواتا ، وأن يعلم أنهم هم وحدهم - دون البشر
جميعا - وساطات البلاغ والبيان بين الله وبين عباده ، بين الأرض والسماء ،
وأن يعلم أنهم هم دون غيرهم المصومون الذين افترض الله على البشر أن يطيعوهم

وأن يصدقهم في كل ما قالوا وما أخبروا . وفي كل ما هموا وأمرؤا ، وأنه لا يجب على إنسان واحد في هذه الأرض أن يدع هواه واختياره وأمره إلا لأمرهم واختيارهم وأنه يجب حفظ عهودهم في آلهم الصالحين وأولى قرباهم كأزواجهم وذرياتهم وأصولهم وفروعهم المؤمنة الصالحة . ولهذا فانهم يتبرهنون من الرافضة القادحين في أزواج النبي عليه السلام وفي طوائف من أقربيه وآله وذوى وده وحبه ورضاه الغالين في فريق آخر حتى أحلوهم غير محلهم المقذور لهم اللائق بهم .

ثم من عقيدة الوهابيين في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم أحياء في قبورهم حياة برزخية غيبية روحية ليست كهذه الحياة الدنيوية ، بل حياة لا يعلم حقيقتها وكنها سوى من يعلم الغيب والشهادة ، ومن يعلم كل شيء ، وأن كل ما يجب لهم أحياء من الحب والاحلال والتعظيم والطاعة يجب لهم أمواتا ولا فرق .

وبالاجمال فمقيدة الوهابيين في الأنبياء لا تمد ما في الكتاب والسنة نفيا وإثباتا . وكذلك عقيدتهم في الصالحين من الأحياء والأبوات : يحبونهم ولكن لا يعبدونهم ، ويعظمونهم ولكن لا يتجاوزون الحدود ، ويعرفون فضلهم ولكن لا يمجدون فضل من هم أفضل منهم لأجل تخصيصهم بذلك ، كما فعلت الرافضة عادت خيار الصحابة ، وخيار الأمة ، زاعمة أنها بهذه المعادة المجرمة تحافظ على ولاء آل النبي وعلى فضائلهم وحقوقهم بحيث لا تشرك بهم غيرهم في الإيمان بالفضائل والكمالات

هذا كله من عقيدة الوهابيين في الأنبياء والصالحين ، فعقيدتهم فيهم أنهم بشر ولكن اختارهم الله لرسالته المقدسة ففرض على الخلق طاعتهم واتباعهم والنهج منهاجهم ، وبالتالي فرض حبهم وموالاتهم وتوقيرهم في الحيا وفي الممات جزاء ما أسدوا من هداية وشكر ما قدموا من رسالة عقباها رضا الله وجزاؤه الأوفى لمن أطاعهم وامثل ما جاؤا به من الشرائع والآداب والاخلاق الفاضلة . فعقيدتهم

قائمة على التفريق بين الخالق والمخلوق وبين العبد والرب . فالرسل ، مهما جلوا وعظموا وقربوا من الله ومن مكان الخطوة لديه ، لا يخرج أحد منهم عن منطقة التخليق ولا يعدو بساط العبودية العامة . فأعظم رسل الله مع سائر الخلق تحت بساط العبودية سواء ، لا عابد ومعبود ، ولا رب ومربوب . بل الجميع عابدون لها واحدا وربا واحدا . بل لاشك أن أفضل خلق الله وأقربهم إليه من الرسل والأنبياء والصالحين هم أكثر العباد خضوعاً لفروض العبودية ، عبودية الله .

ففضل الأنبياء ليس في قدرته ونفوذه سلطانه ، ولا في مقدرته على النفع والضرر : كلا ليس في فضل النبي في شيء من ذلك وإنما فضله في ما يجيء به من الهدى والنور ومقدرتهم والآداب التي فيها سعادة متبعيها في دنياهم وأخراتهم في إخلاصه العبادة لله ، ولكن في وفي دعوته الناس إلى خالقهم وخالق كل شيء ليعبدوه وحده كما خلقهم وحده . عبادتهم وقد يكون شر خلق الله من الكفار والمشركين أقدر على شؤون الدنيا وإعطاء ما يسألون منها من خير الخلق كالأنبياء والمرسلين والصالحين . وإذا لم

ليس في سؤال لا أنبياء شيء من تعظيمهم ولا شيء من عرفان أقدارهم والقيام بحقوقهم . بل قد يكون من التعظيم لهم والقيام بحقوقهم في هذا إحراجهم وإيذاؤهم والتحدى لهم ، ولم يكن في الاعراض عن سؤالهم النفع والضرر والحاجات وشؤون الدنيا شيء من التنقص لهم والانكار لحقهم . .. وإذن فليس الطالب للأنبياء السائل لهم هو المعظم القائم بما يجب لهم ، وليس الداعي لله الراغب فيه وحده متنتصلاً لهم ولا جاحدا شيئاً من فضلهم وكمالهم يقيناً . وعلى هذا دل الدين جملة وتفصيلاً وقد قال الله تعالى لرسوله : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم الله واحدا » .

وهذه اعتقادات صحيحة لا غبار عليها ولا نصيب للباطل فيها ، ولكن الاعتقاد الباطل الموبق هو اعتقاد الشيعة في النبي وفي سائر الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ، وفي الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين . وذلك أنهم قد ذهبوا إلى أن الأنبياء ليسوا وخدم المخصوصين بالمعصية من الخطأ والزلل ، وليسوا وخدم المخصوصين بالوحي وبنزول الملائكة . بل قد زعموا أن الأئمة معصومون من ذلك ومن أكثر منه مثل الأنبياء والرسل ، وأنهم يوحى إليهم كما يوحى إليهم . وذهبوا كما تقدم إلى أن الله قد أنزل بعد موت النبي وحيا ومصاحف على فاطمة وعلى غير فاطمة . وقد قدمنا أشياء من بيان ذلك . وذهبوا أيضا إلى أن الأئمة أفضل من الأنبياء ومن أولى العزم من المرسلين . فعندهم أن علي بن أبي طالب وسائر ولده أفضل من إبراهيم ومن موسى وعيسى ونوح وغيرهم من الأنبياء والرسل وذهبوا إلى أن الاسلام لم تقم له قائمة ولم يعبد الله في الأرض إلا بعلي بن أبي طالب وبجهاده وسيفه . وقالوا إنه لولا علي وجهاده ومقاماته لما اخضر للاسلام عود ولما قام له عمود . وقد أنشدوا :

ألا إنما الاسلام لولا حسامه * كمنظرة عنز أو قلامة ظافر

يجل عن الاعراض والأين والعتى * ويكبر عن تشبيهه بالعناصر

وهذا من شر الهجاء لرسول الله ولصحابته وللمسلمين الذين ما بنحوا بشيء من أهولهم ولا أولادهم ولا أهلهم ولا أنفسهم على الله وعلى رسوله وعلى دينه حتى استطال عموده في الآفاق وحتى سائر الشمس مشرقة ومغرب ، وقد قالوا إن ضربة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود أفضل من عبادة الجن والانس والملائكة وجميع الخلائق وللايين العوالم أمثالهم وفيهم الأنبياء والرسل إلى قيام الساعة ، وهذا من أشنع التحقير والزراية بالأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين . وقد ذهبوا أيضا إلى أن خيار صحابة النبي عليه السلام كفروا وارتدوا بعد وفاة نبيهم فحرفوا القرآن وحرفوا السنة زادوا فيها ونقصوا منها ، وتكذبوا على النبي وجحدوا دينه ووصاياه وظلوا أهل بيته وسلبوا حقوقهم كفرا وغدرا . وكذا زعموا في خيار

زوجاته عليه الصلاة والسلام أمثال عائشة وحفصة . ثم ذهبوا إلى أن اتباع خيار الصحابة، المهتدين بهديهم كفار ما رآه هؤلاء الكفرة من اعتقادات شيعة هذا الرجل الهاجى لأهل السنة المنتول عليهم الأباطيل والأكاذيب بغيا من عند نفسه وظلما للحق وأهله . وهذا كله بلا ريب من شر الاعتقادات .

ما يمنع من . أما ما ذكره عن الوهابيين فبعضه كذب صريح لاشبهة له فيه ، وبعضه مجمل التوسل . يحتمل حقا ويحتمل باطلا . فما ذكر بأنهم يقولون : إن الاستغاثة به عليه الصلاة والاستغاثة والسلام وطلب الشفاعة منه والتوسل به إلى الله كفر فجعل يحتاج إلى البيان والتفصيل . وذلك أنهم لا يرون الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وطلب الشفاعة منه ، والتوسل به إلى الله ممنوعة مطلقا ، وعلى كل حال ، بل هم يرون أن الاستغاثة به في الدنيا فيما يقدر عليه عادة جائزة لا تمنع فيها ، وكذلك يرون في طلب الشفاعة التي هي الدعاء وكذلك يرون في التوسل الذي هو طاعته والإيمان به واتباعه وتعظيمه وحبه وطلب الدعاء والاستغفار منه ، وغير ذلك من الأمور المشروعة التي هي أصل الإيمان والاسلام . فهذه الأمور كلها وغيرها من المنقول والمعتول لا يأبها الوهابيون ولا يمانون فيها ، بل هم يرون بعضها واجبا فرضا لا يتم الاسلام والدين إلا به وبعضها مستحبنا وبعضها جائزا ، لا يأبون شيئا من ذلك . ألبتة . ولكن الذي يأبونه ويمنعونه ولا يرضونه هو الاستغاثة به عليه السلام وطلب الشفاعة منه في قبره بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ! وهو أيضا التوسل العامي الجاهل القائم اليوم على قبور المشايخ والصالحين وقبور من هب ودب . هذا هو المبتنع المحرم ، وهذا هو ما يأباه الوهابيون وما يردونه على طاعليه . فهذه الأشياء لها جانبان ، جانب باطل وهو طلبها من الأموات ، سواء كانوا أنبياء أم كانوا غير أنبياء ، وجانب مشروع جائز . وهو طلبها ممن يقدر عليها عادة إذا لم يكن ثمة مانع شرعى . فزعم الرافضى أن الوهابيين يمنعون ذلك كله جملة زعم

يجازى عليه جزاء الكاذبين إن شاء الله .

وأما التبرك بقبره عليه السلام والدعاء عند القبر فأمر ممنوعة بحق .
وسوف نتجىء الدلائل على ذلك .

وأما زعمهم أنهم يمنعون تعظيمه عليه الصلاة والسلام ، وأنهم يرونه كفرا
وعبادة للأصنام فمن الأكاذيب التي سيسود لها وجه مفتريها عند الله يوم تبلى
السرائر . بل هم لا يشكون أن تعظيمه التعميم المشروع هو أصل الإيمان
والإسلام . ولا يشكون أن من لم يعظمه صلى الله عليه وسلم هذا التعظيم فليس
بمسلم ولا مؤمن .

وأما السفر لمجرد زيارة القبر فباطل ممنوع وسوف نذكر براهين ذلك
والأصل في هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد » الحديث . وقد زوى هذا الحديث من طرق عن جماعة من الصحابة
ورواه أصحاب الصحيحين البخاري ومسلم ، وقد جاء بصيغة التثنية وبصيغة
الإخبار ، وقد استدلل به جماعة من الصحابة وجماعات من بعدهم على امتناع
السفر إلى آثار الأنبياء وزيارتها . وبمحت هذا يجيء إن شاء الله في فصل
خاص فيما بعد .

وأما قوله : إن الوهابيين ذهبوا إلى وجوب هدم الضريح النبوي فمن أكذب
الكذب وأفجر الفجور . وذلك أن الضريح الذي هو القبر لم يقل أحد من المسلمين
بوجوب هدمه أو جوازه . والذي قيل إن الشرع يأمر بهدمه هو القباب والبنائيات
المشيئة جهلا وخلافا للرسول ولشريعته على القبر ، أما الضريح نفسه فلا خلافه
في وجوب بقائه . وفرق عظيم بين الضريح وبين البناء المقام على الضريح . ولا
يقول قائل ولا بصير بالإسلام وبدین الله إن في هدم البناء المقام على القبر طاعة
لله ولرسوله شيئا من التنقص أو شيئا من الإهانة لصاحب القبر ، ونترك تحقيق

هذا المقام إلى الفصل الخاص به الآتى .

وأما قوله : ويحرم التبرك بتربته ولس ضريحه وتقبيله ، فالجواب أن يقال لا ريب أن ذلك كله باطل وخلاف على الدين وأنه خلاف المأثور عن السلف الصالح قاطبة ، وخلاف ما علم من الاسلام بالضرورة والتواتر ، ولا شك أن ذلك كله من بقايا الجاهلية الأولى التى جاء الاسلام لنقضها والقضاء على بنيانها وكيانها . ولا يرتاب المارقون بالاسلام ، الملمون بأغراضه أن هذه الأفعال وأمثالها منافية لأفضل شئ دعا إليه الدين الحنيف وهو الاخلاص لله والالتفات إليه وحده بالجملة والتفصيل ، بالقلب والقالب : ثم لا يرتابون فى أن ذلك من أعظم الفساد ، فساد العقل والدين والذوق .

وقد كان الصحابة الذين تلقوا الاسلام نصوصه ومعانيه ، أفعاله وأقواله ، من صاحب الرسالة كفاحاً بلا وسيط يحبونه عليه الصلاة والسلام حباً لم يحبه أحد . أحداً من الخلق ، ويحرصون على الأخذ بأطراف الفضائل وأشتات الصالحات حرصاً تفنى دون أدناه أشواط السابقين من الأولين والآخرين ، وكانوا يفهمون شرع الله فيما تنزوع عن بلوغ حقيقته جياذ الأفهام ، وكان هؤلاء الصحابة يزورون رسول الله ويدخلون مسجده فى اليوم والليلة مرات ، وكانوا يودون لو أبيع لهم أن يكتحلوا بتراب قبره وأن يسفوه حبا وإخلاصاً ، ولكنهم مع ذلك لم يقبلوا ولم يتمسحوا رجاء شئ مما زعمه هذا الشيعى لأنهم يعلمون أن ذلك خلاف على نبيهم ، ولأنهم يعلمون أن الخلاف عليه — بزعم حبه والقيام بحقه — هو الهلاك والجهل ، بل لقد خشوا هذا الذى يدعو إليه الرافضة وإخوانهم فخالوا بين الناس وبين الوصول إلى القبر بالبناء الذى أحاطوه به وبوضعه عليه الصلاة والسلام فى حجرة زوجه عائشة . ولو أرادوا هذا الذى أرادته المخالفون الجاهلون لكشفوا قبره ولوضعوه فى العراء ليستطيع النائم الوصول إليه كي يقبلوه ويتمسحوا .

بجدران وأركانها . وقد قالت عائشة رضى الله عنها فى ذلك قولها المشهور : « ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن خشى أن يتخذ مسجدا » . وقد كانوا وكان السلف قاطبة يهونون عن اتباع آثار الأنبياء كما ذكرنا فى الجزء الأول ، وكان الخليفة النافذ البصرة عمر بن الخطاب من أشد الناس نهيا عن ذلك حتى لقد نهى عن قصد الصلاة فى المسجد الذى صلى فيه رسول الله ، وأمر بقطع الشجرة ، شجرة الرضوان ، لما رأى فريقا يقصدونها . ولو كان ذلك من دين الله الاسلام لوجدنا المسلمين الأولين يتسابقون إلى مواطن النبوة وآثار الأنبياء ، أيهم السابق المستولى على الأمد ، ولو جدناهم يتنافسون فى قصد غار حراء وغار ثور وغيرهما من الأماكن التى وطئها أقدام النبوة ، للتقبيل والتمسح والتبرك ، ولما كان لهم مغدى ومراح إلى تلك الآثار وإلى حجر أزواجه ومواطن قدميه ومواقع وجهه الشريف ، فى مسجده وفى غير مسجده للفوز بتلك الفضيلة . ولكن لا نزاع بين أهل العلم البصراء بالآثار والروايات أنه لم يكن شئ من ذلك .

على أن من العجيب فى الدين والنظر أن يكون تقبيل قبر النبی عليه الصلاة والتقبيل القبر والسلام مشروعا وديننا يثاب عليه فاعله فى حين أن تقبيله ذاته لأجل ذلك لم يكن معهودا ولا معروفا بين أصحابه يوم كان حيا بين أظهرهم بروحه ويقدر على تقبيله إذا كان مشروعا جائزا . وما جاء ذلك إلا فى حوادث معلومة خاصة لأسباب كذلك خاصة معلومة غير ما ينهب إليه هؤلاء القوم ، وما روى شئ من هذا فى كتب الصحاح كالبخارى ومسلم . فما جاء أن يهوديين أتيا رسول الله عليه السلام فسألاه عن عدة مسائل فأخبرهما فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي . رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن عبد الله بن عمر قال كنت فى سرية من سرايا رسول الله لخاص الناس حصة وكنت فىمن حاص فقلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ، ثم قلنا لو دخلنا المدينة فبئنا ، ثم قلنا :

تقبيل القبر
ليس من الدين
ولا من سنة
المسلمين

لو عرضنا أنفسنا على رسول الله فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا فأتيناه قبل صلاة النداء فخرج وقال : من الفرارون ؟ فقلنا نحن الفرارون ، قال بل أنتم المكارون ، قال فأتيناه حتى قبلنا يده . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد . وقد ذكر شيئا من ذلك البخارى فى كتاب « الأدب المفرد » . ولا تخلو رواية من هذه الروايات من مقال . على أنه واضح من السياق أن ذلك التقبيل لم يكن طلبا لما يزعمه الشيعى وأنه لم يكن عادة معهودة للقوم . وإنما كان ذلك للاعتراف بالشكر والاغتباط . وإلا لو كان الامر كما زعم القوم لكان ذلك دأبا للصحابة وعلا من أعمالهم التى يواظبون عليها ويتسابقون اليها ، ولما وقف على الفرط النادر من الاحيان . وإنما نعلم بالتواتر الصامت أن الصحابة لم يكونوا يحاولون أن يقبلوا جسم النبي أو ثوبه أو شيئا من آكأاره ، أو يحاولون أن يتمسحوا ببعض ذلك كلما واثت الفرصة . ولم أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يندبهم لاتصريحاً ولا تلميحاً على أن هذا من الدين ومن أعمال البر والطاعات ، بل انه ﷺ كان ينههم عن هذا النوع من الغلو أنواع التهى ، ويدبهم أنواع الدلالات على أنه مأبى محرم . وكما ينهى عن ذلك أمثال قول الله : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » وقوله : « إنما أنت منندولكل قوم هاد » . وقوله . « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، وأمثال قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تطرونى كما أطرت النصارى تقديم وصف عيسى بن مريم إنما أنا عبد ، تقولوا عبد الله ورسوله » . ومن المعجيب فى هذا العبودية على الحديث أنه قدم العبودية على الرسالة وهكذا جاء فى التشهد : « أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » ، وهكذا جاء فى غير ذلك . والكتائب النبوية حينما ذكر أوصاف النبوة والنبي لم يزد على وصفه بالعبودية وبالرسالة وبما يلزمها ، من الهداية والانهذار والبلاغ والبيان . والعبودية هى المذكورة

في مواطن الامتداح والثناء في مثل قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ، وقوله : « وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » . وما جاء وصفه ﷺ بالقدرة وسعة السلطان وامتلاك ناصية التصريف والضر والنفع ، بل لقد جاء نفي ذلك عنه وعن الخلق جميعاً ، قال تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » وقال : « وما أنت عليهم بجبار » وقال : « ليس عليك هدام » وقال : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير » وقال « قل إني لأأملك لكم ضرا ولا رشدا . قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا » وقال : « ألا له الخلق والأمر » . وهكذا ينسق الكتاب الآيات نسقا في حرمان الخلق كافة من أن يشاركوه في ملكه أو في خلقه أو أمره أو شأنه ، وهكذا ينسق الآيات نسقا في تجريد الأنبياء ومن دون الأنبياء من القدرة والسلطان والضر والنفع والتصريف ، وهكذا يحصرهم جميعا في منطقة العبودية ، ورواق الملكية ، لا يندو ذلك نبي مرسل ، ولا ملك مقرب « إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتية يوم القيامة فردا »

وأما زعمه أن الوهابيين يقولون إن ضريح النبي عليه الصلاة والسلام صنم من الأصنام بل هو الصنم الأكبر ، وإنهم كذلك يقولون في سائر قبور الأنبياء والصالحين - فزعم كاذب . وقد قال ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » وقد استجاب الله دعوة رسوله فأحيط قبره الشريف بالبناء الذي حال بين الجاهلة وبين الوصول إليه ، فلم يقدروا على الوصول اليه كما وصلوا إلى قبور غيره من آله وغيرهم من الصالحين والطالحين فعبدوهم من دون الله وعبدوا قبورهم وعكفوا عليها عكوف أهل الجاهلية كلهم على أصنامهم وعلى أوثانهم : يدعون ويسألون

(٥)

ويستغيثون ويستشفون ويرجون الدنيا والآخرة هناك ، ناسين أن في السماء رباً
له الخلق والأمر وإليه يرجع كل شيء . . . ولو فرض أن الجاهل عبداً الرسول
أو عبدوا قبره ، كما عبد غيره من الأنبياء والصالحين ، فقل إنه معبود أو إن
قبره معبود أو مؤله لدى العامة الجاهلاء لما كان ذلك نقصاً فيه ولا عيباً أو ذمالة
يقيناً . والمسلمون يقولون : إن عيسى بن مريم وأمه إلهان معبودان لدى النصارى
وليس في هذا القول ما ينقصهما أو يعميهما . وكذلك يقولون إن الملائكة معبودة
مؤلفة من دون الله ، وكذا يقولون في علي بن أبي طالب وفي ذريته لأن قوماً من
الشيعية عبدوهم وزعموهم آلهة كما تقسم . وليس في هذا ما يضير أحداً من هؤلاء .
فاذا عبد الرسول أو عبد قبره فقل إنه معبود أو إن قبره معبود لم يكن في هذه
المقالة ما ينقصه عليه الصلاة والسلام كما لم ينقص الملائكة وعيسى بن مريم ومريم
وعلياً والمعبودين من ولده عبادة من عبدوهم . وهم يتبرؤون منهم ومن عبادتهم
بين يدي الله .

أما ما ذكره عن خلاصة الكلام تأليف شيخ الكذب دحلان من أن
الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يقول إن النبي طارش وأن بعض أتباعه كان يقول .
إن العصا خير من الرسول ، وإن ذلك كان يقال في حضرة الشيخ فيسمعه ويرضاه .
وأنه كان يقول إني وجدت في قصة الجديبية كذا وكذا كذبة - فهذا كله وأمثاله
من أرذل الاكتوبات وأرخصها . وإننا تتحدى هذا الرافضي وإخوانه ونطلب
إليهم جميعاً أن يسندوا شيئاً من هذه الأقوال عن أحد الوهابيين . لانطالهم أن
يسندوه عن الشيخ محمد ولا عن عالم من علمائهم ، فالمسألة أسمى من أن نطلب
إليهم ذلك . بل إننا نطالهم أن يسندوه عن جاهل . حملائهم ، وإلا فالكذب
يقتدر عليه أقل الناس عقلاً وعلماً وفهماً . وأجرأ الناس على الكذب هم أقلهم
ديناً وعلماً وفهماً وحيلة . وإذا استعان الخصم على خصمه بالكذب والاختلاق

قد لجأ إلى ركن غير وثيق ، وأخذ بسبب مقطوع ، وباع نفسه وعلمه في سوق الكاسب فيها خاسر . . . وأنا لأشك أن هذا الرافضى لا يعتقد صحة ما يذكركه هنا ، بل لأشك في أنه يعتقد كذبه وتزويره . ولكن خصومته للحق ولأهلته أباحت له أن يروى الكذب وأن يقاتل به وأن يزعم للناس أنه جاد غيّر هازل ، ليستهطوا من وأنه صادق غير كاذب ، بل وأنه محرم على الكذب وقول الكذب . وطائفة السحاب يبلغ عشق الانتقام والظلم بكبار علمائها ومجاهديها أن يستجيزوا رواية مثل هذا الباطل وأن يدونوه في كتبهم يحق أن يقال لها : لتسقط من السحاب ، أو ليسقط عليها السحاب ، فلن تضيرا لله والحق شيئا .

إنى أقول لهذا الرافضى ولغيره من الكذابين : إن من قال عن النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأقاويل التي رواها عن شيخ الكذب دحلان قد ضل ضلالا كبيرا ، واحتجب نكراء يثقل وزرها كاهل قائلها ، ثم أقول لهم إن كل وهابى على وجه الأرض يقول قولى هذا .

﴿ المسلمون في نظر الوهابيين ﴾

ثم ذكر الشيعى تحت عنوان : « اعتقادهم في عموم المسلمين » ما خلاصته : إن المسلمين في نظر الوهابيين قد كفروا وأشركوا منذ ستمائة سنة قبل خروج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنهم قد ابتدعوا في الإسلام . قال : « وهذا محور منهج الوهابية الذي يدور عليه . . . وفرع الوهابية على هذا الاعتقاد وجوب قتال المسلمين واستحلال دماهم وجمل بلادهم دار حرب وأنه تجب الهجرة منها إلى بلاد الإسلام التي أهلها وهاوية » قال : « وأما سبى ذرارى المسلمين فهو مقتضى قواعد منهجهم » قال « وقسموا التوحيد إلى توحيد الربوبية وهو الاعتقاد بأن الخالق المدبر للأمر هو الله ، وتوحيد العبادة وهو صرف العبادة كلها إلى الله . قالوا ولا ينفع الأول دون الثانى . وقالوا الكفر نوعان : مطلق ومقيد . فالطلق

أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول ، والمقيد أن يكفر ببعض ذلك » .
 ١ هذا خلاصة ما ذكر في هذا الفصل . ثم بعد ذلك أخذ في التفصيل وفي إيراد
 دلائله على دعاويه هذه دافعاً لجميع شهادات العلماء وشهادات الوهابيين أنفسهم
 على تكذيب هذا الكذب وعلى أن المسلمين عندهم مسلمون لاشك ولا ريب
 وعلى أن هذه الدعوى كاذبة افتجروا قوم آثروا جهلهم على علمهم وشهواتهم على
 دينهم ، وآثروا هوى المخلوق على رضا الخالق ، قتلهم فيها فريقان : فريق الجهل
 وفريق الاثم فأخذ الفريقان بطرفيها يشدانها حتى أوصلها المشارق والمغارب
 وما زالت بأيديهم تطوى وتلشر وتخفض وترفع حتى تلقفها هذا الشيبي الظالم
 « بدوره » فراح يلوح بها يميناً وشمالاً ، يبنى الفتنة ، ويبني الشر ويريد ما الله
 خاذله فيه هو وشيعته .

لا يدل على
 عقيدة المرء
 سوى أقواله
 وأفعاله

ونحن نقول رداً على هذا الدعوى إن عقيدة المرء تؤخذ من أمرين : من
 أقواله ومن أفعاله . فالأقوال تدل على العقيدة وكذلك الأفعال . فإذا فعل المرء
 شيئاً يدل على عقيدة من العقائد قلنا إنه في الظاهر يعتقد كذا ، وإذا قال إني
 أعتقد كذا قيل إن عقيدته في الظاهر على ما ذكر . ولا شيء يدل على عقيدة
 المرء غير الأقوال والأفعال لدينا . فمن ادعى على إنسان ما بأنه يعتقد عقيدة لم
 تدل عليها أقواله ولا أفعاله أو دلت أقواله وأفعاله على أنه لا يعتقد ما كان ذلك
 المدعى غالطاً كاذباً ظالماً . وكانت دعواه مرجوعة عليه ولا كرامة . فان الدعوى
 بلا بينات أولادها أدياء . ولو قبلت الدعوى بلا بينات لكان سهلاً على كل
 من انقطعت الصلات بينه وبين الحياء والدين أن يتكذب وأن يقول وأن يزعم
 على الشمس بأنها جرم مظلم أسود ، وعلى الليل الأسود بأنه نور مشرق ، وكان سهلاً
 عليه أن يقول للسماء : ما أسفلك ، وللأرض ما أرففك ، وكان سهلاً على هذا الرافضى
 وغيره من الخجافين أن يقولوا إن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم

وأموالهم ، وأن يدعوا عليهم ما يريدون ويشتهون ، وكانت هذه الدعوى لذينة المذاق في أفواه أعداء الحق والحقيقة ، ولكن الله الذي خلق الحق والباطل أعز الأول ببراهينه وأذل الآخر ببراهينه أيضا وبيّناته ووسم وجوه الكاذبين بسمات الكذب وطبع الكذب بطابع الكاذبين ، وأقام الحق له منه عليه شواهد تسم الباطل واهله على الخرطوم . ومما يعزى صاحب الحق المكنوب على أثره أنه ما جاء صاحب حق ودعوة فاضلة نبيلة الاكثر الجناة عليه ، وأن جناة الكذب وفرسان الزور لا بد أن يقتضحوا وأن يتحطموا فوق صخرة الحق العتيدة التليدة وإن غالبوا الموت طويلا .

إذا علم هذا قيل للرافضى : أى الأمرين أعنى الاقوال والافعال ، دل على أن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم بل أى الأمرين لم يدل على كذب هذه الدعوى وكذب ناقلها ؟ لاشك أن الرافضى لن يجدق أقوال هذه الطائفة ولا فى أفعالها ما يؤيد ما قال وزعم كما سوف يعلم ذلك واضحا جليا .

الدلائل على أن الوهابيين لا يكفرون المسلمين

و بيان ذلك أن أفعال الحكومة الوهابية وأقوالها ، وأفعال أفراد الوهابيين وأقوالهم بيّنة صريحة فى أنهم بريئون من هذه التهمة وهذه البهينة وفى أنهم لا يكفرون المسلمين ولا يمتنونهم إلا إخوانهم وإلا منهم وإليهم . وذلك أن الحكومة الوهابية تعامل سائر الحكومات الاسلامية وسائر أفراد المسلمين معاملة المسلمين الاخوة ، وتحاطبهم مخاطبة المسلمين الاخوة ، وتمطف عليهم عطفها على المسلمين الاخوة وتشعر إزاءهم شعورها إزاء المسلمين الاخوة ، وتتقرب إليهم تقربها إلى المسلمين الاخوة ، وتحنو عليهم حنو المسلم على أخيه المسلم . وهذا كله واضح فى كل موقف من مواقف إزاء المسلمين حين الافراح والاتراح ، فى السراء والضراء ، فى السلب والایجاب . وهام المسلمون ينهبون عشرات الألوف كل عام إلى بيت الله يؤدون

فريضتهم فيتمتعون تحت الراية الوهابية بالامن الذى يتحدث اليوم عنه الناس وبالعاملة الأخوية الممتازة حتى الشيعة منهم وهم أكثر الفرق الاسلامية انحرافاً عن الصراط المسلك ، وأكثرها ضراوة وولوعاً بالدخيل المدخول . فهل حالت دون بيت الله أو وقفت في سبيل من يريدون الحج بحجة أنهم كفار مشركون ، وأن الكفار والمشركين لا يباح لهم أن يصلوا إلى بيت الله وإلى معقل الاسلام والمسلمين ؟ أو هل سفكت دم أحد من أولئك الحجاج أو شامت عليهم سيفاً أو شرعت رحماً بحجة أنهم مشركون ، وأن المشركين حلال الدم والمال ؟ أم هل استحلّت مال أحد من أولئك الزوار بحجة أنه كافر وأن الكافر حلال المال ؟ أو قالت كما نقل الرافضى الظالم لأحد من أولئك المسلمين : يا مشرك أو يا كافر ، أو أن ببلدك بلد حرب وشرك يجب عليك الفرار منها ، ويجب عليك بعد أن تسلم وأن تنطق بالشهادتين أن تقيم في بلادنا بلاد الاسلام والمسلمين ، وألا ترجع إلى بلدك أبداً : هل فعلت الحكومة الوهابية أو قالت شيئاً من ذلك أو قاله أو فعله أحد من أفرادها وعلمائها حتى يتجه لهذا الشيعى الظالم أن يقول وأن يطبع ما يقول : إن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم وقتالهم وأنهم لا ينادونهم إلا بيا مشركون ؟ ؟

بل هاهى الحكومة الوهابية تبث البعوث العلمية دينية ومدنية إلى أنحاء البلاد الاسلامية وتنشئ المفوضيات في تلك البلاد فيعامل هؤلاء كلهم المسلمين معاملة المسلم أخاه المسلم ، فيجتمعون بهم في العبادات الخاصة بالمسلمين فيصلون معهم في مساجدهم ويأتون بهم ويتلقون منهم العلوم الدينية وغيرها ويمتزجون بهم امتزاج الارحام : فيتزوجون منهم ويزوجونهم ويتصلون بهم الاتصال الذى لا يكون إلا بين المسلمين وحدهم . ولا يرون في شئ من ذلك مانعاً ولا حراماً . ولا يعترض عليهم أحد من الوهابيين ولا يرون أنهم بذلك قد أتوا إثمًا أو ذنباً أو خالفوا مبدأ

من مبادئ الاسلام التي يحافظون عليها وينهبون إليها . فهل هؤلاء يقوم يرون المسلمين غير مسلمين ، أو هل يمكن أن يكون أمثال هؤلاء يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وقتالهم ؟ ما أرخصها من دجوى وما أرخص مدهيها لدى نفسه ولدى الحق ! ولقد زار ولى عهد الحكومة السعودية مصر غير مرة فكان يؤدى الصلوات فى المساجد العامة وكان يأتى بالآئمة الذين يزعم الشيعى أن الوهابيين يرونهم غير مسلمين بل يرونهم مشركين كافرين .

بل أليست الحكومة الوهابية ما زالت تستقسم الرجال من جميع الأقطار الاسلامية فتوليهم ماتوليهم من أعمال الدولة السياسية والعلمية وغيرها وتستعملهم فى كبريات المناصب وعظائم الوظائف ، وتوليهم من الثقة ماتولى رجالها وبنى وطنها ، وتعاملهم المعاملة التى لا يعامل المسلم بها إلا أخاه المسلم . فهل حاولت الحكومة أن تطرد هؤلاء الموظفين أو أن تنالهم بسوء . أو هل حاول الشعب شيئاً من ذلك بحجة أنهم غير مسلمين وبحجة أن الكفار والمشركين حلال الدماء والاموال والأعراض ؟؟ بل أليست فى المملكة الوهابية السعودية ولاية شيعية - هى مقاطعة الاحساء والقطيف . والشيعه كما ذكرنا من أبعاد الناس عن الاعتدال والحق ، وأكثرتهم غلوا فى الاموات وعبادة لهم وعكوفاً على أجدانهم . وقد كان فى استطاعة الوهابيين أن يبيدوهم أو ينفوهم من تحت سلطانهم وسماهم ، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك ولم ينالوهم بسوء ما ، ولم يفرقوا بينهم وبين غيرهم فى العدل والحكم والمعاملة وإنما منعوهم فقط من التظاهر بالمنكرات الخاصة بهم كسب الصحابة والسلف وإكفارهم ، وكنكرات أيام عاشوراء ومآثمها ومآثمها .

أفلا يزال الشيعى بعد هذا مصراً على دعواه أن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم وقتالهم ؟ ليعلم أنه هو نفسه لو ذهب هناك ووقع تحت أيدي الوهابيين لما استحلوا دمه ولا ماله ولا قتاله ، بل لأضافوه

ولم يكرمه ورجعوه سالماً موفوراً .

هذه بعض أفعال الحكومة الوهابية مما يكذب هذه الدعوى التي تبرع بها لهم الرافضى وإخوته في الكذب والظلم .

الوهابيون
لا يباينون
غيرهم من
المسلمين في
شئ

وأما أفعال أفراد الوهابيين فهي ألتق وأفصح في رد هذه الدعوى الكاذبة والأمر فيها أوضح وأظهر . وذلك أن الوهابيين ما زالوا ولا يزالون يسافرون إلى جميع الأقطار الإسلامية كصر والعراق والشام وغيرها ، ولهم تجارات مختلفة في تلك الأقطار ، ولهم أصدقاء وأصهار وأرحام وذريات وعلاقات مختلفة قوية ، هي علاقة المسلم بأخيه المسلم . وجميع هؤلاء الوهابيين الذين يردون هذه البلدان يخاطبون أهلها المسلمين مخالطهم لأهل بلادهم الأولى ، فيصاهرونهم : يتزوجون منهم ويتزوجونهم ويشاركونهم في عباداتهم وعواطفهم ، فيصلون معهم ويأتون بأقربائهم ولا يفارقونهم في شئ من أعمال المسلمين ، ولا يحسون بينهم وبينهم فرقا إلا مثل ما يكون بين أفراد الأمة الواحدة من الخلاف والفرق ، وما اختلفوا عليهم في أمر من أمور المسلمين : فما اتخذوا لهم مسجداً خاصاً ولا إماماً خاصاً ولا حياً خاصاً ولا زياً خاصاً ولا بلداً خاصاً ، ولا شيئاً من الأشياء خاصاً بهم ، ولا قاضياً خاصاً بهم ولا غير ذلك مما يوم أنهم يخالفون غيرهم من المسلمين ، أو أن لهم عقداً سيئاً في عقائد المؤمنين ، ولا يشعر من يراهم ويرى أحوالهم وأعمالهم أنهم يذهبون إلى شئ يخالفون به غيرهم . ولو أنهم دخلوا بلداً إسلامياً وكان إمام الجماعة فيه هو هذا الرافضى نفسه الهادى بهذه التهم لما تخلفوا عن الصلاة وراءه ولما استجازوا لأنفسهم التخلف عن الجماعة إلا أن يعلموا منه أمراً يمنع الاقتداء به عند جميع أهل السنة ، مثل أن يعلموا منه أنه يكفر الصحابة ويستحل الوقعة في أعراض السلف والوقعة في دينهم ، ومثل أن يعلموا منه أنه يقول بتعريف القرآن أو غلط جبريل في الرسالة ، أو نحو ذلك من عظام ما ذهبت

إليه الشيعة ، أو غيره مما يمنع أهل السنة جميعاً من الاقتداء بصاحبه والاحترام له .
ولا أظن مسلماً يستجيز الصلاة خلف من يكفر أبا بكر وعمر وعثمان . فثقل هذا
يأبون الاقتداء به ولا كرامة . ومن الصدف الطريفة أن قابلت في هذه الأيام
أحد رجال الشيعة الواردين على القاهرة لأسباب علمية ، وهو من بيت علم معروف
في النجف وفارس . وقد كانت المقابلة يوم جمعة . فسألته : أين صليت الجمعة ؟
فأخبرني أنه لم يصل ، وأن لصلاة الجمعة عند الشيعة شرائط لم تجتمع لديه . هذا
وكل يعلم أن في مصر جماعات من النجديين الوهابيين ، وأنهم صلوا جميعاً ذلك
اليوم في مساجد مصر المختلفة ، وأنه لم يتخلف أحد منهم عن الصلاة محتجاً بتلك
الحجة الشيعية ولا بغيرها . وإنما كلنا نصلي في مساجد القاهرة الجمع والجماعات
وما خطر لنا أن ندع الصلوات الجامعة لأجل ما ذكر الشيعي . وهذا صاحب

السعادة الشيخ فوزان السابق القائم بأعمال المفوضية السعودية بمصر ، وهو من
ألقى المسلمين ومن أعرفهم بالاسلام وحقائقه ، ومن أشدهم غيرة عليه واستمسكا
به ، هذا هو يقيم الصلوات في مساجد مصر ، ويحافظ على صلاة الجمعة في مساجدها
ويأتم بالأئمة المختلفين لا يرى في ذلك حرجاً ولا مانعاً وهو أكبر رجل للدولة
السعودية بمصر ، وكذلك أخوه الشيخ عبد العزيز السابق وكذلك جميع أقاربهما
ومن يمتون إليهما بالمعرفة اللازمة يصلون الجمع والجماعات في المساجد العامة
لا يتخلفون عنها لسبب من الأسباب التي يذكرها هذا الرافضي وشيعته . بل إن
الشيخ فوزان إذا ما زاره أحد العلماء في مستقر عمله الحكومي أو في بيته فحضرت
الصلاة قدم العالم للصلاة به وبجماعته فأمموا به جميعاً - إلى غير ذلك مما يطول
شرحه وبيانه . فهل بعد هذا يقول من يقيم للحق وللصدق وزناً وحرمة ومن
يرعى الله وقاراً : إن الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم ؟
هذه هي أفعال الحكومة الوهابية وأفعال أفرادها كلها شواهد ناطقة صادقة

أكبر رجل
سعودي في
مصر يصل
الجمع والجماعات
في المساجد العامة

على أن الشيعي لم يكن صادقا ولا ناطقا بالحق إذ رماهم بالكفر المسلمين واستحلال
دمائهم وأموالهم وقتالهم .

الوهابيون
ينفون عن
أنفسهم تكفير
المسلمين

وأما أقوالهم في تكذيب هذه الدعوى فهي أنطق وأشهر، فإزاولوا يكذبون
الدعوى ويكذبون مدعيها وزاعميها . والشيعي نفسه ذكر في هذا الفصل المذكور
عن علمائهم القدامى والمتأخرين أنهم يتبرأون من ذلك ومن قائله ، ويهتفون بأنهم
يتهمون به إتهاماً تنفيراً عنهم وعن سمرهم الاصلاحية . ولكنه يصر على أنهم
كاذبون في ما نفوا عن أنفسهم ، وعلى أنهم ملطخون بما زعموا أنهم منه بريئون .
وإذا كانوا يقولون وينذمون ما يقولون في كتبهم منشرة معروضة للخاصة والعامة :
إنهم لا يكفرون مسلماً ولا يستحلون دمه ولا ماله ولا عرضه ولا حرمة من حرمانه
فيقوم هذا الشيعي يقول لهم : كلا إنكم كاذبون خاطئون فيما قلتم وذكركم وأنكم
تكفرون المسلمين وتستحلون أموالهم وقتالهم فإذا عساهم يذكرون من الدلالات
لا نتراع هذه التهمة من رأسه ، وماذا عسى البراهين الصادقة تفعل لديه لتحرق
هذه البهينة في رأسه !! قوم يقولون مختارين غير مكرهين : إن المسلم مسلم لا يحل
دمه ولا ماله ولا عرضه فيقال لهم : لا ، إن المسلم لديكم كافر حلال الدم والمال
والعرض ، فهل يستطيعون أن ينفوا عن أنفسهم هذه التهمة إلا بأن يقولوا : إن
المسلم مسلم ، فإذا قالوا ذلك فقليل لهم : كلا ، إن المسلم عندهم كافر مشرك فقد بطل
الكلام والحجاج ، وتحكم العناد واللجاج ، وإذا قلت إني لا أحسن ألما فقال لك
قائل : بل إنك لنحس ألماً . برحاً . فهل ترد على ذلك القائل بأصدق من أن تعيد
ما قلت : فنقول إني لا أحسن ألماً . وإذا قال الشيعي وغيره إن الوهابيين يكفرون
المسلمين ويستحلون دماءهم وأموالهم فهل يردون عليه بأصدق من أن يقولوا :
إننا لا نكفر المسلمين بل نذهب إلى إكفارهم وهذا واضح ظاهر .

ومن أقرب الدلائل على ذلك أن علماء المملكة السعودية عقدوا في هذه

الاسابيع المؤتمرات بمناسبة مشروع تقسيم فلسطين مستنكرين لذلك ، وقد أرسلوا إلى جلالة الملك الاحتجاجات الحارة الملتبة غضبا ونقمة من الحكومة البريطانية ومن مشروعيها الظالم الممقوت ... وقد نشرت تلك الاحتجاجات في جريدة الحكومة الرسمية جريدة أم القرى وفي غيرها من الصحف المصرية وغير المصرية وقرأها الناس . وهذه الاحتجاجات كلها تصرّيات بأن فلسطين بلد إسلامي وأن أهله إخوان مسلمون . ونعوذ بالله من الشك في هذا ومن اضطرونا إلى الاحتجاج له . ولو أن الشيى صادق في دعواه أنهم يكفرون المسلمين لما استجاز علماء نجد وغير نجد من علماء المماسة السعودية أن يطالبوا جلالة الملك « بمناصرة إخواننا أهل فلسطين » و « بمناصرة : « فلسطين المسلمة » والعمل لابقائها « بلدة إسلامية » و « برفع لواء الجهاد على الظالمين المحاولين : « تهويد فلسطين المسلمة » ولوسعهم السكوت كما وسع غيرهم من علماء الشيعة وغيرهم . وأسكت الله أصوات من يسكتون على مأساة فلسطين ، ولا أفر أعين من ينمضون على نكبتها وبلواها .

نعم ، إن الدلائل على كذب هذه الدعوى لا يستطيع إحصاؤها ولا حصرها . فما شبهة هذا الرجل وإخوانه إذن على ذلك ؟ لهم شبهتان فعلية وقولية ، أما الاولى . وهى الفعلية فهى أن حروبا قد شبت بين الوهابيين وبين طوائف من المسلمين أو أن الوهابيين قد شبهوها باديئين على بعض البلاد الاسلامية ، وهذه الحروب هى الحروب التى قامت بينهم وبين الدولة التركية وبينهم وبين الجيوش المصرية وبينهم وبين أشراف الحجاز فى القديم وفى الحديث ، وبينهم وبين أعراب الجزيرة العربية وبينهم وبين غير هؤلاء مما هو معلوم لا شك فيه . وقد زعم هؤلاء أن هذه الحروب دلائل على أن الوهابيين يستحلون قتال المسلمين وأخذ أموالهم . واقتتاح بلادهم ، وذلك لانهم لديهم كفار مشركون ، وإلا لولم يعتقدوا فيهم .

شبهاتهم على
أن الوهابيين
يكفرون
المسلمين

هذه العقيدة لما استجازوا قتالهم ولما استجازوا أن تقوم بينهم وبينهم حرب .
هذه هي الشبهة الفعلية ، وقد أقام عليها الرافضى من التهم وسوء الرأى القصور
والعلاى . والشبهة فى الواقع من أفسد الشبهات وأبطلها وأسخطها ، والرد عليها
سهل ميسور وذلك أن يقال لصاحبها المسرور بها :

الحروب بين أولاً أن الحرب بين طائفتين أو أمتين لم تكن يوماً من الأيام دليلاً على أن
الناس لا تدل إحدى الطائفتين أو الأمتين تكفر الأخرى وتستحل قتلها ودماءها وأموالها
على نوع العقيدة لأنها فى رأيها كافرة مشركة بالله ، بل أغلب الحروب تقوم بين الناس وبين
الشعوب والأمم لغير ذلك من الأسباب ، لأسباب قد تكون صحيحة وقد تكون
باطلة ، وقد تكون مجيزة الحرب وقد لا تكون كذلك . وهذا معروف مشهور فى
جميع المصور . وقد شبت الحروب بين جيوش على بن أبى طالب وعساكر
معاوية ، وبين على وعسكر الجمل . ونحن نوقن بأن إحدى الطائفتين لم تكن
تكفر الأخرى ، ونوقن بأن الباعث على الحرب لم يكن الكفر والشرك ، وإن
زعم الشيعة خلاف هذا . وكذلك لم تزل الحروب تضطرم بين جماعات المسلمين
منذ صدر الاسلام إلى اليوم ، أحياناً بشدة وقوة ، وأحياناً أخرى بلين وقلة .
ولكن أحداً من الناس لم يزعم أن تلك الحروب بين المسلمين دليل على أن أحد
الجيشين يكفر الجيش الآخر ، وأن الباعث على الحرب هو الكفر والشرك .
والحرب كثيراً ماتت بين المرء وأخيه حيث لا خلاف فى العقيدة ولا فى المذهب
ولا فى شئ من ذلك . وقد شبت الحروب بين الإيرانيين وهم من الشيعة وبين
الخلافة التركية . فهل يقول الرافضى إن الشيعة يكفرون الترك ويستحلون قتالهم .
أو يقول إن الخلافة التركية هى التى كانت تستحل ذلك من الشيعة ؟ وكذلك
شبت بين العساكر المصرية وبين الجيش التركى ، وشبت بين الأتراك وأهل
البحرين وهم زيدية ، والزيدية فرقة من فرق الشيعة ، وكذلك شبت بين الأتراك

وبين أشراف مكة ، وكذلك حارب العرب وغيرهم من المسلمين تركيا في الحرب الكبرى وفي غيرها . . . فهل يدعى الشيعة أن الباعث على هذه الحروب هو الكفر والتكفير والظلم في الاعتقاد ؟ هو يزعم أنه لا يزعم ذلك فلنا أن نأخذ به وأن نحججه بما زعم ، ويقال له كيف ادعيت أن محاربة الوهابيين لغيرهم ، أو محاربة غيرهم لهم لم تكن إلا لأف الوهابيين يكفرون المسلمين ويستحلون قتلهم وأموالهم ؟ وهذا مالا جواب له عليه وهو مما يلقى شبهته في الحضيض الأسفل

ثم يقال ثانيا - إن الحرب أمر مشترك بين الفريقين المتحاربين فالنجديون دلالة الحرب إذا حاربوا الأتراك والأشراف فقد حاربهم الأتراك والأشراف وهذا لا بد منه . مشتركة بين المتحاربين وإذا كان الأمر كذلك قيل لماذا زعمت أن الوهابيين ، وهم أحد الفريقين المتحاربين يكفرون الفريق الآخر المحارب لهم ويستحلون قتاله وماله ، ولماذا لم تزعم العكس والعكس ممكن في قضايا العقول وحقائق الواقع ، ولا فرق بين الزعمين . فان كان الأول ممكنا كان الثاني كذلك ، وإن لم يكن ممكنا كان الثاني أيضا غير ممكن ؟ كيف والشيعة قد ذكر غير مرة في كتابه هذا أن الأشراف والأتراك قد بدؤا الوهابيين بالحروب والقتال ، وأنهم قد غزوهم في ديارهم مرات ، لأنهم - في ما زعم - قد جاؤا بأمر جديد يستحقون عليه التحطيم والابادة ، ويستحقون عليه أن يعاطوا حد الحسام وصدر القناة . وقد حشى كتابه بهذا الزعم وأعاد وأبداه مسرورا مغتبطا به كل السرور وكل الغبطة . بل لقد تأول مستيقنا صحة تأوله الأحاديث الواردة في الخوارج في الوهابيين ، وقد صدر عن هذا بأنه واجب على الناس قتالهم وإبادتهم ، وأن في ذلك أجرا جزيلا لمن قام به من المسلمين . لتخليص الناس فيما زعم من شرهم وبلائهم ومن عقائدكم الضالة الباطلة . فهو يقول : إن بدء الوهابيين بالقتال واجب وعمل صالح مبرور ، ويقول : إن المسلمين

كالأتراك والأشراف وغيرهم لم يزالوا يقاتلونهم ويتقربون إلى الله بقتالهم ويمنونها عليهم وعلى عقائدهم وبلادهم شعواء عادية... وإذا فالوهايون مبدوون بالتكفير والقتال والحرب والعدوان كما اعترف ، فإذا إذن ينقم ويريد منهم بعد هذا ؟ أريد منهم أن يضعوا رقابهم تحت أسياف العادين عليهم الغازين لهم في ديارهم وإلا كانوا عنده قوماً ضالين يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم ودماءهم ؟ إن كان يريد هذا منهم ولم فهم لا يريدونه منه لأنفسهم ولا الله يريد منهم ولا لهم ، وإن كان في عملهم هذا ضلال فهو أحب إليهم وإلى الله من الهدى الذي يدعوهم إليه الشيعي ويعرضه عليهم

الباعث على الحروب في غالب سياسي لاديني .
ليعلم هذا الشيعي الظالم أن الحروب التي تشب بين المسلمين ، وكذلك التي تكون أيضا بين الكافرين ، أكثرها سياسي محض لا باعث عليه من الدين ولا سلطان للعقيدة فيه . ولهذا فأنها تقع كثيرا بين أهل الدين الواحد والملة الواحدة ، كما تقع بين أهل الأديان والنحل المختلفة ، وتقع بين المرء وأخيه وقريبه ، كما تقع بين الأبعد والأخلاق . ومن زعم أن الباعث على هذه الحروب النصرانية الأوروبية بين الأوربيين أنفسهم ، وبينهم وبين غيرهم من الأمم الوثنية وغيرها هو الدين ، وهو كفار كل أمة لأختها فهو كمن زعم أن الباعث للأتراك والأشراف وغيرهم على حرب الوهابيين هو الدين وعقيدة الكفر فيهم . ولكن أي حائل يزعم شيئا من هذا . فالحروب مجردة لم تكن قط دليلا على الاكفار أو القسح في الاعتقاد

تكفير المستفيث بالأموات .
وأما الشبهة الثانية ، وهي القولية ، فهي أن علماء أهل السنة أو علماء الوهابية في تعبيره هو ، يذكرون في كثير من كتبهم المطبوعة المشهورة أن أشياء كثيرة مما يأتيه المسلمون الجاهل وأمثالهم من الاشياخ الأغراب كفروا وضربوا لتوحيد والايمن في أنفسهم ، فيذكرون أن الاستغاثة بالأموات ، وسؤالهم

المطالب العليا التي لا يقدر عليها إلا الله ، وأن الانقطاع إلى الاجداث وكتابة الرقاع ورفعها إلى سكانها : يذكرون أن ذلك كله وأمثاله هو من أعمال المشركين ومن المنكرات التي جاءت أديان الله كلها منادية ببطانها وفسادها ومنافاتها للتوحيد وللإيمان . ويذكرون أن هذا كله وثنية في الصورة والمعنى ، وثنية كثيفة صريحة باطلة . هذا ما يذكره هؤلاء العلماء وهذا مالا شك فيه لديهم ولدى جميع العارفين بحقائق الدين .

فقال هؤلاء المعارضون الخيالون الحريصون على هذه البدع والمنكرات : إن هذه الأقوال والآراء إما كفار للمسلمين ظاهر لأن المسلمين كلهم يعملون تلك الأعمال ويمتدحونها ويدعون إليها ويرونها من الدين والاسلام . فالوهايون إذن أصحاب هذه الأقوال والآراء يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم وأموالهم هذه هي الشبهة القولية .

والجواب أن يقال : لا ريب أن العلماء يقولون ذلك ويدونونه في كتبهم . ويصرحون به ، ولا ريب في أن ذلك حق كله لا باطل فيه كما سوف ترى الدلائل عليه . ولكن هذا لا يصدق ما قاله الرافضي وإخوانه لأمرين اثنين : أول الأمرين أن هذه الأشياء المنكرة المبتدعة لم يتفق المسلمون عليها في عصر من العصور ، لا القريبة ولا البعيدة ، ولم يتفقوا على الرضا عنها ، ولا على أنها من الدين أو مما يجوز في الدين . بل مازال المسلمون العارفون بأسرار الاسلام وحقائق الدعوة الحممدية ينهون عنها ويوردون دلائل الله على بطلانها وخلافها على دينه وشرعته ، وقد وضعوا المؤلفات الكثيرة في هذا . فالمسلمون لم يجمعوا إذن على تلك المنكرات الباطلة حتى يقال إنه يلزم القول بأنها كفر وشرك وإكفار المسلمين والحكم عليهم جميعاً بالردة والضلال . ومارضى ذلك الزور الاعتقادي إلا الجاهلاء الأغبياء كما سوف يحى البيان . فنبطلت الشبهة إذن .

قد يندر ونأى الأمرين أنه لا يلزم حكمهم بأن الأمر كفر وشرك ، أن يكون كل فاعل الجاهل شرعاً له مشركاً كافراً . وذلك أنه قد يكون لقيام الوصف بالفرد المعين موانع ، والموانع كثيرة . ومثل هذا دخول العامل للمعصية الخاصة الموعد عليها تحت الوعيد الخاص . فأننا نعلم أن الشريعة قد أوعدت أصناف العصاة والمسيئين بالعذاب والنكال الشديد ، ففي الزناة وعيد وفي السارقين وعيد ، وفي القاتلين وعيد ، وهكذا ، ولكن لا يلزم أن يدخل تحت ذلك الوعيد كل من قارف إحدى هذه المعاصي ، إذ قد يكون لديه مانع في نفسه أو في غيره يمنع دخوله تحته . وذلك المانع قد يكون أعمالاً صالحة كثيرة عملها ذلك المعاصي كفرت سيئاته وغفر له ذنبه من أجلها . وقد يكون المانع مصائب مؤلمة أصابته فتلقاها بالصبر والرضا والتسليم فاستحق الغفران والصفح . وقد يكون المانع غير ذلك . وهكذا هؤلاء العاملون لهذه الأعمال الباطلة الوثنية من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والانتفاع إليهم ، وكتابة الرقاق ورفعها إلى أصحاب القبور ، وغير ذلك مما ابتلى به المسلمون فغيروا به معالم دينهم وحقائقه الأولى الناصحة - لعل الله يقيم لهم عذراً لجهلهم والجيل قد يكون عذراً مانعاً من المواخذة والعقاب الأخرى إذا ما كان ذلك الجاهل حسن القصد نقي النية صادق الاتجاه إلى الله ، وإذا كان حريصاً على الحق وعلى العمل به متى بان ووضح له ، ومتى بذل أقصى جهده في تطالب الحقيقة والتماسها ومتى لم يكن للهوى عليه سلطان ولا للتنصب في وجه الحق لديه مكان . . فمثل هذا المرء قد يعذره الله ويفر له خطأ وقع فيه رغم أنه وأنف رغبته الشديدة الأكيدة في أن يكون أبداً مع الحق وأن يكون أبداً مجانباً الباطل والضلال ، والله أعلم بما في قلوب خلقه من صدق وكذب وإخلاص له واتباع للاهواء والشهوات وأعلم بمن يليق به الغفران والعفو والصفح الجميل . ونحن عباده لا نتقدم بين يديه بحكم ولا نقول عليه مالم نعلم ومالا يدخل في دائرة حقنا ، وربك الفعال لما يريد

وهذا نظائر شرعية كثيرة لا يمكن نسيانها ولا نكرانها .

ومما يقرب إلينا فهم ذلك ويكشفه أننا نعلم أن الميتة محرمة على المسلم تحريماً باتاً صريحاً ، ونعلم أن من قارف المحرم فقد تعرض لغضب الله وعقابه . ولكن لو أكل مسلم لحم ميتة غير عالم بأنها ميتة لما قيل شرعاً : إنه أكل محرماً عليه ، وإنه تعرض لما يغضب الله عليه . بل لا شك أنه في ذلك معذور بجبهله غير ملوم ولا مؤاخذ ، وأنه لم يتعرض لغضب الله ولا لعقابه . وهذا لأنه جاهل ، ولأنه لم يرد أن يقارف مانهاه الله عنه ولم يقصد محادثته وعصيانته تعالى . ويقرب هذا أيضاً أن الله قد أوعد من لم يحكم بما أنزل أشد الإبعاد فقال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » وفي آية « الفاسقون » وفي أخرى « الكافرون » . ولكن لو حكم مسلم صالح بغير ما أنزل الله غير عالم بما أنزل وغير عالم بأنه خالف ما أنزل لم يسنل تحت هذا الوعيد الصارم ، ولم يصح إطلاق ذلك عليه ولا وسمه بتلك السمة الهائلة الراجعة من الكفر والظلم والفسق والحكم بغير ما أنزل الله . بل ذلك المسلم معذور إذ أخطأ مغفوره ذنبه شأن أئمة الاسلام ، إذ لا يسلم من أن يقع في الخطأ إنسان عدا من عصم الله من الانبياء والمرسلين . هذا مع أن ظاهر الآيات دخول كل من أخطأ حكم الله تحت وعيدها . ومثله أن المسلمين يعلمون جميعاً بأن من ترك سنة النبي عليه الصلاة والسلام أو ترك حكم الله رغبة عنه وتفضيلاً لسواه عليه فهو مرتد كافر بالاجماع . ولكن كثيرين من فضلاء المسلمين وخيارهم يقع ذلك منهم اجتهدا وخطأ كثيراً . وكل من رأى منهم رأياً واجتهد اجتهدا يخالف في نفس الأمر ما أنزل الله وما أتى عن رسوله يعتقد ويقول إن ذلك الرأي وذلك الاجتهاد المخالفين لحكم الله هما أفضل من حكم الله الذي أخطأه وعزب عنه ، ولولا ذلك الاعتقاد لما أخذ بما رآه وبما أدى إليه اجتهدا . ولكن هؤلاء المسلمين المجتهدين المخالفين لسنة النبي ولحكم الله باجتهدا لا باختيارهم وأهوائهم لا يتناوهم

وعيد من خالف حكم الله أو سنة نبيه رغبة عنهما وتفضيلا لغيرهما عليهما .
ونظائر هذا كثيرة معلومة . وهذا كله بناء على الفرق بين العالم والجاهل ، بين الذي
ترك الحق جهلا وخطأ ، والذي تركه عنادا وكبرياء ، أو زهدا فيه وتقصيرا عن
طلبه . وقد فرق الدين والعقل بين الفريقين ، فلا يستويان جزاء وعقبي ، لا عند
الله ولا عند عباده ، لافي قضاياء العقول ولا في أصول الدين .

إذن لا يلزم القول بأن الاستغناء بالأموال والالتقاط إلى القبور شرك وثنية
كثيفة سخيصة أن يكون كل من وقع منه ذلك كافرا مشركا صائرا إلى مقت الله
وقمته وفاره ، لجواز أن يكون للحقوق هذا الحكم وهذا الجزاء بالشخص المعين .
مانع أو موانع ، إذ مامن حكم من الأحكام إلا وقد يكون له موانع ، سواء في ذلك
الحكم الشرعي وغير الشرعي من الوضعي والعادي والعرفي . وهذا ما يقال له :
تعارض المانع والمقتضى

وبهذا البيان تبطل الشبهةتان ويضح أن الوهابيين بريئون من هذه التهمة
التي هي إكفار المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وقتالهم . وما كانت براءة
هؤلاء من هذه البهينة تحتاج إلى تأليف الحجج وصناعة البراهين لولا أنه مامن
قول يقال ولا رأى يبدي ، مهما أعرقا في أنساب الباطل والضلال ، إلا وجدا
آذانا سمعية وقلوبا واعية مفتحة الأبواب .. فان للكنب والكاذبين أنصارا
مخلصين ، كما أن للصدق والمصادقين أنصارا كذلك مخلصين ، ولكن الله الذي
جعل الكذب حلوا في مذاق الباطل جعل الصدق أحلى في مذاق الحق . هذا ما يقال

لا ريب أن
المسلمين قد
أحدثوا في
الدين
عن قوله : إنهم يكفرون المسلمين ، وإنهم فرعوا على ذلك وجوب قتالهم واستحلال
دمائهم وأموالهم ، وإن دارهم دار حرب وشرك تجب الهجرة منها إلى ديار الوهابيين .
وأما قوله : « وإن المسلمين قد ابتدءوا في الاسلام » فيقال عن ذلك :
لا شك . ولا عتاب غير مسلم في أن المسلمين وقع فيهم ومنهم ابتداء كثير في

العبادات والاعتقادات ، وفي أصول الدين وفروعه ، ولا شك أن من اعتقد بأن جميع ما يأتيه المسلمون اليوم وقبل اليوم بقرون كثيرة من الاسلام ومن صميم الدعوة المحمدية فقد أساء إلى الله وإلى رسوله وإلى دينه إساءة بالغة منكرة يستحق عليها التأديب والعقوبة الرادعة الوجيعة . ومن زعم أن دين الاسلام هو هذا الذي صار إليه جمهور المسلمين وعامتهم ودهماؤهم من الغباوات والجهالات والترهات العملية والاعتقادية والقولية ، فقد أعظم الفرية على الله وبالغ في هجم خيرة الأديان . وما أبعد ما عليه الناس اليوم وقبل اليوم بقرون كثيرة متقادمة عما كان عليه رسول الله وما كان عليه أصحابه ، وما أعظم الفرق بين الدين في القرآن وفي السنة وبين الدين عند عامة المسلمين ، وما أ كذب من زعم أن الاسلام لم يزل نقيا طاهرا خالصا ، كما جاء وكما نزل على خاتم الأنبياء لم ينله خطل في القول ، ولا سخر في الاعتقاد ، ولا فضيحة في العمل ، وما أ كذب من زعم أن جميع المسلمين لم يزالوا محافظين على حقائق الاسلام الأولى ، وعلى أقواله وعقائده وكل شيء فيه كما جاء منذ جاء ، لا انحراف ولا ميل . وما أسخف من زعم أن عامة المسلمين طيلة هذه المصور العجفاء لم ينالوا دينهم - ولم ينله غيرهم فيقبعوه - بالتبديل والتغيير والافساد والقشوية ! !

فماذا يريد الشيعي بما قال ؟ أ يريد أن الوهابيين قد اخطأوا إذ قالوا إن المسلمين قد أصابوا دينهم بالابتداع والخلاف له ، أم يريد أنهم أصابوا إذ قالوا ذلك ؟ أمادح هو أم قاذح ؟

ما أعجب أمر هؤلاء الشيعة ! هم يقولون إن المسلمين بعد وفاة نبيهم كفروا ما أعجب أمر وارتدوا ، وهذا كان مصير كبار الصحابة كالخلفاء الثلاثة ومن ساروا سيرتهم ، الشيعة ! ويقولون إن أهل السنة جميعا كفار مرتدون ! وبعد هذه السوءاء يقومون يردون على من قالوا إن المسلمين المتأخرين قد ابتدعوا في دينهم وأدخلوا فيه ما ليس منه

خطأ وجهلاً نعم ، ما أعجب أمر هؤلاء الشيعة ! يعتقدون أن أهل السنة لم يزالوا يتقلبون في البدع والمنكرات والضلالات ، ولم يزالوا يتخبطون في حضيض الفوايات ، ويعتقدون أن أمر أهل السنة أكثره ابتداع في ابتداع ، وأن أصل أمرهم قائم على الابتداع ، الابتداع الكافر الموبق ، وعندهم أن أمثال أبي حنيفة ومالك بن أنس والشافعي وأحمد بن حنبل من شر المبتدعين المحرفين للشريعة الخارجين على الدين . ومع هذا كله يقوون يدافعون عن الجهال وينضبون لهم إذا ما قيل إنهم ابتدعوا أو أحدثوا في الدين ما ليس منه خطأ وجهلاً ! !

ويحك يا هذا ! أما زعمتم أن بيعة الصديق والفاروق وعثمان وخلافتهم ومقام عليها بدع منكرة ، تقلدها المسلمون وباؤا بانتمائها ؟ ثم أما زعمتم أن غسل الرجلين في الوضوء بدعة ، وأن المسح على الخفين بدعة ، وأن تحريم متعة النساء بدعة ، ابتدعها عمر فقلده المسلمون فيها ، وأن صلاة التراويح بدعة ، وأن صلاة الضحى بدعة ، وأن الدعاء للخلفاء فوق المنابر يوم الجمعة بدعة ، وأن القول بالقياس بدعة وأن المذاهب الأربعة بدعة ، وأن الأذان الأول يوم الجمعة بدعة ، ابتدعها عثمان فاتبعها الناس ، وأن الكثير الغالب من عقائد أهل السنة وأعمالهم بدع فاحشة ، وأن هذا الابتداع قد نال الأصول والفروع : الاعتقادات والعمليات ، وأن كلامهم في النبوة وفي الخلافة والامامة والالهيات ابتداع في ابتداع : أما زعمتم أن أهل السنة قد ابتدعوا ذلك كله وأنهم مازالوا يبتدعون ويغالون في الابتداع حتى عدتهم من الفرق المهلكة ، وعدتم فرقتكم وحدها الفرقة الناجية ؟ ؟

إذن كيف تستطيعون أن تنكروا قول من قال إن كثيرين من متأخري المسلمين وجهلهم قد صاروا إلى الابتداع في دينهم من حيث لا يشعرون حتى شوهوه وابتدلوه ونسخوا محاسنه وألقوا عليها حججاً من المبتدعات الرخيصة المنكرة حتى رمقته الإبصار بالزراية والاحتقار

ونحن لا ندري هل الشيعي يريد امتداح الوهابيين أم فحاشهم حينما حكى
عنهم ما حكى . وذلك أنه لا يشك أحد لامن المبتدعين ولا من المحافظين المتبعين
في أن طوائف من المسلمين قد ابتدعوا في دينهم وأسرفوا في الابتداع . وكل
فرقة تزعم أن الفرقة المخالفة لها هي الفرقة المبتدعة ، وتزعم لنفسها أنها هي الفرقة
الراشدة المتبعة . وأهل السنة جميعاً يقولون ويعتقدون أن جميع ما خالفت به
الشيعية واختصت به دونهم هو مبتدعات بلا ريب . فلا يوجد مسلم واحد يزعم
أن المسلمين جميعاً سالمون من الابتداع والانحراف عن الصراط الأول ، صراط
محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام وصراط صحابته الأبرار . فما معنى إذن
تخصيص الوهابيين بذلك ، وما معنى الرد عليهم إذ قالوا : ما قلناه كل مسلم ؟ إننا
نسلم بالضرورة أنه لا يمكن أن يظل جميع المسلمين في جميع المصور محافظين ^{وقوع الابتد}
بدقة ووفاء على دينهم : اعتقادياته وعملياته وقوليته ، بحيث لا يخطئون ولا يضلون ^{ضروري}
وبحيث لا يزيدون ولا ينقصون ولا يغيرون : وبحيث لا يقولون إلا الحق لا عدا
ولا خطأ . فان هذا مما لا يتقبله العقل ولا العادة التي لا تختاف ولا تخطئ . فالقول
بان الابتداع قد أصاب المسلمين أمر قد دل عليه العقل دلالة لا ريب فيها ، وأمر
قد قضت به المادة قضاء لا مرد له . هذا من جانب النظر وحكم القياس . أما من
جانب الشرع وحكمة فان نصوصه المتواترة قد دلت دلالات مختلفة لا وضع
للخلاف والنزاع فيها على أن جماهير من المسلمين صأرون ولا محالة إلى ما صارت
اليه الأمم الغابرة الذاهبة . وهذه النصوص سوف نورد منها جملا في الفصل الآتي
بالعقل والنص والاجماع : كل ذلك قد دل على أن جماهير المسلمين سوف يقبضون
في الابتداع ولا محالة . فإذا إذن يريد أن يقول هذا المصنف الظالم ؟ إن كان يريد
أن الوهابيين يزعمون أن المسلمين جميعاً قد ابتدعوا فهذا كذب ، وإن كان يريد
أنهم يقولون إن طوائف منهم صاروا إلى ذلك فهذا لا ينكر . فإذا يريد أن يقول ؟

سبي ذريات
المسلمين
وكنب
الرافضي

وقوله : « وأما سبي ذراري المسلمين فهو مقتضى قواعد المذهب الوهابي »
فالجواب على هذا أن يقال : لقد علم الخصاص والعام والقاصي والداني أن الوهابيين
قد التحموا في حروب كثيرة معلومة في القديم والحديث : فحاربوا الأتراك وحاربوا
الأشراف ، وحاربوا غيرهم في عصور مختلفة وحالات مختلفة بقيادة غير واحد
من أئمتهم آل سعود ، وإمامة غير واحد من علمائهم آل الشيخ محمد بن عبد
الوهاب صاحب هذا الاصلاح القائم المنشور ، وبإمامة غير آل الشيخ من
علمائهم المعروفين . وقد ملكوا النصر في غير وقعة من حروبهم وشتتوا قوات
محاربيهم وخصومهم أروع تشتيت . ولكنهم مع ذلك كله لم يفعلوا مرة واحدة
الذي اتهمهم به الرافضي الظالم ... وحروبهم ومواقفهم ليست مما يخفى على الناس
ولما يعرفه فريق دون فريق حتى يمكن أن تروج مثل هذه الكذوبة أو أن يخفى
على أحد أمرها . ولو أمكن أن يصدق كذبه أحد وقوله : إنهم يكفرون المسلمين
ويستحلون دماءهم وقتلهم وأموالهم ، لما أمكن أن يصدق قوله : إنهم يسبون ذراري
المسلمين ونساءهم . وذلك أن هذا كذب مكشوف مفضوح وهو مثل أن يقول
إن الوهابيين حينما فتحوا الحجاز الفتح الأخير قتلوا جميع النساء والأطفال
وحرقوا جميع البلاد ونهبوا جميع ما فيها من الأموال والمنافع ، وأنهم هدموا بيوت
الله الحرام وصدوا الناس عن أداء الحج . . . فان كان لا يجرؤ على اختلاق هذا
الكذب لأنه لن يصدق ديار فليعلم أن زعمه أنهم يسبون ذراري محاربيهم من
المسلمين مثل ذلك . فليكنذب إن شاء أو ليدع .

يا هذا ! إن الوهابيين ليسوا من سكان الميرج ولا من سكان الاجرام العلوية
حتى يحتمل كل هذا الكذب عليهم ، بل هم سدة بيت الله وجيرة حرمة ،
يلتقي بهم المسلمون كل عام من كل فج و صوب ، ويعرفون عنهم وعن عقائدهم
ودينهم مالا يعرفونه عن أهل بلادهم التي ولدوا وربوا فيها . فالمسلمون لا يجهلون

أمر الوهابيين ولا يخفى عليهم ما هم عليه من الديانة واستقامة المذهب ونصاعة الاعتقاد . فالكاذب عليهم سىء إلى نفسه لا إليهم ، محترق لمن أراد منهم أن يقبلوا كذبه وإن أراد احتقارهم هم .

وأما زعمه أن سبى الذرية هو ما يقضى به المذهب الوهابي ، وأنهم إن لم يفعلوا ذلك كانوا متناقضين ، لأنهم يكفرون المسلمين وذريات الكفار المحاربين تسبي وتستحل ، فالجواب عن هذا الزعم أمران : أولهما أننا قد بينا أنهم بريئون من إكفار أحد من المسلمين ، وأن هذه دعوى كاذبة عليهم . وثاني الأمرين أن نذكر الشيعة بحروب علي بن أبي طالب وحروب أئمة الشيعة الآخرين .. فان علي بن أبي طالب قد حارب عسكر طلحة والزبير وعائشة وحارب جيش معاوية ابن أبي سفيان ، وحارب الخوارج . وهؤلاء الذين حاربهم علي رضي الله عنه كلهم كفار مرتدون عند الشيعة لا يشكون في كفرهم ولا في ارتدادهم . ولكن عليا لم يسب ذرية هؤلاء الكفار المرتدين ولم يستبح شيئا من ذلك ، مع أنه قاتلهم وتغلب عليهم أحيانا ، ومع أنه معصوم لدى هؤلاء القوم لا يقول ولا يفعل إلا الحق الصواب وإلا ما أراد الله . وهذا لا خلاف فيه عندهم ، فاجواب المعارض عنه وما رآه فيه ؟ أيقول إن عليا كان متناقضا إذ لم يسب الذرية ، أم يقول إنه كان مخطئا ضالا ، أم يقول إن أولئك القوم كلهم ليسوا كافرين ولا مرتدين بل هم مسلمون مؤمنون ؟ ؟ إنه لا يقول شيئا من ذلك كله لأنه خلاف مذهبهم الجمع عليه . فماذا يقول وبماذا يجاوب ؟ ليفكر في الجواب طويلا .

وأما قوله : « إنهم قسموا التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية ، وهو الاعتقاد أن الله هو الخالق المالك للأمر ، وتوحيد العبادات ، وهو صرف العبادة كلها لله » فالجواب أن نقول : ما كنا نظن أن مسلما يخالف في أنه مطلوب من المسلم أن يؤمن بأن الله هو الخالق لكل شيء وهو المالك المدبر لجميع الأمور ، لا شريك

توحيد
الالهية
وتوحيد
الربوبية

ولا معين له ، ثم مطلوب منه بعد ذلك أن يصرف عبادته كلها ظاهرها وباطنها ، صورها وحقيقتها إلى ذلك الخالق الرازق القابض على ناصية كل شيء ! ولا خلاف بين المسلمين في أن هذين الأمرين هما أول ما يطالب به المسلم ليكون مسلماً مؤمناً موحداً ، ولا خلاف بينهم في أن المرء لا يكون مسلماً ناجياً إلا إذا جمع الأمرين لله ثم أخلص في جمعه لهما ظاهراً وباطناً ، ولا خلاف بينهم في أن أحدهما لا ينفع دون الثاني ولا ينجو به العبد من عذاب الله وعقابه ، ثم لا خلاف بينهم في أنهما أمران متباينان متغايران مفهوماً وحقيقة ، لفظاً ومعنى . كل هذا لا خلاف في شيء منه بين المسلمين وإن اختلفوا في مآله من الأصول والفروع . فإذا إذن يريد الشيعي بما قال ، أهو جاد أم هازل ؟

ولا يجهل أحد من الناس أن من آمن بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور صغيرها وكبيرها ، لا شريك له ولا نديد ، ثم وقف عند هذا إزاء ربه وذهب يعبد غيره من الأموات أو من الأحياء : لا يجهل أحد أن مثل هذا المرء مشرك بالله العظيم كافر به ، مصيره إلى عذاب الله وأليم عقابه . ولا يجهل أحد من الناس أن هذا ممكن ، أي ممكن أن يؤمن العبد بأن الله هو الخالق وحده ، الفاعل لكل شيء ثم بعد هذا الإيمان يظل يعبد خلقه تعالى على اعتبار من الاعتبارات ووجه من الوجوه التي تلقى بالإنسان أحياناً كثيرة في حضيض الشرك وتحت أقدام المخلوقين الضعفاء الماجزين ، يعبدهم ويرجوهم كما يعبد ويرجو ربه العبد المؤمن الموحد الخالص من الشرك والضلال . ولا يجهل أحد أن المؤمن بالله حقاً ، الموحد حقاً ، هو من آمن بأن الخلق والأمر كله لله رب العالمين ، ثم خص صاحب الخلق والأمر بعبادته كلها . فإن من خلقتك وحده كان من حقه عليك أن تعبد وحده ، ومن لم يخلق فيك شيئاً لم يكن من الحق أن تهبه من عبادتك شيئاً ، وإلا كنت من الجاهلين الظالمين المعتدين . ومن شر الجهل أن

لا ينجو المرء
إلا بالتوحيد
معا

تجهل حق من وهبك الوجود والحياة لكل شئ فيك وكل شئ لك ... ثم لا يجهل أحد أن هذين الأمرين ، أو التوحيدين ، أمران مختلفان متباينان حقيقة ومفهوماً واشتقاقاً ومادة ، وأن أكثر الذين نازعوا الرسل والأنبياء الطاعة والإيمان كانوا مقرين بالتوحيد الأول منكرين للثاني لا غير . وقد دل على ذلك جملة القرآن وجملة الدين ، قال الله تعالى « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » قال المفسرون من السلف والخلف في معنى الآية : تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله ، ومع هذا يعبدون غيره من الأوثان والاصنام . والآيات في هذا المعنى كثيرة ملوثة ، وسوف نورد منها نماذج فيما يأتي وفي غضون الكتاب كله . وقد ذكر القرآن وجه الجمع بين هذا التوحيد وهذا الشرك عند المشركين فقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، وقال : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » . فعقيدة المشركين والمؤمنين قائمة على التسليم بأن الله هو غاية الغايات ، المنفرد بصفات الخلق والرزق والإيجاد وسائر معاني التكوين ، لا شريك له في ذلك ولا معين . . . أما الآلهة المعبودة من دونه تعالى فغاية ما يرجونه منها جزاء عبادتها أن تقوم بوظيفة تقريرهم إلى الإله الأعظم ، غاية كل موجود ، ومصدر كل خير ولطف في هذا الوجود ، وأن تؤدي وظيفة الوسيط الصادق الخاص بينهم وبين رب العالمين . فهم معترفون بتوحيد ، منكرون لتوحيد ، ولكن ذلك الاعتراف لم ينفعهم شيئاً مع ذلك الإنكار . فلم يجدهم توحيد الربوبية وهم مشركون في توحيد الألوهية . فكان من أغراض ابتعاث الرسل أن يدعوا هؤلاء المشركين في العبادة إلى التوحيد فيها . وكانت دعوتهم جميعاً لأقوامهم : « اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله » . ولهذا لم يكلفوا دعوة أقوامهم إلى الإيمان بوجود الله والإيمان

إيمان
المشركين بأن
الله الخالق
لكل شئ

بأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، إلا في ما قل وشذ كفرعون، وذلك الذي
 حاج إبراهيم في ربه - على خلاف في هذا - وإنما كلفوا أن يدعوا أقوامهم إلى
 إخلاص العبادة كلها لله . ولهذا يقل أن تجدد في القرآن إذ تقرأ قصص الأنبياء
 وقصص أقوامهم أن نبيا من الانبياء قال لقومه : آمنوا بأن الله الخالق لكم
 الخالق لكل شيء ، أو قال لهم : اعلّموا أنه لا خالق إلا الله ، أو مالكم تعتقدون
 بأن مع الله خالقين آخرين متعددين أو نحو ذلك . ولا جاء أنهم أنكروا توحيد
 الربوبية أو نازعوا أنبياءهم فيه ، وما كان إنكارهم إلا مثل ما قالوا : « أجعل
 الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجيب » . ولا خلاف في أن الكلمة التي يطلب
 بها المشرك ليكون مسلماً هي كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنه لو قال :
 الكلمة التي لا خالق إلا الله لما صار بهذه الكلمة مسلماً ولا مؤمناً . وهذا لأن الكلمتين
 يصير بها المرء ^{مسلماً} مختلفتان ، ولأن المشركين كانوا مؤمنين بالثانية دون الأولى . ومن ثم كانت
 كلمة : « لا إله إلا الله » أفضل الكلام كما قال النبي عليه الصلاة والسلام :
 أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله . وقد جاءت هذه الكلمة في
 مالا تقدر على إحصائه من الأذكار : والمسلمون يقولونها في مواضع يعز احصاؤها
 وحصرها من مواضع عباداتهم اليومية وغير اليومية ، ويقولها المسلم في يومه وليلته
 عشرات المرات ، بل مطلوب من كل مسلم أن تكون هذه الكلمة هي هجيره
 وأنشودته المرتلة في الليل والنهار ، وأن لا يزال لسانه رطباً بها ، وقلبه محشواً
 بمعناها : يفرغ إليها كلما حزبه حازب ، وكلما هم بالاقدام على أمر جسيم أو غير
 جسيم . وقد كان عليه السلام يقول لما سأله عنه أبو طالب ما تريد من قومك يا ابن
 أخي ؟ فيقول : « أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها المعجم
 الجزية » قال كلمة واحدة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « كلمة واحدة . قولوا لا إله
 إلا الله » فيقولون « أجعل الآلهة إلها واحداً . إن هذا لشيء عجيب » .

وأما كلمة لا خالق إلا الله فلم يرد على ما أذكر أنها من الذكر المرغوب فيه ككلمة لا خالق المثاب عليه . بل لا أذكر أنها من الأذكار الإسلامية مطلقاً ، بل هي مثل أن يقال : الله موجود وأزلى وقديم وأبدى ، ونحو هذا مما يشترك في الإقرار به ومعرفة المؤمن والكافر والموحد والمشارك ، وبما لا يدل على الإقرار بالله بالعبودية التي عليها يقوم الحساب ، والثواب والعقاب . فالكلمتان مختلفتان معنى ولفظاً ومادة واشتقاقاً . والتوحيد توحيدان : توحيد عبادة وتوحيد ربوبية ، والإسلام مؤلف من التوحيدين معاً ، والثواب لا ينال إلا بهما معاً ، والتوحيدان غير متلازمين ، فقد يوحد الربوبية من ينكر توحيد العبادة ، وهذا كان شأن المشركين ، وهذا هو مرض الإنسانية في كل عصورها ، وهذا هو المرض الذي أصاب جماهير من المسلمين كما أصاب سواهم من أهل الأديان الأخرى . فأصابهم غضب الله ومقتته . . . وهذه أمور أولية لا يختلف فيها أهل العلم . ولو أردنا إيراد النقول فيها لطال بنا القول . وسوف تجيء أشياء من ذلك في أثناء الكتاب وفي مواضع منه . فلا ندرى ماذا ينكر الرافضى وماذا يعيب على الوهابيين . والأفطع قوله : « وقالوا الكفر نوعان : مطلق ومقيد ، فالمطلق أن يكفر بجميع ما جاء به الرسول ، والمقيد أن يكفر ببعضه . . . »

وما كنا نحسب أن إنساناً بلغ رتبة التأليف في أصول الدين وكبريات المسائل الإلهية يروح ينزع في أن الكفر منه مطلق ومنه مقيد ، وأن الكافر قد يكفر بالكل وقد يكفر ببعض ويؤمن ببعض الآخر . وأن الناس منهم قوم خالصون للكفر والالحاد والانتكار العام التام ليس فيهم للإيمان شيء ، ومنهم فريق آخر آمن وكفر ، آمن بشيء وكفر بشيء . وقد قال الله في هذا الفريق : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » ، وقال : « ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا

للكافرين عذاباً مهيناً » . وقال : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض »
الكفر المطلق ومن ذا يشك في أن من آمن بالقرآن كله خلا سوراً أو آيات ، أو آمن بالقرآن
والكفر المقيد كله ثم كفر بالسنة كلها ، أو آمن بفرائض الاسلام كلها ما عدا فريضة الصلاة أو
الصيام أو الحج ، أو آمن بالجنة وكفر بالنار ، أو آمن بالثواب وكفر بالعقاب ، أو
آمن بالغيب كله ثم كفر بالملائكة أو بالجان : من يشك في أن من آمن كذلك
فهو كافر ببعض مؤمن ببعض فهو كافر كفرةً مقيدة ؟ ومن ذا يشك في أن من
كفر بذلك كله وبالأديان كلها وبالإله وبالأنبياء والكتب كلها : من يشك في أن
ذلك كافر كفرةً مطلقة ، كفرًا تاماً خالصاً ؟

وإذا كان هذا لا ينزع فيه إنسان فما ينكر الشيعي على الوهابيين إذ قالوا :
إن الكفر منه مطلق ومنه مقيد ، ومنه الكفر بكل والكفر ببعض ، ومنه النام
ومنه الناقص ، وهذا يقوله الناس جميعاً : يقوله المؤمن ويقوله الكافر ، لا يختلفون
فيه لأنه بدهي ضروري لدى الجميع ، لأن العلم به من العلم بأن الشيء المنتقسم
كلاً وجزئاً وأن الكل أكبر من الجزء أبداً ؟

إذا كان مثل هذه المقالة من معائب الوهابيين وأخطائهم عند الشيعة فلا أقل
الله معائبهم وأخطائهم ، ولا أكثر من صواب مخالفتهم وفضائلهم ، إذا كانت هي
ما يحذو به هذا الشيعي وإخوانه .

هذا ومن الأكاذيب التي ذكرها في الفصل المذكور أنه روى قلا عن
شيخ الكذب دحلان أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان ينهى الناس عن
الصلاة والسلام على النبي ليلة الجمعة ، وأنه قتل مؤذناً صالحاً كان يجهر بذلك فوق
المنارة بعد أن نهاه فلم يدع ، وأنه قال : إن صوت الربابة في بيت الزانية لأقل
إثماً من ينادى بالصلاة فوق المنارات ، فهذا كله من الكذب المنفصوح .

﴿ هل المسلمون في أمان من الشرك ؟ ﴾

ثم قال الشيعي في خاتمة هذا الفصل : « وحيث ذكرنا معتقدات الوهابية إجمالاً فيناسب أن نذكر هنا بعض ما يدل إجمالاً على فساد شبهتهم بشرك جميع المسلمين وهو ما رواه البخاري ومسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف الدنيا أن تنافسوا فيها » وفي رواية لمسلم « أن تنافسوا فيها وتقتلوا قهلكوا كما هلك من قبلكم ». ولو كان كما زعمت الوهابية من أن الناس أشركوا قبل ظهورهم وأنهم جاءوا ليدعواهم إلى التوحيد للزم تكذيب هذه الأحاديث كلها . وقوله ﷺ « إن الشيطان قد آيس يأس الشيطان أن يعبد في بلدكم هذا أبداً ولكن ستكون له طاعة في بعض ما تحترقون من أن يعبد في أعمالكم فيرضى بها ». رواه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه . وهذا جزيرة العرب ينافي حكم الوهابيين بأشراك أهل مكة ، بل قالوا إنهم لم يروا بلداً تعبد فيه الأموات والقبور مثل مكة . وقوله عليه الصلاة والسلام « إن الشيطان قد آيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن رضى منهم بما دون ذلك ، بالمحقرات وهي الموبقات » رواه الحاكم وصححه وأبو يعلى والبيهقي . وفي رواية أنه عليه السلام قال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب » ومكة والمدينة من جزيرة العرب قطعاً بل قد حكى في النهاية عن أنس بن مالك أنه قال أزد بجزيرة العرب المدينة نفسها . وهذا ينافي حكمهم بأشراك أهل الجزيرة بعبادة الأصنام عداً نجداً . وقال عليه السلام : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ذكره ابن الأثير في النهاية . وفيه من المبالغة في ثبوت الإيمان ورسوخه في المدينة مالا يخفى المنافي لما يذهب إليه الوهابية من رسوخ الكفر فيها وجعل بلادهم بلاد الإيمان » انتهى كلام الرافضي . ونقول : يريد الشيعي أن يقول إن هذه الأحاديث نصوص صريحة في أن المسلمين لن يكفروا ولن يشركوا ، والوهابيون يزعمون أنهم قد

كفروا وأشركوا ، أو قد أشرك وكفر طوائف منهم ، فالوهابيون كاذبون غالطون .
وعلى هذا يجب أن يقال إن كل ما يقع من المسلمين مما يحاكى الشرك والكفر أو
مما يقال إنه كفر أو شرك ليس كفرا وليس شركا . وذلك كالأستغاثة بالأموال
والا تقطاع إليهم والمعكوف على أجدانهم رغبة ورهبة ، لأن هذا كله مما فعله
المسلمون وأقروه ورضوه ، والمسلمون كلهم أعمالهم كلها إسلام وإيمان وهم لن
يفعلوا ما هو شرك وما هو كفر ولن يرضوا ذلك أو يقروه للأحاديث السابقة . فهذا
الذي يقع في أضرحه المشايخ من عامة المسلمين وجهالهم ليس بمناف للإسلام ولا
بمخالف لأصوله ولا لفروعه بل هو كله من الدين ومن عمل المسلمين . فما قال
الوهابيون في هذه المطالب وما كتبوه وذكروه وانتحلوه باطل باطل وخطأ خطأ .
هذا ما يريد أن يقوله الشيعي ، والجواب أن نقول : إما أن يريد أن هذه
النصوص دلائل على أن المسلمين لن يكفروا ولن يشركوا كلهم ، أو يقول : إنها
دلائل على أنه لن تقع طوائف منهم في شيء من ذلك ، وعلى أنه لن يكفر ولن يشرك
أحد من المسلمين ولا أحد من أهل مكة والمدينة والحجاز والجزيرة العربية . ولا
انفكاك له من أن يريد أحد الأمرين . فان كان يريد الأول قلنا هذا حق وصدق
فان المسلمين لن يكفروا ولن يشركوا كلهم ، بل لن تزال طائفة منهم على الحق
لا يضرهم خادهم ولا مخالفتهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، ولن يزال هذا الدين
القيم قائما في الأرض معروفا بين طوائف من أهله وإن قلوا وضعفوا . هذا حق
لا ريب فيه . وأما إن كان يريد الثاني أي يريد أنه لن يشرك أحد من المسلمين
أو يكفر ، ولن يقع في الحجاز أو بلاد العرب أو البلاد الإسلامية شيء من الشرك
والكفر والخروج عن الإسلام الصحيح ، قلنا : هذا ممنوع باطل ، ليس صحيحا
لاعقلا ولا تقلا ولا نظرا . بل إن المسلمين كثيرهم من أهل الأديان الأخرى
السابقة لا بد أن يقع منهم التغير والتبديل والخروج على دينهم الصحيح المأثور ،

ولا بد أن تتراعى طوائف منهم فيما ترامت به الامم الاولى من الشرك والكفر والجهل والخروج على أمهات الدين الجليلة الواضحة ، وهذا ما تبدل عليه النصوص والنظر : أما النصوص من الاسلام نفسه فانها متواترة في أن جماعات من المسلمين سوف يصابون بداء الأمم وداء الانسانية العتيد التليد ، بعبادة المخلوقين العاجزين الضعفاء ، وعبادة الأموات من أهل الصلاح وأهل الفساد أيضا . وإذا دلت النصوص على ذلك دلالة واضحة لا ريب فيها لم يصح هذا الاحتمال ولا ذلك التأويل .

﴿ بعض النصوص الدالة على أن طوائف من المسلمين يصيرون إلى الشرك ﴾

قال مسلم في صحيحه بتبويب الامام النووي : باب ذهاب الايمان في آخر الزمان . حدثني زهير بن حرب ... عن أنس بن مالك أن رسول الله قال « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وفي رواية « لا تقوم الساعة على أحد يقول : الله . الله » وفي رواية غير مسلم « لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول لا إله إلا الله » رواه الامام أحمد . وقال أيضا مسلم في آخر الصحيح بتبويب النووي : باب اتباع سنن اليهود والنصارى . حدثني سويد بن سعيد . . . عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله . قال « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شهرا بشرا وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لا تبعتموهم » قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال « فن ١١٦ » وهذا الحديث ينقله علماء الشيعة عن أئمتهم ويدعون أنه متواتر ويحتجون به على الرجعة والايمان بهافي كتاب النجعة في الرجعة « وقد روى الخبر المذكور بعينه وبمضمونه (يشير إلى هذا الحديث) في كثير من أصول الشيعة وجوامعهم . ففي عيون أخبار الرضا في رواية حسن بن الجهم وسؤال المأمون للرضا : ما قولك يا ابن رسول الله في الرجعة فقال حق ، وكانت في الأمم السابقة وقد نطق بها القرآن . وقال رسول الله « يكون في هذه الامة كل ما كان في الأمم السابقة حذو النمل بالنمل والقنة بالقنة » . وقد ورد أيضا في الفقيه وإكمال الدين

اتباع المسلمين
للأمم الغابرة
واعتراف
الشيعة بذلك

الدين ، ومختصر البصائر ، والكافي ، وإعلام الوردى ، والاعتقادات لابن بابويه ،
 ونقل نظيره النكشي والعياشي في كتاب الاحتجاج والخرائج والجرائم في ذيل
 خطبة سلمان ، وذكره الطبرسي في مجمع البيان ، وحسن بن خازن القمي وابن طائوس
 في كشف المهجة والمجلسي والقمي في الاربعين ، والسيد بن طاوس أيضا في كتاب
 الفتن والملاحم بعدة طرق . وبالجملة الخبر من المتواترات ، وهو يصرح بأنه لا بد
 من أن يقع في هذه الامة كل ما وقع في الامة السالفة . ومنها إحياء الموتى ، فلا
 بد من وقوعه في هذه الامة . ونقل الميرزا محمد الاسترآبادي خطبة سلمان في ترجمته
 وفيها ذكر ذلك الحديث عن عبد الله بن سنان عن الصادق قال : خطب سلمان
 فقال : الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن قال : قال رسول الله في حق
 علي : « وصي وخليفتي » إلى أن قال : وقال « لتركن طبقا عن طبق سنة بني
 إسرائيل القذة بالقذة » انتهى كلام النجعة . . ص ٢٥ . ثم قال مسلم بتبويب
 النووي : باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة . حدثني محمد بن رافع . .
 عن أبي هريرة عن رسول الله قال : « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء
 عبادة اللات دوس حول ذي الخلصة » وكانت صنما تعبدونها دوس في الجاهلية . حدثنا أبو
 العزى كامل الجعدي . . . عن عائشة قالت سمعت رسول الله يقول : « لا يذهب الليل
 والنهار حتى تعبد اللات والعزى » . وقال أيضا بتبويب النووي : باب رفع العلم
 وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان . حدثنا شيبان بن فروخ . . . عن
 أنس بن مالك قال قال رسول الله : « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت
 الجهل ، ويشرب الخمر ويظهر الزنا » . حدثنا محمد بن عبد الله . . . قال قال رسول الله :
 « إن بين يدي الساعة أياما يرفع فيها العلم ، وينزل فيها الجهل ، ويكثر فيها الهرج ،
 هو الهرج القتل » . حدثني حرمة بن يحيى . . . أن أبا هريرة قال قال رسول الله : « يتقارب
 الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشيخ ويكثر الهرج » . قالوا : وما الهرج ؟

قال القتل . حدثنا قتيبة بن سعيد ... سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً أخذ الناس دواً وساءوا ففسدوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » . وقال أي مسلم والنووي : باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير واليمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الاوثان . ثم ذكر مسلم الأحاديث الدالة على أن أهل الخير واليمان ينهبون فلا يبقى إلا شرار الناس الذين لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً ، وأن الشيطان يتمثل لهم ويدعوهم إلى عبادة الاوثان فيستجيبون . وذكر أحاديث الدجال وأتباعه وأنه يظأ كل البلاد ما خلا مكة والمدينة .

وقال البخاري في الصحيح : باب قول النبي عليه السلام : لتبعن سنن من كان قبلكم . حدثنا أحمد بن بنونس . . . عن أبي هريرة أن النبي قال : « لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعاً بذراع » فقيل يارسول الله : كفارس والروم ؟ فقال « ومن الناس إلا أولئك » : ١١ حدثنا محمد بن عبد العزيز . . . عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه السلام قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبرا وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » . قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال . « فن » وقال البخاري : باب تغير الزمان حتى تعبد الاوثان . حدثنا أبو اليمان . . . أخبرني أبو هريرة أن رسول الله قال « لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليان نساء دوس على ذي الخلصة » ، وذو الخلصة طائفة دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية . وقال في باب علامات النبوة : حدثنا يحيى بن موسى . . أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يارسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجهنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم . قلت

وهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن ، قلت وما دخنه ؟ قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

وروى هو ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال لينادن أقوام يوم القيامة عن حوضي فأقول يا ربى أصحابى أصحابى ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم ما زالوا مرتدين على أعقابهم ، فأقول بعدا بعدا لمن بدل بعملى . ومن هذا الباب حديث افتراق الأمة المشهور الذى قيل فيه « وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة » . قيل من هى يا رسول الله ؟ قال « هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى » . ومن ذلك حديث الغربة المعروف الذى رواه مسلم فى الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام : بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء . وعن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان ، وإنه سيكون فى أمتى كتابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى . رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح . وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتى إلى أوثان يعبدونها من دون الله . رواه أبو داود الطيالسى فى مسنده . وقال الحافظ الهيثمى فى كتاب مجمع الزوائد : باب فى اتباع سنن من مضى . عن سهل بن سعد الأنصارى عن النبي عليه السلام قال « والذى نفسى بيده لتركبن سنن من كان قبلكم مثلاً بمثل » وعن شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ قال : « ليحملن .

شرار هذه الامة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة» رواه أحمد والطبراني ورجاله مختلف فيهم . وعن ابن عباس قال قال رسول الله : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم ، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم » . رواه البزار ورجاله ثقات . وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله : « أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله ، حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بمضهم فيجاءها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك لهم ويضحكون إليه » . رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه . وعن المستورد بن شداد أن رسول الله قال : « لا تترك هذه الأمة شيئا من سنن الأولين حتى تأتيه » . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . ثم قال الهيثمي : باب نقض عرى الاسلام . عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله قال « لننقض عرى الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ، وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة » . رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح . وقد ذكر الهيثمي أحاديث كثيرة في هذا المعنى .

إلى غير ذلك من الأخبار الصحاح الدالة على أن أهل الاسلام يغيرون كما غير من كانوا قبلهم . والأخبار في هذا متواترة لا يختلف أهل العلم في صحتها وصحة دلائلها ، ولا يختلفون فيها دلت عليه من أن طوائف من المدعين للاسلام يفسقون عن الاسلام الصحيح ويتكبرونه يأخذون عنه ذات اليمين وذات الشمال ويقعون جهالة وضلالة في الاشرار الجلي والخفي وفي الكفر الأصغر والأكبر ، بل وفي الالحاد والردة . وهذا كله مشهود مرئي يسمو على النزاع والخلاف سمو المحسوسات على ذلك . وقد وضع الفقهاء جميعا على اختلاف مذاهبهم أبوابا خاصة بأحكام المرتدين من المسلمين ، يقولون من قال كذا أو فعل كذا فقد ارتد ،

ويقولون : إن حكم المرتد المغير لدينه القتل الناجز لقوله عليه الصلاة والسلام : من بدل دينه فاقتلوه . وما اعترض أحد من أهل العلم على أبواب أحكام المرتدين ولا قال لماذا هذا والمسلمون لا يرتدون لقول النبي « إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب » ولقوله « وإنما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي » ولم يكن شيء من هذا لأن المسألة أظهر من أن يتناولها هذا الخلاف . فالمسلمون لا يتنازعون في أن طوائف من المنتسبين للإسلام ارتدوا وكفروا . ولا يختلفون أن هذا يقع لها كل عصر ، كما لا يختلفون أن جماعات من العرب ارتدوا بعد وفاة النبي عليه السلام فقاتلهم الصديق وقاتلهم الصحابة ، وقد قام متلبثون كاذبون في جزيرة العرب فضل بهم أقوام من المسلمين فقاتلهم الصحابة وقاتلهم الصديق حاجتوا أصولهم ، وكل هذا معروف . وهناك في كتب الفقه والحديث كتاب يسمى بكتاب قتال المرتدين أي المرتدين من المسلمين ، يذكر فيه أحكام الإسلام فيمن يكفرون ويشركون من أهل الإسلام وكيف يقاتلون . وكل هذا لا خلاف فيه كما قلنا ، فقيم خلاف الشيعي وقيم لفظه ؟ كيف ونحن نرى أمما كانت عريقة في الإسلام أمثلة السب في الدين الحمدي ، تنادي بحكوماتها اليوم بحرب الإسلام ومطاردة قرآنه وإسنانه وتهدم المساجد وتحدي المصلين والمتقين وتفندى نشأها وبنيتها بعداء القرآن ومحمد والإسلام والمسلمين وما يتصل بذلك من لغة وأدب وعادات ؟ كيف ذلك وقد تقلبت الأمور بالإسلام والمسلمين حتى صرنا نسمع جميع خطباء المساجد يلهمون بالخبر المشهور « إنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » وقد شهدنا المستمعين يطربون لهذه الكلمة لأنهم يجدون صدقها في كل مكان وفي كل بلاد المسلمين وفي أنفسهم أيضا . ويناسب هذا أن نورد كلمة قالها أحد أئمة القرن الثامن الهجري في التفجع على غربة الإسلام وانطماس سننه وفشو البع والمنكرات . ذلك هو ما ذكره الامام

الشاطبي في كتابه « الاعتصام ». قال في أول ذاك الكتاب تعليقا على حديث كلام الشاطبي بدأ الاسلام غريبا وسيمود غريبا كما بدأ : « ثم استمر تزايد الاسلام واستقام في فساد الناس طريقه مدة حياة النبي ومن بعد موته وأكثر قرن الصحابة إلى أن نبغت فيهم وفي فشو البدع نوابغ في الخروج عن السنة وأصغوا إلى البدع المضلة كبدعة القدر وبدعة الخوارج ، ثم لم تزل الفرق تكثر حسبها وعد به الصادق عليه السلام في قوله : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة » . وفي الحديث الآخر : « لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتمهم » .. وكان الاسلام في أوله مقاوماً بل ظاهراً وأهله غالبين ، وسوادهم أعظم الأسودة ... فسار على استقامة وجرى على اجتماع واتساق ، إلى أن أخذ اجتماعه في الافتراق الموعود ، وقوته إلى الضعف المنتظر ... وتكالبت على سواد السنة البدع والاهواء فتفرق أكثرهم شيعاً ، وهذه سنة الله في الخلق : أن أهل الحق في جنب أهل الباطل قليل ، لقوله تعالى : « وما أ كثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » وقوله : « وقليل من عبادى الشكور » . ولينجزن الله ما وعد به نبيه عليه الصلاة والسلام من عود وصف الغربة إليه ، فان الغربة لا تكون إلا مع فقد الأهل أو قتلهم وذلك حين يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة ، فيقام على أهل السنة بالثريب والتعنيف كما كان أولاً يقام على أهل البدعة طمعا من المبتدع أن تجتمع كلمة الضلال ويأبى الله أن تجتمع حتى تقوم الساعة ، فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادة وسمماً بل لابد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتى أمر الله ، غير أنهم لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء — استدعاه إلى موافقتهم — لا يزالون في جهاد ونزاع ومداغة وقراع ، فيضاعف الله لهم الأجر الجزيل ... فلما أردت الاستقامة على الطريق

وجدت نفسى غريباً فى جمهور أهل الوقت لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد ودخلت على سننها الاصلية شوائب من المحدثات الزوائد ، ولم يكن ذلك بدعاً فى الازمنة المتقدمة فكيف فى زماننا هذا ؟ فقد روى عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير ، كما روى عن أبى الدرداء أنه قال : لو خرج رسول الله عليكم ماعرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة . قال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم ؟ قال عيسى بن يونس : فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان ؟ وعن أم الدرداء قالت : دخل أبو الدرداء وهو غضبان ، فقلت : ما أغضبك ؟ فقال والله ما أعرف شيئاً فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعاً . وعن أنس ابن مالك قال : ما أعرف منكم ما كنت أعهد على عهد رسول الله غير قولكم : لا إله إلا الله . قلنا : بلى يا أبا حمزة . قال : صليتم حتى تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله ؟ وعن أنس قال : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ماعرف من الاسلام شيئاً ، قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة . ثم قال : أما والله على ذلك لمن عاش فى هذا المنكر ولم يدرك ذلك السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فمصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذلك الساف الصالح يسأل عن سبلهم ويتنص آثارهم ليعوض أجراً عظيماً ، وكذلك فكونوا إن شاء الله . وعن ميمون ابن مهران قال : لو أن رجلاً أنشرف فيكم من الساف ماعرف غير هذه القبلة . وعن سهل بن مالك قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة .. إلى ما أشبه هذا من الآثار الدالة على أن المحدثات تدخل فى المشروعات وأن ذلك قد كان قبل زماننا ، وإنما تتكاثر على توالى الدهور إلى الآن

« فتردد النظر بين أن اتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتاد ، فلا بد من حصول نحو مما حصل لخالفى العوائد ، لاسيما إذا ادعى أهلها أن ما هم عليه هو

السنة لاسواها ، إلا أن في ذلك العبء الثقيل مافيه من الأجر الجزيل ، وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح فأدخل تحت ترجمة الضلال - عائذا بالله من ذلك . إلا أنى أوافق المعتاد وأعد من المؤالفين لآمن المخالفين ، فرأيت أن الهلاك في اتباع السنة هو النجاة ، وأن الناس لن يغفوا عني من الله شيئاً . فأخذت في ذلك على حكم التدرج في بعض الأمور ، فقامت على القيامة ، وتواترت على الملامة ، وفوق العتاب سهامه ، ونسبت إلى البدعة والضلالة ، وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة . . . »

هذا بعض ما ذكره الامام الشاطبي في مقدمة كتابه « الاعتصام » وقد أطل الكلام في هذا النحو ، والكتاب كله موضوع للكشف عن البدع وأصولها ، وعما أصاب السنة والشريعة الغراء من أحداث ومبتدعات نكراء . وقد ألف محمد بن وضاح القرطبي الأندلسي أحد أئمة القرن الثالث الهجري كتاباً قيماً في هذا الموضوع سماه « البدع والنهي عنها » جاء فيه بالعجب العجيب من هذا النوع . وفي الكتاب فصل عنوانه « باب في نقض عرى الاسلام ودفن الدين وإظهار البدع » ننقل منه بعض ما يدخل في بحثنا :

عن حذيفة بن اليمان أنه أخذ حجراً فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً ، قال : والذي نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما ترون بين هذين الحجرين من النور . والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا تركت السنة . وساق بسند آخر عن حذيفة أيضاً رضى الله عنه أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال : إن هذا الدين قد استضاء بضائة هذه ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يذره على الحصاة حتى وادها ، ثم قال والذي نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفعون الدين كما دفنت هذه الحصاة وليسكن

علام ابن وضاح
في فشو البدع
والمحدثات

طريق الذين كانوا قبلكم حذوا القنّة بالقنّة وحذوا النعل بالنعل .
وعنه رضى الله عنه أنه قال أول ماتفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ماتفقدون الصلاة ولتنقضن عرى الاسلام عروة عروة ، ولتصلين نساؤكم حيضا ، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذوا القنّة بالقنّة وحذوا النعل بالنعل ، لا تخطئون طريقهم ولا يخطئ بكم ، وحتى تبقى فرقان تقول إحداها ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل من كان قبلنا ، إنما قال الله : « أقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل » ، لا يصلون إلا ثلاثا . وتقول الأخرى : أيها المؤمنون بالله كايامن الملائكة ! ما فينا كافر ولا منافق . حق على الله أن يحشرهم مع الدجال . قال ابن وضاح المؤلف : لم يعمل أحد من الأمم شيئا إلا استعمله هذه الأمة ، والخير بعد الانبياء ينقص والشر يزداد ، وإنما هلكت بنو إسرائيل على أيدي قرائهم وفتاتهم ، وسهلك هذه الامة على أيدي قرائهم وفتاتهم . ثم بعد هذا أورد الحديث المتقدم الذى فيه : « إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » . وعن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله قال : « كيف بكم إذا فسق شبانكم ، وطغت نساؤكم ، وكثر جهالكم » ؟ قالوا : وإن ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : وأشد من ذلك . كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر ؟ قالوا : وإن ذلك كائن يا رسول الله ؟ قال : وأشد من ذلك . كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟

وعن محمد بن على قال قال رسول الله ﷺ : ويح هذه الأمة ماذا بلقى فيها من أطلع الله ! كيف يكذبونه ويضربونه . قال عمر بن الخطاب يا رسول الله : الناس يومئذ على الاسلام ؟ قل : نعم يا عمر . قال عمر يا رسول الله : ولم يبغيضون من أمرهم بطاعة الله ؟ فقال : يا عمر ترك القوم الطريق فركبوا الدواب ولبسوا لين الثياب وخدمهم أبناء فارس وتزين الرجل منهم بزينة المرأة لزوجها وتبرجت النساء ، زيهن زى الملوك الجبابرة يتسمنون كالنساء فاذا تكلم أولياء الله

وأمرهم بطاعة الله قيل : أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة ، مكذب بالكتاب ، تحرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق . تأولوا كتاب الله على غير تأويله واستدلوا به أولياء الله .

وعن أبي الدرداء قال : لو خرج إليكم اليوم رسول الله ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة ، قال الأوزاعي : فكيف لو كان اليوم ؟ قال عيسى فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان ؟

وعن الحسن قال : أدركت عشرة آلاف من أصحاب النبي لو رأوكم لقالوا : مال هؤلاء مجانين ؟ ولو رأيتهم لقتلهم : هؤلاء مجانين ، ولو رأوا خياركم لقالوا : ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ، ولو رأوا شراركم لقالوا : ما هؤلاء عند الله من خلاق . قال المؤلف ابن وضاح : يقال تخرج الفتن من عند أصحاب الكتب وإليهم تعود . وعن أوفى بن دهم العدوي قال : بلغني عن علي بن أبي طالب أنه قال : تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله . فانه سيأتي زمان من بعدكم ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم ، لا ينجو فيه إلا كل مؤمن نومة . أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم .

وعن عدي بن حاتم أنه قال : إنكم في زمان معروفه منكر زمان قد مضى ، ومنكره معروف زمان آت . وقال الفضيل : في آخر الزمان يمشي المؤمن بالتنقية وبئس القوم قوم يمشي فيهم بالتنقية .

وعن أبي حمزة عن أبي هريرة : قال كيف بك إذا كنت في زمان لا ينكر خياركم المنكر ؟ قلت : سبحان الله ما أولئك بخيار ، قال بلى ولكن يخاف أن يشتم عرضه وأن يضرب بشره .

وعن بكر بن عمرو المعافري قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ، ويعملون بالسنة حين تطفأ . وقال

رسول الله : بدأ الاسلام غريباً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس . وعن ربيعة بن يزيد قال سمعت أبا إدريس الخولاني يقول : سمعت أن للاسلام عرى يتعلق الناس بها وإنما يمتنخ عروة عروة . فأول ما يمتنخ منها الحلم ، وآخر ما يمتنخ منها الصلاة . وعن عبد الله الديلمي قال : تذهب السنة سنة سنة كما يذهب الجبل قوة قوة . وآخر الدين الصلاة ، وليصلين أقوام لا خلاق لهم . وعن مالك بن أنس عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . وعن أنس بن مالك قال ما أعرف منكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسول الله ليس قولكم : لا إله إلا الله . قلنا بلى يا أبا حمزة الصلاة ، فقال قد صليتم حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله ؟

وعن الحسن قال : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الاسلام شيئاً . ثم قال إلا هذه الصلاة . أما والله لمن عاش في هذه النكراء ولم يدرك السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف الصالح : يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيماً . فكذلك فكونوا إن شاء الله .

وعن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلاً أنشركم من السلف ما عرف فيكم خير هذه القبيلة .

وعن أم الدرداء قالت : دخل على أبو الدرداء وهو غضبان فقلت له ما أغضبك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً . وعن سالم قال قال أبو الدرداء : لو أن رجلاً تعلم الاسلام ثم تفقده ما عرف منه شيئاً . وعن مالك بن أنس قال بلغني أن أبا هريرة تلا : « إذا جاء نصر الله والفتح

ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا » ثم قال : والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم لا يمران شيئا مما كانا عليه .
وعن أبي وائل قال قال عبد الله : أتدرون كيف ينقض الاسلام ؟ قالوا نعم كما ينقض صنع الثوب .

وعن حذيفة قال : إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يملكون ، أو يضلوا وهم يشمرون .

وعن سعيد أخى الحسن يرفعه قال : إنكم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون في الله ولم تظهر فيكم السكرتان : سكرة الجهل وسكرة حب العيش . وستحولون عن ذلك فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر ولا تجاهدون في الله وتظهر فيكم السكرتان ، فالتمسك يومئذ بالكتاب والسنة له أجر خمسين .

وعن عطاء بن أبي رباح : قال مر بعلى بن أبي طالب رجل له سميت فقال من أهل خراسان أنت ؟ قال : لا ، قال من أهل فارس أنت ؟ قال : لا ، قال : فن أنت ؟ قال أنا من أهل الأرض ، قال فاني سمعت رسول الله يقول : « لا يزال الدين معتدلا صالحا ما لم يسلم نبط العراق ، فاذا أسلم نبط العراق أدغلوا في الدين وقالوا فيه بنير علم فعند ذلك يهدم الاسلام وينتلح » .

وعن ابن مسعود قال كان عمر بن الخطاب حائطا حصيّا على الاسلام يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه ، فانتلم الحائط فالتاس يخرجون منه ولا يدخلون فيه .

وعن حذيفة قال كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم انفراج المرأة عن قبلها لا تمنع من يأتيها ؟ فقال رجل : قبيح العايز . فقال بل تبعث أس .

وعن علي رضي الله عنه قال ينتقض الدين حتى لا يقول أحد لا إله إلا الله .
قال بعضهم حتى لا يقال : الله ، الله .

وعن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : لا يأتي عليكم عام إلا والذي بعده شر منه ، ولا أعنى أن عاما أخصب من عام ولا أمطر من عام ولكن ذهاب خياركم وعلماؤكم . ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فيهدم الإسلام ويثلم .
وعن إسماعيل بن نافع القرشي عن عبد الله بن المبارك قال : اعلم أخي أن الموت اليوم كرامة لكل مسلم اتقى الله على السنة ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، وإلى الله نشكو وحشتنا وذهاب الأخوان وقلة الأعوان وظهور البدع . وإلى الله نشكو ما حل بهذه الأمة ممن ذهاب العلماء أهل السنة وظهور البدع . وقد أصبحنا في زمان شديد وهرنج عظيم . إن رسول الله يخوف علينا ما قد أضلنا وما قد أصبحنا فيه فحذرنا وتقدم إلينا بقول أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : أتتكم فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع فيها أقوام دينهم بمرض الدنيا .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يأتي على الناس زمان تكون السنة فيه بدعة والبدعة سنة ، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً . وذلك إذا اتبعوا واقتدوا بالملوك والسلاطين في دنياهم .

وعن عمار بن ياسر قال : يأتي على الناس زمان خير دينهم دين الأعراب . قيل ، ومم ذلك ؟ قال تحدث أهواء وبدع يحضون عليها .
وعن الأعمش قال قال لي شقيق أبو وائل : حدثنا سليمان : ما شئت قراء زمانك إلا بغنم رعت حمضاً ، فن رآها ظن أنها سمان ، فاذا ذبحها لم يجد فيها شاة سمينة . وذكر عن ابن مسعود مثله .

وعن خلاد بن سليمان قال : سمعت دراجاً أبا السمح يقول : يأتي على الناس

زمان يسمن الرجل راحلته حتى تعقد شحما ثم يسير عليها في الأمصاري يلمس من
يفتيه بسنة قد عمل بها فلا يجسد من يفتيه إلا بالظن . قال ابن وضاح المؤلف :
سمعت سحنونا يقول منذ خمسين سنة في الحديث الذي جاء يسمن الرجل راحلته
قال سحنون : إني أظن أنا في ذلك الزمان : فطلبت أهل السنة في ذلك الزمان
فكانوا كالكوكب المضيء في ليلة مظلمة . قال ابن وضاح : فاذا طلبت الشيء
الخالص لا تجده وإذا كان مختاطا فهو الكامل . كتاب الله قد بدل : وسنة
رسوله قد غيرت ، ودماء قد سفكت وكرائم قد سببت وحدود قد عطلت وترأس
أهل الباطل وتكلم في الدين من ليس من أهل الدين ، وخاف البريء وأمن
النطيف (أى المريب) وحكم في أمر المسلمين وسود فيهم من هو مسخوط عليه فيهم
وعن الحسن بن حمزة بن جنسب قال : لا تقوم الساعة حتى تروا أمورا ^{عبادة الأصنام}
عظيما لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم . قال ابن وضاح : أنا أقول ^{في المحاريب}
لا تقوم الساعة حتى تعبد الأصنام في المحاريب
وعن حذيفة قال : لا تقوم الساعة حتى تنصب فيها الأوثان وتعبد - يعنى
في المحاريب -
وقد وقع مصداق هذا فإن الأوثان اليوم يعبدون في المساجد وفي المحاريب
ونعوذ بوجه الله من سوء ومن الشرك
وعن علي بن أبي طالب قال : لا تقوم الساعة حتى تكون هذه الأمة على
بضع وسبعين ملة كلها في الهاوية وواحدة في الناجية
وعن ابن عمر عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « لا تقوم الساعة حتى
تنصب الأوثان وأول من ينصبها أهل حضر من تهامة »
وعن حذيفة قال قال رسول الله عليه السلام : « اقرأوا القرآن بلحون العرب
وأصواتها ولياكم ولحون أهل الفسق فإنه سيخرج من بعدى قوم يرجعون القرآن

ترجيع الفناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب.
الذين يعجبهم شأنهم

وعن عمر بن الخطاب قال : أخذ رسول الله بلحيق وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، قلت أجل ، إنا لله وإنا إليه راجعون. فما ذلك يا رسول الله ؟ قال أتاني جبريل فأخبرني أن أمتك مفتتنة بعد قليل من الدهر غير كثير . قلت فتنة كفر أم فتنة ضلالة ؟ قال : كل سيكون . قلت : ومن أين يأتيهم ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال بكتاب الله يضلون من قبل قرائهم وأمرائهم : قال ابن وضاح : إن فتنة الكفر هي الردة يحل فيها السبي والأموال ، وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبي ولا الأموال . وهذا الذي نحن فيه فتنة ضلال لا يحل فيها السبي ولا الأموال .

وعن عبد الله قال : كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم الكبير وتتخذ سنة يجرى عليها فإذا غير منها شيء قيل غيرت السنة . قيل متى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال إذا كثرت قراؤكم وقل فقهاؤكم وكثرت أموالكم وقل أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الدين .

روى هذه الأخبار كلها محمد بن وضاح في كتابه « البدع والنهي عنها » .
وفي الكتاب روايات كثيرة من هذا النوع . والروايات كلها بالاسناد .

حديث ذات
الأنواط

ومن أصرح النصوص في هذا الباب حديث ذات الأنواط المشهور . فروى الترمذي في جامعه عن أبي واقد الليثي ، واسمه الحارث بن عوف على ما ذكر الترمذي ، قال : خرجنا مع رسول الله إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعمفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فررنا بسدرة فقتلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى .

« اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة » لتركبن سنن من كان قبلكم قال الترمذي :
حديث حسن صحيح . ورواه الطبراني من حديث عمرو بن عوف قال : هجروني
مع رسول الله عام الفتح ونحن ألف ونيف ففتح الله مكة وحينئذ حتى إذا كنا
بين حنين والطائف أبصر شجرة يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط وكانت
تعبد من دون الله ، فلما رآها رسول الله أنصرف عنها في يوم صائف إلى ظلي
هو أدنى منه ، فقال رجل : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات
أنواط ، فقال له رسول الله : إنها السنن ، قلم والذي نفسي بيده كما قالت
بنو إسرائيل لموسى « اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة » . قال في مجمع الزوائد : فيه
كثير بن عبد الله ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه .

وهذا الخبر صريح في أن طوائف من أهل القبلة يصيرون ولا محالة مصابري
الأمم الأولى الواقعة في الشرك وعبادة الخلق . وذلك أنهم لما طلبوا منه عليه
الصلاة والسلام أن يجعل لهم شجرة يشركون بها ويعبدونها مع الله أنكر ذلك
عليهم وأخبر أن طلبهم هذا كطلب بني إسرائيل وكتومهم لموسى : « اجعل لنا
إلهًا كما لهم آلهة » . ثم أخبر أن المسلمين سوف يركبون طرق الذين كانوا قبلهم
من المشركين العابدين لغير الله من الأحجار والأشجار وأصناف المخلوقات التي
لا تضر ولا تنفع ولا تنفي شيئاً .

ومع هذا كله يجزأ الشيعي أن ينكر على الوهابيين أن قالوا : إن طوائف من
المسلمين وقعوا في الابتداع وفي مخالفة السنة ، ويزعم أنهم انفردوا بهذه المقالة
وبذلك الاعتقاد دون عامة المسلمين وجماهيرهم .

وما زال العلماء الأعلام يضعون المؤلفات القيمة الكثيرة في تحذير المسلمين
من الابتداعات ومن الوقوع فيها في الأصول والفروع . وقد وضعت في هذا
الكتاب الموضوع في أنكار البدع
الكتب الكثيرة المملوءة ، منها المطبوع ومنها غير المطبوع . وقد اشتهر من

هذه الكتب « الاعتصام » للشاطبي ، و « الباعث على إنكار البدع والحوادث » لأبي شامة ، و « الحوادث والبدع » لأبي بكر الطرطوشي . ومن أقدمها كتاب « البدع والنهي عنها » للأمام الأندلسي محمد بن وضاح ، وأفضل هذه الكتب « الاعتصام » بلا نزاع . وقد أكثر المتأخرون من التأليف في الموضوع . وممن كتب وضعه السلف أو الخلف إلا ويشكو مؤلفه من البدع ومن شيوعها وتغلّبها دلى السنن ، ومن تهافت المسلمين عليها . وكلام السلف : الصحابة فمن بعدهم كثير . أثور فى ذلك ، ويكفى الطالب للعلم والهدى أن يرجع إلى أحد الكتب التى كراذها .

هذه بعض دلالات السنة وكلام السلف على أن طوائف من المسلمين سوف ينحطون فى أصناف الاشراك والكفر من حيث لا يعلمون ولا يريدون ، وقد قام على ذلك الإجماع ، سلفا وخلفاء ، ودل عليه النظر والعادة والقياس الصحيح طانه من الحال الباطل عادة ونظراً وقياساً أن يظل جميع طوائف المسلمين فى جميع العصور والأوقات والحالات محافظين على الاسلام : على أصوله وفروعه وحقايقه الصحيحة الأولى بحيث لا يضل ولا يزل منهم أحد ، وبحيث لا يكفر ولا يشرك منهم إنسان لا عمداً ولا جهلاً ، والناس هم ما هم من أصالة أنسابهم ورسومهم أعراقهم فى الجهالات ، والناس هم الناس ، ما زالوا معمين مخولين فى الانساب الوثنية والضلالات الانسانية . هنا ما يدفعه القياس والعادة والنظر . وقد دل على ذلك أيضاً جملة القرآن الكريم دلالات مختلفة منها البين ومنها الخفى . وذلك أنه قد أنبأ فى غير آية أن المسلمين ماداموا مسلمين هم الغالبون وهم الظاهرون فى الأرض ، وهم أصحاب السلطان والشوكة والقوة المرهوبة المخشية . قال تعالى : « وإن جندنا لهم الغالبون » وقال : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » . وقال « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » . وقال

دلالة القرآن
على ذلك

« والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » وقال : « كتب الله لأغابن أناورسلى ». إلى ذير ذلك من الآيات الناصة على أن نصيب المسلمين في هذه الأرض خير الأنصبة من العزة والغلب والمجد الباذخ والشرف الشامخ والسلطان القاهر الظاهر . ولكننا نرى المسلمين اليوم أذل أمم الأرض وأهونها وأعجزها عن الزعامة والسيادة : مسبوقين إلى كل خير ، قاصرين عن كل مجد ، متأخرين عن جميع الأمم في كل أمر محمود . فلماذا كل هذا ؟ أيكذب القرآن أهله ؟ كلا . أم يكذب الذين قالوا إنهم مسلمون ومماهم بمسلمين ولماؤمنين . لأن للمسلمين حقوقا مفروضة معلومة واجبة في هذا العالم قد شاءها الله لهم ، وكل ما شاءه الله كائن ولا بد . ومن أعظم حقوقهم العزة وضخامة المجد . وما فقدوا العزة والمجد إلا بعد أن فقدوا سببهما وهو الاسلام الصحيح والايمان القوى الملتهب . ولا ريب أننا لو زعمنا المسلمين اليوم مسلمين حقا وصدقا لكان زعمنا هذا قدحا في صدق كتاب الله . وجل الله وجل كتابه عن المقادح ... فالكتاب والسنة والاجماع والقياس والنظر - كل أولئك - دال على أن المسلمين قد نالوا دينهم بالتغيير والتبديل ، وأنهم قد باينوه ، فاستحقوا ما لقوه ، فما هذا الخلاف يوما هذا الشعب ، وما هذا الذي ينقمه الشيعة الظالم من هؤلاء الناس ؟ ؟

كيف ذلك وطوائف الشيعة هم أعظم الناس خلافا وتكديبا لما قال هذا الشيعة ، فانهم يعتقدون أن الناس بعد رسول الله قد كفروا وارتدوا . ويستدلون على هذا الاثم العظيم والاعتقاد الموبق بآيات من كتاب الله وبأخبار ثابتة صحيحة . فمن الآيات قوله تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » . ومن الاخبار قوله عليه الصلاة والسلام : « لينادن يوم القيامة أقوام عن حوضي » الحديث . وطوائف من الشيعة - لارعاها الله - تدعى أن

جماهير الصحابة ما زالوا كافرين في حياة النبي عليه السلام وبعد وفاته ، وتدعى أنهم كانوا منافقين مخادعين للنبي وللمؤمنين ، وأنهم كانوا يكفرون كفرهم وشركهم ... وهؤلاء لا يشكون في أن بنى أمية وولاتهم وعملهم كانوا كفارا مارقين ، وكانوا ملحدين جاحدين لا يؤمنون بإيمان ولا يكفرون بكفر . ويصرح كثيرون من علمائهم المتقدمين والمتأخرين بأن معاوية وبأن أباه أبا سفيان كانا إمامين في الالحاد وفي الكفران الخالص التام ، وكذلك يقولون في عبد الملك ابن مروان ومن بعده هؤلاء ، وكذلك يقولون في عمرو بن العاص وفي بنى العباس جميعاً ، وكذلك قولهم في غير هؤلاء وهؤلاء ، وبالأجمال هم يعتقدون ، ويكتبون ما يعتقدون ، أن جماهير الصحابة وجماهير التابعين وجماهير المسلمين - أعني كل من قاوموا خرافات الشيعة وغلوها وباطلها - يعتقدون أن هؤلاء جميعاً كفار مشركون ، وزنادقة ملحدون ، ينطوون على الالحاد والكفر الخالص الفاضح ، وقد يرشحون ذلك أحياناً . وهذا الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وهو من أعقل القوم وأكثر الطائفة نزماً ، ومن أوسعهم صدراً وعطناً للخلاف والنزاع . وأكثرهم تظاهراً بالتسامح إزاء الخلاف بينهم وبين أهل السنة ، يقول في كتابه الموضوع للرعاية الشيعية الاثنا عشرية ، وهو كتاب « أصل الشيعة وأصولها » . بعد أن ذكر بالسوء والضعيفة المضطربة معاوية وعبد الملك بن مروان وغيرهما من الخلفاء : « فهل هذه الاعمال تسبغ أن يكون صاحبها مسلماً فضلاً عن أن يكون خليفة المسلمين وأمير المؤمنين . ثم سارت الرواية كلها على تلك السيرة وما هو أشقى وأشق منها عدا ما كان من العبد الصالح عمر بن عبد العزيز . ثم خلقتها الدولة العباسية فزادت ، كما يقال ، في الطنبور نعمات حتى قال أحد مخضرمي الدولتين :

يا ليت جور بنى مروان دام لنا * وليت عدل بنى العباس في النار . . . »

وقال أيضا هذا الشيخ في رسائل له سموها « الآيات البينات » في قمع البدع والضلالات « وهي مطبوعة في النجف تحت عنوان « الزندقة في الاسلام » وزنادقة المسلمين » بعد أن ذكر الملحدين والزنادقة في المسلمين وفي الاسلام وذكر أصنافهم وكثرتهم والباعث لهم على احتقار هذا الداء القتال ، والمرض العضال ، وأنهم كانوا يتظاهرون بالاسلام ويبطنون شر أنواع الكفران وشر أنواع الالحاد والضلال ، قال هناك : « يبيد أن أكبر العوامل نفوذا وأشدّها إيما هو أن المتغلبين على السلطة والأخذين على أزمة المسلمين بزعم الخلافة ، كانوا على ذلك الرأي وبتلك الصفة ، والناس ، كما قيل ، على دين ملوكهم . فأول المتغلبين على المسلمين بنغير رضا منهم الدولة السفيلية وماهى إلا معاوية ونفله يزيد . ثم تلاها الدولة المروانية ، وكلهم يضربون على ذلك الوتر ويطربون على تلك النغمات . اللهم إلا الأشجج والناقص (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) . وحسبك بالوليد بن يزيد بن عبد الملك أكبر زنديق متخلف في الاسلام . وأقاصيصه في ذلك مشهورة ، وربما نأى على بعضها في غير هذا المكان . وفي عصره تكاثرت الزنادقة وانتشرت وأخذت في النمو والاتساع واتصل ذلك إلى زمان الخلافة العباسية ، واحتوت تلك البرهة اليسيرة على أكبر من علماء العربية ونوابغ في الأدب والشعر ، اشتهروا بالزندقة بل جاهروا . . . وما حمل هؤلاء أجمع على الزندقة والالحاد ، وحبها اليهم إلا حب السراح لأنفسهم وإطلاقها في مساح الشبهات وفكها من قيود الشريعة ونواميس الدين . فينكح الرجل كل أنثى أعجبته ولو كانت أمه وأخته ، ويندريقتل كل أحد ولو أعطاه ألف ألف عهد وميثاق كما فعل عبد الملك في ابن عمه عمرو بن سعيد الأشدق وغيره . . . »

وقال هذا الشيخ عينة في هذه الرسائل عينا في آخر الفصل الذي عقده للكشف عن مساوى البابية والبهائية وكفرهم وإلحادهم وزندقتهم : « وتالله

ما ارتسم على لوح الوجود ، ولا انتظم على رقعة هذه الأرض أجهل وأضل وأمكر
وأكفر وأدهى وأخبث من تلك الأمة الخبيثة والطمعة التي خنقت أنفاس الحقيقة
وأزهقت روح شرف العلم والفضيلة . . . » ثم قال بعد هذا القول تحت عنوان :
من هدايا « الأموية الحديثة » : « ولكن ألا أدلك على أكر وأكفر وأضل وأجهل وأشد
الشيعة لاهل صافا ووقاحة وأقل حياء وصيانة وأضعف عقلا وحصانة — أولئك شرذمة من
السنة
عرعة المشقيين وزطائفهم في هذا العصر من كل أف وقف ، وجورب وخف ،
أحقر من قامة ، وأقل من قلامة ، وأقذر من نخامة ، يريد هؤلاء الشذاذ التعصب
والنحزب لبنى أمية وإحياء ذكرها الخامد ، واسمها البائد ، وما أدري أغاب عن
عقولهم السخيفة ، أنهم بذلك ينبشون عن جيفة — جيفة تملأ العالم تقنا وعفونة . .
وهل ترك بنو أمية السفينانية والمروانية من غدر أو كفر أو مكر أو عهر أو فجور
أو ظلم أو بني أو عدوان . . . » -

إلى غير ذلك من أقوال علماء الشيعة وعقائدهم في ملوك الاسلام والمسلمين
فهم عندهم كما ترى ، من شر الكفار والملحدين والزنادقة الفاسقين ، فكيف
يستطيعون بعد هذا ، أو كيف يحاولون ، الاستدلال على ان المسلمين لن يكفر
منهم أحد ولن يضل منهم إنسان ؟ لو كانت هذه المحاولة من غير طائفة الشيعة لكان
الأمر ، أما منهم فلن يهون .

﴿ الكلام على أخبار يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب ﴾

أبقى الكلام على الأخبار التي ذكرها الرافضي ، فنقول : إن عنها جوابين
جوابا مجملا وجوابا مفصلا . أما المجمل فيقال : هذه الأخبار لا تقاوم الدلائل
والنصوص التي ذكرناها في الفصل السابق ، فان ما أوردناه أكثر وأظهر وأصح .
ولا يصح أن يرد الأقوى بالأضعف أو يعارض الاكثر بالاقل .

أما الجواب المفصل فيقال أما الحديث الاول وهو قوله عليه الصلاة والسلام جواب حديث « والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى » الحديث فهو لما ذهبت إليه جماعة والله ما أخاف الشيعة ولزعمها أن صحابة النبي عليه الصلاة والسلام قد كفروا وارتدوا بعد وفاته ، أن تشركوا أو أنهم كانوا كذلك في حياته . وذلك أن الحديث خاص بالصحابة رضوان الله بعدى عليهم . فقد أعلم الله نبيه بأن أصحابه لن يكفروا ولن يشركوا بعده أبدا ، ولكن سوف يتمتعون بالدنيا وزهراتها ولذا ذاتها بما يرغب لهم من النعم والآلاء ، وبما يفتح لهم من أبواب الممالك المترفة الخصبية . . . فتنهفوا إلى ذلك قلوب ونفوس ، ولكن سوف يعصم الله الأكرمين منهم ويفنيهم بإيمانهم وإسلامهم وتقام عن الدنيا وعما فيها من لذات وزهرات وشهوات تستنزل أحيانا النفوس من أعلى سماء السموات . . . وهذا هو ما كان ، فقد عصم الله ، وله الحمد ، صحابة رسوله من شوائب الشرك وعقائيل الكفر ، فلم يحم حول ذلك منهم أحد . أما الدنيا فقد انغمست فيها بعض الأيدي ودحضت في زلقها بعض الأقدام . فنالت تبعات ذلك طاجلا ، فكانت العبرة ، وكانت العظة البالغة . أما الخيار المصطفون منهم فقد حال بينهم وبين النمل والعلل من تلك المكارع أن كانت قلوبهم وعقولهم وشهواتهم ملأى بالله وحده ، فدافعت ما سواه من الأغيار فدفعته . فسروا بهذا الزاد ، ولا زاد غيره ، عابرين ، فأدركوا ساحل النجاة موفورين سالمين من كل خوف وتبعة . وينفر الله للجميع كل ذلك .

فلحديث علم من أعلام النبوة الظاهرة إذ قد أنبأ بأن تلك النخبة المختارة من البشر ، وهم صحابة النبوة وأنصارها سيظلون معتمدين بالإيمان ، لا يدفعهم عنه دافع ، ولا يحملهم على خلافه والخروج عليه حامل ، فكانوا كذلك كما أخبر فصدقت النبوة ونمت المعجزة وظهرت الآية . . . وقد أورد هذا الحديث لما ذكرناه في علامات النبوة كما فعل الامام البخارى في الصحيح . هذا وجه الحديث

وسبيله . فهو إنباء عن الصحابة خاصة كما هو ظاهر من لفظه وكما دل عليه الواقع وكما قضت به الدلائل الظاهرة السابقة المخبرة بأن طوائف من المسلمين ، ولا محالة ، سنوف يكفرون ويشركون ويعبدون غير الله من الأصنام والأوثان والمخلوقات الأخرى العاجزة . ولا يمكن حمل الحديث على ما أراده الشيعي لأجل ما قدمنا من البراهين .

وجه آخر في . وفي الحديث وجه آخر وهو أن يقال : لعل النبي عليه السلام قد قال ذلك الحديث قبل أن يعلم ويوحى إليه بأن طوائف من الأمة سوف يضلون ويشركون فيهلكون كما هلك من كانوا قبلهم . ولا مانع من هذا الوجه في الحديث ، فإن الدين ، بأعلامه ونصوصه ، لم ينزل مرة واحدة ولا جملة واحدة ، وإنما نزل نجوما مفرقة بمجموعها ثم وكل كان الدين الاسلامي . والأنبيا عليهم الصلاة والسلام إنما يعلمون بأعلام الله إياهم وبما يوحى إليهم . ووحى الله لا يأتي جملة واحدة وإنما يأتي نجوما مفرقا .

وجه ثالث في الحديث وجه ثالث وهو أنه عليه السلام يريد بقوله هذا أن هلاك أمته وضياع دولتها ومجدها وتلاشي سلطاتها وملكها سيكون سببه القريب المباشر هو التنافس في الدنيا والتغالب عليها وعلى ملكها وما فيها من متع ولذات وشهوات ... وهذا هو ما كان وحدث ، وهذا هو ما أصاب المسلمين فأودى بملكهم ودولتهم وتل عروشهم القائمة الفخمة ، وطاح بمجدهم الشامخ الباذخ ، فهبطوا من أعلى الندى والفوارب إلى أعماق الخضيض الأوهـد الدليل . . . فأصبحوا في الهالكين الغابرين ، وأصبحوا في هذه الضعة الشاملة المنكرة ، وصاروا نهبا مقسما بين حملان الأمم وذؤبانها .

فهذا البلاء الذي أصاب المسلمين يرجع كله مباشرة ، بسبب واحد أو بأسباب ذات عدد ، إلى التنافس في الدنيا والتغالب عليها والرغبة الحادة المجرمة الفاسقة فيها وفي ما بين ثناياها من بروق كاذبة خالصة : وكل ما اصطدم به الاسلام والمسلمون

من جهل ونقص أو ضعف أو ذلة وهوان ، مرجعه الرغبة في الدنيا والتقاتل عليها ولا جلها . فان هذه الرغبة في هذه الحبيبية الغادرة أجرى بين القوم عقارب العداوات والعداوات دفعتهم إلى خوض غمار الحروب المكنية الطاحنة . فتحطم الفريقان : الظالم والمظلوم ، العزيز والذليل ، الغالب والمغلوب ، فذل الفريقان وضعفا . والضعف أبدا يلزمه الانحطاط والنقصان في المدارك والآداب والعلوم وكل أسباب الكمال والعظمة : فاذا ذلت أمة من الأمم وضعفت فقد جهلت وخرفت ونسيت ، ولا محالة ، مقوماتها الفاضلة الحية التي بها نالت ما حسدت عليه من مطارف الأبحاد وطرائف العلياء . . . فالضعف هو أول ما يصيب الأمة المطلة على الهاوية ثم يتبعه كل أسباب الفشل والتأخر والسقوط . فالجهل والشرك الذي هو وليد الجهل ، نتيجتان من نتائج الضعف الذي هو وليد انقسام الأمة والانقسام هو وليد التنافس والرغبة في الدنيا كما تقضى السلسلة الطبيعية . . . وإذن فأول هذه السلسلة ، الذي هو التنافس في الدنيا والحرص عليها هو الذي يخاف على الأمة ويخشى بأسه على بأسها . وإذن فالتنافس في الدنيا هو الذي خشية رسول الله على أمته وعلى سلطانها ومجدها ، لان كل ماعداء من أفتان البلاء نتائج لازمة له . فالشرك الذي وقع من الأمة والذي سوف يقع هو إحدى نتائج التنافس في الدنيا ولا شك . فاذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت الدين من قبلكم » لم تكن الخشية من التنافس على الدنيا فقط دون الخشية من نتائج هذا التنافس ولوازمه بل لابد أن تكون الخشية من التنافس ومن نتائجه الطبيعية اللازمة ، والتنافس على الدنيا لم يخش ولم يحذر إلا لأجل ماله من النتائج والآثار الخنثورة المنكرة . . . فقوله عليه السلام : « ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » معناه أي لا أخشى عليكم الشرك فقط ولكن أخشى الرغبة في الدنيا وفي الحياة والحرص عليها ،

وأخشى عليكم ما يتولد عن هذا كله من الشرك والكفر والجهل والانحطاط العام.
في العقول والمقائد وفي كل شيء . فالتخشية لم ترفع عن الشرك لأنه لن يقع أبداً كلاً
وإنما رفعت عنه منفرداً مخصوصاً ، ولأنه لن يقع لولا وقوع الرغبة الباطلة في الحياة
الدنيا الباطلة . فالتخشية من الشرك واقعة لزوماً لا تخصيصاً . . . وفي الحديث وجه
الحديث وجه رابع ، وهو أن يقال : إن الحديث لم يرد لبيان ماسوف يقع ومالن يقع مما يخشى
ويخاف على الأمة ، وإنما ورد لبيان أعظم وأقرب ما سوف يهدم بمجد المسلمين
وينسف سلطانهم . والأمة الإسلامية إنما نسف سلطانها وقوض دعائم مجدها
الخلاف على الدنيا والشع عليها ، حتى قاتل المسلم أخاه المسلم صبوة إليها . وهذا هو ما
أودى بالاسلام والمسلمين مباشرة ، وهذا أفضح ما أصابه وما أصابهم من أعاصير
القضاء . أما الشرك وتبديل الدين وغير ذلك مما انكفأ فيه المسلمون فقد انتشر
بينهم بعد ذلك بأزمان . ومثل هذا الأسلوب لهذا المعنى لا يدل على النفي الخالص
البات ، وإنما هو مثل أن يقول القاتل : أنا لا أخشى على الاسلام والمسلمين الأعداء
وإنما أخشى على المسلمين المسلمين . وهو مثل أن يقال إنما داء المسلمين من
أنفسهم لأن أعدائهم ونحو ذلك من الأسلوب المألوف المعروف في هذا المعنى ،
وهو يشبه الحديث المشهور أعنى قوله ﷺ : « سألت ربي ألا يسلب على أمتي
عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم فأعطاني ذلك » . والأعداء اليوم
مسلطون على الأمة الإسلامية المحمدية أفضح تسليط ، مستبحون لبيضتها في كل
مكان - إلا ما شاء الله . ومع هذا فالحديث صحيح الاسناد والمعنى لأن المراد منه
أن أعداء الاسلام والمسلمين لن ينالوا منه ولا منهم ابتداء حتى يكون المسلمون هم
الذين يمكنون لهم من أنفسهم ومن دينهم وبلادهم . وهذا كما جاء في روايات
الحديث أن الله قد قال في الخبر القدسي لنبيه : « ولا أسلب عليهم (أى على
المسلمين) عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من

بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبى بعضهم بعضا . ولا يراد بالنفي هنا النفي الخالص البات ، وإنما يراد تفضيل أمر على أمر في القدم والمقام . فالتمنافس في الدنيا سوف يكون أسبق إلى تحطيم الأمة الإسلامية من الشرك ومن الكفر ، اللذين هما ، ولا محالة ، واقمان من طوائف المسلمين ، ولهذا خشى على الأمة وحدث عنه بالانذار والتحذير قبل سواه . فالحديث لا يدل يقيناً على أن الشرك لن يقع من المسلمين .

وأما الحديث الآخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب » إلى آخر رواياته فالجواب أن يقال : الشيطان من قد روى الحديث عن جماعة من الصحابة بطرق ولكن لا يخلو طريق من كلام أن يعبد في ونقد . وقد بين ذلك الخلفاء الهيثمي في مجمع الزوائد . والحديث له ألفاظ بعضها جزيرة العرب يقول : « إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون » وبعضها يقول : « لقد برأ لله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلهم النجوم » . وبعضها يقول : « إن الشيطان أيس أن يعبد في بلدكم هذا » وبعضها يقول : « إن الشياطين أيسن » ولكن كل ذلك لا يخلو سنده من النقد والكلام . فالخبر لا يبلغ درجة الصحيح الذي يحتاج به في مثل هذه المطالب وهذه الخلافات إن صح أن في هذا خلافاً .

ثم يقال ثانياً : هذا الحديث إذا فرض في غاية الصحة والقوة لا يصح أن يكون دليلاً على ما أراده الشيعة الظالم . وذلك أنه قد قيل فيه : إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب . ولكن ليست الحججة في أن يمتلئ الشيطان يأساً وقنوطاً ، وإنما الحججة في أن يقول الصادق المصدوق : إن الشيطان لن يعبد في بلاد العرب . أو لن يعبد المصلون أو نحو هذا . وذلك أنه يجوز أن يرى الشيطان من قوة الاسلام وسطوته ومن سلطانه ومن علو التوحيد وخذلان الشرك في تلك الأحيان المختارة ما يملأ نفسه يأساً وقنوطاً من أن تعود للشرك والكفر

في تلك الديار والأقطار دولة أو سلطان ، أو أن يحل للإسلام والتوحيد هناك بناء ، هذا يجوز ، ولكن يجوز أيضاً معه أن يكون الشيطان غالطاً في يأسه وقنوطه ، غير عالم بما جبلت عليه النفوس من الخنين إلى الشرك والتعبد ، وما جبلت عليه من العراقة والأصالة في الوثنية والجهالات ... فيخلف الإنسان ظنه وبحق طلبه فيعيد الشرك في تلك الربوع المطهرة ، ويبعث الوثنية بعد الموت والشتات ، فيحى أمل الشيطان ثانياً فيرجع له زهوه ورضاه وسروره فيطمئن على دولة الأصنام والأوثان ويجلس على عرشها مزهواً فخوراً . . . هذا كله يجوز ولا ريب . وعليه لا يبقى للشيعة فيه رسيس من حجة ، ولا وميض من نور وهدى لأننا نقول له : سلمنا أن الشيطان قد أيس حقيقة من أن يعبد غير الله في بلاد العرب وفي غيرها من البلدان الإسلامية ، ولكن كيف تستطيع أن تقيم الحجة على أن الشيطان ما أيس من ذلك إلا لأنه لن يقع ولن يكون ؟ ولماذا لا يكون الشيطان غالطاً واهماً جاهلاً في يأسه وقنوطه ؟ ولماذا لا يكون يأسه الغالط قد جاء ، لما رأى من وثبات الإسلام وفعلاته ، فلما ان اختفت هذه الوثبات والفعلات عاد إليه رجاؤه وأمله في غلبة الشرك والكفر والهلاك في الأرض وعلى البشر ؟ اننا إذا قلنا له هذا ، وهذا هو ما نقول ، فلن يظفر بجواب صحيح مقبول .

بواب آخر ثم نقول ثالثاً : إن الحديث يقول : إن الشيطان أيس أن يعبد . وظاهر ن الحديث لفظه أنه أيس من أن يعبد هو نفسه لأن أن يعبد غيره من المخلوقات كالأَنْبياء والملائكة والصالحين والأحجار والأشجار . وإذا كان ذلك كذلك قلنا لهذا الشيعة : إن مخالفيك لم يزعموا أن الشيطان عبد نفسه في جزيرة العرب ، ولم يزعموا أن أحداً وجه إليه عبادته مباشرة وكفاحاً . لم يزعموا هذا وإنما زعموا أن جماهير من المسلمين عبدوا كثيراً من الأنبياء والصالحين ومن خالوهم صالحين وليسوا كذلك في واقع أمرهم . والحديث لا يدل في ظاهره على بطلان ما ذهبوا

إليه ، وإنما يدل على أنه لن يعبد هو عند نفسه . ومخالفو الشيعة لم يزعموا أنه عبد هو نفسه وإنما أطيع في عبادة بعض المخلوقات ، وقد تضاف إليه هذه العبادة ولكنها إضافة مجازية غير حقيقية والعلاقة في الإضافة كونه هو الآخر بها . وحقيقة عبادة الشيطان نفسه أن توجه إليه العبادة كفناً مباشرة . وهذا لم يزعم خصوم الشيعة أن الناس وصلوا إليه في جزيرة العرب . فلا يستطيع المخالف أن يأخذ من الحديث شيئاً

اعتراض
وجوابه

فإن قيل هذا الوجه في الحديث صحيح لولا أنه لم يمهّد أن العرب المشركين في جاهليتهم كانوا يعبدون الشيطان نفسه ، وإنما عهد أنهم أطاعوه في عبادة الأصنام والأوثان التي عبدوها في الجاهلية وفي دولة الشرك والضلال. والحديث يجب أن يوجه معناه ، نفياً وإثباتاً ، إلى ما عهد وعلم لا إلى ما لم يمهّد وما لم يعلم ، فيجب أن يقال : إن هذه العبادة التي أئس الشيطان منها هي العبادة التي كان أهل الجاهلية يقدمونها إليه وهي طاعته في عبادة غيره من المخلوقات ناطقها ووصامتها . فالحديث بهذا يدل على أنه لن يعبد غير الله في جزيرة العرب . وهذا هو قول الشيعة وغرضه واحتجاجه : إن قيل هذا ، وكان صحيحاً أن الشيطان لم يعبد حقيقة في بلاد العرب ، وهذا من المشكوك فيه لدينا ، قلنا في جوابه : لا مانع من أن الشيطان كان يسعى جهده لا يقنع المشركين ، عبدة الأصنام والأوثان ، في عبادته نفسه ، وأنه كان يأمل أن يعبدوه حقيقة مباشرة كما كانوا يعبدون الأحجار والأشجار والإنسان والحيوان وغير ذلك من أصناف المعبودات ، وأنه كان عظيم الرجاء في أن يصل إلى هذه الغاية الشيطانية العظيمة ، وأنه كان يرى في كل وقت تباشير نجاح ذلك الرجاء بما ينساق إليه المشركون الضالون من أشنت الغوايات والجهالات — والشيطان كما علم وعرف لا يقنع من عابديه ومطيعيه بشيء ، ولا يقف بهم عند غاية من غايات الضلال والخرى . : نعم

لامانع من ذلك كله ، ثم لامانع من أن يكون انتشار الاسلام هناك وتوثبه قد قطع على الشيطان رجاءه هذا ، وأفسد عليه أمنيته هذه ، وحال بينه وبين ذلك الأمل اللذيذ البسام ، وأراه الاسلام وارتفاع شأنه أنه قد ظن باطلا ورجا ما لن يكون أبدا ، فانقلب ذلك الرجاء يأسا والأمل قنوطاً والسعى خيبة . فأعلن يأسه . وراح بفلامه ونادى بويله وثبوره . فأعلن رسول الله عليه الصلاة والسلام هذه الحقيقة وقال : إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب . فقام علما من أعلام النبوة الخاتمة . بهذا كله لامانع منه وهو يفسد هذا الاعتراض .

معنى عبادة
الاصنام

غير أنه يقال : إن هذا الجواب لا يصح إلا في رواية « إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب » أما الرواية الأخرى القائلة : « إن الشيطان أيس أن تعبد الأصنام في جزيرة العرب » . فلا يستقيم لها هذا الجواب الأخير ، ولكن يقال إن لهذه الرواية جواباً آخر يخصها ، ذلك أننا نقول : « إن عبادة الأصنام » لا يراد بها مطلق الشرك ولا مطلق عبادة غير الله ، وإنما يراد بها الرجوع إل الوثنية الخالصة ، والجاهلية الأولى المتجردة من الكتاب . ومن النبوة الخاصة كحال مشركي العرب وغيرهم من عبدة الأصنام والوثنان . ولهذا فإنه لا يقال : إن اليهود والنصارى من « عبدة الأصنام » ، ولا يصدق عليهم هذا الاسم ، مع أنهم في حقيقتهم مشركون يعبدون غير الله ، ويعبدون الأثبار والرهبان ، ويعبدون عيسى ومريم وعزيراً . والمؤلفون في الملل والنحل لا يمدونهم في عبدة الأصنام بل يضعون لهم باباً خاصاً بهم كما فعل الشهرستاني . وغيره من المؤلفين في الملل والنحل .

فقوله ﷺ . « إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام في جزيرة العرب » معناه على ما ذكرنا أن الشيطان قد أيس من أن يرجع العرب إلى حالهم الوثنية الأولى الخالصة ، فينكروا كتابهم ، وينكروا نبيهم ، ورجعوا إلى عبادة الأصنام

ن التماثيل والجثث المنحوتة من الذهب والفضة والنحاس ، ونحو ذلك كما هو
لاصل في معنى « الأصنام » على ما ذكره الراغب في غريب القرآن ، وغير
لراغب . وهذا صحيح لانزاع فيه . فان الذى وقع فيه العرب من المسلمين هو
لغلوفى الصالحين من الانبياء وغيرهم إلى حد العبادة والتأليه ، وإلى حد أن
عطوهم جق الله الخالص كما فعل ذلك أهل الكتابين : اليهود والنصارى . ولهذا
لأقال رسول الله فى الحديث الصحيح السابق : « لتبعن سنن من كان قبلكم
حنوا القنة بالقنة » وقالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فن القوم
الإمام ؟ » فالمسلمون فعلوا ما فعله أهل الكتاب قبلهم من الغلوفى الانبياء والصالحين
وغير الصالحين أيضا . وقد كان النبى عليه السلام يحذر أمته الوقوع فيما وقع فيه
اليهود والنصارى ويقول كثيرا : إنهم فعلوا كيت وكيت ، يحذر فعلهم : ويقول :
افتقرت اليهود والنصارى على كذا وكذا فرقة وستفترق أمتى على كذا وكذا
فرقة ، ويقول : لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، إنما أنا عبد
ققولوا : عبد الله ورسوله . وهناك فرق معلوم معروف بين أهل الكتاب : اليهود
والنصارى ، وبين عبدة الاصنام والأوثان فى الحقيقة والحكم وفى الشريعة
الإسلامية . وقد فرق بين الفريقين بأشياء عديدة ، فأهل الكتاب يجوز الزواج
منهم ويحل طعامهم وذبايحهم وتقبل منهم الجزية ، وعبدة الاصنام يحكم عليهم
بمخلاف ذلك . والتفريق بينهما فى الأحكام راجع إلى الفرق بينهما فى الحقيقة .
فالعرب بهذا الحديث لا يرجعون إلى الوثنية المعروفة الصريحة ، ولا إلى
عبادة الأصنام بالمعنى المتبادر المفهوم ، وإنما يقعون فى الغلو الاشنع فى أنبيائهم
وصالحهم وعبادهم وفيما يتصل بهم من القبور والآثار ، وهذا هو ما كان ، والله
المستعان .

أجوبة أخرى

وفى الحديث أجوبة أخرى غير ما ذكرنا ، كأن يقال مثلا : المراد أن فى الحديث

الشیطان قد أیس من أن یعبد أو تعبد الاصنام فی بلاد العرب فی کل وقت وزمان ، فهذا لن یكون إن شاء الله . وقد یشهد لهذا لفظة « أبداً » المذكورة فی الروایة التي ذكرها الشیعی . وكأن یقال أیضا : إنه أیس من أن یعبد فی ذلك العصر الذی هبط فی الاسلام علی العرب وعلی بلادهم . ویكون المعنی إن الشیطان كان إذ ذاك یصارع الدعوة المحمدیة محاولا کبتها وخنقها ، وكان یرجو الظفر بها والنیل منها والقضاء علیها قبل اكتمالها وانتشارها . فصار حفظه القلب والهزيمة ، فصرعه الاسلام وصرع حیلتة وکیده فأیس من النجاح فأعلن الافلاس . علی أن هذا الحدیث بلاریب فی امتداح للعرب ظاهر وامتداح لبلادهم عام . ففیة امتداح ضمناً للدعوة السلفیة التي یسمونها بالوهابیة إذ هی دعوة عربیة إسلامیة خالصة ، ظهرت وعزت ، وانتشرت فی بلاد العرب وفی الجزیرة العربیة . فالبلاد التي أنبتتها عربیة ، والرجال الذین قاموا بنصرتها وتأييدها وإعلاء شأنها عرب . . . فالحدیث اذن منطوق علی امتداحها والثناء علیها من هذا السبیل . ولا یكون مادحا ذامها فی وقت واحد من وجه واحد . هذا وجه وجهه بلاریب . وعلی کل حال لا یمکن أن یدعی أنه لن یعبد غیر الله فی بلاد العرب فی وقت من الأوقات ، فان هذا باطل كاذب بالإجماع والضرورة والنصوص المتواترة وقد كان فی بلاد العرب یهود ونصارى وهم یعبدون غیر الله حیثما قال رسول الله هذا الحدیث إن صح أنه قاله . ولی الیوم یوجدون فی بلاد الیمین وغیر الیمین من بلاد العرب . وقد ارتد بعض العرب بعد موت النبی علیه السلام فقاتلهم الصدیق والصحابة رضوان الله علیهم أجمعین . کیف والشیعة یزعمون أن خیار الصحابة وكبارهم ارتدوا وكفروا بعد موت نبیهم . وفریق منهم یزعمون أنهم ما زالوا کافرین مرتدین مضمهرین لکفرهم ونفاقهم ، ویزعمون أن خلفاء بنی أمیة وبنی العباس كانوا ملحدین زنادقة كما تقدم النقل عنهم ؟ ثم کیف وهم یزعمون أن

الخوارج وغيرهم ممن قاتلوا علياً كانوا من شر الكفار، وقد كانوا، أو كانت طوائف منهم في بلاد العرب ؟ بل كيف وفي الناس في كل زمن من يعبد المرأة وفيهم من يعبد المال ، وفيهم من يعبد الشرف والجاه ، وفيهم من يعبد نفسه ، وفيهم من يعبد هواه ، وفيهم من يعبد غير ذلك من صنوف المعبودات الباطلة . . . كل هذا ينادى بفشل هذه الحجة وفسادها ويبقى بها في الحضيض الأسفل .

وأما الحديث الذي ذكر الشيعة أن صاحب النهاية ذكره وهو قوله عليه السلام « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » فهو حديث صحيح رواه الامامان البخاري ومسلم ، ولكن ما أبعد ما بينه وما بين حجة الشيعة وشبهته ، فإن هذا الحديث قد يكون ردّاً يبنّا عليه ، وذلك أن معناه أن الإيمان يلجأ ويندفع إلى المدينة حينما يطارد ويشرد من كل مكان . ومعلوم أن الوهابيين قد فتحوا الحجاز وفتحوا المدينة المنورة ، وطهروا من أوضاع الضالين والظالمين والمبتدعين وأقاموا فيه سوق الصلاح والإيمان والسنة أزماناً طويلة بعد تلاشي ذلك كله . . فلماذا لا يكون هذا الإيمان الذي يأرز إلى المدينة هو هذا الإيمان الملتهب المتقد الذي يسميه هؤلاء وهابية متطرفة مشددة ؟ هذا مالا يستطيع الرافضي دفعه بالحجة ، ونحن لو ذهبنا إليه وقتلناه لما قلنا قولاً منكراً باطلاً وعلى كل حال فالحديث لم يقل إن المدينة لن يقع فيها نوع من أنواع الشرك والضلال في وقت من الأوقات حتى يكون للشيعة فيه مستمسك إذ قد يأرز إليها الإيمان حيناً دون حين كما هو ظاهر الحديث ، وقد يأرز إليها مع وجود غيره فيها فيجتمع فيها الإيمان والكفر ، والهدى والضلال ، والسنة والبدعة في عصر واحد وقد قال تعالى : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم » وقد كانت في زمن النبي عليه السلام مستقراً لجماعة من كبار المنافقين خصوم الاسلام والمسلمين وخصوم النبي الكريم ، ومع هذا يقول النبي عليه السلام إن الإيمان ليأرز إلى

المدينة . أولسنا قد قدمنا أن أحد أئمة الشيعة ، على قول كتبهم ، سئل عن سكنى المدينة فنهى عن ذلك وقال : « أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفا » فهذا الحديث على الشيعة لاله . وهكذا نجد أغلب حجج الرجل لاعقل ولا علم ولا عدل .

﴿ الباب الثانى من كتاب الرافضى ﴾

قال الرافضى : « الباب الثانى فى ذكر معتقدات الوهابية التى كفروا بها المسلمين وحججهم على ذلك وردھا على وجه العموم فاقبلین لها من كتبهم الموضوعة المشهورة » .

وهذا الباب خلاصة للباب الثالث الآتى بعد هذا كما سوف يجرى وكما سوف يجرى النقض عليه إن شاء الله . وهو فى هذا الباب لم يأت بمسألة خاصة من مسائل التزاع وإنما نقل جملا من كتب مخالفيه فرد عليها بقدر علمه وهواه . ونحن هنا نورد ما فى هذا الباب من الأخطاء الكبرى مجملين الرد إجمالاً ثم نلتقل إلى الباب الثالث مفصلين القول تفصيلاً .

﴿ بماذا كان المشركون مشركين ؟ ﴾

ذكر الرافضى فى أول هذا الباب قول إمام الطائفة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ولم يدخلهم ذلك فى الإسلام لأنهم كانوا مشركين فى العبادة . فقال الشيعى ردّاً عليه ما خلاصته : « إن ذلك لم يدخلهم فى الإسلام لأنهم كانوا مكذبين للرسول . منكرين جميع شرائعه قاذبين فيه دائنين بدين الجاهلية . . . »

« فكيف يقاس بهم المسلمون المتوسلون المؤمنون بجميع ما جاء به النبي ﷺ » . . . هذا خلاصة الرد وخلاصة الفرق بين الفريقين لدى الشيعة .

والجواب أن يقال إذا ما كان القوم الذين بعث فيهم النبي من المشركين والكافرين من العرب وغير العرب إنما كانوا غير مسلمين لأنهم كذبوا الرسول وقدحوا فيه وردوا ما جاءهم به فإذا يقول فيهم قبل ابتعث الرسول وقبل أن ينكروا ما جاءهم به ، وقبل أن يكذبوه لأنهم ما كذبوه ولا قدحوا فيه إلا بعد ابتعائه إليهم ؟ أيقول إنهم كانوا مسلمين وكانوا مؤمنين وموحدين ، وكانوا غير كافرين وغير مشركين ، وكانوا ناجين مرضيين ، ويقول : إن النعمة والغضب والسخط لم تنزل بهم إلا بعد ابتعث النبي فيهم ، ويقول إنهم لم يكونوا مشركين ولا كافرين أو ضالين إلا بعد أن جاءهم كتاب الله بحمله رسول الله ﷺ إن ما قلناه هنا يقضى بأن يكون الجواب على هذه الأسئلة هو « نعم » ولكن هذا باطل بالاجماع والضرورة والبداهة . فان المسلمين لا يختلفون في أن العرب الذين ابتعث فيهم محمد عليه السلام كانوا مشركين وكافرين وضالين قبل أن يبتعث ، وأنه عليه السلام إنما بعث لإخراجهم من تلك الظلمات : ظلمات الشرك والكفر والانحطاط الاعتقادي العقلي الشنيع ، وأنهم ما كذبوه ولا نازعوه ولا ردوا ما جاءهم به إلا لأنه خلاف ما كانوا عليه وخلاف ما كان عليه الآباء والجدود والسادة والأشراف ولهذا كانوا يقولون لما جاءهم بخلاف ما عرفوا ورثوا ﴿ أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ الآية ، وكان يقول لهم : قولوا لا إله إلا الله فاعلموا وتنسجوا وتدن لكم العرب وتؤد إليكم المعجم الجزية . فكانوا ينكرون ذلك ويجهلونه ويعجبون منه ، لأنه غريب بينهم مجهول لديهم . وكانت الدعوة المحمدية قائمة على أن أولئك الناس قد أشركوا بخالقهم وعبدوا المخلوقين العاجزين الضعفاء . فوجب إخراجهم من هذا نقصان ، وهذه الورطة الاعتقادية المنكرة ، وهذا الضعف العقلي الفظيع ، وكانوا هم لا يرضون هذا ولا ينعمون به عينا ، ولا يقبلون النبوة هذه التي تريد منهم أن يفارقوا ما وجدوا عليه الآباء والجدود ، وما وجدوا عليه

الكبراء والاشراف الأقدمين الذين هم زين المشية ، وعماد القبيلة وكاتوا يقولون
« أنزل عليه الذكر من بيننا » . ولهذا فانهم لو آمنوا بالرسول وبالكتاب.
وبالاسلام ثم بقوا على ما كانوا عليه من عبادة غير الله لما خرجوا بذلك عن الشرك.
والكفر ، ولما كانوا مسلمين ولا مؤمنين . وهذا لاختلاف فيه وهو يكشف غلط
الشيعة ويفضحه

وتحقيق هذا أن أهل العلم قالوا : إن المشركين كانوا مقرين بأن الله هو.
الخالق لخالق غيره ، وهو المدبر لجميع الأمور لمدبر غيره ، ومع هذا لم يكونوا
مسلمين ولا مؤمنين لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ، وكانوا يشركون بالله : فجاء
هذا الشيعة ورد على هؤلاء بأن قال : نعم إن أولئك المشركين المقرين لله
بالربوبية لم يكونوا بذلك الاقرار مسلمين ولا ناجين لأنهم كانوا مكذبين للنبي.
وقاد حين فيه ورادين ما جاءهم به . . . فرددنا نحن عليه بأن قلنا : لو كان هذا
حقا لكانوا قبل مجيء الرسول إليهم وقبل تكذيبهم إياه مؤمنين مسلمين.
متهدين . لأن تكذيبهم الرسول وقسحهم فيه وردم ما جاءهم به - وذلك هو
موجب كفرهم وإشراكهم فيما زعموا - لم يكن إلا بعد البعثة والدعوة النبوية، وبعد
أن أعلن دعوتهم ومجاهرتهم بالتضليل والتجهيل . وقلنا أيضا رداً على الشيعة :
لو كان هذا حقاً لكانوا مسلمين مؤمنين ناجين لو أنهم آمنوا بالنبي وما جاءهم به.
ثم ظلوا بعد هذا الايمان على ما كانوا عليه من العقائد الخرقاء . وقلنا : لو كان هذا
حقاً لم يدعهم الرسول الكريم إلى التوحيد وإلى عبادة الله وحده ، وإلى أن
يقولوا لا إله إلا الله لا شريك له ، بل لاقتصر على دعوتهم إلى الايمان والتصديق
بعلماء به . وقلنا أيضا : إن المشركين لم يأبوا دعوة الاسلام في الأثر ويردوها
إلا لأنها كانت تطالبهم بأن يتركوا معتقداتهم التي ورثوها عن الأسلاف ، ولم
أنها لم تطالبهم بذلك، بل كانت تريد إقراهم على ما كانوا عليه، لما لجوا هذا العلاج

في عنادها وإيائها ومطاردتها . ولكن الله جل شأنه إنما بعث رسوله ، وبعث سائر رسله لأجل الدعوة إلى عبادته وتوحيده وإفراده بكل معاني العبودية كما قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله » وذكر الكتاب الكريم في قصص الأنبياء والمرسلين أن كل رسول كان يبادىء قومه بقوله : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » . فالأنبياء بعثوا لدعوة الخلق إلى الهدى الذى تركوه وجانبوه ، ولأخراجهم من الظلمات التى أركسوا فيها ، لا لأجل دعوتهم إلى الإيمان بهم فقط . ولو أن الناس كانوا مهتدين راشدين قبل مجئ النبيين لما كانت هنالك ضرورة إلى إرسال الرسل وانزال الكتب . .

فالمشركون الذين قاتلهم الرسول عليه السلام وقتلوه ، وطاردوه وطاردوه كانوا قبله ضالين مشركين هالكين كما قال تعالى في الفريق الذى آمن منهم : « وكنتم على شفا جفرة من النار فأنقذكم منها » ولو أنهم آمنوا به عليه السلام وبكل ما جاءهم به ، ولكنهم بقوا على عقائدهم الأولى ، لما كانوا بذلك مسلمين بلا ريب . فكيف يزعم الشيعة أن المشركين كانوا مشركين وغير مؤمنين لا لشيء إلا لأنهم كذبوا الرسول وقدسوا فيه وطأوه وعاندوه ؟ بل هم كافرون مشركون لعبادتهم غير الله من المخلوقين الضعفاء . وقد كذبوا الأنبياء وردوا ما جاءهم به لأنهم يدعونهم إلى النزوع عن عقائد ورثوها وألفوها يعز عليهم النزوع عنها والفراق لها . فإذا يقول هذا المؤلف أم أين يفرو ويهرب ؟

وإتنا لعيد هذه المعاني بعبارات الأسئلة أيضا وزيادة بيان فيقول لهذا المصنف : بماذا كان العرب الجاهليون مشركين كافرين ؟ فان قال يا كذابهم الرسول وردهم ما جاء به ، قيل له : كلا ، لانه لو كان هذا هو موجب كفرهم وإشراكهم لكانوا قبل مجئ الرسول غير مشركين وغير كافرين ، لأنهم قبل مجيئه لم يكذبوه يثنينا ، ولأنهم لو آمنوا به وظلوا على عقائدهم لكانوا أيضا مشركين كافرين بلا

خلاف بين الناس . . . وإن قال. إنهم كانوا كافرين مشركين لانكارهم البعث والحياة الآخروية، قيل له أيضا : كلا، لانه لاخلاف في أنهم كانوا مشركين كافرين فوق انكارهم البعث والحياة الأخرى، ولأنهم لو آمنوا بالبعث بل وبكل ما جاءهم به الرسول ثم لم ينزعوا عن أعمالهم وعقائدهم ما كانوا مسلمين ولا مؤمنين يقينا . وإن قال : إنهم كانوا مشركين لأنهم كانوا منكرين لله ، أو لأنهم كانوا يرون معه شركاء في الخلق والقسم والبقاء ، قيل له : كلا ، لأنهم كانوا مؤمنين بالله وبانه خالق كل شيء وبأن بيده الامور كلها ، والدليل على ذلك الآيات المتكاثرة الصريحة القائلة : إنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ، ومن خلق كل شيء ومن بيده كل شيء . . . يقولون : ذلك هو الله وحده لا شريك له . والمخالف معترف بهذا مقربه ، فليس محل خلاف بينه وبين مخالفه ، ولانه لاخلاف أيضا بين المسلمين في أنهم لو أقرروا بذلك كله إلا أنهم بقوا على عقائدهم ما كانوا مسلمين ولا ناجين . فهذا لا يصح جوابا مطلقا .

وإن قال : إنهم كانوا مشركين لأنهم عبدوا غير الله ، ولأنهم عبدوا الاصنام والأوثان ، قيل هذا هو سر المسألة ومضطرب الأذهان فيها . فما كانت عبادتهم للأصنام والأوثان ، وما هي الأصنام والأوثان ؟ وفي الجواب على هذين السؤالين جواب كاف عن جوهر المسألة وسرها . ولا مفر من أن يقول : إن عبادتهم الأصنام هي سجودهم وركوعهم ونذرهم وذبحهم لها ، وهي أيضا خشيتهم ودعاؤهم وخوفهم ورجاؤهم إياها ، وانقطاعهم إليها وما يصاقب هذه المعاني . فإذا قال ذلك قلنا له : انتهى إذن كل شيء في المسألة ، وبهذا رجع إلينا كرها أو طوعا ، وقال بقولنا اختياراً أو اضطراراً . فالتأنيب نزعهم أن هذه الأمور هي العبادة بصورها ومعانيها ، ونزعم أن كثيراً من المدعين للإسلام يفعلون ذلك كله فوق أضزحة الأموات لا ينقصون منه شيئاً إن لم تقل إنهم يزيدون عليه كثيراً . وبهذا

انحلت المسألة وانكشف غطاؤها . . . ثم لا مفر من أن يقول : إن الأصنام والأوثان هي كل ما عبد من دون الله إما حقيقة وإما حكما ومعنى فقط ، ولا مفر من أن يقول إن عبادة الأنبياء والأولياء والصلحين والأئمة لا تجوز كما أن عبادة الأحجار والأشجار والأصنام والأوثان لا تجوز ، وأن عبادة الصالح كفر بالله كما أن عبادة الحجر والصنم كفر كذلك ، لأننا لا نعلم خلافا في أن عبادة غير الله شرك بالله سواء أكان المعبود أقرب الخلق إلى الله أم كان أبعدهم عنه . وهذه حقائق في معزل عن الخلاف .

﴿ هل كان العرب المشركون ينكرون الله ﴾

﴿ أو يقولون إن الأصنام تضر وتنفع ؟ ﴾

بقي قول الشيعي في هذا الباب : « إنه لا شيء يدلنا على أنهم (أى مشركي عبادة العرب) لا يعتقدون في الأصنام ومعبوداتهم من الجن والانس والملائكة أنه لا تأثير لها في الكون ، وأن التأثير لله وحده ، إذ يجوز أن يعتقدوا أن لها تأثيرا بنفسها ، فتشفى المرضى ، وتنصر على الأعداء ، وتكشف الضر وغير ذلك ، وأنها تشفع عند الله حتما ولا يرد شفاعتها ، أو أن الله جعل لها قسطا من التأثير أو كله إليها ، بل ظاهر الآيات هو ذلك مثل قوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا » . بل ظاهر قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » أنهم كانوا يسجدون لغير الأصنام ، ولا يعتقدون إلها غيرها ، وظاهر قوله عن أهل جهنم « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين . . » اعتقادهم أنها مساوية لله وإن لم يكن من جميع الوجوه ، وذلك كاف في الشرك والكفر ، وذلك أيضا ظاهر جسيم الآيات الدالة على اتخاذهم إلهًا من دون الله وشركاء لله

ونحو ذلك مثل « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا » « أجعل الآلهة إلهاً واحداً »
 ومنهم من كان ينكر الله وينكر البعث ، وهم الذين قالوا كما حكى الله عنهم : « ما هي
 إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » انتهى كلام الرافضى .
 المشركون لم والجواب أن يقال لا ريب أن المشركين من العرب كانوا مؤمنين بأن الله
 ينكروا الله ولم وحده هو الخالق لكل شئ ، وهو المدبر لكل أمر ، وهو القاضى على كل شئ ،
 ينكروا ربوبيته وهو المجير على كل كائن فى السماء وفى الأرض ، ومؤمنين بأن أصنامهم مخلوقة لله
 لكل شئ نافذ فيها قضاءه وحكمه وأمره ، راجعة إليه خلقاً وحكماً وبداية ونهاية ، خاضعة له
 خضوع العبيد الأرقاء الأذلاء ، لا تستطيع عما شاءه وأرادها لها خروجاً ولا مفراً .
 والدلائل على ذلك متضافرة متكاثرة ، والقرآن بجملة دال عليه ضروب الدلالات
 وقد نص فى غير ما آية على أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ، ومن خلق
 كل شئ يقولون ذلك هو الله وحده كما قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات
 والأرض ليقولن الله ، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر
 هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله
 عليه يتوكل المتوكلون » وقال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والأرض أم
 من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى
 ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون » وقال « قل لمن الأرض ومن
 فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات
 السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت
 كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى
 تسحرون » إلى غير ذلك من الآيات البينات الدالات على أنهم مؤمنون بالله
 وبأنه القابض على كل شئ ، القاضى على كل موجود ، الآخذ بناصية كل
 حى ، ليس وراءه مذهب ، ولا عنه مهرب ، ولا إلى سواء منقلب ، لا إله إلا هو

الحق وما سواه الباطل ، الباقي وما سواه الفاني . . . وليس بعد هذه الآيات
الواضحة بيان لمن أراد البيان ، وبرهان لمن طلب البرهان ، وإيمان لمن شاء
الإيمان . . .

هذا ضرب من ضروب دلالات القرآن على إيمان المشركين بالله . وقد نص
توحيد المشركين في حالة الشك
أيضاً على أنهم كانوا يدعون كل من سوى الله ، وينسبون كل معبود سواه حينما
تعضهم الشدائد ، وتلتحم بهم المصائب ، ويسمون إليه سبحانه وحده برغبتهم
ورهباتهم ، ويجدون إليه المفرج والمفرج ، لا مفرج ولا منزع إلا هو عز شأنه
وتملك سلطانته وعظم جده . وهذا في غير ما آية قال تعالى : « فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » وقال :
« وإذ مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وقال تعالى « قل أرايتكم
إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ؟ بل
إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسبون ما نشترون » . وما انقطعوا
إلى الله وحده ولا رغبوا عن كل من سواه في تلك الساعات إلا لأنهم يعلمون أن
كل شيء إليه يصير ، وأن كل من دونه باطل حقير ، وأن كل عزيز لديه ذليل ،
وكل كبير لدى كبريائه صغير . فإله أكبر كلمة وسعت كل شيء ولكن لم يسمعها
شيء ، كلمة آمن بها المؤمن والكافر ، ونطق بها الناطق والصامت بلسانه أو كيانه
وبليانه ، فإله أكبر . ولو كان أولئك المشركون الكافرون يعتقدون ، على
ما يقول الشيعي ، أن الله جعل لتلك الأصنام والأوثان بعض التأثير أو كله ، أو
يعتقدون أنها تنفع وتضر وتشفى المرضى وتنصر على الأعداء وتزيل البلاء ،
وأنها تشفع لديه حتما فيقبل شفاعتها حتما ، أو لو أنهم كانوا ينكرون الله : أقول
فإن المشركين كانوا يعتقدون ذلك للأصنام والأوثان لما نسوها في شنتهم
وضرائهم ، بل لتعلقوا بها حينئذ أعظم التعلق ، ولكنهم أعرضوا عنها لأنهم

يملكون عجزها وهوانها عند ما يفضب الله ، وعند ما يريد أن ينزل بعض عذابه وعقابه على بعض العصاة من خلقه .

أحتجاجهم
بمشيئة الله
وقد نص القرآن أيضاً في غير ما آية على أن المشركين كانوا ينجون لكفرهم وشركهم بمشيئة الله كما قال الله « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم » وقال : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء » وقال : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ »

فهم ينجون لمعاصيهم وخطاياهم وشركهم وكفرهم بإرادة الله ومشيئته ، ويزعمون أن الله هو الذي ألجأهم واضطرم إلى ذلك ، فأتوه مكرهين ، فهو يريد منهم ما يعملون ويرضاه وإلا لحجزهم عنه وحال بينهم وبينه ، لأنه المتصرف المطلق ، والفاعل المطلق ، الكائن ما يريد ويشاؤه لا ما يشاؤه ويريد غيره من الخلق والأصنام والأوثان والمعبودات الأخرى ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه . أما الأصنام والأوثان ، أما كل ما دون الله فذلك كله لله يصرفه كما يشاء تصرفه قهر وملك واضطرار . فهو وعابده في الخضوع له سواء . ولا أدل من هذا على أن القوم مؤمنون بالله ومؤمنون بأن كل شيء يدين له بالعبودية الخالصة من جميع أطرافها .

الاصنام شائعة
فقط
وقد نص القرآن أيضاً على أنهم كانوا يريدون من أصنامهم ومعبوداتهم أن تقربهم إلى الله زلفى ، وأن تقوم لهم لديه تعالى مقام الشفعاء ، لأنه هو خاتيمهم وخاية كل شيء ، ولأنه هو الذي يعطي ويمنع ، أما الآلهة والاصنام فتدعو وتشفع . ومقام الداعي الشافع غير مقام المدعو المشفع ، ومقام الوسيلة غير مقام الغاية : فالله عند القوم هو المشفع والغاية ، والاصنام والمعبودات الأخرى هي الشافعة

والوسيلة . قال الله تعالى : « يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، أى إنهم يقولون فى توجيه عبادتهم للأصنام ذلك . فهل هذه الأقوال ، يقوم ، أقوال من ينكرون الله ، أو من يرون للأصنام التأثير كله أو بعضه أو من يقولون إنها مساوية لله وإنها مثله ، أم هى أقوال قوم يؤمنون بالله ويعترفون له بكل معنى من معانى الربوبية والقوة ؟ وليفكر فى هذا أولو الالباب خالصين من عقابيل الاهواء وأدران الجهالات

إيمان المبركين
وشركهم

وقال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » . قال السلف والمفسرون : معنى ذلك أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم وخالق كل شئ من علوى وسفلى ومع هذا يعبدون غيره تعالى . قال ابن جرير فى تفسير الآية : « يقول تعالى وما يقرأ أكثر هؤلاء الذين وصف صفتهم بقوله : « وكأين من آية فى السموات والأرض يرون عليها وهم عنها معرضون » بالله أنه خالقهم ورازقهم وخالق كل شئ إلا وهم به مشركون فى عبادتهم الأصنام والاولئان واتخاذهم من دونه أرباباً وزعمهم أن له ولداً ، تعالى الله عما يقولون » . ثم روى عن عبد الله بن عباس قال : من إيمانهم اذا قيل لهم : من خلق السماء ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال قالوا : الله وهم مشركون . وذكر عن عكرمة قال تسألهم من خلقهم ومن خالق السموات والأرض فيقولون الله ، فذلك إيمانهم بالله ، وهم يعبدون غيره . وعن عكرمة وعاصم ومجاهد أنهم قالوا فى هذه الآية : ليس أحد إلا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والأرض . فهذا إيمانهم وهم يكفرون بما سوى ذلك . وعن قتادة قال : لست تلقى أحداً منهم إلا نبأك أن الله ربه وهو الذى خلقه ورزقه ، وهو مشرك فى عبادته . وعن الضحاك قال : كانوا يشركون به فى

أقوال
المفسرين

تدبيتهم . وعن عطاء قال : يعلمون أن الله ربههم وهم يشركون به بعد . وعن ابن زيد قال : ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ، ويعرف أن الله ربه وأن الله خالقه ورازقه وهو يشرك به . قال : فليس أحد يشرك به إلا وهو مؤمن به ، ألا ترى كيف كانت العرب تلمي ، تقول : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . قل هذه الرايات كلها ابن جرير في تفسير الآية .

قول الرازي وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى : « ... ومن يدبر الأمر فسيقولون بعد ابن جرير الله » من سورة يونس : « لما ذكر بعض تلك التفاصيل عقبها بالكلام السكلي ليدل على الباقى ثم بين أن الرسول إذا سلطهم عن مدبر هذه الأحوال فسيقولون انه الله . وهذا يدل على أن المخاطبين بهذا الكلام كانوا يعرفون الله ويقرون به . وهم الذين قالوا في عبادتهم الأصنام : إنما قربنا إلى الله زلفى ، وإنما شفعنا عند الله ، وكانوا يعلمون أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر . فمضى ذلك . قال لرسوله : « قل أفلا تتقون » يعنى أفلا تتقون أن تجعلوا هذه الأوثان شركاء لله في العبودية مع اعترافكم بأن كل المخلوقات في الدنيا والآخرة إنما تحصل من رحمة الله وإحسانه ، واعتباركم بأن هذه الأوثان لا تنفع ولا تضر البتة .

قول النيسابورى وقال النيسابورى في تفسير قوله تعالى « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » « وراى أنها متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه بحسب الدعوة ومقبول الشفاعة عند الله أنخذوا صنما على صورته وعبدوها على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون لهم شفيعاً يوم القيامة عند الله » ويقولون هؤلاء شفعائنا عند الله . وخامسها لعلمهم أنخذوها قبلة لصلاتهم وطاعتهم ، ويسجدون إليها لأنها كما أننا نسجد إلى القبلة لا للقبلة . ولما استمرت هذه الحال ظن جهلهم أنه يجب عبادتها . . . ولما قربوا إليها وعظموها وصورها آلهة أشبهت حطيم حال من يعتقد أنها آلهة مثله ،

قادرة على مخالفته ومضاداته ، قليل لهم ذلك على سبيل التهمك ، وكانهم بهم
بلفظ الندب شنع عليهم واستفزع شأنهم بأن جعلوا أنداك كثيرة لمن لا يصلح
أن يكون له ند ، ولا يفيد في طريق عبادته إلا الحنيفية والاخلاص ورفع
الوسائل من البين .

وقال أمثال هذه الأقوال سائر المفسرين من الأولين والآخرين . وقد إيمان الكفر
حدث القرآن عن أظنى الخليفة بأنه كان مؤمنا بالله وبمظنته وسلطانه فقال تعالى
حكاية عن رسوله موسى أنه قال لعدوه فرعون : « لقد علمت ملائكة هؤلاء
إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشهوراً » ، وقال
تعالى في فرعون وقومه الطاغين : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً »
بل حدث عن إبليس إمام الكافرين وزعيم طوائف المشركين أنه مؤمن بالله
وبربوبيته وملكه وسلطانه المطلق . وهذا مذكور في آيات معلومة . هذه
بعض دلالات القرآن على إيمان المشركين بوجود الله وبربوبيته . فقيم الخلاف
بمد هذا إذن ؟

وقد دلت السنة أيضاً على ذلك دلالات مختلفة ظاهرة . وهذا فيما لا يحصى
من الأخبار الصحيحة الثابتة ، من ذلك حديث الصحيحين المشهور وهو أن
المشركين كانوا يقولون في تلبيتهم إذ هم حجاج : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك
لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » . وقد كان رسول الله
يسمهم يقولون ذلك فيقول عند قولهم « لا شريك لك » : « قط قط » أى
حسب حسب . وكذلك دلت على ذلك أقوال جميع المفسرين من السلف
والخلف من المحدثين والمتقدمين ، وتفاسير أمثال ابن جرير الطبري وابن كثير ،
والبغوي ، والرازي ، وغيرهم طائفة بهذا . وهو غنى عن إيراد أفراد شواهد
وقد دل على ذلك أيضاً كلام المشركين أنفسهم ، ودل عليه ما حفظ من
دلالة كلام
المشركين
أنفسهم

شعرهم ونثرهم دلالات قاطعة كل نزاع وخصام . وليتناول من شاء ما شاء من
دواوين العرب وكتب آدابهم وعلومهم . ومن أبلغ ذلك قول لبید :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل

وقد أنشد هذا الشعر في المسجد الحرام بين أظهر المشركين الكافرين
بالله وبنبيه عليه الصلاة والسلام فأقروه جميعاً وهم يحاربون الاسلام ونبي الاسلام
ودعوة الاسلام . وقد كان أحد المسلمين حاضراً لبیدا وهو ينشد شعره هذا
فلما قال : « وكل نعيم لا محالة زائل » قال له : كذبت فإن نعيم الجنة لا يزول .
وقال لبید أيضاً :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كل ذى رأى إلى الله واسل
وقال أيضاً في هذا المعنى :

أحمد الله فلا ند له * بيده الخيرات ما شاء فعل

وقال النابغة الذبياني :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال حاتم طي :

كلوا الآن من رزق الاله وأيسروا * فان على الرحمن رزقكم غدا

وقال عنزة العبسي :

يا عبل أين من المنية مهرب * إن كان ربي في السماء قضاها

هذه قطرات من بحار والسير كلها ملأى بأمثال ذلك شعرا ونثرا . ومن

العبث محاولة جمع دلائل إيمان القوم بالله وبأنه الآخذ بناصية كل حي وميت .

استحالة ذلك على أن من الأمور البديهية العلم بأن عقلاء المشركين ودهاتهم وذوى الرأى

عقلا وعادة والأرب منهم لم يكونوا يرون تلك الأحجار والأشجار والتمائيل والصور التي

كانو يعبدونها ويعملونها بأيديهم ، والتي كانوا يأكلونها أحيانا ، حتى جاءوا خالفا

لعبادها أو أنها قديمة مع الله أو شريكة له في الملك والربوبية . ونحن - مهما أسأنا الظن بالمشركين والكافرين ، وبالفناني هجاء عقولهم وفطرتهم - لا نحسب أن أمثال عمر بن الخطاب وأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وخالدين الوليد وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي سفيان ومعاوية وأبي طالب وغيرهم من دهاة الرجال وذوى الرأى والأرب منهم ، كانوا ، حينما كانوا مشركين ، يعتقدون أن الاصنام والأوثان والصور والتماثيل التى كانوا يعبدون خالقة لهم أو خاتمة السموات والأرض ، أو مساوية لله فى القوة والقدرة والسلطان والقدم والبقاء وسعة العلم وإحاطته ، أو نحو ذلك من صفات الربوبية وأوصاف الرب . إن العلم ببطلان هذا وفساده من العلوم الضرورية الجلية . ولكن القوم كانوا يتخذون تلك الأصنام والأوثان قرباناً إلى الله ربهم كما قال تعالى : « فلولاً نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ، بل ضلوا عنهم وذلك أفكهم وما كانوا يفكرون » وقال : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، وقال : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » . هذه أمور وبراهين يكفى بعضها لرد ما قاله الشيعى من أن المشركين كانوا ينكرون الله ، أو كانوا يقولون ان الله أعطى الاصنام والأوثان التأثير كله أو بعضه .

﴿ الآيات التى احتج بها الشيعى ﴾

أما الآيات التى احتج بها هذا الرجل على هذه الدعوى فلا حجة فيها مطلقاً أما قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً » فما أناها عما رام منها ، فهى تقول خطاباً للنبي عليه الصلاة والسلام : قل لأولئك المشركين بالله ، العابدين معه ما خلق : قل ادعوا الذين زعمتم آلهة ، وزعمتمهم جديرين بالعبادة والتأليه ، وزعمتم أنهم يدعون ويستغاثون فيجدى دعاؤهم والاستغاثة بهم : ادعهم فلن ينفعوكم شيئاً ، ولن

الجواب عن
الآية الأولى

يستطيعوا أن يكشفوا عنكم ضرا نازلا بكم ، ولا أن يحولوه عنكم إلى غيركم لمعجزهم عن ذلك ، ولا نفردا لله به دون من خلق ودون كل شيء في الأرض وفي السموات . ثم قل لأولئك المشركين أيضا : إن هؤلاء الذين تدعونهم رجاء خير أو دفع ضرر ، بشفاعتهم ووساطتهم ، هم يدعون الله ويرجونه ما ترجونهم من الوسيلة إليه ، والقرب لديه ، والخطوة عنده . وهم يرجون رحمته لفقرهم واحتياجهم ، ويخافون عذابه لضعفهم وعجزهم . فما أضعف من تدعون وترجون ، وما أضعف الطالب والمطلوب وليس في الآية أن أولئك العاصدين المشركين كانوا يعتقدون أن أولئك المعبودين مساوون لله ، أو خالقون للسموات والأرض ، أو خالقون لأنفسهم أو لغيرهم ، أو يعتقدون أن الله أعطاهم تصرف هذا العالم كله أو تصرف بعضه : ليس في الآية السكينة شيء من هذا حتى يسوغ للشيعي الاحتجاج بها ، بل غاية ما يمكن أن يفهم منها أنهم كانوا يدعونهم ويعبدونهم أنواع العبادات ، من الخضوع والخشوع والخلوف والرجاء ، رجاء أن ينفعهم عند الله ربهم وربهم بوساطتهم وشفاعتهم ومكانتهم . وسوف نبين إن شاء الله أن عبادة القبور هكذا يفعلون ويرجون ، وهكذا يضربون وينسجون . فان إنسانا واحدا عاقلا لا يمكن أن يدعو شيئا ما وهو لا يرجو منه شيئا لا بوساطته ولا بقدرته .

الجواب عن وأما قوله تعالى : « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد الآية الثانية لما تأمرنا ، وزادهم نفورا » فاحتجاج الشيعي بها مناقض لأقواله الكثيرة ، لأنه معترف في غير مكان من هذا الباب ومن الأبواب الأخرى أن المشركين كانوا مؤمنين بالله وكانوا يعبدونه أيضا ، ولكنهم كانوا يعبدون غيره من الأصنام والأوثان ، وكانوا يكذبون الرسول وينكرون شرائع الإسلام ، وينكرون البعث والحساب والثواب والعقاب . فالجواب عن الآية إذن مشترك بينه وبين مخالفيه . ومما لا ريب فيه أن هذه الآية لا يمكن أن تقوى على معارضة الآيات

والدلائل الأخرى السابقة في إيمان المشركين بالله وعبادتهم غيره
والآية لها معنى آخر غير ما ذهب إليه الرافضى . وهذا المعنى مذکور في
كتب الحديث الصحيح وفي كتب التفسير وأقوال المفسرين من السلف
والخلف ، وفي كتب اللغة ، وذلك أن المشركين من العرب كانوا ينكرون هذا
الاسم الذى هو « الرحمن » لأنهم لم يكونوا يعرفون أنه من أسماء الله ، أولئك
لم يمتدوا لإطلاقه على الله . فهم ينكرون هذا الاسم من الرسول عليه الصلاة
والسلام ، لأنه ، فبما زعموا ، ابتدعه وأحدثه ، ولا ينكرون الله ذاته . وهذا معروف
مذکور في كتب الحديث والتفسير . وقد روى البخارى وغيره في خبر صلح
الحديبية بين المسلمين والمشركين أن الرسول عليه السلام لما أملى على الكاتب
عبارات الصلح وقال له قل : بسم الله الرحمن الرحيم قال له سبيل بن عمر زعيم
المشركين : أما الرحمن فلا نعرفه ، ولكن اكتب باسمك اللهم . وهكذا ذكر
المفسرون في معنى الآية من المتقدمين والمتأخرين . فالذى أنكره المشركون هو
الاسم لا المسمى . وهذا واضح . ولهذا فانهم كما حكي الله عنهم أنكروا الرحمن ولم
ينكروا الله ولا الإله ولا الرب ولا غير ذلك من أسماء الله وأوصافه وصفاته
المعروفة في كلامهم .

على أن للآية السكينة معنى آخر أراه قريبا وجيها . ذلك أن الرسول عليه
الصلاة والسلام كان يدعو القوم إلى عبادة الله وحده لا شريك له في نوع من
أنواع العبادات ولا في مظهر من مظاهرها . فكان يدعوهم إلى توحيد تعالى في
الثناء والرجاء والخوف والرغبة والرغبة والسجود والركوع . . . وكانوا ينكرون
ذلك التوحيد ويلجئون في الإنكار أقبح القبح ، وكانوا يتنكبون به عليه السلام
إذا دعاهم إلى ذلك ، إلى الله وحده ضروب التهكم ، فكان رسول الله يقول لهم
فيما يقول : اسجدوا للرحمن وحده ، فكانوا يردون عليه ساخريين هازئين :

« وما الرحمن » ، ماهذا إلا له الذى تدعوننا إلى عبادته والسجود له وحده ؟ صفه لنا ، وصف لنا حقيقته وحقيقته أمره وماتعرفه عنه مما نبجله نحن عنه إن كنت صدقا عالمًا عالم تعلم ، مطلعا على ما لم نطلع عليه من شؤونه وصفاته وأوصافه ، وإن كنت حقا نبيه وصفه من خليقته ورسوله البنا وإلى الخلق جميعا . . . وكانوا يريدون بذلك التمجيز والافحام والزراية ، لا العلم والمعرفة والدراية . وما كانوا يريدون حقيقة السؤال والعلم لانهم كانوا منكرين عليه عليه الصلاة والسلام الرسالة والصلة الالهية التى خصه الله بها دونهم . فكان المراد بقولهم « وما الرحمن » التمجيز والافحام والمدوان . وما كانوا يعنون إنكار الله أو إنكار وجوده تعالى ، فان لفظ الآية لا يعين على إرادة هذا الإنكار . ولو كانوا يريدون الإنكار والاحمود حقا لقواله : إنه لا الرحمن ولا إله ولا خالق ، فمن ذا الذى تدعوننا إلى عبادته وحده والسجود له ؟ والقوم كانوا كل الحرص على مجابهة نبيهم بالخلاف والا كذاب والكفران ، وإنما قالوا : « وما الرحمن » . ومثل هذا الاستفهام والكلام يسأل به عن حقيقة الأمر وماهيته ، ولا يراد به حقيقة الجحود إلا أن يكون القول ضرباً من ضروب المجازات المملوءة الكثيرة . ولكن لا شئ هنا يحمل على تحميل الآية المجاز والخرج بها عن الحقيقة ، بل كل شئ يدل على أنفلا مجاز ولا إنكار ولا جحود ، وإنما هنا الشرك والحرص الأعمى عليه .

آية تسوية
الاصنام برب العالمين

وأما قوله تعالى . « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين »
فهى ليست بسبيل مما ذهب إليه المخالف ، ويتبين ذلك بإيراد ما قبل الآية . قال تعالى من سورة الشعراء : « وبرزت الجحيم للغاوين ، وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ، فكذبوا فيهمم والغاوين وحنود إبليس أجمعون ، قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا الجهمون ، فما لنا من شافعين ولا صديق

حجيم...». فلينظر القارئ في الآية يجد أنها خصام وحوار بين المشركين التابعين
و بين رؤسائهم المضلين المتبوعين ، ويجد أن هذه الآية مثل قوله تعالى من سورة
الأحزاب : « إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً
لا يجدون ولياً ولا نصيراً ، يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله
وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا
آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » ومثل قوله تعالى من سورة إبراهيم
« وبرزوا لله جميعاً ، قتال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم
مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا
أجزعنا أم صبرنا ، ما لنا من محيص » . فهذه الآيات كلها من نهر واحد ، هي
خصام وجدال بين فريق الضالين المعذيين : بين أئمة الكفر والضلال ودعاة
جهنم من الملوك والزعماء والعلماء وسائر الرؤساء الذين ملكوا عقول الجماهير
وقلوبهم وغنائدهم وعواطفهم بخداهم ومكرمهم وسلطانهم ودرهمهم ودينارهم
فاقنادهم ، وهم ينظرون ، إلى جهنم بأمراس الزطمة والرئاسة التي قدموها إليهم عن
طاعة ورضا وجهل وغباوة ، ليقودهم بها إلى عذاب النكر والهون والجحيم في
حياتهم : الدنيا والأخرى - وبين هذه الجماهير الضالة الغبية التي استعبد عقولها
وقلوبها وعقائدها وعواطفها أناس مثلهم يلبسون الثياب خوف الحر والقر
ويأكلون الطعام لطرد الجوع والإعياء والألم... فالآية حوار قاس بين الرؤساء
والمرؤسين من المشركين والمضلين ، لا بين المشركين وأصنامهم وأوثانهم التي
ألهوها وعبدوها . وذلك أن الآية قد أنبأت بأن أولئك المعبودين المسوين
يرب العالمين لا ينصرون ولا هم يلتصرون ، وأنهم كبكبوا جميعاً في الجحيم ،
وأنبأت أن فريق الاختصام والحوارهم المشركون والغاؤون وجنود إبليس
أجمعون . وهذا كله لا يكون إلا للرؤساء الضالين المضلين ، لا للإلوان الجامدة ،

ولا للمعبودين من الأنبياء والصالحين .

والمراد هنا بتسوية الرؤسین للرؤساء رب العالمين أنهم قد أطاعوهم في عصيان الله وفي الخروج على شرعه ودينه وسننه ، وأنهم قد شرعوا لهم شرائع باطلة لم يأذن بها الله فأطاعوهم وأذعنوا لهم ، واستبدلوا بشرائع الله خالقهم ورازقهم ، وبشرائع أنبيائه وصفوة عباده . وفي هذا المعنى قال الله تعالى « اتخذوا أجبازهم ورجبانهم أرباباً من دون الله » . وقد جاء في تفسير الآية عن النبي عليه الصلاة والسلام أنهم أطاعوهم في تحليل الحرام وفي تحريم الحلال ، فكانوا بذلك متخذينهم لهم أرباباً . وفي هذا المعنى أيضاً قوله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟ » وفي هذا المعنى أيضاً على بعد قول الله : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »

ولا ريب أن من أطاع الملوک الظالمين ، والزعماء الجاهلين ، في تحريم الحلال وإحلال الحرام والخروج على شرع الله ، إرادة إرضائهم وكسب عطفهم ومودتهم ، فقد سواهم بالله بل فضلهم عليه تعالى وفضل رضاهم على رضاه . وهذا هو الخذلان المبين والجهل الفاضح . والله المرجو أن يحفظنا ويسد لنا

ثم إذا فرض أن الآية نازلة في المشركين وفي أوثانهم وأصنامهم لم يمكن أن تفسر بأن المشركين كانوا يسوون الأصنام والأوثان بالله رب العالمين تسوية تامة من كل وجه ، فإنه لا يوجد عاقل مؤمن بالله يسوى بينه وبين معبوده من الأحجار والأشجار والحيوان والإنسان ، وأكثف الخلق شركاً وكفراً لا يمكن أن يبلغ به فساد الذوق والعقل والعقيدة إلى هذا المدى والانحطاط ، وإنما غاية المشرك أن يعبد مع الله آلهة أخرى لا أن يسوى هذه الآلهة بالله متى كان مؤمناً . فالمراد بالتسوية هنا هي عبادة الأصنام مع الله وإشراكها في حقه على حينئذ . كما قال تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »

والنبد في اللسان هو المثال . فمن أحب شيئاً مثل حبه الله فقد سواه به ، وقد قال تعالى « فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » قال ابن عباس في تفسيرها : لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره . وقال قتادة ومجاهد : لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله . وقال ابن زيد : الأنداد هي الآلهة التي جعلوها معه . وروى ابن أبي حاتم في تفسير الآية عن عبد الله بن عباس أنه قال : هو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول لولا كلبية هذا لأنانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأنانا اللصوص ، وقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وفلان . هذا كله من تفسير الآية عند عبد الله بن عباس . ومثل هذا أن رجلاً قال للنبي عليه السلام : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلني لله نداً بابل ما شاء الله وحده » . ومثل الذي قلناه في تفسير الآية قال سائر المفسرين ، وهذا مالا شك فيه . على أن الدلائل المتقدمة في إيمان المشركين بالله وبأنه خالق كل شيء وخالق أصنامهم وما يعبدون كافٍ لصرف هذه الآية عن ظاهرها لو فرض أن ظاهرها هو ما ذكره المخالف .

ثم إن هاهنا أمراً يجب أن يذكره الشيعي وألا ينساه ، هذا الأمر هو أنه وما يرد على ذكر في كتابه في غير موضع أن من آمن بالله وبصفاته العلية كالاستواء والعلو الشيعي والرفعة الحقيقية فهو مشبه الله بخلقه ومسويه بهم وإن صرح بنفي التشبيه ونفي المماثلة والتسوية . وهو لهذا يعد السلف الصالح الواقفين مع النصوص المثبتين لهذه الصفات النافين للمماثلة والتشبيه مجسمين ، ويدعوم مشبهين ممثلين . وهو لا يراهم يقيناً قد سواوا الله بخلقه من جميع الجهات ، ولا اعتقدوا أنهم مثله في كل الخصائص والأوصاف . فالتسوية إذن باعترافه تطلق ولا يراد بها التسوية التامة الحقيقية . وبهذه التسوية الجزئية تفسر الآية إذا ما بطل جميع ما ذكرناه في

تفسيرها . والقرآن يجب أن يذهب به حيث تذهب اللغة التي نزل بها ، واللغة لا تريد من التسوية ونحوها التسوية بين المسوى والموسوى به من كل وجه بالضرورة ، فاذا قلت : سويت بين فلان وفلان ، وسويت هذا بهذا ، لم ترد هذه التسوية التامة الدقيقة بلا خلاف . ولو كانت هذه التسوية التامة هي المرادة هنا لدلت الآية على أن جميع من في النار قد سواوا معبوداتهم وأصنامهم بالله رب العالمين من جميع الوجوه ، وفي جميع الأشياء الثبوتية والسلبية تسوية تامة عامة ! ومن ذا يمارى في بطلان هذا .

معنى الإله أما الآيات التي فيها اتخذوا الآلهة مع الله فلا تدل مطلقا على شيء مما زعموه . وذلك أن الإله هو المعبود ، والمعبود ليس بال لازم أن يعتقد فيه عابده أنه مثل الله أو أنه قديم معه ، أو أنه خالق السماء والأرض ، أو خالق العالم . وإنما الإله هو المعبود لا غير . ولهذا سمى الله الهوى المطاع إله فقال تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » قال السلف : الهوى معبود . ولا يمكن أن يقول إنسان إن هواه مثل الله ، أو أنه خالق أو متصرف في الكون . ومثل هذا قول الله : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وهم لم يعتقدوا في الأحبار والرهبان أنهم خالقون أو رازقون أو مساوون لله أو نحو ذلك ، كما جاء في تفسير الآية عن النبي عليه الصلاة والسلام . فزعم الشيعة أن اتخذوا المشركين مع الله آلهة أخرى يدل على أكثر من عبادتهم إياها زعم باطل .

لم يكن في العرب من إنكار الله بدلالة قوله تعالى حكاية عنهم « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » فزعم فيه نظر . ذلك أن الآية نازلة ، على ما يظهر ، في إنكار المشركين للبعث لافي إنكارهم الخالق ، وهذا ظاهر من سياق الآية ومن الآيات الأخرى المتكاثرة الدالة على إيمانهم بالله وعلى إنكارهم البعث والحساب . أما سياق الآية فهو

هكذا : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون . وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا آتونا بآياتنا إن كنتم صادقين . قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

فقولهم « وما هي إلا حياتنا الدنيا » إنكار للبعث ولدار الجزاء . وقولهم تفسير : « وما نموت ونحيا » لعلمهم بمنون أن الدنيا خالدة باقية لانهاية لها وسنظل هكذا أبداً يهلكنا إلا فيها ، نتوالد ونتمتع ب و يموت آباؤنا فنخلفهم ، ثم نموت نحن فيخلفنا أبناءنا ، وهكذا دواليك ، لأنه لا حساب ولا عقاب ولا بعث ولا حياة سوى هذه الحياة الدنيا . وهذا نتيجة إنكار البعث ويوم الجزاء . وقولهم « وما يهلكنا إلا الدهر » لعلمهم بمنون أننا لا نموت إلا بطول الزمان وتمتع ب كراته ودولاته ، وبما يحدثه هذا التمتع وما يلزم هذا الطول من أعراض وأمراض ومصيبت تقتلنا وتميتنا بما جبلنا عليه من صفة التغير وصفة الانفعال بالمؤثرات الجوية الزمنية على حد ما قالوا :

أشباب الصغير وأفنى الكبير * كره الغداة ومر العشى
ونظيره من كلامهم المعروف المشهور . ولكن ليس معنى هذا إنكار الله أو إنكار أن يكون الدهر مخلوقاً للخلاق العظيم . كلا ، فان إضافة أمثال الامانة والاحياء إلى بعض ما خلق الله لا يدل على إنكار الله . فالناس كلهم يقولون : سطا عليه سيف الهرم وطول العمر ، وهم لا يريدون بتلك الأقاويل والعبارات إنكار الله وجحد ، فان أشد الناس إيماناً و يقينا يقول ذلك . وأى إنسان يسمع قول الشاعر مثلاً :

نعم المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال
فيقول : إن هذا القائل يريد إنكار الله بما قال هنا أو إنكار أن يكون

سبحانه هو وحده خالق الموت والحياة وخالق كل شيء . ولن يدل قولهم « وما يهلكنا إلا الدهر » على إنكار الخالق حتى يدل دلي ذلك قولهم وقول الناس جميعا : أساء إلى الدهر وأحسن إلى فلان ، والدهر سلم النقي الوضع ، وحرب الذكي الرفيص . وقولهم : أخنى عليه الزمان وقتله الجديدان ، وقولهم :

رمى الحدثنان نسوة آل حرب * بمقدار ممدن له مموداً

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

وهذا ، بلا خلاف ولا ريب ، لا يراد به جحد الخالق ولا إنكار أفعاله ، ولكن الناس المؤمنين بالله وغير المؤمنين قد يضيفون الحوادث إلى أسبابها القريبة الظاهرة المباشرة مع الاحتفاظ بسبب الأسباب ومسببها ، وغاية الغايات وخالقها وهذا معروف لهم ، ولو كانوا يريدون بقولهم : وما يهلكنا إلا الدهر جحد الخالق لقالوا : ما خلقنا ولا أحيانا ولا يهلكنا ولا يفنينا إلا الدهر أو نحو ذلك ، ولكنهم أضافوا الإهلاك فقط إلى الدهر . ولعلمهم كانوا يريدون تنزيهه تعالى عن أن يضيفوا إليه الشرور والآفات ، مثل الإهلاك والموت . وقولهم بعد قولهم هذا : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حججهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين » يشهد لما قلنا ، ويدل على أن الإنكار كان للبعث والحساب فقط لا للخلاق ، وقوله تعالى بعد ذلك « قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون » يدل على ما قلناه دلالة صادقة ناطقة .

فسياق الآية نفسه واضح في أن الإنكار ليس للرب ولا للخالق ، وإنما هو للبعث والحساب ، وأما الدلائل الأخرى على ذلك فلا تخفى ، وقد قدمنا جلا من دلالات القرآن على أن المشركين كانوا مؤمنين بالله ، وبأنه خالق السماء وخالق الأرض والعالم وخالق كل شيء ، وأن داءهم وبلاءهم هو الشرك وعبادة

المخلوقين العاجزين الضعفاء .

الاحاد لا يكون
في الشعوب
الفطرية

ومشركو العرب الذين نزلت فيهم هذه الآيات قوم أميون ساذجون فطريون تقريباً ، بعيدون عن البحث وأعماقه في الآلهيات وغير الآلهيات . والأهم الأمية الفطرية من المستبعد أن تهتدى إلى الاحاد الذي هو إنكار الخالق ، وإتمام الاحاد في الأمم الحضرية المدنية العريقة في الفلسفات البشرية المغرورة المدخولة . وذلك أن الخالق قريب جداً من الفطرة الأولى ، بعيد جداً من الفلسفة المتممة المنتظمة ، لأن هذه الفلسفة مصابة أبداً بداء الغرور والكبرياء . والكبرياء تأتي على صاحبها التسليم للحق والخضوع للقدرة الخفية القاهرة ، بل هي أبداً تنجح إلى التغلب على كل شيء ، والاستهتار بكل شيء ، والجحود لكل ما أعجزها وقهرها وحيرها . فمن البعيد القريب من الحال أن يصاب العرب بداء الاحاد ، ومن البعيد إذن أن يفسر قوله تعالى حكاية عن الكافرين المشركين منهم : « ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر » بهذا الداء . ولو فرض أن هذه المقالة لا يراد بها إلا الاحاد لما كانت إلا مقالة طارئة اختطفها بعض المشركين من بعض الأمم المجاورة اختطافاً ، فنقلها نقلاً ، وقالها قولاً لا يلبث أن يرجع عنه وأن ينقاد لوحى فطرته الأولى المولودة في الصحراء التي لا تعرف غير الإيمان بالله وبملكه وسلطانه الأعظم . ولا يصح أبداً أن تكون عقيدة راسخة دائماً ، ولا أن تكون مذهب الجمهور المعروف الواضح . ومن يسر له أن يقرأ بعض ما خلفه العرب الفارقون في الشرك من شعر ونثر لم يستطع أن يمارى في إيمانهم بالله وإيمانهم بأنه رب السموات والأرضين ورب العالمين ، لا شريك له ولا معين .

﴿ هل يرى المنقطعون إلى الاموات ﴾

﴿ أنهم ينفعون أو يضررون ؟ ﴾

أما قول الشيعي: « إنه لا شيء يدلنا على أن المشركين ما كانوا يعتقدون فيه أصنامهم ومعبوداتهم من الجن والانس والملائكة أنها لا تأثير لها في الكون. إذ يجوز أن يعتقدوا لها تأثيرا بنفسها فتشفي المرضى وتنصر على الأعداء وتكشف الضرر، وأنها تشفع عند الله حتما ولا يرد شفاعتها ، أو أن الله جعل لها قسطا من التأثير أو كله اليها » .

المراء لا يدعو إلا من يعتقد أنه قادر على نفعه
فنقول في جوابه: لاشك أن المشركين مادعوا الأصنام والأوثان، ولا رغبوا إلى الأولياء والأنبياء فعبدوهم ، إلا لاعتقادهم أنهم يستطيعون نفعهم وضرهم ، وأن لديهم شيئا من النفع والضرر والاعطاء والمنع ، وأنهم قد يشفعون ، وقد ينصرون: كل ذلك بأمر الله وقدرته وإذنه وفضله . ولولا هذه العقيدة لما دعوهم ولا سألوهم ولا رغبوا إليهم ولا رهبواهم . فان الناس يحبولون على الانصراف إلى ما يظنون أن لهم فيه فائدة ، والانصراف عما يملكون أنه لا ينفعهم ولا يجديهم شيئا . فمن دعا غير الله فلا بد من أن يكون قد اعتقد في قرارة نفسه أن ذلك المدعو قادر على شيء ، وأن له تأثيرا ما . وهذا هو الحامل له على الرغبة فيه والاتقطاع إليه ، ولو فقد هذا الأمل لفقد ذاك العمل . وهذا مالا يصح اختلاف فيه .

أما دعاة الأموات المنقطعون إلى القبور من المسلمين فلا ريب أيضا في تحكم هذه العقيدة ، عقيدة نفع الأموات وضرهم في قرارات نفوسهم ومسارب أذهانهم . وأبدانهم ، ولو أنهم اعتقدوا وعلموا أن أولئك المقبورين فاقدون ما يطلبونه منهم عاجزون عنه وعن إيصال النفع إليهم ودفع الضر عنهم ، لما وجبتهم عاكفين .

عليهم باسطين أكفهم إليهم ، نفشى وجوههم الذلة والمسكنة ، وتضطرم في قلوبهم الرغبة وحب المنفعة ، ولما تحملوا المشاق واجتنبوا الشقق المرهقة من كل فيج عميق ، ومن كل مكان سحيق ، توضع بهم نجائب الأمل . الحلو اللذيذ ليقفوا على تلك الأطلال والمعالم ، ليسكبوا على ترابها العبرات ، ويبتثوا على أعتابها أنواع الشكايات ، وليقوموا بين الخوف والرجاء مقاماً يلطم شرف الانسان ويضرب مجد العبودية الموحدة في القتل :- نعم لولا رسوخ هذه العقيدة عقيمة نفع الأموات وضرهم في نفوس هؤلاء الداعين ما فعلوا من ذلك شيئاً ولا هتفوا عند الشدائد دعاة الأموات بأسمائهم ، ولا قدموا لهم القرايين والهدايا من حرأوالهم وغالبها ، وهم يبخلون يعتقدون فيهم بأخسها وأقلها على الفقراء والموزين الذين أمرت الأديان والآداب جميعاً ببرهم والاحسان إليهم والتصدق عليهم ، وإلا فللمسكين من الله أليم العذاب والعقاب . هذا ما لا ريب فيه والشواهد عليه كثيرة منظورة : من ذلك أنهم يسمون الأموات « أهل النصريف » أى نصريف العالم ، ويسمونهم : « الأقطاب » أى أقطاب الكون ، ويدعون لواحد منهم « بالمتولى » أى متولى أمر الوجود .. ويقولون للشيخ من هؤلاء : « سقت ربك عليك » ، ومن ذلك أنهم يمزون إليهم حكايات كاذبة تدل دلالات قاطعة على أنهم يرونهم قادرين على أشياء لا يقدر عليها إلا الله : فيحكون أن البدوى فعل كذا ، وأن الدسوقي صنع كذا من غرائب الأفعال والحكايات الدالة على كامل القدرة والنصريف لو صححت عنهم . وقد ألفوا كتباً ضمنوها هذا الداء ونشروها على جهلاء الناس وعلمائهم . ومن ذلك أنهم يحتجون لدعوتهم والاستغاثة بهم بأمثال قول الله : « لهم ما يشاؤون عند ربهم » وقوله « وسوف يعطيك ربك فترضى » واحتجاجهم بهذه الآيات صريح في أنهم يرون من يدعوون من دون الله من الأشياء الموقى يفعلون كل ما يشاؤون ، وينالون ما يشاهون ، لأن لهم عند ربهم ما يشاهون ،

ولأن الله سوف يعطيهم حتى برضيتهم ، وهم لا يرضون أن يضام ، أو يعذب ، أو
يسخل النار ، أو يخيب أحد من دعائهم ولا ذنبهم من المريدين والمنقطعين ، وهم يشاؤون
أيضا نفع السائلين لهم ، العائدين بهم ، وأجداً لهم . فطوبى إذا لمن وقف
بأبوابهم وعلى أطلالهم ، ولن عاذ بحمام ، والويل كله لمن أعرض عنهم ونأى
بجانبه عن رحابهم واعتابهم . . . وأنت إذا سألت أحد هؤلاء الهلكى عن
ذلك وقلت له : كيف تدعو ميتاً تحت أطباق التراب ؟ وكيف ترجو أن ينالك
منه شيء ؟ قال لك : يا أخى « لهم ما يشاءون عند ربهم » « فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » فيضع هذه الآيات موضع الحجج والبراهين على دعاء الأموات
والاقتطاع إليهم وتأميلهم . وهذا يؤكد أى تأكيد لا اعتقادهم فيهم النفع والضرر
وسائر ما فى الابدان والقدر . وأنت إذا ما وقفت بضريح من هذه الضرائح
وسمعت الدعوات والطلبات ، ورأيت ما هنالك من الأكف المرفوعة ، والأدمع
المنروفة ، والوجوه المصفرة ، والوجوه المعترة ، لم تشك فى أن للقوم فى تلك الحفرة
آمالاً عراضاً طوالاً تتضاءل أمامها آمالهم فى الله رب العالمين . وهذا الشيعى
المخالف لا يخالف فى أن الأموات ينفون ويضرون ويعطون ويمنعون ، ولكن
يقول : إن ذلك كله من الآوات الصالحين يكون بدعائهم وشفاعتهم ووساطاتهم
عند الله . ويقول : إن ذلك كله يكون منهم لكن لا على سبيل الاستقلال
والاستبداد ، وإنما يكون بإذن الله وإقداره ورضاه . فهم يضرون وينفون
ويعطون ويمنعون بما ملكوا من الشفاعة والجاه ، وبما وهبوا من القدرة
والسلطان . وقد تفوه بهذا فى غير موضع من كتابه تصريحاً وتلويحاً ، فهو يقول
فى هذا الباب الثالث : « فإن المسلمين لا يعنون بالسيد إلا أن له منزلة عند الله
أوجبت امتيازاً عن غيره ، وأن يقبل الله شفاعته ويسمع دعاء من تشفع به إليه
كرما منه تعالى وفضلاً . فهم لم يثبتوا له إلا ما أثبتته الله . أما الوهابيون فنفوا

اعتراف
المخالف بضر
الأموات
ونفعهم

ما جعله الله له « ثم قال في هذا الباب أيضا : « والمسلمون اعتقدوا أن الأنبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم أحياء وأمواتا كما نصت عليه أحكام دينهم وأدلتها التي ستعرفها ، والتي أثبتت لهم الشفاعة والدعاء ، ويضرون بترك ذلك وبالبعد عن نيل بركاتهم ، وهو اعتقاد صحيح مطابق لأدلة الدين الاسلامي . فطلبوا منهم ما جعله الله لهم من دعائه والشفاعة لديه » ، ثم قال من هذا الباب أيضا « فهم قريون - يعني الموتى - إلى الله بدعائهم لنا ويشفعون لنا عنده » ، ثم يقول دافعا عن هؤلاء الضلال : « فالظاهر أنهم لا يعتقدون في مشايخهم الاستقلال في التصرف » . وظاهر هذا القول أنهم إذا اعتقدوا أنهم يتصرفون لكن لا استقلالاً بل مع الله وبقدرته وإذنه ، فلا شيء في هذا الاعتقاد ، بل ظاهر كلامه أن هذا هو اعتقادهم ، ولهذا فإنه دافع في هذا الباب عما روى عن الشعرائي أنه قال : إن الله وكل بقبر كل ولي ملكا يقضى حاجة من سأل ذلك الولي ، كما دافع عما روى أن امرأة كف بصرها فنادت وليها قائلة : أما الله فقد صنع ما ترى ولم يبق إلا حبك . ويقول في آخر القصيدة التي وضعها في آخر كتابه في نفع القبور والمقبور :

الدعاء في	إن القبور بساكنها شرفت * فلساكنها منزل لم يجحد
المساجد غير	بركاتنا ترجى لداع إنها * بركات شخص في الضريح موسد
مقبول وفي	لا بدع إن كان الدعاء إليه فيها صاعداً وبغيرها لم يصعد
القبور مقبول	إن الأئمة من سلالة أحمد * نقل النبي وقوده لا مقتدى
	قالوا : الصلاة لدى محل قبورنا * في الفضل تعمل مثلها في المسجد
	عنهم روته لنا الثقات فبالهدى * منهم إذا شئت الهداية فاقتد
	فدعاء العبد ربه في بيوت الله في الأسفار وفي سويحات الاجابة وسويحات
	الفيوضات الإلهية لن يتقبله الله من عبده ولن يعأ به ولن ينظر إليه . أما الدعاء

في القبور فهو الدعاء الذي لا يرد وهو الذي يمرج إليه تعالى مخترقاً الأطباق
والحجب والمسافات . والصلاة في القبور وعند أقدام الموتى تفضل الصلاة في
المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي عليه السلام وجميع المساجد . ولا
يختلف المسلمون البصراء بالاسلام أن هذا من شر الالحاد وشر الضلال - عياذا
بالله . فبالله للاسلام من عدوان الشيعة وضلال الشيعة وبهتان الشيعة ! ألا لأقر
الله عينا تكتحل بالرضا عن هذه أقوالهم ، ولا أثنى على قلبا يحمل لهم المودة والحب
ما داموا هكذا يقولون .

ذلك كله يدل على أن القوم يمتدحون في أمواتهم أنهم ينفعون ويضرون
ويتصرفون ، غير أن ذلك كما يدعى هذا الشيخ ، ليس استقلالاً منهم وإنما هو
بمشيئة الله وقدرته . . وهذا يضاهي قول المفوضة ، وهم جماعة من الشيعة يزعمون أن
الله خالق ، أو مخلق ، جماعة من آل البيت النبوي ، ففوض إليهم خلق العالم
وتدبيره والقيام به وعليه . ولهذا فإن هذا المصنف كثيراً ما يقول في كتابه هذا : إن
الفرق بين المشركين الأولين وبين هؤلاء المتوسلين : أن المشركين كانوا يدعون
مالا ينفع ومالا يضر من الأحجار والأشجار ، ومن الصور والتماثيل ، ويدعون من
لم يجعل الله فيهم نفعا ولا ضرا ولا شفاعا ولا أمرا . وأما المسلمون فانهم يدعون
من جل الله لهم ذلك ووجههم إياه تفضلا منه ونعمة . ومما يقوى أن هذا المصنف .
وطائفته من المفوضة أشياء ذكرها في كتابه « أعيان الشيعة » عن شيوخهم .
الكبار المجمع على إمامتهم وجلالتهم عندهم ، فذكر في الجزء الخامس من هذا
الكتاب ص ٥٢٠ من قول الشيخ إبراهيم بن يحيى العاملي في النبي - برأه الله
مما قالوا - قوله :

الشيعة مفوضة
ومعنى ذلك

سأد الورى بفضائل وفواضل * وأقلها إيجاد هذا العالم
أنا عبدك القن الذى لا يبتغى * إلا رضاك وأنت أرحم راحم

وقوله أيضا في مدحه :

وكان وسيلة الراجين منهم * ومفزع كل ملهوف مضام

وقوله في مدح الحسن :

ذو المعجزات الواضحات أقلها * إحيائه الموتى من الأحياء

وقولهم في مدح آل النبي :

وحامى حمى الزوراء، موسى بن جعفر * ملاذ بني الأيام والدهر بمجحف

ضامن دار الخلد للزائر الذي * أناه يؤدي حقه، لا يسوف

وقولهم في امتداح علي :

حاشاك أن تنسى وليا، الله * إلّاك يا غوث الورى من مفزع

وذكر ص ٥٨٨ من هذا الجزء قول أحد أشياخهم في السيدة زينب :

وكيف لا يطلب الدنيا وضررتها * ولا كمو، وهما أدنى عطايك

وفي هذا الجزء أيضا ص ٢١٩ في ترجمة الشيخ إبراهيم بن صادق أحد

علمائهم في امتداح علي :

وجوده وسع الوجود وهل خلا * في عالم الامكان منه موضع

كشف داجية القضاء عن الورى * بعزائم منها القضاء يروع

يا من إليه الأمر يرجع في غد * ولديه أعمال الخلائق ترفع

وله آل نوابها وعقابها * يعطى العطاء لمن يشاء ويمنع

وأرى الألى لصفات ذاتك حددوا * قد أخطأوا معنى علاك وضيعوا

ولأى مجدك يا عظيم المجد لم * يتدبروا وحديث قدسك لم يعوا

ولك الرمام تهب من أجدائها * والشمس بعد مغيبها لك ترجع

والشمس بعد مغيبها إن ردها * بالسر منك وصى موسى يوشع

فهي التي بك كل يوم لم تزل * من بدء فطرتها تغيب وتطلع

والله عبدك طائع لك لم يزل * وكذا الفضالك من يمينك أطوع
ولئن أطاع البحر موسى بالعصا * ضرباً فموسى والمصالك أطوع
ولئن نجت بالرسول قبلك أمة * فلقد نجت بك رسول ربك أجمع
وصفاتك الحسنى يقصر عن مدى * أدنى علاها كل مدح يصنع
والحمد مقصور عليك ثناؤه * وعلى سواك لواؤه لا يرفع
وذكر ص ٦٧٣ من هذا الجزء في ترجمة الشيخ إبراهيم العامل قوله في امتلاك
العترة لأمر العالمين جميعاً :

العالمون بكل علم أحجيت * عنه الخواطر غير كنه الذات
ملكوا أمور العالمين فأمرهم * ماض على الأحياء والأَمْوات
ثم نقل عن هذا الشيخ أيضاً ص ٦٨٧ قوله بعد أن ذكر النبي وعلياً
وفاطمة والحسن والحسين وجعفرًا وحمزة وعقيلًا وعبد مناف في مصير أمور
العالمين إليهم :

هم التهمة الفر الذين إليهم * أمور الورى في الشأتين تثول
فلولا هم ماساغ فعل لفاعل * ولا طاب منه القول حين يقول
هذه نماذج من أقوال أئمة الشيعة وشيوخهم في مذهب التفويض ، تفويض
أمور العالم من خلق وإيجاد وإحياء وإماتة وتصريف إلى النبي وآله ، وهذه
دلائل لا يختلف فيها على أن القوم لا يعتقدون في موتهم الضر والنفع والاعطاء
والمنع فقط ، بل يعتقدون أنهم يخلقون ويحيون ويميتون ويتصرفون في هذا العالم
الزخار تصرفاً كاملاً تاماً ، ويقدرّون على كل شيء قدرة كاملة غير محدودة ولا
معدودة ، بل مطلقة تامة ، وهذا شر الشرك وشر أنواع الكفر بالله العظيم . ولا
خلاف أن هذا الكفر وهذا الشرك هما شر من كفر الكافرين وإشراك المشركين
الأولين الذين تابوا الدعوة الحمديّة وحاربوها ، يريدون تحطيمها والوقوف في

سبيلها ، فان أولئك الكفار وأولئك المشركين كانوا يعتقدون بأن خالق العالم أين إيمان
وخالق كل شيء هو الله وحده لا شريك له ، وهؤلاء الضلال الخيري يقولون إن آل هؤلاء من
النبي هم الخالقون الموجدون لكل شيء ، الصائرة إليهم جميع الأمور . وأين هذه شرك أولئك
الأشعار من قول أولئك المشركين :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
وقولهم :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعم لاحالة زائل
وقولهم أيضا :

تعز فلا شيء على الأرض باقيا * ولا وزرما قضى الله واقيا
وقولهم أيضا :

أحمد الله فلا ندله * بيده الخيرات ماشاء فعل
وقولهم أيضا :

يا عبل أين من المنية مهرب * إن كان ربى فى السماء قضاها
فأين هذه الأشعار التى قالها المشركون من تلك الأشعار التى قالها من
قالوا : إنهم مسلمون ؟ فيا ليت كفر أولئك وشركهم كان إيمانا لهؤلاء وتوحيدا ،
ويا ليت هؤلاء كانوا فداء لأولئك ، ويا ليت لنا رأسا واحداً من أولئك بألف
رأس من هؤلاء ، وإننا نحن الرابحون إذن .

منهـب الشيعة

فلا ريب أن هؤلاء الهاتفين بأسماء الموتى يعتقدون أنهم ينفعون ويضرون
ويعطون ويمنعون . ولولا هذا الاعتقاد لما هتفوا بأسمائهم ، ولما رجعوا إليهم عند
الكفرار الأقدار وتشعب الآمال . والشيعة لابد أن يعتقدوا ذلك ، ولابد أن
يقولوه ، لأن من منبهم أن العباد خالقون موجدون لأعمالهم ، وهم يفارقون أهل
السنة فى هذه القضية . فالأحياء خالقون لديهم موجدون متصرفون حقيقة ،

يقضى بأن
يكون
الأموات
متصرفين

والأموات عندهم مثل الأحياء سواء ، بل هم أحياء عندهم حقيقة . فالأنبياء
والأموات يقينا متصرفون ينفعون ويضرون ويعطون ويمنعون . فالشيء إذا
ماسأل ميتا فلا بد أن يعتقد أنه قادر على ما يطلبه منه ، وأن يعتقد أنه فاعل ، وأنه
معط مانع ، وضار نافع . وهذا هو الاعتقاد الذي زعم أنه يكون شركا وكفرا
بصاحبه ، وهذا هو اعتقاد الكفار والمشركين في أصنامهم وأوثانهم ، على
ما ذكر في مواضع من الكتاب ، وإن كان يزعم في مواضع أخرى أن الفرق بين
هذا الاعتقاد الذي هو اعتقاد المتوسلين من المسلمين ، وبين اعتقاد المشركين
الغابرين أن المسلمين يعتقدون ذلك فيمن ينفعون ويضرون ويدعون ويشفعون
من الأنبياء والصالحين . وأما المشركون فإنهم اعتقدوا فيمن ليس لهم ذلك من
الأحجار والأشجار والصور والتماثيل . وهذا هو الفرق بين الفريقين ، ولكن
يقال : إذا لم يكن هذا الاعتقاد فيمن يقدر شركا وكفرا ، لم يكن فيمن لا
يقدر شركا ولا كفرا ، على ما ذهب إليه . وذلك أنه طالما قال الخلفيه :
لو فرضنا أن الأموات لا يقدر على شيء ولا يسمعون شيئا ، وأنهم لا يدعون
ولا يشفعون فدعاهم داع على اعتقاد أنهم قادرون ، لما كان في ذلك بأس ولا شيء
ولم كان ذلك كمن طلب القيام من مقعد ظانا أنه غير مقعد ، وكمن طلب القراءة
من أعمى ظانا أنه مبصر ، وكمن طلب من ميت حاجة ظانا أنه نائم . وحيث يقال :
له لو لم تكن الاستغاثة بالأموات شركا ولا خطأ ، لأنهم قادرون على الإغاثة
والشفاعة والدعاء ، وهذا كاف في بصحيح دعوتهم والاستغاثة بهم ، لما كانت
الاستغاثة بالأحجار والأشجار والصور والتماثيل شركا ولا خطأ ، فمن استغاث بها
ظانا أنها قادرة على الإغاثة والشفاعة والدعاء كان كمن طلب من أعمى القراءة ومن
مقعد القيام ومن ميت حاجة ظانا أنهم ليسوا كذلك كما قال هو وكما قال . وعلى
هذا لا يكون المستغيثون بالأحجار والأشجار والصور والتماثيل مشركين

«زام المغالاة»

ولا ضالين، وعليه فكفار قریش ومشركوم ليسوا مشركين ولا كافرين ، وعليه
فلا مشرك في هذه الدنيا .

﴿ ما الفرق بين الماكفين على الأصنام ﴾

﴿ والماكفين على القبور ؟ ﴾

محاول المخالف في هذا البسبب أن يكثر الفروق بين أولئك المشركين
الماكفين على الأصنام والأوثان، وبين هؤلاء الماكفين على الأجداث المنقطعين
إلى الأموات . ونحن نلخص هذه الفروق هنا ، ونضع إن شاء الله كل شيء
في نصابه .

الفرق بين
المشركين
الماكفين على
القبور عند
المخالف

قال : « أما عبادة المشركين للأصنام والأوثان فهي أنهم عمدوا إلى أصنام
من حجر أو نحاس أو خشب أو غيرها على صور قوم صالحين متوهمه أو غير
متوهمه عملوها بأيديهم ، وإلى أشجار فعبدوها من دون الله وسجدوا لها ونحروا
وذبحوا وأهلوا بنياتهم لها وذكروا أسماءها عليها دون اسم الله ، وطلوها بدمائها
وطلبوا منها كل ما يطلب من الله ، وأعرضوا عن عبادة الله فكانوا يقولون :
لا طاقة لنا على عبادة الله ، فنحن نعبد ما لتقربنا إلى الله . وهذا صريح في أن
عبادتهم لها غير طلبهم الشفاعة منها ، وتشفعوا بها وخالفوا أمر الله وأنبيائه في
نهيهم عن عبادتها وطلب شيء منها ، وخالفوا مقتضى عقولهم الحاكمة بأنها جهاد
لا تضرو ولا تنفع ، ولا تمقل ولا تسمع ، ولا تقرب ولا تشفع ، ولو كانت على
صورة نبي أو صالح . فان الشافع هو النبي أو الصالح لا صورته المتوهمه ، ولا
تدفع عن نفسها بول الثعالب ولا تروث الدواب فوقها . ومنهم من عمل صنماً من
نمر فسجدوا له أول النهار فلما كان آخر النهار جاعوا فأكلوه . وكانوا يمينون أشياء
من حرث وتناجى الله ، وأشياء منها لأهلهم . فاذا ما زكا ما جمهوه لله رجعوا

فجعلوه للآلهة، وإذا ما زكا ما جعلوه للأصنام تركوه . وذلك قول الله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله ، بزعمهم ، وهذا لشركائنا . فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله ، وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم . ساء ما يحكمون » . ولم يفعل أحد من المسلمين شيئاً من ذلك مع نبي ولا ولي ولا قبر ولا غيره . . . فهذه الاعتقادات والأعمال والتكذيب للرسول هي التي قاتلهم النبي عليها ودعاهم إلى تركها ، لا على مجرد التشفع بنبي أو صالح والتوسل به . وأما عبادتهم الملائكة فقد اتخذهم أرباباً من دون الله كما يدل عليه قول الله : « ولا تأمركم أن تتخنوا الملائكة والنبیین أرباباً ، أيا أمركم بالكفر بـمـد إذ أنتم مسلمون ؟ » . وفي هذا دليل على أنهم فعلوا واعتقدوا بالنسبة إليها ما هو من خصائص الربوبية من سجود ونحوه من أنواع العبادات والاعتقادات . وكانوا يقولون في الملائكة : إنهم بنات الله . وبهذا ظهر أن كفرهم ليس بمجرد استغاثتهم بالملائكة وتشفعهم وتوسلهم بهم . فالتشفع بهم ليس مخطئاً فضلاً عن أن يكون مشركاً . . . » .

ثم قال : « مع أنهم (يعني المشركين) كانوا يعبدون صور الأنبياء والصالحين لا أنفسهم » قال : « ولم يقاتلهم على مجرد التشفع بالصالحين بل على عدم قبولهم أحكام الإسلام وتكذيبهم للنبي مع ظهور المعجزات على يديه وارتكابهم الموبقات والمظالم حتى من هبذ صور الصالحين من الأبحار المنحوتة » قال : « وجميع هذه الأمور (يشير إلى الاستغاثات بالأموات وكل ما يعمل لدى القبور) سواء سميت عبادة أو لا لا تمد شركاً ولا كفراً ، لأن المنوع منه الموجب للشرك هي عبادة خاصة وهي ما كان عن غير أمر الله ، أو عناداً له أو بقصد الاستحقاق الذاتي كاستحقاق الله . »

« فالمشركون كذبوا الرسول وأنكروا ما جاء به ، ومنهم من قال عيسى هو

الله . والمسلمون أقروا بالله وبرسوله وبكل ما جاء به . فكيف يقاس أحدهما
بالآخر ويجعل مساويا له ؟ والمشركون اعتقدوا في أحجار وأشجار وجمادات
لا تضر ولا تنفع ، ولا تمقل ولا تسمع ، ولا تفيث ولا تشفع ، سواء أكانت صور
صالحين أو غيرهم . فالشافع الصالح لا صورته - أنها تضر وتنفع وتفيث وتشفع ،
فتشفعوا بها واستغاثوا وعظموها ، ولم يجعل الله لها شيئا من ذلك ، بل نهى عن
التشفع والاستغاثة بها وتعظيمها . والمسلمون اعتقدوا أن الأنبياء والصالحين
ينفعون بدعائهم وشفاعتهم ، ويضرون بترك ذلك . والمشركون عظموها مالا
يستحق التعظيم سواء كان صورة صالح متوهمة أو غيره . فان الصور لا تستحق
تعظيما . وطافوا وتبركوا بما لم يجعله الله مباركا . والمسلمون عظموها من أمر الله
بتعظيمه حيا وميتا من الأنبياء والصالحين وقبورهم ، وطافوا وتمسحوا وتبركوا
بها لتشفعها بأجسادهم الشريفة . فهل يسوى بين هؤلاء وهؤلاء إلا جاهل أو
معاند ؟ والمشركون عبدوا تلك الأحجار والأشجار بأنواع العبادات التي نهاهم
الله عنها ، فسجدوا لها وذبحوا ونحروا مهلين بأسمائها على ذبائحهم دون اسم الله ،
وظلوا بدماؤها وأعرضوا عن عبادة الله بالكلية ، وقالوا : لا قدرة لنا على عبادته ،
فنحن نعبدها لنقر بنا إليه ، واعتقدوا أن لها شرفا ذاتيا واستحقاقا للعبادة
بالأولاد . فتلال واختيارا وتدبيراً . وكانوا يقولون : « اعل هبل » قاصدين أن تكون
كلمة الأصنام ودين الجاهلية هي العليا ، وكلمة الله ودين الاسلام هي السفلى .
فأعرضوا عن ذكر الله واكتفوا بذكرها . وكذبوا الرسل الذين نهوهم عن عبادتها
ولم يكتفوا بذلك بل بدلوا دين الله وغيروا أحكامه . والمسلمون لم يعبدوا نبيا
ولا صالحا ولا قبره . فهل يسوى بين عمل المسلمين هذا وبين عمل المشركين
إلا جاهل ؟ » .

هذه خلاصة الفروق التي ذكرها في هذا الباب بين المالكين على الأصنام

الأوثان وبين المالكين على القبور والأحداث . وهذه الأمور هي التي قضت
عنده بكفر الكافرين وشركهم . وقضت بأن يفرى بهم الحسام إن لم يقبلوا الاسلام .

﴿ خلاصة هذه الفروق ﴾

وهذه الفروق تتلخص على ما ذكر فيما يأتي

أولاً :- أن المشركين عمدوا إلى أحجار وأشجار وصور قوم صالحين فعبدها
من دون الله فسجدوا وذبحوا ونذروا وأهلوا بذبائحهم لها وذكروا أسماءها عليها
دون اسم الله ، وطلوها بدمائها وطلبوا منها كل ما يطلب من الله ، وأعرضوا عن
عبادة الله ، وكانوا يقولون : لا قدرة لنا على عبادته وتشفعوا بها وخالفوا أمر الله وأمر
أنبيائه في نهيم عن عبادتها وطلب شيء منها ، وخالفوا حكم عقولهم بأنها جهاد
لا تنفع ولا تنفع ولا تشفع ولا تمقل شيئاً ، ولو كانت صورة نبي أو صالح ، فإن الشافع
هو النبي والصالح لا صورتهما . وأما المسلمون فانهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، فكيف
يسوى بين الفريقين ؟

أجل الفروق
بين المالكين
وبين المالكين
على القبور

ثانياً :- أن منهم من حمل عبوده بيده فعبده كما صنع بعضهم له صنماً من
تمر فسجدوا له أول النهار ثم أكلوه آخره . وهذا لم يفعله أحد من المسلمين ،
فكيف يسوى بين الفريقين ؟

ثالثاً :- أنهم كانوا يجعلون أشياء مما خلق الله ومما رزقهم له تعالى وباسمه ،
ويجعلون أشياء من ذلك لأصنامهم . وكانوا لا يعدلون بين الله وبين خلقه في هذه
القسمة وذلك الصنيع ، بل كانوا يفضلون أصنامهم وأوثانهم عليه تعالى ، فكانوا
إذا ماتوا رزقا ما جعلوه لله عدواً فصرفوه لأصنامهم ، وإذا ما زكوا ونما ما جعلوه
لأصنامهم لم يجعلوا لله منه شيئاً ، وإلى هذا يشير قول الله : « وجعلوا لله مما ذرأ
من الحنث والأنعام نصيباً » الآية . والمسلمون لم يفعلوا من ذلك شيئاً ،
فمنه لانتبه وزن مثلاً .

رابعاً — : المشركون اتخذوا الملائكة أرباباً وصرفوا لهم ما هو من خصائص الرب كالسجود وغيره من أنواع العبادات ، وكانوا يزعمون أنهم بنات الله . والمسلمون لم يصنعوا من ذلك شيئاً

خامساً — : المشركون كذبوا الرسول عليه الصلاة والسلام وردوا ما جاءهم به . والمسلمون مصدقون مؤمنون بما جاء به عليه الصلاة والسلام

سادساً — : المشركون اعتقدوا في أحجار وأشجار أنها تنفع وتضر وتشفع وتغيث . وهي لا تقدر على شيء من هذا — فتشفعوا بها واستغاثوها وعظموها ، والله لم يجعل لها ذلك ، بل نهى عنه . والمسلمون اعتقدوا أن الأنبياء والصالحين ينفعون بدعائهم وشفاعتهم ، ويضرون بترك ذلك . فلامهم إذن سواء

سابعاً — : المشركون عظموا ما لا يستحق التعظيم سواء أكان صورة عبد صالح أم غيره ، فإن الصورة لا تستحق تعظيماً ، وطافوا وتبركوا بما لم يجعل الله فيه من البركة شيئاً . والمسلمون فعلوا ذلك بمن أمر الله بتعظيمه من الأنبياء والصالحين . وشتان ما بين الأمرين والفرقتين !

ثامناً : المشركون اعتقدوا أن للأصنام من الأحجار والأشجار شرفاً ذاتياً ، واستحقاقاً للعبادة بالاستقلال ، واعتقدوا أن لها اختياراً وتدبيراً ، وقد كانوا يقولون لأصنامهم : « اعل هبل » يريدون أن يكون دين الجاهلية والشرك هو الظاهر الأعلى . ولم يكتفوا بذلك بل بدلوا دين الله وغيره وأشرائمه وأحكامه . والمسلمون لم يفعلوا هذا فكيف تجوز التسوية بين الفريقين ؟ ؟

هذا إجمال الفروق بين المشركين الصابدين للأصنام والأوثان وبين المستغيثين بالأموات المنقطعين إلى القبور الطالبين من سكانها جميع حاجاتهم وآمالهم الدنيوية والأخروية .

❦ لافرق بين الفريقين ❦

وهذه الفروق كلها فروق باطلة كاذبة فلا فرق بين الحزبين في الحقيقة
وبيان ذلك :

أما الفرق الأول وهو أن المشركين عبدوا الأحمجار والأشجار وصور
الصلحين ، فذبحوا ونذروا لها وتشفعوا بها - إلى آخر ما ذكر في الفرق الأول ،
إبطال الفرق الأول : إذا سلم أن الاستشفاع والاستغاثة بالأحجار والأشجار والصور ، وأن
الذبح والنذر لها ودعاءها ونداءها وسؤالها ما يسأل الله من عظيم المطالب والحاجات
إذا سلم أن ذلك شرك كله موجب غضب الله وسخطه وتقمته فقد سلم ما نازع فيه
وأقر ما كان أنكر ، ورجع إلى قول مخالفه . وذلك أن نزاعه كله قائم على أن هذه
الأعمال من الاستغاثات والاستعانات والضراحيات والنذور والذبح ليست عبادة
ما ، وليس صرفها إلى غير الله شركا بالله ولا خلافا له ، وليس التوجه إلى المخلوق
بها موجبا كفرا ولا ضلالا . وكان وجه هذا القول ودليله لديه أن ذلك لو كان
عبادة لما جاز أن يتوجه به إلى غير الله ، لا إلى الأحياء ولا إلى الأموات ، في
حالة من الحالات . ولكن لا خلاف في أن هذه الأمور يجوز التوجه بها إلى المخلوقين
فيجوز الاستغاثة والاستعانة بالأحياء فيما يقدرون عليه عادة ، ويجوز سؤالهم
ما في طاعتهم فعله والقيام به . ويجوز نداؤهم إلى ما يستطيعون أن يجيبوا إليه ، كما
يجوز النذر للمفقر ، والذبح للعطاء ، على معنى الاحسان والاكرام ، وكان جوابه
إذا قيل له : إن الاستغاثة بالأموات ضلال وخروج على الدين أن يقول : كلا ،
فانه لو كان ذلك كذلك لما جازت الاستغاثة بالأحياء وهي جائزة بالاجماع
فيما يقدرون عليه . فاذا قيل له : ليسوا سواء : الأحياء والأموات . لأن الأحياء
يقدرون والأموات لا يقدرون ، قال : إن الأموات مثل الأحياء سواء يقدرون
على ما يقدرون عليه بلافرق ، وقال : إذا فرض أن الأموات حقا لا يقدرون

على شيء لم تكن الاستغاثه بهم شركاً ولا ضلالاً بل تكون كطلب القراءة من
الاعمى على زعم أنه مبصر ، وطلب القيام من المقعد على ظن أنه غير مقعد ،
وطلب الحاجات من الميت على ظن أنه نائم . فليس في هذا ضلال ولا شرك ولا كفر
وكان يابى أن ينزع عن هذه الحجة أو يتهاون فيها . . . فنحن حينئذ نقول له :
إذا أقررت أن الاستغاثه والاستعانة بالأحجار والأشجار والصور ، وأقررت أن
النذر والذبح لها والاستشفاع بها من أعمال المشركين التي أكرم الله بها ، وقابلهم
رسوله عليها ، فلا بد أن تكون كذلك سواء أصرفت للأحجار والأشجار والصور
والتماثيل ، أم صرفت للأنبياء والأولياء والصلحين . لأن عبادة الصالحين
والأنبياء لا تجوز ، كما أن عبادة الأحجار والأشجار والصور لا تجوز . وإذا كانت
عبادة الجمادات من الأحجار والأشجار والصور كفراً وشركاً بالله ، فلا بد أن تكون
عبادة الأنبياء والأولياء والصلحين كذلك كفراً وشركاً بالله . إذ لا خلاف بين
الناس أن عبادة المخلوق ، مهما كان ذلك المخلوق المعبود ، من العقلاء أو من غير
العقلاء ، خروج على الدين وعلى التوحيد ، وإشراك لا ريب فيه ولا خلاف . وذلك
أن المطلوب من العباد ، المفروض عليهم أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ولا ند
وأن يصرفوا ذلك كله له لا لإله إلا هو رب العالمين . وليس المطلوب منهم أن يعبدوا
فريقاً من الخلق دون فريق ، وأن يختاروا لعبادتهم أفضل الخلق وأكرمهم على
الله ، أو أن يختاروا لها عقلاء الخلق دون جهالهم . ولا يختلف الناس أن عابد النبي
والولي ضال ، كما أن عابد الحجر والشجر ضال ، وأنه إذا لم يكن عابد الأنبياء
والصلحين كافراً ولا مشركاً فعابد الأحجار والأشجار والجمادات كذلك ليس كافراً
ولا مشركاً . وما قال أحد من المسلمين : إنه تجوز عبادة مخلوق دون مخلوق .
فاذا قال هذا الشيىء : إنه لا تصح التسوية بين الأنبياء والصلحين
والجمادات لأن الله أمر بالاستغاثه بالأنبياء والاستشفاع بهم ، وقد جعلهم أهلاً

لذلك قادرين عليه ، دون الجاد ، فإنه لا يشفع ولا يغيث ولا يدعى ، فكيف يسوى بينهما ؟ قيل : نحن لا نزعم التسوية بينهما ولا ندعيها ، ولكن نقول : إذا كانت الاستغاثة والاستعانة بالأحجار والصور عبادة لها وشركا بالله ، فلابد أن تكون الاستعانة والاستغاثة بالانبياء والصالحين كذلك : عبادة لهم وشركا بالله ، كما قال الشيعي نفسه في غير ما موضع من كتابه : « لو كانت الاستغاثة بالأموات ضلالا وكفرا لكانت كذلك بالأحياء » . وكما قال : « إذا لم يكن سؤال الأحياء النوث والعون والمدد شركا بالله لم يكن سؤال الأموات ذلك شركا ، لأن الشرك شرك سواء أوجه إلى الأحياء أم إلى الأموات ، وما ليس شركا ليس شركا وجه إلى الميت أم إلى الحي » . هذا معنى كلامه .

ثم نقول أيضا : هب الأموات ، من الانبياء والصالحين ، يقدرون على مايسألون ، وهب الأحجار والأشجار والصور لا تقدر على شيء من ذلك ، وهي حقلا تقدر ، فهل يلزم هذا أن تكون دعوة الأموات والاستعانة بهم وسؤالهم ما يقدرون عليه جائزة ، ويكون سؤال الأحجار والأشجار والصور العون والنوث ، بزعم أنها تقدر على ذلك ، شركا وضلالا ؟ إننا نقول هذا لا يمكن أن يصبح على ماذهب إليه المخالف ، فإنه طالما زعم أن من ظن شيئا قادرا على إغاثته وعونه فاستغاثه واستعان به لم يكن في هذا الظن الخطأ ، ولا في دعائه واستعانه المبنيين على ظنه الخطأ ، ضلال ولا كفر ، بل كان ذلك كمن طلب من أعمى القراءة ظانا أنه غير أعمى . وأمثال هذا . . وقد قال هذا القول ولجأ إليه فراراً من تخطئة دعاة الأموات ، لأن مخالفيه قالوا له : إن الأموات لا يقدرون ولا يسمعون ولا يشفعون ولا يعمدون لمن لاذبهم شيئا ، فقال مجاباً : لو فرض أن هذا كله صحيح لم يوجب تضليل من دعاهم واستغاثهم حاسبا أنهم قادرون فاعلون ، بل هو كمن طلب من المقعد القيام حاسبا أن غير مقعد ، فليس فيه

ضلال ولا كفر ولا شيء من التائبين . ونحن نقول : إذا كان هذا صحيحا كان ردأ عليه هنا ، وإذا لم يكن صحيحا بطل قوله في دعوة الأموات ودعاتهم ، وبطل قياسه دعاء الموتى العاجزين بمن طلب من العميان القراءة ، ومن المقعدين القيام والإذى نريد أن نستخلصه من كلامه هذا إقراره أنه قد كان من إشراك المشركين وكفر الكافرين استغاثتهم واستعانتهم بالأحجار والأشجار ، وسؤالهم إياها كل ما يسأل الله ، وكذا الاستشفاع بها والذبح والنذر لها ، فانه إذا أقر أن ذلك كله عبادة لتلك الحجارة ، ثم أقر بأن تلك العبادة شرك بالله ، قيل له : إن عبادة غير الله لا تجوز ألبتة ، فلا تجوز عبادة الأنبياء وأهل الصلاح ، كما لا تجوز عبادة الأحجار والأشجار . فإذا كان المستغيث المستشفع بالحجر ظانا أنه قادر كافرا وجب أن يكون المستغيث المستشفع بالأموات كذلك ، لأن العبادة عبادة ، ولأن الشرك شرك ، أين وضعا وحيث صرفا .

على أننا نقول كما قال الشهرستاني في كتابه المال والنحل : « وبالجملة وضع الأصنام حيث قدر إنما هو على معبود غائب حتى يكون الصنم المعمول على هيئته وشكله وصورته نائباً منابه وقائماً مقامه . وإلا فنعلم قطعاً أن عاقلاً ما لا ينحت بيده خشباً صورة ثم يمتد أنه إلهه وخالقه وخالق الكل ، إذ كان وجوده مسبوقاً بوجود صانعه ، وشكله محدثاً بصنعة صانعه . ولكن القوم لما عكفوا على التوجه إليها وربطوا حوائجهم بها من غير إذن وحجة وبرهان وسلطان من الله كان عكوفهم ذلك عبادة ، وطلبهم الحوائج منها إثبات ألوهية لها . وعن هذا كانوا يقولون : « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فلو كانوا مقتصرين على صورها في اعتقاد الربوبية لما تعدوا عنها إلى رب الأرباب » انتهى قول الشهرستاني ونقول حيثئذ : إن المشركين عبدة الأصنام لم يكونوا يعبدون الأحجار والأشجار فيذبحون وينذرون لها ويدعوونها ويستغيثونها ويستشفعون بها ، وهم

إقراره أن من
الفرك
دعوة المخلوق
واستغاثته

كلام الشهرستاني
في أن عبدة
الأصنام
لا يعبدون حوائجهم
وإنما يعبدون
أحياء

يدلمون انها أحجار وأشجار مجردة عن كل معنى وعن كل قصد ، فان هذا ظاهر
البطلان ، ولكنهم عبدوها رامزين بها إلى معبودات أخرى أعظم وأرقى . فقد
كانوا يصنعون تماثيل الأنبياء والصالحين فيعبدونها وهم يريدون عبادة أصحابها ،
فيتوجهون إليها وهم يريدون التوجه إلى الأنبياء والصالحين أنفسهم ، كما يعبد
النصارى صورة المسيح وصورة المنراء وصور القديسين ، وهم يريدون بلا شك
عبادة نفس المسيح ونفس مريم ونفس القديسين ، لا عبادة صورهم التي عملوها
بأيديهم والتي يحطونها متى شاؤا بأيديهم أيضاً . ولهذا قال الرسول عليه الصلاة
والسلام عند ما ذكرت له كنيسة بأرض الجبشة ، وذكر له ما فيها من الصور قال :
« أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجدا
وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » فان القوم يصورون
صور الصالحين في معابدهم فيتوجهون إليها بالعبادة بأنواع الضراعات والاستغاثات
وهم لا يعنون سوى التوجه إلى أصحاب الصور ، ولكنهم نصبوا صورهم بين
أيديهم وتحت أبصارهم ليكون في هذا لهم تحضيض وتنشيط على العبادة والتقوى
كما قد يقصدون به الاحترام والاجلال . ولاجل ذلك كان نهى الاسلام شديدا
صرىحاً عن اتخاذ الصور والتماثيل ، ولا سيما إذا كانت صوراً وتماثيل لصالحين وروحانيين
من الأنبياء والمرسلين . فان في هذا الخطر الأكبر ، والبلاء الأحر . وقد أتى
المشركون - أكثر ما أتوا - من هذه الناحية ، ناحية التعلق بآثار الصالحين
ومعالمهم وأطلالهم من صور وتماثيل ومعابد . وقد كان ضلال قوم نوح وفساد
عقيدتهم آتيا من هذه الناحية ، كما ذكر أهل العلم . فقد حكوا أن ودأ وسواعا
ويعوث ويعوق ونسراً كانوا رجالا صالحين في قوم نوح ، يأمرون بالطاعات
والمعروف ، وينهون عن المعاصي ، فكانوا مرضيين محبوبين في قومهم . فلما أرا
ماتوا وأرادوا استبقاء ذكراهم ، استبقاه لما كانوا يأصرون به ويدعون إليه ، صور

جبدأ شرك
المشركين من
الصور
والتماثيل

صورهم ونصبوها في معابدهم وميادينهم لتذكّرهم بهم وبما كانوا عليه من الخير والاستقامة: هكذا كانوا في بدء الأمر ثم دب فيهم ديبب الغلو ثم طفر بهم الغلو حتى عبدوهم ، وقد كانوا يأمر ونهم بعبادة الله وحده، وأشركوا بهم في عبادة من كانوا ينيهونهم عن أن يشركوا به شيئاً ، ونسوا عهد الحى ، ونسوا الفرض الأول ، ونفسوا ما كان عليه أولئك وما كانوا يدعون إليه من التوحيد والإخلاص لله . وقد حكى أهل العلم وأهل السير أيضاً أن هذه الأصنام كانت في العرب من بعد قوم نوح: أما ود فكان في كلب، وأما سواع فكان لهذيل ، وأما يغوث فكان لمراد ، وأما يعوق فكان لهمدان ، وأما نسر فكان لحير . ولأريب أن الذى بقى للعرب من هؤلاء هى تماثيلهم وصورهم . فكانوا يبدون الصور ويتوجهون إليها بالأذعية والضراعات والمعنى بذلك هم أصحابها. وقد كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مصورين في الكعبة في العهد الجاهلى ، وكانت أصنام العرب كذلك تماثيل وصوراً . وقد كان أعظم أصنامهم «هبل» . وقد ذكر الكلبي في كتاب الأصنام وغيره أن «هبل» هذا كان على صورة الانسان وكان من العقيق أصنام العرب الأثحر . وذكر هو وابن إسحاق وغيرهما أن «أساف ونائلة» وهما من أصنام العرب ، رجل وامرأة مسخا حجرين . وكانا ، فيما ذكرنا ، عشيقين فسقا في جوف الكعبة فسخا حجرين فنصبوهما ليتعظ الناس بهما ، فلما طال لبثهما وعببت الأصنام عبدا معها . وذكر الكلبي أيضاً على وجه التعميم أن الأصنام معناها التماثيل ، وقال : ما صنع من خشب أو فضة أو ذهب على صورة إنسان فهو صنم ، وما صنع من حجارة فهو وثن . وهذا يدل على أن أصنام العرب وأوثانهم كلها ما كانت إلا صوراً وتماثيل لقوم صالحين أو طالحين ظنوا من الصالحين . وقد وجد حول الكعبة يوم الفتح ثلثمائة وستون صنماً مرصعة بها فجعل رسول الله يطعن بها ببقوسه في عيونها وجوهرها (وهذا يدل أيضاً على ما قال الكلبي من أن الأصنام

والأوثان لم تكن سوى صور وتمائيل) ويقول حين طعنها « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » فتساقطت على رؤسها ، ثم أمر بها فأخرجت منها وحرقت . وكل هذا يدل على أنها كانت صوراً وتمائيل ذوات رؤس وعيون . وجوه . وذكروا أن اللات ، وهو من أعظم أصنامهم ، كان رجلاً صالحاً يعمل الطعام للحجاج فلما مات عبده ، وكذلك ذكر في العزى ثانياً الأصنام الكبرى . وقد قيل في صفة « ود » وهو يعبد في جاهلية العرب : « كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه حلطان ، تزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، وجعبة فيها نبل » . وقد كان قوم إبراهيم مرضى بهذا الداء ، داء عشق التمايل ، فبعث الله خليله إبراهيم ليدهوم إلى الله وحده ليدعوا تلك الآلهة التي عملوها بأيديهم . فدعاهم ليلاً ونهاراً فلما لم يسمعوا لدعوته ولم ينتهوا عن غيهم سطا على تماثيلهم فجعلها جذاً و ترك لهم كبرهم ليتحدثهم بسؤاله واستطاقه . ولكن القوم كانوا قد بلغوا حالة لا يسمعون معصاً صريف حجة ولا يصيخون إلى جاحلة برهان . وهكذا كان غيرهم من عبدة الصور والتمايل في أول الزمان إلى آخره . وبهذا قضت سنة الله . ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

اللات والعزى
وود وغيرها من
الأصنام لم تكن
إلا رجلاً

وقد ذكر ابن إسحاق والسكاجي أنه كان من أسباب عبادة الأصنام والأوثان . من أسباب عبادة الأصنام في العرب أن الواحد منهم كان إذا أراد سفراً حمل معه حجراً من حجارة البيت تبركا به وتعظيماً ، فكان في سفره يطوف بذلك الحجر ويتبرك به كلما طاف برأسه . الشوق إلى البيت . فظلوا ينتقلون في درجات الغلو والجهالات حتى بلغوا القمة . وحق صاروا إلى عبادة الأحجار والجناد . ولا ريب أنهم ما عظموا البيت وحجارته إلا تعظيماً لبانيه وواضع قواعده ، وإلا تعظيماً لأنوار الأنبياء . وهذا الذي ذكرناه كله لا ريب فيه ، وهو يدل على أن القوم ما كانوا يعبدون .

حجارة مجردة ولا جماداً جامداً ، لا لشيء غير اعتقادهم أنه إله من حجر ، ورب المشرك لم يعبد من جماد . فان هذا مستحيل في بدائه العقول . . بل كانوا يعبدون تماثيل جماداً الصالحين وتماثيل الكواكب العلوية ويتوجهون إليها ، وهم يقصدون أصحابها . فالمعبودون في الحقيقة هم الأحياء المختارون . وعلى هذا لا فرق بين أولئك المشركين الماكفين على أصنامهم في جاهليتهم ، وبين هؤلاء الماكفين على قبورهم وأجدانهم في إسلامهم . فإن الجميع عبدوا الصالحين واستغاثوهم وضرعوا إليهم واستشفعوا بهم ، والجميع عكفوا على الجمادات ، إلا أن أولئك عكفوا على تماثيل وصور ، وهؤلاء عكفوا على قبور وأجدان ، ولكن الجميع جماد ، ولكن الجميع موات لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع أو يشفع على أننا نقول : إن هؤلاء الضالين من المسلمين قد عبدوا الاحجار والأشجار ولم يقفوا عند عبادة الأنبياء والصالحين ، حتى لقد اختلوا لذلك حديثاً زعموه نبوياً - وقد كذبوا - وهذا الحديث هو ما شاع على أفواه العامة وأشباههم من علماء السوء ، وهو : « لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه » وقالوا : إن الله قد وكل بقبر كل ولي ملكا يقضى حاجات من جاء ذلك القبر فدعا واستغاث . وقد ائقن هؤلاء بهذا الضلال وجنوا به حتى جاءوا بكل طريف ولون : فطوائف منهم عمدوا إلى باب صنعه بأيديهم فاعتقدوا فيه سر الأسرار ومفتاح ما أغلق من الحاجات ، واعتقدوا أن ثم قطبا من أعظم الأقطاب المنتصرفين في الوجود أنواع الآلهة يقضى حوائج من جاؤا إلى ذلك الباب وطافوا به وتعلقوا وربطوا به الخرق والحبال المعبودة اليوم فراحوا إليه من كل فج وصوب فتطوفوا وقبلوا وعلقوا وتعلقوا وخضعوا وضرعوا وجاءوا بكل إفك مبین . وهذا « كباب المتولى » في القاهرة . وطوائف أخرى صنعوا جملة أضرحه لميت واحد فزخرفوها وغالوا في تشييدها ورفع شأنها ، وحلوا بكل فن من الزينة وكل لون من طرائف المعلقات . فنهبوا

يطوفون بهن القبور ويحجون إليها من كل مكان ، ويربطون بها حوائجهم
وراحوا يستغيثون ويستشفعون ويسألون ويقدمون ألوان الهدايا والنذور من
الأنعام والخبز والشموع والنيران .

ومنهم من اعتقدوا في شجرة وزعموا فيها سرا ، وأنه لديها تنال المآرب
والحاجات . فقصدها فأملوا بركتها وشفاعتها وطلبوا حولها كل رغبة . فأريقت
تحنها المدامع ، وثثرت حولها الرغبات والشكيات .

ومنهم من اعتقدوا في غار من الغيران ، لأنهم زعموا أن وليا من الأولياء
أو نبيا من الأنبياء قد نزل ذلك الغار فوضع فيه أحد أسرارهِ وإحدى بركاتهِ
فأصبح غارا مزورا معظما ترجى بركته وتتمد زيارته .

ومنهم من وجدوا حجرا مخدوشا ، مثقوبا فزعموا أن ذلك الثقب أو الخدش
أثر لأحد عباد الله الممتازين الذين تدرك بهمجي آثارهم المطالب وتنال بالطواف
بها الآمال . فقدسوا ذلك الحجر وأموه ورجوه فغدا من الأحجار المزورة المقدسة .
ومنهم من وضعوا حيوانا مهينا كحمار أو كلب في تربة من التراب وأعطوها هيئة
المقام المقصود المزور ، قهافت الناس إليه فزاروه ، واستغاثوه وطافوا به وقدموا له
أصناف الهدايا حتى صار وليا من الأولياء الكبار . ولعل كثيرا من هذه المقامات
لا تعدو حقيقتها هذا

ومنهم غير هؤلاء وهؤلاء مما هو قائم في كل مكان ، مائل في كل قطر إلا القليل
العاكفون على النزر . وهؤلاء في نفس الأمر إنما يدعون جمادات ويتعلقون بأحجار وخلقان
لا يرجعون إلى ^{القبور} ^{فهم الجاهل} وإن زعموا أنهم لا يقصدون غير أولياء الله المقربين ، وعبادة الصالحين الذين لم
ما يشاؤون : بل نقول . إن جميع هؤلاء المنقطعين إلى القبور والمقامات إنما يقصدون
أحجارا وبنيات ، ويتعلقون بجمادات من ستائر ومعلقات وشموع ونيران وآلات
القاطع على ذلك أن هؤلاء الحيرى يعطون القبر ويلجئون إليه ويتعلقون به .

ما فوقه وما حوله من الزينات والمعلقات ، وبقدر ما يصل اليه من النور والهدايا ، من الدليل على
وبقدر كثرة الطائفين به والمنقطعين إليه إن قليلا قليلا وإن كثيرا فكثير . ذلك
ولهذا فاتهم مثلا في مصر يعضمون البدوى أكثر من تعظيمهم للإمام الشافعى
والديث بن سعد ، ومن تعظيمهم لأبى بكر وعمر وسائر الصحابة ، بل ويلهجون
باسم هذا البدوى عند الشدائد والملمات أكثر من لهجهم باسم النبى عليه السلام
وأسماء الصحابة وكرام الأمة ، بل لعلمهم لا يذكرون أحدا من هؤلاء عند احمرار
الاقطار واتساع الآمال . وهذا هو الشأن فى كل قطر وبلد : يعظم أهله صاحب
المقام الرفيع الفاخر ، دون ذى الذكر الباهر ، ويدعون من شيدت على قبره
القباب والمعلقات ، دون من شيدت حياته وسيرته على الصالحات ، وينقطعون
إلى من كثرت حول تربته النور ، وينسون صاحب العمل المبرور . كل هذا
حق لا نزاع فيه . فاذا سألت ماسر ذلك ، قلنا لك : إن السر فيه أن هؤلاء
الجاهل لا يعبدون أشخاصا ورجالا ، ولا أولياء وأنبياء وإنما يعبدون ما يرونه من
الزينات والمعلقات والقبور والضخمة الفخمة ، والبنائات المشيدة على جبل
الجهلاء . فهذا هو ما يعبدون ، وهذا هو ما يدعون ويرجون ، وهذا هو ما يزورون
وما يقصدون . أما الطلسم الذى من أجله عبدت هذه المشاهد فهو ما يزعم فيها من
الأسرار والبركات المتدفقة اليها من أولئك الأولياء والمشايخ المجهولين . فالمعبود
هو الجناد والزخارف ، وطلسم هذه العبادة هو أسرار قوم غائبين مجهولين . فن قال
إن ضلال المسلمين لم يعبدوا جمادا ولا حجرا كما عبد أهل الجاهلية : فقد
كذب أو جهل .

لا يعبدون
أشخاصا وإنما
يعبدون الزينات
والمعلقات

نعم نحن لا ننكر أن هؤلاء إنما تعلقوا بهذه الجمادات وبهذه القبور والاحجار
لأجل ما يظنون فيها من أسرار الصالحين ، وما يدعون من بركاتهم الحالة فى هذه
الجمادات المائلة فيها : نعم نحن لا ننكر هذا ، ولكن نقول : إن هذا عينه هو

بلاء المشركين وقصدهم في كل عصر وعصر . فالمشرك لن يعبد الحجر وهو يعلم أنه حجر لا أكثر ولا أقل ، ولكنه يعبد به ويضرع إليه لأن فيه بزعمه سرا إلهيا ومعنى روحيا من أسرار ومعاني عباد الله المقربين ، لأنه مثلا صورة صالح أو تمثال نبي أو أثر من آثارهم ، وإلا فإن عاقلا لا يمكن أن يلجأ إلى جماد مجرد من كل معنى . وعباد السكواكب والأفلاك العلوية ما عبدوها إلا لظنهم أنها عاقلة متصرفة فاهمة ، ولو علموا أنها جماد مجرد ما عبثوا بها ولا قصدوها بشئ من عباداتهم . ولا ريب في هذا عند من أعمل النظر وأحكم الفكرة . فان العاقل لا يمكن أن يرغب في غير العاقل . وما ضرع الحى إلا الحى أو الجماد بحسب أنه ينسب إلى الأحياء ، وإلى معنى معانيهم وسر من أسرارهم . والناس كافة مجبولون على الاعتراف بنقصان الميت وفاقد الحياة والشعور . فعباد الجماد إنما يعبدون في زعمه حيا عاقلا أكل منه حياة وعقلا ، وهذا هو السر في عبادته إياه . ولولا هذا الوهم الخاطيء لما استجاز لنفسه أن يعبد به وأن يرغب إليه ولوجد في نفسه وإنسانيته من الأنفة والكبرياء ما يسمو به على عبادة الجماد وعبادة فاقد الحياة . وقد كان العرب المشركون يقولون في أصنامهم ومعبوداتهم من دون الله : إنها تقربنا إلى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون : « تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهم لترجيى » وهم يعلمون بداهة أن الأحجار والأشجار المجردة عاجزة عن أن تقرب أحدا إلى الله ، وعن أن تشفع لاحد لديه تعالى ، وعن أن تعلم من أمر عابديها شيئا . ويعلمون بالضرورة أن الذى يشفع ويقرب ويعلم هو العاقل الحى . وهذا علم يشترك فيه خاصة الناس وطائفتهم . فالمشركون الماكفون على الأصنام والأوثان يعبدون أصناما وأوثانا يظنونها عاقلة فاهمة عالمة كحال عبدة القبور ولا فرق . وقد اعترف الشيعى هنا أنه قد كان من شرك المشركين دعاؤهم صور الصالحين ، وسؤالها ما يسأل الله ، وذبحهم ونذرهم لها ، واستشفاعهم بها . ومما

«الإنسان لا يمكن
أن يقصد بعبادته
غير الحى»

لا شك فيه أنهم إذا دعوا الصور واستغاثوها واستشفعوا بها وسألوها فأنما يريدون داعى الصورة بذلك كله أصحابها أصالة وقصدًا . أما الصور نفسها فلا ريب في أنهم يعلمون لا يدعو غير أنها لا تستجق عبادة ولا شيئًا ، ويعلمون أنها عاجزة عن أن تعمل عملا وعن أن تقدم أو تؤخر ، أو تدعو وتشفع لمن دعاها واستشفع بها ورجع إليها كل وقته وحياته . فداعى الصورة لا يدعو في قصده صورة ولكن يدعو صاحبها . وهذا أمر لا يجهله أحد ولا يخفى مكانه على أبلد الناس طبعًا ، لا على أحد من المشركين ولا على أحد من المسلمين . فإذا كان داعى صورة الصالح - وهو لا يدعو في نفسه يقينًا غير الصالح نفسه - كافرًا مشركًا ، باعتراف المخالف ، فلا شك أن مثله العالم كف على القبور ، الداعى لأصحابها ، المنقطع إليهم . فان الداعى للقبور العالم كف عليها ، الفازع إليها لم ير صالحًا يدعوها ، ولا نبيا يرجوها ، وإنمارأى بناء مشيدًا ، وقبرا مشرقًا مزخرفًا يدعى ويقصد ويؤمل ويرجى ، فراح يدعو مع الداعين ، ويسأله مع السائلين ، ويضع على عاتقه آمانه الطوال العراض ، على زعم أن الذى أمامه عبد من عباده تعالى ، أعطاه ربه التصرف المطلق أو المحدود ووهبه الدلال عليه ، حتى إن له ما يشاء لديه ، وحتى خصه بالقدرة والكمال ، وبالقوة الفاعلة . ومثل هذا داعى الصورة سواء . ولا يمكن أن يوجد فرق بين داعى صورة الصالح المنقطع إليها ، وبين داعى قبره المنقطع إليه . ولهذا كان رسول الله عليه الصلاة والسلام يجمع بين الصور والبناء على القبور في النهى الشديد فيقول في أصحاب الصور والقبور : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار المخلوق عند الله » . وقد قال على بن أبى طالب لأحد أصحابه : ألا أبمئك على ما بعثنى عليه رسول الله ؟ ألا تدع قبرًا مشرقًا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته . رواه مسلم في الصحيح . وقد نهى الاسلام أشد النهى عن هذين الأمرين ، أعفى الصور

والبناء على القبور ، وذلك لما يؤيدان اليه من الاضرار بالعقائد والافساد للنفوس . وقد تجلّت حكمة الاسلام في النهى عنهما واضحة ظاهرة في هذا العصر ، فان فتنا الصور والبناء على القبور أصبحت اليوم لا تخفى على أحد إلا هالك . أما الصور فقد أفسدت القلوب ، وأما القبور فقد أفسدت العقول . فالأولى مادة الشهوات الهوجاء ، والثانية مادة الشبهات على التوحيد وعلى عبادة الله وحده ، ومادة الاشرار والضلال الأبعد . والشهوات والشبهات - أو الفسوق الذي مصدره الشهوة ، وضلال العقيدة الذي مصدره الشبهة ، هما غذاء ومثار مافى هذا الوجود من بلاء ومنكر عظيم . فالتقبر المزخرف المشرف هو الصورة فرسارها في الدعوة الصامتة الندية الحارة إلى إضلال العباد ، وإمراض النفوس والفطر ، والاخلال بالتوحيد والایمان الصحيح في هذه الأنفس المغبونة الخيرية . والله من وراء كل شيء .

فاعترف الشيعة بأن دعاء الصور والاستغاثة والاستعانة والاستشفاع بهاء شرك بالله ، اعترف منه صريح بأن دعاء القبور والاستغاثة والاستعانة والاستشفاع بها كذلك أيضا شرك بالله .

زعمه أن
المشركين
لا يعبدون الله

أما زعمه أن المشركين قد أعرضوا عن عبادة الله فائمين : إنه لا طاقة لنا بعبادته تعالى ، فزعم كاذب ، فان المشركين لم يعرضوا عن عبادة الله ، ولم يقولوا : لا قدرة لنا على عبادته . بل كانوا يعبدونه تعالى أصناف العبادات ، ولكنهم كانوا يشركون معه آلهة أخرى لا برهان لهم بها . وكانوا - كما قدمنا الدلائل - يخلصون الدعاء والعبادة حين الشدة والبلاء ، وينسون كل ما سواه تعالى ، ويخلصون اليه وحده لا شريك له كما قال تعالى : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » ، وكما قال : « وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » . والآيات في هذا كثيرة معلومة .

وقد كانوا يحجون لله ويحافظون على كثير من شعار الحج ويقولون في تلبيتهم:
« لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك » ، فالمشركون
لم يمرضوا عن الله وعن عبادته ، ولم يقولوا إنه لا قدرة لنا على عبادته تعالى . فهذا
الذي قاله المصنف الشيعي كمنب لا يقوم له ظل من الحق . وما كان بلاء المشركين
إلا الشرك الذي هو بلاء هؤلاء الماكفين على القبور أيضا .

أما مسألة سجد المشركين للأصنام والأوثان فلا أعرف أكانوا يسجدون لها السجود للاست
حقيقة أم لا . والذي ذكره القرآن وأطنب في ذكره ، ونعاه على المشركين ،
وأطنب في نعيه هو دعوتهم الأصنام وعبادتها . أما السجود فلا أذكر له دليلا ،
على أنه لا مانع من أن يكونوا فعلوه حقا ، فهم مشركون ضلال .

وقد وقع هذا من هؤلاء الضلال الخبيثين ، الماكفين على القبور ، المسلمين وقوع هذا مر
فيما زعم الخالف وأنصاره ، فهم يرتعون على الأعتاب والأبواب بلا خلاف المسلمين
يقبلونها ، وهذا هو السجود عينه ، أو هذا ما لا يكون إلا بالسجود . فالسجود واقع
من المسلمين أنفسهم . هذا من المسلمين غير الشيعة ، أما الشيعة فانهم يسجدون
للقبور صراحة سجودا كاملا كسجود الصلاة . وكل الذين ذهبوا إلى بلادهم ، مثل
النجف وكر بلاء ، رأوا ذلك بأعينهم .

أما إهلال المشركين بذبائحهم للأصنام ، فالإهلال هو رفع الصوت في أصل
اللفة ، والمسلمون فعلوا ذلك كما سوف يجي فانهم رفعوا عقائرهم وأصواتهم قائلين:
هذا عجل البدوي ، هذا عجل الدسوقي ، هذا نذر فلان وفلانة ، وهذا مما لا
ينكر ولا يجحد

وأما طلاء الأصنام بدماء الذبائح فالمسلمون قد طلوا القبور وأفنية القبور طلاء الأصنام
بدماء قرابينهم للأموات ، وهداياهم للقبور ، وقد قدروها بالقول والخبز والمأكولات بالدماء
الأخرى التي يهدونها وينذرونها لها .

ذكر اسم المخلوق
على الذبائح

وأما ذكر اسم غير الله على الذبائح ، فهذا إن كان قد فعله المشركون دون المسلمين ، فقد فعل المسلمون ما هو شر منه ، فإن سؤال الموتى غفران الذنوب ، وهداية النلوب ، وكل ما لا يقدر عليه إلا الله - وهذا كله يبيزه الشيعي ويفعله هو وطائفته - شر من ذكر اسم الميت على النخيرة بلاريب ، كما لا ريب في أن نذر البهائم وتقديمها إلى الأموات ، ونحرها لدى قبورهم وفوقها ، وما يلزم ذلك من ضراعات وتوسلات واستغاثات ، أقبح عند الله وعند المؤمنين من ذكر اسم الميت على النخيرة . على أننا لا نستبعد أن يكون ذلك قد فعله هؤلاء الضالون الجاهلون ، ولا سيما ضلال الشيعة وجهالهم . فإن لهم الأعاجيب في هذا الباب . وقد قدمنا أن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام قد أخبر في غير ما حديث أن طوائف من أمته سوف تقع في جميع ما وقعت فيه الأمم الذاخرة من الضلالات والجهالات . وقد صدق الله وصدق رسوله عليه الصلوات والتسليمات .

إبطال الفرق
الثاني

وأما الفرق الثاني - وهو أن منهم من عمل معبوداً بيده فعبدته - فالجواب أن يقال إن عبادة غير الله قبيحة باطلة ، سواء أكان ذلك المعبود معمولاً بيده عابده أم يبد خالقه . وليست عبادة المخلوق قبيحة مذمومة لأن ذلك المخلوق صنع ذلك العابد ، بل لأن المعبود مخلوق عاجز لا يليق أن يعبد مخلوق عاجز مثله . فكلما لا يصح أن يعبد هذا المخلوق ذاك المخلوق لا يصح العكس ، أعني أن يكون المعبود عابداً ، والعابد معبوداً . فالمخلوق يجب أن يكون أبداً عابداً لا معبوداً ، ومن الظلم والجهل الخروجه عن منطقة العبودية إلى منطقة الألوهية . ومن الظلم والجهل أيضاً أن تعبد عبداً مثلك يعبد هو خالقك وخالقه وخالق كل شيء . فالأشراك بالله إثم عظيم سواء أصنعت ذلك الشريك بيدك أم صنعه الله . فانه إذا كان من القبيح الباطل أن تعبد صنما حملته بيدك وقدرتك كان من الأقيس والأبطل أن تعبد عبداً خلقه الله تعالى لعبادته ، وخلقك ليدعوك

ويدعو غيرك إلى عبادته وحده ، وإذا كان من الأمم والقبائل أن تعبد جماً لم يكن أقل منه غباء وإثمًا أن تعبد نبياً بعثه الله للدعوة إلى التوحيد المطلق الخالص ولنحطيم الشرك ونحطيم أسبابه ووسائله وغاياته . فهذا الفرق لا حقيقة له البتة .

على أننا نقول أيضاً إن هؤلاء المسلمين قد صنعوا أشياء بأيديهم فعبدها كإفعل المشركون قبلهم . فإن هؤلاء كما ذكرنا يعبدون القبور والقباب والأعتاب والأبواب التي صنعوها بأيديهم ، والتي قد يكون صانعها غير مسلم وغير مؤمن بالله . ولولا هذه البنايات والقباب والزخارف والمساجد والأشياء الأخرى القائمة على الموتى لما وجدت هؤلاء الطائفتين المقبلين الباكين الخاشعين الشاكين . . .

فكل ما تراه اليوم فوق الأرض من الضلال والجهل هو في الواقع موجه إلى هذه الزخارف المحمولة على القبور . فإنه لولا ذلك لما عرفوا ذلك الميت ولا حفلاً ولا تعلقوا به ، ولا بالوه أو عرفوه ، ولا طلبوا منه حاجة من الحاج . ولهذا فإنه قد يكون ذلك الميت المقصود المعبود فاسقاً أو غير مسلم ، من الكافرين بالله العظيم ، وقد يكون حيواناً قذراً ، وقد يكون قبراً مجرداً ليس فيه شيء لا إنسان ولا حيوان ، ليس غير الوهم والزور والجهل الفاضح . وهذا كثير . وقد صرح أن جماعة رأوا ما يكسبه سدة القبور من الصدقات والهدايا والنذور فاحتالوا بالملك ، فجاءوا بحمار ميت فدفنوه وأقاموا عليه قبة ، وزعموا للناس أنه مقام يحوى شيئاً كبيراً ، فأقبلوا على زيارته والطواف به ، وجادوا عليه بالصدقات والقرايين والهدايا . وراح المغفلون يتوسلون بذلك الشيخ الحماري ويستغيثونه ويسألونه الشفاء وقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات . . . ولعل أمثال هذا كثير ! ولعل الكثير من هؤلاء المشايخ والأولياء - في زعم الجهلاء - حير أو كلاب أو أقل من ذلك . وقد كان فريق من الناس إذا أرادوا أن يبقى ما حول دارهم نظيفاً غير ملوث بالقاذورات والنجاسات المتراكمة في الأحياء القذرة - يقيمون بناية

المسلمون يعبدهون
ما يملكون
بأيديهم

عبادة الحيوان

تشبه الضريح ، ويكتبون عليها اسم شيخ مكذوب مزور لم يخلقه الله ، ثم يزعمون للناس أن تحت ذاك البناء شيخاً كبيراً وولياً خطيراً . . . فيتحاشى الناس تقدير ما حوله . وأخيراً يصير ذلك البناء ولياً عظيم القدر والجاه ، كثير الزوار والطائفين ، الراجين البركات والشفاعات .

فهؤلاء في الحقيقة يعبدون ما يعملون بأيديهم بل ويعبدون شراً مما عملوا .
وأما الفرق الثالث - وهو أن المشركين كانوا يحملون لأصنامهم نصيباً مما خلق الله ، والله نصيباً ، ثم لا يمدلون بين الله وبين أصنامهم في قسمة تلك الأنصاء - فالجواب أن المسلمين قد فعلوا ذلك كله بلا شك ولا ريب . بل لهم فعلوه بشكل هو أفظع وأقبح مما فعله المشركون قبلهم . فلقد جعل القوم أكثر نذورهم وقرابينهم للمشايخ وأصحاب القبور : فسيبوا السوائب المنسورة للمقامات والأموال وتركوها كحمام مكة صيدهن حرام ، لا يصاد ولا يطارد ولا يؤذى . فعجل البدوى يذهب ويأكل ويرعى حيث شاء : لا يستطيع مالك أن يطرده من ملكه ، ولا صاحب أرض أن يخرج منه وإلا نزل به أشد العذاب والعقاب من هلاك أولاد وذهاب أموال إلى ألوان من المصائب والآفات طائنين بالله وحده من السوء والبلاء . بل إن هؤلاء الحيرى يتهيبون التعرض لسوائب المشايخ ، ويفرون من وجوها اتقاء غضبهم وحذار عقوبتهم ، فينذر بعضهم بعضاً ذلك قائلين : إياك ومحمل الشيخ ، إياك وجاموس البدوى . وهذا معروف للناس جميعاً لا يخفى على أحد منهم . ويقل أن يوجد أحد من أهل طنطا المدينة التي فيها البدوى ، أو أحد من أهل القرى والكفور حولها ، لم يحمل لهذا البدوى شيئاً من ماله وحيواناً من حيواناته ، فيسميه باسمه ، فيقول محمل البدوى أو مال البدوى . وقد يندرون البهيمة هي وما تلد للشيخ ، فيقولون في نذورهم هذه البهيمة هي وأولادها ، أو نصف أولادها ، وقف على الشيخ أو على صندوق

إبطال الفرق

الثالث

السوائب
البدوى ولغيره
من الأموات

الشيخ ، ولو قدر أن أحد هؤلاء لم يف بنذره أو تهانون في الوفاء به ، فأصيب بمصيبة سماوية أو أرضية لما شك في أن تلك المصيبة عقوبة من الشيخ جزاء غدره بنذره ، وجزاء تفريطه بحقه . ولأجل هذا تجد القوم يتحاشون الإخلال بما نذروه للمشايخ والأموات ، ويهابون ذلك أشد الهيبة . ولو أن أحدهم نذر الله نذراً خالصاً ونذر للشيخ نذراً آخر لاجترأ على الإخلال بنذر الله ، ولأحجم عن الإخلال بنذر الشيخ . ولو كان لا مندوحة له من الإخلال بأحد النذرين لما تردد في أن يخل بنذر الله دون نذر الشيخ . وهذا ، وأأسفاه ، يعرفه الخاص والعام .

وقد آمن الله على أهل بيت من المؤمنين فعرفهم العقيدة الصحيحة السليمة من شوائب الاشرار والابتداع . وكان أهل هذا البيت قبل ذلك من المعتقدين في البدوى : يقدمون إلى مقامه النذور والنحائر ، وإلى صندوقه الأموال والصدقات . . . فكفوا عن ذلك إيماناً بالله وتوحيداً وعبادة له وحده . وكان لأهل هذا البيت المؤمن الموحد قريب من العلماء الرسميين . فخال هذا العالم أن دنيا هؤلاء الأقارب قد نقصت ، ثم خال ثانياً أن ذلك النقصان مصدره ما طرأ على أهل البيت من العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص والاقطاع إلى الله والرغبة إليه وفيه وحده لا شريك له . فلم يستطع هذا العالم أن يكتف ذلك عن أقاربه ، فصرح لهم بأن ما طرأ عليهم من تحول الحال راجع إلى ما طرأ على عقيدتهم من الايمان بالله وإخلاص العبادة والدين له ، فنصّح لهم بالرجوع إلى سيرتهم الأولى وإلى تقديم النذور والهدايا إلى البدوى ليرجع إليهم ما ظن أنهم فقدوه من رغد الميش ، ووفرة المادة . وإذا كان هذا رأى العلماء وقولهم فهاذا عسى أن يكون رأى العامة وقولها ؟

تعبيد الاسماء

وعندى أنه لا يقل عما فعله المشركون من جعلهم بعض ما خلق الله من الحرث لغير الله

والانعام للأصنام والاولئان تعبيد الأسماء لغير الله ، بل لعل هذا من هذا . وذلك كأسمائهم عبد الحسين ، وعبد علي ، وعبد النبي وأمثالها من التعبيد للمخلوق . فان هؤلاء قد جعلوا لغير الله نصيباً من أنفسهم ومن ذرياتهم وأهليهم . وهذا لا يقل إلماً وفضاعة عن جعل الحرث والأانعام التي خلقها الله للأصنام والاولئان .

ومن العجيب أن هذا الشيعة ذكر في هذا الباب ما ذكره بعض أهل العلم من أن بعض العوام يشترون أولادهم من المشايخ والأموات بأشياء من أموالهم يمحرونها على الأضرحة والصناديق كل عام . فدافع الشيعة عن هذا الضلال وزعم أن له وجهاً صحيحاً إذا صح أن أحداً من المسلمين فعله . ولا ريب أن أحداً لا يشتري من أحد شيئاً إلا إذا اعتقد أنه مالكة وصاحبه . وإلا لو علم أنه ذلك ملك لله وحده لا شريك له ما أمكن أن يشتريه من أحد غيره ... فهو لا

أنصبة المشايخ في المعتقدين أنهم مالكون لذلك متصرفون فيه وفي بيعه وشرائه . فقد جعلوا أولاً ما خلق الله من الأنفس البشرية ، لامن الحرث والانعام فقط ، للأشياء ثم اشتروا ذلك منهم ثانياً بنصيب آخر من أموالهم جعلوه لهم ثمن ما أخذوه منهم من الأولاد والذريات . فقد جعلوا ، كما ترى ، لغير الله من الموتى نصيباً من أولادهم وملكوهم إياهم بحيث يحق لهم أن يتصرفوا فيهم تصرف بيع وشراء ، ونصيباً آخر من الأموال ، ونصيباً ثالثاً وهو حق التصرف بيماً وشراءاً ، ونصيباً رابعاً وهو القدرة على البيع والشراء ، ونصيباً خامساً وهو ملك الأحرار واسترقاقهم : هذا كله واقع من هؤلاء المسلمين الذين يزعم هذا الشيعة أنهم لم يجعلوا لغير الله نصيباً من الحرث والأانعام . وهب أن هذا لم يقع منه شيء فالحال يدافع عنه ويزعم أن له في الإسلام وجهاً صحيحاً مقبولاً سائلاً شرعاً وعقلاً ، فلنا إذن أن نؤاخذه به ونحمله تبعته ومافيه من إثم وعناد لدين الله ومحاذة له . ولن نجد من يقول لنا أخطأتم إذا

ما قلنا إن هذا شر لم يصل إليه المشركون الذين جعلوا لشركتهم نصيباً من الحرث
والانعام قائمين : هذا لشركائنا .

وأما زعمه أن المشركين ما كانوا يعدلون في قسمتهم بين الله وبين الأصنام
حتى صرفوا للأصنام ما جعلوه لله ، ولم يصرفوا شيئاً مما جعلوه للأصنام له تعالى ،
فيقال : إن هذا من القوم قائم على إرادتهم تعظيم الله وتقص الأصنام . وذلك
أنهم زعموا أن الله غنى عن كل شيء فلا يضيره أن يجعلوا بعض ما جعلوه له
لأصنامهم لأنها فقيرة محتاجة ، وأما ما جعلوه لها فلم يجعلوا منه شيئاً لله السبب
نفسه ، وهو غناه تعالى وفقرها هي . فكان مراد القوم الاعظام من شأنه تعالى
والخط من شأن الأصنام .

ولكن هؤلاء
ينذرون
للأموات
دون الله

وهؤلاء المسلمون قد فعلوا ما هو شر من هذا كله وأقطع ، وذلك أنهم ، في الغالب
الكثير ، يقدمون القرابين والهدايا والنذور للاموات دون الله ، فيندرون للبسوى
والرفاعي والدسوقي ، مثلاً ، ويقولون جداً أن ينذروا لربهم من ذلك شيئاً ، ويجعلون
للمشايع والمقاماتهم ومقاصيرهم ما يجعلون مما تزدهم به تلك الأضرحة ، وتضيق
به أفئدتها كل عام ، ولكنهم لا يجعلون لله شيئاً ، ولا تجود أنفسهم بشيء
مخلصة له تعالى وحده لا شريك له . ولهذا فانك مهما دعوت هؤلاء النعم إلى فعل
الخيرات وبسط أيديهم إلى الانفاق على ما فيه رضا الله وطاعته ، وما فيه نفع
الامة والدولة كالتصدق على الجمعيات الخيرية ، وعلى بناء المصحات ودور العلم ،
وعلى المنكوبين من المسلمين ، وعلى المجاهدين في سبيل الله ، الذائدين عن
حقائق الاسلام ، وعن دياره ومقدساته ، فلن يولوك ، مهما دعوتهم إلى ذلك ،
غير أقفائهم وهزأ كتافهم ، ولن يسمعوك سوى ألوان التعلات الشحيحة البخيلة .
أما الأضرحة والمقامات فانهم ينثرون عليها الأموال من كل جانب بسخاء
وجود واعتباط ورضا ، وهم لا يحتاجون إلى من يذكرهم بذلك . ولا إلى من

يدعوم إليه . وهم يملكون أن ما ينفق في هذا السبيل إنما ينهب إلى جيوب الأغنياء وشواتهم ، وإلى جيوب الكسالى البطالين من السدنة الدجالين الكذابين ، والسائلين القدرين الذين يصدون الناس عن غشيان بيوت الله وإجابة داعي الفلاح والصلاة ، هروباً من وقوفهم لهم بالمرصاد وبسائر الأبواب يستجدون ويلحفون ، ويضرعون فيكادون يكفرون ويشركون ويبالغون في استجدائهم وسؤالهم ، حتى ليكادون يضمنون أيديهم في جيوب الناس يستخرجون منها الصدقات والمكوس التي فرضوها على المصلين . وإن الجواد كل الجواد هو الذي يستطيع أن يفلت من أيدي هؤلاء اللصوص الكرماء الشرفاء المجاهرين بصنعتهم هذه قبل أن يسلبوه بعض ما يملك قسراً وغلاباً .

وبسط هؤلاء أيديهم إلى الانفاق على القبور وسدنتها ، وكفها عما أوجب الله الانفاق فيه يشهد شهادة لا ترد على أن القوم قد بلغوا حالة من نسيان الله ونسيان أوامره ونواهيه قد قصر عن بلوغها أولئك الأبطال الذين قال الله فيهم : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرت والانعام نصيباً ، فقالوا : هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا » .

وأما الفرق الرابع وهو أن المشركين قد اتخذوا الملائكة أرباباً وعبدوا الملائكة
الرابع
أنواع العبادات ، وزعموا أنهم بنات الله ، فيقال : نعم ، إن المشركين قد عبدوا الملائكة كما عبدوا الصالحين من البشر والأصنام والأوثان والجن . وليس عبادتهم الملائكة بشر في الشرع والعقل من عبادتهم الأموات والتمائم والصور والأصنام والأوثان والجان . بل كل ذلك قبيح ، ولكن عبادة التماثيل والصور والأموات الغابرين أقبح . وليس الذين عبدوا الملائكة بأفضل ولا أجمل من هؤلاء المالكين على القبور الطائفين بها ، المنقطعين إليها ، الداعين لها ، الهائفين بها . فإنه إذا كانت عبادة الملائكة باطلة كانت عبادة الموتى أبطل

وإذا كان الداعى للملائكة المستغيث بهم ضالاً كان داعى أهل القبور المستغيث بهم أضل وأجهل ، وإذا كان السجود للملائكة شركاً بالله - كما يبدو من كلامه هنا - فلا ريب أن سؤلهم خفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وكل ما يسأل الله من عظيم المطالب والحاجات - وهذا كله جائز عند المخالف - أعظم إشراكاً بالله . وإذا لم يكن السجود للملائكة ، وسؤلهم كل ما يسأل الله ، من أعظم الأشياء إلى أحقرها ، عبادة لهم وشركاً بالله العظيم ، فإذا يمكن أن تكون عبادتهم ؟ وماذا يمكن أن يكون الشرك بالله ؟

وقد زعم الرافضى فى خير موضع من كتابه أنه تجاوز الاستغاث بالملائكة ، هذه الملائكة وسؤلهم ضرور الحاجات ، صغيراتها وكبيراتها ، والاستشفاع بهم والدعاء والنداء والسجود لهم لهم كما زعم أن الله قد استعملهم فى تصريف الكون وتدبيره والقيام عليه وبه وعلى سائر شؤونه التكرينية ، فالملائكة عندهم يستغاثون ويدعون وينادون ، ويهتف بأسمائهم عند الشدائد واللزبات ، ويضرع إليهم حين الرهبة والرغبة ، ويقدر أن يأمر الله على ذلك كله . . . فن زعم أن الملائكة قادرون على إغائته ، وعلى إعادته ، وعلى نفعه وضره ، وعلى إحيائه وإماتته ، وعلى إغنائه وإفقاره . . ثم بعد ذلك عكف على دعائهم وندائهم وسؤلهم حاجاته ومطالبه الصغيرة والكبيرة صارخاً ضارعاً - : فهو مؤمن حقاً ، لم يزعم باطلاً ، ولم يقل منكراً ، ولم يذهب إلى ما يذكره الدين أو يأباه التوحيد ، أو ينفيه النظر والعقل . وإذا كان هذا كله لدى المخالف من الاسلام الصحيح الذى جاء به محمد من لدن ربه ، فإذا يكون الاشرار بالله ، وماذا تكون عبادة الملائكة والمخلوقين ؟ ؟ أهو يحسب أن ذلك هو الاعتقاد بأنهم خالقو الوجود والعالم كله ؟ إن المشركين أنفسهم كانوا مقرين لله بأنه خالق كل شئ ، قائم على كل شئ فى الأرض أو فى السماء كما قدمنا الدلائل عليه من شهادات القرآن والسنة وكلام العلماء وأقوال المشركين أنفسهم .

على أن هذا أيضا ليس كفرا ولا شركا لدى الرافضة. فإننا قد قدمنا أنهم يعتقدون بأن النبي عليه الصلاة والسلام هو الخالق الموجد للعالم ، وهم مع ذلك يدعونه لكل شيء ويسألونه كل شيء ويطلبون منه كل ما يطلبون من الله ، وهم بمسد ذلك لا يرون أنهم أشركوا ولا كفروا ولا ذهبوا إلى باطل . إذن هم لا يعتقدون أن دعاء المخلوق وسؤاله كل شيء مع اعتقاد أنه خالق كل شيء كفر ولا شرك ولا ضلال . أم هو يحسب أن عبادة الملائكة وإشراكهم بالله هي السجود لهم فقط ؟ لا ريب أن العبادة ليست هي السجود خاصة ، ولا ريب أن الإشراك بالله ليس هو السجود للمخلوق خاصة . ثم لا ريب أن سؤال المخلوق كل ما يسأل الله من ضروريات الحاج مع الخضوع والخشوع وألوان الضراعات أدخل في فنون الشرك بالله من السجود المجرد لغير الله . ثم لا ريب أن المخالف لا يستطيع أن يورد دليلا واحدا يدل دلالة صادقة ظاهرة على أن المشركين الذين كانوا يعبدون الملائكة كانوا يسجدون لهم . ثم لا ريب أن من زعم أن من الاسلام وذبح الله الحق الاستغاث بالملائكة وسؤالهم الحاجات والدعاء والنداء لهم ، فقد زعم ما ترده الضرورة وما ينفيه الاجماع ، وما يكذبه الدين جملة وتفصيلا بروحه ونصوصه ، ثم لا ريب أن من زعم هذا قاضاه هذا الزعم أن يزعم أيضا أن دعاء الجن من الاسلام والدين الصحيح الاستغاث والاستعانة بالجان وبما خلق الله في وأهل الجنة الجنان ، من الحور والولدان ، وبكل ما خلقه تعالى ممن له بعض القدرة والقوة ، ومن بلغت به شهباته وحججه أن يجوز الاستغاث بالملائكة والجان وأهل السماء والأرض وأهل الجنة ، وسؤالهم كل ما يسأل الله من غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، والتنقيب إلى الجنة ، وإلى رضا الله ، والابعاد من النار ومن كل ما يسخط الله - كما يزعم هذا الرافضي - فقد بلغ حالة يعسر معها العلاج وينهب الدواء معها باطلا . فإن من أعظم ضرورات الاسلام عند المسلمين بطلان القول بدعوة

الملائكة والجان والاستغاثة بهم ، ومن أعظم الضرورات عندهم أن الاستغاثة بهم هي عين الشرك بالله الذي أحل به على المشركين عذابه وعقابه . وقد حكى تعالى في كتابه أن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن ، وأنه كان من عبادتهم إياهم ، أو أن عبادتهم إياهم كانت هي العوذ بهم . فقال تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يموذون رجال من الجن فزادوهم رهتما » وقد ذكروا في تفسير الآية أن الرجل كان إذا هبط وادياً مرهوباً قال عند ذلك : « أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه » يطلب إلى زعيم الجان أن يحجز شرار الجن عن أذاه وسفه بسوءه ، فكان ذلك نفس الاتمراك بالله . ولا شك أن الاستغاثة بالجن وسؤالهم ضروب المطالب والحاجات أبلغ في الضلال من الاستعاذة بسيد الجن من شر سفهائهم . وقد قال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً » قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : كان نفر من الانس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن واستمسك هؤلاء بعبادتهم ، فأنزل الله الآية . وظاهر من الآية الكريمة أن عبادتهم إياهم كانت بدعائهم وندائهم كما كانوا يولون حين هبوط الأودية الخيفة : « أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه » . وهذا ظاهر من ظاهر الآية ، فان قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه » دليل ظاهر على أن الأسماء التي أنكره الله عليهم هو دعاؤهم إياهم حاسبين أنهم يجيبونهم ويهبتونهم ما يسألونهم إياه ، أو يدعون الله لهم فيجيب ، ولهذا عجزهم وأبطل دعوتهم ودعواهم بقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه » فليجيئكم إلى ماتدعونهم إليه من الخير إن كنتم صادقين ، ولكن هيهات لما ترجون وتطلبون ، فان من تدعون عاجزون « فلا يملكون كشف الضر عنكم » كما لا يملكون

نحويله إلى سواكم ، فما أضلكم إذن ، وما أضل من يدعو من دون الله من لا ينفعه ولا يضره ولا يستجيب له إلى يوم القيامة » ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . ثم قوله : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة » الآية ، دليل آخر على أنهم كانوا يدعونهم يبتغون منهم أن يقربوهم إلى الله وأن يكونوا لهم وسيلة لديه تعالى لنيل رحمته والنجاة من عذابه ، فرد الله عليهم ذلك بأن الذين يدعونهم هم يدعون الله ويطلبون الوسيلة التي هي القرب منه ، وهم يرجون رحمته ويخافون عذابه : فهم يطلبون ما تطلبون ، ويرجون من الله ما ترجون ، ويخافون ما تخافون . ومن ذا يطلب الرى من صديان هو يطلب الرى لنفسه ، أو من ذا يطلب الغنى من فقير هو يطلب ذاك الذى يطلب منه ؟ وهل تطلب من مقعد أن يعرج بك إلى علالى السموات وأعالى الملكوت ؟ فما أجهل الانسان ، وما أضعف الطالب والمطلوب ، والعابد والمعبود !

فلا ريب عندنا أن دعاء الملائكة والجان والاستغاثة بهم والالتطام إليهم عبادة لهم صريحة ، وشرك بالله صريح ، كما لا ريب عندنا أن الاستغاثة والاستعانة بالاموات شر من ذلك وأدخل منه فى معانى الاشرار وفنون الضلال فهذا الفرق فرق باطل -

أما زعم المشركين أن الملائكة بنات الله فهذه مسألة أخرى غير الاشرار بهم ، وغير عبادتهم . فان الاعتقاد بانهم بنات لله ليس عبادة لهم ، فان العبادة شئ آخر غير ذلك . ولهذا فان من اعتقد بان الله هو رب العالمين ورب السموات والأرضين ثم لم يزد على هذا الاعتقاد فليس عابداً لله بلا ريب . وهذا مثل الشيطان ، ومثل كثيرين من الكفار ، فانهم يؤمنون بالله وبأنه مصدر كل خير فى هذا العالم ، وخالق جميع الموجودات ، ولكنهم لا يعبده الله تعالى ، وليسوا

زعم المشركين
أن الملائكة
بنات الله غير
عبادتهم

بذلك الاعتقاد المجرد بعابدين لله بلا نزاع .

والشيء الذى نقوله هنا ونذهب إليه هو أنه لا فرق بين المشركين العاكفين على الاصنام ، وبين المسلمين العاكفين على القبور ، الطائفين بالأعتاب والأبواب من ناحية الإشراف بالله وعبادة العبيد . فالجميع أشركوا بالله وعبدوا سواء ولسنا نزعـم أو نقول : إن الفريقين سواء فى جميع الاعتقادات ، كما لا يزعم أحد أن المشركين لم يكونوا مشركين إلا بأن جمعوا بين جميع اعتقاداتهم وأعمالهم الباطلة الضالة . ولا يختلف الناس أن قوماً كانوا يعبدون الملائكة ويشركونهم فى عبادة الله ولولم يزعموا أنهم بنات الله . فعابد الملائكة مشرك بالله سواء اعتقد أنهم بنات الله أم لم يعتقد ذلك بل اعتقد أنهم مخلوقون مـربوبون لرب العالمين ورب كل شيء .

وأما الفرق الخامس ، وهو أن المشركين كانوا مكذبين للرسول والمسلمون إبطال الفرق مصدقون له ، فالجواب أن نقول : نحن لا ندعى التسوية بين الفريقين من كل وجه ، ولكن ندعى أن هؤلاء وهؤلاء عبدوا غير الله ، فالفرقتان مشركان بالله عابدان للمخلوق ، فلا فرق بينهما من هذا الوجه ، وجه الإشراف به تعالى وعبادة غيره وتكذيب الرسول عليه السلام ، وكذلك تصديقه ، غير الإشراف ، المشرك مشرك فهو مستقل عنه فقد يكون المصدق للرسول مشركاً ، كما قد يكون المكذب له وإن آمن بالله كذلك ، وقد يكون المكذب للرسول غير مشرك بل كافراً فقط ، والكافر غير وبأنبيائه المشرك ، كما يكون المصدق أيضاً . فلو أن يهودياً أو نصرانياً أو غيرهما أنكف عن الشرك فعبد الله وحده ولم يصدق خاتم الأنبياء لكان كافراً غير مشرك ، لأن الشرك هو عبادة غير الله مع الله . ولو أن المشركين صدقوا الرسول وآمنوا بنبوته وبكتاب الله غير أنهم ظلوا على أصنامهم عاكفين ، لما كانوا مسلمين ولا ناجين ، بل لكانوا مشركين بعد هذا الإيمان والتصديق كما كانوا كذلك قبله .

إذن فتصديق الرسول ليس معناه الخلاص من الشرك يقينا . ولهذا فان اليهود والنصارى مصدقون بنبوة أنبيائهم ، مؤمنون بهم ، ولكنهم مع ذلك مشركون عابدون للصنم ، وكذلك كان العرب مصدقين بنبوة إبراهيم وغيره من النبيين ، وكانوا مع هذا التصديق وهذا الايمان مشركين عابدين للأوثان هالكين بلا ريب . وإذا لم يكن التصديق بالله وبأنه خالق السماء والأرض ، وخالق كل شيء ، أمانا ولا ضمانا من الشرك والكفر ، فكيف يكون التصديق بالنبي عليه السلام أمانا وضمانا من ذلك ؟ هذا مالا يكون ، وهذا مالا يصح . فالمؤمن بالله وبجميع أنبيائه وكتبه قد يكون مشركا كافرا ، والمسلم المؤمن بمحمد وبكتاب الله قد يقع في الاشراك وفي عبادة الخلق من حيث لا يدري ولا يريد ، كما أخبر عن ذلك الصادق المصدق ، إذ حدث في غير ما حديث بأن طوائف من أمته صارون إلى الشرك وعبادة الأوثان والأصنام . فهذا الوجه لاطائل تحته .

الفرقان
مشتركان
في صفة
التكذيب

على أننا نقول : إن الفريقين أيضا مشتركون في صفة التكذيب : تكذيب الرسول وتكذيب الحق ، وإن لم يقصدا معاً التكذيب . فإن هؤلاء العاكفين على القبور ، المنقطعين إلى الموتى مكذبون للرسول عليه السلام . وذلك أن الذين الذين جاء به من عند ربه كله نهي عن هذا البلاء الذي صاروا إليه واتخذوه ديناً يتقربون به إلى الله ، ولكنهم لم يعبأوا بهذا النهي ، ولم يبالوه . فوضهوا كل نص عن الله وعن رسوله في ذلك دبراً ذانهم ، ووراء أهوائهم ، ولم يزدادوا بإيراد الدلائل والحجج إلا جماحا عنها ، وفراراً منها ، وإصراراً على ما وجلوا عليه الآباء والأشياخ . . . فكذبوا الرسول من حيث لا يشعرون ، كما كذبه المشركون ، إلا أن الفرق بينهما أن هؤلاء لم يريدوا التكذيب ولا رد ما جاءهم به قصداً وتعمداً ، وأن أولئك أرادوا ذلك وتعمدوه . فالفرقان شركاء في رد الحق ورد ما جاء به النبي ، وإن اختلفا نية وقصداً . على أنهما قد يشتركان في أنهما

معاً لم يريدوا رد الحق صراحة وهما يعلمان أنه حق ، ولكنهما جهلاً أن الحق حق
هكذبوه وردوه حاسبيه باطلاً . هذا قد يقال ، ثم قد يكون صحيحاً .

وأما الفرق السادس ، وهو أن المشركين اعتقدوا في أحجار وأشجار أنها لإبطال الفرق
تنفع وتضر ، فشفعوا بها واستغاثوها وعظموها ، وأن المسلمين إنما اعتقدوا في السادس
الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون بدعائهم وشفاعتهم ، ويضرون بترك ذلك ،
وهذا فرق - فالجواب أن يقال : قد قدمنا أن المشركين في الواقع إنما دعوا
واستغاثوا المقربين من عباد الله ، من الأنبياء والصالحين ، وقد قدمنا أنهم
وجهوا عبادتهم ودعائهم واستشفاعهم إلى صور الصالحين وتمثيلهم وآثارهم ، وهم
لا يريدون سوى الصالحين أنفسهم ، كما فعل عبدة القبور ، فإنهم توجهوا بعبادتهم
واستشفاعهم ودعائهم وسائر ضروب عباداتهم إلى القبور وإلى الأجداد
والبنات والزخارف المشيدة على رءوس الصالحين والفاسقين أيضاً . ولهذا فإنهم قد
توجهوا إلى الأبواب والأحجار والأشجار للملازمة زعموها بينها وبين بعض
الصالحين ، ومن قد يكونون غير صالحين . وهذا مثل ما فعلوا لدى باب المتولى .
فانه باب زعموا أن له اختصاصاً وعلاقة بالمتولى كما سموا الباب به . والمتولى عندهم
عبارة عن ولي عظيم وهبه الله التصرف في جانب عظيم من الكون . وقد زعموا
أن هذا المتولى يعطى من سألته واستغاثه ودعاه وضرع إليه لدى هذا الباب ،
فتزاحوا على الباب يدعون ويستغيثون ويستشفعون ويشكون أصناف
الشكايات ، ويطلبون أنواع الرغيبات ، ويربطون به الحبال والخرق والخيط ،
تعبيراً عن ارتباطهم وارتباط آملهم وحاجاتهم بهذا المتولى . . . فأصبح هذا
الباب معبداً من معابدهم ، وصنما من أصنامهم ، إن لم يكن شراً من اللات والعزى
ومناة الثلاثة الأخرى ، ومن هبل وأساف ونائلة ، فليس خيراً منها .

ومثل هذا ما فعلوه لدى ماسموه عمود البدوى . وهو عمود منصوب في الجامع عبادة العمدة

المنسوب للسيد الحسين في القاهرة . زعموا أن البدوي قد جاء به من بلد ضحيق مجهول فنصبه في ذاك المكان ، أو نصبوه هم ، لسر عظيم خصى به . فهم لذلك يطوفون به ويتمسحون ويقبلون ويرهبون ويرغبون ، ويسألون البدوي متوجبين إلى عموده جميع حاجاتهم ومآربهم . وهم يعلمون أن ضريح البدوي الكافت لرفاته في بلد آخر قصي .

عبادة البهائم وشتر من هذا كله ما صنعه من التوسلات والضراعات والطواف والدوران لدى بنايات زعموا أنها منصوبة على بعض بهائم بعض الأولياء والوليات ، كقلم حمار السيدة وغيره في مصر . ومثل هذا ما صنعه من مقامات « الأربعينات » ومثله الحجر المنسوب في مصر القديمة الذي زعموا أن النبي عليه السلام قد وطئه بقدمه الشريفة فأثرت فيه . وهم يطوفون بهذا الحجر ويتبركون ويؤمنون عقائد المشركين الهالكين .

عبادة الشجيرات والمغارات ولنظير هذا الذي ذكرناه شجيرات ومغارات يحج إليها المغفلون من المسلمين يقضون لديها أفتاتهم ، ويعلقون بها حاجاتهم ، وينثرون حولها شكائاتهم ، لأنهم خالوا أنها مهبط لأسرار بعض الأولياء . وهذه الشجيرات والمغارات كثيرة معروفة في مصر ، من بقايا مختلفات الشيعة الفاطميين ، لا طيب الله ذكراهم . **ماري جرجس** وأشنع وأفظع من هذا الذي قدمناه اعتقادات القوم في هياكل رفعت على بهائم زعمت أولياء متصرفين وعلى رمم قوم كافرين ، وفي مصر ضريح مشيد يسمى « ماري جرجس » وتسمى البلدة التي هو فيها هذا الاسم . يحج إليه المسلمون والمسيحيون معا ، ويعتقد فيه الفريقان عقائد الكافرين . واسم هذا الهالك يدل على أنه غير مسلم . وكذلك يوجد في شبرا مصر كنيسة فيها امرأة نصرانية يعتقد فيها المسلمون كاعتقادهم في الصالحين ، يحجون إليها ويتبركون بها . وهذا أفق لا حد لأبعاده .

إذن فهؤلاء المسلمون وأولئك المشركون كلاهما قد اعتقد في أحجار وأشجار أنها تنفع وتضر، وكلاهما قد عظمها ودعاها واستغاثوا بها وكلاهما لا يريد بما فعل أصالة وقصدًا إلا التوجه إلى الصالحين والارتباط بهم والاستشفاع. فالتوجه إليه في الظاهر لدى الفريقين هو الجهاد، والمقصود في الواقع لدى الفريقين هم عباد الله المتأزون الذين لهم لدى الله ما ليس لغيرهم من الجاه والمكانة والمكان. وما توجه العربي المشرك إلى الصنم لأنه جاد فحسب. ولا توجه المسلم الجاهل إلى القبر المكذوب أو إلى الباب أو الشجر والحجر لأنه جاد فقط. بل هذا وذالك توجهها إلى حى ناطق قادر ممتاز زعموا أن له بالله صلة خاصة، ومكانة ممتازة، وجاها نافذا، وقربا قريبا. فالغاية واحدة وإن اختلفت الوسائل، والفرض متحد وإن تعددت المظاهر. فلا فرق بين الفريقين.

وأما الفرق السابع، وهو أن المشركين قد عظموا ما لا يستحق التعظيم لإبطال الفرق وإن كان صورة صالح، وأنهم طافوا وتبركوا بما لم يجعل الله فيه بركة، وأن المسلمين فعلوا ذلك بمن أمر الله بتعظيمه من الأنبياء والصالحين وقبورهم. فالجواب أن نقول: إن الفريقين كليهما قد عظم ما لا يستحق التعظيم، وتبرك بما لا بركة فيه: فالمسلمون الجاهلون قد عظموا الأبواب والأعتاب والأشجار والغيران والعمد، وتبركوا بها وطافوا، والمشركون فعلوا ذلك بالتمائم تماثيل الصالحين وصورهم وآثارهم. وهذا كله لا يستحق التعظيم، وهذا كله لا بركة فيه. وأي مسلم أو عاقل يستطيع أن يزعم أن الله أمر بتعظيم باب المتولى وعمود البدوى، وتعظيم قبور الفسقة والكافرين، وقبور البهائم، أو يزعم أن الله جعل في ذلك بركة، وهذا كله قد عظمه المسلمون الجاهلون، وتبركوا وطافوا به ؟ وأي فرق بين هذا وبين التماثيل والصور والأصنام والأوثان، لو أن القوم كانوا يعقلون ؟

وإذا زعم الشيعي أن صورة الصالح والنبي لا تستحق التعظيم ، وزعم أنه لا بركة فيها ، فكيف يزعم أن الأجداد والأبواب والأحجار والأشجار تستحق ذلك ، أو يزعم أن فيها بركة وسرا ، وأنها تستحق أن يطاف بها وأن تحج ؟ إن كان ذلك عنده لأجل نسبتها إلى الصالحين وإضافتها إليهم ، فصورة الصالح وتمثال النبي أو الملك ، منسوبان ومضافان إليهما . فالحقيقة واحدة ، كما أن العلاقة واحدة أيضا . ولن يخالف هذا الشيعي ، مهما أكثر الخلاف ، في أن طوائف من المسلمين عظموا قبور قوم لا يستحقون التعظيم أنفسهم ، وأنهم قد اعتقدوا في هذه القبور البركة ، والله لم يجعل في أصحابها أنفسهم بركة . ولن يخالف في أنهم قد عظموا أحجارا وأبوابا وطافوا بها وتبركوا ، وهي لا علاقة لها بعبد من عباد الله الصالحين ، وأنها لذلك لا تستحق التعظيم ، ولا يصح الطواف بها ، ولا اعتقاد البركة فيها . والشيعية يكفرون أهل السنة كافة ، والمتهاونون منهم المعتدلون يفسقونهم ويضللونهم . وهم لذلك لا يعتقدون أن فيهم بركة ، ولا أنهم يستحقون التعظيم ، لأنهم عندهم كفار أو فساق ظلمة . ومن لا يستحق التعظيم ومن لا بركة فيه نفسه ، لن يستحق قبره ومالابسه ذلك . ولكن الجهال من أهل السنة يعظمون قبور هؤلاء الكفار والفاستين من أهل السنة ، ويطوفون بها ، ويتبركون . فهم بلا شك ولا ريب قد عظموا مالا يستحق التعظيم ، واعتقدوا البركة في مالا بركة فيه ، وطافوا بمالا يصح الطواف به . وهذا لا شك فيه لدى الشيعة وهو لازم لمذهبهم لزوما لا خلاص منه . فهؤلاء لديهم مثل المشركين قد عظموا . لا يستحق التعظيم وطلبوا البركة ممن لا بركة فيهم

والاعتقاد في الجاذيب
وكثيرون من هؤلاء المسلمين الجهلاء قد اعتقدوا في هؤلاء الجهلاء الجاذيب
المرأة الأقدار الأرجاس الانجاس ، الذين لا يفعلون . أمورا به ، ولا يلتزمون
عن منهي عنه : فلا يأتون طاعة ولا ينزعون عن معصية : اعتقدوا فيهم بأنهم من

كبار الأولياء المقربين المطلعين على الغيوب وعلى الألواح المحفوظة ، المتحكمين في الله وفي أقداره وعباده ، القائلين للشيء كن فيكون . . . فعظومهم لذلك أجل التعظيم ، وحملوا عليهم حاجاتهم ورغباتهم ، وأفضوا إليهم بذوات صدورهم ، ودخائل أنفسهم ، وسألوهم التحكم في مصائرهم ، والقضاء لهم بما يشاؤون ، وقاموا لهم بما يلزم ذلك من الطواف والتمسح والتم لا يديهم وأثوابهم القنطرة والانتقطاع إليهم ، والرغبة فيهم ، والرغبة منهم . . . فلما أن هلكوا وصاروا إلى عذاب الله ، وإلى حسابه العسير ، شادوا قبورهم ، فكبف عليها القريب ، وحجج إليها البعيد ، وقدموا إليها ما قدموا من النذور والقرابين ، وطافوا وتمسحوا وعظمووا وفعلوا كل منكر . ولن يقول هذا الشيء : إن هؤلاء المجاذيب المهاييل يستحقون شيئاً من ذلك ، ولا إن قبورهم تستحق شيئاً من التعظيم ، ولا إن فيهم أو فيها شيئاً من البركة والاسرار

ولاريب أن صور الأنبياء والصالحين أولى بالتعظيم والاحترام والجلال والانتقطاع من هؤلاء المجاذيب ومن قبورهم وآثارهم . وهذا لا ينافي فيه مسلم ، ولا عاقل غير مسلم . والتحالف معترف بأنه قد كان من عبادة المشركين المخلوق ، ومن ضلالهم الباطل ، تعظيم صور الصالحين ، لأنه زعم أن الصورة لا تستحق التعظيم ولا الاحترام . وإذا كانت صور الأنبياء لا تستحق التعظيم ، وكان تعظيمها من شرك المشركين وجهل الجاهلين ، أفيمكن أن يكون تعظيم هؤلاء الماكفين على الآثام من الإيمان والاسلام ، أو يمكن ألا يكون ذلك من الخزي البين ، والفضلال الاهوج الأحمق ؟ لسننا نشك أن الاحجار والاشجار الصماء البكماء أولى بالتعظيم والاحترام من هؤلاء المصاة الأولياء ، ولسنا نشك أن معظم الجناد المجرد أعقل وأرشد من معظم هؤلاء الاشقياء

إبطال الفرق

وأما الفرق الثامن . . . أن المشركين اعتقدوا أن لأصنامهم شرفاً ذاتياً الثامن

واستحقاقا للعبادة بالاستقلال ، وأن لهم اختياراً وتدبيراً ، وأنهم لم يقفوا عند ذلك ، بل بدلوا دين الله وغيره وأحكامه ، وأما المسلمون فانهم لم يفعلوا من ذلك شيئاً - فالجواب أن يقال : إن جهلاء المسلمين اعتقدوا في أوليائهم ومشايخهم جميع ما اعتقده المشركون في أصنامهم وأوثانهم . أما أن المشركين قد اعتقدوا أن لأصنامهم شرفاً ذاتياً ، فهذا يحتمل أمرين : أحدهما أن يريد أنهم اعتقدوا أن الله شرفهم وميزهم واختارهم على غيرهم ، وقسم لهم من الشرف والعظمة ما لم يقسم للآخرين . وثانيهما أن يريد أنهم اعتقدوا بأن لهم شرفاً قديماً واجب الوجود ، لم يخلقه الله ولا ينزعه عنهم إذا شاء ، بل هو شرف واجب للذات الواجبة الوجود ، التي وجودها من ذاتها لا من خالقها وخالق كل شيء . . . فان كان يريد المعنى الأول ، قيل له : إن المسلمين أيضاً قد اعتقدوا ذلك في أوليائهم ومشايخهم ، وهذا هو أصل الدعوى . وإن كان يريد الثاني قيل له : هذا كذب صريح ، فان المشركين كانوا مقرين بأن الله خالق أصنامهم وخالق ما لهم من الشرف والاختصاص والجاه ، كما أنه خالقهم هم وخالق كل شيء . وقد تقدمت بعض الدلائل على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال السلف . والقرآن الكريم ملآن باعترافات القوم لله بهذا . فهو لا نزاع فيه بين أهل العلم والمعرفة . وأما أنهم اعتقدوا أن الأصنام تستحق العبادة بالاستقلال ، فهذا كذب أيضاً ، فانهم ما عبدوها إلا على قصد أن تقر بهم إلى الله وتشفع لهم عنده ، كما حكى الله عنهم ذلك وكما حكاه أهل العلم ، وكما دلت عليه أقوالهم الصحيحة . قال الله تعالى « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » وقال : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . » وقال « والذين أشركوا لو شاء الله ما يديننا من دونه من شيء »

نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء» وقالوا في عبادتهم الملائكة «لو شاء الرحمن عبادنا» ومن ذلك حديث تلييتهم المشهور . فالشركون لم يزعموا أن الأصنام تستحق العبادة بالاستقلال ، بل عبدوها لتشفع لهم عند الله ، ولتقربهم لديه ، لأنه هو وحده غايتهم ، أما الأصنام وكل موجود غير الله فوسائل . وهذا هو مازعمه هؤلاء الجاهلون في أولياتهم حنو القذة بالقذة .

وأما إن كان يريد باستحقاق الأصنام للعبادة بالاستقلال أنها تعبد وحدها دون الله ، وأنه لا يصح أن يعبد تعالى معها ، وأنهم فعلوا ذلك حقا ، فهذا هو الباطل عينه والكنب نفسه . فإن المشركين كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة أخرى . وهذا هو معنى تسميتهم «مشركين» . وقد قال تعالى : «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون . » وقال : « وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين » وقال : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » إلى آخر الآيات والدلائل في هذا المعنى .

وأما أنهم اعتقدوا أن لها اختيارا وتدييرا ، فهذا الاختيار وهذا التدبير **فإذا يريد ؟** إما أن يريد أنهم غالبا لاختيار الله وتدييره وإذنه ومشيتته ، كائنان قسرا عليه تعالى . وإما أن يريد أن الله هو الذي جعل لها هذا الاختيار وهذا التدبير . فإن كان يريد الأول فهو باطل بالدلائل السابقة الناصة على أنهم كانوا يعتقدون أن الله خالق الأصنام والأوثان وكل شيء ، وأنه هو المسيطر المهيمن على هذا الكون كله ، عابديه ومعبوديه ، وأنه مالك الأصنام وما تملك . متصرف فيها وفي عابديها تصرفا غير محدود . وأما إن كان يريد المعنى الثاني فهذا هو ما يعتقده المسلمون الجاهلون في الأموات ، فلا فرق بين أولئك وهؤلاء .

من إيمان
المشركين
بالله

وللعرب المشركين كلمات قالوها في الله وفي أصنامهم ، لا تدع للشك مكانا في أنهم كانوا يمتقدون في الله أفضل مما يعتقده كثيرون من هؤلاء الجاهلين ،

ويعتقدون في أصنامهم دون ما يعتقده هؤلاء في أوليائهم وأشياخهم . فقد حفظ
من قول أولئك المشركين « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقولهم « وليس
 وراء الله لمرء مذهب » وقولهم « بيده الخيرات ما شاء فعل » وقولهم « أين
المفر والاله الطالب » وقولهم

من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب
إلى غير ذلك من الأقوال المأثورة الدالة على إيمانهم بالله وبأنه الأخذ بكل
فأصية . وقال بعضهم في أحد أصنامهم ، ويقال له ذو الخليفة :
لو كنت يا ذا الخلف الموتي * مثلى وكان شيخك المقبور
* لم تنه عن قتل المداة زورا *

وكان هذا القائل قد قتل أبوه فجاء الصنم فاستقسم عنده بالأزلام فجاءت
النتيجة نهيا . وقال آخر في صنم آخر يقال له : « سعد » :
أتينا إلى سعد ليجمع ثملنا * فشتنا سعد ، فأنحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة في تنوفة * من الأرض لا يدعونا خير ولا يهدى
وكان هذا القائل قد جاء إلى هذا الصنم بإبل له فنفرت منه وذهبت في كل
وجه ، فغضب وتناول حجرا ورماه به وقال له : « لا بارك الله فيك إلها ، نفرت
على إبلى ! » . وقوله هذا يدل على أنه كان قارآ في أذهان القوم على أن الذي
يبارك في الأصنام وفي غيرها هو ربها وربهم ورب كل شيء ، وأنه هو الذي
يسلبها البركة والخير المزعوم متى شاء - إلى غير ذلك مما يدل على أن عقيدتهم
في الأصنام المعبودة لم تكن تزيد ، إن لم تكن تنقص ، عن عقيدة هؤلاء
في موتاهم وشياخهم .

بل دين الله وأما قوله : « إن المشركين بدلوا دين الله وغيروا أحكامه » فالجواب أن
قول : ونحن لا نشك أيضا في أن عبدة القبور فعلوا ذلك بدين الله بأبشع

الصور وأنبأها عن الذوق والعقل والدين . وهذا هو أصل الدعوى ومثارها، وهذا هو أصل الخلاف والنزاع ، وهذا هو ما وضعنا له كتابنا هذا ، وما وضع له أهل العلم كتبهم المؤلفة في هذه الأصول ، وهذا هو ما دلت عليه النصوص المتواترة القائلة : بأن طوائف من المسلمين ، ولا محالة ، سوف يصيرون مصابيح الذين كانوا قبلهم من الأئمة المهلكة تحت هياكل الشرك والوثنية الهوجاء . هذا هو الرد التفصيلي على الفروق التي ذكرها وزعمها بين العاكفين على الأصنام ، والعاكفين على القبور والأجداث .

وأما الرد الإجمالي فنقول له : هب هؤلاء المسلمين الجاهلين لم يفعلوا جميع ما فعله المشركون الأولون من عبادة الأصنام والأوثان ، فهل يدل هذا على أن المسلمين العاكفين على القبور لم يقعوا في الاشتراك ، أو لم يقع منهم نوع من أنواع الاشتراك ؟ كلا ، فإن هذا لا يمكن زعمه ولا قوله حتى يمكن الزعم والقول بأن أولئك المشركين لم يكونوا مشركين ولا ضالين إلا لأنهم عملوا جميع ما عملوه من الأعمال التي أنكرها الإسلام ، أما لو قصصوا شيئاً من أعمالهم فأنهم لا يكونون حينئذ مشركين ولا ضالين . ولكن هذا لا يمكن أن يزعمه ولا أن يقوله مسلم ولا عاقل غير مسلم ، وذلك أن المشركين كان لديهم أنواع كثيرة من أنواع الشرك ، وكان كل نوع كافياً للقضاء عليهم بالشرك والهلاك والضلال ، وإذن لن ينفع المخالف أن يجد فرقاً بين أولئك وهؤلاء ، ولن يجديه في قضيته أن يجد هؤلاء الطائفتين بالقبور لم يعملوا كل ما عمله المشركون الأولون ، ولم يعتقدوا جميع ما اعتقدوه .

من أسباب

﴿ كيف ، ولماذا عبد الخلق ؟ ﴾

الشرك

يجعل بنا هنا أن نذكر السبب الذي حمل الخلق على أن يعبد الخلق العاجز مثله . وذلك أن عبادة الخلق للمخلوق من الأمور الغريبة المدهشة التي قد لا يستطيع الكثيرون تأويلها وفهمها . وهذا لأن من الأشياء الضرورية

البدئية أن إنساناً قسم له من العقل مدصح به تكليفه لا يمكن أن يعتمد إلى مخلوق مثله مساوٍ له في البداية والنهاية والصورة، وفي الولادة وقبول الفناء والهلاك والانصهار بالأعراض البشرية الخلقية، فيعبده ويدين له بالالوهية والعبودية . ولهذا يقوم هذا السؤال : لماذا إذن عبد الإنسان الإنسان، وما هو دون الإنسان من الحيوان والجماد، ومن الأحجار والأشجار ؟ وكيف أمكن أن يصنع التماثيل والصور بيديه ثم يعبدها، وهو يعلم بالضرورة أنه يستطيع نقضها وتحطيمها متى شاء، ويعلم بالضرورة أيضاً أنها جماد جامد لا تدفع عن نفسها من أراد السوء بها، ولا تسوق الخير إلى من رغب فيها وأمله منها، بل وهو يعلم أنه أقدر وأشرف منها ؟ هذا هو السؤال الذي يمسرفه وجوابه على الكثيرين، وغاية ما يمكن أن يقوله من لم يفهم الحقيقة : إن عبدة المخلوق، وعبدة الأصنام والأوثان، قوم لا يعقلون، فلا يقال : كيف فعلوا، ولا كيف تركوا، ولا كيف عبدوا ما صنعوا بأيديهم من الأحجار والأشجار والصور والتماثيل والبنائيات . . . ولكن هذا جواب، ولا شك، ساذج باطل، لا يصح الاطمئنان إليه ولا التثبت به. وهذا لأن عبدة الأصنام والمخلوقين لم يبلغوا من الجنون والعته وضعف العقل مبلغاً يستطع معه تحليل أفعالهم وأعمالهم بحيث لا يقال : كيف فعلوا ذلك، ولا كيف تركوه، لأنهم لو كانوا كذلك لستقطعت عنهم أعباء التكليف، ولما كانوا مخاطبين ولا محاسبين . ولكن كلا، فإن للقوم أفهاماً وعقولا وكيدا ومكرا عظيما، ودهاء مرا، وذكاء صائفاً، فرورا جبارا . . . ومما يبين ضعف هذا الجواب، بل بطلانه في تحليل عبادة الإنسان الأصنام، أننا لم نجد أحداً من هؤلاء المعاصرين الجهلاء عمد إلى عبادة جماد مجرد لا صلة له بغير المخلوقين، وإنما عبدوا مخلوقاً زعموا أن له بالخلاق صلة خاصة قوية لولاها ما التفتوا إليه ولا بالوه . فلم نجد أحداً من هؤلاء الجاهلين الأغبياء عمد إلى عبادة شجرة مجردة، ولا عبادة

حجر مجرد من المعاني والأسرار الالهية التي يزعمونها لبعض الجماد لصلة زعموها
لذلك الجماد . ولو أنك طلبت إلى أغبي هؤلاء الأغبياء أن يعبد حجراً ، لا يزيد
في أمره للظاهر والباطن عن كونه حجراً ، وطلبت إليه أن يطوف وأن يتبرك به ،
لما أجابك إلى ذلك أبداً حتى تروح تزعم أن هذا الحجر أو تلك الشجرة مثلاً
تنهوى على مخلوق له بالله رب العالمين صلة كبيرة متينة ، وله لديه جاه عظيم
كبير . هذا ونحن ندلم ، ولا نشك ، أن هؤلاء الدوام أجهل وأغبي من كثيرين
عبدوا الأصنام والأوثان ، ودفنوا إليها أفضل أنواع العبادة الخالصة . وهذا
لأنه باطل بالضرورة ، كما قلنا ، أن يعبد إنسان له عقل يصح به تكليفه مخلوقاً
يُلم أنه مثله مخلوق لا أكثر ولا أقل .

هذا كله صحيح لدينا لدى جميع الباحثين ، فكيف إذن عبد الإنسان الإنسان
وما هو دون الإنسان كالجناد والحيوان ؟ والجواب أن نقول : إن غاية كل مخلوق غاية كل إنسان
متأله متدين ، والإنسان كما قيل في إحدى تعاريفه « حيوان متدين بالطبع » أن هذا الوجود
يتصل بأكثر قوة ، وأن يرضى عنه أعظم ضرار ونفع في هذا الوجود المتلاطم
بالأضرار والمنافع ، المتهاك تحت نواميس القوة والضعف ، والقوى والضعيف .
وقد علم هذا الحيوان المتدين ، بماورثه من رسالات الأنبياء ، وبما استأنه فطرته
الصحيحة السليمة الأولى ، أن أكبر كبير ، وأن أعظم ضرار نفع في هذا العالم
هو الله خالق كل شيء وخالق الأقوياء والضعفاء ، وصنوف الضر والنفع ... فأراد
الاتصال به عز شأنه ، وأراد أن يقيم بينه وبينه أسباب الرضا والمودة ، وعلاقات
القربى والزلفى ، وصلات العبادة والرعاية والحياطة ، وأراد أن يعطيه إخلاصه
وخضوعه وذله وكل معاني عبادته وعبوديته ، كما أعطاه تعالى وجوده وحياته وكل
ما يتمتع به من متع الحياة وأسباب البقاء ، ولكي يزيده تعالى من ذلك ويديه عليه
و يمنحه منه ما لم يمنحه ... ولكن كيف يعطيه ذلك ، وكيف يعبد ويصل به ،

وبأى أسلوب يرفع اليه ذلك كله؟ هذه هي المشكلة، وهذه هي منطقة الخطر الخطير... وإن مما ارتكز في الفطر الانسانية كلها أن الرهب والرجب لا يكونان إلا في القوى القادر، وأن العبادة لا تكون إلا حيث تكون الرهبة والرغبة. فمن المسلم به إذن في أوائل كل الفطر ألا يعبد في هذا العالم إلا الموجد له القائم عليه وبه، المفنى له إذا شاء، الواهب لكل شئ ما هو فيه، القائل للشئ كن فيكون، الأخذ بكل ناصية الأول الآخر، الفعال لما يريد... هذا مما جبلت عليه جميع الفطر البشرية، فكان المعقول المظنون إذن أن تكون النتيجة لهذه المعارف والمعلوم المجمع عليها ألا يعبد إلا الله، وأن يكون البشر جميعا موحدين، وألا توجد في قاموس البشرية كلمة «الاشراك» ولا كلمة «المشرك» ولكن شيئا قابل هذه المعارف الفطرية فحول النتيجة الصحيحة المعقولة، ووضع مكانها نتيجة أخرى فاسدة باطلة. وهذا الشئ الذى حول هذه المعارف البشرية عن أن تصل إلى نتيجتها الصحيحة هو أن الانسان قد خاق ماديا حسيا أكثر منه معنويا علميا، تغلق نزاعاً إلى الرغبة في المحسوس المشهود، نزوهاً عن الرغبة في المعلوم المفهوم... فأراد أن يرى الله، وأراد أن يعبد عبادة مشاهدة وحضور ورؤية، فأعجزه ذلك وحال بينه وبينه ما بين الخالق والمخلوق من الفروق. فراح يبحث لعبادة الحضور والشهود، وهب يقدح زناد عقله وفهمه فوق في الاشراك والضلال والجهل، واهتدى إلى أن يقيم التماثيل والهياكل والأصنام والأوثان، وأن يزعم أنها ترمز إلى الله وتشير إليه وتقوم مقامه وتنوب منابه في الحضور والشهود، واهتدى إلى أن يزعم أن لهذه التماثيل والهياكل والأصنام والأوثان صلوات بالله مخنفة، وأنها بهذه الصلوات تمثله تعالى وتقوم مكانه، كما تمثل حضوره وقربه وشهوده إذ لم يمكن قر به الحقيقي ولا حضوره الصحيح، ولا شهوده المطلوب. وراح في فهم هذه الصلوات التي زعمها بين الأوثان وبين الله مذاهب أشتاتاً، وذهب في تأويلها وتفسيرها طرائق أفناناً، إلا أن

الرغبة في عبادة
الحضور من
أسباب الشرك

الجميع قد أجمعوا على عبادتها، وأجمعوا على أن عبادتها عبادة لله . فبعضهم أقام هياكل للنجوم وللشمس والقمر والأجرام الملووية ، فوجه إليها عبادته وزعم أن عبادتها عبادة للأجرام نفسها ، كما زعم أن عبادة الأجرام عبادة لله تعالى ، وقد زعم أن هذه الأجرام مخلوقات حية عاقلة فاهمة . فكان بذلك عند نفسه عابداً لله عبادة حضور وشهود . وبعضهم قصد إلى حجر أو شجر فزعم أن له ببعض عبادا لله المقربين إليه ، المختارين لديه ، علائق وملابسات مختلفة ، صار ذلك الحجر أو الشجر لأجلها محط أسرار أولئك العباد المقربين الممتازين . فتوجه إلى الحجر والشجر بعبادته ، وزعم أن المتوجه إليه حقيقة بالعبادة هو ذلك العبد المقرب الممتاز ، كما زعم أن التوجه إلى ذلك العبد بالعبادة هو في الواقع توجه إلى الله . فالمعبود في الظاهر الحجر والشجر ، والمعبود في الحقيقة هو رب العالمين .

وبعضهم شاد القبور والضرائح وبائع في زخرفتها وتجميلها وتعميرها وانتياها من فلسفة من كل مكان لأنها مراقد أقوام صالحين لهم عند الله الجاه العظيم والسر البائع ، الضار النافع في مازعموا . فقصصوا هذه القبور والضرائح بالعبادة ، وربطوا بها حاجاتهم ورغائبهم ، وزعموا أنهم ما فعلوا ذلك إلا لأجل من فيها من الصالحين ، وزعموا أنهم ما توجهوا بذلك إلى الصالحين لا لقربهم من الله وحظوتهم لديه . فهم في الحقيقة ما رغبوا إلا في الله ، ولا انقطعوا إلا إليه تعالى ، فهو الغاية ، وهو المعبود ، وهو المرجو المدعو . وإنما اتخضوا إليه الوسائل ، وراموا القرب منه بالوساطات . والوسائل والوساطات إن هي إلا أسباب ، وقد ربط الله كل الأشياء بأسبابها ، فلا يمكن أن يدرك الشيء طالبه إلا بسببه ، ولا يمكن أن ينال الحاجة سريدها إلا بوسيلتها . والاسباب ، وإن كثرت وتعددت ، ليست مقصودة بالذات . ليست إلا طريقاً وسبيلاً إلى الغاية ، والغاية هي المقصودة في الحقيقة ، وهي المطلوبة المرجوة . ولو أنها أدركت بدون أسبابها ووسائلها لما عبت إلا بها ،

ولأقصيت هذه الأسباب وتلك الوسائل إقصاء . فالراغب في الوسيلة راغب في
الغاية حقاً ، والمابذ للوساطة عابد لما بعدها بلا شك ولا ريب . فالله وحده هو غاية
هؤلاء المتوسلين المتخذين الوساطات والشفعاء لديه ، وهو محبوبهم ، وكل مادونه
آلات للحظوة به وعنده .

ومنهم عمد إلى بيوت أضيفت إلى الله فبالذوا في إعظامها وإعظام بنائها
حتى عبدوها وأسرفوا في عبادتها ، وحتى عبدوا لذلك الحجارة وما استحسنا
من الجداد . وقد ذكر أهل العلم أنه كان مما سألخ بالمشركين إلى عبادة الأوثان
والحجارة أنه كان لا يظن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة
الحرم تعظيماً للحرم . فحينما حلوا وضموه وطافوا به كطوافهم بالكعبة صباية وجدوا
وحبا . ثم سألخ بهم ذلك إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، وما
كانوا يرمون إليه ، ولم يكن تعظيمهم للحرم إلا لصلته بالله ، أو لصلته بمن له صلة بالله
وبعضهم توجه إلى عبادة الملائكة لقربهم منه ومن الله ربهم . ومنهم غير
هؤلاء وهؤلاء من أصناف المشركين الضالين . وكأن هؤلاء جميعاً ما صاروا
مأشرك بالله إلى الشرك إلا لرغبتهم في عبادة الحضور والشهود والقرب ، فلما أن عجزوا عن
الارغبة في ذلك قصدوا إلى تحقيقها بعبادة أشياء حاضرة محسوسة لها اتصال بهم ، ولها اتصال
بالله فيما حسبوا وزعموا ، ولها حضور لديهم وحضور لدى الله . ولهذا فان طوائف
من المتألهين المتدينين ذهبوا إلى القول بحلول الله في مخلوقاته ، فعبدوا هئمه
المخلوقات لأنهم مظهر لله . ولهذا أيضاً كانت الأمم تطالب أنبياءها ورسلها برؤية الله
وكانت تقول كل أمة لرسولها : إني نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وعباناً . وهذا لأن
الإنسان ، كما قلنا ، خلق مادياً حسياً أكثر منه علمياً معنوياً . وقد سلخت هذه
تشبيهه الله
بالظالمين من خلقه
بزعمائهم وكبرائهم الظالمين الباغين . فقد وجدوا ورأوا أن هؤلاء الكبراء

الظالمين لا يستطيع الضعيف الفقير أن ينال رضاهم ولا عدلهم ولا رعايتهم ولا شيئاً مما بأيديهم إلا بأخذ الوسائل والشفعاء لديهم ، وإلا باتيانهم من طريق المقر بين لديهم ، الذين لهم سلطان ودلال عليهم . ووجدوا أن من أراد إتيانهم وعدلهم ورضاهم من هؤلاء الضعفاء الفقراء بدون شفيع ووسيلة كبيرة رهوبة فإن يصل إليهم ، ولن يلاقى إلا الحرمان والاقصاء والدفع والطرده . وقد ظنوا حينئذ لجبتهم الحسية الناقصة أن الله أيضاً كذلك يؤتى ويطلب من طريق الوسائل والوساطات والشفعاء المقر بين الممتازين ، وأنه بغير ذلك لا يمكن الوصول إليه ولا الظفر برضاه وقربه والخطوة عنده ، وبهذا صاروا إلى الشرك بالله وعبادة الأصنام والأوثان . والغريب في هذا أنهم لم يقيسوا الله إلا بالظالم من خلقه ، فقد رأوا أن الظالمين من البشر لا تنال منهم الحقوق والحاجات والواجبات إلا بالوسائل والشفعاء . وقد رأوا أيضاً أن العادلين المنصفين من البشر يعطون الحقوق والواجبات من أنفسهم بلا وسيط ولا شفيع ، فشبّهوا الله بالفرق الظالم الجاهل من عباده ، ولم يشبهوه ، إن كان لابد من التشبيه ، بالفرق العادل الذي يفعل الحق والواجب والجليل لأنه حق وواجب وجميل ، لا لأن فلاناً أو فلانة طلب إليه فعل ذلك ، ولا لأنه خاف إن لم يفعله من هو فوقه أو من هو مثله أو من هو دونه . فالمشركون شبّهوا الله بخلقهم ، بل شبّهوه بأضعف خلقه وأظلمهم وأرذلهم . ولولا هذه الجبلة الحسية الناقصة لما أشرك المشركون ولا شبّه المشبهون .

فعبادة الخلق للمخلوق وللأصنام والأوثان قائمة على الرغبة في عبادة الحضور والشهود وعبادة الحاضر الشاهد لأن الإنسان خلق حسياً مادياً أكثر منه علمياً برهانياً غيبياً . فعبدة الأصنام والمخلوقين إنما قصدوا الله وحده ولكنهم قصدوه من طريق ضال باطل جاهل . ولهذا فأنهم ما عبدوا ولا قصدوا إلا إلى المقر بين لديه

وقد زعموا ملكين عظيمين. وعبدوا الأنبياء والصالحين ، وعبدوا آتلاتهم ومخلفاتهم ، وعبدوا الحرم وحجارته ، وعبدوا الأحجار والأشجار والقبور والأحداث لما لها من الصلات الكبيرة المتينة، فما عبدوا إلا مقرباً إليه تعالى أو من ظنوه مقرباً وإن لم يكن كذلك . فهم لم يعبدوا حجارة مجردة ولا جُحاشاً مجرداً يقيناً . وإنما عبدوا أحياء عاقلين أو من زعمهم كذلك . وقد بين الله ذلك في كتابه في غير ما آية قال تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ولا شك أنه لا يمكن أن يتوهوا أن الجادات المجردة يمكن أن تشفع لهم . وقال تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ، ولن يظنوا أن الجادات تقربهم إلى الله وتدنيهم منه ولا أنها تقدر على شيء من ذلك . وكلمة « نعبدهم » و « يقربونا » و « أولياء » صريحة في أنهم قد عبدوا عقلاء . وإطلاق كلمة « أولياء » على معبودات المشركين جاء كثيراً في كتاب الله كما في هذه الآية وكما في قوله من سورة « العنكبوت » : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » وقال تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون » ، وقال : « قل أغير الله اتخذ ولياً » إلى غير ذلك من الآيات المعلومة الواضحة الدلالة . فعبادة الخلق قائمة على هذه الشبهة الفاسدة .

المشركون
يعبدون من
دون الله أولياء

﴿ الباب الثالث من كتاب الرافضى ﴾

ثم قال الشيعى : « الباب الثالث في تفصيل الأمور التي كفر بها الوهابية المسلمين ورد كل واحد منها بخصوصه . . . »

وفي هذا الباب ذكر الفصول الآتية : الفصل الأول في الشفاعة . الثاني في دعاء غير الله وطلب الخواص منه . الثالث في التوسل إلى الله بالأنبياء

والصالحين . الرابع في الأقسام على الله بالخلق أو بحقه . الخامس في الحلف بغير الله . السادس في إطلاق السيد والمولى على غير الله . السابع في الذبح والنحر لغير الله . الثامن في النذر لغير الله . التاسع في بناء القبور والبناء عليها . العاشر في الكتابة على القبور . الحادي عشر في اتخاذ المساجد على القبور ، واتخاذ القبور مساجد . الثاني عشر في إسراج القبور . الثالث عشر في الصلاة والدعاء عند القبور . الرابع عشر في تعظيم القبور وتعظيم أصحابها والتبرك بها ومسها والطواف بها . الخامس عشر في اتخاذ السدنة والخدام والحجاب لمقامات الأنبياء والصالحين واتخاذها أعياداً . السادس عشر في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والكسوة . السابع عشر في زيارة القبور وشد الرحال إليها . هذه هي فصول هذا الباب . وقد تكلم الشيعي على كل فصل منها ، وسوف نتكلم نحن عليها كلها ، وسوف يتكلم معنا ، إن شاء الله ، الحق والصواب والهدى .

﴿ الاستشفاع بالأَمْوات ﴾

ذكر الشيعي في فصل الشفاعة ما خلاصته : إن الاستشفاع بالموتى جائز حجة الزافضو على طلب الشفاعة من الأموات

لا ريب في جوازه ، قال : « ذلك أن الله قد أعطى عباده الصالحين ، كالأَنْبياء والأولياء والملائكة ، الشفاعة ، ولا مانع يمنع من أن نطلبهم ما أعطاهم الله » . قال : « والشفاعة هي الدعاء ، فالذي يطلب ولياً أو نبياً أو ملكاً أن يشفع له إنما يطلب منه أن يدعو له لأن الشفاعة هي الدعاء والدعاء يجوز طلبه ، بلا ريب ، من الصالحين : الأحياء منهم والأموات ولا فرق » قال « وقد ثبت أن الملائكة يدعون ويستغفرون للذين آمنوا كما قال تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ، فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم

إنك أنت العزيز الحكيم ، وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ،
وذلك هو الفوز المبين » . ودعاؤهم هذا للمؤمنين هو عين شفاعتهم . . . وقد
جاء أن الحجر الأسود يشفع ويشفع كما صبح عن علي بن أبي طالب أنه قال :
اشهدوا هذا الحجر خيرا فإنه يوم القيامة شافع مشفع ، له لسان وشفتان يشهد
لمن استلمه . ولا يمكن القول بأن الله أعطى عباده الشفاعة ثم منع من سؤالهم
لها . فإن الشفاعة إذا كانت حقا لم يكن طلبها باطلا ، لأن طلب الحق لا يكون
باطلا ولا شركا ، ولكن طلب الباطل هو الذي لا يكون إلا باطلا . . . وقد تشفع
آدم برسول الله قبل خلقه ، وتشفع وتوسل رسول الله بمن قبله من الأنبياء ، وتشفع
الصحابة بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وتشفع عمر بالعباس ، وأقر النبي أيضا
عليه السلام ذلك الأعرابي الذي قال : إنا نستشفع بك على الله . وقد طلبوا
من النبي أيضا بعد موته أن يستسقى لهم فسقوا . وقد روى أن الذين يصلون
على الجنائز يشفعون . وقد روى الترمذي عن أنس بن مالك قال : سألت
رسول الله أن يشفع لي يوم القيامة فقال ، « أنا فاعل » . وقد طلب سواد بن قارب
وهو أحد الصحابة ، من الرسول الشفاعة وقال من قصيدة :

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة * بمن فتيلا عن سواد بن قارب

« وفي السيرة الحلبية أن تبعاً الحظري آمن بالنبي عليه الصلاة والسلام قبل
ولادته ، وكتب كتاباً فوصل للنبي بعد مبعثه ، وفي الكتاب « وإن لم أدركك
فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني » وأن النبي عليه السلام قال : « مرحبا باتباع
الأنخ الصالح » ثلاث مرات . وقد علم ابن حنيفة رجلا في خلافة عثمان أن يقول
في دعائه : يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن تقضى حاجتي ، ويذكر حاجته . وأنه
فعل ذلك فقضيت حاجته . وقد روى المفيد في المجالس أن عليا لما فرغ من غسل
النبي عليه السلام كشف الإزار عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي ، اذكرنا عند

ربك واجعلنا من همك . ثم أكب عليه وقبله . وفي خلاصة الكلام أن أبا بكر قال وفعل مثل ذلك في النبي بعد وفاته . وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال : اللهم إني أستشفع إليك بنبيك يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له . وقد ذكر العلماء في باب آداب الزيارة أن من جملة ما يخاطب به النبي ﷺ أن يقال : جئتكم لتقضاء حقتك والاستشفاع بك ، فليس لنا يارسول الله شفيع غيرك ، فاستغفر لنا واشفع لنا . . . » .

هذا جملة ما ذكره في هذا الفصل من التذليل على جواز الاستشفاع بالموتى وبالملائكة وسائر الصالحين . ونحن ، إن شاء الله ، نورد هنا ما نرى إيراداً من الدلائل على بطلان الاستشفاع بالأموات وبالملائكة ، ثم نثنى بالابطال والنقض لهذه الشبه التي أوردناها - ضارعين إلى الله وحده أن يفرغ علينا من عونه ومدده وتسديده ، وأن يقسم لنا ، في ما ينقسم ، التوفيق والهداية والرشاد ، وأن يباعد بيننا وبين الهوى الظالم ، والعصبية لغير الحق كما باعد بين المشرق والمغرب ، وأن يغسل ألسنتنا من الهذر والزلل ، وقلوبنا من الغنى والخلل ، وأن يجعلنا هادين مهدين ، لا ضالين ولا مضلين ، ولا فاتنين أو مفتونين ، فهو وحده مجيب السائلين ، ومعطي الراغبين ، وهو رب العالمين ، فنقول :

لا ريب أن الشفاعة نوع من الدعاء ، وأن الاستشفاع نوع من طلبه ، وأن الشافع يكون داعياً . ولا ريب أن طلب الدعاء من الحي الحاضر جائز مشروع بالجملة ، وأن الاستشفاع بالقادر على الشفاعة جائز مشروع أيضاً بالجملة . ثم لا ريب أن الله قد ادخر لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وكذلك لسائر أنبيائه ، ولسائر الصالحين من عباده ، أنواعاً من الشفاعات سوف يكرمهم الله بها ويعلن شرفهم وما لهم عنده من الزلف وقرب المكان وعلو المكانة ومحو المراتب في أيام مشهودة مشهورة . كما لا ريب أنه تعالى قد أذن لهم في أنواع من الشفاعات في الدنيا ،

إبطال شبهات
المخالف

وأعنى بها الأدعية ، وأنهم قد شفّعوا أنواعاً أيضاً من الشفاعات نفع الله بها الكثير من عباده ، وأنزل بها الكثير من فضله وأنعمه ، وأن له تعالى عبادة لم يخلقوا بعد سوف يشفعون ، وسوف ينفع الله بشفاعتهم طوائف من خلقه . ثم لا ريب أن المسلمين كانوا يطلبون إلى نبيهم أن يدعو الله لهم ، وأنه كان يدعو لهم ، وأن الله كان يجيب دعاءه ويقبل شفاعته ويرحم عباده ، وأنه كان لغيره من الأنبياء والصالحين أشياء كثيرة من ذلك . ثم لا ريب أيضاً في أن المسلمين يرجون شفاعة نبيهم ، ويرجون أن يرحمهم الله بها في أشد يوم سوف يمر بالخلقة ، ويسألون الله أن يعظم نصيبهم من هذه الشفاعة العظمى في ذلك اليوم الأعظم . كما لا ريب أنهم سوف يستشفعون ذلك اليوم الموعود بالأنبياء واحداً واحداً فلا يكون الشافع الأول لهم وللناس جميعاً سوى محمد عليه الصلاة والسلام خاتمهم وآخرهم : هذا كله لا ريب في شيء منه ولا خلاف ، ولكن الذي فيه الخلاف والنزاع هو طلب الشفاعة من الأموات والاستشفاع بهم . وكل ما ذكر هنا لا يدل شيء منه على ذلك . والدلائل على بطلان الاستشفاع بالموتى كثيرة ظاهرة ميسورة نورد منها هنا ما يتيسر :

دلائل بطلان الاستشفاع بالأموات أولاً — : المستشفعون بالموتى لابد أن يعتقدوا أنهم قد أعطوا من كمال السماع والاحاطة بالغيب ما لم يكن لهم وما لم يكن إلا الله وحده . ولابد أن يعتقدوا فيهم أيضاً أنهم يعلمون الغيوب ويحيطون علماً بالتقريب والبعيد ، ويسمعون جملجة المتناف أين كان المهاتفون الداعون ، ويفرقون بين مختلف النعمات والدعوات في وقت واحد كما يفرقون بين مطالبها ومعانيها ، مهما كثرت وتعددت واختلفت . ولهذا يدعو النبي والولي والشيخ في الوقت الواحد منهم الداعون الكثيرون المختلفون لغات ولهجات وحاجات وأماكن ومواضع ، ثم لا يشكون أن ذلك النبي أو الولي أو الشيخ المدعو المستول يسمع دعاءهم واستشفاعهم ،

ويفهم ما يريدون وما يعمنون . ولهذا أيضاً يدعوونه ويسألونه الشفاعة من كل مكان وفي كل مكان بكل لسان في كل زمان . ولهذا أيضاً يجتمعون على دعائه والاستشفاع به في وقت واحد مهما كثروا واختلفوا أغراضاً وحاجات ولهجات ولغات . ولهذا أيضاً يدعووه الفارسي والتركي والهندي والبربري وغيرهم من أصناف المعجم والعرب : كل بلسانه وبيانه ولهجته وأسلوبه . ولا يرتاب أحد من هؤلاء الداعين الصارخين الطالبين في أن ذلك كله مفهوم معلوم مسموع معقول في وقت واحد وفي حالة واحدة . ولا يرتاب أحد منهم أيضاً في أن ذلك الشيخ المدعو المرجو لا يمجزه ولا يفوته شيء من تلك الدعوات والاستشفاعات والضراعات . ولا شك أن ذلك المدعو لو كان حيا حاضراً قائماً بين أيديهم وتحت أبصارهم لما نحلوه كل هذه الاحاطة باللغات والحاجات والغائبات ، وأنه لو كان حيا سويا بينهم وبينه من الحجب والموانع والحوائل ما بينهم وبين ذلك المقبور لما شكوا في أنه لن يسمع دعوة داع ولا ضراعة ضارع . ولكن هاهم يقفون فوق كل ضريح من أولئك الاستشفاع الضرائع وبينهم وبين الراقدين فيه ماهو معلوم من الأبعاد والحجب والمسافات بالأموات والحوائل والموانع ، فيناجونه خفي النجوى ، ويشكون إليه بألسنتهم وقلوبهم يلزمه علمهم ونفوسهم أيضاً ، كما يفعلون ذلك وهم في المكان القصي منه ، ويرون أنه سامع فاهم شيء ، ولهذا أيضاً يقدمون إليه المرائض والشكايات المكتوبة بمختلف العبارات واللغات والحاجات ، التي لو كان حيا سويا لما فهم الكثير منها ، ولما طاف بمعناها ومرماها : هذا كله يفعلونه ، وهذا كله يدل على أن القوم ينحلون الأموات من كمال السماع والاحاطة بالغيوب ، ومن كمال القدرة والسلطان ما لم يكن وما لم يجعله الله لأحد سواه وحده لا شريك له . بل هذا كله يدل على أنهم يرونهم طالين بكل غائبة ، محيطين بكل سر ، عارفين بكل لسان ، سامعين كل صوت ، موجودين في كل مكان . وقد جهر كثيرون من هؤلاء الضلال الخيرون بهذه

النتيجة بلا جمجمة ولا جملجة ، فزعموا أن الولي والنبى موجودان فى كل مكان مع كل داع لهما ، هاتف بهما ، لا يفتيان ولا يبعدان ، وقد إستدلوا ، فى ضمن دلائلهم ، بقول الشاعر الكاذب الجاهل :

كالبدن من حيث التفت رأيت * يهذى إلى عينيك نورا فأقبا

كالشمس فى كبد السماء وضوءها * يفتشى البلاد مشارقا ومغاربا

واحتجوا أيضا ، وقد كذبوا ، بوجود ملك الموت فى كل مكان واتساعه ملائكة واتساع سلطانه بقدر اتساع الأرواح المقبوضة وانتشارها . وقد كذبوا وأخطوا لا ملك واحد لأن قابض الأرواح ملائكة لملك واحد كما صرح به القرآن فى غير آية كقوله تعالى : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فىم كنتم ؟ » وقال : « توفته رسلنا » وقال : « والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » والآيات كثيرة . أما قوله تعالى : « قل ينظاكم ملك الموت الذى وكل بكم » فهم يكتولونه : « وإن تبتوا نعمة الله لا تحصوها » وأمثالها : كلاهما يراد به العدد لا الافراد ، لسر معروف فى لغة الضاد .

وأعظم دليل على أن القوم يعتقدون فى الأموات هذه العقيدة أنهم يلجئون بأسانهم أين كانوا ، فى أرض البحار وموتون الفقار ، ويفزعون إلى شفاعتهم ودعوتهم كلما رغبوا أو رهبوا ، لا يفكرون فى بعد الديار ، وتقطع الأسباب ، وفقدان الآلات . وهذا لا شك فيه

وإذا كان المستشفعون بالأموات ينحلونهم هذه الصفات التى لا يمكن أن تعدو رب العالمين ، أو إذا كان الاستشفاع بهم يلزمه نحلهم إياها أو نحلهم بعضها فلا ريب فى بطلان هذا الاستشفاع وفساد عقائد القائلين به . فانه لا شك فى بصادمة هذا لأصول الاسلام وأصول الأديان السماوية كلها . فان من زعم أن مخلوقا يعلم الغيوب فقد اغترف من منهل الضلال شر اغتراف ، وقاسم الخى شر

مقامه . وأديان الله كلها قائمة على أفراد الله وحده بصفات الكمال ، فلا يقدر على كل شيء إلا هو ، ولا يدين كل شيء إلا له تعالى ، ولا يعلم الغيب سواه . وكل دين لله قائم على أمرين : على أن الله ليس كمثل شيء ، وعلى أن الكمال المحض له وحده لا يشاركه فيه مشارك . فمن نازع في هذين الأمرين ، أو في أحدهما ، فقد خذل ضللاً بعمدا وخالف كل دين لله يرضاه . ولهذا يطلب القرآن ، وتطلب السنة ، في نفي علم الغيب عن المخلوقين ، بل عن أفضل المخلوقين ، ويبالغ الرسول عليه الصلاة والسلام في نفي ذلك عن نفسه مبالغة شديدة واضحة ، ويجهربها في كل موطن من موطن البلاغ والدعوة والانذار والبيان ، ويقرر ذلك تقريراً لا يخفى أن الغرض منه المحافظة على سلامة الاعتقاد وحفظ الإيمان . بل كان ينفي عن نفسه الشريفة كل ما يحوم حول هذا ، وما يمكن أن يمت إليه بصلة من الصلات قرينة أو بعيدة . فكان دائماً يقرر أنه بشر مثل سائر البشر إلا أن الله اختصه برسائله وموضع نذارته ودعوته ، فجعله مكاناً لهدايته ، فكان يقول دائماً : « إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون » ويقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم . إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » . ولما وفد عليه بعض أحياء العرب وقالوا له : أنت سيدنا وابن سيدنا ، أنكر هذا القيل عليهم وقال « قولوا ببعض قولكم ، ولا ينوينكم الشيطان . فبأحب أن ترفعوني فوق منزلي التي وضعتني الله بها » وقد غنت إحدى الجوارى في حضرته عليه الصلاة والسلام وقالت في غنائها : « وفينا نبي يعلم ما في غد » فأنكر هذا الغناء . وقد أنكر أيضاً على من سألوه عن قيام الساعة وميقانها كما ذكر القرآن . وأنكر قيل من قال : ما شاء الله وشئت . وأنكر ماهودون ذلك بما عمت إلى الغلو والمبالغة في التقديس . وقد علم بالضرورة من دين الاسلام أنه لا الرسول ولا غيره من الرسل والصالحين والملائكة المقربين ، ولا الجن كانوا يعلمون الغيب ، أو يعلمون

لا يعلم الغيب إلا الله

شيئاً منه إلا باعلام الله ووحيه، كما قال تعالى : « ولا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً » . وما يعلم الرسل والأنبياء من الغيب ما يعلمون إلا باظهار الله ووحيه وبلاغه ، لاشيء غير ذلك . وقد كان رسول الله يسأل المسائل فينتظر الجواب من جبريل عليهما الصلاة والسلام . وكان أحياناً يفعل الفعل الذي لم ينزل عليه فيه وحى من الله اجتهداً وطلباً لحكم الله ورضاه ، فينزل الله عتابه له وتقبيبه إلى ماخفى على طاقته البشرية من حكمه تعالى وشرعه أمثال قوله تعالى ، « عفا الله عنك ، لم أذنب لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » ، وقوله : « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » وقوله : « وما كنت لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض » . بل لقد نفى الله عنه عليه السلام علمه بحقيقة من كانوا يساكنونه في المدينة المنورة ویرام صباح مساء فقال : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم » وقال : « أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأريناكم فلمرقمهم بسيماهم ولنعرفنهم في لحن القول ، والله يعلم أعمالكم » وقال : « عفا الله عنك » الآية - إلى أشياء أخر معلومة . ومن تحصيل الحاصل كما يقولون ، محاولة إقامة الدلائل على أن الرسول وغيره من المخلوقين ما كانوا يعلمون الغيب ولا كان يمكن أن يعلموه .

﴿ أحد العلماء يؤلف كتاباً يدعو فيه إلى عبادة شخصه ﴾

عالم يدعو إلى عبادة ذاته وبهذه المناسبة نذكر أمراً مؤسفاً مؤلماً ، ذلك أن أحد العلماء المشهورين لدى الجمهور بالصلاح واستقامة المذهب ، وطيب السيرة والسريرة ، وبالدعوة إلى السنة والعمل بها ، قد وضع كتاباً أسماه « العهد الوثيق » ، فيما يجب على سالك أحسن طريق ، ضمنه أشياء مشككة منافية لحقائق الاسلام وأصول أديان الله كلها ، بل ضمنه دعوة صريحة جاهرة إلى عبادة شخصه وعبادة أشخاص المشايخ

مثله . وقد زعم في هذا الكتاب أنه هو وغيره من أشياخ الطريق يعلمون الغيوب
ويطوفون بما يطوف في زوايا الرؤوس والنفوس من الخطرات والخلجات
والغدرات . . . فقد جاء في الكتاب مالفظة : « وكان يقول (يعنى الشبلى) من
علامة صدق المريد اعتقاده أن شيخه جاسوس قلبه ، يدخل في قلبه يعلم ما عنده
ويخرج من حيث لا يحتسب . . . » هذا نص لفظه . وقد قال في خطبة الكتاب :
« . . . أما بعد فيقول محمود بن محمد بن أحمد خطاب السبكي : هذه كلمات دالة
على بعض سنن سيد الكائنات سميتها « العهد الوثيق » لمن أراد سلوك أحسن
طريق » فن عمل بها فهو من إخواننا ، ومن أعرض عنها فلا علفة له بنا . . »
فكل ما في هذا الكتاب عند مؤلفه التقي الورع الشيخ فلان هو من سنة النبي
عليه الصلاة والسلام ومن دين الاسلام ، ولهذا فان من عمل به فقد سلك أحسن
طريق ، ولا أحسن طريقا من دين الله الاسلام . فما في الكتاب ليس سوى
الاسلام الحق لدى مؤلفه عفا الله عنه . ولهذا فان من عمل بما فيه فهو من هؤلاء
الجماعة الذين يزعمون لأنفسهم أنهم هم المسلمون وحدهم دون المسلمين ، ومن لم
يعمل به فهو منهم برئ ، وهم كذلك منه براء . فكل ما في الكتاب صواب حق
لا يمس الخطأ ، ولا يقر به الضلال ، ولا يحوم حوله الغند . في ما زعم المؤلف - صفح
الله عنه : كله من دين الاسلام ومن السنة المحمدية النقية

الشيخ
جاسوس
قلب مريده

والقول بأن الشيخ جاسوس قلب المريد ، أو جاسوس قلب غيره ، يدخل
فيه ويعلم ما هناك ، ثم يخرج منه من حيث لا يدري ولا يحتسب ، قول لا يمكن
أن يوجد له وجه في دين الله ، وقول لا استطاع أن يوفق بينه وبين أصل الاصول
الاسلامية القائل : . . . بأن الذي يعلم ما في القلوب والنفوس والرؤوس ، ويعلم خائنة
الاعين وما تخفى الصدور ، ويعلم غيب الضمائر ، هو الله وحده لا شريك له ولا
مثيل . . . بل هذا القيل معدود عندنا من أقبح البدع الاعتقادية النكراء .

وإذا علم أن الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ما كان يعلم ما كانت تشتمل عليه قلوب أهل المدينة ونفوسهم من المؤمنين والمنافقين ، ولا كان يعلم ما كان يطوف برؤوسهم وقلوبهم من الخطرات والاعتقادات والطمعيات ، علم حقا نكارة هذا القيل وبطلانه وعدوانه . وقد قدمنا الآيات الناصة على أن الرسول ما كان يعلم ما في نفوس أهل بلده ولا ما كانوا يعتقدون فيه وفي الله وفي الاسلام ، مثل قوله تعالى « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم » وقوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » وقوله : « أم حسب الذين في قلوبهم مرض » الآية ، وقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوا لله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم » - إلى غير ذلك الآية الواضحة . وهذا لاختلاف فيه بين أهل الاسلام ، ولا خلاف بينهم في أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم ما في صدور أصحابه ، ولا ما كانوا يكتنونه من الهموم والهمم والخطرات والمسائل وغير ذلك ، وأنه لم يكن جاسوس قلوبهم ولا قلب أحد منهم . وهذا كله معلوم بالضرورة والاجماع ، والدلائل عليه من الكتاب والسنة لا تمكن الاحاطة بها في هذا الفصل . وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يعلمون ما كانت تنطوى عليه قلوب أقوامهم ونفوسهم ، بل ولا ما كانت تنطوى عليه قلوب أقرب الناس إليهم وألصقهم بهم من الأزواج والأبناء والآباء والأقارب . وقد أنبأنا القرآن الكريم بأن بعض الأنبياء كانت أزواجهم تخننهم وتسمى في أذاهم وكيدهم وهم لا يعلمون ، لأنهم ما كانوا يعلمون ما في القلوب والنفوس ، ولأنهم لم يكونوا جواسيس القلوب يدخلون فيها ويخرجون منها ، ويعلمون كل شيء فيها من الخداع والمكر والضلال والاختيان . قال تعالى : « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم

مخالفة ذلك
لقواطع
الاسلام

يفنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .
وكذلك لم يكن أحد من صحابة رسول الله - وهم خير الأمة وأتقائها نفوساً
وأفحبها قلوباً وعقولا - جاسوساً لقلوب المسلمين أو غير المسلمين من المشركين
والكافرين . فما كان أحد منهم ، كأبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب ، يعلم
ملكاً كان يمر برؤوس خلاصة المؤمنين ونقاية المسلمين ، من المقر بين إليه ، المتصلين
به ، ولا كان يعلم ما كان يجول في أنفسهم من الآراء والمبادئ والخطرات ، بل كانوا
لجهلهم ذلك كله يتساءلون فيما بينهم ، فيسأل بعضهم بعضاً عما لا يفهمه ، وعما
يريد أن يعلمه ، وعن الروايات والأحاديث ، وعن غير ذلك من المسائل والشؤون .
وإذا كان أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى لا يعلمون مافي نفوس أصحابهم ولا
مافي صدور المسلمين . كان من أفضح المنكرات القول بأن الشيخ خطباً وغيره
من مشايخ الطريق يعلمون مافي صدور مريديهم وأتباعهم ، والقول بأنهم
يدخلون في قلوبهم ويخرجون منها من حيث لا يشعرون . . . ولا ريب أنهم
إذا استطاعوا أن يدخلوا قلوب أصحابهم وأن يعلموا مافيها استطاعوا أن يدخلوا
قلوب غير أصحابهم من المسلمين وغير المسلمين وأن يخرجوا منها من حيث لا
يدري ولا يشعر . وإذا استطاعوا أن يدخلوا قلوب جميع البشر ويعلموا كل
شيء فيها ، استطاعوا أن يدخلوا قلوب غير البشر من الملائكة والجان وأن
يدخلوا في نفوس البهائم وأحشائها وحواياها وزواياها . وإذا استطاعوا هذا
كله استطاعوا أن يدخلوا كل شيء ، ومعنى هذا علمهم بكل شيء في الأرض أو
في السماء لأنه لا فرق بين مافي قلب الانسان وما في قلب الملك أو الشيطان أو
مافي نفس البهيمة . . . كما لا فرق بين مافي القلوب والنفوس وبين مافي أعلى
السموات أو أقصى الأرضين أو مافي اللوح المحفوظ . . . فن يستطيع أن يعلم
ذلك يستطيع أن يعلم مافي السموات وما في الأرض وما في اللوح المحفوظ . إذ

لا فرق بين غيب وغيب بالنسبة إلى المخلوق وعجزه عن الاطلاع عليه والعلم به ...
فهذا القول الذي ذكره يقضى بأن يكون الشيخ عالماً بكل شيء في الأرض أو
في السماء . ونعوذ بالله من هذا القول ومن لوازمه .

على أن الذي لا يستطيع فهمه ولا الإيمان به القول بأن الشيخ يدخل في
القلوب ويخرج منها ، وهذا غير القول بأنه يعلم ما فيها ، فإنه يمكن أن يقال : إنه
يعلم ما فيها ، ولكنه مع ذلك لا يدخلها ولا يستطيع دخولها . وهذا أقرب إلى
العقل والعلم من الزعم بأنه يدخلها ويخرج منها ، فإن هذا لا يمكن أن يؤمن به
إنسان يحترم عقله ويستعمله فيما خلق له . وأى إنسان يرضى لعقله ولدينه ولنفسه بأن
يصدق بأن ذاك الشيخ يستطيع أن يدخل بأثوابه وجسمه وهيكله كله في قلب
مريده النحيل الضعيف الأفزم ؟ اللهم احفظ لنا قلوبنا ونفوسنا من دخول هذا
الجانوس الضار المؤذى .

وفي هذا الكتاب الذي هو « المهد الوثيق » شتاعات أخرى لا تقل عما
ذكرناه قبلاً ومصادرة لدين الله وخروجاً عليه ، ففي صفحة ١٧ يقول : « وأما
آدابك مع شيخك فكثيرة ، منها تعظيمه ظاهراً وباطناً وهذا من أهم الواجبات
عليك . وتباعد من الكمال بقدر تعظيمك له . ومن تعظيمه ألا نجاس على فراشه
الخاص ونحو ذلك . . . » فعند هذا الشيخ التقى الورع أن من أهم الواجبات
على أتباعه وأنصاره - وهم خلاصة المسلمين فيما يزعمون - تعظيم الشيخ في الظاهر
والباطن ، ينفى في أنفسهم وفي أعمالهم ، وعنده أن من أوجب الواجبات عليهم
هذا التعظيم ، وأن هذا التعظيم هو مقياس الكمال والإيمان والفضل والتقوى . وهذا
كله باطل مخالف لأصول الدين وفروعه ، مصادر لاجماع المسلمين في جميع العصور
فإن المسلم يبلغ من الكمال والإيمان بقدر صلاحه وتقواه وطاعته لربه وأتباعه
لنبيه ، لا بقدر تعظيمه لإنسان معين . والاسلام لم يطالب أهله بأن يعظموا إنساناً

شتاعات
الكتاب

الآداب مع
الشيخ

معيناً ، بل الاسلام بجملته نهى عن تعظيم المخلوق والالتفات إليه . ولا يوجد في كتاب الله حرف واحد يقول : عظموا فلانا أو فلانا وبالغوا في تعظيمه ، لأن كالكلم لا يكون إلا بقدر تعظيمكم له ، بل قد يكون تعظيم المشايخ والرؤساء حراماً ممنوعاً . وإنما باطلاً موقفاً في الشرك والضلال وعبادة غير الله . ولم يقل مسلم واحد بصير بالاسلام قبل هذا القائل : إن المبالغة في تعظيم المشايخ مشروعة مطلوبة إطلاقاً . بل تعظيم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس جائزاً مشروعاً إطلاقاً ، بل من تعظيمهم ما هو شرك بالله ممنوع ، وذلك مثل السجود والركوع لهم ، بل لقد كان رسول الله ، كما قدمنا ، يكره القيام له ويقول لمن قاموا وراءه : « لا تفعلوا فعمل فارس والروم » وقد قدمنا أنه عليه السلام أنكر قيل من قالوا له : أنت سيدنا وابن سيدنا . وحذر القائلين مغبات الغلو الحرام . وكان يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم . إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » . وأنكر على من استغاثوا به ، وعلى من قال له : ماشاء الله وشئت ، وكان كثيراً ما يقول : « إنما أنا بشر مثلكم » وأنكر على من سجد له تعظيماً ، وأنكر غير ذلك من أنواع التعظيم . فكيف يزعم بعد هذا أن تعظيم المشايخ في الظاهر والباطن من أهم الواجبات على المسلم ، وأنه يبلغ من الكمال بقدر مبلغ تعظيمه شيخه ؟ ولو أن مسلماً اتقى الله فقام بواجباته وفروضه وترك منهيته ولم يعظم هذا الشيخ نوعاً من أنواع التعظيم ولا غيره من هؤلاء الأسياف ، بل ولم يمر والله ببال وفكرة لكان ذلك المسلم من الأتقياء الناجين ، ومن الكاملين ذلك الكمال النسبي البشري ، ولما طعن جهله هذا الشيخ وجهله إخوانه أو إنكاره لهم في دينه ولا في إسلامه وإيمانه . ولو أن إنساناً منح هذا الشيخ أبلغ التعظيم وأنكره وأشده ولكنه ترك الواجبات ، وأقدم على المحرمات لكان من الهالكين الفاسقين ، ولما نفعه ذلك الشيخ ولا تعظيمه شيئاً ، ولما عبأ الله به ولا بشيخه ولا تعظيمه

بل لسان كجلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله...

فمقاس التقوى والكمال هو طاعة الله واتباع رسوله ، لا تعظيم فلان أو فلانة .. ولهذا يقول الله في كتابه : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » ولم يقل تعظموا فلانا أو فلانا . وقد علق الله سعادة البشر كافة بالإيمان والأعمال الصالحة في جملة القرآن . ودين الله قائم على هذا المعنى ، أمثال قوله تعالى : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وقوله : « ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » والقرآن كله قائم على هذا الأساس المتين . فن أعظم البدع المنكرة في دين الله الزعم أن تعظيم الشيخ هو مقاس الكمال والسعادة ، والزعم أن ذلك من أهم الواجبات على المسلم .

وأما تحريم الجلوس على فراش الشيخ ونحوه فتحريم لما لم يحرمه الله ، وشرع لم يأذن به الله وغلو موبق .

ثم قال هذا الشيخ في هذا الكتاب « ... ومنها ألا تكتم عنه شيئا مما خطر لك من محمود ومذموم ... »

الاعتراف
للشيخ

وهذا تقرير لهقيقة الاعتراف النصرانية التي توجب الاعتراف على المذنبين بين أيدي القسس ورجال الدين . ولكن الاسلام يرى من هذه العقيدة ، زاجر عنها كل الزجر ، محذر منها أبلغ التحذير . والاسلام لا يجوز لمن عارف بمعصية أو فكر في ركوب فاحشة من الفواحش ، كالزنا أو ما هو أقبح منه ، أن يخبر بذلك أحدا ، لا الشيخ ولا من هو فوق الشيخ . وهل يرى هذا القائل المؤلف أنه واجب أو مطلوب دون الواجب من المريد أن يخبره لو فكر في إساءة منكرة إليه أو هم بهم عظيم يؤذيه ويؤلمه ؟ اللهم إن هذا القول من شر الإقاول المنكرة

المخالفة لجميع الأديان السماوية

ثم يقول الشيخ: « ومنها أن تسلم لأواصره ظاهراً وباطناً . ولو اعترضت عليه ولو التسليم للشيخ ظاهراً وباطناً بقلبك لا تفلح !! قال الأشياخ: ما عدم المريد الفلاح إلا من عدم امتثال شيخه ! » وهذا أيضاً باطل لأن التسليم ظاهراً وباطناً لا يكون إلا لله وللمبلغين عنه من الأنبياء والمرسلين المعصومين من الهوى والضلال والفند . ومن سلم لأوامر شيخ من المشايخ ظاهراً وباطناً فقد نأى عن دين الله ، وخرج عليه وعلى قواطعه نهارا .

وهذا القول أيضاً باطل لأن الذي لا يفتح هو الذي يعترض على الله وعلى رسله وأنبيائه . أما الأشياخ فلا بأس في الاعتراض عليهم ، بل ذلك يجب أحياناً كثيرة . وقد كان المسلمون يعترضون على الصديق والفاروق وعثمان وعلى بن أبي طالب ، وكانوا جدمفلحين راشدين . بل كان هذا الاعتراض من معاني فلاحهم ورشادهم وهدايم . وقد قال حبر الأمة عبد الله بن عباس لقوم نازحوه ونازعهم : توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ! أقول قال رسول الله وتقولون : قال أبو بكر وعمر ؟ وهذا الشيخ نفسه يعترض ظاهراً وباطناً بقلبه ولسانه على كبار أئمة الاسلام وأركان الملة الاسلامية ، وقد يكفر طوائف منهم ، كما فعل في كتاب «إنحاف السكائنات» وهو يرى لنفسه أنه قطب الفلاح والصالح وأتباعه يعترضون بأقوالهم وقلوبهم وحالهم على شيوخ الاسلام بل ويسبونهم وهم يزعمون أنهم هم المسلمون حسب . وماذا يقول هذا الشيخ وخليفته وأتباعه في شيخ من شيوخ الحديث الأفاضل ، ومن رجال السنة البارزين ، ألف كتاباً ضمنه اعتراضات وانتقادات لأحد أئمة العقه ، مثل الإمام الاكبر أبي حنيفة رضى الله عنه وأرضاه ، لأنه صح لدى ذلك المحدث المعترض أن أبا حنيفة خالف السنة وخالف مذهبه الأحاديث الصحيح ؟ أيقول إن هذا المحدث المعترض لا

يفلح أبداً لا اعتراضه على إمام من أئمة الاسلام ؟ بل ماذا يقول في من اعترض على بعض أصحاب النبي عليه السلام في بعض الآراء والاجتهادات : أيقول : إن هذا المعارض لا يفلح أبداً ؟ أم يرى أن الذي لا يفلح هو المعارض عليه فقط ؟ بل ماذا يقول في المسلمين جميعاً فانهم لا يرتضون منه هذا الكتاب الذي هو كتاب « العهد الوثيق » ويمدونه من سقط التأليف ، ويوسعونه اعتراضاً وتفنيداً لأجله ، أرى أنهم لا يفلحون لأنهم اعترضوا عليه وعلى كتابه ؟ وهذا باطل أيضاً لأن المريد يعدم الفلاح إذا لم يمثل أوامر الله وأوامر رسوله ، لا أوامر شيخه ، بل لابد أن يعدم الفلاح إذا امتثل هذه الأوامر الجائرة الصادرة إليه من الشيخ .

ثم يقول : « ومنها ألا تجلس بحضرته إلا كجلوسك للصلاة إلّا لضرورة » وهذا أمر صريح بعبادة الشيخ ، لأن الجلوس للصلاة جزء من الصلاة ، ولا يجوز صرف جزء الصلاة لغير الله كما لا يجوز صرفها كلها لغيره ، ولا يجوز أن يتوجه إلى مخلوق بجزء من العبادة كما لا يجوز التوجه بها كلها إليه . ومن التناقض الغريب أن هذا الشيخ يقول هذا القول في حين أنه يحرم القيام للقادم سواء أكان القادم هو الشيخ أم كان غيره . وهذا لأن الشيخ يريد أن يشتهر بالخلاف وبالاُمْتِياز على الآخرين لسياسة متبعة . ومثل هذا محافظتهم على العذبة دون غيرها من ملبوس الرسول وعاداته المحفوظة المعروفة ، لأن في العذبة امتيازاً واشتهاراً قد لا يتحقق في غيرها . والعذبة ، بل والهمة ، لا تخرج عن أن تكون عادة من عادات العرب التي أقراها الرسول وجعلها من عادات المسلمين لا من ديبلياتهم . ومن الدليل على أن محافظتهم على العذبة لم تكن إلّا لحب تمييزهم عن غيرهم ، لأغراض قد لا تكون صحيحة ، أن أصبح حديث جاء في العذبة هو الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح وهو أن النبي عليه السلام خطب يوم فتح مكة لا بساً

الجلوس بين
يدي الشيخ
كالجلوس
للصلاة

عمامة سوداء قد سدل طرفيها بين كتفيه . هذا هو أصح حديث في لبس العمامة وسدل العذبة . والذي فيه ، كما ترى ، أنه عليه السلام قد لبس عمامة سوداء لا بيضاء ، وسدل طرفيها لا طرفها . فكان الواجب على هؤلاء إذا كانوا من أهل السنة حقاً أن يلبسوا عمامة سوداء ، ولو بعض الأحيان ، وأن يسدلوا طرفيها لا طرفها إذا كانوا يريدون الاقتداء بالرسول حقاً ، ويريدون المحافظة على عاداته . ولكنهم قد حافظوا على العمامة البيض دون السود ، وعلى إرخاء الطرف الواحد دون الطرفين . فكانوا بهذا الفعل الذي زعموه محافظة على زى الرسول مخالفين لزيه ولما حفظ عنه فيه . وقد حفظ عنه أيضاً أنه لبس الإزار ولم يحفظ أنه لبس السراويل ، وهؤلاء يحافظون على لبس السراويل دون الإزار . . . والقول في هذا الباب يطول ، ونحن نشير بإشارات عجيلى .

ثم قال : « ومنها ألا تطيع في شيخك قول قائل ، ولا تصاحب له عدواً ، ولا تعادى له صديقاً ، ولا تجالس من ليس محباً له . ومن أدل دليل على عدم صدق المريد في حبه شيخه أن يكره أحداً من أصحابه أو يلتقصه . وإن أمره شيخه أن يجانب أحداً من أصدقائه أو غيرهم وجب عليه اجتنابهم » .

وهذا أيضاً قول لا يعرفه الاسلام ولا الحق ، لأن الشيخ ليس معصوماً ، ولأن أصحابه ليسوا معصومين حتى لا تصح كراهتهم ، بل قد يكون في أصحاب الشيخ وفي بطائنه الخاصة من يستحقون المقت والطرده ، كما قد يأمر الشيخ بمجانبة من يجب الاتصال به والاقتراب إليه ، لأن الشيخ ليس محرماً على الهوى والغرض والضلالة . وقد يخاصم الشيخ أبا المريد أو ابنه أو أخاه أو غيرهم من ذوى قرباه لأجل غرض دنيوى ، أو حاجة نفسية باطلة ، فيأمر مريده باجتنابه وهجره بغيا وعدواناً ، لأنه ليس محرماً ، كما قلنا على الهوى . فهل يجب على المريد ، يا أيها الناس ، حينئذ أن يهجر أباه وأخاه احتراماً لهوى الشيخ ، وطاعة لشهوته الظالمة ، أو

لا يسمع في
الشيخ قول

خطئه الاسم ، وقد يأمر الشيخ أيضا باجتنب مسلم تقي فاضل ، لأحد الأسباب المذكورة أو غيرها من الأسباب الباطلة ، وقد يكرهه ويشنؤه ، فهل يجب حينئذ على جميع مريديه مصارمة ذلك المسلم الصالح الفاضل والورع التقي ؟ وقد يكون هنالك عالم نبيل لا يجب الشيخ لأنه رأى منه أشياء لا تجدر بمثله ، ولا بمنصب مثل منصبه . فهل تجب معاداة ذلك العالم الصالح النبيل وهو قد يكون على حق واضح اذكره الشيخ ، وأقل أحواله أن يكون مخطئا خطأ يعذر فيه ؟ هذا كله لا يعرفه الاسلام ولا غيره من أديان الله لأن فيه تقديسا لشخص معين ، ولأن فيه رفعا له عن أفق البشرية المعرض للخطأ والهوى والضلال وللقبح والمسخ . ثم كيف يجب على المريد ألا يقبل في شيخه قول قائل ؟ أو لا يمكن أن يكون قول ذلك القائل حقا وصدقا ؟ إن قالوا إنه لا يمكن أن يكون حقا ، فقد ذهبوا إلى أن شيخهم معصوم لا يمكن أن يمر بساحته الخطأ والزلل ، وإن قالوا إنه يمكن الشيخ ليس أن يكون قول ذلك القائل حقا وصوابا ، ومع هذا يجب رد حقه وصوابه احتراما أكبر من الحق للشيخ ، فقد زعموا أن الشيخ أكرم وأكبر من الحق ، وأنه يجب رد الحق والصدق والدين ، دين الله الذي لم يعرفه الشيخ أو لم يرضه ويقل به . ولا خلاص لهم من افتراض أحد الأمرين ، وهما أمران أحلاهما ممر ، وكلاهما لا يعرفه الاسلام ولا المسلمون .

إن هذه السراقات من أفانين التبجيل التي يضربونها على الشيخ لم يضرب شيء منها على أفضل الخلق بعد الأنبياء : فما زعم هذا المسلمون لأصحاب نبيهم ولا لأتباعهم الذين نقلوا عنهم الدين ، ولا زعموه للأئمة الذين فصلوا فقه الاسلام وحفظوا نصوصه من الضياع والالتباس بالمكذوب والباطل : فما زعموا أن ما قيل هذا أبا بكر الصديق أو عمر أو عثمان أو عليا أو أبا حنيفة أو مالكا أو الشافعي أو ابن لا تصحبه النبي حنبل : ما زعموا أنه لا يصح أن يقبل في هؤلاء قول قائل ، ولو زعم هذا أحد.

للاموه وأخذوه وخطأوه بل لقد كانت النساء ، وكان صغار المسلمين ، يجرؤون على تخطئة كبار الصحابة وكبار الخلفاء الراشدين ، وكان هؤلاء يقبلون ذلك ويطيعون به أنفسهم ويقرون به أعيناً . وكان المسلمون أيضاً يقبلونه وينعمون به . والله يقول في كتابه للناس جميعاً للأشياخ ومن دونهم من المريدين والمرادين : « فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » ، ويقول : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » ويقول في أمثال هؤلاء الذين لا يقبلون في أشياخهم قول قائل : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ؟ » .

إن هذه الأقاويل في هذا الكتاب ، موضوعة بدهاء كريه مر ، وسياسة منظمة الهداه في هذه بارعة ، ولكنها ضالة ظالمة . فهذه الأقاويل تريد أن يحاط الشيخ بأسلاك التبجيل والتقديس ، وتريد ألا يكون في أنفس أتباعه وأنصاره غير ذينك التقديس والتبجيل . ولأجل الحصول على ذلك حرمت على الأتباع والأنصار الانصال والاقتراب إلى من لا يحبون الشيخ ، ومن لا ينعمون بتبجيله ، ومن قد يدلون على خطئه ومكان انحرافه ، وأوجبت عليهم معاداة الأهل والأصدقاء والناس جميعاً ، وهجرانهم واجتنابهم ، خشية أن يقولوا قولة حكمة وصواب فتلع في ضلالتهم وتتند ، فتحرق شيئاً من جلال الشيخ في نفوسهم ، ومن قدره في صدورهم ، لأن الغاية كلها هي المحافظة على قداسة الشيخ وكأنته والرباط في سبيل هذه المحافظة . ولغمان هذه الغاية حرم على الأتباع والمريدين الاعتراض عليه ظاهراً أو باطناً وحرم عليهم الاقتراب إلى من لا يقدسونه ، وحرم عليهم أن يسموا فيه قيل قائل ، وحرم عليهم سؤاله بالحاج ، إذ قد لا يكون عليهما بما سئل عنه فيفتضح وينكشف الغطاء ، وحرم عليهم النظر إليه بعناية ، وحرم المبيت عنده

الغاية

والاتصال به كثيراً ، لأن البيت عنده والاتصال به يعينان على معرفة حقيقته المرة ونقصه المحتوم . وحقيقته هي بلا شك تدفع الغلو فيه وتأباه . وحرّم عليهم الجرص على معرفة مقدار نومه وأكله وشربه وضوئه وإتيانه النساء ، وحرّم عليهم الزوج بامراته التي طلقها أو مات عنها ، لأن ذلك كله يعين على كشف مخبّآته ، وإذا انكشف الخبأ فعلى الشيخ المفاء . وحرّم عليهم معارضته والاحتجاج عليه بأقوال النساء ، وحرّم عليهم أن يقولوا لشيء فعله أو لشيء قاله : « لم » وأوجب عليهم أن يمتدّوا أن المبت لا يمر به مطلقاً ، فلا يقول قولاً عبثاً ولا يفعل فعلاً عبثاً لأن مقامه يحل عن ذلك ، وأوجب عليهم أيضاً أن يمتدّوا أن معصيته ورثاه أفضل من طاعة المريد وإخلاصه ، وحرّم عليهم وأوجب غير ذلك مما يرى كله إلى أن يكون الشيخ في منجى من النقد والذم والاعتراض ظاهراً ولا باطناً ، وأن يكون كالإيمان : يبعد عن مواطن الشكوك والريب والكفران ، ويخشى عليه طيف الأذى . وهذا الذى ذكرناه مما حرّم على المريدين وأوجب عليهم مذكور كله فى كتاب « المهد الوثيق » ومذكور فيه غيره .

حفظ الشيخ
من أوصاف
الربوبية

ثم قال : « ومنها ألا تعمل عملاً إلا بأذنه ، وأن تسلم له فى جميع الأمور بأن تكون بين يديه كالملت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ولا يتحرك منه شيء إلا إذا حركه » .

وهذا أيضاً أمر بالاشراك بالربوبية ، وإعطاء للمخلوق الحقير الزرى صفة الخالق تعالى جده . فان الذى لا يتحرك شيء إلا إذا حركه هو الله وحده ، والذى لا يعمل عمل إلا بأذنه هو الله وحده أيضاً . فهذا ليس للرسول ولا لأحد من الرسل فانه ليس واجبا على المسلم ألا يعمل عملاً من الأعمال الدنيوية والعادية إلا بأذن رسوله عليه الصلاة والسلام ، فليس بواجب عليه ألا يشرب وألا يقوم وألا يتعد وألا يتحرك وألا يأكل وألا يسافر إلا إذا أذن له النبي . كلا ليس هذا واجبا على

مسلم . ومن زعم أن هذا واجب في دين الاسلام فقد أعظم على الله الفرية ، بل لقد كان رسول الله يقول للمسلمين : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وكان يشاورهم في الشؤون الدنيوية ويقول الله له « وشاورهم في الأمر » فكيف بعد هذا يجب على المسلم ألا يعمل عملاً إلا باذن شيخ من الأشراف : فلا يصلي ولا يصوم ولا يطيع الله ولا يسافر ولا يأكل ولا يشرب ولا ينسأ إلا إذا أذن له ؟ اللهم إنا نعوذ بك من العمى ومن العماية ، ومن عقابيل الغواية .

هبوا هذا الشيخ جن ، فخرم على أنصاره ومريديه ذلكم كله ، أفيحرمونه على أنفسهم ؟ اللهم إنا نعوذ بك مرة أخرى من العمى والعماية ، ومن عقابيل الغواية . ثم من يكون هذا الشيخ الذي يجب أن يقع المسلم بين يديه كوقوع الميت بين يدي فاسله ، وألا يتحرك شيء منه إلا إذا حركه ؟ أليس هو إنساناً ضعيفاً عاجزاً يخضع للهوى ، وينقاد لشهوة النفس الأمارة بالسوء ، ويجهل كثيراً من الدين فضلاً عن الدنيا ، ويجهل كثيراً من ضروراتها ؟ ؟ ؟ الإنسان هذا الذي لا يتحرك من مريديه عضو إلا بأذنه وأمره ؟ إن هذا ، ولا ريب ، إله كبير . فالله هو الذي لا يتحرك عباده ولا يقوون ولا يقدعون ولا يستطيعون أن يعملوا عملاً إلا إذا شاء وأذن . هذا على مذهب أهل السنة ، وأما المعتزلة ومن شايعهم من أصناف القدرية فعندهم أن العبد يفعل ويقول ويعمل ويترك ويأتي ما يريد وإن لم يشأ الله ويرد . الشيخ أعظم فهذا الشيخ أعظم إذن من الله عند المعتزلة . اللهم إنا نعوذ بك مرة ثالثة من العمى من إله المعتزلة والعماية ، ومن عقابيل الغواية . أما المخلوق فحقاراً وصغاراً له ولمن وهبه هذا الوصف أرب يبول الثعلبان برأسه ؟ * لقد ذل من بالت عليه الثعالب يا هؤلاء إن الله جلت قدرته يقول لنبيه في غير ما خفاء ولا لبس « ليس لك من الأمر شيء » ويقول « إنك لا تهدي من أحببت » ويقول : « ليس عليك هدام » ويقول « وما أنت عليهم بجبار » ويقول « قل إنما أنا بشر مثلكم »

ويقول « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ويقول « ألا له الخلق والأمر » . هذا بعض ما يقول الله لأكرم الخلق عليه ، وأنتم تزعمون أن الواجب على المسلم ألا يعمل عملا إلا بإذن الشيخ وأمره . أهذا جنون وألا يتحرك منه عضو ولا شيء إلا إذا حركه . أهذا جنون أم ضلال هو شر من الجنون ؟! « يا قوم إني برى مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . . . ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما أفلات تذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تحافون أنسكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأى الفريقين أحق بالآمن إن كنتم تعلمون ؟ » .

ثم قال « قالوا : وليعلم المريد أن كل ذرة من أعمال شيخه لا يقاوم بها عبادته هو طول السنة لسلامتها من الموانع ، فنومه أشرف من عبادة المريد ، وقد أرسل ذوالنون المصري يقول لأبي يزيد البسطامي : إلى متى الغفلة والراحة وقد أسارت القافلة ؟ فأرسل أبو يزيد يقول له : ليس الرجل الذي يسير مع القافلة ، وإنما الرجل من ينام إلى الصباح ويصبح أمامها ، فقال ذوالنون هذه درجة لم تبلغها أحوالنا . وقال في موضع آخر : « قال أبو سعيد من علامات كذب المريد أن يرى قيامه أفضل من نوم شيخه ، ومن علامات صدقه أن يرى رثاء شيخه أفضل من إخلاص نفسه » انتهى . وهذه أقوال أيضا باطلة مخالفة لأصول الدين وفروعه ، فليست كل ذرة من أعمال الشيخ أفضل من عبادة المريد طول السنة . وليست عبادة الشيخ وأعماله سالمة من الموانع ، وليس نومه أفضل من عبادة المريد ، والنائم إلى الصباح لا يمكن أن يكون أمام القافلة السارية كل الليل ورثاء الشيخ لا يمكن أن يكون أفضل من إخلاص المريد . وأى شيخ هذا الذي يرائى ؟ لأن الرثاء

تفادى الشيخ ونومه أفضل من إخلاص غيره ومن عبادته

نفاق ، وأى شيخ هذا الذى ينافق ؟

أما الزعم بأن الذرة من عمل الشيخ تفضل عبادة غيره من المريدين كل الذرة من عمل السنة فن أعظم الكذب على الدين وعلى الله وعلى عبده . فإن الله لا يظلم الشيخ أحداً ، ولا يلبت مخلوقاً من عمله شيئاً ، ولا ينقص عاملاً مما عمل فتية . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، سواء أكان شيخاً أم مريداً . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . سواء أكان ذلك العامل الشيخ أم كان المريد . فإن كل نفس بما كسبت رهينة . وليس بين الله وبين أحد من خلقه نسب ولا قرابة . كما قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين » . فلا يمكن فى عدل الله أن تكون الذرة من أعمال الشيخ ، لأنه شيخ ، أفضل من عبادة المريد كل السنة ، لأنه مريد ، ولا شك أن المريد قد يكون أصلح وأورع وأنقى قلباً ونفساً وأقرب إلى الاخلاص من الشيخ ، وقد يتقن المريد عبادته وصلاته وسائر أعماله أكثر من الشيخ ، كما قد يكون لدى الشيخ من النفاق والهوى والحقد والحسد وحب الدنيا والحرص عليها ما ليس عند المريد . فالمرید بالجملة كثيراً ما يكون أقوم بالواجب وأبنا عن المحرم وعن أمراض النفس والقلب ، وأكثر صباة بالاخلاص والطاعات من شيخه . وهذا كثير مشهود . وليس بممكن مع هذا الفرق العظيم أن تكون الذرة من أعمال الشيخ المسبوق إلى كل خير أفضل من عبادة المريد السابق إلى كل خير طول السنة فى عدل الله وحكمته وشرعته .

أما الزعم بأن أعمال الشيخ سالمة من الموانع فزعم من أعظم الأخطاء أيضاً سلامة أعمال فقد . تجتمع جميع الموانع الظاهرة والباطنة لدى الشيخ ، وقد يعرف المريد اجتماعها لدى شيخه ، وقد لا يعرف لحرصه على إخفائها وإظهارها وكتمانها . فأعظم الموانع النفاق والرثاء ، وقد يكون نصيب الشيخ من هذا الداء أعظم نصيب . ومن

أعظم الموانع أن تكون العبادة على خلاف السنة ، وكثيراً ما تكون عبادة الشيخ لا نسب بينها وبين السنة . ومن أعظم هذه الموانع الخنوع للهوى والانجذاب إلى الدنيا . وهؤلاء في هذين المرضين تاريخ مذكور مشهور ، ولهم مغدى ومراح إلى اقتناصهما من لهوات التقي والورع . فأية موانع للعبادة أعظم من هذه الموانع ؟ وأى قوم أفلتوا من وثاقها ؟ وأى أشياخ هؤلاء الذين سلموا منها ؟ وأى مسلم يستطيع أن يشهد لله بأن شيخه قد سلم ظاهره وباطنه من العصيان والاثم ، ويشهد أن أعماله مقبولة خالصة لوجه الله ؟ وقد نهى الاسلام عن هذه الشهادة فقال « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » وقال « ولا تقف ما ليس لك به علم » وباطن المرء وما تنعوى عليه حشاشته لا يلمه إلا الله . فمن زعم أن ضمير شيخ من الأشيخ قد خاض من الائم والمعصية فقد قفا ما ليس له به علم .

لا يعلم باطن
الانسان غير
الله

وقد مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال النبي عليه السلام : ويحك قطعت عنق صاحبك مراراً . إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة ، فليقل أحسبه كذا وكذا ولا أذكرى على الله أحداً . وروى البخاري أن أم العلاء ، إحدى الانصاريات ، قالت : لما توفى عثمان بن مظعون دخل عليه رسول الله فقلت : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال النبي : « وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ والله إني لأرجو له الخير ، والله وأنا رسول الله لا أدري ما يفعل بي » . قالت : فوالله لا أذكرى أحداً بعده أبداً . وقال عليه السلام « إن كذب الحديث الظن » إلى غير ذلك من الدلائل الكثيرة الدالة على أن الله وحده هو العليم بمحائق عباده وبما طويت عليه نفوسهم وقلوبهم .

لا يستوى
النائم والقائم

وأما الزعم أن نوم الشيخ أفضل من عبادة المريد ومن صلاته في جوف الليل ، فن أعظم الأكاذيب المناقضة لأصول الدين بل للأديان كلها . فإن أديان الله قائمة على أن الحسنه لا يساويها غير الحسنه ، وأن المحسن ليس كغير

عن رَأْيِ الطَّائِفَةِ . كَيْفَ . الطَّاعَةِ ، وَأَنْ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِمِقْدَارٍ وَنِظَامٍ ،
وَأَنْ السَّابِقَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالطَّاعَاتِ لَيْسَ كَالْقَاعِدِ الْمَعْرُضِ عَنْ ذَلِكَ ، الرَّاكِنِ
إِلَى الرَّاحَةِ وَالسَّكَلِ ، وَأَنْ الْمُنْفَقَ لِيْلِهِ نَوْمًا وَرَاحَةً لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَالْمُنْفَقِ لِيْلِهِ
تَسْبِيحًا وَقِيَامًا وَقِرَاءَةً ، وَأَنْ الْمَالِيَّ عَيْنِيهِ رَقَادًا لَا يَكُونُ ، فِي عَدْلِ اللَّهِ وَشَرْعَتِهِ ، مِثْلَ
الْمَالِيَّ عَيْنِيهِ بَكَاءٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَخَوْفًا مِنْ غَضَبِهِ وَمِنْ مَقَامِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا كَالْمَالِيَّ
عَيْنِيهِ افْتِكَارًا فِي مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ وَجَلَائِلِ مَصْنُوعَاتِهِ . وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ الصَّحِيحِ
وَجِبَ عَلَى الْعُقَلَاءِ جَمِيعًا أَنْ يَبَادِرُوا إِلَى الطَّاعَاتِ وَالْخَيْرَاتِ ، وَأَنْ يَهْبُوا أَعْمَارَهُمْ
وَحَيَاتِهِمْ وَمَحَنَتَهُمْ وَرَاحَتَهُمْ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ . وَأَنْ يَجَافُوا جَنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ
وَعَنِ الْحَشَايَا النَّاعِمَةِ إِلَى السَّهْرِ وَالنَّصَبِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَابْتِغَاءِ ثَوَابِهِ . أَمَّا لَوْ
أُمِكنَ أَنْ يَكُونَ النَّوْمُ أَفْضَلَ مِنَ الْقِيَامِ وَمِنَ الصَّلَاةِ ، وَأَنْ تَكُونَ الرَّاحَةُ أَفْضَلَ
مِنَ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ ، أَزْدَلًا فَنَاءً ، إِلَى اللَّهِ لَكَانَ جَاهِلًا ذَاكَ الَّذِي يَقُومُ يَصَلِّي فِي
جَوْفِ اللَّيْلِ وَالْعَيُونِ نَائِمَةً ، وَلَكَانَ حَاطِبًا ضَالًّا ذَاكَ الَّذِي يَدَعُ رَاحَتَهُ وَلَذَّتَهُ إِلَى
تَعَبِ الْعِبَادَةِ وَنَصَبِ الطَّاعَةِ وَالنَّاسِ فِي لَذَاتِهِمْ يَتَفَسَّحُونَ .

لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الزَّعْمُ مِنَ الْمَزَاحِمِ الَّتِي يَنْكُرُهَا الْإِسْلَامُ وَالْمُسْلِمُونَ بِشَدَّةٍ ،
بَلْ نَحْنُ لَا نَشْكُ أَنَّ قِيَامَ الْمُرِيدِ أَحْيَانًا كَثِيرَةٌ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ قِيَامِ الشَّيْخِ ،
وَأَنْ طَاعَتَهُ وَعِبَادَتَهُ تَكُونُ أَحْيَانًا أَوْ مِنْ طَاعَتِ الشَّيْخِ وَعِبَادَاتِهِ لِمَا يَمْتَنَزُ
بِهِ الْمُرِيدُ أَحْيَانًا عَنْ شَيْخِهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَصِدْقِ النِّيَّةِ وَسَلَامَةِ الْقَصْدِ مِنَ
الْأَدْوَاءِ النَّفْسِيَّةِ . وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ عَنْ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ وَأَبِي يَزِيدَ
الْبُسْطَامِيِّ بَاطِلٌ .

وَأَمَّا الزَّعْمُ أَنَّ رِثَاءَ الشَّيْخِ يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ إِخْلَاصِ الْمُرِيدِ
فَزَعْمٌ هُوَ لِإِحْدَى الْكِبَرِ وَإِحْدَى الْأَنَامِ الْمُنْكَرَةُ .

ثُمَّ قَالَ : « وَمِنْهَا أَلَّا تُتَزَوَّجَ امْرَأَةٌ رَأَيْتَهُ مَائِلًا إِلَى التَّزْوِجِ بِهَا ، وَلَا امْرَأَةٌ مُحَرَّمٌ أَزْوَاجُ
طَلَقَهَا أَوْ مَاتَ عَنْهَا » .

الشَّيْخُ

يحاول هذا الشيخ ، دفا الله عنه ، أن يتم الشبه بينه وبين النبي عليه الصلاة والسلام . ولهذا فالتزوج بمطلقته وبأرملته وبالتى مال إلى الزواج بها باطل ممنوع كما منع التزوج بزوجات النبي عليه السلام . وفى ص ١٢ من هذا الكتاب يقول : « قال ابن مسروق من علامة المريد الصادق ألا يرى على وجه تشبيه الشيخ بالرسول الأرض أحداً أحب إليه من شيخه . فان قدم عليه زوجة أو ولداً لم يشم من طريق الحق رائحة وهو كاذب . وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين . وهو للأشياخ بحكم الإِث . فممنه أنه إذا لم يؤمن من قدم أحداً فى حبه على رسول الله فكذلك ليس بمؤمن من قدم أحداً على شيخه فى حبه . وهذا بلا شك قول زور وخطأ باطل يستتاب قائله وناشره وبائعه ومقره وراضيه . ولا يرتاب مسلم يعرف ما الاسلام أنه يجب أحيانا كثيرة على المسلم أن يحب فقيرا زريا عاميا أكثر من حبه هذا الشيخ وغيره من أشياخ الطرق لما قد يمتاز به ذاك الفقير العامى على هؤلاء من التقوى والإخلاص والورع . ولا يشك المسلمون أيضا فى أن من كره شيئا من هؤلاء لسبب من أسباب الكراهة الصحيحة فليس بناقص ذلك من دينه وإيمانه شيئا وليس بضاره قليلا ولا كثيرا . ولو أن الناس جميعا لم يعرفوا هذا الشيخ الذى أوجب عليهم أن يحبوه أعظم من حبهم الناس جميعا لما ضارهم ذلك الجهل به شيئا عند الله . وإنا نقول لهذا الشيخ ، ونحن على يقين مما نقول : إن جميع أنصاره ومريديه يحبون أموالهم وأزواجهم وأولادهم أعظم من حبهم له بلا شك ، فهل يراهم جميعا بعبيدين عن رائحة الحق غير صادقين فى دينهم وشأنهم .

المشايع
مشرعون
نعم يقول هذا ليقم الشبه بينه وبين النبي عليه السلام . وفى ص ١٢ يقول ناقلنا « فإنه ما دامت الأشياخ باقية فان الأمر والنهى باق ، والتحليل والتحرير مخاطب به » . فالأشياخ بهذا يحللون ويحرمون ، ويأمرون وينهون ، كما كان

الأنبياء والمرسلون . ويقول ص ١٤ : إن المعارض على الشيخ لا يفلح أبداً .
ونص الكلمة المذكورة « من قال لأستاذه «لم» لا يفلح أبداً » فلا عراض
على الشيخ موجب الضلال والهلاك كالأعراض على الأنبياء سواء . ويقول في
هذه الصفحة أيضاً: إن التسليم للشيخ واجب في كل شيء حتى في ترك الطاعات،
ويزعم أن الشيخ لو منع مريده من الصلاة والصيام والقرآن وطلبه العلم فأنكر طاعة الشيخ
المريد لهذا المنع، ولو في نفسه، فهو عاص لله ولرسوله . ويقول ص ١٨ كما تقدم : إنه في ترك الطاعة
لا يصح أن يطيع المرید في شيخه قول قائل، وإنه يجب عليه أن يعادى جميع
الناس لأجله إذا أراد ذلك منه . وهذا هو ما يجب على المسلمين إزاء نبيهم . ويزعم
ص ١٩ أن أفعال الأشياخ لا يدخلها العبث والباطل أبداً فهم في هذا كالأنبياء .
وأما هنا فنقول : إن الزواج بطلقة الشيخ وأرملته وبألى مال إليها ممنوع
كالزواج بلساء النبي عليه السلام . وقد ذكر في الطبعة الأولى من هذا الكتاب أن
أحد المريدين في مصر تزوج بامرأة شيخه بعد موته فجاءه الشيخ وهو نائم وطعنه
بجزبة فأرداه قتيلاً . وفي الطبعة الثانية حذف هذه الخرافة بعد أن أحس جسامتها
وفداحتها . وهذا الذي ذكر كله باطل فاسد لدى جميع المسلمين لا يختلفون في
بطلانه ومناقضته لأصول الإسلام وفروعه، ولا يختلفون أن قائله يجب أن يستتاب
وأن يتوب . .

دلى أن الذى حرم على المسلمين من أزواج النبي عليه السلام هي أزواجه تفضيل الشيخ
اسمى مات عنهن لا الألى طلقهن أو مال إلى الزواج بهن فلم يتزوجهن فانهن يحرم على الرسول
على المسلمين . فهو بهذا قد وضع لنفسه من الحقوق والواجبات ما لم يمكن لرسول الله
ﷺ . وأزواج النبي اللاتي مات عنهن حرم على المسلمين بعده لانهن أمهاتهم
كما ذكر القرآن، ولانهن أزواجه عليه السلام في الجنة لا يصلحن لغيره، ولا أغراض
أخرى عايليس لأحد منها شيء . أما أزواج الشيخ فلماذا حرمت على المريدين ؟

وبعد تحريرهم عليهم يحتمل أنه يريد أن يبين حياتهم بلا أزواج ، ويحتمل أنهم محرمات على المريدين فقط دون غيرهم . أما الاحتمال الأول فن أعظم الضلال والسوء . وأما الاحتمال الثاني ففساد باطل لأن الواجب على الشيخ أن يرجع زواجهن بمريديه وأنصاره على زواجهن بالآخرين ، لأن مريديه وأنصاره يقومون بحقوقهن وواجباتهن ويكرهونهن أكثر من الآخرين رعاية لحق شيخهم عليهم ، ولأنهم قد تخرجن على الشيخ وتآدين بأدابه فكن لائمات بمريديه لأنهن طبيبات وهم طبيون والطيبون للطيبات . فالمعقول أن يقدم المريدون على غيرهم لأجل ما ذكرناه . ولكن كل شيء هنا يجري على غير المعقول

دفاع أتباع
الشيخ

وقد خاطبنا بعض أتباع هذا الشيخ في هذه المسألة فوجدناهم مقربين لها راضين بها ، وقد دافعوا عنها بأن المراد الأدب مع الشيخ فقط ، ولكن فاتهم شيء بل أشياء ، إذ يقل لهم : هل يضع الشيخ لنفسه من الآداب ما يحرم به الحلال ويحل به الحرام ؟ وهل من الأدب مع الشيخ أن يحرم ما أحل الله في كتابه ودينه ؟ ؟ إنه يجب أن يكون الأدب مع الشيخ ، والآداب بين الشيخ وأتباعه ، هو اتباع الشرع تحليلاً وتحريماً . والمسلم الحق لا يمكن أن يزعم أن الأدب يكون في تحريم الحلال أو في إحلال الحرام إذا كانوا حقاً مسلمين . وأرى شيخ هذا الذي يرى لنفسه من الآداب ما يرد به على الله وعلى كتابه ، وما يحرم به طبيبات ما أحل الله لعباده ، وأن يرى لنفسه من ذلك ما ليس لرسول الله وما ليس لأبي بكر وعمر ، وما ليس للآخرين من سادة الأمة ؟ ولعمري إن هذا ليس من الأدب في شيء . ولو كان الامتناع من أزواج الأموات فيه تأدب معهم مشروع مطلوب لكان من الواجب على المسلم ، أو من المستحب له ، ألا يتزوج أرملة مسلم ولا مطلقة أبداً ، لأن التأدب مع المسلمين عامة مطلوب مشروع .

فساد الدفاع

على أن هذا الدفاع الذي دافعوا به عن شيخهم غير صادق ، وذلك أن هذا

الشيخ قد ذكر في مقدمة الكتاب أن جميع مافيه مأخوذ من سنة النبي ومن دين الاسلام، وعنوان الكتاب « العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق » يدل على ذلك ، فان أحسن طريق ، بلا شك ، هو الطريق الحمدي ، فكل مافى الكتاب هو من الاسلام ، فيما يزعم كاتبه : فتحريم مطلقة الشيخ وأرسلته والتي مال إلى الزواج بها أمر يقره الاسلام ورضاه ، ويدعو إليه عند هذا المؤلف عفا الله عنه . ثم لو كان من الأدب فقط فلماذا ساغ لذلك الشيخ أن يقتل ذلك المريد الذي تزوج بأرسلته ، وهل يحل قتل المسلم بذير ارتكابه إحدى الموبقات . وقد قال عليه السلام في الحديث الصحيح : لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه يعني المرتد .

فلا ريب أن تحريم زوجة الشيخ راجع إلى الأثانية الحادة والغلو المدقوت أثنانية في تقديس النفس ، وراجع أيضا إلى الرغبة العنيفة في إبعاد من يعرفون دخائل الشيخ ومخباته عن أنصاره وأتباعه لئلا يهملوا من أمره شيئا يزلزل مكانته في قلوبهم ونفوسهم .

ثم قال « ومنها أن تعظم ما أعطاه لك من نوب ونحوه ولا تبغيه لأحد ، ولو آتاك الشيخ أعطاك ما أعطاك ، إذ ربما يكون قد طوى لك فيه سرا ، وربما جمع لك فيه جملة من أخلاق الرجال كما طوى رسول الله لأبي هريرة ثوبا فما نسى بعد ذلك شيئا قط . والأشياخ ليس لهم فعل عبثا » كذا « لأن مقامهم يحل عن ذلك » وهذا أيضا راجع إلى محاولة إتمام الشبه بينه وبين الرسول عليه السلام وإن كان كثيرا ما يزيد في قدره عن قدره ، ويمطيه من الفضائل والأحكام ما لم يكن لرسول الله . وهذا عين البلاء . فهو هنا يأبى على الأتباع والمريدين أن يفرطوا فيما وصل إليهم من الشيخ : فلا يهوه ولا يبيعوه ، مهما تمن لهم ومهما بولغ في

هذا لم يكن التدين والقيمة . وهذا لم يكن لما أعطاه النبي عليه السلام ، فقد كان يعطى أصحابه لرسول الله ما يعطيهم وكان لا يأبى عليهم أن يبيعوا أو أن يهبوا ذلك ، وكانوا هم لا يفهمون هذا المنع والغلو الباطل . فكانوا يبيعون ذلك أحيانا ، ويهبونه أحيانا أخرى وأحيانا يستمتعون به . وما كانوا يقدرون ما أعطاهم هذا التقدير ، ولا يغفلون فيه هذا الغلو ، ولا يفهمون ذلك السر الذي ربما كان أخلاق جملة من الرجال ، أو ربما كان أعظم من ذلك .

أسرار الشيخ ثم أى سر هذا الذى قد يضعه الشيخ فى ثوب أعطاه ، بل وأى سر لدى الشيخ ؟ وهل يستطيع أن يضع فى شئ سرا لم يضعه الله فيه ، وهل يجعل مباركا ما ليس مباركا ؟ هذا مأخوذ من قول العامة فى الله عز وجل « يضع سره فى أضعف خلقه » . ولكن قول العامة أصدق من قول هذا الشيخ ، لأن العامة يدركون أن الذى يضع السر هو الله لا المخلوق . أما الشيخ فهو أعجز من ذلك وأقل . وأى شيخ هذا الذى يقدر أن يضع فى ثوب أخلاق جملة من الرجال الفضلاء ، وكيف يمكن ذلك ؟ أليس هذا جنونا ؟ أو أليس هذا لم يكن لمخلوق قط لا للأنبياء ولا لغيرهم ، بل الله وحده هو الذى يضع الأسرار والبركات فيما يضع وما يخلق . أما المخلوق ، فكما لا يستطيع أن يخلق شيئا من العدم ، فكذلك لا يستطيع أن يوجد فى شئ سرا من الأسرار ، ولا بركة من البركات ، ولا معنى من المعانى . فخالق الأشياء هو خالق معانيها وصفاتها ، وموجد المخلوقات هو موجد البركات .

صفات الله فى إن كثيرا من الأوصاف التى يخلعونها على هذا الشيخ فى هذا الكتاب الشيخ . هى صفات لله خالصة لا يمكن أن يتصف بها غيره سبحانه . أولا يعلم هؤلاء أن الشيخ لو كان مستطيعا أن يضع فى ثوب أخلاق جملة من الرجال أو يضع غير ذلك لكان مستطيعا أن يغير الأحوال العامة وينقلها من سوء إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن ، ومن كفر إلى إيمان . ولكن فى قدرته . أن يغير القلوب والنفوس ،

وأن يضع فيها الهدى والایمان، وأن يحشوها صلاحا واستقامة وفضائل. فالذى يستطيع أن يضع في ثوب أخلاق جملة من الرجال الكاملين لن يعجزه أن يضع في القلوب الكافرة والفاجرة الايمان والصلاح يقينا، والذى يستطيع ذلك كيف لا يستطيع أن يضع في قلب مشرك كافر أخلاق رجل مؤمن، ومن أخلاقه الايمان والدين ؟ وعلى كل حال فالذى يقدر أن يضع المعاني الفاضلة في الجمادات كالاثواب يقدر ولا شك أن يضع هذه المعاني في العقلاء من البشر وفي الحيوانات : فيقدر أن يعيد الكافرين والبهائم مؤمنين ومؤمنات. ولكن الذى يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له وإن زعموا خلاف ذلك وكتبوا ما زعموه وقالوا : إنه هو الايمان والعقل والنوق، فأين يذهبون ؟ ؟ إن هذا الذى ذكره منطوق على شر أنواع الوثنية وسيكون مادة لا تنفد لهذا المرض الانسانى العتيد .

لقد كان الإسلام مبنيًا على النهى عن اتباع آثار الأنبياء والصالحين ، النهى عن وكان المسلمون ، أهل البصر بالاسلام ، ينهون عن اتباع هذه الآثار وعن الغلو فى اتباع الآثار تلك المخلفات كما قد بينا فى الجزء الاول . ومن أبلغ ذلك وأوضحه أن الخليفة عمر أمر بقطع شجرة الرضوان لما رأى أناساً يقصدونها . وقد نهى الناس أيضا عن قصد الصلاة فى المسجد الذى صلى فيه النبى عليه السلام ، وقال : إنما هلك من كان قبلكم باتباع آثار أنبيائهم . وقد جاء أن المسلمين لما فتحوا (نستر) من بلاد الفرس فى خلافة عمر بن الخطاب وجدوا ميتا على سرير وعند رأسه مصحف وهو النبى « دانيال » ، على ما ذكرنا ، فأمر عمر بحفر جملة قبور متفرقة وأمر بدفنه فى أحدها ليلا ، فدفن وسويت القبور لتعمية مكانه لئلا يعرف فيعظمه الجاهلون ويشول بهم إلى عبادته ، لأن الناس يحبون على الغلو من كان فوقهم أو من ظنوه كذلك . وقد نهى الاسلام بشدة عن الصلاة إلى القبور ، وعن البناء عليها لئلا يورد لهم ذلك موارد المالسين . وكان الاسلام بالجملة يريد من أهله أن يقطعوا فى غير الله

كل رجاء في غير الله، وأن يحصروا رجاءهم في الله وحده ، وأن يجمعوا رغبتهم عليه وأن يكون وحده المرجو المدعو كما كان هو وحده الخالق الموجد . فالزعم أن فيما وهب الشيخ أسراراً وبركات زعم يرده معنى الاسلام وتأباه نصوصه ، والزعم أنه يجب الاحتفاظ بما وهب والاستمسك به زعم مخالف لأساس الشريعة القائمة على الدعوة إلى الله والرغبة فيه وحده والرغبة عن كل ما سواه .

ثوب أبي هريرة وأما ما ذكر أن النبي طوى لأبي هريرة ثوباً فما نسي بعده شيئاً فتحرّيف ، والصحيح أن الرسول قال يوماً ، وأبو هريرة حاضر ، : « من يبسط ثوبه فلن يلبس شيئاً معه مني » فبسط أبو هريرة ثوبه حتى قضى النبي حديثه قال أبو هريرة فما لبست شيئاً سمعته منه . فالثوب المبسوط هو ثوب أبي هريرة ، والباسط له هو أبو هريرة . والرسول عليه السلام لم يضع في الثوب سرّاً ما . وليكن الله خصاً بأبو هريرة بالحفظ الجيد إذ أطاع رسوله ولازمه لأجل حفظ السنة على الأئمة والسنة نصف الدين . وبسط الثوب كناية عن الالتفات إلى رسول الله والالتباه لحديثه والرغبة فيه .

أما زعمه أن الأشياخ ليس لهم فعل عبث ، لأن مقامهم يحل عن العبث ، فهي شهادة يسأل عنها بين يدي الله ويتحمل هناك تبعاتها وإثمها .

للشيخ أن ثم قال : « ومنها ألا تتغير عليه إذا تفصك بين إخوانك أو فعل بك أي فعل بالمريد فعل ، لأنه لا يفعل معك ذلك إلا لمصلحة يقصر عن إدراكها عقلك ، بل يجب عليك أن تشكره زيادة على ما كنت عليه من قبل ، لأنه ما فعل معك ذلك إلا اعتناء بك ، بل لا يخاف على المرید إلا من مباسطة شيخه له . فمن تغير من زجر شيخه لا يفلح أبداً » .

كما يحاول مؤلف هذا الكتاب أن يقيم الشبه التام بينه وبين النبي يحاول كذلك أن يقطع على أصحابه ومريديه سبيل التفكير فيه وفيما يعمل ، وسبيل

الاعتراض على ما يأتي وما ينذر، فعنده أنه يجب أن يكون في منجى من الاعتراض والقدح، وأن يكون أتباعه فاقدى الإرادة والاختيار والعقل، أو كما يعبر هو، يجب أن يكونوا كلاموات بين أيدي الغاسلين: لا يتحرك منهم شيء إلا إذا حركه هو: فله أن يسيء إليهم وأن يسبهم، وأن يطردهم وأن يضربهم، كما يفعل في دروسه وبجالسه التي شهدتها الناس جميعا، وعليهم هم أن يسلّموا وأن ينقادوا ظاهرا وباطنا لكل ما يريد منهم: فيستلّموا ظهورهم لعصاه، وقلوبهم لهواه، وله هو أن يكون كامل التصرف والاختيار فيهم، وعليهم هم أن يفقدوا كل اختيارهم وتصرفهم فن قال منهم لأمر فعله، ولو في نفسه: لم فعل أو لماذا ترك لم يفعل. ومن تفسير عليه بقلبه لأنه نقصه بين إخوانه، ولأنه آذاه، فلن يفعل أيضا، ومن ألح عليه في السؤال فلن يفاج أيضا. ومن عارض قوله بأقوال العلماء وحجج الإسلام لنن يفعل أيضا، وإذا منع أحدا منهم فعل الطاعات: فنهى عن الصلاة وعن لصيام ونحو ذلك فلم يطعه أو اعترض عليه، ولو بقلبه، فلن يفعل أيضا، وعليهم جميعا أن يعتقدوا أن نوم الشيخ وعصيانه، كالرثاء والنفاق، أفضل من طاعتهم ومن قيامهم. وإخلاصهم، وعليهم أن يعتقدوا أيضا أن جميع أفعاله مبرأة من العبث، فضلا عن العصيان والفسوق، لأن الذي لا يمكن أن يعبث لا يمكن أن يعصى. وبالأجمال يجب أن يكونوا له أقل وأذل من العبيد، بل كلا فان العبد يستعبد الظاهر فقط، وتستعبد أفعاله دون قلبه وضميره وخطراته. أما المريدون، عند هذا الشيخ التقى الصالح، فيجب أن يستعبد قلوبهم ونفوسهم وضمائرهم قبل أفعالهم وأعمالهم. بل كلا، فانه يجب عنده ألا تكون لهم قلوب ولا عقول ولا حياة بل كلاموات بين أيدي الغاسلين !! وليس في الدنيا كلها استعباد أفظع من هذا الاستعباد، وليس فيها كلها رقى بمائل هذا الرق وذل كهذا الذل. ولو أن العباد أعطوا ربهم من قلوبهم وأبدانهم ما يريد هذا الشيخ

أنفطع الرق

لنفسه من مريديه لكانوا من أعظم الأتقياء والأولياء ، ولكانوا عبادهم المخلصين الأبرار .

النتيجة

وقد أدت هذه الأقوال إلى النتيجة التي كان يرمى إليها واضع هذا الكتاب وهي أن تكون سيئاته لدى مريديه حسنات ، وأن يكون خطؤه صوابا وحكمة ، وأن يكون نقصه كمالا ، لأنهم ممنوعون من أن يفكروا في غير الحسنات والصواب والكمال والحكمة ، وممنوعون من أن يبصروا حوله غير الدين والتقى والسنة والجلال والجمال : فهم لا يمكن أن يسلموا لك أن الشيخ غلط في مسألة واحدة ، ولا أنه فاته علم من علوم الدنيا أو علوم الدين ، وقد يسلم لك بعضهم ، بالاجمال ، أن الشيخ ليس معصوما ولكن عند التفصيل يأبى إلا أن يكون معصوماً : فانت تقول له : هل يمكن أن يخطئ الشيخ ؟ فيقول نعم قد يكون ذلك ، لأن المعصوم هو النبي فقط ، فترجع وتنازعه في كل مسألة للشيخ فيها قول فلا يمكن أن يسلم

مصمة الشيخ

لك أنه حاد عن الصواب والحق في واحدة منها : فهو يقبل القول بأنه غير معصوم بالجملة ويرفضه بالتفصيل ، وهذا بلاء . أما الشيخ فهو يزعم في هذا الكتاب لنفسه المصمة بالجملة والتفصيل ، لأنه يزعم أنه يجب التسليم له في كل أمر ظاهره وباطنه ، ولأنه يزعم أن الأشياء ، وهو عند نفسه سيدهم ، مبرأون من العبث والباطل ، ولأنه يزعم أنه لا يفعل شيئا إلا لمصلحة يقصر عن إدراكها عقل وعقله

من السهل

الادعاء

وعقول العالمين جميعا . . . من السهل الذي لا يبالي به أن يدعي امرؤ لنفسه ما يشاء ، وأن يخلق عليها من أوصاف النبوة والألوهية والربوبية ما يريد . ومن السهل الذي لا يعبا به أيضا ، والذي يسهل على الحق أن يقول له : ما أركضه ، أن يختار قوم لأنفسهم من الهوان والعبودية أفضح ذلك وأذله . ومن السهل عليهم أن يبيعوا عقولهم ونفوسهم وضمايرهم في سوق الجهل والخداع والتفريز : هذا كله من السهل الميسور ، ولكن من الصعب العسير أن يدعي مدعى أن ذلك من الاسلام

أو أنه يقره الاسلام ، أو أحد من المسلمين ، فيقيم لدعواه ما يجعلها محترمة مقبولة .
والأدهى والأمر قوله « أو فعل بك أى فعل » فإن إنسانا فى الدنيا لا يمكن أن
يقر فى نفسه أى فعل يفعل به ، وإن إنسانا فى الدنيا لا يمكن أن يقر على كل فعل
أراد . ومن هذا الذى يجب أن يسلم له المسلم جميع أفعاله فيه ؟ إنه لا يوجد فاعل لا تسلم النفس
واحد يجب على المسلم أن يسلم له نفسه يفعل فيها ما يشاء ويختار حاشا الله ، فهو لغير الله
وحده الذى يجب على العباد أن يرضوا قضاءه وقدره وفعله ، وأن يسلموا نفوسهم له
كذلك طوعا أو كرها . أما الخلق فلا . وإنسان يرضى بأن يقدم نفسه لإنسان
آخر يتحكم فيها ويفعل فيه ما يشاء ليس إنسانا ، بل وليس حيوانا ، بل لا يكون ذلك
إلا جهادا أصم . كما أن من الأدهى والأمر قوله : إنه يجب عليك أن تشكره
أكثر مما كنت تشكره على إساءته ، لأنه ما فعل بك ذلك إلا اعتناء بك !!
وهل يمكن أن تكون الإساءة والاهانة اعتناء ؟ أو هل من العقل والتدقيق والدين
أن يسئ المرء إلى محبيه وأنصاره ؟ وهل يجازى الماقل الذين الحسنة بالسيئة ؟ كلا
إنما يفعل ذلك اللئيم الغادر ، أما الماقل والتقى فلا يفعلان ذلك أبداً ، بل يجازيان
الحسن بالاحسان والكريم بالإكرام . وقد كان رسول الله يكرم أصحابه على حسب
درجاتهم فى الفضل والتقى والعلم ، وعلى حسب حبه لهم : فكان لا يقدم على أبى
بكر وعمر وعثمان وعلى غيرهم فى الإكرام والاحسان والبر . ونحن نذكر هنا الرسول
عليه السلام لأن القوم يزعمون أنهم بسنته مستمسكون . وقد تمكنت أقوال هذا سلطة الشيخ
الشيخ فى قلوب أتباعه وأنصاره فتراهم يتمنون أن يبسط لسانه إليهم بالإساءة
والأذى ، وعصاه إلى ظهورهم بالضرب والوكز : فتراهم يقدمون له ظهورهم وجنوبهم
فيتلقون ضربات عصاه برضا وتسليم ، وشتائمهم بسرور وإبتهاج . وقد وجد هو
فى هذا مهابة وسلطة باردة سائلة تبرز على الملوك والأمراء ، سلطة لا تكلفه
جندا ولا مخاطرة ولا شيئا من آلات السلطة والسلطان . فتراهم يبسط عصاه ويده

يد الشيخ ولسانه إلى القوم المساكين بالضرب والسباب المنكر في مجالسه العامة ، وحلقات دروسه ، وفي كل مكان . ولعل بعضهم كان يهين بعضا بضربه وسبه ١١ ولعل الكثيرين يقربون مجالسهم منه رجاء أن يفوزوا بضرباته وشتماته التي هي عناية خاصة بهم كما زعم لهم في هذا الكتاب العجيب . وتجدد لهذا يخص كبار أصحابه بمزيد الضرب والسب والأذى ، وهم لا يحسبون ذلك ، فيما زعموا وزعم ، إلا عناية بهم وإكباراً لشأنهم .

وقد لا يكون هؤلاء القوم يعلمون أن الرسول عليه السلام لم يضرب أحداً بيده الشريفة في حياته كلها : لا خادماً ولا زوجاً ولا غيرهما ، فضلاً عن خاصته . وخلاصة أصحابه . والعجيب أن شأن هؤلاء الجماعة يخالف لما تواطأ عليه الناس جميعاً في كل عصر ومصر . فإن الناس عادة يبالغون في إكرام خاصتهم وفي التودد إليهم وفي تبجيلهم وإظهارهم أمام الجماهير مظاهر التكريم والتعظيم ، وهذا شأن جميع العقلاء من بنى آدم ، أما هؤلاء فأحرهم عجب .

أما قوله : « بل لا يخاف المرید إلا من مباسطة شيخه » فيقال كلابل لا يخاف المسلم الصحيح الاسلام إلا من غضب ربه ومن ذنبه . والمرید الذی لا يخاف التشبه بالله إلا من مباسطة شيخه ليس مسلماً ولا كرامة . وكأن الشيخ يريد بهذا التشبه بالله فیرید أن يقول إن الله أحياناً يملأ لعباده ، ويفدق عليهم نعماء وآلاءه وهو عليهم غاضب ، وهم بها وبه كفرون ، ثم يأخذهم بعد ذلك بأخذ عزيز مقتدر ، فكانه باسطهم أولاً ثم أخذهم ثانياً . وكذا الشيخ يباسط المریدين ويبدى رضاه عنهم وسرورهم وارتياحه إليهم وهو عليهم غاضب ناغم ، وهو يريد بهم الشر والمكر والكيد فهو في هذا كالله عند نفسه . ونعوذ بوجه الله من هذا .

وقوله « ومن تغیر من زجر شيخه لا يفلح أبداً » يقال في جوابه : من لا يتغير ، ومن لا يفتض من سوء أدب شيخه وبذائه وإيذائه باليد واللسان فهو الحمار ، وحاشا

المسلم الصحيح الاسلام أن يكون كذلك ، وحاشا الاسلام أن يرضى للمسلم هذا الهوان . ومن يكون هذا الشيخ الذى لا يفلح أبدا من تغير عليه إذا أساء إليه ؟ الفلاح بيد الله إن الفلاح حقا لا يكون إلا فى رضا الله وفى طاعته وفى اتباع شريعته وقانونه لا بيد الشيخ السماوى ، وإن المفلح حقا هو من رضى الله عنه ، ومن استمسك بهداه وبجبله المتين . أما هذا الشيخ وغيره من الأشياخ فلا وزن لهم فى هذا الميزان . ولو تقطع الشيخ وجميع الأشياخ غضبا على إنسان ، قد رضى الله عنه ، لما ضاره ذلك شيئا ، ولما استطاعوا ، متعاونين مجتمعين ، أن يحولوا بينه وبين الفلاح . ولو أنهم رضوا جميعا عن إنسان ، قد غضب الله عليه رضاهم عن أنفسهم ، ثم أرادوا جاهدين مجتمعين ، أن يوصلوا إليه الخير والفلاح لما استطاعوا من ذلك شيئا إلا أن يشاء الله . ومن يكون هذا الشيخ الذى لا يفلح من تغير عليه إذا أساء إليه ؟ إن الفلاح فى هذا العالم ليس كل من لم يغضب عليه ربه ، فمن غضب عليه ربه هذا العالم وأراد أن يخرج منه وأن يحول بينه وبين الفلاح والسعادة فذاك هو الذى لا بد أن يشقى وأن يهلك . فعلى هؤلاء الناس أولا أن يقيموا للناس البراهين يجب أولا على أن شيخهم هو صاحب هذا العالم وربه وخالفه كي يستطيعوا أن يقتنعوا بأن من غضب عليه لا يفلح أبدا . أما ماداموا يعلمون بأن شيخهم إنسان مخلوق فلن يصدقوا ما يزعمونه له من تقسيمه الفلاح ، وتصريفه الخير والشر والرشاد والضلال ، ولن يصدقوا أنه يستطيع الحيولة بين الناس وبين فلاحهم وهداهم فليثبتوا أولا هذه الحزبية ، ثم ليدعوا بعدها ما يشاءون وما يذكرون من تقسيم الشيخ للفلاح وللرضا والغضب وللسعادة والشقاوة ، وللجنات والنيران أيضا وليبعدوا بعدها من شاء ولعن رحمة الله ، وليهبوا من شاء وما شاءوا من الرحمة والفلاح والسعادة

لا يفعل شئ

الاذن الشيخ

ثم قال : « ومنها ألا تسافر ولا تنزوج ولا تفعل نحو ذلك إلا بأذنه »

كنا قد سمعنا منذ بضع سنوات أن جماعة من أتباع هذا الشيخ ومريديه أرادوا أن يسافروا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، فذهبوا إلى الشيخ أولاً يستأذونه ويستأمرونه ، كما أوجب وفرض عليهم في هذا « العهد » فكان جواب الشيخ ألا يسافروا ولا يحجوا في ذلك العام لحكمة له تنطق على عقول المريدين وعقول جميع العالمين . والمريد ، كما تقدم ، لا يجوز له أن يواجه الشيخ بلفظة « لماذا » ولا كلمة « كيف » وإلا هلك وشقى ولولم يتفوه بالاعتراض والسؤال : فكان من الشيخ الرفض ، وكان من أولئك المريدين المنكوبين التسليم .

وكنا سمعنا أيضاً من بضع سنوات أن خطيب هذه الجماعة قال يوم الجمعة فوق المنبر ، وكان تحته الشيخ والمريدون ، ما معناه : إنه يجب على المريدين الصادقين أن يطيعوا شيخهم ولو أمرهم بمصيان الله وانتهاك حرمانه . . . ثم أتم الخطبة والصلاة ولم ينبعث من جوانب تلك الجماعات صوت إنكار واعتراض لا من الشيخ ولا من غيره ، ولم ترثسم علامة سخط وغضب وانحتراز على وجه من تلك الوجوه ، غير أن رجلاً واحداً ، يدل مظهره ويشهد موقفه ، على أنه غريب في الجماعة ، قام غاضباً وسأل عما سمع من الخطيب . . . فاستمعوه جواباً .

كنا سمعنا هاتين الروایتين من ثقات كنا لا نجرؤ على تكذيبهم ولا نجرؤ على تصديق ما أسمعونا لمرابته وقبحه وفظاعته ، ولكن جاء هذا الكتاب الذي كتبه الشيخ بيده فقطع الشك باليقين . فنحن اليوم نصدق ذلك ونعلم أنه يقع أمثاله كثير ، لأن إمام الجماعة قد صدقه في كتابه الذي جعله عهداً بينه وبين مريديه . . . فهو يقول تصريحاً : لا يصح للمريد الصادق أن يسافر إلا بأذنه وأمره ، وقد يمنع من السفر ، ومن الاسفار السفر إلى الحج وإلى الطاعات المختلفة كالجهاد في سبيل الله وكطلب العلم وغيرهما . وللشيخ بعد الاستئذان أن يمنع وأن يكون جوابه الرفض والإباء ، وإلا كان لامعنى للاستئذان . . . ويقول أيضاً :

روایتان

لأنه لا يصح للمريد الصادق أن يتزوج إلا بعد استئذانه وبعد إذنه ... والزواج أحياناً يكون واجباً فرضاً . وللشيخ بعد ذلك أن يمنع ويحرم ، وله أن يجيز ويبيح وإلا لما كان للاستئذان والاستئثار فائدة ولا معنى . . . ويقول أيضاً : إنه لا يصح للمريد أن يفعل نحو ذلك ، أى نحو الزواج والأسفار للحج وطلب العلم والجهاد في سبيل الله ، إلا بإذنه ومشئته أيضاً ، كما تقدم أنه ذكر ، على وجه العموم ، أنه لا يجوز للمريد أن يفعل فعلاً ولا أن يعمل عملاً إلا بعد استئذانه الشيخ وإذنه له ، وأنه يجب عليه أن يكون امامه مثل الميت البالي يقلبه كيف شاء لا يتحرك منه عضو ولا شيء إلا إذا شاء وحركه .

فألقى على المريد بهذه الآداب والتعاليم ألا يطيع الله وألا يعبد ، وألا يقوم بالفروض والواجبات ، كالحج والجهاد في سبيل الله وطلب العلم والواجبات الأخرى ، إلا إذا أراد ذلك شيخه فأذن له ، وله أن يمنعه من ذلك وأن ينهيه عنه وأن يأمره بضده . وعلى المريد حينئذ التسليم والالتقياد والرضا ظاهراً وباطناً بحيث لا يقول « لم » ولا « كيف » لا بلسانه ولا بحاله ووجدانه ، وبحيث لا يتحرك منه عضو ولا شيء إلا بتحريك الشيخ وإرادته وقدرته وقوته وإلا فالحلاك والشقاء مصيره في دنياه وآخره .

وقال في صفحة ١٤ من الطبعة الثانية وصفحة ١٧ من الطبعة الأولى إذا نهى عن حاكيا : « كل مريد أمره شيخه بعبادة من صوم أو صلاة أو قراءة أو اشتغال بعلم أو حرفة أو نحو ذلك أو منعه منها (أى من العبادة) فتبكر من ذلك فهو عاص لله ولرسوله » فلاشيخ أن يمنع من الطاعات : من الصوم والصلاة والقيام وقراءة القرآن وعلى المريد أن يذعن للمنع وإلا كان عاصياً لله ولرسوله ، ولو أن المريد امتثل هذا المنع في الظاهر إلا أنه عارض في قلبه فتكـسـر لـسـكـان أيضاً عاصياً كما عند صاحب

الكتاب وعند أتباعه ومريديه من أهل السنة المدعين أنهم أهل الحق دون
العالمين جميعاً.

وقال في صفحة ١٤ : « فحق اختيار شيخه شيئاً واختار هو خلافه فقد خرج
من محبته ، والواجب عليه التوبة ثم إن شاء شيخه قبله وإن شاء رده . . . »
الله أكبر على هؤلاء القوم !! إن الله تمالى قدرته وعظمته ، ليقبل توبة
التائبين جميعاً ، بل ويبدل سيئاتهم حسنات ويقبلهم إذا أقبلوا عليه وإن أدبروا
عنه غويلاً ، بل ويأتيهم هرولة إذا أتوه مشياً ، ويتقرب إليهم باعاً إذا تقربوا
إليه ذراعاً : هذا الله جلّت قدرته وعظمته ، وهذا عفوه وسعة مغفرته ، وهؤلاء
يرحمون أن الشيخ قد لا يقبل توبة التائب لديه ، وقد يردّه ويقفل في وجهه وسبيله
باب المتاب وإن كان لم يمض الله قط

من تشريع
المشايع

وفي هذه الصفحة أيضاً يقول : « قال شقيق لمريده : أفطر معنا اليوم ولك
أجر يوم . فقال : لا ، فقال أجر جمعة . فقال : لا ، فقال أجر شهر ، فقال : لا ،
فقال : أجر سنة فقال : لا . قال أبو يزيد دعوه فقد سقط من رعاية الله ، فخرج
من عندهم فسرق وقطعت يده ١١ » . والعجيب الفظيع في هذه الرواية أن الشيخ
يقدّر الثواب على حسب ما يريد ويحب ويرضى : فقد قدر أولاً ثواب المريد بأفطاره
معهم بصيام يوم ، ثم بجمعة ثم بشهر ثم بسنة . فكان تقدير الثواب والأجر راجعاً
إلى الشيخ وإلى إرادته واختياره . وهذا مثل قوله السابق : إن شرع التحليل
والنحرىم والتهى والأمر باق ومخاطب به مادامت الأشياء باقية . ويعنى بهذا
أنهم يحلون ويحرمون ويشرعون كما يشاؤون ويرون . ونعوذ بالله من الضلال .
ومن العجيب المنكر أيضاً أن يكون الإفطار مع شيخ من الأشياخ ، مهما كان
أمر ذلك الشيخ وشأنه ، يمدل صيام سنة ١١ وما كان هذا الثواب للإفطار مع
رسول الله ولا مع غيره من خيرة خلقه . ثم الأعجب الأعجب أن يسقط من رعاية

الله من أبي أن يأكل مع الشيخ مؤثراً أجر الصيام وأجر الطاعة !! هذه عبودية ولكنهم عبودية باطلة ظالمة، وهذا رق ولكنه من شر الرق الذي لا يقره دين من الأديان ولا قانون من القوانين ، وهذا عدوان ولكنه عدوان على حق الله ممن قالوا : إنهم هم وحدهم الدعاء إلى الله وإلى شريعته وعبادته . فيا ويل هؤلاء ، ويا ويل من كبلوه بهذه الأصناد !!

لقد كان أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام يسافرون ولا يستأذونه ، وكانوا يتزوجون ولا يستأذونه أيضاً ، وما جاء أنه عليه السلام أنكر ذلك على أحدهم يتزوجون ولا يتزوجون النبي يخبرون النبي أو أن أحداً منهم أنكره على فاعله . وقد جاء في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام رأى على عبد الرحمن بن عوف صفرة من آثار الزواج فقال له : ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله إني تزوجت امرأة ، فقال عليه السلام : بارك الله لك ، أولم ولو بشاة . فقد تزوج ولم يعلم رسول الله حتى رأى آثار الزواج . وما قال له : كيف تزوجت ولم تستأذني . وجاء أيضاً في الحديث الصحيح أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده زوجه فاطمة بنت رسول الله ، فلما سمعت ذلك أتت النبي عليه الصلاة والسلام وقالت له : إن قومك يتحدثون بأنك لا تنضب لبناتك ، وهذا على ناكح ابنة أبي جهل ، فقام النبي وخطب وقال : إن فاطمة بضعة مني وإنما أكره أن يفتنوها ، وإنها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً . فترك على الخطبة .

فقد خطب عبد الرحمن بن عوف وتزوج ولم يعلم النبي عليه السلام ، فلما علم لم ينكره ، وخطب على بن أبي طالب ، وهو ابن عمه وزوج ابنته والناسي في كنفه وعلى عينه ، ولم يعلم النبي عليه السلام فلما علم لم ينكر عليه إذ لم يستأذنه وإنما أنكر أن يجمع بين ابنته وابنة أبي جهل عدو الله وعدو رسوله ، لأن في هذا الجمع خوفاً على فاطمة وعلى دينها كما ذكرني الله ، ولهذا قال : إن كان ابن أبي طالب

مصرًا على الزواج بآبنة أبي جبل فليطلق ابنتي وليتزوج ابنتهم . ولظائر هذا كثيرة معلومة بالنقول المتواترة وبالضرورة وبالإجماع . فالمسلمون كانوا يسافرون ، وكانوا يتزوجون ولا يستأذنون النبي عليه الصلاة والسلام ، وما كان يخطر على بال أحد منهم أن هذا الاستئذان واجب مطلوب ، وأنه من حقوق النبي على المؤمنين .

والعجيب أن هذا الشيخ يوجب على مريديه أن يستأذنوه في شؤونهم الدنيوية الخاصة كلها والنبي عليه الصلاة والسلام كان يقول للمسلمين كما في الحديث الصحيح المشهور الذي رواه مسلم في الصحيح وغيره : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . وقد كان ﷺ يستشير أصحابه في شؤونه الدنيوية الخاصة ، كما استشارهم في طلاق أم المؤمنين عائشة عند حديث الافك قبل نزول براءتها في كتاب الله ، وكما استشارهم في غير ذلك ، كما كان يستشيرهم في شؤون الدولة وشؤون المسلمين العامة وشؤون الحرب ولقاء الأعداء . وقد أمره الله بمشاورتهم فقال : « وشاورهم في الأمر » . وفرق عظيم بين من يقول : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » ومن يقال له : « وشاورهم في الأمر » ومن يستشير في شؤونه الخاصة وشؤون الدولة العامة : فرق عظيم بين هذا النبي الكريم ، وبين من يجعل الأمر أمره وحده ، والقول قوله وحده ، والرأي رأيه وحده ، حتى تبلغ به المغالاة في نفسه وفي تقديرها أن يحرم على الناس أن يسافروا وأن يتزوجوا أو يعملوا عملاً ما إلا بعد استئذانه وإذنه . نحن لا نعجب من هذا الكاتب كيف كتب ما كتب لأننا نعلم لماذا كتبه ، ولكننا نعجب ممن يقبله ، وممن يقيم له وزناً ، وممن يحترمه وهو يؤمن بالله وبهـقله

فرق عظيم
بينهما

ثم قال : « ومنها أن تمتثل لأمره إذا منعك من فعل مباح لأن قصد الشيخ للمريد دائماً الترقى ، وفعل المباح لا ترقى فيه لأنه لا ثواب فيه . قالوا إذا احتج

المريد على شيخه بأقاويل العلماء في جواز فعل المباح لم يفلح أبداً ، وإذا تركه شيخه يحتاج عليه ولم يزجره عن ذلك فقد مكر به وأخرجه عن صحبته . . . » .
وهذه أيضاً حلقة من هذه السلسلة الخاطئة التي أفرغ فيها هذا الكتاب ، وأسلوب منكر من هذه الأساليب المنكرة التي جرى عليها مؤلف هذه الرسالة الظلمة . فان الشيخ إذا منع مسلماً من تناول شيء أباحه الله له في شرعه ، وأباحه تحريم المباح له رسوله في وحيه ، فقد عارض الله ورسوله وخالفهما ، ومنع من تناول شيء أمراً بتناوله ، وحرّم شيئاً أحلّه لعباده ، ومن أظلم ممن فعل ذلك ؟ وقد قال الله في كتابه : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » وقال النبي عليه السلام في تأويل هذه الآية « إنهم أحلوا لهم الحرام فأحلوه ، وحرّموا عليهم الحلال فحرّموه » وقال هذه هي عبادتهم وهذا هو معنى اتخاذهم إياهم أرباباً . وقال تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » فجعل الشارعين ما لم يشرعه الله شركاء له . وقال في تحليل الخلق وتحريمه « وإن أظنتمهم إنكم لمشركون » .

فن منع ما أباحه الله وما أحل فقد عانده تعالى في شرعه ودينه وحكمته ، ومن أطاع ذلك المانع فقد غوى وضل ، ومن منع فعل مباح ، زاعماً أن في فعله نقصاناً ، فقد طعن في شرع الله وادّعى أنه تعالى يشرع لعباده النقصان . والله لم يبيح المباح لعباده إلا لأنه يعلم أن الحكمة والرحمة في الإباحة ، ومن حال بين عباد الله وبين حكمته الله ورحمته فقد افتري ، وقد خاب من افتري ، وأعظم الذنب والخطيئة على الله . ولو علم الله بأن الصواب والكمال والحكمة في تحريم المباح لحرّمه ، لأنه تعالى لا يريد بخلقه إلا الخير والصلاح والكمال . فالمانع من المباح متعقب على الله زاعماً أنه قد علم ما لم يعلم ، وأنه أحاط بما لم يحيط به من الأسرار والحكم البالغة ثم كيف يزعم بأن فعل المباح لا ترقى فيه وقد قال النبي الكريم « إن الله

يجب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى محارمه « وفي رواية « كما يجب أن تؤتى عزائمه » وقد ذكر النبي الكريم في الحديث الصحيح أن في إتيان الأهل ثوابا ، مع أن إتيانهم بالجملة مباح . وقد روى البخارى ومسلم في الصحيحين عن أنس بن مالك أنه جاء ثلاثه رهط إلى أزواج النبي يسألون عن عبادته عليه السلام ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : أئین نحن من النبي قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؟ فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، فقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء الرسول فقال « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكفى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » . ووقع في بعض روايات هذا الحديث أن بعضهم كان قد اعتزم الامتناع من أكل اللحوم ، وفي رواية أخرى اعتزم اجتناب الشهوات . وفي الصحيح أيضا أن بعض المسلمين استأذنوا النبي في الاختصاص ، لأنهم كانوا يغزون في سبيل الله فلا يجدون النساء فيلاهن المشقة ، فبهام النبي عن ذلك وقرأ عليهم قول الله « يا أيها الذين آمنوا لا نهرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا نعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » . فقطع آلة الشهوة ممنوع لأنه يؤدي إلى الامتناع من إتيان النساء ، والامتناع من إتيان النساء تحريم لما أحل الله ، كما ذكر النبي الكريم الآية عند سؤاله عن حكم الاختصاص . وقد قال عليه السلام لقوم رغبوا عن المباح فصاموا في السفر فشق عليهم الصيام : « أولئك العصاة » .

فكيف يزعم هذا الشيخ أن المباح لا ترقى فيه ، أم كيف يزعم أنه يصح للشيخ أن يمنع المريدين فعل المباح ، ثم يزعم أنه يجب عليهم طاعته في هذا المنع وإلا هلكوا وضلوا . ؟؟

احتج على الشيخ هلاكه . أما زعمه أن من احتج على الشيخ بأقوال العلماء في جواز فعل المباح لا يفلح

أبدا فن أبشع ما كتب ، وإذا كان المسلمون يجادلون النبي فكيف يكون جدال هذا الشيخ حائلا بين مجادله وبين الفلاح ؟ وقد قال الله تعالى « قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها » وقال « وإن فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك في الحق بعد ما تبين » بل لقد سمح الله لعباده بأن يجادلوه فقال تعالى « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » وقال عن خليله إبراهيم « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط » .

فاذا كان الله ورسوله يجادلان فكيف لا يجوز جدال هذا الشيخ ؟ وإذا أجاز الله جداله وجدال رسوله فكيف يزعم من يؤمن بالله أن من احتج عليه لا يفلح أبدا ، مع أن الاحتجاج دون الجدال وأخف منه . . .

وأما قوله « وإذا تركه الشيخ يحتج عليه ولم يزجره عن ذلك فقد مكر به مكر الشيخ وأخرجه عن صحبته » فنحن قدمنا أن الشيخ ، كما يحاول التشبه بالرسول ، كذلك يحاول التشبه بالله ، فانه يزعم هنا أن الشيخ يملأ لمريديه كما يملأ الله لعباده الظالمين المجرمين ، ويمكر بهم كما يمكر الله بالماكرين ، ويباسطهم ثم يأخذهم أخذ عزيز . وقد قال فيما سبق « بل لا يخاف المرید إلا من مباسطة شيخه له » كما قال هنا : « وإذا تركه الشيخ يحتج عليه ولم يزجره فقد مكر به » ونعوذ بالله من هذا كله .

ثم قال : « ومنها ألا تجلس في المكان الممد بالومسه . ومنها ألا تصافحه ويده عبوديات مشغولة بقلم ونحوه . ومنها ألا تكثر الكلام بحضرته ، ولا تفرع باب المكان الذي هو فيه بشدة ، ولا تلح عليه في أمر . ومنها أن تصبر على جفوته وإعراضه عنك ، ولا تقول لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بي كذا وإلا خبت . ومنها ألا تدبب النظر إلى وجهه ، فن أدمن النظر إلى وجه شيخه فقد خلع ربقة الحياء من عنقه وربما حرم بركته . ومنها ألا تبين عنده إلا إذا دعاك ، ولا تبين معه قط حيث يبين سفرا ولا حضرا إلا للعذر . قالوا : ومتى غاب المرید عن شيخه ساعة واحدة

ولم يشتق إلى رؤيته فهو كاذب في إرادته لا يصلح للطريق أبدا . ومنها ألا تطأ سجاده بل اطوها أو امش على ركبتيك ، ولا تدخل له خلوة . ومنها ألا تغفل عن ملاحظته ولاحظة المكان الذي هو فيه ، فان حاجتك كلها عنده من حيث كونه دليلك في الوصول إلى مولاك ، فالمتصود هو . ولاك على كل حال .

وهذه أيضا سلسلة من هذه السلاسل المجرمة ، وأصر من آصار العبودية التي يحاول هذا الشيخ أن يكبل بها أنصاره ومريديه ويعبدهم بها تمبيداً لا يقره في نفسه من يعلم أن الله ربه وأنه هو عبده ، ولا من خلقت الكرامة والنخوة والعزة لا يجلس في في قلبه وعقله : فلي المريد ألا يجلس في المكان الممد للشيخ المحترم ، فللشيخ مكان الشيخ مكان معد ، وعلى الناس ألا يجلسوا في ذاك المكان وإلا ضلوا وشقوا ، وهذا باطل وغلو منكر ، فليس بجائز أن يكون للشيخ مكان خاص به إلا في ملكه الخاص ، وهذا لافرق فيه بين الشيخ وبين غيره من المريدين ، من المؤمنين والكافرين . أما في الأماكن العامة المشتركة كالساجد وغيرها ، فلا يجوز أن يكون له فيها مكان خاص أبداً ، لأنها مشاعة بين الجميع والاختصاص بشئ منها ظلم وعدوان . وما كان لرسول الله ولا لغيره من خلفائه الراشدين أما كن معدة خاصة بهم ، وإذا فرض أن للشيخ مكاناً خاصاً معداً لم يمتنع الجلوس فيه على العامة والمريدين إلا إذا كان في ملكه ، وامتنع الجلوس فيه من ناحية المملكية لامن ناحية الخصوصية . وإذا كان الامتناع لأجل هذا لم يكن هناك فرق بين الشيخ والمريد ، فكما يمتنع على المريد أن يجلس في ملك الشيخ إلا بأذنه ، كذلك يمتنع على الشيخ أن يجلس في ملك المريد إلا بأذنه ، فلا معنى للتفريق بين الشيخ والمريد في هذا . ولكن القوم يريدون تخصيص الشيخ وتمظيمه لمعنى يخصه دون المريدين ودون العالمين جميعاً : يريدون أن يكون الناس له عبيداً .

لا يصفح الشيخ وعلى المريد أيضا ألا يصفح الشيخ وفي يده قلم أو نحوه من كتاب أو

غيره . وهذا خيفة على شعوره وخيفة من غضبه وانزعاجه وإقلاق راحته . وهذا الأدب من الآداب المضحكة ، فان الشيخ إذا كان في يده قلم أو كتاب أو نحوه يستطيع عند مصافحته أن يضع ذلك في اليد الأخرى أو في الأرض أو في مكان آخر ، ويصح أيضاً أن يصفح ، والقلم ونحوه بيده ، وهذا ممكن . وعند هؤلاء أن المصافحة عند اللقاء سنة ، وهم يزعمون أنهم حراس على السنة جداً ، فكيف يصح لهم أن يتركوا السنة لأجل المحافظة على شعور الشيخ وآدابه الباطلة . وكيف ساغ لهم ، وهم أهل السنة ، أن يرغبوا عنها لأن في يد الشيخ قلماً أو كتاباً تمكن المصافحة معه ويمكن وضعه بعيداً أو قريباً ؟ وماذا يروون ويقولون في إلقاء السلام على الشيخ إذا كان مشغولاً بمحدث أو كلام أو أكل أو راحة من راحته ولذة من لذاته ، أو كان مفكراً في شأن من شؤنه ؟ يقولون إن إلقاء السلام عليه حينئذ ممنوع ، وإن على المرید ألا يسلم عليه وإلا خاب وأثم ؟؟ وسواء أجابوا بالسلب أم بالإيجاب فالجواب الصحيح اللازم لمقالاتهم هذه أن يقولوا بامتناع السلام في تلك الحالة . وإذا قالوا ذلك فقد خالفوا السنة الصحيحة بلا حجة ولا برهان . وهذا لا يفعله المحبون للسنة والنبي والاسلام .

وعلى المرید أيضاً ألا يكثر الكلام في حضرته وألا يقرع باب المكان الكلام في الذي هو فيه بشدة ، وألا يلج عليه في سؤال ولا غيره . وهذا أيضاً من الآداب المرغوب عنها ، لأن إكثار الكلام في حضرة الشيخ أحياناً يكون مطلوباً مرغوباً فيه ، لأنه مفيد ، ولأنه كلام في الخير وفي الدعوة إليه وفي تعليم الناس . أما إكثار الكلام في الشر والباطل فمنوع في حضرة الشيخ وفي غيبته وغيبوبته : فإكثار الكلام في الخير مرغوب فيه في حضرة الشيخ وفي غيبته وإكثاره في الباطل والاثم مرغوب عنه في حضرته وغيبته وغيبوبته ، فلا معنى لما ذكره . وأما قرع باب المكان الذي هو فيه بشدة فهذا أيضاً لا معنى له ،

قرع باب
الشيخ

وذلك أن قرعه بشدة إيمان يكون مفيداً منتجاً خيراً ، أو يكون ضاراً لا خير فيه . فإن كان الأول فلا مانع من قرعه بشدة ، وإن كان الثاني فلا خير فيه . فيه سواء أكان الشيخ موجوداً فيه أم كان غائباً ، ولا تأثير لوجوده وغيبته في هذه المعاني لأنها من الآداب العامة ، وليس فيها معنى خالص به ، ولم توضع هذه سؤال الشيخ التاديبات لرسول الله ولا لخلفائه . وأما اللاحاح عليه بالسؤال فواجب أحياناً باعتباره معلماً مرشداً . فإذا كان المرید يجهل مسألة من دينه وكان في حاجة إلى معرفتها وجب عليه أن يسأل الشيخ ، فإن لم يجب ، وكان يعلم أنه عالم بالمسألة التي هو في حاجة إليها ، وجب عليه أن يسأل ثانياً وأن يلج في سؤاله حتى يجيب أو يعلم أنه جاهل بالمسألة لا علم له بها ، وحينئذ يجب عليه أن يقول : إني لا أعرف جواب المسألة التي تسألني عنها . وقول لا أعرف ، أولاً أعلم ، قد يكون من العلم ومن الأدب الإسلامي الرفيع . ولم يذم أحد من المسلمين اللاحاح في طلب العلم واللاحاح في سؤال أعلامه ، بل لقد أمر الله المسلمين كافة بالسؤال عما لا يعلمون فقال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقال عليه السلام في حديث : « أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَأَمَّا شَفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ » وماذا بقول الشيخ وأنصاره ، في مرید من المریدين احتاج إلى علم مسألة من مسائل الدين احتياجاً ضرورياً فجاء وسأل شيخه عنها فأعرض عنه ولم يجبه ، أيسكت على الجهل ويعمل على غير علم ، والعمل بدون علم إثم ، أم يعيد السؤال على الشيخ مرة ومرة حتى يجيب ، أم يرون أن الواجب على هذا المرید أن يذهب إلى آخرين يعرفهم الشيخ أولاً يعرفهم فيسألهم ويعمل بما قالوا وما أفتوا به ؟ ؟ ولكن هذا عند هؤلاء لا يجوز ولا يحل لأنهم يزعمون : كما تقدم ، أنه لا يصح للمرید أن يعمل عملاً ما إلا باذن الشيخ وأمره ، ويزعمون أنه يجب أن يكون أمامه مثل الميت أمام الفاسل لا يتحرك منه إلا ما حركه . علم أنهم هم لا يجيزون

سؤال غير الشيخ وغير أتباعه الخاضعين له ، ولو سألوها عالما غيرهم فأفئام لم
يركنوا إلى فتواه مهما كانت معززة بالحجج والبراهين .

والذي نراه ، ولا نشك فيه ، أن الشيخ يحرم الإلحاح في سؤاله وسؤال
غيره من الأشياخ إيماداً لنفسه عن أن يقع يوماً تحت طائلة أسئلة لا يدان له
فيها ويجوابها فينكشف ساعتئذ المغطى وتسفر الحقيقة المرة متبديّة كما هي مكتمة
فيهمون حينئذ عند الاتباع والأناصر والمريدين ، ويخف احترامهم وإعظامهم له
فيقع المحذور ، ويتداعى الأساس الذي شيدت عليه هذه الرسالة وألفت من أجله
وهو أن يكون الشيخ التعظيم والاحترام والحب والاحترام ، بل والعبودية
الملتزمة . وقد صرح بهذا في مواضع من رسالته فقال ص ١٨ : « ومنها ألا تطلب
منه جواباً عن رؤيا رأيها ، أو حادثة حدثت لك بل تذكر حاجتك وتسكت ،
فإن أجابك كان وإلا أعرضت بقلبك عن طلب الجواب ، لئلا يصير شيخك
محكوماً عليه بلزوم رد الجواب » وفي هذه الصفحة أيضاً يقول « ومنها ألا تتشوق
إلى معرفة مقدار نومه وأكله أو كم يتوضأ في اليوم واليلة ، وهل يأتي النساء كثيراً
أو قليلاً ، فهذا ونحوه معدود من حقوق المريدين ، والعاق لا يرفع له عمل إلى
السماء إذ ربما كان اطلاع المريد على تلك الأحوال منتقصة لحال شيخه في قلبه
لجهله بأحوال الكل ، فيهلك ويقع في الخيانة لشيخه ويحل عقده الذي عقده
معه » ، وقد حرم كما تقدم الاتصال بالذين ينتقدونه والذين لا ينوبون في حبه
وهواه ، وحرم على المريد أن يسمع في شيخه قولاً ما ، وذلك كله خيفة أن تنزعزع
مكانة الشيخ في الصدور والنفوس : هذا هو ما يرمون إليه من وراء هذه القيود
التي ضربوها على قوم من المسلمين ، والله من وراء كل قصد ،

وعلى المريد أيضاً أن يصبر على جفاء شيخه له وإعراضه عنه ، وعليه صبر المريد على
أن يقبل ذلك ظاهراً وباطناً بحيث لا يقول ، لا بقلبه ولا بلسانه ، لم فعل بي جفاء الشيخ

كذا وفعل بغيري كيت وإلا خسر .

وهذا أيضا من الآداب الباطلة المموججة ، فإنه ليس بواجب على مسلم أن يقبل من امرئ معين - ليس رسول الله والأنبيا - في الظاهر والباطن كل شيء يتناوله به من اعراض والجفاء واهانات ، ولا يوجد إنسان اليوم على وجه الأرض مفروض على الناس أن يقبلوا منه كل شيء يريد أن يفعله بهم أو بغيرهم في سرهم وعلايتهم ، ومحرم عليهم أن يوجهوا إلى أفعاله وأقواله اعتراضا بحيث لا يقولون لم ترك ولا لم فعل . ومن زعم أن إنسانا واحدا ، غير الأنبياء ، مفروض على الناس تقديسه هذا التقديس فقد خاب حقا .

وعلى المرید أيضا ألا يديم النظر إلى وجه شيخه ، ومن فعل ذلك فلا حياء له وهو معرض للحرمان من بركات الشيخ ، وهذا أيضا من الآداب الباطلة . وقد كان المظنون المعقول أن يرغبوا في النظر إلى وجه الشيخ ، وأن يزعموا أن النظر إليه عبادة وزلفى إلى الله ، لأنهم يبالغون في إثبات بركات المشايخ وأسرارهم والمعروف أن النظر إلى وجه الحبيب المبارك لذة وسعادة وخير كما قيل (نظرى إلى وجه الحبيب نعيم) . والذى يكره إدمان النظر إلى وجهه هو العدو الشائى أو الخبيث الفاسق الظالم ، لا الحبيب الذى زعم أنه مادة الصلاح والدين والعلم . ولهذا كان المسلمون كلهم رغبة فى ملء أبصارهم من محيا النبى عليه السلام ، ومانهى أحدا من ذلك ولا رغب عنه . ولهذا كان النظر إلى وجه المولى لذة لا تساويها لذة ، لأن حب عبده المؤمن له لا يساويه حب . ولكن هؤلاء يريدون أن يكون الشيخ طلسمًا من الطلاسم ، وسرا مغلقا ، ولقزا من الألغاز المعقدة ، لتجل هيئته فى الصدور وفى النفوس التى لو عرفتة لآ نكرت منه ما كانت تعرف . أما البركة التى زعم أنها تفوت ذلك المدمن النظر إلى وجه شيخه فشئ لا حقيقة له ، وشئ

النظر إلى
وجه الشيخ

لا يعرفه الاسلام . وأية بركة يشتمل عليها الشيخ ؟ فقتلوه وفتشوا كل شئ يحيط به ، فانكم لن تجدوا شيئا يسركم . اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون .

وكذلك على المريد ألا يبديت عند شيخه في حضرة ولا سفر إلا لعذر ملح . البيت مع وهذا تحريم لما أحل الله ، وتضييق لما وسع الله ، وشئ لم يأذن به الله . ولو أن الشيخ ومريديه ناموا في مكان واحد لما زعم مسلم يعرف الاسلام أنهم ارتكبوا بذلك إثماً . وقد قالوا هذا القول ليبقى الشيخ ، كما ذكرنا مرارا ، طلسما مجهولا يحاط بالأسرار وبالمعميات . لا يعرف ماحوله ولا ما طوى عليه .

وكذلك على المريد ألا يطأ سجادة الشيخ بل عليه أن يطويها أو يشق على لاوطأ سجادة ركبتيه لثلاث أطاها ، وكذلك عليه ألا يففل عن ملاحظته وذكره وملاحظة المكان الذي هو فيه وقتاً واحداً ، لأن حاجات المريد كلها ، من دنيوية ودينية ، عند الشيخ . ونحن لا نستطيع أن نعلق على هذا الكلام شيئا سوى أن تقدمه إلى من يعرفون الاسلام ويعرفون ما جاء به النبي عليه السلام من التوحيد ومن التجرد عن كل ما سواه « وما بكم من نعمة فن الله » .

وأما زعمه أن من غاب عن شيخه ساعة واحدة فلم يشتق إلى رؤيته فهو الاعيان إليه كاذب في إرادته لا يصلح للطريق أبداً فزعم غير صحيح ، بل زعم منكرف في دين الاسلام ، لأن الذي يجب أن يذكره المسلم في كل لحظة هو الله ، فالله هو الذي يجب أن تعمر به القلوب ، فان قلبا يخلو من ربه ساعة واحدة قلب خرب مظلم مخيف لا خير فيه . أما الشيخ وغيره من الأشياخ فلو نسبهم المسلم في حياته كلها لما ضاره ذلك شيئا ولما نقص ملك الله ذرة ، ولما نقص إيمانه ودينه قليلا ولا كثيرا . وما لا يرضاه الاسلام ولا يقبله توحيد الله أن يطوى قلب مسلم على شيخ أو على غيره من المخلوقين ، فان هذا وأمثاله من بندرات الوثنية وجرائم المشرك . وقانا الله وأخواننا هؤلاء القوم السوء والضلال .

قليل من كثير
ثم قال في خاتمة هذه الآداب : « ومنها غير ذلك . وبذكر القليل يقتبه العاقل للكثير . وهذه الآداب إنما يخاطب بها الصادق المجد الحاذق ، لا كل من تلقن الذكر » .

فعند الشيخ ، عفا الله عنه ، أن هذه الآداب التي ضربها على عقول مريديه وأنصاره ، فأذل بها نفوسهم وأخلاقهم وعقائدهم ، ليست إلا قليلا من كثير ، وليست إلا غيضا من فيض مما يجب له على الاتباع والعباد من التعظيم والتقديس ، وإنما ذكر هذا الذي ذكر تلويحا لا تصريحاً ، وإشارة عاجلة لاحقيقة جامعة . وإنما ذكر ما به يقتبه العاقل الحاذق ويعرف به ما وراءه من الأشياء الأخرى والآداب الكاملة الكثيرة التي تجب للشيخ في أعناق المريدين .

ونحن لا نعرف ما وراء هذا الذي ذكره في هذه الرسالة من الخضوع له والهوان والهون لأوامره وإراداته ، وما الذي يمكن أن يقدمه المريد له غير ما أورد هنا ، وهل ترك نوعاً واحداً من أنواع التعظيم والتقديس لم يزعم أنه واجب تقديمه إليه ؟ وهل يمكن أن يكون لدى المرء من الأدب والخشوع والذلة والمسكنة أعظم من أن يكون كالميت بين يدي الغاسل لا يتحرك منه شيء إلا إذا حركه ؟ وهل هناك خضوع أعظم من أن يجلس بين يدي الشيخ كجلوسه للصلاة وأن يقبل منه كل شيء ظاهراً وباطناً ، وألا يقول له « لم » ولا « كيف » في حالة من الحالات ، وأن يزداد له إخلاصاً وعبودية وحبا وطاعة كلما زاده إهانة وإذلالاً وتنقصاً وطرداً ، وألا يعمل عملاً إلا أن بعد إذنه وأمره ، وألا يتزوج ولا يسافر ولا يقطع أمراً إلا بأمره ورضاه : هل هناك تأدب مع الشيخ ، بل عبودية له أكثر من هذا حتى يقال ، أوحى يمكن أن يقال ، إن هذا الذي ذكر ليس إلا تنبيه لما بعده ومقدمة لكتاب ؟ وهل يمكن أن يوجد تعظيم للشيخ أعظم من الاعتقاد بأن نفاقه ونومه أفضل من إخلاص المريد وصلاته ، وأن الذرة من

أعماله أفضل من عبادة المريد طول السنة ؟ أم هل هناك تعظيم أعظم من قوله :
إنه يجب على المريد أن يحب الشيخ حبا لا يحبه أحداً في هذه الدنيا ، لازوجا
ولا ولدا ولا نفسا ولا أهلا ولا مالا ، وأن من قدم على الشيخ أحدا في حبه لم
يشم رائحة الحق ؟ بل هل هنالك تقديس أكثر من الاعتقاد بأن الأشياخ ليس
لهم فعل عبث أبداً ، بل كل أفعالهم وأقوالهم حكم بوالغ وعلم وصواب ؟؟

وليس هنالك تقديس للشيخ أكثر من قول ص ١٣ « وأجمع الاشياخ عقوق الاستاذ
كلهم على أن عقوق الاستاذية لا توبة عنه » فان المسلمين لا يختلفون في أن لا توبة له
من كفر بالله وبجميع الأنبياء والمرسلين وجميع الكتب ، بل وبكل حق ثم
تاب تقبل الله توبته وغفر له ذنبه وأبدل سيئاته حسنات ، ثم أدخله بعد ذلك
جنته وألبسه رضوانه ورحمته ، هذا مصير من يكفر بالله ثم يتوب ، أما من عى
الشيخ فيقول هذا الشيخ : إنهم أجمعوا على أنه لا توبة له ، فعقوق الأشياخ
لدى هذا التقى الورع أعظم من الكفر بالله وبأنبيائه وملائكته وكتبه ورسوله
وقد قال في هذا المعنى : « والعاق (أى علق الشيخ) لا يرفع له عمل إلى السماء » عاق الشيخ
وقد تقدم هذا ، وقال أيضا فيما تقدم : « ففى اختار شيخه شيئا واختار هو خلافه لا يرفع عمله
فقد خرج عن صحبته ، والواجب عليه التوبة ثم إن شاء شيخه قبله وإن شاء
رده » فبالله هل يوجد تعظيم للشيخ أعظم وأجل من هذا حتى يدعى أن كل
ما ذكر لم يكن سوى قليل من كثير ؟

ومن التعظيم الفظيع قوله ص ٥ : « واحذر أن تستعمل أى اسم إلا بإذن لا يجوز ذكر
من الشيخ ولا أن يؤتمن به . هـ لكت » يعنى أنه لا يصح للمريد أن يذكر الله باسم الله إلا بتلقين
من أئمنائه تهالى لم يلقته إياه الشيخ وإلا كان هدفاً للهلاك والخسران . وهذا القول الشيخ
لا يعرفه يستقيم بولا سنن غير . لم .

ويقول ص ١١ « قال حمدون القصار : من علامة صدق المريد إذا دخل على

شيخه كأنه داخل على سلطان جائر يخاف سطوته»، وهذه الأقوال كلها مما جاءت الأديان السماوية كلها لمحاربتها وانتزاعها من النفوس والرؤوس، ولا يوجد بين سماوى يقر شيئاً منها أو يتهاون فى دفعه .

ومن أقبح ما جاء فى هذا « العهد الوثيق » قوله بمد أن قسم النفوس على حسب درجاتها وصفاتها سبعة أقسام بادئاً بذكر الأدنى مترقياً إلى الأعلى قال :
للنفس المرضية « السادس المرضية . ذات مقام تجليات الأفعال ، فلا يرى صاحبها صدور الأفعال إلا من الله ، فلا يعترض على أحد بعين الحقيقة لمشاهدته أن الأمر كله منه وإليه سبحانه » . هذا ما ذكره عن صاحب النفس المرضية وليس فوق هذه النفس لديه إلا النفس الكاملة « ومقامها مقام تجليات الأسماء والصفات فهى بمعالى الفضائل والفواضل حافلة ، وذلك أنها فوق الفوق ومعارفها فى نهاية الشروق » .

وهذا الذى ذكره عن النفس المرضية مذهب مرغوب عنه مجمع على بطلانه وخلافه للدين بل وللأديان جميعاً . ذلك بأنه يقضى بأن يكون كل مجرم معذوراً . لا يصح الاعتراض عليه ، والاعتراض أقل المواخذة : فالقاتل والسارق والمشارك والكافر والفاعل لكل . وبقة : كل هؤلاء معذور عند صاحب النفس المرضية لأنه يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده لا من غيره . فالزنا والسرقة والقتل والكفر والإثم كله : جميع ذلك لا يصدر إلا من الله . وصاحب النفس المرضية لا يصح أن يلوم المخلوقين المعاجزين على أفعال الله ، لأن هذا نهاية الظلم والجهل عذر العصاة وعلى هذا المذهب لا يصح أن يعترض على أحد من العصاة والمجرمين لأن الأمر كله من الله وإليه ، وهذا ما تقره وماتراه عين الحقيقة التى ينظر بها صاحب النفس المرضية . هذا معنى هذا الكلام ، وهو مذهب باطل قبيح قد قال به قائلون من الضالين فرد عليهم الساف الصالح وأدبهم . وقد كانت نفس رسول الله ونفوس

سائر الرسل ونفوس أصحابهم من أرضى النفوس وأنظرها بعين الحقيقة ، وكانوا مع هذا يعترضون على أصناف المذنبين ويؤاخذونهم ، فكان رسول الله وأصحابه يقتلون القتال ويرجون ، أو يجلدون ، الزاني ، ويقتلون المرتد ، ويقيمون الحدود . وكانوا يحملون الحسام والحديد في يد ، والمصحف والحكمة في أخرى ، فكانوا أرضى الناس نفوساً وأشدم على المجرمين والمفسدين بأساً ، وأعظمهم قياماً بالحدود والعقوبات الزاجرة الرادعة . فصاحب النفس المرضية هو الذي يفعل هذا ومن لا فليس سوى صاحب نفس خبيثة . فلا ريب أن هذه للقاللة معناها رد الأديان وتكذيبها ، ورد أوامر الله وشرائعه

تكذيب الأديان

ثم إذا كان هذا صحيحاً فلماذا كانت جماعة هذا الشيخ من أشد الناس اعتراضاً على الناس وإيذاء وسباً لهم وقدساً فيهم وفي عقائدهم لأسباب باطلة ؟ ولماذا لا يحاولون أن يكونوا من ذوى النفوس المرضية الذين ينظرون بعين الحقيقة فيرون الأمر كله من الله وإليه ، ويرون الأفعال كلها أفعال الله فلا يعترضوا على أحد ولا يسبوا أحداً ؟ فن أى جانب يمكن أن يصح هذا القول ؛ ومن أى وجه يؤخذ ؟ ؟

وقال في أول الرسالة في صفة هيئة الذكرك : « ثم تجرد من الشواغل الدنيوية بلاء عظيم وأنت جالس في مكان مظلم طاهر معظم مطيب بالروائح الذكية . . . واضحاً يدريك على تخذك - مبعداً الروائح الكريهة ، لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة . وبانقطاعهم عن مجالس الذكرك ينقطع المدد ، مستأذاً أهل الطريق ورسول الله والخضرة الآتية في دخول حضرة الذكرك التي هي حضرة الله ، جاعلاً خيال شيخك بين عيليك ليكون رفيقك في السير إلى الله ، لا لكونه مقصوداً لذاته ، حتى يكون منافياً للتجرد عما سوى الله ، أو يكون إشاراً كافى العبادة ، خلافاً لما يتوهمه بعض القاصرين ، فالقصد هو الله وحده . واستحضار الشيخ إنما

هو لتحصل على مقصودك ، لأن الوصول عادة لا يكون إلا بدليل ، وإذا وجد الدليل لا يجد الشيطان له مدخلا معك حتى يحولك عن الطريق ، ولذا كان استحضار الشيخ من أهم الآداب . . . »

وثلية ظاهرة

وهذا كله وثلية ظاهرة لا ريب فيها ، فان المسلم الموحد لا يستأذن أحدا في دخول حضرة الله ولا في الاقبال على ذكره ونجواه ، كما لا يستأذن أحدا في الصلاة والصيام وأنواع العبادات . . ومن استأذن أهل الطريق من الموتى ، أو استأذن رسول الله أو غيره من الرسل والصالحين عند صلاته أو صيامه أو ذكر ربه ومناجاته إياه ، فقد أساء وخرم توحيده وأصاب التجرد لله وأتى أمراً إمرأاً . ومن هم أهل الطريق الذين يستأذنهم من أراد ذكر الله ودخول حضرته ؟ إنهم أقوام موتى لا يسمعون ولا يعلمون من حال مستأذنهم شيئا : فالمستأذن لهم مستأذن مالا يسمع ولا يعلم . ولكن هذا الاستئذان مبني على مذهب فاسد قائل وهو الاعتقاد بأن الأشياء ، من أهل الطريق ، حاضرون ذاكرهم ومستأذنهم موجودون معه حيث كان ، بل وموجودون في كل مكان وزمان ، ولعوذ بالله من هذا المذهب . ويدل على أن هذا هو المعنى قوله « لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة ، وبانقطاعهم عن مجالس الذكر ينقطع المدد » وهذا نص من هذا القائل بأن مجالس الذكر محصورة بالروحانيين ، والذي يبدو ، بدليل سابق الكلام ولا حقه ، أنه لا يعنى بالروحانيين الملائكة ، وإنما يعنى أهل الطريق الذين يستأذنهم في دخول حضرة الله . وزعمه أنه بانقطاعهم عن مجالس الذكر ينقطع المدد زعم لا يلاقى الايمان والتوحيد أبداً ، لأن المدد من الله وحده لا من الروحانيين ، ومدد الله لا ينقطع عن عبده بانقطاع غيره عنه ، لأن المدد هنا يراد به المدد الروحي القلبي من التوفيق والتسديد والعناية الخفية ، والالهام الرباني المتدفق على الأرواح الصالحة المشرقة بشمس الايمان واليقين ، وهذا

مدد أهل الطريق

كله من الله ، وهذا لا يقطع انقطاع الروحانيين ولا انقطاع غيرهم عن مجالس الذكر . وهذا المدهو الهدى والتوفيق والله هو الهادى الموفق وغيره لا يهدى أبداً بهذا المعنى « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً » .

ومن البلاء قوله « جاعلا خيال شيخك بين عينيك » إلى آخره ، فان هذا خيال الشيخ شئ لا يقبله التوحيد مطلقاً ، بل شئ يشرق به الايمان بالله ويعثر به التجرد له . وما طلب رسول الله من المسلمين أن يجعلوا خياله بين أعينهم حين ذكر الله ، بل طلب إليهم أن ينسوا كل ما سواه حين ذاك ، وطلب إليهم أن تكون قلوبهم ملاءى به وبذكره ، وأن يقولوا في أذكارهم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، والدلائل على هذا منبوبة للجميع .

وقد كان المشركون يترفون عن هذا الانحطاط في حضيض الخلق نسيان الخلق حين شدتهم وبلوهم كما قال تعالى « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وما أبلغ وأروع وأصدق قوله « ضل » فان المراد به أن كل شئ سوى الله ، من الاصنام والأوثان والخلوقات كلها ، ينهب ويتلاشى عن قلوب المشركين وخواطرم وأوهامهم وأخيلتهم وعن ألسنتهم في تلك الساعة : فلا يدكرون غيره تعالى بقلوبهم ونفوسهم ، ولا يدعون سواه بألسنتهم وأقوالهم ، فلا يبقى في قلوبهم ولا في ألسنتهم غير الله : فلا خيال مخلوق ولا خيال شيخ ولا خيال صنم ولا خيال شئ من الأشياء غير الله . وهذا غاية التجرد والتوحيد . وأين هذا من هذا ؟ أين وضع خيال الشيخ في القلب وفي العين حين مناجاة الله من الانقطاع إلى الله وحده ونسيان ما سواه ؟

وقوله « ليكون رفيقك في السير » شئ لا معنى له ، فان الشيخ إن كان قد مات فهو إما في الجنة أو في غيرها ، أو في القبر ، فكيف يكون رفيق ذا كر الله الذاهب إليه ! وإن كان حيا لما يموت فهو ، حين ذكر المرید ، قد يكون مشغولا

بأحواله أو راحاته أو لذاته أو دنياه أو عبادته ، على أحسن تقدير ، فكيف يمكنه أن يكون رفيق الذاكر لله السائر إليه وهو لا يعلم من حاله شيئا ؟ هذا محال باطل . ثم كيف يحتاج الذهاب إلى الله المناجى له إلى من يسير معه وإلى دليل يده ساعته ؟ جل الله عن ذلك « ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع » « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ، وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم ترعون » « ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع » « قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض » قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون .

الدلالة على الله وقوله « لان الوصول عادة لا يكون إلا بدليل » يقال نعم ، ولكن الدالون على الله هم رسل الله وأنبيأؤه بيناتهم ورسالاتهم ووحيمهم وكتبهم ، لا خيال الشيخ ولا استحضاره ولا نصبه بين العيين ، فان هذا لا يهدى إلى الله بل يضل عنه ويشغل عن ذكره وعن مناجاته وعن جلالة . فهذه كلها آداب تنافي الاخلاص لله والتجرد لعبادته .

قوة المشايخ ومن أفضح ما جاء في هذا الكتاب قوله « وقال أبو علي الدقاق : الفقراء ملوك وكل مرید صحتهم بغير صلق قتلوه » فانه قد أعطى المخلوقين بهذا القول القدرة على الامانة والقتل ، فهو لا يريد أنهم يقتلون بالسيوف ولا بالرمح ولا بالسم ولا بالآلات العادية التي يقتل بها كل الناس ، وإنما يريد أنهم يقتلون بأسرارهم وقدرهم المعنوية الروحية الفاعلة ، وبما وهبوا من قوة التصريف والسلطان الروحاني . ونحن نقول كما قال خليل الله إبراهيم لذي حاجه في ربه « إذ قال إبراهيم ربني الذي يحيي ويميت ، قال أنا أحيي وأميت ، قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب » .

هذا بعض مافي هذه الرسالة رسالة « العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن

طريق « من الأقوال المتجافية عن سبيل الله وعن العقل الصحيح . ولا شك أن القارئ سوف يأسف ويفضرب معا ، وسوف يشتد غضبه وأسفه حينما يعلم أن هذا الشيخ الذي عرف بالسنة والدعوة إليها ، وبمجاناة البدع والحلة عليها كل حياته يدركه الحظ العاثر ، ويدركه عجز الإنسان المطبوع ، ويدركه انحطاط المدارك عجز الإنسان الإسلامية في المصور المتأخرة ، حتى يسجل على نفسه ما في هذا الكتاب من آراء وعقائد لا يمكن أن تجتمع هي ودين الله وكتابه في قلب ، ولا يمكن أن يرضاها . امرؤ عرف الاسلام .

نحن نعلم أن كثيرا من هذه الأقوال والأخطاء قد سبق الشيخ محمود خطاب إليها غيره ممن لم يقدر لهم أن يهدوا إلى حقيقة الايمان وحقيقة دين الله ، ولكننا نعلم أن سبق الخطي الأول إلى الخطأ لا يجعل ضرب الآخر على عقبه وانتهاجه منهاجه محمودا مشكورا ولا معفوا عنه مغفورا ، بل إن الخطأ قبيح ولكن أقبحه التقليد فيه ، كما نعلم أن أكثر هذه الأقاويل والأخطاء إنما هي بضاعات نصرانية وثنية وغلت في دين الاسلام وتسلفت بين المسلمين ، ورزى بها الاسلام وأهله بطريق الدس والخداع قارة ، وبطريق الجهل والبلادة قارة أخرى . فإن هذه الأديان قائمة على المغالاة في الخلق إلى حد عبادته ، فهي التي تتقبل هذه المبودية الموصوفة في رسالة العهد الوثيق ، وهي التي تسمعها مبادئها الوثنية وأصولها الباطلة المعبدة غير المعبود بحق ... أما الاسلام فإنه ينكر ذلك كله أشد الانكار ، ويلفظه لفظ المقل المزدري بلا هوادة ولا رفق . وما يوجد دين من الأديان يأبى عبادة الخلق ، صورها وحقيقتها ، وينكر الاسراف في تقديس الإنسان ، مما يمكن ، ويحض على الانقطاع إلى الله مثل دين الاسلام . ولقد بالغ الاسلام وكتابه في التزهيد في الخلق والصرف عن غير الله حتى حكم على كل شيء ، ما خلا الله ، بالفناء المطلق وبالهلاك العام . فقال « كل من عليها فان » ،

بضاعات
أجنبية

« كل شيء هالك إلا وجهه » وقد جعل كل ماسوى الله باطلا وجعلت هذه الكلمة مأخلافة باطل أصدق كلمة قالها شاعر . فصيح عن النبي الكريم أنه قال أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم ، لا محالة ، زائل
وقد أُنشد لييد قوله هذا كفاراً مكة في المسجد الحرام وكان فيهم أحد
أصحاب النبي فقال له في الشطرة الأولى : صدقت وفي الثانية كذبت ، فان نعيم
الجنة لا يزول . هذا قول لييد المشرك ، وهذا ما يلدشه العرب المشركين
فيتقبحه . وكل لهم من أمثال ذلك . فانظر كيف تشرق أنوار الحقيقة بين
حناسد الباطل والشرك الخالكة المدهمة . ومن أبلغ ذلك قول النابغة الذبياني .

ماورء الله
مذهب

حنفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
وهذه الكلمات الصادقة وأمثالها إنما تصدر من معدن الفطرة الأولى.

الصحيحة الربانية العتيدة التي يهجز الباطل الطريف أحيانا عن النفوذ إليها والاختلاط بها ، والتي لا يكون الباطل ، إن وصل إليها ، إلا فقايع طامخة كاللقايع التي تطفو على سطح المحيط ، ثم لا تلبث أن تتمزق وتتلشى وتنفى .

وكم بين أقوال هؤلاء الشعراء الجاهلين وبين أقوال هذا الشيخ النقي الورع من الفرق عظيم الفرق والبهون الشاسع ! وكم بين أشرارهم هذه وبين مقالاته في كتابه هذا من البعد في وصف الحقيقة وعرفان الحق : فهم يقولون : إن كل شيء ما خلا الله باطل لا يعبأ به ، ويقولون إنه ليس وراء الله للانسان مذهب . وكم في هذه الأقاويل من معاني التوحيد ومن عرفان الله : أما الشيخ فيقول : يجب على المسلم ليكون مسلما حقا أن يكون بين يدي الانسان الباطل الغائي مثل الميت بين يدي الفاسل يصرفه ويقلبه كما يشاء ، لا يرتفع منه عضو ولا يقع إلا بإذنه وأمره . ويقول : على المسلم ليكون مسلما حقا أن يدخل على شيخه وكأنه داخل على سلطان.

جائر يخشى سطوته وبأسه . ويقول : من قال للشيخ ، وهو الباطل الفاني « لم »
لم يفلح أبدا . ويقول : على المسلم ليكون حتما مسلما أن يسلم للشيخ ، والشيخ
إنسان باطل فاني ، ظاهرا وباطنا بحيث لا يمترض عليه لا بقلبه ولا بلسانه
إلا فلن يفلح . ويقول : على المسلم ليكون مسلماً حقا ألا يجلس بحضرة شيخه ،
وهو الانسان الفاني ، إلا كجلوسه للصلاة . ويقول : على المسلم ليكون مسلما حقا
ألا يعمل عملا : فلا يتزوج ولا يسافر ولا يصلي ولا يصوم ولا يعبد الله إلا باذن
الشيخ ، ويقول عليه أيضا أن يتقبل من الشيخ كل شيء يفعله به لا اعتراض
ولا ممانعة لا ظاهراً ولا باطناً ، وعليه أن يتقبل كل إهاناته والتحكم فيه وطغيانه
بالشكر والرضا والحمد الجزيل . ويقول كل ما نقلناه عن هذا الكتاب من
العبادة الوضيعة لأنها عبادة لغير الله وكل عبادة لم تكن لله وحده هي عبادة
وضيعة بلا ريب : فكم بين أقوال هذا الشيخ التقى الورع وبين أقوال أولئك
الشعراء الجاهليين من بون وفرق .

لقد مات الشيخ مؤلف هذا الكتاب واتى ربه بخيره وشره ، بالعوما مات الشيخ
عليه ، وخلى الدنيا بحسناتها وسيئاتها ومفاتها ومناعها ، وأصبح لا يد له برفع
هذا الكتاب من قائمة أعماله ولا رفع شيء مما فيه ، كما أصبح غير مستطيع أن
ينكر منه شيئا وإن أحب أن ينكر ولا أن يحمو من صفحاته قولا قد كتبه وإن
أحب أن يحمو : أجل لقد أصبح الشيخ في قبضة العدم وفي ذمة التاريخ الحفيظ .
لهذا لم يكن الرد عليه ذاته ممكنا ولا مطلوباً لولا أننا وجدنا أنصاره ومريديه
يبيعون هذا الكتاب إلى اليوم على علم ومرأى ومسمع من خليفته الشيخ أمين بيع الكتاب
خطاب ، وعلى علم ومرأى ومسمع من علماء مريديه بلا تكبير ولا اعتراض .
وقد وقعت بأيدينا من الكتاب جملة نسخ بطريق الشراء من مكتبتهم ، وهم
الآن يبذلونه بيعاً لمن يريدونه من جماعتهم ومن غيرهم . وقد طبعوا الكتاب

طبعتين ، فطبعوه الطبعة الثانية قبل أن تنفذ الطبعة الأولى ، والنسخ موجودة في المكتبة من الطبعتين . وقد اشترى بعض أصحابنا نسخا من الطبعتين وأحضرها لدى بقصد الإشارة إلى ما فيها من الأخطاء . بل لقد كلنا بعض الجماعة في ذلك فوجدناهم راضين عن هذه الرسالة وعن جميع سيئاتها ، وما عددنا عليها ، وألفيناهم يدافعون عن كل ذلك بحماسة وصلابة بلا استثناء . وما وجدنا من أحد منهم إنكاراً لشيء مما ذكرناه وأنكرناه ، بل لقد نوهوا بهذا « العهد الوثيق » وأعلنوا عنه في آخر كتاب ألفوه وطبعوه ، وهو الكتاب الذي عرف وطبع الجزء الأول منه بعد وفاة الشيخ ، صفح الله عنه . وهذا الكتاب هو كتاب « الدين الخالص » ، وقد طالمت بعض أجزائه فوجدت الحق فيه منقولا نقلا من كتب الشوكاني . . . وهذا دليل على أن القوم راضون بالكتاب وراضاهم الكتاب وما فيه . على أنهم لو كانوا ينكرونه أو ينكرون شيئا منه لوجب عليهم أن يطبعوا إنكارهم وينشروه كما طبعوا هذا المنكر ونشروه . والسكوت على الخطأ ليس مما يعذر عليه ، وليس مما يهون أمره عند الله وعند المتقين . فاذا زعم لنا زاعم أن القوم ينكرون هذه الأمور التي عددناها قلنا هذا غير صحيح والالما باعوا الكتاب ونشروه ولما قرظوه وأعلنوا عنه في أحدث كتبهم ولما وسعهم السكوت عليه . فهم يبيعونه ويقرظونه ولا ينكرونه . وهذه أمور ثلاثة يدل كل واحد منها على رضاهم بهذه الأغواط . فالواجب على الجماعة ، إذا كانوا من أهل السنة حقا ، ألا يبيعوا من الكتاب بعد اليوم نسخة واحدة ، بل عليهم أن يهبوه لألسنة النيران ، والواجب عليهم أيضا أن ينكروا ما علق في الأذهان منه وأن يتبرؤا من هذه الباطلات ، وأن يعلنوا براءتهم ليعلم ذلك من بقي في رأسه أو داره منها شيء ، أما إذا لم يفعلوا فلا شك أنهم مصرون على الكتاب ، راضون عنه ، قائلون بما فيه ، عاملون به . ولو قدر أنهم ينكرون الكتاب ثم

يديمونه لكان هذا من أكبر الآثام والخطايا .

ومن السهل عليهم أن يعترفوا بأن شيخهم لم يعرف الحق جملة واحدة ، ولم يجد الحقيقة منذ خلق . ومن غير العسير عليهم أن يتحدثوا بأن الشيخ راجع عن هذا الكتاب ، راجع عما فيه ، لأنه قد ألفه في أول حياته العلمية ، قبل أن تهبط عليه الحقيقة ، وقبل أن يخصه الله بمعرفة السنة ، وإحيائها وتجديدها . وليس من العار في شيء أن يكون المرء تائها عن الحق في أول حياته ، ولكن العار والسببة والبلاء في أن يصر المرء على الباطل في كل حياته ، ثم يلقي ربه مصرا على باطله ، ثم يورث هذا الباطل قوما يمسكون به ويمضون عليه بالنواجذ ، ويورثونه هم أولادهم وأحفادهم والآتين بعدهم ، وهكذا دواليك : هذا هو العار والسببة والبلاء ، وهذا مالا يرضاه المسلم الناصح لنفسه .

وقد ترامت إلينا الأنباء بأن خليفة المؤلف وابنه الشيخ أميناً منير الذهن الأمل في مستقبل التفكير ، هيوم بالحق ، محب للسنة ، لا يرضى الاصرار على الباطل ، الشيخ أمين وإن خلفه الأكارب الأوائل ، ولا رد الحق وإن كان قبوله مرا شاقا ، كما تراهي إلينا من أنبائه أنه بصير بالسنة وبالإسلام : هذا ما تراهي إلينا من أخبار الشيخ أمين خليفة مؤلف هذه الرسالة ورئيس الجماعة اليوم . ونحن نرجو أن يكون هذا كله صحيحا ، ونرجو أن يكون لدى الشيخ من الخير والفضل أكثر من ذلك ولكننا نرجو أن يكون صارما قويا في توجيه الجماعة وتهديتها وتظهيرها من أشياء يعلمها الخليفة عنهم حق العلم وتؤله كثيرا ، وبود ألا يراها لا في جماعته ولا في غيرهم . ومن أول ما يجب عليه مصادرة هذه الرسالة وجمع نسخها لإبادتها وتحريقها فإن الله ورسوله أحب إلى المؤمن من والده وشيخه ومن الناس أجمعين . ونحن نعلم كما يعلم غيرنا وكما يعلم الشيخ نفسه أن هؤلاء الجماعة ، على دعواهم الاستمسك بالسنة ، وعلى تمسكهم الشديد ببعض مظاهرها ، هنات كثيرة يتمسكون

هناك الجماعة بها أشد الاستمسك ، و يبالفون فيها مبالغة لا يرضاها الدين ولا العقل ولا الذوق ، وقد وجدناهم يتحامون الصلاة في المساجد العامة حتى صلاة الجمعة ولو اقتضى ذلك الفرد منهم أن يدع صلاة الجمعة ، ووجدنا الكثيرين منهم لا يلقون السلام على المسلم ، من يعرفون ومن لا يعرفون : حتى على أقاربهم ، ممن لا يوافقونهم على زيهم ، بل وجدنا أناساً منهم لا يردون السلام على من سلم عليهم ممن لم يتزبوا بزيهم . وقد بلغنا أن جماعات منهم ذهبوا إلى الحجاز ، شرفه الله ، فكانوا لا يصلون في المسجد الحرام مع جماعات المسلمين ، وكانوا يصلون وحدهم لأسباب سخيفة كالإختلاف في الزي . وقد خاطبت أحدهم ، ولكنه من العامة ، وأكثرت القوم عوام ، في هذه المسألة فأسمعتني ما يصدق هذا عنهم . وإذا صح عنهم هذا ، والغالب أنه صحيح ، فالويل لهم . والقوم يبالفون في شأن العذبة مبالغة شديدة وقد أخرجتها هذه المبالغة عن أن تكون سنة لو كانت سنة ، ويوجد بين أيديهم كتاب مطبوع من كتب شيخهم فيه عبارة عن هذه العذبة فظيعة . وقد كلمنا فريقاً منهم في هذه العبارة فوجدناهم يدافعون عنها إلا أن بعضهم يلجأ إلى تأويلها تأويلاً بعيداً يباه الظاهر ، ولا ندري ما الذي اضطربهم إلى القول بهذه الأقوال التي يعترفون بأنها مؤولة ، وبأن ظاهرها باطل ، والمسلم والعقل لا يقولان أقوالاً تضطرهما إلى التأويل والتمحل المحال .

ومن البلاء المعروف عنهم أنهم يبالفون في حل العداوة والشئان لمن خالفهم في مسائلهم الصورية ، ويرون أن المؤمن القوى الإيمان ، الصادق العقيدة ، الناصر للسنة ، هو الشديد في عداة الناس المتلقى لهم بالجفاء والغلظة والفظاظة والمعاملة الغنيمة القاسية . ولذلك فإن الرجل منهم يكون وديعاً سليم القلب واللسان عف المحضر والمغيب ، موطاً لا كناف ، سهل الخلاق ، فيقدر له أن ينضم إليهم ، وأن يصبح فرداً منهم فيصير حينئذ شيئاً آخر ، وتقبل خلائقه ، وتصير

عداوتهم للناس

إلى الفظاظة والشراسة والجفاء . فكأنهم يرون الدين ، وقد سبوه بذلك ،
 يقتضيهـم أن يثثروا العداوة فى الأرض بين الناس ، وأن يصير الأخ حربا
 لأخيه وأبيه وذويه وأهليه وإلا لم يكن مسلما ولا سنيا . وهذا جهل بالدين
 وبالسنه ، فان أديان الله جميعا إنما جاءت لإلقاء السلام العام بين جميع الناس
 وكنل الشعوب ، ومن أبلغ وأعظم دعوة دين الله للسلام العام قول الله « وإن
 جنحوا للسلم فاجنح لها » وقوله « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا
 تقبوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين » وقوله « يا أيها الناس إنا خلقناكم
 من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وقوله « لا ينهاكم الله عن الذين
 لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب
 المقسطين » وقال فى الأبوين الكافرين الداعيين إلى الكفر بالله يوصى بهما
 ابنهما « وصاحبهما فى الدنيا معروفا » إلى غير ذلك من الآيات الداعية إلى
 السلام العام ، وإلى الآداب العامة الفاضلة ، وإلى البر بجميع الخلق . ولهذا
 الغرض سمى الدين الحمى « بالاسلام » . وقد كان النبى عليه السلام أودع الناس
 وأسلمهم وأطيبهم خلقا ومعاملة للصديق والعدو والمسلم وغير المسلم ، حتى لقد كان
 يعود غلمان اليهود الكافرين به وبربه ودينه وكتابه إذا مامرضوا ، وكان يتلقى
 شر الناس خلقا وطبعا ودينا بالبشاشة واللين والرفق ، ويقول : « إن الرفق لا يدخل
 شيئا إلا زانه ، وإن العنف لا يدخل شيئا إلا شانه » ويقول « شر الناس من
 تركه الناس اتقاء شره » وقد حدث الله عن هذه الصفات الحميدية الفنة فى
 كتابه فقال « وإنك لملى خلق عظيم » وقال « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو
 كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وقد كان اليهود ، وهم شر الناس
 فى كل عصر ، يأتونه عليه السلام ويقولون : السام عليك يا محمد - والسام هو
 الموت - فلا يزيد على أن يقول « وعليك » وقد أنكر عليه السلام على عائشة

من الأئمة
 الحمى

إذ سبت اليهودى الذى قال للنبي عليه السلام ذلك . وبماذا تظن أن يلاقى جماعة هذا الشيخ إنسانا تائقى شيعتهم بالاعتراض والنقد الهين فضلا عن سبه والدعاء عليه بالموت ؟ وقد كان عليه السلام أشد حياء من المنذراء فى يخطرها كما جاء فى وصفه الصحيح . ومن كان أشد حياء من المنذراء العربية لا يمكن أن يقابل أحدا من الواقفين والمخالفين إلا بأفضل الأخلاق وأسهل الطباع .

فرسول الله ، وكذا سائر رسله ، لم يكن فظا ولا فاحشا ولا بذيئا ، بل كانت معاملته كلها للناس كلهم ، حتى المشركين منهم ، وحتى اليهود ، أخبت الأمم ، المثل الأعلى الكامل فى الرفق واللين والحياء والأدب والتسامح . . فعلى هؤلاء إذا كانوا من أهل السنة ، أن يقبضوا من هذه الاخلاق الحميدة المرضية، وعليهم أن يدعوا الفظاظة والشراسة والجفوة التى نراها متحكمة طاغية على أخلاق الكثيرين منهم، حتى لقد فرقوا بين الاخوة وبين الأبناء والآباء ، لا شئ إلا شئ لا وزن له فى معيار الدين والصلاح ، حتى لقد بعثوها على الجيران عداوة . نكراء لا يرضاها امرؤ عرف الله وأنبياءه وما جاءوا به من الآداب والسلام والرفق . حتى لقد عرف « السنن » : وهذا لقبهم بين الجمهور ، قرين الشدة والعنف وحدة . الطبع ، وهذا من أعظم ما ينكر عليهم بل هذا من أعظم ما يرغب الناس ويصرفهم عما معهم من السنة والدين . ونعوذ بالله من أن نكون فتنة لأحد .

هذه كلمات وضعناها عَرَضاً فى هذا الكتاب ، حملنا عليها الرغبة فى إصلاح هؤلاء الناس ، وإصلاح خلافتهم وطباعهم وعقائدهم مما لا يرضاه الله ولا دينه ، وأملنا فى رئيس الجماعة الشيخ أمين خطاب عظيم . والهالك من هلك بالحق . ومع هذا الذى ذكرناه لا ننكر أن فى كثير من هؤلاء الجماعة خيرا ودينا . .

الرجوع إلى وبعد هذا نرجع إلى أصل بحثنا وهو بحث الشفاعة وطلبها من الأموات وإيراد بحث الشفاعة الدلائل على امتناع ذلك . فنقول : إن اعتقاد المستشفعين بالموتى أنهم يعلمون

الغيب ، ولزوم هذا الاعتقاد لطلب الشفاعة منهم هو البرهان الأول على أن الاستشفاع بهم لا يجوز ولا يقره الاسلام ولا أهله .

ثانياً : ، أى ثانياً الدلائل على بطلان الاستشفاع بالموتى ، أنهم قد أفضوا إلى البرهان الثانى عالم آخر مجهول الكنه والحقيقة ، متقطع الأسباب والصلات ، بعيد المكان والمكانة عن عالمنا هذا : فهم غرباء بعداء عنا ، مجهولو المكانة والمكان ، ليس بيننا وبينهم من الصلات والأسباب إلا الايمان بالغيب وبما ذكره الله فى وحيه ورسالاته على السنة رسله وأنبيائه . فهم لن يسموا دعاء من دعاهم ولا استشفاع من استشفع بهم ، بل لن يعلموا من حاله شيئاً : لا رغبته فيهم ولا انقطاعه إليهم ، ولا استشفاعه بهم ، لبعده ما بينه وما بينهم ، ثم لو علموا من ذلك شيئاً لما فعلوا شيئاً .

و بيان ذلك أنه لاخلاف بين المؤمنين بالجزاء والثواب والمقاب والحساب ، استحالة سما المؤمنين باستقلال الأرواح وانفصالها عن الأشباح ، المؤمنين بعذاب القبر الأموات ونعيمه : لاخلاف بين هؤلاء جميعاً فى أن أرواح الموتى إما فى عالم النعيم والراحة والسعادة ، كلجنة ومأحولها ، إن كانت أرواحاً صالحة مؤمنة طيبة ، وإما فى عالم الشقاء والعذاب والهوان ، كلجيم ومأحوله ، إن كانت أرواحاً كافرة فاسقة خبيثة : فأرواح الموتى إما فى أعلى عليين وهى أرواح المؤمنين الطيبين ، وإما فى أسفل سافلين ، وهى أرواح الكافرين والأشقياء الظالمين : فلاشك أن عالمي النعيم والجحيم منفصلان عن عالمنا هذا مبانان له . وإذا كان هذا كله صحيحاً ، وهو صحيح بلا ريب ، فكيف يمكن هؤلاء أن يسموا دعوة من دعاهم واستشفاع من استشفع بهم من أهل هذه الدنيا وسكانها وسكان عالم الأرض ؟ بل كيف يمكن أن يعلموا من أحواله وشؤونه شيئاً إلا شيئاً نص عليه الشرع لحكمة أرادها الله ؟ فكيف لا يكون من أجهل الخلق وأغباهم وأضلهم من أمل هؤلاء فانقطع إليهم

ورجاء أن يسمعه وأن ينفعوه ؟ وهم لو كانوا أحياء كملى الحواس فى هذه الدنيا فدعاهم داع من مكان قصى بعيد ، كأن يكون هو فى قطر وهم فى آخر ، من غير أن تكون هنالك آلات تنقل الأصوات وتلاشى الأبعاد والمسافات ، لكان ذلك الداعى إما جاهلاً ضالاً معتقداً فيهم علم الغيب والاحاطة التامة بالغائبات ، وإما مجنوناً يهذى . ولن يدعو عقل ، دعوة حقيقية ، إنساناً بعيداً عنه غائباً : هذا وهم أحياء بعيدون غائبون فكيف بهم وهم أموات قصيون غائبون نازلون فى أقصى منزل وأمنح دار ؟ لاشك أنهم إذن لن يسموا أصوات هؤلاء المستشفين بهم المندوعين الضالين ، ولن يملوا من أحوالهم شيئاً ، بل لاشك أنهم عندهم فى عزلة تامة وغفلة تامة . ولو أن قوماً توجهوا إلى سكان السموات وإلى سكان القمر والمريخ والأفلاك العلوية ، إن كان فيها مكان ، يدعونهم ويستشفون بهم ، ظانين أنهم يسمعون ويشفون ، لكانوا مثل هؤلاء المستشفين بالأموات ، إن لم يكن هؤلاء شراً منهم مكاناً وأبلد أذهاناً . ولا ريب أن من طلب الشفاعة والدعاء من حى سوى يسكن المريخ أو القمر أو السموات العلى ضال جاهل بعيد عن حدود الدين وحدود المعقولات ، ولا ريب أن من طلب ذلك من الأموات سكان الجنة أو النار ، ليس أقل غباءً وجهلاً وضلالاً من ذلك الذى يستشف بأهل السماء وأهل الأجرام العلوية . وقد جبلت النفوس كلها على معرفة هذه الحقيقة الواضحة ، وهى أن دعاء البعيد القصى الغائب جهالةً وغباوةً وضلالة . ولهذا فالتنا لآنجد الناس ، مهما كرهوا فى مناهل الجهل وارتووا منها ، يحاولون سؤال الأبعدين الغائبين عنهم شفاعة ولاغيرها ، ولا يحاولون خطابهم والاتصال بهم ، وإن أسرفوا فى إعظامهم وإعظام شأنهم ، وإن زعموا لهم من الكرامات المفتريات والسلطان الإلهى الذى لا يبارى ولا يجارى . وإنما يقعون فى دعاء الأموات والاستشفاع بهم ، مهما بعدوا وغابوا ، ومهما بعدت عنهم أضرحتهم وقبورهم . وهذا

دعاء أهل
السماء

الغائب لا يدعى

راجع ، والله أعلم ، إلى أنهم يرون الموتى موجودين في كل مكان ، حاضرين مع كل شخص ، داعٍ لهم ، أو أنهم يلمون جميع المغييبات ، ولهذا يدعونهم من كل مكان بكل لسان ولا يدعونهم أحياء إلا حاضرين قريين إلا في النادر الشاذ .

وقد أنبا كتاب الله في غير ما آية بانقطاع صلات الأموات بالأحياء وبأن الآيات في أن الأموات لا يعلمون ولا يسمعون دعوة من دعاهم ولا استشفاع من استشفع بهم ولا انقطاع من انقطع إليهم . وقد نعى الله على المشركين والجاهلين تعلقهم بالموتى ورجاءهم نفعهم وضرهم ، واستشفاعهم بهم ، وقد نوع هذا النعى وهذا التحجيل وتلك الزرارية بهم . وهذا كله واضح في آى الكتاب ، قال تعالى : « والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ، والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيا ن يعثون » وقال : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم » . والآية نص ظاهر في أن من كان المشركون يدعونهم لا يسمعون دعوتهم ، والمشركون كانوا يدعون الأنبياء والصالحين من الأموات ، ويدعون الملائكة والجان ، والآية نص جلي في أن هؤلاء المدعوين جميعا لا يسمعون دعاء من دعاهم ولا استشفاع من استشفع بهم . وقال من سورة الأحقاف : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » . وهذه الآية ، ولا شك ، نعى على قوم كانوا يدعون عبادة الله مقرين لديه قد رحلوا عن هذا العالم رحلتهم الطويلة ، واجتازوا حدوده كلها : فهم غافلون عن الدنيا وأهل الدنيا ، غافلون عن دعوهم وتعلقوا بهم ورجوا شفاعتهم أو وساطتهم : غافلون عن كل ذلك مشغولون عنه بمآلهم الذى هم فيه . ولهذا فانهم يوم القيامة ، يوم الثواب والعقاب والحساب ، يوم الثنائين ، يكفرون

بعبادة ، عابديهم ويتشكرون لهم وينكرونهم وينكرون عبادتهم لإلهم ويتبرؤن
أيضاً منهم ، لأنهم عباد الله المخلصون ، لا يرضون إلا ما يرضى ولا يريدون إلا
ما يريد ولا يحبون إلا ما يحب . . . فالآية برهان على أن الأموات لا يسمعون دعاء
الداعين لهم ، وعلى أنهم غافلون عن كل ما هنالك

وقال تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فدعوهم
فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين : ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيد يبطشون
بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ؟؟ قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدون ، فلا تنظرون » . فالذين كلن المشركون يدعونهم من دون الله عباد بشر
مثل دعائهم المشركين ، لا يستجيبون لمن طلب منهم الشفاعة ولا غير الشفاعة ،
لأنهم غير قادرين ، لأنهم فقدوا آلات القدرة والعمل : فلا أيد يبطشون بها ،
ولا أرجل يمشون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها من دعاهم
وعاذهم وسألهم الشفاعة من أهل الدنيا وسكان عالم الأرض . وإذا كانوا
لا يسمعون دعائهم ولا يرونهم ، كما لا يحملون بأيديهم ولا يمشون بأرجلهم ، فكيف
يمكن أن تطلب منهم الشفاعة ؟ وكيف يستشفع بهم العاقل البصير ؟؟ فالآية
برهان قاطع على أن الأموات لا يسمعون الاستشفاع بهم ولا الدعاء لهم ، وعلى
أنهم لا يصنعون لأهل الدنيا شيئاً

وقال تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » وقال : « وما أنت بمسمع من في
القبور » . وهاتان الآيتان ، على ما يقال فيهما من التأويل والتفسير ، برهاتان
بينان على أن الأموات وأصحاب القبور لا يستطيعون أن يسمعوا دعاء من دعاهم
ولا استشفاع المستشفع بهم من أهل الدنيا : فهما يدعهم الداعي ، ويستشفع بهم
المستشفع فهم عن دعائهم واستشفاعه وحاله في صمم وغفلة وعزلة « ومن أضل ممن
يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ »

والآيات الدالات على أن الموتى لا يسمعون ولا يعلمون دعاء أهل الدنيا .
وانقطاعهم إليهم كثيرة معلومة ، وسوف يأتي ، إن شاء الله ، لهذا الذي ذكرناه
حزيرد . وإذا كانوا لا يسمعون هتاف المستشفين ولا ضراعاتهم فكيف يجوز
الاستشفاع بهم ، وكيف لا يكون طالب الشفاعة منهم أغبياء وأجهل الجاهلاء .

ثالثا : قد ذكر الله في جملة القرآن إنكار شفاعات المشركين ، ونهى عليهم
أنواع استشفاعتهم : فنفي شفاعاتهم جملة ، ونهى عليهم استشفاعهم أيضاً جملة ،
وأخبر أن من جملة ضلال القوم وفساد عقولهم وعقائدهم ، ومن جملة شركهم بالله
واستحقاقهم النعمة والمقت ، اتخاذهم الشفعاء إليه وطلبهم الشفاعة من معبوديهم
وتأويلهم أن يشفعوا لهم وأن ينفعوهم ، وأن يقربوهم إلى مولاهم الحق بشفاعتهم
ووساطتهم ، ثم دعاهم جميعاً إلى أن يدعوا ذلك كله وإلا فالويل لهم . هذا كله
جاء به القرآن وبيّنه في الآيات الكثيرة الظاهرة ، قال تعالى : « أم اتخذوا
من دون الله شفعاء ؟ قل أولو كانوا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ قل لله الشفاعة
جميعاً ، له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون . وإذا ذكر الله وحده اثباتت
قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون »
غنى هذه الآية البليغة أنكر الله على الذين اتخذوا إليه تعالى شفعاء ، ورد عليهم
هذه الشفاعة وهؤلاء الشفعاء ردوداً مختلفة بالغة : فهم أولاً لا يملكون شيئاً
لا الشفاعة ولا غيرها من ملك الله أو في ملكه ، وهم ثانياً لا يعقلون ولا يعلمون
لأنهم قد ماتوا وأفضوا إلى عالم الخلود والنعيم المنفصل عن عالم الدنيا وعالم
المستشفين ، وهم ثالثاً لا يملكون من أمر الشفاعة شيئاً لأنها لله جميعاً ، يقسمها
على وفق حكمته وإرادته وعلمه ورحمته . وهم رابعاً لا يملكون في هذا العالم شيئاً
لا فقيراً ولا قطميراً ولا مادون ذلك ، لأن الله وحده ملك السموات والأرضين
وملك كل شيء ، وهم خامساً لا ينفعون ولا يضررون ، ولا يقدمون ولا يؤخرون ،

البرهان
الثالث

الآيات في
إنكار
الشفاعة

لأن مرجع ذلك ومصيره إليه تعالى وحده . وقد ختم هذه الردود القوية البالغة المتنوعة بالانبياء عما جبلت عليه النفوس المشركة المعددة من انكار التوحيد والافراد والاعتزاز من ذلك والنفور عنه ، ومن الرضا والولوع بالشرك والتعديس في الأرباب والمعبودات ، فقال في الآية : « وإذا ذكر الله وحده اشأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » : فاذا قيل لهم : الله وحده كافٍ عبده وكافٍ جميع عباد ، فلا يرجع إلا إليه ، ولا يرغب إلا فيه ، ولا يؤمل سواه ، ولا يدعى إلا هو : الله وحده وكفى « أليس الله بكافٍ عبده » : إذا قيل لهم هذا أنكروا وأجفلوا وورمت أنوفهم ، واشأزت نفوسهم ، لأنهم قد طبعوا على حب غيره تعالى ، وعلى العبودية للمخلوق العاجز وعلى الرغبة فيه . أما إذا ذكر لهم أولئك الذين أشربت قلوبهم ونفوسهم جهنم ورجاءهم وخوفهم وتأميلهم من المخلوقين العاجزين الضعفاء ، فقيل في تقر يظهم وامتداحهم : « تلك الفرائق العلى ، وإن شفاعتكم لترجيى » ، تلك الأنبياء والأولياء ، إن لهم الشفاعات والمعجزات والكرامات والوسائل الصارة النافعة ، المقدمة المؤخرة ، وإن لهم ما يشاؤون من الشفاعات والكرامات والمعجزات التي ادخروها لمن دعواهم ولاذوابهم ووقفوا بأبوابهم وأعتابهم ورجعوا إليهم : أما إذا قيل لهم ذلك فأنهم يفرحون ويطربون ويستخفهم الفرح والطرب حتى يطيروا بأجنحة السرور والحبور في جواء الخيال ومحوات الغبطة والرضا . . . وهذا إنباء عظيم عن جميع النفوس الدائنة لغير الله ربها ، الخاضعة للمخلوق ولعبيد الأرقاء الأذلاء ، فان هذا هو دينها ودأبها في كل عصر ومصر : لا تختلف ولا تتغير . والله المستعان . والآية من أبلغ الردود على متخذي الشفاء كما هو ظاهر من ألفاظها ومراميها

وقال تعالى : « الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة

أيام ثم استوى على المرش ، مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ، أفلا تتذكرون »
 وقال : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى
 ولا شفيع ، لعلمهم يتقون » وفى هاتين الآيتين الكريمتين نفى الله الأولياء والشفعاء
 نفياً عاماً بأنهم لا استثناء فيه ولا تخصيص ، وحدث فيهما تحديداً واضحاً لا خفاء فيه
 ولا لبس بأنه ليس لهم من دون الله ربهم ولى ينفعهم أو يضرهم أو يقدم لهم
 خيراً ، ولا شفيع يشفع لهم فيدفع عنهم بشفاعته ضراً أو مكروهاً أو بلاء . فليس
 بينهم وبينه تعالى سوى عدله ورحمته وقضائه المحتوم . . . فاعمالهم هى شفاعتهم ،
 ثم على عدله ورحمته يكون الجزاء والثواب ، ولا يحسب حاسب أن قوله : « مالكم
 من دونه من ولى ولا شفيع » وقوله « ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع » يدل على
 انكار ذلك إذا كان من دون الله ، أما إذا كان إليه ولديه فلا انكار ولا نكران :
 لا يحسب هذا الخاطر حاسب ، وذلك أن كلمة « من دونه » أو « من دون الله »
 يراد بها غيره تعالى . وهذا أسلوب القرآن معروف كقوله « ولا تدع من دون
 الله مالا ينفعك ولا يضرك » وقوله : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من
 لا يستجيب له إلى يوم القيامة » ، وقوله : « قل أئندعو من دون الله مالا ينفعنا
 ولا يضرنا ونزد على أعقابنا » وقوله : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون
 من دونه الباطل » وقوله : « وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقوله :
 « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كياسة
 كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو بباله » ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » ،
 وقوله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله » إلى غير ذلك من الآيات المعلومة الكثيرة . فان المراد هنا
 بـ « دونه » و « دون الله » غيره وغير الله بلا ريب ، فقوله : « مالكم من
 دونه من ولى ولا شفيع » معناه مالكم غيره تعالى ولى وشفيع . وقد علم عن

سؤال وجوابه

المشركين أنهم كانوا يتخذون الشفعاء ليشفعوا لهم عند الله كما قال تعالى :
« ويعبدون من دون الله » الآية المتقدمة وكما ذكر في آية التقريب إليه تعالى زلنى
وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون » وقال : « واتقوا يوماً
لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم
لا يجدى عند ينصرون » . وفى هاتين الآيتين أيضاً نفى الله تعالى الشفاعة نفياً عاماً تاماً .
الله سوى الأعمال
ونفى أن تنفع نفساً من النفوس شفاعة من الشفاعات فى ذلك اليوم الذى هو يوم
القيامة ويوم الفصل ، يوم الدين ، يوم الثواب والعقاب بعد الحساب والبلاء ، كما
نفى الخلة أيضاً ، وهى الصداقة والمحبة ، وفى سورة إبراهيم « من قبل أن يأتى يوم
لا بيع فيه ولا خلال » و « خلال » جمع خلة وهى الصداقة والولاية كما ذكرنا .
والمراد أنه لا تنفع فى ذلك اليوم شفاعات ولا صداقات ولا محالات ولا شئ من
هذا النوع المهمود نفعه عند أهل الدنيا الظالمين وعند حكامهم وقضاةهم
وحكوماتهم . بل يذهب كل شئ من هذا ويتلاشى وينتظير أمام حكم أحكم
الحاكمين ، وعدل أعدل المادلين ، وعلم أعلم العالمين . . . فلا ينفع أو يبقى ثم
إلا الأعمال الصالحة والطاعات البارة . أما ما سوى ذلك من أنواع الرجاءات
والوساطات فلا يجدى لدى القاضى العادل والحكم المنصف ، بل لا يمكن التقدم
إليه بشئ منه وإلا كان قدساً وطنناً فى حكمه وعدله وقضائه . أما الشفاعة
الصحيحة الثابتة فلا يعترض بها على هذا الذى ذكرناه لما سوف نذكره من
الجواب والبيان من بعد .

وهذه الآيات تشبه قوله تعالى فى سورة « المؤمنون » فاذا نفخ فى الصور
فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ،
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون »

وقال تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون » وقال : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون » فأبطل تعالى في هاتين الآيتين زعم المشركين أن لهم شفعاء يشفعون لهم ، وأنهم إذ يستشفعون بهم ينفعونهم بشفاعتهم ووساطتهم وقر بهم من الله أبلغ إبطال ، ففي الآية الأولى صور حالهم وما سيكونون عليه إذ قدموا على الله مولاهم الحق بأمثال الجبال من الذنوب والآثام والخطايا ومعهم أعظم منها من الآمال بالشفعاء والوسطاء الذين حسبوا أنهم سيدفعون عنهم كل ما يخافون ، وسيشفعون لهم في غفران جميع ذنوبهم وآثامهم وماركبوهم في حياتهم من المخالفات والمعاصي : قدموا على الله مولاهم الحق بهذه الأعمال والآمال ، وكانوا أخرج ما يكونون إلى الشفاعة والوساطة ، ففوجئوا بأن نظروا حولهم فما وجدوا غير أنفسهم وغير آثامهم ، وقد أتوا بهم ، كما خلقهم فرادى مجردين من كل سلطان وسلطة ، ومن كل شفيع ووسيط ، وتلفنوا فلم يبصروا حمياً أو نصيراً ، وتسمعوا فلم يسمعوا غير الحق بناديتهم « وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » ولكم شفعاء ووسطاء ، لقد كذب ما كنتم ترجون وتظنون ، فضلت عنكم الشفعاء المأمولون ، بل لقد أنكرتكم وطردتكم وتبرأوا منكم فتقطعت بكم الأسباب ، وخانتكم الآمال ، وتلاشى ما كنتم تزعمون بينكم وبينهم من المناصرة والمعاونة في تلك الساعات الرهيبة العصيبة ، وأخطأ ما كنتم تتخيلون . فكانت مفاجأة هي أروع المفاجآت ، ومقاماً هو أخذل المنامات .

فأين الشفعاء منكم في هذه الآونة ؟ وما الشفعاء إذا لم يمدوا أيدي النصرة والمداونة والاقاذا في آونة الحرج والضيق ، وأى شفعاء هؤلاء الذين لا يراهم الله ؟؟

آمال المشرك
الخائبة

كلا ، لاشفعاء ولا نصراء ولا شئ غير الله وغير عدله وقضائه وحكمته ، وغير عمل المرء وما قدمت يده من صالح وطالح . ذلك هو ما يبقى وما يرى في ساعات القضاء . وفي يوم الفصل وكل ماسواه زور وغرور ، والله العليم بمصائر الأمور .

وفي الآية الثانية أبعّل أيضا شفعاءهم أبلغ إبطال فقال : إن هؤلاء الضلال المشركين قد عمدوا إلى عبادة من لا يضرهم ولا ينفعهم ، فرجواهم وخافوهم ، وضعوا وانقطعوا إليهم ، وبسطوا لهم أكف الرجاء والدعاء والأمل الخائب الكاذب قائلين : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، لمكانتهم منه ، وكانتنا منهم برجائنا إليهم وانقطعنا إليهم واتساع آمالنا فيهم . فهم النصراء لنا يوم يعز النصير ، وهم الشفعاء المشفعون فينا يوم يطلب الشفيع ، وإنهم الآخذون بأيدينا ، المقتحمون بنا العقبات الكأداء ، المجيزونا كل سبيل عسراء ... وذلك لقوة أسبابنا بهم ، وقوة أسبابهم هم بالله الذي إليه يرجع كل شئ . . . هذا هو ظنهم وزعمهم . فأكذب الله هذا الظن وذاك الزعم أعظم إكذاب وأوضحه بأن قال لهم أين هؤلاء الشفعاء الذين تزعمون وتؤمنون ؟ أروني إياهم فاني لأرى منهم أحدا ولا أسمع لهم ركزا ، أين يقعون أفى السماء أم فى الأرض ؟ كلا لأراهم ولا أعلمهم لافى السموات ولا فى الأرضين ، أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون يزعمون ويدعون اكلا إنه لاشفيع لكم ولا شئ ينقذك غير أعمالكم ، إذ لو كان لكم شفعاء حقا ، كما تزعمون ، لعلمهم الله فى الأرض أو فى السماء لأن الله لا يخفى عليه شئ فى ماله .

ظن المشرك
الكاذب

هذه ضروب بالغة قوية من إنكار القرآن الشام لشفعاء المشركين وشفعاءهم وضروب بالغة قوية من تنديد القرآن بمن اتخذوا إلى الله شفعاء ، ومن نعيه على من أملاوا الشفاعات ورجوا خلاصهم بها و بالشافعين . وقد أجمل القرآن ، كما يرى إنكار ذلك ونهي عنه ونعيه على من عملوا له ورغبوا فيه ، فما استثنى نوعا من

أنواع ، ولا أخرج قسما من أقسام ، ولا شفاعا من شفاعات ، بل عمد إلى النهى العام التام ، وإلى الإبطال الشامل الكامل . .

هذا مادل عليه القرآن وماذهب اليه مع أننا لانشك ولا يشك العارفون بالبصراء بأن طوائف من المشركين كانوا يستشفعون بالأنبياء والصالحين ، وكانوا يرغبون في شفاعتهم ، وكانوا يطلبونهم ذلك كما يفعل هذا طوائف من المنقطعين إلى الأموات وإلى قبورهم اللاهجين بشفاعتهم . . . فلا يرتاب عليهم في أن أقواما من المشركين الذين أنكر الله استشفاعهم وشفاعتهم كانوا يطلبون الشفاعا من عباد الله الصالحين كالأنبياء والمرسايين ، كما يطلبها اليوم جماعات الضارعين إلى القبور : هذا مالا يسمو إليه الريب ، ومعه أنكر الله في آيات واضحة بينة على المشركين ، وعلى العرب ، أنواع شفاعاتهم وضروب استشفاعاتهم وأقام عليهم الحرب الشعواء إذ استمسكوا بذلك وأبوا أن يدعوه ، وكان هذا دالا بجملمته وتفصيله على بطلان الاستشفاع بالموتى والرغبة فيهم رجاء شفاعتهم ووساطتهم .

ويمكن سياق هذه الحجة بعبارة أخرى كأن يقال مثلا : لا ريب أن هذه دلالة الآيات الآيات تحرم نوعاً من أنواع الاستشفاعات ؛ وتنسكون نوعاً من أنواع الشفاء تحريماً على ما ذكرنا وإنكاراً صار به صريحين ، ولا ريب أن هذين النوعين : المحرم والمنكر لا بد أن يتحققا في الخارج ، ولا بد أن يكونا موجودين في طوائف المشركين والضلال حين نزول القرآن وشرائع الاسلام . وحيلت نقول لا يمكن أن يكون هذا الاستشفاع المحرم ، وهؤلاء الشفاء المنكرون هو الاستشفاع بالأحياء القادرين على الشفاعا ، وهم الشفاء القادرين على أن يشفعوا ، لأن ذلك ليس محرماً في الاسلام ولا في غيره من الأديان ، فلا خلاف بين أهل الأديان كلها في جواز هذا النوع من العبادة والوساطة . ولا يمكن أيضاً أن يقال : إن هذا الاستشفاع المحرم هو الاستشفاع بالجماد المجرد من الأحجار والأشجار ، وذلك لما قدمنا من أنه من

الباطل المحال أن يفزع المشركون إلى جمادات وأحجار وأشجار مجردة من المعاني الروحية ، والانتسابات الخاصة إلى العباد الروحانيين من الأنبياء والأولياء ، لتشفع لهم ولتقر بهم إلى الله زلفى وقربى . ولا يمكن أن يؤمل المشركون في الجداد شفاعته ولا خيرا ولا قربا ولا تقريبا إلى الله . فان بطلان هذا لا يخفى على أحد ولا يختلف الناس في امتناعه ، لا المشركون ولا غيرهم . وإنما كان فزع المشركين واستشفاعهم بالعباد الصالحين الممتازين طمعا ورغبا في تقريرهم وهم إذا رجعوا إلى جداد من شجر وحجر ووقفوا حوله مستشفعين وداعين كانوا ، بلاريب ، يقصدون من وراء ذلك أولئك الأنبياء والأولياء الذين زعم لهم الانتساب إلى ذلك الجداد المقصود ، كما يفعل أرباب القبور الضلال من المسلمين لدى عمود البدوى في جامع الحسين ، وباب المنولى في القاهرة ، وغيرهما ، وكمقامات الأربعينات الذين زعم لكل واحد منهم أربعون جسما ، وزعم لكل جسم من هذه الأجسام الأربعين ضريح خاص به ، تطلب الشفاعات ، وتنثر الشكايات والدعوات لديه ، وكما يفعل هؤلاء الضلال لدى سائر المقامات والبنيات المشيدة التي قد تكون مزورة مكنوبة . فان هؤلاء لم يروا ذلك الولي ولا ذاك الشيخ المزعومين ولم يجدوا أثرا من آثارهما ولا علما من أعلام وجودهما ولايتهما وكرامتهما وشفاعتهما ، وإنما رأوا الزخارف القائمة من القباب والسرج والتمارق والشبابيك المنهبة المزخرفة المنفضة ، فخالوا وتخيّلوا ، وظنّوا فضلوا ، وحسبوا تحت القبة شيئا ولدى الشيخ ضرا ونفعا وتقدّما وتأخيرا وشفاعة ووساطة . وقد تكون الحقيقة الصحيحة الصاعدة ألا شيخ ولا إنسان ولا شيء هنالك كما ذكرنا سابقا . فهذا التأويل لا يصح أن يكون تأويلا للاستشفاع المنكر المبطل في الكتاب العزيز . ولا يمكن أيضا أن يقال إن هذا الاستشفاع المنكر على المشركين هو الاستشفاع المقرون باعتقاد صاحبه بأن ذلك المستشفع به المرجو للشفاعة قديم

مع الله مساولة في القدرة والسلطان ، وذلك لأن المشركين كانوا مقرين بأن الله وحده هو خالق الخلق وخالق العالم وخالق أصنامهم وشفعائهم وما يعبدون ويدعون من دون الله . وقد قدمنا الدلائل على هذا من الكتاب ومن السنة ومن الضرورة ، ومن كلام المشركين أنفسهم .

ولا يمكن أيضا أن يحمل هذا الاستشفاع المنكر على الاستشفاع الذي يعتقده صاحبه أن من استشفع به يشفع بدون إذن الله وبدون رضاه ، بل يشفع قهرا وقسرا . لأن المشركين كما تقدم ، كانوا مقرين بخضوع أصنامهم وخضوع كل شيء لله ، لا ينازعون في هذا ولا يماحلون . ولهذا يتخذون أصنامهم شفعا لديه تعالى ، ويقولون إنها تقر بنا إلى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . ولا ريب أنه لا بد أن يكون الشافع والمشفوع له خاضعين دائنين لسلطانه وقهره ، لأنهم لو كانوا يعتقدون أن الأصنام مستقلة عن الله قادرة على منح الخير والفلاح والسعادة من دون الله ، وبدون إذنه ورضاه ، لما احتاجوا إلى جعلهم شفعا لديه سبحانه بل كان يقتضيه هذا الاعتقاد - لو كان - أن يرغبوا عن الله وأن يستغنوا بهم عنه ، فلا يقولوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ولا مانعهم إلا ليقر بونا إلى الله زلفى . لأنهم مستقلون في قدرتهم وإرادتهم وأعمالهم . فيجب على هذا أن تكون الرغبة فيهم خالصة من أن تمزج بالرغبة في غيرهم ، لا في الله ولا في غير الله . ولكن كلا ، فإن المشركين ما اتخذوا الأصنام والأوثان والمعبودات الأخرى من دون الله إلا رجاء أن تدنيهم منه تعالى وتقربهم إليه . فهذه الاحتمالات في تأويل الاستشفاع المبطل المنكر كلها احتمالات باطلة ، فلم يبق إلا أن يقال إنه هو الاستشفاع بالصالحين الذاهبين وبصورهم وتمائيلهم وأجدانهم ومخلفاتهم وآثارهم كما فعل هؤلاء الحميري من المسلمين حنو القذة بالقذة وحذو النمل بالنمل ، لا فرق ولا شك .

البرهان الرابع : - أى رابع البراهين على بطلان الاستشفاع بالموتى - أن تجويز ذلك وفعله يلزمه أنواع كثيرة من أنواع المحرمات المحظورة فى الدين وفى المقول فان الميت إذا استشفع به وقصد للشفاعة فلا بد أن يكف على قبره وأن يطاف به ، وأن يستلم ويقصد ، ويحج من كل مكان ، ومن كل فج وأفق بعيد ، وأن يزان قبره ويسرف فى زينته وبنائه ، فيسرج ويعطر ويكسى وتعلق به أنواع المعلقات النفيسة ، وتقام عليه القباب الشاحخة ، وتقدم إليه النذور والقرايين مع الضحايا والهدايا ، وتراق حوله الدماء مع الدروع ، وتشتمل على تقديسه والرهبة منه والرغبة فيه حنايا الضلوع : هذا كله يلزم جواز الاستشفاع بالميت وإتيانه لذلك ، كما يلزمه بلا شك - كما حصل ووقع وشهد أن يدعى استقلالاً ، وأن يطلب منه ما لا يستطيعه إلا الله كهداية القلوب ، وغفران الذنوب ، وشفاء المرضى وغير ذلك من المطالب العالية التى توجه بها عباد القبور إلى الموتى فى كل بلد إلا ما شاء الله .

هذا كله بلاريب يلزم جواز الاستشفاع بالميت ، والدليل على هذا التلازم الواقع والمادة والتحريات النفسية الصائبة . وهذه الأمور اللازمة كلها أمور محرمة باطلة قد نهى عنها الاسلام نهياً صريحاً صارماً كما سبقت الدلائل وكما سوف يجيىء المزيد لها . ولا شك أن الأمر الذى يقارن هذه المنكرات ويلازمها أمر منكر باطل يجب هجرانه والازورار عنه وعن أسبابه ووسائله ، لأن وسائل المنكر منكراً كالمنكر نفسه ، ولأن ماوقع فى عصيان الله وفى الجهالة والضلالة هو عصيان وجهالة وضلال يجب إطرأحه والفرار منه . وقد بالغ الدين فى تحريم وسائل الشر ، وبالغ فى النهى والتباعد عنها . وهذا معلوم لأهل العلم لا يختلفون فيه . ومن أبلغ حافى الباب وأدخله فى بحثنا هذا أن الاسلام قد نهى عن زيارة القبور فى أول عهده حينما كانت النفوس حديثة العهد بالشرك وعبادة المخلوق خيفة أن يلمع فيها

شئ من مخلفات الشرك وبقايا الكاظمة في أركانها ، وحرمة الصلاة وقت شروق الشمس ووقت غروبها ووقت استوائها ، خيفة أن يخال أن تلك الصلاة للشمس أو أن للشمس فيها نصيبا ، كما حرم البناء على القبور وإسراجها ، وجعلها أعيادا خيفة أن يجر هذا كله إلى الغلو والباطل والضلال . ومن أبلغ ذلك قطع عمر بن الخطاب شجرة الرضوان لما رأى أناسا يقصدونها ، ونهيه رضى الله عنه عن قصد الصلاة والعبادة في المواضع التي تعبد فيها النبي عليه السلام ، وقوله رضى الله عنه عند النهي عن ذلك « إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم آثار أنبيائهم » . وهذا شئ يطول شرحه .

فلاستشفاع بالموتى يجر بلا ريب إلى الانحدار في هذه الباطلات ، والباطل وسائل يجب قطعه واستئصاله من أصوله وجنوره الطريقة لثلاثين نمو ويزكو يوما ، بل ليهلك الباطل باطلة ويتلاشى . ولعلنا لا نخطئ إذا زعمنا أن أول هذه البلايا التي أصيب بها الاسلام والمسلمون من الخرافات العجيبة ، كالاستنجاد بالموتى ، وسؤالهم ما لا يقدر على مثله إلا الله ، هو الاستشفاع بالميت واقتناع الأئمة الجاهلة بأن ذلك ممكن وحسن ومفيد ومطلوب ، فان إنسانا يقف بين يدي ضريح مغلق غاية فضله ومجده أن يحوى جنة صالح من عباد الله الصالحين الميتين ، فيمد يديه إلى ذلك الضريح مستشفعا ، راغبا راغبا ، مؤملا الشفاعة والخير ، زاعما أن ذلك الساكن الراقدة في ذاك الضريح قادر على نفعه بالشفاعة ، وعلى ضرره بتركها ، وزاعما أنه يسمع استشفاعه ودعائه ، ويرى حاله وذله ورجاءه : إن إنسانا يفعل ذلك ويمتدحه لجدير بأن يضل ويهلك ، وجدير بأن تمتلئ نفسه بالجهالات والباطلات ، وأن تنفرع بجرائم الشرك في جنبات نفسه وقلبه وعقله ، وأن تنمو وتزكو فيصبح من الهالكين . ولا ريب أن إنسانا يمتدح أن ميتا من الأموات يستطيع أن يسمع شفاعته إذا استشفع به ، وأن يعلم حاله وذله إذا انقطع إليه وذل بين يديه ، وأنه يستطيع أن

يتصل بالله إذا اتصل هو به ، ليقوم له مقام الشفيـع الوسيط : أقول إن إنسانا تسول له نفسه وعقله أن يعتقد هذه العقيدة في إنسان هالك لا بد أن يعتقد فيه أكثر من ذلك وأعظم ، ولا بد أن ينساق إلى الهاوية ، وأن يتدحرج في الضلال . الاعتقادي شيئا فشيئا ، ويندلى ، أو يترقى ، حتى يقع في تأليه ذلك الهالك وعبادته الصريحة ، وحتى يهبه سلطان الله وحقه وأوصافه الحميدة الحسنى . . فان الإنسان خلق رخواً ضعيفاً ، بل ذائباً ، إزاء المؤثرات الاعتقادية ، لا يستطيع أن يقف في سبيل تيارها العنيف سليماً صحيحاً معافى ، بل لا بد أن يضعف وأن ينوبه فيتلاشى . ومن هذا الوجه نرى بطلان أن يسأل الله بجاه أحد من خلقه ، كأن يقال أسألك يا الله بجاه فلان أو بجاه فلانة . وذلك أن إدخال اسم فلان أو فلانة في دعاء الله وسؤاله مقدمة لأمر أخرى من أمور الضلال وسوء العقبي ، فان ادعى ربما أدخل في دعائه أولاً بجاه فلان ولم يزد ولم يجوز أن يزد ، ولكن ربما انتقل خطوة أخرى أوسع وأجراً ، فسأل الله بفلان وألنى بجاهه ثم لم يزد ولم يجوز أن يزد ، ولكن ربما انتقل خطوة ثالثة ، فراح يطلب من ذلك « الفلان » أن يشفع له وأن يدعو ثم لم يزد ولم يجوز أن يزد . ولكن ربما انتقل إلى الخطوة الأخيرة فارتطم في الهاوية فراح يدعو ذلك « الفلان » ويرفع اليه حاجاته ومطالبه ومآربه ملغياً اسم الله من البين ، ملغياً تلك الوساطات . فصار من المشركين . العادلين عن الخالق إلى المخلوق . ومن أضل ممن فعل ذلك .

.. وهذه سلسلة مرتبطة آخرها بأولها ، يقل أن يأخذ آخذ بالأول منها إلا وأخذ بالآخر مرغماً أو مختاراً ، والله العليم بذات الصدور وبما جبل عليه الإنسان من الضعف والجهل . فلا تستشفع بالأموال يجر إلى هذه الباطلات ، والباطل يجب أن يؤخذ من أصوله وفروعه فيرمى ، والباطل محرم بوسائله وظاياه :

وهذا يكفى الحازم البصير برهانا على بطلان هذا الاستشفاع الذى يدعو إليه الجاهلون . . .

خامساً : قد نص كتاب الله فى غير ما آية على أنه لا يشفع شافع بين يدي
الله لأحد ما إلا بأذنه ورضاه ، فلا يتقدم إليه تعالى نبي ولا ولى بشفاعته لانسان
حتى يأذن له بالشفاعة بأن يقول له اشفع لعمى فلان فقد رضيت ورضيت بأن
تشفع له ، فيتقدم الشفيع ساعته ويشفع . وشواهد هذا من القرآن ومن السنة
غنية عن إيرادها لشهرتها وكثرتها . ولهذا فان الشفاعته فى الواقع لله ، لأنه هو
الذى رضى المشفوع له وأراد رحمته بشفاعة الشافع لصلاحه وطاعته ، وهو الذى
أمر الشفيع بأن يشفع ، وهو الذى بعد ذلك قبل شفاعته وشفعه . . . فالشفاعة
كلمة الله ومن الله وإليه ترجع ، كما قال تعالى « قل لله الشفاعه جميعاً » . فمقام
الشافع لم يزد عن أن يكون مقام تكريم وعناية ، وإلا فانه لم يقدم ولم يؤخر ولم
يصنع شيئاً . فالشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند الخلق ، فان الشافع عند
المخلوقين يشفع بنصير إذن المشفوع لديه وبدون رضاه ، بل قد يرغمه على ذلك
ويرغمه على قبول الشفاعه وعلى التشفيع فيمن يكره ويمقت ، والمشفوع عنده
من المخلوقين يفعل ويترك لأجل الشفاعه والشافع ، فيترك ما يريد ويجانب
ما يهوى ويرضى إجابة للشفاعة وللشافع . ولهذا كثيراً ما يجور ويظلم من كثرت
لديهم الشفعاء والشفاعات ، ولهذا أيضاً حرمت الشفاعه فى القضاء والحكومة
والفصل بين الناس ، لأنها توقع فى الجور والظلم ، بل الشافع يطلب
ما يطلب على أنه ظلم وانتقاص لحقوق الآخرين . ولهذا فان البيئه التى تنشوف فيها
الشفاعات والرجاءات والوساطات بيئه موبوءة آثمة مجرمة غير محترمة وغير مرضى
عنها ، بل هى بيئه ملعونة ممقوتة فى الأرض وفى السماء ، لا يرضها إلا من أعطوا
ما ليس لهم بشفاعات الشافعين الظالمين ، على أن هؤلاء أنفسهم لا يرضون هذه

البرهان
الخامس

لاتنشو

الوساطة فى

بيئه صالحة

البيئة في دوائر أنفسهم . أما الشفاعة عند الحق سبحانه فليس فيها شيء من ذلك البتة ، وإنما هي تكريم وإظهار لشرف بعض خلقه ، فهي على هذا صورية لاحقيقية ، فإن حقيقتها أن الله أراد بأحد عباده خيراً فأجراه في الظاهر فقط بعد الشفاعة ومن طريقها والله هو موصل ذلك الخير لا ذلك العبد بشفاعة ولا بغير شفاعة . وقريب من هذا ، والله المثل الأعلى ، أن تريد أن تهيب إنساناً شيئاً ، لأنك تريد إيصال ذلك الموهوب إلى ذاك الإنسان الموهوب له على كل حال ، وتريد مع هذا أن تظهر كرامة بعض أصدقائك أو أقاربك عليك ، فتشير عليه ، أو تأمره ، بأن يشفع لديك بإيصال تلك الهبة المفروضة إلى ذاك الموهوب له المفروض أيضاً ، فيشفع ذاك الصديق لديك فتجربى ما أردت إجراؤه على يديه وشفاعته في الظاهر ، فتكون حينئذ قد عملت الخير الذي أردت عمله وأظهرت في عملك هذا كرامة الشفيع عليك ، وهو في الواقع لا دخل له البتة ولا فضل فيما عملت وأجريت ، والفضل لك وحدك أولاً وآخراً ، فكذلك ، والله المثل الأعلى ، يقال في شفاعة الشافعين عند الله .

إذا علم هذا قيل لهؤلاء المخالفين : إذا كان الشافع لا يشفع عند الله حتى يأمره تعالى ويأذن له ويقول له اشفع تشفع وسل تعط ، وكان الشافع لا يمكن أن يتأخر عن الشفاعة فيمن قيل له اشفع فيه ، وكان الله مالك الشفاعة ، ومالك كل شيء ، لا يرضى عن الشفاعة في أحد من عباده إلا في الصالحين الأتقياء ، الراضين المرضيين ، وكان تعالى سوف يأمر ، ولا بد ، تفضلاً منه وجوداً بأن يشفع في عباده الصالحين المخلصين الأبرار ، وبأن تنالهم ، ولا شك ، شفاعة الشافعين كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال عليه الصلاة والسلام : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » . وفي الصحيح عن أبي هريرة أيضاً قال قال رسول الله : « لكل

في دعوة مستجابة ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ، والأخبار الصحاح في هذا المعنى كثيرة معلومة .

إذا كان ما ذكر كله صحيحاً ، وهو صحيح بلا ريب ، فلامعنى لطلب الشفاعة من المخلوقين ، ولا معنى للاستشفاع بالأنبياء والأولياء من الأموات ليشفعوا عند الله ، وذلك أن طلبك الشفاعة لا يجعلك أهلاً لها ولا مأذوناً لك بها إن لم تكن بأعمالك الصالحة من أهلها ، وتركك طلبها لا يجعلك محروماً منها إن كنت من أهلها . فالاستشفاع ، إذن ، بالأموات رجاء شفاعتهم جهل وعبث وسفه . وهذا لا يجدر بالعاقل أن يقدم عليه ، وهذا كله لا يمكن أن يشرعه الله لعباده في دينه .

ومن أعجب ذلك وأقطع ما ذكره الامام مسلم في الصحيح في باب الايمان من أحاديث من أحاديث الشفاعة ، فقد روى في حديث الشفاعة الطويل الذي حدث به الشفاعة أنس بن مالك عن رسول الله أنه قال في آخر الحديث : « فأخر ساجداً فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال ليس ذلك إليك ، أو ليس ذلك لك ، ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لا أخرج من النار من قال : لا إله إلا الله » . فأنت لو استشفعت الليل والنهار بأقرب عباد الله إلى الله لما شفع لك ، ولما نفعتك شفاعته لو شفع إلا أن يشاء الله ويأذن ويرضى . ولو أنه تعالى أراد لك شفاعة وراك أهلاً لها ورضى أن يشفع لك أكرم خلقه عليه لشفع لك ولنالتك شفاعته ونفعتك وإن أنت لم تستشفع بأحد من الخلق ، بل وإن لم يخطر ذلك على بالك . . فاستشفائك لا ينفعك وتركك ذلك لا يضرک ولا يمنع ما شاءه الله لك . وقد أعظم الله اللأئمة على من يتعلقون بمن لا ينفعونهم ولا يضررونهم ولا يستجيون لهم فقال : « ولا تنس من دون الله مالا ينفعك ولا يضرک ، فان

فعلت فانك إذن من الظالمين » وقال . « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . . » فالذين يستشفعون بالموات هم من الضالين الظالمين ، وهم من العابثين الجاهلين المتعلقين بما لا ينفعهم ولا يضرهم .

البرهان السادس : لاريب أن الاستشفاع بالموات من الأمور المحدثه في الاسلام الغريبة فيه ، المحمولة عليه حملا لا شبهة فيه ، ومن الأشياء المخالفة للاجماع الصامت التركي ، المخالفة لما لقنه الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه ولما لقنه أصحابه من بعدهم من المسلمين . . .

السنة في زيارة المقابر ولقد علم المسلمون من دينهم ومن سنة نبيهم أنه لم يشرع لأحد منهم أن يذهب إلى ميت من الأموات ، لامن الأنبياء ولا ممن دون الأنبياء ، ليسأله الشفاعة والوساطة ، وليدعو الله له في جلب الخير ودفع الضر . وقد علم المسلمون سنة الاسلام التي جاء بها محمد عليه السلام في زيارة القبور ، وفي ما يقال عند زيارتها من الأدعية والأقوال ، وعلموا ما كان رسول الله وأصحابه يقولونه ويفعلونه حين الزيارة ، زيارة الصالحين والخيار من عباد الله ، وقد نقلت هذه السنة بالتواتر والاجماع الذي لا ينزع ولا يخالف ، وحفظت الالفاظ التي كان رسول الله يقولها عند الزيارة والتي علم أصحابه أن يقولوها عند زيارتهم . وقد غربلت أسانيد ذلك كله ومحصت وامتحننت أعظم امتحان وخبرت أفضل اختبار حتى علم الصحيح الثابت من المكشوب الخلق ، وحتى عرف ذلك كله كل من أراد معرفته من الخاصة والعامة . وقد علم أهل البصر بالاسلام والفحول من صياقة الرواية والدراية وحلم المخالف والموافق أنه لم يكن مما علمه المسلمون من سنة نبيهم ومن كتاب ربهم وسريتهم أن يستشفع بالموات عند زيارتهم أو أن يزاروا لأجل ذلك ، لأجل طلب الشفاعة والوساطة وطلب الدعاء منهم . وقد علم هؤلاء جميعاً أنه لم يفعل ذلك

أجد من المسلمين في صدر الاسلام، لارسل الله ولا أبوبكر ولا عمر ولا أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من تبعهم باحسان وإيمان . وعلم هؤلاء كافة ما كان يقوله رسول الله ومحبته حين يزورون وأنه لم يكن سوى الدعاء للأموات والسلام عليهم ، وسوى دعاء الزائر لنفسه أيضاً . وما جاء في حديث لا يصحح ولا ضعيف بأن رسول الله استشفع بميت من الأموات ، لامن أصحابه ولا من غيرهم من الأنبياء والصالحين الأولين ، ولا أنه علم أحدا من أصحابه أن يفعل ذلك ، ولا جاء أن أحدا منهم صنع شيئا منه أو أرشد إليه أو دل عليه أو ذكر له فضلا ومشوبة وجزاء . . . ولو أنك رجعت إلى كل كتاب على وجه الأرض اليوم مما خلفه السلف الصالح وجهابضة الرواة وتقصة الأخبار ، ثم بذلت غاية جهدك وأقصى طاقتك كي تظفر بحديث واحد يعا به يذكر أن رسول الله، أو أن أحدا من محبته أو أحدا من شيوخ الشريعة وأعضاء الملة أمر بالاستشفاع بالموتى وطلب الدعاء والوساطة منهم - : لأعيالك الطلب ولما حصلت على غير الخيبة والاعياء .

وقد حفظ المسلمون سنة نبيهم الدقيق منها والجليل ، وحافظوا على حفظها والعلم والعمل بها وعلى نقلها والتحديث بها بأمانة فادرة واتقان منقطع النظير ، وحملوها الأبناء والأحفاد كما حملوها هم بأمانة واتقان أيضا: وهكذا كان المسلمون معنيين بدينهم وبسنة رسولهم ، نضر الله وجوههم ، حتى شادوا منها هذه الاسفار الغليظة التي تتألف منها جبال ضخمة لو جمع بعضها إلى بعض . وقد عنوا بنقل الصحيح والضعيف من ذلك ، بل وبنقل الموضوع المكذوب ، الأول نقلوه للعمل به والاحتجاج ، والثاني التحذير منه والحدار من الوقوع فيه . وقد قسموا هذا كله أقساما مرتبة ، ونظاموه تنظيما تعجز جودته الوصف والاطراء والمدح حتى أصبح من السهل اليسير على الأغبياء والجهلاء أن يعلموا صحيح السنة من ضعيفها من مكذوبها بأيسر حيلة وأقرب وسيلة . وقد بالغ علماء الحديث وفرسان

الحديث
والمحدثون

الرواية في تفصيل ذلك وتميز أنواعه وأقسامه حتى وضعوا أسفاراً خاصة بالصحيح
المجمع على قبوله والاحتجاج به على شرائع الدين ، غنية عن وضعها على خشبة
النقد والامتحان والتجريح والتعديل ، كما وضع آخرون من هؤلاء الجهابذة
أسفاراً أخرى خاصة بالموضوع المكذوب المجمع على رده وإنكاره وبطلانه بين
صاغة الرواية وأعلام الحديث ، كما وضعوا كتباً خاصة بالثقات من الرواة وكتبوا
أخرى خاصة بالضعفاء المجرّوحين ، وكتبوا جامعة النوعين . وقد صيغت هذه
الكتب كلها بأيدي ماهرة وعقول صحيحة بآرة منظمة ، حافظ عليها الدين من
أن تميل مع الهوى ، وحجزها التقى وخوف الله من أن تدين للنش والتضليل
والكذب . هذا كله بمضى ما قام به المحدثون لحفظ الحديث وإبلاغه القرون
الآتية . ولكننا مع ما ذكرناه كله لانجد لما يذكروه المخالف من الاستشفاع بالموتى
دليلاً واحداً .

لو قلنا لو أننا قلنا هذه المدونات الإسلامية كلها ورقة ورقة وسطراً سطرًا ثم حرفاً
لكتب كلها حرفاً على أن نجد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان يأمر أصحابه بأن يزوروا
القبور ويطلبوا من أصحابها الدعاء والشفاعة لما وجدنا شيئاً من ذلك ، ثم لو
قلنا هذه المدونات كلها هكذا مرات ومرات على أن نجد أن أصحاب النبي عليه
السلام كانوا يفعلون ذلك حين الزيارة ، زيارة قبر النبي وقبور غيره من الأنبياء
والصالحين لما وجدنا أيضاً رسياً من هذا النوع . بل لقد علم من سيرة الصحابة
والمسلمين والبصراء بالاسلام أنهم كانوا ينكرون ذلك ويأبونه أشد الإباء والانكار
وقد كانوا بعد وفاة نبيهم عليه الصلاة والسلام يلجأون أحياناً إلى أن يطلبوا
الدعاء من أفراد المسلمين من الصحابة والتابعين . ولم يفكروا في الرجوع إلى قبر
الرسول لدعائه والاستشفاع به . وقد استسقى المسلمون في عهد الخليفة عمر
بالعباس بن عبد المطلب وقال عمر حين الاستسقاء به « اللهم إنا كنا نتوسل إليك

بنبيينا فتسقيناه، وإنا نتوصل إليك بعم نبيينا فاستقنا . وهذا الاستسقاء بالعباس مع هذه العبارة التي قالها الفاروق يدل على أن الاستسقاء بالأَمْوات لا يمكن ولا يجوز ، وعلى أنهم يعرفون أنه لا يجوز بالاجماع ، وإلا لو كان جائزاً مشروحاً لما عدلوا عن رسول الله إلى غيره يقيناً لاشك فيه وقد استسقى معاوية ومن معه من المسلمين بأحد التابعين الصالحين ، ولم يرجعوا إلى النبي ولا إلى قبره . وقد علم بالتواتر والضرورة أن بعضهم كان يطلب من بعض الشفاعة والدعاء الذي هو الشفاعة التي هي خير شفاعة الآخرة ، وكانوا يحرصون على ذلك ويفعلونه ويقرؤنه . ولكنهم ما كانوا يذهبون إلى النبي عليه السلام إلا للسلام عليه وللزيارة المجردة من دعائه وطلب الشفاعة منه . ومن طاب له أن ينازع في شيء من هذه الحقائق الظاهرة السافرة فنحن نتحداه ونطلب إليه أن يرد شيئاً من الذي ذكرناه بالعلم ^{للسبق الرسول} والحجاج الصحيح . وإذا علم هذا كله قبل للمخالفين : إن شيئاً رغب عنه رسول الله ورغب عنه الحث عليه ، ورغب عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والصحابة وخيار المسلمين لجدير بنا نحن أن نرغب عنه بأنفسنا وديننا ، وأن يرغب عنه كل مسلم يحب الله ورسوله ودينه ويحبل صحابة النبوة ، وإن شيئاً لم يفعله رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم من الأصحاب لا يمكن أن نفعله نحن ما هتدينا ، ولا يمكن أن يفعله المسلم الصحيح الاسلام رجاء الثواب والأجر من الله . فان ثواباً لا يسبق إليه هؤلاء السابقون ولا يفتنون له لانهب أن نسبق إليه نحن ولا أن نفطن له . فان أقصى ما يمكن أن نرجوه وأن نطلبه لأنفسنا هو أن نكون هؤلاء الخيار تبعاً وأن نحسن الاتباع والافتداء بهم ، لا أن نسبقهم ، ولا أن نجعل ونعلم من الخير والفضل ما لم يجمعوا وما لم يملوا . والدين عندنا اتباع لا ابتداء ، واستئذان لا اختراع . ولا نتقدم نحن بين يدي الله ورسوله ، لأننا نعلم أنه لا خير في عمل لم يعمله الرسول وأصحابه

ولا افضل ، إن شاء الله ، فنزعم أنهم يتركون الخير والسبق إلى الصالحات ليسبقهم إليها هؤلاء الخلوفا المخالفون . ولكننا نسأل الله الهداية والتوفيق ، ونسأله أن يجنبنا الغواية والضلالة وصنوف الجهالة .

هذه ستة براهين ناصعة قاهرة على بطلان الاستشفاع بالموتى وطلب الدعاء والوساطة منهم . والبحث يتحمل أكثر من هذا ولكننا نوجز بإيجاز . وطالب الهدى يكفيه القليل ، والراغب في الضلال والنداد لا يكفيه قليل ولا كثير ولو جئ بكل آية وحجة لله . والله لا يهدي القوم الظالمين .

﴿ الكلام على حجج المخالف ﴾

﴿ في الاستشفاع بالأموات ﴾

بقي هذا الكلام على الشبه أو الحجج التي أوردها هذا المؤلف الشيعي في كتابه على جوار دعاء الموتى وطلب الشفاعة منهم . وهذه الشبه تتأخص فيما يأتي : أولاً — : إن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة ولا مانع من سؤالهم ما أعطوا .

ثانياً : — الشفاعة هي الدعاء ، والدعاء يجوز طلبه من الصالحين : الأحياء منهم والأموات ، ولا فرق .

ثالثاً : — قد ثبت في القرآن أن الملائكة يدعون ويستغفرون للمؤمنين والدعاء والاستغفار لا يخرجان عن معنى الشفاعة ، فهم يشفعون .

رابعاً : — قد صح أن الجهاد يشفع كما صح عن علي أنه قال : أشهدوا هذا الحجر (يعني الحجر الأسود) خيراً فإنه يوم القيامة شافع مشفع ، له لسان وشفعتان يشهد لمن أسلمه .

خامساً : — لا يمكن القول بأن الله أعطى عباده الشفاعة ومنع طلبهم إياها .

إجمال شبه
المخالف

فإن الحق لا يكون طلبه باطلاً ، ولكن طلب الباطل هو الذي لا يكون إلا باطلاً .
سادساً - : قد تشفع آدم برسول الله قبل خلقه ، وتشفع وتوسل رسول الله
بمن قبله من الأنبياء ، وتشفع الصحابة بالنبي عليه السلام ، وتشفع عمر بالعباس
وأقر النبي ذلك الأعرابي الذي قال : إنا نستشفع بك على الله ، وطلبوا من النبي
بعد وفاته أن يستسقى لهم فسقوا . وصح أن الذين يصلون على الجنائز شافعون :
وروى الترمذي عن أنس بن مالك قال : سألت رسول الله أن يشفع لي يوم
القيامة فقال : « أنا فاعل » . وطلب سواد بن قارب ، وهو صحابي ، من النبي أن
يشفع له يوم القيامة بقوله :

فكن لي شفيماً يوم لا ذو شفاعة * بمن فتيلاء سواد بن قارب
وقد طلب تبّع الحميري من النبي أن يشفع له أيضاً يوم القيامة وقد أقر
رسول الله طلبه وشهد أنه صالح . وقد علم عثمان بن حنيف في خلافة عثمان رجلاً
أن يقول : يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه . وقد فعل الرجل ذلك
فقضيت حاجته . وقد جاء أن علياً وأبا بكر أبا على النبي عليه الصلاة والسلام وهو
ميت وقبله وقال كلاهما : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أذكرنا عند ربك واجعلنا
من همك . وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال : اللهم إني أستشفع
إليك بلببك ، يأنبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له . وقد ذكر العلماء في
آداب الزيارة أن الزائر يقول خطاباً للنبي عليه السلام : جئتك لفضاء حقك
والاستشفاع بك ، فليس لنا ، يا رسول الله ، شفيح غيرك ، فاستغفر لنا واشفع لنا .
هذه جميع دلائل المخالف على جواز الاستشفاع بالميت ، وجميعها دلائل
باطلة مبهرجة .

جواب دليله
الأول

﴿ بطلان هذه الشبهة ﴾

أما الدليل الأول ، وهو أن الله أعطى عباده الشفاعة ولا مانع من طلبها منهم ،

فالجواب أن يقال : إما أن يريد أن الله أعطاهم الشفاعة في كل وقت ، وأنهم لذلك يشفعون كلما شاؤوا ومتى أرادوا فيمن أرادوا ، وإما أن يريد أنهم يشفعون حقاً ولكنهم لا يشفعون إلا إذا أذن لهم بالشفاعة ورضى عن المشفوع له . . . فان كان يريد الأول قيل له : هذا باطل ، فانه لا يمكن أن يشفع أحد عند الله لأحد إلا من بعد إذنه للشافع بالشفاعة ، ورضاه عن المشفوع له لصلاحه وتقواه واستقامته واستحقاقه لذلك كما صرح بهذا القرآن الكريم في غير ما آية . وإن كان يريد الثاني قيل له : إذا كانوا لا يشفعون إلا إذا أذن لهم ، وكانوا يشفعون ، ولا بد ، في من أذن لهم بالشفاعة له ، فلا وجه لطلب الشفاعة منهم ولا معنى له كما تقدم . فانهم إذا شاء الله أن يشفعوا لأحد شفّعوا ولا محالة ، سواء أطلب منهم ذلك أم لم يطلب ، وإذا لم يرد الله أن يشفعوا لأحد فلن يشفعوا ، سواء استشفّع بهم أم لم يفعل . فالاستشفاع إذن بهم عبث وجهالة وسفاهة ، وذلك باطل لا يأمر الله به في دينه وشريعته

جواب آخر

ويقال بعبارة أخرى : إن إعطاءهم الشفاعة لا يقضى بجواز طلبها منهم يقيناً وذلك لجواز أن يكون في طلبها منهم إثم وباطل وفساد ، ولجواز أن يكون طلبها عدواناً وبغياً ، ولجواز أن يكونوا مع إعطائهم إيها لا يسمعون إذا طلبوا ولا يبلغهم ذلك الطلب ، فيكون حراماً لهذا ، ولجواز أن تكون هنالك موانع أخرى . غير ما ذكرنا حرم طلبها منهم لأجلها .

وقد أعطى الله الملائكة الشفاعة ، على ما ذكر في الآية ، ولا يجوز طلبها منهم ولا الاستشفاع بهم بالضرورة ، بل لقد أعطى الجماد الشفاعة كما قال : إنه أعطاهما الحجر الأسود وأخبر أنه يشفع ويشفع يوم القيامة . وهل يجزأ المخالف . الرافضي أن يدعى أنه يجوز طلب الشفاعة من الجماد ومن الحجر الأسود ، وأنه

يجوز الاستشفاع به ؟ بل لقد جاء وصح أن القرآن يشفع، وأن الأطفال يشفعون لأبائهم وأقاربهم . فهل يزعم الراقض أن الاستشفاع بالقرآن ، والقرآن عندهم مخلوق ، وبالأطفال جائز مطلوب ودين يتقرب إلى الله به ؟

ثم من ذا الذى قال بأن كل من أعطى شيئاً جاز طلبه منه ؟ وأى دليل على جواب آخر بهذا القول إذا قيل ؟ وهل يجوز للناس جميعاً أن يسألوا الأغنياء الأموال والأشياء التى أعطاهم الله إياها ؟ وهل يجوز لكل مسلم أن يسأل كل مخلوق ما أعطاه الله وما ملكه إياه من أنواع الأموال وأنواع الأعطيات الأخرى من القصور والضياع والأولاد والنساء وغير ذلك بحجة أن الله أعطاه ذلك، وبحجة أنه لا مانع من سؤال الخلق ما أعطوا، لأن طلب الحق لا يكون باطلاً، ولأن سؤال الموجود لا يكون ممنوعاً ؟ إن كان جواب الشيعى الإيجاب فجواب الناس جميعاً السلب ، وإن كان يجيز هذا كله فالناس العقلاء ممنوعونه كله .

ثم يقال له أيضاً : من الذى سلم له بأن الله قد أعطى عباده الصالحين الشفاعة ؟ جواب آ . إننا نحن نذكر هذا القول وذاك الزعم ، ونقول ، بحق لا شك فيه : إن الله لم يعطهم الشفاعة اليوم ولما يأذن لهم بها حتى الساعة ، ولكنه تعالى سوف يعطيهم ذلك يوم القيامة ، فانه سوف يشفع عباده هناك فى قوم آخرين من عباده ، ولكنه لم يشفعهم الآن فيهم بالضرورة . وإذا علم المخالف هذا قلنا له أى عاقل يزعم أنه يصح أن يسأل الإنسان ما لم يعط وما لم يملك ؟ هذا عن الدليل الأول .

وأما الدليل الثانى ، وهو أن الشفاعة هى الدعاء وأن الدعاء يجوز طلبه من جواب دليله الأحياء والأموات ، فالجواب أن نقول : سلطنا أن الشفاعة هى الدعاء وأن الدعاء الثانى هو الشفاعة طبائفاً سواء آ ، ولكننا لانسلم له جواز طلب الدعاء من الموتى ألبتة، ونقول إن هذا هو أصل المسألة ومبدؤها . ولن يجد دليلاً واحداً يدل دلالة صحيحة

صريحة محترمة على جواز طلب الدعاء من الأموات . والدلائل التي ذكرناها على بطلان الاستشفاع بهم هي دلائل على بطلان طلب الدعاء منهم ، فلتراجع .
وأما دليله الثالث ، وهو أن الملائكة يدعون للمؤمنين ، وأن دعاءهم شفاعة فالجواب أن نقول له : سلمنا أن الملائكة يشفعون للمؤمنين ولكننا لانسلم جواز طلب الشفاعة منهم لدلائل كثيرة تقدست في أول البحث . فلا يصح سؤالهم الشفاعة لأنهم لا يسمعون سؤال من سألهم لبعد مكانهم ، ولأن في سؤالهم ما يدعو إلى الغلو فيهم وفساد الاعتقاد والإيمان ، ولأنهم يقومون بوظيفتهم التي أعدم الله لها وأمرهم بها ، سواء أطلبوا أم لم يطلبوا ، وسواء أقيّل لهم أعمالوا ما أمرهم الله بعمله أم لم يقل لهم . فطلب ذلك إليهم عبث وسفه وجهل ، ودين الله لا يأمر بذلك ، ولأنهم من عالم الغيب ، ولا يجوز للمؤمن أن يتصل بعالم الغيب إلا من طريق الدين والرسالة الإلهية . وأديان الله لم تأمر بدعاء الملائكة والاستشفاع بهم ، بل نهت عن ذلك وحاربتة . ولأن الرسول وأصحابه لم يحاولوا الاتصال بهم ، ولادعاهم والاستشفاع بهم قط . ولو كان ذلك مشروعاً مثاباً فاعله لما جاز أن يتركوه البتة .

وإننا نطلب إلى المخالفين جميعاً أن يرونا دليلاً واحداً يذكر أن الرسول أو أحد الأئمة الراشدين طلب من ملك شفاعة أو دعاء أو نحو ذلك ، ولأن الاتصال بالملائكة وسؤالهم هو كالاتصال بالجان وسؤالهم ، كلاهما فيه خطر على العقيدة وطغيان على مكان الإيمان . فإن من أجاز لنفسه سؤال الملائكة أو الجان الشفاعة ، وهم من عالم الغيب ، وقد وصفوا بالقدرة الخارقة ، فقد تميزت له نفسه يوماً ما هو فوق ذلك من عبادتهم ووصفهم بما ليس لهم من أوصاف الربوبية وصفات الرب ، ولأنه يجوز أيضاً أن يقال إن الدين تشريع وتوقيف ، لا يجوز الابتداع فيه ولا الاختراع والاستحسان ، ودعاء الملائكة وغيرهم من عالم الغيب لا يجوز ولا

يمكن إلا بوحى ، وليس لدينا وحى يجوز دعوة عالم الغيب والاتصال به بنوع من أنواع الاتصالات .

هذا كله من دلائل بطلان دعوة الملائكة وغيرهم من عوالم الغيب كالجان ، وكلحور المخلوقة فى الجنة ، وكالعوالم الأخرى ، ومخلوقات الله لا يعلمها إلا الله .

وأما دليله الرابع ، وهو أنه صرح أن الجهاد يشفع وأن الحجر الأسود يشفع جواب دليله
ويشفع يوم القيامة من استلمه ، فالجواب أن يقال : إن هذا من أعظم الدلائل الرابع
وأظهرها على بطلان ما أتى به هذا المخالف وبطلان ما اختلق وزوره ، وذلك أننا نقول له : إذا كان الله قد أعطى الجهاد الشفاعة ومع هذا لم يجوز أحد طلبها منه تبين أنه لا يبدل إعطاء الشيء الشفاعة على جواز طلبها منه والاستشفاع به ، وعليه لا يلزم إعطاء الصالحين الشفاعة جواز أن تطلب منهم وأن يستشفع بهم كما أعطى الحجر الأسود ذلك ولم يقل أحد إن الاستشفاع به مشروع جائز . وليس أمام الرافضى إلا أن يزعم أن الاستشفاع بالجهاد يجوز ، فيزعم أنه يجوز للمسلم أن يقول للحجر الأسود اشفع لى ، وادع الله لى ١١ فإذا زعم هذا وبلغته حاله قلنا : عليه وعلى دينه العفاء .

وأما دليله الخامس ، وهو أنه لا يمكن أن يقال إن الله أعطى عباده الشفاعة
جواب
الخامس
ومنع طلبها منهم ، لأن الحق لا يمكن أن يكون طلبه وسؤاله باطلاً ، فنقول : إن الجواب عن هذا هو الجواب عن دليله الأول ودليله الثالث ، فليرجع إليهما .

وأما دليله السادس ، وهو الأخبار المذكورة ، فالجواب أن نقول :
جواب
السادس
أما الحديث الأول ، وهو قوله إن آدم تشفع برسول الله قبل خلقه ، فهو يعنى به الحديث المشهور على ألسنة جهلاء العلماء والفقهاء والعامة ، وهو ما رواه الحاكم فى المستدرک على الصحيحين من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك

يحق محمد لما غفرته لي ، فقال الله يا آدم وكيف جرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال
يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فزأيت على
قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فمرفت أنك لم تضيف إلي
اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله : صدقت يا آدم ، إنه لأحب الخلق إلي
وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك . »

ولكن هذا الحديث مكنوب موضوع كما ذكر الحافظ الذهبي في التلخيص .
المستدرك فلا حجة فيه . وسوف يجيء الكلام عليه في باب التوسل من جهة
الجزء . والذي نقوله هنا هو أن الرفض قد غلط غلطا فاحشا فظيما ، وذلك أنه
زعم بهذا الحديث أن آدم قد استشفع بمحمد ﷺ قبل خلقه ؛ وهذا خطأ
لا يقدم عليه إلا مثله . وذلك أن الاستشفاع هو طلب الشفاعة وطلب الدعاء
كما ذكر هو في كلامه السابق . فالاستشفاع فيه خطاب للمستشفع به ورجاء وسؤال
للشفاعة منه . والذي لم يخلق كيف يمكن مخاطبة وسؤاله وطلب الدعاء منه إلا أن
يكون ذلك على وجه التوصية التي لا يتوجه فيها الخطاب للموصى له إلا بعد خلقه
ورشده ووجود عقله ؟ ولكن هذا ليس من هذا النوع يقينا . فافهم الأغبياء ،
وأجهل الجهلاء وأضال الناس عقلا وفهما لا يمكن أن يطلب ممن لم يخلق الشفاعة
والدعاء طلبا صحيحا حقيقيا ، ولا يمكن أن يتوجه إليه بالخطاب والاستشفاع .
وهذا الرجل يزعم على آدم أبي البشر أنه دعا النبي عليه السلام واستشفع به
وطلب منه الشفاعة وخاطبه وسأله قبل أن يخلق وقبل أن يكون قادرا على السماع
وعلى الشفاعة والدعاء والخطاب ، لأنه لم يخلق . وهذا غاية القبح في آدم وفي عقله
ودينه ، وغاية القبح في رسول الله إذ نسب إليه أنه قاله ، وغاية القبح في عمر
ابن الخطاب إذ زعم أنه حدث به عن رسول الله ، وغاية القبح فيمن رواه من
المحدثين إذ ذكر أنهم روه وذكروه في كتبهم ١١ وآدم ورسول الله وعمر

من تخليط
المخالف

ابن الخطاب والمحدثون والمسلمون يريثون ، والحمد لله ، من هذا التخليط ، ومن هذه التهمة المنكرة الباطلة . والحديث ، لو كان صحيحاً ثابتاً ، ليس فيه شيء من الاستشفاع والخطاب وطلب الدعاء ، وإنما الذي فيه سؤال الله بحق النبي عليه السلام . فالخطاب والطلب لله وحده لا شريك له ، وإنما طلب ودعا وخطاب سائلاً بحق محمد . وفرق عظيم بين الطلب من الله بحق أحد خلقه ، وبين طلب ذلك « الأئمة » وسؤاله مباشرة . فان الأول خطاب لله والثاني خطاب لغير الله ، والفرق بين الأمرين ظاهر معروف لا يخفى . هذا على افتراض صحة الخبر ، ولكنه غير صحيح كما سوف يجيء القول فيه .

كشف القبر
النبي إلى
السماء

وأما قوله : « وتشفع الصحابة بالنبي عليه السلام » فهو يشير به إلى ما روى أن أهل المدينة قحطوا فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا إلى قبر رسول الله فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا فطروا مطراً غزيراً .

والكلام على هذا الخبر من ناحيتين : ناحية إسناده وناحية معناه ، أما إسناده فليس صحيحاً لأمرين اثنين ، أولهما أنه من حديث محمد بن الفضل السدوسي المعروف بدارم عن سعيد بن زيد أخى حماد بن زيد الإمام المشهور عن عمرو بن مالك النكري عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله الربي عن عائشة رضي الله عنها . هكذا رواه الدارمي في سننه . وهذا الإسناد فيه مقادح أربعة : أولها أن عارماً هذا ، وإن كان ثقة إماماً من رجال الصحيح الأئمة ، إلا أنهم ذكروا أنه في آخر عمره تغير واختلط ، وأن حديثه لذلك قسيمان : قسم صحيح وهو ما كان حدث به قبل التغير والاختلاط ، وقسم ضعيف وهو ما كان بعد ذلك ، وهذا الحديث لا يدري من أي القسمين هو . وثانيها أن سعيد بن زيد قد تكلم فيه وضعف حديثه ، وقد وثقه آخرون . وثالثها أن عمرو بن مالك

التكرى هنا ضعف أيضاً وخاصة إذا حدث عن أبي الجوزاء وهو هنا عنه ، ومن ضعفه إمام الحديث البخارى . وقد ذكروا أنه حدث عن أبي الجوزاء عدة أحاديث غير صحيحة ولا محفوظة ، كذا ذكر ابن عدى الخافظ . ورابع المقادح أن أبا الجوزاء ، وإن كان ثقة إماماً ، إلا أنهم ذكروا أن حديثه عن عائشة مرسل لأنه لم يلقها ، كذا ذكر البخارى وابن عدى وغيرهما ، فهذه الرواية مرسل . واجتماع هذه المقادح الأربعة في مثل هذا الخبر يمنع صحته ويرد على من زعموا أنه خير صحيح . وحديث يجمع فيه هذه العلل لا يصح الاحتجاج به في مثل هذه المباحث التي يطلب فيها اليقين والصحة الظاهرة .

حجة أخرى

قالى الأمرين الدالين على أن الخبر غير صحيح مخالفته لسنة المسلمين وسنة الإسلام ، ولعمل الرسول وأصحابه والمسلمين من بعده عند القحط وأنحباس السماء والماء . فإن الرسول عليه السلام وأصحابه والمسلمين كانوا إذا اشتد عليهم القحط وامتنع الغيث والمطر فزعوا إلى صلاة الاستسقاء ، وصلاة الاستسقاء معلومة في الإسلام والدين ، لها أصول ومبطلات مطولة معروفة في كتب الحديث وكتب الفقه . وقد صلى رسول الله صلاة الاستسقاء ، وصلاها أصحابه وخلفاؤه من بعده ، وصلاها المسلمون من بعدهم ، وأقرتها وقالت بها جميع المذاهب الإسلامية . وقد قحطوا في عهد الرسول عليه السلام وطلبوا منه أن يستسقى لهم مرات عدة ، فكان يستسقى تارة بالصلاة والدعاء في الخلاء ، وتارة بالدعاء وهو فوق المنبر يخطب ، وتارة وهو جالس يدعو ويستسقى . . . ولكنه لم يقل مرة واحدة حينما طلبوا منه السقيا ، وحين حضهم الجذب : إنه يكفيكم أن أبرز بيدى إلى السماء أو أبرز قبرى ، كما زعم في هذا الخبر الضعيف ، بل ولم يفهم أحد من أصحابنا المعنى ، ولهذا علموا أنه لا بد من الاستسقاء . وقد أجذبوا في زمن عمر بن الخطاب فاستسقوا بالعباس بن عبد المطلب ، كما تقدم مرات وكما سوف يجئ بيانه

وما قتل عر ولا العباسي ولا غيرهما من الصحابة والمسلمين : اكشفوا قبر النبي وافتحوا كوة بيته وبين السماء ، كما قيل في هذا الحديث الباطلي . وأجذب كذلك المسجون من بعد ، فكانوا جميعاً يفرعون إلى صلاة الاستسقاء وإلح الدعاء ، دعاء الاستسقاء . وما ذكر أحد من أهل العلم أولى الابصار والبصائر في الاسلام وحالته : أن فتح هذه الكوة المزعومة من سنة الاستسقاء ومن الأمور المرغوب فيها عند الجذب ، بل هم يذكرون كل ما يقل وما يطلب فعلة عند طلب السقيا ولكنهم لا يذكرون هذا لأنه ليس معروفاً لهم ولا معلوماً في الاسلام . خفي الخبر غير صحيح لأنه محال على السعة المملوءة التي لا يختلف فيها المسلمون .

على أنه لا يجرى للخبر معنى ولا يمكن أن يصح له وجه من الوجوه ، فأى علة ثلاثة معنى في إبراز القبر إلى السماء ؟ وأية عبادة فيه يستنزل بها المطر ويستدفع بها القحط والنصر ؟ وأية حكمة في هذا ، وأى أصل من أصول الشريعة يرافقه أو جعل من أجله ؟ إنه لو كان لهذا معنى ووجه لكان إبراز المصنف أولى من إبراز القبر ~~الذي~~ إلى ~~أن~~ يستنزل الله به الغيث والمطر على عباده ، ولكن كلا ، لا شيء من ذلك يتقرب به إلى الله وتستنزل به رحمته ، وإنما تستنزل رحمة الله بعبادته بالدعاء والصلاة والتوبة والعبادة والاستقامة على الطريقة والفرع إلى الله بالآمال والأعمال كما قال تعالى : « قفلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ، يرسل الأنعام عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ، ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا » وقال : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » وقال : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فخففناهم بما كانوا يكسبون » وقال : « ولئن لو استقلوا على الطريقة لاستبقيناهم ماء غدقا » - إلى غير ذلك من آي الكتاب ~~التي~~ على أن الغيث والخبر

يستنزلان بالطاعات والأعمال الصالحة والدعاء والاستغفار، لا باظهار القبور إلى السماء أو غيرها : هذا كله مما يدل على ضعف الحديث وعلى بطلانه وكذبه .

معنى الخبر إذا صح .
أما الكلام عليه من الناحية الأخرى ، أعني ناحية معناه ، فنقول : إن هذا الخبر ، على فرض ثبوته ، لا يدل على ماذهب إليه الشيعة المخالف ولا على ما أراد منه ، فإنه هو زعم أن الصحابة قد تشفعوا برسول الله : والاستشفاع ، كما تقدم في ما ذكر هو ، معناه طلب الدعاء من المستشفع به . فقوله : إن الصحابة استشفعوا بالنبي معناه أنهم طلبوا منه الدعاء والشفاعة ، ولكن الخبر ليس فيه طلب ولا استشفاع ما . لامن النبي ولا من الله ولا من أحدا ما ، وإنما فيه إبراز القبر وفتح كوة منه إلى السماء ، وفيه أنهم صنعوا هذا وأنهم أغثوا . فهو لو كان صحيحاً ، وإن يكونه ، لا يشهد لما ذهب إليه المخالفون من الشفاعة والاستشفاع والدعاء وطلب الدعاء أبداً .

الاستشفاع بالأحياء
وأما قوله : « وتشفع عمر بالعباس » فالجواب أن يقال : إن المخالفين لهذا المصنف ولاخوانه من أنصار الابتداع والزور ، لا يخالفون في جواز طلب الشفاعة والدعاء من الأحياء الصالحين ، بل هم أنفسهم يفعلون ذلك . فكأن هذا الرافض لا يدري ماالنزاع والخلاف بينه وبين مخالفيه ! ولا خلاف بين الناس أن العباس كان حياً سوياً حينما استسقى به عمر والمسلمون معه وتوسلوا . وللحديث مزيد وإيضاح سوف يذكران في هذا الجزء .

وأما قوله : « وأقر النبي ذلك الأعرابي الذي قال : إنا نستشفع بك على الله » . فالجواب أن يقال : الكلام في هذا الحديث كالكلام في الذي قبله وهو أنه في غير محل النزاع والخلاف ، لان الاستشفاع بالحي القادر على الشفاعة لا خلاف في جوازه بين المسلمين ، وهذا الأعرابي قد استشفع بالنبي وهو حي بلا خلاف . فلا معنى لما ذكر الشيعة

وأما قوله : « وصح أن الذين يصلون على الميت شافعون » فيقال : هذا كاذب فبطله إيس في مكان النزاع ، لأن الذين يصلون على الميت هم الأحياء دون الأموات ، والأحياء ، كما قلنا مراراً ، يستشفعون ويشفعون بلا خلاف .

وأما قوله : « وروى الترمذى عن أنس بن مالك أنه قال : سألت رسول الله أن يشفع لى يوم القدر » فقال : أنا فاعل « فالجواب أن الترمذى قال بعد إخراج الحديث : حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وفى سنده أرباب لطلاب حرب بن ميمون ، ضعف ووثق ، ومن ضعفه شيخ المحدثين البخارى... فحديث يقول فيه الترمذى : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الطريق الحسن الغريب والترمذى معروف لينه وتساهله فى نقد الرواة والروايات ، وفيه أيضاً من ضعفه البخارى ، وحسبك به ناقد حجة فى هذا الشأن ، كيف يحتاج به فى مثل هذه المطالب العليا والمباحث الاعتقادية العظيمة ؟ وكيف يقبل المصنف الشيعى هذا الخبر الغريب فى مثل هذه المسائل وهو يكذب عشرات الأحاديث الصحاح فى تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة فيها وإليها ، كما سوف يأتى أنه يقدح فى تلك الأحاديث كلها ويضعفها ، وهى مخرجة فى الصحاح والسنن والمستدركات والمسانيد والمعاجم وفى كتب الفقه بل وفى جميع كتب الاسلام بل وقد أجمع على صحتها وثبوتها عن رسول الله ؟ ؟

ثم يقال إن هذا الحديث ، على تقدير صحته ، خارج عن محل النزاع أيضاً معنى هذا إذا كان صحيحاً لأن أنساً طلب الشفاعة من النبى عليه الصلاة والسلام وهو حى ، وطلب الشفاعة من الأحياء لم تنزع نحن ولا غيرنا فى جوازه كما قلنا مراراً .

فإن قيل هذا لا يوافق ما ذكرتموه من أنه لا يشفع أحد لأحد عند الله إلا بعد إذنه بالشفاعة وبعد رضاه عن المشفوع له ، وما ذكرتم من أن من استحق الشفاعة فلهما سواء أطلبها أم لم يطلبها ، ومن لم يستحقها فلن تناله وإن طلبها وأوغل فى

الطلب ، وماذا كنتم من أنتم على هذا لا معنى للاستشفاع لأنه لا يقسم ولا يؤخر ولا يفيد : إن قيل هذا قلنا هذا الذي ذكرناه صحيح لا ريب فيه ولا غيلو عليه وقد شهد له الدين جملة وتفصيلا . أما الحديث ، على تقدير بطلانه ، فيقتضي فيه : لعلى أنسا لم يعلم ذلك حينئذ طلب من النبي ، وهذا لا مانع منه ولا نقص فيه . وأما إقوال النبي عليه السلام له وقوله : « أنا فاعل » فلهذا يريد بذلك الشفاعة العلية التي ستنال كل من مات لا يشرك بالله شيئا . وقد علم رسول الله أن أنسا لن يشرك بالله شيئا ، وعلم أنه سوف تناله شفاعته ودعوته لذلك . فالرسول عليه الصلاة والسلام أوجب أنسا إلى ما علم أنه سيكون له ولا بد سواء أطلبه منه أم لم يطلبه . فكان قوله عليه السلام في هذا الحديث : « أنا فاعل » في معنى قوله إن شفاعة ستنال كل من مات لا يشرك بالله شيئا . أو لمعل هذه الشفاعة التي طلبها أنس شفاعة خاصة به دون الجميع جزاء خدمته رسول الله وملازمته إياه الاعوام الطوال ملازمة الخدام الخاص الامين . وقد خص رسول الله كثيرا من أصحابه بخصائص معلومة جزاء أعمال عملوها ، وخلاف فاضلة اتصفوا بها ، فكان أنسا وصى الله عنه طلب أن تكون له شفاعة خاصة به غير الشفاعات المعلومة التي سيكون له منها قسم ونصيب وإن لم يطلبها : هذا كله لا مانع منه دينا ونظرا .

وأما قوله : « وطلب سواد بن قارب من رسول الله أن يشفع له يوم القيامة بقوله : فكر لي شفيعا . البيت . » فالجواب أن هذه القصة ، قصة سواد بن قارب ، ضعيفة الاسناد كما ذكر ذلك الحافظ الهيثمي صاحب مجمع الزوائد . ولهذا لم يرو القصة أحد من أصحاب الصحاح ولا أحد من أصحاب السنن ولا أحد من المؤلفين في الصحيح ، المتحررين الثابت دون الضعيف والباطل والمكذوب ، وإنما رواها الطبراني في المعجم ، والطبراني يروي الضعيفات والموضوعات المكفريات ويروي المتردية والموقوذة والنطيحة وما أكل السبع ، كما يعرف أهل هذا الشأن .

سواد بن
قارب ضعيفة

وروى القصة أيضا أبو نعيم في دلائل النبوة باسنادوا . وعادة أهل الرواية أنهم يتساهلون في مثل هذه المسائل التي فيها إعظام من شأن النبي ومن شأن الاسلام ، ويلينون في نقد رواياتها وتغريجها . . فلا يصح الاحتجاج بهذه القصة الضعيفة الباطلة في هذا الموضوع الجلل .

على أن هذا الخبر لو كان صحيحاً لكان خارجاً عن محل النزاع لأنه من الاستشفاق بالحج وهو لا خلاف في جوازه .

وأما ما ذكره عن تبع الخير فيقال في الجواب : وأين الاسناد لذلك ؟ ومن الذي رواه من أهل العلم والدراية والرواية والمعرفة ؟ فان استطاع هذا المخالف أن يصحح هذا الخبر وأن يقيم له اسناداً مقبولاً ورواية طائفة سماع له أن يحتاج به وأن يرد به على المخالفين ، وأن يؤول لأجله آيات الكتاب ومتواتر السنة . أما بغير ذلك فلن يعبأ به .

ونحن لا تنازع ولا نشك في أن هنالك أخباراً كثيرة مكنوبة على الله علم الرواية وعلى دينه ونبيه لو صحت كانت دليلاً على بعض الباطل الذي يدعوا إليه هؤلاء القوم ، ولكن رحم الله أهل الاسناد والرواية ، وجزاهم عن الاسلام والعلم والنبوة أفضل الجزاء . فلقد دفعوا عن الاسلام والعلم بعلم الاسناد وقوانين الرواية شراً كثيراً كان أراداه أهل الكيد والغدر والدهاء المر الخبيث بهما ، فدفعه الله بعلم الاسناد وعلوم الرواية . ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء ، ولما عرف حق من باطل ولا صادق من كاذب ، ولا اختلط الخبيث بالطيب والكنب بالصدق ، وكلام الأنبياء بكلام الكاذبين الجاهلين وصنوف النادرين . . . ولكن الله جلّت قدرته وحكمته شاء لهذا الدين أن يحفظ لأنه شاء له أن يكون خاتم الأديان ، وآخر رسالات السماء إلى نوع الانسان .

وأما حديث عثمان بن حنيف وقوله : إنه علم رجلاً في خلافة عثمان أن يقول في دعائه : يا محمد إني أنوجه بك إلى ربك في حاجتي هذه لتقضى ، وإن ذلك

الرجل فعل ما أمره به ابن حنيف فنال حاجته ، فنقول إن في هذا الحديث كلاماً طويلاً وتحقيقاً واضحاً . وأما . . . وف نذكره فيما بعد من هذا الجزء إن شاء الله . وسوف نتكلم عليه إن شاء الله بما يستحق من العناية والتحقيق ، لأنه هو أعظم ما مع دعاة الأموات من الشبهات .

رواية اذكرنا وأما ما ذكر أيضاً عن أبي بكر وعلى من أنهما أبا علي النبي عليه السلام عند ربك وهو ميت وقبلاه وقال كل منهما : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك . فنقول : يعوز هذا النقل الاسناد والصحة ، فان الرواية بغير إسناد لا تقبل عندنا في دين الله . والاسناد هو الفاصل بين الحق والباطل وهو الفاصل بين الصدق والكذب . وليس من الاسلام ولا من العلم في قليل ولا كثير أن يقول القائل : جاء عن فلان كذا وعن فلان كيت من غير أن يسند ما قال ويصححه ، ومن غير أن يورد لما يذكر رواية لا صحيحة ولا ضعيفة . وليس بنافع هذا المخالف أن يجد ما يذكره مذكوراً في بعض الكتب المطبوعة المشهورة . فأننا نعرف ونعترف أيضاً أن الباطل موضوع في الكتب مطبوع مقروء ، يحفل به ما شاء الله من الجاهل والدماء ، ولكن ليس بنافع الباطل عند الحق أن يدون في الأسفار الضخمة وعلى القراطيس الصفراء والبيضاء . وإنما الذي ينفع عند الحق هو الاثبات وإقامة الحجة الظاهرة المقبولة . فأين الاثبات هنا لما نقله عن أبي بكر وعلى ؟ بل وأين الاسناد لذلك ولو ضعيفاً هالكاً ؟ 1؟ ألباطيل التي لا أساس لها يسوغ لمن يخشى الله ولن يحترم العلم والقرآن أن ينازع ويجادل وينازل ويصاول ، بل ويهجو ويسب ، ويقول ما يقول هذا من الأراجيف والأباطيل ؟

نعم جاء في صحيح البخاري أن أبا بكر الصديق ، رضى الله عنه ، دخل على رسول الله حين توفي وقال : بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا ، والله .

لا يذيقك الله الموتين أبداً ، وأكب عليه وقبله . وأما أنه قال اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك أو من بالك ، أو أن علياً قال ذلك ، فشيء لم نره ولم نعرفه ، ولم يذكره البخاري في هذا الحديث ولا في غيره ، ولم يروه أحد من فرسان الحديث فيما نعلم . فعلى المخالف أن يقيم الاسناد لما ذكر واحتج به وأن يصحح ذلك الاسناد ، وإن لم يفعل - ولن يفعل - فليدع المراء والجدال بنير الحق ، فإن للحق أنصاراً وحماة يفارون عليه ويحمون دونه ويدفعون عنه المدوان والتضليل ، فليدع المراء والجدال بنير الحق .

على أن هذا النقل لو صح لما دل على جواز الاستشفاع بالموتى وطلب الدعاء ^{لوصية الرواية} ^{لما دل} منهم . وذلك أن الذين ذكروا هذا النقل كصاحب « المواهب اللدنية » ذكروا معه أن الناس حين يفتوا بخبر وفاة النبي عليه الصلاة والسلام طاشت عقولهم ، فمنهم من خبل ، ومنهم من أقعد فلم يستطع القيام ، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ، ومنهم من أضى . وكان عمر بن الخطاب ممن خبلوا ، وكان عثمان بن عفان ممن أقعدوا فلم يستطع حراكاً ، وأضى بعضهم فأت كذا ، وكان أثبتهم أبو بكر الصديق جاء وعينه تهلان ، وزفراته تتردد ، وغصصه تتصاعد وترتفع ، فدخل على النبي وقبله وقال ما ذكروا أنه قاله . فإن كان هذا صحيحاً ، كما زعموا ، لم يكن دالا على ما ذهبوا إليه يقيناً ، وذلك لأنهم ذكروا أن العقول قد طاشت في تلك الساعة الأليمة ، ومعنى هذا أنها خرجت عن صوابها حتى خبل فريق ، أى فقد رشدهم وصوابه وعقله ، وأخرس فريق وأقعد فريق آخر ، إلى آخر ما ذكروا . وساعة تصل فيها العقول والقلوب والنفوس إلى هذا المكان من القلق والاضطراب والفرع والانفجاع - إلى حد الخبل والخرس والموت جزعاً وهولاً - لا يصح أن يحتاج بالكلام الذي يقع فيها والالفاظ التي تتساقط من هولها وبلواها بلا ريب . فإن هذه الحالة مظنة لأن تقول الألسنة فيها مالا تمتدحه العقول ، وأن تمتدحه

المقول والقلوب مالا يصح ومالا يمكن أن تقتضيه لو كانت مالكة صوابها ورشدها وهديها .

لام المصائب وقد عرف أن الناس في وقت الهلع والمصائب كثيراً ما يقولون أقوالاً لا يرضونها ولا يقولونها أو يقرونها في أوقاتهم وحالاتهم العادية الساكنة ، وعرف أن الألسنة قد تنفوه بما لا تدري وبما لا تدعي حقولها وقلوبها . وقد قال عمر بن الخطاب ، وهو الرجل الحازم الصلب ، يوم أن مات رسول الله : من زعم أن محمداً قد ملت أشطت دمه بسيفي هذا . ولولا الهلع والفرع الأخذان بذاتية رشده وقلبه في تلك الساعة النكراء لما قال ذلك الذي قال ، لأنه لا يخفى على مثله أن رسول الله سوف يموت كما ملت الأنبياء والرسل قبله ، وكما يموت سائر الخلق . وقد ذكر القرآن نبأ موته عليه الصلاة والسلام في آيات قرأها عمر وقرأها غيره من المسلمين وعرفها الخاصة والعامة . وعلى كل حال كلام المصائب إذا اشتدت مصيبتة وعظمت لا يصح أن يحتج به ولا يصح أن يكون مذهباً ورأياً لقائله يؤاخذ به ويمد عليه . وقد علم أن المحب إذا أصيب بفراق حبيبه أو فقدته يقول ويفعل مالا يصح من سواه ومالا يصح منه نفسه قبل مصيبتة . . . فيخاطب آثاراً للمحبوب الراحل ويناديه ويحج إليها ويستلمها ويقبلها ويطوف بها ، وقد يخاطب أوثابه وصوره ويدعوها ويكلمها كأنه يخاطب حبيبه حقيقة ، وكأنه حاضر عنده يراه ويسمعه ، وكأنه واقف بين يديه ، وكأنه يخاطب حياً سمياً بصيراً .

وإذا بلغت الحالة بالمصائب المنجوع إلى هذا الحد فأنه أكرم وأرحم من أن يؤاخذ بما يقول وما يفعل في تلك الساعة وتلك الحالة التي فقد فيها صوابه وهده . ولن نظن أن الله مؤاخذ عمر رضى الله عنه إذ أنكر موت النبي وقد مات وإذ زعم أنه قاتل من قال بموته من المسلمين ، كما لا نظن أنه تعالى مؤاخذ أولئك الذين زعم هؤلاء أنهم خبايا وأقعدوا وأخرسوا وماتوا كمدا حيناً بلغهم موت

النبي عليه الصلاة والسلام . فالاحتجاج بهذا النقل ، لو كان صحيحاً ، لا يصح عندنا ولا عند غيرنا إذا صح ما ذكره من طيش العقول واضطرابها وبلوغها تلك الحالة التي وصفوها ووصفوا ما فيها من الخبل والخرس والاقماد والموت من الكمد والجزع . والله أعلم .

الخطاب نوعان

فان قيل إن في الرواية التي رواها البخاري والتي أقرتموها ، وهي قوله الصديق : « باني أنت وأمي ، طهت حيا وميتا ، والله لا يذيقك الله الميتين أبداً » - دليل على جواز خطاب الموتى ، وخطابهم دليل على سماعهم وإلا لما خوطبوا ، لأن الخطاب يراد به الاسماع والابلاغ ، ولا يحاول اسماع وإبلاغ من لا يمكن إسماعه ولا إبلاغه ، وأنتم تدعون أن الأموات لا يخاطبون ولا يسمعون من خطبهم من أهل الدنيا ، وهم إذا كانوا يسمعون الخطاب فما المانع من دعائهم وندائهم وطلب الشفاعات منهم ؟ وقد جعلتم برهانكم على بطلان دعاء الموتى ادعاءكم أنهم لا يسمعون الدعاء والنداء ، ولا يلمون عن اتصال بهم شيئاً ، استدلالاً بالآيات التي ذكرتوها وزعمتموها براهين دلي أنهم انقطعوا عن الدنيا وأهلها فليس بينهم وبينهم سبب من الأسباب ولا علاقة من العلاقات يتمسك بها أحد الفريقين : لئن قيل هذا ، قلنا في الجواب عنه : إن الخطاب لم يوضع أصلاً في اللسان ليوجه إلى من يسمع دون من لا يسمع ، أو إلى الحاضر دون الغائب ، أو إلى الحي دون من مات ، أو إلى العاقل دون من لا يعقل من الجباد والأحجار والأشجار . بل قد وجه الخطاب إلى السامع وغير السامع ، وإلى القريب والبعيد ، وإلى الحي والميت ، وإلى العاقل العالم وإلى الجباد الذي لا يعقل ولا يشعر ولا يعلم شيئاً . والدلائل على ذلك من كلام المقلد شعراً ونثراً ومن نصوص الدين ، لا يجمعها جامع ، ولا يحيط بأفرادها محيط ، ومن الدلائل الدينية . على ما ذكرناه السلام على الأموات بلفظ الخطاب ، فان الزائر للمقابر

قد يجوز خطاب الأموات

يشرح له أن يسلم وأن يقول في سلامه : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين . وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » . وليس معنى هذا السلام وهذا الخطاب أن الأموات يسمعون ذلك وأنه يراد لإسماعهم يقيناً ، لأنهم قد يكونون في حفر لو كانوا فيها أحياء لما سمعوا دعاء من دعاهم ولا سلام من سلم عليهم لكثرة الحوائل وققدان المسالك . ومن الدلائل على ذلك أيضاً السلام على النبي في تشهد الصلاة ، فإن المصلي يقول في تشهده : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . يقال ذلك في حياة النبي عليه الصلاة والسلام وبعد وفاته في كل مكان وزمان . ولا يستطيع مسلم ولا عاقل غير مسلم أن يزعم أن النبي عليه السلام حاضر مع كل مصلي مسلم عليه ، سامع سلامه وخطابه في كل مكان ومن كل مكان لأن معنى هذا القول وجوده في كل مكان وسماعه كل صوت وخطاب في وقت واحد ، وهذا لا يقول به المؤمنون بالله وبمقوله . وقال ﷺ لما مات ابنه إبراهيم : « العين تدمع والقلب يحزن ، ولا تقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا بك يا إبراهيم لحزونون » . ولا شك لدينا أنه لا سماع في هذا الخطاب . ومن ذلك قول نبي الله صالح لقومه بعد أن أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين من سورة الاعراف : « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » وقول نبي الله شعيب لقومه بعد أن هلكوا من سورة الاعراف أيضاً : « فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » . ولا شك ولا تردد أن هذا الخطاب وهذا النداء خطاب ونداء غير حقيقيين ، وأنه لا سماع هنا ولا حضور ولا فهم ولا معنى من المعانى القائمة بالخطاب السامع الفاهم . ونظائر هذا في الشريعة كثيرة مفهومة .

فطالب الجهاد أما هذا النوع في كلام البلغاء من الشعراء والناطقين وسائر أصناف بنى آدم

فشيء لا يمكن الاطاعة به ولا جمعه ، وشيء يعرفه الخاصة والعامة والجهلاء والعلماء
 فقد خاطبوا الديار والآثار والرياح والنسائم ، وحملوها تحيات الحبايب ، وحملوها
 النجائب ، وخاطبوا الشمس والقمر والنجوم والسماء ، وسألوها عن الاحباب
 والأصحاب ، وخاطبوا السحاب ، وخاطبوا الليل والنهار ، وخاطبوا الخيال والطيف
 والنوم ، وخاطبوا النجائب والركائب ، وخاطبوا غير ذلك مما لا يعقل ولا يفهم
 ولا يسمع ، وشواهد هذا غنية عن إيراد شيء منها . وقد رثوا الأموات الذين
 تقاسمتهم السباع والضباع وصنوف الوحوش والطيور ، والذين ابتلعتهم البحار حتى
 لا يعلم لهم عين ولا أثر ، والذين أكلتهم النيران فطيروا مع ذرات الرياح وذواريها
 رثوا هؤلاء الموتى فخاطبهم خطاب الحاضرين السامعين الفاهمين ، وهم يعلمون
 أنهم لا يسمعون ولا يعلمون من خطابهم وأمرهم وحالهم شيئاً .

كل هذا فعله الناس العقلاء ، وكل هذا لا يدل على سماع المخاطب وفهمه
 واجابته وضره ونفعه بلا ريب ، فكذلك ما كان مثله مما جاء في الشرع ونصوصه
 الصحيحة . والذي ننكره نحن من الخطاب هو الخطاب الذي فيه طلب وسؤال
 ورجاء وخوف وخشوع وخضوع ، لا مطلق الخطاب ، فاننا نقول في اليوم والليلة
 صرنا : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ونقول : « السلام
 عليكم أهل الديار من المؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » ، نسأل الله لنا
 ولكم العافية » ونقول : رحمة الله عليك يا أبا بكر ، لقد كنت برا ببيبيك ، مخلصاً
 لربك ، ناصراً لدينك . . . رحمة الله عليك أيها الفاروق ، لقد كنت شديداً في
 الحق ، شديداً على الباطل ، قائماً لأهل النفاق ، مذلاً للكفر وأشياعه ، ناصراً
 للإسلام ، ناصراً لراياته على هام الأمان . . . رحمة الله عليك يا عثمان بن عفان ،
 لقد كنت هيناً لنا حياً ، تكره الشر وأهله ، وتحب الخير والسلامة والرفق حتى
 ذهب ضحية الرفق واللين شهيداً مظلوماً . . . رحمة الله عليك يا ابن أبي طالب

المنكر من
 خطاب
 الأموات

لقد كنت سيفاً وبحراً وحكمة . .

وبهذا التخريج الصحيح يخرج ماجاء من الخطاب للأموات في النصوص الصحيحة كقول فاطمة رضي الله عنها ترى أيتها : يا أبتاه ، أجب رباً دعاه ، يا أبتاه ، في جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه ، إلى جبريل تنعاه . وإن كان هذا ندبة لانداء .

وأما ما ذكر عن شرح المواهب للزرقاني من أن المعاصي إذا قال في دقلته : اللهم إني أستشفع إليك بنبيك ، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له ، قول على الله وفي دين الله بلا سلطان من الله ، فلا يعاب به .

إتنا قد قلنا مرات إنه ليس كل ما كتب حجة على العلم ، وكتبنا أيضاً مرات ليس كل ما إن الضلال والخطأ يطبع وينشر ويقرأ ، ويحصل به الجاهل والمخلق الكثير ، وإن الشيخ الكبير والعلم من العلماء قد يقول كلاماً علم له به ، وما يمجزه أن يقيم عليه الحجة والبرهان . وماذا ينفع الباطل وأهله عند الحق وحده فمن يجد الباطل من يقوله ، وأن يجد من يكتبه وينشره ، وأن يجد من يطبعه ؟ وماذا يجد في الخطأ أن يجد له سلفاً في الخطأ وشيعة في الباطل ، وماذا يجد به أن يقلد فيه ؟ هذا كله لا يجد شيئاً ، ولكن الذي يجد هو البرهان وإن كان لا يثبت به ، والحجة الظاهرة وإن كانت قليلة الأنصار والأحوان . فليأتنا هذا المصنف ببصيص من برهان ندن له ، أو رسيس من حق نقل : لبيك وسعديك ، وإفلا . وليس يخفى على من تعامل العلم وتعاطى التأليف فيه حتى دخل في المضايق والمآزق أن أشياخاً أكبر من صاحب شرح المواهب ، وأكبر من هؤلاء الذين ينقل عنهم هذا الشيبي قد أخطوا وغلطوا وقالوا أقوالاً لا يقبلها المحدثين والإيمان ، ولا يرضاها المسلمون والمؤمنون ، ولا نعلم نحن بها لأنها لا برهان لها . ولا ريب أنه لو كان الحق بالرجال يعرف لكان شيخ الإسلام ابن تيمية أحق

بالحق من الزرقاني وأضراب الزرقاني ، ولو كان الدين تقليداً مجرداً لكان ابن تيمية وتلاميذه أولى بأن يقلدوا من صاحب « المواهب اللدنية » وصاحب شرح المواهب ومن كان مثلهما . فاقفله عن الزرقاني لا ينفعه عند الحق وأهله شيئاً .

وأما ما ذكر من أن العلماء ذكروا أن من آداب الزيارة أن يقول زائر النبي عليه الصلاة والسلام : « جئناك لقضاء حجتك والاستشفاع بك ، فليس لنا يارسول الله شفيع غيرك ، فاستغفر لنا واشفع لنا . . . »

فجوابه أن نعيده ما ذكرناه مراراً من أننا لا ننزع أن جماعات من الفقهاء والمفسرين والمتكلمين وغيرهم قد قالوا ما ليس لهم به من علم ، وأنهم قد غلطوا وأخطأوا وكتبوا ما لا يصح أن يكتبوه وما ينعجزهم أن يقيموا عليه الحجج والبرهان ونعيد أيضاً ما ذكرناه مرات من أنه ليس كل من كتب في الدين يلزم المسلمين - الأخذ عنه والقول بقوله والذهاب إلى ما كتب ودون من الأخطاء والآراء . بل لقد أوجب الدين على المسلمين كافة أن يعرضوا جميع الأقوال والآراء على الكتاب والسنة ، فما وافقهما قبل ، وما خالفهما رد ولا كرامة . وألزم الناس جميعاً أن يرجعوا إلى الله وإلى رسوله عند اختلافهم وتنازعهم ، ولم يحل من ذلك أحداً من الناس قال تعالى : « فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً » وقال : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » . وذم في غير ما آية الذين يقولون : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا إذ قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، وجعل الذين يأبون الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ويأبون التحاكم إليهما عند الاختلاف والنزاع مناققين مرتدين ، فقال : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول

الحكم هو
الكتاب
والسنة

رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » وجعل المؤمنين الصادقين هم الذين يقولون ، إذا دعوا إلى الله ورسوله ، سمعنا وأطعنا فقال : « إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » ، ونهى على الذين يعرضون إذا دعوا إلى الله ورسوله أشد النemy فقال : « وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ، أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » .

تتبع أغلاط العلماء فالمسلم الصحيح الاسلام ليس هو من يتتبع أخطاء الخطئين وأغلاط الغالطين ليقاوم بها وحى الله ورسالة نبيه ونصوص كتابه المبين ، وليعبد الله بتلك الاغلاط والاختطاء ، وليطاول ويصاول بها الدعاة إلى الدين الصحيح وإلى الكروع في مناهله الصافية النقية ، والاخذ من معادنه الأولى الجارية : ليس هذا هو المسلم الصحيح الاسلام ، ولكن المسلم حقا هو الذى يستمع القول فيأخذ بأحسنه ، ولا أحسن من قول الله وقول نبيه عليه الصلاة والسلام ، ثم هو الذى يعلم أن الله لم يفترض على عبده أن يدين إلا له تعالى ولما أنزله على رسله وأنبيائه ، والذى يعلم أن من ذهب يؤلف لنفسه عقيدة ولعقيدته مذهباً من أغلاط الغالطين وأخطاء الخطئين فقد اختار لنفسه شر العقائد ، ولعقيدته شر المذاهب ، لأنه يقل أن يسلم عالم من أن يغلط ويخطئ ويذهب مذهباً لم يشرعه الله ولا رسوله ، كما أنه يقل أن يسلم إنسان من أن يقارف إحدى المخالفات ويلامس واحدة من المحرمات لضعفه الجبلى ونقصه المحتوم . فمن بنى مذهباً على أغلاط العلماء فقد جمع لنفسه الشر والنقصان والجهل المفرق فى الأمم والشعوب . ومن أحبا ، وأنقص ، حظاً ممن ، فما ، ذلك ؟

وما مثل هذا إلا من ذهب يتتبع سيئات الناس وآثامهم وعثراتهم وملاوهم
فيعمل بكل ما وجده من ذلك ، تاركا حسناتهم وفضائلهم وما أتوه من صالحات . **شر المذاهب**
ولا يفعل هذا إلا مغمور في الزندقة والضلال . وذلك لأن لكل إنسان - إلا من
شاء الله - هنات ، تقل في إنسان وتكثر في آخر ، فأحياناً تغلب الحسنات ،
وأحياناً تغلب الهنات والسيئات . فإذا غلبت الحسنات غمرت السيئات وحملت
الناس على الإغضاء عنها ، أو على غفرانها وتناسيها ، وإن كانت الأخرى
كانت الأخرى . فإذا جاء إنسان وأراد أن ينتزع من كل إنسان سيئاته وهناته
دون الحسنات فقد جاء بشر المذاهب والعقائد . وهذا هو ما انتحى إليه هذا
الشيخي وأشياعه وأسلافه : فقد قصدوا إلى كل غلطة وقع فيها أحد الفقهاء
والمشايخ في أبواب البدع والقبور وعبادة الموتى ، وركبوا منها هذه الوثنية
الكثيفة الشنعاء ، وتركوا ماع هؤلاء المخطئين الغالطين من الحق والصواب
والإسلام . ففلان « مثلاً » يقول يجوز شد الرحال إلى القبور ، ولكنه مع
ذلك يمنع « مثلاً » تقبيل القبر ودعاء المقبور . . . فيعمد هؤلاء إلى قول هذا
القائل في السفر إلى القبور ، ويتركون قوله في تحريم تقبيل القبور وتحريم دعوة
الأموات ، ثم يذهبون يلتمسون غالطين آخرين قالوا يجوز تقبيل القبر وجواز
دعوة المقبور ، فيجدون ، ولا بد ، من قال ذلك فيأخذون به ويتركون ماعه من
الحق والصواب والإسلام . وهكذا يظنون يطوفون على أصناف العلماء وأصناف
الكاتبين والمؤلفين ، وجميع أصناف الناطقين يستجوبونهم أغلاطهم وأخطأهم
وخطاياهم ، فيركبون منها لهم عقيدة يقائلون عليها ، ويدعون الناس إليها .
وهذا لا يصنمه إلا زنديق - عياذاً بالله . وقد قال بعض أهل العلم : من تتبع
رخص العلماء فقد تزندق . فكيف بمن تتبع أخطأهم وزلاتهم ! بل كيف بمن
تتبع أخطأ الجاهل وغفلاتهم من المؤلفين الذين لا سابقة لهم في الإسلام ولا في
(٢١)

العلم والصلاح والنقى غير أن جاءوا إلى كتب قيمة من تراث السلف الصالح النفيس ، فكتبوا أسماءهم على طرفها بعد أن مسخوها وأفسدوها وأدخلوا عليها كل غريب باطل ، وكل دخيل مزدرى ، وبعد أن ملأوها بالشوك والسعدان وقد كانت ، قبلاً ، أزاهير ورياحين حبذا الجاني والمجتنى . . .

فالمسلم مطالب أبداً بأن يكون مع الحق أين كان ووقع ، ومطالب بأن يجانب الباطل ويهجره أين كان ومع من كان . فليس من الحجة على الحق وأهله أن يقول فلان أو فلان ، وليس المسلم مكلفاً بأن يعبد ربه ويدينه بكل ما يقال وكل ما يكتب . وهذا ظاهر .

من ذكر هذا على أننا نقول لهذا المصنف : إن العلماء كلهم لم يذكروا هذا الذى ذكرت عند الزيارة ، بل ولم يذكره جلهم ، بل ولم يذكره أحد من الأئمة الذين تتبع مذاهمم ويقتدى بأرائهم وعلمهم . ومن العسير على هذا المصنف وعلى غيره من أشياع الابتداع أن يذكروا لنا نقلاً صحيحاً ورواية قائمة مقبولة تثبت أن الامام أبا حنيفة أو مالكا أو الشافعى أو ابن حنبل قال ذلك أو أجازوه أو أباحوه أو ذكر أن له فضيلة ومشوبة ، أو فعله أو رأى من فعله فلم ينكره . وقد وضع الامام الشافعى رضى الله عنه كتاب « الأم » بيده فلم يذكر فيه ذلك ، ووضع الامام مالك « الموطأ » فلم يذكر ذلك ، ووضع الامام أحمد مسنده الجامع الكبير ، وهو الأصل والمرجع الأول لعلوم السنة ولمذهبه ومذاهب أصحابه - وضعه رضى الله عنه بيده فلم يذكر فيه رواية واحدة من هذا القبيل . ولم ينقل أصحاب الأئمة الثقات الملازمون لهم العارفون بمذاهممهم وبالمذاهب الاسلامية شيئاً من هذا : لافعله ولا استحبابه ، ولا ذكره رواية فى فضله وثوابه

هذا كله حق لا ريب فيه ، ولكن الذين ذكروا هذا هم الذين ذكروا غيره من الآراء الرخيصة والمعتقدات الضعيفة التى صارت ، فيما بعد ، مادة ومرجاً

لهؤلاء الجانحين إلى بهض الباطل الذي حارب به الاسلام ونبي الاسلام حر بأشعواء طاحنة . . . وهؤلاء الذين يذكرون هذه الآراء والأقوال المتجافية عن أصول الاسلام ليسوا حجة بالاجماع : ليسوا حجة عند المجتهدين ولا عند المقلدين لأنهم هم مقلدون ، غاية أمرهم وفضلهم وعلمهم أن ينقلوا ويدونوا أقوال الأئمة السابقين المجتهدين . فاذا جاءوا بشئ غير صحيح ولا ثابت عن الأئمة لم يصح الأخذ به لا عند المجتهد ولا عند المقلد ، لأنهم ليسوا مجتهدين بالاجماع ، وهم أنفسهم ينكرون الاجتهاد ويشلبون المجتهدين ويقعون فيهم لاجتهادهم . وهذا لا ريب فيه . ثم لا ريب أن هذه الآراء المبتذلة التي ينقلها هؤلاء المتأخرون المقلدون آراء لا يستطيعون أن يجدوا لها رواية صحيحة قائمة تثبت نسبتها بالامام المجتهد الذي ينقل منهجه وينادي بتقليده .

وهذا الشيخ صاحب « المغنى » في منهج الحنابلة ، أقرب مثل إلينا ، ما ذكره ابن قد ذكر في فصل زيارة القبر النبوي أن الزائر يقول في دعائه : « اللهم إنك قلت وقولك الحق » ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » ، وقد أتيتك مستغفراً من ذنوبي ، مستشفعاً بك إلى ربى . . . »

وهذا الذي زعم أن الزائر يقوله من تلاوة الآية ومن قوله : أتيتك مستغفراً ومستشفعاً ، من العسير أن يجد له حجة وسنداً من أقوال الامام أحمد الذي ألفه كتابه في نقل منهجه وتدوين أقواله ، ومن الأعرس أن يجد له حجة من الرواية الصحيحة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عن أحد من أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين . وإذا قال صاحب « المغنى » أو غيره قولاً لاحجة له عليهم لا من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال الامام الذي يقلده وينقل عنه لم يصح القبول له عند أحد من أهل العلم لا عند المقلدين ولا عند المجتهدين . فالمقلدون

لا يقبلون قوله ، لأنه عندهم ليس مجتهدا ، ولا يصح أن يجتهد ، والمجتهدون لا يقبلونه أيضا لأن المجتهد لا يقلد وإنما يأخذ بالدليل والحجة . فقوله غير مقبول عند الفريقين . وهكذا القول في كل ما يكتبه المؤلفون في مذاهب الأئمة مما لا دليل عليه .

والأئمة المقلدون قد تُكذب عليهم ودفعت إليهم أقوال لم يقولوها ولم يعرفوها ، بل لو ذكرت لهم لأنكروها وردوها ، كما تُكذب على رسول الله وعلى أصحابه ، بل كما تُكذب على الله وعلى دينه . وهذا الكذب المعزى إلى رسول الله وإلى أهل العلم على نوعين : نوع منه كان مقصودا متعمدا لأغراض مجرمة . فاسقة ، وهذا هو الكذب الصحيح الصريح . ونوع آخر من هذا الكذب لم يكن مقصودا ولا متعمدا ، وإنما جاء بضروب شتى من السهو والخطأ والتساهل والاجتهاد والتعليق . وهذا كذب في الواقع وإن لم يكن كذلك في أنفس الذين كسبوه وقعوا فيه لأنهم لم يقصدوه ، بل ولم يعلموه . وهذا النوع إنما يقع فيه أهل الدين من المنخدعين بالباطل لسلامة نياتهم وصدورهم ، ورخاوة أذهانهم . ولهذا فانه يجب على أهل العلم التنقيب والتنقيب عن أصول كل ما يذكر في هذه الكتب فلا يصح أخذ ذلك بالتسليم العام ولا بالثقة المطلقة ولا بالأطمئنان الوثيق ، لأن الدخيل ، كما ذكرنا ، قد كثر في كتب الحديث ، وهو في كتب الفقه وغيرها أكثر . وهذا أمر لا يشك أهل العلم في وجاهته وإصابته الحقيقة والمرمى . وإذا كانوا لا يقبلون ما يذكره إمام الحديث البخاري في صحيحه سيد الكتب الصحاح حتى يسنده وحتى تعرف روايته : فلا يقبلون معلقاته ورواياته التي يذكرها مخدوفة الإسناد ، لاحتمال أن يكون الإسناد المخدوف غير نظيف . وكذلك لا يقبلون ما يذكره الشيوخ الكبار والأئمة البارعون ، أمثال مالك وغيره إلا بالسند والحجة . فكيف يمكن أن يقبل أهل العلم كل ما يذكر في كتب الفقه من

ليس من الاسلام
مضالات الافهام

الآراء الرخيصة المبندلة بلا رواية ولا دراية ولا حجة لا من كتاب ولا من سنة ولا قول أمام من الأئمة ؟ بل إذا كانت أقوال صحابة النبي عليه الصلاة والسلام ، وأقوال الكبار والخلفاء منهم لا يجب قبولها مطلقاً بلا حجة من الكتاب والسنة فكيف يقبل كل ما يذكر في كتب الفقه من الأقاويل والعقائد المدخولة . فمن الائم الكبير إذن أن يروح رائج يتلسس ، في ضمرات من الجهل والبلادة ، غلطات الكتب ويتسقط على سقطات الكتّابين ، ليؤلف له والمسلمين عقيدة يحملهم عليها ، ويثالب من لم يجب إليها . ومن ائمة الكبير أيضاً أن يقوم قائم فيحشد في كتاب واحد من الكتب جميع ما زلت به الأقلام ، وما ضلت به الأفهام والادهام ، ثم يقوم يقول : إن هذا هودين الله خاتم الأديان ، ورسالة محمد ﷺ خاتمة رسالات الله إلى بني الإنسان !

يا هذا ! إننا إننا نعلم أن في الكتب أغلاطاً وأخطاءً ، ولكننا نعلم مع هذا أن الله لم يكلف أحداً من عباده أن يدينه بتلك الاغلاط والأخطاء وأن يذل لها عقله وقلبه ودينه وعقيدته ، بل نعلم أن الله لا يرضى هذا لأحد من خلقه . فليس بنا فاعل إذن ، يا هذا ، أن تسقط على سقطة في كتاب مطبوع أو غير مطبوع ، ولا بمقيم لك العذر عند الله أن تكون مقلداً في خطئك وغلطك ، ولا الله بما ذرك إذا ما قللت في الخطأ والغلط . وأنتم يا هؤلاء لا تقبلون ما ذهب إليه أبو بكر وعمر وعثمان ، بل ولا ما اتفق عليه جميع الأصحاب ، خلا المعصومين عندهم ، فاني يسوع لكم ، بعد هذا ، أن تقبلوا كل ما يكتب في هذه الكتب ، بل كيف يسوع لكم أن تجعلوا هذا كله من الحجج التي لا يصلح خلافها وأنتم أنفسكم تكفرون من قالوها وكتبوها وألفوها من أهل السنة أو تفسقونهم ، بل وأنتم تكفرون أبا بكر وعمر وعثمان وخيار الصحابة ، أو تضللونهم إذا ما ساهلتم

وترنم ؟ فلعمري الله ما هذا بانصاف ولا دين ولا عدل .
 هذا آخر الرد على شبهاتهم في جواز الاستشفاع بالأموات . وهنا انتهت
 دلائلنا على بطلان ذلك ، وتقضنا لدلائلهم على جوازه . فلينظر هذا بانصاف
 الاستشفاع وتجرد من الهوى والتعصب لغير الحق ، والله المرشد والمستعان .
 بالجماد عند ومن الفظائع التي كتبها الشيبي في هذا الفصل أنه زعم أن الاعتقاد في
 الرافضى الأحجار والأشجار والجماد بأنها تشفع ثم الاستشفاع بها : زعم صفحة ٢٥١ أن
 ذلك لم يعلم كونه عبادة للأحجار والأشجار والجماد ، وزعم أنه لم يعلم كون هذا
 من أسباب شرك المشركين . . . فنده أنه ليس من الشرك اعتقادك أن حجراً
 أو شجراً يشفع ويستشفع مع استشفاعك به ودعوتك إياه الليل والنهار رجاء
 شفاعته ودعوته . وعكوفك عليه حياتك ووقتك كله راجياً أن يقربك إلى ربك
 زلنى بشفاعته ودعوته ! ! فن عكف على شجرة ليله ونهاره يدعوها لتدعو الله له ،
 ويستشفع بها لتشفع له وتبذل وساطتها وجاهاها عند الله لا تقاذه من ضرائه
 وبلائه ولا يسعاده وإعلائه ، فليس بمشرك ولا كافر ولا عابد غير الله . ونعوذ بالله
 من هذا الخذلان المتتابع والهوان المتلاطم .

﴿ الاستغاثة بالأموات ﴾

الحجج على ثم قال الشيبي : « الفصل الثانى فى دعاء غير الله ، والاستغاثة والاستعانة
 دعاء الاموات به ، وطلب الخوائج منه . . . » .

وقد أورد في هذا الفصل ما خلاصته : أن الوهابيين ، وقدوتهم ابن تيمية ،
 قد منعوا دعاء الأموات والاستغاثة والاستعانة بهم ، وأكفروا من فعلوا ذلك .
 قال : وقد غلطوا وضلوا . فانه لا مانع من دعاء الأموات والاستغاثة والاستعانة
 بهم وسؤالهم ضروريات الحاجات والمطالب الصغيرة والكبيرة . وذلك لأن الدعاء

والاستغاثة بغير الله يكون على وجوه ثلاثة : الأول أن يهتف باسم المخلوق مجرداً مثل أن يقول : يا علي ، يا محمد ، يا عبد القادر ، يا أولياء الله ، يا أهل البيت ، ونحو ذلك . الثاني أن يقول : يا فلان كن شفيعي إلى الله في قضاء حاجتي ، أو ادع الله أن يقضيها ، وما شابه ذلك . الثالث أن يقول مباشرة : يا فلان اقض ديني واشف مريضى وانصرنى على عدوى وغير ذلك . قال : والوجوه الثلاثة جائزة صحيحة لآمانع منها ، وكل ما كان ظاهره من ذلك ممنوعاً باطلاً وجب حمله على الصحيح وعلى مجاز الكلام ، لأننا مطالبون أبداً بأن نحمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحيح والخير والطاعة . فإذا قال مسلم ، مثلاً ، يا ولي الله فلان اشف مريضى أو اهد قلبي أو اغفر ذنبي أو رد غائبي أو اشرح قلبي للإسلام أو أمثل ذلك من الكلام وجب أن تقول إن هذا كله صحيح جائز وإنه من مجاز الكلام كما في قول الناس : بنى الأمير المدينة ، وشفى الطبيب المريض ، وكما في قول علماء البيان : أنبت الربيع البقل . . . قال : وقد جاء المجاز العقلي في لسان العرب وفي القرآن كثيراً كما في قوله تعالى : « فارزقهم منه » وقوله : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا : حسبنا الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله » وقوله : « وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » . بل لقد أضاف الله إلى عبده عيسى ما هو أبلغ وأعظم من هذا فقال حكاية عنه عليه الصلاة والسلام : « إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله » .

قال : فالمسلم إذا دعا الميت وقال ، مثلاً ، يا محمد ، أو يا علي ، أو يا عبد القادر ، اشفني أو اهد قلبي أو اغفر ذنبي ، كان معنى ذلك أنه يطالب منه الشفاعة والوساطة ، أي يطلب منه أن يكون سبباً في نيل ما يطلب بدعائه وشفاعته . وقد قال قائل

لرسول الله : أسألك مرافقتك في الجنة . وسؤال المرافقة في الجنة مثل سؤال خفران الذنوب وهداية القلوب وأمثال هذا .

قال : نعم ، لو قصد المستغيث بغير الله أن المستغاث به فاعل اختياراً واستقلالاً بدون واسطة الله تعالى فالمسلمون براء منه ، ولكن لا يوجد مسلم يقصد ذلك . وقد روى البيهقي وابن أبي شيبة عن مالك الدار ، خازن عمر رضى الله عنه ، قال أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي عليه الصلاة فقال يا رسول الله استسق لأمّتك فانهم قد هلكوا ، فأناه رسول الله في المنام فقال أئت عمر وأخبره أنهم مسقون . وقد نص القرآن على أن الشهداء أحياء عند ربهم ، والأنبياء أولى بالحياة من الشهداء بلا ريب . والأحياء يصح دعاؤهم والاستغاثة بهم بالاجماع .

قال : والمسلمون ، سلفاً وخلفاً ، مازالوا يستغيثون بالأنبياء والصالحين ويسألونهم الشفاعة . قال السهودي : إن الاستغاثة بالنبي عليه السلام من فعل الأنبياء والمرسلين ، ومن سير السلف الصالحين . وقد ذكر في كتابه « وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى » أقاصيص وحكايات ذات عدد من استغاثات العلماء بالأموات ، وذكر أنهم قد نالوا ما طلبوا وأملوا بسؤالهم إياهم . فما ذكر أن رجلاً أو دعت عنده أمانة فأفتقها فطلبت منه فقال لطالبها اذهب وعد إلى غداً . وراح هو إلى المسجد يلوذ بقبر النبي عليه السلام مرة ، ومرة أخرى يلوذ بمنبره . وقضى ليله ساهراً ضارعاً كذلك حتى كاد الصباح يطلع ، وبينما هو يستغيث ويلجأ في استغاثته إذا بشخص يناديه ويعطيه ماسأل . وقال قال أبو بكر بن المقرئ : كنت أنا والطبرائي وأبو الشيخ في حرم رسول الله فعضنا الجوع ، فلما كان وقت العشاء أتيت قبر النبي عليه السلام وقلت يا رسول الله الجوع - إلى أن قال : فدفق الباب غلام علوى معه غلامان ، مع كل غلام زنبيل فيه شيء كثير ، وقال :

خكايات
عربية في
الاستغاثة
بالأموات

أشكونكم إلى رسول الله ، فأتى رأيته في المنام فأمرني أن أحمل شيئاً إليكم . قال وقال ابن الجلاب دخلت المدينة المنورة وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت : ضيفك ، ففقت فرأيت النبي عليه السلام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت ويدي النصف الآخر . قال وقال أبو عبد الله محمد بن زرعة الصوفي سافرت مع أبي ومع أبي عبد الله بن خفيف إلى مكة فأصابتنا فاقة شديدة ، فدخلنا المدينة فأتى أبي الحظيرة وقال : يا رسول الله : أنا ضيفك الليلة ، فرأيت رسول الله فوضع في يدي دراهم وبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز ، وكنا ننفق منها . قال وقال أحمد ابن محمد الصوفي تهت في البادية ثلاثة أشهر فانسليخ جلدي ، فدخلت المدينة فأنيت النبي عليه الصلاة والسلام وسلمت ثم نمت فرأيت في النوم فقال لي : جئت ؟ قلت نعم وأنا جائع وأنا في ضيافتك ، قال افتح كفيك فلاثهما دراهم ، فانتبهت وهما مملوءان . قال وذكر السهمودي أشياء أخرى من هذا النوع منها ماوقع له هو . قال فيستفاد من هذا أن الاستغاثاة بالنبي سيرة المسلمين خلفاً عن سلف بلا تكبر ولا خلاف ، وهذا مأخوذ من صاحب الشريعة .

قال : ويدل على جواز الاستغاثاة بغير الله ما رواه ابن السني عن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد : عباد الله احبسوا ، فإن الله عبداً يحببونه » وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه عليه السلام قال : « إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس ، فليقل يا عباد الله أعينوني » وفي رواية « أغثوني فإن الله عبداً لا ترؤسهم » . قال في خلاصة الكلام : صح عن بلال بن الحارث أنه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة ، فعبار يقول : وامحمداه ، وامحمداه . وصح أن أصحاب النبي عليه السلام لما قاتلوا مسيلة الكذاب كان شعارهم : وامحمداه

وإيمده . وفي الشفاء للقاضي عياض أن عبد الله بن عمر خدرت رجله مرة فقبل له اذكر أحب الناس إليك فقال : وإيمده ، فانطلقت رجله .

قال والحاصل أن الاستغاثة بالأَمْوات من الصالحين والأنبياء لا مانع منها ، فيجوز سؤالهم شفاء المرضى ، وهداية القلوب ، وغفر الذنوب ، وإدخال الجنة ، والأبعاد من النار وغير ذلك ، بل هذا كله من الدين ؛ قد دلت عليه نصوصه : آياته وأحاديثه ، وتوارثه المسلمون السلف عن الخلف بلا تكثير ولا اعتراض .
وجميع مظاهره الكفر والباطل والضلال يجب تأويله وحمله المحامل الصبيحة إذا كان قائله أو فاعله مسلماً . . . هذا خلاصة ما أورده في هذا الفصل .

ونحن بحول الله وقوته نذكر هنا ما يكفي من الحجج على بطلان ما ذكر ، ثم نكشف عن شبهاته ونبين ما فيها من زغل ودخل - سائلين الله وحده العون والمدد

﴿ بطلان الاستغاثة بالموتى ﴾

الدلائل على

والبراهين على ذلك كثيرة نورد منها ما يأتي

بطلان دعوة

الاموات

أولاً : إن القرآن بجماعته نهى عام عن دعاء غير الله من الجن والانس وسائر المخلوقات ، وتنفيد شديد صادع بمن فعلوا ذلك ، ودعاء عام شامل إلى دعاء الله والرغبة فيه والانقطاع اليه وحده لا شريك له ، وإنباء عن المؤمنين جميعاً بأنهم لا يدعون إلا الله ولا يسألون سواه لافي السراء ولا في الضراء ، وإخيار قاطع بأن الذي يجيب دعاء الداعين ، ومسألة السائلين هو الله وحده ، وأن كل ما عداه باطل زائل لا يجيب ولا يسمع ولا يضر كما لا ينفع ، وتحديث عن المشركين بأنهم يدعون لحاجاتهم سوى ربهم ، ويسألون غيره ما يأملون في سرائهم وضرائهم ونجميع أحوالهم ، وأنهم لهذا ضالون جاهلون . . . هذا كله بعض ما دل عليه القرآن في آي كثيرة صريحة ، وسور مختلفة من طويلة وقصيرة . وما تصدى القرآن ، فما أعلم ، لشيء تصديه لا بطل دعوة غير الله والنهي والزجر عنها ، وما أطنب

وأوضح في شيء إطنابه بولييضاحه في أن المدعى بحق هو رب العالمين ، وأن ما يدعى من دونه فدعاؤه الباطل والضلال والجهل المبين . ولا عاب القرآن الكريم ، فيما أحسب ، شيئاً عيبه لسؤال غير الله ولدعوة المخلوقين ، ولا ذم فريقاً من فرق الضلال مذمته لمن يدعون غير ربهم ، ويسألون غير خالقهم ورازقهم ، ومحبيهم ومميتهم حين الرهبة وحين الرغبة وجميع الاحيان . ولقد نوع الله في هذا الإنبال ، وأكثر وأوضح فيه العبارات ، وبين وأبدع في البيان والايضاح فأبلغ وبلغ ، وأرسلها في أساليب لو أرسلت على صخر أصم لتصدع ، وأنزلها في آيات من آياته أبان ما تقوله بلاغة البلغة في صفتها : الله أكبر ، ما أبلغ وأروع ! وأبدع ما يقول المادحون في امتداحها : هذا كلام الله ، والله أجل وأعظم أوصافها في أقوال من المثل العليا لو أن الناس عقلوا منها مثلاً واحداً لما أشرك بالله إنسان واحد ، ولما وجدت كلمة « الاشرار » ولا كلمة « المشرك » في قاموس البشرية .

لقد عني القرآن بإثبات المعاد والحساب والعقاب ، وبإثبات النبوات والوحي . واتصال الملأ الأعلى بالبشر ، وعنى بغير ذلك من أصول الأديان والإيمان ، ولكنه قد عني بالنهي عن دعاء غير الله وبالأمر بدعائه وحده . أكثر كما سوف نعرض على القارئ لكتابنا : ففي كل سورة تبحر الله تعالى ينهى عن دعاء غيره ويأمر بدعائه وحده ، ويندد بمن دعا سواه من خلقه ، وفي كل آية تنهى عن ذلك تبحر النهي فيها شديداً والتأنيم عظيماً . والأمر أوضح وأظهر :

قال الله تعالى من سورة الحج « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن دالة القرآن للذين تدعون من دونه الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب : ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز » . وهذه الآية لو لم ينزل الله خلالها على البشر كافة لكانت حجة قائمة عليهم جميعاً في بطلان الشرك وبطلان دعاء غير الله وهتف أركانه ،

وهي تنديد بمن دعوا مخلوقا يقصر القول عن نعمته وصفته . وقد وجه الله هذا المثل إلى الناس أجمعين في كل زمان ومكان ، وأذنبهم بأن الذين يدعون من دونه من العقلاء وغير العقلاء ، من الجن والانس ، من الصالحين والطلحين ، عاجزون عن نفهم وعن ضرهم وعن كل ما يرجي منهم من خير وشر : فهم لا يستطيعون أن يخلقوا أحقر مخلوق في هذا الوجود ، ولا أن يستردوا ما أخذ منهم هذا الأحر . وهذا أبلغ وصف للضعفاء العاجزين . فهم لا يستطيعون ، ولو اجتمعوا ، أن يخلقوا ذباباً واحداً ، ولا يستطيعون أيضاً أن يستنقذوا من الذباب ما سلبهم من الأمور الروحية والمادية . وهذا أقصى غايات الضعف والعجز . فما أضعف الطالب الذي يرجو هؤلاء العاجزين عن خلق الذباب وعن استنقاذ ما سلبهم إياه ، والذي يدعوهم لا إحدى حاجاته ؟ وما أضعف المطلوب الذي عجز عن خلق الذباب وعن التغلب عليه ! فما أضعف إذن الطالب والمطلوب ! وإن قوما يدعون هؤلاء العاجزين الضعفاء لحاجاتهم وآربهم ، وينسون الله ربهم وخالقهم وخالق كل شيء لجاهلون به وبقدرة وحقه وجبروته وسلطانه ، وجاهلون بأنفسهم أيضاً . فما قدر والله حق قدره ولا عظموه حق تعظيمه ، وهو القوى العزيز الذي لا يغالب ولا يفلب ، ولا يمانع ولا يمنع على أمره ومشيتته شيء .

غير باب الله فهذه الآية لم تدع مخلوقا يدعى من دون الله إلا عجزته ونهت عن دعائه أبلغ النهي ، وإلا ضعفته وبالغت في تضييفه وتضييف داعيه وسائليه : فلم تدع للمنقطعين إلى غير الله ، الراغبين في المخلوقين نبياً ، ولا ولياً ولا شجراً ولا حجرأ ولا ملكاً ولا جانا ولا شيئاً من الأشياء . فقد سدت على البشر جميعاً كل باب غير باب الله ، وأوصدت في وجوههم وسبلهم كل أمل غير أمل الله ، وقطعت الرجاء من كل أحد إلا من الواحد الصمد ، وردت على كل داع غير ربه دعوته ، وعلى كل من سأل مخلوقاً مسألته ، وتوڑت جميع الصلوات بالخلق والأسباب بالعباد ، وربطتهم

جواب
اعتراض

جميعا بأقوى سبب وأعظم مطلوب، بالله ربهم ورب آبائهم الأولين، رب العالمين،
ورب الأولين والآخرين . فآين ، آين من يعقلون ؟ بل آين من يسمعون ؟
وليس لدعاة الصالحين من الأنبياء والأولياء أن يزعموا أن الآية في نهياها
لم تشملهم ، وأنها خاصة بالجمادات والأحجار والأشجار : ليس لهم أن
يزعموا هذا لأن الآية شاملة كل مدعو سوى الله . وكل من لا يستطيع أن يخلق
ذبابا ولا أن يستنقذ من الذباب ماسلبه . والأنبياء وغيرهم من الخلق عاجزون
عن خلق الذباب وعن استرداد ما أخذه منهم . ولأن ألفاظ الآية بيّنة في نهياها عن
دعوة العقلاء : الأنبياء ومن دونهم ، وذلك في قوله « إن الذين » و « يخلقوا »
و « اجتمعوا » و « يسلمهم » وفي « يستنقذوه » . فهذه الألفاظ كلها موضوعة
في اللغة أصالة لتدل على العقلاء لا على الجمادات من الأحجار والأشجار . فهذا
الزعم - إن زعمه زاعم - كاذب باطل . ولا يزعم زاعم آخر أن الآية نازلة في
النهى عن عبادة غير الله لا في النهى عن دعاء غيره تعالى ، لأننا نقول : الآية
صريحة في أنها نازلة في الدعاء . فهي تقول « إن الذين تدعون من دون الله »
وتقول بمسند : « ضيف الطالب والمطلوب » . فالمسألة مسألة دعاء وطلب وداع
ومدعو وطالب ومطلوب . ولأننا أيضا نقول إن الدعاء أفضل أنواع العبادة ،
ولأننا أيضا نقول : إن تعجيز الخلق جميعا هذا التعجيز وتهوين أمرهم هذا التهوين ،
ونعتهم هذا النعت البالغ أقصى غايات الضعف والعجز عن الخير وعن الشر وعن
النفع والضر ، يناسب النهى عن الدعاء والطلب مناسبة واضحة بيّنة ، ولأن
الترغيب عن الخلق والصرف عنهم جميعا بهذا الأسلوب القوي الباهر يشمل ،
بالإرباب ، الترغيب عن دعائهم وسؤالهم والانصراف عنهم بالقلب والقالب
بالدعاء وسائر أنواع العبادات . فلا يمكن أن يقول الله فيهم هذا المقال ، ولأن
يضمهم هذا الموضع ، ولأن يضعف شأنهم هذا الاضعاف ، ثم لا يكون هذا كله

نهبيا حاميا عن دعائهم ومسألتهم ، وعن الرجوع إليهم في حاجة من الحاج ،
ومأرب من المأرب . فان هذا المثل ، وهذا الأسلوب الذي صيغ فيه المثل ،
يملاّن قلب سامعهما بكل أنواع الزهد في الخلق ، وبكل أنواع الرغبة عنهم .
فلا يمكن أن يدعّا في نفس سامعهما ولا قلبه أملا في مخلوق ، ولا رغبة في عبد
من العباد العاجزين عن خلق الذباب ، لا في دعائه ولا في إجابته ولا في أمر
من أموره . فالآية سلطان من سلاطين الله الخالدة ، ونجدة من حججه القائمة
على المشركين وعلى الخلق أجمعين .

ولو أن إنسانا صيغ بالشرك والوثنية ، وكان له عقل ونظر ، فسمع هذه
الآية وعقلها وفهم أسرارها وسماعها لتصدع قلبه فرعا وخشية وانهاراً ، ولتذف
شركه ووثنيته من بشرته ومن أطراف جسمه ، ثم لا نصيغ بالتوحيد وبصبغة
التوحيد الثابتة المعقمة . ولهذا كان الواحد من سلفنا الأولين الذين تلقفوا هذه
الآية وغيرها من قم النبوة ، والذين فهموها وعقلوها عن الله وعقلوا مراده منها ،
يتلقى الزمان بمصائبه وسائر آفاته وامتنعائاته ، فلا يعلم غير الله مابه ، ولا يكشف
لغيره عن علة من علله ولا آفة من آفاته ، حتى لقد كان السوط يسقط من يده
فلا يقول لأحد : ناولنيه ، كما جاء في صفتهم . وكان المرء منهم يتلقى الزمان بسيفه
واحداً فلا يلثني حتى يلثني هو عنه . ولهذا استطاعوا أن يخضعوا الزمان والمكان
وأهلها ، واستطاعوا أن يصيحوا في جوانب الكون الفاسد يحطمونه وهم ينادون
(ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

لوعقل عاقل
هذه الآية

آية ثانية
وقال تعالى من سورة لقمان « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من
دونه الباطل ، وأن الله هو العلي الكبير » .

فالله هو الحق وحده وسواه الباطل ، فدعاؤه هو الدعاء الحق ، ودعائه غيره هو
الدعاء الباطل ، وسؤاله هو السؤال الحق ، وسؤال غيره هو السؤال الباطل ،

والرغبة فيه هي الرغبة الحق ، والرغبة في غيره هي الرغبة الباطلة ، والاتقطاع اليه حق ، والاتقطاع إلى سواه باطل « ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل » ، فالله هو الحق أى الثابت ، وكل شئ سواه باطل أى فان زائل . فمن ذا يرغب عن الحق الثابت إلى المييت الزائل ؟ ومن يعدل عن دعاء الحق إلى دعاء الباطل ! وهذه الآية في معنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد (ألا كل شئ ما خلا الله باطل) . وهي صريحة في إبطال دعاء غير الله من الأموات صراحة عجيبة ، لا يتجه إليها النزاع . وذلك أنها جعلت كل ما يدعى غير الله باطلا ، والتعبير عن كل مدعو خلاه تعالى بالباطل غاية في النهي عن دعائه وسؤاله ، غاية في التزهيد فيه والصرف عنه ، غاية في الزرارية بمن دعاه ورجاه ، غاية في كل ضروب التنفير عنه وعن الحوم حوله رغبا أو رهبا ، لأن الله لا يمكن أن يميز لعباده أن يفزعوا إلى الباطل ، وأن يدعوه ، ويأملوه ، وأن يسألوه حاجاتهم ، ولأن العاقل نفسه لا يرضى لنفسه بأن يرجع إلى الباطل وأن يمد يديه إليه ، وأن يملأ قلبه برجائه وخوفه . فلا أبلغ من التنفير عن كل مدعو سوى الله ومن التنفير عن دعوته من وصفه بالباطل ، ولا أبلغ من الحض على الانقطاع إلى الله وحده من وصفه بأنه هو الحق وما سواه الباطل . فان من أبلغ الصرف عن الأمر عند الناس وصفه بالباطل والبطلان .

فجميع ما يدعوه الناس ، غير الله ، من الأموات باطل لا خير في دعائه ولا في تأميله . ولا أضل ممن أمل ودعا مالا خيرا فيه ومالا نفع يرتجى لديه . وقد سمت الآية الكريمة كل مدعو من الخلق بهذا الوصف ، وصف البطلان ، فلم تستثن مدعوا لا نبيا ولا وليا ولا ملكا ولا جنيا ولا عاقلا ولا غير عاقل ، ولم تخرج من هذا دعاء دون دعاء : فلم تخرج دعاء الأنبياء ، ولا دعاء الأولياء ، ولا دعاء الملائكة ، ولا دعاء العاقلين دون دعاء الجمادات . فكان النهي إذن عاما شاملا . . .

آية ثالثة

وقال تعالى من سورة الرعد : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله، ومادعاء الكافرين إلا في ضلال ، والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال . قل من رب السموات والأرض ؟ قل الله ، قل أفتأخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار » .

خروب دلالة الآية

وهذه الآية من آيات التوحيد العجيبة التي جمعت فنون الابهجاز مع فنون الابهجاز ، مع بلاغة الرد وقوة الاحتجاج ، ووضوح المرمى مع فخامة العبارة ، وسهولة الحجج مع قوة الأسلوب ، حتى لتأخذ على القارئ جميع آلات إحساسه وآلات شعوره ، فتزهزها زهواً عنيفاً وإن كان من الأغبياء المبلدين . ودلالاتها على بطلان دعوة غير الله من وجوه كثيرة : أولاً أنه جعل دعوة الحق التي لا باطل فيها هي دعوته وحده . ثانياً : أنباؤه بأن جميع الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لمن دعاهم أبداً . ثالثاً : تشبيه من دعا سواه بمن أرسل يديه إلى الماء باسطاً لهما رجاء أن يرفعا إلى فيه وهما مبسوطتان منشورتان ، لكنهما لن يرفعا إلى فيه مادامتا مبسوطتين منشورتين ممدودتين إلى جهة غير جهة الفم وهي جهة الماء أبداً ، وهما لن يوصلا الماء فيه حتى يرفعهما إليه ، وحتى يقبضه براحتيه أو بشئ آخر كانا ونحوه . فالذين يدعون غير الله من الأنبياء والأولياء ، رجاء أن ينفعهم وأن يدفعوا عنهم ، هم كمثل من بسط كفه ومده إلى ماء جارٍ في الأرض ليرتفع إلى فيه بمجرد بسط كفه ومده إليه ، وهذا لن يبلغ فيه الماء أبداً . وكذلك الذين يدعون الخلقين ، رجاء شئ ، لن يلبسهم ذلك الشئ . فالذي يبسط يده إلى الماء ليبلغ فاه بذلك طالب بشئ من غير سببه وبدون آله ، فهو لن يدرك ما يطلب .

وكذلك الذين يدعون غير الله ليهبهم بعض ما خلق الله وبعض ما فى ملك الله -
 طالبون الشئ بغير سببه ومن غير أهله ، فهم لن يدركوا ما طلبوا سجيىس الليالى .
 رابعاً ، جعله دعاء غيره من دعاء الكافرين « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » ،
 خامساً : رده على من تعلقوا بشئ دون الله فى الأرض أو فى السماء منبثاً بأن جميع
 من فى السماوات وجميع من فى الأرض خاضعون لله ساجدون له طوعاً أو كرها .
 فانه إذا كان كل شئ ساجداً لله خاضعاً له بالقسر والطاعة وجب على العاقل أن
 يخضع له مع هؤلاء الخاضعين ، وأن يدين له وحده مع الدائنين . ولن يضيره شيئاً
 أن يرغب عن عباد خاضعين لهم طوعاً وكرهاً ، وأن يرغب فى ذلك الذى يرغب
 فيه وخضع له كل من فى السماوات ومن فى الأرض . سادساً : نبيه على من اتخذوا
 من دونه أولياء عاجزين عن النفع والضرر لأنفسهم فضلاً عن أن يملكوا شيئاً
 من ذلك لنغيرهم . سابعاً : قضاؤه بأن من دعا غيره أعى ، وأن من دعه وحده
 بصير ، وأن دعوة العباد ظلام ، ودعوة المعبود نور . وهل يستوى الأعمى والبصير
 أم هل تستوى الظلمات والنور ؟ ثامناً : رده على دعاة المخلوقين وعبداء العباد
 بأنهم لم يخلقوا شيئاً فى هذا العالم فيستحقوا به العبادة والخضوع والدعاء والنداء ،
 رجاء أن يُعطوا مما خلقوا وأوجدوا . وإذا كانوا لم يخلقوا شيئاً ، فيتشابه الخلق
 عليهم : خلق المخلوقين المعبودين ، وخلق الله رب العالمين ، فلماذا عبدوهم
 ودعوهم وسألوهم ؟ أمن العقل والصواب أن تسأل غيرك ما لا يملك وما لا يمكن
 أن يملك ، بل من لا يملك نفسه ، وتدع المالك كل شئ جانباً وهو أرحم الراحمين
 وأعدل العاذلين ، وأقرب إليك من كل قريب ، وأسمع لك من أذنك وأدنى
 إليك من نفسك ؟ فإذا كان الله خالقاً كل شئ ، باعتراف عابدى غيره ، فكيف
 عبدوا غيره تعالى لو كانوا يعقلون ويتدبرون . وقد سجل الناس جميعاً على أن
 يرغبوا فى الممالك دون من لا يملك ، وأن يلجؤا إلى القوى القادر دون الضعيف

العاجز ، وأن يسألوا من يقدر أن يعطى دون من لا يقدر ، فما بال المشركين يضلون عن جبلتهم وفطرتهم عند عبادة الله وتوحيده ، ما بالهم ؟ فالآية حجة من الحجج الناطقة على بطلان دعاء الخلق وسؤال العبيد .

مباراة الشيعى
في الآيه
أما الشيعى المصنف فقد حاول المماراة فى الآيه وحاول التنصل منها بالتأويل ، فزعم أن المراد بذلك ما يدعى من الجادات كالأحجار والأشجار

دون العقلاء من الأنبياء والأولياء والملائكة والجان ، أو ما يدعى من الأنبياء والملائكة الذين يعتقد فيهم أنهم مساوون لله وأن لهم تأثير معه أو أن لهم شفاعاة اضطرارية قهرية . قال : ولا يبعد أن يكون المراد هؤلاء الذين أبطلت الآيه دعوتهم الأصنام خاصة . وهذه تأويلات فاسدة ، ومحاولات للخلاص من الآيه فاشلة : أما تأويلها بالجناد فواضح البطلان لأن الاسم الموصول (الذين) والضمير المذكور (لا يستجيبيون) برهانهان على إرادة العقلاء ، ولأن المشركين لم يكونوا ، كما سلف ، يعبدون جماداً أصم مجرداً ، وإنما كانوا يعبدون عباد الله المقر بين ويعبدون ما يتصل بهم من الآثار والأحجار والأشجار والنسائل والصور ، وغاية القوم الحقيقية العباد المقربون وعبادتهم كمثل عبدة القبور والأموات اليوم سواء ، ولأن المشركين كانوا بلا خلاف يعبدون الملائكة والجان والصالحين وغيرهم ، وحين أخبرت الآيه بأن الذين يدعوم المشركون من دون الله لا ينفعون ولا يضرون ، وأخبرت أن دعوتهم باطلة لزم دخول كل معبوداتهم فيها ، فلزم دخول الملائكة والجان والصالحين كاللوات وغيره ، ولأن لفظ الآيه عام ، ولأن قوله :

« له دعوة الحق » دليل واضح على إنكار الدعوات الأخرى والمدعويين الآخرين . : هذه الأمور كلها تبطل على الراضى تأويله الآيه بالجادات خاصة .

وأما تأويله لها بالأنبياء والأولياء والملائكة والجان الذين سواوا بالله أو اعتقد فيهم معه تعالى التأمير والشفاعة الاضطرارية القهرية ، فتأويل فاسد باطل أيضا

لأُمُور : أولها: أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن أصالة ، وهم مشركو العرب ، كانوا معتقدين بأن جميع الأمور تصير إلى الله وحده دون سواه ، وأن كل ذلك بيديه وإليه ، ومؤمنين بأنه تعالى خالق كل شيء ، وأنه مالك ما في السموات وما في الأرض وما في العالم كله ، وأنهم ما عبدوا من عبدوا من الأصنام والأوثان إلا رجاء أن يقرّبهم إلى الله وأن يشفعوا لهم : هذا كله مما أقر به المشركون . فهم لم يسووا معبوداتهم وأصنامهم بالله التسوية التامة المطلقة التي يعنيها هذا الرجل وإخوانه من المحرفين . ثانياً الأُمُور : أن عباد القبور أنفسهم يعتقدون بأن للأولياء والأنبياء الذين يدعونهم من دون الله تأثيراً وأفعالا غريبة وخوارق مدهشة عظيمة ، وهم يصرحون بذلك ويتناقلونه ، ولولا هذا الاعتقاد لما دعوا ولا فزعوا إليهم عند الاحتياج والضرورة ، ويعتقدون أن لهم شفاعات لا تخطئ ولا ترد ولا يطيش لها سهم . ولهذا يسعونهم متصرفين ويستدلون بأمثال قوله تعالى : « لهم ما يشاءون عند ربهم » ، ويعنون بهذا الاحتجاج أنهم مطلقو الأفعال والتصرف والقدرة . وهذا هو القوم لا يشك فيه أحد . ثالث الأُمُور : أن الإنكار في الآية موجه إلى دعاء خير الله لا إلى اعتقاد أن له شفاعاة أو تأثيراً وتصرفاً . رابع الأُمُور : أن الآية قد حصرت دعوة الحق في دعوته تعالى وحده . فلا تكون إذن دعوة غيره إلا باطلة . خامس الأُمُور : أن المصنف الرافضى ذكر في غير مكان من كتابه أن الأموات مثل الأحياء سواء مثلاً ، بل صرح بأن الأموات أوسع قدرة وعملًا وفلا من الأحياء . فإذا كان هذا حقاً ، وهو عنده كذلك ، والشيعية يعتقدون أن العباد خالقون لأفعالهم موحدون لأعمالهم ، خرج من مجموع الأمرين أن للأنبياء وللأولياء تأثيراً أحياء وأمواتاً ، وتصرفاً في الحياة وفي الممات ، وإيجاداً وخلقاً في الحالتين . والشيعية بعد هذا يدعون الأموات من الأنبياء والأولياء ، ويستغيثون بهم ويسألونهم

ضروب المسائل . فالشيعة إذن يدعون الأموات مع اعتقادهم أن لهم تأثيراً وتصرفاً وخلقاً وإيجاداً . فهم قد جمعوا بهذا ما زعم المخالف أن المشركين جمعوه إذ نزلت فيهم هذه الآية . فماذا يصنع ؟ سادس الأمور : أن الآية قد ذكرت أن هؤلاء المدعويين لا يستجيبون لمن دعاهم شيئاً . فإذا صح تأويل الشيعة الآية بالأنبياء والأولياء والأموات فقد خرج من هذا أن الموتى من الصالحين ، أنبياء وأولياء ، لا يستجيبون لمن دعاهم وسألهم واستغاثهم أبداً . وإذا كان دعاؤهم يذهب عبثاً باطلاً قام الدليل المطلوب على بطلان دعايتهم والاستغاثة بهم . وهذا هو المطلوب من الآية . فالآية ، كيفما صرفت ووجهت وأولت ، برهان باهر على بطلان دعاء الأموات وعلى ضلال الداعين لهم العاكفين على أجدانهم .

تأويل آخر
وفساده

وأما تأويله إياها بالأصنام خاصة فيقال في الجواب : إن أصنام المشركين الذين نزلت فيهم الآية كانت خليطاً من الأنبياء والصالحين والملائكة والجنان ، ومن صور هؤلاء وتمثيلهم وآثارهم ومخلفاتهم التي خلفوها كالقبور والمشاهد والأماكن التي عرفت بالنسبة إليهم ... فإذا نهى القرآن الكريم عن دعاء الأصنام أصنام العرب والمشركين ، وأنبأ بأن دعاءها ضلال وباطل وإثم وجريمة دخل في هذا كل هذه المعبودات من دون الله ودخلت كلها فيه ، فصار دعاء الأنبياء والصالحين والملائكة والجنان ضلالاً وباطلاً ممنوعاً وجريمة يعاقب عليها قانون السماء . فانه لا خلاف في أن المشركين كانوا يدعون الملائكة والصالحين والجنان وكانوا يسألونهم ضروب حاجاتهم ومآربهم . فإذا حدث القرآن أن كل ما يدعو المشركون من دون الله باطل ، وحدث أنه لا يستجيب لداعيه أبداً كان هذا التحديث تحديثاً صريحاً بأن دعاء الجن والملائكة والأموات ، على اختلافهم ، باطل وضلال ، وتحديثاً بأنهم لا يستجيبون لطلبهم وداعيهم شيئاً ، وكان هذا صريحاً بيناً في بطلان دعاء الأموات وسؤالهم ، وبطلان أمر وعمل كل من يدعوهم

ويسألونهم . فالآية دالة على ما ذكرنا على كل حال .-

ثم يقال ثانياً : إن قوله تعالى : « له دعوة الحق » صريح ظاهر بأن دعوته وحده هي دعوة الحق ، وأن كل الدعوات لسواه هي دعوات الباطل والضلال ، إذ ما بعد الحق إلا الضلال . والآية قد قسمت الدعاء إلى نوعين : إلى دعائه تعالى وحده ، وجعلت هذا النوع من الدعاء هو الدعاء الحق ، وإلى ما يدعو به الناس من دونه تعالى ، وجعلت هذا هو الدعاء الباطل الذي لا خير فيه ولا نفع . فمن دعا الله فقد دعا دعاء الحق ، ومن دعا سواه فقد دعا دعاء الباطل والضلال والجهل . ونعوذ بالله من الباطل بجميع ضروبه وأشكاله وهيئاته ومعانيه ومبانيه . وقال تعالى من سورة النساء : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً . إن يدعو من من دونه إلا إناثاً وإن يدعو إلا شيطاناً مريداً لعنه الله ، وقال لا تخنن من عبادك نصيباً مفروضاً » .

آية رابعة

وهذه الآية الكريمة خليق بالعقل المسلم أن يتدبرها وأن يقف عندها طويلاً مستلهماً ربه ما فيها من أسرار ومعان وتوحيد ، وما فيها من خود وطرده عن الخلق وعن الرغبة فيهم ، وما فيها من رد على هؤلاء المنقطعين إلى النساء وأضرحة النساء يدعوون ويسألون أفنان الحاجات وأشتات المطالب ، ثم يزعمون أنهم لم يأتوا منكراً ولم يفعلوا ما ينهى عنه القرآن وما ينادى ببطلانه وفساده جهاراً نهاراً . ذكرت الآية أولاً الشرك وفضاعته وسوء عقباه وأخراه ، وعقبي من جاؤا ربهم به ، وأنبات أن الله لا يغفر شيئاً من هذا الذنب العظيم والجرم الجسيم وإن كان يغفر جميع الذنوب والآثام إن يشاء من خلقه وهو أعلم بهم وبمن هم أهل للغفران والانتقام . ثم أخذت الآية في تبيان هذا الذنب الذي جل عن الغفران وعن أن يتناولوه عفو الله وسعة رحمته وقد وسعت كل شيء : فذكرت في

بياتها أن المشركين الذين لا يغفر لهم هم الذين يرغبون عن الله وعن دعائه إلى دعاء الأناث ، أحط النوعين وأضعفهما وأقلهما خيراً وجدوى ومعنى ومبنى ، ثم أبلغت في البيان فذكرت أن الذين يدعون الأناث من دون الله هم في الواقع لا يدعون إلا الشيطان المرید ، لأنه هو الذى أضاهم وأوقعهم في دعاء الأناث ورغبهم فيه وزينه لهم ، فهو السبب الأول ، وهو المحرض والباعث على ذلك الغرام الفظيع والهوى المنكر المزدوى . فكأن الدعاء وجهه إليه هو ، وكأن عبادة الأناث عبادة له مباشرة ، اذ لولاه ولولا خطواته وخطيئاته لما أشركوا ولما عبدوا غير المعبود بحق : الله رب العالمين .

دعاء النساء فدعاء الأناث بنص هذه الآية الكريمة من الاشرار ومن شر الضلالات في القرآن والجهالات ، ومن أعمال المشركين الضالين الذين بث الله فيهم رسوله لا نقاذهم من هذه المهالك وانتشاهم من تلك الأوهام والحفر . وهذا الدعاء ، أى دعاء الأناث ، أى دعاء النساء مما أخبر الله عنه بأنه لا يغفره لصاحبه ولا يرحمه إذا قدم عليه به . فدعاء الأناث والنساء من الأمور التي نص القرآن على بطلانها وفسادها وضلال الآتين بها . فإذا يقول دعاء الأناث والنساء ، ودعاء السب فـلانة والسيدة فـلانة ؟ وماذا يقول هؤلاء الهاتفون بأسماء « زينب » و « نفيسة » و « سكينه » وغيرهن من المدعوات المشهورات المعبودات في الأرض دون الله السموات ؟ وماذا يقول هؤلاء المائلون لهم ، المنقطعون إلى قبورهن وقماماتهن يدعون ويهتفون ويسألون ويضرعون وينادون ويخشون ويرجون ويطلبون جميع ما يشاؤون ويأملون منهم مطالب الدنيا والآخرة وحاجاتهم ؟ ؟ أيستطيع أحد منهم أن يزعم أن الاسلام لم ينه عن دعاء النساء وعن سؤالهن ، وقد جهر القرآن بأن المشركين هم الذين يدعون الأناث من دون الله ، وجهر بأن دعاءهن من الشرك الذى يجبل عن الغفران والصفح والمغفرة ؟

ودعاء النساء والرغبة فيهن وفي قبورهن ، ميتات ، من سوءات الإنسان الفاضحة من سوءات ومخازيه التي تجل عن الوصف والنعمة . وقد جبل الناس كافة ، حتى الأطفال منهم ، على استضعاف المرأة وانتقاصها والتهوين لها ولشأنها وأمرها وقدرتها ، وقد عرفوها أبداً ضعيفة عاجزة ، في حاجة أبداً إلى الحماية والرعاية والكفاية لضعفها وقلة حولها وطولها . ولكن هذا كله ، لجهل الإنسان وغباوته وجمعه بين المتناقضات ، لم يمنهم من عبادتها ، ولم يحجزهم عن الاستنصار بها والالتقاط إليها وإنزال الحاجات المختلفة بها كمد موتها وفنائها واندسارها وانهازام سلطانها الوهمي الموجود في شهوات الرجال دون عقولهم ورجولتهم . وهذا من غرائب الإنسان وغرائب نقصه الفظيع .

وقال تعالى من سورة الزمر : « أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين آية خامسة من دونه ، ومن يضلل الله فإله من هاد ومن يهد الله فإله من مضل ، أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ، قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (إلى قوله) أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يولون ؟ قل لله الشفاعة جميعاً إليه ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون . وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ، قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون » .

وهذه الآيات من عجائب آيات الله في الدعوة إلى التوحيد المطلق والتجرد من كل مخلوق وكائن مسمواً إلى الله وحده واتقاعاً إليه ، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون . وقد أبدعت في هذه الدعوة إبداعاً يقطع كل أمل على

من عجائب
القرآن

الآمل في غير الله ، ويصدق كل باب بين العبد والعبد والمخلوق والمخلوق ،
وبالفت في هذا بحق حتى وترت جميع الصلوات والأسباب في هذا الوجود غير
صلوات الوجود كله بربه وخالقه وما بينه وبينه من الأسباب : فلم تدع لعبده مفراً
إلا إلى الله ، وأين فرار الخلق إلا إلى الخالق ! ولم تبق للمخلوق حاجة عند مخلوق
أو مارباً يطلب إلا من الله ، وأين يطلب المؤمن حاجاته وآربه إلا عند ربه
ورب العالمين ! لقد جاءت وفي كل حرف منها شهاب لتحريق كل شيطان
يدعو إلى الشرك وإلى الأنداد .

ذكر الله أولاً ، بأسلوب تنخلع له أفئدة الشرك والمشركون ، أنه تعالى كاف
عبده فلا يحتاج إلى سواء في أمر من أموره الوجودية أو المادية فقال : « اليس
الله بكاف عبده ؟ » وأي مؤمن يمكن أن يجيب على هذا السؤال إلا ويكون
جوابه : بلى . وإذا كان الله كافياً عبده فكيف لا ينقطع إليه وحده : فيدعوه
وبرجوه ويسأله ويخافه ويقف في بابه وحده ! وإذا كان الله كافياً عباده فكيف
يفزعون إلى غيره وكيف يدعونه وينقطعون إليه أو إذا كان كل عبد محتاجاً إلى
الله وإلى كفايته ورعايته فكيف يفزع العبد إلى المحتاج المكفى ويدع
الرب الكافي ؟

من خلأني
المشركين
ثم ذكر ثانياً خلقاً من أخلق الإنسان العريقة في القدم ، هذا الخلق هو
خوفه وتحويفه غيره مما يعبد من دون الله من العباد العاجزين الضعفاء ، فقال
« ويخوفونك بالذين من دونه » فإذا قلت لهم : ادعوا الله وحده ودعوا فلاناً
وفلاناً فانهم لا يجردون ولا ينفعون ولا يضررون ، قالوا لك : كلا ، إن هؤلاء من الأمر
والحظوة عند الله والشفاعات والوساطات ما يستطيعون به أن ينالوك بأنواع
الأذى والبلاء ، فحذار من إغصابهم وغضبهم ، وحذار من أذاهم وبلائهم
وسلطاتهم الضار النافع . وهذا عينه هو ما يقوله اليوم عبدة القبور والأهوات .

والسيدات لدعاة التوحيد وللهداة إلى دعوة الله الخالصة . وقد رد على هذا الخوف والتخويف ، خليل الله إبراهيم إمام الموحدين فقال لقومه : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ » .

ثم ذكر خلقاً آخر من خلائق المشركين الجاهلة فقال : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » . ومع هذا الاعتراف الصريح والإيمان بالخلق بأن يذودهم عن الشرك والحوم حوله يظنون يعبدون ويدعون ويسألون غيره ممن لم يخلقوا شيئاً فيملكوه فيصح أن يسألوه ويطلبوه لا في السموات ولا في الأرض . وهذا هو الضلال البعيد حقاً .

ثم أمر نبيه أن يسأل هؤلاء المشركين سؤالاً لا يجدون له جواباً فقال : « قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته » . وهم ، لا بد ، معترفون بأن ما يدعون وما يعبدون من الأصنام والأوثان لا يمكن أن يدفع ما أراد الله بخلقه من الضر والنفع والنعمة والنعمة . . . وهذا ضرورة عند جميع المؤمنين بالله . وإذا كان ذلك كذلك فكيف يتمدون الله الذي بيده الضر والنفع والخير وكل شيء إلى ما لا يقدم ولا يؤخر وما لا يملك شيئاً ؟ هذا سؤال باهر ومعجز ، وهم لن يعرفوا جوابه إلا بالانكشاف عن الشرك والانحراف عن وسائله وأسبابه والاستمسك بعرى التوحيد الخالص المجرد .

ثم أمر نبيه ثانياً بأن يقول لهؤلاء المشركين وللناس أجمعين « حسبي الله » حسبي الرغبة فيه عن الرغبة في سواه ، وحسبي دعاؤه وسؤاله عن دعاء الخلق وسؤالهم جميعاً ، وحسبي خوفه ورجاؤه عن خوف العباد ورجائهم ، وحسبي الانقطاع إليه عن الانقطاع إلى ماعداه : « حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون »

لأن كل شيء منه وإليه ، ولأن له ملك السموات والأرض وله كل شيء .
والاتكال لا يكون إلا على القادر الذي يستطيع أن يضر وأن ينفع ، وأن يدفع
ويمنع كي يستطيع حماية من اتكل عليه ورعايته وتأمينه مما يخاف ويحذر ، وكل
من ليس كذلك باطل لا يصح التكلمان عليه ولا الرجوع إليه .

التعلق . ثم ذكر أن داء هؤلاء الضلال المشركين هو زعم الشفاعة والتعلق بها
بالشفاعات هو وحسبانهم ، جهلاً وضلالاً ، أنهم إذا تعلقوا بقوم مقرّبين إلى الله مختارين عنده
الداء فدعّوهم ورغبوا فيهم شفّعوا لهم عند ربهم فشفعهم فيهم لحظوتهم لديه ، فنالوا
ما أملوا وطلبوا ، وأمنوا بما رهبوا ، لأن لهم الجاه العريض والشفاعة العظيمة ،
ولأن لهم ما يشاءون عند ربهم . وما علموا أن الشفاعة كلها لله فهو الذي يأمر
بها لمن يستحقونها من عباده الخالصين المخلصين ، وهو الذي يعلم الخلق بها .
وما علموا أنه لا يشفع أحد من عباده الممتازين المقرّبين إلا إذا أذن له وأمره
بأن يشفع لمن يرضى عنه من عباده الصالحين . فالشفاعة والشفيع لا يخرجان عن
ملك الله عن إرادته وهيبته وقبضته . فلن ينال إذن شيء من ذلك إلا بالرجوع
إلى مالك ما هنالك ، فقال : « أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل أو لو كانوا
لا يملكون شيئاً ولا يهقلون » أي لا يملكون شيئاً من الشفاعة ، ولا يهقلون
عن سألهم الشفاعة ودعّوهم لها شيئاً لا تقطع الأسباب . « قل لله الشفاعة جميعاً »
وقل « له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون » مجردين من كل شيء : من
الشفاعات ومن الشفعاء . فليس أمام العبد إلا الله ، وليس له مفر إلا إليه ، ولن
ينال شيئاً من حاجاته وآماله إلا عنده وبإذنه ورضاه . فلا مندوحة من الانقطاع
إليه وحده .

إذا ذكر الله ثم ذكر طبعاً آخر من طباع المشركين الفاسدة البليدة فقال : « وإذا ذكر
وحده اشأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم

يستبشرون . أى إذا دعى الله وحده ، وسئل وجهه ، وعبد وحده ، ورجى وحده ، وخيف وحده ، نفروا وأجفلوا وكرهوا ذلك التوحيد وزججروا من دعائه وطلبوا أن يضاف إليه تعالى فلان وفلانة : فيدعوا ويخافوا ويرجوا ويمبدا معه . أما إذا ذكر ما يعبدون غيره تعالى من المخلوقين فذكرت الشفاعات « والجاهات » والولايات والكرامات ، وما فى دعوتهم وسؤالهم من قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات . وإدراك المطالب والمآرب : أما إذا ذكر ذلك فانهم يطبقون سروراً واستبشاراً وفرحاً : فتنتطق ألسنتهم بذكر الأسانيد والأقاصيص ، وتنسبط بالتحديث عن الكرامات والخوارق ، وتنبليج أسارى وجوههم بضياء الآمال العريضة الغضة التى يرجونها عندهؤلاء الذين يدعون من دون الله « قل اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون » .

ويشبه هذه الآية قوله تعالى من سورة الاسراء : « وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً » وقوله تعالى من سورة « المؤمن » : « ذلکم بانه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلى الكبير » .

وهذه السورة : سورة الزمر ، من سور التوحيد المكثرة من الدعوة إليه ومن إقامة البراهين عليه بألوان من البيان والأساليب ، وأقنن من الايضاح والقوة . وهكذا الكثير من السور المكية . وقال تعالى فى أول السورة : « فاعبد الله مخلصاً له الدين ، إلا الله الدين الخالص . والذين اتخنوا من دونه أولياء مانعهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار » . ومن الواضح البين عند الجميع أن الدعاء ، برغب ورهب . وأن المسألة بخضوع وخشوع ، من صلب الدين ومن خالصه وتقايته . وقد وكد الله

الأمر بإخلاص الدين له تعالى ، ومعنى إخلاصه أن يكون كله له . وذكر بعد هذا الأمر الصادع بإخلاص الدين له أن الذين لم يخلصوه له هم الذين اتخذوا من دونه أولياء قائمين : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ويدنونا منه . وفي هذا بيان واضح أن اتخاذ الأولياء من دون الله وعبادتهم - والعبادة معرفة ومعروف أن الدعاء من أفضل أنواعها - يناقض إخلاص الدين وتوحيد الله ، وإن كان كل الغرض من ذلك الشفاعة والوساطة . وهذا ظاهر .

آية سابعة

وقال تعالى من سورة «الأَنْعَام» : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ، أَوْ خَيْرٌ لَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ » .

وهذه الآية مصرية نأن إشرأكم لم يكن إلا فى دعاء غير الله ، وذلك أنها ذكرت أنهم إذا فزعوا وخافوا من عذاب الله أو من الساعة لم يدعوا غيره تعالى : لانبيا ولا وليا ولا ملكا ولا جانا ولا حجرا ولا شجرا ، بل أخلصوا الدعاء كله له ، ثم أوضحت أنهم إذا أخلصوا الدعاء له وحده وإياه دعوا ، فقد نسوا بذلك إشرأكم . فكان فى هذا بيان واضح ظاهر أن الإشرأ بالدعاء وأن الإخلاص كذلك فيه ، فإذا دعوا الله وحده فقد عبدوه وحده ، وإذا دعوا غيره فقد عبدوا غيره . وهذا يوافق ما ذكر فى غير آية عن المشركين بأنهم كانوا إذا ركبوا فى الفلك وخشوا الفرق والهلاك دعوا الله مخلصين له الدين ، فإذا نجاهم وأخرجهم إلى البر وأمنوا الفرق والهلاك إذا هم يشركون . ويعنى بإشرأكم فى هذه الآيات دعاءه غيره تعالى من الأصنام والأوثان والمخلوقات الأخرى كما هو ظاهر من السياق -

آية ثامنة

ثم قال من سورة الأنعام أيضاً : « قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وظاهر من هذه الآية أيضاً أن العبادة التى نهى عنها هى الدعاء ، وظاهر

منها أيضاً أن دعاءهم غير الله هو معنى إشرأكلهم به تعالى ، أو هو من إشرأكلهم .
ثم قال من السورة نفسها : « قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين ، قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون » . فذكر أنهم يدعونه تعالى في ظلمات البر وظلمات البحر تضرعاً وخفية ناسين كل ماسواه ، وأنهم إذا نجوا وفارقوا مناطق الخطر والخوف البري والبحري أشركوا ، أى أشركوا ، ولا ريب ، في ما أخلصوا فيه وهو الدعاء والتضرع والخوف والرجاء ، لأن هذا هو المذكور في الآية ، وهو المحكى المعروف عن النجوم في وقت إخلصهم وتوحيدهم

ثم قال في السورة أيضاً : « قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا الآية العاشر » . ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران .
إله أصحاب يدعونه إلى الهدى اثننا ، قل إني هدى الله هو الهدى وأمرنا بالنسليم
لرب العالمين » .

فأوضحت هذه الآية بأنه لا يصح للمسلم أن يدعو من دون الله مالا ينفعه ومالا يضره ، وأوضحت أن من دعا هذا الذي لا يضر ولا ينفع فقد ارتد على عقبه بعد أن هداه الله وهدته فطرته الصحيحة ، وأن الشيطان قد أغواه واستهواه وأضله فأصبح حيران ، حيران لا يدري ما الهدى ولا ما الضلال ، ولا يعرف ما الحق ولا ما الباطل ، وأصبح ينادى من مكان بعيد فلا يجيب من دعاه إلى الهدى ، ولا يطيع من أمره بالرشد ودله على الخير ، وذلك لأن الهدى بيد الله يمنحه من يتعرض له من عباده أهل الإخلاص للحق والطلب الملح له : هذا شأن من دعا مالا ينفعه ومالا يضره من دون الله . ولا شك أن الأموات لا ينفعون ولا يضرهم باعتراف هؤلاء الداعين إلى عبادتهم . والحجة التي يدفعون بها عن عبدة الأموات هي زعمهم أنهم يعتقدون ويقولون أن من يدعون من

المشايخ والأموات لا ينفعون ولا يضررون ، ولا يملكون لأنفسهم ، فضلاً عن غيرهم ، خيراً ولا شراً ولا موتاً ولا حياة . فإذا كان حقاً نازعوه في معرض الدواعي عن عبادة الأموات العاكفين على الأحداث فقد قطعت عليهم هذه الآلية وغيرها من الآيات كل مانسجوه وحاكوه من الشبهات والحجج والترهات احتجاجاً على دعاء الموتى وسؤالهم ضرر الحلاج والمآرب . وقد بين الكتاب والسنة أن أفضل الخلق لا يملك الضر والنفع لأنفسه ولا لغيره فقال تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » وقال : « إنك لا تهدي من أحببت » وقال : « ألا له الخلق والأمر » وقال : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً إلا ما شاء الله » « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً » ، إلى غير ذلك من الآيات .

فنصوص الدين واضحة ظاهرة ناصئة تلي أن أفضل الخلق وأقربهم إلى الله وأعظمهم عنده جاهاً وكرامة ومنزلة لا يملك خيراً ولا شراً ولا نفعا ولا ضرراً ، والمخالفون يزعمون أنهم معترفون بهذا . فإذا كان ذلك كذلك علم منه ومن الآلية المذكورة ومن الآيات الكثيرة أمثالها أن هؤلاء الذين يدعون الأموات وأصحاب القبور قد ارتدوا على أعقابهم وأضلهم الشيطان وأصبحوا حيارى في دينهم وعقائدهم ، لأن الله يقول في الآية المذكورة : « قل أندعون دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى » . الآية

وفي معنى هذه الآية آيات كثيرة كقوله : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وكقوله : « ولا تدع من دون الله ملاً ينفك ولا يضررك ، فإن فعلت فانك إذن من الظالمين » .

وقال في ختام سورة الأنعام : « قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله الآية الحادية
رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، قل أغير الله أبني عشر
رباً وهو رب كل شيء ؟ »

والصلاة معروفة بأنها قيام وركوع وسجود وقعود ودعاء ومناجاة وخشوع
وخضوع وذلة وتمسك وقراءة وخوف ورجاء وأمل ونحو ذلك . وهذا كله يجب
أن يكون لله وحده بنص هذه الآية الكريمة . والذسك هنا لعله الذبح وهو
القربان إلى الله . فالذبح يجب أن يكون لله بنص الآية الكريمة ، فلا يذبح لغيره
أبداً . والحيا هو الحياة . فالحياة يجب أن تكون كلها لله بما يقع فيها من عبادات
وصلوات وصيام وخوف ورجاء وخشوع وخضوع ودعاء ونداء وغير ذلك من
هذه المعاني ، فلا يكون نوع من ذلك لغير الله . والممات أيضاً كله لله بما فيه من
رجوع وحساب وثواب وإعطاء وإرضاء ورضا وإدخال في الجنات وإبعاد من
النيران وزيادة في الحسنات وكل ما هناك .

والإنسان عبارة عن حياة وعن موت ، وهو إما حي وإما ميت ، وهو في
الحالين والحياتين خالص لله وحده لا شراكة لأحد فيه . هذا هو المسلم الصحيح
الاسلام ، وهذا هو حقيقة الاسلام والايمان والتوحيد ، وهذا هو ما دلت عليه
هذه الآية الكريمة . والمسلم حقاً لا يصح له أن يتخذ رباً غير الله ، فلا يهب
مخلوقاً معنى واحداً من معاني الربوبية ، لأن معاني الربوبية كلها لمن خلق كل
شيء وهو الله رب العالمين .

وقال تعالى من سورة « المؤمن » : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم آية أخرى :
وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير . »

ولا أصرح من هذه الآية رداً على هؤلاء الذين يأبون دعوة الله وحده
ويدعون سواه من الأموات والأشباح الناهبين . فان هؤلاء إذا دُعي الله وحده

إذا دعى الله وقيل لهم :- لا يدعى إلا الله ، ولا تجوز دعوة سواه ، صاحوا ر : برا لمناهضة
 هذه التوحيد وإنكاره والكفر به ، وزعموا أن ذلك عدوان على عباد الله
 الصالحين وإساءة بالغة إليهم . وإذا وجدوا من يدعو إلى توحيد الله والاستغناء
 به عن سواه وإفراده بالدعاء وما يلزم الدعاء من معاني العبردية والعبادة عابوه
 وهجوه وقتلوا فيه وفي اعتقاده الأباطيل وكفروا به وبدعوته وتوحيده . ومن يدعو
 إليه . أما إذا قيل لهم : بل يدعى فلان وفلانة ويستغاث بالأموات والصالحين
 والمشايخ، ويمكف على أجدانهم وآثارهم للاستشفاع وطلب البركات والامدادات
 رضا وفرحوا واعتبطوا وقابلوا ذلك بالرضا والایمان والاطمئنان وعدوه من
 مقالات المؤمنين المسلمين . وإذا وجدوا من يقولون هذا القول ويدعون إليه
 ويندبون هذا المذهب المشرك أحبهم ورضوهم وأطمأنوا إليهم وقابلوهم بالاحترام
 والتبجيل والتصديق والبنية والامتداح والثناء الكاذب المزور كما صنع هذا
 الشيعي المصنف . فانه قابل أنفاذ العلماء وأعضاء الشريعة الاسلامية بالنجريح
 والإفساق والا كفار والمهزاء والبذاء والكفر بهم وبما لهم من الأيادي على الاسلام
 والعلم والأخلاق والفضائل . . . لأنهم قالوا لا يدعى إلا الله ، ولأنهم كانوا
 لا يدعون غيره تعالى من الأموات ، وقابل جهلاء المؤلفين وجهلاء العلماء بالتكريم
 والاحلال والامتدح والثناء . . . لأنهم كانوا يدعون الاموات ، ولأنهم كانوا
 يشيدون الشبهات على جواز دعوتهم والمعكوف على قبورهم ، ولأنهم كانوا يقدرحون
 في فريق التوحيد ، وفيمن قالوا لا يدعى ولا يعبد إلا الله . وهذا الدأب هو ما حكاه
 الله عن المشركين بقوله : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك
 به تؤمنوا » . أى إذا دعا محمد رسول الله ومن معه من المؤمنين الله وحده ونسوا
 ما خلاه من الأصنام والأوثان والأغيار الأخرى كفروا بهذا الدين الذى جاء
 به هؤلاء الذين لا يدعون إلا الله بأشرا كههم ، بأن ذهبوا يدعون ما يدعون من

دونه تعالى إثباتاً لوجودهم في جانب وجود أهل الله وحزبه وحده ، وإثباتاً لوجود شركهم وضلالهم ازاء توحيد محمد رسول الله ومن معه من المؤمنين . . . « وإن يشرك به تؤمنوا » أي وإن يدع الله ويدع معه غيره من المعبودات الأخرى بأن يقال حينئذ : يا الله ، وحينئذ آخر : يا فلان أو يا فلانة ، يؤمنوا بهذا الاشرار ويصدقوه ويقرّوه . وهذا هو عين ما عليه عبدة القبور اليوم خذو القننة بالقننة وخذو النمل بالنمل . فما أشبه الليلة بالبارحة أو ما أشبه الليل بالليل !

ثم قال في هذه السورة عينا : « فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » أي ادعوا الله مخلصين له الدماء والنفاء وغير ذلك من معاني الدين وأنواعه ، ولا تشركوا به شيئاً في دماءكم ودينكم ، ولو كره ذلكم التوحيد منكم المشركون الكافرون ، ولو كرهه أهل الأرض جميعاً .

ثم قال من السورة نفسها أيضاً : « والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ » ، إن الله هو السميع البصير « أي إن الله وحده هو القادر على أن يقضى بين الخلائق بالحق والعدل والحكمة لأنه هو الخالق لكل شئ . . . وأما الذين يدعونهم من دونه تعالى فصاحزون جميعاً عن أن يقضوا بشئ . وأن يحكموا على شئ وأن ينفعوا أو يضرّوا ، لأنهم عباد أذلة ، ممدود عليهم رواق العبودية . فما أضل إذن هؤلاء الذين يدعون من لا يستطيعون أن يقضوا لهم ولا لنبيهم بشئ . لا يغيروا ولا يثيروا بشئ ! وما أغنى وأبلد من يعملون عن دعوة الله القاضى بين جميع الخلق بالحق والعدل والحكمة إلى دعوة من لا يقضون بشئ لا لدايعهم ولا لغيره ! فأى الفريقين - الفريق الذى لا يدعو إلا الله ، والفريق الذى يدعو وي يدعو سواه - أحق بالهدى والرشاد والسداد ؟

ثم قال من هذه السورة أيضاً : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » . قلتم أولاً بالدعاء ثم ذكر

بعده أن الذين لا يعبدون الله ، استكباراً ، مأوام النار . فدل ذلك على أن الدعاء هو العبادة ، أو أن الدعاء عبادة ، ودل على أن العبادة التي أوعدها الله المستكبرين عنها في الآية بالنار والنكال هي الدعاء . ويصحح هذا الذي يبدو من الآية الكريمة ما رواه الثعلبي عن بشير عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الدعاء هو العبادة » ، ثم قرأ « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » رواه الأربعة وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . وروى من حديث ألس بن مالك قال قال رسول الله : « الدعاء مع العبادة » وروى من حديث أبي هريرة عن رسول الله قال : « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » . قال ابن حجر : صححه ابن حبان والحاكم . والعبادة باتفاق أهل الاسلام لا تكون إلا لله .

آية أخرى

ثم قال من السورة المذكورة أيضاً : « فادعوا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين . قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين » إلى أن قال : « والذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ، إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ، ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ قالوا ضلوا عنا ، بل لم يكن ندو من قبل شيئا ، كذلك يضل الله الكافرين » . فأوضحت هذه الآية أن المشركين إذا سئلوا يوم القيامة بين يدي الله وقيل لهم : أين آلهتكم الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم ، فأرادوا البراءة منهم قالوا : إنهم قد غابوا عنا وضلوا ، ثم عدلوا عن هذا الجواب إلى التبري من أن يكونوا أشركوا بالله شيئا فقالوا « بل لم يكن ندو من قبل شيئا » . غير الله . وفي هذا بيان ظاهر بأن الاشرار الذي لم يؤمنوا به وأوخنوا فأرادوا أن ينكروه وأن ينزهوا أنفسهم عنه هو دعاء غير الله . ولهذا هو إلى

إنكار أن قد يكونوا قد دعوا أحداً غير الله حينما أرادوا البراءة من الشرك والكفر ، قال الله : « كذلك يضل الله الكافرين » .

وقال تعالى من سورة الأحقاف : « قل أرايتم ما تدعون من دون الله ، آية أخرى أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ؟ ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » .

يقول تعالى لعبيده ونبيه محمد ﷺ : قل لمن راحوا يدعون عبادة مخلوقين مثلهم ، ويسألونهم حاجاتهم ومآربهم المختلفة ، وهم عاجزون عن أن ينفعوا أنفسهم وأن يجلبوا لها خيراً أو يدفعوا عنها شراً : قل لهم : أخبروني عن هؤلاء الذين تدعونهم وتسألونهم ، هل خلقوا شيئاً من الأرض فملكوه فاستطاعوا أن يهبوه من شئهم وأن يمنعوه من شاءوا ، فذهبتم تسألونهم إياه وتطلبونه منهم لأنه ملك لهم ، فإن كنتم تزعمون لهم هذا فأروني هذا الذي خلقوه من الأرض ، وأخبروني كيف خلقوه ، وكيف كان ذلك ؟ وما البرهان عليه لديكم ؟ وهذا ما ينجركم إيمانته وبرهانه . . . وإذا كنتم لا تزعمون لمن تدعون هذا الأمر ، وكنتم لا تدعون أنهم خلقوا شيئاً من الأرض ، فأخبروني عن أمر آخر لعلكم تزعمونه لهم ، ولعلكم تدعونهم وتسألونهم من أجله ، أخبروني هل تزعمون أن لهم شركة في السموات وملكاً فيها تسألونهم أن يعطوكم منه شيئاً وأن يمنحوكم كله أو بعضه ؟ فإن كنتم تزعمون لهم هذا أو هذا فأقيموا على ما تزعمون البرهان ، والبرهان إما مقول مقبول وهو الرواية المتصلة بمن قوله حجة وهو الكتاب والوحي ، وإما معقول وهو الأثارة من العلم . فأتوني إذن بكتاب أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . أما إذا عجبتكم عن هذا كله فصجرتكم عن أن تثبتوا لهم شركاً لا في السموات ولا في الأرض

ومن السموات والأرض يتألف العالم المعروف لكم ، فقد وجب عليكم أن تعلموا أنهم لا يستجيبون لمن دعاهم وسألهم ، لأنهم يسألون ما لا يملكون وما ليس لهم ، لأنهم لم يخلقوه ولم يكن لهم سبب ولا أثر في خلقه وإيجاده . وإذا علمتم هذا حقاً فاسمعوا آية الله الخالدة : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين .

أضل الناس وفي الحق أنه لا أضل ممن يدعو من دون ربهم من لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وذلك أن الضلال ضلالان : ضلال في ما بين العبد والعبد ونفسه ، وضلال في ما بين العبد وربه ، أو ضلال في أمور الدنيا وضلال في شؤون الآخرة الذي هو الدين . وهذا الذي يدعو من لا يستجيب له إلى يوم القيامة قد جمع الضلالين : الضلال في ما بينه وبين العباد ونفسه ، والضلال في ما بينه وبين ربه ، أو الضلال في شؤون دنياه والضلال في أمور دينه . أما الضلال الأول فهو أنه يدعو من لا يستجيب له ومن لا يسمعه ومن لا ينفعه لو سمعه ، فهو خاسر في هذا الدعاء ، ناصب دون أن يلقى ثمرة أو فائدة لتعبه ونصبه ، وهذا عين الضلال . ولأن الضلال هو الخروج عن الطريق القاصد والمنهاج الراشد . وأما الضلال الثاني فهو أنه في هذا الدعاء الذي يظن أنه يقر به إلى ربه ويرضيه عنه ويليله به الثواب والجزاء الحسن يغضبه عليه ويستحق به عقابه ومقته وطرده وسخطه . وذلك لأنه قد أشرك به عبداً من عباده الخاضعين له ، عبداً قد خلقه لعبادته . وهذا أقبح الضلال . فقد جمع الداعي من لا يستجيب له الضلالين ، فكان بذلك أضل الناس وأجهلهم - عائدين بالله من الضلال بسائر أنواعه وأقسامه .

أقبح التبيح وفي الحق أيضاً أنه لا أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وذلك أنه من الضلال أن تريد من عبد أن

يهبك ما يملكه عبد آخر غيره من العباد ، ولكن الأقبح من هذا والأوضح ضلالاً وغياً أن تريد من عبد أن يهبك ما يملكه ربك ورب العالمين أجمعين ! وأقبح هذا القبيح أن يكون هذا العبد الذى تطلبه أن يعطيك ما يملكه رب العالمين عبداً ميتاً مرتهاً تحت التراب والظام على رغم أنفه .

فمن أخلق أنه لا أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غفلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين . وذلك أن الذى يدعو هذا الذى لا يستجيب له ولا يسمع منه ولا يعلم عنه شيئاً ، إنما يريد بدعائه إياه أن يسمع له وأن ينفعه أحد أنواع النفع ، أو كل أنواعه : فإذا كان ذلك المدعو لا يستجيب له أبداً كان هذا من الضلال الظاهر فإذا كان ذلك المدعو أيضاً الذى لا يستجيب إلى يوم القيامة سيصير عدواً لداعيه . فى الساعة التى كان يرجو نصرته ومقوته ومعونته فيها كان من الضلال الظاهر ثم إذا كان ذلك الداعى الذى سوف يلاقى جميع أنواع ماذكر من نسيانه ومن معاداته ومن الكفر به وبعبادته سوف يجزيه ربه ، على نصبه وعبادته وأعماله الناصبة ، النار والعذاب الأليم الدائم ، كان هذا أيضاً من الضلال الظاهر . . . فقد جمع ذلك المسكين أنواع الضلال وشر الضلال ، فمن أضل إذن منه !

وهذه الآيات دالة بوجوه كثيرة وأساليب مختلفة واضحة جلية على بطلان ما فى الآية دعوة الأموات وعلى أن دعائهم قد وقعوا فى الإلشراك والكفر برّب العالمين من ضروب وذلك أنها قد عنفت المشركين ضروب التعنيف على دعائهم غير الله ، ولم تذكر عنهم غير الدعاء ، ثم ردت عليهم دعائهم بحجة باهرة قاهرة يعقلها جميع الناس ، وهى أن من يدعو من دون الله لم يخلقوا شيئاً فى هذا العالم . وليس لهم شرك ولا ملك لا فى سمواته ولا فى أرضياته ، بل الملك كله لله وحده . وهذا يعترف به ويقره المشركون ، كما ذكر القرآن عنهم . ومن لا يملك شيئاً كيف يسأل التمليك ؟

وكيف يطلب أن يهب شيئاً لم يخلقه ولم يملكه لو كان المشرك بربه يعقل شيئاً ؟
وهذه الحجة ، في إبطال دعاء المشركين غير ربهم ، هي حجة باهرة قائمة على بطلان
دعوة الموتى وبطلان الانقطاع إليهم . ثم ذكرت بعد هذا الاحتجاج المعجيب
على دعاة المخلوقين أنه لا أضل من الذين يدعون من لا يحببونهم ومن لا يسمعون
دعائهم ولا يعلمون حالهم . وهذا نقض صريح على دعاة المقبورين لأنهم يدعون
من لا يستجيبون لهم إلى يوم القيامة . وهل يستجيب الميت لداعيه ؟ فلا أضل
وأجهل من دعاة الميتين بنص الآية الكريمة :

ثم ذكرت أن دعاء غير الله عبادة لمن دُعي بقوله « وكانوا بعبادتهم كافرين »
وهي لم تذكر عنهم في مقام الرد عليهم والزيادة بهم غير الدعاء ، فذكرها العبادة
بعد ذكر الدعاء دليل على أن الدعاء عبادة ، وعلى أن عبادة المشركين لغير الله
كانت بالدعاء ، أو أن الدعاء كان منها . وفي هذا كله الرد الواضح على هؤلاء الذين
يدعون الموتى ويرحمون أنهم لم يعبدوهم ولم يشرخوا بهم بنسائهم وسؤالهم إياهم .
والآية واضحة أيضاً في أن أولئك المدعوين المعبودين قوم عقلاء من البشر
والملائكة والجان ، ولم يكونوا جماداً مجرداً كما زعم ، والصفات التي ذكرت لهم في
الآيات دالة على ذلك دلالات بينة ظاهرة . وهذه كلها مناقضات لعبدة القبور
الما كفبن عليها يستجدون ويدعون

آية أخرى ، وقال تعالى في آخر السورة : « ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا
الآيات لعلهم يرجعون ، فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ، بل
ضلوا عنهم ، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون . »

فالشركون على اختلاف صور شرهم وتباين مظاهرهم ومظاهر ضلالهم
ما اتخذوا الأصنام والمعبودات الأخرى من دون الله إلهة إلا قرابين إليه تعالى
ليقرّبهم عنده بشفاعتهم ووساطتهم ، وما لهم من الجاه والمنزلة العظيمة القريبة
القرابين

أما غايتهم فهي هو وحده لا شريك له .

والقربان هو ما يتقرب به إلى الشيء ، فالقربان إلى الله هو ما يتقرب به إليه وإلى رضاه ونيل ثوابه وجزائه ، والقربان إلى الصنم ، مثلاً ، هو ما يتقرب به إلى الصنم ، والقربان إلى النبي والولي هو ما يتقرب به إليهما وإلى شفاعتهما وإلى رضاهما ووساطتهما . فقرايين المشركين التي هي آلهتهم ومعبوداتهم التي اتخذوها من دون الله ، لا يمدو معناها معنى الأولياء والوسطاء والشفعاء والوسائل عند هؤلاء المالكين على الأجداث . فالجميع يراد منهم التقريب إلى الله زلفى ، والجميع غايتهم الوصول إلى الله والحظوة برضاه . فمابد الصنم مثلاً لم يعبد له لأنه في عقيدته رب خالق قديم مع الله باق بقاءه ، بل عبده متقرباً به إلى الخالق القديم الباقي وكل شيء يفنى ، فهو قربان إلى الله لا غير . وعابد النبي والولي لم يعبد له لأنه في اعتقاده رب خالق قديم مع الله مساوٍ له في جميع الصفات والأسماء ، ولكن عبده ليكون له شفيماً ووسيطاً ، وليكون له وسيلة لدى ربه القديم الباقي الدائم . فالغرض متحد ، والعقد متحد ، والمظهر متحد ، فأين الفرق ، وأين الاختلاف ؟ والأمركا قال الشاعر الجاهلي (بل كل ذي رأى إلى الله واسل) وكما قال الجاهلي الآخر : (وليس وراء الله للمرء مذهب) .

وقال تعالى من سورة سبأ : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وما لهم فيها من شرك ، وما لهم منه من خير ، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » الآيات .

وقد كرر الكتاب الكريم هذا الاحتجاج الباهر على المشركين العاديين بالله غيره من خلقه الضعفاء العاجزين ، وذكره في سور مختلفة بأساليب واضحة عجيبة . وهذا الاحتجاج الباهر هو أن هؤلاء الذين يدعون من دون الله فقراء عاجزون ، لم يخلقوا ولم يملكوا شيئاً في هذا العالم العظيم الواسع ، لافي العلويات

وهى السموات ، ولا فى السفليات وهى الأرضون . والمشركون لا ينازعون فى هذا
أى لا ينازعون فى أن من يعبدون من دون الله لم يخلقوا شيئاً ، ولا ينازعون فى
أنهم مملوكون هم وما يملكون فى الظاهر لله ، مخلوقون له ، واقعون تحت سلطانه
وقهره وقصره . فاذا كانوا بهذا المكان من الضعف والمعجز والافتقار المطلق
السكامل الشامل فلماذا يُدعون ويسألون ، وتقتضى منهم الحاجات والمآرب ،
وهم عاجزون عن نفع أنفسهم وعن إيصال الخير إليها ؟ وقد جبل الناس جميعاً
على الاعراض عن الفقير العاجز الذى لا يستطيع أن ينفع سائله إذا أراد ، ولا يضر
غيره إذا شاء ، وجبلوا كافة على الرغبة فى القادر المالك الذى يستطيع أن يعطى
وأن يمنع وأن يضر وينفع .

الحجة الخالدة وقد ذكر الله هذه الحجة فى مواضع من الكتاب العزيز وهى اليوم الحجة على
هؤلاء الداعين للأموات ، السائلين إياهم جميع حاجاتهم وما يرجون ويطلبون ،
وهى الحجة القائمة أبداً على كل مشرك فى كل عصر ومكان : فهى الحجة الخالدة
الباقية لأنها منتزعة من أحصاق النفوس والفطر الصحيحة ، فهى باقية ما بقيت
الفطر والنفوس ، وهى قائمة ما قام الشرك والإيمان خصمين متوافقين يتنازعان
الغلب والسلطان والمقائد والأعمال .

وقد قفل الله فى هذه الآيات على المشركين جميع آمالهم فى غير الله ، وسد
عليهم كل منفذ يحاولون أن ينفذوا به إلى الخير من طريق الخلق : فأخبر أولاً
أنهم لا يملكون مثقال ذرة واحدة فى هذا العالم وهذا الملك الواسع ، ثم أخبر ثانياً
أنه ليس لهم فى هذا الملك شركة ما ، إذ قد يكونون غير مالكين لكنهم شركاء ،
فجردهم من الملك ومن الشركة فيه ، ثم أخبر ثالثاً أنه ليس لصاحب هذا الملك
وربه ومالكه منهم ظهير ولا نصير ولا معين ، إذ قد يقال إنهم غير مالكين
وغير شركاء فى الملك ولكنهم أعوان ونصراء وظهراء لملك الجميع ، فيدهون

من هذه الناحية ، وهى ناحية عونهم وظهارتهم لصاحب الشأن والملك الأعظم
فجردهم الله من الأمور الثلاثة : من أن يكونوا مالكيين ، أو شركاء ، أو أعوانا
نصراء. فابقى لهم بعد ذلك ، ومابقى للأمل فيهم ؟ بقى أن يقال : لعل لهم شفاععة
وجاهاً لديه تعالى فيدعون ويسألون ذاك الجاه وتلك الشفاععة . فقفل الله عليهم
هذا الأمل ، وسد فى وجوههم ذاك المنفذ : فأخبر أن الشفاععة ليست سوى أمر
صورى ظاهرى لا يقدم ولا يؤخر ولا يترتب عليه شئ مما يرومون ويظنون
ولكن الله جلت قدرته وعظمته عند ما يريد أن يكرم عبداً من عباده الأتقياء
ويقيم مقام التبجيل والتعظيم ، يأمره بأن يشفع لأحد الناس الذين أراد بهم خيراً
ورحمة وغفراناً وعناية لأعمال صالحة عملها ، فيشفع فيشفعه تعالى ويمجى على
شفاعته ، ظاهراً فقط ، ذلك الاحسان الذى أراده الله لذلك العبد المشفوع فيه .
ولكن الأمر فى كل ما هنالك لله وحده ، فهو الذى رضى عن المشفوع له ، وهو
الذى أمر الشافع بالشفاعة ، وهو الذى شفعه فيه وأجاب طلبه ومسألته . فالأمر
كله لله ، والشفاعة كلها ، بأسبابها وسائلها وغاياتها ومظاهرها وحقائقها ، له
وحده ، كما قال تعالى : « قل لله الشفاععة جميعاً » . فسؤالها إذن من غير الله ومن
الشافع نفسه عبث باطل لا يفيد ، والتعلق بها والاعتماد عليها أيضاً جهل وضلال .
فإن طلبها من غير الله والتعلق بها ليسا من أسباب حصولها ونيلها ، وإنما سبيلها
الصحيح هو عبادة مالكم وطاعته والقيام له على قدم العبودية الصحيحة الصادقة
كما تقدم فى فصل بحث الشفاععة الفائت . . . فلا شئ إذن لغير الله ، ولا شئ
لمن يدعون من دونه. فلماذا إذن يدعونهم وهم ليس لهم منقال ذرة فى هذا الملك ،
وليس لهم فيه شركة ما ، وليس منهم معين ولا ظهير لصاحب هذا الملك ، وهم
بعد ذلك كله لا يملكون الشفاععة وهى النماء ، كما زعم المخالف ، ولا يستطيعون
أن يتقدموا بين يديه بهن الشفاععة حتى يأذن لهم ويأمرهم . فهم عاجزون عن كل

لا أمل فى من
يدعون من
دون الله

يَا أُخْرَى

شئ، فقراء من كل وجه، فلا أضل من راح يدعوهم ويسألهم تاركاً ربه وراء ظهره .
وقال تعالى من سورة فاطر : « ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا
لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ، ولا ينبئك مثل خبير . . . يا أيها الناس
أتأم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ،
وما ذلك على الله بعزيز » .

يقول تعالى ، مخاطباً من يدعون غيره من عبيده الضعفاء العجزة : ذلكم الذي له تلك الصفات ، وتلك الشؤون التي تليت عليكم ، هو الله ربكم ورب العالمين ، له هذا الملك وحده ، لا يشاركه فيه مشارك ، ولا يعينه على القيام عليه وبه معين . فكل الخيرات التي تطلبون لديه ، وكل الشرور التي تحذرون تستدفع به وحده ، فهو المحنوز المأمول ، وهو المدعو المستول : وأما الألى تدعون من دونه فقراء ضعفاء ، ما يملكون في هذا العالم الطويل العريض من قطير ، وهو اللافاقة التي تجدها فوق النواة ، فإذا تطلبون عندهم إذن ، وإذا ترجون لديهم ؟ وهم بعد هذا الفقر الملتصق والعجز البالغ قد فقدوا حواسهم بالموت والفناء : فقدوا آلايتهم ونطقهم وعملهم فلو أنكم ظلمتمهم الليل والنهار بكل لسان ولغة ولهجة لما نفذ إليهم دعاؤكم ولا نداؤكم ولا شيء من أسراركم ، ولو أن شيئاً من هذا نفذ إليهم فسمعوه ووعوه لما نفعتكم ذلك وما استجابوا لكم شيئاً ، لأنهم عاجزون عجزاً لازماً ، ولأنهم قراء قراء ذاتياً . على أنهم لو سمعوا وقدروا على إجابتكم ونفعتكم ما أجابوكم ولا نفعتكم ، بل لتبرؤا منكم وعنفوكم . ولهذا فانهم يوم القيامة ، يوم يستطيعون القول والكلام والسمع ، يبرؤن منكم ، ويكفرون بكم وبشركتكم ويصبحون لكم خصوماً للآل .

مبالغة الكتاب في
الدعوة لغير الله

وقد بالغ الكتاب العزيز في تقنيط القوم وإحاطتهم باليأس الغالب ماشاءت

المبالغة الصادقة : فجرد من يدعوهم من دون الله أولا من الملك حتى من أقله ، ثم جردهم ثانياً من آلات السماع والقدرة والعمل التي قد يعمل بها من لا يملك شيئاً ، ثم جردهم ثالثاً من العون والمغوث التي كانوا يظنونها لديهم إذا قنموا عليهم ، فاستغاثوهم ، فأبأ أنهم سوف يكفرون بعبادتهم لإياهم ، وبما تقربوا به إليهم من تعظيم وخضوع وخشوع ، فهم إذن لا يملكون شيئاً ولا يستطيعون أن يملكوا . ولو قدر أنهم ملكوا لما فعلوا أبداً . فأيدبهم فقيرة خالية ، وأبدانهم عاجزة واهية ، ثم لو ملكوا أو قدروا ما فعلوا . فما أقهرهم وأعجزهم ! وما أضل وأغبي من دعاهم واستجدهم .

وفي هذا من المناقضات على عبدة الأموات ما فيه . وذلك أن الله أنكر على المشركين دعاء غيره ، وليكن ذلك الغير ما يكون ، وذكر أن ما يدعون من دونه لا يصح دعاؤه لأنه فقير عاجز عن الإجابة وعن الملك ، وذكر أنهم لا يسمعون دعاء الداعين أبداً ، وأنهم لو سمعوا ما أجابوا من دعاهم ، وذكر أنهم يوم القيامة يشكرون على من عبدهم ودعاهم ، وذكر أنهم أشركوا بعد أن ذكر أنهم دعوا غيره ، فكان هذا تفسيراً لهذا ، وكان شركهم هو دعاهم غير الله . وواضح من ظاهر هذا كله أن المدعويين عقلاء من البشر والجان ، وليسوا جمادات مجردة كما ذكرنا مرات ، وواضح أن عبدة القبور ضالون جاهلون لأن من يدعوهم من الأنبياء والأولياء ما يملكون من قطمير ، ولأنهم لا يسمعون دعاهم ، ولأنهم لو سمعوا ما أجابوهم ولا نفعوهم ، ولأنهم يوم القيامة سوف يشكرون عليهم دعاهم وانقطاعهم إليهم ، وسوف يكفرون بشركهم بهم .

ثم قال من هذه السورة : « قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ، أروني ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك في السموات ، أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه ، بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً لإغواء » .

المناقضة على
عبدة القبور

آية أخرى

فكان آيات التوحيد قد أنزلت لغاية واحدة وفرض واحد وهو النهي عن
دعاء غير الله والأمر بدعائه ووجهه ، والزراية بمن دعوا غيره ، والإيعاد للمشركين
لدعائهم سواء . ومن ثم فانك تقرأ عشرات الآيات النازلة في المشركين وفي
عبادتهم الأصنام « الأوثان » وعبادتهم غير الله فتجدها كلها عامدة إلى غاية
واحدة هي الإنكار عليهم أن دعوا مخلوقا ، وأن سألوا عبداً حاجة من الحاج .
وتقرأ عشرات الآيات الآمرة بالانقطاع إليه تعالى فتجدها أيضاً كلها رامية إلى
هدف واحد ، هو الأمر بدعائه وحده لا شريك له . فجميع آيات التوحيد كأنما
نزلت لغاية واحدة ، وهي أن يفرد الله بالدعاء . هكذا جاءت هذه الآية ،
وهكذا جاءت جميع الآيات التي تلونها والتي سوف نتلوها . والعجيب أنه ما جاء
في آية واحدة ، على ما أذكر ، أن الله أنكر على المشركين السجود والركوع لغيره
صراحة ونصاً وكل ما جاء في هذا هو قوله « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا
لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وقصة الهدد مع سليمان وقول الهدد :
« وجدتني وقومها يسجدون للشمس من دون الله » . أما الدعاء فكما سمعت ورأيت .
والأمر حيثندائر بين احتمالين : بين أن يقال : إن المشركين لم يكونوا
يسجدون للأصنام والأوثان ولا يركعون لها ، وإنما كانوا يدعونها دعاءً ويسألونها
سؤالاً ، ولهذا وحده كانوا مشركين عابدين غير الحق . والاحتمال الثاني أن يقال :
بل كانوا يسجدون ويركعون لها كما كانوا يدعونها ويسألونها ، ولكن الله أكثر
من إنكار الدعاء دون إنكار السجود والركوع لأن أمر الدعاء أعظم وأجل ،
ولأنه أفضل وأدل على العبودية . . . والاحتمالان كلاهما يردان على هؤلاء الذين
يدعون القبور الليل مع النهار ، ثم يزعمون أنهم لم يعبدوهم ولم يهبوهم
شيئاً من أنواع العبادة ، لأن العبادة فيما زعموا شيء آخر غير الدعاء والاستجداء .
فاذا قيل بالاحتمال الأول ثبت أن عبادة المشركين للأصنام ، وأن شركهم بالله

انكار
الدعاء دون
السجود

كان بالدعاء دون غيره ، وهذا يرد على أصحاب القبور قولهم : إن الدعاء ليس عبادة للمدعو ولا شركاً بالله . وإن قيل بالاحتمال الثاني كان أيضاً أوضح في الرد عليهم ، لأنه إذا كان الدعاء أفضل أنواع العبادة وكان أعظم من السجود والركوع فلا خلاف في أن هؤلاء قد قدموا للأموات أفضل العبادة وأعظمها بضر وبصور لا شك في فظاعتها وهولها . فانه لا خلاف في أنهم يدعون أصحاب القبور ليقيم ونهارهم ، في محضرهم ومغيبيهم ، في سرائهم مع ضرائهم ، دعاء حاراً متواصلاً ، وليسألونهم عظام الحاجات وكبريات المآرب . فلى الاحتمالين دعاة الأموات حابدون لغير الله مشركون به شركاً منكراً .

وقال تعالى من سورة يونس : « وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء آية أخرى إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون » .

يعنى تعالى أن المشركين الذين يدعون مع الله ، شركاء ، يشركونهم في دعائهم وندائهم ، ويطلبون منهم ما يطلب من الله ليس لهم من برهان ولا من حجة على هذا الإشراك ، وكيف يكون للباطل برهان ، أم كيف يجدد داعى الأموات حجة ؟ ولكنهم يتبعون الظن ، والظن لا ينفى عند الحق شيئاً ، ولكنهم أيضاً يخرصون ، وقد قتل الخراصون . ولو أنك نفضت هؤلاء الذين يدعون الأموات ويستجدونهم ، لنجد لديهم صورة من برهان ، أو شبهة من علم ، أو بصيصاً من حجة لما وقعت منهم إلا على الظنون والتخرصات والشبهات الزممة ، وعلى القياس الفاسد قياس البارى القادر على عباده العاجزين الجهلاء الغالين . كقولهم أنت لا تستطيع الوصول إلى الأمير والوزير إلا بالوسيط والشفيع ، فكذلك لا يستطيع الوصول إلى الله إلا بالنبي وأولى بالمقر بين إليه تعالى . أو كما كان الأمر كذلك فيما بين العباد ، فلا مانع من أن يكون كذلك فيما بين العباد ورهبهم . ولما وقعت أيضاً منهم إلا على تحميل النصوص ما لا تحمل ، وتكليفها ما لا تطيق ،

تارة بصرفها عن ظاهرها وسبيلها ، وتارة بتفسيرها التفسير الباطلة المزورة
ليكون منها دلائل على عبادة القبور والانقطاع إلى الاجداث : فلك أن تقرأ
مائشاء مما كتبه نصراء الأموات من كتب حاولوا بها أن يجدوا لما قالوه واعتقدوه
وزوروه شيئاً ، وأن يشيدوا لما انتحلوه بناءً يأوون إليه هم وأشياعهم ، فراراً من
عبدة القبور صواعق العقول وصواعق المنقول ، فلن تجد في كل ما يمكن أن تقرأ غير خبر مكذوب
غير الظن أو خبر صحيح ، ولكنه عليهم لالهم ، أو قول مفتون ضال ، ضل عن السبيل كما
والحرص ضل من جعله حكماً ، وجعل قوله حجة ، وغير هذا لن تجد فيما كتبوا وألفوا
وغير هذا لن يكون الظن والتخرص ، وغير الظن والتخرص لن يكون الباطل
والتموذج الأعلى لما كتبه أشياع القبور هو كتاب هذا الشيعي . وقد علم القاري
مكانه من العلم والبرهان ، ومكانته من المعقول والمنقول ، وقد رأى أن أفضل
وأعظم ما جاء به من المناقضة لدعوة الإصلاح السلفية الموحدة هو إيراد الشبهات
والاحتمالات على الكتاب والسنة الصحيحة ، وإحاطتهما بالتأويلات البشعة
والشكوك في معاني آي الكتاب التي لا حيلة في رد ألفاظها ونصوصها ، ثم التشكيك
في معاني السنة الصحيحة المتواترة ورد نصوصها أيضاً . ولهذا قد أجرى فرس
التأويل والتشكيك في آي الكتاب العزيز الناهية عن دعاء غير الله الزاجرة عنه
بأفانين من النهي والزجر ، تدهش العقول الصحيحة السليمة ، وقد سمع القاري بعض
هذه الأفانين . . وقد خرج الشيعي من الميدان منهوكاً مضى بشر الأسلاب وشر
المفانم . ويكفي أن تعلم أنه قد أول قوله تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
أحباً » بقوله : « إن الدعاء المنهي عنه هنا هو الدعاء المساوي لدعاء الله باعتقاد أن
المدعو قادر مختار مساو لله في ذلك » أي في القدرة والاختيار ، قال : « أو هو دعاء
من نهى الله عن دعائه من الأصنام والأوثان ، التي هي أحجار وأشجار لا تعقل ولا
تسمع ، ولا تضر ولا تنفع ، كما كان يفعل المشركون في الكعبة ، أو دعاء الملائكة

والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أن لهم تأثيراً في الكون مع الله بأنفسهم، أو يشفعون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم »

هذا ما اختار في تفسير هذه الآية ، وهذا ما فضل للخلاص من دلالتها القاطعة ومن معناها المفهوم الذي لم يرضه ولم يقبله ، وهذا نموذج من أفعاله وأقواله وعدوانه على آى ربه وكتابه . وهل هذا إلا شر الظن الذي أخبر الله أن دعاة غيره يقبونه ، وشر التخرص الذي أنبأ الله عن المشركين بأنهم يخرصونه ؟ بل ما هذا إلا دون الظن ودون التخرص اللذين كان المشركون يقيمون عليهما هياكل دينهم وعقائدهم .

أما زعمه أن الدعاء المنهى عنه في الآية هو الدعاء المساوى لدعاء الله ، بمعنى أن المدعو مساوٍ لله في القدرة والاختيار، فزعمه مرذوب عنه ، وذلك أنه لا يوجد مؤمن بالله على وجه الأرض يزعم أن شيئاً مساوٍ لربه في القدرة والاختيار، أو مساوٍ له في شئ من الأشياء . والمشركون كلهم لم يشركوا ولم يعبدوا غير الله إلا بيقربوا إليه تعالى بذلك . ولهذا سمى ما يعبدون من دونه قرباناً كما في قوله تعالى : « فلولاً نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة » وسموا شفعا في قوله : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وقال « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » . فسموا أولياء وأريد بعبادتهم التقريب إلى ربهم . ولهذا كانوا يفسون كل آلتهم ، ما خلا الله ، في حالة الفزع والخوف الشديد كما في قوله : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه » وكما في قوله « ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون » والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة . وكانوا إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ومن خلق كل شئ يجيبون بأن الخالق لكل ذلك هو الله واحداً . والآيات في المعنى كثيرة مروفة . وكانوا يقولون في تلبيتهم

فساد هذا
التأويل

لم يزعموا أن الأصنام مثل الله
 « لبيك اللهم لبيك الخ . » . هذه أشياء لا يشكون في شيء منها ولا يتنازعون .
 ولكنهم كانوا مع هذا الإيمان يعبدون غيبر الله بالدعاء والرجاء والخوف وما
 يدخل في هذا المعنى . وقد كان هذا هو بلاهم وذنبهم العظيم . أما أنهم كانوا يعتقدون
 بأن أصنامهم مساوية لله في القدرة والاختيار أو في شيء من الأشياء فكلًا ،
 ما قالوا ذلك ولا اعتقدوه ، ولا زعمه أحد من المؤمنين بالله . أما ما ذكره عن
 النصارى وزعمه أنهم يعتقدون أن عيسى مساو لله فهذا الزعم فيه خطأ وسذاجة .
 قول النصارى ظاهرة : ذلك أن النصارى لم يزعموا أن عيسى البشرى مساو لله ، وإنما زعموا أنه
 في عيسى عليه السلام تعالى حال فيه . فلم عيسى عندهم جانبان : جانب مادي بشرى ، وهو عيسى المولود
 المصوب المركب كسائر الأجساد ، وجانب روى لاهوتى قديم أزلى وهو
 الله الذى له القدرة والسلطان المطلق : المتجليان على بدن عيسى البشرى
 الناسوتى . . . فعيسى فبرائه عندهم بهذا الاعتبار ، وعيسى الناسوتى ليس
 مساوياً لعيسى اللاهوتى الذى هو الله . هذا هو اعتقاد القوم ، وهذه هي
 الأغلوطة الكبرى . فالله حال في عيسى ولكنه ليس مثله ولا قريباً منه . وعندهم
 أن من الدلائل على هذا الحلول أن عيسى كان يفعل أفعال الإله من الأحياء
 والإماتة والخلق والرزق وعلم الغيوب ، والبشر لا يقدر على شيء من هذا في
 المؤلف المعتاد . فالذى فعل هذه الأفعال من عيسى المادى الناسوتى هو الله
 الحال فيه تشريعاً له وتكريماً وإقامة للبراهين على صدقه وجدارته بالإمامة والالوهية
 ولهذا إذا سئلوا « أعنى النصارى » كيف أمكن أن يكون الثلاثة واحداً قالوا مثل
 ذلك الشمس ، هي واحدة ولكنها ثلاثة : جرمها وشعاعها وحرارتها أو ضياؤها
 فثلاثة واحد ، وواحد ثلاثة . وهذا القول والتشليل ، وإن كانا ظلمات بعضها فوق
 يدلاننا على أن القوم ينهبون منهج الحلول في التثليث وفي تأليه عيسى
 وتأليه أمه ، والحال بلا شك ليس مساوياً للحلول فيه فلا يوجد مؤمن واحد

على وجه الأرض يؤمن بالله ثم يزعم أن شيئاً مساوياً لله مساواة تامة مطلقة من كل الوجوه. فهذا التأويل والذي ذكره في الدعاء المنهى عنه في الآية تأويل مزهود فيه. ثم يقال في دفع ما ذكر : لو كان قوله تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » نهياً عن الاعتقاد بأن شيئاً من الأشياء مساوياً لله في القدرة والاختيار لما قيل « فلا تدعوا مع الله أحداً » ولكن الواجب أن يقال لا تعتقدوا ، أولاً تظنوا ، أولاً تزعموا أن شيئاً يساوى الله في قدرته واختياره ، أو في صفة من صفاته ، أو نحو ذلك. وهذا لأن المنهى عنه حينئذ هو الاعتقاد بأن شيئاً مساوياً لله تعالى ، وليس المنهى عنه هو الدعاء . وهذا الاعتقاد ، اعتقاد المساواة ، أمر باطل موجب للكفر سواء أَدْعَا غير الله معتقده أم لم يدع إلا إياه . ودعاء غير الله غير اعتقاد هذه العقيدة فيه. فلا يصح النهي عن الدعاء وهو غير منهى عنه ، كما لا يصح السكوت عن عقيدة المساواة وهي منهى عنها . والنهي عن الدعاء لا يمكن أن يفهم منه أنه نهى عن أن يسوى ذلك المنهى عن دعائه بالله في القدرة والاختيار والصفات يقينا .

وخلاصة الرد أن نقول للشيعي : إن الدعاء عندك ، أى دعاء غير الله من هذا الوجه ، ليس منهيًا عنه ولا ممنوعاً ، وإنما الممنوع المنهى عنه هو الاعتقاد بأن شيئاً مساوياً لله في القدرة والاختيار والصفات ، ولكن هذا باطل ، لأن المنهى عنه في الآية هو الدعاء ، والدعاء غير منهى عنه عندك ، والمساواة لم تذكر في الآية وهي المنهى عنها ، فيما تزعم . ولا يمكن أن ينهى عن شيء ويكون المنهى عنه شيئاً آخر ، ويكون هو أى المنهى عنه غير منهى عنه . لأن هذين الأمرين أعنى دعاء الشيء واعتقاد مساواته لله غير متلازمين ، لأن الدعاء قد يكون منهيًا عنه وإن لم يعتقد في المنهى عن دعائه أنه مثل الله من كل وجه ، ولأنه يمكن عقلاً أن تعتقد في شيء أنه مثل الله ومع هذا لا تدعوه. فهذا التفسير باطل سخيف ثم يقال أيضاً : أى مؤمن بالله يستطيع أن يزعم أنه لا ينهى عن دعاء غير

الله إلا إذا اقترن دعاؤه باعتقاد أنه مثل الله سواء في كل شيء ؟ وأي عاقل يقول هذا القول أو يرضاه أو يشك في بطلانه وفساده ؟

إيضاح آخر

ثم يقال أيضا : وأي عربي يفهم أن قول الله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » نهى عن تسوية ذلك « الأحد » بالله من كل وجه ، وأنه ليس نهياً عن دعائه الذي يعرفه عامة الناس وخاصتهم ؟ ؟ إن كتاب الله نزل لعامة الناس وخاصتهم ، ونزل للإفهام والتعليم لا للألغاز والأحاجي والتضليل ، وما زعمه الشيعة في الآية ألغاز وأحاج وتضليل . ولو أن قائلنا قال : أدع فلانا ولا تدع فلانا ، لما أمكن أن يفهم أحد أن المعنى ادع فلانا الأول وادع الثاني أيضاً ولكن لا تسويه بالأول في التكريم والتعظيم ، بل ادعها معاً وافرّق بينهما في الاعزاز والاحترام . ولو قال هذا قائل وأراد هذا المعنى لكان ملوماً مخطئاً ملغوا مضللاً عند جميع السامعين العارفين بمواقع الكلام ومناحي القول .

على أنه لو صح هذا الفهم في الآية لصح لقائل آخر أن يقول ، إن النهي عن عبادة غير الله ، كالنهي مثلاً عن السجود والركوع ، منناه النهي عن تسوية غير الله بالله ، أو النهي عن عبادته المقتربة باعتقاد مساواته لله . وهذا كزعم المخالف ، وهما زعمان من سقط المزاعم ورثيث الآراء .

أويله الآخر
للآية

وأما تفسيره الثاني للآية ، وهو أن يكون النهي خاصاً بالنهي عن دعاء الأحجار والأشجار التي لا تسبح ولا تعقل ولا تضر كما لا تنفع ، فتفسير أيضاً منبوذ . وذلك لما أسلفناه من أن المشركين لم يكونوا يدعون الأحجار والأشجار المجردة يقيناً ، وإنما كانوا يدعون صور الصالحين وصور الأنبياء والملائكة والجان ، ويتعلقون بآثارهم ومخلفاتهم على قصد دعاء الصالحين أنفسهم ، كما يفعل عبدة القبور وعبدة الأبواب والأعتاب والشبابيك والعمد والأحجار والأشجار التي يزعمون أن لبعض الأنبياء والأولياء والأشياخ والآقطاب بها صلوات وملايسات ومناسبات

والمدعو المقصود في أنفس الفريقين - أعنى فريق القبور وفريق الأصنام والأوثان - هم الصالحون والملائكة والجان بلا شك ولا ريب . ولهذا فأنهم لا يتوجهون إلى كل جماد ولا إلى كل حجر وشجر بالدعاء والقصد والعبادة ، وإنما يخصون من ذلك ما زعموا أن له صلات خاصة بذلك الصالح أو الشيخ أو الملك أو الجان . . . فالمشركون لم يعبدوا الأحجار والأشجار المجردة لأنها أحجار وأشجار يقيناً . فلا يمكن أن يكون النهى عن الدعاء في الآية خاصاً بدعاء هذا النوع من الخلق .

على أنه لا خلاف في أن المشركين كانوا يدعون الجان والملائكة والصالحين ، وكانوا يعبدونهم . وعليه يقال : إنه من غير الممكن أن ينهوا هذا النهى العام المطابق عن دعاء غير الله ، ثم يكون النهى عن دعاء الأحجار والأشجار خاصة دون من يدعون من الآلهة الأخرى ، ودون الملائكة والجان واللات وود وسواع وبنوت ويعوق ونسر ، بل يجب أن يكون النهى عن دعاء هؤلاء مقدماً على النهى عن دعاء الأحجار والأشجار وصنوف الجمادات ، لأن الفتنة فيهم أعظم وأوسع وأقرب .

ويقال أيضاً من البعيد الباطل أن يقول الله : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » فيكون هذا النهى العام الشامل المطلق الصريح نهياً عن دعاء الجمادات خاصة ، ولو كان هذا هو المراد لآتى مصرحاً به ولقيل : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله جماداً ولا حجاراً ولا شجراً » ، فكان هذا نصاً لا يحتمل النزاع في المعنى بالآية الشريفة يقي اللبس والابهام والتضليل . وقوله في الآية « أحداً » يرد تفسير الشيعة رداً لا هوادة فيه ولا رفق ، وذلك أن « الأحد » عند الإطلاق ينصرف إلى العاقل لا إلى الجماد من الأحجار والأشجار . فإذا قال قائل : ما رأيت اليوم أحداً ، أو ما جاء اليوم أحد ، أو ما ذهب إلى هذا أحد ، كان المراد

بالأحد بهذا كله «الأحد» من العقلاء لأن الجهاد الصامت ، وهذا بين ظاهر .
فاذا قال الله : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » لم يصح أن يقال
إن الأحد في الآية هو الحجر أو الشجر دون المعبودات الأخرى من الأنبياء
والصالحين والملائكة والجان بلا ريب .

تأويله الثالث : وأما تفسيره الثالث للآية ، وهو أن يكون النهي خاصاً بالنهي عن دعاء
للاية الملائكة والجان الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون أن لهم تأثيراً بأنفسهم وأنهم
يشفون عنده اضطراراً بحيث لا يرد شفاعتهم ، فالجواب أن يقال : إذا سلم أن
هذا النهي نهى عن دعاء الملائكة والجان فقد سلم النزاع والخلاف وأتى باليد ،
لأنه هو يزعم أن دعاء الملائكة جائز مطلوب مشروع ، ومثله دعاء الجان والصالحين
فاذا سلم أن الآية تنهى عن دعاء الملائكة فلا شك أن دعاء الأموات يكون
كذلك منهيًا عنه ، لأن الأموات ليسوا أقدر على الاجابة والاعطاء لما يُسألون
من الملائكة الموهوبين من القدرة والسلطان والقوة ما لم يوهب البشر . وكذا
إذا سلم بأن الآية تنهى عن دعاء الجان ، صالحهم وطالحهم ، فقد وجب عليه أن
يسلم بأنها تنهى كذلك عن دعاء الموتى صالحهم وطالحهم . وذلك لأن الأموات
ليسوا أخلق بالدعاء والسؤال ، وليسوا أقرب ، من الجان الأحياء . فاذا سلم أن
الآية نهى عن دعاء الملائكة والجان والأموات من البشر ، فقد سلم النزاع
والخلاف وأعطى بيده ، وانتبهى كل شيء وخرجت كلمة التوحيد عزيزة مظفرة
منصورة ، والحمد لله .

كذبه على القوم : وأما قوله : إنهم كانوا يعتقدون بأن لهم (أى للجان والملائكة) تأثيراً
بأنفسهم وشفاعة لاترد فهذا ، لو صح ، لا يكون مقيداً للنهي عن دعائهم لأن النهي
في الآية مسلط على الدعاء لا على هذا الاعتقاد المزعوم . وهذا الاعتقاد إن كان
باطلاً كان بطلانه مستقلاً عن بطلان الدعاء ، وإن لم يكن باطلاً لم يصح النهي عنه

لا مع الدعاء ولا وحده . وإذا فرض أن هذا الاعتقاد فيهم ، أى فى الملائكة أو الجان باطل ، وفرض أن دعاءهم ليس باطلا كما هو قول الشيعة المنازع وجب أن ينهى عن الباطل وحده ، وهو هذا الاعتقاد دون الحق وهو الدعاء ، ولم يصح جمع الأمرين : المنهى عنه الباطل ، وغير المنهى عنه الحق . ولم يصح يقيناً النهى عن الحق وهو الدعاء ويكون المراد بالنهى ما لم يذكر وهو اعتقاد التأثير والشفاعة القهرية فيهم يقيناً . فهذا الذى ذكره لا ينفعه ذكره إن كان صحيحاً ، كيف وهو غير صحيح . وذلك لما قدمناه من الدلائل على أن المشركين كانوا مؤمنين بالله وبأنه خالق كل شيء ، آخذ بنصية كل شيء ، خاضع له كل شيء حتى أصنامهم وما يعبدون من دونه تعالى . وبراهين هذا تقدمت مرات فلا يمكن مع هذا أن يعتقدوا بأن شيئاً من الأشياء يشفع عند الله قهراً وقسراً واضطراً له ، لأن القاهر القاسر المضطر هو الأقوى ، وهو الرب الأعلى ، وهل يعتقدون بأن هنالك من هو أقوى وأعلى من الله ؟ على أن اعترافهم بأنهم شفعاء لهم عند الله كافى فى إبطال هذا المزعم . وذلك ان الشافع داع سائل من المشفوع ^{ما يلزم الشفاعة} لديه باعتراف الشيعة وهذا معنى الشفاعة . والداعى السائل خاضع المدعو المستول ، عاجز عن أن يكون مثله فى ما شفع فيه . وإلا لو كان قادراً على قهر المشفوع عنده لما كان شافعاً ولما شفع عنده ، بل لأخذ ما أراد وما طلب اغتصاباً وغلاباً واقتداراً . وهذا واضح . أما أن يكون شافعاً سائلاً داعياً وهو قاهر لمن يشفع عنده غالب مضطر له ، فهذا لا يمكن أن يكون ولا يمكن أن يعتقد . والذى يكون بهذه الحال لا يكون شافعاً وإنما يكون مملياً آمراً متحكماً . أما الشفاعة الحقيقية فهى سؤال ودعاء ، فيها ذل ورجاء كما قيل :

فلو كان صلحاً لم يكن بشفاعة * ولكنه ذل لهم وغرام
لأن الصلح الحقيقي المنصف الكاش بين قوتين متساويتين لا ذل فيه ولا

طاب ، وإنما يكون هذا في الشقاعة . وهذا يعرفه كل الناس . ولهذا لا يجوز أن يتخذ الله شفيعاً إلى أحد من خلقه لأن الله أعظم من كل شيء . وقد أنكر رسول الله ﷺ على ذلك الذي قال له : إنا نستشفع بالله عليك ، قائلاً عليه الصلاة والسلام : « إنه لا يستشفع بالله إلى أحد من خلقه » وأقر قوله : ونستشفع بك على الله . وقد تقدم هذا .

فنصرح المشركون بأن الذين يدعونهم ويعبدونهم من دون الله شفعاء لهم عنده تعالى إيمان منهم صريح بأنهم يرونهم خاضعين له تعالى ، واقعين تحت قهره وسلطانه ، وأنه إن شاء قبل شفاعتهم وإن شاء ردها ولا يبالي . فهذا الذي زعم الخالف لا يمكن أن يكون صحيحاً .

وأما زعمه أنهم يعتقدون بأن لهم تأثيراً في الكون فهذا يعتقد عبدة القبور في قبورهم ومشايخهم . ولولا ذلك الاعتقاد لما دعوهم وبالوهم ولا افكروا في دعائهم وسؤالهم . إلا أنهم يعتقدون بأن تأثيرهم خاضع لتأثير الله ، كائن بأذنه وقدرته وإرادته ورضاه ، وهكذا عقيدة المشركون سواء ، للدلائل التي قدمناها في خضوع كل شيء له تعالى ، وكون كل شيء حسب إذنه ومشيتته ورضاه .

ثم قال في ختام هذه السورة : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذن من الظالمين ، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب برحمته من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » .

والأولياء والأنبياء والمشايخ وغيرهم يعترف هؤلاء الذين يدعونهم الليل والنهار بأنهم لا ينفعون ولا يضررون ، ويعترفون بأن من زعم فيهم النفع والضرر فقد فارق دينه وافترى على الله . وحيلتد يقال لهم على هذا الاعتراف : إن هذه الآية كسواها من الآيات ، تنهى بشدة وصرامة وصراحة عن دعاء من

لا ينفعون ولا يضررون ، وتلجى بأن من فعل ذلك فهو عين الضال الظالم المعنسى ^{تحرير دعاء} وعليه فداء الموتى من الأنبياء والأولياء والمشايخ والصالحين محرم ممنوع بنص ^{من لا ينفع} هذه الآية ونظائرها من الآيات . وعليه فدعاتهم من الضالين الظالمين المعتدين . ولا يضر بلا ريب . فليس لهم مخرج ولا منفذ من هذا إلا أن يزعموا أن الأموات الذين يدعونهم من دون ربهم ينفعون ويضررون ، يزعموا أنهم ما دعوهم ولا سألوهم إلا رجاء هذا النفع وذاك الضر . وإذا زعموا هذا الزعم فقد رجعوا إلى إثبات ما أنكروا ، وصار مذهبهم في الأموات قائماً على الاعتقاد بأنهم ينفعون ويضررون . ولكنهم يزعمون دائماً لمخالفهم ، جاهدين مقسمين ، أن هذا المذهب وهذا الاعتقاد كفر وضلال جسيم ، يزعمون لهم دائماً ، دفعاً عن دعاء الأموات وعن دعائهم أن هؤلاء الذين يدعونهم ويسألونهم ضررب الحاج الخاصة والعامة ، لوسلوا : هل تقولون إن الذين تدعونهم يضررون وينفعون لقالوا جميعاً : كلا ، إنهم لا يضررون ولا ينفعون ، وإن الذى يضر وينفع هو الله وحده لا شريك له . وهم يذكر أن هذا الجواب لا يمكن أن يختلف ولا أن يختلف فيه دعاء الموتى من الصالحين . وعندهم أن هذا الاعتقاد ، أى اعتقاد انفراد الله بالنفع والضرر هو الذى يدفع عن دعاء الأموات التضليل والتكفير ، لأن الكفر والضلال عندهم هو فى اعتقاد أن شيئاً غير الله ينفع ويضر ، أما الدعاء والاستجداء فلا شئ فيه من ذلك . هذا ما يقوله وما يكتبه الذائدون المدافعون عن خرافات القبور ، وخرافات المالكين على القبور . ولكنهم محجوجون على جميع الحالات والافتراضات . وذلك أننا نقول لهم : أما أن تزعموا أن هؤلاء المشايخ الذين تدعونهم من دون الله ينفعون ويضررون ، وأن دعاءكم إليهم لم يكن إلا رغبة فى نفعهم وضرهم . ولما أن تقولوا إنهم لا ينفعون ولا يضررون . ولا مفر من الافتراضين . فان ذهبتم إلى الافتراض الأول فقد ذهبتم إلى ما زعمتم أنه كفر بالله وضلال كبير . وإن ذهبتم

إلى الافتراض الثاني وجب أن تعترفوا بأن دعاء الأموات ممنوع باطل. وذلك لأن هذه الآية وغيرها من الآيات قد نهت بشدة وصراحة عن دعاء من لا ينفع ولا يضر، وأنبات بأن من دعاء من لا ينفعه ولا يضره فهو من الظالمين. وأيا اخترتم فقد حججتم. والافتراض الأول، أي افتراض أن المشايخ ينفعون ويضرون لا يمكن لمسلم الذهاب إليه وقد أبطله الله بقوله « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو. وإن يردك بخير فلا راد لفضله » وقد أبطله أيضاً في آيات أخرى صريحة معلومة مثل قوله : « إنك لا تهدي من أحببت » وقوله : « ليس لك من الأمر شيء » وقوله « ألا له الخلق والأمر » وقوله : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً » وقوله : « قل إني لا أملك لنفسي نفماً ولا ضرراً إلا ما شاء الله » - إلى غير ذلك من الآيات الصريحة الظاهرة. فهذا الافتراض لا يتحمل مسلم الذهاب إليه ولا القول به. وأما الافتراض الثاني فهو ما ينذهب إليه هؤلاء في ما يزعمون. وهذه الآية وغيرها من الآيات رادة عليهم حيلة نذراً لاحيلة لهم في دفعه ولا رفعه. وما أجمل قوله : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله » بعد قوله : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين ». وذلك أن قوله : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك » ينصرف إليه هذا السؤال : ما الذي لا ينفع ولا يضر فلا يدعى، وما الذي ينفع ويضر ويدعى وحده ؟ فأجاب الله عن هذا السؤال الذي لم يذكر بأن الذي ينفع ويضر هو الله وحده لا شريك له فقال : « وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله » فالله وحده المدعو المسؤول المرجو، لأنه وحده النافع الضار. فالنساء له وحده، لأن كل ما يطلبه الداعي ويرجوه، وكل ما يحذره ويخشاه عنده وحده. فكما كان هو المعطى المانع الضار النافع يجب أن يكون وحده المدعو المعبود المسؤول.

وقال تعالى من سورة الجن : « وأن للمساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا ، قل إنما أدعوربي ولا أشرك به أحداً ، قل إني لأؤمك لكم ضرا ولا رشداً ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاءاً من الله ورسالاته . ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً » .

يقول تعالى مخاطباً عباده جميعاً : « مؤمنهم وكافرهم : إن مواضع السجود والعبادة وأعضاء السجود نفسها لله رب العالمين لا شريك له فيها ولا في غيرها مما في السموات والأرض . وإذا علمتم أن ذلك كله لله وحده فادعوه وحده لأنه هو المالك وحده ، ولا تدعوا معه أحداً ممن لم يملكوا ولم يخلقوا شيئاً من المساجد ولا من غيرها ، لأن من لم يخلق ولم يملك لا يصح أن يدعى ، لأنه لا يمكن أن يجيب دعوة من دعاه ، ولا أن يعطيه شيئاً مما يسأل ويرجو ، لأنه لا يملك ، ومن لا يملك لا يمكن أن يملك غيره بالضرورة . . . ولكن المشركين لا يعلمون ذلك ولا يلهون ما يحسن مما يقبح . ولهذا فانه لما قام عبد الله ورسوله يدعوا ربه وحده بينهم لم يرضوا ذلك منه ولم يرقهم أن يوحدوه مشركون ، وأن يدعوا رباً واحداً وهم يدعون مثلاً الأرباب . فاحتزبوا عليه وتآلبوا على عداوته وعلى مناوأتها ومطاردتها ، وتسكثروا عليه حتى كادوا يضيقون عليه كل سبيل ووجه ، وقاربوا أن يكونوا عليه لبداً من ازدحامهم واحتشادهم في آفاقه وسبله الطويلة العريضة . . . ولكن الله ورسوله لا يباليان بالمشركين الجاهلين الداعين من لا ينفعونهم ولا يضررونهم ولا يزدحامهم واحتشادهم في طريق الحق وطريق العبد الصالح الذي لا يدعوا غير ربه وخالقه . فظل عبد الله ورسوله في مقامه يدعوا ربه وحده ولا يبالي بالمعارضين ، وأنزل الله عليه الوصية الخالصة : « قل إنما أدعوربي ولا أشرك به أحداً » . يقول له : قل يا عبادي هؤلاء المشركين الداعين غيري :

احتشاد الشرك
على التوحيد

يا هؤلاء لا أدعو إلا ربى وحده ، وإن جاهدتم وجهتكم على أن أضل وأنغوى ، ولا أشرك بربى أحداً في دعائى وندائى وسؤالى ، فلا أدعو مخلوقاً ، لا ملكاً ولا إنساناً ولا جناً ولا غيرهم من المخلوقين المربوبين . ولا شك أن قوله هنا : « ولا أشرك به أحداً » يعنى فى الدعاء ، يعنى أنه لا يدعو أحداً غير الله ، وفى غير الدعاء أيضاً من أنواع العبادات . ولكن الدعاء هو أول ما يدخل فى هذا النفى العام الشامل ، وذلك لأنه هو المتقدم ذكره فى قوله : « فلا تدعوا مع الله أحداً » وفى قوله « يدعوه » وقوله « أدعوا » . فلما أن تقدم ذكر الدعاء فى ثلاثة ألفاظ وجاء نفي الاشراك بعده وجب أن يكون الاشراك المنفى فى الدعاء أو فى الدعاء وفى سواء من ضرور العبادة .

أسباب منع ثم أخذ فى شرح الأسباب التى من أجلها وجب أن يدعى الله وحده وأن يدعو غير الله لا يدعى سواء : أحد هذه الأسباب أن عبده محمداً ، وهو أفضل الخلق عنده تعالى ، لا يملك الضر ولا الرشد فقال له : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً » . وإذا كان أفضل الخلق عند الله بهذا المكان من العجز إزاء القدرة الإلهية والسلطان الربانى فكيف يطمع فى سواء وكيف يدعو مخلوقاً غيره لدفع مكروه وإعطاء محبوب ؟ ونأتى هذه الأسباب أنه ﷺ ، وهو رسول الله وأقرب عباده وخلقه إليه ، لا يستطيع أحد من أهل السموات أو من أهل الأرض أن يجيره من الله وأن يحول بينه وبين ما يريد ويشاؤه له ربه ، وأنه لن يجد عند غيره تعالى ملتحداً ولا معاذاً ومهرباً يفر إليه ، ويتقى به ما يخاف ويحاذر مهما تقب وتطلب ، ومهما راح وجاء . وإذا كان لا مفر من الله إلا إليه ، ولا معاذ من غضبه إلا برضاه ، وحذف الخلق جميعاً من يدعى سواء ، وكيف يسأل العاقل مخلوقاً ويدع الله وهو يعلم أن أهل السماء وأهل الأرض جميعاً لو أرادوا أن يحولوا بينه وبين شر قضاه عليه لما استطاعوا ، ولو

اجتمعوا على أن يخطوه ما لم يردده الله وما لم يقسمه له لما فعلوا شيئاً ؟ ؟ فإذا كان الخلق لا يملكون الضر ولا الرشد ، ولا الخير ولا الشر ، ولا يملكون شيئاً في هذا الملك العظيم ، وكانوا جميعاً لا يستطيعون أن ينجسوا مستجيراً ، ولأن يمينوا مستعيناً بهم ، ولا أن يمجّدوا لمن هرب إليهم مهرباً ولا محيصاً ، فكيف لا يحنفون من الحساب والذكرة ؟ وكيف لا تحتشد الآمال والحاجات كلها على من ناصية كل شيء بيده ، ودلى من لا يهرب منه إلا إليه ، ولا يماذ من سخطه إلا برضاه ؟ وهذا غاية في الرد على دعاة الأموات الماكفين على الأجداث . فإن قوله « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » نهى قاطع صارم عن دعاء المخلوقين كيف كانوا وأين كانوا ، لا يستثنى صالحاً ولا طالحاً ولا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا إنسياً أو جنياً : لا يستثنى شيئاً . فكل ما يدعى سواء فدعاؤه باطل ضلال ، وداعيه مبطل ضال . وقوله : « قل إنما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا » نص صريح في أنه لا يدعى سوى الله ، وذلك أن هذا بمنزلة أن « يقال لا أدعو إلا ربِّي » في النفي والإيجاب ، وفي قصر الدعوة على الحق . وقوله « وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا » صريح في أن دعوة غير الله شرك بالله . وقوله « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » دليل على أن المشركين كانوا ينكرون على الرسول عليه السلام دعاء ربه وحده كما ينكر اليوم دعاة الأموات على أهل التوحيد دعاء ربهم وحده ، ودليل على أن أولئك المشركين كانوا ينقمون من الرسول ، ويمتشدون على عداوته إذ لم يوافقهم على دعاء غير الله ، كما ينقم هؤلاء الماكفون على القبور من أهل التوحيد إخلاصهم وتوحيدهم ، ويمتشدون على عداوتهم وهنأوتهم ، إذ لم يوافقهم على دعاء غير الله : من المشايخ والأولياء والأنبياء والصالحين . فدعاة الله وحده هم إذن خلف الرسول وخلف صحبه الأبرار ، والمنكرون عليهم دعوتهم ودعاهم إذن خلف أولئك المخلصين للنبوة ولتوحيد الله ، ونعوذ بالله من الضلال ومن أسلافه وأخلافه .

خلف الرسول
وخلف
خصومه

آية أخرى

وقال تعالى في سورة المؤمنون « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، إنه لا يفلح الكافرون »

ولا خلاف في أن كل من عُبدَ من دون الله فهو إله لغة وشرعاً ، لأن الإله منه الحق ومنه الباطل ، أى منه الآله الذى يستحق العبادة ، والآله الذى لا يستحقها فالمسيح إله عند عابديه لأنهم عبده ، وأمه إله عند عابديها ، والأخبار والرهبان آله لأنهم معبودون ، وود وسواع ويعوق ونسر وغيرهم آلهة ، وهم قوم صالحون ، والملائكة آلهة عند العرب لأنهم كانوا يعبدونهم فالإله هو المعبود كيف كان وأين كان . ولهذا فلهوى ، أى هوى النفس ، أحياناً يكون إلهها كما قال تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » . والآية التى ذكرناها تقول : « ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه ، إنه لا يفلح الكافرون » . أى إن الذى يدع مع الله إلهاً آخر هو كافر ولا يفلح الكافرون . ولا يمكن أن يكون لمن دعا مع الله إلهاً آخر برهان ، وإذن فكل من دعا أحد هؤلاء الآلهة : المسيح ، أو مريم ، أو الملائكة أو ودأ ، أو سواعا . أو ينفوث ، أو يعوق أو نسرأ ، أو أحد أولئك الأخبار والرهبان ، فقد دعا مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، فهو واقع تحت هذا الوعيد الصارم الشديد ولا ريب في هذا ، فانه لا شك في أن المسيح وأمه الهان ، وإن الملائكة عند العرب آلهة ، وأن هذه الأسماء المذكورة : ودأ وسواعاً إلى آخرها أسماء آلهة ولا شك أن من دعا أحد هؤلاء فقد دعا مع الله إلهاً آخر لا برهان له به . فن قال : يا مسيح أعطنى كذا فقد دعا مع الله إلهاً آخر ، ومن قال يا مريم افعلى من اجلى كذا فقد دعا مع الله إلهاً آخر ، ومن قال يا جبريل او يا ميكائيل أريد منك كيت فقد دعا مع الله إلهاً آخر لا برهان له به ، ومن دعا مع الله إلهاً فقد ذكر الله في الآية المذكورة وعيده وجزاءه . فدعاء هؤلاء الآلهة ممنوع بهذه الآية منعاً

من دعاء مع
الله إلهها

صريحاً شديداً ، والداعى لهم أولاً حدم واقع تحت طائلة هذا الوعيد الذى هو الكفر ، والكافر لا يفلح و « لا يفلح الكافرون » كما فى الآية . وإذا كان دعاء المسيح ومريم والملائكة وجميع الأحرار والرهبان الذين اتخذوا آلهة مع الله ممنوعاً فلا شك أن دعاء الأموات يكون مثله ممنوعاً أو ممنوعاً أكثر ، لأنه لا يمكن أن يكون دعاء المسيح وأمه والملائكة كفرة ورده ثم يكون دعاء الرافعى والبدوى والجيلانى والزيلعى ، وغيرهم من المشايخ ، إيماناً ودينياً بل إذا كان دعاء أولئك ممنوعاً ورده كان دعاء هؤلاء أحق بالمنع وبالإيراد ، وارد الكفر والكافرين ، وإذا كان دعاء هؤلاء الأسيخ الموتى من الدين والاسلام كان دعاء أولئك أحق بأن يكون من ذلك .

فنحن لا نشك أن مسلماً لا يمكن أن يزعم أن دعاء المسيح ودعاء مريم أو دعاء ود أو سواع ، أو دعاء اللات - وهو رجل صالح كما ذكر فى التفسير - لا يمكن أن يزعم مسلم أن دعاء هؤلاء كلهم ، أو دعاء فريق منهم ، من الاسلام والدين ولا من الجائز المباح . ولا نعرف ما يزعم هذا الشيعى ، هل يرى أن دعاء هؤلاء جائز ودين كدعاء الملائكة والمشايخ ، أم يرى فى هذا ما يراه جميع المسلمين من البطلان والتحرير . وإذا كنا لا نشك أن مسلماً واحداً لا يمكن أن يجوز دعاء المسيح ومريم ولا دعاء أحد هؤلاء المعبودين الصالحين ، فلا شك أنه لا فرق بين دعائهم ودعاء المشايخ الأموات من جهة التحريم والبطلان . بل لا شك أن دعاء هؤلاء المشايخ أحق بالتحريم والحظر . فان مسلماً عاقلاً لا يجرؤ أن يقول : إن دعاء المسيح من الضلال والكفر ، أو من الأمور الممنوعة المحرمة ، ثم يقول : إن دعاء الجيلانى أو الرافعى أو دعاء الحسن أو الحسين أو غيرهم من الأمور الجائزة التى امتدحها الاسلام وتندب إليها المسلمين . وكذلك أيضاً لا نشك أن مسلماً عاقلاً لا يمكن أن يزعم أن دعوة اللات اليوم جائزة ، لأنه قد صح

ما الفرق بين
دعاء المسيح
وأمه ودعاء
المشايخ
الأموات

عن اهل التفسير واهل السير انه كان رجلا صالحا يلت السوق للحجيج ، فلما ان مات عبده . وإذا كان مسلم واحد لا يمكن ان يرغم جواز دعوة اللات - وهو احد الصالحين الأموات - فما الفرق بينه وبين البدوي والدسوقي مثلا ؟ وما الفرق بين دعاء هذا العبد الصالح ودعاء هؤلاء الأشياخ الذين لا تعرف حقيقتهم ولا كنههم ولا كنه مذهبهم وإيمانهم على وجه اليقين ؟ نحن نحسب أنه لا فرق بين هذا وهذا ، ونحسب ان كل منصف يعلم ، ويقول : إنه لا فرق . قال هؤلاء إذن لا يسرون على طرية واحدة وسيرة متفقة متحدة ، فلا يتناقضوا ، ويقولوا القول ويردوا نظيره وأخاه ؟ إن زعموا ان الفرق بين أولئك الأولين كللمسيح ومريم واللات وود وسواع ، وبين هؤلاء المتأخرين كالرطحي والدسوقي والبدوي والسيدات : زينب وسكينة ونفيسة أن أولئك الأولين اتخذوا آلهة ، وأما هؤلاء فلم يتخذوا آلهة ، ودعوة الذين اتخذوا آلهة فيها إيهام ومضاهاة للمشركين الضالين بخلاف هؤلاء المشايخ الأموات ، فانه لا إيهام في دعوتهم ولا مضاهاة فيها لأحد من المشركين ، فكان من العدل والعقل التفريق بين الفريقين ، وكان من العدل والعقل أن يقال بجواز دعاء هؤلاء المشايخ الصالحين وبنوع دعاء أولئك الأولين **بطلان** التفريق بين **الذاهبين** : إن زعموا هذا الزعم قلنا : هذا ، وإن كان باطلا لا يصح ، مردود بدعائهم لعل بن أبي طالب ودعاء غيره من آله ، وقد عبد على وعبدت طوائف من ذريته وزعموا آلهة ، وقد حرق على قوما زعموا فيه هذا الزعم وقالوا له أنت الله وهذا الشيعي صاحب هذا الكتاب معترف بأنه عبد وادعيت فيه الألوهية . وكذا الشيعة أجمع تعترف بهذا . ومردود أيضا بتجويزهم دعاء الملائكة وقد عبدوا وزعم فيهم أنهم بنات الله كما ذكر الله وكما اعترف هذا المخاصم في كتابه بل هذا الزعم مردود بدعائهم للرسول عليه السلام ولأهل بيته عليهم الرضوان فاتهم قد عبدوا وزعموا آلهة من دون الله ، وزعم ان الله قد حل فيهم كما ذكر

علماء الشيعة أنفسهم كابن النوبختي في كتابه فرق الشيعة المطبوع في النجف ،
وكما ذكر مجتهدهم الكبير في هذا الوقت الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء
في كتابه « الآيات البينات » المطبوع في النجف بالمطبعة العلوية ، فقد ذكر هؤلاء
وغيرهم أن فرقاً من الملتزمين ادعوا الألوهية والربوبية في النبي عليه السلام ، وفي
الحسن والحسين وأولادهم ، وفي فاطمة وفي جعفر وفي غير هؤلاء من قرابة النبوة
وقد قال آل كاشف الغطاء في كتابه المذكور « الآيات البينات » : « من أشكال من قول مشايخ
الاحاد والزندقة التي نشأت في الاسلام الغلو والارتفاع وتجاوز الحد في الأئمة من الشيعة في
آل البيت النبوي ، وأول من اشتهر بذلك عبد الله بن سبأ . غلا في أمير المؤمنين الشيعة
على وزعم أنه هو الله ، وتبعه جماعة حضر بعضهم عند علي وخاطبوه بالربوبية
فحرقهم . ثم هدأ غليان الغلو إلى زمن جعفر الصادق فثار ثورة ، وكان أكبر
القائمين بذلك محمد بن مقلص المعروف بأبي الخطاب وتبعه جماعة كبيرة تعرف
بالخطابية ذهب إلى ألوهية الصادق ، ثم ترقى فزعم أن الاله - يعني الصادق -
قد حل فيه : ثم تشعبت الغلاة إلى شعب كثيرة منها الملياوية ، القائلون بأن من فرق الشيعة
علياً رب ، وإن فاطمة والحسين والحسن تلييس ، والحقيقة هو شخص على . ومنها على قولهم هم
الخمس ، القائلون إن الخمسة : سلمان وأبا ذر والمقداد وعماراً وعمر بن أمية
الضمري ، هم الموكلون بمصالح العالم من قبل الرب ، وهو على . ومنها المفوضة ،
الزاعمون أن الله خلق محمداً وعلياً وفوض إليهما الخلق والإيجاد ، فخلقاً الدنيا وما
فيها . ومنها المغيرة ، أصحاب المغيرة ابن سعيد . قالوا : إن الله قد حل في كل واحد
من الأئمة وظهر بصورة على . . . ولم يزل الغلو مطرداً في عامة الأئمة الاثنى
عشر وفي خاصة كل واحد منهم . وكان آخرهم الفرقة المعروفة بالنصيرية ،
أصحاب محمد بن نصير . كان يقول : الرب هو علي بن محمد العسكري وهو نبي
مرسل منه . . . »

هذا بعض ما ذكره مجتهد الشيعة محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه المذكور . وقد ذكر أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه « فرق الشيعة » أمور كثيرة تقدمت في مطلع هذا الجزء .

فاذا كان يصح التفريق بين الفريقين بما ذكره من الفرق وجب أن يقولوا ببطلان دعوة علي بن أبي طالب ، ودعوة الرسول عليه السلام ، ودعوة آله وقرابته الذين عبدوا وزعموا آلهة من دون الله ، وزعم أن الله قد حل فيهم ، وأن يقولوا أيضاً ببطلان دعوة الملائكة لأنهم عبدوا وزعموا بنات الله ، كما ذكر الشيعة نفسه . ولكن كلا ، هم لم يقولوا ببطلان دعوة أحد من هؤلاء . بل هم يدعونهم الليل والنهار ، وينالون ممن قالوا بامتناع دعائهم ، ويضعون الكتب للتدليل واصطياد الشبهات على دعائهم والاستغاثة بهم . وقد زعموا كهذا المصنف في كتابه وغيره أنه يجوز دعاء الملائكة والاستغاثة بهم وسؤالهم الحاجات دنيوية ودينية . فهم إذن لم يبالوا بهذا التفريق ولم يعملوا به ، ولم يبالوا بأن يدعوا من عبدوا وأهلوا وادعيت لهم الربوبية ، فهم إذن غير صادقين في هذا التفريق ولا جادين ولا قابلين له ولا معترفين به . فعليهم إذن أن يقولوا بجواز دعاء اللات لأنهم رجل صالح ، وبدعاء المسيح وأمه ، وبدعاء عزير والأنبياء الأولين ، وبدعاء ود وسواع ويعقوب ويعقوب ونسر ، لأنهم رجال صالحون ، كانوا يدعون إلى عبادة الله فلما ماتوا عبدوا الجاهل ، وجوز دعاء الصالحين الأولين من الأمم الأولى - وإن لم يقولوا بهذا ويرضوه - فعليهم إذن أن يقولوا ببطلان دعاء هؤلاء المشايخ الموتى وبطلان دعوة الرسول ودعوة غيره من الأموات ، فلا يدعوا ميتاً لا قدماً ولا حديثاً ، ولا قريباً ولا بعيداً . هذا ما عليهم أن يقولوه وأن يزعموه ويلتزموه . أما أن يقولوا ببطلان دعوة المسيح ومريم والعزير مثلاً واللات وود وسواع ويعقوب ويعقوب ونسر والصالحين الآخرين وهم يقولون بجواز دعوة الدسوقي

أما أن يقولوا
بجواز دعاء اللات
أو بامتناع دعاء
الأموات

والرافعى والبدوى والجيلانى وكل من هب ودب ، فجهل وضلال . فاذا سلكوا طريقة واحدة فقالوا بجواز دعاء هؤلاء جميعاً ، فحوزوا أن يقول المسلم : يا عيسى أعطنى . يا مريم هبى لى كيت : ويا فلان أسألك العفو والعافية والشفاعة والوساطة ، وأمثال ذلك : أما إذا ذهبوا إلى هذه المقالة فقد ساعدوا على أنفسهم وصاروا بلا شك غير مسلمين بإجماع المسلمين . . . وإذن لا مفر لهم من الاعتراف بأن دعاء الأموات ، كيف كانوا وأين كانوا ، من الشرك بالله ومن الجهل الفظيع .

وهذا الذى ذكرناه برهان مستقل بارع على بطلان دعوة المشايخ وسؤال الميتين إذا ماتدبره العاقل الفطن وحذقه جيداً لم يحتج إلى غيره لعرفان بطلان الرجوع إلى الموتى والاستغاثة بهم ودعائهم لتبيل أمر من الأمور . . . والله الذى افترض على عباده جميعاً التوحيد قد أقام عليه من البراهين الواضحة والدلائل المتنوعة ما يلائم كل عقل ، وما يفهمه كل إنسان . هما كان ضعيف الذكاء قليل الحفظ من رسوخ القدم فى صناعة البرهان ومعرفة الحجة . . .

وقال تعالى من سورة الأعراف : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، ألهم أرجل يمشون بها ، أم لهم أيدي يبطشون بها ، أم لهم أعين يبصرون بها ، أم لهم آذان يسمعون بها ! قل ادعوا شركاءكم ثم كيّدون فلا تنظرون . إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون . وإن تدعوم إلى الهدى لا يسمعون ، وتراهم ينظرون إليك وهم فلا يبصرون » .

وهذه الآية من أبلغ الرد على المشركين الذين يدعون من لا ينفعونهم ولا يضرونهم ويلتصون بهم رب العالمين الذى يرجع إليه الأمر كله . وهى أيضاً من أبلغ الرد على الطائفتين بالقبور السائلين للأموات . وقد نوع الرد فيها على الداعين للأموات

وبلغ فيه ، فقوله : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » صريح في أنهم كانوا يدعون أناساً مثلهم بشراً ، ليسوا جماداً ولا أحجاراً أو أشجاراً ، كما يزعم من لا يعرف . وفي هذا أبلغ التهم والرد على القوم والزياة بهم وبعقولهم . فإن العاقل لا يمكن أن يدعو من هو مثله في القدرة وفي الحول والطول ليهبه ما يرجو وليليله ما يعجز عنه هو ، وإنما يدعو العاقل من هو أقدر منه ومن هو أعظم حولا وطولا وسلطة وسلطانا . وذلك لأن الداعي والمدعو لا يصح أن يستويا وأن يكونا مثلين ، لأنهما إذا كانا كذلك فليس دعاء أحدهما للثاني أولى من العكس . وليس عجز الداعي عن نيل ما يطلبه من المدعو بأحق من عجز المدعو ، وليس هذا أولى من هذا بأن يكون مدعواً ، ولا هذا أحق من هذا بأن يكون داعياً ، وإذا عجز الداعي عن أن ينال ما يطلب من المدعو فالمدعو كذلك عاجز أيضاً ، لأنهما مثلان ، وإذا كان المدعو قادراً على ما يطلب منه الداعي فالداعي ، كذلك ، قادر لأنهما سيان ، فلا وجه لأن يكون أحدهما داعياً محتاجاً والآخر مدعواً محتاجاً إليه ، بل يجب أن يكونا إما داعيين ، وإما مدعويين . فمن دعا من هو مثله فقد بالغ في هجماء نفسه وعقله وحاله . ومن النقص العظيم ، مع الجهل الفاضح ، أن يدعو المرء مثله ويدع الله وراء ظهره . فقوله تعالى « عباد أمثالكم » من أعظم الهجاء لدعاة البشر ومن أظهر الرد على دعاة الخلقين .

العاقل لا يدعو مثله

آية التحدى وقوله : « فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » غاية في التحدى . والتعجيز لدعاة غير الله من البشر وغير البشر ، غاية الانصاف في الجدل والخصام . وبيان هذا أن الله أولاً قال لدعاة غيره : إنكم غالطون ضالون أن دعوتكم سوى عباداً مثلكم من كل وجه ، عاجزين عن نفعكم كما عجزتم أنتم عن نفعهم ، محتاجين إلى غيرهم كما احتجتم أنتم إلى غيركم ، لأنكم أنتم وهم سواء ، وانظروا إلى حقيقتكم وحقيقتهم تجدوا الأمر واضحاً . فإن لم ينفعكم هذا البرهان الملموس المحسوس ،

آية التحدى

وأمرهم على أنفسهم قادرون على إجابة دعائكم فدعوتهم ، فتمالوا إلى أمر أحزم وأقطع وأبين : تمالوا إلى تجربة شهادة صادقة لا تخون ولا تبين ، هذه التجربة هي أن تدعوا هؤلاء الذين زعمتم أنهم يسمعون دعاءكم ويحببونكم ، وأن تنظروا بعد هذا هل يستجيبون لكم أم لا يستجيبون . فان كانت الأولى فقد صدقتم وهديتهم ، وإن كانت الأخرى فقد كذبتهم وضللتهم ، وعليكم أن تتوبوا بعد ، وأن ترجعوا إلى عقولكم وفطركم التي عزبتم عنها وعزبت عنكم منذ أحقاب وأزمان « فادعوهم فايستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » . ولكن أين ! فقد طبلجوا هذه التجربة منذ عصور وحقب فلا حاجة بهم إلى تجديدها والنحاكم إليها ، فهل استجابوا لأحد منهم ، أو هل أعطوا أحداً ما سأل ؟ هم يعرفون في دخائل أنفسهم أنهم لم يستجيبوا لأحد ولم يعطوا سائلاً قط ما سأل ، ولكنهم يتللون بالأكاذيب والأمانى الفوارغ . ولهذا كان هذا التحدى والتعجيز من أبين الرد على دعاة المخلوقين المعرضين عن خالقهم وربهم . وهذا هو ما يقال اليوم لدعاة المتبورين ، يقال لهم « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فايستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » .

وقوله « ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيدي يبطشون بها أم لهم أدين يبصرون لما ذابني عن أم لهم آذان يسمعون بها » تعليل للنهي عن دعائهم وسؤالهم ، وقطع الرجاء فيهم دعوة الاموات ومنهم . وذلك لأنهم قد فقدوا آلات العمل والحياة ، فهم لا يستطيعون أن ينيلوا سائلهم شيئاً لجزهم وقصورهم ، فهم لا يستطيعون أن يشوا ولا أن يعملوا بأيديهم ولا أن يبصروا ولا أن يسمعوا ، لأنهم أموات ، والاموات أشباح لا أرواح فيها ، فهي جناد من حيث الظاهر ، ومن حيث الدنيا ، والحياة التي فيهم ولهم هي حياة روحية غيبية أخروية راجعة إلى أرواحهم التي مستقرها عالم الآخرة عند الله ، فلا صلات بينها وبين الدنيا وأهل الدنيا . أما أجسامهم - وهي ما بقي

عند أهل الدنيا منهم - فلا فرق بينها وبين الجماد الصامت من حيث المعجز عن .
النفع والضرر والتمل والحركة . فلا فرق بين من دعاها وبين من دعا الجمادات
الصامتة . أما الأرواح فما أبعد منا لها ومكانها عن داعي أشباحها . وما مثل
من دعا هذه الجثث الميتة الموضوعة تحت التراب والرغام إلا كمثل من دعائوباً أو
بيتاً ، لأن نبياً من الأنبياء ، أو ولياً من الأولياء . كان قد لبسه أو سكنه
يوماً من الزمان .

وهؤلاء الذين يدعون الموتى ويسألونهم حاجاتهم وما ربههم لا ينازعون في
أنهم ليست لهم أرجل يمشون بها ، ولا أيدي يبطشون بها ، ولا أعين يبصرون
بها ولا آذان يسمعون بها ، فهم بلا شك محجوجون بهذه الآلة ، داخلون تحت
تقريرها وذمها لمن دعوا من لا يمشون ولا يبطشون ولا يبصرون ولا يسمعون ولا
يعملون ، لأن تقريرها متناول كل من دعا شيئاً هو بهذا المكان من المعجز والنقص ،
والأموات هم ، بلاريب ، في صدر هذا المكان .

ترتيب نظم
الآية وبراعته

وقد رتب الآلة وصف هؤلاء المدعوين بالمعجز والضعف ترتيباً هو في غاية
الدقة والنظام والبراعة . فقد سلبتهم أولاً المشى والنفقة ، وقد بقى لهم أن يسلموا
بأيديهم فسلبتهم ثانياً ذلك ، فبقى لهم من آلات الحس أن يبصروا بأعينهم فينفعوا
دعائهم بالنظرات بعد أن عجزوا عن نفهم بعملهم بأرجلهم وبطشهم بأيديهم
فسلبتهم ثالثاً آلة النظر ، فهم لا يستطيعون أن يمنحوا من دعائهم ورجائهم نظرة
من نظرات العطف والحنو والحنان ، فبقى لهم بعد سلب ذلك كله أن يسمعوا
دعائهم وحنائهم ، ولعلمهم إذا سمعوا هذا شفّعوا لهم أو توجهوا بنفوسهم وإراداتهم
إلى نفهم ومجازاتهم على تعلقهم بهم وانقطاعهم إليهم ، فسلبتهم رابعاً آلة السماع ،
فأصبحوا لا يمشون ولا يعملون ولا يبصرون ولا يسمعون ، فكيف ينفعون أو
يضررون ؟ وكيف يرجون ويؤمنون ؟ . . . فانهقطع منهم كل أمل ورجاء . وهنا

الترتيب في تعجيزهم وتسجيل ضعفهم في مكان من الدقة والبراعة لا يسع أجحد العقول وأكفرها وأعنفها كبرياء وجبروتنا إلا التواضع إزاءها والتسليم لها بالعجز وبصحة الانسحاب إلى الحق جلّت قدرته وعظمته ، وإلا الاعطاء لها باليد ، يد الصغار والتضاؤل والتخاذل .

وقوله : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيون فلا تنظرون » نتيجة لما تقدم هي نتيجة ماتقدم في نهاية الدقة والبراعة والانسجام . ذلك أن الله قد أبان الدلائل أولاً على أن أولئك المدعويين عاجزون عجزاً تاماً ، ليسوا أهلاً لأن يدعوا ويستغاثوا لأنهم ليسوا قادرين على أن ينفعوا أو يضرروا . وقد ذكر من الدلائل على هذا المشاهدة ، والمشاهدة هي من أصدق الأدلة الصادقة . وهذا الدليل المشاهد الملموس هو أن هؤلاء المدعويين قد فقدوا آلات العمل كلها ، فقدوا الأيدي التي يبطشون بها والأرجل التي يمشون بها ، وفقدوا آلات البصر والسمع التي يمكن أن يروا بها حال دعائهم ، أو يسمعوها بها هتافهم ودعاهم . وعزز هذا البرهان القاطع بأن نخدام قائل : « فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » . وهذا برهان حسي آخر على ضلال دعاة الأموات ، وعلى أنهم في غفلة عن دعاهم لا يحسون معها دعاه ولا يعلمون حاله . وبعد أن سجل على الدعاة هذا البرهان الباهر ، وعلى المدعويين هذا العجز الظاهر ، عاد عودة المنتصر الواثق من خذلان خصمه المطمئن إلى أمره ، فقال : « قل ادعوا شركاءكم ثم كيون فلا تنظرون » أي إذا أصررتهم على دعاء شركائكم وأصررتهم على أنهم ينفعون ويضررون ويستجيبون فانتنا لا نقر ذلك ولا نقبله بل نسكره ونرفضه ، فلا نخاف أو نرجو أحداً ممن تدعون وتخافون وتؤمنون ، فإن كان هذا الذي نقوله ولننتحله لا يوجبكم ولا يوجب شركاءكم ، لأن فيه إعراضاً عنهم ونكراً لنا لسلطانهم وأمرهم ، فأجمعوا أتممهم على إيدائهم والانتقام مني ، ولا تدخروا وسماً ، ولا ترحموني ، أو تنظروني ، أو ترققوا

قل ادعوا
شركاءكم ثم
كيون

بني ، لأنني أنا لم أدخر وسعاً في فكري اندكم ونكران شركائكم ، ولم أبال بكم ولا بهم فجازوني حرباً بحرب ، وجفاءً بجفاء ، وإيذاءً بإيذاء « فادعوا شركاءكم ثم كيّدون فلا تنظرون » . فان لم تستطيعوا لا أنتم ولا شركاؤكم شيئاً من هذا فلا شك في فساد أمركم وضلالكم ، ولا شك في عجز شركائكم عن أن يفعلوا شيئاً لا ضراً ولا نفعاً ، لأنهم إذا كانوا عاجزين عن ضرر أعدائهم وأعدائكم فلا شك في عجزهم عن نفع أصدقائهم ، فإذا عجزوا عن ضرر أنا ، وأنا الحرب الزبون عليكم وعليهم في زعمكم ، فهم بلا ريب عاجزون عن نفعكم أنتم وأنتم الأولياء الأصدقاء لهم في ما زعمتم . فالذي لا يقدر على الضر لا يقدر على النفع ، والذي يقدر على النفع يقدر على الضر . فعجز هؤلاء الذين تدعون من دون الله عن أن ينالوني بسوء وقد نلتهم أنا بكل سوء — لأنني أدعو الناس إلى تركهم وترك عبادتهم ودمائهم دليل صحيح قائم على أنهم عاجزون عن كل شيء ، غافلون عن تقربوا إليهم ودعواهم وعبدوهم ، غافلون ، كذلك ، عن يعادونهم وينكرونهم . . . وهذا من أعظم التحدي والتعجيز لأولئك المشركين النافرين ول هؤلاء المشركين الحاضرين .

وقوله : « إن وليّ الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » تحد وتعجز آخر لمن أشركوا بربههم وبدعائه ، وهو كالسبب لما تقدم من الاعراض عن كل شريك وعن كل مخلوق وعن كل ما سوى الله . لأن من كان السيد الأعظم والمالك لكل شيء ولياً ونصيراً له فان يبالي بغيره ، ولن يعابأ بأحد من خلقه وعبيده ، ولن يرهب أو يبالي من خدم مولاة ونصيره قريباً ولا بعيداً ، لا من أهل السموات ولا من أهل الأرض . لأن السيد الأعظم الأعلى ، المالك لكل شيء إذا كان ولياً ونصيراً له وقريباً منه — لأنه أطاعه وخدمه خدمة صادقة صحيحة — لم يبق هنالك فرق بينه وبين المقربين إليه تعالى ، الذين يُدْعَوْنَ وُيَرْجَوْنَ ويسألون الشفاعة والوساطة لقرابهم منه وحظوتهم لديه . لأن المقربين

إليه من عباده وصفوة خلقه ما قربوا منه وحظوا لديه تعالى إلا لأنهم خدموه تعالى خدمة عبودية صادقة صالحة صحيحة . وهذا هو الذى يقرب العباد إلى ربهم ومولاهم الحق لا غيره ، لأنه ليس بينه تعالى وبين أحد من خلقه نسب ولا قرابة سوى الطاعة والعبودية . فمن أطاعه تعالى وعبدته فقد أخذ حظه من القربى والزلفى لديه بقدر طاعته وعبادته . ومن لا فلا .

وفى الآية احتجاج على المشركين لطيف خفى لا يفتن له إلا من أعطى مثل المشركين
 فهم ما لكتاب الله . هذا الاحتجاج اللطيف مأخوذ من قوله تعالى : « إن ولي الله **والموحد**
 الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » . وخلاصة الاحتجاج أن الله قد علم
 رسوله أن يقول للمشركين العابدين غيره معه : شتان ما بينى وبينكم فى القصد
 والغاية والمطلب وأخذ الطريق إلى الله ، فأنا قد توليت الله وحده ، فدعوته
 وسألته ورجوته وخفته وأملته ، وعنت به وأفكرت فيه ، وانقطعت إليه وحده :
 فلم أدع غيره ، ولم أعبد سواه ، ولم أرج عبداً من عبيده ، ولم أذل لخلق من
 خلقه ، ولم أبسط يدي بسط ذلة واستكانة إلا له تعالى : فكنت كلى الله ، فكان
 له محياى بما فيه من أنواع العبادات والصلوات والضراعات ، وكان له مماتى بما فيه
 أيضاً من ضروب الآمال والرجى والحساب والعقاب والثواب . فكنت له
 وحده مسلماً خالصاً ، والى وجهه بوجهى متوجهاً منصرفاً ، لم أعجج بيميناً ولا
 شمالاً : لم أعجج على غيره لا بقلبي ولا بشئ من قالبي ، فهو ولي وحده لا ولي لى
 سواه « إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » . وأما أنتم ،
 أيها المشركون ، فما كنتم له تعالى وحده ، ولا كنتم لأنصنامكم أيضاً ، بل أنتم شركة
 بين الحق والباطل ، فكان منكم ما هو لله الحق ، وكان منكم ما هو لغيره الباطل ،
 فككنتم مشركين : إذا دعوتكم الله مرة واحدة دعوتكم سواه مرات ، وإذا رجوتكم
 الخالق تارة واحدة رجوتكم . فى تارات ، وإذا بسطتم أيديكم إلى السماء تدعون إليه

السماء بسطتموها إلى الأرض تدعون سكان الأرض من الأموات الراقدين تحت الأحجار والتراب ، وإذا ارتفعت بآمالك وحاجاتكم إلى الله لم يغنكم هذا عن أن تهبطوا بها إلى الحضيض الأسفل تلمسونها تحت أقدام الموتى وبين أشلاء الرهب البوالى ، وإذا سفكنم شرطة محجم دماً ، ذلاً وعبودية ونسكا لله ، سفكنم بحاراً وانهاراً من ذلك ، ذلاً وتقرباً وتنسكا وعبودية لخلقهم العاجزين الضعفاء ... فكنتم هكذا متسمين بين الحق والباطل ولكن قسمة غير عادلة ولا منصفة ، إذ كان نصيب الباطل منكم وفيكم أعظم وأمن من نصيب الحق ، فكنتم شراً العبيد وأضل الخدم ، وكنتم مثل السوء والغباوة والبلادة للأرقاء الخائنين الغادرين الجاهلين . هذا ما كان من مثلى ومثلكم ، فشتان ما بينى وبينكم !

ليس العابد لله وقد ضرب الله المثل لعبده الخالص الموحّد ، ولعبده المشرّك المعدد بقوله
كلّوا زرع بين من سورة الزمر : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ، ورجلاً مسلماً
الشركاء لرجل ، هل يستويان مثلاً ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » . فالرجل المملوك لعدة
شركاء متشاكسين متخالفين - والشركاء لا بد لهم من التشاكس والتخالف -
وهذا مثل المشرّك - ليس هو كالرجل المملوك لمالك واحد ، السالم الخالص له من
الشركة والمشاركة ، ومن الخلاف عليه والمشاكسة . وهذا هو مثل العبد الموحّد
العابد لله وحده الخالص له « من الشركات الأجنبية » الجائرة المملوثة ... فمن كان
دعاؤه ورجاؤه وخوفه ومحياه ومماته موزعين بين فلان وفلان من الأحياء والأموات ،
وبين الحق والباطل ، فليس هو مثل من كان محياه ومماته ودعاؤه ورجاؤه وخوفه
وعبادته وكل شيء فيه وله خالصاً لله وحده ، خالصاً للحق لا شريك فيه للباطل ولا
حظ . وذلك أن الذى يكون موزعاً بين الشركاء لا بد أن يختصوا فيه ويتشاكسوا
وأن يرضب كل واحد منهم فى حظ الآخر فيه ، وأن يطمع الشريك فلان فى
ما صرف للشريك فلان الآخر . فمن اعتاد أن يتقدم إلى الشيخ البدوى بعدد

كذا من القرابين والضحايا والهدايا ، أو إلى غيره من المشايخ ، فبدا لذلك المشرك الصارف ماله للبدوى أن يصرف بعض ذلك أو كله إلى شيخ آخر كالشيخ الرفاعي أو الدسوقي أو الجيلاني مثلا ، فصرفه ، فلا محالة من أن يغضب ذاك الشيخ المعبود أولا لما ناله من الجفاء له والإعراض عنه إلى سواء من الشركاء ، ثم لا محالة من أن ينتقم من عبده أو شريكه إن استطاع ، ولا بد ، إذا كان قادرا ، وكان راضيا بهذا الذي يقدم إليه وإلى قبره من الهدايا والضحايا والقرابين والنذور . وبمثل هذا يفعل غيره من الأسياف ولا مفر . ولهذا فإن هؤلاء المساكين المفتونين بأهل القبور ، الذين يتقدمون إليهم بالنذور والهدايا إذا حدث لأحدهم حادث فلم يتقدم إليهم بما كان قد اعتاد أن يتقدم به إليهم كل عام ، فأصيب بمصيبة ، زعم أن تلك المصيبة من الشيخ فلان لأنه قد أعرض عنه وأساء معاملته إذ لم يذهب إليه ولم تعب المشرك يهدله ما اعتاد أن يهدي ، فراح يتقى ذلك ويدفعه بالضرعات والتوصلات وأوهامه وصنوف الهدايا والصدقات . وهذا لأنهم يعلمون أن المشايخ لا بد أن يغضبوا إذا لم يعطوا إن كانوا حقاً يرضون بأن يطلوا ، وهم يزعمون أنهم يرضون ذلك ويجازون عليه ، ولا بد أيضا أن ينتقموا إذا أغضبوا متى كانوا قادرين على الانتقام وهم يزعمون أنهم قادرون . . . فالذي يتقدم إلى فلان وفلان وإلى الحق والباطل بالدعاء والسؤال والنذور والهدايا والصدقات والقرابين لا محالة من أن تقوم حوله معارك انتقامية وخلافية ، ولا محالة من أن يعظم فيه الخلاف ويشند ، وأن يتسع نطاق التشاكس والصراع حوله وحول عبادته وعبوديته ، ولا محالة من أن يقترب ذلك بالغلم والهوان إذا كان شيء مما زعموه حقا وصدقا . وامرؤ واحد لا يمكن أن يرضى عنه جميع المشايخ بنذوره وهداياه وصدقاته وضحاياه ودعوته ، وإن اقتطع إلى ذلك كله وأعطاه كل جسمه وعقله وقلبه وجهله وغباوته وبلاذته ، بل وإن تحمل من ذلك ما لا يطيق . فلا بد إذن من أن يقع فريسة الأوهام والخاوف من هؤلاء الذين

لا يقدر على إرضائهم كلهم ، والذين لا محالة من أن يسمى لإرضائهم ماواتاه السمي والجد والعمل . فلا بد إذن من أن يعيش منغصاً مذهباً مكديداً العقل والجسم والقلب والنفس مادام يرجو فلاناً ويخاف فلاناً ، ويحاول أن يرضى فلاناً بعمله أو دعائه ، وأن يدفع عن ماله وولده ونفسه بطش فلان الفاضب الناقم الناثر لما لحقه من الجفاء والهجران والنسيان لروحه وضريحه ولقائه الذي يتطلب الكسوة والمصاييح والسرير والبخور والأطياب . . . فهو أبداً شقي وجل ، وهو أبداً مذعور مرزأ متعب . فمأتمسه وأشقه وأنصبه !

راحة الموحّد
واطمئنانه

وهذا من المحال أن الباطل أن يكون كعبد خالص لله وحده لا شريك لأحد فيه : لا في دعائه ولا في رجائه ولا في خوفه ، ولا في محبيه ومماته ولا في شيء منه لا سلبى ولا إيجابى . ذلك أن هذا الذى خالص لربه وحده لا بد أن يرضى وأن يهدأ بآله وتطيب حاله ويسكن إلى عقباه حينما يعلم أنه قد أساع ربه وأرضاه وتقدم إليه بما أمره به من العبادات والفروض والفرائض والضراعات والضحايا المنسوبة لوجهه وحده لا ند له ولا شريك . فلا بد أن يعيش سعيداً عزيزاً قوياً بربه وبإيمانه وتوحيده وإخلاصه ، لا يخاف غيره ولا يبالي سواه ، ولا يرجو كائناً فى السموات ولا فى الأرضين خلاه . فيحق له حينئذ أن يقف فى وجه الزمان والوجود كله لا خائفاً ولا مذعوراً ، ويحق له حينئذ أن يسمو على كل شيء دون الله ، وأن يتناول مجد الحياة وشرف الزمان اغتنصها وكرها أو رضاً وتسليماً لا سؤالاً ولا التماساً ولا رجاءً ، وأن يقول بحاله ومقاله أيضاً :

إذا صبح منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب
فليتك محلو والحياة مريرة * وليتك ترضى والأناام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب
هذان مثلاً عبد الله وحده ، وعبد الشركاء المتشاكسين المتخاصمين . فهل

يستويان . مثلاً ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : « إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » .

وقوله : « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » لا ينصرون أنفسهم ولا غيرهم .

أسلوب آخر من أساليب النقص على دعاة غير الله ، وبرهان قاطع قاهر على بطلان أمر من راحوا يدعون ويسألون من لا يقدر على نصر أنفسهم فضلاً عن أن يقدروا على نصر غيرهم . وأى مخلوق يستطيع أن ينتصر على ربه . وخالفه لنفسه أو لوليه ؟ وأى مدعو يقدر أن يدفع عن نفسه أو عن غيره ما أرادته الله به وله ، أو أن يكون بمنجى من عذابه وعقابه وقضائه وقدره ؟ فالخلق جميعاً لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا نصر غيرهم ، ولا يقدر على أن يدفعوا عن ساحتهم وجانيهم ما يشاؤه الله لهم . فما أجهل وأعشى من أمل نصر آئمين لا يستطيع أن ينتصر لنفسه ، ومن رجا دافعاً ممن لا يقدر على الدفع عن حله . وهذا ظاهر في أن الإنكار متجه إلى دعاء العاجزين الضعفاء الذين هم في حاجة أبداً إلى نصرة ناصر قادر ، وهو أيضاً واضح في الرد على دعاة الأموات . وذلك أنه مما لا خلاف فيه أنهم لا يستطيعون نصر دعائهم ولا نصر أنفسهم ، ولا خلاص أنهم عاجزون عن هذا النصر عجزاً تاماً ظاهراً . والآية واضحة في مذمة من دعوا من هم بهذا المكان من العجز والضعف ، ولهذا فإن الآية تنجبه إلى دعاة الموتى بأن يقال لهم : « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون » . وإذا قيل لهم هذا لم يقدروا على أن ينازعوا في شيء منه ، فهم لا يقدر أن يقولوا إنهم يستطيعون نصرنا ولا أنهم يستطيعون نصر أنفسهم كما لا يقدر أن يقولوا إنهم لا ندعوهم . فهم يدعونهم وهم لا يقدر أن يقولوا إنهم ينصرونهم أو ينصرون أنفسهم . فإذا وجه إليهم إذن قوله : « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون » الآية كان ذلك حقاً وصدقاً ، وكانوا عاجزين عن الخلاص منه .

فالآية رادة عليهم رداً مريباً واضحاً . والاسم الموصول والضمائر بينة في أن هؤلاء المدعوين الذين أنكر الله دعاءهم كانوا عقلاء لا جماداً كما زعم .

وقوله : « وإن تدعوم إلى الهدى لا يسمعوا » تينيس بالغ منهم وقطع لكل أمل في الاتصال بهم كيف كانوا وأين كانوا .

آية أخرى

وقال من سورة العنكبوت : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

الآيات في
النهي عن اتخاذ
الأولياء

وقد ورد إنكار اتخاذ « الأولياء » من دون الله في مواضع كثيرة مثل قوله « ولا تتبعوا من دونه أولياء ، قليلاً ما تذكرون » ومثل قوله : « قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والأرض » ومثل قوله : « إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » . وقوله : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لهم يتقون » . وقوله : « ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون » إلى آيات أخرى . ولكن هذه الآية آية « العنكبوت » لا نظير لها في تقرير من اتخذوا أولياء من دون الله ، فقد بالغت بحق في توهين أمرهم وتوهين عقائدهم وإيهاء الأسباب التي يتعلقون بها ويعلمون بها نجاتهم وآمالهم وحاجاتهم ، وليس أذل ولا أوهن ولا أهون ممن جعل الله شلهم . كمثل العنكبوت في الضعف والذلة والوهن والمهانة ، وجعل عقائدهم وأعمالهم التي يشيدون عليها نجاتهم ويلتمسون بها رضا الله ، ويرجون بها أن ينالوا جنته أمثال القرآن ودار كرامته كمثل بيت العنكبوت ، وهو أوهن البيوت في الضعف والوهن . في توحيد الله والحقارة والوهن والهوان . وهذا المثل الذي ضرب به الله لحال من اتخذوا الأولياء

من دون الله من أبلغ الأمثال القرآنية ، وأمثال القرآن التي ضربت للدعوة إلى التوحيد والزراية بالشرك والمشركين كلها هذا المكان من القوة والبراعة والشدة كهذا المثل وكمثل سورة الحج في قوله تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل » الآية ، وكمثل سورة الرعد في قوله : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ إلا كياسط كفيه إلى الماء » الآية ، وكمثل سورة الزمر في قوله : « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل ، هل يستويان مثلاً ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » ، وكالمثل في سورة النور في قوله : « والذين كفروا أصحهم كسرأب بقيمة » الآيات . وضرب مثل العنكبوت مثلاً لمن اتخذوا الأولياء من دون الله يراد به أن كلا من هؤلاء يأوى إلى ركن غير وثيق ، ويشيد أمره على أو هن التواعد ، ويريد نجاته بما فيه حنقه وهلاكه ، ويتعبد فيما لا يربح ولا يفيد . والعنكبوت تبيح في بناء بيتها وتكوينه ونسجه وهندسته لتجد فيه المأوى والمستقر مثل العنكبوت والقرار ، ولكن أقل شئ وأهدأ حركة وأضعف ربح تفسد هذا البيت بما فيه من بناء وبنائين ، فتخسر بيتها وعملها ، وتخسر نفسها أيضاً ، وذلك هو الخسران المبين . وكذلك المشركون بالله المتخذون من دونه الأولياء والأنداد ينصبون أنفسهم ويشقون أبدانهم ويرهقونها بالأعمال الجسيمة المرهقة الشاقة على النفوس والأبدان . وهم مشركون بربهم - طلباً للنجاة والسعادة ، وتقرباً إلى مولاهم الحق بهذه الأعمال المشتركة ، ويحسبون أنهم بذلك قد اتخذوا للنجاة أسبابها ووسائلها ، وأعدوا للقاء الله ونيل رضاه عدته . ولكن ما علموا أن الشرك يحبط العمل ، وأن العبادات الممزوجة بعبادة غير الله تذهب هباءً باطلاً . . . فيهلكون بما ظنوا فيه النجاة ، ويشقون الأبد بما أرادوا به سعادة الأبد . . . فيخسرون أعمالهم ويخسرون أنفسهم ويخسرون سعادتهم ، وذلك هو الخسران المبين . وكذلك أيضاً هؤلاء المشركون يلتجئون الخيرات في دعاء الأولياء العاجزين

ويؤملون البركات حول قبور الصالحين الهالكين ، ويقربون إلى الضريح كبشائنا لولا بطله عجلاً أو جلاً أو كبوشاً ، ويضعون في صندوق الشيخ قرشاً ليأخذوا جنيهاً أو جنيناً ، ويدعونه مرة ليأخذ بأيديهم مرات . هكذا يصنعون وهم يحسبون أنهم بذلك يكسبون رضا الشيخ وخيراته وبركاته ونواب الله ومرضاته . ولا يدرون أنهم بذلك يتعلقون بأوهى الأسباب ، ويشربون من السراب ، وأن مثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . ونعوذ بالله من أمثال السوء .

السراب
من السراب

بقي أن يقال : ما معنى اتخاذ الأولياء من دون الله ، وما معنى هذا الخنس العظيم ؟ والجواب أن يقال : يفسر هذا الاتخاذ وهذا الذنب قوله في الآية : « إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم » . فبعد أن ذكر ذنب من اتخذوا أولياء من دونه وزجر المتخذين لهم فسر هذا الدعاء فقال « إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء » ولو كان اتخاذ الأولياء ليس هو الدعاء لهم ، أو ليس الدعاء من معانيه لكان قوله في الآية « إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء » لا مكان له هنا ، ولكان النظم مشوشاً . ونزه الله كلامه عن الاختلال والاختلاف والتشويش . فاتخاذ الأولياء من دونه تعالى معناه دعاؤهم وسؤالهم والانتفاع إليهم وإلى قبورهم انتجاعاً للرحمات والبركات كما يفعل هؤلاء العاكفون اليوم على أحداث المشايخ : يدعون ويستغيثون ويتعرضون للشفاعات والبركات المزعومة المكذوبة .

ويفسر هذا

ويفسر أيضاً هذا الاتخاذ ما ذكره القرآن عن المشركين وما ذكرته السير عنهم . وذلك أن الذي ذكره القرآن عن القوم وأشاد به وأعلن ملامتهم من جرائمه كثيراً هو دعاؤهم غير الله وسؤالهم المخلوقين الحاجات والآمال . وقد قدمنا الدلائل على أن الكتاب لم يعلم القوم على أن زعموا أن غيره تعالى يخلق أو يرزق

أو يحيى أو يميت أو يساوى الله فى اتقدره والقوة والقسم ، لأن القوم لم يزعموا شيئاً من ذلك ، ولم يلهمهم أيضاً أن زعموا أن مخلوقاً هو الله ، أو أن أنكروا الله أو أنكروا قدمه أو قوته أو سلطانه أو جلاله أو شيئاً من كلالته ليهبوها عبداً من عبيده ، ولم يلهمهم أيضاً أن زعموا أن شيئاً فى العالم لم يخلقه الله وأنه لا يميتة ويفنيه متى شاء ، لأنهم لم يزعموا ذلك ، بل ولم يلهمهم أن سجدوا لغير الله أو ركعوا ، لأنهم - فيما يظهر - لم يفعلوا ذلك . وإنما لأمهم على دعاء العباد وسؤال المخلوقين وأمرهم بأن يدعوه وحده ويخلصوا له الدين والعبادة . وهذا ما امتلأ به الكتاب ومادلت عليه آياته وتفاسيره . وإذا كان الكتاب إنما لام المشركين على أن دعوا غيره ، وكان إنما نهاهم عن ذلك وأخبر فى مرض الرد عليهم أنهم قد دعوا المخلوقين ، ودعوة الحق لا تكون إلا لله ، وأما دعوة غيره فهى الباطل والضلال والجهل : إذا كان هذا كله قد دل عليه الكتاب وجب أن تفسر اتخاذ الأولياء هنا بهذا المعنى : بدعائهم ورجائهم والانقطاع إليهم ، ولم يصح أن تفسر الآيات بما لا يصح وبما يدل عليه الكتاب ولا بما أنكره . فان القرآن يجب أن يرجع بعضه إلى بعض ، وأن يفسر مجمله بمفصله ومحمّله بيقينه وخافيه بظاهره . ومن غير الممكن أن تفسر الآية وغيرها من الآيات بما يذكره المخالفون المحرفون . فان غاية ما يمكن أن يفسروا الآية به أن يقولوا إن معنى اتخاذ الأولياء من دون الله تسميتهم بالآية الذى نهى عنه الكتاب هو عبادتهم . فاذا قيل لهم : سلّمنا هذا ، ولكن ما هى عبادتهم ، زعموا أن عبادتهم هى تسويتهم بالله والاعتقاد بأنهم مثله فى القدرة والاختيار والسلطان مع دعائهم وسؤالهم . ويخفى عليهم أن الكتاب قد أنبأ عن المشركين فى آيات كثيرة معلومة أنهم لم يكونوا يعتقدون بأن شيئاً مساو لله فى أمر من الأمور ، ولم يكونوا يعتقدون أن شيئاً من الأشياء خارج عن سلطانه ومشيتته وأمره وقهره ، بل كانوا يقولون ويعتقدون أن الله خالق كل شئ آخذ بكل ناصية

حتى أصنامهم وآلهتهم . فهذا لا يمكن أن يكون صحيحا في تفسير الآية ولا في الواقع لأنه باطل في نفسه .

أو يقولوا : إن معنى اتخاذ الأولياء هو الزعم والاعتقاد أنهم يضرون وينفمون ويتصرفون ويعطون ويمنعون مع دعائهم وسؤالهم . فاذا قالوا ذلك قيل لهم : إن هذا هو ما يعتقدونه ويرعونه هؤلاء العاكنون على القبور في قبورهم : فانهم يعتقدون أنهم يضرون وينفمون ويعطون ، وإذا شاءوا يمنعون . ولولا هذا الاعتقاد لما سألوهم ولما رجعوا إليهم ولما عبثوا بهم في حالة من حالاتهم ، غير أننا لا ننكر أنهم يعتقدون أن كل ما يفعلون لا يفعلونه إلا بأذن الله ورضاه ، ولكن هذا هو اعتقاد المشركين أيضاً في آلهتهم . فلا فرق بين الفريقين .

أو يقولوا إن معنى اتخاذ الأولياء هو السجود والركوع لهم . فاذا قالوا ذلك قيل لهم : إن القرآن قد أخبر كما قدمنا بأن المشركين كانوا يدعون غيره ، وقد لأمهم وأكفرهم على هذا الدعاء ، ولم ينبي بأنهم كانوا يسجدون لغيره ، وما ورد هذا - فيما أعلم - إلا في قوله « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون » وفي قوله حكاية عن المهدد « وجديتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » . وأما الدعاء فجاء النهي عنه في عشرات الآيات . وهذا يحتمل أمرين - كما تقدم ، أحدهما أن المشركين لم يكونوا يسجدون للأصنام وإنما كانوا يدعونها ويسألونها فقط ، وعلى هذا تكون عبادتهم لغير الله هي دعاؤهم غيره ، وثاني الاحتمالين أن يكونوا يسجدون للأصنام ويركعون كما كانوا يدعونها ويرجونها ، ولكن يقال على هذا كيف حدث القرآن عن الدعاء ونهى عنه وزجر ولم ينه كذلك عن السجود والركوع ؟ ولا يبقى لهذا جواب صحيح حيث قد غير أن يقال : إن القرآن قد أعظم من شأن الدعاء ونهى عنه ولام عليه كثيراً لأنه أعظم من السجود والركوع ، ولأن دعاء غير الله أقبح أنواع الاشرار ، هذا هو

الجواب الصحيح عن هذا السؤال الصحيح ، وهذا يدل على أن دعاء غير الله شرك عظيم لأنه أعظم من السجود والركوع لغيره ، ولا خلاف في أن السجود للمخلوق شرك بالله وعبادة لذلك المخلوق . . . وأيا اخترنا من الاحتمالين فهو رد على أصحاب القبور . ولا يشك بصير بدين الله أنه إذا كان السجود والركوع لغير الله كفرًا كان سؤال المخلوق الميت هداية القلب ، وغفران الذنب ، وشفاء المريض ، ورجع الغائب أدخل في الكفر والضلال العظيم .

قلنا من تفسير اتخاذ الأولياء في الآية باعتقادات هؤلاء الجهلاء في هؤلاء الأولياء من دعائهم وسؤالهم والاقطاع إليهم رجاء شفاعتهم ووساطتهم ونفعهم وضرهم . فالآية من أعظم البراهين على بطلان الرجوع إلى الموتى وأصح الحجج على فساد أمر هؤلاء العاكفين على القبور . ومن العجيب أن تكون هذه الآية بمعنى ما في الكتاب من الحض على إفراده تعالى بالدعاء والعبادة وبكل معنى من معانيها ثم يظل المسلمون يدعون أصحاب القبور وينازعون في دعائهم ويحاولون اختلاق الشبهات على ذلك ، ثم لا يقنعهم هذا حتى ينهبوا إلى اتهام الكتاب بهذه الفضائح الوثنية ، ويرفعوا أن فيه آيات نزلت في دعاء الموتى وفي الأمر بدعائهم . ونعوذ بالله من هذه النوايات . . .

وقال تعالى حكاية عن رسوله إبراهيم من هذه السورة : « وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » .

وهذا يدل على أن المشركين ما اتخذوا الأوثان ولا عبدوها من دون الحق إلا مودة وهوى لها وغراما بها ، فكأنهم قد عشقوها كما تعشق الصور والجمال عشق الاصنام الحسى الصادق أو الكاذب ، وكأنهم إنما أتوا وضلوا من طريق الحس لا من طريق العقل والقلب ، أى كأنهم رأوا الأوثان والآلهة التي عبدوها صوراً فائتة

(٢٦)

مشتبهة مغرية فوقعوا في هواها وعبادتها وتألبيها، ولم يقعوا فيها لأنهم علموا أنها تستحق ذلك لما لها من الأمر والسلطان والضر والنفع والجاه والمنزلة عند الله ، فهم لم يعلموا شيئاً من هذا ولم يقيم لديهم برهان واحد ، ولا شبه برهان عليه ، بل لاشك أنهم ما ألوهوا إلا كما يؤله العاشق من يشقه : كلاهما سحر بما رأى وشهد لا بما علم ووجد . وهذا أمر لا ريب فيه ، فان المشركين إنما ضلوا وأخذوا من طريق المين والبصر . وذلك أنهم رأوا التماثيل الهائلة والصور الرائعة والزينات والزخارف المنصوبة عن اليمين وعن الشمال ، ووجدوا الروائح الزكية والأطياب الفواحة ، والبنائيات الفخمة المشيدة والهياكل العظيمة المجودة : رأوا ذلك كله حول الأضرحة والقبور وفوق الأموات فهاتهم فأكبروها وهاموا بها غراماً ، أو في الصحيح هاموا بالزينات التي قيل لهم إنها فوق الشيخ فلان والولى فلان ، فتصاعد هذا الغرام بهذه الزخارف إلى عيون المشركين المساكين ، ثم انتثر على قلوبهم وعقولهم وأعضائهم ، فصار شركاً وعبادة وافتتانا وضلالاً كبيراً . ولولا هذه الزخارف والزينات المنشورة هنا وهناك عن يمين القبور وشمالها وفوقها وحولها لما كان ما كان من غرام الضلال وضلال الغرام . وقد فطن سدنة هذه القبور أو الأصنام لهذا السر العظيم والفتنة الكبرى فجدوا في تجميلها وزخرفتها وإحاطتها بما يغرى ويفتن حتى جعلوها شركاً لا لبصار الجاهل المغفلين ، ومصايد لحيوبهم وتقوهم ، ليرحم ما يبرهم وما يرخصون عنده خالي أموالهم وقلوبهم وعقولهم ، وما يصطادونهم به كما تصطاد المرأة الشوهاء القبيحة شهوات الرجال المغفلين بالأصباغ والحلل الزاهية الخادعة ، وإن كان تحت ذاك الشين كله والقبح مجسماً قائماً . ولهذا

لإقراء زخرفة تلك لأتجد الزحام ، حيث تتصادم المناكب والأقدام ، إلا لدى القبور المزخرفة .
القبور المحاطة بالقباب والأثواب وسائر ما هناك من البسج التي حظرها الاسلام جداً .
ونادى على قبحها وفسادها ، وإن كان المقبور المدفون المقصود صغيراً ، بل

ضلال المشركين
من أبصارهم
لا من عقولهم

هرام الضلال

وإن كان فاسقا أو ضالا أو كافرا بالله العظيم . وأما المعدم من الزخارف والزينات ،
فلن تعبد لديه من هؤلاء الضلال أحداً وإن كان من كان فضلا وعلمًا ونباهة شأن
وشهرة ، وإن كان من أولاد النبوة وسلالات الرسل . ومن ثم فانك واجد حول
ضريح البدوى ما لن تعبد حول ضريح آخر من أضرحة الصالحين والعلماء الربانيين
الذين يزن الواحد منهم من أمثاله الألوف لو كان هذا البدوى ممن توزن بهم
الرجال . هذا ، لا شك ومالا خلاف بين البصراء فيه . ولولا هذا لما عبّد مخلوق
مخلوقا إلا من شاء الله . وذلك أن عبادة المخلوق ليس لها ربح من برهان ولا طيف
من حجة يمكن أن يقع فيه أو يندفع به إنسان . فالمخلوق ولا - سببا للإنسان - أذل
وأعجز وأحق من أن ياتبس أمره وحقيقته على أحد ، فيغيره هذا الالتباس بعبادته
وتأليه ، وبابتغاء الحاجات والأرزاق بين يديه وقدميه ميتا . ولكن هذا الخداع
اللى نصبوه فوق قبره هو الذى له الفضل فى الاضلال وفى تأليه ماتحته من العظام
البالية . ولأجل هذا كان نهى الإسلام شديداً عن زخرفة القبور وخلع الزينات
عليها ، وكان نهيه شديداً كل الشدة عن العناية بالقبورين والرفع من شأنهم ، وكان
هذا النهى حذار هذا الضلال وحذار هذا الفساد المشهود حول الأضرحة المزخرفة
والأموات المعظمين . ولكن هؤلاء الجهلاء خالفوا هذه المناهى ، وجعلوا هذه
الحكم الدوالى ، فزخرفوا القبور أولا ، ووقعوا فى عبادة ما زخرفوه ثانيا . والله
الأمر من قبل ومن بعد .

ومن الدلائل على أن القوم ما عبدوا المخلوقين إلا تمسقا وغراما أنه لا يمكن
أن يلتفتوا ببرهان يقام لهم على بطلان تلك العبادة ، ولا يمكن أن يقلعوا عن
ضلالهم لحجة قاهرة يرونها بأعينهم إلا القليل النزر . وذلك لأن المسألة ليست
مسألة علم وبرهان ، ولا حجة ودليل ، ولا مسألة عقل وبصيرة ، وإنما هى مسألة
غرام وحب ومودة . والحب والغرام والمودة لا تجدى فيها البراهين والحجج

والدلائل والعلم ، لأن ذلك مستقره العين ، والعين لا تذوق البرهان ولا تبصره
ولا تثبت فيها الحجة ولا يقوم فيها الدليل . فما أضيع البرهان والحجة والعلم
بمرض الدلائل عند من بلاؤهم من أعينهم ! وما أقل انتفاع الحب بعقله وعلمه وبرهانه
للعين . فالحب في فلسفة الواقع مرض في العين لا في العقل ولا في القلب ، وإن كان شيء
من ذلك فعدوى فقط من العين أو من حاسة أخرى . ولهذا فالواجب علينا إذا
أردنا أن نعالج مريضاً من هؤلاء المرضى أن نعمل إلى علاج عينه لا عقله ولا
قلبه ولا علمه ، لأنها هي المريضة يقينا . فإذا أردنا أن نعالج مصاباً بحب القبور
بحب عشق وهو الأثبات وجب أن نجرد هذا المحبوب من زيناته وزخارفه وأن نعيه مما
خدعت به العيون من القباب والأشياء الأخرى ، فنزيل كل ما هنالك من
هذا البلاء ونضعه هو وترابه وعظامه البالية وصننه الخفيف المفزع . وهذا يكفيننا
وينتينا عن كل برهان وحجة وعلم ، وهذا كاف في تغيير القلوب ، قلوب هؤلاء
المحبين على هذا الحبيب . هذا هو العلاج الصحيح الطبى كما أرشد إليه الاسلام
والنبي الأكبر عاياه الصلاة والسلام . وإذا أردنا أن نداوى مريضاً بحب صورة
من الصور وجسم من الأجسام وجب أن نضع يده على مقاييس تلك الصورة وذلك
الجسم ، وأن نجردهما مما يخدع وينوى ويفرى ، أو نبعدهما عن بصره وبريد
شهوته العين . وهذا أجدى وأقرب إلى الشفاء والعلاج من محاولة إقامة البرهان
أو البراهين على أن جبهما جبل وضلال ونقصان وجنون . فان التمس عادة عن مثل
هذا يقوم مقام الإغراء به والخض على التزيد منه والقيام به . . . هذا هو العلاج
الحاسم الصحيح في فلسفة الأدوية العلمية النافعة ، وهذا هو العلاج الالهى الذى
أرشد إليه من ختمت به النبوات ، ورسالات السموات ، عليه أزكى السلام
ونواهى الصلوات

أخرى وقال من هذه السورة أيضاً : « فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له

الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » .
وقد جاء هذا المعنى في آيات وسور ذات عدد . ومن الواضح أن المراد بالشرك في قوله : « إذا هم يشركون » هو الشرك في الدعاء أو في العبادات التي أحدها الدعاء . وذلك لأن الذي تقدم في الآية هو قوله : « دعوا الله مخلصين له الدين » ، أى إذا ركبوا في البحر وخشوا الفرق والمهلك أخلصوا الله الدعاء والدين بلا ريب . فالشرك في آخر الآية هو دعاء غير الله ، والاخلاص في أولها هو دعاء الله وحده . وهذا لا أحسب ذكياً منصفاً يخالف فيه .
وإذا علم هذا علم أن دعاء غير الله شرك بالله وعبادة لذلك المدعو ، وعلم أن الشرك يكون في الدعاء كما يكون الاخلاص فيه . فهذا الشرك الذي نعام الله في آيات على المشركين حينما ينجون من أهوال البحار وأخطارها هو دعاؤهم غيره تعالى . وظاهر من جميع الآيات التي ذكرت في هذا المعنى أن القوم لو ظلوا على ما كانوا عليه في لجج البحار حين اشتد بهم الخوف والفرع من الاخلاص والا تقطاع إليه وحده لكانوا مخلصين غير مشركين ولا كافرين ، ولكانوا ممتدحين غير ملومين . وذلك أن القرآن قد أنبأ في جميع الآيات التي جاء فيها هذا المعنى أنهم في تلك الساعات يخلصون الله ، والاخلاص هو أساس النجاة كما أن الاشرار هو أساس الهلاك والضيق الأبدي . وهذا الاخلاص هو دعاء الله وحده كما هو ظاهر من القرآن ، كما أن الاشرار هو دعاء غيره في البحار وفي حالات الخوف والدعر وعلى هذا فالذين يدعون الله وحده ولا يأتون بعمل من أعمال الشرك هم مخلصون لله الدين كله ، والذين يدعون غيره تعالى هم مشركون وإن أخلصوا له جميع أعمالهم وعباداتهم وأحوالهم حاشا الدعاء . وهذا ظاهر لا ينزع .
هذه بعض دلائل الكتاب على منع دعاء الخلقين . وليس هذا الذي ذكرناه وأوردناه الاغيضاً من فيض وقطرات من محيطات . وهذا الذي ذكرناه هو مادل

دلالة القرآن السلبية على منع دعاء المخلوق عليه الكتاب من الناحية الإيجابية ، وله دلالة على ذلك أخرى سلبية ، وهي أن الله في قرآنه قد دل على جميع أصول الخيرات وأساس الأعمال الصالحة دلالات ظاهرة جليلة ، تفهمها العامة كما لا يخفى على الخاصة ، ونهى عن الشرور والأعمال الباطلة المنكرة نهياً صريحاً واضحاً مفصلاً يفهمه الرجل الساذج كما لا يميز عن الرجل الممتاز العليم الخائق . . . وما ترك أصلاً من أصول الخيرات والطاعات العامة إلا وأمر به ونهى إليه وأشاد بامتداحه وامتداح فاعليه . ولا ترك أصلاً من أصول الشرور والمنكرات إلا ونهى عنه وحذر منه وأشاد بمنه فاعليه وآتبه وقد ذكر في ما لا يحصى دعاء الله والأمر بدعائه ، والإخبار بأن عباده هم الذين يدعونه تعالى رغبا ورهبا في السراء والضراء وفي جميع الحالات . وذكر أدعية الأنبياء والمرسلين والصالحين من عباده ، وضراعتهم وتوسلاتهم بأسمائه وصفاته الحسنى ، وأورد من ذلك ما أورد بأساليب مختلفة وعبارات مختلفة في سور عديدة كثيرة ، فأورد أدعية أبوى البشر آدم وحواء ، وأدعية نوح أول رسول إلى أهل الأرض بعثه الله ليدعو إلى التوحيد ولينود القوم عن الشرك والضلال والفند ، وأورد أدعية موسى كلم الله ومصطفاه ، وأدعية خليله إبراهيم ، وأدعية غيره هؤلاء من الأنبياء والمرسلين ، وأورد نماذج كثيرة من أدعية أتباعهم المؤمنين ، وما كانوا يقولونه في حالات سراهم وضراهم ، كما ورد أدعية خاتم الأنبياء وأدعية أتباعه المسلمين : أورد أفانين ونماذج كثيرة من أدعية هؤلاء العباد الخيار المصطفين الأبرار الذين هم صفوة الصفوة من بنى الإنسان ، بل صفوة هذه الخليقة وسرها العظيم وشرفها المرموق . . . ولكن مع هذه الدلالات على جميع الخيرات ، ومع إيراد كلمات الخير من الخليقة وإيراد ألفاظ دعواتهم لله وآدابهم فيها ، لا نجد في كتاب الله لفظاً واحداً يأمر بدعاء غير الله ويأمر بسؤاله وبالرغبة فيه والرهبة منه ، ولا شيئاً

ادعية الانبياء
واتباعهم

حما نراه اليوم قائما فوق الاضرحة والأصنام مما يدعى هؤلاء المخالفون أنه من الاسلام ومن دين الله ، كما لا نجد أن أحد هؤلاء الخياري المصطفين الذين ذكرت دعواتهم للاقتداء بهم والنهج منهاجهم فيها دعا غير الله من الأموات وسأله حاجة من الحاجات أو عاذ بقبره وضريحه عند رغبة أو رهبة ، أو سافر إليه ، أو دعا الله بمجاهه ووسيلته ، أو استشفع به ، أو طلب منه الدماء والشفاعة . وهذا ما لا شك فيه ولا نزاع . فانه من المحال والعبث الباطل أن تتلمس في كتاب الله آية واحدة تأمر بدعاء الأموات ، لا على طريق التصريح والجلالة ولا على طريق التلميح لما لم يفعلوا والائتماء ، لا بأسلوب الإشارة ولا بالنص ، أو تدل على أن أحد هؤلاء الأنبياء أو أحد الصالحين ، فعل شيئا من هذا في حالة من حالاته أو رغبة من رغباته . فليس على كتاب الله ما يأمر به أو ما يجيزه ، وليس في دعوات الأنبياء والصالحين ما يدل على جوازه أو الأمر به أو استحبابه . فان كان ذلك خيرا دينيا ، كما زعموا ، فلماذا خلا منه كتاب الله ، وقد جمع أصول الخيرات وقواعد الأعمال الصالحة ؟ وكيف خلت منه أقوال الأنبياء والصالحين وأفعالهم وأدعيتهم ، وما من خير إلا وقد فعلوه إن كان فعليا وقالوه إن كان قوليا ؟ وليس لهذا السؤال إلا أحد جوابين : أحدهما أن يقال إن هؤلاء قد دعوا غير الله من الأموات والصالحين وتوسلوا بهم واستغاثوهم وسألوهم كل ما يدعيه هؤلاء المخالفون ، ولكن الله مع هذا لم يشأ أن يذكر منه شيئا في كتابه مع ذكره جملا كثيرة من دعواتهم وضرعاتهم وتوسلاتهم الصحيحة المقبولة . وثاني الجوابين أن يقال : إن أحدا من هؤلاء لم يفعل شيئا من هذا ، ولكنه على رغم ذلك طاعة وقرب إلى الله ... والجوابان باطلان لا خير فيهما : أما الأول - وهو القول بأن الأنبياء والصالحين الجوابان باطلان فعلوا هذه الأمور كلها ودعوا الأموات واستغاثوهم وصنعوا جميع ما يصنعه المخالفون اليوم على القبور ، ولكن الله لم يذكر عنهم هذا ولم يذكر منه شيئا -

فهو جواب باطل فاسد لاخير فيه. وذلك أن الله قد أنزل كتابه للهداية، وقد حدث بأحوال الماضين وأقوالهم وأفعالهم للعبرة والأسوة والقُدوة. فلا يمكن - وهذا من حكمة ذكر قصص الأولين في القرآن، ومن حكمة إنزال الكتاب - ألا يذكر هذا وهو من الدين، والناس في حاجة شديدة إليه، وفي ظمأ عنيف ملح إلى النهل والارتواء منه. وهل يمكن في الحكمة أن يذكر عنهم ما الحاجة إليه غير ماسة ولا شديدة، وما لا خلاف في جوازه وحسنه، ثم يهمل أن يذكر عنهم شيئاً كثيراً ولا قليلاً من هذا النوع الذي لو ذكر منه شيئاً صريحاً عن أحد هؤلاء الماضين لكان قاطعاً كل نزاع، حاسماً كل شك وريب؟ أو هل يمكن في سنة الله وحكمته أن يورد دعوات هؤلاء الأنبياء والصالحين في مواضع كثيرة من كتابه بأساليب واضحة ظاهرة ثم يحذف منها دعاءهم الأموات واستغاثتهم بإيائهم وتوسلهم بهم؟ وهل يكون التلبيس والتضليل غير هذا؟ تعالى الله وتعالى كتابه عن التضليل وإرادة التلبيس. ولا ريب أن حذف هذا من دعواتهم المذكورة في القرآن - لو كان حقاً هذا القول - متعمد مقصور. وهل يمكن أن يحذف هذا النوع من الدين تعمداً وقصدًا والحاجة إلى الإبقاء عليه، كما يرى ماسة شديدة؟ فلا جرم أن هذا الجواب باطل منكر مكذوب.

الجواب
الثاني

وأما الجواب الثاني - وهو القول بأنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك وهو مع هذا جائز ودين يثاب عليه فهو جواب باطل أيضاً، لأن الأمر الذي يرغب عنه جميع الأنبياء والصالحين في جميع العصور والأزمان والحالات لا يمكن أن يكون مرغوباً فيه عند الله، ولا يمكن أن يكون ديناً لله، بل الأمر الذي يدعه ويرغب عنه جميع الأنبياء والصالحين المقتدين بهم التابعين لهم لا محالة من أن يكون أمراً باطلاً وضلالاً وشرّاً، ليس من الدين ولا من العقل ولا من الذوق، ولا بما يتقرب به إلى الله. والمرء الذي يحاول أن يسبق هؤلاء جميعاً إلى الخيرات والصالحات والطاعات

وأن يعمل ما لم يعملوه من ذلك مصاب في عقله أو في دينه أو فيهما مما : إذ لا خير يقرب إلى الله ويدنى إلى رضاه ، ويباعد من غضبه ومقته وطرده إلا وقد أخذ هؤلاء الأخيار منه بالنصيب الوافر والسهم الراجح الرابع . ولن نجد سابقا إلى الخيرات إلا أن يكون على آثامهم وعلى هديهم ومنهجهم يسير ويسعى . ونحن لا نرتاب في أن كل عمل يتركه هؤلاء الصنف هو عمل باطل منكر مقص عن الله وعن رضاه . ولا نشك أنه لا يمكن أن يكون خيرا فيفوتهم ولا صالحا فيمجرده ، وغاية الصلاح عندنا والتقوى الاقتداء بهم فلا وتركوا ، قولوا وعملوا ، وغاية الظلم والجهل والخروج على دين الله الجراءة على مخالفة إجماعهم والتقدم بين أيديهم إلى الامام أو التخلف عنهم إلى الوراء . هذه حقائق لا ينازعها المسلمون . فالجواب الثاني أيضا باطل منكر . فالجوابان : الأول والثاني باطلان . فعدم ذكر القرآن لشيء من ذلك عنهم دليل ، إذن ، ظاهر على أنهم لم يفعلوه قط ، وعدم فعلهم له ، إذن ، دليل ظاهر على أنه ليس من دين الله ولا من الذوق ولا من العقل والعلم . فهذا دليل سلبي ظاهر قاهر بعد الدليل الإيجابي من الكتاب على بطلان دعاء الأموات ، دلالتنا القرآن والاستغاثه بهم وسؤالهم والاستشفاع بهم . فللقرآن دلالتان على بطلان ذلك على بطلان دلالة إيجابية ، ودلالة سلبية ، فالدلالة الإيجابية هي الآيات الآتية في النهي دعوة الموتى والزجر البالغ عن دعاء الخلقين وسؤال غير الله حاجة من الحاجات ، والدلالة السلبية هي أن القرآن لم يرشد إلى ذلك أبته ، وهي أيضا أن الأنبياء والصالحين الذين أنبأ الله أنبياءهم ، وحدث أحاديثهم ، وحكى دعواتهم ، لم يفعلوه في حالة من الحالات ، ولا في رغبة من الرغبات ، لأننا لا نشك أن هذا لو كان ديناً لأمر به القرآن ولفعله الأنبياء والصالحون الأولون . فعدم أمر الكتاب به ، وهو الأمر بكل خير ، وعدم فعل الخيار الماضين له ، وهم قد فعلوا أطراف الخيرات وأشتات الصالحات ، برهتان على أنه ليس من الدين ولا من الطاعة والاسلام ، ولا بما

يقرب إلى الله . فالقرآن دال على بطلان هذه المخازي ، دال على تجايفها عن الحق والدين من ناحيتين . كلتاهما ظاهرة باهرة ، وكلتاهما قوية جلية . والله العليم بكل شيء .

﴿اعتراض على نهى القرآن عن دعاء غير الله﴾

اعتراض على ذلك

فإن قيل إن آيات الكتاب التي ذكرتموها تدل حقا دلالة ظاهرة على النهي عن دعاء المخلوقين ، وعلى الزجر الشديد عن سؤال غير الله ، وهذا مالا يستطيع أن ينازع فيه إنسان منصف ، غير أن الأخذ بهذه الظواهر باطل فاسد عندنا عندكم وعند جميع الناس ، فالذين يدعون الأموات ويجيزون دعاءهم لا يأخذون بهذه الظواهر والذين يقولون ببطلان ذلك وحرمة وجرم فاعليه لا يأخذون بها أيضا ، فالفریقان ، المجيز والمانع ، لا يلتزمان هذه الآيات ، ولا يحافظان على العمل بها ، بل كلاهما مخالف لها ، خارج عليها ، عامل بخلافها ، داع إلى مخالفتها ، قائل بهذه المخالفة ، ملتزم لها . ذلك أن الناس جميعا يدعون غير الله من الأحياء القادرين على الإجابة ، ويجيزون هذا الدعاء ، لا يختلفون فيه ، ولا يتنازعون في أن الأديان كلها تجيزه وتتسع له نصوصها ومعانيها ، فالذين يقولون : لا تدعى الأموات ولا يصح دعاؤهم يقولون بجواز دعاء الأحياء بل ويدعونهم والذين يقولون بجواز دعوة الأموات يقولون بجواز دعوة الأحياء أيضا . وهؤلاء وهؤلاء لا يرون أنهم بهذا الدعاء ، أعنى دعاء الأحياء ، خالفوا هذه الآيات التي ذكرتموها والتي جهرت بتحريم دعوة المخلوقين والزجر عن دعاء غير الله ، بل لا يفكرون أنهم ، إذ يدعون الأحياء ، يفعلون ما يمكن أن تكون تلك الآيات شبه دلائل على منعه وبطلانه . والفرق بين الفريقين : الفريق المجيز دعوة الموتى ، والفريق المانع ، أن هؤلاء أجازوا دعوة المخلوقين جميعا : الأحياء منهم والأموات ، أما أولئك فأجازوا دعوة الأحياء دون الأموات ، ولكنهما متفقان

على دعوة المخلوق ودعوة غير الله ، متفقان على مخالفة ظواهر هذه الآيات
الزواجر عن الالتفات إلى مخلوق ما ، لدعوته ولندائه .

وحينئذ يقال : إن كانت الآيات المذكورة رداً على دعاة المخلوقين الموتى ومنعاً

صريحاً من دعائهم ، فهي أيضاً رد على دعاة المخلوقين الأحياء ومنع صريح
لدعائهم ، وإن لم تكن رداً على هؤلاء لم تكن رداً على أولئك ، وإن لم تكن
إبطالا لهذا النوع من الدعاء فليست إبطالا لذلك النوع منه ، لأن هذا كله سواء
بالنظر إلى ظاهر الآيات ودلالاتها ، فانها لم تقل ادعوا الأحياء دون الأموات ،
ولم تقل إن دعاء الموتى محرم عليكم دون دعاء الأحياء ، ولم تقل : لاتدعوا الأموات
بل قالت : « فلاتدعوا مع الله أحداً » « والأحد » يشمل الحي والميت ، وكذلك
جميع الآيات التي أوردتموها لم تفرق بين الفريقين ، ولم تأب الالتفات إلى فريق
دون فريق ، ولا إلى طائفة دون طائفة ، بل نهت عن الجميع وأمرت بالكف
عن كل ما خلا الله ، وزجرت عن الأفكار في عبادة من العباد ، أمرة بالانقطاع
إلى الخلاق وحده وإخلاص الحياة والممات والصلاة والذسك وكل عبادة له
لا شريك له ولا ند .

فالجميع إذن قد تركوا الآيات في توحيد الله بالدعاء وخالفوا نصوصها ،
والجميع قد ردوا العمل والأخذ بها ، فالعمل بظواهرها متروك عند جميع الناس
لا يختص بذلك طائفة دون طائفة . وإذا كان ذلك كذلك لم يصح لكم أن
تحتجوا علينا بما هو حجة عليكم وبما هو متروك الظاهر وبما لا يصح العمل به
عند أحد من المسلمين .

إن قيل هذا قلناه هذا اعتراض مشهور قديم توارثه أنصار البدعة وتناقلوه
بعبارات مختلفة ، ودونوه في كتب مختلفة انتصروا فيها لدعوة الأموات
والمكوف على القبور وقد يرضونه بأساليب أخرى غير هذا الأسلوب كأن يقولوا

الاعتراض مثلا : لو كانت دعوة الموتى شركا وضلالا لكانت كذلك دعوة الأحياء ، لأن أسلوب آخر الدماء بالنظر إلى حقيقته إما أن يكون عبادة للمدعو ، وإما ألا يكون كذلك . فان كان عبادة فالمدعو معبود سواء أ كان حيا أم كان ميتا ، وإن لم يكن عبادة فالمدعو غير معبود سواء أ كان حيا أم ميتا ، واختلاف المدعو لا يغير حقيقة الدماء ، لأن حقائق الأشياء ثابتة لا تحتاج في ثبوتها إلى شيء غير كونها حقائق ولكن لا شك أن دماء الحى ليس عبادة له وليس ممنوعا ، فدعاء الميت كذلك ليس عبادة كما ذكرنا .

جواب ويحاج عن هذا الاعتراض بأمر كثيرة منها أن يقال : إن الآيات نفسها الاعتراض قد فرقت بين الفريقين : فريق الأحياء وفريق الأموات ، وفرقت بين دماهما ، ولوحت إلى جواز هذا وامتناع ذلك ، وبطلان دعاء دون دعاء . وهذا مذكور مفهوم من كثير من الآيات التى نهت عن دعوة الخلق ونعت على الداعين وأطنبت في هجائهم وفى نعت غيائهم . وقد قال الله : « إنك لا تسمع الموتى » وقال : « وما أنت بمسمع من فى القبور » . وهذا تصريح بأن الذين لا يسمعون دعاء من دعاهم هم الموتى الذين هم فى القبور . وقد أفهم هذا أن غيرهم من الأحياء ليسوا كذلك . وقال تعالى : « قل أئندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا » وقال : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم » وقال : « ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضررك » الآية . . . وواضح من هذه الآيات أنها لا تشمل الأحياء الذين يقصدون على ما يسألون ، والذين ينفعون ويضرون بمقدار طاقاتهم وقواهم التى أعطاهم الله إياها ، ليعملوا وينفعوا من يستحق النفع ، وليضروا من يليق به الضرر ، وليتعاونوا على الخير والبر والتمق . فان الأحياء ، بالاتفاق بيننا وبين هؤلاء الخسائين ، يضررون وينفعون بأذن الله ، فلا يمكن أن يكون دعاؤهم من هذا الدعاء المنهى عنه المنبأ بأنه لا يجدى شيئا . وقال : « ومن أضل

تفريق بين
الأحياء
والأموات

النهي عن دعاء
الأموات دون
الاحياء

من يدعو من دون من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ،
وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » وقال « إن تدعوهم
لا يسمعو دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم »
هذه نصوص صريحة في أن النهي عن دعاء الأموات الذين لا يسمعون
الدعاء ، والذين لا يستجيبون لمن دعاهم وهتف بنجواهم ، والذين هم غافلون عن
استجدام والذين هم في موت عميق وعجز تام . وليس يمكن أن يعنى بها الاحياء
القادرين عادة ، ولا أن يعنى بها إبطال دعائهم . وذلك لأن هذه الأوصاف في
الآيات لا تتناولهم لأنهم يسمعون ويجيبون من دعاهم ، ولأنهم قد يعينون من
استعانهم ويهبون مستوهم . فالنهي في القرآن منطلق إلى دعاء الأموات دون
الاحياء ، وإلى سؤال العاجزين دون سؤال القادرين . وقال تعالى : « إن الذين
تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين »
الآيات . ومعلوم أن الذين لا يستجيبون لمن دعاهم والذين يصح أن يتحدى بمعجزهم
عن الاجابة هم الأموات دون الاحياء إذ الاحياء يستطيعون أن يجيبوا
دعائهم بالمشاهدة والبداهة ، فلا يصح أن يقال في النهي عن دعوة الاحياء وفي
تمجيز من دعاهم وتضليله : « فادعهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين » ولو
قيل لهم ذلك لدعاهم ، لا بإبطال هذه الدعوى ، ولأجابهم ، بلا ريب ، بما أعطاهم
الله من القدرة والقوة . . . فالأوصاف التي ذكرها القرآن لمن نهى عن دعائهم
لا تصدق على الاحياء البتة . وإنما تصدق على الأموات . فان الذي ذكر من
أوصاف هؤلاء المدعويين الذين نهى عن دعوتهم هو أنهم لا ينفنون ولا يضررون
ولا يسمعون ولو سمعوا لا يستجيبون ، لأنهم في غفلة تامة وانقطاع تام . وهذه
الصفات هي صفات الموتى . وقد جعل الله في كتابه هذه الأمور هي الحجة والبرهان
على بطلان دعاء أصحابها وبطلان الانقطاع إليهم والرغبة فيهم . وقد دل على

هذا كثير من الآيات المتقدمة . ومعنى ذلك أن هؤلاء المدعوين لو لم يتصفوا بهذه الصفات العاجزة لصح دعاؤهم ، ولما كان منكراً ممنوعاً ، ولما كان دعائهم جاهلين ضالين .

فالقرآن نفسه صريح في التفريق بين الفريقين : الأحياء والأموات ، والقرآن نفسه لم يدل على النهى عن دعاء من يقدر على الاجابة والعمل والنفع والافادة من أهل الحياة والقدرة والاستطاعة المعتادة ، ولم يدل إلا على النهى عن الانقطاع إلى من في القبور والنهى عن دعوتهم ورجائهم وتأملهم ، لأنهم مرتبون بأحكام الموت ، مقطوعة الصلات والأسباب بينهم وبين أهل الحياة من أهل الدنيا . فالقول بأن القرآن قد دل على النهى عن دعاء الأحياء والأموات مما قول باطل ، والزعم أن القرآن لم يفرق بين دعاء الفريقين في نهيه زعم كاذب باطل أيضاً .

جواب آخر من الاعتراض ومن الأجوبة عن هذا الاعتراض أيضاً أن يقال : لا يصح أن تكون هذه الآيات الناهية عن دعاء المخلوقين شاملة الأحياء يقيناً . وذلك أن هذه الآيات حينما كانت تنزل على عبد الله ورسوله محمد ﷺ كان ينزل عليه أمثال قوله تعالى في دعاء الحى والاستغاثة به واستنصاره : « وإن استنصركم في الدين فعليكم النصر » « فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه » « إلاتنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا » « قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم » « وإذا استسقى موسى لقومه - إلى قوله - وإذا قاتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تلبث الأرض - إلى قوله - اهبطوا مصرأ فإن لكم ما سألتم » ومن هذا الباب تلك الآية التى استدلت بها من لم يوهب الفرقان بين الحق والباطل على جواز دعوة الموتى والاستغاثة بهم ، والآية هى ما قصه الله عن تلك

المرءة الصالحة . من قولها لنبى الله موسى عليه الصلاة والسلام : « إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا » . وقد استدل هذا المستدل أيضاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتابه إلى هرقل عظيم الروم : « أما بعد فانى أدعوك بدعاية الاسلام » قائلا : هذا الرسول يدعو ملك الروم وهو رجل كافر بالله فكيف لا يجوز دعاء الانبياء والصالحين . . . وهذا الاستدلال من هذا المستدل قائم على أنه لا فرق بين الاحياء والاموات . فكان هذا الاحتجاج من فضائح الغلاة فى القبور ، ونعوذ بالله . وأمثال قوله تعالى : « وأما السائل فلا تنهر » وقوله « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله : « وإذا سألك عبادى عني فاني قريب » - إلى غير ذلك مما لا يحاط بعدده . فقد كان هذا يتنزل على رسول الله وعلى المسلمين حينما كان يتنزل عليهم ذاك ، أى كان القرآن ينهى عن دعاء الخلق بتلك الآيات التى أوردنا بعضها ، ويجيز دعوة الاحياء بتلك الآيات التى ذكرنا قسما منها ، فكان ، ولا بد ، لكل من النوعين مورد خاص به ، وكان لكل من الآيات : الناهية عن دعاء الخلق ، والمجيزة دعوة الاحياء منهم القادرين على الاجابة مذهب . ولا يصح أن تكون الآيات الناهية تعفى مالمنيه الآيات المجيزة المبيحة ، ولا أن تريد الآيات المجيزة المبيحة ما تريده الآيات الناهية الحافظة ، ولا يصح أن يدعى أن بينهما تعارضاً واختلافاً ، لافى الظاهر ولا فى الباطن ، بل يجب أن يقال إن لكل منهما تأويلاً خاصاً به صحيحاً لا ريب فيه . وقد نظرنا فوجدنا الآيات المجيزة دعوة الاحياء القادرين آيات صريحة ظاهرة بينة المقصد والدلالة ، لا يصح أن يختلف ولا أن يشك فيها ولا فى تأويلها ، فكانت دعوة الأحياء القادرين جائزة بنصوص القرآن وآياته الصريحة وباجماع الناس ، خلا ما يستثنى من ذلك ، فكان هذا مفروغاً منه ومن الاحتجاج فيه وله وعليه . ثم نظرنا ثانياً فى الآيات الناهية عن دعاء الخلق

نهى القرآن عن
هذا حينما كان
يجوز ذلك

إطلاقاً وإجمالاً - وقد علمنا أن الخلق إما أحياء وإما أموات ، لا ثالث لهما - فقلنا : إن هذه الآيات الناهية لا يمكن أن تعني النهى عن دعوة الأحياء لأن القرآن قد أجاز دعوتهم وأمر بها أحياناً . فعلمنا أنه لا يمكن أن يكون في هذه الآيات نهى عن دعوة أحد فريق الخلق ، وهو الفريق الحى الموجود بيننا ونحت أعيننا ، فلم يبق إلا الفريق الآخر ، وهو فريق الأموات . فعلمنا علماً لا شك فيه أن تلك الآيات نهى صريح واضح عن دعاء الأموات وعن سؤالهم والاتصال بهم هذا النحو من الاتصال . فكانت هذه الآيات نصوصاً صريحة في تحریم دعوة الموتى دون الأحياء . فعلمنا من هذا كله أن الاعتراض المذكور لا محل ولا قيمة له ، والحمد لله على ذلك .

ولاريب أن المسلمين لم يكونوا يظنون أن الآيات الناهية عن دعاء الخلق إطلاقاً وإجمالاً ، يعنى بها النهى عن الاستعانة بالحى القادر على العون على البر والتقوى ، أو النهى عن سؤاله ما أجاز الشرع سؤاله إياه من العلم والهدى والشؤون الأخرى ، وهم يتلون ما أنزل الله في هذا من الإباحة والنسب والأمر أحياناً كثيرة ، فلم يكونوا يشكون في أن النهى عن دعوة الخلق ليس متناولاً من أمر بدعائهم وسؤالهم والاستعانة بهم ، ولا متناولاً من كانوا قادرين على نفع داعيهم وسائلهم إذا ما أخرج من ذلك ما حرم لأسباب أخرى صحيحة ، ولم يكونوا يشكون في أن النهى خاص بمن لم يبيح دعاؤهم وبمن حرم الرجوع إليهم من الأموات العاجزين . فلا ريب أن من ادعى أن ظاهر القرآن النهى عن دعاء الأحياء إلى الخيرات والطاعات ، أو النهى عن الاستعانة بهم على البر والتقوى وسؤالهم ما فيه نفع بلا ضرر فقد غلط غلطاً فاحشاً ظاهراً .

ومن الأجوبة أيضاً عن الاعتراض المذكور أن يقال لا مانع من أن يقال إن الله سبحانه وتعالى قد أراد من عباده أن يكونوا خالصين له وحده لا شريك

سجواب ثالث
عن الاعتراض

نه في شيء منهم ، لا في دعائهم ولا في أعمالهم ولا في معاني قلوبهم وعقولهم وعقائدهم ، لا في ظواهر ذلك ولا في بواطنه ... فأراد منهم أن يدعوه وأن يسألوه وأن يخافوه ويرجوه وحده وأن يخصوه بكل معنى من معانيهم ومظهر من مظاهرهم وعمل من أعمالهم الظاهرة والباطنة . وذلك لأنه وحده هو الذي خلقهم : خلق أجسامهم وأرواحهم وقلوبهم وعقولهم وكل ما يحتاجون إليه من شيء : خلق كل ذلك وحده ، فكان كل شيء منه تعالى ابتداء وبقاء ، وكان كل شيء راجعاً إليه . وقد كان من العدل والعقل أن يكون الخالق وحده هو المعبود وحده ، وكان من العقل والعدل أن يكون هو المعبود وحده كما كان هو الخالق وحده ، لأنه إذا لم يكن له شريك في الخلق والإيجاد لم يصح أن يكون له شريك في العبادة والطاعة ، فهو كما خلق الخلق وحده يجب أن يعبد الخلق وحده . والنفوس كلها مفضولة على معرفة هذه الحقيقة ، والناس كلهم مجبولون عليها ، وماذا هم عنها لا يبد إلا الخالق . إلا النادرين ، وما خرج عنها وعليها إلا من خرج على فطرته وعن هداه الجبلى . وقد أكثر القرآن الكريم من الإشارة إلى هذه الحقيقة الواضحة ومن التنبيه عليها ، وقد أفن في إيقاظها وإيقاظ النفوس الغافلة عنها ، وجعلها من براهين التوحيد ودلائل الإخلاص الناطقة . . وقد ذكر هذا في مواضع من كتاب الله - بأشاليب مختلفة ظاهرة قال تعالى من سورة البقرة : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء ، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » وقال من سورة الأنعام : « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين » وقال من سورة الرعد : « قل من رب السموات والأرض ؟ قل الله ، قل أفأنخذتم من دونه أولياء . لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل

تستوى الظلمات والنور ! أم جئوا الله شركاء خلقوا كخالفه فتشابه الخلق عليهم
 قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . . . « الآيات ، وقال من سورة المائدة :
 « قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم »
 وقد جاء معنى هذه الآيات في آيات أخرى كثيرة . وقال من سورة يس : « وما لي
 لأعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ! أتأخذ من دونه آلهة إن يرادني الرحمن بضر
 لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينتفنون ! إني إنني لفي ضلال مبين » وقال من
 سورة العنكبوت : « إنما تعبدون من دون الله آؤناناً وتخلقون إفكا . إن
 الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً . فابتغوا عند الله الرزق
 واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون » وقال من سورة الصافات في محاجة نبي
 الله إبراهيم لقومه المشركين « قال أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون »
 وقال من سورة النمل : « أم من خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء
 ماء فآبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تلبثوا شجرها . أله مع الله ؟
 بل هم قوم خصمون (إلى قوله) قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » - إلى غير
 ذلك من الآيات في حجاج المشركين والاحتجاج عليهم بعجز من يعبدون دون
 الله عن النفع والضرر والخلق والإيجاد ، والاحتجاج لعبادة الله وحده بأنه هو
 الخالق الرازق الضار النافع المنفي المانع . . . وهذا الاحتجاج من أصبح
 الاحتجاجات وأوضحها وأقطعها للنزاع والخلاف ، وأسرعها ولوجاً في النفوس
 والعقول والقلوب . والنفوس كلها ، كما ذكرنا ، مفعورة على معرفة هذه الحقيقة
 وقبولها ، ولو لم ينزل الله فيها كتاباً ووحياً يتلى . وقد أمر الله عباده جميعاً بأن
 يسلموا ويستسلموا له وحده ، وقد سمى دينه الحق « الاسلام » لذلك ، وهكذا سمى
 جميع الأديان السماوية السابقة كما قال : « إن الدين عند الله الاسلام » وأباً عن
 جميع عباده الصالحين بأنهم قد أسلموا واستسلموا له وقالوا : أسلمنا . والاسلام

الاسلام لله وحده
 وعسى الاسلام
 والسلام

يعطى ، باشتقاقه ومعناه ومادته وتعريفه ، معنى الخلوص والسلامة من شوائب
 الاشرارك وأدوائه وأضراره . فمعنى الاسلام لله الخلوص له وحده ، ومعنى المسلم
 الخالص له تعالى ، المنقطع إليه . وقد قال في هذا المعنى : « قل إن صلاتي ونسكي
 ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »
 فالحياة بما فيها من أعمال ومغان وأقوال ، وما فيها من عبادات وضراعات
 وهنالكات وغير ذلك يجب أن تكون لله رب العالمين لا شريك له . فاللدعاء يجب
 أن يكون له ، والرغبة يجب أن تكون فيه ، والخوف يجب أن يكون منه ، والعمل
 يجب أن يكون كله له ، والظاهر والباطن يجب أن يكونا له وحده لا شريك له
 وغير ذلك مما يقع في حياة العبد ومماته : كل هذا يجب أن يكون لله بنص هذه
 الآية الكريمة ، لأن المراد هنا « بالحيات » الحياة وكل ما يقع فيها من الأعمال
 والأقوال الظاهرة والباطنة ، ولأن المراد من « الممات » الموت وكل ما يقع فيه
 من الحساب والثواب والعقاب والخشية والرغبة والرهبة وما مع ذلك من صروف
 وحشوف . والخلق له خالتان حياة وموت ، وحياته وموته لله وحده . فكله إذن
 لله لا شريك فيه لأحد . لا في حياته ولا في مماته . فكل ما يقع في حالتي الخلق
 الحياة والموت لله لا شريك له . فمساؤه ورجاؤه وعمله وقوله وسائر ما هنالك ،
 وجميع معانيه وعباداته لربه الذي خلقه كله لا شريك له ولا معين . وقد كان
 رسول الله عليه الصلاة والسلام يفتتح صلاته بقوله : « وجهت وجهي للذي فطر
 السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي
 ومماتي لله رب العالمين لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . . . »
 وهذا الدعاء الذي كان يقول رسول الله عند قيامه للصلاة مركب من قول خليل
 الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حجاجه لقومه المشركين من سورة الأنعام :
 « إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »

ومن قول الله له في هذه الآية التي ذكرناها من آخر سورة الأنعام . وقد جاء معنى هذه الآية في آيات أخرى معلومة مثل قوله : « ولم يخش إلا الله » فمضى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، وقوله : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل » وقوله « له دعوة الحق » ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ » ، وقوله : « ففروا إلى الله » وأمثال قوله : « فاعبد الله مخلصاً له الدين » ، ألا الله الدين الخالص » . وقوله : « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين » وأمرت لأن أكون أول المسلمين » وقوله تعالى : « وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . والدين معروف الاشتقاق والمادة والمعنى ، ومن معانيه الإسلام والاستسلام والخضوع . فهذه الآيات وأمثال أمثالها تطلب إلى الخلق كافة أن يكونوا خالصين لله رب العالمين ، لا يشركون معه غيره في معنى من معانيهم ، ولا في عمل من أعمالهم ، ولا في عبادة من عباداتهم ، الصورية والحقيقية ، كما لم يشرك معه غيره في خلقهم وإيجادهم وإيجاد ما يحتاجون إليه في حياتهم ووجودهم وبقائهم مما في السموات والأرضين ومما بينهما .

صرف القرآن
من جميع الخلق

وقد نوع الله في قرآنه التهديد في الخلق جميعاً والترغيب والصرف عنهم بضروب الأساليب ومختلف العبارات ، فتارة يخبر بأن كل شيء فقير إليه وأنه هو الفنى الحميد . وأى محتاج عاقل يرغب بحاجاته وآماله عن الفنى الحميد إلى الفقير المحتاج فتارة يخبر بأن الخلق جميعاً أموات هلكت فيقول : « كل من عليها فان » « كل شيء هالك إلا وجهه » . وأى عاقل يدع ربه الحى الذى لا يموت ماثلاً إلى الهلكى وأبناء الهلكى ، طامعاً فى الموتى وأبناء الموتى والموتى فتارة يخبر بأن كل ما يدعى من دونه تعالى باطل فيقول : « ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل » . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام فى قول الشاعر : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) إنها أصبحت كلمة قالها شاعر . ومن الذى يرغب عن الحق فى

الباطل إلا أن يكون مصاباً في عقله وفطرته ، وتارة يخبر بأن أقرب الخلق إليه وأفضلهم وأكرمهم عليه لا يملكون لأنفسهم خيراً ولا شراً ولا نفعاً أو ضرراً ولا يملكون شيئاً من ذلك لنغيرهم فيقول خاتم أنبيائه عليه الصلاة والسلام : « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله » « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ، قل إني لن يميزني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً » وتارة يخبر بأن الخلق والامر له تعالى وحده فيقول : « ألا له الخلق والأمر » ويخبر بأن غيره ليس له شيء من ذلك فيقول « ليس لك من الأمر شيء » . وتارات يخبر بنغير ذلك مما يراد به كله الخلوقة بين الخلق والخلق وتزويد العبد في العبد . وقد كان من أصدق الأسماء وأفضلها « عبد الله » ونحوه . وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » . وقد أجمع أهل الفقه والبصر بالدين على أنه لا يجوز التعبد لغير الله تسميةً مثل عبد النبي وعبد الحسين وعبد علي وعبد الجليلاني وعبد البدوي وأمثال ذلك . وهذا لأن المفروض على الخلق المطلوب منهم جميعاً أن يكونوا عبيد الله وحده ، فلا يصرفوا لغيره تعالى معنى واحداً من معاني العبودية ، والعبودية ، مادة واشتقاقاً ، ترجع أصالة إلى الخضوع التام والالتقياد الصادق وكل ما يمت إلى ذلك من قريب أو من بعيد . ومن أظهر معاني العبودية الخوف والرجاء والسؤال والدعاء والرغبة والرغبة وامتناع التعبد لغير الله تسميةً ، لامتناع أن يكون شيء من هذه المعاني للخلق ما . فإذا قيل : عبد الله وقيل : إن الخلق جميعاً عبيد الله كان معنى ذلك أن كل شيء فيهم هو من حق الله وخالص ما يجب له عليهم . وليس معنى كونهم عبيد الله أن أجسامهم وخلقهم له تعالى دون معانيهم ودون عباداتهم وضراعاتهم وأدعيتهم ، بل هذا كله يجب له عليهم وحده لأنه قد خالقهم ورزقهم وحده . وما أوجد أجسامهم ولا أعطاهم العقول

كل ما للخلق
يجب أن يكون
لخالق

والقلوب والأسماع والابصار والآلات الجسمية الأخرى إلا لتقوم كلها وتبذل في خدمته وطاعته وعبادته ، ولتصرف لوجهه تعالى معانيها وما تقدر عليه من خدمة وعبودية واستسلام. ولهذا كان أعبد الناس لله وأقومهم بحقه وأصدقهم عبودية هم أقل الناس رجوعاً إلى الخلق ورغبة فيهم وأعظمهم انقطاعاً إليه تعالى وأكثرهم سؤالاً ودعاءً له ورغبة فيه. وكان أقل الناس عبادة لله وأكثرهم وأبدم عنه تعالى هم أشد الناس رغبة في الخلق وسؤالاً لهم وانقطاعاً إليهم ورجاءاً لهم وخوفاً منهم وتأملاً فيهم. وكان من نقص حظه من أحد الجانبين زاد حظه من الجانب الآخر. فن زاد تعلقه بالخلق نقص تعلقه بالخالق ، ومن زاد حظه من التعلق بالله والرجوع إليه نقص حظه من الالتفات إلى الخلق والعبيد من كثرة سؤاله الخلق قل دونه

فزيادة الإنسان في عبادة العبيد نقص في عبادته الله ولا بد ، ونقصه من عبادة العبيد زيادة في عبادته الله ولا ريب . فزيادة الشرك نقص في الإيمان ، ونقصان الشرك زيادة فيه . ولهذا السبب نفسه كان الأنبياء والمرسلون وأصحاب التقدم والسبق في الدين والتقوى هم أقل الناس سؤالاً للناس ورغبة فيهم وانقطاعاً إليهم فكان محمد رسول الله وكبار صحابته أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وغيرهم أقل من سواهم سؤالاً للناس والتفاتاً إليهم ، لأنهم كانوا أصدق الناس عبودية لله وأكثرهم معرفة لحقه وأقومهم به وأعظمهم التفاتاً إليه تعالى . وقد جاء في نعت الصحابة أن السوط كان يسقط من أيديهم فلا يقول لأحد : ناولني ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان أخذ عليهم العهد ألا يسألوا أحداً غير الله . وكان يقول للواحد منهم في وصاياه : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . وكان يحذر مسألة الخلق ويذكر لمن سألهم أليم العذاب وشديد العقاب بعبارات أوصدت في وجوههم جميع الأبواب سوى باب الله ، وقطعت بهم كل

سؤال المحقق
حرام حرمة

حسب غير سبب الله . فكانت مسئلة الخلق لذلك جراماً ومنكراً لا يجوز منها إلا ما دفعت إليه الضرورة التي لا ترحم ، والضرورات ، كما قالوا ، تبيح المحظورات . وهذا لأن مسئلة الناس فيها عبودية لغير الله ، وفيها امتهان وهوان للسائل ، وفيها ، بعد ، عدوان على المستول وعلى حقه ، وفيها رغبة عن الله ، وفيها رجوع إلى غير الأسباب المشروعة الفاضلة . هذا كله في مسئلة الخلق الحى ، وأما مسئلة الميت فهي شر من ذلك ، لأنها أكثر جهلاً وظلماً وعبودية لغير المعبود ولأنها أظهر امتهاناً وهواناً وإذلالاً لنفس السائل ، وأعظم رجوعاً إلى غير الأسباب المشروعة الفاضلة . وهذه الأدواء والنقائص محرمة كلها فى كل الأديان الصحيحة الإلهية ، وقد جاءت الأديان كلها بثلاثة أمور لا تختلف فيها : بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وبالتزجر والنأى عن مواطن الامتهان والذلة لغير الله ، والدعوة إلى الأخذ بالأسباب المشروعة الفاضلة . . . فذال الخلق الحى والميت هو فى الأصل حرام وجريمة يأبأها الله ويأبأها شرعه كل الأيام ، لأنها تخالف حكمة الله وإرادته لأن يكون العبد عبد ربه وحده ولأن يكون عزيزاً بهذه العبودية ، ولأن يكون زاهداً فى غير الأسباب الصحيحة التى جعلها الله وسائل إلى غايات عباده ، ولأن يظلم أحد أحداً فى مسألة ولا فى غيرها من أنواع الظلم ، لأن الخلق قائم أمره كله على الضعف والفقر والعوز ، فكانت إرادة النفع منه ، أصالة ، حراً ، وإعطاء الضمف وفقره وعوزة ، ولأن الخلق مطالب أبداً بأن يطلب ذلك عند ربه وحده ، ومطالب بأن يطلبه بالأسباب التى جعلها الله أسباباً إلى ما رب الخلق وحاجاتهم ، لأن الرجوع إلى الأسباب التى جعلها الله أسباباً ، امتثالاً لإرادته تعالى وشرعه وأمره ، هو رجوع فى الحقيقة إلى الله عز شأنه ، طلب له . . أما من رجع إلى الخلق الضعيف .

التفكير الحقيقى ، محاولاً لديه قضاء حاجاته ومآربه ، فقد ظلم أولاً نفسه بأن أخذها لغير

الظالم الأرحم

ربه وعبدّها مخلوق مثله ، وظلم تافها مخلوقاً فقيراً محتاجاً مثل احتياجه ، لأنه استجداه وهو الفقير وطلب منه القوة وهو الضعيف العاجز ، وظلم ثالثاً حاجته لأنه طلبها بغير عدتها وبغير أسبابها التي اعتيد أن تدرك وتنال بها ، وظلم رابعاً الجيل الذي يعيش فيه لأنه قد ابتدع فيه بدعة نكراء لا تلبث أن تكون عادة له وحقيقة من حقائقه . فأفسد ببدعته عقول الجيل الذي يعيش فيه وهدأهم وأنفسهم ، فكان بذلك من شر الظالمين الباغين . فكانت مسألة المخلوق هذه المفاسد وغيرها حراماً وجريمة ، وكان المفروض على الخلق جميعاً أن يرجعوا بآمالهم وحاجاتهم وشؤونهم كلها إلى الخالق وحده لا شريك له ، وكان المفروض الواجب عليهم جميعاً ألا يلتفتوا إلى مخلوق وألا يفكروا فيه وألا يعدوه في الحساب ، وكان المفروض عليهم كافة أن يكونوا عبيداً لله وحده أجساماً وأرواحاً ومبائى ومعائى . هذا هو ما يقضى به العقل والقلب والفطرة والشرائع كلها

الرجوع الى
الاعتراض

أجل أقول لا مانع من أن يقال ذلك كله ويقال بعده إن الآيات المذكورة في النهي عن دعوة المخلوق وعن دعوة غير الله ، الأمر بدعائه تعالى وحده آيات يراد بها الحيولة بين العباد ودعوة العباد ، ويراد بها تحريم دعوة غير الله ونسيان ما سواه . فالآيات على ظاهرها تأبى على المؤمن أن يدعو غير ربه في حالة من الحالات ووقت من الأوقات . أما الانفكاك من الاعتراض المذكور وهو دعوة الحي وقول المعارضين : إن الآيات لو أخذت على ظاهرها لدلت على منع دعوة الأحياء ، ودعوتهم جائزة بالاتفاق والضرورة ، فيقال : إن دعوة الأحياء أخرجت من هذا المنع العام الشامل للضرورة والحاجة والبداهة . فانه لو لم تكن دعوتهم مباحة جائزة لما استطاع الناس عمارة هذا الكون ، ولما استطاعوا التعاون على تنظيم شؤون الحياة ولا أن يعيش بعضهم إلى جانب بعض ولما استطاعوا التعاون على الخير والبر والتقوى . وهذه أمور مطلوب التعاون

دعوة الاحياء
ضرورة

عليها . فإباحة دعاء الأحياء ضرورة من الضرورات ، والضرورات ، كما قيل ،
تحل المحظورات . ولولا هذه الضرورة لكانت دعوتهم حراماً باطلة على الأصل
العام في تحريم دعاء غير الله وإيجاب دعائه سبحانه وتعالى وحده . فدعاء الخلق ،
كما ذكرنا ، حرام وجريمة ولكن دعوة الأحياء منهم لا يمكن الغناء والاستغناء
عنها ولا الانفكاك منها . ولا يستطيع إنسان في هذا العالم أن يعيش عيشة
صحيحة مقولة لولم يسح له أن يدعو الأحياء وأن يناديهم وأن يطلب منهم وأن
يتخاطبهم وأن يفهم منهم وأن يفهموا منه وينادوه ويدعوه ويتخاطبوه . فإن
هذا العالم وهذه الحياة قائمان على التفاهم والتعاون والتخاطب . وبغير ذلك
لا تقوم حياة ولا يعمر عالم . فدعوة الأحياء من الخلق مباحة للضرورة إليها . أما
الأموات فبالضرورة لا ضرورة تلجئ إلى دعائهم وسؤالهم والالتفات إليهم .
فبقيت دعوتهم في المحرمات المحظورات . وبهذا يخالف من الاعتراض المذكور
وليس في هذا القول والتخريج شيء من الغرابة والخروج على الأصول
أو الفروع ، فإن الناس مجمعون على أن حالة الضرورة تخالف غيرها من
الحالات التي لا ضرورة فيها ولا إليها ، ومجمعون على أن الضرورات تحل لديها
المحرمات ، أو نوع المحرمات ، كإحلال أكل الميتة ولحم الخنزير والدم المسفوح عند
خوف الملكة والموت إبقاء على الرق والحياة ، وإحلال النطق بكلمة الكفر والشرك
والضلال لمن أكره على ذلك والسيف فوق رأسه مشهور مصلة - إلى غير
ذلك من الحالات . وقريب من هذا مسألة الناس ، فإنها محرمة البتة ولكنها
تباح في حالة الضرورة . وشبه هذا أنه مفروض على المؤمن ألا يخاف إلا ربه
وآلا يهاب إلا إياه ، ولكنه إذا وقع بين برائن السبع فخافه وهابه كان معذوراً .
لأن الصبر على هذا وعنه فوق طاقته وقدرته . ونظيره أن المطلوب من المؤمنين
ألا يهنوا ولا يحزنوا ، وقد جاءت نواهي القرآن عن ذلك كثيرة صريحة ولكن

امثال ذلك

من أضيّب بصيبة الصبر عليها والتماسك إزاءها فوق طاقتها وفوق إنسانيتها
فاستكان لها وضعف وتضعف لها بناء صبره وجلده ، فخرن وأسف فانهم كان
غير ملوم ولا معاقب ، رعيّا للحالة التي هو فيها . وهذا كله واضح

جواب آخر من
الاعتراض

ومن الأجوبة عن هذا الاعتراض أيضاً أن يقال إن جميع المكلفين عند
ما تلقى عليهم تلك النواهي عن دعوة غير الله ، وتلك الأوامر بدعوته تعالى
وحده لا شريك له لا يمكن أن يفهموا منها أنها تنصرف إلى تحريم دعوة الأحياء
واستعانة الملك بحيشه وجنده ورعيته لدفع عدوان المعتدين وظلم الظالمين ، ولا إلى
تحريم التباؤين على الخير والبر والتقوى وعلى تبند عوز الموزين المحتاجين
المنكوبين ، ولا إلى تحريم أمثال ذلك : هذا كله لا يمكن أن يمر لأحد منهم على
بال ولا أن يهبط له على فهم . فإذا ما خاطبهم الله في قرآنه بهذه النواهي الصادقة
لم يمكن أن يدخل فيها النهي عن هذا الذي لا يمكن أن يفهموه ولا أن يمر على
أذهانهم ، ولم يمكن أن يكون النهي عنه مراداً بها ولا داخل تحت معناها ،
لا منطوقاً ولا مفهوماً . وذلك أن القرآن - وكذلك كل كلام - إنما يراد به إلهام
المخاطبين به وتعليم المكلفين . وقد رعى به لذلك أن تدرك المعاني التي سيق
إليهم تحت ألفاظه ، وهذا لا ريب فيه . وإذا كان ذلك كذلك كان أمثال قوله
تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » ونظائره في معنى أن يقال :
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً من الأوثان ، لا من الأوثان والأحياء
لأنه قد عرف للمخاطبين أنه لا يمكن أن ينهوا عن دعوة الأحياء نهياً عاماً مطلقاً
وعرفوا لذلك أن الخطاب بعيد عن الأحياء وأنه خاص بنهيهم ، فكان هذا
التقييد المعلوم في النفس كأنه مذكور في اللفظ لأنه معلوم في النفس مفهوم من
المعنى فهو في حكم المذكور ، وقد قيل : (وحذف ما يعلم جائز) . وهذا كما جاء
تحويل المسئلة في أحاديث كثيرة مطلقاً لم يذكر فيها أن الحزم هي مسئلة الناس

دون مسئلة الله . وذلك مثل قوله ﷺ : « من يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يعفه الله » وكقوله عليه السلام : « لا تزال المسئلة بأحدكم حتى يلتقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » وكقوله عليه السلام : « إن المسئلة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فحلت له المسئلة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواماً من عيش ، ورجل أصابته فاقة فحلت له المسئلة حتى يصيب قواماً من عيش . فما سواه من المسئلة سحت يأكلها صاحبها » والأحاديث الثلاثة في الصحيح . ولا شك أن المراد بذلك تحريم مسئلة الناس لا مسئلة الله فان مسألة الله مطروحة كل وقت ، ومن لا يسأل الله يغضب عليه كما في الحديث . وكذلك النواهي القرآنية عن دعوة غير الله وعن دعوة المخلوق لا يمكن أن يراد بها النهي عن دعوة الخلق القادر على العون والمغوث ، وإنما يراد بها النهي عن دعاء الأموات خاصة . وهذا مفهوم لجميع المخاطبين ، لا يحتاجون في فهمه ومعرفته إلى أن يذكر في اللفظ بلا ريب ولا جدال .

ومن الأجوبة أيضاً عن الاعتراض المذكور أن يقال : إن المشركين والعرب الذين أنزل الله عليهم وفيهم القرآن ابتداء وخطبوا بهذه النواهي كانوا يدعون الملائكة والجان والأموات من الأنبياء والصالحين ويدعون صورهم وتمثيلهم ومخلفاتهم ، فجاءهم القرآن الكريم ناهياً عن دعوة غير الله آمراً بدعوته وحده ناعياً عليهم دعاء المخلوقين والالتقاط إلى العاجزين . فوجب أن يكون هذا متوجهاً إلى دعوة هؤلاء المدعوين المعبودين من الأنبياء والصالحين والملائكة والجان الذين كانت العرب تدعوم وتناديهم في جاهليتها حين سرائها وحين ضرائها ، ولم يجوز أن يفهم منها أنها نهى عن أن يدعو بعضهم بعضاً لما يحمل ويحسن . وذلك أنهم كانوا يرون النبي الكريم ومن معه من المسلمين - وهم يدعون إلى هذا التوحيد ، وهذا الإنكشاف عن عبادة المخلوق وعن دعائهم

جواب آخر من
الاعراض

وسؤالهم - يدعو بعضهم بعضاً ، وينصر بعضهم بعضاً ويسأل بعضهم بعضاً ، ولا يرون في دعاء الحى القادر منةً ولا شركاً ولا ضللاً ولا شيئاً من الأشياء الباطلة المحرمة . فكان هذا دالاً على أنه لا يراد النهى عن دعاء الأحياء ، وأنه لا يراد الا النهى عن دعاء من يدعون من الأنبياء والصالحين الأموات ومن الملائكة والجان خاصة .

ونظم هذا

ونظير هذا أننا اليوم وقبل اليوم نهى الناس عن دعاء غير الله وعن دعوة الخلق وعن سؤاله واستجدائه ، ونقول : إنه يجب ألا يدعى أحد من الخلق معه . ومع هذا لا يمكن أن يفهم أحد ولا أن يقول : إننا نهى عن دعاء الأحياء القادرين ، ونهى أن يدعو بعضهم بعضاً وعن أن يدعوا أبناءهم وإخوانهم وأهلهم إلى الخير والعون على البر والتقوى . . . بل كل مخاطبين يفهمون أن المراد بذلك النهى عن دعاء من يدعون من الأموات وسكان الاجداث والمقابر من المشايخ والصالحين . ولهذا فانهم لا يوردون هذا الاعتراض لأنه لا يخطر على بال أحد منهم . ولهذا فان أقواماً يقبلون هذه الدعوة الصحيحة ويقبلون عليها ويقرون بها أعيناً ، فينكفون عن دعاء الأموات والمشايخ والصالحين وأصحاب القبور ويظنون على ما كانوا عليه من دعاء الأحياء والاستعانة والاستغاثة بهم . . . فيفرقون بين الحى والميت لأنهم يعلمون أنهم لا ينهون عن دعاء الأحياء نهياً تاماً باتاً . فهم حينما قيل لهم : لا تدعوا إلا الله ، ولا تدعوا مع الله أحداً فهموا أن النهى متوجه إلى الموتى وإلى دعوتهم خاصة دون دعوة الأحياء . فكذلك حينما قيل للعرب والمشركين في كتاب الله : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » وغير ذلك فهموا أنه لا يراد النهى عن دعاء الأحياء يقيناً لقرائن كثيرة عقلية ودينية وضرورية وحالية . فكان هذا كهذا ، وكان هذا الاعتراض ساقطاً لا اعتبار له ولا التفات إليه .

عود الى بقية
براهين المسئلة

﴿ بقية الحجج على منع دعاء الاموات ﴾

هذا الذى ذكرناه كله هو البرهان الاول على بطلان دعاء الاموات ومسؤولهم الحاجات ، وهناك براهين أخرى كثيرة قوية ، عقلية ونقلية على بطلان ذلك . منها أن هذا المخالف وإخوانه الذين يزعمون أنه جائز سؤال الموتى جميع الحاجات ، مثل غفران الذنوب ، وهداية القلوب ، وشفاء المرضى ، ورجع النائبين وإحياء الاموات ، معترفون لنا بأن الاموات الذين يدعونهم هذه الدعوات ويسألونهم تلك الحاجات ، لا يقدرّون على أن يفعلوا ذلك ولا أن يفعلوا شيئاً حقيقياً ، وإنما يريدون منهم الشفاعة والوسيلة فقط ، ذاهبين إلى التأويل والمجاز فى القول والتعبير ، لأنهم معترفون - فى ما يقولون - بأن ظواهر هذه الأسئلة والدعوات من الاموات كفر ظاهر وشرك جلى وباطل منكر ، لأن هذه المطالب لا يقدر عليها سوى الله وحده . وإنما المسيخ لذلك كله عندهم هو المجاز والتوسع فى القول . . . فهم إذا قيل لهم : هذا كفر وضلال وجهل ، لأن فيه سؤال المخلوق مالا يقدر عليه إلا الخالق قالوا : كلا ، لا كفر ولا ضلال ولا جهل ولا منكر ، ولا شئ من هذا القبيل ، لأن الكلام ذو فنون واسعة كثيرة ومذاهب طويلة عريضة . ومن فنون الكلام المجاز ، وفى المجاز بلاغة وقوة وجمال وحسن وذوق ، ومن مذاهبه الخذف والمبالغة والتوسع ووضع كلمة مكان كلمة وعبارة مكان أخرى ، وفى الخذف والمبالغة والتوسع روعة وبراعة وإيجاز وشحن للأذهان ورياضة للأفهام والألباب . وقد جاء ذلك كله فى كلام الله وفى كلام رسله وأنبيائه ، وجاء فى كلام الأئمة وكلام سائر القائلين والناطقين . فلا حرج على من ذهب هذا المذهب أو على من أخذ ذاك المأخذ ، فلا حرج على من قال فى دعائه وندائه : يا رسول الله اغفر لى ذنبى . أو يا على اهد قلبى ، أو يا فلان اشغنى من دأى وأسقامى ، ولا شئ على من استعان بالاموات وبالملائكة والصالحين ، لأن هذا كله ، إذا وجد ، مجاز فى القول وسعة

فى التعبير وذهاب مع فنون الكلام وضروبه . وحقيقته هى طلب الوسيلة والوساطة والشفاعة . وهذه أمور كلها صحيحة ، صحيح طلبها من الأموات ومن الأنبياء والصالحين الأحياء منهم والأموات ، وصحيح أيضاً طلبها من الملائكة ، والجان الصالحين . هذا ما يقوله هؤلاء المعارضون وما يدفعون به عن دعوة الأموات وعن دعائهم وحيفئذ . يقال لهؤلاء جميعاً : إذا كان إدخال المجاز جائزاً لديكم فى الأدعية وفى النداء وفى كل الأقوال المعبرة عن الاعتقادات وعن الديانات ، فهل ترون أن هذا جائز بلا قيد ولا شرط فى هذه المسائل والمطالب والمباحث بحيث يجوز إدخال المجاز فى كل قول وفى كل دعاء ودعوى مادام صحيحاً جائزاً مقبولاً فى قانون البلاغة وعلوم المجازات ؟ أم أنتم لا تدعون هذه الدعوى ولا تذهبون بهذا المنهج فلا تطلقون جواز المجاز فى جميع أقوال العبادات ، ولا تطلقون جواز التأويل لكل قائل ، ولكل داع ومدع ، بل تذهبون إلى أن من ذلك ما هو ممنوع باطل ، وما هو ضلال وجهل ، وما هو كفر وشرك . . . إنه لا فرار لكم من اختيار أحد المنهيين وأيا اخترتم فقد خصتم ، ولا ريب . فانكم إذا اخترتم الرأى الأول وزعتم أن المجاز جائز مطلقاً بلا قيد ولا شرط فى كل كلام ومقال قيل لكم هذا باطل بالاجماع والضرورة . فانه لو كان صحيحاً حقاً لما استطعنا أن نخطئ ولا أن نعارض من قال ~~بأنه~~ : عيسى هو ابن الله ، أو قال محمد ﷺ هو خالق العالم ، أو قال على بن أبى طالب هو خالق محمد عليه السلام ونحو ذلك من الأقوال . وذلك أن هنالك مجازاً اسمه مجاز الخذف وقد مثل له بقول الله : « واسأل القرية » أى اسأل أهل القرية مفراد بقول : عيسى هو ابن الله أنه ابن أمة الله ، وبقول : محمد خالق العالم أنه حبيب خالق العالم أو رسوله أو صفيه ، وبقول : على خالق محمد أنه مختار خالق محمد . . . وبهذا التخريج والتأويل تصبح هذه الأقاويل من أقاويل المؤمنين الصحيحة المقبولة التى لا اعتراض عليها ولا فسد فيها ، ولا لوم على

بطلان التأويل
لدعاة الاموات

قائلها كما زعم المخالف في من قالوا : يا رسول الله اغفر لنا ذنوبنا ، ويا على اهد قلوبنا وامثال ذلك . وأيضاً لو صح هذا المذهب لجاز أن يقول المسلم : إن الله ظالم ، وأنه يأكل ويشرب ، وإنه يموت وأمثاله ، على أن يكون المعنى : إن خلق الله ظالم ، وأن خلقه تعالى يأكل ويشرب . ولكن أيضاً من المقال الصحيح مقال الذى قال : ما فى الجبة إلا الله ، ومقال القائل الآخر : سبحانى عز شأنى . وبالأجمال لو صح لجاز لكل قائل أن يقول ما يشاء ويريد ، فان كل كلام فى الدنيا يستطاع أن يوجد له وجه من وجوه التأويل ، وفن من فنون المجاز ، ونوع من أنواع التوسع فى ضروب ما يسمونه بلاغة . وهذا يقضى بالألا يؤخذ قائل بمقال ولا متكلم بكلام حتى ولو قال : إني أريد بقولى ظاهره وما يبدو منه بلا تأويل ولا مجاز ولا شئ من هذا ، لأن قوله هذا نفسه يحتمل التأويل والمجاز والمبالغة الموجودة فى الكلام . وهذا غاية الضلال والخذلان .

وأما إن قلتم بالرأى الثانى ، أى قلتم : إنه ليس كل ما صح مجازاً صح ديناً بل من المجازات ما هو ضلالات ، ومنه ما الذهاب إليه إثم كبير ، وذنب لا يجوز للمسلم اقتحامه قيل لكم إذن لعل هذا المجاز الذى زعمتموه وأجريتكموه فى كلام الداعين للأموات السائلين لهم صنوف الحاجات من هذا المجاز الذى هو إثم وكفر بالله العظيم . وإذن لا يصح لكم أن تقولوا بجواز الاستغاثه بالأموات وجواز دعائهم حتى تقيموا الدليل الواضح المقبول على أن ذلك ليس من المجاز الممنوع المحرم ولا من الباطل المنكر . وأنتم لا تستطيعون شيئاً من ذلك فلا يقبل إذن ما زعمتم من المجاز ، وإذن فدعاء الأموات على كل حال باطل .

ومن الدلائل أيضاً

على بطلان دعوة الأموات ودعوة الملائكة والجان أن يقال : إن غاية ما يمكن أن يزعم فيهم أنهم أحياء عند ربهم فى الملأ الأعلى أو فى قبورهم مثلاً أو فى مكان نجبه ولا لعله ولا يعلمه إلا الله . وعلى هذه الأقوال

الثلاثة لا يمكن ولا يصح دعاؤهم لا عقلاً ولا ديناً ، لأن حالتهم حينئذ كحالة الأحياء الغائبين ، ودعوة الأحياء الغائبين لا تجوز بحال . ومن دعا حياً غائباً عنه كان مصاباً في عقله أو عقيدته أو في عقله وعقيدته . ولو جاز دعاء الميت بحجة أنه حي عند الله أو حي في قبره أو في مكان آخر قصي مجهول لجاز لمن ضل في الصحراء فطش وجاع وخاف أن يطلب من شيخه أو من أبيه أو من أخيه أو من صديقه وهو مقيم في المصر أن يهديه وأن يسقيه وأن يطعمه ويشبعه وأن يعينه على أموره بحجة أنه موجود في جوف المدينة ، والحي الموجود يدعى ويستغاث . ولا يختلف الناس في أن من فعل ذلك كان ضالاً جاهلاً مذمماً ، ولا يختلف أهل البصر بالاسلام والفقهاء في الدين أن من استغاث بشيخه وهو عنه غائب غير حاضر ولا مشهود فقد ضل ضلالاً بعيداً ، ولا يختلفون في أن من الغواية والجهالة أن يدعو من في المشرق من كان في أقصى المغرب . دون أن يكون بينهما وسائل عادية تنقل الأصوات ، وتبلغ الاستغاثات . ولا ريب أن الاستغاث بالأموات ليست أقل ضلالاً وجهلاً وفنداً من الاستغاث بالحي الغائب ، إذ لا شك أن الحي الغائب الذي هو على ظهر الأرض أقرب إلينا من الميت الذي هو في بطنها . وإذا كان هؤلاء لا يجيزون الاستغاث بالحي الغائب فكيف إذن يجيزونها بالميت وهو لا يقل عنه بعداً وغيبه ؟ وقد نص القرآن الكريم على أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، والأخبار عنهم بأنهم عند ربهم دليل على أنهم ليسوا عندنا ولا معنا ولا مع من يدعوهم ويستغيثونهم ، وكذلك جاء في السنة الصحيحة أن أرواح الشهداء الصالحين تغدو وتروح هناك . وهذا بالأجمال من الأمور المتواترة في الاسلام . والعلماء وإن اختلفوا في مستقر الأرواح بعد الممات ، فإنهم لم يختلفوا في أنها ليست في الأبدان ولا القبور . على أنها لو كانت في القبور لكانت أيضاً عنا غائبة قصية غير حاضرة ولا قريبة . وقد دلت النصوص على أن الجنة مخلوقة

ودلت على أن فيها اليوم سكاناً . وما استجاز أحد من المسلمين ، ولا أحد من العقلاء غير المسلمين ، دعوة سكانها والاستغاثة بهم . وكذلك من عقائد المسلمين التي دل عليها الكتاب والسنة أن هنالك عالماً مستقلاً قائماً بنفسه اسمه عالم الجن . وأن من هذا العالم المؤمنين والكافرين ، والصالحين والطلحين . ودل الدين على أنهم أقرب إلينا وأكثر اتصالاً بنا وعلقة من الأموات ، وأنهم أعظم سلطاناً وشأناً من الإنسان حياً وميتاً . وما أجاز أحد من أهل العلم دعوتهم ولا الاستغاثة بهم ، لا بمؤمنهم ولا بكافريهم ، فكيف يجوز ذلك ، إذن ، بالموتى وهم أبعد عنا وأضعف منهم حينما كانوا أحياء . وكذلك ما أجاز أحد من المسلمين الاستغاثة بالملائكة ولا أجاز دعاءهم ، والملائكة ، بلا خلاف ، أقدر من الإنسان وأقرب إلى الله وإلينا . . . إن بعض هذا الذي ذكرناه يدل على بطلان دعوة الأموات والاستغاثة بهم ومحاولة خطابهم بالنحو المشهود المفعول اليوم .

ومن الدلائل أيضاً على بطلان دعاء الموتى أن هذا لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا برواية صحيحة ولا ضعيفة ، لا مجملة ولا صريحة مفصلة ، ولم يؤثر عن أحد من السلف وخيار الأمة وساداتها . وقد حفظت السنة النبوية ودونت بمهارة وإتقان عظيمين ، وميز صحيحها من ضعيفها وثابتها من مكنونها . وقد فعل فرسان الرواية وصيارفة الحديث كل ذلك ووضعوا كل شيء موضعه : الصحيح في مكان الصحة والضعيف في مكان الضعف والموضوع في مكان الوضع . ووضعوا لكل نوع من ذلك كتباً خاصة جيدة بارعة أتقنها الاخلاص والعلم والدأب العجيب ، حتى لقد رويوا الموضوعات المكنوبات ذاكرين حالها وقيمتها نصحاً للمسلمين وخسة للإسلام والعلم خيفة أن يُضل بشيء من ذلك ، وخيفة أن يقع في أيدي الجاهلين به فيضلوا ويضلوا غيرهم . وقد حفظوا - نضر الله وجوههم - كلام النبوة في كل فن من فنون العلوم ، وحدثوا في كل ضرب من ضروب المعارف ، ورووا في كل

باب من أبواب العلم مختلف الروايات وعجيب النقول . وقد قسموا ذلك أحسن
التقسيم وفصلوه أجمل التفصيل . كل ذلك قد فعلوا ولكنك لو قرأت جميع
مادونوا وألفوا وكتبوا في القديم والحديث رجاء أن تظفر برواية واحدة - ولو ضعيفة
مجتمعة - فيها أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم أصحابه أن يدعوا الأموات وأن
يسألهم الحاجات وأن يهتفوا بهم - راغبين راغبين - لأعيانك الطلب . ولا تظن
أن هذا راجع إلى تقصير الرسول عليه السلام في البيان والبلاغ ، أو راجع إلى
تقصير رجال الحديث في التدوين : لا تظن شيئاً من ذلك فإن الرسول عليا
الصلاة والسلام قد بلغ كل البلاغ وبين كل البيان ، ودل أمته على كل ما يقربها
من الله ومن جنته ورضاه ، وحذرها كل ما يبعد عنها من ذلك . وهذا شيء مفروغ
منه عند المسلمين لا يختلفون في أن نبيهم قد بلغ البلاغ وبين البيان كله .
وأما المحدثون فانهم أيضاً لم يقصروا - نضر الله وجوههم - في شيء من حفظ
السنة وتدوينها ، بل لقد جدوا وبالفوا في جدم حتى تقلوا كل ما بلغ علمهم ،
فقلوا أزيز صدر الرسول عليه الصلاة والسلام خوفاً من ربه ، وتقلوا اهتزاز
شعرات لحيته الشريفة حين القراءة ، وتقلوا ما عده الخصوص والجهلاء مقادح فيهم
وفي الاسلام وفي النبي عليه الصلاة والسلام . فليس الأمر إذن أمر تقصير .
وقد روي عنه عليه السلام ما كان يقوله عند زيارته المقابر وما كان يوصي به
المسلمين ويعلمهم أن يقولوه حين زيارتهم . وقد روي في هذا الباب - كما دلتهم -
الصحيح والضعيف والمكثوب الموضوع . ولكنهم لم يرووا رواية واحدة في
دعوة الأموات والاستغاثة بهم لاجمعية ولا ضعيفة ، لا خفية الدلالة ولا واضحتها .
لأن الرسول الكريم لم يفعل ولم يقل شيئاً من ذلك ، بل هو ما بعث وأرسل
إلا وكان من الحكمة في بعثته وإرساله محاربة هذا ومناوئته بشدة وعنف حتى
تطهر منه الأرض والقلوب والنفوس . وهامى كتب الحديث قديمها وحديثها ،

مصحاحها وضماها ، لينظر فيها كلها جميع من شكوا في صدق ما نقول . وإنا نتحدى المخالفين جميعاً .

وكذلك لم يؤثر عن سلف الأمة الذين تلقوا الإسلام من فم النبوة وعملها مباشرة ومشافهة أنهم دعوا ميتاً من الأموات فسألوه غفران الذنوب وهداية القلوب ، أو سألوه النصرة على الأعداء أو نحو ذلك من أنواع المطالب ومختلف المسائل التي يسألها هؤلاء الجاهلون اليوم المشايخ والصالحين من الميتين . وقد اختلف الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً - واشتد بهم الخلاف حتى اندفعوا إلى السيوف وطال بينهم الخلاف والقتال ، وكانوا في أشد الحاجة إلى حسم ذلك الخلاف ووقف رحا تلك الحروب ، وقد احتاج الكثيرون منهم إلى العون والمعونة وإلى يد الله الناصرة المؤينة . وكذلك وقع كثير من ذلك بين التابعين ومن بعدهم من المسلمين . ولكن أحداً من هؤلاء جميعاً مع ذلك كله لم يلجأ إلى قبر الرسول ولا قبر غيره من الصالحين والشهداء الأبرار يستجديه ويسأله المعونة والنصرة والنوثة أو رفع الخلاف بين المسلمين أو وقف الحرب والقتال . وقد كان رسول الله منهم قريباً وكانوا هم أفطن إلى هذه المعاني من هؤلاء الجاهلين المتأخرين ، وكانوا أحرص منهم على الخير والثواب والدين وطاعة الله . وقد خولف على بن أبي طالب وقوتل وقهر وغلب على أمره : قاتله معاوية وعمر بن العاص وخالفاه حتى أعياه أمرهما . وقد خالفه رضى الله عنه شيعته حتى أخرجوه وأكسوه واضطروه إلى أن يبعثها عليهم لعنات ملتهبة ، وشتائم صارت مضرب الأمثال في الذبوع والانتشار والبلاغة والقوة وفي غليان الحق وشدة - إذا صدقوا في عزوهم نهج البلاغة إليه . وكذلك لاقى ولداه الحسن والحسين رضى الله عنهما حتى قتل أولهما مسموماً على زعم الشيعة ، وقتل ثانيهما بأسيا ف أعدائه مخنولاً من شيعته . وقد كانوا رضوان الله عليهم في غاية الحاجة إلى عون رسول الله وإلى

لم يفعل ذلك
الرسول ولا
السلطان

لم يفعله على ولا

عون من مضى من أسلافهم . ولكنهم لم يحاولوا الذهاب إلى قبر الرسول أو قبر غيره يطلبون العون ويرجون النصر ، بل أخذوا بالأسباب المشروعة التي يأخذ بها غيرهم ويأخذ بها جميع الناس ، ولجأوا إلى العدة التي يلجأ إليها كل مهاجم أو مدافع من حشد الرجال وحمل السلاح . . . أما الذهاب إلى الأجداد والقبور فما كان لهم على بال ولا حسابان . وكذلك قتل عثمان رضى الله عنه : قتله الأشرار محصوراً مظلوماً في داره وفي حرم الرسول وجوار قبره الشريف وقبور صحابته الأكرمين . فما ذهب إلى شيء من ذلك ولا استغاث بغير الله من الأموات ولا حمايتنا : لا رسول الله ولا أبابكر ولا عمر ولا من دونهم . بل ذكروا أنه كان يطلب النصر والغوث من الأحياء فيبعث إلى علي بن أبي طالب قائلاً : (وإلا فأدركني ولما أمزق) . أما من الأموات فلا . وكذلك لقي غير هؤلاء من الصحابة وغيرهم من سلف الأمة . وقد اتفقوا جميعاً على الرغبة عن طلب العون والنصرة من الموتى وأجمعوا على الرغبة عنهم بلا شنوذ ولا خلاف أو اختلاف . ولاريب عندنا وعند جميع المنصفين أنه ما كان لديهم مانع يمنعهم من الرجوع إلى القبور . وأصحاب القبور إلا علمهم بأن الرجوع إلى القبور باطل لا أصل له في دين الله ، وإلا علمهم بأن ذلك من أدان الوثلية وأوضار الشرك التي أقدم الله منها والتي حطموها بأسياهم وإيمانهم . ومن المحاولات الفاشلة أن نطلب لهذا تمليلاً ووجهاً غير علم القوم بأن هذه الأمور لا تجوز ديناً ولا تجدى فاعلها شيئاً ، ولا ينال بها سوى غضب ربه ووقتته ونقمته .

ومن الدلائل أيضاً على بطلان دعاء الأموات أن يقال : لاخلاف بين المسلمين ، الموافق والمخالفين ، القائلين بمجوز ذلك والقائلين بمنعه : لاخلاف بين هؤلاء جميعاً في أن دعاء الأموات ليس واجباً من واجبات الدين ولا فرضاً من فروض الإسلام ، ولا خلاف بينهم في أن من ترك ذلك فليس معرضاً نفسه

ومن الدلائل
أيضاً

للأئمة ولا عقاب ولا مؤاخضة من المؤاخذات . ذلك أن غاية ما يقوله المجيزون لدعوة الاموات والاستغاثة بهم أن يزعموا أن ذلك أمر جائز مباح قد يستفيدون من فعله ولا يعاقبون على تركه . ولا يجبر أحد منهم أن يدعى أنه واجب ولا أن تاركه معاقب آثم . وأما المانعون لهذا فالأمر عندهم واضح مفهوم لأنهم يقولون : إنه كفر والعباد بالله ، أو ضلال كبير ومنكر عظيم : معرض فاعله نفسه لأعظم المؤاخذات وأشد العقوبات .

إذن فقد اتفق المسلمون على أن من لم يدع الأموات ناج راشداً إذا ما قام بما فرض عليه من الواجبات والفرائض ، وجانب مانهى عنه من الآثام والمحرمات . وأما دعاة الاموات فقد اختلف في نجاتهم ورشادهم وهداهم : يقولون : إنهم ناجون - كما يزعم المخالفون - وجاهير المسلمين وأهل البصر والمعرفة منهم يقولون : إنهم هالكون صائررون إلى غضب الله وعقابه . فمن لم يدع الأموات ناج بالإجماع ومن دعاهم في نجاته قولان : قيل إنه ناج وقيل إنه هالك معذب ، فطائفة تقول إنه ناج ، وطائفة تقول إنه غير ناج .

وإذا كان ذلك كذلك فلا خلاف بين العقلاء أن المرء مأمور بالاحتياط لنفسه ^{ترك ذلك من الاحتياط الواجب} وبالأخذ بالأحزم الأحجى في كل حالاته وشؤونه ، في دينه ودنياه ، ولا خلاف أن من الاحتياط أن يدع ما يشك فيه إلى ما لا شك فيه ، وأن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ، وأنه إذا كان أمامه طريقان أحدهما يقال إن في سلوكه الهلكة والضلال ، وفي سلوك الآخر النجاة والرشاد يقيناً وجب عليه سلوك الطريق المأمون الذي لا شك في أنه صائر بسالكه إلى الغاية المطلوبة المحمودة ، ووجب عليه اجتناب الطريق الأخرى التي ربما يكون في سلوكها المكروه والعطب . ولو قدم لظمان قدحان مملوءان ماءً ، فحضر لديه قوم فأجمعوا على أن أحد القدحين لا شيء فيه سوى الماء وأيقن هو ذلك في نفسه ، ثم اختلفوا في القدح الآخر ، فزعم بعضهم أن

فيلم سما ، وزعم الباقون أنه لاسم فيه . وكان لاماء لدى ذاك الظلم أن غير ذينك
القدحين — لوجب عليه شرعاً وعقلاً أن يشرب من القدح الذي أجمع على أنه
لاسم فيه والذي استيقن في نفسه أنه كذلك لاشئ غير الماء فيه . ولو أنه قدم
القدح الذي ذكر له فيه السم على الذي لاسم فيه يقيناً لكان مصاباً في عقله .
ولو أن ضالاً تاه في الصحراء فجاءه جماعة فزعموا له كلهم أن الاتجاه جهة معينة
موصول إلى الوجه الذي يطلبه فاستيقن هو في نفسه صحة ذلك ، ثم اختلفوا في
الاتجاه جهة أخرى ، فقال فريق منهم : إن هذه الجهة لا توصل إلا إلى الموت ،
وقال فريق آخر : بل هي توصل أيضاً إلى المكان الذي يقصده . لوجب عليه
عقلاً وشرعاً أن يتجه الاتجاه الذي لا شك في إرادته الغاية المقصودة المحمودة ،
ووجب عليه هجران سائر الجهات والمذاهب إذا كان حقاً يطلب نجاة نفسه ،
وهكذا الأمر في جميع أمثال ذلك . والسرف في هذا أن المطلوب من العاقل أن
يتلص النجاة لنفسه أين كانت وأين كان هو ، وأن يجانب الهلاك ومواقع الخطر
ما استطاع ولا سيما في ما يتعلق بالأموال الدينية التي في الضلال فيها هلاك الأبد
والتي في الهداية فيها سعادة الأبد .

ولا شك حينئذ أن المفروض على العاقل الناصح لنفسه أن يدع هذا الأمر
الذي قال جماهير المسلمين : إن في فعله والذهاب إليه هلاك الأبد والشقاء المطلق
وأن يأخذ بما أجمع المسلمون على أن الأخذ به لا لوم عليه ولا عتاب ولا عقاب .
ولا شك أن من تدبر هذا يقظاً مخلصاً وجد أنه الحق ، ووجد أنه حتم على كل
مسلم أن يجتنب دعوة غير الله من الأموات ، وأن يستغنى بدعوة الحى الذي
لا يموت . ومن أهدى ممن استغنى بالخالق عن المخلوق ، وبالحق عن الباطل وبالله
لا يموت عن الميت ، والله عما سواه !

ومن الدلائل أيضاً على بطلان دعوة الأموات أن يقال : إن المخالفين

ومن الدلائل
أيضاً

موافقون لنا على أن هؤلاء الذين يدعون الموتى من دون الله ويفزعون إليهم كلما
 حز بهم حازب، وطرق ناديم طارق من الخدنان لو اعتقدوا ظاهر كلامهم وظاهر ما
 يقولون، فاعتقدوا بأن للأموات تأثيراً ما في الكون وتصرفاً وفعلًا وأثرًا لكانوا
 كافرين بالله مشركين به، لأن دعوة الموتى مع اعتقاد التصريف لهم وفيهم
 كفر بالله وشرك. والمخالفون لنا فيما زعموا - لم يخطئوا هؤلاء الماكفين على
 القبور ولم يضللوهم أو يكفروهم أو يزعموا أنهم عملوا عملاً منكراً لأنهم يقولون :
 إنهم لو سئلوا لقالوا جميعاً : إننا لا نريد غير الوسيلة والشفاعة والوساطة، وأنهم
 لا يشكون أن الفاعل هو الله وحده لا شريك له. أما لو زعموا أن من يدعونهم من
 دون الله يتصرفون أو يفعلون أو يضررون وينفعون، لكانوا عندنا كفاراً
 مشركين بالله. وقد قال أحد شيوخ الشيعة الامامية المعاصرين وهو الشيخ محمد
 الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه : « أصل الشيعة وأصولها » : « بل لا مؤثر
 في الوجود عندهم (يعني عند الامامية) إلا الله ، فمن اعتقد أن شيئاً من الرزق
 أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله فهو كافر مشرك خارج عن رتبة الاسلام »
 فدفاع هؤلاء عن دعاة الأموات وعن دعوتهم قائم على الاستيقان بأن لا أحد
 من هؤلاء الماكفين على القبور يعتقد في من يدعو به أنه يفعل أو يضر وينفع أو
 يؤثر. فاذا بطل هذا الزعم وذاك الاستيقان ، وقام الدليل على خلافه وبطلانه
 وخطئه انهار هذا الدفاع . ونحن إذا سألنا هؤلاء المدافعين عن هؤلاء الداعين
 للأموات وقلنا لهم : من أين علمتم بأنهم لا يعتقدون في من يدعونهم التأثير
 والتصريف والضر والنفع ، بل والخلق والرزق والاحياء والاموات ما كان جوابهم
 إلا أن قالوا : إنهم مسلمون ، والمستلمون لا يمكن أن يعتقدوا هذه العقيدة ولا أن
 يروا هذا الرأي ، والمسلمون يجب أن تقول لهم جميع أقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها
 لاخطأ والضلال والزيغ بل والكفر والشرك ، لأن احسان الظن بالمسلم مطلوب

تكفير العيا
 اعتقد التا
 لغير الله

من المسلم أبداً في كل الأوقات وجميع الحالات ، ولا يجوز بحال إساءة الظن بالمسلمين . ومن اعتقد بأن هؤلاء الداعين للأموات من جهال المسلمين وعلمائهم يظنون بأن الذين يدعونهم من دون الله يضررون وينفعون ، أو يفعلون ويتصرفون ، فقد أساء الظن بالمسلمين أهل الشهادتين : شهادة التوحيد وشهادة النبوة الخاتمة ، ومن فعل ذلك فقد أساء وظلم نفسه وظلم أهل دينه وولمته ، وخالف ما تقضى به أصول الإسلام وفروعه القاضية بإحسان الظن بالمسلم في جميع الحالات والأوقات .

هذا هو الدليل عندهم على أن دعاة الموتى سليمو الاعتقاد ، وعلى أنهم لا يرون لمن يدعونهم من أهل القبور تأميراً ولا فعلاً ولا تصريفاً ، ولا يرون لهم غير الشفاعة والوساطة والوسيلة والجاه . ولكن هذا الدليل ، كما يرى القارئ ، دليل سخيف باطل ، وذلك أنه قائم على أن كل من تظاهر بالإسلام فقال الشهادتين وتسمى بأسماء المسلمين وتزى بزيتهم وولد بين آباء مسلمين ، فلن يكفروا ولن يرتد أو يضل ، ولن يذهب إلى نوع من أنواع الشرك بالله ، ولن يعبد غير الله من الأحياء والأموات ، ولن يعبد الأججار والأشجار والأصنام والأوثان . . . وهذا كله باطل مكذوب كما تقدم في أول هذا الجزء ، وكما تقدمت الدلائل الكثيرة الصحيحة المختلفة الدالة على أن طوائف من المسلمين سوف يعبدون الأصنام والأوثان ، وسوف يصيرون إلى ما صارت إليه الأمم الأولى المشركة بمخالفتها وربها من لا يضرها ولا ينفعها . وقد تقدم قوله ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حنو القذة بالقذة » وغيره من الأخبار الصحيحة الثابتة . وشيوخ الشيعة وأئمتهم يصححون هذا الحديث ويروونه في كتبهم وينقلونه عن الأئمة المعصومين ويحتجون به على بعض ما ذهبوا إليه من الباطل والاثم والجهل : فيحتجون به على الرجعة وقد تقدم معناها عندهم وما يريدونه منها ، ويحتجون به على أن المسلمين قد

حرفوا القرآن بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والتغيير والتبديل كما فعل ذلك قبلهم اليهود والنصارى وغيرهم من الأمم بكتب الله المنزلة عليهم . وهم يعترفون في ما كتبوا ويكتبون أن طوائف من الشيعة غير الامامية الاننا عشرية قد غلوا في علي بن أبي طالب وفي الأئمة الآخرين حتى كفروا وصاروا من المشركين الهالكين . وقد ذكر كثيرآ من هذا أبو الحسن بن النوبختي الشيعي الإمامي في كتاب « فرق الشيعة » . وذكر فرقا كثيرة من الفرق الشيعية القائلة بالأباطيل المكفرة ، وذكر أن فيهم من اعتقدوا أن الأئمة آلهة ، ومن اعتقدوا أن بعضهم إله دون بعض ، وأن فيهم من قالوا بالتناسخ والحلول ، وفيهم من أحلوا المحرمات وأنكروا البعث والجنة والنار ، وفيهم من كفروا غير هذه الكفريات . وهذا المصنف نفسه ، أعنى صاحب كتاب « كشف الارتياب » يسلّم أن السبئية كفار ويسلم أن غيرهم من الفرق الغالية في الأئمة كفار . وهؤلاء كلهم كانوا يتظاهرون بالاسلام ويدعونه ويتسمون بأسماء المسلمين . وما منعهم هذا كله من أن يكفروا ولا من أن يكفروا لما أن كفروا .

اعترفوا بكفر طوائف من المدعين للاسلام.

وأقرب من هذا كله في النقض على القوم وفي إفساد هذه الدعوى وهذه الحجة أنهم هم يذهبون إلى كفر جمهور أصحاب النبي وإلى كفر كبارهم ، مثل الخلفاء الراشدين الثلاثة ومثل عائشة وحفصة وأم حبيبة وعمر وبن العاص والمغيرة بن شعبة وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير وابنه عبد الله ابن الزبير ومعاوية وغيرهم ، ويذهبون إلى كفر جميع الخلفاء العباسيين والأمويين وغيرهم من ملوك أهل السنة وخلفائهم : فعندهم أن هؤلاء جميعا كفار مرتدون مشركون . فكيف تكون إذن مقالة الشهادتين ودعوى الاسلام عندهم مائة من الكفر والشرك وضمانا من الردة والضلال ؟ وهل يوجد فرق

ما الفرق بين هذا وهذا

بين هذه الحجة في الدفاع عن عباد القبور ، و بين قول اليهود والنصارى : إنه لا يوجد يهودى واحد ولا نصرانى واحد كافر ولا مشرك ، لأن اليهود كانوا بلا خلاف ، مؤمنين بموسى إيماناً صحيحاً ومؤمنين بشريعته ، وكذلك كانت النصارى مؤمنين بيسى وبشريعته وبما جاء به من الأقوال والشرائع والنبوات فهم جميعاً كانوا مؤمنين ناجين فيجب أن يظلوا كذلك وأن يدعى أنهم كذلك أبداً ويجب أن تقول لهم جميع أقوالهم وعقائدهم وأفعالهم التى ظاهرها الخطأ والضلال والكفر والردة ، لأنهم كانوا فى الزمان الأول ، بلا خلاف مؤمنين ناجين ، والمؤمن يجب أن يحسن الظن به وألا يكفر ، ويجب أن يحمل جميع ما يصدر منه على الخير والبر والطاعة والایمان . وحيثئذ فلا اليهود ولا النصارى ولا غيرهم من أهل الملل السماوية كفار ولا ضالون ما داموا ينتسبون إلى شرائعهم وإلى أنبيائهم ، ويدعون لأنفسهم الايمان والاتباع والاهتداء بهدى الأنبياء . وهذه الحجة مثل حجة هؤلاء المنازعين المتكلفين سواء ، وهما حجتان باطلتان بلا ريب ولا شك .

ولا ريب عندنا وعند جميع المنصفين أن هؤلاء الدعاة للأموات الكفين على الأحداث يعتقدون فى من يدعونهم التصريف والتأثير والاعطاء والمنع ، بل والخلق والرزق والاحياء والاموات عليهم التأثير ودلائل ذلك . وسائر أفعال القادرين المتصرفين . ولولا اعتقادهم هذا فيهم وتمكنه من نفوسهم وعقائدهم وضمايرهم لما جاؤا إليهم راغبين راهبين ، ولما هتفوا بهم وبأسمائهم يتلمسون الغنى والشفاء وتفريج الكروب وإنالة المطلوب ودفع المرهوب . . . ولولا هذا الاعتقاد وتسلطه على نفوس القوم ورسوخه فى ضمائرهم وفى زواياها لوجدوا مندوحة عن هذه اللهفات والرغبات والرهبات والدعوات ، وعن هذا الانقطاع إلى القبور وأصحاب القبور . وقد جبلت النفوس كلها على الرغبة عن العاجز الضعيف الذى لا يستطيع أن يضر ولا ينفع ، والذى

لا يريش ولا يبرى ، كما جبت على الرغبة فى القادر ، الصّار النافع ، أو من يعتقد فيه ذلك ، ولو كذباً وجهلاً وضلالاً وخداًعاً . أما من تعلمه عاجزاً فقيراً فقلن 'تباليه ولن تفكر فيه ، لا عند بأنسائها وضرائها ولا عند سرائها . وهذه أمور لا خلاف فيها عند المنصفين العقلاء ، ولا ينزع فيها إلا جاهل أو متمصب ، يدفع عن الباطل ويدفع الحق جهاراً .

وقد دلت أقوال القوم وأفعالهم على اعتقادهم هذه العقيدة فى من يدعون ويسألون : فقد مسموم أهل التصريف ، وأهل المدد ، والأقطاب ، وسعوا الواحد منهم بالمثل ، والمتصرف ، وقطب الوجود ، ومسموم بأهل الشورى . وقد كتبوا كتباً مسموها « تصرف الأولياء » وذكروا فيها نماذج كثيرة من هذه التصرفات ، وأثبتوا أقبح الروايات والحكايات . فيذكرون مثلاً أن فلاناً من الموتى أحى دجاجة ، وأن فلاناً الآخر سما إلى ملك الموت ، وهو بين السماء والأرض هارب صاعد بالأرواح التى قبضها ، فاختطفها منه قسراً وغلاباً ، فرجعت إلى أبدانها فحيوا بعد الموت ، ورجع ملك الموت إلى ربه شاكياً كلسنا ويذكرون أن فلاناً الثالث أوجد ما ليس موجوداً وأحضر ممنوعاً ، وأن فلاناً الرابع كان من كراماته الأحياء والاماتة ، ومن كرامات فلان الخامس أن قاصد قبره لا يخيب ، وأن قبر فلان السادس الترياق المحرب . ويذكرون أن بعض المشايخ المعظمين المشهورين قد خرج من قبره فرد عن البلد أعداء كانوا مغيرين غازين . وقد ذكروا أن المشايخ يخرجون من قبورهم ويلاقون المعتقدين فيهم ويرونهم ويرونهم ويقضون لهم الحاجات والطلبات ، وقد يشفونهم من الأمراض والعلل ويفرجون كربهم ، وأنهم قد يقدمون لهم أشياء مفقودة ليست موجودة ولا معروفة عند الناس - إلى غير ذلك من هذه المزاعم المنكرة الباطلة . وهذا يحمر لاساحل له . والشيمى المصنف قد ذكر فى غضون كتابه أشياء كثيرة من

تصرف الأولياء وإعطائهم من دعاهم وهرع إلى أجدانهم راغباً راهباً طامعاً
 ثم ما لنا نتطلب الدلائل على هذه العقيدة الظاهرة الجاهرة وأنت لو أجمعت
 أحد هؤلاء العاكفين على القبور قولاً يحسبه يفضب شيخه الذى يدعو ويعبد
 مع دون الله لأنفك بأفعال الشيخ وتطوفك ما سوف يريك به من الآرزاء
 والمصائب والصيالم والانتقام الهائل الفظيع ، ولأصبح هو يترقب لك الدمار
 والفناء وألوان الآفات والمصيبات المنزلة عليك من سماء شيخه الذى أغضبت
 وأذيت . ولو أن أحداً منهم أعرض عن عادة من عاداته التى قد عودها الشيخ
 الميت من صدقات وننور وهدايا فأصابه الله بمصيبة جزاء عمله لأيقن أن تلك
 المصيبة من الشيخ ومن جزائه وانتقامه الهائل لا أعراضه عنه ونسيانه إياه . ولهذا
 فانهم يزعمون ويتحدثون أن الشيخ فلانا وغير فلان قد جاء فى صورة سمج
 أو جل صائل أو غير ذلك من صنوف الحيوان ، فبطش وجرح وقتل وأخاف وضر
 ونفع وفعل ما فعل . وهم يروون عن البدوى والرافعى والدسوق وغيرهم أشياء
 كثيرة من هذا النوع . هذا كله معروف عند القوم ، مدون فى كتب مطبوعة
 مقروءة ، لا ينكرها عند عشاقها إلا من كفر أو ضل . وهذه أمور يطول القول فى
 تعدادها وإيرادها .

فهم ، لاشك ، يعتقدون أن الأموات يتصرفون ، ويضرون وينفعون ، بل
 ويحيون ويميتون ، ويفعلون جميع أفعال القادر الحكيم . ولهذا فإن علماءهم الذين
 يؤلفون لهم الكتب ، يلمون فيها شعث الشبهات والترهات على جواز هذه
 المنكرات ، يذكرون أن قدرة الأموات وتصرفهم أعظم وأوسع من قدرة الأحياء
 ومن تصرفهم . فوجه هذه الدعوى لديهم أن روح الحى حبيسة سجين فى قفص الجسم
 وقت الحياة . فهى ، لذلك ، ضعيفة مهينة عاجزة ، شأن السجين الحبيس . فلما
 أنفلتت الروح من البدن ومن عوائقه وسجنه وحبسها صارت حرة طليقة قوية

في تصرفها وعملها وتنقلها ، فصارت قادرة غالبية ، لا يعوقها عائق ، ولا يعانها
ممانع . . . وقد ذكرنا هذا غير ما مرة في مآلفوه وزوروه ، دفاعاً ونقضاً لا عن
هذه الآفات الاعتقادية النكراء وعن هذا الموت الاعتقادي الفظيع .

زوم هذا على
مذهب الشيعة

فالأموات عندهم أقدر وأكثرت تصرفاً وأعمالاً من الأحياء بلا ريب . وهذا
لازم واجب على مذهب طائفة هذا الرجل . وذلك أنهم يعتقدون ، مثل المعتزلة ،
أن العبد خالق أفعاله موجد لها ، خالق لتصرفه موجد له . فالأحياء لديهم ، بلا
شك ، خالقون متصرفون موجدون مؤثرون ، والأموات ، عندهم ، أقدر وأقوى
من الأحياء أو مثلهم . فالأحياء والأموات خالقون متصرفون موجدون مؤثرون
ضارون نافعون . وهم يردون على أهل السنة قولهم : إن الله خالق كل شيء حتى أفعال
العباد وأعمالهم . فلا شك إذن أنهم يرون من يدعوهم من المشايخ والأموات
متصرفين قادرين على أن يعطوهم ما يطلبونهم وما يسألونهم إياه ، وأن يدفعوا عنهم
ما يستدفعونهم إياه ، وأن ينفعوهم ويضروهم . فالشيخي الجاهل - بل والعالم - حينما
يرفع يديه إلى ميت من الأموات قائلاً : اشفني ، أو ارزقني أو اهدني ، أو اغفر
ذلي ، يريد الاعطاء حقيقة لا مجازاً لأن العبد عندهم ، كما ذكرنا ، خالق أفعاله
وأعماله حقيقة لا مجازاً والله لم يخلق من ذلك شيئاً . فالمتوحي لديهم مدعوون
مستغاثون خالقون رازقون ضارون نافعون . فهم مدعوون حقيقة ، كما أنهم ضارون
نافعون معطون حقيقة أيضاً . وليس الأمر كما يزعم هذا المصنف الخادع : أن من
قال للميت : أعطني ، أو اشفني أو اهد قلبي ، أو نحو ذلك ، لا يعني إلا أن يكون
له شفيعاً ووسيلة وداعياً ، فإن هذا المزعم لا يماشى مذهب القوم ولا حالتهم وأصول
لمعتقداتهم .

فاذا كان هذا كله صحيحاً - وهو صحيح بلا شك - فلا ريب أن دعاة إذ أصبح هذا
المتوحي ضلال هلكي على مازعمه المدافعون عنهم . وذلك أنهم ، كما تقدم ، زعموا أن

دعاة الأموات والصالحين لو اعتقدوا أن من يدعوهم يضررون وينفعون ،
ويعطون حقيقة ما يسألون ، لكانوا كفاراً مشركين . وهذا الذي ذكرناه
يكفى تدليلاً على أنهم يعتقدون فيهم ولهم هذه العقيدة ، ويرون هذا الرأي
وهذا لا يخرج لهم منه ولا مفر . على أننا نحن الذين يحق لنا ويجدر بنا أن
نطالب المخالفين بالتدليل على أن المالكين على القبور الداعين لأصحابها ،
لا يعتقدون فيهم وفيها هذا الاعتقاد . وهم المزمعون بنصب البراهين على أنهم
ليسوا كذلك . وهذا لأنه لا خلاف بين الناس أن الأقوال والألفاظ وضعت
أصالة وأننا لتدل على معانيها الحقيقية القريبة لفهم السامعين المخاطبين .
ولا خلاف أن قول القائل : يا فلان اشفي ، أو أعطني ، لا يدل حقيقة وأصالة إلا
على طلب الشفاء والاعطاء من ذلك المدعو المسؤول . فنزعم أن مثل هذا
مصرف معدول عن ظاهره وعما يفهم منه ابتداءً وأصالة هو المطالب
بالحجة والبرهان على صحة قوله وصلى دعواه ، لأنه قد ادعى دعوى لبرهان له بها
ولا حجة عنده عليها ، فكان مرفوض الدعوى والقول ما لم يبرهنا ويقدمها
بالبينات الواضحة . والدعوى المجردة لا تقدم ولا تؤخر ولا تجدى شيئاً . أما زعمهم
أن القائل لذلك مسلم والمسلم لا يقول باطلاً ولا يعتقد كفرة فما أبردها من دعوى ،
وما أبرخصه من زعم ، وما أهونه من برهان ١١ وقد تقدم بطلان هذه الحجة في
غضبون هذا الكتاب مرات .

لماذا يقولون
لماذا يبرهنون
ونحن لا ندري لماذا يتفوه هؤلاء المالكين على القبور بهذه الألفاظ
والأقوال ، ويضرعون إلى الأموات هذه الضراعات ، ويطلبون منهم هذه
الطلبات ، إذا كانوا حقيقة وصدقا لا يرونهم قادرين على شيء مما يسألون ويطلبون .
وإذا كانوا يعلمون بأن الله وحده هو القادر على كل ذلك لا شريك له ولا نديده ؟
وهم إذا كانوا حقاً ، لا يطلبون غير الوسيلة والشفاعاة والدعاء ، كما يدعى المحللون لهم

هذه المنكرات ، فان في استطاعتهم أن يعدلوا عن هذا الذي لا يريدونه ولا يقصدونه إلى ما يعمنون ويقصدون ، فبدل أن يقول القائل منهم : يا فلان اغفر لي ذنبي أو اهد قلبي ، أو اشفي من مرضي ، يقول : يا فلان ادع الله في ليشفيني وليهديني وليغفر لي ذنوبي ، أو يقول : يا الله أسألك الشفاء والهدى بحاج فلان ووسيلة فلان وبدعائه - على أن هذا أيضا لا يجوز لدينا لما تقدم من الدلائل في فصل الشفاعة وما الذي يضطرهم عن الألفاظ التي تؤدي مرادهم وتفهم غايتهم بلا احتمال ولا إيهام ولا تضليل إلى الألفاظ التي لا تؤدي غرضهم ومرادهم وغايتهم أولا يفهم منها ذلك - إلا بتأويل وتكلف وتفسير بعيد إن قبله قوم رده أقوام ، وفيه بعد ذلك إيهام واشتباه واحتمال ؟ إن من العبث والجهل والغباوة ، بل والحال ، أن تذهب إلى البواب وتطلب إليه أن يعطيك ما تريد قائلا : يا فلان أعطني كذا أو كذا ، وأنت لا تريد من قولك هذا إلا أن يوصلك ويقربك إلى صاحب الدار الذي بيده العطاء والملك والتملك وبيده ما تريد . ومن الجهل والحال الباطل أن تقصد مخلوقاً بالغاً ما بلغ من التقوى والصلاح والاستقامة والقرب والزلفى من الله فتقول : يا فلان أعطني هذا القصر أو هذه الدار ، وهو لا يملك شروى نقيض ، قاصدا بقولك هذا أن يدعو الله لك وأن يشفع لديه كي يعطيك ما لا يملك بل ما يملك فلان وفلان . ومن الجهل والجهل أن تقول لمريض لا يملك من أسباب الشفاء قليلا ولا كثيرأولا من أسباب العلاج المعتاد شيئا : يا فلان اشفي ، قاصدا بقولك هذا أن يدعو الله في شفائك ودوائك ، كما أنه من الجهل والضلال أن تقول لأعمى : اقرأ لي هذا الكتاب أو الخطاب وأنت تعلم أنه أعمى ، مريدا بقولك هذا أن يرجو فلاناً أو فلاناً ليقراً لك . فلا شك أن أحدا من العقلاء لا يفعل شيئا من هذا أبداً ، ولو وجد من يفعله لعابه الناس ولا تهموه في عقله وتشكيره . فلا ريب أن هؤلاء الذين يتلحدون الأموات ويهتفون بهم وبأسماهم ، طالبين

لا يسأل الداعية
من لا يملك

الشفاء والغنى والهدى والسلامة والنجاة وغفر الذنوب ، وهذاية القلوب ، يعتقدون اعتقاداً لا شك فيه بأن من يدعوهم قادرون على ما يطلبون منهم ، مستطيعون له ، إما بتفويض الله إليهم ذلك ، على مذهب المفوضة من الشيعة ، وإما بطريق الغفلة عن التفكير في هذا المعنى وحقيقته بأن يقف بهم التفكير في هذه المسألة على أن الصالحين والمشايخ من الأموات قادرون على أن يعطوهم وأن يمنعوهم ، وأن يضروهم وينفعوهم ، ثم لا يذكرون بعد هذا في شيء من الأشياء - أعني في معنى هذه القدرة وفي سبيل حصولها لهم .

البرهان القاطع على ذلك

والبرهان القاطع على وجود هذا الاعتقاد في نفوس القوم وعقائدهم أننا لا نجدهم يدعوون الأحياء الصالحين هذه الدعوات ، ولا يضرعون لهم كل هذه الضراعات ، ولا يطلبونهم هذه الطلبات : فلم نجد منهم من يخاطب حياً قائلاً ما كان قائلاً : اغفر لي ذنبي أو اهد قلبي أو اشف مرضي أو رد غائبى أو اقهر خصمى أو انصرنى على أعدائى وأمثال هذه المطالب العالية التى لا يتوجه بها المؤمنون إلا إلى الله وحده وإلى إله السماء دون أهل الأرض جميعاً . فلماذا إذن فرقوا بين الأحياء والأموات في هذه الدعوات والمطالب ؟ ولماذا فرقوا بينهم في طلب الشفاعة والوسيلة والدعاء إذا كانوا لا يعنون إلا هذا ؟ فإن الأحياء يدعوون ويشفعون بلا شك ، ولهم جاه عند الله وقرب لديه إذا كانوا صالحين أبراراً . ولكننا وجدناهم يخصون الأموات دون الأحياء بهذه المطالب والدعوات والضراعات ، ووجدناهم يدعوونهم كما يدعوون الله ، ويسألونهم ما يسألونه تعالى من جليل المطالب وعظيم الحاجات ، ثم لا يلتفتون إلى الأحياء بشيء من ذلك بل سولا يعرفونهم . حين رغبتهم في هذه الآمال الكبرى ، وحين رهباتهم أمثالها من البأس والضراء . فلماذا هذا ؟ وما تأويله وسره ؟ .

المخالفون يرمون أن المراد بذلك كله هو طلب الشفاعة والجاه والدعاء

والوسيلة ، ولكن يقال لهم ، بحق : إذا كان هذا هو كل المراد والغاية فلماذا لا يقصدون الأحياء به ؟ أليس للأحياء جاه وشفاعة ووسيلة ودعاء ؟ أليس الله لا يشفع الحى الصالح ويقبل جاهه ودعائه ، كما يشفع الميت ويقبل جاهه ودعائه ؟ أليس الحى الصالح النقي قريباً من ربه عزيزاً عليه محباً له كالميت الصالح ؟ إنهم إذا وجهت إليهم هذه الأسئلة والاشكالات لم يجدوا لها حلاً ولا جواباً صحيحاً مقبولاً ولا مخرجاً أو مهرباً منها ما داموا يقولون ما يقولون ، ويدعون ما يدعون . وليس لها فى الحق والواقع من جواب وحل سوى أن يقال : إنهم فرقوا بين الأحياء والأموات فى المطالب والدعوات لأنهم قد فرقوا بينهم فى الاعتقاد والتعظيم وتوهم السلطة والسلطان : فالأموات عندهم قادرون متصرفون ضارون نافعون بشكل ومقدار لم يكونوا للأحياء قط ولن يكونوا لهم أبداً ، والأموات عندهم يقدرون على الخوارق وعلى المعجزات وعلى الهداية وغفران الذنوب وإرشاد القلوب ، وعلى إعطاء من يرون إعطاءه وحرمان من يريدون حرمانه وهم متصرفون كثير والتصرف عاملون كثير والعمل ، لا يمنعهم من العمل مانع ، ولا يعجزهم عن التصرف معجز ، ولا يحول بينهم وبين ما يريدون حائل ، لأنهم أموات ، والأموات أحرار طلقاء : طلقاء من كل قيد ، لأن الأرواح قوية جداً متصرفة جداً إذا كانت مطلقة من البدن ومن حبسه وسجنه . وأرواح الأموات مطلقة من كل ذلك : من أبدانها وأحباسها وسجونها : فهى متصرفة جداً قوية جداً فهى تسأل كل ما يخطر فى بال السائل ، وهى تعطى كل ما تسأل إذا شاءت وأرادت . ولأنها أيضاً من عالم الغيب ، وعالم الغيب لا حد لسلطانه وقدرته وتصرفه وعمله . ولهذا كانت الملائكة والجان أقدر من الإنسان وأوسع سلطاناً وسلطة . ولأن الأموات أصبحوا مجهولين ، والمجهول عند الإنسان أبداً محاط بالتعظيم وبأوصاف الجلال والجلال ، وبالقدر الخارقة النادرة : فالأموات أصحاب قدر خارقة نادرة

لماذا لا يقصدون
الأحياء
كل الأموات

الليل على أنه
الأموات القوي
من الأحياء ضد
الحسم

وأصحاب تصرف مطلق ، وأصحاب أعمال وشؤون لاحتلها . . أما الأحياء فانهم ليسوا كذلك ، بل هم محدودو القدرة والتصرف والعمل ، ومحدودو المعنى والمبنى . بالمشاهدة والحس والضرورة . فأين يذهب الغلو فيهم ، وماذا يزعمه فيهم ولهم . الغالون الضالون الجاهلون ؟ ولهذا فانه لم يغل في الأحياء إلا في حالات شاذة نادرة قليلة . وكثيراً ما يكون الغالون المتغالون في الأحياء كاذبين حرائين في غلوهم وتغاليهم ، منافقين طالبين دنيا وجاهاً وخداعاً . . . وهذا يغلب على طلاب الدنيا والرئاسات والعلو في الأرض واستعباد خلق الله المساكين ، إذ قد يرى الرئيس المغلوفيه والمرؤوس الغالى الداعى إلى الغلو أن مما يجذب به الرئاسة والدنيا إليهما أن يدعى الرئيس لنفسه الأكاذيب والأباطيل : الألوهية . تارة والنبوة تارة أخرى ، أو صفاتهما ، والزعامة الروحية الكاذبة الباطلة المناقفة . ثم يحاول المرؤوس تصحيح تكذب الرئيس وتصحيح دعاواه المجرمة : فيحاول إقامة الشبهات والترهات عليها وخداع الجماهير البلهاء بها . . . وبهذا التعاون الأثيم بين الرئيس والمرؤوس يتم لهما ما يريدان ويطلبان من تصاوير الدنيا وصور الزعامات الفاسقة . ويكون كل منهما ، ولا بد ، في الواقع وفي نفسه محترقاً صاحبه ، ما قتلاً له مزدرياً به ، لأنه يعرفه ويعرف سريرته وما طويت عليه من نفاق وباطل وخداع وتضليل وسخف فاحش . وهذا يكون كثيراً بين رجال الطرق والتصوف والزعامات الروحية الدينية المدخولة ، وبين أصحاب الدعايات الشيطانية المضلة . ونعوذ بالله من هؤلاء جميعاً .

الحق لا يعبد
إلا نادراً

وأيضاً فالأحياء مشهود نقصهم وضعفهم واحتياجهم ، ومشهود ما يعرفونهم من الآفات والمصائب ومن الأعراض والأمراض ، ومن الفقر والجوع وسائر أعراض العاجز المهن . وهذا كله يدافع الغلو ويأباه ، وهذا كله يرى الحقيقة المرة كما هي في نفسها لا كما هي في وهم الواهين الضالين . وهذا هو الفرق بين الأحياء والآموات ،

الأحياء مشهود
نقصهم

وهذا هو السبب في عبادة أموات كانوا في حياتهم ودنيائهم لا يجدون من يحنو عليهم ولا يجدون من يجود لهم بما يحفظ عليهم أرواحهم من غوائل الجوع وعوادي الحام . ولو أنك نقيت عن تاريخ هؤلاء المشايخ المعبودين دون الله اليوم في الأرض ، هؤلاء الأموات الذين تخطر قبورهم اليوم على سادنها الذهب والفضة وصنوف الهدايا والهدايا ، ومنحهم الاعزاز والاعظام وشديد التبجيل - لوجدت الكثيرين منهم كانوا في حياتهم لا يصيبون الكفاف من القوت ، ولا يجدون من يتحدث عنهم حديث خير ، ولا من يتبرع عليهم بنظرة احترام وتوقير ولا بوجه باش ولقاء طيب . فأكثر هؤلاء المحظوظين في موتهم - إن كان مثل هذا يسمى حظا - كانوا محدودين تساء في حياتهم ، لا يجدون من يعنى بهم ولا من يحترمهم ويظمهم ويحلمهم بعض الاجلال . . . انظر ، انظر مثلا ، هؤلاء الشيعة يطالبون اليوم جميع حاجاتهم وجميع ما يرغبون فيه وما يحبون ويشتهون من آكل البيت النبوي أمثال علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة وذرية هؤلاء الأئمة ، ويخصونهم بكل أنواع التنظيم والاجلال والاكبار ، ويصفونهم بأجل أوصاف القدرة والكمال حتى إنهم يزعمون لهم بأنهم كانوا يعلمون كل شيء ويحيطون بجميع الأسرار والحكم والعلوم ، ويصفونهم أوصافا أحلت لهم أن يدعوا بأنهم أهل لأن يسألوا غفران الذنوب وهداية القلوب ، وشفاء المرضى ، ورجع الغائبين ، ويسألوا أيضا كل ما يجوز أن يسأل الله من عظيم الرغبات وأشتات الحاجات ، وأن يدعوا أيضا بأنهم معصومون من كل خطأ : صغيره وكبيره ، ومن كل ذنب : جليله ودقيقه ، ومن كل نسيان : عظيمه وحقيقه ، ومن كل نقص وضيف ، حتى ادعوا بأن من خالف أحدا منهم ، أو من تقدم عليه ، فهو هالك ذاهب إلى النار والمقاب . وحتى أصاروا قبورهم مثابة لرائحين ولغادين وكمية لجميع ذوى الحاجات والآمال : يقصدونها من أطراف البلاد ، يمدوهم مالا

الذين يبدون
في قبورهم كانوا
لا يعرفون في
حياتهم

يحاط بصفته من الأمل والرغبة والشوق والاحتياج ، حتى جعلوها مسفكاً للعبرات
ومعتركا للشكايات ، وملتقى للحاجات والطلبات . وحتى لقد نسى الله عندها فلم
يسم إلى السماء طرف ، ولم يبسط إليها كف ، ولم يتعلق بها قلب — : هؤلاء
الشيعة الذين ذهب بهم الغلو الباطل كل مذهب ودرامم التنالي في هذا المكان
السحيق ، قد كانوا من أزهد الناس في هؤلاء الأئمة يوم أن كانوا أحياء ، ومن أكثر
الناس إعراضاً عنهم وجفاء لهم وخذلاناً ورداً لأوامرهم وإرادتهم حتى لقد عاهدوهم
على الموت فقد موهم طعماً للموت ، ودعوهم ووعدوهم النصر والتأييد فقد موهم
للخذلان وقنفوا بهم إلى الخنوف وفروا عنهم هاربين ، بل والضوا لأعدائهم
وخصومهم حينما قطع السلاح وجد الجدد . . . حتى تمكن منهم أعداؤهم فأذلوهم
وشردوهم وقتلوهم فلم يبالوهم ، حتى لقد بعثها الامام على وغيره من ولده عليهم
لعنات ضمنوها كتابهم « نهج البلاغة » وغيره من كتبهم — : هؤلاء الشيعة —
وهذا ولاؤهم ووقاؤهم ونصرهم لآل البيت ومقدار غيرتهم وحبهم لهم — يطلبون
اليوم النصر من على ومن الحسن والحسين وغيرهم ، وقد كان هؤلاء يوم أن كانوا
أحياء بين أظهرهم محتاجين إلى نصرتهم ومعاونتهم ، فبخلوا عليهم بها فلم يعينوهم
ولم ينصروهم !! هؤلاء الشيعة يطلبون اليوم من الحسن والحسين ومن على ما كان
على والحسن والحسين يطلبون من أسلافهم وقدمائهم ! أفليس من العجيب أن
يكون آل البيت محتاجين لنصرة هؤلاء الشيعة طالبين منهم المعونة والتأييد حينما
كانوا أحياء ثم لما ماتوا صاروا مطلوبين مدعويين للنصرة والتأييد ! فاعجب بهم
مسؤولين أمواتاً سائلين أحياء ! واعجب من قوم يسألون النصر أمواتاً كانوا
يسألونها إياهم أحياء !

إننا لا نرتاب أن عليا والحسن وفاطمة وغيرهم لو كانوا اليوم أحياء بين
أظهر هؤلاء الشيعة لما سألوهم ما يسألونهم إياه اليوم ، ولما حفلوا بهم احتفالهم !

بقبورهم ، ولما قصدوم قصدهم لأجدائهم ، ولما عظموم تعظيمهم لقبابهم ، ولما شكوا إليهم شكواهم إلى رفاتهم ، ولما عبثوا بهم ولا يعلموم ولا بغير ذلك من أحوالهم وشؤونهم وفضائلهم ، ولضنوا عليهم بهذه الأموال الطائلة التي يجودون بها على قبورهم وعلى الزينات والمعلقات وسائر ما على مقاماتهم من مبتدعات وسخافات أبابا الدين وأوعد فاعليها أليم العذاب والعقاب . ولو أن عليا نفسه كان حيا يجاهد في سبيل الله الكفار والمشركين فطلب منهم هذه الأموال التي ينفقونها على قبره وقبور أولاده لينفقها في سبيل الله وليعين بها المجاهدين في سبيل الله ، المنتصرين لدينه وشريعته لبخلوا بالكثير منها ، أو بها كلها ، ولأحجم طوائف منهم عن بذلها . ولا شك أيضاً أن هذه حال أغلب هؤلاء العاكفين على القبور من الشيعة وغير الشيعة ، أعنى أنهم يجودون بأموالهم وعقولهم وقلوبهم وكراماتهم ودياناتهم على القبور وزيناتها ويبخلون بها على أصحاب هذه القبور نفسها لو كانوا أحياء يرونهم ويخطبونهم ولو طلبوها منهم لبذلها في سبيل الله وتميز دينه .

والفرق عندهم بين الأشياخ والأولياء أحياء وأمواتا أنهم في الحياة يعلمون من الفرق
الاحياء
والاموات
وهم الجاهل
أنهم عاجزون فقراء محتاجون إليهم وإلى عونهم ونصرهم وتأيدهم . . . فيبخلون عليهم بأموالهم وأنفسهم لأنه لا طائل تحتهم ولا سر ولا غيب فيهم ، ولا قدرة نافذة غالبة ولا شيء من ذلك في الحياة ، بل هم مثلهم محدود والقدرة والتصرف والعمل والفعل . فلا خير في رجائهم والاقطاع إليهم . . . وأما بعد مماتهم فانهم قد أصبحوا أغنياء عنهم وعن مالهم وعن صدقاتهم ونذورهم وهداياهم وأنفسهم وعن كل دنياهم ، لأنهم قد أعطوا الشيء الكثير من القوة والتصرف والسلطة والسلطان والنفى الواسع الدائم . . . فصاروا هم محتاجين إليهم وإلى عطاياهم وارفاقهم ، فراحوا يسألونهم ذلك ، وراحوا يدعونهم في السراء والضراء ، في

المحضر والمغيّب ، الليل والنهار ، وراحوا يجودون على قبورهم وأجدانهم بما
يخلو به عليهم وعلى حياتهم ، وبما يخلوا به على الله وعلى دينه وسبيله . وذلك
أنهم يعطونهم في الممات ليأخذوا منهم أضعاف ما أعطوهم . ومن السهل اليسير
على طبع الانسان الشحيح أن يعطى الخلق شيئاً يأخذ منه أضعاف ما أعطاه
وأما من أعطى الأحياء الذين أمر الله بأعطائهم فهو لا يرجو أن يأخذ إلا من الله
وحده يوم الدين وأحياناً في الدنيا . ولهذا يكبح عن الانفاق في هذه السبيل
ويضن بماله عليها ، لأن الانسان الشحيح اللئيم قد طبع على استبعاد جزاء الله
وثوابه وإن كان به مؤثماً مصداقاً . فهم ما أعطوا الأموات أموالهم وأوقاتهم
ولا جادوا عليهم بكراماتهم وأنفسهم إلا رجاء أن يأخذوا منهم هم جزاء ذلك
لا من الله ، وليعطوهم هم ليعطيهم الله ، وإلا لو كانوا يريدون الله وجزاءه ورضاه
وثوابه بهذا الذي يصنعونه لجادوا على الأحياء الصالحين وعلى المجاهدين في سبيل
الله ، ولجادوا على إسعاد الانسانية المذبذبة الشقية ، وعلى إسعاد المسلمين الأشقياء
التعساء ، فأنفقوا على بناية المدارس والمصحات وملاجئ الفقراء المعوزين وسائر
هذه الوجوه الخيرية الطيبة .

لنقم ولنصح بملء شديك حيث يسهلك الصياح والنداء في أفواج هؤلاء
الما كفين على القبور ، الباذلين لتشييدها وعمارتها حر أموالهم وغاليتها بسخاء
ورضا واندفاع : صح فيهم ما وسعك الصياح ، وقل لهم هذه فلسطين المنكوبة
المجاهدة في سبيل الله وسبيل الانسانية أعداء الله وأعداء الانسانية والمدنية
— أعنى الانجليز وحلفاءهم البغاة الطفاة الكذبة الفادرين — أوهذه سوريا المنكوبة
أو هذا المغرب المنكوب ، أو هذا ماشئت من أوطان الاسلام المنكوبة المذبذبة —
أو قل لهم : هذه طوائف فقراء المسلمين من الأيتام والأرامل والمجانين ضائعين
في الطرقات العامة ، منبوذين على الأرصفة وأفواه الشوارع هراة جوعاً ، تتخطفهم

ينفقون على
القبور ويأبون
الانفاق في
سبيل الله

عصى الشرطة ولعنات حفظة الأمن والنظام : - هاهم لا يجدون مأوى تؤويهم إليه
قمة الليل ويسوقهم إليه حر الصيف وقر الشتاء ، ولا يصيبون خبزاً جافاً حافاً
ولا يجدون غير اللعنات المرسلة على أعراضهم ، وغير السياط المنطلقة إلى أكتافهم
ونظورهم - أو قل لهم هذا بلد كبير بلا مسجد وبلا مدرسة وبلا عالم يعلمهم
للضروزي من الاسلام والدين ، أو هذا مسجد لاماء فيه ولا نظافة ولا جمال -
أو قل لهم غير ذلك واذكر سوى ما ذكرت من وجوه النقص والضعف في
المسلمين ، وانظر بعد ذلك هل يندى منهم كف ، أو يتألم لأحد منهم ضمير ، أو
تحصل منهم على طائل ؟ لا ريب أنك لن تجد لدى أكثر هؤلاء سوى تحريك
الشفاء صلاة الامتعاض الرسمي الظاهر ، وهز الاكتاف هزاً آلياً موروثاً ، ثم
منح الأقفاء في النهاية .

أما الأموات وقبورهم ومشاهدهم فانهم ينتقون عليها ويسذلون لعمارتها
أفضل أموالهم وأطيبها لا يحتاجون إلى نصيحة ، ولا ناصح ، ولا إلى عظة أو
واعظ : لا يحتاجون إلى شيء ، بل تراهم يتراكمضون إلى ذلك حجرين جياذ
الجلود والسكرم ، ولو وقف أهل العلم كافة في وجوههم وسبلهم ينهونهم عن هذا
ويذكرون لهم أن دين الله برئ مما يفعلون ، وأن الاسلام غنى عنهم وعن
بدعهم . فما هذا يا صاح ؟ ما هو والله إلا الدليل القاطع على أن قلوب القوم قد
طويت على تأليه الصالحين الأموات ، وعلى عبادة قبورهم وأجدانهم وعلى الغلو
المنكر الآثم . والله العليم بذوات صدورهم وبما احتملت من ضلال وشرك
 وخروج على الصراط المستقيم .

وليكن هذا آخر التدليل على بطلان دعوة الأموات . والمقام يتسع لأكثر
مما ذكرنا . ولكننا أحياناً نوجز ونختار الانلال على الاكثر .

﴿ تاختيص شبهات الرافضى على دعوة الأموات ﴾

أما شبهات الرافضى على جواز الاستغاثة بالموتى وجواز دعائهم فهي تتلخص
بجمال شبهاتهم
على جواز دعاء
الأموات
في ما يأتي :

أولاً - : أن المسلم إذا استغاث الميت كأن قال مثلاً : يا فلان اغفر ذنبي
أو اهد قلبي وجب أن يقال إنه كلام صحيح حق ، وإنه مجاز عقلي ، لأننا
مطالبون أبدأ بأن نحمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة والصواب ما وجدنا
إلى ذلك سبيلاً . والمجاز العقلي جائز وارد في كلام العرب وفي كتاب الله وفي
السنة النبوية كما في قولهم : بنى الأمير المدينة ، وأنبت الربيع البقل ، وكما في قول
الله « فارزقهم منه » وقوله : « لو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا
الله ، سيؤتينا الله من فضله ورسوله » ، وكقوله : « وما نعوا إلا أن أغناهم الله
ورسوله من فضله » ، وكما في قوله عن عبده ونبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام : « إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن
الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله » . . . على أن يكون
حقيقة دعاء غير الله من الأموات وغيرهم طلب الشفاعة والدعاء . فيكون قول
القاتل : يا رسول الله اغفر ذنبي ، ويا جيلاني أو يا علي بن طالب اهد قلبي مراداً
به : كن شافعياً لي عند الله في غفران ذنبي وهداية قلبي . وقد جاء مثل هذا
المجاز وهذا الطلب عن أصحاب النبي عليه السلام . فجاء أن أحدهم قال يا رسول الله
أسألك مرافقتك في الجنة . وسؤاله المرافقة في الجنة مثل سؤاله غفران الذنب
وهداية القلب .

ثانياً - : قد روى البيهقي وابن أبي شيبة عن مالك الدار خازن عمر بن
الخطاب قال : أصاب الناس قحط في عهد عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي
فقال يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله في المنام

وقال انت عمر واخبره أنهم مسقون .

ثالثاً - : قد نص القرآن الكريم على أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون والأنبياء أولى بالحياة من الشهداء بالاجماع . والأحياء يصح دعاؤهم بلا خلاف .
رابعاً - : قال : إن المسلمين ما زالوا ، سلفاً وخلفاً ، يستغيثون بالأنبياء والصالحين . قال السهمودي : إن الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام من فعل الأنبياء والمرسلين والصالحين .

خامساً - : إن جماعات من العلماء ، كما ذكر السهمودي ، قد استغاثوا بالنبي عليه السلام وبقبره فنالوا ما طلبوا وسألوا كما في الحكايات السابقة .

سادساً - : روى ابن السني عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فليناد : عباد الله احبسوا ، فإن الله عباداً يجيبونه » وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه عليه السلام قال : « إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينوني - وفي رواية - أغيثوني فإن الله عباداً لا ترونها » .

سابعاً - : قال في خلاصة الكلام : صح عن بلال بن الحارث أنه ذبح شاة فوجد بها هزيلة فصار يقول : وامحمداه ، وامحمداه . وصح أن أصحاب النبي عليه السلام لما قاتلوا مسيلمة كان شعارهم : وامحمداه . وفي الشفا أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك فقال : وامحمداه ، فانطلقت رجله . هذه هي حجج الشيعة على جواز دعاء الأموات والاستغاثة بهم .

﴿ نقض هذه الشبهات ﴾

ابطال شبهات
المتخالف ابطاله
الاولى

أما الشبهة الأولى وهي زعمه أن كل أقوال المسلم وكل أفعاله يجب أن تحمل الحمل الصحيح ، وأن تفسر التفسير الصحيح الذي لا يضر إيمانه وإسلامه ، فالجواب أن يقال : إننا قد قدمنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أن هذا الزعم

رغم غير صحيح لاعتقلا ولا شرعاً ، وقدمننا أنه من غير الدين والعلم والعقل القول بأن كل ما يصدر من مدعى الاسلام صواب لا خطأ فيه ولا إثم ولا ضلال ، وأنه من غير الدين والعقل والعلم القول بأنه جائز للمسلم أن يتلاعب بألفاظ الكفر والردة والضلال وفساد الاعتقاد ، على حساب المجاز والتأويل وادعاء الاسلام ، وأنه من غير الدين والعقل والعلم القول بأنه واجب علينا أن نؤول جميع أقوال من ادعى الاسلام وإن كانت ظاهرة في الكفر وخراب الدين ، فنقول ، على رغم ذلك كله : إن جميع ما قال وجميع ما يقول حق وإيمان وإسلام وهدى ، وإن كل ما خالف هذا في الظاهر محمول على المجاز والتأويل والتفسير . وقد قدمنا أنه لو كان هذا المذهب صحيحاً لما صحمت مناقشة مسلم ولا تخطئته ولا لومه ولا جداله ولا نصحه لقول يقوله ، ورأى يبيديه وعقيدته يلتحلها ويبتدعها ، وأخطاء يدونها ويظهرها . . . وذلك أن كل ما يصدر من المسلم يجب أن يؤول له على هذا المذهب الباطل والزعم المدخول . فكل ما يقوله مما يؤوم الشرك والكفر يجب أن يقال : إنه اسلام وإيمان وتوحيد ، وكل ما يقوله مما يدل على الخطأ والضلال يجب أن يقال إنه صواب وهدى ، وكل ما يقوله مما يشمر بالخبط والفجور يجب أن يقال : إنه طيب وصالح وتقوى ١١ فحق إذا تصلح مناقشة المسلم ولومه وتخطئته وعذله ونصحه ؟؟ وأى مسلم ، حيثئذ ، يصح لمسلم آخر أن ينازعه أو يناقشه أو يجادله ؟

لا شك أنه لو صح هذا الذى ذكره وزعموه لكان كل ما يقوم بين طوائف المسلمين من المناقشات والمساجلات والمجادلات والمنازعات فى الآراء والمقائيد باطلاً وخطأً وضلالاً ، وإذا كانت هذه المناقشات والمنازعات كلها باطلة وضلالاً كان أصحابها ضالين مبطلين ، وفى هذا طعن على المسلمين . فالطعن عليهم واقع ولا محالة ، وهو خلاف ما زعموا من إبعاد من ادعوا الاسلام عن

بطلان وجوب التأمل لكل من ادعى الاسلام ودلائل ذلك

المطاعن والمقادح والأخطاء . ثم إذا كان هذا صحيحاً عندهم فما يقولون في أقوال مخالفينهم ؟ أيثبتون على زعمهم هذا ، فيقولوا : إن جميع ما يقولونه ، مما ظاهره الباطل والضلال ، صحيح مؤول لهم لأنهم مسلمون ؟ أم يتناقضون فيخطئهم ويذمهم ويمرحومهم ويزعموا فيهم المزاعم ؟

إنه لو كان صحيحاً هذا الذي ذكره من وجوب التأويل لكل مسلم لوجب عليهم التأويل لمخالفينهم ، ولكنهم لم يؤولوا لهم . ولو صح أيضاً لقفل باب الردة ولما أمكن الحكم على مسلم بالكفر والارتداد . وهذا خلاف الإجماع والضرورة . ولو صح هذا أيضاً لوجب عليهم أن يؤولوا لنا جميع ما كتبناه في كتابنا هذا من الرد عليهم والنقض لمذاهبهم ، ولكان واجباً على هذا المصنف الشيعي وعلى إخوانه أن يشتغلوا بتأويل كتابنا هذا وبتطلب الخارج الصحيحة له وبمحوه كله على أنه ثناء عليهم وتسبيح بمحمد واعتراف بجلائل أعمالهم وآثارهم في الاسلام . وهذه أضحوكة الأضحيك . ولو صح هذا أيضاً لوجب إحسان الظن بأفعال المسلمين ووجب تطلب التأويل الحسنة الفاضلة لها ، فمن رأى منهم في حانات الخمر ، وبيوت الفجور ، ووجب أن يحسن به الظن وأن يقال إنه لا يريد إلا الدين وطاعة الله وإلا نصرة الاسلام والدعوة إليه وإلى آدابه وعلوه ! ومن قتل منهم المسلمين وضربهم وأخذ أموالهم وتناول أعراضهم وأحسابهم بالاذى والزور ووجب أيضاً أن يحسن به الظن وأن يقال إنه لا يريد غير نأديبهم وحملهم على الجادة الواضحة والسبيل المسلوكة المستقيمة : وهكذا يجب أن تلتبس أمثال هذه التأويل والتفاسير لكل ما يفعله من يدعى الاسلام ومن يقول إنه مسلم ومن وضع اسمه في عداد المسلمين وعداد أسماء مواليهم . ولو صح هذا أيضاً لوجب التأويل لغير المسلمين وإحسان الظن بهم . ذلك أنه قد صح في الاسلام وصح عند المسلمين أن كل مولود يولد على الفطرة . والفطرة

التأويل لغير
المسلم إحساناً
لظن

هي الايمان الصحيح بالله وإنكار الشرك والشركاء كما قال ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه » الحديث وفي حديث آخر قد سئ : « خلقت عبادى حنفاء - وفي رواية مسلمين - فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم » وكما قال الله في كتابه : « فاقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فالأصل في جميع الناس أنهم ولدوا مؤمنين بالله برءاء من الشرك والوثنية وعبادة غير الله كما في هذه النصوص ، حتى يأتيهم ما يغير إيمانهم ودينهم وإسلامهم ، ولكن يجب على هذا الأصل الذي ذكره هؤلاء الناس أن يبقى على الأصل أيضاً فيهم أى في المشركين إحساناً للظن بهم وبقاء على الأمر الأول والفطرة الأولى التي فطرهم الله عليها . وإحسان الظن بهم يوجب التأويل لهم ، والتأويل لهم معناه أن يحمل كل ما يصدر منهم من الأقوال والأفعال الموهمة للكفر والإشراك وعبادة غير الله على الايمان والاسلام والهدى وعبادة الله وحده ، فإذا وجد منهم من يستغيث بالسيد المسيح وبأمه ، ويدعوها قائلاً : اغفرا لى ذنوبى وأهدنيا قلبي ، قيل إن ذلك القائل مؤمن بالله إيماناً صحيحاً حقاً لم يقل قولاً باطلاً ، ولم يشرك بربه شيئاً ، ولم يعبد سواه - إحساناً للظن به وبقاء على الأمر الأول وعلى الفطرة الأولى المؤمنة الموحدة - ومن روى منهم يقبل الصليب ويركع أمامه ويسجد فوقه ، ويغدو ويروح إلى الكنائس والببيع أول له أيضاً وأحسن الظن به ، وزعم أنه مسلم حقاً ، مؤمن حقاً ، وأنه باق على فطرته الصحيحة الأولى ، لم يغيرها ولم ينلها بأذى من الشرك والضلال والفند ، وهكذا يذهب ويقال في كل باطله من باطلات الشرك والضلال والغوايات .

ولو صح هذا أيضاً لكان واجباً على الأنبياء الذين بعثوا للدعوة إلى الله وإلى عبادته وحده ونسيان ما سواه أن يؤولوا لأقوامهم وأن يحسنوا الظن بهم

لماذا لم يؤول
الأنبياء
لأقوامهم

وأن يحملوا جميع ما كان يصدر منهم من الشرك وأفعاله وأقواله على المجاز والتأويل فراراً من إكفارهم والحكم عليهم بالردة والضلال : فكان واجبا عليهم ، لهذا ، ألا يسموهم بسمات المشركين الكافرين ، وألا يقولوا لهم : إنكم تعبدون غير الله ، وإنكم كافرون مشركون تعبدون الأصنام والأوثان ، وألا يستحلوا ، إذن ، قتالهم ودماءهم ولا الدعاء عليهم بالهلاك العاجل العام والموت الناجز الشامل . بل كانت واجبا عليهم أن يقولوا لأقوامهم : إنكم مؤمنون صالحون موحدون ، لا تريدون الشرك بالله ولا عبادة غيره كما قال هؤلاء في عبدة الأموات العاكفين على الاجداث أو على الأقل كان واجبا عليهم - أي على الأنبياء - أن يسألوهم عن قصدهم ومرادهم بأقوالهم وأفعالهم التي ظاهرها الشرك والكفر ، فلا يهجموا عليهم بالإكفار واستحلال القتال والدماء ، ولعلمهم إذا سألوهم عن قصدهم تبين أنهم مسلمون وأنهم غير مشركين ولا كافرين ، ولعلمهم يقولون مثل ما يقول عبدة القبور الصالحين اليوم : إننا نعلم أن الله وحده هو الخالق الرازق ، وأنه هو الموجد لكل شيء في الأرض أو في السماء حتى هذه الانصاب التي نقصدها وندعوها وتوصل بها ونرجوها للشفاء والمافية والتقريب إلى الله ذلتي . بل لعلمهم كانوا يعرفون المجاز العقلي وغيره من ضروب المجازات ، ولعلمهم كانوا يذهبون إليه في عباداتهم وأقوالهم وأدعيتهم ونداءاتهم واتصالهم بالله ربهم ، ولعلمهم أيضاً يقولون : إننا جاهلون بالالفاظ وبما يراد بها وبما وضعت له ، وإننا نفهم منها خلاف ما يفهم غيرنا وخلاف ما تفهمون منها أنتم أيها الأنبياء والمرسلون : فنحن لا نريد بدعائنا هذه الأنصاب والأصنام والمكوف عليها والضراعات لها والانتطاع اليها إلا أن تصلنا بالله وتقر بنا إليه وتشفع لنا لديه ، ونحن لا نريد أيضاً بهذه الأنصاب والأصنام إلا أن تربطنا بأنبياء لنا وصالحين كانوا فينا يدعوننا إلى عبادة الله وإلى الخير والبر ، ويندودوننا عن الشرك والكفر والشرور وسائر الآفات الخلقية

والاعتقادية . وإلا فنحن نعلم أنهم مخلوقون لله خاضعون له ، واقعون تحت سلطانه وقهره العام الشامل . فنحن موحدون لله غير مشركين به شيئاً ونعوذ بالله من الشرك وأسبابه ، ونعوذ بالله من أن نعبد معه أحداً وهو رب كل شيء خالق مافي السموات ومافي الارض ، وخالق كل شيء ؛ لعلهم إذا سئلوا عن قصدهم بمظاهره الكفر والشرك يقولون هذا ويفسرون هذا التفسير ، كما يقول عبدة المشايخ والأولياء اليوم إذا سئلوا عما يعنون بهذه المنكرات ، على ما يزعم لهم هؤلاء المخالفون المدافعون عنهم وعن ضلالهم وغيهم . وهم إذا قالوا هذه التأويل ، وأولوا هذا التأويل كانوا غير مشركين ولا كافرين ، بل كانوا من خيار المسلمين الموحدين على زعم هؤلاء المخالفين المؤولين المحرفين .

ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يفكروا في هذا المعنى ولم يذهبوا إلى ما ذهب إليه هؤلاء الناس من إحسان الظن ومن مذاهب التأويل والمجازات . فهل هؤلاء خير من أنبياء الله وأقطن منهم إلى هذا المعنى الجليل وأحرص على دماء المسلمين ؟

وبالجملة لو صح هذا الذي ذكره من أنه واجب أن يؤول لكل من ادعى الاسلام أقواله وأفعاله لا يمكن التأويل لكل أحد ولو سعه كل كلام في الدنيا ، ولما أمكن أن يحكم على مسلم ما ، بل على أحد ما ، بخطأ أو ضلال أو كفر وإشراك ؛ وهذا لا يقره إنسان ولا يقبله مسلم . وكيف يصح هذا التأويل والمذهب الذي ذكره فيه وقد قال رجل لرسول الله عليه الصلاة والسلام : ما شاء الله وشئت ، فقال رسول الله : « أجعلتني الله ندا ! بل ما شاء الله وحده » . وقد كان التأويل ممكناً لهذا القائل . وقال جماعة من المسلمين لرسول الله وقد مروا بقوم من المشركين يمكفون على شجرة يتبركون وينوطون بها أسلحتهم : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! ففضب رسول الله لهذه

لو صح هذا
التأويل لا يمكن
في كل كلام

أخبار لم ينظر
فيها إلى التأويل

المقالة وقال : « الله أكبر إنها السنن ! قلم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة » . وقد كان التأويل ممكنًا مستطاعاً لهؤلاء المسلمين القائلين . وقام خطيب يوماً بين يدي رسول الله وقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى . فقل له رسول الله : « بتس الخطيب أنت ! قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » . وقد كان التأويل لهذا الخطيب أيضاً ممكنًا مستطاعاً . وقد قال قائلون يوماً أمام رسول الله : وفيما نبي يعلم ما في غد ! فأنكر ﷺ هذه المقالة على قائلها وردّها عليهم . وقد كان التأويل ممكنًا مستطاعاً . وقد حلف عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ورسول الله يسمع بأبيه ، فأنكر عليه ﷺ حلفه وقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . وقد كان التأويل ممكنًا مستطاعاً أيضاً . وقال ﷺ : « من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » . وقد كان التأويل لمن قال ذلك من المسلمين ممكنًا مستطاعاً . وقال قائل من المسلمين له عليه الصلاة والسلام : يا نبي الله استشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ! فنضب رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال : « شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه » . وقد كان التأويل ممكنًا مستطاعاً ؟ كلا إن التأويل المطلق لا يمكن أن يجوز الذهاب إليه . فهذا الذى ذكره وزعموه كاذب باطل .

كيف يؤولون لكل
أحد وقد ضاق
التأويل من
أصحاب النية
عليه السلام

ولا ندرى كيف يدعون هذه الدعوى وكيف يزعمون أن التأويل لكل من ادعوا الاسلام واجب مطلوب وقد ضاق نطاق هذه التأويل والمجازات - وقد وسع الجلاء كلهم عندهم - عن خيار الأمة وعن صحابة النبوة وعن كل مسلم لم يكن شيعياً إمامياً اثنا عشرياً : فقد ضاق هذا النطاق عن صحابة رسول الله وعن الخلفاء الراشدين وعن جميع بنى العباس وبنى أمية وعن غيرهم من ملوك أهل السنة وسوقهم . فنالوهم جميعاً بالأكفار والاضلال والتجريح والالهام المر

المقنع . وقد كان من الميسور الممكن لو كانوا صادقين في ما يدعون ويقولون في هذا التأويل والمجاز أن يؤلوا للمسلمين تلك الأمور التي آخذوهم بها ، ويؤولوا لأبي بكر وعمر وعثمان وعمر بن العاص وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعائشة وحفصة وأم حبيبة والآخرين ما حسبه عليهم من المآخذ والملاوم الممتجرة المزورة . . . ولكن القوم لم يصدقوا لا في هذا ولا في ذاك . وإلا لو صدقوا لعلوا أن التأويل الذي يسمع هؤلاء الجهلاء المنفلين الطائفين بالقبور والأجداث يدعون وينادون ويصرخون ويشكون ويشتكون لا يمكن أن يضيق عن صحابة رسول الله من الأنصار والمهاجرين وعن غيرهم من أركان الأمة وبناء الشريعة .

فساد المجاز في دعوة الأموات

أما قول الشيعة إن المجاز العقلي جائز وارد في كلام العرب وفي كتاب الله فنقول في الجواب : نعم وإن كان وارداً جائزاً في الكلام العام وفي الكلام الخاص فإنه لا يجوز في ما يتناول الاعتقاد وما يشعر بفساد الدين .

ثم لو كان هذا المجاز جائزاً ، إطلاقاً وإجمالاً ، فيما يتناول الاعتقاد وفي ما لا يتناوله ، لكانت دعوة الأموات من المجاز الممنوع الذي لا يجوز ، إذ لا خلاف في أن من المجاز ما لا يصح استعماله وما لا يجوز الذهاب إليه ولا القول به .

ثم لو كان كل مجاز يصح استعماله والذهاب إليه والقول به ، في الاعتقادات وفي غيرها ، لكانت دعوة الأموات من غير المجاز للدلائل السابقة ، ولكانت من الحقائق الواضحة في فساد دين صاحبها واختلال اعتقاده . ثم لو لم تكن دالة على ذلك ، بل لو لم تكن دالة على شيء من الأشياء ، لكانت هي بلفظها وظاهرها من ألفاظ الضلال والشرك والارتداد . ولا خلاف بين الناس أن من الكلام ما هو كفر وما قائله كافر مرتد وإن لم يقصد به عقيدة من العقائد

ولا نوعاً من أنواع الضلال. ولو أن مسلماً طعن في الله أو في عدله وأحكامه وقضائه أو في كتبه وأنبيائه ودينه لكان مرتدّاً عند جميع المسلمين وإن كان لا يقصد بما قال إلا إضحاك الحاضرين والمزاح والتفريح ، أو نحو ذلك مما قد يكفر به كثيرون من المجان وسوقة الناس . وإننا نأبى كل الإباء أن تكون دعوة الأموات مجاراً مراداً بها غير ظاهرها ، ونأبى كل الإباء أن يكون دعاة الأموات يريدون هذا المجاز العقلي انتهى لجأ إليه هؤلاء الخدوعون الخادعون لعباد الله المضالمون لهم ، ونأبى كل الإباء أن يكون قول القائل : يا علي أو يا حسين ، أو يا عبد القادر الجيلاني ، أو يا بدوي ، أو يا رسول الله ، أو يا فلان أو فلان : أعطى أو اشفى أو اغفر ذنبي أو اهد قلبي ، يمكن أن يراد به غير الطلب الحقيقي حقيقة ونصاً .

أما قول الناس : أنبت الربيع البقل أو أنبت الماء العشب ، فهو ، إن كان مجازاً كما زعموا ، فليس كدعوة الأموات يقيناً . وذلك أن الماء والربيع - مثلاً - لا يمكن أن يعتقد أحدهما أنهما اللذان ينبتان العشب والبقل إلا نبات الحقيقي المراد هنا . أما الأموات ، أما الأنبياء والصالحون والبشر فيمكن أن تعتقد فيهم الشركة لله ، ويمكن أن يعبدوا ويؤلهوا ، بل هذا هو الواقع المشهود المنظور . فإذا وجدنا من يدعو الأموات من الأنبياء والصالحين ، أو يدعو الملائكة والجان ، لم نجد مانعاً من أن نعتقد أن ذلك الداعي مشرك بالله وأنه يعبد هؤلاء الذين يدعومهم من دون الله ، وأنه يرى أنهم يعطون حقيقة ما يسألهم وما يسألهم سواء من المشركين بربهم . أما إذا سمعنا من يقول : أنبت الربيع البقل والماء العشب فلا يمكن أن نعتقد أن قائل هذا يشرك بالله ويعبد الربيع والماء ويرى أنهما إلهان ينبتان حقيقة ... فكان المجاز في مثل هذا ظاهراً لا شك فيه ولا خلاف .

المجاز في قولهم
أنبت الربيع
البقل وجوابه

والدليل على صحة ما ذكرناه أننا نجد فرقاً بين قولنا : أنبت الربيع البقل والماء العشب ، وبين أن يقال إن الطبيعة خلقتنا ، أو الشمس هي التي تخلق الخلق وهي الرازقة ، والمحياة المميتة لهم . فان من قال هذا عد ضالاً . مفترياً بالاجماع والضرورة . وكذلك من قال : إن الملائكة هم الذين يخلقون الناس ويرزقونهم ويشفونهم ويفنونهم ، وهم الذين يفنونهم ويوجدون لهم جميع ما يحتاجون إليه في الأرض أو في السموات ، عد ضالاً . مفترياً . وكذلك من قال : إن محمداً أو عيسى أو موسى أو غيرهم من الأنبياء هم الذين خلقوا السماء أو خلقوا الأرض أو خلقوا البشر أو خلقوا الجنة والنار والقيامة أو نحو ذلك عد ضالاً مفترياً جاهلاً بلا نزاع . ولكن من قال : أنبت الربيع البقل والماء العشب لم يعد ضالاً ولا قاتلاً منكراً . لأن قوله هذا لا يدل على عقيدة فاسدة ولا رأى ضال لظهور المراد منه .

ويوضح فساد ما زعموا أنه لا يصح أن يقول مسلم : إن محمداً رسول الله أو إن أباً بكر أو عمر أو علياً أو غيرهم من الأموات يلبثون البقل والعشب . وينزلون المطر والغيث ، أو يسوقون السحاب ويفيئون البلاد والعباد . مع أنه يصح أن يقال : إن الربيع ينبت البقل والعشب ، وإن الرياح تسوق السحاب وتحمل الغيث والماء ، وإن السحاب يغيث العباد والبلاد . . . فلماذا صح هذا ولم يصح هذا وكلاهما مجازي ما زعموا ؟ إن المخالفين إذا عرفوا هذا جيداً عرفوا الفرق البين بين قول الناس : أنبت الربيع البقل وبين دعوة الأموات وسؤالهم أفعال الله ، وعرفوا أن هذا يجوز وذاك لا يجوز بلا غرابة ولا إشكال .

وأيضاً هنالك فرق بين دعوة الميتين وبين قول الناس أنبت الربيع البقل والماء العشب . ذلك أن الأول طلب والثاني خبر ، وبين الأمرين فرق حقيقي عظيم معروف ، وليس كل ما جاز لإخباراً جاز طلباً . والدليل على هذا الفرق الواضح أنه صح أن يقال أنبت الربيع البقل والماء العشب ولم يصح أنه

يوضح فساد ما زعموا

فرق بين الاخبار والطلب

يقال : يا ربِّع أنبت البقل ، ويا ماء أنبت العشب . على أن يكون طلبا كالطلب في دعاء المشايخ والصلحين من الأموات . وإذا كان هذا المثل الواحد يجوز اخباراً ويمنع طلباً وإنشاء فكيف يستدلون بالمثل الاخبارى على مثل آخر طلبى لإنشائى ؟ ومثل هذا أن الناس يقولون : أروانا الماء وأشبعنا الطعام ، ولكنهم لا يقولون : يا ماء أرونا ، ويا طعام أشبعنا . ومن قال هذا عد سخيفاً أو ذاهباً مذهب المتجوزين المازحين المتلاعبين بالكلام والألفاظ . والفرق بين النوعين : الكلام الاخبارى والطلبى الانشائى ظاهر واضح . ذلك أن المخبر ليس طالباً ولا راجياً ولا ضارحاً ولا مؤملاً ذالاً ، بل هو ملق للمخبر كما هو أو كما يبدو له . أما الطالب كطالب المشايخ والصلحين الميتين فإنه راج ضارع خائف ذليل في طلبه ، خاشع فيه مؤمل أن ينال به شيئاً وأن يدرك به مطلوباً وحاجة من الحاج ، معتقد بأن طلبه ينفعه وأن تركه يضره ، أى يفنيه شيئاً وهو ما يرجو نيله بطلبه ، ولهذا فإنه يطلب ويدعو لينال ويدرك ، ثم يخضع في طلبه ودعائه وينذل ويخاضع ويخضع ليكون أقرب إلى نيل ما رغب فيه وما احتاج إليه . . . وهذه المعانى هى خلاصة معانى العبادة . أما المخبر القائل : أنبت الربيع البقل والماء العشب فليس فى إخباره شئ من هذه المعانى . فالمسوى بين الأمرين مصاب فى أعز شئ لديه . وأيضا القائل للميت مثلاً : اغفر ذنبى أو اهد قلبى يستطيع أن ينطق بحقيقة ما يطلب وحقيقة ما يريد . فيستطيع أن يقول : يا فلان اشفع لى عند ربك أو ادعه لى ليغفر ذنبى ويهدى قلبى . وهذا هو حقيقة ما يطلبه ويقصده دعاة الموتى على ما يقول المدافعون عنهم . فما الذى جعل هؤلاء الضلال يعدلون عن حقيقة الكلام إلى مجازة ؟ ولماذا لا ينطقون ويصرحون بما يعنون ؟ إن كانوا يريدون البلاغة فلا ريب أن هذا الذى ذهبوا إليه لا بلاغة فيه ، وإن كانوا يعتقدون أن هذا أقرب إلى الإجابة وإدراك المستول فهذا هو

الغفلال والخبال وسوء الاعتقاد . فلا شك أنهم ما قالوا إلا ما اعتقدوا وما أجنوا في ضماهم ، ولا شك أن الذي اعتقدوه وأجنوه هو أن المشايخ يعطون ويقدمون على الاعطاء والمنع والضر والنفع حقيقة .

ماذا يقال لو لم يقل هذا

أما القائل : أنبت الربيع البقل وأمثاله فإذا يقول لو عدل عن هذا التعبير وما القول الذي يؤدي الغرض سواء ؟ أيقول : أنبت الله البقل بالربيع ؟ إن هذا القول ركيك مع ما فيه من إيهام في الظاهر لا يقلل عن الإيهام في أنبت الربيع البقل . ذلك أن الباء في مثل « بالربيع » تشعر بالسببية والابستماناة ، فيشعر قول القائل : أنبت الله البقل بالربيع أن الله قد خلق البقل وأوجده بسبب الربيع مستعينا به ، كما يقال قطعت بالسكين أو بالسيف ونحوه . والله منزّه عن أن يستعين بشيء وأن يحتاج في فعله وخلقه وشأنه إلى سبب من الأسباب . ولأجل هذا كان اختيار هذا التعبير على قول الناس : أنبت الربيع البقل اختياراً مرغوباً عنه لأنه إذا كان في هذا التعبير محذور وإيهام كان في ذلك التعبير من المحذور والإيهام ما هو أشد وأوضح . ولنا نزع أن في مثل هذه العبارة : « أنبت الله البقل بالربيع » الآن إيهاماً ومحذوراً ، وأنه لا يجوز استعمالها لذلك ، كلا ، وإنما نقول : إنه إذا كان في العبارة الأخرى إيهام ومحذور كانت هذه العبارة أكثر إيهاماً ومحذوراً ، فلا معنى إذن لترجيح هذا التعبير على التعبير الذي ذكره وزعموه مجازاً . وإذن فإيثار هذا على هذا باطل مرغوب عنه .

أم يقول مثلاً : نبت البقل ؟ إنه إذا قال هكذا لم يخرج قوله عن حدود المجاز وعن منطقة الإيهام . ذلك أنه من غير الحقيقة أن يعزى مثل هذا الفعل الذي هو « نبت » إلى البقل إذا لم يكن من الحقيقة عزو الانبات إلى الربيع فالجواز باق موجود في عزو الفعل إلى البقل نفسه ، فالمدول عن التعبير به لا يصنع شيئاً . فإذا يقول من يريد الاخبار عن معنى الجملة المذكورة إذا رغب عنها هي ؟

حقيقة هذا المجاز نفسها لا يجوز

ويقال أيضاً إن الحقيقة التي زعموها في دعوات دعاء الأموات حقيقة لا يصح سؤالها من الموتى حتى ولو صرح بها وعدل عن مجازها. فإن الحقيقة التي ادعوا أن الهاتفين بالصلحين والأموات يريدونها هي طلب الشفاعة والوساطة والدعاء منهم. ولكننا قد قدمنا الدلائل في بحث الشفاعة على أنه لا يصح طلبها ولا سؤالها من الموتى، وقدسنا أنه من غير الدين والاسلام أن يقول قائل لهالك من الهلكى : يا فلان اشفع لى أو ادع الله لى أو أسألك الشفاعة والوساطة عند ربك أو نحو ذلك. وقد أوردنا البراهين المختلفة على بطلان هذا وخروجه على الدين والعقل ومبادئه للمعقولات والمنقولات. وإذا كان الكلام لا يصح لاحقيقة ولا مجازاً كان قائله خاطئاً غلطاً، وإذا لم نميز إرادة حقيقة قول ولا إرادة مجازه كان هو غير جائز وغير مقبول. فضاء المشايخ الميتين ممنوع شرعاً سواء أأريد به الحقيقة أم أريد به المجاز، وسواء أادعى أنه على ظاهره أم ادعى أنه مؤول مصروف عن ظاهره. فإنا لا نرتاب في أن قول القائل لأحد الأموات : يا فلان اشفع لى أو ادع الله لى قول قد جاء الدين بجملته وبتفصيله مبطلا له رادا على قائليه.

ونحن نشك في كون هذا مجازاً

ويقال أيضاً : إننا نشك في كون قول الناس : أنبت الربيع البقل مجازاً، ونرى أنه لا مانع من أن يكون حقيقة. والاختلاف فيه راجع إلى الاختلاف في معنى « الانبات » ولعل الانبات في اللغة لا يمانع أن يكون عزوه إلى الربيع حقيقة ولا يحتم أن يكون مجازاً، ولعل بعض الناس يفسره تفسيراً لا يرى معه أن نسبته إلى غير الله على سبيل الحقيقة ممنوعة. ونحن نشك كل الشك في أن قولهم : قطعت السكين أو قطع السيف مجاز، ولا نجد مانعاً من أن يعد حقيقة، ونرى أن من حكم على مثل هذا بأنه مجاز، قولاً واحداً، فقد جازف وتسرع واقتحم أمراً ما أقرب به إلى أن يكون خطأ باطلاً. ونسبة القطع إلى السكين وإلى السيف كنسبة

الانبات إلى الربيع وإلى الماء ، فهما سواء . هذا هو الجواب عن قولهم أنبت الربيع البقل . ومما ذكرناه يعرف الجواب عن قولهم : بنى الأمير المدينة وعن أمثاله . أما قوله تعالى « وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً » من سورة النساء ، ومثله قوله تعالى من السورة نفسها « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً » .

الجواب من قول الله « فارزقوهم منه »

معنى رزق

فالجواب أن يقال إن « رزقه » معناه أعطاه رزقاً أو هذا من معانيه . وليس بلازم أن يكون « رزق » معناه خالق الرزق وأوجده من العدم . وقد قال الاصفهاني في غريب القرآن : « الرزق يقال للمعطاء الجاري تارة دنيوياً كان أم آخروياً ، وللنصيب تارة : ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة . يقال أعطى السلطان رزق الجنود ، ورزقت علماً (إلى أن قال) والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله ، ويقال ذلك للإنسان الذي يصير سبباً في وصول الرزق . ويقال ارتزق الجنود أخذوا أرزاقهم . والرزقة ما يعطونه دفعة واحدة » .

فاذا كان رزق معناه أعطى الرزق فقول الله : « فارزقوهم منه » معناه أعطوهم من المال الذي حضروا قسمته نصيباً هو منحة منه تعالى ورزق أوجبه لهم . وكذلك قوله تعالى في الآية الأخرى « وارزقوهم فيها » معناه أعطوهم فيها نصيباً يكفيهم ويعولهم . وإذا لم يكن في قولهم : أعطى فلان فلاناً مالاً ونحوه مجاز لم يكن في قولهم : رزق الملك جنده . أو رزق السيد رقيقه أو « فارزقوهم منه » مجاز . لأن رزق من معانيها أعطى كما ذكره الاصفهاني وكما ذكر أهل اللغة . والمسألة مسألة لسانية ، الحكم فيها يرجع إلى أهل اللسان . فاذا نص أهل اللسان وعلماء اللغة ونقلتها على أن « رزق » يكون بمعنى أعطى كان قولهم حقاً وحكمهم مقبولاً . ولا خلاف بين أهل اللسان أن قول الناس : أعطى فلان فلاناً شيئاً حقيقة

إذا كان مراداً به المعنى المفهوم القريب الشائع ، فيجب أن يكون مثله كلمة «رزق»
التي هي بمعنى أعطى . وهذا واضح .

ويوضح ما ذكرناه ويفسد ما ذكره أنه لا يجوز أن يقال : إن الأموات ^{وبدل على هذا}
يرزقون الأحياء ، وإن الشيخ فلانا الهالك منذ الأزمان والأحقاب يرزق أهل ^{أنه لا يجوز}
بلدته أو يرزق أهله وأقربيه ، أو يرزق من يلوذون به ويطوفون بقبره وأمثال ^{إضافة الرزق إلى}
هذا ، مع جواز أن يقال : رزق الملك جنده والسيد عبيده . وما نظن هؤلاء ^{الأموات}
يجرمون على أن يزعموا أنه يجوز هذا الذي ذكرناه أنه لا يجوز . وهذا لأن رزق
معناه أعطى ومن ماتوا لا يقدرن على أن يعطوا شيئاً . ولو كان رزق هنا مجازاً
وكان يجوز نسبة أمثاله إلى الموتى على سبيل المجاز لكان من المجاز الجائز أن يقال
إن الشيخ فلاناً من الأموات يرزق زائرته ويرزق أهل بلدته وأولى قرابته . ولكن
لا شك في امتناع هذه المقالة ، وبالتالي لا شك في بطلان دعوى هذا المؤلف .
فالآية على كل حال لا يمكن أن تكون حجة له . وذلك أنه لا يستطيع أن
يزعم بأن الرزق يصح أن يضاف إلى كل إنسان إذا صح أن يكون مجازاً واستوفى
شروطه أى شروط المجاز ، فلا يمكن أن يدعى أن من الجائز ومن الاسلام والعلم
والبلاغة أن يقال : إن على بن أبى طالب يرزق أهل النجف ، أو أن الحسين
يرزق أهل كربلاء ، أو أن عبد القادر الجيلاني يرزق أهل بغداد ، أو أن الإمام
«الشافعي» يرزق أهل القاهرة ، أو أن الرسول أو أبابكر أو عمر يرزق أهل الحجاز .
فهذا وأمثاله لا نحسب الخالف يميزه وإن قصد به قائله المجاز والتأويل ، وإذا
كان هذا ممتنعاً بالاجماع ، أى باجماعنا وإجماع المخالفين لنا ، كان استدلالهم ^{برهان باهر}
بالآية المذكورة استدلالاً مرغوباً عنه مهجوراً . فانهم إذا قالوا بجواز أن يطلب من
«الموتى» مالا يستطيعه إلا الله على سبيل المجاز بدليل قوله : « فارزقوهم منه » قلنا
لهم : إذا لم تجوزوا أنتم نسبة الرزق إلى كل ولي ونبى وصالح - وهو صحيح مجازاً

وبلاغة - فكيف تجوزون غيره استدلالاً به ؟ أى كيف تستدلون على جواز
الشيء بشئ آخر وافقتم على امتناعه هو فى نفسه ، ومتى كان الدليل باطلاً كان المدلل
عليه أبطال ، وإذا كانت الحجة غير صحيحة كان المحتج له أيضاً غير صحيح .
ولا شك أن كلمة : « فارزقوم منه » النازلة فى الأحياء إذا لم تدل على صحة
نسبة الرزق إلى الأموات لم يصح أن يستدل بها على صحة نسبة غفران الذنوب
وهداية القلوب وشفاء المرضى إليهم أو طلب ذلك منهم . .

أما قوله تعالى : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا : حسبنا الله
سيؤتيانا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون »

الجواب من قول
الله ولو أنهم
رضوا ما آتاهم
الله ورسوله

فالجواب أن يقال : إن الإتياء يضاف إلى المخلوق حقيقة بالاجماع وضرورة
اللسان . وقد جاء فى كتاب الله نسبة الإتياء إلى المخلوق : إلى الرسول وإلى
المسلمين وإلى المشركين فيما لا يخصه من الآيات ، وورد الأمر به فى غير ما آية
من كتاب الله . ولا يتنازع الناس فى أنه حقيقة ، وفى أنه ليس مجازاً ، وفى أنه
باق على ظاهره غير مؤول ولا مصروف عما يثب إلى الفهم منه وما دعى أحد من
الناس أن نسبة الإتياء إلى رسول الله من نسبة فعل الله وما يختص به إلى عباده .
فأنى إشكال ، أو أى مجاز فى قوله : « ما آتاهم الله ورسوله » وقوله : « سيؤتيانا
الله من فضله ورسوله » فإن المراد بما آتاهم الله الصدقات والأموال التى يفرقها
عليهم ، المجموعة إليه من الزكوات والمغانم التى غنمها أنصار الله من أعداء الله
وأعدائهم . والمراد به أيضاً الهدى الذى جاءهم به والدين الذى اختار الله لهم
والخير العظيم العميم الذى سينالونه إذا ما اتبعوه وآمنوا به . ولا ريب أن الرسول
يؤتيهم الأموال حقيقة ، ويفرق المغانم عليهم حقيقة ، ويعطيهم أيضاً حقيقة ،
ولا ريب أنه آتاهم بالاسلام وبالقرآن وبالخير حقيقة . فما المجاز وما الإشكال فى
قوله : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله » ومن يستطيع أن يقيس إضافة

صلى الله عليه
والآله وسلم

غفر الذنوب وإرشاد القلوب وشفاء ذوى العلل وإيجاد ما ليس موجوداً إلى الخلق بإضافة الايتاء إلى الرسول عليه السلام ؟؟ وشتان ما بين الأمرين !!! فان الذنوب لا ينفرها إلا الله ، والقلوب لا يضع فيها الهدى سوى الله ، والعلل لا يكشفها سوى الله أيضاً . أما الايتاء فالرسول يؤتى ، والمسلم يؤتى ، والمشرِك يؤتى ، ورب العالمين يؤتى ، لأن الايتاء مثل الاعطاء ، والاعطاء ليس من الأفعال الخاصة بالله . ولهذا فرقت الآية بين الايتاء وبين الحسب والرغبة ، فجعلت الايتاء مضافاً إلى الله وإلى الرسول ، وجعلت الحسب خاصاً بالله ، وكذلك الرغبة ، قال في الآية : « وقالوا حسبنا الله » وقال في آخرها : « إنا إلى الله راغبون » ولم يقل فيها : حسبنا الله ورسوله ، ولا : إنا إلى الله ورسوله راغبون . وذلك أن هناك فرقاً بين الحسب والرغبة وبين الايتاء . فالله وحده حسب الخلق جميعاً ، والخلق لا يرغبون إلا إلى الله ربهم . فان الحسب هو الكافي . ومن يكون كافياً سوى الله ؟ قال تعالى : « أليس الله بكاف عبده » والناس لا يرغبون الرغبة المطلقة إلا إلى ربهم وخالقهم كما قال تعالى : « فاذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب » وكما قال : « ففروا إلى الله » ، وقال : « وظنوا أنه لاملجأ من الله إلا إليه » .

فأضافة الايتاء هنا إلى رسول الله لا دليل فيه ألينة على ما زعم المخالف فانه لم يدع أحد من مخالفيه أن الايتاء لا يمزى إلا إلى الله ، ولا أنه من الصفات الخاصة به تعالى حتى يتاح له أن يتخذ منه حجة على جواز إضافة غفران الذنوب وهداية القلوب إلى الموتى . على أن هاهنا أمراً غفل عنه المخالف في استدلاله بهذه الآية والآية التي قبلها : هذا الأمر الذي غفل عنه هو أن هذا الايتاء المضاف إلى رسول الله وهذا الرزق المضاف إلى المسلمين في قوله « فارزقوهم منه » أضيفا إلى الأحياء لا إلى الموتى ، ومخالفوه لا يمانعون في إضافة أمثال ذلك إلى

التفريق بين
الايتاء وبين
الحسب والرغبة

الأحياء ، وإنما الخلاف والنزاع في إضافته إلى الموتى . فلا يندن هذا عن بال المخالف ...

وأما قوله تعالى : « وما تقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » .
 فالجواب عنها كالجواب عن الآية قبلها . فإن الإغناء معناه إيصال الثروة والغنى . وهذا في استطاعة المخلوق أن يفعله كالإيتاء والاعطاء سواء ، فمن أوصل إليك ثروة فقد أغناك ، ومن أعطاك مالا جزيلاً فقد أغناك . وليس معنى الإغناء خاصاً بإيجاد الغنى وخلقته ، كما أن معنى الإيتاء والرزق ليس خاصاً بخلقته وإيجاده من أسر العدم . وبقية الجواب عن هذه الآية يرجع إليه في الكلام على الآية التي قبلها وهي قوله : « فارتزقوا منه » .

الجواب من قول
 الله إلا أن أغناهم
 الله ورسوله من
 فضله

وأما قوله تعالى عن عيسى عليه السلام : « إني قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم . إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » .

فالجواب أن يقال إن استدلال الرافضى بهذه الآية من غريب الاستدلالات وباطلاتها . ذلك أن هذه الأمور التي أضافها إلى عبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام من الخوارق والمعجزات جعلها الله البرهان القاهر الظاهر على نبوته وصدق رسالته واتصاله بالله اتصال النبي بالاله والرسول بالمرسل . وما زعم أحد من علماء الملة المهتدين أن إضافة هذه الأمور إلى عيسى بن مريم إضافة مجازية غير حقيقة على المعنى الذى يذهب إليه هذا المخالف ، بل أجمعوا على أنها حقيقة لا مجاز ، وأجمعوا على أن عيسى عليه السلام كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى باذن الله ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله حقيقة لا مجازاً ، وأجمعوا على أن إضافتها خاصة به دون سواء ممن لم

الجواب مما
 أضاف الله إلى
 عيسى بن مريم
 من الخوارق
 والمعجزات

يعطوا هذه الخوارق والمعجزات الالهية العظيمة ، وأجمعوا على أنه من الضلال وشر الخيال والكذب على الله أن يقال : إن على بن طالب أو الحسن أو الحسين أو عبد القادر الجيلاني أو الامام الشافعي أو البدوي أو الدسوقي أو الرافعي أو غيرهم من العلماء والصالحين والمشايخ المشهورين كانوا يحيون الأموات وكانوا يبرئون الأكف والأبرص ويخلقون من الطين كهيئة الطير فينفخون فيه فيكون طيراً باذن الله . ولا يشكون أن من قال ذلك فقد ضل وغوى مع أنهم قد أجمعوا على وجوب إضافة ذلك كله إلى عيسى عليه السلام وعلى صدق إضافته ، وأجمعوا على وجوب قبوله والايمان به ظاهراً وباطناً على ظاهره لا تأويل ولا جدال ، وأجمعوا على أن من رام شيئاً من هذا فقد خرج عن منهاج المسلمين ومنهاج سلف الأمة وحفظه الشريعة . . . فما مراد الرافضي بإيراد ما خص الله به عبده ورسوله عيسى عليه السلام هنا ؟ هل يريد أن يدعى أنه عليه السلام ما كان يحى الموتى ولا كان يبرىء الأكف والأبرص ولا كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله حقيقة ؟ وهل يريد أن يزعم أن عيسى ما كان يفعل شيئاً من ذلك وإنما أضيف إليه على مذهب الحجاز والتوسع في الكلام كما زعم في إضافة غفران الذنوب وإرشاد القلوب إلى المشايخ والصالحين من الأموات العاجزين .

ولا مفر له من أن يقول إن عيسى كان يفعل هذه الأمور المذكورة باذن الله حقيقة لا مجازاً ، أو يقول إن عيسى ما كان يفعل منها شيئاً حقيقة زاعماً أن نسبتها إليه لم تعد أن تكون مجازاً وأن تكون من نسبة الفعل إلى غير فاعله على سبيل المجاز العقلي كما في قولهم : بنى الأمير المدينة ، وأثبت الربيع البقل . فان ذهب إلى الأمر الأول وذهب إلى اختياره قيل : إذن فلماذا ذكر هذا هنا وهو ليس منه ولا قريباً إليه ؟ فانه إذا كان عبداً من عباد الله ، كمعيسى أو غيره ،

اما ان يقول ان
عيسى كان يفعل
هذه الامور او لم
يكن يفعل منها
شيئاً

يحجي الميت ويرى الأكمة والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، فأضاف الله إليه ذلك حقيقة لم يدل على جواز إضافة غفران الذنوب وإرشاد القلوب وشفاء المرضى ورجع الغائبين إلى المشايخ الميتين ، الذاهبين ، وهم في الحقيقة لا يفعلون شيئاً من ذلك ولا يقدرّون على شيء منه وإنما هم أسباب فقط وأما إن اختار الثاني ، أى اختار أن إضافة هذه الأشياء إلى عيسى إضافة مجازية لا حقيقية ، واختار أن عيسى لم يكن يفعل منها شيئاً ، فزعم أن نسبتها إليه كنسبة غفران الذنوب وهداية القلوب وشفاء المرضى ودفع الأحداث الكبرى إلى الأشيخ الميتين فقد اختار ساعتئذ ما أجمع المسلمون على بطلانه وفساده . ولا يذهب إلى هذا إلا من ذهب إلى إنكار الخوارق والمعجزات ، وذهب إلى إنكار معجزات جميع الأنبياء وكرامات جميع الأولياء ، وذهب إلى تأويل ما ذكره الله في كتابه من معجزات أنبيائه وكرامات أوليائه ، وما اتفق المسلمون في جميع العصور على إثباته وإقراره . ولكن كيف يذهب إلى هذا والشبهة من أخضع الخلق للخوارق حتى إنهم ينسبون إلى أئمة آل البيت منها ما يعسر على غير العقل الشيعي والمنطق الامامي الاثنا عشرى أن يؤمن به وأن يقبله . فهذا الشيعي إذن غير موفق ولا راشد لا عند طائفته ولا عند مخالفيه من أهل السنة حينما ذكر معجزات عيسى عليه الصلاة والسلام في مقام التدليل على جواز دعوة الأهوات وجواز إضافة أفعال الله الخاصة به إليهم . ولو صح له أن يخرج على إجماع المسلمين وعلى إجماع طائفته واستطاع أن يؤول ما ذكره الله لعبده عيسى عليه السلام لكان من الجائز عنده أن يقال إن غير عيسى كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وكان يرى الأكمة والأبرص ويحجي الموتى ، وكان يلقي الناس بما يأكلون ويشربون . وبما يسخرون في بيوتهم . ولكانت نسبة هذه الأمور إلى عيسى كنسبتها إلى غيره

من المشايخ والصالحين وإلى سائر عباد الله الذين ترجى دعواتهم وشفاعاتهم .
يا هذا ، لقد طاشت سهام الاحتجاج هذه المرة كثيراً ! فان عيسى كان حتماً يحىي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخافى من الطين مثل هيئة الطير فينفخ فيه .
فيكون طيراً صحيحاً باذن الله ، وكان ينهى أتباعه وحواريه بما كانوا يأكلون وبما كانوا يدخرون في بيوتهم . ويعنى بهذا أنه كان يعلم هذا القسم من الغيب بإعلام الله إياه وإطلاعه عليه . وقد كانت هذه الافعال من معجزاته ودلائل نبوته وبراهين صدقه وتصديق الله له . ولهذا يقول الله فى الآية المذكورة : « إني قد جئتكم بآية من ربكم : إني أخلق لكم من الطين « الآية . فالآية التى جاءهم بها من ربهم هى ما فصله فى الآية من هذه المعجزات والخوارق المدهشة ، وقد قال فى آخر الآية : « إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » يعنى أن فى هذه بالمعجزات دلالة على نبوته وصدق رسالته وتصديق الله لها .

فهذا الذى ذكره القرآن عن عيسى عليه السلام لم يكن إلا آيات شاهدة قاطقة على أنه رسول الله . وما خص الله به الرسل والأنبياء من المعجزات والآيات لا يصح أن يضاف إلى غيرهم ، ولا أن يسوى فيه بينهم وبينهم . وقد وهب الله عيسى آيات ووهب موسى آيات ، ووهب إبراهيم آيات ، ووهب نوحاً آيات ، ووهب صالحاً آيات ، ووهب خاتم الأنبياء محمداً آيات ، ووهب كل نبي آيات خاصة به أو مشتركة بينه وبين غيره من الأنبياء والمرسلين . ولكن آياتهم لا يجوز أن تضاف هى ولا أمثالها إلى عامة المسلمين ولا عامة الصالحين ولا عامة الأولياء ممن ليسوا بأنبياء . وآياتهم أيضاً لا يجوز أن يقال إن إضاقتها إليهم غير حقيقية ولا أنها مؤولة مصروفة عن ظاهرها إلى المجاز والاستعارات . فان موسى عليه الصلاة والسلام ضرب مثلاً بمصاه البحر فانفلق وانشق بضرته له ولا نصاره المؤمنين طريق ييس ، وقد ضرب بمصاه الحجر فانفجرت منه

معجزات
الانبياء حقيقة
لا يقال انها مجاز
غير حقيقة

اثنتا عشرة عيناً . ولا يصح أن يقال إن هذا مجاز وإنه غير حقيقة . وكذلك كان نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام يخلق من الطين كهيئة الطير - وخلق هنا هو التقدير - فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذن الله ويخبر أصحابه وأتباعه بما كانوا يأكلون وبما كانوا يدخرون في منازلهم . ولا يصح أن يقال إن هذا مجاز وإنه غير حقيقة ، وهكذا الأمر والقول في معجزات جميع النبيين .

وليس كل ما جاز للأنبياء يكون جائزاً لفيرم ، وقد جاز لنبي الله يعقوب ولزوجه وبنيه أن يسجدوا ليوسف عليهم الصلاة والسلام ، وجاز للملائكة أن يسجدوا لآدم . والرافضى المخالف يزعم أن هذا السجود كان سجوداً حقيقياً . وليس بجائز لمسلم اليوم أن يسجد لمخلوق ما وإن كان من كان . ولو أن مسلماً سجد لولى أو لنبي محتجاً بهذا السجود لكان من الضالين الجاهلين باتفاق المسلمين . ومثله من أجاز إضافة أفعال الله - كغفران الذنوب وإرشاد القلوب إلى الأموات والمشايخ - محتجاً بإضافة أحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص إلى عبد الله ورسوله عيسى بن مريم . فان هذين الاحتجاجين - بالنسبة إلى الخطأ والجهل في قرن واحد . وكذلك قد كان من آيات الله وآلائه على عبده وخاتم أنبيائه ورسله أن عرج به إلى السموات العلى وأن قر به منه نجياً حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، وأن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأن أراه في إسرائه ومعراجيه من آياته الكبرى ما أرى ، وأن أنزل عليه هذا الكتاب المخصوص بالعجاز الخالد وبالخلود المعجز ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . . . وليس بجائز أن يقال إن غيره عليه الصلاة والسلام من الصالحين ومن العلماء الربانيين والأولياء المشهورين يمكن أن ينالوا ما قال وأن يعطوا ما أعطى  من هذه الآيات والآلاء ، وليس بجائز أن يضاف مثلها إلى أفراد المسلمين . .

ليس كل ما جاز
للأنبياء يجوز
لسواهم من
اتباعهم .

فالمسلمون كافة يقولون إن محمداً عليه السلام عرج وأسرى به وأنزل عليه الكتاب الخالد المعجز، وأعطى غير هذا من المعجزات مثل تكثير الطعام والشراب ونبوع الماء من بين أصابعه الشريفة ، إلى آخره . . . ولكنهم لا يقولون إن غيره من أنصاره المؤمنين به أعطى ذلك ، ولا يستجيزون هذا القول ، بل هم يرون أن من قاله فهو كاذب جاهل ضال . ومثله من أجاز إضافة خفران الذنوب وهداية القلوب وغيرها من أفعال الله إلى عبد من عبده الموقى احتجاجاً بأن الله أضاف إلى عيسى بن مريم إحياء الأموات وإبراء الأكف والأبرص . . . فهذا الاحتجاجان في صنف واحد من أصناف الباطل والخطأ والضلال . فالرافضى إذن قد بعد في هذا الاستدلال عن التوفيق كل التوفيق .

ثم ماذا يرى في هذا الاحتجاج وهذا الاستدلال ؟ أرى أنه يجوز أن يقول المسلم : إن الشيخ فلاناً والشيخ فلاناً من الأموات أو من الأحياء يحييان الموقى ويرئان الأكف والأبرص ويخلقان من الطين مثل هيئة الطير ثم ينفخان فيها فتكون طيراً بأذن الله ، وإنهما أيضاً يلبسان الناس بما يأكلون وبما يدخرون في منازلهم ، وإنهما يملكان الغيب ؟ أرى أنه جائز للمسلم أن يقول هذا في شيخ من الأشيخ أو مسلم من المسلمين الأحياء أو الميتين ؟ إن كان يرى جواز هذه المقالة فقد خرج عن إجماع الأولين والآخرين من المسلمين وعاند الضرورة واستباح الحى ، حى الدين واللغة والعقل ، وما نحسبه بجهله . . . وإن كان يرى أنه لا يجوز أن يقال هذه الأقوال مع أنها قد قيلت في حق عيسى بن مريم وصديق تالوها فقد بطل الاحتجاج والقياس ، وخرج من المعركة بالهزيمة الفادحة وبالفشل الفظيع . فهذه الحجة باطلة على جميع الفروض ، فاسدة لديه ولدى مخالفيه .

قول أحد الصحابة
لفي عليه السلام
أسألك عن الجنة
في الجنة

وأما قول الصحابي للرسول عليه الصلاة والسلام : أسألك مرافقتك في الجنة . فالجواب أن يقال : إن الصحابي سأله المرافقة في الجنة ولم يسأله إدخال الجنة . وذلك

أن مرافقته في الجنة يملكها الرسول عليه السلام لمن دخلها ولكنه لا يملك إدخالها . والمراقبة في الجنة معناها أن يكونا رفيقين فيها حينما يدخلانها وإن كان كل منهما لا يستطيع أن يدخل الآخر . ومثل هذا أن تريد الحج هذا العام ويريد أيضاً صديقك فيسافر أحدهما قبل الآخر فنقول ، أو يقول لك : أريد منك أن تنزل معي في مكان كذا ، وأرجوك أن تقابلني وأن تسدي إليّ هناك المعونة وأمثال ذلك . . . فهذا ونظائره من الكلام يجوز وإن كان كل واحد منك لا يستطيع أن يحمل صاحبه إلى الحجاز ، ولا أن يميز له السفر ، ودخول البلاد ، بل وإن كان أحدهما محكوماً عليه ألا يدخل البلاد وألا يطأ بقدميه أرضها . ومثله أن تقول لأحد أصدقائك أو أقربائك من المسلمين الصالحين : أسألك بإفلاّن أن تلقاني في الجنة وأن تراقبني وأن تريني وجهك فيها . فهذا يجوز قوله بلا ريب ، وإن كان لا يجوز أن تقول له : يا فلان أسألك أن تدخاني الجنة وأن ترحضني عن النار ، ولا أن تغفر لي ذنبي وأن تهدي قلبي . وذلك أن المراقبة في الجنة أو في مكان آخر تملك وإن كان لا يملك الايصال إليها ولا إليه . فيجوز أن تسأل ما يستطيع دون ما لا يستطيع .

فتأويل قول الصحابي للرسول : أسألك مرافقتك في الجنة أن يكون قد علم . أو ظن ظناً قوياً أنه سوف يقبض على إيمانه وإسلامه ، وسوف يلقي الله مسلماً . مؤمناً غير مشرك ولا كافر به . وقد علم أن من لقي ربه بالإيمان والاسلام فلا بد له من دخوله الجنة . ولا بد من زحزحته عن النيران ، لأن الله أعدل من يجازي على الحسنات ، وأعدل من لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ولأنه تعالى لا يمكن أن يجازي على الحسنات والخير والبر والإيمان والاسلام العذاب والنار . والشقاء . وقد سمع ضمانه الله الجنة في كتابه للمؤمنين والمسلمين الصادقين في إيمانهم وإسلامهم . ومن أصدق من الله قولاً ووعداً ! ومن أحق منه تعالى بإيفاء ضمانته

وكفالاته ! وقد علم أيضاً كماله النبي عليه الصلاة والسلام الجنة لمن آمن به وصدق وأحسن في إيمانه . وقد علم أن من اختارهم الله لرسالته وبشارته لا يمكن أن يكذبوا في وعدهم ، ولا أن يفروا أنصارهم المؤمنين بهم المتبعين لهم ، الواهبين لما جاءهم به نفوسهم وأرواحهم وأبدانهم وأولادهم وكل ما يملكون : علم الصحابي هذا كله ، فعلم أنه صائر بتوفيق الله إلى الجنة بإسلامه وإيمانه وإحسان الله الشامل ، ولكن خاف أن يفوته هنالك أحب شيء إليه . خاف ألا يرى ثم النبي ، ورؤياه هي أعظم مني المسلم بعد رضا الله ورؤية وجهه الكريم ودخول جنته ، فقال : يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة لأني لن أطيق فراقك ولا البعد عنك وإن كنت في دار الخلود ، فقال له النبي عليه السلام كما في تمام الحديث : « أو غير ذلك ؟ » قال : هو ذاك . فقال النبي له : « إذن فأعني على نفسك بكثرة السجود » وقد علم عليه الصلاة والسلام أنه لا مانع من هذا الطلب ولا من إدراك هذه الطلبة وقد أنزل الله عليه في كتابه : « ومن يعط الله فالأمر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله ، وكفى بالله علما » . وقد علم عليه السلام أن هذا الذي سأله مرافقته في الجنة من الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول ، فهو مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إذا صدق في إيمانه ودينه . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « أعني على نفسك بكثرة السجود » لأن السجود والإيمان والعبادة وصدق الله في المعاملة هو الذي يدخل الجنة ويليل مرافقة الرسول والصديقين والشهداء والصالحين في دار السلام ، لإرادة الرسول ولا إرادة غيره من المخلوق . ولو كان دخول الجنة ونيل رضا الله يدرك بشيء من ذلك لكان أولى الناس به أبو طالب عم النبي وغيره من أولى قريبه ، ولكان من أولى الناس به آباء الأنبياء وأولادهم وأزواجهم وأقربهم . وقد أعلمنا الله في كتابه

أن من هؤلاء منهم من أهل النار خالدین فیها أبد الآباد . ونعوذ بالله . فالرسول عليه الصلاة والسلام يطلب العون ممن سألہ المرافقة فی الجنة لأنه یعلم أنها لاتنال إلا بالعمل الصالح وبالإیمان الصحيح القوى . فالصحابی يسأل النبی مرافقته فی الجنة حقيقة لا مجازا . .

ومما یکذب زعم هؤلاء الزاعمین أنه علیه السلام لم يدع ولم يشفع له حیثما سألہ المرافقة بل قال له « أعنی علی نفسك بکثرة السجود » . ولو کان المراد ، كما زعموا ، أن يشفع له وأن يدعو ، وکان قوله : أسألك المرافقة فی الجنة یعنی به سؤاله أن يدعو الله فیہ لیجعله رفیقہ هناك لباعاله النبی إذا کان مقرا طلبه قابلا له ، وهؤلاء يزعمون أن النبی کان مقرا له ونجیزا . وهذا ما لاشك فیہ . وحینئذ یقال : لكن النبی لم يدع ولم يشفع فبما یبدو من الحدیث ، وإذن : لیس مراد الصحابی ما زعموا ، وإذن لیس الأمر ما ادعوا .

فان قیل وكيف یمكن أن یرافق مسلم النبی فی الجنة والجنة درجات ومنازل كان قیل وكيف یمكن ان یرافق مسلم النبی فی الجنة وجوابه ولا شك أن النبی فی أعلاها وفی أفضل منازلها ودرجاتها ، فلا یمكن أن یسمو سام إلى منازلہ ودرجاته منها سمیت درجاته ومنازلہ ، فالجواب أن یقال : إن هذا الاعتراض لیس منطلقا إلى قولنا نحن دون قول المخالفین ، بل هو اعتراض — إن کان صحیحاً — وارد علی قولنا وعلى قول الرافضی وقول إخوانه . وذلك أنه یقال : وكيف یجوز لمسلم أن یطلب من النبی أن یسأل الله فیہ لیكون رفیقہ فی الجنة والنبی علیه السلام لا تلحق درجاته ومرتبه ، ولا یسمو إلى مكانه ومكاته سام . وحینئذ فالجواب مشترك بیننا وبين المخالفین ، والاعتراض لا یدل علی بطلان قولنا إلا دل علی بطلان قولهم ، فهو إذن لیس خاصا بنا ولا بقولنا . ومع هذا نقول فی الجواب : إن هذا الاشكال — إن کان صحیحاً — وراود علی الآیة المذكورة وهی قول الله « ومن یطع الله والرسول فأولئك مع الذین أنعم الله علیهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . والاعتراض الذى ينطلق إلى نص القرآن الكريم لا يشك المسلمون فى بطلانه وفساده وإن لم يعرفوا وجه البطلان والفساد سوى انطلانه إلى كتاب الله ، وكتاب الله أمضى من أن يلحقه اعتراض أو يتناوله شك أو إشكال . ومع هذا نقول فى الجواب عن الآية والحديث : إن عالم الجنة ونعيمها لا يقاس بهذا العالم ونعيمه ، فلا ترد عليه إشكالاته واعتراضاته .

لا يزال أيضاً إن مرافقة المرء للمرء فى المكان لا يلزمها تساويهما فى المكانة والمنزلة والنعيم والدرجة . وهذا ما لا شك فيه . وقد يرافق ملك الدنيا وسلطانها أحد رعيته ، ويرافق أهله وزوجه وخدمه وأقربيه وغيرهم . ولا شك أنهم ليسوا سواء . وقد يرافق أغنى الناس أفقر الناس . وليس فى شئ من هذه المرافقات شئ من التساوى فى المقام أو فى الدرجة أو فى النعيم ، فلا إشكال إذن ولا اعتراض . ونظير هذا أن النبى عليه الصلاة والسلام - وكذا كل نبى - كان يرافق أنصاره وأتباعه فى الحياة الدنيا مع أن الفرق ثابت لا ريب فيه .

فهذا الحديث ليس للرافضى فيه مستمسك ، وليس له فيه أذن ولا بصر . فالصحابى لم يسأل النبى شيئاً لا يقدر عليه ، أو شيئاً لا يستطيعه المخلوق حتى يتوجه له أن محتج به على جواز أن يطلب من المشايخ والصالحين الميتين ما لا يقدرون عليه وما لا يقدر عليه سوى الله ، أمثال غفران الذنوب وإرشاد القلوب وشفاء ذوى العلل . ولهذا سألو النبى المرافقة فى الجنة ولم يسألوه دخولها ولا إلابعاد من النار والعذاب . والناس جميعاً يجحدون فوقاً عظيماً بين سؤاله المرافقة والمصاحبة فى الجنة وبين سؤاله دخولها واستحقاقها . ولا يشكون أن أحداً لو قال : يا رسول الله أسألك أن تدخلنى الجنة وأن تبعدنى من النار وأن تغفر ذنبى وتهدى قلبى وأمثال هذه المسائل العليا ، لما كان منه عليه السلام إلا نكار . وقد أنكر

وقد سأله
المرافقة فى الجنة
ولم يسأله إدخال
الجنة

الكار ما هو اقل من هذا وما في استطاعة البشر أن يفعلوه أحيانا .. فأنكر على من قالوا:
 قوموا لاستغيث برسول الله من هذا المناقق قائلا: «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث
 بالله» وقال له وفد من الوفود يوما من الايام: أنت سيدنا وابن سيدنا . فأنكر
 عليهم هذا القيل قائلا: «أيها الناس! قولوا بقولكم أو بمض قولكم ولا يغوينكم
 الشيطان». وقال لمرجل: ماشاء الله وشئت . فقال «أجعلني لله ندا؟ بل ماشاء
 الله وحده». وقيل في حضرته: وفيما نبي يعلم ما في غد . فأنكره . وقد أنكر غير
 ذلك مما الفرق عظيم بينه وبين طلب إدخال الجنة والابعاد من النار . ولا يقتضيه
 المسلمون أن طلب دخول الجنة والابعاد من النار، وطلب غفر الذنوب وإحلال
 الهداية في القلوب لا يصح إلا من الله ، وأن من طلب ذلك من غيره فقد تقحم
 الضلال وعدا إلى غضب الله ومقتته عدوا ، وإلا لوجاز طلب مثل هذا من المخلوق
 لجاز أن يطلب من غير الله كل ما يطلب من الله . ولكن المسلمين لا يختلفون في
 أن من أجاز أن يسأل المخلوق كل ما يسأل الله فهو مرتد مشرك بالله وإن كان مريداً
 في نفسه كل التأويل والتفسير والمجازات . وبما لا شك فيه أن المسلمين كانوا
 لا يحرمون على شيء ما حرصهم على دخول الجنة والنجاة من النار ، وقد كانوا يبيعون
 في سبيل ذلك نفوسهم سائلة على غلبات الأسيايف وجمرات الرماح ، وكانوا
 يرخصون أولادهم وأموالهم وكل ما يدخل في ملك أيديهم ابتغاء نيل الجنة وابتغاء
 النجاة من النار . ومع هذا الرجاء وهذا الخوف لم يجيئ أن أحدا منهم سأل الرسول
 الجنة أو عاذ به من النار . فهل يمكن أن يكون هذا راجعاً إلى زهدهم في هذا الذي
 ما كانوا يوما من الزاهدين فيه ولا من الوانين في طلبه ؟ كلا إن هذا لا يمكن .
 ولكنه راجع إلى علمهم بأن طلب دخول الجنة لا يبتغي إلا من خالقها ومبدعها ،
 وأن الابتعاد من النار لا يطلب إلا من الله .

فإذا لم يسألوا
 لشيء إدخال الجنة

﴿ جواب الشبهة الثانية ﴾

الكلام على الشبهة
الثانية وهي
حديث خازن عمر

أما الشبهة الثانية وهي أن البيهقي وابن أبي شيبه رويا عن مالك الدار أن
الناس في عهد عمر أصابهم قحط فجاء رجل إلى قبر النبي فقال يا رسول الله
استسقى لأمتك ، فاتاه رسول الله في المنام وقال له : « إئت عمر وأخبره أن
الناس مسقون » .

فالجواب أن يقال : إن من الظلم وقلة الإلصاف والعدل أن يجعل الرافضى
مثل هذه الرواية حجة في هذا الموضوع الجليل الخطير وهي ليست عن رسول الله ،
والفاعل ليس من أصحاب رسول الله ولا من غيرهم من المعروفين بالدين والعلم .
بل هو مجهول الحال ، مجهول الاسم ، لأن الرواية التي ذكرها لم تسمه ولم تذكر
من أى قبيل وفريق هو ، وإسنادها غير معلوم الصحة والثبوت ، فلم تروى
كتاب من كتب الصحاح ، ولم يحصها أو يصححها أحد من رجال الفن المحكمين
في هذا الشأن الصادقين في حكمهم :

أقول : إن من الظلم وقلة الإلصاف أن يجعل الرافضى مثل هذه الرواية التي هذه
حالتها حجة في هذا الموضوع وهو طائفة يردون أصح الروايات إسنادا ، ويكذبون
ما اتفق على روايته وتصحيحه أعلم رجال الفن بالفن ، وأعرف فرسان الحديث
بالحديث ، أمثال البخارى ومسلم وغيرهما من جهابذة الرواة . فاذا لم يكن مارواه
البخارى ومسلم وجميع علماء السنة والحديث حجة عندهم ولا صدقا ، فكيف تكون
هذه الرواية حجة في عبادة الموتى ودعاء المشايخ الذاهبين ؟ وإذا لم يصدقوا مارواه
أهل السنة قاطبة ، ولم يرتضوا أن يعدوه دليلا في أبواب الفقه والفروع فكيف
ارتضوا أن يعدوا هذه الرواية دليلا لا يشكون فيه في موضوع التوحيد ودعاء غير الله ؟
ثم إذا كانوا لا يقبلون ما يقوله وما يفعله أبو بكر وعمر وعثمان وجهور الصحابة ،
بل إذا كانوا يكفروا هؤلاء ويعدونهم مرتدين خارجين من رواق الاسلام

الممدود ، مؤثرين الدنيا على الدين ، كأمين ما يعرفونه من الحق وأحكام النبوة ، فكيف يرتاحون لرواية قيل فيها : إن بعض الناس في عهد عمر بن الخطاب ذهب إلى قبر النبي عليه السلام وقال له استسق لأمتك . وهم لا يستطيعون أن يذكروا دليلاً صحيحاً على أن الذهاب إلى القبر ، الطالب للسقيا من النبي كان من الصحابة ولا من غيرهم ، ممن عرفوا بالصدق والابمان وصحة الاعتقاد ؟؟ إن الروافض يقولون إن جميع ما يرويه أهل السنة في أصح كتبهم وأنظف أسانيدهم وأوضحها لا يقبل ولا يرضى ولا يمدح ولا يشبه حجة ولا شبه حجة في أحكام المياه والوضوء وأشياء ههنا الفروع . ولهذا فإن هذا الرافضى يدعو على كثير من أحاديث البخارى ومسلم وغيرهما في كتابه هذا ، فيكذبها ويهجو روايتها ولا يترك من ذلك إلا ما وافق مذهبه . وقد قالوا في كتاب « أصل الشيعة وأصولها » الذى ألف للدعاية : « إنهم —

الاسانيد المقبولة
عند الشيعة

يعنى الامامية الاثنا عشرية — لا يعتبرون من السنة إلا ما صحح لهم من طرق أهل البيت عن جدم . يعنى مارواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعاً . أما ما يرويه مثل أبى هريرة ومرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان الخارجى وعمر بن العاص ونظائرهم فليس له عند الامامية من الاعتبار مقدار بموضة ، وأمرهم أشهر من أن يذكر . كيف وقد صرح كثير من علماء السنة بمطاعتهم ودل على جائفة جروحه . » انتهى .

فاذا كان هذا رأى القوم فيما رواه الصحابة وفيما رواه أهل السنة في أصح كتبهم وأنظف أسانيدهم ، وكانت هذه مكانة أصحاب النبي عندهم ، وكان هذا مقدار اعتبارهم بما روه عن نبيهم ، وإذا كانوا لا يقبلون من السنة إلا ما جاء عندهم من طريق الصادق عن الباقر عن زين العابدين عن الحسين عن علي بن أبى طالب عن النبي عليه الصلاة والسلام ، تاركين كل سند وكل علم وكل شيء لم

يمكن بالاسناد المذكور : إذا كان هذا كله رأى القوم ومذهبهم وقولهم فلماذا يحتاجون بمثل هذه الرواية التي يرويها أهل السنة عن أهل السنة عن خازن عمر ، وعمر من شر الخلق عندهم ، والتي لم يصح إسنادها عند أهل السنة ، ولم يعلم الفاعل الذي جعل فعله الحججة في الرواية ، وهو من الجائر أن يكون من شر الكفار وأضل الخليقة عند الإمامية ؟ فإذا قالوا إننا نذكر هذه الرواية وأمثالها للرد عليكم ولا لزومكم لأنكم أنتم تقبلون أمثالها وتزكون مخرجها ورواتها - قيل أولاً أنتم تجعلون كتابكم هذا حججاً وبراهين على هذه المباحث وتستدلون بما فيه على جواز ما تأتون به لدى القبور والمشاهد من الفظائع والباطلات . فأنتم تحتاجون بذلك كما تحاولون الرد به على مخالفكم . وقيل ثانياً : إن هذه الرواية لم تصح إسناداً عندنا معشر أهل السنة ، ولو صححت لما كانت لدينا حجة . ذلك أن الذهاب إلى القبر المستسقى بصاحبه عليه السلام غير مسمى وغير معروف . فنحن لا نحتج بفعله ولا نقبله . لأننا لا ندعى أن كل من كانوا في عصر عمر بن الخطاب كانوا صالحين وكانوا عالمين بالاسلام حق العلم ، علما بمنعمهم من الابتداع والاحداث فيه ، وعلما يحجزهم عن أن يخطئوا السنة أو يميلوا عنها ذات الشمال أو ذات اليمين . والشيعي المخالف لم يذكر لنا شيئاً من هذا ، فلم يذكر صحة الرواية عند أهل السنة على حسب شروطهم وقواعد فهم المرسوم ، ولم يذكر لنا ذلك الذهاب إلى القبر المستسقى به حتى يعلم أن فعله حجة وأن عمله برهان لدينا . فنحن إزاء هذا نطالبه بأمرين اثنين : أولهما أن يقيم الحججة على صحة الرواية ووضوح سندها ، وثاني الأمرين أن يعرفنا بهذا الفاعل المستسقى بالنبي عليه السلام ، وأن يذكر لنا بسند واضح مشرق اسمه حتى نعرف حاله لنعلم هل قوله وفعله حجة أم ليس كذلك . وبغير هذين الأمرين لا يكون فيما ذكر شيء من معاني الحجج وصور المعارف

الرواية غير
صحيحة ولو صححت
لما كانت حجة
لجهاً بالفاعل

إننا نعلم ونقول إنه قد كان في عصر التابعين ضالون وجاهلون ومناققون .
وإننا لذلك لا ندعى أن جميع من كانوا في عصر عمر بن الخطاب معصومون من
الابتداع والأحداث والضلال والنفاق . فليست أقوال جميع الناس وأفعالهم
في ذلك العهد لدينا حججاً وبراهين يعارض بها الكتاب والسنة والدين والضرورة
جملة وتفصيلاً .

فإن قيل قد روى أن المستنقى بالنبي ، الذهاب إلى قبره هو بلال بن
الحارث المزني الصحابي وأنتم تقولون إن الصحابة عدول كلهم مبرءون كلهم من
الابتداع والأحداث في الدين ، فالجواب أن الرواية التي فيها بلال بن الحارث
رواية باطلة ضعيفة ، قد رواها سيف بن عمر الضبي في الفتوح وهو ضعيف جداً
حتى لقد اتهم بالزندقة . وقد أجمعوا على ضعفه ووهاء أمره . فثله لا يدان الله بروايته .
وبالاجمال فهذه القصة غير صحيحة والدلائل على كذبها كثيرة : منها أنها
شاذة مخالفة لما اشتهر وتواتر عن الصحابة والسلف الصالحين . إذ ما جاء عنهم
أنهم كانوا يرجعون إلى قبر النبي أو قبر غيره من الأموات عند نزول التوازل
واشتداد القحط يستدفعونها بهم وبعثاتهم وشفاعتهم . بل كانوا يرجعون إلى الله
وإلى استغفاره وعبادته وإلى التوبة النصوح كما قال تعالى : « فقلت استغفروا
ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً » الآية . . . وقال : « وأن لو
استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » وقال : « ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم » الآية ، وقال « ولو
أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » الآية
وقال : « ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من
فوقهم ومن تحت أرجلهم » الآية .

الوجه الدالة على
كذب الرواية
وبطلان معناها

طائين من ذلك ومنها أنه قد جاء في البخاري وفي غيره أن الناس في زمان عمر بن الخطاب

كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب عم النبي عليه الصلاة والسلام
وقال عمر رضى الله عنه : اللهم إنا كنا . الحديث . وهذا يدل على أن الصحابة
ما كانوا يعرفون ولا يجيزون الاستسقاء بالنبي وهو ميت . ولهذا عدلوا عنه إلى
عمه العباس الحى . ولو كان الاستسقاء وطلب الدعاء من الميت جائزاً مشروعاً
مجهوداً عندهم لرجعوا إلى النبي واستسقوا به وتوسلوا . . . وقول عمر رضى الله عنه
فى « حيثيات » الانصراف عنه إلى العباس : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا
فتسقيننا ، يدل على أن التوسل به بعد الممات غير مشروع ولا ممكن شرعاً . وقد
جاء أن معاوية ومن معه من الصحابة والمسلمين استسقوا بأحد التابعين الصالحين ،
ولم يستسقوا بالنبي ولا بغيره من الأموات . ولا ريب أن التوسل لو كان جائزاً
ممكناً بالأموات لكان النهى أولى بذلك من العباس ، ومن يزيد بن الأسود
التابعى الجرسى الذى استسقى به معاوية بن أبى سفيان ومن معه من المسلمين
ومنها أن أهل العلم البصراء بالاسلام وحقايقه قد ذكروا كل ما يشرع عند
وجود القحط . وما ذكروا فى ذلك الرجوع إلى الأموات والاستسقاء بهم .
ومنها الدلائل المتكاثرة على أن الأموات لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولا
نداء من ناداهم . وهذا مذكور فى آيات صريحة كثيرة مثل قوله تعالى : « إنك
لا تسمع الموتى » وقوله : « وما أنت بمسمع من فى القبور » .
ومنها أن الميت قد انقطع عمله كما فى الحديث الذى رواه مسلم وهو قوله عليه
الصلاة والسلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية
أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به » . ولا ريب أن هذا الحديث أصح وأولى
بالتقديم من الرواية المذكورة .
ومنها أن النبي عليه السلام قد علم أصحابه ما يقولون عند زيارتهم القبور
بقوله وبفعله ، وما جاء فى تعليمه الأمر بطاب الدعاء منهم والاستسقاء بهم .

ولا شك أنه لم يكن مقصرا ولا مدخرا بياناً ولا كاتماً عملاً يدينهم من رضا الله وجنته . ومنها غير ذلك مما هو منشور في أحشاء هذا الكتاب وفي غيره . .
ثم يقال : إذ تركنا كل ما قدمنا وسلمنا أن هذه الرواية صحيحة الاسناد ، وأن عمل ذلك الذهاب إلى القبر ، المستسقى به حجة لم يدل شيء منه على جواز ما يذهب إليه هؤلاء القوم من طلب المشايخ والموتى كل ما يطلب من الله كالنصرة على الأعداء وكشفاء المرضى وهداية القلوب وغفران الذنوب . وإنما تدل الرواية بهذا هذا كله على جواز الاستسقاء وطلب الدعاء من الأموات ، أما سؤالهم الحاجات مباشرة - وهذا هو أصل قول المنازعين في هذا الباب - فلا تتناوله الرواية بوجه من وجوه الجواز والإباحة . وقد يذهب قوم - بل قد ذهبوا - إلى أن طلب الدعاء من الميتين جائز ، وأما طلب الحاجات فإنهم لا يجيزونه ولا يقبلونه . وليس بين الأمرين تلازم شرعى ولا عقلى ، بل إن بينهما فرقا عظيماً ، وإن كان أحفهما ذريعة إلى أشدهما . فإن طلب الدعاء من الميت سبيل لاجبة ، كما حدث ، إلى دعائه مباشرة . والباطل عند أهل العلم والبصر مرفوض بوسائله وغاياته .

وإذا بطل كل ما تقدم لم تدل الرواية على كل ما يذهب إليه هؤلاء القوم على القبر

﴿ الشبهة الثالثة ﴾

أما الشبهة الثالثة ، وهى قوله إن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وإن الأنبياء أولى بالحياة من الشهداء ، وإن الأحياء يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم . فالجواب أن نقول : إن ما ذكره الله من حياة الشهداء نقض صريح على هؤلاء المخالفين لو كانوا يعلمون . ذلك أن القرآن قد نص جهره على أنهم أحياء عند ربهم . وهذه العندية ، إما أن تكون هندية حقيقية حسية ، أو معنوية مجازية . فإن كان الأول هو الحق والمعنى - على أن يعنى به أنهم موجودون بحياتهم عند الله فوق الخلائق - فهو رد على المخالفين واضح . وذلك أن مسلماً من

حياة الشهداء لكلامهم وأجرامهم الشبهة الثالثة

المسلمين لن يبيع لنفسه ولدينه أن يدعو مخلوقاً نائياً غائباً عنه واقفاً في أقصى مكان : في السماوات أو في الأرض أو غيرهما . والمسلمون يعتقدون بأن عيسى ابن مريم مرفوع إلى الله ، ولا يرى أحد منهم أن دعوته جائزة أو ممكنة . ولو أن نبياً من الأنبياء : محمداً أو إبراهيم أو موسى أو عيسى أو غير هؤلاء كان اليوم موجوداً حياً سوياً ، فراح الناس يدعونه ويهتفون به في كل مكان ومن كل مكان بكل حاجة في الحضرة والمغيب ، مع البعد والقرب - كما يفعل هؤلاء في المشايخ الميتين - لكانوا ضالين جاهلين فاعلين مالا تميزه العقول ولا الشراع الصحيحة . وقد كان الأنبياء أحياء موجودين بين أظهر أقوامهم ، وما كانوا يدعونهم من كل مكان أو في كل مكان ، بل كانوا لا يدعونهم إلا حاضرين شاهدين . وما حاول أحد منهم من أهل الفضل والعلم والبصر بالدين شيئاً من هذا . . . ولا يدعو مخلوق مخلوقاً من كل مكان وفي كل مكان إلا إذا زعم وآمن بما زعم أن ذلك المخلوق المدعو عالم بكل شيء محيط بالعيوب ، عارف ما قرب منها وما بعد . ومن زعم هذا واعتقده في إنسان أو في مخلوق ما فقد شبهه بالخالق وسواء به في صفة علم الغائبات والاحاطة بالكائنات . ومن اعتقد هذه العقيدة في مخلوق : في نبي أو ولي أو صالح فقد ضل الضلال البعيد وكفر بإجماع المسلمين .

فهؤلاء الذين يدعون الأنبياء والصالحين من كل مكان وفي كل مكان في المحضر وفي المغيب على القرب والبعد لا ريب أنهم ما دعواهم كذلك إلا لزعمهم أنهم يعلمون كل شيء ويسمعون كل مسموع من قرب ومن بعد ، لا يشغلهم سماع عن سماع ، ولا صوت عن صوت ، ولا يحول بينهم وبين سماع الهتاف بأسمائهم بعد ولا غيره من الشواغل . فهؤلاء الداعون للأموات يسوونهم بالله في علم الغيوب والاحاطة بأسرار الالهجات واللغات . فهم ضالون مخطئون بلا ريب . وهؤلاء العاكفون على القبور الداعون لسكانها - وهم يعلمون أنهم أحياء عند ربهم

نسوية الاموات
بأنه في صفة عالم
الغيوب

فوق السماوات وفوق جميع المخلوقات - يمتدّون فيهم هذه العقيدة الشكراء من علم الغيب وعلم القريب والبعيد ، وعلم جميع اللغات واللهجات والحاجات . ولهذا يدعونهم : كل بلفظه ولهجته ، ووقنين بسماعهم دعاءهم ومقرّتهم بلغاتهم وعلمهم بحاجاتهم . فهم ضلال خاطئون .

هذا إذا اخترنا أن هذه « العندية » في قوله « عند ربهم » عندية حسية حقيقية . أما إذا اخترنا أنها عندية مجازية معنوية - على معنى أنهم أحياء في حكم ربهم وشهادته وجزائه ومثوبته ، وإن لم يكونوا أحياء في الواقع ولا عند الخلق ولا في المشاهدة كقوله عليه الصلاة والسلام « خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » يعنى أن هذه الرائحة المرغوب عنها المنبعثة من فم الصائم عند اشتداد جوعه حكمها عند الله أنها طيبة وأنها أطيب من ريح المسك ، وإن كانت في الواقع والمشاهدة كريهة مرغوبا عنها ، مثل أن يقال في الكلام المعروف : إن سواد النقي الصالح لأشدّ بياضا عند الله من بياض الفاجر الفاسق ، وإن درهم الخالص ينفعه في سبيل الله لأكثر عند الله من دنانير المنافق ينفعها رثاء وسمعة وأمثال هذا من الكلام المطروق المعروف - : أما إذا اخترنا هذا المذهب في معنى عند ربهم في الآية الكريمة فلا شك أن الآية خارجة عما نحن فيه ، بعيدة البعد كله عن استدلال القوم ، بل كانت ردا عليهم نقضا لمذهبهم وزعمهم . وذلك أن المعنى حينئذ أن الشهداء في الواقع أموات حقيقة ، أموات كما تدل هذه الكلمة ولكن حكمهم عند الله حكم الأحياء بل هم أفضل منهم لأنهم باعوه تعالى أنفسهم وباعوا كل شئ لدينه ونصرة شريعته ، فنالوا من الثواب مالا ينقطع ومالا يموت فكانهم ماماتوا ، وكانهم مازالوا يعملون في رضا الله وفي تأييد الفضيلة وتأييد الأخلاق ، وذلك أيضا لأن أثر جهادهم لا يزال باقيا ، ولا يزال حيا مشهودا ، فكان الجهاد كذلك باق مشهود ، وكانهم هم كذلك لا يزالون باقين أحياء مشهودين .

واكتنهم أموات في الحقيقة ، والأموات لا يسمعون فلا يدعون ولا يرجون شيء
يرجى له الأحياء ، إذ قد انقطعت أعمالهم وتناثرت أعضاؤهم وأفضوا إلى دار
الجزاء والثواب . فالآية ، على الاحتمالين ، نقض صريح على دعاة الأموات
والمؤيدين لدعائهم احتجاجاً بالآية الكريمة .

اختيار الاحتمال
الأول في حياة
الشهداء

. إننا نحن نختار الاحتمال الأول ، وهو أن يكون معنى الآية الكريمة أن
الشهداء أحياء بأرواحهم حياة حقيقية غيبية روحية ، ولكنهم في حياتهم عند
ربهم في دار الخلد والجزاء والسلام . . . فهم غائبون قصيون عنا وعن أهل الدنيا
لا نستطيع الاتصال بهم ، ولا هم يستطيعون الاتصال بنا ، فنحن في عالم وهم في
عالم آخر ، والعالمان مختلفان متباينان حقيقة ومعنى . فمن حاول الاتصال بأهل
الآخرة من الأموات وغيرهم فقد ضل وجعل وحاول مالا يستطاع نيله ولا لحاقه .
ومن حاول أن يدعوم وأن يسمعهم دعاءه ونداءه وصوته واستغاثته فقد جهل
وضل . فلو أن مسلماً راح يدعو المسيح بن مريم ويستغيثه ويناديه لحاجاته
ومآربه ، بحجة أن الله رفعه إليه وأنه حي عنده ، لكان عندنا وعند جميع المسلمين
من الضالين الجاهلين . ولو أن مسلماً راح يدعو من خلقهم الله في جنته من الحور
العين والولدان المخلدين ، بحجة أنهم أحياء ، وأن الأحياء يدعون ويستغاثون ، لكان
عندنا وعند جميع المسلمين عين الضال الجاهل . ولو أن مسلماً راح يدعو شيخاً حياً
ويستغيثه ويطلبه النصرة والمفوضة والعون ، وكان كل منهما : من الداعي والمدعو
في أرض ومكان لكان عند جميع العقلاء وعند جميع المسلمين من الضالين
الجاهلين : هذا كله لاشك فيه . ولا ريب أن شراً من هؤلاء وأجمل وأضل ذلك
الذي يستغيث الأموات ويدعوم ويهتف بهم وبأسمائهم من كل مكان وفي كل
مكان بعد ما سمع قول الله : « أحياء عند ربهم يرزقون » . فانه إذا كان ضالاً
جاهلاً من دعا حياً غائباً بعيداً عنه إلا أنه معه في عالم الدنيا كان أجهل وأضل

من راح يدعو
المسيح وأهل
الجنة بحجة أنهم
أحياء

منه ذلك الذى يدعو من هو أغيب وأبعد عنه : من هو فى عالم الآخرة وعالم الموت والفناء . إذ لا شك أن من هو معك فى الدنيا - وإن كان عنك غائبا - أقرب إليك ممن هو فى عالم الأخرى . ذلك أن الأول تمكن رؤيته ويمكن الاتصال والاجتماع به والاستماع إليه بنوع من أنواع الآلات . أما الثانى فلا يمكن الاتصال ولا الاجتماع به ، ولا تمكن رؤيته ولا السماع منه إلا أن يشاء الله فتجاوز إليه هذه القنطرة ويطويك بساط العدم والفناء ، ويلفك أفق الموت فتغوص فى أحشائه . وشتان ما بين المدعوين . .

قول الله تعالى
أحياء ولكن

إذن نقول لهذا الرافضى المحاصم : نعم إن الشهداء أحياء ، وإن الأنبياء أولى بالحياة منهم ، ولكن هذه الحياة لا تدل على جواز دعوتهم والاستغاثة بهم . وذلك لأنهم أحياء عند ربهم لا عندك ولا عندي ولا عند دعاة الهالكين بأسمائهم . فمن لك بأن تتصل بهم ! ومن لك بأن تسمعهم دعاءك ونداءك ونجواك وسرك وعلتك ! ثم من لك بأن يجيبوك وينفوك لو اتصلت بهم وفتنت إليهم وأسمعتهم خطابك وهتافتك ! من لك بذلك كله حتى تدعى بأنهم يعلمون الغيوب كلها ، ويسمعون الأصوات والنداءات كلها ، ويعرفون اللغات واللهجات كلها ، وتسمع آذانهم وقلوبهم وعقولهم وطبائهم للمطالب والحاجات كلها ! وأنت إذا ما ادعيت هذا كله للمشايخ أو للأنبياء والشهداء كنت عين الضال المغترى ، وكنت آخذاً من كل بدعة بنصيب ، ومن كل ضلالة بحظ وافر كثير . ولكنك ولا بد ، غير قائل بهذا وغير قابل له . فالآية ، إذن ، رد ونقض عليك وعلى جميع الاخوان والأوصياء . ولنكتف بهذا القدر جواباً عن الآية الكريمة . ولنا فيها كلام ذكرناه فى مواضع أخرى يرجع إليه من أراد المزيد من الإبطال لهذه الحججة الباطلة .

﴿ الشبهة الرابعة ﴾

أما الشبهة الرابعة - وهي قوله : « إن المسلمين سلفاً وخلفاً ما زالوا يدعون ذمه ان المسلمين قد فعلوا ذلك سلفاً وخلفاً » - فجوابها أن نقول : سبحانه هذا بهتان عظيم وكتب أثيم ! هذا هو الجواب الاجمالي عن الشبهة . وأما الجواب التفصيلي فيعرف من جملة هذا الكتاب . وهل يستطيع هذا المدعى الجري أن يورد حجة واحدة على أن أبا بكر أو عمر أو عثمان أو علياً أو الحسن أو الحسين أو فاطمة أو غيرهم من الصحابة وقرابة النبوة ، أو أن الامام أبا حنيفة أو مالكاً أو الشافعي أو أحمد بن حنبل أو غيرهم من الأئمة الصادقين المعروفين ، أولى الذكرى الطيبة والامامة الشائعة المتبعة في المسلمين - : استغاث بميت من الأموات ، أو دعاه لكشف ملءة من الملمات ، أو هتف به لحاجة من الحاجات وأمل من الآمال ؟ فإن لم يستطع أن يورد لنا نقلاً صحيحاً عن أحد هؤلاء فليكنفه هذا العجز إبطالا وإدحاضاً لمزعمه هذا .

﴿ الشبهة الخامسة ﴾

وأما الشبهة الخامسة - وهي زعمه أن جماعات من العلماء استغاثوا النبي عليه الصلاة والسلام واستغاثوا قبره فأغيثوا ، مثل ما ذكر عن محمد بن المنكدر وعن أبيه ، وما ذكر عن الطبراني وأبي الشيخ وابن المقرئ ، وما ذكر عن ابن الجلاب ، وما ذكر عن محمد بن أبي زرعة الصوفي وعن أبيه ، وما ذكر عن أحمد بن محمد الصوفي - من أنهم استغاثوا بقبر النبي فأغيثوا وأعطوا ما طلبوا - فالجواب أن نقول ، هذا كله من أقبح الأكاذيب وأرخصها ومن أقبح الاتهام لأهل العلم ونحن لا نشك أنه لا يذهب إلى هذا الذي في الحكايات ولا يفعله إلا مشرك بالله مغرق في شركه . وهذا الذي نقله وزعم أن أهل العلم فعلوه تكذيب

ما ذكره من ذلك
من أهل العلم
وكذبه وإبطاله
لمزعمه الأخرى

منه لما زعمه وذكره في غير موضع من كتابه من أن الداعين للأموات المستغيثين بهم لا يريدون منهم إلا الشفاعة والجاه والوسيلة والوسيلة . وذلك أن هذه الحكايات التي ذكرها وكثر بها صريحة في أن القوم الذين احتج بفعلهم قد سألوا النبي حقيقة فأعطاهم حقيقة . ففي الحكاية التي ذكرها عن ابن الجراد قال : « فنفوت فرأيت النبي عليه السلام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتهت ويدي النصف الآخر . . . » وفي الحكاية التي ذكرها عن محمد بن أبي زرعة الصوفي وعن أبيه وعن ثالثهما قال : « فدخلنا المدينة فأتى أبي الحظيرة وقال : يا رسول الله أنا ضعيفك الليلة — إلى أن قال — فرأيت رسول الله فوضع في يدي دارم فبارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز ، وكنا ننفق منها » وفي الحكاية التي ذكرها عن أحمد بن محمد الصوفي قال : « فدخلت المدينة فجلست إلى النبي عليه الصلاة والسلام فسلمت ثم نمت ، فرأيت عليه السلام في النوم فقال لي : جئت ؟ قلت : نعم وأنا جائع وأنا في ضيافتك ، فقال : افتح كفك فلاهما دراهم فانتبهت وهما مملوءان » .

هذه الروايات صريحة في أن المدعو حقيقة والمعطى حقيقة كذلك هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والروايات لا تحتل غير هذا . وفيها رد واضح على هذا الرفض وإخوانه زعمهم أنهم لا يطلبون من الأموات ، كالأنبيا والصلحين والمشايع ، سوى الشفاعة والوساطة والجاه ، وقولهم إن المعطى حقيقة هو الله وحده ، وإنه هو وحده تعالى الضار النافع ، المعطى المانع . . . وقد زعموا أنهم بهذا التأويل والتخريج قد حلوا هذه المشكلة ، مشكلة دواء الموتى والاستغاثة بهم كما زعموا أنه لولا هذا التأويل وذاك التخريج لما وسعهم إلا إكفار دعاة الأموات ، وإلا إلحاقهم بالمشركين الضالين . . . ولكنهم بهذه الروايات والحكايات قد أفسدوا هذا التأويل وقوضوا ذلكم التخريج ، وأبانوا أنهم كانوا

هذه الروايات صريحة في أن المعطى حقيقة هو الرسول

كاذبين غاشين لأنفسهم ولن يخادعونهم ويضلونهم بهذه التأويل من دعاة الميتين العاجزين .

فيامن زعموا أنهم مسلمون موحدون : إذا كان الرسول وغيره من الميتين ^{يا من زعموا أنهم مسلمون} يدعون حقيقة ويعطون حقيقة ، ويرجع إلى قبورهم كل مكروب محروب ، ويبسط يديه إلى أضرحتهم وأجدانهم كل راغب طالب ، وإذا كان لديها يجاب المضطر ، ويكشف الضر ، ومنها تنال الحاجات ، وعليها تلتقى الرغبات : إذا كان هذا كله للقبور والمقبور فماذا بقي ، ويحكم ، الله رب العالمين ؟ ويا من قالوا إنهم يبرءون من الشرك والمشركون قولوا لنا وافصحوا ، ويحكم ، إذا لم يكن هذا أضخم أنواع الشرك وأثقل عبودية لغير الله فإذا يكون الشرك ، وماذا يكون المشركون ؟

ويا من زعموا أنهم مؤمنون بالقرآن وآيات التوحيد قولوا لنا ، ويلكم ، كيف تلاقى هذه الروايات التي ذكرتموها قول الله : « أليس الله بكاف عبده » ، وقوله : « آمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . آمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ؟ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون آمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » . وكيف تقابل حكاياتكم هذه قوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون » وقوله تعالى : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم . إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » وقوله : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً . وأنه لما قام عبد الله يدعوه كانوا يكونون عليه لبدا . قل إنما أدعوربى ولا أشرك به أحداً ؟

أم كيف تقابل أمثال قوله : « قل إني لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً ، قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً » وقوله : « ليس لك من الأمر شيء » وقوله : « ألا له الخلق والأمر » وقوله : « فاذا فرغت فالنصب » ، وإلى ربك فارغب » وقوله : « وظنوا أنهم لا ملجأ من الله إلا إليه » ؟ بل كيف تقابل رواياتكم هذه جملة القرآن وجملة السنة وجملة الاسلام ، وكيف تقابل صريح العقل وصحيح الفطرة ؟ لا إله إلا الله . صدق الله العظيم « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

كيف تقابل هذه الروايات جملة الاسلام

نعم فجواب هذه الحجة الداحضة الكاذبة أن نقول للرافضى : إننا نرفض هذا النقل ونأباه ، ولا نصدقه ولا نؤمن به ، ولا نقيم له وزناً ، ولا ننعم به عيناً ، ولا نطمئن به كتاب الله وسنة نبيه ، ولا نرد به جملة الاسلام وجملة الدين . ونحن نتحدى المخالفين ونطلب إليهم جميعاً تصحيح الأسانيد إن كانوا صادقين . ولكن هيهات ثم هيهات لما يذكرون .

ولا ندري والله كيف يعقل هؤلاء ، ولا كيف يفكرون ، ولا كيف يرفعون جنب الله ! إنهم يرفضون أصح الروايات وأصح الأحاديث النبوية التي اتفق على روايتها وتصديقها وتصحيحها جميع أهل السنة من أعلام الرواة أمثال البخارى ومسلم والآخرين أمثالهم . فكيف مع هذا يسوغ لهم أن يحتجوا بأمثال هذه الروايات والحكايات التي لم يروها إلا هيان عن بيان ، ولم ينقلها إلا الجهل عن أخيه النبأ عن جده الشرك بالله عن جد أبيه الوثنية الأولى الراسية في أحماق النفوس من بقايا الشرك العريقة في نسب القدم ؟ اللهم إنا نؤمن بكتابك ونكفر بما يذكرون وما ينقلون خلافاً لدينك ولكتابك .

﴿ الشبهة السادسة ﴾

وأما الشبهة السادسة وهي قوله : روى ابن السني عن عبد الله بن مسعود

سحبت اذا احل احكم دأبه في طاعتين الارض والكلام عليه

قال قال رسول الله ﷺ: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فليناد: عباد الله احبسوا، فإن الله عباداً يحبونه»، قال وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه ﷺ قال: «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: عباد الله أعينوني - وفي رواية - أغثوني، فإن الله عابداً لا ترونهم» .

ثم فالجواب أن يقال: الكلام على هذا الحديث من وجهين: الأول الكلام في إسناده، والثاني الكلام في معناه. أما الكلام على الإسناد فيقال: لا ريب بل لا خلاف في أن مجرد رواية ابن السني أو الطبراني أو غيرهما - ممن لم يشترطوا الصحة والثبوت في ما يروون - ليس حجة في صحة الحديث وثبوته ووجوب التسليم والرضا به. فإن أمثال هؤلاء من المحدثين يروون الصحيح والضعيف والمكذوب الموضوع. ولهذا فإن صياغة الحديث ونقاد الرواة يتعرضون لما يروى هؤلاء بالنقد والتخريج: بالتصحيح تارة والتضعيف أخرى والتكذيب تارة ثالثة. ولهذا أيضاً يذكر الذين ألفوا في الموضوعات أحاديث كثيرة رويت في هذه الكتب ويمدون في عداد الموضوعات. وما أنكر عليهم عالم بالفن والحديث حملهم هذا، ولا قال لهم قائل: كيف تمدون حديثاً رواه ابن السني والطبراني موضوعاً وهما من علماء الحديث وفحول الرواة؟ والسبب في هذا أن أكثر المحدثين كانوا يروون كل ما يصل إلى علمهم من الحديث والأخبار بالأسانيد ويتكونها كما هي ثقة بعلم القارئ وتقده ويحتمه. فهم يؤدون الأمانة النقلية، كما وصلت إليهم ويدعون تمحيصها وتقدها إلى غيرهم علماء منهم بأن مجرد روايتهم الحديث ليس تصحيحاً له ولا توثيقاً وتزكية لرواته. ولهذا فأنهم أحياناً يضعفون ما يروون، وأحياناً يصححونه، وأحياناً أخرى يحسنونه، وأحياناً يملونه، وأحياناً يسكتون عنه. ولكل في عمله وجهة ووجه. ومثلهم في هذه الناحية فقط رجال الأدب الجاهلون الراوون لكل ما وصل إليهم من الأشعار والآداب الكلامية: جيدها

ورديتها ، حسنها وقبيحها ، قبولها ورفضها . وليست روايتهم للبيت من الشعر أو القصيدة أو لاقطعة من الكلام أو للخطبة من الخطب استحساناً مطلقاً أو اختياراً لها أو رضا عنها أو تجويداً لأمرها ، كلا . بل قد يرون من الشعر ومن الكلام والخطب ما يستقبحون وما يضعفون وينقدون . نعم هنالك طائفة شرطوا على أنفسهم أن يضعوا كتباً لا يذكرون فيها إلا ما يختارون ويستحسنون مثل أبي تمام في ديوان حماسته ومثل غيره . وهنالك أيضاً طائفة كبيرة من علماء الحديث أخذوا على أنفسهم أن يؤلفوا كتباً خاصة بالصالح الثوابت كما فعل البخاري ومسلم في تأليف الصحيحين ، وكما فعل غيرهما . ولكن هؤلاء ليسوا إلا أكثر في رجال الحديث . ولهذا احتاج المتأخرون من المحدثين إلى وضع الكتب المختلفة في خدمة مادونه وخلفه الأوائل منهم : فوضع بعضهم كتباً في الأحاديث الموضوعة ووضع بعضهم تخریجاً لأحاديث طائفة من الكتب ، وبعضهم فعل غير ذلك مما هو معروف معلوم .

وبالاجمال لاشك أن مجرد رواية الحديث في أحد هذه الكتب لا يكفي لتجوب العمل به والقبول له ، ولا يكفي لتصحيحه وثبوته . فهذا الحديث الذي رواه ابن السني والطبراني لا بد للمحتج به من التدليل على صحته وثبوته ، وبغير هذا لا يقبل ولا يلتفت إليه . لأن الناس جميعاً يعلمون أن هنالك أحاديث كثيرة مدونة في كتب مشهورة ، ولكنهم يعلمون بعد أن في هذه الكتب أخباراً باطلة وأحاديث موضوعة مكذوبة لا يصح الاعتقاد بأن رسول الله قالها . فهذا الشيء مطالب أولاً بتصحيح الحديث الذي استدلل به على عبادة الصالحين ودعاء الأموات والاستغاثة بهم . وإلا فإن مسلماً عاقلاً يحب دينه واعتقاده ، ويحب أمره ونبيه لا يرضى بأن يقيم قواعد دينه وعقائده على مجرد روايات رويت في الكتب لم يقيم دليل على ثبوتها وصحتها ولم يعلم هو شيئاً من ذلك .

ونحن لا نشك أن الحديث غير ثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير وسكت عنه ولفظه عنده: «إذا انفطنت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا على دابتي فان الله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم». وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني وابن السني من حديث عبد الله بن مسعود. وقال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»: «رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف. ورواه ابن السني أيضاً في «عمل اليوم والليلة» وسنده عنده هكذا: حدثنا أبو يعلى حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق حدثنا معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي عن سعيد عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه عن عبد الله بن مسعود الحديث. ومعرف بن حسان هذا ضعيف للغاية. قال الذهبي في ترجمته من الميزان: «قال ابن عدي منكر الحديث، قدروى عن عمر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة». وذكر هذا العسقلاني في لسان الميزان وزاد: قال ابن أبي حاتم عن أبيه: مجهول. ولم يذكر الذهبي ولا العسقلاني فيه ثناء أحد. فكان حديثه باطلاً لا يحمل الاحتجاج به. وقال في مجمع الزوائد أيضاً: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد أحدكم عوناً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني. فان الله عبداً لأنراهم» رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة. هذا لفظ الهيثمي. وهذه الرواية هي الحديث الثاني من أحاديث الرافضي. وفي سندها انقطاع وفي روايتها ضعف كما ذكر الهيثمي. فهذان هما الحديثان اللذان يمارض بهما القوم كتاب الله وضرورة الدين بل الأديان كلها. فهما حديثان ضعيفان لا يعتمد بهما أهل العلم ولا يقيمون لهما وزناً. وقد حاول المصنف الشيعي الدفاع عن سند الحديث فقال في كتابه ما نصه: «إن أخذ القهاء له بالقبول، وذكرهم مضمونه في آداب السفر

سند الحديث
وبيان ضعفه

دفاع الشيعي عن
الحديث وبطلانه

وإيراد أئمة الحديث له في كتبهم كالطبراني والنووي ممن عن تصحيح سنده
لو سلم ما قالوه . وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين أن مضمونه شرك أو حرام وظهر
ذلك لأعراب نجد ؟ »

هذا هو دفاع الشيعي عن الحديث وعن ضعف الحديث ، وهذا لون من
ألوان علمه وأدبه ومنطقه ودينه . وقد خفي على الرجل أنه لم يقل أحد من خلق
الله إن رواية حديث من الأحاديث وخبر من الأخبار في كتاب من الكتب ،
مالم يشترط الصحة ، ليست دليلا على ثبوته عن النبي عليه الصلاة والسلام ، وليست
دليلا على صحة معناه وصدقه ، ولا دليلا على موافقته أقواعد الاسلام ولأصوله وفروعه
وكل الناس الذين تعاطوا شيئا من علوم الرواية والحديث يعلمون أن كبار الأئمة
قد يروون الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة المكنوبة . وقد عهد المحدثون
على مسند الامام أحمد بن حنبل - وحسبك به علما وفضلا وإمامة في هذا الشأن -
أحاديث كثيرة باطلة ، دع عنك الضعيفة ، والمعلقة والشاذة . بل زعم فريق من
نقد الحديث البارعين أن في المسند أحاديث موضوعة . هذا في مسند إمام الحديث
والفقه والعلم والتقوى أحمد بن حنبل . أما الكتب الأخرى كمؤلفات الطبراني
وابن السني وأبي يعلى وأضرابهم فالأمر فيها أوضح وأشهر وأظهر . وأنت إذا
رجعت إلى الكتب المؤلفة في الموضوعات وجدت شيئا كثيرا من هذا ، بل إذا
رجعت إلى جميع كتب أعلام النقد وكتب الجرح والتعديل وجدت الأمثولات
الكثيرة لهذا النوع . وهل الأحاديث الموضوعة التي اتفق أهل الحديث على
أنها كذب إلا أحاديث مروية في كتب الأعلام من العلماء مثل الطبراني وأبي
يعلى وابن السني والحاكم والدارقطني والخطيب البغدادي وغيرهم من شيوخ
الحديث ؟ وهذا لا يخالف فيه أحد من أهل العلم والرواية والدراية . ولو كانت رواية
الحديث في كتاب من الكتب كافية في تصحيح الحديث وثبوته عن النبي

لما كل ما روى في
كتب الحديث
صحيحا

وفي صحة معناه لما احتاج أهل العلم إلى علم الرواية وعلم الجرح والتعديل ، ولم يحتجوا إلى علم الأسانيد وإلى علم الرجال وإلى تقديم ونقدتها وإلى الكلام عليها وعليهم تصحيحاً وتضعيفاً ، قدحاً ومدحاً ، قبولاً ورداً ، ولكن ينبغي عن ذلك كله أن يذكر الحديث في كتاب من الكتب المنسوبة إلى أحد العلماء الأعلام ، ولكن أيضاً من حاول تضعيف حديث من الأحاديث المخرجة في هذه الكتب غالباً ممتدداً جاهلاً ، ولكن أيضاً تضعيف المحدث لحديث يرويه هو جهلاً وحمالة ، ولكن هذا الرافض أعلم بالسنة والحديث وعلم الرواية من مثل البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والذهبي والحافظ بن حجر وابن تيمية وغيرهم من أساطين العلم وأعلام النقد .

ثم كيف يكون إيراد المحدثين للحديث في كتبهم وذكر الفقهاء له في آداب ^{كيف يصح هذا الحديث عندهم} السفر كافياً عند الشيعة في تصحيحه وثبوته وتصحيح معناه والشيء نفسه يكذب ^{وهم يردون جميع الأحاديث أهل السنة} إلا حديث التقي اتفق على روايتها البخاري ومسلم وجميع المحدثين من أهل السنة ، بل وهو وإخوانه الإمامية الاثنا عشرية يمتقدون أن جميع الأحاديث المواترة المروية في جميع كتب أهل السنة وفي أصحابها وأجودها ، الواردة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وطائفة وحفصة وغير هؤلاء من كبار الصحابة وأئمة المسلمين : يمتقدون أن جميع هذه الأحاديث مكنوبة موضوعة على النبي عليه الصلاة والسلام ، بل يمتقدون أن جميع الأخبار الدالة على إيمان هؤلاء وإسلامهم أخبار مكنوبة باطلة ، ويعتمدون أيضاً أن جميع الروايات المروية عن هؤلاء الدالة على صدق إيمانهم وإسلامهم ودينهم موضوعة أو صحيحة ولكنها نفاق منهم . . . وقوم يزعمون أن كل حديث يدل على إيمان أبي بكر وعمر وكبار أصحاب النبي حديث مكنوب موضوع - وإن روى في جميع الكتب - كيف لا يستحيون من أن يزعموا أن إيراد الطبراني والنووي لهذا

الحديث برهان على صحة سنده وصحة معناه ووجوب العمل به ؟
ولا تتنازع الشيعة الاثنا عشرية ، طائفة هذا الرجل ، أن كل حديث لم يرد
في كتبهم من طرقهم حديث لا يجب قبوله ولا تصديقه ولا الإيمان به ولا
الاعتراف بصحة معناه ، وإن رواه أهل السنة قاطبة ، بل وإن روه في كل كتاب
من كتبهم ، وقال به كل قائل ، وعمل به كل عامل منهم . بل ولو رواه جميع الصحابة
البكرين العمرين ، ثم رواه عنهم جميع التابعين البكرين العمرين ، ثم رواه
عن التابعين جميع من بعدهم من البكرين العمرين ، وهكذا إلى أن يتصل بنا :
إن كل حديث يروى كذلك هو حديث مكذوب مزور عند الامامية الاثنا
عشرية ما لم يرووه هم بطرقهم عن أئمتهم الذين زعموا معصومين ، بل لقد
غالى القوم في باطلهم هذا حتى زعموا أن رواية الحديث في كتب أهل السنة
من الدلالات على كذبه ووضعه وبطلانه وفساد معناه ، ومنافاته لدين الله . وقد
شادوا على هذا الباطل الذي لا باطل مثله مازعموا أن منهم من الكفر الذي لا
يمثله كفر في الاسلام وهو ما زعموه من تحريف القرآن ونقصه وحذف أشياء
كثيرة منه وزيادة أشياء فيه . وعندهم أن نقل المسلمين له وحفظهم إياه
ومحافظتهم عليه في جميع المصور هكذا لا يدل على صحته ولا على أنه لم يحرف .
ولم يزد فيه أو ينقص منه . وقد زوروا أحد مشايخهم كتابا يشيد به هذا الكفر
سماه (فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب) وقد طبعوه ونشروا
في إحدى بلادهم . وسوف نتحدث عن هذا الكتاب في فصل سوف .
يجب من هذا الجزء .

ثم ما هذا التمييز بأعراب نجد ؟ إن هؤلاء الذين يسميهم أعراب نجد لا يدعون
لأنفسهم السبق فيما هم فيه ، ولا يدعون أنهم أحدثوه أو ابتدعوه أو هدوا إليه
وحدهم ، بل كل ما يدعون ويروون أن يكونوا على نهج السلف الصالح والرعيل
والسابقين لا يسمي

الأول الذين أخبر الله عن رضاه عنهم وسبقهم إلى الخيرات والطاعات كالصحابة الذين لا يرضاهم الشيعة ، وكلائمة من التابعين ، وكلائمة الأربعة ، وكأهل الحديث . وكفى هؤلاء القوم فخراً لمفتخر ، ومقننئ لمن رام الاقتداء والاهتداء . وهؤلاء الذين يسميهم أعراب نجد ما ضعفوا هذا الحديث إلا لأن أهل الحديث وأهل الأسانيد والروايات قد ضعفوه قبلهم ، والذين ضعفوه مثل الحافظ الهيثمي وغيرهم لم يكونوا من أعراب نجد .

ألا يرى هذا الرافضى أن الهجاء الصحيح والسبة اللازمة الفاضحة أن يقول الهجاء الصحيح والسبة اللازمة الفاضحة قائلون إنه يمكن أن يكفر بالله وبالرسول وبالإسلام أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة وخالد بن الوليد وغيرهم من كبار الصحابة ، ويؤمن بالله وبرسول الله جهال الشيعة وأغبياء الإمامية ، بل أن يجهل هؤلاء الإسلام والحق وكل ما تدعيه الشيعة الإمامية من الوصية والمصحة والرجعة إلى آخر ما يذكرون ثم يسلم ذلك كله جهال المتشيعين وبلداء الطائفة ، وأن يظلم أبو بكر وعمر وعثمان عليا وفاطمة بضعة النبي وبنينا ويساعدن على ظلمهم سائر الصحابة أو يجاهدنهم ، ثم يجي هؤلاء المغبونون يحاولون الانتصاف لهؤلاء المظلومين من هؤلاء الظالمين ، وأن يجهل جميع المسلمين الأولين ما في عبادة القبور والمعوف عليها وعلى بنائها وتشيعها وتعليق المعلقة عليها وقصدها من كل مكان ودعائها وندائها من خير وفضل ومثوبة ثم يظفر بذلك كله هؤلاء الشيعة ، وأن يفوت أهل السنة جميع ما عند الشيعة الإمامية من الحق والدين والروايات وجميع ما لذلك من نواب وجزاء ، وأن يفوت كل من ليس إماميا شيعيا الحق والهدى والصحيح من الإسلام ثم يخص به هؤلاء الظالمون لأنفسهم : هذا كله هو الهجاء الصحيح والسبة اللازمة .

فالحديث إذن غير صحيح الإسناد ، فلا يعارض به كتاب الله وسنة نبيه .

وجهة دينه وضرورة العقل وصحيح الفطرة

هذا هو الكلام على السند . وأما الكلام على المعنى فالجواب أن يقال : إن الحديث على معنى الحديث إن كان صحيحاً ، لا يمكن أن يكون دليلاً على صحة دعوة الأموات وذلك ظاهر بأمور : أولها قوله فيه : « وهو بأرض ليس بها أنيس » فإن هذا صريح في أنه يدعو حيث لا إنسان لا من الأحياء ولا من الأموات . وإذن فالدعوة ليست للأموات . وثانيها قوله « بأرض فلاة » . فإن هذا يدل على أن من أراد هونا أو أضل شيئاً وهو في الصحراء حيث لا شيخ ولا صالح ولا ولي ولا نبي ولا إنسان لا من الأحياء ولا من الأموات ينادى النداء المذكور . ومن المعلوم بالضرورة والبدهة أن من كان في الصحراء لا يجوز له أن ينادى البدوى أو الرطاعى أو الجيلاى أو الحسن أو الحسين في المصر . ومن نادى الموتى في الأمصار وهو في الصحراء وفي الفلوات فقد زعم أنهم يجيبون من كل مكان وفي كل مكان ويسمعون كل داع ومناد قريب وبعيد . وهذا هو الضلال ، لأن فيه الاعتقاد بأنهم يملكون الغيوب ، والاعتقاد أيضاً بأن صفة السماع فيهم غير محدودة ، وهذه هي جرثومة الضلال الكثيف . فلا شك إذن أن من قيل له ادع وأنت في الصحراء لم يرد أن يدعو الأموات والصالحين والمشايخ المدفونين في المدن والأمصار بالضرورة . وثالث الأمور أنه لو كان المنادى هنا من الأموات لقبيل : من أضل شيئاً وأراد هونا فليذهب إلى الشيخ فلان أو إلى ضريح النبي عليه السلام أو إلى ضريح غيره من الأنبياء والصالحين وليدعهم وليسأله العون ورجع الضلالة النائية ، لا أن يقال له : فليناد في الصحراء يا عباد الله أعينوا أو أغثوا . فإن هذا صريح في أنه لا يعنى به مشايخ الموتى . ورابعها أنه لو كان المراد ما زعم المخالفون لقيل : من أضل شيئاً وأراد هونا فليناد يا رسول الله أو يا أبا بكر أو يا عمر أو يا عثمان أو يا علي أو يا حسن أو يا حسين ، أعينوني أو أغثوني ونحو ذلك . ولم يصح

امور دالة على أن الحديث في الحديث من غير الاموات

أن يقال : فليناد يا عباد الله أعينوني . فان من عباد الله من لا يصح عونهم ومن لا تجوز الاستغاثة بهم . وخامسها لو كان المنادى في هذا الحديث من الموتى لما قيل من أضل شيئا وهو بأرض فلاة فليناد بل لقليل من أراد شيئا ، أو من رهب ورغب ، أو من خاف ورجا ، أو من كانت له حاجة ومسألة فليدع عباد الله الصالحين ولينادهم وأمثال هذا . وذلك أن إضلال الدابة في الصحراء حاجة صغيرة نادرة من حاجات الانسان الكثيرة المتوافدة عليه ما دام حيا . ولا يصح إذا ما أريد التعريف بما يفعل إزاء جميع الحاجات أن يؤتى بالأندر الأقل والأخف الأصغر . ولا يفعل مثل هذا إلا من كان لا يريد التفهيم والتعليم . ونزه الله نبيه عن هذا التضليل والالتغاز . وسادسها أن قوله : « فان لله حاضرا سيحبسه » يدل على أن المنادى من الحاضرين الشاهدين . والأموات الذين في المدن ليسوا من الحاضرين ولا من الشاهدين لان دعاهم وناداهم وهو في الصحارى والفلوات . فالمنادون في الحديث من غير الأموات يقينا ، بل قوله فيه : « فان لله حاضرا سيحبسه » يدل دلالة جلية على أن من ليس حاضرا لا ينادى ولا يدعى . والذين يدعون الأموات وينادونهم يدعون وينادون غير حاضرين وغير شاهدين بلا ريب . فهم غالطون بظاهر الحديث الذي جهلوه من براهينهم على خطئهم . وسابعها أن قوله : « فان لله عبادا يجيبونه » دليل جلي على خطأ المخالفين وبطلان قولهم وزعمهم . وذلك أنهم يزعمون أن الأموات المدعويين لا يجيبون ، وأن دعائهم لا يريدون منهم أن يجيبوا ، ولكنهم يزعمون أنهم يشفعون فقط عند الله لمن دعاهم ليعطيهم ويعطيهم . فالذي يجيب عند القوم هو الله وخده لا شريك له . ولكن هذه اللفظة في هذا الحديث تصرح بأن المنادين المدعويين هم الذين يجيبون ، وهم الذين يغيثون . وثامنها قوله : « فان لله عبادا لا ترونهم » نص أو كالنص في أن هؤلاء المنادين من غير الأموات ، إذ لو كانوا منهم أو كانوا لهم

قليل : فان المشايخ والصالحين ، أو الأنبياء والمرسلين ، أو إخوانكم من المؤمنين
الذاهبين ، يجيبونكم أو يسمعونكم أو نحو ذلك . أما إذا قيل : فان الله عبداً
لا ترونهم ، أو لانراهم فلا ريب عندنا في أن التحديث عن غير الأموات ،
وهذا يعرفه كل من يعرف .

سؤال وجوابه
هذه أمور ثمانية تدل مجتمعة دلالة قاطعة على أن الحديث المذكور ليس
تحدثنا عن الأموات ولا عن دعوتهم والاستغاثة بهم . فاذا ما قيل : من المنادون .
المرادون إذن في هذا الخبر ؟ فالجواب أن نقول : ليس بل لازم أن نعرفهم ولا أن
يعرفهم غيرنا ، لأن الحديث ، إن صح ، لم يعرفهم ولم يذكر ما يدل عليهم ولا على
صفتهم . فالجائز إذن أو المطلوب من المسلم إن كان الخبر صحيح السند - وهو غير
صحيحه - إذا أضل دابة في الصحراء وأراد أن يعمل به أن يقول كما في نصه :
ياعباد الله احبسوا على دابتي ، أو يعباد الله أعينوني . ولا ينطق بغير ذلك من
الدعوات والكلمات كأن يسمى أحداً : شيخاً أو صالحاً أو نبياً في دعوته وندائه .
ومن فعل ذلك فقد خالف الحديث وصنع ما لا علم له به وما يجوز أن يكون عين
الخطأ والضلال والجهل ، وما قد يؤخذ عليه بلا ريب . فان قيل أيجوز أن يكون
هؤلاء الذين أمر بدعوتهم وندائهم من الملائكة ؟ قلنا في الجواب : نحن لا نقطع
بشيء من هذا في هذا المقام إلا أن الذي نقطع به ونقوله هو أنه لا يجوز لمن أحب
أن يعمل بالخبر أن يدعو الملائكة أو أن يدعو الدماء المذكور ضمراً في نفسه
الملائكة أو غيرهم معينين ، لأن الحديث لم يذكر شيئاً من هذا . ولكن لا ريب
لدينا أن دعوة الملائكة غير جائزة للأدلة والحجج الناطقة التي ذكرناها في الفصل
الآنف من هذا الجزء .

سؤال آخر وجوابه
فان قيل أيضاً : ألا يمكن أن يكون المنادون هم الجن أو هم من الجن ؟ قلنا
في الجواب : نحن لا نقطع بشيء من هذا النوع أيضاً لأن الحديث لم يذكره ولم

يشير إليه ، فيجب على العامل به أن يلتزم نصه ولفظه وأن يدع ماعداءه وقوفاً مع النص وعملًا به وحذراً من الزلل والخطأ ، غير أننا لانشك في بطلان دعوة الجن والاستغاثة بهم لأجل الحجج والبراهين الصحيحة الباهرة التي قدمناها في البحث السابق .

فاذا ما قيل حينئذ : ماذا يراد بالحديث ومن المعنيون به ؟ قلنا لا مانع أن يكون مراداً به بعض الأحياء البشر ممن يوجدون عادة في الصحارى والقفار ، فيكون في نداء المنادى الذى أضل دابته تنبيه لمن لمسه يكون موجوداً في ذلك المكان وتلك الناحية . فلا يكون في هذا النداء شئ من دعاء الموتى أو دعاء الملائكة والجان ، بل لا يخرج حينئذ عن أن يكون من دعاء الحى وسؤاله ما يقدر عليه عادة . وقوله في الحديث « فان لله عبداً لا ترونهم أولاً نراهم » لا يأتى هذا الاحتمال ولا يأتى هذا رأى ، وذلك أنه يجوز أن تكون في أرض فلاة لا ترى فيها أحداً ولا تسمع لشيء صوتاً ولا تحس له أثراً ، فتنادى النداء المذكور في الرواية فيتح صدفة وقدر أن تجد من يجيبك ومن يسمع صوتك ونداءك فيعينك على ما أردت ودعوت .

الفرق بين النداء
المطلق وبين دعاء
المخلوق المعين

والذى لا شك فيه أن هنالك فرقا شاسعا بين أن تدعو مخلوقا من الأموات معينا باسمه مثل أن تقول يا بدوى أو يا أبا بكر أو يا عمر أو يا حسن أو يا حسين احبس على ضالتي أو أعنى على أمرى ، وبين أن تقول ، مطلقا قولك مرسلات لخطابك وندائك : يا عباد الله احبسوا على ضالتي ، أو أعينوني ، أو أغثوني . لأنك إذا دعوت صالحا أو نبيا معينا باسمه ووصفه ولعنته وطلبت إليه أن يعينك وأن يغيثك وأن يحبس عليك دابتك وضالتك فقد اعتقدت بلا ريب أن ذلك النبي أو الصالح المدعو المهتوف به قادر على إجابتك وسماع صوتك من كل مكان وفى كل مكان ، وأنه يعلم ما قرب وما بعد وما خفى وعلنى ، وأنه بعد ذلك ذو سر عظيم

وسلطان قاهر واسع ، حتى إنه .ليقدر على إجابة الطلبات المختلفة ، وسمع الاصوات . كلها على بسدها واختلافها أيضا ، ويعلم بالمنادين له على كثرتهم وتفرقهم واختلافهم . أيضا . وهذا كله يستلزم التأليه والعبادة ، وهذا كله ضلال مستقل قائم بنفسه . أما إذا دعوت دعاء مطلقا مرسلًا قائلا : يا عباد الله احبسوا أو أعينوا أو نحو ذلك ، فليس فيه شيء من تلك الأمور الخاصة بالله الموجبة للشرك والضلال . وهذا لأنك قد تكون سليم الاعتقاد والدين من الشرك والغي والابتداع ، فلا ترى أن أحداً مع الله يعلم الغيب أو يعلم البعيد والقريب ، أو يقضى الحاجات على اختلافها وتباينها ، أو يصح أن يدعى وينادى من كل مكان ، بحيث تعتقد أن الأموات والأشياخ لا يصح أن يدعوا وأن يستغاثوا وأن ينادوا الكشف الضراء . ويجب النماء : يجوز أن تكون بهذا المكان من طهارة الاعتقاد وبقائه وصحته من الغفل والأمراض ، ومع هذا كله تقوم في الصحراء وفي جوف القفر البلقع . وقد ضل لك ضال . فنقول : يا عباد الله احبسوا أو أعينوا أو أغثوا معتقدا أو مجوزا أن هنالك . حيث يذهب صوتك وحيث يتسع نداؤك . من يجيبك ، ومن يرد عليك ضالتك وحاجتك ، ثم قد تكون في هذا الظن والاعتقاد مصيبا ، وقد تكون مخطئا ، أعنى أنه قد يكون ثمة من يجيبك ويسمع صوتك ، وقد يذهب نداؤك ورجاؤك على أجنحة الريح ، فلا تجد من يجيب ولا من يسمع . وليس في الحالين ضلال ولا سوء اعتقاد ، ولست في هذا النداء والرجاء عابداً ولا مؤلهاً لأحد . سوى الله ، وإنما أنت حينئذ بشر ظن ظنا فعمل بظنه ، والظن قد يخطئ . وقد يصيب . ولكن لا ريب أنك في ندائك ورجائك هذا مخالف كل المخالفة لدعاة الأموات الكهين على الأجداث كما تقدم . وما مثل هذا إلا إنسان أعمى يقف في الطريق العام ، ويصادف أن يكون الطريق خاليا ، فيقول : يا رجلا أو يا فلان خذ يدي أو أرشدني إلى الطريق . فاذا نادى أعمى هذا النداء ،

هذا كقول
الاعمى لرجلا
خذ يدي

وطلب هذا الطلب ، ورجا هذا الرجاء ، وقدر أن لا يجد أحداً وألا يكون هناك من يسمعه ومن يجيبه ، لم يكن قائلاً إثمًا ولا طالباً حراماً ، ولا معتقداً شركاً أو ضلالاً لأنه لم يعتقد في أحد سرا من الأسرار ، ولا سلطاناً على علم الغيوب وقضاء الحاجات كلها وعلم القريب والبعيد كدأب الداعين للأشياخ من الأموات . و فرق عظيم بين نداء هذا الضير وبين أن يقف ضير آخر في الصحراء قائلاً : يا بدوى أو يا رفاعى أو يا حسن أو حسين أو عبد القادر الجيلانى ، خذ يدي أو اهدنى الطريق أو أقتنى مما أنا فيه أو رد على بصرى أو استنى أو اطمئنى أو نحو هذه المطالب الكبيرة . . . ولا يشك إنسان فى الفرق بين الموقفين والاعتقادين والنداءين والضيرين . ولا يشك مسلم فى ضلال هذا الأخير وخروجه على الاسلام وعلى التوحيد وشركه بالله رب العالمين . وليس كذلك الضير الأول المنادى من عساه يكون موجوداً من الأحياء ليأخذ بيده ويهديه السبيل .

فالذى يقف فى الصحراء وينادى يا عباد الله احبسوا على دابى أو أعينونى مريداً بذلك الأموات والأشياخ من سكان القبور ، مأمثله لإمثلة هذا الضير المنادى فى صحرائه للأموات . والذى ينادى هذا النداء من قلب الصحراء مريداً بندائه من عساه يكون موجوداً حاضراً من الأحياء مأمثله لإمثلة الضير الواقف فى عرض السبيل قائلاً : يارجلا خذ يدي ، قاصداً من قد يسمعه من الأحياء . ولا ينازع عاقل فى الفرق بين الأمرين والرجلين . وهذا المثل الصحيح الذى ضربناه يفسد على المخالفين مثلهم المشهور وقولهم المعروف الذى يدافعون به عن شرك المشركين وضلال الضالين . . . أعنى قولهم : إنه لو فرض أن الأموات لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولا يقدرون على إعطاء من سألهم ورجاهم لما كان فى هذا شئ من الشرك والضلال ألبتة ، وإنما يكون ذلك حينئذ خطأ مجرداً لا أكثر .

مثل النادى
للأموات من كل
مكان والقائل
احبسوا على
دابى

ولا أقل . . . قالوا : ومثل هذا أن تطلب إلى مقعد أن يقوم وأن يمشي حاسباً أنه قادر على ذلك ، وأن تطلب إلى أعمى أن يقرأ وأن ينظر حاسباً أنه غير أعمى وأمثال هذا . قالوا : وبهذا يخلص دعاة الموتى من الشرك والضلال وفساد الاعتقاد . ولكن فات هؤلاء المنتصرين للعاكفين على الاجتهاد الفرق العظيم بين من دعا حياً وطلب منه أمراً ظاناً أنه عليه قادر ، وبين من دعا الموتى وسألهم حاجاته وآماله وأغراضه وآربه واستدفع بهم مخاوفه وأسباب خشيته . والفرق بين الأمرين واضح جلي لا يجوز أن يدق على أفهام من يتصدرون للتأليف في أمهات الدين ولا يرشاد الناس ، ومن يحاولون أن يحتازوا الزعامتين : الدينية والعلمية . وذلك أن الداعي للحى العاجز - ظاناً أنه غير عاجز - لم يعتقد فيه شيئاً من الاعتقادات الغالية الفاسدة ، ولم يهبه صفة من صفات الله مثل علم الغيب وعلم القريب والبعيد والحاضر والغائب ، ومثل القدرة المطلقة على قضاء الحاجات والرغبات ، ولم يعتقد فيه سرّاً من الأسرار ولا سلطاناً من السلاطين الغيبية ، ولم يعتقد فيه شيئاً فوق الأسباب العادية ، ولم يهبه تلك الرهبة النفسية ، أو يرغب فيه ذلك الرغب المخالف للرغبات المعهودة بين الحى والحى والحاضر والحاضر ، ولم يخشّه ويحذره على القرب والبعد وفي الحضرة والمغيب ، ولم يقرر في نفسه قرار الأموات والأشياخ الصالحين أو من زعموا صالحين من الطالحين في نفوس دعاة الماتنين بأسماهم . هذا كله لم يعتقد منه شيئاً ذلك الذى يدعو الحى إلى العاجز حاسباً أنه غير عاجز . . . أما الذين يدعون الأموات والأشياخ الصالحين فانهم قد اعتقدوا فيهم جميع هذه الأمور حتى قاموا منهم مقامات العبيد الأرقاء الأذلة الصاغرين من الاله ، وحتى هبطوا إليهم في قبورهم بكل ما يرتفع به العابد الراشد إلى مقام المعبود الحق من الأشياء الظاهرة الصورية ، والمعاني الباطنية الروحية الحقيقية ، حتى أرونا هذه الوثنية النكراء المنتشرة اليوم وقد ١

أضرحة الميتين في أكثر البقاع الاسلامية . . . إذن فقياس هذا على هذا من القياس المرغوب عنه ، وإذن فالدفاع عن عبدة المشايخ والأهوات بهذا الأسلوب من الدفاع الخاسر الباطل ، وإذن فالهجاج عن المشركين بهذا المثل من الهجاج الداحض .

والحاصل أن هذا الحديث ، إن كان صحيحاً ، فالواجب على العامل به أن يأخذ بلفظه ونصه دون أن يزيد أو يقيس عليه أو يستدل به على غير ماورد فيه بعد أن يعلم أن دعوة الأموات والجان والملائكة باطلة ممنوعة بالدلائل والبراهين التي قدمنا في البحث السابق . ومن جمل هذه الرواية دليلاً على جواز دعاء الميت أو دعاء عالم الجان أو عالم الملائكة فقد زعم مالا قبل له باقامة الحجة عليه ، وما يعوزه أن يجهل له في ألفاظ الرواية أو في فحواها ما يصححه أو ما يجعله جديراً بالاحترام والالتفات إليه . فهؤلاء المحتجون بالرواية على ما هم فيه من الفوضى الاعتقادية والمظاهر الوثنية الاشركية كاذبون على الرواية وعلى نصها وعلى روحها ومعناها . هذا لو كانت صحيحة ولكننا لا نشك في ضعفها وبطلانها ونسكارتها . والله أعلم .

﴿ الشبهة السابعة ﴾

أما الشبهة السابعة — وهي ما جاء أن بلال بن الحارث ذبح شاة فوجدها هزيلة فصار يقول : واحمداه ! وما جاء أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كان شعارهم في قتال مسيلة الكذاب : واحمداه ! وما جاء أن عبد الله بن عمر خدعت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك فقال : واحمداه . فانطلقت رجله — فالجواب عن هذه الشبهة أن نطالب أولاً المخالفين بتصحيح الأسانيد وإثبات هذه الروايات . وقبل أن يقيموا الحجة على صحتها وثبوتها بالطرق العلمية الفنية الصحيحة الا يلتفت إلى شبهتهم هذه ولا يعبأ بها ، ولا يعبد الله بها إلا كل من هان عليه

جواب الشبهة
السابعة وعنه
الروايات
المزومة

دينه وهانت عليه نفسه وعقبه ومنطقه، ولا يراى في أن يكل في ثور واحتجة كل
 الواجب اعلمته تصحيحها وإثباتها في ثقل واحتم، وإلا فالخطاى. ككتبة
 والكذب أكثر. فهذه الجبهة من دودة على الخالف وحلى في ثقلها عنه. ونحو
 قلده فيها حق يصحها إما بتصحيح أمة هذا الشأن وهم الحديثون، وإما بالتدليل
 على صحتها بالأدب الغيبة الصحيحة المقبولة التي عاينها وخلفها رجال الحديث
 الأبرار. فان من المداوم الجليل أن قول الشيخ جليل بن أبي النجى ينقل عنه هذا
 الرافضى : صح عن الرضا عليه السلام عن صحابته كذا وكذا. وكذا لا يثبت عنهم في ثقلها
 ولا يثبت، وليس من البراهين في قبيل ولا دبر. فالشيخ جليل بن أبي النجى، ونظره في
 كذا الشيخ، بعداه من معرفة صحيح السنة بن ضيفها، قاصرة خطاهم عن
 إدراك هذه الغاية وهنهم الصناعة العلمية والطبية ولا شريك، وهم إذا نقلوا. فلا
 مجرد آكروا متعجبين، وكان الإعتاد عليهم وعلى نقلهم بالاطلاق خطأ لتخليط أهوائهم
 على دينهم وتبواهم، وجعلهم على علمهم وميزانهم، وقد يثبتهم بصوابهم عن موسى الهوى،
 ويعلمهم ويصيب. يذاه الجليل، رومن وقع بين الجليل والهوى لم يصح. الركون إليه،
 ولا الاعتماد عليه. فنحن لا نقبل هذه الروايات بمجرد أن قال الشيخ جليل
 أو قال الشيخ حسن الأمين العزلى. فلما نهضت خبنة. والكتاب والسنة منام
 أصحجة. عن الإمام جليل بن أبي النجى لم تعلم صحته أو بما لم يرقم الدليل عليه. وقد أمر القرآن
 والكريم والسنة بالإيمان بالعلم والحجة أو البرهان، وأمر بالسير تحت الضوء، وفي
 وضع النهار البراهين، ومنها عن الإمام جليل بن أبي النجى، والجليل وعن الحسن
 في الجليل. ونحوه أخرجته البلاء الداركة، فأما بالتبيين والتثبت، ونهنا أن يقفوا
 الحرف ما ليس له به من ثقل ولا حجة. وفيه كل من كلام النسخة الصحيحة. في الطرح
 ما كذب الخديعة، وما أزهى كفى بالمجى، وإثباتها من حديثها بكل ما يجمع. وقد قيل :
 لولا الأسماء يقال من شأنه ما يشبه ما وقيل بالبيان للضوء، في ثقلها على

فما خلفوه وقد مدحناكم به، وقتلته خاليتي وخلست ذليلًا تسلط الذي يشهد عقده، وهدأته على مجرد روايتي قال فلما ايلسج فخلان وبحسن والأمين رايعايلي، إنهم قبيح صحت،، دون أن تقوم الحجة على بصحتها، فلمن توفض، هذه الروايت بكها،، وكيف انقضها كل مسلم، محقق، الاسلام والعقل والعلما، ما لم تعلم بصحتها، وشيئا، لانها لم ترد في كتب الصحاح الجيدة التي تفي راويتها فيها على روايتها، وعلى الخالف المتأمل الاميات والبيان .

[illegible]

« أَوْ قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ يُزَيْدٍ بْنِ نَهْشَةَ الْمَلَكِ فِي خِجَابَةٍ إِذْ خَدِيعَتْ لَهُ رَجُلٌ دَعَاكَ »
وَقَالَ قَالَ إِيَّاهُمْ نَبِيُّ الْمَشْنُونِ : أَهْلُ الْخَبِيَةِ يَمْلِكُونَ مِنْ نَحْسٍ يُبَيِّتُ أَيْ الْعَتَاةِ :
أَمَّا : وَفَعَلُوا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ . . . وَكَانَ لِيَقُولَ يَا عَتَاةُ الْخَبِيَةِ يَمْلِكُونَ . . .

وروى محمد بن زياد عن صدقة بن يزيد الجهني عن أبي بكر الهذلي قال :
دخلت على محمد بن سيرين وقد خدرت رجلاه فقمعهما في الماء وهو يقول :
إذا خدرت رجلى تذكرت قولها * فناديت ابني باسمها ودعوت
دعوت التي لو أن نفسى تطيعنى * لألقيت نفسى نحوها فقضيت
فقال يا أبا بكر تلشد مثل هذا الشمر ؟ فقال يالكم وهل هو إلا كلام حسنه
كحسن الكلام وقبيحه كقبيحه .

أخبرني أحمد بن الحسن الصوفي حدثني علي بن الجهم حدثنا زهير عن أبي
إسحاق عن عبد الرحمن بن سفيان قال كنت عند ابن عمر فحدثت رجله . وذكر
الحديث مثل ما تقدم . هذا كله ذكره ابن السني في كتابه عمل اليوم والليلة .

وأسانيد هذه الروايات : أما السند الأول فهو محمد بن إبراهيم الأحمطي
وعمر بن الجنيد بن عيسى - معا - عن محمود بن خدّاش عن أبي بكر بن
عياش عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي شعبة أو أبي سعيد عن ابن عمر . . .
أما الأحمطي فذكره الخطيب في التاريخ ولم يذكر فيه مدحا ولا قدحا غير أنه قال
حدثني الحسن بن محمد الخلال أن يوسف القواس ذكره في جملة شيوخه الثقات .
ولم نجد له ترجمة غير ما ذكر الخطيب . وأما عمرو بن الجنيد بن عيسى فلم نجد له
ترجمة مطلقا . وأما محمود بن خدّاش فنقطة مشهور . وأما أبو بكر بن عياش فإمام
معروف مخرج حديثه في الصحاح إلا أن النقاد من علماء هذا الشأن ذكروا
أنه كان بهم ويغلط كثيرا ، وأنه قد تنبهر ببعض الشيء . وقد قال الذهبي في ميزانه
عنه : « صدوق ثبت في القراءة ولكنه في الحديث بهم ويغلط ، وهو صالح الحديث
ولكن ضعفه محمد بن عبد الله بن نمير . وقال أبو نعيم لم يكن في شيوخنا أكثر
غلطا منه . وقال أحمد ثمة ربما غلط ، وهو صاحب سنة وقرآن . وكان يحكي بن
سعيد لا يعبأ به ، إذا ذكر عنده كلع وجهه . وقال ابن معين ثقة كثير الغلط

السند الأول
ويأذنه وضعفه

جدا ، وكتبه ليس كتبها خطأ . . وذكر مثل هذا العسقلاني في تهذيب التهذيب ، وروى تضعيفه من جماعة وتوثيقه من جماعة أخرى . قال وكان يحيى القطان وعلى ابن المديني يسيئان الرأي فيه ، وذلك أنه لما كبر ساء حفظه فكان يهمل إدا روى . وقال العجلي : كان ثقة قديما ضاخب سنة وعبادة ، وكان يخطئ بعض الخطأ . وقال ابن سعد : عمر حتى كتب عنه الأحداث وكان صدوقا ثقة عارفا بالحديث والعلم إلا أنه كثير الغلط . قال وقال أبو عمر بن عبد البر : كان الثوري وابن المبارك وابن مهدي يثنون عليه ، وهو عندهم في أبي إسحاق مثل شريك وأبي الأحوص إلا أنه يهمل في حديثه وفي حفظه . وقال الحاكم أبو أحمد : ليس بالحافظ عندهم . وقال الساجي : صدوق يهمل . وقال البزار لم يكن بالحافظ وقد حدث عنه أهل العلم واحتملوا حديثه . . . وقد ذكرنا فيه غير ذلك . ولكنهم متفقون على أنه صدوق في نفسه وفي كتبه ، صاحب سنة ودين وخير ، ولكنهم متفقون على أن في حفظه شيئا من الغلط والوه . فحديثه كما ذكرناه ، محتمل إذا لم يخالف الثقات ، ولكن لا يصح أن يكون ما انفرد به حجة في مثل هذه المسائل الكبرى إن لم تشهد له الشواهد وتسند المتابعات .

وأما أبو إسحاق السبيعي فامام لا يسأل عن مثله

وأما أبو شعبة المحدث عن ابن عمر فلا أعرف من يكون . وقد ذكر في تهذيب التهذيب شخصا واحدا يكنى أبا شعبة ولم يذكر سواه . قال : أبو شعبة المدني مولى سويد بن مقرن المزني كوفي ، روى عن مولاة في تميم لعلم الصورة ، وعنه ابن المنكدر . ذكره ابن حبان في الثقات . . . ولكن لا نسري هل يمكن أن يكون هذا هو الراوي عن ابن عمر الحديث المذكور ؟ في هذا شك بل بعد . وقال في الميزان : أبو شعبة الطحان كان جارا للأعشى . قال الدارقطني : متروك . ولم يذكر إلا في غيره . وقال ابن حجر في تهجيل المنفعة : أبو شعبة الطحان الكوفي جار

الأعجميين غلق لهم الباب ببيع بغيره أيضا لصح بوجهه أبو أحمد الوائلي . قال الدار قاضي
مكرولك : ولم يذكر مثواه . الوكيل قال في لسان الخبرين قوله : بأنهم كرموا . أيضا . فهل
يمكن أن يكون ههنا هو أبا شعبة لهذا كونه في الحديث مع اللقي يلبسوا . ألا يكونه بما
ويظهر أنه لم يدرك ابن عمر : ولولا جميع ما لم يذكره أو تارة في ولادته ولا تارة في
وفاته حتى انتهى . بل في من هذا إلى آخره . الحقيقة المنشوعة . ولم يذكر الخطيب
في التواريخ أمدا . يكتفي هذه البكينة . في هذا لم يذكر المالك في سلكي . والآن
ما يبين هذا الراوي . في في صليبا وأعلى . من يذوق الاحتجاج بهذا الحديث
اليبحث عن هذا الراوي . ومعرفه المرمة أمثلة ههنا . أم غيرة ثقة . وقيل : معرفته لا يجوز
حظنا أخذ من الناس الامتياز . محمد بن .

هذا على تقرير ابن هبة الراوي . يمكن أنها شعبة كما ذكر في النسب . المطبوعة :
في الهند . وأما جلي : فهو أبو هبة . كما أشير إلى . أنه كذلك في النسب . والاضطراب
والتحري . مقتولان في المطبع . من يكتبه الجدي في الحق . الهند في المطبع . ههنا . فيمن
يكنون ههنا البكينة . وفي المطبع . لا يكتفي في ههنا . الهندية . ولسان الخبرين
والميزان . تمجيد المتعة . وتاريخ الخطيب . فلم أجد من أسبق في تأليفه . في الميزان
مثلا : أبو سعيد الأزدى عن أبي جعفر لا يكره الإبر . وليلة وفاة له . أبو سعيد
الخبراني . حمض . عن أبي من مرة . وحسنه . الحصري . وأبو زرعة . لا يعرفه .
أبو سعيد عن ابن عمر لا يعرف . وعنه . بن النضر . أبو سعيد عن ورائه .
شاه . في جهالة . تفرد عنه ابن عوف . أبو سعيد . الخبر . الحسن . لا يدري .
من هو . أروى عنه . جيرة . في شريح المصري . أبو سليل . حقة . قال الجوزي
غير ثقة . أبو سعيد . الخبر . عن أبي هريرة . وعنه . الحصري . وعنه . الله بن
ماجة . أبو . الخبر . الراشدي . ابن . وعنه . سليل . قال ابن .
ممن لا يعرفه .

مسند وفي ذكر في التمهيد في التمهيد في بعض هؤلاء الذين في كرم المذاهب : سئل ذكر
 غيرهم من لم يذكر ما في المتن من أن يفتي عنه أئمة من أئمة السلف . . .
 في سورة الكهف : لسان الميزان : أربع وعشرين يكون هذه الحكمة فيهم الكذا يقول
 ومنهم الثقات في مشهور السلف . وأما ما ذكره في المتن من أن يفتي عنه أئمة من أئمة السلف . . .
 من يفتي عنه في المتن : وليس في المتن . . .
 على منقصته وحقيقته : فهذا الاستناد مطلق في كل حال . . .
 المسلمين : أهل البصر والمعرفة .

السند الثاني
 ويان حله وضعه

وأما الاستناد الثاني : وهو أن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن عبد الله بن
 ابن أرواح عن سلم بن سليمان أو ابن سلم عن أبيات بن إبراهيم عن عبد الله
 ابن عثمان بن حكيم عن بشار بن عبد الله عن أبيات بن إبراهيم عن عبد الله
 وأحمد بن عبد الله بن أرواح فلم نجد لها ترجحاً ولا في حديثي التمهيد ولا في
 الميزان ولا في لسان الميزان ولا في تعجيل المنفعة ولا في تاريخ بغداد . . .
 عظماء من الذين روى الله برؤايتهم هذه . . .
 وأما سلم بن سليمان أو سلم بن قتال الخفاف ابن حجر في تهذيب التهذيب :
 سلم بن سلم ويقال ابن سلم أو ابن سليمان ، والقواب الأول . . .
 ويقال أبو أيوب ، ويقال : أبو عبد الله . وهو سلم الطويل المدائني خراساني
 الأصل : روى عن أبيات الطويل (في أن قال) قال أحمد بن زكريا : أحاديث
 منكرة . وقال ابن أبي شبيب (في أن قال) ابن مقبل في الأحاديث منكرة . وقال النوراني
 وغيره عن ابن معين : ليس بشيء . وقال ابن المديني : ضعيف . وقال ابن قتيبة :
 ليس بحجة . وقال الجوزجاني : ليس بشيء . وقال البخاري : روى عنه مرة
 يشككون فيه . وقال أبو حاتم : ضعيف . وقال ابن أبي عمير : روى عنه مرة
 ضعيف . وقال النسائي : منكر . وقال ابن أبي عمير : لا يكتب حديثه . وقال

ابن خراش : كذاب ، وقال مرة : متروك . وقال أبو القاسم البغوي : ضعيف الحديث جدا . وروى له ابن عدى أحاديث وقال لا يتابع على شيء منها ، وأخرج له الحديث الذي أخرجه ابن ملجه . وليس عنده غيره . وقال ابن حبان : روى عن الثقات الموضوعات كأنه كان متعمداً لها . وقال اسحاق بن عيسى : ثقة . وقال المعلى : ضعيف . وقال الساجي : عنده منا كثير . وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة . وقال أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي : سلام بن سليم الخراساني متروك بالاتفاق .

وقال الخطيب البغدادي في التاريخ : سلام بن سلم ويقال ابن سليم ، ويقال ابن سليمان - والصواب ابن سلم ، أبو عبد الله التميمي المعروف بالطويل من أهل خراسان . سكن المدائن . ثم ساق الخطيب مقادح الناس فيه وزاد على ما نقله صاحب تهذيب التهذيب فيه قوله : قال الغلابي : سلام الطويل مدائني ضعيف . وقال في موضع آخر : سلام بن سلم مذموم .

وأما غياث بن إبراهيم فقال في الميزان : غياث بن إبراهيم النخعي عن الأعمش وغيره . قال أحمد : ترك الناس حديثه ، وعن يحيى ليس بثقة . وقال الجوزجاني : كان فيما سمعت غير واحد يقول يضع الحديث . وقال البخاري : تركوه ، يكنى أبا عبد الرحمن ، يبعد في الكوفيين . قال الذهبي : روى عنه بقية ومحمد بن حمران ومحمد بن خالد الحنظلي وبهلول بن حسان وعلي بن الجعد . وهو الذي ذكر أبو خيثمة أنه حدث المهدي بخبر (لاسبق إلا في خف) فمس فيه (أو جناح) فوصله . ولما قام قال المهدي : أشهد أن قنك قنا كذاب . وذكر المستقلاي في لسان الميزان ما ذكره الذهبي في الميزان وزاد عليه : قال الآجري سألت أبا داود عنه فقال كذاب ، وقال مرة : ليس بثقة ولا مأمون . وقال ابن معين كذاب خبيث . وقال الساجي : تركوه وقال صالح جزرة : كان يضع الحديث . وقال أبو

أحمد الحاكم : متروك الحديث . وقال النسائي في الجرح والتعديل : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال ابن عدي : بين الأمر في الضعف ، وأحاديثه كلها شبه الموضوع . وذكره العقيلي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء . وذكر هذا كله ابن حجر . فالرجل متفق على ضعفه .

وأما عبد الله بن عثمان بن خثيم فقال في الميزان : عبد الله بن عثمان بن خثيم المسكي روى عن ابن معين : أحاديثه ليست بالقوية ، وروى أحمد بن أبي مرزيم عن ابن معين : ثقة حجة . وحكى عن ابن مهدي توهينه . وقال أبو حاتم : مائة بأس صالح الحديث ، وقال مرة لا يحتج به . وقال النسائي عقب حديثه : « عليكم بالاثم » : لين الحديث . وقال في التهذيب : عبد الله بن عثمان بن خثيم القاري المسكي . روى عن أبي الطفيل وصفية بنت شيبة وقيلة وعطاء وسعيد . ابن جبير وأبي الزبير وشهر بن حوشب ومجاهد ونافع مولى ابن عمر وعنه السفياتان وابن جريج وحماد بن سلمة وحفص بن غياث وغيرهم قال ابن أبي مريم عن ابن معين ثقة حجة . وقال العجلي : ثقة . وقال أبو حاتم : مائة بأس ، صالح الحديث . وقال النسائي : ثقة ، وقال مرة : ليس بالقوي . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان يخطئ . وقال الدورقي عن ابن معين : أحاديثه ليست بالقوية ، نقله ابن عدي وقال : وهو عزيز الحديث وأحاديثه أحاديث حسان . وقال ابن سعد كان ثقة وله أحاديث حسنة . وقال النسائي : ليس بالقوي . قال : ولم يترك يحيى ولا عبد الرحمن حديث بن خثيم إلا أن علي بن المديني قال : ابن خثيم منكر الحديث ، وكان علي بن المديني خالق للحديث . هذا حاصل كلامهم في ابن خثيم هذا . وقد أخرج مسلم حديثه في الصحيح . وأما مجاهد فلا يسأل عن مثله . فهذا الاسناد الذي أسند الحكاية إلى عبد الله بن عباس اسناد ذاهب هالك لا يجوز الالتفات إليه .

وقال ابن قانع : ثقة . لهذا لما قالوا في الرجل . فلا ، كثرون يصفونه .
ولمّا بنى إسرائيل فهو إسرائيل بن يونس بن إسحاق السبيعي أخيه السبيعي الأمام
الثقة المشهور . ثقة من رجال الصحيحين ، ولا يبالى بطلوع من الجملة .
المشهور في القصد . وأما أبو إسحاق فلا يسأل على مثله .
وأما الهيثم بن حنش بهذا الضبط فلم أجده . ذكر في الكتب الخمسة
فلا ينع . بغداد . ويزان الاعتدال . ولسان الميزان . وهنئذ التهذيب . وشمس
والذي يفتون في آله . مصنف . وأبو الطخيل . أن يقال : الهيثم بن حنش .
فيكون هو الذي قال عنه لسان الميزان : الهيثم بن حنش . قال الخطيب في
الكفاية لم يرو عنه غير أبي إسحاق السبيعي . وهذا لا يبعد .
وكثرة الشبه بينهما . والكتب المطبوعة في الهند كثيرة .
وتحسب فيكون الهيثم هذا الجوهري لا يخرج به .
إسناد . وأما الأسناد الرابع . وهو أحمد بن محمد بن الحسن
ابن الحسن الطوسي . فقد ذكره الخطيب في التلخيص . قال وهو ثقة .
طويلة . وقد ذكر له حديثاً مشهوراً . وهو لما ذكر أن الرضا عليه الصلاة والسلام
أخذه لأبي جهم . أو لم يزل له جلاً . قال وقد سئل الدارقطني عن هذا الحديث
فقال : وهم الصوفي فيه . وهم قبيلة . قال الخطيب : وأما قولهم في الصوفي لأنه
قد تولى عليه . وإما الوم . بن سويد بن سعيد . الذي روى عنه الصوفي . وقد
حمل على سويد بن سعيد . لذلك . وحكى عن الدارقطني .
ابن المنادي قال كتبت عن أحمد بن الحسن الصوفي .
الميزان : أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي مشهور ، ولحقه الدارقطني . وذكر

قول ابن المنادى فيه . وذكر العسقلاني في لسان الميزان ما قاله الخطيب . . .
والحاصل من هذا كله أن الصوفى المذكور ثقة لا يسمو إلى مراتب الثقات الأثبات .
ولا ينزل إلى مواضع الضعفاء المتروكين .
وأما على بن الجهم فوثقه الأكترون وروى البخارى حديثه فى الصحيح
ولم يبال تضعيف من ضعفوه .

وأما زهير فهو زهير بن معاوية الجعفى الكوفى الإمام . ثبت ثقة من رجال
الجماعة ، ولكن مهرة هذا الفن ذكروا أن روايته عن أبى إسحاق خاصة فيها شىء .
لأنه مجمع منه آخرة بعد الاختلاط . قال الذهبى : ولبن ، ما يته من قبل أبى
إسحاق لا من قبله هو .

وأما عبد الرحمن بن سعد فسيأتى الكلام فيه . فهذا السند خير سند عند ابن
السنى لهذه الحكاية . ولكن خير ما روى به هذا المعنى عن عبد الله بن عمر هو .
ما رواه البخارى فى كتاب « الأدب المفرد » قال : حدثنا أبو نعيم قال حدثنا
سفيان عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن سعد قال : حدثت رجلا ابن عمر فقال له
رجل اذكر أحب الناس ، فقال . يا محمد . وهذا الإسناد رواه كلهم أئمة مشاهير
خلا عبد الرحمن بن سعد الراوى عن ابن عمر . وقال فى تهذيب التهذيب : عبد
الرحمن بن سعد القرشى كوفى روى عن مولا عبد الله بن عمر ، وعنه أبو إسحاق
السببى ومنصور بن المعتمر . . . ذكر . ابن حبان فى الثقات . وقال اللسانى
ثقة . وقد رمز إلى أنه من من رجال البخارى فى الأدب المفرد . فلذا ثبت أن
عبد الرحمن هذا ثقة صحيح الحديث وأمن بجانبه على الحديث كانت الرواية
المذكورة فى غاية الصحة والقوة ، وكان إسنادها فى غاية الاشراف والنظافة ، والذى
نختاره نحن ونميل إليه أن لهذا المعنى عن عبد الله بن عمر أصلا لتعدد الطرق .
هذا ما نقول أولا ثم نقول ثانيا : هذه الروايات - إذا صححت - لا تبدل على

الطلب سند
لحديث خدر
الرجل

معاني هذه
الروايات ان
صحت وبراءتها
مما ذهبوا

مازعموا من دعاء الأموات وسؤالهم ضروب الحاجات . وذلك أنه ليس فيها طلب
شئ من الأشياء ولا حاجة من الحاج الكبيرة أو الصغيرة - كالذى يطلب هؤلاء
الضلال من الموتى ، مثل هداية القلوب وغفران الذنوب ومطالب الدنيا والأخرى
وكل الذى فيها أنه يجوز أن يقال فى بعض الأحيان والحالات : واعمداه ،
بالتجريد من كل طلب وسؤال . وهذا القول ليس استغاثة وليس طلبا ولا سؤالاً
وإنما هو قول يقال عند التوجع وإبداء الأسف ويسمى اصطلاحاً ندبة . يقال
ندب الميت إذا بكاه وعدد أو صافه وفضائله المحمودة . . والمندوب ليس مستولاً
ولا مطلوباً ولا مراداً منه أن يسمع أو يعطى أو يشفع أو يدعو . وليست الندبة فى
التحقيق خطاباً حقيقياً وإن كانت فى الظاهر كذلك . فاذا قال الحى - برئى ميتاً
عزيزاً وفقيداً آد فقدته - : واخليلاه ، أو واصديقه ، أو وأميراه ، أو وأبناه ،
إنما هو ذلك لم يكن فى شئ منه دعاء ولا طلب ولا خطاب حقيقى ، وإنما هو توجع
وأسف بالغ وبكاه . وقد صرح أن السيدة فاطمة بنت سيد الخلق رضى الله عنها
ندبت أباه بعد وفاته وقالت فى نديتها ورثتها إياه : يا أبته ، أجاب ربه دعاه ، يا أبته
من جنة الفردوس مأواه ، يا أبته إلى جبريل نتماء . رواه البخارى فى الصحيح
عنها . وكذلك جاء أن غيرها نديه عليه الصلاة والسلام . فتقول القائل : واعمداه
فى الرواية المذكورة مثل قول السيدة فاطمة : يا أبته . . . كلاهما توجع وتنفج ،
وكلاهما خال من الدعاء والطلب . وهذا مثل قول الرائي لصديق له ذهب إلى
سبيله : واصديقه ، واخليلاه . ومن زعم أن هذا استغاثة أو أن فيه استغاثة وطلباً
وسؤالاً فهو فى حاجة إلى التعليم لا إلى المجادلة والمساجلة فى هذه المباحث العليا
القيمة . ولو كان هذا الذى ذكره استغاثة لكان فيه طلب ما هو طلب المستغاث
من أجله وهو أن يقول القائل : واعمداه أغشنا أو أعنا أو نصرنا أو أعطنا . ولكن
الروايات الثلاث المذكورة خالية من ذلك . ولا ريب أن من وقع فى بلاء وشدة

فأود أن يستغنى عن قتالي مثلاً: وإفلاذاه لم يكن مستغنياً استغناءً صحيحة، ومن أشرف على العرق وقال: يارجل أو يافلان - ولم يقل خذ بيدي أو أقبضني أو أدركني أو أغنني - لم يكن مستغنياً استغناءً صحيحة ولا داعياً دعاء صحيحاً تاماً. فالذين ذكرت عنهم ههنا إله وإيات لم يقولوا: واحمداه أعطينا أو أغننا أو نحو ذلك. وإن فليسوا طالبين ولا سائلين ولا مستغنين، وإنما هم نادون بأن يكون لهم ما يريدون. وما يوضح غلط هؤلاء القوم وغلطهم أن الذين كانوا يقاتلون مسيحية الكذاب وقومه المرتدين في أرض اليمامة لا يصح اليقظة أن يستغثوا برسول الله ولو كان حياً سويّاً في المدينة المنورة ليعهد ما بينهم وبينهم. ولا يمكن أن يدعوهم وأن يخاطبهم من هذه المسافات ليحييهم ويسمعهم ويعطيهم ما سألوه وطلبوه إلا إذا زعموا أنهم ^{عليه السلام} مثل الله تعالى جلته وعظم شأنه في صفة الإحاطة والغيوب وعلم القريب والبعيد وفي القدرة على إغاثة المستغثين بهما كثيراً وتعددها واختلافها وفي الاستطاعة على قضاء الحاجات مهما تعددت وكثرت واختلفت. ولكن برأ الله محاجة فيه من هذه العبادة التكبراء الموحدة الباطلة.

ووضح غلط القوم

وهي الخطة الفاضحة أن الرافضى بعد ذكرهم هذه الرواية زعم أن المسلمين ما أتوا مسيحية الكذاب إلا في حياة النبي عليه السلام. وهذا زعم مخزى والله شامك بأسره. فإن المسلمين ما أتوا مسيحية وقوم المرتدين إلا بعد وفاة النبي عليه السلام. فأتاهم الصديق الأكرم أبو بكر العظيم حتى حبت أفتلهم وأطاع خلتهم وأستأصل شأقتهم. ويظهر أن الشيعة يريدون من وراء هذا الخطأ والضلال تحريش أبي بكر الصديق من هذه المكربة وخلق من هذه الحلة عوجى قتاله المرتدين وقضاؤه عليهم القضاء الأخير. ولكن

مهم من قتاله المرتدين كان في حياة النبي

من كان فوق محل الشمس موضعهم. فليس برفيع شيء ولا يضع
والقوى آفات لا تقف عند حلق.

هذا تدية لا
استغاثه

ووضح أن النبي في هذه الروايات تدية لا استغاثه أن عبد الله بن عمر علي
ما ذكرنا لم يقل : وأحمده إلا بعد أن قيل له أذكر أحب الناس إليك قال
هذا يدل دلالة صريحة واضحة على أنه لا استغاثه هنا البتة ، إذ لو كانت المسألة
مسألة استغاثه وطلب وسؤال لقليل له : استغث أو اطلب أو ادع أحب
الناس إليك أما كلمة إذ كر فانها تدية في أن المراد ذكر الاسم أحب أم الحبيب
مرسلا مطلقا

حال باطله

على أن النبي لا يشك فيه المؤمنون أنه من المحال والباطل أن يروح أصحاب
النبي عليه الصلاة والسلام يستغيثون بغير الله ربهم وخالقهم في أخرج الساعات
وأخذ الأوقات وأحوج ما يكونون إلى المونة والمغونة ولنصرة الحامية المؤيدة
حتى يكون شعارهم وهم يتعززون أعداء الله وأعدائهم وأعداء الإسلام ، بل والحق
ينزل الباطل بكل قواه وعدده وعنده فاما انكسر كما انكسر وفي انكساره
ذهب كل شيء تراث الرسول وتراث صحابته الأبرار وتراث الحق والهدى الأزل
أقول من المحال والباطل أن يكون شعار صحابة رسول الله بينهم كذلك وأحمده
طالبين الثون والنصر والتأييد تاركين الله جل جلاله وراء ظهورهم ووراء
وأمانتهم ومسائلهم ووراء حاجاتهم وأمانهم . ولو أن النبي عليه الصلاة والسلام
كان معهم في تلك الساعات والأوقات يخوض الخوف ويظا الصروف لأخضع
هو إلى عونهم ونصرهم له ولدنه بأسياهم وبطولة أنظارهم . وهو لو كان
معهم في تلك المواقف الحامية لكان هو يوم لا يجارون إلا إلى الله ولا يدعون
سواه « أمن بحب المضطر إذا دعاه » « د الله مع الله »

وقد أفانا الله في غير ما آية من كتابه أن المؤمنين في ساعات الحروب ومناخزة
الأعداء لا يستغيثون إلا بالله كما قال تعالى من سورة الأقل : « إذ تستغيثون
عنكم فاستغيث لكم أي يمدكم بألف من الملائكة » ويقول من ضمنه المصورة في
شأنه رف زينة الأعداء د رينه لا زينة فقلنا لا كما نة ثلاثة يومه

تعليم المؤمنين وإرشادهم إلى الأخذ بالسببين : بالقوة المادية والقوة المعنوية الروحية ، وهى الرجوع فى وقت الحاجة والشدة إلى الله وحده : « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا . . . » ولم يقل : فاذكروا الرسول أو اذكروا الله والرسول ، بل قال : اذكروا الله وأطيعوا الله والرسول . فالرسول له حق الطاعة فى هذا المقام لا الاستغاثة ولا طلب العون والممد ، فان ذلك من الله وإليه وحده لا شريك له . وقال فى هذه السورة أيضاً « يا أيها النبی حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ، أى الله حسبك وحسب المؤمنين معك ، وقال تعالى حكاية عن طالوت ومن معه من المؤمنين حينما زحفوا إلى جالوت ومن معه من الكافرين : « ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله . » ولم يكن من شعار هؤلاء المؤمنين المختارين حين القتال والنضال ومنازلة أخصام الحق أن يستغيثوا بمخلوق : لا بنبي ولا بنفیر من الخلق ، بل رجعوا جميعاً إلى الله وإلى طلب النصر والعون وإفراغ الصبر لديه . وقال من سورة آل عمران : « وكأین من نبی قاتل معه ربیون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين . وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » وقال : « الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ولنعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » .

إلى غير ذلك من الآيات الناطقة بأن المؤمنين ، أتباع النبيين فى حالات

الحروب والشدائد والخواف لا يذكرون سوى ربهم ، ولا يدعون أو يسألون إلا إياه معرضين عن جميع المخلوقين : الصالحين والنبیین وغيرهم من صنوف المخلوقين المرئيين . وما ذكر الله في كتابه عن أحد منهم أنه دما مخلوقاً أو استغاث نبياً أو ولياً أو صالحاً حين الزحف إلى قتال أعداء الله وأعداء دينه . وما ذكر عنهم سوى الانقطاع إلى الله والرغبة فيه وفي نصره وفي تأييده وحده . ولا ريب أن الله لم يقص علينا في كتابه أحوال عباده الصالحين وأقوالهم إلا للتقوية والأسوة والاتباع بهم والنهج منهم . فيقص علينا أن الأنبياء والربيين معهم والصالحين كانوا حين الحرب والبلاء والبأساء يدعون الله ويرغبون إليه لا إله إلا هو كي نفعل فعلهم ، ونأخذ سبلهم ، ونرجع إلى الله وحده مثلما رجعوا . وقد أنبأنا الله في كتابه ، كما تقدم ، أن الكافرين والمشركين أنفسهم كانوا في شدتهم وحين عصف الأقدار بهم يتركون كل ما سوى الله ويخلصون إليه تعالى وحده لا شريك له مخلصين له الدين ، لا يبالون بمخلوقا ، ولا يذكرون أحداً إلا الله . فكيف يمكن بعد هذا أن يكون أصحاب النبی عليه السلام في حين شدتهم وبأسائهم يرضون عن الله ، يأخذون يستغيثون المخلوقين ويضعون عليهم آمالهم وحاجاتهم ؟ اللهم إن هذا باطل كاذب . -

فالذين يدعون العبيد ويستغيثونهم في أوقات الحروب والشدائد والمكار . والاقدام على الختوف والصروف خارجون عن سنن الأنبياء والصالحين ، مخالفون لما قصه الله في كتابه عن عباده المختارين . فمن المحال الباطل أن يكون شعار صحابة النبي عليه الصلاة والسلام في قتالهم وحروبهم الاستغاثة بالنبي ، ومن المحال أن تكون الرواية صحيحة إن كان معناها ما ذكرنا وزعموا ، ومن المحال أن يكون الذي فيها استغاثة ودعاء إن كانت صحيحة ، بل لابد أن يكون ندبة ، أي توجهاً وأسفاً على فراق رسول الله .

ومما يرد على المخالفين زعمهم أعظم الرد أن حرف « وَا » ليس حرف نداء .
 فهو لا يدخل على المنادى الحقيقي أبداً ، فلا يقال : وارجل أقبل ، أو وافلان .
 افعل كيت ، ولا يقال : وا الله اغفر ذنبي ولا أمثال ذلك . وإنما يجيء عند
 إرادة النداء الحقيقي أحد الحروف الموضوعة للنداء مثل « يا » و « أي »
 و « أيا » و « هيا » والمهزة ، فيقال : يا فلان أو أي فلان أو أيا فلان أو هيا .
 فلان أو أفلان افعل . ولا يقال : وافلان افعل مثلاً . ويوضح هذا جيداً دخول
 ألف الندبة وهاء السكت بعدها على « وامحمداه » في الروايات الثلاث على ما ذكر
 الشيعي . وهذان الحرفان : الألف والهاء ، لا يقعان في المنادى الحقيقي ، فلا يقال :
 يا محمداه أقبل أو أيا زيدا اذهب . وأيضاً فإن المنادى المفرد المعروف يبنى على
 ما يرفع به ، ومحمد مثلاً يرفع بالضمة . فإذا كان منادى وجب أن يبنى على الضمة
 فقول يا محمد . . . إذن فالذي في الروايات ليس نداء وإنما هو ندبة بلا شك .
 هذا ، ومن الجواب عن حديث خدر الرجل أن يقال : عرفنا من الروايات .
 التي نقلناها من كتاب « عمل اليوم والليلة » لابن السني أنه كان من عادة العرب .
 أن يذكروا اسم أحب الناس إليهم عند خدر الرجل لأعلى سبيل النداء والسؤال .
 والاستغاثة والطلب بالضرورة ، وإنما هي مجرد عادة قد يكون فيها بعض التأثير
 على نفس المحب الواله عند ذكر من يحب . وهذا التأثير - إن وجد - راجع إلى
 ما ينال نفس المحب وما يتغشاها من التأثير والانفعال - الذي يسمو عن التعبير
 وعبارة الكلام عند ما يلاقى محبة اسم حبيبه ، فتتملى نفسه بالصور المختلفة المتنوعة
 لذلك الحبيب الغائب . . . قهتز النفس لتلك الذكريات اهتزازات لا محالة من .
 أن يهتز لها كيان الجسم وكيان الصورة الخارجة . . . فيصاب الداخل والخارج
 أو الجسم والروح بالارتجاج العنيف ، وبالارتجاج يكون التبديل والتغير ، وبالتغير
 والتبديل قد يزول خدر الرجل ، وقد يزول غيره من آلام النفس والجسم ، من

ويرد على
المخالفين أن
حرف « وَا »
يسمى حرف
النداء

ذكر اسم الحبيب
عند خدر الرجل
عادة من عادات
العرب

الآلام الظاهرة والباطنة . وایس فی هذا الزعم ما یخالف ما طبعت علیه النفس وما شید علیه الجسم من عادات وسنن وطبائع لا یحیط بکنها وحقیقتها سوى من خلقتها وهو اللطیف الخبیر .

ومن الدلیل دلی ذلك أقوالهم الی ذکرناها : « إذا خدرت له رجل دعاك »
« وتخدر فی بعض الأحيان رجله * فان لم یقل یا عتب لم ینهب الخدر

إذا خدرت رجلی تذكرت قولها * وفادیت ابنی باسمها ودعوت
فهذه الأشعار دلائل ناطقة دلی أنهم قد اعتادوا أن یذكروا أسماء أحبائهم
عند ما تخدر أرجلهم ، ولكن لا شک أنه لیس فی ذکرهم من یحبون حیثا کشف
من الاستغاثه والسؤال والنداء والطالب . فالقائل : « إذا خدرت له رجل دعاك »
لا یرید أنه یتستغیث بتلك المرأة حیثا تخدر رجله ، والقائل أیضا : « فان لم یقل
یا عتب لم ینهب الخدر » لا یعنی الاستغاثه والدعاء الحقیقی لتلك المرأة المحبوبة
یوم أن تخدر رجله ، والقائل أیضا : « إذا خدرت رجلی تذكرت قولها » الیهی
لا ینهب بقیله هذا إلی الاستغاثه والسؤال والطلب بالضرورة الجلیة . وإنما
هی ذکرى قد یكون للنفس فیها بعض الشفاء . ولاریب أن ذکر الحبیب وتمثل
ضوره قد یشرحان النفس ، وقد یطلقانها من آلامها أو یلسیانها إلیها . وإذا
انشرحت النفس کان فی انشراحها العلاج الذی لا یمائله علاج لآلام الجسم
وأمرضه ، لأن المرض نوع من أنواع الفتور والضعف والهبوط . وفی انشراح
النفس لذكرى الحبیب من القوة والمشاط والحركة ما یبعد ذلك . ولأن المرض
عبارة عن نقص وقود الجسم ، والذكرى ، ذکرى الاحباب ، وقود ما مثله وقود
واشتعال وانتقاد ما مثلها اشتعال وانتقاد . فما کالذكرى إذن علاج ، ولا
کالذكرى دواء .

والذی فی أحادیث خدر الرجل من هذا القبیل أى من قبیل تذكر الحبیب

ما ذکرى
الحبیب من علاج

الأعظم عليه الصلاة والسلام . وليس هو من نوع الاستغاثة والدعاء والطلب الذى نأباه لأن الاسلام يأباه .

وليعلم هذا الرافضى وغيره من أنصار البدعة أن الممنوع لدينا ليس هو حروف النداء والتلفظ بها ، ولا حرف الندبة ولا غير ذلك من الحروف . وإنما الممنوع عندنا هو طلب مالا يستطيعه إلا الخالق من المخلوق . وإذا علم هذا سقط كل ما يصاولون به ويحاولون من الحساب والاعتبار ، وسقط كل ما يتشبهون به من إدخال حروف الخطاب والنداء والندبة على الأموات . وفى هذا فصل الخطاب وفيصل التفرقة .

هذا آخر النقض على شبهات الرافضى . ولعل القارىء اللبيب رأى كيف يشيدون عقائدهم ودينهم على الأخبار النافذة والروايات التى فاتها الحساب والنسب ، فاذفين بكتاب الله وبقواطع الاسلام وضرورات العقول وراء ظهورهم ودبر آذانهم حيناً بحجة التأويل الذى هو تحريف قبيح ، وحيناً بالانكار والجحود الصريح . والله الهادى لمن يشاء إلى سبيله وصراطه المستقيم .

﴿ التوسل ﴾

ثم قال الرافضى : « الفصل الثالث فى التوسل إلى الله بالأنبياء والصالحين . وهذا يكون على وجوه : أحدها أن يقول : أتوسل إلى الله به أو أتوجه به إليه ، أو أتشفع أو أقدمه بين يدي حاجتي أو نحو ذلك . ثانيها - : أن يقول : أسألك بفلان أو بحق فلان أو بحقه عليك أو بجاهه وبركته أو بحرمة أو نحو ذلك . ثالثها - : أن يقول : أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو نحو ذلك وكلها تؤول إلى شئ واحد وهو جملة وسيلة واسطة بينك وبين الله لماله من المنزلة عهده والكرامة لديه .

« والتوسل بأنواعه مما منعه الوهابيون وجعلوه شركاً لأنه نوع من التشفع

انواع التوسل
٥.٥.٥. الخالف
وجوازها وأدلة
ذلك

الممنوع عندهم الموجب للشرك وجريان أدلتهم فيه .

« وقول : التوسل ثابت بنص الكتاب قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتنوا إليه الوسيلة » . وهي بعمومها شاملة لكل توسل إلى الله بما يكرم عليه . وقد دلت الأخبار الكثيرة على ثبوت الوسيلة الأنبياء والأوصياء والصالحين . وقد مر قول النبي عليه الصلاة والسلام : « سألوا الله لي الوسيلة فأنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون ذلك العبد » . ويأتي قوله عليه السلام عن الخوارج : « يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة » . والمراد بالوسيلة الدرجة والمكانة عنده تعالى ، ولذلك يتوسل ويتشفع به إليه .

« والتوسل بذوى المكانة عند الله ، أحياء وأمواتا ، من سنن المرسلين ، وسيرة الصالحين بأي وجه من الوجوه الثلاثة . بل هو ثابت في الشرائع السابقة فمن القسطلاني في شرح صحيح البخاري غن كذب الأخبار أن بني إسرائيل كانوا إذا أخطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم . انتهى .

« وقد ثبت جواز التوسل بالحي كما اعترفوا وكما صرحوا بالأحاديث ، وفيها أمره عليه الصلاة والسلام بالتوسل به إلى الله وبسؤاله بحق السائلين وبحق المشي المصلي إلى الصلاة . وصرحت بالحق على الله وبالتوسل بالنبي وبالعباس . وجاء ذلك في الأخبار الآتية وفيها قول عمر في العباس : هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه . . . وإذا ثبت أن التوسل بالحي ليس عبادة ولا شركاً فالتوسل بالميت كذلك لعدم تعقل الفرق . فان جواز التوسل به إلى الله إن كان لمكانته عند الله فهي لم تذهب بالموت ، وإن كان لأجل أن يدعو الله فهو ممكن في حق الميت . ولو فرض عدم إمكانه لم يوجب الشرك بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم أنه صحيح . فالفرقة بين التوسل بالأحياء والأموات تحكم محض .

وقد فهم الصحابة عدم الفرق وهم أعلم بالسنة من ابن تيمية وأتباعه كما يأتي في حديث ابن حنيفة . وصرحت الأخبار الآتية أيضا بعدم الفرق بين الحى والميت بل والموجود والمعدوم . وأمر مالك إمام المذهب المنصور أن يتوسل بالنبي ويستشفع به بعد موته وقال : هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم ، كما يأتي كل هذا . مع هذا إن الأخبار قد صرحت بعدم الفرق بين الحى والميت ، بل الموجود والمعدوم ، بل العاقل وغير العاقل كالأعمال ، فصرحت بوقوع التوسل من آدم بالنبي عليه الصلاة والسلام قبل وجوده ، وبالتوسل بالأعمال وبتوسل النبي بالأَنْبياء قبله وهم أموات ، وبتوسل الصحابة بقبر النبي بفتح كوة بينه وبين السماء . وإليك بيانها : قال السهمودي عالم المدينة فى كتابه « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » : الفصل الثالث : فى توسل الزائر وتشفعه به ﷺ إلى ربه واستقباله فى سلامه وتوسله ودعائه :

« اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السلف الصالحين ، واقع فى كل حال ، قبل خلقه وبعد خلقه فى حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة .

« الحال الأول أى قبل خلقه ورد فيه آثار عن الأنبياء ، ولانتهصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصححه إسناده عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله عليه السلام : « لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى . فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقك ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتنى بيديك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فمرفت أنك لم تفض إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم . إنه لأحب الخلق . وإذا سألتنى بحقه فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك » . قال : ورواه الطبرانى وزاد : « وهو آخر الأنبياء

من ذريتك » انتهى . وفي خلاصة الكلام : ورواه البيهقي باسناد صحيح في دلائل النبوة . وفيها أيضاً : قال في « المواهب اللدنية » ورحم الله ابن جابر حيث قال :

به قد أجاب الله آدم إذ دعا * ونجى في بطن السفينة نوح
وماضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح
« وفيها أيضاً قال بعض المفسرين في قول الله تعالى : « فتلقى آدم من ربه
كلمات فتاب عليه » : إن الكلمات هي توسله بالنبي : انتهى . وفي مجمع البيان
في تفسير الآية بعد نقله جملة من الأقوال ما لفظه : « وقيل — وهي رواية
تختص بأهل البيت — : إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء مكرمة فسأل عنها
فقيل له : هذه أجل الخلق عند الله منزلة — والأسماء : محمد ، وعلى ، وفاطمة ،
والحسن ، والحسين . فتوسل آدم إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته » انتهى .
وفي ذلك يقول الواسطي :

قوم بهم غفرت خطيئة آدم * وهم الوسيلة والنجوم الطلع
« وإلى هذا التوسل أشار مالك بقوله للمنصور : ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة أبيك آدم في الحديث الآتي

« ثم قال السهمودي : قال السبكي : وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث
الفار الصحيح — وهي مخلوقة — فالسؤال بالنبي أولى . وفي العادة أن من له عند
شخص قدر فتوسل به إليه في غيبته فإنه يجيب إكراماً للتوسل به . وقد يكون
ذكر المحبوب أو المعظم سبباً للإجابة . ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل أو
الاستغاثة أو التشفع أو التوجه . ومعناه التوجه به في الحاجة . وقد يتوسل بمن
له جاه إلى من هو أعلى منه .

« الحال الثاني التوسل به بعد خلقه في مدة حياته في الدنيا . منه ما رواه

جماعة منهم النسائي والترمذي في الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضربير البصر أتى النبي عليه السلام فقال : ادع الله لي أن يعافيني . فقال ﷺ : « إن شئت دعوت ، وإن شئت صبرت وهو خير لك » . فقال : ادعه فأمره عليه السلام أن يتوضأ وأن يحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة . يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضي ، اللهم شفعه في » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وصححه البيهقي وزاد : ققام وقد أبصر . وفي رواية ففعل الرجل فبراً .

« ومن التوسل به في حياته ماورد في قصة سواد بن قارب التي رواها الطبراني وفيها أنه أنشد النبي قصيدته التي يقول فيها :

وإنك أدنى المرساين وسيلة * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه * بمن فتيلا عن سواد بن قارب
« فلم ينكر عليه قوله : أدنى المرساين وسيلة ، ولا قوله : وكن لي شفيعاً .
« ومن التوسل به في حياته ما رواه البيهقي أن أعرابياً جاء النبي عليه السلام ، يستسقى به وأنشده :

وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل
« وهذا صريح في التوسل ولم ينكر عليه بل قال أنس لما أنشده الأبيات قام يجر رداءه حتى رقى المنبر وخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر . وروى البخاري في الصحيح أنه عليه السلام لما أمطرت السماء قال :
« لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه . من يلشدنا قوله ؟ » فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

قهلم وجه النبي .

«وقال السهمودي : الحال الثالث التوسل به بعد وفاته : روى الخبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته . فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له ابن حنيف : أئت الميضاة فتوضاً ثم أئت المسجد وصل ركعتين ثم قل : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك أن تقضى حاجتي » وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان فجاءه البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه على الطنفسة فقال حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ، ثم قال : ما ذكرت حاجتك إلا الساعة . وقال : ما كانت لك من حاجة فاذا كرها . ثم خرج الرجل من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا ينظر إلى حتى كلمته في . فقال ابن حنيف . والله ما كلمته ولكن شهدت رسول الله وأناه ضريح فشكا إليه ذهاب بصره . الحديث .

« وفي كتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » أيضاً ما لفظه : وفي الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح ، وثقه ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام فجلس عند رأسها فقال : « رحمك الله يا أمي بدد أمي » . وذكّر ثناءه عليها وتكفينها ببرده . قال : ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فخفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل فاضطجع فيه ، ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مسجلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبل » . وفي خلاصة .

الكلام : رواه الطبرني في الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم ومصححوه انتهى .
« ومن التوسل به بعد موته قول صفية بنت عبد المطلب في مرثيتها للنبي
عليه السلام التي رواها أهل السير وعلماء الأثر :

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا * وكنت بنا برآ ولم تك جافياً

« وفي وفاة الوفا » ما لفظه : وفي الوفاء لابن الجوزي من طريق أبي محمد
الدارمي بسنده عن أبي الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى
عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا قبر النبي عليه السلام واجعلوا منه كوة إلى
السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ، ففعلوا فطروا حتى نبت العشب
وممئت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسعى طم الفتق . قال الزين المراغي :
إن فتح الكوة سنة أهل المدينة عند الجذب .

« ثم قال السهمودي : الحال الرابع التوسل به عليه السلام في عرصات القيامة
فيشفع إلى ربه . وهذا مما قام عليه الاجماع وتواترت به الأخبار . وروى
الحاكم ومصححه عن ابن عباس قال أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى آمن بمحمد
وأمر من أدركت من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا أئى
خلقت محمداً ما خلقت الجنة والنار . واقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ،
فكتبت عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن .

« ومن أخبار التوسل بالملائكة والأنبياء ما في خلاصة الكلام عن الأذكار
للنووي أن النبي عليه السلام أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً : « اللهم
رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أجزني من النار » . قال في الأذكار :
خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء .

« وأما التوسل بقبره عليه السلام فقد جاء في حديث توسل عمر بالعباس
وفي خلاصة الكلام : واستسقى عمر بالعباس لما اشتد القحط غام الرمادة فسقوا .

وذلك مذكور في صحيح البخاري .

. « وفي وفاة الوفا » وغيره قال القاضي عياض في الشفاء بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك - فيما يظهر - قال : ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله فقال مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله أدب قوماً فقال : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » ومدح قوماً فقال : « إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله » الآية . وذم قوماً وقال : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » . وإن حرمة ميتنا كحرمة حيها فاستكان لها المنصور . فقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله . قال الله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » انتهى . وفي الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي أن الشافعي توسل بآل البيت النبوي وقال :

آل النبي وسيلتي * وهم إليه ذريعتي

أرجوهم أعطى غداً * بيدي اليمين صحيفتي . . .

وهنا نقل الرافضي جملة حكايات في التوسل بنسب بعضها لبعض الأعراب ، وبعضها لآل البيت من طرق الشيعة ، وبعضها بنسب لبعض الفقهاء . . . وكلها لا قيمة لها لارواية ولا دراية . وسوف نمر بالقارئ في غضون الكتاب إن شاء الله . وهذا الذي نقلناه حاصل ما ذكره الرافضي في هذا البحث من الشبهات . وإننا بعون الله وتأييده نورد ما يتيسر من القول في الوسيلة وفي معناها وفي ما يراد منها وبها شرهاً ولغة ، وما يراد بها ومنها عند جمهور الناس اليوم وقبل اليوم من العامة وأشباه العامة وما يقع في ذلك من اللبس والابهام والالهام . وسنورد إن

شاء الله الدليل القاطع على كل ما نكتب ونذكر ، ثم بعد هذا نتعقب ما ذكره
الرافضى فى هذا الفصل من الشبهات أو البراهين فنرد المردود الفاسد ونكشف
ما فى الصحيح من الوهم والوهن والتحريف والتجديف — سائلين الله وحده
العون والغوث والسلطان والبيان .

﴿ حقيقة التوسل والوسيلة ﴾

الكلام على
نوسل والوسيلة
لغة وشرها

إذا رجعنا إلى الكلمات الواردة فى الشرع وفى اللغة التى جاء فيها لفظ
التوسل وما اشتق منه وجدناها كلها بمعنى القرب وما يشتق منه أو ما يؤول
إليه من قريب أو من بعيد . وفى كتاب الله يقول الله من سورة المائدة : « يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون »
والوسيلة فى هذه الآية هى ما يقرب إلى الله وما يتقرب به إليه من الأعمال
الصالحة المبرورة المشروعة دلى اختلاف ضروبها واختلاف مظاهرها وحقائقها
وصورها ، يدخل فى ذلك أدلى الأحوال وأشرفها كالصلوات والفروض الخمسة ،
وأقلها مثل إمطة الأذى عن الطريق مثلا : كذا جاء تفسيرها عن السلف
الصالح فجاء عن عبد الله بن عباس أن الوسيلة هى القربة . وكذا جاء عن الحسن
 وابن زيد ومجاهد وذيرم . وقال قتادة فى تفسيرها : أى تقربوا إلى الله بطاعته
والعمل بما يرضيه .

وقال تعالى من سورة بنى إسرائيل : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه . إن عذاب ربك
كان محذورا » . وقد فسرنا الآية بما فسرت به الآية قبلها ، أى بالقرب والتقرب .
فآية المائدة تطلب إلى المؤمنين أن يبتغوا عند الله وحده الوسيلة أى القرب والتقرب
إليه . والتقرب إلى الله لا يدرك إلا بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه والمرسايين من

عباده ، وآية بنى إسرائيل تحدث المؤمنين بأن عباد الله المؤمنين يدعون الله
 ربهم ، يطلبون لديه تعالى القربى والزلفى ، ويتنافسون فى هذا القرب وذلك
 التقرب ، ويرجو كل منهم أن يكون الأقرب الأدنى الأسبق . وهم أيضا
 يرجون رحمته ويخافون عذابه لأن عذاب الله مخدور مرهوب لأنه شديد أليم
 وفى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال : « من قال قال حين يسمع النداء
 اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه
 مقامًا محمودًا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة » . وهذه الوسيلة المذكورة فى
 هذا الحديث الصحيح هى منزلة من منازل القرب والزلفى عند الله مدخرة لنبيه
 ﷺ . فهى راجعة إلى معنى القرب وما تفرع عنه ، كذا جاء بيانها فى حديث آخر
 صحيح وهو ما رواه الامام مسلم فى الصحيح قال قال رسول الله عليه السلام : « إذا
 سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فإن من صلى على صلاة صلى الله
 عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبدهم
 عباد الله وأرجو أن كون ذلك العبد . فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه
 الشفاعة » . فالوسيلة فى هذا الحديث منزلة من منازل الجنة العليا . ولا ريب أن
 الجنة درجات ، وأن أقربها إلى الله هو أعلاها وأرفعها ، وقد جاء فى الحديث
 الصحيح عن رسول الله أنه قال : « إذا سألت الله فاسأله الفردوس ، فإنه أعلى
 الجنة وسقفه عرش الرحمن » . فهذه الوسيلة التى هى منزلة من منازل الجنة لا تعدو
 فى معناها مادة القرب والزلفى . وذلك أن من ينال مثل هذه الدرجة من درجات
 الجنة لا ريب فى قربه من ربه . وقد قال تعالى فى أهل جنته وقربهم لديه : « إن
 بالمتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » فأنبأ الله أن المتقين
 الذين هم فى الجنة التى هى جزاء المتقين عند مليك مقتدر وهو الله جلست قدرته

الاحاديث فى
 التوسل
 والوسيلة

والذى ينال أسمى منازل الجنات - وهى المنزلة الموصوفة فى الحديث - قريب من الله أعظم القرب وأدناه -

وفى حديث أنس بن مالك المشهور أن عمر بن الخطاب كان إذا قحط استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال أنس : فيسقون . وقوله هنا : نتوسل إليك - فى اللفظين - معناه نتقرب إليك ونزدلف إلى رضاك وإلى خيرائك وأنعمك . وغياثك ورحمتك وكل فضلك وأياديك . وجاء فى شعر المتنبي قوله :

الاشعار فى
التوسل والوسيلة

ألا ليست الحاجات الا نفوسكم * وليس لنا إلا السيوف وسائل .
يريد أن يقول إنه ليس لهم ما يصلهم بآمالهم الفضية المقطوفة من أشعة الشمس وخيوط القمر ، وليس لهم ما يقرهم إلى ما يتطلبه المجد والشرف والحياة العزيزة الفاضلة إلا السيوف المغمدة المنتفضة على البأس وبالأس ، فهى هى التى تتركبها الحاجات ، وينال البعيد الأقصى ، وتتطلب الحقوق وافية كاملة . وكل حق أو باطل ريم اقترابه بغير السيوف - والسيوف أبدأً عنوان القوم والبأس - فلن يقترب منه خطوة واحدة ، ولن يزداد على الرجاء والتأمل إلا بعداً ونأياً . ولقد صدق هذا الشاعر الحكيم إذ قال :

من اقتضى بسوى الهندي حاجته * أجاب كل سؤال عن هل يلم
وجاء فى شعر لبيد :

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * بلى كل ذى رأى إلى الله واسل
و « واسل » هنا إما بمعنى راغب وإما بمعنى متقرب بالأعمال ، والمعنيان يصيران - نتيجة - إلى معنى واحد . وذلك أن الراغب فى الشئ متقرب إليه ضرورة ولا بد ، فكلمة « واسل » فى قول لبيد لا تخرج عن القرب والتقرب . وجاء فى شعر أبى طالب فى نعيه على قريش مقاطعتهم بنى هاشم وظلمهم

إياهم واحتشادهم على عدائهم ونبذهم قوله من قصيدته الطويلة المشهورة : « وقد قطعوا كل العرى والوسائل » . ويعنى هنا بالوسائل القربات التى كانت بين بنى هاشم المنبوذين المظلومين وبين قرىش النابذيين الظالمين ، القربات التى ما كان أجدرها بالرعاية والصيانة والوصل .

وجاء فى شعر عنتره العبسى قوله :

إن الرجال لهم إليك وسيلة * أن يأخذوك ، تكحلى وتخضبي
يعنى أن للرجال تقرّباً لقضاء مآرب الشهوات والحاجات الجنسية وفروض اللذائذ المتأججة . فعليها إذن - لإلهاب هذا التقرب ولتحريك تلك الشهوات الدافعة إليه - أن تتسلح بأعظم سلاح وضعه الله فى يد المرأة الموصوفة جهلاً وغلطاً ومغالطة بالضعف والالطف . . . وهذا السلاح هو أن تحتال لتقوية سلطتها وجبروتها بأن تستعمل أنواع الزينات والمساحيق والأصبغ التى اعتادت المرأة أن تذل بها صاحب السيف والمزراق ، وتأمر بها آمر الملوك والأبطال . ويمكن تفسير «وسيلة» فى البيت بالحاجة . ويراد أن للرجال لديها حاجة . وحاجات الرجال عند النساء معروفة . والحاجة اللازمة الصحيحة يطلب أبدأً التقرب إليها ويطلب قربها . فإطلاق الوسيلة التى هى التقرب أو القرب أو القربى أو التقريب على الحاجة إذن معهود مثاله فى اللغة ، جائز قياساً ورواية ونقلًا . والأمر كله يرجع إلى مادة القرب .

وجاء أيضاً فى شعر العرب وأنشده ابن جرير فى التفسير قولهم :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا * وعاد التصافى بيننا والوسائل

والوسائل هنا هى معانى القربات التى تجمع الحبيب بالحبيب ، وتقرب ما بين العاشق والمعشوق وما بين الرجل والمرأة . وما أكثر معانى هذه القربات وما أقرب معانى الرجال من معانى النساء ، وما أكثر ما يحاول معنى أن يقرب من معنى .

وجاء أيضاً في شعر العرب قول قتيلة بذت النضر وقد قتل أبوها النضر .
والنضر أقربهم إليه وسيلة * وأحقهم إن كان عتق يعتق
تعنى أن النضر المقتول ألصق القوم قرابة بمن إليه مصير قتل أولئك المقتولين
ولإحيائهم بالمن عليهم .

وجاء في شعر العرب الأقدمين :

ولما عصينا بالسيوف تقطعت * وسائل كانت قبل سلما حبالها
هذه بعض أقوال الشرع وأقاويل اللغة في معنى الوسيلة والتوسل . أما أقوال
علماء اللغة فلا تخرج عما ذكرنا . قال في النهاية : « وفي حديث الأذان : آت
محمدًا الوسيلة هي في الأصل ما يتوسل به إلى الشيء ويتقرب به إليه . وجمعها
وسائل . يقال وسل إليه وسيلة وتوسل . والمراد به في الحديث التقرب من الله
تعالى . وقيل هي الشناعة يوم القيامة . وقيل هي منزلة من منازل الجنة ، كذا
جاء في الحديث . » وقال الجوهري في صحاحه : « الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير .
والجمع الوسائل والوسائل . والتوسيل والتوسل واحد . وسل فلان إلى ربه وسيلة ،
وتوسل إليه بوسيلة أى تقرب إليه بعمل . وقال في القاموس : « الوسيلة والواسطة
المنزلة عند الملك والدرجة والقربة . ووسل إلى الله توسيلا عمل عملا تقرب به إلى
الله كتوسل ، والواصل الواجب والراغب إلى الله . . » . ومثل هذا قال في معنى

أقوال أهل اللغة
في معنى الوسيلة
والتوسل

التوسل والوسيلة سائر علماء اللغة كصاحب « لسان العرب » وغيره .
فالتوسل إذن إلى الله وإلى الشيء معناه التقرب إليه بما يقرب منه وبما
يوصل إليه ، فهو بمعنى الطريق والسبيل . ولكن لا ريب أنك قد تظن ما يبعد
عن الله مقربا إليه ، وما يدنى من غضبه ومقته مدنيا من رضاه ورحمته ، وتظن
ما ليس طاعة طاعة ، بل قد تظن المعصية طاعة ، والطاعة معصية . فأنت قد
تضل السبيل إلى الله ، وقد تضل في سبيل عبادته والتماس رضاه وقر به وثوابه ،

ليس كل ما يسمى به
الناس وسيلة
يكون عند الله
وشره كذلك

كما قد تفضل السبيل إلى الدنيا فلا ترشد في مآربها ومآربك . فقد تحسب أنك إذا عملت ذلك العمل المعين نجحت وربحت وأدركت غايتك ، فإذا عملته أو بدأت العمل بدالك أنك قد كنت غالطاً ضالاً ، وأنك في رأيك وتفكيرك جاهل شارد . وقد تحسب أن ذلك الطريق ينتهى بك إذا سلكته حيث تريد وحيث تذهب ، وهو في الواقع لا ينحى بك إلا إلى عكس ما تريد وتقصد وتذهب وتطلب . وقد تظن أن عملاً من الأعمال ينال به رضا الله وهو في الواقع لا ينال به سوى غضبه وعذابه . وقد يظن الكثيرون من الخلق أن أشياء كثيرة يعملونها من الدين ومن الاسلام وهي في التحقيق مما جاء الدين والاسلام بحربها والذيات عنها : هذا كله لا شك فيه ولا خلاف في شيء منه . وذلك أن الوسائل إلى الله - وأعني بها كل ما يقرب إليه تعالى - هي في نفس الأمر لاندو رسالات الأنبياء وشرائع السماء . فانه لا يقرب إلا الله إلا ما قال الانبياء وكتب الله : إنه يقرب إليه تعالى ، ولا يكون وسيلة إلى رضاه وثوابه إلا ما علم من طريق السماء أنه كذلك . فمعرفة الوسيلة لا تكون إلا بمعرفة الشريعة ، وجعل الشريعة هو في الواقع جبل بالوسيلة . فمن لم يعرف دين الله فلن يكون عارفاً بالوسيلة فيه ، ومن عرف الوسيلة فلا بد أن يكون عارفاً بالدين لأن الدين كله تقرب إلى الله وكله يقرب إليه تعالى . والوسيلة - كما تقدم - هي ما يقرب إليه أيضاً . فالوسيلة إذن هي الدين وهي الطاعات والعبادات ، وهي ماله عند الله الثواب والجزاء والشكر والحمد ثم الجنة والرضا . ومعرفة الدين تحتاج بلا ريب إلى علم ودراسة واتصال مكين قريب بالرسالات السماوية . إذ ليس كل ما يسمى عند الناس ديناً يكون كذلك . ديناً عند الله وفي شرائع أنبيائه ، وليس كل ما يمدونه طاعات وعبادات يكون عند الله وفي شرعه كذلك . . . ومرجع هذا الاختلاف على الدين والعبادات والطاعات إلى الجهل والغباء وفساد الذوق والقصور الذاتي البشرى ، والمعجز

الانسانى الظاهر المطبوع . ولا شك أنه لولا رسالات الله وبلاغاته أنبيائه لم عرفنا ، مثلاً ، أن الحج إلى مكة المكرمة - بطوافه وسعيه وسائر أعماله وشعائره - مما يقرب إلى الله ومما يرضيه ويجزى عليه . ولولا رسالات الأنبياء ووحى السماء لما عرفنا أن صيام شهر رمضان مما يقرب إلى الله ومما يجزى عليه الجنة والتقريب . ولما عرفنا أيضاً كثيراً من الشرائع الالهية المجمع عليها . وهذا كله معلوم ظاهر لا يتقبل الخلاف والتزاع .

إذن لا ريب أن من قال : هذا العمل وسيلة إلى الله - أى مقرب إليه - كان مطالباً بالحجة والبرهان من الشريعة نفسها . وذلك أن قوله : هذا وسيلة معناه هذا دين وشرع لله ، ودين الله لا يعلم إلا بالنقل والبرهان والوحى . وكتب الله كلها إنما أنزلت لتعريف العباد الدين وتعليمهم إياه . ولا شك أن من قال : إن المشايخ والصلحين والأمواء ، وإن المكوف على القبور والحج إليها وإسراجها وتمظيمها ودعاء أصحابها وسكانها : - لا شك أن من زعم هذه الأمور أو بعضها وسائل إلى الله كان مطالباً بالدليل من الشرع والدين ، وأن من زعم هذا بلا نقل ولا عقل كان زاعماً لا يقبله العقلاء ولا المسلمون .

فإذا قيل إن الله قد أمر بابتغاء الوسيلة إليه والوسيلة عامة شاملة ، قيل في الجواب : هذا حق لا تنازع فيه ولا فى شئ منه ، أى لا تنازع فى وجوب ابتغاء الوسيلة الشرعية بكل أنواعها إلى الله ولكننا تنازع فى معنى الوسيلة وفى ما يراد بها ومنها فى نصوص الدين ، لأنها - كما قدمنا - هى كل ما يقرب . فعلى المخالفين إذن أن يقيموا الحجة المقبولة على أن هاتيك الباطلات والوثنيات مما يقرب إلى الله . وإلى جزائه وثوابه . فالنزاع والخلاف فى هذا لافى وجوب ابتغاء الوسائل واتخاذها كلها لديه تعالى . والأمر بابتغاء الوسيلة مثل الأمر بسائر العبادات والطاعات . وبالدين وبارضاء الله : كل ذلك يحتاج إلى معرفة بالمأمور به وإلى تعيينه والنصر

لاشك فيه
معرفة الوسيلة
بالمأمور بها

عليه . فاذا قيل لنا : اعبدوا الله ، احتجنا إلى معرفة العبادة لنقوم بالأمر ونؤدى الأمور به . وإذا قيل لنا : الدين كله لله احتجنا أيضاً إلى عرفانه لنقوم به ونؤديه إلى الله ونخضع به . وإذا قيل لنا : توسلوا إلى الله وابتغوا إليه الوسيلة كتبنا في حاجة شديدة واضحة إلى عرفان هذه الوسيلة وهذا التوسل ، الذين أمرنا بهما لنقوم بفروضهما وافية كاملة . كما أنه إذا قيل لنا : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة كنا محتاجين إلى أن نعلم ما هي الصلاة وما هي الزكاة حتى نقيم هنيئاً ونؤتي تلك . بل كما أنه إذا قيل لنا : والله على الناس حج البيت ، كنا محتاجين إلى معرفة معنى هذا البيت الذى أوجب الله علينا حجه ، ومحتاجين إلى معرفة معنى الحج والمراد به وحقيقته وما يدخل فيه وما لا يدخل . وهكذا الشأن فى جميع الأوامر والنواهي . فالوسيلة هى التقرب إلى الله ، وهذا لا تنازعه ولا ينازعه أحد من المسلمين . والتوسل إلى الله — أى التقرب — لا ينازعه فى وجوبه بالجملة مسلم واحد . ولكن النزاع منطلق إلى معرفة ما يقرب منه تعالى . هذا معترك الآراء ، وهنا تتصادم الأفكار .

إذن لا ريب فى أن من احتجوا بقوله تعالى : « اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » وقوله : « أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب » على صحة هذه المخزيات الباطلات الشريكات التى يأتونها الجبال وأشباهم فوق القبور ولدى أضرحة الصالحين غلطاً عظيماً منكراً . وما مثلهم فى هذا الاحتجاج إلا كمثل من احتجوا بقوله تعالى : « فاذا فرغبت فأنصب » على صحة « النصب » على أموال الناس أى الاحتياال عليها واغتصابها بطرق التبجيل والاحتجاج والكنب . وقد وقع هذا الاحتجاج حقيقة لاخيالاً ، وقد سمعنا من احتج بالآية هذا الاحتجاج الظريف . وهذا الاحتجاج كذلك الاحتجاج من كل وجه . وذلك أن الذين أجازوا « النصب » استدلوا بالآية ، حجتهم أنهم وجدوا العامة

مثل من استدلوا
بالآية على جواز
كل ما يسمونه
توسلاً ووسيلة

يسمون الاحتيال على الناس وعلى أخذ أموالهم « نصباً »، ووجدوا الآية الكريمة تأمر « بالنصب »، فظنوا أن هذا هو هذا . وقد قرب هذا التفسير المجيب إلى أفهام هؤلاء المفسرين النبلاء ظنهم أن قوله « فرغت » يعنى به الفراغ من المال . والمادة ومن العمل ، أى إذا فرغت يدك من المال ومن العمل الكاسب للمال . واحتجت جازلك النصب على الناس لكسب قوتك وضرورة حياتك . وكذلك الذين احتجوا بالآيات والنصوص الآمرة بابتغاء الوسيلة إلى الله وجدوا أن عبادة المشايخ والأموات والطواف بقبورهم وأجدانهم ودعاءهم وسؤالهم ضروب الحاجات الدنيوية والأخروية ، وكل هاتيك المنكرات تسمى فى لغة عبدة القبور « وسائل »، ووجدوا أن القرآن يأمر بابتغاء الوسائل إليه تعالى ، فظنوا أن تلك هى تلك : فضلوا وأضلوا اعتقاداً وعملاً .

ومثل هذا الاحتجاج أيضاً ما معناه من شيخ كبير من كبار المشايخ الرمحيين وهو فى معرض إقامة البراهين من الكتاب والسنة على جواز التوسل أو وجوبه معناه هذا الشيخ الكبير الرسمى الجليل يقول بملء فيه على مسامع الجماهير من المستمعين إليه : إن قوله تعالى : « إن أبى يدعوكم ليجزيك أجر ما سقيت لنا » وقول الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتابه إلى هرقل عظيم الروم : « أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم تسلم . . . » يدلان على جواز دعاء الأموات والتوسل بالمشايخ والصالحين ، ويدلان على بطلان ما ذهب إليه الوهابية من منع الاستغاثة بالموتى . . . وقد ذهب هذا الشيخ المفسر لكلام الله وكلام رسوله بهذا الهنيان إلى سبيله ولقى حتفه ور به .

ولا يبعد من هذا الاحتجاج احتجاج بعض هؤلاء التائبين بقوله تعالى فى صفة بقرة بنى إسرائيل : « قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » على أن السنة اختيار الأصفر من النعال والخفاف . والاستدلال كله فى هذا راجع

إلى أن المستدل له والمستدل به يقعان تحت لفظ واحد وكلمة واحدة في حالة من الحالات وصيغة من الصيغ . فالاعمال الصالحة التي سماها الله في كتابه وسيلة وأمر يا ابتغائها ، وهذه المخازي المبثوثة فوق القبور والأبواب وحول الأشجار والأحجار كل من النوعين أطلق عليه اسم الوسيلة وسمى توسلا في عبارة من العبارات وحالة من الحالات . ومن ثم جاء احتجاج هؤلاء المحتجين وضلال هؤلاء الضالين . وكذلك « فالنصب » في الآية « والنصب » في كلام الناس الجهلاء شملها لفظ واحد وعبارة واحدة ، فنشأ هذا الضلال . وكذلك دعاء الأموات والدعاء في قوله : « إن أله يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا » وقصا كلاهما تحت كلمة الدعاء . فثار ذاك الاستدلال الشنيع . وكذلك صفراء في الآية الكريمة التي يعنى بها البقرة واخلف الأصفر كلاهما ينتسب إلى الصفرة والأصفرار . وعلى ذلك قام هذا الاجتهاد الأبله . ونظائر هذه الاحتجاجات البلهاء كم أصيب بها كتاب الله ودين الله ، ولم أصيبت بها عقول وقلوب وعقائد . هذا هو تحقيق معنى الوسيلة والتوسل شرعاً ولغة .

أما معناه في لغة عبدة القبور العاكفين على الأحداث فهما عندهم كل ما يأتون عند القبور والآثار المعزوة للمشايخ والصالحين من أشتات المنكرات وفرائد الضلالات الأثيمة ، كالعكوف على الأضرحة والبناء عليها وإسراجها وتزيينها بسائر الزينات واستقبالها وتقبيلها ودعاء أصحابها وسؤالهم كل الحاجات والمطالب الصغيرة والكبيرة ، والاستغاثة بهم في المحضر والمغيب على القرب والبعد ثم خوفهم ورجاؤهم وإطلاق العبرات الحري ، وإرسال الشكايات والآهات من " " والصدور الملتهبة ، فوق تراجمهم وأعتابهم وعلى أطلالهم ومعالمهم الدائرة أو العامرة - وبالأجمال لا يخرج معنى التوسل والوسيلة عند هؤلاء المساكين المرضى عن هاتيك الأعمال والأقوال الوثنية الجاهلة المنتشرة على أركان أضرحة

معنى الوسيلة والتوسل في لغة الماكفين على القبور

المشايخ المزورين المعظمين المحجوجين من كل مكان لسكل غاية وحاجة . وهم يحاولون أن يعدوا هذا البلاء كله من الوسيلة التي أمر الله بها عباده وأمرهم بأن يتقربوا إليه تعالى بابتغائها وطلبها وليس لهم من دليل على هذا الخلط الفظيع المنكر سوى أنهم وجدوا هذه المنكرات تسمى في لغتهم وسيلة ، ووجدوا الله يأمر بابتناء الوسيلة إليه . وما علموا أن تسمية هذا أو غيره من الأمور في لغتهم وسيلة وتوسلا لا يقضى بأن يكون في لغة القرآن والشرع كذلك ، وما علموا أنهم كما يغلطون في معنويات الشرع ومعنويات الأشياء كلها يغلطون أيضا في لغويات الشرع ولغويات الأشياء . ولا علموا أن لهم لغة ولسانا وأن للشرع لغة ولسانا ، وأن لغتهم هم ولسانهم هم يخالفان لغة الشرع ولسانه . ولا علموا أن اعتقادهم هم بأن هذا من هذا ، لأنه مسمى باسمه ، يساوى الاعتقاد بأن شخص محمد هذا هو شخص محمد ذاك لأن الشخصين كليهما يسميان محمداً ، ولأنهما كليهما يدعوان بهذا الاسم .

التوسل نوطان
جائز وممنوع

﴿ما يجوز من التوسل وما لا يجوز﴾

نحتاج في هذا البحث إلى الكشف عما يجوز من التوسل والوسيلة وما لا يجوز لأن هذا الذي ذكرناه في الفصل الآنف دلنا على أن التوسل نوطان: جائز وممنوع ودين وخلاف للدين ، وأموره ومنهيه عنه . والحاجة ملجئة إلى معرفة هذا وذاك ، لاجتناب هذا واجتناء ذاك .

فنقول على وجه الاجمال والايجاز : الجائز من التوسل والوسيلة هو كل ما جاء دليل من الشرع على أنه مطلوب لله من عباده محبوب لديه ، مأمور به مثاب عليه لأن الوسيلة ، كما تقسم ، وهي الدين والعبادات والطاعات وكل ما أمر به ، لا تعرف إلا بالنصوص والبلاغات الإلهية . فكل ما دل الشرع على أن الله يطلبه من عباده ويريده منهم ويجازيهم عليه إذا عملوه جزاء البر والطاعات هو وسيلة

شرعية مجزئ عليها من الله . وجميع ما لم يدل الشرع على أنه كذلك فليس من الوسيلة الشرعية ولا يصح القول بأنه منها . هذا هو بيان الوسيلة على وجه الإيجاز والإجمال . ولكن لا ريب أن هذا عند بعض الناس لا ينقع الغلة ولا يشفي العلة . فلا بد من بيان أشفي وأكفي ، ومن قول معدود من التفصيل القائم على التدليل .

فيقال : ذكر هذا الرافض للتوسل ثلاثة وجوه أو ثلاث صيغ : أحدها أن يقول القائل : أتوسل بفلان إلى الله ، أو أتوجه أو أستشفع أو أقدمه بين يدي حاجتي . وثانيها أن يقول : أسألك بفلان أو بحق فلان أو بمجاهه أو ببركته أو يحرمة . وثالثها أن يقول أقسمت ، أو أقسم على الله بفلان ونحوه . هذه هي وجوه التوسل أو صيغه التي ذكرها الرافض في مطلع بحثه هذا ، وأجاز الوجوه الثلاثة كلها . وقد أورد من الشواهد عنده على جوازها ما ذكرناه نحن وما سوف نلخصه ونرد بطله بعد .

والوجوه الثلاثة عندنا باطلة فاسدة مخالفة لنصوص الدين ، ولروحه . ومغزاه العام .

وبيان ذلك : أما الضرب الأول وهو قول القائل : أتوسل إليك يا الله بفلان أو أتوجه أو أستشفع به أو أقدمه بين يدي حاجتي لديك فهو باطل فاسد غير مشروع . وذلك أن كلمة « أتوسل » معناها أتقرب كما تقدم ، والتقرب إلى الله بالأشخاص والنوآت غير معقول ولا مقبول لا عقلاً ولا شريعاً ، لا عند الله ولا عند عباده الصالحين . وإنما يقرب العباد إلى ربهم الأعمال الصالحة والطاعات وأفعال البر والإيمان وشعائر الإسلام وجواهر الفضائل الظاهرة والباطنة ، الفعلية والقولية ، الاعتقادية وغير الاعتقادية . ولا شيء غير ذلك يقرب العباد إلى ربهم . لأن التقريب هنا يراد به الرضا والحظوة والتكريم والجزاء والثواب الحسن من الله ، فهو التقريب الحقيقي المنزوم لهذه الأمور . والله لا يقرب عباده وخلقه بهذا التفسير

وجوه التوسل الثلاثة عند المخالفين وبطلان كلها

ولا عمل بطلان سؤال الله بعباد الخلق

منه إلا بقدر صلاحهم وطاعتهم وأعمالهم وبرهم وخوفهم مولاهم ووقوفهم عند
الأوامر والنواهي جزراً ومدّاً . والعقلاء من الخلق جميعاً لا يقربون المرء إليهم
هذا التقريب إلا بمقدار ما يتحلى به من هذه الفضائل والحسنات الشخصية المبرورة .
ومن قرب بغير ذلك كان عند الناس العقلاء عين الظالم الممتدى المولوم ، وكان
فعله هذا من المحاباة الممقوتة الملعونة . ولهذا فإن الحكومات والهيئات كلها التي
تعامل الخلق بالمحاباة و« المحسوبية » المعروفة : فتقرب مثلاً فلاناً المتأخر لأجل فلان
لا لأجل عمله واستمداده واستحقاقه ، ولا لأجل كفاءته ومقدرته الذاتية - من
شر الحكومات والهيئات التي تجب الثورة بها وبحكمها ونظامها والقائمين عليها
وبها . ولهذا أيضاً كانت حكومات « المحسوبية » والمحاباة التي تقرب فلاناً وتوليّه .
الدرجات والوظائف العالية لاشئ إلا لأجل قرابته الماتة إلى فلان العظيم أو
الكبير أو لأجل شفاعته فلان ورجاء فلان : نعم كانت حكومات « المحسوبية »
والمحاباة - ولا تزال ، ولن تزال - من الحكومات الملعونة على جميع الأفواه .
والألسنة ، المكروهة الممقوتة في كل قلب وعقل وضمير حتى لدى من خصتهم
« بحسوبيتها » ومحاباتها ، وذلك لأن الباطل والظلم مكر وهان ملعونان وإن طلبا
وسعى إليهما . ولو أن قاضياً من القضاة لم يوزع عدله وعطفه وميله وحبه وكل
هاتيك المعاني والمظاهر والمناورات المعلومة بين الخصوم المتقاضين بالسوية .
والنصفه - ذهاباً مع شفاعته فلان ووسيلة فلان - لكان قاضياً يجب أن يزول
من مكانه ، وأن يهبط من فوق كرسى القضاء والفصل بين الناس . ولو أن صدقات
المسلمين وأوقافهم وزكواتهم قسمت بين الناس المحتاجين بنسب السوية .
والاستحقاق والجدارة ، بل بالشفاعات والوسائل والجاهات والوساطات لكانت
تلك القسمة قسمة ضيزى ، يكرها الله ويكرها خلقه . ولهذا كانت الشفاعات
والجاهات والرجاءات والوساطات غير موجودة ولا نافذة عند العاديين المتسعين

لاهم
العقلاء
الوساطات
في القسمة
الشفاعات
الحكومات
الجاهات

من الحكماء كالقضاة والولاة والملوك والخلفاء . وإنما توجد وتشيع وتعم وأطعم
ويتسلح بها كل غاد لحاجة باطلة أو صحيحة في البيئات والحكومات والشعوب التي
يسيطر عليها ويمسك أزمته الظالمون المجرمون، عباد الأهواء والأغراض الخسيسة
الدينية، وعباد الشهوات والنساء واللذائذ والفواكه المحرمة — قاتل الله أمثال .
هؤلاء ، واجتث أصولهم وفروعهم ، وطهر بلاد الاسلام والحكومات الاسلامية
والعربية منهم ومن سلطانهم وتسلمهم . اللهم عاجلهم بعقابك وعذابك وقدرتك .
العادلة . ولو أنك تقدمت إلى قاض أو حاكم عادل بشفاعة أو جاه أو وساطة أو
وسيلة لكنت عنده ممقوتا مهيناً مجرمًا ساعياً بالظلم والخيانة الوطنية الدينية
الكبرى . ولهذا لم يكن الناس يتقدمون إلى الخلفاء وإلى غيرهم من الحكماء
العادلين بشئ من ذلك ألبتة رجاء أن ينالوا حقاً أو باطلاً ، بل كان الناس
يتقدمون إلى هؤلاء الخلفاء العادلين الراشدين بحاجاتهم فرادى ، لا شفعاء ولا
وجهاء وأولياء ، ولا غير ذلك سوى ما يحملون معهم من استحقاق وجدارة وكفاءة
وسلطان ظاهر . وما كان المسلمون يتخذون عند رسول الله شفيعاً ولا وسيطاً
ولا من يقومون هذا المقام لينالوا حاجاتهم وحقوقهم أو ليظفروا بعهده وحبه . . .
وإنما كانوا يتقدمون إليه بأعمالهم وطاعاتهم وإيمانهم وإسلامهم . وكان ﷺ بهم
من حبه وتعظيمه وولائه ورضاه بقدر ما وهبوا ربهم من قلوبهم وعقولهم وعقائدهم -
وإخلاصهم وتقواهم . وكان الآتي الأبعد عنه نسباً ورحماً أقرب إليه وإلى قلبه .
وحبه ورضاه من غيره ، من الذين لم يبلغوا ما بلغه من التقوى والدين والاستقامة .
ونعمة الله . وكانت منازل المسلمين ودرجاتهم لديه عليه السلام مرتبة على حسب
الصلاح والدين والقرب من رضا الله وطاعته . ولأن معاوية بن أبي سفيان
أو أبا سفيان نفسه جاءه ﷺ بأهل الأرض جميعاً شافعين متوسطين ليجعلوه
كان أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي بن أبي طالب لما كان ذلك أبداً

وإذا كان هذا النوع من الجاه والوساطة والشفاعة مقبوحاً مذموماً بين الناس والناس ، والمخلوق والمخلوق ، وعند العبد في حق العبد فكيف يكون مقبولا مرضياً بين الله وخلقه ؟

بإزالة العرع على
أن الجزاء بالعمل

وقد دل الشرع بجملة وتفصيله على هذا الذي نقول ، ودلت جميع نصوصه قرآنه وحديثه على أن العباد مجزيون : مثابون ومعاقبون ، مقربون ومبعدون بأعمالهم : خيرها وشرها ، صالحها وطالحها . ودلت على أنهم لن ينالوا شيئاً من هذا ولن ينالهم شيء من ذلك إلا بالعدل والحكمة والمساواة . وقد دل القرآن ، وكذلك السنة ، على أن الإنسان لن يجزى إلا بعمله من خير وشر ، وأن ماسوى العمل من الجاه والشفاعة والوساطة والوسيلة لن يقدم ولن يؤخر ، ولن يثيب أو يعاقب ، ولن يفعل شيئاً . ودل الكتاب والسنة في جملة نصوصهما على أن كل امرئ بما كسب رهين ، وأن كل نفس بما كسبت رهينة ، وأنه ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى . ودل كل شيء في الاسلام ، بل في جميع الأديان السماوية ، على أنه لا شيء يقرب إلى الله سوى الأعمال والطاعات والعبادات ، وسوى الإيمان والصالح والبر . والنصوص : الآيات والأحاديث في هذا الأصل معروفة للخاصة وللعمامة ، غنية بشهرتها وكثرتها ووضوحها عن إيرادها أو إبراد شيء منها . وقد قال تعالى إبطالا لنوع من الدعاوى يضارع هذا النوع : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا . فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » والاستثناء في الآية عند أهل العلم منقطع . والمعنى أن الذين يقربون عند الله درجات ومنازل عظيمة ، والذين تضاعف لهم حسناتهم بأعمالهم ، لا بالشفاعات ولا بالجاهات ولا غيرها ، هم الذين آمنوا ، وهم الذين عملوا أعمالا صالحة . فأولئك هم الذين لهم جزاء المضاعفة بأعمالهم لا بالشفاعات ولا بالجاهات والوساطات ، ولا

بغير ذلك من هذا القبيل ، ولا بالأموال ولا بالأولاد ولا غيرها من أسباب الدنيا وأعراض الحياة . وقد قال تعالى إنباء عن خليله إبراهيم وتحديثاً عن هذا الأصل العظيم والجزء العادل والحكم النزيه : « ولا تخزني يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » . يعنى أنه لا ينفع شيء من الأشياء ولا أمر من الأمور في ذلك اليوم العظيم غير سلامة القلب . ويراد بسلامته طهارة الداخل من الادواء النفسية والاعتقادية ، ثم امتثال الظاهر بالطاعات والأعمال والأقوال . أى إنه لا ينفع في ذلك اليوم غير الإيمان والاسلام ، أى الاعتقاد السليم النظيف والأعمال المبرورة الصالحة . وما سوى ذلك فباطل وضلال وزور وغرور ، وغباء اتباعه ورجاؤه . ولأجل هذا تجد الكتاب العزيز يخبر في غير ما آية بأن الأنبياء والمرسلين - بله من دونهم - لا ينفعون ولا يضرون ولا يقدمون أو يؤخرون ؛ فلا يهدون ضالا ولا ينفعون مجرماً ولا ينجون كافراً ولا يأخذون بيد هالك غريق في أعماله وسيئاته وأحواله وأحواله ، ويخبر أن الكثيرين أرادوا الشفاعة - أو شفعوا فعلاً - لأبائهم وأولادهم وأقربهم فقبها عن ذلك وعوتبوا ووعظوا وقيل لهم ما قيل ، ثم لم تجد شفاعتهم تلك شيئاً ولم تخلص من شفعا فيهم من عذابهم وإجرامهم . وحدث تعالى أن فريقاً منهم لم يفتنوا بمض الغناء عن زوجاتهم وحليلاتهم حينما شركن في العذاب ، فأدخلن النار مع الداخلين والداخلات لعصيانهن وشرورهم عن الله وعن أنبيائه .

مجر الانبياء
من نعم آياتهم
وأولادهم

وقد وجدنا الكتاب عند ما ينبئ عن وظائف الأنبياء والمرسلين يحملها فقط البلاغ والرسالة والندارة وهذه المعاني ، فيقول مثلاً : « إنما أنت منذر » ويقول : « إن عليك إلا البلاغ » ويقول : « قل إنما أنا بشر مثلكم » ويقول : « وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن » ويقول : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست

وظائف النبوة

عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر، فيعذبه الله المذاب الاكبر. إنا إلينا إليهم
ثم إن علينا حسابهم ». والآيات في هذه المعاني كثيرة معروفة . والمراد بها
إعلام الخلق كافة أن الأنبياء والمرسلين ليسوا سوى مبشرين ومنذرين ،
لا جبارين ولا مسيطرين كما قال تعالى : « رسلا مبشرين ومنذرين » . ولا شأن
لهم في مسألة الجزاء والثواب والمقاب والحساب، ولا في مسألة التقريب والابعاد
إلى الله ومنه ، ولا في كسب رضاه ورحمته ونقمته . بل هذا كله من فعله واختصاصه
على حسب الأعمال والقيام بحقوق العبودية ، إذ ليس بين الله وبين أحد من
خلقه حسب ولا نسب ولا قرابة .

وقد أنبأ القرآن بأن محاولة التقريب والتقرب إلى الله بالأشخاص والخلق
من فعل المشركين الجاهلين ، فنعى هذا الباطل وهذا الجبل على القوم
قائلاً : « والذين اتخضوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن
الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ، إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار » . فالله
قد عاب على القوم في هذه الآية أمرين اثنين ، عاب عليهم عبادة الأولياء من
دونه ، وعاب محاولتهم القرب والزلفى إليه تعالى بالأشخاص والعباد المخلوقين .
فكلا الأمرين في الآية عيب وذنب ، وكلاهما باطل وكذب وضلال . وقال
أيضاً : « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله » . وفي هذه الآية أيضاً نعى على القوم أمرين اثنين : نعى عليهم عبادة
من لا يضر ولا ينفع ، ونعى عليهم ، بعد ، ظنهم أن الشفاعات تقرب إلى الله وتجدي
لديه شيئاً . فالأمران في الآية كلاهما باطل فاسد مردود على فاعليه .

وقد تحدث القرآن كثيراً عن مجازاة الخلق المؤمنين والكافرين المحسنين
والمسيئين ، وأطال التحدث ، وأنبأ ونوع الانبئات والعبارات والآيات في
التحديث والانباء عن هذه المعاني التي هي غاية العاملين والتي هي كل ما يخالفه

حديث القرآن من
مجازاة الخلق
ومن موجبات
للجنة وموجبات
النار

الخالقون و يرجوه الراجون. وأخبر عن دخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار ، وأخبر عن المنازل والدرجات ، وأخبر عما يقال لأهل الجنة عند دخولهم إليها وما يقال لأهل النار عند قذفهم أيضا فيها ، وأخبر عن الأسباب الموجبة لدخول الجنة ونيل رضا الله ، وعن الأسباب الموجبة غضب الله ودخول ناره ، وأخبر عن مقامات التهنة والبشارات ، وعن مقامات التقرير والتوبيخ : أخبر القرآن عن ذلك كله وعن غيره وعما شاء الله من هذه الأنباء والأخبار . ولكننا لم نجد لفظا واحداً قيل فيه لأهل الجنة : ادخلوا الجنة أو اسموا إلى هذه المنازل الرفيعة السامية بشفاعة فلان أو بوسيلة فلان ، أو لأنكم توسلتم بفلان واستشفعتم بفلان ، أو ادخلوا الجنة بأعمالكم وبشفاعات شفعاكم ووسائل أنبيائكم وأوليائكم : كلا ، لم يقل شيء من هذا . وإنما قيل في الآيات كلها ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبما كنتم تكسبون . وكذلك لم يقل لأحد من أهل النار : ادخل النار أو ذق العذاب لأنك لم تتوسل بفلان ولم تستشفع بفلان أو نحو ذلك . ولكن قيل لأهل النار جميعا : ادخلوا النار وذوقوا العذاب بكفركم وشرككم وتكذيبكم الأنبياء والمرسلين وانقطاعكم إلى الشفاء والوسطاء والمحققين .

إذن فلا التوسل بالمخلوقين ينفع ولا تركه يضر ، فلا تتعلق بجاه ذوى الجاه . يقرب من الله ولا الأعراض عنه يبعد منه . فالذين يزعمون أن التوسل بالذوات والأشخاص يدنى من الله ويقرب من رضا كاذبون على الله وعلى الاسلام وعلى حلاله تعالى وعلى دينه . والذين يرجون بذلك أن ينالوا خيراً وأجراً ، فيذهبون يلهجون به وينضحون عنه ، جاثون على الدين وعلى أنفسهم وعلى حقوقهم . ولو كان في مثل هذا التوسل خير وثواب ومصاب ودنو إلى الله لوجدنا كبار المسلمين بوخيارهم وأصحاب النبي عليه السلام يتسابقون إليه ، ويقتاتسون فيه ، ولوجدنا

دعاءهم جميعه مشفوعاً به قائماً عليه ، ولوجدنا النبي عليه الصلاة والسلام يوصي صحابته وكبار المسلمين به أشد الإيحاء ، ويحثهم عليه الحث المتتابع المتلاحق . ولكن ماذا يقول المخالفون وماذا يزعمون إذا وجدنا دعوات كبار المسلمين وفضلائهم ودعوات عظماء الأصحاب وكبرائهم خالية من هذا التوسل المزعوم وهذه الوسيلة الباطلة ، وإذا وجدنا الرسول عليه الصلاة والسلام يعلمهم أنواع الأدعية ، ويسأل عن أفضل ذلك وأقر به إلى الاجابة والرضا والقبول وأصعده إلى السماء فيجيب ويصف أفضل ما يلزم أن يدعو المسلم به ربه وأفضل ما يحسن أن يواظب على الدعاء به ، ثم لا نجد في شيء من ذلك وسيلة ولا توسلاً : نعم ماذا يقولون ويزعمون إذا ما قلنا لهم هذا كله ووجدوه صحيحاً كله ؟

ما يطل السؤال
بفتوات
والاشخاص

فهذا الضرب من ضروب التوسل الثلاثة التي ذكرها الشيعة باطل كاذب فالتوسل بذوات الخلق وأشخاصهم غير مرغوب فيه وغير مقبول لا عقلاً ولا نقلاً . ولو أن ذاهباً ذهب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال له ، وهو حي سوى ، يا رسول الله إني أتوسل إليك وإلى رضاك وعدلك وإحسانك وحبك بذات أبي بكر أو بشخص عمر أو عثمان أو علي أو بالكعبة أو بالمقام وزمزم أو بالحطيم والمشعر الحرام أو بالمدينة المنورة أو بمكة كلها أو بنير ذلك لكان هذا القائل المتوسل جاهلاً ، ولما كان في شيء من قوله وتوسله هذا ما يوجب البر به والعطف عليه والتقر به والاحسان إليه . ولو أن ذاهباً ذهب إلى قاض أو حاكم عادل قائلاً له : إني أتوسل إليك بذات ابنك أو ذات والدك أو بشخص أحب الخلق وأحظاهم لديك أن تقضي لي وأن تعطف علي وأن . . . لما كان في شيء من هذا القول ما يوجب أن ينير الحكم والقضاء وسير الدعوى ، ولا ما يوجب العطف عليه والاحسان إليه بوجه من الوجوه ، بل لكان هذا القول برمته وجلته جهلاً وحققاً وسهاجة ظاهرة ، ولكن إن أراد خيال نين حجة وطيف من برهان أنفع وأنجع في الأمر والدعوى

من هذا الكلام الهراء والرجاء الباطل المقبوح . ولهذا كان من أجهل الناس . وأضلهم أولئك الذين يقولون في كلامهم وسؤالهم لمن يسألونه ويرجونه مثلاً : أتوسل إليك بقبر أبيك أو برأسه أو بروحه أو بجسده ورمته . وكان لا يقول هذه الأقاويل إلا الجاهلاء والضلال ومن لا يعقلون ولا يعرفون ما يحسن مما يقبح . ومثل هذا الكلام والهراء من التوسل والاستشفاع لا ينفع ولا يروح ولا يعرف إلا بين أراذل الناس وسوقهم وسخفهم وسقطهم . . . أما عليهم وخاصتهم فيسمون على هذا الاسفاف ويرغبون عن ذاك الهراء . والله أجل وأحكم وأعلى . من أن يروح عنده هذا السخف أو يجوز لديه هذا الباطل .

فالذى يقول مثلاً : أتوسل إليك يا الله بذات محمد ﷺ أو بذات أبي بكر أو بذات الكعبة أو بالحجاز كله لا يكون إلا جاهلاً مغرماً في جهالة . ذلك لأنه ليس في سؤال الله بذوات هؤلاء ما يوجب أن يجيب الدعاء وأن يقبل صاحبه ويقربه منه . فان مثل هذا ليس سبباً عادياً ولا شرعياً لشيء من الأشياء . ولا يزيد قولك : أتوسل إليك يا الله بذات محمد عليه الصلاة والسلام وبجاهه عن قولك : أتوسل إليك باسم نبيك محمد وبأسماء أنبيائك ورسلك وباسم بيتك الحرام ، أو أسألك يا الله وأرجوك لأن اسم نبيك محمد ، ولأن اسم حرمك مكة واسم حرم رسولك المدينة ، كما أنه لا فرق بين قولك : أتوسل إليك يا فلان بأبيك وأخيك وأهلك ، وبين قولك : أسألك لأن اسم أبيك زيد ولأن اسمك عمرو . فان كان في هذا النوع من الكلام ما يعد سبباً لنيل مطلوب كان ذلك في ذلك وإلا فلا . ولكن الناس جميعاً لا يرتابون في أن هذا التوسل الأخير جهل وباطل وضلال ، فالأول مثله .

فان قيل هذا حق وكلام جيد لولا أنه قد جاء في السنة الصحيحة ما يبطله اعتراض وجوابه . ويرده ، وذلك حديث أنس المشهور الذي فيه أن عمر استسقى بالعباس بن

عبد المطلب وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ففسقنا وإنا نتوسل إليك
بعم نبينا فاستقنا . ومثله حديث الأعمى الآتي وقد جاء فيه : « اللهم إني أسألك
وأتوجه إليك بنبيك محمد بنى الرحمة . يا محمد إني توجهت بك إلى ربي . . . »
ففى هذين الحديثين ما يفسد ما ذهبتم إليه وما زعمتموه ، فالجواب أن نقول : إن
حديث الاستسقاء بالعباس وحديث الأعمى ليسا من التوسل بالذوات والأشخاص
الذى منعهما وذكرنا أنه باطل فى الشرع والعقل . وإنما هما من التوسل بالدعاء
بلا ريب . فقول عمر : اللهم إنا كنا نتوسل بنبينا . . . وإنا نتوسل إليك بعم
نبينا معناه أنهم كانوا إذا أجدوا فى حياة النبي عليه الصلاة والسلام طلبوا إليه
أن يدعو الله لهم وأن يضرع ويرغب إليه لينزل الغيث والسحاب ويمن على
عباده بالرحمة والمطر . هذا هو التوسل الذى كان يطلبه المسلمون من النبي فى حياته
والذى كان يفعله إذا شحت السماء بها كما جاء مفصلاً فى أحاديث الاستسقاء .
وقد جاء فى كل الأخبار أنهم كانوا يطلبون من النبي الدعاء ويقولون : هلكنا
وهلكت دوابنا وعبائنا من الجذب طادع الله ليغيثنا وينزل على عباده ، وبلاذه
الخير والغيث ، فيدعوا لهم حينئذ دعاء مجرداً كما فعل فوق المنبر عند مأسأله ذلك
وهو قائم بخطب ، وأحياناً يعمد إلى صلاة الاستسقاء فيصلى ويدعو ، ويصلى
ويدعو معه المسلمون . وهذا هو الأكثر الأشهر من فعل النبي عليه السلام ، وهذا
هو التوسل المذكور فى قول عمر . وقوله رضى الله عنه : وإنا نتوسل إليك بعم
نبينا معناه أننا نتقرب إلى رحمتك وغيثك ورضاك بدعاء عم نبيك العباس :
لأن العباس صالح وقريب منك ومن نبيك ، وقد احتاج إلى رحمتك واحتجنا
نحن كذلك ، وأراد الغيث منك وأردناه نحن ، وقد دعا ودعونا وضرع وضرعنا
وسألك وسألنا . فما أخلقنا بأن نجاب ونغاث ، وما أخلقك بأن نجيب وتغيث ..
فالتوسل بالدعاء لا بالذوات ولا بالأشخاص ، ولا ريب . وحديث الأعمى كذلك

أيضاً ، فقوله : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي » معناه أنه أراد من الله بدعاء محمد ﷺ . وهذا لا يزيد عن أن يقول : إن محمداً قد دعاك في وسائلك كشد ضري وبلاني وإني ، أسألك أن تجيب دعوتي ، وأن تقبل شفاعته وأن تشفعني فيه . فانا كلاً ما أنا ونبيك محمد - داع ، وكلاً ما شافع سائل ، وأنت يا الله خير من أعطى السائلين وأجاب الداعين . فالتوجه في الحديث لم يكن بالذات والشخص وإنما هو بالدعاء والشفاعة . والدليل أول الحديث وآخره : ففي أوله أنه طلب من النبي أن يدعو له وأن النبي أشار عليه بأن يصبر لأن الصبر خير له ، فقال له : لا ، بل ادعه . وفي آخره قال : اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي - أو شفعني فيه - أي اللهم اقبل دعاءه في ، لأن الشفاعة دعاء . . فأول الحديث وآخره والتمحان في أن المسألة مسألة دعاء . وفي الحديثين : حديث الاستسقاء بالعباس وحديث الأعمى كلام طويل سوف يمر بالقارئ فيما بعد .

التي يجيب الله
فقطه وقته

وإذا علم أن ما في الحديثين ليس من التوسل والتوجه بالذوات والأشخاص زال هذا الإشكال والسؤال وسلم مما ذكرناه من الاعتراض والقدح . وذلك أنه لا ريب في أن تمت فرقاً عظيماً بين التوسل بالدعاء والشفاعة وبين التوسل بالذوات والمادة . فان التوسل ، كما تقدم ، معناه التقرب والتزلف ، والذوات المجردة لا تقرب ولا تنفع في هذا المعنى شيئاً ولا قيمة لها في هذا الضرب . وأما الدعاء فإنه يصح أن ينفع وأن ينال به المرء خيراً وأن يدرك به مطلوباً وحاجة من الحاج . وذلك أن الدعاء عبادة من للعبادات وطاعة من الطاعات . بل قد جاء في الحديث « الدعاء مخ العبادة » . وفي رواية : « الدعاء هو العبادة » . والعبادات يجازي الله عليها ، ومن جزائه عليها أن يجيب وأن يعطي صاحبها ما سأل . والله أيضاً أعظم من يعطي على السؤال ومن ينفع عنده الدعاء . وقد قال تعالى : « وقال ربكم

ادعوني أستجب لكم » ، وقال : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » ، وقال : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » الآية . ولا فرق في ذلك بين أن تكون الدعوة من المرء لنفسه أو من المرء لغيره . بشرطها وفروضها . وقد جاء الترغيب الكثير في الدعوة للغير ، وللأخوان المؤمنين في أحاديث صحاح معروفة .

فالذي يطلب من صالح أن يدعو له ويشفع هو إنسان قد أخذ بسبب من أسباب النجاح والقبول ، ثم قد يستجاب له وقد لا يستجاب . ومن أخذ بسبب من هذه الأسباب فقد توسل إلى الله وتوسل إلى حاجته . فيصح أن يقال إنه قد توسل إلى الله . ولا ريب أن النبي عليه الصلاة والسلام إذا دعا الله أن يغيثه وأن يغيث المسلمين معه ، فقد توسل إلى ربه وإلى نزول الغيث بسبب من أعظم الأسباب . ولا ريب أن المسلمين إذا طلبوا من النبي عليه السلام أن يصلي بهم . وأن يصلوا معه ، وأن يدعو الله وأن يدعوهم وأن ينزل عليهم غيثه وحنانه فقد توسلوا إلى الله . جلّت قدرته رجاء أن يرحمهم وأن ينزل عليهم غيثه وحنانه فقد توسلوا إلى الله . وإلى حاجاتهم بسبب هو من أعظم الأسباب وأقواها ، ومثله إذا فعلوا ذلك مع العباس بن عبد المطلب أومع غيره من الأحياء الصالحين . ثم لا ريب أن ذلك الضرب إذا طلب من النبي أن يدعو له ليورد بصره فدعا وأمره أيضاً أن يصلي ركعتين خاشعتين بارتين تقيتين ، وأن يدعو كذلك ، فصلاهما ودعا بعد أن دعا له النبي عليه السلام : نعم لا ريب أنه قد توسل إلى الله وإلى إدراك حاجته ورد بصره ، وأنه يصح حينئذ أن يقول : « اللهم إني أتوجه إليك بنبيك . محمد نبي الرحمة . . . » . ولهذا لما أن كانت المسألة مسألة دعاء وعبادة ، لا مسألة أشخاص وذوات ، أمره النبي عليه الصلاة والسلام أن يتوضأ ويصلي وأن يدعو أيضاً ويضريع ، بل وأن يطلب من الله أن يقبل شفاعته النبي عليه السلام .

فكان هو شافعاً للنبي كما كان النبي شافعاً فيه ، فكلاهما شافع . مشفوع له لكن على وجهين مختلفين . وذلك أنه قد جاء في آخر الحديث من الدعاء الذي علمه النبي للأعمى « اللهم شفعه في وشفعني فيه » . وهذا كله صحيح عقلاً وثقلاً .

أما التوسل بالنوات والأشخاص فشيء باطل فاسد لا معنى له ولا حقيقة . وما مثل من توسل إلى الله وإلى حاجته عند الله بالأشخاص والنوات إلا كمثل من توسل بذاته وشخصه . ولو أن أتقى خلق الله قال : أسألك يا الله وأتوسل إليك بذاتي أو بنوابي أو بكرامتي أو بقبري أو بوجهي أو جامي لكان من الجاهلين ولكان دعاؤه هذا وتوسله دعاء وتوسلاً باطليلاً سخيلاً ، لا يقدمان ولا يؤخران ولا يجديان شيئاً . وشر منه ، ولا شك ، ذاك الذي يقول مثلاً : أتوسل إليك بجسم فلان من الأنبياء أو بكرامة ذلك الشيخ أو بمقامه أو ببركته أو بجاهه . وذلك أنه إذا كان من غير الجائز المقبول أن يتوسل المرء ، مهما كان صالحاً براً ، إلى ربه بذاته وشخصه كان من غير الجائز يقيناً أن يتوسل بذات غيره وشخصه ، كما أنه إذا كان من الحسن المقبول أن يتوسل إلى ربه وإلى حاجته عنده بدعائه وسؤاله كان من الجائز الحسن أيضاً أن يتوسل إلى ذلك بدعاء الصالحين الأحياء . وكل الناس يعلم أنه لا يمكن مثلاً أن يقول الرسول ﷺ : « اللهم إني أتوسل إليك بذاتي ووجودي » ، ولكنه من الحسن المقبول أن يقول : « اللهم إني أتوسل إليك بطاعتي وبدعائي وسؤالي » . وعليه يجب أن يكون من غير الجائز أن يقول المسلم مثلاً : « اللهم إني أتوسل إليك بذات نبيك محمد ولا بجاهه أو ببركته أو بقبره أو بصومته وشرفه أو بتقواه وورعه . . . » ، وفساد مثل هذا واضح حتى في كلام الناس وعندهم . فلو قال قائل : أسألك يا فلان بتقوى فلان وصلاحه وبره ويقينه وعلمه وفضله ، أو بشجاعته أو بفضيلته أو بوجوده لكان قولاً لا معنى له . وهذا لأنه لا ريب في صلاح فلان ودينه وأخلاقه الكريمة . وبين إعطائك حاجتك وأملك .

المتوسل إلى الله بدعوات الصالحين مثل التوسل بذاته وبجسمه وقبره

فكان سؤال هذا بهذا من العبث والجهل والسخف والبرود . ونحن لا نجد فرقا بين أن يقول القائل : أسألك وأتوجه إليك بجاه النبي و بركته وحرمة و بين أن يقول أسألك وأتوسل إليك بصلاح نبيك أو بتقواه أو بحسن أخلاقه وطيبها أو بسمو شمائله أو بشجاعته أو بصبره على المكاره والآلام أو بطيب عنصره أو بطهارة نفسه ونحو ذلك . ولا نجد فرقا أيضاً بين التوسل بالجاه وبين أن يقال : أتوسل إليك بكون نبيك وجدني عصر كذا و بلد كذا ، و يكون والده فلاناً ووالدته فلانة . فإذا لم يكن وجود النبي عليه السلام في عصر كذا ومكان كذا ، ولم يكن صلاحه وصبره وفضائله وأخلاقه سبباً من أسباب نيلك ما تطلب وترجو ، ولا وسيلة لأن تجاب وتمضى وتقرب من الله ، لم يصح كذلك أن يكون جاهه ولا بركته ولا حرمة ولا ذاته ولا قبره سبباً من أسباب أن تعطى وأن تنال ما ترجو وتؤمل . وإذا لم يكن شيء من هذا سبباً لما ترجو لم يصح أن تطلب ما ترجو بما لا يمكن أن يكون سبباً له ألبتة . وهذا كله واضح جلي لا يدركه الخلاف والشك إن شاء الله .

هذا التوسل مثل
ان يقال اسألك
بكون نبيك وجدني
عصر كذا

فان قيل إن ما ذكرته هنا كله صحيح واضح الصحة والجودة ولكن الشفاعة وإثباتها بردان عليه إشكالا ، قيل : جواب هذا الإشكال يرجع إليه في بحث الشفاعة الآنف من هذا الجزء . هذا جواب الضرب الأول من ضروب التوسل الثلاثة التي ذكرها الشيعي وهو التوسل إلى الله بالأشخاص والنوات والخلق وأما الضرب الثاني وهو سؤال الله بالجاهات والبركات والحرمت وبال حقوق مثل أن يقال : أسألك بحق فلان أو بجاهه أو بحرمة أو بركته — فالجواب أن هذا الضرب حكمه حكم الضرب الأول بل هو هو فجوابه جوابه وكل ما قيل هناك يقال هنا .

وأما الضرب الثالث — وهو الاقسام على الله بخلقه ، مثل أن يقال : أقسم عليك يا الله بفلان لما غفرت أو لما وهبت لي كيت وكيت — فيقال في الجواب :

إن الإقسام بالخلق لا يجوز ألبتة . وقد جاء النهي عنه متواتراً ، وورد الوعيد الشديد عليه . وهذا له باب خاص به سوف يجيء الكلام فيه وافيّاً . فلنتركه له .
فهذه ضروب التوسل الثلاثة التي ذكرها الرافضى المؤلف كلها باطلة فاسدة لا يجوز منها شيء لا شرعاً ولا عقلاً وسيأتى الجواب مفصلاً عن دلائله المذكورة .
فالتحقيق إذن أن التوسل المطلوب شرعاً الوارد فى نصوص الكتاب والسنة يراد به جملة الأعمال الصالحة المبرورة قولية وفعلية ، وهو عبارة عن الواجبات والمستحبات . وبعبارة أخرى هو الأوامر ، والأوامر إما على سبيل الوجوب والإلزام ، أو على سبيل الاستحباب والندب . فكل واجب عمله توسل ووسيلة إلى الله ، وكل مستحب مشروع القيام به هو من التوسل والوسيلة الشرعية أيضاً . وما ليس واجباً ولا مستحباً فليس وسيلة ولا توسلاً ، أى ليس مقرباً إلى الله وإلى رضاه . فعلى إذنت وعلى المخالفين وعلى المسلمين كافة أن يعرفوا الواجبات والمستحبات وأن يعرفوا الشرع والدين وأن يدرسوه ليعرفوا ما هو التوسل وما هى الوسيلة . فالصلاة مثلاً من أعظم الوسائل ، والحج والزكاة والصيام والشهادتان من أعظم وأفضل ما يتوسل به المرء إلى ربه ، بل لا يمكن التوسل إليه تعالى بدون ذلك ، ودعاء الصالحين الأحياء نوع من التوسل أيضاً . وهذا كله قد دل عليه الشرع ولا يختلف الناس فيه .

أما ما يذكروه الجاهل وما يعدونه من التوسل والوسيلة مما لا دليل عليه سوى أنهم يسمونه توسلاً ووسيلة فليس من ذلك بل هو توسل إلى الشيطان وإلى رضاه وإلى غضب الله ومقته . فدعاء الأموات والمعكوف على الأجداث وسائر هاتيك المنكرات الخزيات هى وسائل ولا شك ولكنها وسائل إلى البعد عن الله وعن رحمته وشريعته ودينه - عياداً بالله - .

بعد هذا نقول : ومن الكذب الواضح الصريح وقلة الإنصاف ومراقبة الله

وبالاجماله
فالتوسل
عبارة عن جملة
الأعمال المشروعة

من كذب
الرافضى

قول الرافضى : « والتوسل بأنواعه مما منعه الوهاية وجعلوه شركاً لأنه نوع من التشفع الممنوع عندهم ، الموجب للشرك وجريان أدلتهم فيه . . » وهذا كذب من وجهين : أحدهما أن الوهابيين لا يمنعون التوسل كله بكل أنواعه وأقسامه الصحيحة والباطلة ، وهذا ضرورى . بل هم يرون من التوسل ما لا يكون الاسلام والایمان إلا به ، بل عندهم أن الاسلام والایمان هما التوسل والوسيلة ، وعندهم أن كل ما أمر به الشرع من الواجبات والمستحبات فهو توسل شرعى ووسيلة شرعية . . . فكيف يزعم من يخاف الله ومن يعلم أن الكذب جريمة وكبيرة أن الوهابيين يمنعون التوسل بكل أنواعه وأقسامه ؟ ! ولكن الرافضى لا يعرف من التوسل إلا أنه عبادة الأموات والأجداث وسائر هذه الفضائح القائمة على القبور اليوم وقبل اليوم ، ولا يعلم أن منه - أى من التوسل والوسيلة - العبادات والطاعات والایمان بالله وبكتبه ورسله وكل ما وجب الايمان به ، وأن منه الصلاة والزكاة والحج والصيام وجميع أعمال البر والاسلام . . . وعن هذا قال : إن الوهابيين يمنعون التوسل كله ولا يجوزون منه شيئاً ، لأنهم حقيقة يمنعون الاستغاثة بالموتى والضراعة إليهم والمكوف على قبورهم وجميع هاتيك الباطلات المبتوثة على ضرائح الصالحين والأشياخ .

وثانى الوجهين المكذوبين الكاذبين زعمه أن الوهابيين يقولون : إن ضروب التوسل الثلاثة التى ذكرها شرك بالله . وهذا بهتان قبيح من الرجل . فان الوهابيين لا يقولون : إن سؤال الله بجاه المخلوقين أو بمقامهم أو بحرماتهم ، أو التوسل بالانبياء والصالحين ، أو الاقسام على الله بهم - : لا يقولون إن شيئاً من هذا من الشرك المخرج من الملة والایمان ، المنافى للتوحيد . وإنما يقولون : إن ذلك ممنوع مبتدع كله . وهنالك واسطة ، ينبغى ألا تخفى على هؤلاء الناس ، بين كون الأمر كفراً وشركاً وبين كونه جائزاً مأموراً به . وهذه الواسطة هى ألا يكون

الأمر شركاً وكفراً ولا جائزاً مأموراً به ، بل يكون محرماً ممنوعاً ، والأمر المحرم قد يكون شركاً وقد لا يكون ذلك . والأضراب الثلاثة التي ذكرها الشيعي ليست كبراً ولا شركاً مخرجاً من الملة عند أحد من الوهابيين ، وليست أيضاً جائزة ولا ديناً ، وإنما هي أشياء باطلة مبتدعة يلزم الانكفاف عنها وطرحها من حساب الدين والاعتقاد الصحيح .

إجمالاً في التوسل
على جواز
التوسل إليه
وغيره

﴿ تلخيص أدلة التوسل عند الرافضي ﴾

والأدلة التي أوردها الشيعي في هذا البحث والتي مدتها إجمالاً كما ساقها
تتلخص في ما يأتي :

أولاً - : قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة »
قال : وهذه الآية متناولة بعمومها كل وسيلة . وقد دلت الأخبار على ثبوت
الوسيلة للأنبياء والصالحين والأوصياء مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام :
« اسألوا الله لي الوسيلة » وقوله عن الخوارج : « يقتلهم خير الخلق والخلق »
وأقربهم عند الله وسيلة .

ثانياً - : أن التوسل ثابت في الشرائع السابقة كما عن التسطواني في شرح
صحيح البخاري عن كعب الأحبار أن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا
بأهل بيت نبيهم .

ثالثاً - : أن التوسل قد ثبت بالحق كما اعترف الوهابيون وكما جاء في
الأحاديث كحديث الاستسقاء بالعباس ، وكما أمر عليه السلام أن يسأل بحق السائلين
وبحق مشي المصلي إلى الصلاة . وقد نطقت الأحاديث بالحق على الله لعباده .
وإذا ثبت التوسل بالحق وثبت أنه ليس شركاً ولا كفراً فالتوسل بالميت كذلك
إذ لا يعقل الفرق بين الفريقين . فان جواز التوسل به إلى الله إن كان لمكانته
عند الله فهي لم تذهب بالملوث ، وإن كان لأجل أن يدعو الله فهو ممكن في حق

الميت . ولو فرض عدم إمكانه لم يوجب فعله الشرك بل يكون كطلب المشي من المقعد بزعم أنه صحيح غير مقعد . قال : وقد فهم الصحابة عدم الفرق بين الحي والميت كما في حديث ابن حنيفة ، وصرحت الأخبار الآتية بعدم الفرق ، بل بين الموجود والمعدوم . وأمر مالك المنصور أن يتوسل بالنبي بعد موته وقال : هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم .

رابعاً — : روى عمر بن الخطاب عن النبي عليه السلام قال : « لما اقترف آدم الخطيئة قال : أسألك يارب . . . » الحديث .

خامساً — : قال بعض المفسرين في قوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات » : إن الكلمات هي توسله بالنبي عليه الصلاة والسلام . وفي « مجمع البيان » أن الكلمات هي توسله بمحمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

سادساً — : روى جماعة منهم النسائي والترمذي عن عثمان بن حنيف أنه رجلا ضربه البصر أذى النبي . . . إلى آخر حديث الأعمى .

سابعاً — : روى الطبري أن سواد بن قارب أشد رسول الله قصيدة فيه مدحه جاء فيها : « وإناك أدنى المرسلين وسيلة » « وكن لي شفيعاً يوم لا ذور شفاعته » . وروى البيهقي أن أعرابياً استسقى بالنبي عليه السلام وقال :

وليس لنا إلا إليك فرادنا * وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل ؟

قال : روى البخاري أن النبي عليه السلام قال لما أغاث الله العباد باستسقائه : « لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناك . من ينشدنا قوله ؟ » فقبل كأنك أردت : وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال يتأوى عصمة للأرامل قهله وجه النبي عليه السلام .

ثامناً — : روى الطبراني عن عثمان بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له ، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته . إلى آخر القصة السابقة .

تاسعاً — : روى الطبراني أيضاً في الكبير والوسط بسند فيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح، عن أنس بن مالك قال لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله . . . إلى آخر الحديث
عاشراً — : قالت صفية بنت عبد المطلب في رثاء رسول الله :

ألا يارسول الله أنت رجأؤنا * وكنت بنا برا ولم تلك جافيا

الحادى عشر — : روى الدارمي بسنده من طريق أبي الجوزاء قال فحط أهل المدينة فشكوا إلى عائشة . . . إلى تمام الرواية .
الثاني عشر — : قال قام الاجماع وتواترت الأخبار أن الناس يوم القيامة يتوسلون بالنبي عليه السلام فيشفع إلى ربه .

الثالث عشر — : روى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى بن مريم : يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركت من أمتك أن يؤمنوا به . فلو لا محمد ما خلقت آدم ، ولو لا أنى خلقت محمداً ما خلقت الجنة ولا النار . . . الحديث .

الرابع عشر — : قال قال في خلاصة الكلام : إن النبي عليه الصلاة والسلام أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أجري من النار » .

الخامس عشر — : روى القاضى عياض في كتاب « الشفا » بسند جيد عن ابن حيد أحد الرواة عن مالك في ما يظهر قال فاطر أبو جعفر المنصور مالكا . في مسجد رسول الله فقال مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد . الحديث وقد سبق لفظه وسوف يحى أيضاً .

السادس عشر — : إن الشافعى توسل بأهل البيت النبوى كما تقدم في الأبيات السابقة .

هذا هو تلخيص ما ذكر الشيعي من الشبه أو البراهين على جواز أنواع التوسل وسائر ضروبه التي ذكرها . وإنا هنا نذكر أجوبة كل شيء سائلين الله وحده العون والتأييد والتوفيق .

﴿ جواب الشبهة الأولى ﴾

جواب قول الله :
وابتغوا إليه
الوسيلة

أما الشبهة الأولى وهي قول الله : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » فالجواب أن يقال : حقا إن الآية الكريمة تطلب إلى المؤمنين جميعا أن يبتغوا إلى ربهم الوسيلة الشرعية بكل ضروبها وأنواعها وأقسامها وسائر مظاهرها قولها وفعلها واعتقادها ، حقيقتها وصورها . . . ولكن ما هي الوسيلة التي افترض الله على خلقه كافة ابتغاءها إليه وطلبها عنده ؟ هذه هي المسألة ، وهذا هو المشكل

فما لا يشك فيه مسلم ولا عاقل غير مسلم أن هذه الوسيلة المطلوبة هي الوسيلة الشرعية الصحيحة . إذن علينا أن نعرف ما هي الوسيلة الشرعية الصحيحة ، وعلى المخالفين أن يقيموا الدلائل المحترمة المقبولة على أن من الوسيلة الشرعية ما زعموه هنا من خرافات القبور ومبتدعات العاكفين على الأموات . . . ابتغاء الوسيلة إلى الله حق لا ريب فيه ولا نزاع ، ولكن نريد أن نعرف الوسيلة . هؤلاء يقولون إنها عبادة المشايخ والأموات ودعائهم والاستغاثة بهم والعكوف عليهم وإنزال الحاجات بأبوابهم وسؤالهم حاجات الدين والدنيا وجميع هذه المصائب المنشورة اليوم وقبل اليوم فوق القبور . ونحن نقول لهم : كلا ، ليس شيء من هذا بوسيلة شرعية إلى الله ، وإنما هو وسيلة إلى الشيطان والضلال والباطل . إذن نحن لا نخالفهم في وجوب ابتغاء الوسيلة إلى الخلاق ، ولكن نخالفهم ويخالفهم جميع أهل اللسان والایمان والقرآن في حقيقة الوسيلة ومعناها . فنحن نقول : إن الوسيلة إلى الله هي الأعمال الصالحة المبرورة ، فالأعمال هي التي تقرب إلى

الله ، والوسيلة هي الزلنى . والقربى لديه تعالى . . . وهم يقولون : إن الوسيلة هي دعاء الأموات والاستغاثة بالقبور والمقبور . فإذا قلنا لهم : مادليلكم على أن الرجوع إلى الأشياخ والموتى من الوسيلة والزلنى عند الله لم يكن لديهم من جواب سوى أن يقولوا إن المتوسلين يسمون ذلك كله وسيلة وتوسلا . فإذا قلنا لهم : إن المسألة ليست مسألة ألفاظ ولا مسألة عوام وجهال ، وإنما المسألة مسألة علم وحق وحقيقة وعلماء ، فالعوام والمتوسلون يخطئون في ألفاظهم وكلامهم كما يخطئون في عقائدهم ومعارفهم وآرائهم ، وكما يخطئون في أشياء كثيرة . فما دليلكم على أن هؤلاء الجهال والعوام لم يغلطوا ويخطئوا في تسمية هذا الباطل والائتم وسيلة وتوسلا لم يكن لديهم من جواب البتة .

إن المسألة مسألة علم وحقيقة . فالوسيلة هي القربى من الله أو ما يؤول إلى هذا المعنى بلا خلاف بين أهل العلم . فقول الله : « . . . وابتغوا إليه الوسيلة » معناه . اطلبوا إلى الله القربى والزلنى . وإذن عليكم أن تقيموا الدليل على أن هذا الباطل المعروف على القبور ، وتلك السخافات القائمة في كل مكان مما يقرب إلى الله عز وجل . لديه تعالى ، وأن تقيموا الدليل على أنه لا يبعد عن الله ولا يوجب غضبه ومقته . وطرده . إذ لا شك حيثئذ أن من الممكن الجأز أن يستدل بالآية المذكورة على بطلان توسلهم وما يدخل في معناه من باطلات وسخافات بأن يقال مثلاً : الآية تطلب إلى الخلق أن يتقربوا إلى ربهم وخالقهم ، ولعل من التقرب إليه تعالى وإلى رضاه وثوابه هجران هذا التوسل وهذه الوسيلة ، أعنى توسل العوام وسيلتهم . فإذا قيل هذا القيل لم يجهد المخالفون لنا من رد له ولا اعتراض عليه .

لا شك ان من
التوسل الحق
ومنه الباطل

لا شك أن التوسل منه الحق ومنه الباطل ، ومنه ما يخالف الشريعة ومنه ما وافقها ومنه ما يقرب إلى الله ومنه ما يبعد عنه . ثم لا شك أن معرفة الفرقان بين الأمرين مردها إلى الشريعة نفسها ، وأن التحاكم فيها لا يكون إلا إلى الكتاب

والسنة لا إلى العوام والجهال والمتوسلين . فلا بد لنا ، ولابد للمتوسلين المخالفين ،
ولابد لجميع المسلمين من معرفة الفرقان بين النوعين : الجائر والمنبوع ، الحق .
والباطل ، ولابد من الرجوع إلى الكتاب والسنة ، ونصوص الدين لمن يحاول
هذه المعرفة ولن ينشد الحق والهداية . إذن لترجع وليرجع معنا المخالفون
والموافقون إلى الكتاب والسنة ، ولتتعرف الوسيلة الصحيحة للمأمور بها في الكتاب
والوسيلة الباطلة المنهي عنها في الكتاب ، والتي لا يصح أن يأمر بها الكتاب
ولا السنة . فان الآية الكريمة — مفردة — لا يمكن أن تدل على شيء مما زعموا
وادعوا بالاجماع والضرورة والبسادة . فلا بد من بيان . فأين البيان ؟ هذا هو
المطلوب المنشود ، فأين يوجد هو ؟ ولستطيع أن أنبر عن هذه المعاني التي
ذكرناها بعبارة أخرى قصيرة كأن نقول مثلاً : الآية تطلب إلى المسلمين كافة
وجميعاً أن يبتغوا إلى ربهم الوسيلة ، وهذه الوسيلة المطلوبة المأمور بها إما أن يراد
بها الوسيلة الشرعية فقط ، وإما أن يراد بها كل ما يسمى وسيلة وإن كانت غير
شرعية . وهذا مالا فرار ولا ممدى عنه . ولابد حينئذ أن يكون الجواب على
هذا السؤال : إن الوسيلة المطلوبة المأمور بها هي الوسيلة الشرعية لا غير . وإذن
ما الدليل على أن دعاء الأموات ، أو دعاء الله بجاهاتهم وكراماتهم وحقوقهم
والإقسام على الله بهم من الوسيلة الشرعية المطلوبة المأمور بها ؟ هذا هو السؤال
ولابد من البيان والجواب . فالآية إذن تحتاج ، ولا شك ، إلى تفسير لفظي لغوي
ولابد للتفسير الذي يقال فيها من دليل . وأما إن قيل إن الوسيلة المطلوبة في
الآية هي الوسيلة المطلقة العامة ، أي الوسيلة الشرعية ، وذير الشرعية ، فالجواب
أن هذا القول من الباطل والضلال والخطأ بحيث لا يخفى مكانه على أحد . فان
الناس قد يسمون الشرك وسيلة إلى الله — بل قد فعلوا — وقد يسمون ما أجمع
المسلمون على بطلانه وفساده وضلاله وسيلة . وقد يشركون ويصلون ويعبدون

«الأوثان والأصنام» ثم يزعمون بملء أفواههم وحناجرهم أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك
هو أنهم إنما يتوسلون ويتقربون إليه تعالى فقط كما قد يسمون الباطل والزور والجهل
حقاً وهدى وعلماً إلهياً، وكما قد يخطئون ويضلون السبيل وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا وأنهم يرضون الله ويرضون الحق والابن والمعرفة . وقد كان
المشركون يعبدون الأصنام والأوثان ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ،
ويقولون : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . ولم يكن قولهم للأصنام والأوثان
إنها شفعاؤهم عند الله ، مصداقاً وموجباً أن تكون كذلك شفعاؤهم ، ولم يكن زعمهم
أنها تقربهم إلى الله زلفى محتمة تقربها إياهم حقيقة لا غلطاً ولا كذباً... هذا حق
لاباطل فيه، فكذلك زعم هؤلاء الضلال أن عبادة الأموات ودعاءهم والاستغاثة
بهم وسيلة وتوسل إلى الله لا يوجب أن تكون أفعالهم هذه حقيقة وسيلة وتوسلا
نافعاً عند الحق

قد يقال إن الاسم
بإتفا الوسيطة دليل
على بطلان هذه
الوسيلة

ولو كان كل ما يسمى وسيلة مطلوباً ابتغاؤه إلى الله بدليل هذه الآية لكان
من الجائز الممكن أن نسمى ترك هذه الوسيلة — التي هي وسيلةهم — وسيلة ، وأن
تقول : إن من التوسل إلى الله ومن ابتغاء الوسيلة عنده ألا يدعى إلا الله وألا
يضرع إلا له وألا يرجع إلا إليه وألا يسأل إلا بأسمائه وصفاته لا بفلان ولا فلانة
ولا بجاه فلان ولا جاه فلانة ، وألا يدعى أحد من الأشياخ والمبتين . . . وإذا
قلنا هذا أو قاله غيرنا كانت الآية — على الافتراضين — دالة على بطلان
التوسل الذى يدعو إليه هؤلاء المخالفون . وهذا هو المطلوب .

ويقال بمباراة أخرى : إن الآية تقول : « وابتغوا إليه الوسيلة » وهؤلاء
المخالفون المشاكسون إما أن يزعموا أن الصالحين من الأموات هم الوسيلة نفسها
أو يزعموا أن الوسيلة تبتنى بهم وأنهم هم أنفسهم ليسوا وسيلة . . . فان زعموا الزعم
الأول قيل لهم : إذا كان المشايخ والأولياء هم الوسيلة نفسها فالآية تأس

بابتغائهم لا بالابتغاء منهم ولا بالابتغاء بهم ، لأنها تقول : « وابتغوا إليه الوسيلة » .
فالأية على هذا تأمر بابتغائهم هم لا بالابتغاء بهم ولا بالابتغاء منهم . فدلالة
الآية حينئذ خلاف ما زعموا وذكروا . وأما إن قالوا بالشرط الثاني - أى قالوا
إن المشايخ والأولياء أنفسهم ليسوا وسيلة - قيل إذن فالآية لم تأمر بما ادعيتهم به
فلا شيء لكم فيها .

ونحرب هذا الكلام ونجويده أننا نقول : الآية تأمر بابتغاء الوسيلة فقط
فإن كان المشايخ والأمواء هم الوسيلة وهم تفسيرها فالآية لم تقل : ابتغوا بهم
ولانهم الوسيلة ولا غيرها ، وإنما قالت : ابتغوهم . وفرق عظيم بين الابتغاء
من الشخص والابتغاء به وبين ابتغائه هو ذاته ونفسه . فإن لم يكن المشايخ
والأولياء هم الوسيلة ، وإنما الوسيلة تبتنى بهم وتطلب ، قيل إن الآية لم تذكر
هذا ، ولم تذكر أن الوسيلة تبتنى بهم ولا منهم ولم تأمر بذلك ، بل وليس فيها حرف
واحد يشير إليهم . فما الدليل حينئذ على أن هذه الوسيلة التي أمرنا بابتغائها
يراد منا أن نبتغيها من الخلق بالطريق الذي يزعمه هؤلاء المخالفون ويعملونه . . .
ويقال أيضاً بعبارة أخرى : قد قدمنا أنه لا خلاف بين أهل اللسان أن
الوسيلة معناها في أصل اللغة الزلفى ، وأن التوسل معناه في صريح اللسان التقرب .
فالآية بلا ريب تطلب من الخلق أن يتقربوا إلى الله وأن يأخذوا بما يقربهم
منه تعالى وبما يدينهم من ثوابه وجزائه الأوفى . وهذا بالاجمال لا نزاع فيه .
وحينئذ يقال ما دليلكم على أن دعاء الأموات والاستغاثة بهم وأن سؤال الله
بجاههم وحقهم مما يقرب إلى الله ؟ فإن أئتم الدليل على هذا - أى على أن دعاء
الأموات أو الدعاء بجاههم وبركاتهم وحرمتهم - مما يقرب إلى الله ، فالحجة في
الدليل الذي ذكرتموه لا في الآية ، لأن الآية لم تدل على أن هذا مما يقرب إلى
الله ، وإن أئتم لم تقيموا دليلاً على أن دعاءهم ودعاء الله بهم وبجاهاتهم يقرب إلى الله

دلالة أحاديث
الوسيلة على
خلاف قوله
المخالف

لم يمكن أن تأخذوا من الآية شيئاً... فهي على الافتراضين خارجة عن منطقة النزاع والخلاف، وأنتم على الافتراضين لا تستطيعون أن تستفيدوا منها شيئاً. ثم يقال أيضاً: إن الأحاديث التي أوردتها الشيعة رد عليه. وذلك مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله الصالحين» وكقوله: «آت محمداً الوسيلة والفضيلة». فان هذه الأخبار نصوص صريحة في أن الوسيلة ليست هي الصالحين والميتين، وليست هي أيضاً دعاءهم والاستغاثة بهم، وليست هي أيضاً سؤال الله بجاههم وكراماتهم وحرمتهم وحقوقهم كما زعموا بل الأحاديث صريحة في أن الوسيلة تطلب لعباد الله الصالحين كالأَنْبياء والمرسلين، لا تطلب منهم ولا بهم، بل تطلب من الله وحده. فهؤلاء القوم المنازعون مخالفون لهذه النصوص الصحيحة. فان النصوص تعلم المسلمين وتأمروهم وتطلب إليهم أن يطلبوا الوسيلة لأشرف المخلوق محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام. وهؤلاء المخالفون يطلبونها من أمروا بأن يطلبوها لهم. فكانوا بهذا مبدلين مبتغين غير الذي قيل لهم. فالرسول الأكرم يقول لهم وللمؤمنين به جميعاً «اسألوا الله لي الوسيلة» وهم يقولون: لا، بل نسألك أنت الوسيلة وتوسل بك. وهذا عين الخلاف على النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿ الشبهة الثانية توسل بنى إسرائيل بأهل بيت نبيهم ﴾

استدفاع
إسرائيل بأهل
بيت نبيهم

وأما ما ذكر عن القسطلاني من أن بنى إسرائيل كانوا إذا أجدبوا استسقوا بأهل بيت نبيهم، فالجواب ثلاثة أمور: أولها المطالبة بتصحيح هذا النقل من طريق صحيح مقبول لدى أهل المعرفة. وبغير ذلك لا يبالى بالرواية ولا بالنقل. وليس كافيًا تصحيح الرواية ذكر القسطلاني لها بلا خلاف بين الناس. ثاني الأمر أن نطلب إلى المخالفين أن يقيموا الدليل على أن جميع ما يفعله بنو إسرائيل حق

وصواب وهدى : ة وأنه ليس في ما يقولونه ضلال ولا جهل ولا خلاف على أنبيائهم ودينهم وكتابتهم . ولكن كيف ذلك وبنو إسرائيل قد فعلوا بدينهم وكتباتهم الأفاعيل ، وقد حرفوا الكتاب وكتبوا بأيديهم كتباً وقالوا : إنما من عند الله ليشتروا بها نعمة قليلاً ؟ كيف وقد جاء الكتاب والاسلام ناعياً عليهم أفانين الضلالات والجهالات والחסقات في الأصول والفروع . فلا يحتاج بما فعلوا واعتقدوا وقالوا إلا من خبط في مثل ما خبطوا فيه من شراذم النواية وضروب الباطل . بل لو قيل إن فعلت بني إسرائيل للأمر الذي لم يؤثر عن سوام من الدلائل على بطلانه وفسادته وخلافه على الاسلام والحق والصواب لكان قولاً مقارباً إن لم يكن الحق عينه فليس عنه بعيداً . وذلك لوفرة نصيبهم من الباطل والاثم والفي ، وقلة حظهم من الهدى والخير والصواب حتى عد ركونهم إلى الشيء من أمارات بطلانه وفسادته وكذبه . ثالث الأمور لو صح هذا النقل وقام الدليل على أنه من الحق الباقي عند بني إسرائيل لما كان فيه حجة على ما ذهب إليه المخالفون لجواز أن يكون المراد الاستسقاء بدعاء صالحى ذرية نبيهم وشفاعتهم ، مثل استسقاء عمر ومن معه من المسلمين بالعباس بن عبد المطلب ، ومثل استسقاء معاوية ومن معه بيزيد بن الأسود الجرشي التابعى الصالح . وهذا النوع من الاستسقاء والتوسل لا ينازع فيه أحد من المسلمين ، بل لا ريب أن الاستسقاء بدعوات الصالحين الأحياء من السنين المشهورة المرغوب فيها . ولكن الخلاف ليس في هذا .

في الشبهة الثالثة التسوية بين الأحياء والأموات

قوة المخالفين
بين الأحياء
والأموات

وأما الشبهة الثالثة وهي زعمه أن التوسل قد ثبت بالحى فليثبت كذلك بالمت . لأنه لا فرق بين الأحياء والأموات - فالجواب أن يقال إن الذى ثبت من التوسل بالحى هو التوسل بدعائه وشفاعته . والمثبت لا يمكن الاتصال به

يوجه من الوجوه التي يزعمونها ، فلا يمكن أن يدعو لمن طلب منه الدعاء ولا أن يشفع لمن أراد منه الشفاعة ، ولا أن يسمع لمن دعاه وناداه ، للدلائل الكثيرة العقلية والنقلية التي قدمناها في فصل الشفاعة السابق . وقد تكلمنا هناك وأبنا أنه غير جائز بحال من الأحوال أن يطلب الدعاء والشفاعة من ميت . . . أما الحى فيمكن دعاؤه والاستشفاع به بالمشاهدة والضرورة والاجماع . فأنى تمكن التسوية بين الفريقين ! وأنى يقياس الميت على الحى لو كانوا يشعرون !

وأى عاقل يسمح لنفسه بأن يدعى أنه لا فرق بين الأحياء والأموات ، ومن يسمح لنفسه بأنه يصح أن يقاس أحد الفريقين على الآخر ؟ وأى قياس هذا الذى يقضى به أن يكون الميت مثل الحى سواء ، فيطلب منه كل ما يطلب منه ، ويرتجى لكل ما يرتجى ، ويدعى كما يدعى ، ويسأل كل ما يسأل ، فإذا جاز أن يقال للحى أعطنى كذا ، أو اذهب إلى كذا ، أو اترك أمركذا ، أو قم بأمر كذا ، جاز أن يقال للميت مثل ذلك سواء . إن هذا بلا شك ضرب من ضروب الجنون والعته . ولو أن إنساناً قال لا إنسان آخر حى : ناولنى كيت وكيت - مما يقدر عليه الحى عادة - لكان هذا القول قولاً عادياً لا شئ فيه . ومن قال ذلك لأحد الأموات كان مجنوناً بلا شك ، أو مبشراً مغروراً في الشرك والنفى ، معتقداً بأن ذلك الميت الذى يخاطب ويدعو قادر على كل شئ ، فاعل كل شئ . ولو تخاضع متخاصمون ، فذهبوا إلى قاض حى ليقضى ويحكم بينهم في خصومتهم ونزاعهم لكانوا فاعلين ما يقضى به العقل والشرع والضرورة والوجدان .. ولو أنهم ذهبوا إلى أحد الأئمة الأربعة أو غيرهم مثلاً ليقضى بينهم ويفض نزاعهم لما كانوا إلا مجانين ... فكيف يزعم عاقل مسلم أنه لا فرق بين الأحياء والأموات ، ويزعم أن قياس أحد الفريقين على الفريق الآخر قياس صحيح سليم يكذب وينشر ويحاول إقناع المسلمين والعقلاء

به ؟ ولا ريب أن شر ما في الدنيا من قياس ، وأن أكذبه وأبطله وأجهله هو قياس الموتى على الأحياء

على أن الشيعة الامامية الاثنا عشرية ينكرون القياس بكل ضروبه وأنواعه ، ويلجئون في إنكاره وجحوده ، ويميئون الذين يقيسون والذين يقولون بجواز القياس مهما وضع صدقه ووجهه ، ومهما استوفى شروطه : واجباته ومستحباته ومقوياته . فإياهم إذن هنا يستحسنون ما قبحوا ؟ وما بال القياس .

كله يكتنب ويقبح إلا قياس الميت على الحي ، قياس الضد على ضده ؟ ونحن لا نستطيع أن نعرف كيف يستطيعون أن يزعموا أن الأموات مثل الأحياء ، وأنه لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء ؟ وقد لهجوا بهذه المقالة وتغنوا ، ورتلوا في كثير من كتبهم ، وشاذوا عليها كثيراً من ضلالهم وباطلهم وبدعهم ، وانزعوا منها الحجج والبراهين على ما هم فيه من عكوف على القبور وعبادة لأصحابها . ولا نعلم شيئاً يشهد لهذه المقالة لامن الشرع ولا من العقل ولا من المادة والذوق والوجدان . والناس كلهم مفطورون على التفريق بين الحي والميت ، وعلى التفريق بين أحكام هذا وأحكام ذاك ، ولا يوجد إنسان واحد يسوى بينهما تسوية تامة مطلقة عامة شاملة بالشرع قد فرق بينهما بنصوص لا تقبل الخلاف والجدال ، مثل قوله تعالى : « وما يستوى الأحياء ولا الأموات » ومثل قوله : « إن تدعوم لا يستمعوا جاءكم » الآية . والأحياء يسمعون بلا خلاف فهم ليسوا مثل الأموات ، ومثل قوله : « وما أنت بمسمع من في القبور » وقوله : « إنك لا تسمع الموتى » . وكل أحكام الأموات الشرعية تدل على الفرق بين الفريقين . وما في الشرع ما يدل

الشيعة ينكرون القياس فكيف يقيسون الميت على الحي

الفرق بين الأحياء والأموات والعقل والوجدان والاحجام

على التسوية بل كل ما فيه يدل على خلافها . وأما العقل فإنه لا يستطيع تبليغ هذه التسوية . فهو إذا كان لا يرى للميت أثراً ولا فعلاً من آثار الحي وأفعاله ، وكان يرى بالمشاهدة أن الميت فاقد كل ما في الحي من حياة وعمل وعلم فلا يمكن

أن يحكم بأنه مثله . وإلا لو لم يستطع التفريق بين شيئين فرق بينهما المحس والضرورة والمشاهدة لما كان مرضى الحكومة ولا مقبول الدعوى . وأما حكم الوجدان فهو أظهر وأبين . فالشرع والعقل والوجدان والاجماع : كل ذلك قاض بالفرق بين الأحياء والأموات ، وكل ذلك لا يسلم التسوية بين الطائفتين . فبماذا إذن يسوون بينهما ؟ وبماذا احتجوا حين قالوا : إنه لا فرق بين الحي والميت والفرق موجود في الشرع والعقل والاجماع والوجدان ؟ وإذا أباح هؤلاء لأنفسهم ، وصدقهم عقولهم وعقائدهم ، أن يدعوا مثل هذه الدعوى فإذا يقولون لو قال قائل : أنه لا فرق بين الجسد والحيوان ، فلا فرق بين الحجر والشجر والإنسان في هذه الأحكام كما قالوا هم سواء ، ثم قال مثل ما قالوا : « إذا ثبت التوصل بالإنسان وثبت أن التوصل به ليس شركاً ولا كفراً فالتوصل بالحجر والشجر والجسد كذلك ، إذ لا يعقل الفرق بين الأمرين . فان جواز التوصل بالإنسان إن كان لمكانته عند الله فالمكانة ثابتة للجسد والأحجار كأحجار البيت العتيق وأحجار قبور الصالحين وآثارهم عند المخالف . وإن كان لأجل أن يدعو الله الجسد يدعو أيضاً كما قال تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وكما قال : « والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالندو والأصال » وكما قال : « ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات ، كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » . وكما قال : « والنجم والشجر يسجدان » وكما قال في وصف الحجارة : « وإن منها لما يهبط من خشية الله » وقد عزا الكتاب أشياء كثيرة من هذا النوع إلى الجداد . وقد جاء في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم على »

وقد حن الجنح الذي كان يخطب عليه عليه الصلاة والسلام لما اتخذ منبره وخطب ماذا يقولون في دعاء الجداد الجدد عليه . وقد صح في الأحاديث الصحاح المجمع على صحتها وثبوتها عند أهل من كل حياة

الحديث أن الطعام كان يسبح على عهد النبي وكذا الحصا . . . » . هذا ما يمكن أن يقال وما يمكن أن يكون مثل قول الشيعي : « إذا ثبت التوسل بالحى وثبت أنه ليس شركاً ولا كفراً فالتوسل بالميت كذلك ، إذ لا يمتل الفرق بين الفريقين فان جواز التوسل به إلى الله إن كان لمكانته عند الله فهى لم تذهب بالموت ، وإن كان لأجل أن يدعو فهو ممكن فى حق الميت . . . »

ولا ندرى كيف يجوز لمن هو فى أقصى المغرب أن يتوسل أو يستغيث بميت فى مكة أو فى المدينة أو فى كربلاء أو فى النجف مثلاً ، ولا يجوز له أن يتوسل وأن يستغيث ، أين كان ووجد ، ببيت الله الحرام وبمسجده وبأستار حرمه . فأننا لا نجد فرقا فى هذه الحالة بين الأمرين . فان التوسل بذلك المدفون فى الحجاز أو فى العراق مثلاً إن كان جواز التوسل به لأجل كرامته على الله وحرمة وقربه إليه فالكعبة كذلك لها كرامة وحرمة ومكانة عند الله وعند المسلمين ، وإن كان ذلك رجاء أن يدعو ويشفع فالكعبة من الممكن أن تدعو وأن تشفع . وقد تقدم فى كلام الشيعي أن الحجر الأسود يشفع لمقبله ومحترمه . وإذا قالوا : إن الكعبة وغيرها من الجهاد لا يمكن أن تسمع من دعاها وطلب منها وتوسل بها قيل وكذلك الميت المدفون فى الحجاز أو العراق كيف يمكن أن يسمع من دعاها واستغاثه وهو فى أقصى المشرق أو أقصى المغرب ؟ فهذا لا يمكن إلا بخارقة وانحرقة إذا جاز أن تكون فى دعوة الميت جاز أن تكون فى دعوة بيت الله وحرمة ومساجده المفضلة وغيرها من المنازل المقدسة المعظمة .

فاذا بلغت المسألة هذا الطور من الجدال والنضال والضلال وجد كل مؤمن فى إيمانه - وإن قل - ما يحجزه عن التزحلق فى هذه الغاية من النواية ، وهذا المكان السحيق من أعماق الضلال .

أما ما ذكره الرافضى فى هذه الشبهة من أحاديث الاستسقاء بالمباس

وسؤاله تعالى بحق السائلين وحق الممشى إلى الصلاة ، وحديث ابن حنيفة
والأحاديث التي نطقت بثبوت الحق على الله لعباده وخلقه ، وما كان بين الامام مالك
وأبي جعفر المنصور - : فسوف يجيب جوابه كله في ما بعد

وأما ما ذكر من أن من طلب ميتا ظانا أنه يسمع ويدعى - وهو في الواقع قياس غير صحيح
ليس كذلك - كان خير ضال وخير آثم ، وكان كمن طلب من مقعد القيام ظانا
أنه خير مقعد وأنه قادر على القيام - فرأى باطل وقياس سخيف . وذلك أن من
طلب من مقعد القيام أو من أحمى القراءة مثلا لم يعتقد في أحدهما سرّاً من
الأمرارة ولا سلطاناً قاهراً غيبياً ، ولا قدرة على الخوارق والمعجزات ، لأنهما يعلمان
الغيوب ، أو يعطيان كل ما يسألان ، أو يتصلان بالله ، أو أن لهما دلالاً على الله
أوجاهاً صاراً نافعاً عنده ، أو شفاعة لا ترد ولا تخطئ - لا يعتقد من طلب من
المقعد القيام ومن الأحمى القراءة شيئاً من هذا فيهما . ثم هو لن يخضع أو يخشع
لهما في سره وباطنه ودخيلة نفسه ، ولن يوليها من التقديس والجلال والمهابة
والتعظيم فوق القدر المعتاد المؤلف . . . أما من دعا الأموات فانه ، ولا محالة ،
يعتقد فيهم ذلك كله بأبأن معانيه وأجلى مظاهره وصوره . وهذا عين التآليه والعبادة
فالفرق بين من طلب من مقعد القيام وبين دعا الأموات والصالحين فرق
ظاهر واضح كبير لا يصح أن يخفى على من قام ينم أهل السنة والجماعة ، ومن قام
يشاب أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وأم حبيبة وعمر وبن العاص وسعد بن
أبي وقاص ومعاوية وغيرهم من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام .

خبر سؤال آدم
بحق محمد صلى
الله عليه وسلم

﴿ الشبهة الرابعة سؤال آدم بحق رسول الله ﴾

أما الشبهة الرابعة وهي الحديث الذي ذكر فيه أن آدم لما اقترف الخطيئة
سأل الله بحق محمد عليه السلام فغفر الله له خطيئته - فالجواب أن يقال : هذا
الحديث رواه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه على الصحيحين . ورواه غير الحاكم

في فضائل النبي عليه الصلاة والسلام . ولفظ الخبر : عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمد ؟ ولم أخلقه ؟ قال يا رب لأنك لما خلقتني بيديك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت مكتوباً على قوائم العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فعلمت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي . ادعني بحقه فقد غفرت لك . ولولا محمد ما خلقتك » . والحديث معدود في فضائل النبي عليه السلام لهذا سارع بعض الذين يحرصون على تكثير الفضائل — ولو بما لم يصح إسنادهم — إلى تصحيحه وروايته كما فعل الحاكم . وقد أخذ أعلام النقد وصيافة الحديث وفرسان الرواية أبا عبد الله الحاكم على تساهله ولينه وإغضاضه في هذا الشأن ، وعلى ميله الكثير الواضح إلى تصحيح الأخبار التي لم تصح عند أهل الحديث والتي بان ضعفها وبطلانها لدى صفار علماء هذا الفن وكبارهم ، ولا سيما ما كان متعلقاً من ذلك في أبواب الفضائل . ولهذا فانه يصحح في أبواب فضائل الصحابة — ولا سيما على أهل البيت النبوي — ما لم يجارده عليه أحد من المحدثين وما أنكره عليه وما عدوه من ضعفه في هذه الصناعة وقلة تماسكه فيها ... وقالوا : إنه لا يجوز الاعتداد بتصحيحه وبدرأيه وعلمه ولا بشيء مما يقول في هذا الباب إن لم يتابعه أو يسبقه العدول الجهابذة من رجال هذا العلم الجليل . وقد قال أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه من ترجمة الحاكم نقلاً عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الازموي النيسابوري : « ... جمع أبو عبد الله الحاكم أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخاري ومسلم ، يلزمهما إخراجها في صحيحيهما . فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ولم يلتفتوا فيه إلى قوله ولا صوبوه في فعله ... » .

الحديث مكذوب فهذا الحديث حقا رواه الحاكم وصححه ورواه سواء من المكاثرين عالم

يصحح سنده ولكن الحديث غير صحيح الاسناد بل هو حديث باطل موضوع
ضعفه أهل الحديث وكذبوه وردوه وخالفوا الحاكم فيه . وقد قال الذهبي في تعليقه
على المستدرک : إنه حديث موضوع مكذوب وفي سنده ضعفاء . وقد ضعفه الحافظ
الهيثمى في « مجمع الزوائد » والسيوطى في « مناهل الصفا » في تخريج أحاديث
« الشفا » على ما ذكر صاحب « صيانة الانسان » . وفي سنده عبد الرحمن بن زيد
ابن أسلم العمري ، وقد أجمع الناس على تضعيفه والقبح فيه كما ذكر الحافظ ابن
حجر في « تهذيب التهذيب » والحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » . وما أثنى
عليه أحد في ما ذكره . والمعجب حقاً أن الحاكم نفسه قد ضعف عبد الرحمن بن
زيد هذا في كتاب « الضعفاء » له . ذكر ذلك عنه العسقلاني في تهذيب
التهذيب وذكره غيره . فن العجيب حقاً أن يصحح حديث راو ضعفه هو
بنفسه تضعيفاً شديداً وحذر الرواية عنه ، وقد انفرد هذا الراوى بالحديث .
والحديث ساقط الاسناد لا تقوم له قائمة عند أهل العلم .

ودلائل الوضع بادية عليه من جهات كثيرة : منها أن من المستحيل شرعاً
أن يصدق قوله فيه : « ولولا محمد ما خلقتك » . فمثل هذه اللفظة ينكرها الشرع
بل تنكرها الشرائع كلها بقوة وشدة . وقد اتفق المسلمون والمؤمنون جميعاً على
أن الله قد خلق الخلق والعباد وخلق الأنبياء كلهم : آدم فمن بعده ، محمد فمن
قبله من الأنبياء والمرسلين لغرض واحد سام كل السموم ، عظيم كل العظيم . هذا
الغرض هو عبادة الله وعمارة أرضه بالعبادات والطاعات والاصلاح والمثل الانسانية
العليا كما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » وكما قال : « وإذ
قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال إني أعلم ما لا تعلمون
(إلى قوله) قال يا آدم أنبئهم بأسماهم فلما أنبأهم بأسماهم قال : ألم أقل لكم إني

اصناف الدلائل
على كتبها الحديث

أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدلون وما كنتم تكتمون » . وقال :
 « وقد بعثنا في كل أمة رسولا : أنزلوا عبيدوا الله » وقال بعد أن ذكر إيمانه إلى
 الانبياء والمرسلين : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
 الرسل وكان الله عزيزا حكيما » . فالله جلت قدرته وتسامت حكمته قد خلق خلقه
 وبعث رسلا لحكمهم هي أجل مما ذكروا في هذه الرواية الباطلة : خلق الخلق
 لعبادته وحده . وما من مخلوق إلا وقد خلقه لذلك . فأدم مخلوق لعبادة الله لا
 لأجل محمد ولا لأجل غيره من العباد . ومحمد نفسه مخلوق لعبادته تعالى لا لأجل
 آدم ولا لأجل غيره من الخلق . والعباد كلهم مخلوقون لعبادة الله بنص القرآن .
 وهو تعالى قد جعل آدم في أرضه وملكه لحكمة أجل وأشرف مما زعموا في هذا
 الحديث الباطل : جملة ليكون خليفته في هذا العالم الأرضي ، ليعبد الله فيه .
 وليدعو إلى عبادته وليلد من يعبدونه تعالى ، ولينزل الانبياء والمرسلين والصالحين
 ويكون في نسله ومن نجله محمد وإبراهيم وعيسى وموسى ونوح وغيرهم من رسل
 الله وأنبيائه المصطفين الأخيار ، ويكون بعد هذا ما يكون من الحكم والأغراض
 والأسرار الإلهية الظاهرة والباطنة . وهو أيضا قد خالق الأنبياء وجمعهم أنبياء .
 ليكونوا مبشرين ومنذرين للخلق ، وليكونوا حججه تعالى على عباده ، فلا تبقى
 لهم حجة على الله بعدهم ، وليكونوا أدلاء إلى الخير والهدى والسعادة والایمان
 وإلى الجنة في النهاية . وما خلق أحدا منهم لأجل أحد ، ولا خلق أمة لأجل
 أمة ، ولا رسولا لأجل رسول . وإذا كان محمد نفسه ما خلق إلا لعبادة الله ولأجل
 الدعوة إلى عبادته فكيف يمكن أن يكون آدم أو غيره مخلوقا لأجله ﷺ أو
 لأجل أحد سواه ، أو يكون ما خلق إلا لأجله ؟ والحكمة في خلق محمد هي الحكمة
 في خلق آدم : هي الدلالة على الخير وإقامة العدل والشرع في هذه الأرض
 والمحافظة على فطرة الله وذود النفوس عما خلقت بطبعها جانحة مائلة إليه من

الناس مخلوقون
 لعبادة الله لا
 قصد ولا لغيره

صنوف النوايات وجرائم الشرور، ودفعها إلى أصل هداها . والآية المذكورة ، أعنى قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » صريحة في إكذاب هذا الخبر وبطلانه . وذلك أنها تنص بكل وضوح وصراحة على أن الناس جميعاً ما خلقوا إلا لأجل عبادة الله لا لشيء آخر غير العبادة . وإذا كان الناس جميعاً وكان الانس والجن إنما خلقوا لعبادة الله لا لأجل محمد عليه السلام ولا لأجل غيره من العباد فكيف يمكن أن يكون آدم الذي اصطفاه الله واجتبه ، وقاب عليه وهداه ، قد خلق لفرض غير عبادة الله ؟ وليس هنالك ما هو أشرف وأعظم من عبادته تعالى . وآدم أيضاً لم يخرج عن أن يكون أحد الانس فهو مخلوق بصريح الآية لعبادة ربه كغيره من الخلق ، لم يخلق لفرض آخر غير ذلك .

مولاً ريب أنه إذا كان آدم أبو البشر وأول الانبياء وأبوهم ما خلق إلا لأجل رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنه لولاه لما خلق كان غيره من الانبياء والمرسلين كذلك ما خلقوا إلا لأجله عليه الصلاة والسلام ، وكان عيسى وموسى وإبراهيم ونوح وغيرهم لم يخلقوا إلا لأجل رسول الله لا لأجل عبادة الله ولا لأجل الدعوة إلى عبادة الله وإلى إصلاح البشر والأرض بالتوحيد والدين والایمان ، وأنه لولاه لما خلق منهم أحد : لأنه لا فرق بين آدم وغيره من الانبياء والمرسلين في هذا المعنى . ولكن كيف يجوز أن يقول مسلم : إن الأنبياء كلهم لم يخلقوا إلا من أجل محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنه لولاه لما خلق منهم أحد والله يقول بعد أن ذكرهم وذكر ثناءه عليهم وما خص كل نبي به من المنقبة والكرامة : « أولئك الذين هدى الله فبهم اهتد » ويقول ﷺ في الحديث الصحيح : « لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » . وجاءه رجل وقال له : يا خير البرية ! فقال عليه الصلاة والسلام : « ذاك إبراهيم » . وقال : « لا تنفضوا من أنساء الله » وقال : « لا تخبروا ، علم . م . م . » . وهذه أحداث

لوضح هذا المكان .
الانبياء جميعاً لم
يخلقوا إلا لأجله .
الرسول وهذا
باطل

كلها في الصحيح . وهؤلاء العباد المختارون الذين هذا مكانهم وهذه مكانتهم من الله كيف يمكن أن يقال إنهم ما خلقوا إلا لأجل نبي الله ، وإنه لولاه لما خلقهم الله وقد قال تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » وقال : « ثم اجتباه ربه فتب عليه وهدى » وقال : « وعلم آدم الأسماء كلها » وقال غير ذلك من الثناء والمحمدة على عبده ورسوله آدم . فكيف يجوز لمسلم أن يقول بعد هذا : إنه ما خلق إلا لأجل ولده محمد ﷺ وإنه لولاه لما خلق ، وقد خصه الله بميزة ومنقبة لم يجعلها لأحد سواه . ذلك أنه أمر ملائكته أن يسجدوا فسجدوا . والملائكة لا يخفى مكانهم ولا تجهل مكانتهم من الله . وهذه فضيلة لا تقدر إلا لمن عظم قدره وقرب مكانه من ربه وتسامت مكانته لديه تعالى . ومن كان له هذا الفضل العظيم والشرف الرفيع كان من الإلهانة له والزرارية به القول بأنه ما خلق إلا لأجل محمد وإنه لولاه لما خلق

أي معنى في قوله
« ولولا محمد ما خلقتك »

هذا ثم أي معنى في قوله : « ولولا محمد ما خلقتك » ؟ فان آدم لم يلق محمداً عليهما الصلاة والسلام ، ولم يجتمع به ولم يقاتل معه ، ولم يدفع عنه ، ولم يشهد له ولم يؤيده بشيء من وجوه التأييد . فكيف إذن خلق لأجله ، وما معنى هذا ؟ إن الأمر يوجد لأجل الأمر إذا كان بينهما ارتباط ، وعلاقة من العلاقات . فلو أن آدم خلق في عصر النبي عليه السلام فقاتل معه ودفع عنه وذاد عن دعوته ودينه الخصوصم والأعداء لأمكن أن يقال : إنه لولاه لما خلق آدم . أما وآدم قد خلق في عصر في قوم لفرض ، ومحمد قد خلق في عصر آخر في قوم آخرين لفرض أيضاً فلن يصح أن يقال إن هذا ما خلق لولا هذا ، لأن هذا القول من الكذب الواضح والباطل الصريح

وماذا يمكن أن يفهم المخالفون المصححون لهذه اللفظة منها ؟ هل يعني بها أن آدم ما خلق إلا لأجل أن يلد محمداً ﷺ وأنه لولاه هذا الفرض لما خلق ؟ إنه

أي معنى في قوله
« ولولا محمد ما خلقتك »

لو صح هذا الاحتمال لكان الحديث من أعظم المقادح في آدم . ولو صح أيضاً أن آدم ما خلق إلا لأجل أن يلد محمداً فقط لكان غير آدم ممن هم دونه - أعنى الذين لم يلدوه - أولى بالألّا يخلقوا وألا يوجدوا ، لان الغرض من الخلق والابحاد هو ولادة محمد ، وهم لم يلدوه . وأيضاً لو كان الغرض من خلق آدم محصوراً في أن يلد محمداً لا غير لكان المعقول القريب أن يخلق محمد مباشرة كما خلق آدم مباشرة بلا آدم ، أو يخلق أحد آباء محمد دون آدم ودون غيره من الآباء الذين لم يلدوه ومن غيرهم . وأيضاً إذا كانت الحكمة في خلق آدم محصورة في أن يلد محمداً فما الحكمة في خالق غير آدم من الكفار ومن المؤمنين أيضاً ؟ إذن لا يمكن أن يصبح هذا الاحتمال في هذه اللفظة ، ولا يمكن أن يلاقى الحق . فإذا إذن يعنى بها عند المؤمنين بها ؟ أي عنى أن آدم ما خلق إلا كرامة لمحمد عليه السلام وتشريفاً له ورفعاً لقدسه ، وأنه لولا هذا الغرض لما خلق ؟ وهذا الاحتمال لا يصبح أيضاً . وذلك أنه لا فضل ولا أثر لمحمد ألبتة في خلق آدم وإيجاده . . . قادم مخلوق قبل محمد ، والله وحده الذى خلقه كاه لا شريك لأحد فيه . فما أثر محمد في هذا وكيف يكون له في شئ منه كرامة أو شرف أو تشريف . ولو عكس الأمر والقول لكان العكس أقرب إلى المعقول ، أعنى لو قيل : لولا آدم لما خلق محمد . ذلك لأن محمداً هو الابن وآدم هو الأب . ومن المعقول المعبود أن يكون للأب الشرف والكرامة والحمد في ابنه لأنه سبب في خلقه ولادته مثلاً . ولكن لا فضل ألبتة للابن في أبيه وفي وجوده وخلقته إذا كان لم يلقه ولم يره . وأيضاً إذا كان الله لم يخلق نبيه آدم إلا لأجل تكريم أحد أنبيائه ورسله به ، فلماذا إذن خلق غيره من الأنبياء والمؤمنين ومن الكافرين أيضاً ؟ فهذا كله لا يراد شئ منه بهنم اللفظة فإذا يراد بها ؟ أيراد أن محمداً ﷺ قد أعان على خلق آدم ، وكان هو الحامل على خلقه وإيجاده أو السبب الأقوى فيه ؟ كلا ، إن هذا لا يقوله مسلم واحد لأنه

احتمال ثان
وبطلانه

احتمال ثالث
وبطلانه

شرك قبيح . . . فبعض هذا الذي ذكرناه يكفي تدليلاً على بطلان هذه اللفظة المذكورة في الحديث وعلى بطلان الحديث جملة .

وحده واضحة في
بطلان هذا
الحديث

ومما يدل على كذب الرواية دلالتها على أن هذا التوسل بحق محمد هو السبب في غفر خطيئة آدم وترك ذنبه له والتجاوز عن مواخذته ، إذ قد جاء في رواية الحديث : « وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك » . والمفهوم من هذا أن الله قد غفر لآدم لأجل سؤاله ربه بحق محمد . وهذا باطل نصاً ونظراً وقياساً وفقهاً أما النص فإن الله سبحانه قد ذكر ما قاله آدم بعد ارتكابه الخطيئة أو بعض ما قال ، وذكر ما نادى به ربه متنصلاً من ذنبه وجرمه بالتوبة والاعتذار ، فقال من سورة البقرة : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . إنه هو التواب الرحيم » . وظاهر من الآية الكريمة أن هذه الكلمات المتلقاة هي السبب في الغفران له والرضا عنه ، وأنها هي الأمر المباشر للغفر عنه . وهذا جلي من ألفاظ الآية . وهذه الكلمات التي غفر الله لآدم من أجلها لا يصح أن تكون هي التوسل بمحمد والسؤال بحقه . وذلك لأن الله قد ذكر هذه الكلمات في كتابه في قوله من سورة الأعراف : « وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟ قالوا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين » . فتلك الكلمات المجملّة التي أخبر الله أن آدم تلقاها من ربه يوم أن وقع على الذنب وأكل من شجرة الخطيئة هي هذه الكلمات المذكورة المفسرة في هذه السورة وهي قولهما : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . فتلك جملة وهذه مفسرة مفصلة : ولم يذكر الكتاب عن آدم وزوجه شيئاً غير هذه الكلمات بعد غشياتهما الخطيئة .

وأيضاً مما يدل على أن الكلمات المتعلقة هي هذه الكلمات من الاعتذار والاستغفار قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » فقد جعل ذلك كلمات ، والمذكور في الرواية - أعني قوله « أسألك بحق محمد لما غفرت لي » - لا يسمى في لغة القرآن كلمات إلا أن يكون القول على سبيل المجاز والانساع في الكلام . أما ما ذكر من الاستغفار والاعتذار والاعتراف في سورة الأعراف فكلمات حقيقة لا مجازاً . فيصح أن تكون الآية تأويل الآية ، ولا يصح أن يكون الحديث تأويل الآية . وأيضاً قوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات » يدل على أن هذه الكلمات التي غفر له إذ قالها هي كلمات تلقاها من ربه بمعنى أن الله أوحاها إليه وأمره بها ، لأن هذا هو حقيقة التلقي . ويجب الوقوف عند حقيقة الكلام حتى ينود عنها ذائد . وقوله في الرواية : « أسألك بحق محمد لما غفرت لي » ليس متلقى من الله لأنه تعالى - على ما في الرواية - قال له إذ قال ذلك : « وكيف عرفت محمداً ؟ » وقد قال في الجواب : « رفعت رأسي فرأيت مكتوباً على قوائم العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله » الحديث . وكل هذا يدل على أن آدم دعا بالدعاء المذكور من تلقاء نفسه ومن اجتهاده . فليس إذن متلقى من الله . ولكن الكلمات التي قالها آدم فتأب ربه عليه إذ قالها هي كلمات قد صرح القرآن بأنه قد تلقاها من ربه تلقياً . ومعقول . مفهوم أن نفس هذه الكلمات بقوله : « قال ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » لأن الله بلا ريب قد ألقى ولقى عبده آدم وغيره من خلقه بطريق التنصل من الذنوب بالتاب والاعتذار ، وأمرهم أن يعالجوا ^{بنيهم} المصيان والخطايا بالتوبة والاعتذار والاستغفار والاعتراف والرجوع إلى الله وإلى منطقة عفوه وصفحه هروباً من منطقة الذنب المحرقة الضيقة ، ومن منطقة غضبه ومقته وطرده . فمن المعقول والمفهوم معاً أن يكون آدم قد تلقى مثل هذا من ربه وأن يكون ربه أمره به وندبه إليه كما ندب جميع خلقه

من الأولين والآخرين . فالكلمات المغفور لا آدم من أجلها هي كلمات متلقاة فيجب أن تكون غير مافي الرواية المذكورة المكذوبة .

وأيضاً قد أجمع المفسرون من السلف والخلف البصراء بوجوه التفسير والتأويل وعلوم القرآن والاسلام على أن هذه الكلمات المتلقاة هي غير مافي الحديث المذكور وغير سؤال آدم بحق محمد عليهما الصلاة والسلام . وما فسر الكلمات بأنها هي هذا أحد ممن يعتد بقوله ورأيه وعلمه . بل قد جاءت أخبار نبوية تفسر هذه الكلمات بخلاف مافي الحديث ، وهذه الأخبار - وإن كانت ضعيفة الأسانيد - هي ولا ريب أصح من هذه الرواية متناً وسنداً . ففي مجمع الزوائد « (الجزء الثاني، صفحة ١٩٨) من جملة حديث طويل عن أبي برزة قال : - يدعى الله - يا آدم ما يميزك قال : كيف لا أحرز وقد أهبطتني من الجنة ولا أدري . أعود إليها أم لا ؟ فقال الله : يا آدم قل اللهم لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك . سبحانه وبمحمدك ، رب إني عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت أرحم الراحمين - إلى أن قال - هذه الكلمات التي أنزلها الله على محمد ﷺ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ، قال وهي لولده من بعده . إلى آخر الرواية . قال الهيثمي : رواه الطبراني وفيه سوار بن مصعب وهو متروك . وهذا وإن كان من قول أبي برزة الصحابي الجليل فلا شك في أنه لا يقال بالاجتهاد والرأي بل لا بد أن يكون له حكم الرفع إلى النبي عليه الصلاة والسلام كما هو مقتضى ما رسمه المحدثون في مصطاح الحديث ، لأن هذا غيب ومحابة النبي لا يقتضون الافتراء على الغيوب إلا بوحى وسلطان من الله ورسوله . أما من جهة السند فحديث توسل آدم بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يقل عنه ضعفاً وسقوطاً إلا أن هذا أصح من جهة المعنى ومن جهة موافقته لظاهر القرآن فهو أولى بالتصديق والقبول وفي الجزء العاشر من مجمع الزوائد أيضاً صفحة ١٨٣ بعنوان : « باب دعاء آدم

روايات في تفسير
الكلمات التي
تلقاها آدم عليه
عليه من أجلها

عليه الصلاة والسلام» عن عائشة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «لما أهبط الله آدم إلى الأرض قام وجاه الكعبة فصلى ركعتين فألمه الله هذا الدعاء : اللهم إنك تعلم سريري وعلايتي ، فأقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي ، وتعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنبي . اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ، و يقيناً صادقاً حق أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ، ورضا بما قسمت لي . قال فأوحى الله إليه : يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت ذنبك . ولن يدعوني أحد بهذا الدعاء إلا غفرت له ذنبه ، وكفيتهم المهم من أمره ، وزجرت عنه الشيطان ، وانجرت له من وراء كل تاجر ، وأقبلت إليه الدنيا وهي راغمة وإن لم يردها . قال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط وفيه النضر بن طاهر وهو ضعيف . فهاتان روايتان ضعيفتان ولكنها لا يضعفان عن معارضة روايتهم سؤال آدم بحق محمد عليهما السلام

ان القرآن لم يذكر هذا التوسل عن آدم مع أنه قد ذكر قصته فلماذا هذا

وأيضاً فإن كتاب الله قد ذكر في مواضع ما تمنحن الله به آدم من الذنب والخطيئة ، وذكر استغفاره إياه وتوبته وندمه وتوبة الله عليه واصطفاه إياه واختياره وتكفير ذنبه . . . ولكن لم يذكر هذا التوسل ولا هذا الدعاء الذي زعم فيه أن عفو الله تاله وأدركه من أجله . وما كان أجدره بأن يذكره في كتاب الله أو ما كان أجدره بأن يشيد به وبذكره ، ليتأساه المؤمنون المقتدون بكتاب الله وبأنبيائه . فإن الأمر الذي يغفر به مثل هذا الذنب وهذه الخطيئة خلق بأن يعرفه المسلمون التالون لكتاب الله ليكون لهم فيه القسوة والثواب . ومن البعيد جداً أن يكون الأمر كما زعم في هذه الرواية ثم لا يكون له من العناية والحظ في القرآن إلا الاعراض والطي والكتمان مع ذكره القصة من أولها لآخرها فإن القرآن قد ذكر إسكان آدم وحواء الجنة ، وذكر تحذيرهما أن يقربا الشجرة وأن يأكلا منها ، وذكر محاورة الشيطان لهما فإزلالهما فأقدامهما على الخالفة والأكل من شجرة الخطيئة ، وذكر ندمهما وأسفهما على ذلك ، وذكر

استغفارهما الله ، وطرهما نفسيهما بيباه تعالى وبياب متابه ، ثم ذكر توبة الله عليهما وقبولهما واصطفاهما : ذكر ذلك كله وذكر معه عتاب الله إياهما . ولكنه لم يذكر هذا التوسل الذي غفر به هذا الذنب العظيم وهذه الخطيئة التي كررها الله لئلاها من الغاية الحميدة والحكمة البالغة . إن من أراد أن يعرف حقائق الأشياء وأن يعترف بحقائق الأمور لا يجد بداً من الاعتراف بأن هذه الرواية مختلفة اختلافاً قبيحاً شنيعاً .

هذا من جهة النص . وأما من جهة النظر والفقهاء والقياس فيقال : إن من بحسن الحال ان
يعترف الذنب
بالحق البعيد جداً في حكمة الله وفي دينه أن يغفر لآدم هذا الذنب لا شيء إلا لأنه عرف محمداً ﷺ ، ولأنه سأل بحقه فيقال له : « وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك » . ولا يغفر له هذا الذنب بتوبته وإقباله على ربه واستغفاره وندبه وذله وانكساره ورجوعه إلى ربه ومولاه رجوع الخاضع الخاشع الذليل . وقد حدث القرآن الحكيم عنه بأنه بعد الذنب جسد في الاستغفار والاعتذار والاعتراف والرجوع إلى غافر الذنب وقابل التوب . ولا بد عقلاً من الاعتراف بأن آدم قد استغفر ربه ودعاه لغفر ذنبه ولقبوله مهة أخرى . وبما لا ريب فيه أن ندم المذنب وأسفه على ذنبه وعلى ما فرط منه واعتذاره إلى ربه واستغفاره إياه ومضاعفة العبادات والطاعات وإخلاصه وصدقه في هذا كله أعظم من عند الله وأقرب إليه وإلى ثوابه ورضاه ومتابه من سؤاله تعالى بحق واحد من الناس مهما كان ذلك الواحد . ولا يختلف المسلمون في أن المذنب لا يغفر له ذنبه وجريمته إلا بما وقر في قلبه من خوف الله ومن الندم على عصيانه والمعزم على ألا يعود ، ثم بالأعمال الصالحة المبرورة المكفرة والاستغفار والاعتذار والابح بمناداته تعالى مناداة انكسار وإخلاص وخضوع وخشوع . وقد بين كتاب الله في غير ما آية ما به تغفر الخطايا والآثام فقال : « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى »

وقال : « إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً » وقال : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ، فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً » وقال : « والذين إذا فعلوا فحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر الذنوب إلا الله - ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » . إلى غير ذلك من آي الكتاب الناطقة بأن الله يغفر الخطايا والآثام بالتوبة وبالأعمال الصالحة ، وبالندم على العصيان وبالاستغفار والاعتذار لا بسؤال الله بحق فلان أو فلانة . وقد أنبأ الله عن جميع أنبيائه الذين ألموا ببعض ما عاتبهم الله عليه بأنه تعالى غفر لهم بما قدموه من استغفار ومنتاب وأعمال صالحة مبرورة . وهذا كله من قصص القرآن . فالرواية التي يقال فيها : إنه قد غفر لآدم ذنبه لأنه سأل الله بحق محمد رواية مخالفة لروح الإسلام ولنصوصه ، مخالفة لروح جميع الأديان ونصوصها .

والسؤال بحق النبي أو بحق غيره من الأنبياء والصالحين ليس له من القيمة العملية الدينية ما يوجب أن يكون عملاً صالحاً مبروراً فضلاً عن أن يكون أداة غفران وعفو تام . وماذا في قول القائل : أسألك يا الله بحق فلان أو فلانة من عمل صالح يؤهل قائله لأن يكون من المغفور لهم ؟ وإنما يغفر للمستغفر ويؤجر على قدر ما وقر في قلبه ونفسه من خشية الله وخوفه وتعظيمه وإجلاله وحبه ، وعلى قدر تصميمه على ألا يعود إلى مخالفة الله وعصيانه ، وعلى قدر ندمه وأسفه المر . وأما الألفاظ المجردة فلا وزن لها عند الله ، ولا ينظر إليها فضلاً عن أن تكون عملاً تحط به الذنوب والخطايا الثقيلة . فإني قول القائل : « أسألك بحق محمد لما غفرت لي » من الشأن والقيمة حتى يقال له : « وإذ سألتني بحقه فقد

السؤال بحق
الذي ليس له من
القيمة العملية
ما يوجب كل هذا

غفرت لك ؟ وأجبل الناس وأرقهم ديناً وتقوى وفضيلة ، وأشدّهم بعداً عن الله وعن رضاه يقولون ذلك ويلهبون به . وهم على رغبة لا يجدر بهم الغفران ولا التجاوز والعفو والرضا ، بل وهم خليقون بالانتقام والطرده والعذاب الأليم الموجه . ولن تجديهم هذه المقالة ولا هذا التوسل قليلاً ولا كثيراً . فنحن لا نشك في أن آدم ماغفر له ذنبه إلا لتوبته ولرجوعه إلى ربه ولا قلاعه عن ذنبه ، ولا اعتذاره واستغفاره الصادقين عن جميع نفسه وقلبه وعقله . أما السؤال بالحق فلا قيمة ولا وزن له عند الله . ألبتة

ما معنى السؤال
بحق الخلق

على أنه لا يدري ما معنى أمثال قوله : « أسألك بحق محمد » . وذلك أن حق محمد وحقوق سواء من عباد الله الصالحين ضربان : حق يتعلق بذات الله وصفاته ، وحق يتعلق بمخلوقاته . أما الحق الأول فهو نصرته الله وتأيدته لهم ورضاه عنهم وغير هذا من المعاني القائمة بذاته تعالى . وأما الحق الثاني فهو ما ادخر وأعد لهم من الجزاء والثواب ، من الجنات والنعم المختلف الألوان والأفنان . هذا هو ما يحتمل أن يفسر به حق النبي وحق غيره من خلق الله المختارين . فإن كان الحق في هذه الرواية هو الحق الأول القائم بذات الله وبصفاته فالرواية خارجة عن محل النزاع والخلاف . فإنه لا خلاف في أنه يجوز سؤال الله بصفاته وأفعاله ونصرته وتأيدته . وليس هذا هو ما يريد المخالفون أن يحتجوا له وأن ينصروه ويؤيدوه . وأما إن كان المراد في الرواية الحق الثاني فيقال عليه :

إن حق محمد عليه الصلاة والسلام من النعم والجزاء والثواب هو أشياء مختلفة كثيرة ، ذات أنواع وأصناف وألوان وأفنان وعدد . وهذا تشتمل عليه الجنة كلها . فنه الحور العين والولائم المخلدون ، ومنه أنواع المأكولات والمشروبات

الحق في الرواية
قد يكون مخلوقاً
وقد يكون غير
مخلوق ودلائل
بطلان الأول

المدخرة من أصناف العمرة وغيرها وكل ما هنالك مما ذكر في القرآن ومما لم يذكر ، مما لم تره عين ولم تصعب به أذن ولم يخطر على قلب بشر . وإذا كان هذا

هو الحق الذى سأل به آدم ربه غفر ذنبه فغفر له قيل : وهل يليق أو يمكن أن يسأل نبي الله آدم ربه أن يغفر له ذنبه بما فى الجنة من المأكولات والمشروبات واللذات والشهوات المادية التى أعدت للنبي عليه السلام ؟ أظن أن هذا لن يكون لأنه لا يليق ولا يجدر فعله بمثله . وأحسب أن هذا الرافض لا ينازع فى أن من القبيح والبرود أن يتوسل آدم إلى ربه بما كولات الجنة ومشروباتها وبفسائها وغلمانها وولدائها وغير ذلك مما ادخر فيها لعباد الله الصالحين . إذ لا ينازع أحد حسب ما أظن - فى قبح هذا النوع من التوسل والسؤال . . . وإذا سلم أن هذا هو المراد فلماذا خص ما ادخر لرسول الله ﷺ فى الجنة دون ما ادخر لغيره فيها ؟ وما الفرق بين سؤال الله بما أعده حقاً لمحمد ﷺ ثم وبين سؤاله بما أعده لغيره ؟ إنه لا فرق . . . ثم إذا كان هذا هو المراد فأية فضيلة لرسول الله فى أن سأل آدم ربه بما أعده فى دار الجزاء ؟ إنه لا فضل ولا فضيلة . . . وإذا كان هذا هو المراد فما الذى فيه مما يستدعى الإجابة والغفران ؟ إنه لا شئ . ولا شك أن سؤال الله حينئذ بالجنة جملة وبما فيها جميعاً أهمدى وأقرب إلى الإجابة والغفر المرجو .

ثم ما معنى سؤال الله بما فى الجنة من المأكولات والمشروبات والجزاء المادى أو الروحى ؟ وما معنى أن يقول القائل : أسألك يا رب بما فى جنتك من مأكولات ومشروبات أن تغفر لى وأن ترحمنى ؟ إن كانت «الباء» فى «بحق» بمعنى «من» على معنى : أسألك بما فى الجنة خرج الحديث جملة عن محل النزاع والخلاف وصار ظاهره باطلاً لأن معناه حينئذ يرجع إلى أنه يسأل ربه أن يعطيه من حق محمد الذى أعده له جزاء عمله وثواب رسالته ودعايته إلى الخير والهدى : وهذا السؤال باطل بالإجماع والضرورة . وإن كانت هذه الباء بآه السببية ، وكان المعنى أسألك بسبب ما فى الجنة مما أعده لمحمد كان هذا أيضاً باطلاً كل البطلان

قبيحاً كل الفبيح . . . فما معنى سؤال الله إذن بحق محمد : بحقه المخلوق الذى هو جزاؤه الآخر وى المنخر فى الجنات ؟ أليس هذا ما لا يعقل وما لا يستطيع له تأويل وما لا يعرف له وجه فى وجوه العلم والدين والبيان ؟

دلالة الرواية
نفسها على كذبها

فالرواية - ولا ريب - ملفقة مكذوبة تلفيق جاهل وكذب غبي . وفيها شيء يكاد يكون نصاً فى اخلاقيها وتلفيقها . ذلك الشيء هو قول آدم عليه السلام المذكور فيها : « يا رب إنك لما خلقتنى ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله » . فهذه اللفظة تدل على أن العرش كان فى متناول بصر آدم وأنه كان بحيث يراه ويشهده . وهذا - وإن كان واقعاً فى منطقة الإمكان والاحتمال - إلا أنه غير المعهود المعروف فى الشريعة وفى نصوصها ومعانيها . فما كان من المعهود فى الدين أن الأنبياء كانوا يشاهدون عرش الله ويرونه . ومحمد ﷺ قد بلغ ليلة الإسراء والمراج ما لم يبلغ نبي قبله من السمو وقرب المكان والمكانة ، ولكنه لم يبلغ عرش الرحمن ولم يره ببصرته على ما نعلم فى روايات السنة الصحيحة . فهاهذه اللفظة أعنى قوله : « فرأيت على قوائم العرش مكتوباً » ؟ أليست هى ميسم الكذب قد سمعت به هذا الرواية ليكون كذبها فيها ، وليكون منها عليها شواهد ؟ ثم أليست من الخطأ الذى فلت واضع الرواية وكاذبها أن يخفيه وألا يبيديه ؟ بل لأن الله قد كفل التمييز بين الحق والباطل ، والصدق والكذب ، والدين وخلاف الدين ، وكفل التفريق بين ما جاءت به الأنبياء وبين ما كذبه الكاذبون الدجالون . والحمد لله رب العالمين .

﴿الشبهة الرابعة توسل آدم بعلى وفاطمة والحسن والحسين﴾

رواية توسل آدم بعلى وفاطمة والحسن والحسين وأما الشبهة الرابعة - وهى قوله : « وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى : « فنلقى آدم من ربه كلمات » : إن الكلمات هى توسله بالنبي . وفى مجمع البيان : إن الكلمات هى توسله بمحمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين » - فالجواب أن

يقال : أما ما ذكر أن بعض المفسرين قاله في تفسير الآية فنحن نحاجه إلى جميع كتب التفسير الصحيحة المملوءة بالآثار وبتفاسير السلف وبالروايات المسندة الصحيحة القوية : نحاجه في ذلك بتفاسير الطبري والبقوي وابن كثير والرازي وغيرها من التفاسير السلفية الأثرية التي تفسر القرآن بأقوال السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المتبعين ، والتي تذكر ما تذكر بالأسانيد والروايات المتصلة المعروفة المشرقة : نحاجه بكل ذلك ونقول : إنه لن يجد رواية واحدة تصح إسناداً عن أحد من أصحاب النبي ، أو عن أحد من التابعين المهتدين ، أو عن أحد من أئمة الحديث والفقهاء أنه فسر هذه الآية وهذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه بما ذكره وزعمه من التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام . وها نحن نقول هذا وتجاهده معاجزين له ولسواء من المخالفين ، ونطلب إليهم جميعاً أن يصححوا لنا رواية واحدة عن واحد من هؤلاء السلف . فان فعلوا تبعناهم وصدقناهم ، وإن لم يفعلوا — ولن يفعلوا — فليكنوا عن هذا الضئيف والوهن الخجل . بل نحن نقول : إن إجماع السلف على تفسير الآية والكلمات المذكورة بخلاف ماذكروا من الدلائل على بطلان الرواية السابقة في توسل آدم بحق رسول الله . فان جميع أقوال السلف المروية في تفاسير السلف والأثر تذكر في الآية غير ماذكروا . وليرجع من شاء إلى ما شاء من هذه التفاسير ، لا نخص طائفة دون طائفة ، ولا فريقاً دون فريق آخر .

نحاجه الى جميع
المفسرين

نعم نحن لا تنازع في أن بعض الناس المنحرفين المفكرين بمقول الشيعة والصوفية الغالين قد فسروا الآية بما زعم الرافضي ، وزعموا فيها مثل ما زعم . ولكن أهل العلم لا يعبأون بهؤلاء المفسرين ولا بهاتيك التفاسير . فان الأقوال تعطى من الاحترام والتقدير مثل ما تلقاها من ذلك . «وقدر الشهادة قدر الشهود» أما أهل العلم فانهم لا يختلفون في بطلان أمثال هذه التفاسير والأقوال المريضة

في كتاب الله . ولا يختلفون في أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ليست هي التوسل بمحمد ﷺ ولا بعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وليست السؤال بحق رسول الله ولا بحق غيره من الخلق . بل هذه الكلمات هي قولها : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تنفّر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » ، أو هي كلمات من ضمنها هذه الكلمات : إعتذار واستغفار ورجاء وخوف مريب ، واقطاع لدى بابه تعالى وباب متابته وإحسانه العظيم الشامل طوائف المذنبين إذا تابوا واعتذروا واستغفروا وأعطوا بأيدي العبودية والصغار . ولم يفسر أحد من أهل العلم هضم الكلمات بما زعمه الرافضي ومن نقل عنه . والتفاسير المحترمة الصحيحة ميسورة لمن أحب أن يعرف خطأ هؤلاء القوم . وهذا — أي إجماع أهل العلم والایمان على تفسير الآية بخلاف ما ذكرناه هنا — من البراهين لدينا على بطلان الحديث الآنف الذي زعم فيه أن آدم سأل ربه بحق محمد وأن الله غفر له ذنبه لهذا السؤال والتوسل .

وأما ما ذكر عن صاحب « مجمع البيان » أن هذه الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي توسله بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بعد أن رأى أسماءهم مكتوبة على العرش فسأل عنها ف قيل له : هذه أسماء أجل الخلق عند الله منزلة — فالجواب أن يقال : تفسير « مجمع البيان » تفسير شيعي إمامي رافضي لا يعتد بنقله ولا بعلمه ولا بما يقول . والرواية التي قيل فيها : إن آدم توسل بمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين رواية مكذوبة موضوعة ، رواها الدارقطني وقال تفرد بها عمرو بن ثابت بن هرمز . وعمرو هذا من الشيعة الغلاة الكذابين الوضاعين . وقد حدثوا عنه أنه كان يقول : كفر الناس بعد رسول الله إلا أربعة . وكان من السبابة للسلف . وقد أجمع علماء الجرح والتعديل من أهل الحديث على ضعفه وتضعفه والتدريسه . فروايته هذه رواية مكذوبة باطلة بلا ريب . وقيد

رواية توسل آدم
بعلي وفاطمة
والحسن
والحسين
مكذوبة

ذكرها ابن الجوزي والسيوطي في الموضوعات . وبما يوهن أمرها بجيئها في أمر يتعلق بمذهب الشيعة . فعمرو الراوى لها منهم فيها . ويقضى بردها مرة واحدة ما ذكرها فيها أن آدم رأى هذه الأسماء مكتوبة على العرش وسأل عنها فقيل له « هؤلاء أجل الخلق منزلة عند الله » . فان هذا القول يقضى بأن يكون على وفاطمة والحسن والحسين أفضل وأجل عند الله من آدم ونوح وإبراهيم وعيسى وموسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين ، وهذا لا يذهب إلى القول به إلا من هم أضل الخلق والخليقة .

فهذا الخبر موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث . وعمرو هذا الذى تفرد به كذاب وضاع ضعيف باتفاق أهل الحديث والمعرفة . فلا يصح أن يشاد على مثل هذه الرواية دين ولا اعتقاد ، ولا أن يحتاج بمثلها أبواب الوضوء والحيض وأحكام المياه فضلا عن أن يحتاج به على دعاء الأموات والعكوف على القبور . وعمل كل هاتيك الآفات الاعتقادية النكراء . والسؤال بحق الخلقين - على ما ذهب إليه المخالفون - باطل عقلا وشرعا ووجدانا وعرفا كما ذكرنا فى الكلام على الحديث الذى قبل هذا . فانه لا معنى لأن يسأل الله بحق محمد أو حق آدم أو حق عيسى أو حق موسى أو حق غيرهم من الأنبياء والمرسلين . وليس مثل هذا السؤال مما يوجب أن يجاب الدعاء وأن يقرب الله الداعى وأن يقبل دعاءه وليس له معنى ولا وجه وجبه لافى الشرع ولا فى العقل . وأنت لو كنت من أعظم الناس وأشدهم تقوى وصلاحاً ودينياً ، ومن أقربهم إلى الله منزلة وأحفظهم نديه تعالى وأوسعهم جاهاً . . . فقلت أسألك يارب بحق عليك كنت قائلاً باطلاً ولغواً من القليل لا تمت إلى العقل والعلم والذوق والدين بسبب من الأسباب ، ولما كنت سائلاً الله بما يوجب أن يستجيب لك وأن يقبل دعاءك وأن يعطيك حوائجك وطلباتك . ولو قلت لأصلح الناس وأتقاهم وأعظمهم بالدين و بمواقف الكلام

السؤال بحق
الخلق باطل
شرعاً وعقلاً
ووجداناً وعمراً

أسألك بحق الأنبياء أو بحق الملائكة أو بحق الصالحين لما كنت ماتا إلى
غرضك وحاجتك بسبب صحيح يعطى على مثله ، ولما كان في هذا المقال والسؤال
ما يوجب أن يعطف عليك وعلى حاجتك بالقضاء والانجاز . ولهذا لانجده .
العالمين العارفين بمواقع القول ووجوهه وأغراض الناس ونفوسهم يحاولون أن
يصلوا إلى حاجاتهم وقضاء مآربهم بهذا التوسل وهذا السؤال . فلا نجد أفصح
القائمين وأعقل المفكرين يقول لمن يسأله ويستجديه حاجة من الحاجات :
أسألك بحق الملائكة أو حق الأنبياء أو حق الصالحين والأبرار أو حق غيرهم من
عباد الله . وهذا لأن السؤال بهذا الحق وهذا التوسل ليس من الأسباب التي
يجاب بها السؤال والطلب وتنال بها الحاجات . فمن سأل الله أو سأل غيره بحق
مخلوق فقد سأل بأمر أجنبي بعيد عنه وعن حاجته . فمن قال أسألك يارب بذات .
محمد ﷺ أو بجاهه أو بكرامته أو بعلمه وتقواه وحسن خلقه كان كمن يقول :
أسألك بالكعبة أو بمكة أو بالمدينة ، أو ببית المقدس أو أتوسل إليك بأحجار
تلك الأبنية وبنياتها وترابها . ومن سأل الله بهذه المواضع المعظمة المشرفة كان
كمن سألته تعالى بالأيام والأوقات والليالي المفضلة مثل أن يقول :
أسألك يارب بيوم الجمعة وبأيام عشر ذي الحجة ، وبأيام رمضان ولياليه وأيام
الحج وبالأشهر الحرم وبالأيام المفضلة كلها . ومن سأل الله بهذا كله وتوسل إلى
حاجته بهذه الأيام والأوقات والأماكن كان كمن سألته تعالى بتراب الجنة وبنياتها
وأحجارها وأشجارها ومائها وما فيها من ما كولات ومشروبات وقصور وديار
ولذات ومن ذهب يسأل الله بهذا كله ، أو قال إن من الدين سؤال الله
به كان من أنقص الناس ذوقا وعقلا ورأيا وأركانهم اختيارا وفهما . ولا يختلف أهل
البصر بالاسلام في أن هذا كله خلاف الدين وخلاف الضروريات الدينية ،
ولا ريب أن التوسل والسؤال بغير الأنبياء وتقام وأخلاقهم مثل السؤال بجاههم

وهذا مثل
السؤال بالأيام
للجنة

وبحقوقهم وبركاتهم وذواتهم . ولكن لا ريب أن سؤال الله والتوسل إليه بذلك - مثل أن يقال أسألك يارب . بعلم الأنبياء وبأخلاقهم وتقاهم وشرفهم ونجابتهم وأصولهم وطهارة نفوسهم وأعراقهم - سؤال باطل بارد ، وتوسل مردود شرعاً وعقلاً وذوقاً . وفساد أمثال هذا معلوم من الأديان السماوية بالضرورة والبدهة . وذلك أنه يقال لهؤلاء المخالفين المنحرفين : ماذا ترون ؟ أترون أنه يجوز سؤال الله بكل عظيم محبوب لديه تعالى من المخلوقات كلها ، أم تقولون : لا ، بل لا يجوز سؤاله تعالى ولا التوسل إليه إلا ببعض ذلك ؟ فإن قلتم بالأول قلنا : هذا يقضى بأن تجوزوا سؤال الله بالأيام والشهور والليل وبالأحجار والأشجار والتراب والماء كولات والمشروبات وبغير ذلك مما عظمه الله وشرفه بوجه من وجوه التعظيم والتشريف ، مثل أيام الجمعات وأيام الحج وأيام رمضان ولياليه وليالي الأشهر الحرم وأيامها وتراب الجنة وأحجارها وأشجارها وقصورها وأنهارها وما بها وكل ما فيها ، ومثل أحجار المدينة المنورة وترابها وأشجارها وبيوتها ، ومثل أحجار مكة وترابها وغبارها وبيوتها وصيدها وكثبانها ونباتها وكل ما فيها ، ومثل بيت المقدس كله وكل ما فيه بل وكل ما أقسم الله به في كتابه مثل الليل والنهار والشمس والقمر والضحى والد وما ولد ، ومثل العصر ، ومثل العاديات والمغيرات والنازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات والمرسلات والمعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات والذاريات والحاملات والجاريات والصافات والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين والسماء والطارق والنجم إذا هوى والفجر وليال عشر والشفع والوتر ، والقلم وما يسطرون وما تبصرون وما لا تبصرون وغير ذلك مما أقسم الله به في كتابه . فإن إقسام الله بالشئ تعظيم له ، فيقضى هذا بأن يكون من الإسلام أن يسأل الله بذلك كله وأن يتوسل إليه بجميع ما ذكر . وهذا لا يقول به مسلم ولا عاقل ذير مسلم . أما إن قالوا : إنه لا يصح سؤال الله

ومع هذا جوا
التوسل إلى الله
بكل شيء في
الأرض أو في
السماء

بكل عظيم محبوب لديه ، بل لا يسأل الا بما ورد النص به بلا قياس ولا زيادة .
 قيل إنكم أنتم تزعمون أنه يجوز التوسل بالأولياء والأشياخ الموتى ، وأنه يجوز
 سؤال الله بجاه الصالحين وبكراماتهم وحقوقهم وحرمتهم وبذراتهم . وهذا كله
 لم يرد فيه نص لا صحيح ولا ضعيف ، وأنتم تسألون بجاه النبي وحقه وكرامته
 وحرمة وذاته . وهذا لم يأت فيه خبر ألبتة لا صحيح ولا ضعيف . وإنما جاء
 التوجه به على وجه العموم والاجمال والاطلاق كما في حديث الأعمى الآتي ،
 وجاء التوسل به وبالعباس على وجه الاطلاق والاجمال أيضاً كما في حديث
 الاستسقاء بالعباس الآتي القول فيه أيضاً ، وجاء سؤال آدم بحق رسول الله
 كما في الحديث الموضوع الآنف . وغير هذا لم يجيء فيه خبر ألبتة . فكان
 اللازم الواجب على القوم أن يقفوا حيثئذ عند ما جاء له نص : لا يزيديون
 ولا ينقصون ، ولا يتقدمون أو يتأخرون أو يقيسون .

نقاش في الخبر
وجوابه

فالتوسل والسؤال بالحق والكرامة أو بالحرمة أو بالذات أو بالجاه أو نحو ذلك
 من الأمور المبتدعة المحدثه في الاسلام التي أحدثها وابتدعها الجهال الأغبياء
 والعوام الذين يجهلون مواقع الكلام وأساليبه ، والذين يجهلون حقائق ما جاء
 به النبيون والمرسلون . . . أما دين الله الحق فبعيد عن هذا الهراء كل البعد ،
 منزّه عنه وعن قائله ومنتحليه كل التنزيه . ولهذا لم يجيء شيء منه في كتاب
 الله ولا في سنة رسوله الصحيحة الثابتة . ولا جاء عن أحد الأصحاب بسند ثابت
 صحيح ، ولا عن أحد الأئمة العارفين بدين الله حق المعرفة . . . ولو أنك فليت كتاب
 الله حرفاً حرفاً ، وسطراً سطراً ، وآية آية ، وفليت السنة الصحيحة حديثاً حديثاً
 ورواية رواية لما وجدت أن أحداً من أنبياء الله أو من عباده الصالحين الأبرار
 أو من غيرهم سأل الله بحق مخلوق أو بجاهه أو بحرمة أو بكرامته أو ببركته . . .
 وإنما نجد عباد الله الصالحين من الأنبياء فن دونهم يدعون ربهم ويسألونه وحدهم

والتمحيق ان
السؤال بالجاه
ونحوه من
الامور التي
ابتدعها الجهال

بلا وسائط ولا وسيلة سوى إيمانهم وتقائم أعمالهم الصالحة المبرورة . وهذا بين واضح ، وهذا ما نص عليه الله في كتابه بقوله : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » ولم يقل : ادعوه بجاء فلان أو كرامة فلانة أو يحق محمد أو حرمة إبراهيم مثلاً . بل قال : ادعوه بأسمائه الحسنى وبصفاته . وعباد الله يدعون الله دون سواء : لا يدعونه بسوى ذاته وصفاته وأفعاله . والله وحده الهادى إلى سواء السبيل وصراطه المستقيم .

الكلام على
حديث الأئمة
سنداً ومتناً

﴿ الشبهة السادسة حديث الأئمة المشهور ﴾

أما هذه الشبهة فنقول : قال أبو عيسى الترمذى فى جامعہ من أبواب الدعوات : حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرب بالبصر أتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : ادع الله أن يعافيني ، قال : « إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك » قال فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ وأن يحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى . اللهم شفعني في » . هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطى . هذا لفظ الترمذى .

وقال ابن ماجه من سننه فى باب ما جاء فى صلاة الحاجة : حدثنا أحمد بن منصور بن سيار حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر المدينى عن عمارة ابن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرب بالبصر أتى النبي عليه الصلاة والسلام . وذكر الحديث كما ذكره الترمذى إلا أنه قال فيه : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ، ويصلى ركعتين . ورواية الترمذى ليس فيها ذكر صلاة الركعتين .

وقال ابن السني في كتاب عمل اليوم والليلة : أخبرني أبو عروبة حدثنا
العباس بن فرح الرياشي والحسين بن يحيى الثوري قالا : حدثنا أحمد بن شبيب
ابن سعيد قال : حدثني أبي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المدني - وهو
الخطمي - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال سمعت
رسول الله وجاء رجل ضربه فشكا إليه ذهاب بصره فقال رسول الله : « ألا
تصبر ؟ » قال : يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي . فقال النبي عليه السلام :
« ائت الميضأة فتوضأ وصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك
بنبي محمد ﷺ . يا بني الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي عز وجل فتجلى عن
بصري . اللهم شفعه فيّ وشفعه في نفسي » . قال عثمان . وماتفرقنا ولا طال بنا
الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن ضريراً قط . ورواه الامام أحمد في المسند .
من حديث روح بن عبادة عن شعبة عن أبي جعفر المديني عن عمارة بن خزيمة
ابن ثابت عن عثمان بن حنيف . الحديث ، وفيه ذكر الصلاة والدعاء ، وقال في
آخره « وتشفعه فيّ وتشفعه في » وفي آخره : « ففعل الرجل فبرئ » . وروى
الحديث أيضاً البيهقي في دلائل النبوة والحاكم في المستدرک والطبراني في المعجم
ورواه آخرون من أهل السنن والمسائيد والمعجزات غير أن صاحبَي الصحيحين
البخاري ومسلماً أعرضا عنه ولم يروياه .

والحديث هذا من شبهات القوم وحججهم على باطلهم وعلى جواز دعوة
الأموات والاستغاثة بهم وعلى جواز التوسل والسؤال بنوات الأنبياء وذوات
الصلحين وعلى جواز كل ما يأتون به حول القبور من الضلالات والجهالات . أما
استدلالهم به على جواز دعاء خير الله من الأموات والغائبين فن أمر النبي عليه
السلام ذلك الضريبر بعد الوضوء والصلاة أن يدعو وأن يقول في دعائه : « يا محمد
إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضي » . وأما استدلالهم به على جواز

ساق استدلال
المتأولين بهذا
الحديث على
أكمل الوجوه

التوسل والسؤال بالذوات وبالأَنْبياء والصالحين وبالميتين فمن أمره عليه السلام
الضرب أن يقول في دعائه : « أتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة . يا محمد إني توجهت
بك إلى ربي » . ففي قوله : « يا محمد » جواز دعوة الغائبين ، لأن الرسول أمره
أن يدعو بهذا الدعاء وهو عنه غائب . وإذا جاز دعاء الغائبين جاز دعاء الميتين
ولا فرق . وفي قوله : « أتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة .. إني توجهت بك إلى ربي »
جواز السؤال بمحمد ﷺ . وإذا جاز السؤال به جاز السؤال بذاته وبحقه
وجاهه وحرمة وكرامته . وإذا جاز السؤال والتوسل بهذا كله من النبي عليه
الصلاة والسلام جاز ذلك بغيره من الأنبياء والصالحين ولا فرق . فالحديث
دليل واضح ناطق ، وبرهان قائم جلي على جواز دعاء الأموات من الأنبياء
والصالحين وعلى جواز التوسل والسؤال بهم وبذواتهم وحقوقهم وكراماتهم
وكراماتهم . فالذين يمنعون شيئاً من هذا مخالفون لهذا الحديث الصحيح
محجوجون به بلاريب ولا مرية .

هذا والحديث قد رواه جماعات من أئمة الحديث والفقه والدين ، وعدوه من
معجزات النبي عليه السلام وكراماته على ربه . وقد صححوه ووضموه في كتب
جيدة محترمة سامية المكانة والشأن بين كتب الحديث والدين والسنة ودواوين
الاسلام . وقد تلقاه المسلمون عنهم في كل المصوّر بالقبول والرضا والاطمئنان
والثقة البالغة . وقد عمل به وبما فيه طوائف منهم من السلف والخلف بكل هذا قد
كان وقع . وما قام هنا اعتراض ولا ارتفع صوت بالانكار والنقد ، ولا قال
لهم قائل : إنكم خالفتم الاسلام أو أشركتم أو ابتدعتم أو فعلتم ما تأباه روح
الدين أو نصوصه . ولا حاول صيرف من صيرافة الحديث ولا فارس من فرسانه
أن يطنن فيه سنداً أو متناً ومعنى . وقد مضى عليه من الزمان ما يقارب ثلاثة
عشر قرناً ونصف قرن والألسنة تدرسه ، والقلوب تغميه وتغلقه ، والدواوين تحفظه

والقرون تصقله ، والمسلمون مجمعون متفقون عليه وعلى صحته مطمئنون به واثقون .
راضون كل الرضا . . . فكيف يسوغ أن يشك في مثل هذا ؟ أو كيف يجرح
أو يرد أو يكذب ؟ إذن هو حديث صحيح الاسناد صحيح المعنى ، مشرقهما
وباديهما . . . هذا كله ما يمكن وما يصح أن يقوله المستدلون بالحديث على ما هم
فيه من باطل وجهل وضلال وبدع سود قائمة اللون والوجه .

والجواب أن يقال : إن الكلام على الحديث من ناحيتين : ناحية الاسناد
وناحية المعنى . فاذا صح الاسناد ، وكان المعنى في متنه ولفظه ما ذكره قامت
حجتهم ونهضت دعواهم وإلا فلا . ونحن نورد ما نستطيع من الكلام في الناحيتين .

✽ إسناد الحديث ✽

أما الاسناد فهو أول ما يجب أن يكون الكلام فيه . فإن الاعتقاد وأمره
أعلى ما عند المؤمن ، فلا يجوز - والحالة هذه - أن يتركه عرضة للأخطاء والباطلات ^{الكلام على سند الحديث}
ولا أن يدعه في مهبط الضلالات والجهالات ، ينلن منه ويتصرفن فيه . فلا جرم أن
وجب على العاقل ألا يمتنع إلا ما كان صحيحاً ثابتاً . أما الضعيف والباطل
والمرغوب عنه فلا يحسن بمن لا يرضى لنفسه ولدينه وعقيدته إلا الصحيح القوي
أن يعبا به وأن يباليه وأن يقيم له وزناً .

وإسناد هذا الحديث في جميع طرقه عند جميع رواه قد انفرد به راو
واحد ، هذا الراوى هو أبو جعفر الذى روى الحديث عنه شعبة عند ابن ماجه
والترمذى والامام أحمد ، والذى روى الحديث عند هؤلاء الثلاثة عن حمارة بن
خزيمة بن ثابت . وقد قال أبو عيسى الترمذى كما تقدم بعد روايته الحديث :
غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى جعفر . أما الذين رووه عن أبى جعفر هذا
فشعبة عند الترمذى وابن ماجه وأحمد ، وروح بن القاسم عند ابن السنى
وعند البيهقى والحاكم ، ورواه عن شعبة عثمان بن عمر عند الترمذى وابن ماجه

ورواه بن عباد عند أحمد والبيهقي ، ورواه عن روح بن القاسم شبيب بن سعيد عند ابن السني والبيهقي ، ورواه عن شبيب ابنه أحمد عند ابن السني . ورواه عن عثمان بن عمر محمود بن غيلان عند الترمذي وأحمد بن منصور بن سيار عند ابن ماجه وغيرهما عند غيرهما . ورواه عن محمود بن غيلان الترمذي مباشرة ، وعن أحمد بن منصور بن سيار ابن ماجه مباشرة ، ورواه عن روح بن عباد الامام أحمد مباشرة . ورواه عن أحمد بن شبيب العباس بن فرح الرياشي والحسين بن يحيى الثوري عند ابن السني ، ورواه عنهما أبو عروبة الحراني شيخ ابن السني . وقد روى من طرق أخرى . فالحديث إلى أبي جعفر هذا صحيح السند لا غبار عليه . فلا كلام للناقد في هذا الاسناد حتى يصل أبا جعفر الذي قيل : إنه الخطمي وقيل إنه غير الخطمي . وقد رأى القارئ أن أبا جعفر هذا رواه عند الثلاثة الترمذي : وأحمد وابن ماجه عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت عن عثمان بن حنيف الصحابي شاهد القصة . وعمارة هذا ثقة لا كلام فيه . وقد زعم ابن حزم في « المحلى » أنه مجهول لا يعرف كما في تهذيب التهذيب ، ولكن هذا لا يضيره لأن غير ابن حزم عرفه ووثقه . وعثمان بن حنيف صحابي جليل لا كلام فيه أيضاً للناقد . وقد تابع عمارة بن خزيمة في روايته عن ابن حنيف أبو أمامة - واسمه أسعد - ابن سهل بن حنيف ابن أخي عثمان بن حنيف ، رواه عن عمه عثمان عند البيهقي وابن السني والحاكم والطبراني . فيكون أبو جعفر هذا رواه عن عمارة بن خزيمة وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف . فالحديث إذن لا يكون غريباً إلا عند أبي جعفر المذكور ، ولا ينفرد به سواء ، وسوى الصحابي عثمان بن حنيف . أما ما بين ذلك فالرواة متعددون . وانفراد عثمان بن حنيف لا يضيرنا نظراً لأنه صحابي جليل . فالكلام هنا يجب أن يقصر على أبي جعفر هذا ، والله مبدئ ، كما تقدم فقول إنه غير الخطمي ، والأكثر أن نذكر أن الخطمي .

الحديث في
طريقه غريب
انفرد به أبو
جعفر هذا

والغريب أن اسمه لم يقع مصرحاً به - في ما نعلم - في واحدة من الروايات .
فمن الخطمي إذا كان هو إياه ؟ ومن هو إذا كان سواء ؟

من أبو جعفر إذا
كان هو الخطمي

أما أبو جعفر الخطمي فهو عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري
المدني ثم البصري . وهو ثقة من رجال الأربعة . قال ابن حجر في تهذيب
التهذيب : وثقه اللسائي وابن معين ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وأثنى عليه ابن
مهدى ، ووثقه أيضاً المعلى وابن نمير والطبراني . قال ابن حجر : وقال أبو
الحسن بن المديني هو مدني قدم البصرة وليس لأهل المدينة عنه أثر ، ولا يعرفونه .
والخطمي مع هذا نزر الرواية قليل التحديث والحديث ، ومن ثم وقع الاختلاف
فيه في هذا الخبر .

فأبو جعفر هذا إن كان هو الخطمي كما ظنه غير الترمذي - فالحديث في
درجة متوسطة من الصحة والجودة ، لا يبلغ مكانة أحاديث البخاري ومسلم
ولا ينزل إلى أن يكون ضعيفاً باطلاً مردوداً ، وإنما هو كالأحاديث التي
يصححها أمثال الترمذي وابن خزيمة والحاكم وابن حبان وغيرهم ممن عندهم نوع
تساهل وإغماض في التصحيح ونقد الأخبار . ولأجل هذا صحح للشيخين
البخاري ومسلم أن يعرضا عن روايته في كتابيهما وأن يرغباه عنه لتصوره عن
أن يبلغ درجة ما يضمنان في صحيحيهما اللذين لا مثيل لهما في كتب السنة بل في
كتب الرواية مطلقاً .

هذا إن كان أبو جعفر هذا هو الخطمي ولكن وقع اختلاف كما تقدم : فالترمذي
يقول في جامعه بعد تنجيجه الحديث : إنه غير الخطمي . وابن حجر المستلاني يميل
في التقريب « بـ » على قول صاحب صيانة الانسان - إلى أنه غير الخطمي
كالترمذي ، ويرجح أنه أبو جعفر عيسى بن ماهان الرازي النخعي الذي ضعفه
قوم ووثقه قوم آخرون . وقد ذكر في كتابه تهذيب التهذيب ما يدل على أنه

استلاف أهل
الحديث في كونه
الخطمي أو غيره

يرجح كونه غير الخطمى . وذلك أنه قال من التهذيب في من يكونون أبا جعفر :
« أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة ، وعنه شعبة . قال الترمذى ليس هو الخطمى »
ولم يزد على هذا ولم ينكر على الترمذى ما حكمه عنه . فكأنه يميل إلى
الأخذ بقوله . وعند ما ذكر ترجمة الخطمى من التهذيب لم يتعرض لهذا الخلاف
ولم يذكر أنه هو الذى روى هذا الخبر عن عمارة بن خزيمة مع أنه معروف
التعقيب على ما يراه يستحق ذلك . فالظاهر من مجموع هذا أنه يميل إلى موافقة
الترمذى فى القول بأنه غير الخطمى . . . هذا قول الترمذى ومن فى جانبه .
أما الأكثرون فقد ذكروا أنه هو الخطمى عينه . هكذا وقع فى كثير من
الكتب التى روى الحديث فيها . وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية هذا
الرأى الأخير .

إذن فالخلاف قائم بين أهل الحديث فى أبى جعفر راوى الحديث . فن لنا
بالاهتداء إلى الحق المنشود ١ وبأى أسلوب نستطيع أن نعتز على الصواب
والرشد فى هذا الخلاف ١ هذا مالا بد منه ، ومالا غنى عنه ، ومالا فرار من محاولة
نشدان العرفان فيه . وإلا فإن الذين يكونون أبا جعفر كثيرون ، منهم الثقات ،
ومنهم غير الثقات . فلا محيص من التمييز حذار الوقوع فى رواية غير الثقات .
والدين أغلى وأعلى من أن يكتفى فيه بالروايات المهمة بحيث لا يعرف الثبت من
غير الثبت .

قد يقول قائلون : إنه يجب إسقاط خلاف الترمذى ومن معه فى هذا
الخلاف لأنهم لم يعلموا أن أبا جعفر هذا هو الخطمى أو غيره . وغاية الأمر أنهم
وجدوا الراوى عن أبى جعفر يقول حدثنا أبو جعفر فظنوه غير الخطمى فقالوا
إنه غيره . ولكن قلوبهم هذا غير حجة لأنه قائم على الظن والتوهم والحسبان .
والحجة فى قول غيرهم من الذين روى الحديث وصرحوا بأنه هو الخطمى كما وقع

هل يمكن ترجيح
أحد الرأىين على
الأخر وكيف
ذلك

مصرحاً به عند ابن أبي خيثمة في التاريخ، وعند الطبراني في المعجم، وعند الحاكم في المستدرک، وعند ابن السني في عمل اليوم واليلة. فان هؤلاء قد صرحوا بأن راوى الحديث هو الخطي عينه. وهم ما قالوا ذلك إلا لأنهم علموا أو حدثوا أنه هو نصاً لا توهمًا وحسباناً

إن قال قائلون هذه المقالة ورجحوا هذا الرأي على رأى الترمذى ومن معه وعدوه المصير الصحيح اللازم المصير إليه علماءً وبخناً وتحققاً، قيل في الجواب: كلا، إنه لا يجب اطراح قول أبي عيسى الترمذى هكذا، ولا الذهاب إلى تخطئته. جزافاً وقولاً واحداً، إذ لو صح لنا أن نقول: إنه ظنه غير الخطي فقال: إنه غيره بلا دليل سوى الظن والتوهم والحسبان الخفى لصح لنا أن نقول: إن هؤلاء الذين صرحوا في كتبهم بأنه هو الخطي نفسه ليس لهم من دليل أيضاً سوى التوهم والظن والحسبان. وهذا قزيب جداً. وذلك أنهم وجدوا أبا جعفر في الإسناد مجرداً مطلقاً مما يمكن أن يعينه، فوثب إلى توهمهم وأوهامهم أنه الخطي فصرحوا بما توهموه وحسبوه، لا بما علموه ومعموه، وهذا يحتمل في الترمذى كما يحتمل في الآخرين المخالفين له، وإن كان يبدو للتأمل جيداً تقديم ما ذهب إليه الترمذى وترجيحه. وذلك أنه من البعيد للغاية أن يصرخ عالم بالحديث، كالترمذى مثلاً، بأن هذا ليس هو هذا انسياقاً وراء الظن المجرّد والحسبان الباطل. لأنه إذا لم يكن لديه سوى الظن والتوهم كانت منطقة السكوت أرحب وأوسع! وما أبعد أن يقع اسم أو كنية بين يدي ناقد بصير مثل الترمذى فيقول مبادراً: إن صاحب هذا الاسم أو هذه الكنية ليس هو فلاناً ممن يسمون ذلك الاسم بلا حجة وبرهان غير الظن البحت... أما من قالوا إنه هو الخطي فنن القريب للغاية أن يسموا الراوى يقول: حدثني أبو جعفر، فيساق بسرعة إلى أذهانهم وأوهامهم أنه هو الخطي أو غيره ممن يكونون هذه الكنية،

ولأن اللسان والجنان كثيراً ما يندفعان إلى مثل هذا اندفاعاً ، وينطلقان إليه انطلاقاً آلياً أو شبه آلي . والأمريين لمن تدبره جيداً ، ولمن رزق فهماً وإنصافاً وإنفاقاً من ربة التقليد والاحتذاء المكروه الجاهل .

وإذن لا يسوغ لناشد المعرفة والحقيقة أن يبادر إلى الحكم بنخطة الترمذى زاعماً أنه الخطي قولاً واحداً ، بل يجب عليه على الأقل التريث والتوقف ما لم يلبثق له في هذه الظلمة شعاع من نور . ولا سيما أن هذا الراوى المختلف فيه لم يتابعه أحد على روايته الحديث عن عمارة بن خزيمة بن ثابت وعن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، بل انفرد به في جميع الأسانيد والروايات . وهذا ما يزيد الباحث الحريص على الحقيقة والمعرفة توقفاً وترثساً . ولا سيما أن الحديث وارد في مسألة كهذه المسألة لها من الخطورة والخطر ما لها .

وإذا وصلنا إلى هذا الدور من البحث وجدنا أمامنا امرين لا مندوحة لنا من اختيار أحدهما : أحد الأمرين أن نذهب ، قولاً واحداً ، إلى أن هذا الراوى ليس هو الخطي كما قال الترمذى وكما رجح الحافظ ابن حجر على ما سبق . وثانيهما أن نلتزم التوقف ونجوز كلا الاحتمالين والقولين ريثما يقدم لنا قبس من نور في هذه الدجنة نتلمس به حقيقة ما غمّ علينا وعلى الباحثين . وعلى الاحتمالين والقولين لا يصح لنا أن نبادر إلى القول بصحة الحديث وإلى الأخذ به حتى نأمن من أن يكون هذا الراوى راوياً ضعيفاً متروكاً منهوكاً مردود الرواية ، معروف الضعف والوهن . وما دنا مجوزين أن يكون الخطي وأن يكون غيره فلا سبيل إلى الضمان من أن يكون ضعيفاً ذاهب الحديث حتى نعلم أن جميع من يكتنون هذه الكنية ممن هم في هذه الطبقة ثقات أثبات كلهم . أما إذا ذهبنا إلى القطع بأنه غير الخطي فقد يحتمل أن يكون راوياً ضعيفاً ، وكذلك إذا جوزنا أن يكون إياه وأن يكون غيره . لأنه لا سبيل إلى القطع

هنا أمراد القول بأنه غير الخطي ونجوز أن يكون إياه وأن يكون غيره وعلى الأمرين

بأنه هو قول واحد إلا لمن كان متسرعاً إلى ما يجب التأني والبطء فيه . وما دام هذا الاحتمال موجوداً فلا شك أن العمل بالحديث باطل مردود . ومن ثم ذهب المحدثون إلى أن رواية المجهول غير مقبولة ولا صحيحة لاحتمال أن يكون ضعيفاً ، وذهبوا إلى أن الحديث المنقطع ضعيف أيضاً لجواز أن يكون الراوى الساقط من الاسناد ضعيفاً ، وأجمعوا على أن الخبر المنقول بلا إسناد لا يجب العمل به ولا يكون حجة . في الدين حتى يعلم إسناده . لجواز أن يكون رواه ضعفاء . وهذا بين . وقد ذهبوا إلى أكثر من هذا كله ، محافظة على السنة والدين واحتياطاً من الضعف والكذب ومن التدين بالضعيف والمكذوب وبما لم يصح عن النبوة الخاتمة الصادقة .

وقد أجمعوا أيضاً على أنه إذا جاءت رواية باسم مشترك بين ثقات وضعفاء فاحتمل أن تكون الرواية رواية ضعيف ، واحتمل أن تكون رواية ثقة ، وجب طرح تلك الرواية ولم يحلل العمل بها قولاً واحداً . مثل ذلك أن يقول الراوى الثقة المرووف : حدثنا أحمد ، وكان اسم أحمد هذا مشتركاً بين راو ثقة ثبت وبين آخر ضعيف ، ولم يقم دليل على أنه أحدهما . فمثل هذه الرواية لا يجوز عند حلة الحديث والسنة العمل بها ولا القول بصحتها . ومثله قول شعبة بن الحجاج - وهو الامام الحجة - في هذا الحديث : حدثنا أبو جعفر ، أو عن أبي جعفر . فان شعبة إمام حجة ولا شك . ولكن الذين يكتنون بأبي جعفر من يكتنون لا يمكن أن يروى عنهم شعبة غير واحد ، منهم الضعفاء ، ومنهم الثقات الأثبات ، ومنهم مقبولوا الحديث ، ومنهم مردودوه ، في حين أنه لم يظهر لنا هذا الذي روى عنه شعبة الحديث . هذا كله صحيح عند أعلام النقد وعلماء الرواية وفرسان الفن . وأكثر منه وأدل على الدقة والنمحيص البالغ أن شيوخ هذا الشأن وأساطينه ذهبوا إلى أن الثقة إذا قال : حدثني الثقة ، ولم يذكر اسمه ولا من يكون ، لم يقبل

من شروط
المحدثين لصحة
الحديث ومن
احتياطهم
العريب

حديثه ولم يكن صحيحاً لديهم في علمهم . وذلك لاحتمال أن يكون ثقة عند الراوى عنه لأنه لم يعلم ضعفه ، غير ثقة عند سواء من المحدثين لأنهم علموا ضعفه وعلموا ما لم يعلم موثقه من أمره وحاله . ومن ثم ذهبوا إلى أن قول الامام مالك رضى الله عنه في الموطأ : حدثني الثقة ، لا يقضى بأن يكون ثقة عندهم حقيقة ، ولا يقضى بأن يكون حديثه الذى روى بالايهام والايهام صحيحاً حتى يعلموا من هو ذلك الراوى المبهمة الثقة عند الراوى عنه ، أو يعلموا للحديث سنداً آخر معروف الرواة مسام . وذهبوا إلى أن الأحاديث التى يذكرها هو وغيره عن النبي عليه الصلاة والسلام بلا أسانيد مثل أن يقول : صح عن النبي كيت ، وقال النبي كذا . ليست صحيحة مطلقاً ولا يجب العمل بها لمجرد هذا النقل . ومثل هذا وأبلغ منه في الخبطة للسنة أنهم لم يقبلوا الأخبار التى يعلقها البخارى في الصحيح بالإسناد ، مع علمهم شروط البخارى وشدها وقوتها ، بل عندهم أنه لا يجب العمل بها حتى يعلم إسنادها وحاله . ومن ثم نجد شراح البخارى ، كالمستقلانى وسواء ، يتصمدون لتطريح هذه الأحاديث المعلقة وتبيان حالها ، وقد يميلون حيناً إلى تصحيحها ، وهو الأكثر وأحياناً إلى القمح فيها وتضعيفها وهو الأقل . ولهذا كله احتياج المسلمون إلى الأسانيد والعناية بها وإثباتها ، وقد جعلوها من الدين . ولم يكتفوا بأن يقول العالم المحدث الثقة : صح عن النبي كذا وصح عن أصحابه كيت ، بل وجدوا أن هذا لا يجدى ولا يرب الحيلة المطلوبة والعلم المطلوب . فما ألف البخارى صحيحه بلا أسانيد ، ولا ألف مسلم صحيحه كذلك بلا أسانيد ، ولا أحمد مسنده مخدوف لماذا لا يكتب الأسانيد ، ولا غيرهم من أعلام الرواة وعلماء الحديث . بل ذكروا جميعاً الأخبار والأحاديث بالأسانيد ليكون ان جاءوا بعدهم من المسلمين الاختيار الصحيح التزيه ، والاجتهاد الفاحص ، والنظر المدقق ، والعلم الذى لا يحد إلا بحدود البشرية وحدود العقل : فيكون لكل من جاءوا بعدهم - إذا استطاعوا واستوفوا

لماذا لا يكتب
الحديث
بالأسانيد .

الآلة - أن يصححوا وأن يضعفوا وأن ينقدوا وأن يقولوا : هذا صحيح وهذا ضعيف . وقد كشفوا - نصر الله وجوهمهم - أحوال الرواة وبينوا قواعد الرواية ودوتوا ما يشتملون عليه من صحة وضعف ، ومن دين ومروق ، ومن قوة ووهن ليكون في كل ذلك النبراس اللامع الوهاج لمن راحوا يسرون ويدلجون في ليل الجهالات والضلالات والشكوك والآكاذيب المبثوثة في كل سبيل وعلى كل مرصد - متخطين ذلك كله إلى مناهل الحقيقة الواحدة ، وموارد الإيمان والعرفان والصدق .. حتى خلفوها ببيضاء واضحة الأعلام والمعالم ، لا يتيه فيها إلا تائه هالك ولا يعمى عنها أو فيها إلا من استحب العمى على الهدى ، وآثر الظلام على النور بعد أن باع هداه لهواه وعقله لجهله : هذا كله صحيح عند أهل الحديث الذين حفظ الله بهم العلم والسنة ، وأبان بهم كلام النبوة الصادقة من كلام البجالين والوضاعين .

ومن طالع مقدمة الامام مسلم في صحيحه رأى العجب العجيب من أقوال أئمة الحديث وشيوخ السنة في التعظيم لأمر الرواية والرواة وفي الخذر من الكذب والكذابين ، وفي الحملة الشديدة الصلبة القاسية على من طاروا فرحاً وسروراً بكل ما سمعوه من الأخبار زاعمين أنه من كلام النبوة ومن دين الله . وقد ذكر هذا الامام في مقدمة الصحيح بعنوان : « باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم » بسنده عن عامر بن عبدة قال قال عبد الله : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب ، فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدري ما اسمه . وروى أيضاً بالسند الصحيح عن طاوس قال : جاء بشير بن كعب إلى ابن عباس فجعل يحدثه ، فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا . فعاد له ، ثم حدثه فقال له : عد لحديث كذا وكذا فعاد له ، فقال له : ما أدري أعرفت حديثي

ما ذكره مسلم في
مقدمة صحيحه
من نقد الرواية
والرواة

كله وأنكرت هذا ؟ أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصب والذلول تركنا الحديث عنه . وروى أيضا بالاسناد عن ابن عباس قال : إنا كنا نحفظ الحديث والحديث يحفظ عن رسول الله ، فلما إذ ركيتم كل صعب وذلول فبهات . ثم روى عنه رواية أخرى جاء فيها : قال فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي أراك لا تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله فلا تسمع . فقال ابن عباس : إنا كنا إذا سمعنا رجلا يقول قال رسول الله ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف . وقد روى مسلم في فاتحة هذا الباب بالاسناد الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم . فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم » . وقد ذكر في المقدمة قبل هذا الباب باباً آخر عنوانه : « باب النهي عن الحديث بكل ماسع » فروى فيه قوله ﷺ « كفى بالمرء إيماءً أن يحدث بكل ماسع » . وروى فيه أيضاً أن عمر بن الخطاب قال : « يحبس المرء من الكذب أن يحدث بكل ماسع » . ورواه عن عبد الله . وروى فيه عن الامام مالك أنه قال : « اعلم أنه لا يسلم رجل حدث بكل ماسع ، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ماسع » . وروى عن عبد الرحمن بن مهدى مثله .

التحديث بكل ماسع

ثم عقد مسلم في مقدمة الصحيح باباً آخر عنوانه : « باب في أن الاسناد من الدين » فروى فيه بالسند عن محمد بن سيرين قال : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » . ثم روى عنه أيضاً أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سمعوا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » . ثم روى عن ابن أبي الزناد

الاسناد من الدين

عن أبيه قال : أدركت بالمدينة مائة ، كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث ، يقال ليس من أهله . ثم روى عن مسعر قال سمعت سعد بن إبراهيم يقول لا يحدث عن رسول الله إلا الثقات . ثم روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال : الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء . ثم روى عن العباس بن رزمة قال سمعت عبد الله يقول : بيننا وبين القوم القوائم ، يعنى الاسناد . ثم روى عن أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال : قلت لعبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن : الحديث الذى جاء « إن من البر بعد البر أن تصلى لأبيك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك » ؟ قال فقال : يا أبا إسحاق عن هذا ؟ قلت له : عن شهاب بن خراش ، فقال ثقة ، عن ؟ قلت عن الحجاج بن دينار ، قال ثقة ، عن ؟ قلت قال رسول عليه السلام ، قال يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين رسول الله مفاوز تنقطع فيها أعناق المطى ، ولكن ليس فى الصدقة اختلاف .

الكشف عن
معايب الرواة

ثم عقد باباً رابعاً عنوانه : « باب الكشف عن معايب رواة الحديث ونقله الاخبار وقول الأئمة فى ذلك » ، وقد ذكر فيه من قواعد هذا الفن أشياء عجيبة ترى قارئها كيف كان أعلام الحديث ورجاله يحذرون من الروايات كل ما يمت إلى الضعف والوهن بسبب من أسبابه ولون من ألوانه وظل من خياله ، وكيف كانوا لا يقبلون منه إلا الصحة والقوة بالأسانيد المشرقة فى جو الحقائق والمقول إشراق الشمس فى جو الأجسام والمادة ، وكيف كانوا يهجون كل إسناد يكون عليه لون من ألوان الضباب أو سمة من سمات الكدورة والخفاء والظلام .. ولهذا كان علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها وأدقها وأقواها ، وكان رجاله هم الفواريق الفارقة بين الإسلام وماليس إسلاماً . وكانوا هم حفظة الشريعة المحمدية بلا نزاع ولا مكابرة . . . ولولا هذه الأسانيد وعلومها وفنونها لما بقى لنا من الاسلام سوى القرآن . وذلك لاختلاط أحاديث النبوة بأحاديث الكذبة . فله أهل الحديث .

ولله ما قدموه للاسلام والمسلمين من خدم ودين !
بعد هذا كله نقول : إننا لا ندرى من يكون أبو جعفر هذا ، فحائز أن يكون
الخطمي ، وحائز أن يكون غيره ، وإذا كان غيره فحائز أن يكون ثقة وحائز أن
يكون ضعيفاً بل وتحت الضعيف .

من يكون هذا
الراوي إذا كان
غير الخطمي ثم
أبو جعفر
الرازي

﴿ من يحتمل أن يكون أبو جعفر هذا إذا لم يكن الخطمي ﴾
الذين يكونون بأبي جعفر من يمكن أن يراد أحدهم في هذا الحديث كثير من
فقههم أبو جعفر : عيسى بن ماهان الرازي التميمي بالولاء . وهذا ثقة قوم وضعفه
آخرون . وقد قدحوا في حفظه وضبطه . وقال ابن حبان : إنه ينفرد عن المشاهير
بالنكا كبر ، فلا يهجنى الاحتجاج بحديثه إلا فيما وافق الثقات . وقال ابن معين : يكتب
حديثه ولكنه يهمل . وقال أبو زرعة : شيخ بهم كثيراً . وقال أحمد بن حنبل :
ليس بالقوي في الحديث . وَهَنْ أمره النسائي . وقد وثقه أبو حاتم وابن المديني
والحاكم وآخرون . فهو إذن قائم بين التضعيف والتوثيق ، وبين القوة والضعف .
فقوم يقبلونه ، وقوم يردونه . وكأن الذين قالوا إنه ثقة أرادوا أنه ثقة لولا الوم والغلط
لأن الذين قدحوا فيه قدحوا من هذه الناحية نفسها . فكأنه صالح في نفسه ودينه
وحاله ولا عيب فيه سوى سوء حفظه وضعف ضبطه . وبهذا تتفق أقاويل القادحين
والمادحين . ويشهد لصديق هذا الجمع بين القدح والمدح أن ابن معين وثقه مرة ،
ومرة قال : يكتب حديثه ولكنه يخطئ . . . ومن كانت هذه حاله كان حديثه
من قسم الحسن ، لا يبلغ درجة الصحيح إلا عند المتساهلين جداً ، أو عند وفرة
الشواهد والمتابعات . ولكن لا شواهد هنا ولا متابعات . لحديثه هذا . إذا كان هو
إياه . لا يكون صحيحاً وإنما يكون حسناً باغماض أو ضعيفاً ضعفاً هيناً . ولكن
هل يمكن أن يكون أبو جعفر المذكور في الحديث هو هذا ؟ والجواب أنه يمكن
أن يكونه . ويقوى هذا الاحتمال والامكان أن شعبة بن الحجاج قد روى عن

أبي جعفر هذا كما في تهذيب التهذيب . وشعبة هو راوى هذا الحديث عن أبي جعفر الذي ننشد المعرفة في أمره وفي اسمه وحقيقته . ولكن قد يؤمن هذا أنه وقع في بعض روايات الحديث نسبة أبي جعفر هذا إلى المدينة ، فجاء في سنن ابن ماجه : عن شعبة عن أبي جعفر المدني عن حمارة بن خزيمة بن ثابت . وكذا جاء في مسند الامام أحمد ، وكذا عند البيهقي وعند الحاكم في المستدرک ، وعند الطبراني في المعجم . وهذا في الظاهر يأبى احتمال أن يكون أبو جعفر هذا هو عيسى بن ماهان الرازي ، لأنه ليس مدنياً ، لأنه « مروزي الأصل » سكن الري . وقيل كان أصله من البصرة وكان متجراً إلى الري فلبس إليها ، كذا في تهذيب التهذيب . ولكن قد يدفع هذا الاعتراض بأن يقال : نحن إذا جوزنا الوهم على من زعموه انططى فلا مانع من أن نجوزهم على من نسبوه إلى المدينة . والمسألة لا تمدو منطقة التجويز والاحتمال . والتوهم هنا لا بد منه : إما للذين زعموه انططى المدني ، وإما للذين زعموه غيره . فهذه لا معدى عنها كما ترى . فليس في التزامها إذن شيء .

وهناك راو آخر يكتفى بأبا جعفر ، يحتمل أن يكون إياه . هذا الراوى هو عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر ابن أبي طالب . أبو جعفر الهاشمي المدائني كما في الميزان للذهبي . وروى فيه عن معاوية بن صالح عن يحيى قال : أبو جعفر المدائني هو عبد الله بن محمد بن مسور بن محمد بن جعفر . وأبو جعفر هذا ضعيف قال أحمد وغيره : أحاديثه موضوعة ، كذا في الميزان . وقال النسائي والدارقطني : متروك . وقال الامام مسلم في مقدمة الصحيح في فصل « الكشف عن معائب رواة الحديث » : حدثنا عثمان ابن أبي شيبة حدثنا جرير عن ربيعة أن أبا جعفر الهاشمي المدني كان يضع أحاديث وليست من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وكان يرويها عن النبي .

ومم أبو جعفر
المدائني الهاشمي
الوضاع

وإذا كان أبو جعفر هذا هو أبا جعفر الذي روى عنه شعبة الحديث كان الحديث ، ولا ريب ، حديثاً ضعيفاً بالمرّة ، لا يحل الاحتجاج به ولا الاشتغال بمناه . وقد يقوى هذا الاحتمال - احتمال أن يكون أبو جعفر الوارد في الحديث هو هذا - أن كليهما يقال له : أبو جعفر المدنى . فهذا مدنى كما جاء في صحيح مسلم ، والذي في الحديث أيضاً مدنى كما جاء في ابن ماجه وفي مسند أحمد وفي المستدرک وفي معجم الطبرانی . فالافتاق في الكنية والنسبة قد يقوى أن يكون هذا هذا . أما شهرة أبي جعفر هذا بالمداثنى فراجعته إلى أنه كان نزول المداثنى . فلا خلاف بين المداثنى والمدنى ، لأنه مدنى بالأصل ، مداثنى بالاقامة والثواء .

وهناك راو آخر يقال له أبو جعفر الأنصارى المدنى المؤذن . قال في تهذيب ^{وهناك أبو جعفر آخر} التهذيب : « روى عن أبي هريرة ، وعنه يحيى ابن أبي كثير . قال الترمذى : لا يعرف اسمه . وقال غيره : هو محمد بن على بن الحسين ، قاله أبو بكر الباغندى عن أبي عاصم عن حجاج ابن أبي عثمان عن يحيى . قال أبو مسلم الكجى عن أبي عاصم عن حجاج عن يحيى عن محمد بن على . وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى : أبو جعفر هذا رجل من الأنصار . وبهذا جزم ابن القطان ، وقال : إنه مجهول . وقال ابن حبان في صحيحه : هو محمد بن على بن الحسين ، وهذا ليس بمستقيم ، لأن محمد بن على لم يكن مؤذناً ، ولأن أبا جعفر هذا قد صرح بسماعه من أبي هريرة في عدة أحاديث . وأما محمد بن على بن الحسين فلم يدرك أبا هريرة . فتمين أنه غيره . » هذا كله كلام الحفاظ المستقلانى في تهذيب التهذيب . قال في آخر الترجمة : « وقد فرق أبو أحمد الحاكم بين هذا وبين الراوى عن أبي هريرة ، وأظن أنه هو . وعنه أبو داود في الصلاة عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي جعفر - غير منسوب - عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة . وأظنه هذا » . وقال الحفاظ .

الذهبي في الميزان : « أبو جعفر الحنفي البجلي . عن أبي هريرة . وعنه عثمان ابن أبي عاتكة - مجهول » . وقال بعده : « أبو جعفر . عن أبي هريرة . أراه الذي قبله . روى عنه يحيى ابن أبي كثير وحده ، فقيل الأنصاري المؤذن . له حديث النزول وحديث ثلاث دعوات . ويقال : مدني فلعله محمد بن علي بن الحسين وروايته عن أبي هريرة وعن أم سلمة فيها إرسال لم يلحقهما أصلاً » .

فان كان أبو جعفر هذا هو الذي روى عنه شعبة الحديث كان الحديث ، بلا ريب ، ضعيفاً . لكن قد يشك في إدراك شعبة لأبي جعفر هذا وفي روايته عنه . وهذه الأقاويل والاحتمالات متروكة كلها رهن البحث والتمحيص ، لا يصل شيء منها إلى العلم والايقان .

هناك آخرون
يكونون هذه
الكنية

وإني ثم رواة آخرون يكونون هذه الكنية ، منهم الثقات ، ومنهم الضعفاء ، ومن الجائز أن يكون أبو جعفر الذي في الخبر أحدهم ، ومن الجائز أن يكون غير هؤلاء جميعاً ، وأن يكون رجلاً مجهولاً لا يعرف إلا بهذا الحديث ولم يرو عنه شعبة سواء ، ولم يرو عنه عن عمارة بن خزيمة بن ثابت غيره . وقد يفهم هذا من صنع الحافظ ابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب . وذلك أنه قال في من يكونون بأبي جعفر : « أبو جعفر . عن عمارة بن خزيمة بن ثابت وعنه شعبة . قال الترمذي : ليس هو الخاطمي » انتهى . وقد يشهد لهذا أيضاً قول الترمذي ، ذلك أنه قال : إنه غير الخاطمي ولم يزد دلي هذا القول شيئاً ، فلم يسمه ولم يصفه ولم ينسبه : فسكانه ما كان يعرف من أمره شيئاً ، ولا كان يعرف اسمه ولا نسبته . وإنما صح حديثه اعتماداً على رواية شعبة عنه ، لأن شعبة عرف بالرواية عن الثقات دون الضعفاء ، وإن كان هذا ليس لازماً من أمر شعبة ، فقد روى عن غير الثقات . والترمذي معروف بالتساهل واللين في التصحيح . فهذا منه معروف لا ينكر . وقد صحح حديث من أجمع دلي ضعفه ككثير بن عبد الله بن

عمر بن عوف المزني المدني : وقد صحح حديثه في الصلح بين المسلمين المشهور .
وقد نعى ذلك عليه جهابذة الفن وقالوا : إنه لا يثقل في التصحيح كغيره من
المساهلين .

وهذا
فالحديث غير
صحيح

بعد هذا البيان كله يظهر لنا أن هذا الحديث — أعنى حديث الأعمى —
ليس من الأحاديث الصحاح ولا الحسنات ، وأنه لا يجوز لمن لا يرضى لنفسه ودينه
وعقيدته إلا الصحة والقوة واليقين أن يقدم على تصحيحه وعلى العمل به أو
إلزام الناس ذلك أو اتخاذ قاعدة من قواعد الاسلام وعقيدة من عقائده ،
وشرعية من شرائعه . فان أبا جعفر المنفرد بهذا الحديث رجل مجهول ، لا يعرف اسمه
ولا تعرف حاله ، ولا يدري مكانه من الصحة والضعف على وجه الايقان — فلا
يجوز أن يكون ما انفرد به صحيحاً ، بل ولا يكون حسناً ، بل يجب أن يقال :
إنه ضعيف مردود . والدين قوى متين ، لا يقبته إلا قوى متين مثله ، أما
الضعيف أو المجهول فلا يشيد عليه المسلم عقيدة من عقائده ولا رأياً من آرائه
ولا أمراً من أموره . وقد نهى الاسلام : كتابه وسلته عن العمل بما لم يصح
وما لم يثبت ، وعن الايمان بما لا يعرف دليله ولا يدري ما هو . والشواهد على
هذا معلومة كثيرة .

وزيد الريب في
الحديث انفراد
هذا الراوى
المجهول به في كل
الطرق وانفراد
ابن حنيفة
ايضاً به

ومما يزيد الريب في صحة هذا الحديث ويحمل على الرد له انفراد أبى جعفر
به في جميع طرقه وجميع أسانيد ، ثم انفراد عثمان بن حنيف بروايته عن النبى
عليه الصلاة والسلام . وقد وقع كما ذكر فيه بحضرة جمع من المسلمين وعرفوه
وعرفوا القصة كما هي . . . فانفراد أبى جعفر بهذا المجهول بروايته عن عمارة بن
خزيمة وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف في جميع طرق الحديث ليس مما
لا يضيره ، وليس مما يكثر مثله في حديث كهذا الحديث فيه معجزة للاسلام ، وفيه
كرامة للنبي عليه السلام ، وفيه فرح وسرور للمؤمنين ، وفيه آية من آيات الله ،

وفيه ، بعد ، خروج على المعتاد المؤلف ... وهذا كله مما يفرى المؤمنين والمسلمين بروايته ونقله ، ويلهب الاحتشاد عليه والعناية به والالتفات إليه . أما انفراد عثمان بن حنيف بروايته عن النبي عليه السلام فالغربة فيه أكثر وأظهر . وذلك أن هذه المعجزة في الحديث قد وقعت ، على افتراض صحة الحديث أمام ، جمع كثير من المسلمين الذين يشوقهم أمثالها ، ويطيب لهم التحديث والتحدث بها وعنهما ، ويطيب لهم نشرها وإذاعتها على جميع الأملاء . فلماذا إذن لم ترو إلا عن عثمان بن حنيف ؟ ولماذا إذن لم يتحدث بها سواء هي مما يطيب التحديث بها ومما تلذ روايته وتطرب الأسماع لسماعه ، وهي مما يعظم به شأن النبوة وشأن الاسلام ، وتتكاثر به دلائل صدقه وآيات انتسابه إلى السماء ؟ من الجائز أن تكون هذه المعجزة وقعت أمام عثمان بن حنيف وحده . وإن كان يرد هذا الاحتمال قول عثمان في الرواية الأخرى الآتية : « فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط » . فان صح هذا الاحتمال - وهو غير صحيح - قيل ولكن لا ريب أن مثل هذه الحادثة المعجزة ، والكرامة الظاهرة مما يجعل لسان ذلك الأعمى الذي شفى بدعوة نبي الله يلهج بذكرها والتحديث بها وروايتها على رؤوس الخاصة والعامة ، ونشرها في العالمين حتى يتكاثر الراوون لها ، المتحدثون بها ، ومما يجعل ألسنة عارفي ذلك الضمير وألسنة أقربيه ولسان عثمان بن حنيف تلهج بها أيضاً وتكثر من روايتها . وتطلب في التحديث بها ، حتى تصبح ذات ذبوع وشهرة بين الأقربين

أخبار المعجزات والأبعدين . وقد وجدنا أخبار المعجزات الصحيحة تتكاثر روايتها من الصحابة **المادية تعدد** روايتها وروايتها ومن بعدهم : فوجدنا أخبار انشقاق القمر وزيادة الطعام والشراب بدعاء النبي عليه الصلاة والسلام ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وحنين الجذع الذي كان ينحطب فوقه لما أن اتخذ منبره وتركه ، وأخبار الإسراء والمراج ، وأخبار

تسبيح الحصى والطعام على مسامح المسلمين ، وأخبار غير ذلك من المعجزات الحمديّة المادية : وجدنا أخبار هذه المعجزات كلها قد تعدد روايتها عن النبي عليه الصلاة والسلام وكثرت طرقها ، وعلت أسانيدها ونزلت ، ورواها الجهم الغفير عن مثله - هكذا - إلى النهاية وإلى البداية وهذا لا بد منه في الأحداث الكبرى وفي الآيات الجليلة المشهودة بالأبصار . وهذا مثل واحد وهو نبع الماء من بين أصابعه الشريفة قد رواه الحافظ أبو نعيم في « دلائل النبوة » عن ثمانية من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام . وهذه رواية أبي نعيم وحده في كتاب دلائل النبوة وحده ، وقد روى هذه المعجزة غيرهم عن غير هؤلاء الثمانية . وروى معجزة ربو الطعام بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام عن اثني عشر رجلاً من الصحابة في الدلائل أيضاً ، وهذه المعجزات تروى في غير دلائل أبي نعيم عن غير هؤلاء . مع أن هنالك فرقا بين هذه المعجزات وبين معجزة إبصار الأعمى ، والفرق أن هذه المعجزات تنهى وتنقضي في وقتها ، وليست كذلك معجزة الإبصار ورد البصر . وهذا واضح جداً .

فانفراد عثمان بن حنيف برواية هذا الحديث عن النبي دون غيره من الصحابة ودون صاحب القصة نفسه الذي شفى بدعوة النبي عليه السلام ، ودون شاهده وعارفيه ودون غيرهم مما يفت - ولا شك - في عضد الحديث ويوهي مسنده . وكذلك انفراد أبي جعفر المشكل المبهم بروايته عن عمارة بن خزيمة بن ثابت وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف دون غيره من أقرانه ومعاصريه ، ودون الراويين عن عمارة وعن أبي أمامة . هذا كله مما يوهن سند الحديث أيضاً .

وهذا القسم من الحديث - أعني الحديث الذي يكون في أمر تحفز الدواعي

وتنهفو إلى نقله وروايته ثم يجيئ غريباً لا يرويه إلا الواحد - قد أبى قبوله
جماهير من أهل الفقه والحديث والمعقول والفلسفة والنظر . وقد عدوا انفراد
الراوى به من الحجج على ضعفه وبطلانه ، إذ لو كان حديثاً حقاً لما انفرد بروايته
الواحد عن مثله وهو أمر تطرب لسماعه الأسماع وتشرؤب إليه الأعناق ، ويطيب
التحديث به والانباء عنه ... وهذا وجه وجيه في علم البحث والمعقول عندهم .
ونحن لا نقدم على موافقة هؤلاء القائلين ، الذاهبين هذا المذهب ، ولكننا نمحكيه
حكايه ، ونعتمد نحن في تضعيف الحديث على جهالة أبى جعفر المنفرد به عن
التابعى الراوى له عن الصحابى المشاهد للقصة بعينه .

﴿ إجمال علل الحديث ﴾

ملى الحديث من
العلل والقادح

وعال حديث الأعمى تلخص في ما يأتى :

أولاً - : جهالة أبى جعفر هذا المنفرد به عن عن عمارة بن خزيمة وعن
أبى أمامة بن سهل بن حنيف واختلاف الناس فيه ، إذ زعم فريق أنه الخطمى
وأدهى فريق آخر أنه سواء بحيث لم يظهر لنا نحن القول الصحيح من
القولين والحق من الباطل ، حتى وجدنا التوقف والوقوف بين القولين هو المذهب
والمصير الصحيح .

ثانياً - : تفرد هذا الراوى المجهول المختلف فيه به دون غيره من أقرانه
ومن هم أكثر منه حديثاً وتحديثاً ، وأكثر اجتماعاً ولصوتاً بعمارة بن خزيمة وبأبى
أمامة بن سهل بن حنيف . وقد كان المظنون أن يرويه غيره وأن يكثر روايته
إذا كان صحيحاً .

ثالثاً - انفراد عثمان بن حنيف به بحيث لم تحفظ أنه روى عن غيره من
الصحابة ، لا عن هم أكثر منه رواية ولا عن ذلك الأعمى الذى رد الله له بصره
يدعوه نبيه وشفاعته ، ولا عن أقارب الأعمى وعارفيه ، ممن عرفوا القصة

والمعجزة حقيقة . . . فهذا الانفراد بالحديث - مع أنه من أحاديث المعجزات المادية المخبرة عن حدث من الأحداث التي تكثر رواياتها ورواياتها والنحديت بها عادة - مما يزيد الشك ويهيج الريب في صحة الرواية ووقوعها . والتفرد وحده لا يقضى برد الحديث الصحيح عندنا، ولكن التفرد مع جهالة الراوى المتفرد به ومع ما تقدم من الكلام في الحديث يتألف منه شك يقف الطالب للحقيقة والمعرفة ، المتجرد من كل هوى وغرض غير تقي عنده حيران بين الرد والقبول . ولا مناص حينئذ من الرد والطرح ، لأن الدين لا يكفي في إثباته أمثال هذه الروايات المجهولة الغريبة .

شذوذ معنى الحديث

رابعا - : غرابة معنى هذا الحديث وشذوذه عن مألوف الاسلام وعما عرفه الخاص والعام من أصوله وفروعه ، وعما علم بالضرورة منه . فان سؤال الله بخلقه - كأن يقال : أسألك يا الله بفلان أو بفلانة ، أو أتوجه إليك بعبك فلان أو بنبيك فلان ونحو هذا - لم يهد مثله في كتاب الله ولا في سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولا عن أحد من الأصحاب ولا عن غيرهم من البصراء بالشريعة وبدين الله الاسلام . . . وما قل شيء من هذا النوع إلا ما جاء في الأخبار الباطلة الموضوعة كحديث سؤال آدم ربه بحق محمد ، وقد غير الكلام عليه ، وكحديث السؤال بحق السائلين وحق الممشى إلى الصلاة ، وهو حديث غير صحيح ومعناه إذا صح خلاف ما نحن بصدده . . . وسوف يمر بالقارىء الكلام عليه إن شاء الله . وكرروايتهم : « إذا سألتهم الله فاسألوه بجاهى ، فان جاهى عند الله عظيم » . وهذا لا أصل له . وكالرواية التي رواها عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت اليهود بخبير تقتاتل غطفان ، وكانت يهود تهزم ، فعادت بهذا الدعاء : « اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمى الذى وعدتنا أن تخرجه في آخر الزمان إلانصرتنا

الأخبار التي بها السؤال بحق المخلوق ضمنية او مكشوفة

عليهم ، قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الداء فبرزوا غطفان . وهذه رواية باطلة لا تصح . وعبد الملك هذا ضعيف جدا . قال أحمد والدارقطني : ضعيف . وقال يحيى . كذاب . وقال أبو حاتم : منروك ، ذاهب الحديث . وقال ابن حبان : يضع الحديث . وقال السعدي : دجال كذاب . وقال صالح بن محمد : عامة حديثه كذب . وقال الحاكم : ذاهب الحديث جدا ، وقال في المنخل إلى علوم الحديث روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وذكره الساجي والعقيلي وابن الجارود وابن شاهين في الضعفاء . وقال أبو نعيم الحافظ : يروى عن أبيه مناكير ودين الله أجل من أن يحتاج له برواية مثل هذا . وأما أبوه هارون فضعفه قوم وثقه قوم . فالروايات التي فيها السؤال بحق المخلوق كلها إما ضعيفة جدا أو موضوعة . ومثل هذه الروايات لا يحل أن يثبت بها حكم من أحكام المياه والوضوء والحيض والطهارة وأحكام المياه وتقسيمها إلى أقسام ، فضلا عن أن يثبت بها قاعدة من قواعد الاسلام وقواعد مناجاة الله وسؤاله والاتصال به أما الروايات المحترمة الصحيحة فلم يجيء في شيء منها شيء من هذا السؤال وهذا التوسل المبتدع .

فسؤال الله بالخلق والعباد وبحقهم وجاههم ونحوه لم يرد مثله ولا دليله في آية ولا في حديث صحيح ولا في كلام صاحب من أصحاب النبي ، ولا عن إمام من أئمة الدين المقتدى بهم . فاجاء في البخاري ولا في مسلم - أصبح كتب الاسلام بعد الكتاب - شيء من هذا النوع خلا حديث أنس بن مالك في الاستسقاء بالعباس . وهو ليس من هذا كما سوف يجيء القول فيه باذن الله . ولا جاء في خبر صحيح سليم من القدح والطمع والضعف والاختلاف -

وأبواب الدين : أصوله وفروعه كلها جاءت فيها الآيات والأخبار الصحيحة المتواترة التي لا يختلف المسلمون في صحتها وصحة نسبتها إلى النبي عليه السلام .

أبواب الدين
كلها مطلق على
أصلها بالجملة

إلا هذا الباب ، باب سؤال الله بالخلق وبجأه وذاته وحرمة . فما جاء فيه حديث أجمع على صحته وثبوته عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أو سلم من النقد والضعف . ودين الله لا يثبت إلا بالنقل الصحيح ، والنقل الصحيح لا يكون سوى الكتاب وسوى السنة القوية السليمة من الضعف وأعراضه . وخلاف هذا لا تثبت به قاعدة من قواعد اللغة ولا قواعد النحو ، ولا مسألة من مسائل الحيز والظهارات فضلا عن أن يثبت به حكم من هذه الأحكام وشريعة من هذه الشرائع .

هذا الكتاب
وهذه السنة

هذا كتاب الله يتلى ، وهذه أدعية عباده الصالحين : الأنبياء والمرسلين فن دونهم من الأولياء والصلحاء والأتقياء وسائر صنوف المؤمنين ، وهذه أوامر الكتاب ، وهذا حضه الناس على الدعاء والسؤال — سؤال الله جميع الحاجات والآمال : هذا ذلك كله يقرأ في الكتاب ، فهل يوجد فيه حرف واحد يدل على جواز أن يسأل الله بالخلق أو أن تطلب الحاجات بحق مخلوق أو بجأه عبد من العباد ؟ لقد ذكر الكتاب من أساليب الأدعية وضروب المسائل — مسائل العباد المتقين ربهم — أفاضين وأمورا لا يقف عليها ولا يحيط بها إلا من عنى بالكتاب ودرسته وطلب الهدى والعلم فيه . فهل يوجد في الكتاب أن أحداً من عباد الله سأل الله بنبي أو بولي أو بجأ مخلوق له الزلفى والقربى لدى ربه ؟ أو يوجد أمر من أوامر الكتاب بأن يفعل المؤمنون نوعاً من هذا ؟ يسير على كل مسلم أن يجيب على كل هذه الأسئلة سريعاً وبلا توقف ولا إهمال بالنفي والسلب . . . وكذلك السنة الثابتة الصحيحة ، قد حفظت ما حفظت من أدعية الأنبياء والأولياء والمؤمنين كلهم : الأولين والآخرين . ولكن لا توجد فيها رواية واحدة صحيحة سليمة من الضعف والقدح تدل على أن أحداً من هؤلاء العباد توسل إلى ربه بمخلوق أو بجأ مخلوق . ولا جاء عن أحد من صحابة

النبي وخيار المؤمنين بإسناد صحيح قويم أنه سأل ربه بجاه نبي أو بجاه ولي ، أو جعله تعالى بمخلوق أو توسل بأحد من الخلق سوى ما في حديث الاستسقاء بالعبايين الآتي ، وهو ليس من هذا الباب كما سوف يعلم حين الكلام عليه . فلماذا هذا وقد حوت السنة جوامع الدين أصوله وفروعه ؟ ترجع إلى صحيح البخاري وإلى صحيح مسلم - أصبح كتب الدين بعد القرآن بلا خلاف - فتجد فيهما كل علم وكل فن من علوم الاسلام وفنونه : تجد فيهما أحكام المياه وأحكام الوضوء وسائر أحكام الطهارات ، كما تجد أحكام الصلاة والصيام والزكاة والحج وأحكام البيع والشراء وسائر المعاملات - معاملات العبد لربه ، ومعاملات العبد للعبد ، وتجد فيهما أحكام الموت والدفن والتكفين وما بعد الموت من القبر وعذابه وحسابه وسؤاله وشؤون الأرواح ، ثم تجد ما بعد القبر من نعيم الآخرة وعذابها وحسابها وعقابها أو جزائها وموازينها وكل ما هنالك من نعيم وعذاب أليم ، بل وتجد فيهما أبواب الأخلاق وجوامع الآداب الاجتماعية الفاضلة المطلوبة من المسلم ، المفروضة عليه لإخوانه ولأقربيه وأبعديه من المسلمين وغير المسلمين : تجد فيهما آداب اللقاء ، وآداب الفراق ، وآداب الجلوس ، وآداب القيام ، وآداب المراء مع أهله وفي بيته ، وآدابه مع أصدقائه وإخوانه ، وما يصح من ذلك ، وما لا يصح تجد كل ذلك في أخبار الصحيحين كما تجد الشيء الكثير منه في كتاب الله . ولكنك لا تجد فيهما ولا في الكتاب ولا في السنة الصحيحة البريئة من النقد والضعف والتجريح والاختلاف ما يدل على جواز سؤال الله بجاه المخلوق ولا التوسل إليه تعالى بالكرامات والحرمات والمقامات . فلماذا هذا يا صاحب ؟ أترى النبي عليه الصلاة والسلام لم يبينه ويبلغه مع أنه من الدين والرسالة المنزلة عليه ؟ أم ترى حفاظ السنة وأعضاء الملة شاءوا كتمان ذلك ونسيانه ، ورغبوا عن نقله وتدوينه ليختلف الناس وليضلوا وليطول اختلافهم ونزاعهم وجدالهم ؟ كل

تجد في الكتاب
والسنة كل علوم
الاسلام فلماذا
لا يوجد فيها
السؤال بالخلق

ذلك يا صاح لا يجوز عندنا ولا عند أحد من المؤمنين . فالرسول قديين البيان كله ، وحفاظ السنة لم يأثروا وسما في التدوين والمحافظة على الدين ، والتمييز بين الصحيح والضعيف . إذن لماذا هذا أيها القارئ اللبيب ؟ الجواب عندنا أن هذا النوع من الدماء والسؤال لا حقيقة ولا وجود ولا معنى له في الاسلام . ومن هنا خلا الكتاب وخلت السنة الصحيحة منه ، وخلا البخاري وخلا مسلم من ذكره ومن أخباره ورواياته ، وخلا كلام السلف وأدعيتهم منه خلواً كلياً تماماً خلا ما جاء في الأخبار المضعفة الملققة .

فسؤال الله بالخلق وبالأشخاص والنوات لم يثبت بدليل متفق عليه ولا بدليل سالم من الضعف والقبح : لم يثبت لافي الكتاب ولا في السنة الصحيحة . وأصول الاعتقادات وأصول اتصال الخلق بربهم لا بد أن تكون دلائلها ونصوصها قوية صحيحة ، والضعيف أو المقدوح فيه لا يقبل إلا في بعض المسائل الفرعية وفي تفصيل بعض ما كانت نصوص أصله ودلائله بالجملة ثابتة صحيحة سليمة من

الاختلاف الصحيح . وما من مسألة من مسائل الدين إلا ولا بد أن يكون أصلها بالجملة ثابتاً في الكتاب والسنة ، أو في الكتاب أو في السنة الصحيحة التي لا خلاف فيها ، أو في الإجماع الظاهر المعلوم . وكل مسألة لا تكون دلائل أصلها وأصل ثبوتها كذلك هي مسألة ليست من الدين ولا من الاسلام . وأنت إذا فليت أصول الاعتقادات ، بل وأصول الفروع وجدت نصوصها ثابتة بالجملة بين المسلمين ثبوتاً لا ريب فيه : فأصول الوضوء للصلاة والطهارة بالماء والتيمم عند فقدانه ثابتة نصوصها في الكتاب وفي السنة بلا خلاف بين المسلمين . ونصوص أصل الصلوات وأصل الزكوات وأصل الحج والصيام وأصل الدماء والاتصال بالله ، وأصل الركوع والسجود ، وأصل صلاة الاستسقاء وصلاة الجنائز وصلاة العيدين :- نصوص أصول هذه العبادات كلها ثابتة إما في الكتاب

وما من مسألة إلا ولا بد أن يكون أصلها ثابتاً بالجملة

والسنة والاجماع والضرورة والتواتر، وإما في بعض ذلك . وكذلك نصوص أصول جميع العبادات وجميع شرائع الاسلام لا خلاف فيها ولا في صحتها ، وإنما الخلاف في بعض تفاصيلها وفروعها .

أما هذه المسألة - مسألة سؤال الله بالخلق وبجاهاتهم وحرمتهم وذواتهم وكراماتهم فهي مسألة لا أصل لها في الاسلام ، وما ورد أقوى من هذا الحديث فيها ، وهو كما تقدم - محل مضعف ، ويختلف فيه إختلافًا مشهوراً قديماً . فأصل المسألة ، إذن شاذ في الاسلام غير مألوف ولا معروف ، لم يأت فيه دليل صحيح سليم من العيب والنقد . . . فالحديث إذن يثبت قاعدة في الاسلام شاذة شذوذاً ظاهراً ، ويأتى بأمر جديد فيه لم يثبت بغيره ولم يعلم من سواه مما يقام له وزن ويحسب له حساب . والخبر الذي يكون معناه شاذاً غريباً - لأنه يثبت عقيدة من العقائد وقاعدة من القواعد لا أصل لها في غيره ولا برهان لها إلا به - يكون خبراً مشكوكاً فيه وفي قبوله وفي الاطمئنان إليه . هذا إذا كان خبراً صحيحاً خالصاً من المقادح العلمية الفنية ، فكيف إذا كان جم المقادح ، ظاهر العيوب العلمية كهذا الحديث ؟

فالحديث إذن شاذ المعنى غريبه في الدين . ولكن ليعلم أنه لا يكون شاذاً غريباً إلا إذا فهم فهم المخالفين له وزعم فيه زعمهم ، وقيل ، كما قالوا : إنه من سؤال الله بالأشخاص والذوات والجاهات والحرمت والحقوق . فسؤال الله بهذه الأشياء هو الشاذ الغريب في الاسلام وفي دين الله . وهذا هو ما يفهمونه من الحديث ، فهو شاذ غريب إذا فهم فهمهم . أما عندنا نحن فليس بشاذ ولا غريب إذا كان صحيحاً ، لأننا لانفهم منه إلا أنه استشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام وسؤال بدعائه وشفاعته ، وهذا ثابت عندنا لا ريب فيه ولا نزاع . وسوف نبينه في ما بعد . . . فالحديث إذا فهم فهم المخالفين وأول تأويلهم كان شاذاً ، وكان غريباً

وكان مثبتاً لأصل من أصول الأعمال والاعتقادات لم يعلم من غيره ولم ينبت في سواه . وهذا يوجب الشك فيه والوحشة منه . لأن أصول الأعمال والعبادات والمقائد لا تثبت ، كما تقدم ، بأمثال ذلك من الأخبار ، ولا تعلم بالأحاديث الغريبة الشاذة . فالشنوذ قدح فيه لاريب ، والغرابة إيهاء في بنيانه بلا شك ، فهو ضعيف مردود لما ذكرناه .

وقد عهدنا من السلف الصالح الشك في الروايات المفردة الغريبة الصحيحة والسلف الروايات الغريبة الشاذة:
 - بله الضعيفة الواهية مثل هذا الخبير - إذا ماجأت في إثبات أمر يحسبونه غير ^{ثقة} وان كان راويها ثابت في الاسلام وغير معلوم بدلائل أخرى قوية . فقد جاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يقبل رواية عمار في التيمم لمن لم يجد الماء . وصح أن عائشة لم تقبل رواية عمر وعبد الله بن عمر في أن الميت يعذب ببكاء أهله ويبكاء الحى عليه . وقد قالت لما أن قيل لها إن عمر وابن عمر رويَا ذلك عن النبي عليه السلام: إنكم لتحدثون عن غير كذا بين ولا مكذبين ، ولكن السمع يخطئ . وصح أيضاً أن ابن عباس لم يقبل هذه الرواية حينما أبلغ إنكار عائشة لها حتى قال عبد الله ابن أبي مليكة - راوى هذا الحديث : والله ما قال ابن عمر من شئ . أى ما قال شيئاً حين أنكر ابن عباس الرواية قائلاً : إن عائشة قد أنكرتها على عمر قائلة : يرحم الله عمر ! والله ما قال رسول الله : « إن المؤمن يعذب ببكاء أحد عليه » . ولكن قال : « إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه » . وقالت في رواية أخرى مُسَكَّرَةً رواية ابن عمر : يرحم الله أبا عبد الرحمن - تعنى ابن عمر - سمع شيئاً فلم يحفظه . إنما مرت على رسول الله جنازة يهودى وهم يبكون عليه فقال : « أنتم تبكون وإنه ليعذب » . وصح عنها أيضاً . أنها أنكرت رواية عمر وابنه عبد الله بنى أن النبي عليه الصلاة والسلام وقف على قتلى بدر من المشركين - وقد رموا في بئر هنالك - وأخذ يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم . فلما قيل له في ذلك قال

« إنهم يسمعون ولكن لا يجيبون » ، وقالت : إن ابن عمروهم ، وإنما قال النبي عليه السلام : « إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق » وقرأت « إنك لا تسمع الموتى » وقوله : « وما أنت بسمع من في القبور » ، وصح أن عمر رضى الله عنه لم يقبل رواية فاطمة بنت قيس في أن المطلقة ثلاثا لانفقة لها ولا سكنى ، وقال لما حدث حديث فاطمة : لانتزك كتاب الله وسنة نبينا لقول امرأة لاندري حفظت أم نسيت . لها السكنى والنفقة . قال الله تعالى : « لانخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة » . وصح أيضا أن عائشة أنكرت هذه الرواية على فاطمة بنت قيس وقالت : لاخير لها في ذكر ذلك . وجاء في الصحيح أن مروان لما حدث بقول فاطمة هذا قال : لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة . وسنأخذ بالمصمة التي وجدنا الناس عليها ، فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان : بيني وبينكم القرآن وتلت قول الله : « لانخرجوهن من بيوتهن » الآية ، وقالت . هذا لمن كانت له مراجعة ، وأى أمر يحدث بعد الثلاثة ؟ وفي الصحيح أن الأسود بن يزيد حصب الشعبي لما أن حدث بحديث فاطمة هذا وقال : ويلك ! تحدث بمثل هذا ؟ وذكر قول عمر : لانتزك كتاب الله وسنة نبينا لقول امرأة . وصح أيضا أن عمر لم يقبل رواية أبي موسى الأشعري عن النبي عليه السلام في أن المستأذن يستأذن ثلاثا فان أذن له وإلا رجع . وقد قال لأبي موسى لما أن حدثه الحديث : لأوجعن ظهرك وبطنك أو تأتى بمن يشهد لك على هذا . فشهد له أبو سعيد الخدري وأبي بن كعب ، وقال أبي : سمعت رسول الله يقول ذلك يا ابن الخطاب ، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله . قال عمر : سبحان الله ! إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت . . . وهذه الأخبار كلها في الصحيح . ولها أشباه وأظاير عن السلف كثيرة معلومة مشهورة . وقد جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في حديث سهوة في الصلاة ، فانه عليه .

أما من ذلك
هوود مثله من
رسول الله وعن
خطابه

السلام لما أن سها وسلم عن ركعتين من أربع قال له ذو اليمين - من الصحابة -
أنسيت يا رسول الله أم قصرت الصلاة ؟ فقال : « كل ذلك لم يكن » . فقال
الرجل : قد كان بعض ذلك يا رسول الله ، فأقبل رسول الله على الناس فقال :
« أصدق ذو اليمين ؟ » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأتم ما نقص من الصلاة .

وقال الحافظ الذهبي في أول كتابه « تذكرة الحفاظ » من ترجمة أبي بكر
الصدّيق : « وكان أول من احتاط في قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة
ابن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتبس أن تورث . فقال : ما أجدر لك في
كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً . ثم سأل الناس فقام
المغيرة بن شعبة فقال سمعت رسول الله يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد ؟
فشهد له محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذه لها أبو بكر » . قلت : وهذا الخبر
رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي . ثم قال الحافظ الذهبي في التذكرة من
ترجمة الفاروق : وهو الذي سن للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في
خبر الواحد إذا ارتاب . وهنا ذكر عنه حديث الاستئذان المتقدم : وقال بعده :
ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد .
وفي ذلك حصن على تكثير طرق الحديث لكي يرتقى عن درجة الظن إلى درجة
العلم إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ، ولا يكاد ذلك يجوز على ثقتين لم
يخالهما أحد . وقد كان عمر من وجله أن يخطئ الصاحب على رسول الله يأمرهم
أن يقلوا الرواية عن نبيهم ، ولئلا يتشاغل الناس بالأحاديث عن حفظ القرآن
قال : وقد استشارهم عمر في إملأص المرأة - يعني السقط - فقال المغيرة بن شعبة
قضى فيه رسول الله بكرة . فقال عمر : إن كنت صادقاً فنجى بأحد يعلم ذلك فشهد
له محمد بن مسلمة . قلت هذا الخبر متفق عليه .

ثم قال الحافظ الذهبي في ترجمة علي ابن أبي طالب : وكان له من حري في

أنواع من ذلك
ما فيه الذهب

الآخذ بحيث إنه يستحلف من يحدّثه بالحديث . قال عثمان بن المغيرة . . . إله سمع علياً يقول : كنت إذا سمعت من رسول الله حديثاً نفعتني الله به ما شاء الله أن ينفعني ، وكان إذا حدّثني غيره استحلّفته فإذا حلف صدقته . وحدّثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول الله يقول : « ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ويكتمين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » . واسناده حسن .

والروايات في هذا المعنى عن السلف : الصحابة فمن بعدهم كثيرة مشهورة معلومة . فقد كان معهوداً عندهم ومنهم أن يردوا خبر الواحد الشاذ المعنى المخالف لما علموه أو ظنّوه من الاسلام ، ولما ظنّوه مبيناً للسبيل الواضحة والمهيب البين والجادة المسلوكة . . وإن كان الراوى ثقة ثباتاً ، بل وإن كانوا هم لا يشكون في صدقه وأمانته ودينه . ولكنهم أحياناً يردون قول الثقة المتفرد بالرواية الشاذة المعنى في ما يحسبون غلوهم من الغلط والنسيان ، لأن الفرد الواحد يسهل نسيانه ويغشى غلظه وإن كان كل الثقة . ولهذا يقول عمر في إتيائه قول فاطمة بنت قيس في حكم المطلقة المبتوتة : لا نترك كتاب الله وسنة نبيينا لقول امرأة لا ندرى أحفظت أم نسيت . ويقول في رده على أبي موسى الأشعري روايته في أن الاستئذان ثلاث مرات : إني سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت . وتقول أم المؤمنين عائشة في ردها رواية عمرو وابنه عبد الله في تعذيب الميت ببكاء الحى عليه : إنكم لتحدثون عن غير كذابين ولا مكذابين ، ولكن السمع يخطئ . فانفراد الراوى الواحد بالرواية الواحدة المفيدة في الدين أمراً جديداً وحكماً خاصاً لا يوجد في غيرها يريب ذلك الانفراد في صحتها وصدقها ويحمل على التوقف في قبولها وتصديقها والایمان بها . لأن الانفراد دائماً قريب من النسيان والغلط . ومن ثم كانت أحكام الاسلام كلها معرفة إما بالقرآن والاجماع والسنة ، وإما بالسنة المتواترة والاجماع أيضاً ، وإما بالروايات المدينة المتكاثرة . وعبادة من العبادات لا يصح

الواحد يقرب
نسياناً

اشترائط التعدد
في الشهادة وفي
الشهود

قبولها أبداً إذا ما جاءت من طريق واحدة غريبة ، بل لا بد لها من النص الذي لا شك فيه . وأمثال هذه الروايات الغريبة لا تقبل إلا في التفصيلات وأشباهاها . أما في أصل العبادة التي لم يعلم أصلها فلا تقبل ولا تثبت الأحكام الإسلامية بها . وإذا كانت الشهادات لا يجزى فيها الواحد المنفرد المتفرد بها فيقول الله في الشهادة على الأموال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم . فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » ، ويقول في الأشهاد على الطلاق والمراجعة ، أو على أحدهما : « وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله » ، ويقول غير ذلك في أمر الشهادة وأمر الشهود - إذا كان الله يشرط في الشهادة أن تكون شهادة أكثر من واحد لئلا يقع غلط أو خطأ أو نسيان فكيف يقبل مثل هذا الخبر الضعيف المختلف فيه المنفرد بروايته أو لا يعرف من هو ولا من يكون ، ولا يدري مكانه من الصحة والضعف والضبط والفاظ في إثبات عبادة من العبادات وأصل شريعة من الشرائع التي لا يعلم أصلها ولا أنها شرعت إلا منه وبه ؟ وإذا كان الله يشترط في شهود المال والطلاق والمراجعة العدالة والرضا بهم ، والعدالة لا تعرف في المجهول : المختلف فيه وفي اسمه ، فكيف تقبل رواية هذا الراوى المجهول المنفرد بروايته في إثبات حكم من أحكام الإسلام وشريعة من شرائع الله لا تعلم إلا به ومن طريقته . ولا يحسبن حاسب أننا لا نقبل خبر الواحد الثقة ، وأننا ننكره ونرده مطلقا كلا ، وإنما نقول : إن شرائع الإسلام وأحكام الدين لم تبين على الروايات المفردة الغريبة كهذه الرواية ، ولم تعلم من طريق الواحد المضعف أو المختلف فيه . فإن أحكام الدين كلها معلومة بالنصوص المتواترة التي لا يختلف فيها بالجملة ، ولا يتنازع المسلمون في أصلها . وما من حكم من أحكام الله إلا وقد علمت نصوصه الأولية الأصلية باليقين . فنصوص تحريم الربا معلومة بالتواتر في القرآن وفي السنة ،

نصوص الله
كله متواتر

ونصوص تحريم الزنا والفواحش كلها معلومة بالتواتر في الكتاب وفي السنة .
ونصوص تحريم العدوان وتحريم الدماء والأموال والأعراض معلومة بالتواتر في
الكتاب وفي السنة . ونصوص تحريم دعاء الأموات والاستغاثة بهم معلومة بالتواتر
في الكتاب والسنة . ونصوص تحريم البناء على القبور والعكوف عليها وجميع
هاتيك الباطلات المخزيات معلومة بالتواتر في السنة . ونصوص تحريم الذبح والنذر
وتقريب القرابين للأشياخ والصالحين والحج إلى قبورهم معلومة بالتواتر في الكتاب
وفي السنة . ونصوص تحريم متعة النساء التي تقول بها الشيعة والتي تجعلها من الفروق .
الظاهرة بينهم وبين أهل الباطل والضلال معلومة بالتواتر في الكتاب وفي السنة .
ونصوص تحريم الحلف بنسب الله والإقسام بالخلق معلومة بالتواتر ، ونصوص
العقوبات ، عقوبات الفواحش كالزنا والسرقة والقتل وغيرها معلومة بالتواتر في
الكتاب وفي السنة . ونصوص فرائض الاسلام كلها معلومة بالتواتر في الكتاب
وفي السنة . أما خبر الواحد الثقة فجاء في فروع ذلك وتفصيلاته .

فمن زعم أن مثل هذا الخبر الغريب المجهول تثبت به شريعة من شرائع
الاسلام وعقيدة من عقائده ، فقد جهل وجنى على الاسلام والدين ، وذبح إلى
الباطل والاثم .

ثم بعد هذا يقال : ألا يستحي هذا الرافضي من الله ومن خلقه أن يصحح
هذا الحديث وأن يركي رواته وهو يضعف أحاديث البخاري ومسلم والأحاديث .
المتواترة في تحريم البناء على القبور والصلاة إليها وفيها ، وتحريم عقد القباب
عليها كما فعل صفحة ٣٦٦ وما بعدها من هذا الكتاب ؟ بل ألا يستحي من الله
ومن خلقه أن يركي هذا الراوي المجهول ويصحح حديثه وهو في الصفحة المذكورة
وما بعدها يضعف حفاظ الدنيا وسلاطين المحدثين : فيقدح في وكيع بن الجراح .
وفي سفيان الثوري وفي أبي وائل الأسمي : شقيق بن سلمة الكوفي . وقد قال .

الاستحي هذا
الرافضي

ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ثقة . ومن البلاء أنه ضعف شقيقا هذا وقدم
 على حله ودينه لأنه كان فيما زعم عثمانياً ، ويعنى بهذا أنه كان يقدم عثمان ويفضله
 على علي ابن أبي طالب . ويحتج على أنه كان عثمانياً بما روى أنه قيل له : أيها
 أحب إليك : علي أم عثمان ؟ فقال : كان علي أحب إليّ ثم صار عثمان . قال
 الرافضى : وهذا يؤيد انحرافه عن علي . ومن المضحك المبكى قوله فيه : « ولم
 يختلف فى أنه (يعنى شقيقا هذا) خرج مع الخوارج ، وأنه عاد إلى علي منيباً
 مقلماً » . فإذا كان يزعم أنه خرج على علي وعلى قتاله بالاجماع - والخروج عليه
 كفر عندهم لاختلاف فيه - ثم تاب ورجع إلى مولاه علي بالاجماع أيضاً ، فلماذا
 لا يقبل حديثه ؟ ولماذا لا يتاب عليه ؟ إن الله ليقبل توبة المشرك والملاح إذا
 تابا حقاً ، فكيف لا يقبل توبة من خرج على الامام علي ثم تاب وأتاب لو صدق
 ما زعم ؟ ولكن الجواب أن القوم لا يقول لهم فى عدا سلف هذه الأمة وفى
 بنضاه أهل السنة والجماعة . ثم إذا كانت رواية العثماني عند الشيعة مردودة باطلة
 وضعيفة واهية فليعلموا أن عامة هذه الأحاديث والأخبار التى ينقلونها فى كتابهم
 هذا عن كتب أهل السنة والجماعة والحديث ليست إلا روايات عثمانين بكرين
 عربيين ، بل عامة هذه الكتب التى ينقلون عنها ويحتجون بها فى زعمهم لم
 تكتبها إلا أيدي من يمنحون عثمان وأبا بكر وعمر أشد ولائهم وحبهم وإخلاصهم
 ومن يعطون هؤلاء وغيرهم من أصحاب النبي عليه السلام أفضل ما فى قلوبهم من
 معاني الموالات والود الصادق . بل مؤلفو هذه الكتب ورجال أسانيد يكرهون
 من لا يوالون الخلفاء الثلاثة الراشدين أشد الكراهة وأصدقها وأعقها . وكثيرون
 منهم لا يميزون لأنفسهم التحديث والرواية عن يكرهونهم ولا يوالونهم ، وإن
 حدثوا عنهم ضعفوا أحاديثهم وقابلوها بالتحفظ والحذر والامتنان .
 فإذا كان أبواؤنا هذا ضعيف الحديث مردوده ، لأنه كان عثمانياً ، فلماذا

قدح الرافضى ل
 سلاطين المحدثين

يقبل الرافضى أحيانا أحاديث البخارى ومسلم وأحاديث أهل السنة جميعا؟ ولماذا يحاول الاحتجاج بها وانتزاع البراهين منها وهم كلهم عثمانيون : يوالون عثمان رضى الله عنه ، ويوالون سابقيه : الصديق والفاروق ، ويوالون جميع الاصحاب ؟ الحق إذن أن الشيعة هم مأساة الاسلام الاعتقادية الكبرى ، وهم بلاؤه العظيم الذى لم يفتأ منذ تلك العصور ينهك قواه ويهد فى بيانه المشمخر الرفيع... والله حسيبهم ، المجازى لهم ما يستحقون وما يضررون ويكيدون .

وقد قدح أيضا الرافضى (صفحة ٣٦٨) فى حديث أبي الهياج الأسدى الآمر بتسوية القبور المشرفة ويطمس التماثيل . قال فى قدحه بعد طعنه فى الرواة : «أولا إنه شاذ تفرد به أبو الهياج الأسدى» . هذا لفظه . فيقال أولا : هذا كذب ، لم ينفرد أبو الهياج الأسدى بهذا الحديث ، بل معناه متواتر فى الصحاح ، متفق عليه بين المسلمين . وفى صحيح مسلم قال الراوى : كنا مع فضالة بن عبيد فى أرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله يأمر بتسويتها . ونصوص هدم القبور المرتفعة المشرفة ، وتحريم بنائها ، ونصوص تحريم التماثيل والصور متواترة . فاقوله : إن أبا الهياج انفرد بهذا الحديث ! ثم يقال ثانيا : إذا كان انفرد أبى الهياج الأسدى قاضيا برد الحديث فليعلم أن حديث الأعمى قد انفرد به عثمان بن حنيف من الصحابة ثم انفرد به أبو جعفر الراوى له عن خزيمة بن ثابت وعن أبى أمامة بن سهل بن حنيف وهو مجهول كما تقدم . . . فهذا الحديث إذن أولى بالكذب والتضعيف والرد من حديث أبى الهياج الأسدى من جهات كثيرة . ويكفى تفريقا بينهما أن حديث أبى الهياج فى الصحيح ، وأما حديث الأعمى فليس فى الصحيح ، وأن حديث أبى الهياج معروف الرواة ثقاتهم واضعهم ، وأن حديث الأعمى فيه أبو جعفر وهو لا يعرف ، وأن حديث أبى الهياج جاء معناه فى أحاديث أخرى

تضعيف الرافضى
لحديث الأمر
بتسوية القبور
والوان من
تناقضه وعدوانه
على المحدثين

متواترة وجاء لفظه نصاً في حديث فضالة بن عبيد المتقدم في الصحيح. وأما حديث الأعمى فما جاء معناه ولا لفظه إلا في أحاديث باطلة موضوعة... فما أجل الفرق بين الحديثين ! وما أخلق حديث الأعمى بالرد والتكذيب إذا صح له أن يرد حديث أبي الهياج وأن يضعفه لانفراده به ؟ هذا كله حق يضيق عن النزاع والخلاف . ولكن لا تقر به إلا أعين المؤمنين .

وأيضاً قد قدح الرافضى صفحة ٣٧٤ في حفص بن غياث وفي ابن جريج وفي أبي الزبير وفي عبد الرزاق الصنعاني، وهم كلهم من رجال الصحيح. وقدح أيضاً في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ونقل مقادح الناس فيه . وهذا من المضحك ! لأن عبد الرحمن هذا الذي ضعفه ورد حديثه لضعفه في تحريم البناء على القبور، هو عبد الرحمن الذي روى حديث سؤال آدم ربه بحق محمد ﷺ وقد انفرد به . فكيف كان هناك ثقة وهنا ضعيفا ؟ وكيف كان حديثه في التوبل والسؤال بمحمد صحيحاً وحديثه في تحريم البناء على القبور باطلاً ضعيفاً لولا الهوى وقلة الانصاف ؟ ونعوذ بالله من الهوى . والمعجب أن أغلب ما يكتبه الشيعة لا يمدو هذا النوع المضحك المبكى .

أجل نقول : ألا يستحي من يؤمن بالله وباليوم الآخر من أن يضعف هؤلاء الحفاظ ويلج في إكذاب أحاديثهم ورواياتهم ، ثم يروح يوثق أبا جعفر هذا ويلج في تصحيح حديثه الشاذ الغريب ؟

على أن الشيعة الامامية لا يقبلون أحاديث أهل السنة ولور ووها كلهم من عهد أبي بكر الصديق إلى قيام الساعة . ولهذا لا يقبلون أخبارهم المتواترة في إيمان أبي بكر وصر وعثمان وعائشة وحفصة وأم حبيبة وعمر بن العاص ومعاوية وغيرهم من الأصحاب الذين بينهم وبين الشيعة ما بينهم وبين أعداء الإسلام وخصوم المسلمين اللد . وإذا كانت أخبار أهل السنة المتواترة كذباً وباطلاً عند

الرافضى وقومه فلماذا كان حديث أبى جعفر هذا حديثاً مقبولاً لديهم ؟
 فالكلمة الأخيرة الفاصلة فى حديث الأعمى هذا أنه حديث ضعيف
 فى الحديث أنه
 ضيف
 باطل ، لا يحل الاحتجاج به . أما تصحيح من صححوه فليس بحجة وفى سنده
 ومعناه ما ذكرناه من النقد والقدح . والذين صححوه كلهم من المتساهلين فى
 التصحيح والنقد أمثال الترمذى والحاكم ولا سيما فيما يتعلق بأبواب المعجزات
 والفضائل . أما الحاكم فلا يعتمد بتصحيحه فى المستدرک لأنه قد صحح الأحاديث
 التى أجمع أهل الحديث على أنها موضوعة مكنوبة ، ووثق من الرواة من اتفق
 على كذبه أو جهالته أو ضعفه حتى صار معلوماً لأهل هذا الفن بأنه من الذين
 لا يحسب لقولهم فى هذا الباب حساب . وأما الترمذى فتساهل أيضاً جداً
 حتى إنه صحح أحاديث من أجمع على ضعفهم وضعف حديثهم . وجامعه ملائ
 بالأحاديث الضعيفة التى زعمها حسنة أو صحيحة . وقريب منهما البيهقى وابن حبان
 وابن خزيمة وجماعات أخرى معروفة فى طوائف أهل الحديث . وما صحح حديث
 الأعمى من عرف بالصلابة والشدة إزاء الضعيف والرخيص من الحديث . ولأمر
 ما أعرض صاحبى الصحيحين البخارى ومسلم عنه ومن روايته فى كتابيهما .
 ولا ندعى أن كل ما لم يخرجاه ضعيف باطل . وإنما ندعى أن إعراضهما عنه
 - وهو فى هذا المعنى الشائق للمسلم - لا بد أن يكون لأمر ما ، وعله وجداهما
 فيه . ولولا ذلك لبادرا إلى إخراجهم ، ولوجدنا فيه ما يشوقهما إليه وإلى
 روايته ، ولا سيما أنه لا يوجد فى كتابيهما حديث واحد فى معناه .
 ولعل الذين صححوه اعتمدوا فى تصحيحهم له على رواية شعبة بن الحجاج
 له عن أبى جعفر المختلف فيه . وذلك أن شعبة قد عهد منه كثيراً اجتناب الضعفاء
 واجتناب حديثهم والرواية عنهم . ولكن هذا ليس بلازم ، فقد روى شعبة عن
 قوم ضعفاء . ولعلمهم أيضاً صححوه حاسبين أن أبى جعفر الرواى هو الخطمى لأن

الخطي عندم ثقة ، ولم يملوا أنه سواء كما علم الترمذى وكما ذكر . فكان التصحيح قائم على هذا الوم الذى خطأه الترمذى وفطن إليه فرده . وملشاً هذا الظن الوام اتفاق الكفى .

﴿ تحقيق معنى الحديث إن كان صحيحاً ﴾

أما الكلام على الحديث من جهة المعنى - على افتراض كونه صحيحاً - فيقال : استدلال المخالفين به من ناحيتين : ناحية سؤال الله بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وناحية سؤال النبي نفسه وهو غائب عن السائل . الناحية الأولى دليلها قوله فيه « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بمحمد بنى الرحمة . . . إني أتوجه بك إلى ربى . . . » . ودليل الناحية الثانية قوله فيه : « يا محمد » الحديث . ففيه جواز سؤال الله والتوجه إليه بفضلاء خلقه من أنبيائه وأوليائه ، وجواز دعاء الصالحين وندائهم فى غيبتهم . . . هذا بيان شبهة القوم فى الحديث ووجه احتجاجهم به . والجواب أن نقول : إن الحديث - على افتراض صحته - دليل واضح جلى على بطلان ما ذهب إليه المخالفون ، ورد عليهم بين ، وهو من البراهين الظاهرة الواضحة على بطلان هذين الزعمين وفساد السؤالين .

وبيان ذلك أن هذا الرجل الأعمى عند ما فكر فى الرغبة إلى الله ليرد له بصره ، وفى النبي ليدعوله الله ويشفع عنده من أجله لم يفعل مثل ما يفعلون ومثل ما يزعمون أنه يجوز فعله والركون إليه من دعوة الرسول عليه السلام أين كانوا ، ومن سؤاله الشفاء وضروب الحاجات والمطالب التى يطلبونها اليوم منه ومن الأموات فى كل مكان ومن كل مكان ، ولم يسأل الله قبل أن يأتى النبي عليه السلام ويطلب منه الشفاعة فيجيبه بحقه ولا بحق أحد غيره من خلقه : لم يفعل الأعمى شيئاً من هذا فى غيبة الرسول ولا فى حضرته حتى أتاه وطلب منه الشفاء

الكلام على معنى
الحديث

بيان أن الحديث
أن صح رد على
المخالفين

فأجابه إلى ما طلب وأمره أن يدعو الدماء المذكور . ولو كان الأمر كما يزعمون
 ويذكرون لما احتاج إلى أن يذهب إليه عليه السلام ، ولما احتاج إلى استثنائه
 ورجائه ، بل كان يقول بمل فيه ، أين كان وأين وجد ، كما يقولون وكما يفعلون :
 يا رسول الله أشغنى ورد لي بصرى وطافى ، كما يفعل دعاة الأموات والتبوير من
 كل مكان اليوم ، وقبل اليوم . وكان يقول ، أين وجد وأين كان : يا الله أسألك .
 بحق محمد صلى الله عليه وسلم وبجاهه وكرامته ومكانته لديك كما يفعل
 المتوسلون المبتدعون . ولما كان في غنية عن أن يذهب إلى الرسول وأن يطلب
 منه الدماء والشفاعة . فإتيان هذا الأعمى النبي عليه السلام قبل أن يطلب منه
 الدماء دليل على أنه لا يصح طلب الدماء منه في غيبته . . . وهؤلاء المخالفون
 يدعون الموتى من كل مكان وهم غائبون عنهم ، غائبون عند الله كما تقدم .
 والأموات كلهم غائبون . وطلبه الدماء منه وقوله : ادع الله أن يرد لي بصرى
 دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ذلك ولا سؤال غيره مثله ، فلا يصح أن يقول
 قائل : يا رسول الله رد بصرى ، أو طافى ، أو اهد قلبي ، أو اغفر ذنبي على وجه
 ما من الوجوه المجازية أو الحقيقية . والمخالفون يزعمون أن هذا كله يجوز ، فيجوز
 عندهم أن ينادى المسلم وأن يقول : يا رسول الله اهد قلبي واغفر ذنبي ورد بصرى
 واشف مريضى ونحوه من المطالب العالية . . . وإقصاره عن أن يقول قبل أن
 يستأذن النبي عليه الصلاة والسلام : أسألك يا رب بمحمد أو بحقه أو بجاهه أو
 بكرامته ، أو اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد نبي الرحمة - دليل على
 أن هذا النوع من الدماء لا يصح وإلا لو كان صحيحاً جائزاً لقاله قبل إتيانه
 إياه عليه الصلاة والسلام . . . وقوله عليه السلام : « وإن شئت صبرت وهو خير
 لك . . . » دليل أيضاً على أن السؤال بالجاه والذات ليس من الدين ، لأنه لو
 كان من الدين ، وكان الأعمى يريد من النبي أن يأذن له فيه لما قال له : « وإن

شئت صبرت وهو خير لك ، لأن ترك دعاء الله ليس من الخير ، ولأن الدعاء دين ، والدين لا يمكن أن يكون الخير في تركه . فلا يمكن أن يرغب في ترك دعاء الله بأن يقال للداعي : اصبر وهو خير لك ، أى اصبر عن دعاء الله وعن التقرب إليه بما يقرب لديه . . فان هذا ليس خيراً ، بل هو شر كله . والخير في دعاء الله وفي التقرب إليه وفي ابتغاء الوسيلة الصحيحة لديه .

هؤلاء الأمور كلها ترد على المخالفين ما يذهبون إليه . والحديث إن كان صحيحاً هو في جانب المنكرين لهذه الخرافات والترهات . . وليس في جانب أصحابها ، الذائدين عنها منه شيء كما سوف يظهر جلياً واضحاً إن شاء الله وحده . فنحن إذا قلنا لهؤلاء القوم المخالفين المخاصمين في هذه الأمور الإسلامية

أربعة أمور يدل
كلها على أن
الحديث رد على
المخالفين

الأولية : إذا كان دعاء الرسول ، وكان دعاء الأنبياء والصالحين ، وكان دعاء الخلق جائزاً في الإسلام إما على سبيل الحقيقة أو على سبيل المجاز في ما لا يمكن حقيقته ، وكان جائزاً أن يقول المسلم : يا رسول الله اشفني ورد لي بصرى ووافنى واهد قلبي فلماذا لم يقل الأعمى ذلك قبل أن يذهب إلى النبي عليه الصلاة والسلام ولماذا احتاج إلى أن يأتيه وأن يطلب منه أن يدعو الله له . : إذا نحن قلنا لهم هذا لم يستطيعوا أن يحيروا جواباً صحيحاً . . . ثم لو قلنا لهم ثانياً : إذا كان دعاء الرسول ودعاء الأنبياء والصالحين كلهم جائزاً في حضرتهم ، ومنغيهم ، وفي حياتهم وبعد مماتهم - كما يفعلون وتذكرون وتزعمون - فلماذا لم يدع ذلك الأعمى النبي عليه السلام في منغيه وبعده ، بل رأى أنه لا بد من إتيانه وطلب ذلك منه حضوراً : لو قلنا لهم هذا لم يجدوا ما يجيبون به . . . ثم لو قلنا لهم قالنا : إذا كان سؤال الله بحق النبي وبجأه وكرامته وحرمة وقبره ونحوه من الإسلام والدين فلماذا لم يسأل الأعمى ربه بشيء من ذلك قبل أن يأتي النبي وقبل أن يطلب منه الدعاء ؟ لو قلنا لهم هذا القول لما ظفروا منهم بجواب صحيح :

ثم لوقلنا لهم رابعاً : إذا كان التوسل بجاه المخلوق والتوجه به وبكرامته وبركته وفضله من الدين والخير ومما يقرب إلى الله ومما يأمر به القرآن في قوله : « . . . وابتغوا إليه الوسيلة » فلماذا قال النبي عليه السلام للأعمى : « وإن شئت صبرت وهو خير لك » ؟ وهل يأمر النبي بالصبر عن الدين وعن الرغبة إلى الله وعن التقرب إلى رضاه بصالح الأعمال ؟ لوقلنا لهم هذا المقال ما استطاع أحد منهم أن يجده جواباً مقنعاً صحيحاً . . . فالحديث إذن نقض لمذهبهم ، والحديث إذن عليهم لا لهم .

الجواب من قوله « واتوجه إليك » أما الألفاظ التي استدلووا بها منه على أمرهم وعلى ما يأتون فالجواب عنها : أما قوله : « واتوجه إليك بلبيك » « وتوجهت بك إلى ربي » فالتوجه هنا يراد به التوجه بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام لا بذاته ولا بشخصه ولا بشبه ذلك . والدليل عليه ما قدمناه . ومن الدليل عليه أيضاً أن أصل المسألة كان في الدعاء وفي طلبه من النبي ، ولم يكن أصلها في سؤال الله بجاهه أو بذاته أو بمرمته أو ببركته حتى يصبح ما زعم المخالف . ومن الدليل أيضاً عليه قوله في خاتمة الحديث : « اللهم شفعه في » . فالأمر إذن أمر شفاعة . ومن الدليل عليه أيضاً أنه لو كان سؤالاً بالذات والجاه والحرمة والبركة وهذه الشئون لما احتاج إلى أن يستأمر النبي عليه السلام كما أن هؤلاء يدعون ويسألون بجاه النبي وبجاه غيره من الأنبياء والأولياء من غير استئثار واستئذان ، لأن الجاهات والبركات والحرمات وهذه المعاني ثابتة سواء أاستؤمر صاحبها أم لم يستأمر . ومن الدليل أيضاً عليه قوله : « وإن شئت دعوت » . وقد شاء بلا خلاف ولا شك ، فقد دعا إذن بلا خلاف ولا شك ، لأنه قد علق الدعاء بالشيئة ، والمشیئة قد وقعت فالدعاء كذلك قد وقع . ومن الدليل أيضاً قوله : « وإن شئت صبرت وهو خير لك » . ولو كانت المسألة مسألة دعاء بالذات وتوسل بالأشخاص والحرمات والجاهات

— وهذا كله عند المخالفين من القربات والطاعات — لما اختار له النبي عليه الصلاة والسلام الصبر والترك ، لأن هذا عند القوم من أفضل الوسائل المأمور بابتغائها إلى الله . وهذا لا يمكن أن يشار على المسلم بتركه والصبر عنه يقناً . فالسؤال والتوجه هنا بالدعاء والشفاعة بلا شك ، وهو مثل حديث الاستسقاء بالعباس ومثل قول الفاروق : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . وهم كانوا يتوسلون بدعاء النبي وشفاعته لا بذاته وشخصه ، وهذا ظاهر في الشرع وفي اللسان . فإذا قال المخالف : إن الذي زعمتموه عدول عن ظاهر الخبر وعن ظاهر نصه ، وهو لا يجوز الذهاب إليه إلا بدليل ملمجى ، ولا دليل معكم على هذا العدول ، قلنا : إن من الكذب القول بأن ما ذهب إليه المخالفون هو ظاهر الخبر وما يفهمه منه السامع عند فقدان القرائن . ومن ذا يفهم من قول القائل : وصلت إلى الرئيس أو إلى الملك أو السلطان بوزيره أو بقريبه فلان أو فلان أن المعنى فيه الوصول إليه بشخص ذلك الوزير أو ذات ذلك القريب لا بدعائه وشفاعته ! ومن ذا يفهم من قول القائل : إنما نبليح حاجتنا وننال حقوقنا وما نصبو إليه بأيدينا ومواعيدنا وأنفسنا أن المعنى بلوغ ذلك بالذوات المجردة وبالأشخاص وبالأحجم والدم والعظام ؟ ومن ذا يفهم من قول القائل : بالحديد والنار ينال المسلمون حقوقهم واستقلالهم ، ويردون عليهم كراماتهم المفقودة لا بالأنين والبكاء ، ولا بالتضرع والتوسل المهين الدليل على مقاعد جنيث تحت أقدام تلك الآلهة الخرساء الصماء عن دعاء الخير وصوت الحق الزنان إلا أن المراد استخدام الحديد والنار في تحطيم أولئك الظالمين وتحريقهم حتى يرق إحساسهم وتلين عواطفهم الصوانية ؟ ومن ذا يفهم من قول القائل : سعد المسلمون بالقرآن وعزوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ونصروا بعمر وخالد وحمة وعمر وبن العاص إلا أن المعنى أنهم تالوا ذلك بأعمال هؤلاء وإيمانهم وشجاعتهم وتدبيرهم

الدلائل من كلام
المرب على أن
الحديث ليس
سما يزعم القوم

لا بأشخاصهم ولا بمجاهاتهم وذواتهم ؟ كل هذا الذى ذكرناه وقدمناه المعنى فيه ظاهر جلى لا نزاع فيه ولا خلاف . وكلام النبى يذهب به حيث تذهب اللغة العربية .

فقوله عليه السلام فى تعليمه الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك وقوله : « توجهت بك » معناه التوجه والسؤال بالعمل لا بالذات . والعمل هنا هو الدعاء والشفاعة بلا ريب وقريب من هذا قول النبى عليه السلام فى الحديث الصحيح : « دخلت النار امرأة فى هرة حبستها ، لا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » . ولا يمكن أن يراد أنها دخلت النار بحسم الهرة وذاتها ، بل المعنى أنها دخلتها بعملها الذى قنلتها به . والأمر واضح جلى اعتراف جوابه . فان قال المخالف : إن قولكم هذا يقضى بأن يكون فى الحديث كلمة محذوفة وهى كلمة الدعاء والشفاعة التى ترعمون أن التوجه والسؤال بها لا بالذات ، فيقدر فى قوله : « وأتوجه إليك بنبيك » « بدعاء نبيك » وفى قوله : « توجهت بك » « توجهت بدعائك » ، وهذان تقدير وادعاء فى الحديث لادليل عليهما ، ولا ملجئ إليهما : إذا قال المخالف هذا القليل قلنا له : إن التقدير فى الحديث واجب على قولنا وقولكم وعلى كل قول . فأنت تقول : إن التقدير : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بذات نبيك وبحرمته وبكرامته عليك ومكاته لديك » ونحو ذلك من المحذوفات . ولادليل فى الحديث على واحد منها . أما نحن فنقدر الدعاء فقط ، والدعاء مذكور فيه ، مدلول عليه بأول الخبر وآخره ، فكان تقديره سائناً بل واجباً ، بل هو فى حكم المذكور المنصوص عليه . فالعلم به لا يحتاج إلى تفكير ولا إلى دلالة ولا إلى شئ غير الفهم والانصاف . بل هذا هو ما يفهمه ويعرفه جميع سامعى الحديث وقارئيه من غير الخاضعين للأهواء الجائرة وللجدال والعناد . وهذا التقدير على كل حال واقتراض أقل مما يقدره المخالف الزاعم أن

التوجه والسؤال بالذات والجاء والحرمة والكرامة والمظنة والحب والرضا والبركة إلى آخر هذه المقدرات الكثيرة التي لا دليل على شيء منها . . . فلا مفر إذن مما ذكرناه . . . وإنا نتحدى المخالفين ونطلب إليهم جميعاً أن يرونا وأن يذكروا لنا كلمة واحدة في الشرع أو في اللسان جاء استعمال الحديث وكان التفسير لها هو ما ذكروا . فان جاءوا بشيء من ذلك قلنا : صدقوا وإلا فلا هروب لهم من اقتحام الحقيقة والرضا بالأمر الواقع والحق الذي لا غشاضة على قابله .

على أن في الحديث شيئاً يدل دلالة قاطعة على ما نذهب إليه وعلى فساد ما يذهبون إليه : هذا الشيء هو قوله عليه الصلاة والسلام : « وإن شئت صبرت وهو خير لك » . فانه لو كان مافي الحديث سؤالاً بالذات والكرامة والحرمة والجاء ، وكان السؤال بهذه الأمور من التوسل إليه تعالى ومن ابتغاء الوسيلة المذكورة في الكتاب العزيز - والمخالفون يزعمون هذا كله - لما أمكن أن يشير النبي على الأعمى بالصبر والترك . فان الصبر عن التوسل والتقرب إلى الله بما يقرب منه حقيقة لا يمكن أن يختاره النبي عليه السلام لأحد من عباد الله ، ولا يمكن أن يرغب فيه مسلماً ولا كافراً ، لأن الخلق جميعاً مطالبون أبدأً بالتقرب إلى الله وابتغاء الوسائل المقربة لديه كلها . وترك هذا التوسل لا يمكن أن يكون خيراً ولا أن يكون فيه خير ، بل هو شر كله . والمخالفون اليوم وقبل اليوم يزعمون أن التوسل إلى الله وسؤاله بالنبي وبالأولياء والصالحين : الأحياء منهم والأموات ، من أفضل الطاعات وأشرف العبادات . وعندهم أن العبد يزداد أجره وثوابه ويعظم فضله بحسب ما يفعل من ذلك وعلى قدر ما يدعو الله به ويرغب فيه . بل لعل طوائف من هؤلاء الضلال الخيري يحسبون أن دعاء الله بغير هذه الوسيلة لا يقبل وأن دعاءه بها مقبول على كل حال كما ذكر هذا الرافضي في القصيدة التي وضعها في آخر كتابه هذا أن دعاء الله عند القبور مقبول وأن دعاءه تعالى بعيداً

على أن في الحديث
شيئاً يدل على
ما نذهب إليه
دلالة قاطعة

عنها غير مقبول ! فن قوله في تلك القصيدة النكراء المشنومة :
 لا بدع أن كان الدعاء إليه في * ها صاعداً وبغيرها لم يصعد
 وهذا القول عند جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومحلهم من أقوال
 الردة والكفر الواضح . ونعوذ بالله من الخذلان . وقبل هذا البيت :

من علو الشيعة
 في القبور

وكذا الصلاة لدى القبور تبركا * بنوى القبور فليس بالصنع الردى
 إن الأئمة من سلالة هاشم * نقل النبي وقدة للمقتدى
 قالوا : الصلاة لدى محل قبورنا * في الفضل تمل مثلها في المسجد
 عنهم روته لنا الثقات فبالهدى * عنهم إذا شئت الهداية فاقصد
 شرف المكان بنى المكان محقق * وأخو الحجا في ذاك لم يتردد
 خير عبادة ربنا في مثله * من غيره ، فإليه فاعمد واقصد
 وكذلككم طلب الحوائج عندها * من ربنا أرجى لنيل المقصد
 بركاتها ترجى لداع ، إنها * بركات شخص في الضريح . وسد
 لا بدع إن كان الدعاء إليه « البيت » .

والقصيدة أغلبها من هذا النوع الفاحش المناقض لدين الإسلام ولنفيه من
 أديان الله . ومن خذلان الله المشايخ لهذا الشيعي الذائد عن عبدة الأجداث
 والأحجار والأشجار والتماثيل أنه قال بعد هذا الاطراء والترغيب في العبادة لدى
 القبور وإليها وفيها :

والنهي جاء عن الصلاة إلى القبو * ركا رواه أحمد في المسند
 لكنه إن صح غير المدهى * وكذلك منه حرمة لم تقصد
 لكنامته الكراهة قد بدت * للفهم في النظر الصحيح الجيد
 فهو بعد أن امتدح العبادات في القبور وعندها وإليها ، وبعد أن ذكر أن
 الأئمة من سلالة هاشم قد قالوا : إن الصلاة عند قبورنا أفضل من الصلاة في

المساجد كلها ، وإن الدعاء عندها أقرب إلى الإجابة والقبول ، وإن الدعاء فيها لا بد أن يصعد إلى الله ، وإن الدعاء في غيرها من المساجد وغيرها لا يصعد : بعد أن ذكر هذا كله يقول : إن الصلاة إلى القبور مكروهة ١ وأى خذلان من الله العظيم يعدل هذا الخذلان ؟

فقول النبي عليه الصلاة والسلام للاعى : « وإن شئت صبرت وهو خير لك » يدل دلالة لا ريب فيها على أن المعنى فيه خلاف ما يذهبون . فإن هذا القيل من النبي ترغيب ، ولا شك ، لذلك الطالب الدعاء منه في أن يترك هذا النوع من التوسل والتوجه . فإن كان مافى الحديث سؤالا بالذات الذى تأباه نحن وبرضاه المخالفون كان الحديث دليلا ظاهرا على أن الأحسن الأفضل للمسلم ألا يتوسل هذا التوسل ، وألا يتوجه إلى ربه وحاجته هذا التوجه . ولكن المخالفين لنا لا يسمون هذا ، بل هم يزعمون أن التوسل بذوات الأنبياء والصالحين والأولياء المقربين وبجرماتهم وكراماتهم وجاهاتهم من الخير المرغوب فيه ومن الدين ومن الوسيلة التى أمر القرآن بابتغائها إلى الله . والله لا يأمر بما الأحسن تركه ، ولا بما الأفضل الرغبة عنه بلا خلاف . فالحديث إذن عليهم لاهم . وقد قسمنا فى الفصول السابقة أن سؤال الله بالذوات والأشخاص ، وأن التوسل إليه بالحرمان والجاهات والكرامات من الأمور الفاسدة الباطلة عقلا وشرعا ونظرا وقياسا وعرفا ووجدانا ، وأنه من الهذيان الذى أحدثه من لا يعرفون اللسان ولا فنون القول ولا مذاهب العقليات والشرعيات . هذا جواب قوله : « وأتوجه إليك بنبيك » وقوله : « إني توجهت بك إلى ربي » .

الجواب عن قوله
« يا محمد »

وأما الجواب عن قوله : « يا محمد » وقول المخالف : إن هذا دعاء له وهو غائب ، وإنه يدل على جواز دعاء الغائبين ، وإنه إذا جاز دعاء الغائبين جاز دعاء الأموات فيقال فى الجواب : لا يوجد فى الروايات التى ذكرها المخالف لفظ واحد

يدل على أن الأعمى دعا هذا الدعاء وهو عنه عليه الصلاة والسلام غائب . فإن الذى فى الخبر أن النبي أمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويصلى ركعتين ويدعو بالدعاء المذكور . وفى إحدى الروايات أنه أمره أن يأتى الميضأة فيتوضأ فيصلى فيدعو . وفيه فى غير رواية الترمذى وابن ماجه والنسائى قول عثمان بن حنيف « فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط » . وهذا كله لا يدل منه شئ دلالة قاطعة على أنه دعاء غائباً . وبهذا يستقط الاحتجاج مرة واحدة . ويدل على أنه لم يدعه غائباً ، وعلى أنه لا يصح أن يدعوه كذلك أن الأعمى حينما أراد منه أن يدعوله جاءه . ولم يطلب منه أن يدعوله وهو عنه غائب ، بل احتاج إلى أن يذهب إليه وإلى مكانه وأن يقول له : يا رسول الله ادع الله أن يعافينى . وهذا لأن المسلمين جميعاً ، بل الخلق كافة ، مفطورون على أن دعوة الغائب غير ممكنة وغير جائزة . ومن ثم لم يكن المسلمون يخاطبون النبي ولا يطلبون منه دعاء ولا شيئاً من الأشياء وهم عنه غائبون ، لأنهم كانوا يعلمون أنه بشر مثلهم لا يسمع إلا القريب كما لا يرى إلا القريب - خلا المعجزات التى أيد الله بها دعوته ورسالته . وإلا فهو بشر مثلهم كما نطق الكتاب . ولا يختلف المسلمون أن الرسول عليه الصلاة والسلام - بله من دونه - لم يكن يدعى ويخاطب إلا حاضراً مشهوداً مرئياً ، ولا يختلفون فى أن من دعاه من كل مكان - زاعماً أنه يسمعه ويعلمه - فقد ضل وجهل وأبعد فى ضلاله وجهله . وكل هذا من ضرورات الإسلام وقواطع الملة . فالحديث نفسه لا يدل على أنه دعا الدعاء المذكور فى مغيب النبي .

ثم إذا فرض أنه دعا الدعاء المذكور غائباً عن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن دالاً على شئ مما ينهب إليه المخالف . وذلك أنه فى هذا الدعاء لم يطلب منه عليه السلام أمراً ولم يسأله شيئاً لادعاء ولا حاجة . فإنه قد طلب منه أن

حل دعا الأعمى
الدعاء المذكور
غائباً عن النبي
عاشراً كان ذلك
الجواب

يدعوه بالشفاء والعافية ورد البصر وهو منه قريب حاضر، فقبل النبي عليه السلام أن يدعو وأمره أن يدعو بالدعاء المذكور المتفق عليه . وقوله فيه : « يا محمد إني توجهت بك إلى ربي » لا يريد به أن يسمع منه ، ولا يطلب منه شيئاً غير ما طلبه منه وهو عنده حاضر . والدليل عليه أن النبي هو الذي لقنه وعلمه ذلك الدعاء ، ولا يمكن أن يقول له اطلب مني أن أدعوك لأدعو . فان هذا لا معنى له . فلا يراد إذن بقوله : « يا محمد » إسماعه عليه الصلاة والسلام ولا سؤاله أمراً جديداً ، لأن المطلوب منه هو الدعاء لرد البصر وقد قبل منه أن يدعو له بذلك ووعد به . والخطاب هنا في قوله : « يا محمد » مثل الخطاب في قول المشاهد في الصلاة : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » ومثل الخطاب في قول زائر القبور : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين » الحديث ، ومثل الخطاب في أمثال ذلك . فانه لا يراد بشئ من هذا الخطاب إسماع المخاطب ولا دعاؤه حقيقة . فان المسلمين يقولون في تشهد ذلك القيل أين كانوا وأين وجدوا . ومن المستحيل أن يريدوا بخطابهم النبي إسماعه وإعلامه ، ومن المحال أن يظنوا أنه يسمع ذلك منهم . وكذلك من المحال أن تقف في طرف المقبرة الطويلة المريضة فتقول ، جهرأ أو همساً : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين » فيسمعوك أو يعلموك .

ومن الدليل على أنه لا يراد بهذا الخطاب والنداء الإسماع والطلب الحقيقي أنه في خطاب الله قال : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك » بأسلوب المضارع المستقبل وأسلوب الحال . وفي خطاب النبي قال : « يا محمد إني توجهت بك إلى ربي » بأسلوب الغابر الماضي . وهذا لأنه قد توجه به حقاً وطلب منه الدعاء ليشفيه الله وليرد له بصره . أما في خطاب الله فكان الخطاب خطاباً حقيقياً فأورده بصيغة المستقبل الذي أريد به نيل رجاء مستقبل ، وهو الشفاء والاجابة

وأما في خطاب النبي عليه الصلاة والسلام فكان الخطاب ماضياً لأنه أريد به شيء قد فرغ منه وقضى وهو الدعاء وقد دعا له .

ومن الدليل على هذا أنه في خطاب النبي لم يطلب منه شيئاً ، لا دعاء ولا شفاعة ولا غير ذلك . فها قال : ادع الله لي ، أو إني أسألك أن تدعو الله لي . بصرى ولا شيئاً من هذا النوع ، وإنما قال : « إني توجهت بك إلى ربي » . ويراد بهذا التوجه طلب الدعاء منه ، وقد طلبه ذلك قبل أن يأمره بهذا الدعاء فأجابه إلى طلبه . فقله هنا : « يا محمد إني توجهت بك إلى ربي » معناه إني توجهت بدعائك وشفاعتك إلى الله ليشفيني وإنما قال : « يا محمد إني توجهت بك » لإحضاراً للبعيد ، وإقامة للغائب مقام الحاضر ليدل على مكانة الصلة بين الداعي والمدعو ، وعلى قوتها وشدتها ، وليلد على استحضاره في الذهن والقلب والنفس . والقصد ، حتى كأنه حاضر في الشاهد وللعين الباصرة . وكثيراً ما يقيم الغائب مقام الحاضر لأجل هذا المعنى . والضمائر ينوب بعضها عن بعض كثيراً . وقد يدعو المحب حبيبه دعوة الحاضر السامع الشاهد وهو غائب أو ميت ، ويخاطبه خطاب القريب الرائي المرئي وهو في غيابات الخفاء والاضمار والبعد والعدم . وقد يرئى الميت ويدعى بصير الحضور ، مع أنه لا حضور ولا شيء من ذلك ، وإنما هو الحضور الذهني التصوري ، وإنما هو أيضاً تقريب البعيد لكثرة الرغبة في قربهِ ولشدتها ، والدلالة أيضاً على هذه الرغبة القوية . وقد يشند التصور الذهني ويقوى حتى يغلب سلطانه سلطان الحس وسلطان العين ، فيريها ما لم تره ، ويسمع الأذن أيضاً ما لم تسمعه . والخيال قد يؤلف وجوداً لا وجود له ، ويهب هذا الوجود « الخيالي » أحكام الموجود الحقيقي . هذه فنون من الخيال والكلام . معروفة مطروقة . وهذه اللفظة في الحديث ، لفظة « يا محمد » و « توجهت بك » . لا تمدوا أمر هذا المذهب المعروف المطروق .

﴿ الشبهة السابعة شعر سواد وأشعار أخرى ﴾

جواب الشبهة
السابعة وبيان
ضعف قصة سواد
ابن قارب التي فيها
الاستشفاع
بالرسول

أما ما ذكره من الأشعار في هذا الباب فالجواب : أما ما ذكر عن سواد ابن قارب من قوله :

وإنك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعه * بمن فتيلا عن سواد بن قارب

فمن هذا جوابان : أحدهما أن قصة سواد بن قارب التي فيها هذا الشعر غير صحيحة الإسناد ، وقد ضعفها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (الجزء الثامن صفحة ٢٥٠) وقال : رواها الطبراني بإسنادين كلاهما ضعيف .

وقال الحافظ ابن كثير في التاريخ في آخر الجزء الثاني : قال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حدثنا يحيى بن حجر بن النعمان الشامي حدثنا علي بن منصور الأنباري عن عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي قال : بينما عمر بن الخطاب جالس ذات يوم إذ مر به رجل فقيل له : يا أمير المؤمنين أنعرف هذا المار ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب . . . وذكر القصة وفيها هذا الشعر . قال ابن كثير بعد ذكر القصة بتمامها : وهذا منقطع من هذا الوجه . ويشير ابن كثير إلى أن محمد بن كعب القرظي لم يدرك ولم يسمع عمر بن الخطاب فتكون روايته عنه منقطعة . ورواه الحافظ أبو نعيم أيضاً في « دلائل النبوة » من هذا الوجه من حديث عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي عن محمد بن كعب القرظي . وهذا ضعيف جداً وإليه للغاية . وعثمان بن عبد الرحمن الوقاصي هذا متفق على ضعفه ووهاء أمره . قال ابن معين : لا يكتب حديثه ، كان يكذب . وقال ابن المديني : ضعيف جداً . وقال الجوزجاني : ساقط . وقال يعقوب بن سفيان : لا يكتب حديثه أهل العلم . وقال البخاري : تركوه . وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، ذاهب . وقال أبو داود : ليس بشيء . وقال الترمذي : ليس بالقوى .

وقال النسائي : متروك . وقال الساجي : يحدث بأحاديث بواطيل . وقال ابن البرقي : غير ثقة . وقال البزار : لين الحديث . وقال أبو أحمد الحاكم : متروك الحديث . وقال ابن حبان : كان يروى عن الثقات الموضوعات ، لا يجوز الاحتجاج به . وقال ابن عدى : عامة أحاديثه منكورة إما إسناداً وإما متنّاً .

فهذه القصة التي فيها هذا الشعر واهية الاسناد جداً لا يجوز الاحتجاج بها ولا الالتفات إليها . ولا يحل لهؤلاء المخالفين أن يحتجوا بأحاديث بمجرد روايتها في بعض كتب الحديث التي تروى الصحيح والضعيف والموضوع المكذوب الباطل حتى يعلّموا أنها صحيحة ثابتة عن النبي عليه السلام . وقوم يستحلون القدح فيما رواه البخاري ومسلم وما رواه غيرهما من نقدة الأخبار وجباينة المحدثين كيف يستجيزون لأنفسهم ودينهم أن يحتجوا بمثل هذه الرواية . وإذا كان هذا الرافضي المصنف يقدح في سفيان الثوري وفي وكيع بن الجراح وفي غيرهما من ملوك المحدثين وأمرائهم فكيف يستحل لنفسه ولدينه الاحتجاج بمثل هذا الخبر ؟ بل هذا الرافضي لا يقبل ما يرويه أمثال أحمد بن حنبل ومالك بن أنس والشافعي ، بل ولا ما يرويه أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان فأنى يطيب له أن يتخذ من أمثال هذه القصة حكماً شرعياً يصول به ويجول ؟ بل هذا الرجل وطائفته الرافضة الامامية الاثناعشرية لا يبالون بالقرآن ولا بنصوصه ، وهم يخطئون من يتسكون به من المسلمين ويضللونهم ، ويحملون عليهم حملات ظالمة آسمة . وقد قال أحد شيوخهم ، وهو الشيخ مرتضى الأنصاري التستري في كتابه المطبوع المسمى « فرائد الأصول » قولاً نصه : « إن المنهى في تلك الأخبار (يشير إلى أخبار ذكرها توعد من حاول فهم كتاب الله من غير طريقهم) المخالفون الذين يستغنون بكتاب الله عن أهل البيت النبوي . بل ويخطئونهم به (يعني بالقرآن) . ومن المعلوم ضرورة من مذهبنا تقديم نص

هؤلاء الشيعة لمن يحملون بكتاب الله وروايتهم أن قول الإمام مقسم على الكتاب والسنة بالضرورة

الامام على ظاهر القرآن ، كما أن المعلوم ضرورة من مذهبهم (يعنى أهل السنة والحديث) العكس . ويرشد إلى هذا ما تقدم من رد الامام على أبي حنيفة حيث يعمل بكتاب الله . ومن المعلوم أنه إنما كان يعمل بظاهره لأنه كان يؤوله بالرأى إذ لا عبرة بالرأى عندهم مع الكتاب والسنة . . . » انتهى بحروقة من صفحة ٣٢ فإذا كان هؤلاء الشيعة الحيرى يهجون أهل السنة والحديث ويقعون فيهم ويستحلون ثلبهم وتلب أعراضهم ، ويستحلون إفساقهم وإكفارهم ، ويكفرون أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعى وأحمد لأنهم يستغنون بكتاب الله وسنة نبيه الصحيحة الثابتة عن غيرهما ، ولأنهم قد يرغبون عما تنقله الشيعة الكاذبة عن أهل البيت النبوى لأنه مخالف لكتاب الله ولسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان أحد أئمتهم على ما ذكرنا ينكر على الامام أبي حنيفة ويرد عليه ويسببه لأنه كان يعمل بكتاب الله ، وإذا كانوا يهجون أهل السنة جميعاً لأنه لا عبرة بالرأى عندهم مع وجود الكتاب والسنة ، ولأنهم يقدمون ظاهر القرآن على آراء الرجال : إذا كان هذا كله من مذهب الشيعة الظالمية لنفسها ولقومها فما قيمة هذا الخبر الباطل السقيم الاسناد لو كانوا يعدلون وينصفون الحق ومخالفهم من أنفسهم ؟ وإذا كان معلوماً من مذهبهم بالضرورة تقديم رأى الامام على ظاهر كتاب الله - بله ظاهر الخبر النبوى - فما قيمة ظاهر هذه الرواية وظاهر هذا الشعر المنسوب إلى سواد بن قارب ، المذكور فيه أنه أنشده النبى فما أنكره عليه ؟ كل هذا لا قيمة له عندهم ، ولكنهم لا ينصفون ولا يعدلون ولا يصدقون .

وهم يقدمون آراء أئمتهم التى ينقلها كذبتهم على كتاب الله لأن كتاب الله لا قيمة ولا مكانة له لديهم ، لأنه عندهم محرف : منقوص منه ومزبد فيه ، ومغير الترتيب والنظام ، قد تناوله كل ما يزعمونه من عبث الصحابة المناقضين ، ومن تحريفهم وأهوائهم وإلحادهم وكفرهم . ولأن الذين جمعوه كفار لديهم . والكفار

لا يؤمنون على كلام الله ، ولأنهم يزعمون أيضاً أن الصحيح الثابت من كلام الله لا يمكن فهمه إلا من طريق الأئمة من آل البيت المعدودين المحصورين . ومن حاول فهمه من غير طريقهم وسبيلهم فهو عين الضال الجاهل الآثم المارق . وقد قال في الكتاب المذكور أعني « فرائد الأصول » صفحة ٣٢ أيضاً نقلاً عن « مجمع البيان » : « قد صح عن النبي وعن الأئمة القائمين مقامه أن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح والنص الصريح . وعن أبي عبد الله أنه قال لأبي حنيفة : أنت فقيه العراق ؟ قال : نعم . قال : فبأي شيء تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنة رسوله . قال : يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : نعم . قال يا أبا حنيفة لقد ادعيت علماً - ويلاك - ما جعله الله إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم ! ويلاك وما هو إلا عند الخاص من ذرية نبيينا ! وما أوردك الله من كتابه حرفاً . وفي رواية زيد الشحام قال : دخل قتادة على أبي جعفر فقال له : أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون . فقال : بلغني أنك تفسر القرآن ! قال : نعم - إلى أن قال : يا قتادة إن كنت قد فسررت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلك . يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به » انتهى بحروفيه .

« انكارهم على من يشتغلون بهم القرآن »

فالكتاب والسنة لا وزن لهما عند القوم . وعندهم أن جميع نصوص القرآن ونصوص السنة وجميع الأخبار النبوية المتواترة وجميع الآراء والمذاهب والعلوم باطلة وزور وجعل وضلال . والعلم والدين والإيمان - كل ذلك لا يعدو ما تنقله الشيعة الكذابة في كتب الشيعة الكذوب عن زعمهم أئمة من آل البيت النبوي . وكل ما ينقل في كتبهم من إيمان وكفر وجعل وعلم وبلادة وذكاء كل هذا يجب الأخذ والعمل به عندم بلا بحث ولا أسانيد ولا امتحان

ولا تنقيب عن الرواية والرواة ماداموا شيعة ، إمامية ، اثنا عشرية . ولهذا لا يعرفون معنى الاسناد ولا علم الجرح والتعديل ولا الصحيح والضعيف . وهذا من علوم أهل السنة والحديث وحدهم . وقد قال في الكتاب المتقدم صفحة ٦١ : « ثم اعلم أن أصل وجوب العمل بالأخبار المدونة في الكتب المعروفة مما أجمع عليه في هذه الأعصار بل لا يبعد كونه ضروري المذهب » انتهى بالنص . وهذا صحيح لا شك فيه لديهم . فكل ما يروى في كتبهم لا ينازعون في صحته وثبوته . ووجوب العمل به ، وليكن ما يكون . أما أهل السنة والحديث فعندهم أن الاسناد من الدين ، وأنه لولا الاسناد لضاعت السنة وكلام النبوة ، ولقال من شاء ما شاء . وعندهم أنه لا تقبل إلا رواية الثقة الثبت ، وأن غير الثقة مردود الرواية وإن كان عندهم إماماً من الأئمة المتبوعين ، وإن كان أصلح الناس وأتقاهم قلباً ونفساً . وأزكاهم ورعاً ودينياً . والدين عندهم والصالح غير الضبط والحفظ والرواكة في الحديث . فقد يكون الرجل عندهم ديناً صالحاً فاضلاً سليم الاعتقاد والمذهب ، ثم لا يكون ثقة في الحديث . ومن أعجب ذلك وأطيبه من أمر أهل السنة والحديث أن جماعات منهم ضعفوا الامام الأعظم أبا حنيفة النعمان في الحديث من جهة حفظه . وهولديهم الامام الحجة ، والفقهاء الذي لا يلحق له غبار في هذا المضمار . بل هو عندهم أبو الفقه الغنى حتى قالوا فيه : « الناس حيال على فقه أبي حنيفة » . وقالوا فيه : « لو شاء أن يقيم الدليل على أن الصخر الأصم ذهب لاستطاع » لقوة حارضته ، وسرعة بديته ، ووفرة ذكائه ، ورعاية ذهنه وعقله وقلبه . وقد قلده الجمهور الاكبر الاكثر من المسلمين لعظم شأنه وأمره في الفقه والدين . . . وهذا كله لم يمنع طوائف من المحدثين أن يضمفوا حديثه وأن يعيبوه ويقسحوا فيه من جهة الحفظ والضبط . وقد ضعفه لذلك اللسان والدارقطني والحافظ ابن عسدي وآخرون غيرهم ، وأجتلب التعديت عنه رضى الله عنه صاحباً الصحيحين :

وهم وجوب
العمل به
ما كتب في كتبهم

أهل السنة
والحديث من
عجب أمرهم
وطيبه

البخارى ومسلم ، لأنهما لا يرويان إلا الصحيح الثابت من الأخبار . وهذا كله لم يمنعه أن يكون عندهم الامام الاعظم ، والحجة الكبرى في الفقه وفي الدين . ولكن الحديث - حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، عند المؤمنين أعلى وأعلى من الأئمة ومن الرجال ، وإن كانوا من كانوا ، عظم شأنه ، وجلالة قدره ، ونباهة ذكره . وإذا كان الحديث نفسه قد لا يرضى حفظه ولا يأتينه على أحاديث النبوة ، فيفزع لذلك إلى الكتاب والكتابة لتلايضل وينسى ، فيزيد أو ينقص أو يحرف - كان ألا يأتين من عرف بضعف الحفظ وقلة الضبط أولى وأحرى . وإذا لم يضر الرجل من الحديثين أن يرد الحديث الذى اتهم نفسه على حفظه وضبطه - لأنه عهد من نفسه ضعف الحافظة لأمر من الأمور - لم يضر الامام أبا حنيفة رضى الله عنه أن يجنب حديثه من عرفه بقلة الحفظ ونسيان المروى . ويشبه هذا المعجب الطيب من أمر الحديثين ما ذكر الامام مسلم في مقدمة الصحيح قال : حدثني محمد بن أبي عتابة قال حدثني عفان عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قال : لم نر الصالحين فى شئ أكذب منهم فى الحديث . قال ابن أبي عتابة : فلتيت محمد بن يحيى بن سعيد القطان : فسألته عنه فقال عن أبيه : لم نر أهل الخير فى شئ أكذب منهم فى الحديث . قال مسلم : يقول يجرى الكذب على لسانهم ولا يتعمدونه . قال مسلم : حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن زيد قال قال أيوب : إن لى جاراً - ثم ذكر من فضله - ولو شهد عندي على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة . قال مسلم أيضا : حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال : أدركت بالمدينة مائة كلهم مأون ، ما يؤخذ عنهم الحديث - يقال : ليس من أهله .

وهذا الصنع من أهل السنة والحديث يشهد بحق واضح الدلائل على أنهم هم حوارو رسول الله ، وأنهم هم الذين اختارهم الله وهبهم لحفظ دينه ، ليكونوا

أهم حواريو
رسول الله

شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا . فرضى الله عنهم ونصر وجوهم .
فلولا أسانيدهم وعلمهم وتصحيحهم وتضعيفهم وقولهم : هذا ثقة ، وهذا كذاب
وذاك صدوق صادق ، وهذا ضابط حافظ ، وهذا سعي الحفظ والضبط ، وهذا مجهول
وهذا معروف ، وهذا حق وهذا باطل : لولا هذا كله لمر علينا وعلى المسلمين
اليوم وقبل اليوم تمييز كلام النبوة من كلام الكذابين ، والتفريق بين صحيح
النسب برسول الله وبين الضعيف الباطل النسب ، ولكانت أنساب الأحاديث
اليوم إلى رسول الله كأنساب من يزعمون اليوم من ذرية رسول الله ومن ذرية
فاطمة والحسن والحسين : كلاهما يعوزه الدليل ، وكلاهما أفسده الكذب
والتدجيل ، وكلاهما قطع ظهره وصلبه الظلام والضلال وانقطاع الاسناد . ولكن ديناً
شاء الله أن يكون خاتماً لا ديان شاء له أن يحفظه بأهل الحديث ، لتبقى الحجة ، ولتزول
العلة ، ولتبطل المندرة ، ولنظل صلة الأرض بالسماء محفوظة قائمة ، وليبقى هذا
البصيص السماوي الآبى متألّفاً لا ممّاعاً بين حنادس هؤلاء الناس وحنادس
ظلماتهم وضلالهم ، وبين حنادس هذه الأرض المظلمة ، ليهتدى به من شاء لنفسه
الهدى ، ويسرى عليه من طلب السرى ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها . وأنا
أشهد لله أن علم الاسناد - كما خلفه أهله - ليس مما تهتدى إليه العقول والبداهات
بسرعة ويسر وقرب ، فلا بد أن يكون اهتداء أهل الحديث إليه وتوفيقهم له حتى
أقاموه كما هو اليوم معجزة من معجزات الاسلام ، ولطيفة من لطائف الله خص بها
هذه الأمة ، وخص بها من هذه الأمة أهل السنة ، وخص من أهل السنة بها
أهل الحديث . فهم خاصة من خاصة من خاصة ، وخيار من خيار من خيار . إذن
فقصة سواد هذه التي فيها هذا الشعر غير صحيحة وغير قائمة الاسناد ، فلا يحمل
الاحتجاج بها في أبواب الدين والایمان .

الجواب الثاني من
شمس سواد بن
قارب ان كان
صحيحاً وبيان
دلائله على خلاف
ما زعموا

والجواب الثاني عن هذا الشعر إن كان صحيحاً أن يقال : إنه لا شيء بما فيه

يدل على شيء مما اختلف فيه . أما قوله : « وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله » فعناه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام أعظم الأنبياء ، وأعظم عباد الله جميعاً قرباً إلى الله ، وأقربهم قرباً ، وأعظمهم منزلاً ومنزلة لديه تعالى . لأن الوسيلة ، كما تقسم ، هي القرب والقربة والدرجة الرفيعة ، وهي المنزل العلى من منازل الجنات العليا . وهذا لا شك فيه . ولا شك في أن رسول الله أعظم الخلق جاهاً وأسماء مكانة ، وأدناهم مكاناً إلى الله ، وأن له لديه تعالى أعظم الوسائل وأشرفها وأرفعها وأعزها . ولكن ليس الخلاف في هذا . فإن كان الراضى يريد بصوله وجوله وشوله أن يثبت بهذا الشعر أن رسول الله أقرب الخلق إلى ربه وأعظمهم منزلة ومنزلاً ووسيلة لديه وأكرمهم عليه فليرح نفسه من عناء البحث ، ومن التزيد بالروايات الباطلة . فإن مخالفه أسبق منه . إن شاء الله . إلى إثبات هذه الحقيقة والاقرار بها والدعوة إليها . ولو تدبر الشيعى هذه اللفظة لوجدوا إلى الرد عليه أقرب من أن تكون ردّاً على مخالفه . وذلك أنه جعل لرسول الله عليه الصلاة والسلام وسيلة إلى الله بقوله : « وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله » . ولم يجعله نفسه وسيلة ، أى لم يقل : « وإنك وسيلة إلى الله » ، أو الوسيلة ، أو إحدى الوسائل إليه تعالى . وإذا كان قد جعل لرسول نفسه وسيلة إلى ربه ، فالوسيلة إما أن يكون معناها هو معناها اليوم عند العوام ونظراتهم من سؤال الأموات وسؤال الله بهم ، ومن العكوف على القبور وجميع هاتيك المصائب العملية الاعتقادية التي وقع فيها جماهير المسلمين ، أو يكون معناها المنزلة الرفيعة عند الله والقرب منه والتقرب إليه تعالى بأصناف العبادات والطاعات وفنون الخيرات . فإن قالوا : إن المراد بالوسيلة في الشعر هو المعنى الأول قيل لهم : إذن يكون معنى قوله : « وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله » « وإنك أكثر الناس كفوفاً على القبور وانقطاعاً إليها ، ودعاءً لأصحابها ، واستغاثتهم بهم ، ورجوعاً إليهم ، وبكاء وخضوعاً

وخشوعاً بين أيديهم ». وهذا لا يقول به مسلم ولا عاقل غير مسلم . ولو كان المعنى هو هذا لكان الشعر المذكور هجاء لرسول الله لا مديحاً . وإن قالوا : إن المراد بالوسيلة هو المعنى الثاني كان معنى قوله : « وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله » « وإنك أعظم الخلق قرباً وقراباً إلى الله ، وأقوام صلة به ، وأسماهم مكانة ومكاناً لديه ، وأكثرهم أعمالاً صالحة لوجهه وإرضاء له ورضاء عنه وبه . . . » . وإذا كان هذا هو المعنى - وهو هو بلا شك - كان ردّاً على القوم لو يشعرون وينصفون .

وأما قوله . « وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة » فالجواب أن هذا القيل مما يرجع إلى بحثه في فصل الشفاعة الماضي . ومن الجواب عنه أن يقال : إنه من الاستشفاع بالحى ، والاستشفاع بالحى لا خلاف فى جوازه . فاذا قيل : كيف يطلب من الرسول عليه السلام فى الحياة الدنيا أن يشفع له يوم القيامة ، والشفاعة يوم ذاك لا تكون إلا بعد إذن الله ، فكأنه بهذا قد طلب من الرسول ما لا يملكه ، وما لا يقدر عليه - فالجواب - إذا سلم أنه يعنى بيوم لا ذو شفاعة بمن فتىلا عنه يوم القيامة ، مع أنه يمكن الشك والخلاف فيه - أن يقال إذا سلم ما زعموه أن هذا السؤال ليس خاصاً بنا دون مخالفينا ، وليس منطلقاً إلى من يمنعون التوسل المرذول دون من يجيزونه ، ويدعون إليه ويفعلونه ، بل هو سؤال مندفع إلى الجميع إن كان سؤال حق .

والذى نقوله نحن أنه لا يجوز سؤال الأموات الشفاعة ، وهذا الشعر ليس فيه سؤال للأموات ، فلا دليل للمخالف أثبتة . ومن الجواب عن هذا السؤال المذكور أن يقال : إنه طلب منه شيئاً يقدر عليه ، لأن الله قد أخبر بأنه سوف يشفع لجميع الخلائق . ولا شك فى صدق خبر الله ووقوعه . فالتبى عليه الصلاة والسلام يشفع الشفاعة الكبرى العامة بلا ريب . وسوف تنال شفاعته هذه الجسيم . فقوله : « وكن لي شفيعاً » هو طلب لشفاعة مطلقة ، لم توصف ولم تعين -

جواب قوله
« وكن لي شفيعاً
يوم لا ذو شفاعة »

إلا بيومها ، والرسول بلا شك سوف يشفع له في من يشفع لهم . فكأنه قد طلب شيئاً لا بد من وقوعه وحصوله ، ولا شك فيه . وقد أقره الرسول على طلبه لصدقه فيه ، ولعلمه أنه سوف يشفع له ولنغيره يوم القيامة بما وعده ربه . ولا يخلف لوعده الله سبحانه .

وأما ما ذكره من استسقاء الأعرابي بالنبي عليه الصلاة والسلام بقوله :

وليس لنا إلا إليك فرارنا * وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل ؟

فالجواب أولاً المطالبة بالصحة . وهيهات ذلك . وقد قال الحافظ في فتح الباري : رواه البيهقي من حديث مسلم بن كيسان الكوفي الضبي الملائى الأعمور وضعف سنده لذلك . ومسلم هذا يجمع على ضعفه ، وقد ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب والحافظ الذهبي في الميزان ، وذكر إجماع الناس على ضعفه والقدح فيه وفي حديثه . فلا يحل الاحتجاج به . وقد صح عند شيوخ الحديث أنه كان وضاعاً كذاباً .

جواب قوله
« وليس لنا إلا
إليك فرارنا »

ويقال ثانياً : إن هذا الشعر إن ثبت لا يدل على ما زعموا . فما فيه سؤال المخلوق مالا يقدر عليه إلا الله ، ولا سؤال الله بمجاه المخلوق ، أو بكرامته أو حرمة أو بقره أو بذاته أو بشخصه ، ولا فيه الإقسام بغير الله ولا العكوف على القبور ولا الانقطاع إليها . . . وإنما فيه الفرع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عند اشتداد القحط ، ليدعو الله وليسأله إنزال غيائه ورحمته على عباده وبلاده . . . وهذا متفق على جوازه وإباحته . وقوله : « وليس لنا إلا إليك فرارنا » معناه أننا لا نفر ولا نفرع عند إلحاح القحط علينا وإمساك السماء ماءها إلا إليك يا نبي الله لتدعو الله وتشفع لنا لديه . لأنك مقبول الشفاعة مسموع الدعاء عنده . وقوله : « وأين فرار الخلق إلا إلى الرسل » معناه : وأين يذهب العباد إذا ما التمسوا شفيعاً لهم عند ربهم مستجاب الدعوة قريب المكان والمكانة - إلا إلى أنبيائهم ورسلهم ، لأنهم هم أقرب الخلق إلى الخالق ، وأدناهم إلى رحمته

جواب ثان من
الشعر

وإلى إجابته ورضاه... ولكن هذا الأعراي لم يقل هذا القول للرسول عليه السلام بعد وفاته وصعوده إلى الأملاء العليا . وإنما قاله وهو حي حاضر بين أظهرهم ، على مسمع منهم ومرأى . فإين هذا من ذاك ؟

من كتبه
الرافضة

وأما قوله : روى البخارى أن النبي عليه السلام لما استسقى فسقى الله عباده قال : « لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه : من يشدنا قوله ؟ » قليل : كانك أردت قوله : وأبيض يستسقى الغمام بوجه البيت . . . فالجواب أن يقال : هذا كذب فليس هو في البخارى كما ذكر . وإنما في البخارى أن عبد الله بن عمر كان يتمثل بقول أبي طالب : وأبيض يستسقى الغمام بوجه . « البيت » . وروى عنه أنه قال : ربما ذكرت ، وأنا أنظر إلى وجه النبي يستسقى فما ينزل حتى يبيض كل ميزاب قول الشاعر : وأبيض يستسقى الغمام . البيت . وهذا الذي ذكر أن البخارى رواه ذكر الحافظ العسقلاني في فتح الباري أن البيهقي رواه في دلائل النبوة بإسناد فيه مسلم بن كيسان الكوفي الملائى المتقسم . وهو كذاب وضاع للحديث كما مر . وقد ضعف الحافظ السند لذلك

وسواء أكانت الرواية التي عزاها إلى البخارى صحيحة أم كانت ضعيفة باطلة فانها لا تمثل على ماذهب إليه . وذلك أن قوله :

وأبيض يستسقى الغمام بوجه * ثم اليتامى عصبة للأرامل

الجواب عن عمر
ابن طالب وقوله
« وأبيض
يستسقى الغمام
بوجه »

يراد به أن الغمام يستسقى بشفاعته ودعائه ، وأنه يدعو الله ويسأله الفيث لعباده وبلاده فيجيبه ويسقى البلاد والعباد ، وأنه لذلك كهف للآيتام والأرامل لأن الآيتام والأرامل من الضعفاء ، والضعفاء لا يضيعون ولا يجوعون ويحتاجون إلا أيام الجذب والجهد والقحط والبلاء . ومن كان يدعو ربه عند الجذب والضر والجهد والقحط ويستسقيه فيجيب دعاءه واستسقاءه فلا ريب في أنه أمان للضعفاء وتمال لليتامى ، وعصبة للأرامل . و « الثمال » هو مزيل الحاجة والضرورة

والبؤس . والمصيبة هو ما يعتصم — أى يحتسب به . وهو ^{بالتقوى} — إذا كان يفتأ : إذا استغاث للخلق — كهف وثمال وعصمة للضعفاء والمحتاجين على المعنى والمذهب الذى ذكرناه . فعنى « يستسقى الغمام بوجهه » يطلب الغيث والمطر بدعائه وشفاعته وهذا استعمال عربى واضح ظاهر لا ريب فيه . ومن الدليل عليه تمثيل ابن عمر بهذا الشعر حين يستسقى النبى عليه السلام فيسقون . وتمثله به تلك الساعة نص . فى أن معنى الاستسقاء بوجهه الاستسقاء بدعائه وشفاعته . ولا ينازع فى ما ذكرناه أحد من أهل العلم .

✽ الشبهة الثامنة أمر عثمان بن حنيف الرجل القاهب

إلى عثمان بن عفان أن يتوسل بالنبي عليه السلام

وذلك ما رواه الطبرانى فى المعجم من حديث أصبغ بن الفرج عن عبد الله بن وهب المصرى عن شبيب بن سعيد البصرى الحبلى عن روح بن القاسم عن أبي جعفر المختلف فيه عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له ، فلقى عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له أئت الميضاة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة . يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك عز وجل فيقضى لى حاجتى » وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قاله له ثم أتى باب عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة وقال : حاجتك ؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حق كانت هذه الساعة . وقال : ما كانت لك من حاجة فأتتنا . ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حقى كلمته فى ، فقال له خذنى والله ما كلمته ، ولكن شئت رسول الله وأتاه ضرر فشكا إليه ذهاب

أمر عثمان بن حنيف لرجل أن يتوسل بالنبي عليه السلام
فأجابته وقال : فذكر حاجته

بصره فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « أفتصبر ؟ » فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي . فقال له رسول الله : « ائت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات » . قال ابن حنيفة : فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط .

قال المخالفون : وهذه الرواية تدل على جواز الاستشفاع بالنبي وعلى جواز ندائه والسؤال والتوسل به بعد مماته ، فانه لو لم يكن ذلك جائزاً كله لما أمره به ولما أجازته عثمان بن حنيف وهو من صحابة النبي الأبرار الذين شهد الله لهم في كتابه بالعدالة والایمان والهدى وسلوك الصراط المستقيم ، وأخبر أنه قد رضى عنهم وتاب عليهم ووعد كلا منهم الحسنی ، وجعلهم الشهداء على عباده المؤمنين ، وأمر باتباعهم وبالتهج مناهجهم والسير على آثارهم ، رضى الله عنهم أجمعين . قالوا : وما جاء أن أحدا منهم أنكر على عثمان بن حنيف فعله هذا ولا عارضه أو نازعه ، ولا جاء أن عثمان نفسه رجع عنه أو سأل عن حكمه وفهمه . قالوا : ومن البعيد الذي لا ترضونه أنتم لأنفسكم أن تزعموا أن أصحاب النبي عليه السلام يقعون في مثل هذا الضلال وهذا الباطل وأن توقوه أنتم وتسلموا منه ، فتكونوا أهدي وأرشد وأعلم بالاسلام والایمان والتوحيد منهم ، وهذا بعيد جدا كما أنه باطل وقبيح جداً كما أنكم أنتم تستقبحوه لأنفسكم جداً .

والجواب أن نقول : إننا قد قدمنا في جواب الشبهة السادسة الكلام على سند هذا الحديث ، وذكرنا ماله وما فيه من العلل وما فيه من أسباب الضعف والوهن ، وذكرنا أن جميع طرقه تدور على أبي جعفر هذا الذي ذكرنا الاختلاف فيه ، وذكرنا أنه قد انفرد به عثمان بن حنيف دون غيره من الأصحاب ، وأنه انفرد به عنه أسعد بن سهل بن حنيف وعمارة بن خزيمة بن ثابت دون غيرها من التابعين ، وأنه انفرد به عنهما أبو جعفر هذا ، وأنه يختلف فيه : فقيل : إنه

الخطي - والخطي وسط في الثقات ، دون المدول الأثبات الممتازين ، وفوق الضعفاء المتروكين - وقيل إنه غير الخطي . وإذا كان غيره احتمال أن يكون ضعيفاً جداً ، وأن يكون ضعيفاً ضعيفاً هيناً مقارباً ، وأن يكون ثقة ثباتاً ، وأن يكون مجهولاً لا يعرف عنه شيء . وذكرنا أنه لم يسفر لنا ولا للباحثين الفاحصين وجه الصواب وحقيقة الرجل الراوي ، وحكنا لذلك كله بضعف الحديث وبطلانه . وهذه الرواية هي إحدى رواياته ، فهي ضعيفة بضعفه ، مردودة برده ، فيها ما فيه من أسباب الوهن والضعف ، وفيها من ذلك ما ليس فيه كما سوف يرى القارئ . وقبل أن ينتقل القارئ من هذا إلى بقية البحث يحسن أن يرجع إلى ما كتبناه على الحديث في الشبهة السادسة السابقة .

وهذه الرواية قد أتت من حديث أصبغ بن الفرج المصري وهو ثقة لا كلام فيه ، عن عبد الله بن وهب المصري وهو إمام ثقة أيضاً ، عن شبيب بن سعيد الحبلي البصري التميمي . وهذا فيه كلام سنذكره . عن روح بن القاسم - وهو ثقة ثبت ، عن أبي جعفر المختلف فيه عن أبي أمامة وهو أسعد بن سهل بن حنيف . وهو أيضاً ثقة لا كلام فيه من رجال الستة ، عن عثمان بن حنيف . فلا كلام على هذا الاسناد إلا في أبي جعفر وقد تقدم الكلام عليه ، وتقدم أنه غير معروف ولا معلوم الاسم والحال . لحديثه حديث ضعيف لذلك . وبقي أيضاً الكلام في شبيب هذا ، الراوي لهذه الرواية عن روح بن القاسم .

بيان حال هذه
الرواية

وشبيب ثقة من رجال البخاري لا عيب فيه إلا أن الحذائق من المحدثين ذكروا لقسم من أحاديثه علة خفية . ذلك أنهم حدثوا عنه أنه كان سئ الحفظ وأنه كان يهمل وينلظ إذا حدث من حفظه ، وأنه ثقة ثبت إذا حدث من كتابه . قالوا ولذلك حدث عنه عبد الله بن وهب المصري بأحاديث منكورة ، لا تشبه أحاديثه وهذا لأنه كان يختلف إلى مصر متجراً ، فكان يأخذ عنه ابن وهب من حفظه

لأمن كتابه ، فكان يفلط ، وكان يقع في حديثه الوهم والضعف . . . وهذه الرواية التي رواها الطبراني هي من حديث عبد الله بن وهب عنه ، فهي من قسم أحاديثه التي يهم فيها والتي فيها هذه العلة الخفية ، والتي هي من قسم الضعيف . وقد قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : « شبيب بن سعيد الجبلي البصري ، صدوق يفرّب . ذكره ابن عدي في كامله فقال له نسخة عن يونس بن يزيد مستقيمة . حدث عنه ابن وهب بمناكير . قال ابن المديني : شبيب بن سعيد ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر ، وكتابه صحيح ، وقد كتبه عنه ابنه أحمد ، وقد روى ابن وهب عنه . . . قال ابن عدي : شبيب لعله يفلط ويهم إذا حدث من حفظه ، وأرجو أنه لا يعتمد . فإذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكانه شبيب آخر ، يعني بجود » انتهى كلام الذهبي في الميزان . وقال الحافظ المستلاني « في تهذيب التهذيب » في ترجمة شبيب : « قال ابن المديني : ثقة ، كان يختلف في تجارة إلى مصر ، وكتابه كتاب صحيح . وقال أبو زرعة : لأبس به . وقال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس بن يزيد ، وهو صالح الحديث لا بأس به . وقال النسائي : لا بأس به . وقال ابن عدي : لشبيب نسخة الزهري عنده عن يونس عن الزهري . أحاديثه مستقيمة . وحدث عنه ابن وهب بأحاديث منكورة . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال الدارقطني : ثقة . ونقل ابن خلفون توثيقه عن الذهلي . ولما ذكره ابن عدي وقال الكلام المتقدم فيه قال بعده : ولعل شبيباً لما قدم مصر في تجارته كتب عنه ابن وهب من حفظه ففلط وهم ، وأرجو ألا يعتمد الكذب . وإذا حدث عنه ابنه أحمد فكانه شبيب آخر . وقال الطبراني في الأوسط . ثقة . . . » انتهى كلام تهذيب التهذيب

من علل هذه الرواية
شبيب هذا فيه كلام إذا حدث من حفظه - ولا سيما إذا كان الراوي عنه عبد الله بن وهب - فانه حيلثه يكون مشكوكاً في حديثه . وهذه الرواية التي معنا من

حديث عبد الله بن وهب عنه ، فهي رواية يخشى أن تكون منكورة باطلة ، وأن تكون مما غلط وروم فيه . لكن قد يدفع هذا التوهين بأن يقال : إن البيهقي روى هذه الرواية من غير طريق ابن وهب ، رواها من حديث إسماعيل بن شبيب عن أبيه شبيب هذا عن روح بن القاسم عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف عن عثمان بن حنيف . قال البيهقي : ورواها أحمد بن شبيب عن أبيه شبيب أيضاً ولكن يقال : إن الثخين أثبتوا على شبيب وعلى حديثه إنما أثبتوا عليه إذا حدث من كتابه فقط . أما إذا حدث من حفظه فقد بهم ويغلط سواء أكان الراوى عنه ابن وهب أم كان غيره . ولهذا قلنا : إذا حدث عنه ابنه أحمد بأحاديث يونس فكانه شبيب آخر . وقال أبو حاتم : كان عنده كتب يونس ، فهو ثقة ضابط عن يونس لأنه إذا حدث عنه حدث من كتابه . وقال ابن المديني : إن كتابه صحيح . وقال ابن هدى : له يونس نسخة مستقيمة . فشبيب عندهم ثقة إذا حدث عنه ابنه أحمد عن يونس . أما إذا لم يحدث عن يونس وحدث عنه ابن وهب فهو بهم ويغلط . . وهو في هذه الرواية لم يحدث عن يونس وقد رواها عنه الطبراني من طريق ابن وهب فهي معلولة . ورواها البيهقي من حديث ابنه أحمد عنه عن غير يونس فهي عرضة لما ذكرناه من الوم والغلط . وقد قال الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري في جملة الرجال الذين قدس فيهم من رواة البخاري : « شبيب بن سعيد الجبلي أبو سعيد البصري ، وثقه ابن المديني وأبوزرعة وأبو حاتم والنسائي والدارقطني والأدهلي . وقال ابن عدي : عنده نسخة عن يونس عن الزهري مستقيمة . وروى عنه ابن وهب أحاديث مناكير . فكانه لما قدم مصر حدث من حفظه فغلط ، وإذا حدث عنه ابنه أحمد فكانه شبيب آخر لأنه يجوز عنه . قلت : أخرج البخاري من رواية ابنه عنه عن يونس أحاديث ولم يخرج من روايته عن غير يونس ولا من

رواية ابن وهب عنه شيئاً . وروى له النسائي وأبو داود في كتاب الناسخ
المسوخ ، انتهى كلام ابن حجر من مقدمة فتح الباري . فالبخاري إذن لم
يرو له عن غير يونس شيئاً ، ولم يرو له عن ابن وهب شيئاً أيضاً . على أن بعض
الناس كأبي الفتح الأزدي ، قد ضعفوا أحمد بن شبيب عن أبيه . فالرواية عند
هؤلاء بهذا الإسناد ضعيفة . ولكننا نحن لا نرضى إلا المدلل والأصاف ، ونكره
الجرور والاعتساف ، فأحمد بن شبيب هذا ثقة ثبت ولا شك . ولم يوافق
القادحين فيه السواد الأعظم من نقاد الحديث ، فوثوقه وقبلوه ، ومحموا حديثه .
ونحن لا نقبل الشنوذ والتطرف غير المنصف ، فأحمد عندنا ثقة ثبت ، وإن كان من
مصلحة بحثنا أن يكون ضعيفاً ، ولكن كلا ، فإنه لا مصلحة لنا غير الحق وغير
التماسه أين كان . وإن كان المتشددون المتطرفون الذين يقسمون الجرح على التعديل
مطلقاً لا يقبلون مثل هذه الرواية . ولكن هذا المنهج في رأينا منهج مسرف
شديد ، يقضي برد أحاديث كثيرة صحيحة قبلها المسلمون وقبلها نقاد الحديث
ونقاد الرواة .

هذا الحديث
ضعيف

لحديث شبيب هذا - إذا علم هذا الكلام فيه وضم إليه الكلام في أبي
جعفر المتقدم المتفرد به في جميع الطرق للحديث - حديث ضعيف ذاهب ، وعند
المتساهلين حديث لا يرتفع إلى درجة الصحيح الذي تبنى عليه الأحكام أو
تعرف به عقائد الإسلام . وأعلى ما يمكن أن يعطى من التكريز والتجويد ومن
إحسان الظن والتساهل أن يقال : إنه حديث حسن ، والحديث الحسن لا يجوز
أن تبنى عليه أحكام الدين ، ولا سيما إذا كان معناه شاذاً غريباً كهذا الحديث ،
ولا سيما إذا لم يكن له نظير في الإسلام ، بل ولا سيما إذا علم أنه لم يروه من الصحابة
غير هذين بن حنيف وهو في هذا المعنى الذي تشتتاه النفوس المسلمة ، ويطيب
لها التسميت عنه . وبطلان فيه معجزة من معجزات الإسلام ، كرامة من كرامات

النبي عليه الصلاة والسلام . كل هذا يوهن الرواية ويوهيها ، ويزيد في إيهانها وتوهينها أفراد أبي جعفر هذا بها عن عمارة بن خزيمة بن ثابت وعن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف دون غيره من الرواة المكثرين من الحديث والتحديث ، الحفاظ لأشئنا الأحاديث في أشئنا العلوم النبوية الإسلامية .

ويزيد في ضعفها وقد يزيد في إيهاء الرواية ووهنها إعراض أهل السنن عنها مع روايتهم لأصلها . فان الترمذى وابن ماجه والنسائى والامام أحمد ورووا حديث الأعمى كما تقدم دون هذه الزيادة ودون هذه القصة ، قصة ذلك الرجل مع عثمان بن عفان وإعراض عثمان عنه وشكايته إلى عثمان بن حنيف . . . واقصار هؤلاء المحدثين عن تخريج هذه القصة مع أنهم قد خرجوا أصلها وخرجوا الحديث دونها إما أن يكون راجعاً إلى أنهم لم يطلعوا عليها ولم يعرفوها ، أو يكون راجعاً إلى أنها باطلة واهية عندهم ، أو يكون راجعاً إلى رغبتهم عنها مع علمهم بها وعلمهم بصحتها وثبوتها . أما القول بأنهم لم يطلعوا عليها ولم يعلوها فبعيد كل البعد ، لأن الرواية من أصل الحديث الذى علموه وخرجوه ، ولأن مثل هذه القصة جديرة بالانظار والاشتهار . مع أننا لا ندري لماذا يحدث من روى الحديث عنهم أصحاب السنن بأصل الحديث دون هذه القصة فيه . ونحن لا نستطيع أن نعزو هذا إلى اللسيان ، لأن مثل هذه القصة لا يمكن أن ينساها من حفظ أصل الحديث إذ هي جديرة بالحفظ ووعى الذكرة البليدة فضلاً عن الذكرة الأليمة . وأما القول بأنهم لم يخرجوها لأنها عندهم غير صحيحة فقول قد يكون قريباً مقبولا . أما معارضة هذا القول بأن أصحاب السنن ، مثل الترمذى وابن ماجه والنسائى ، يروون الأحاديث الضعيفة الباطلة الهالكة ، فمعارضة لا يجب أن تكون صحيحة . وذلك أنها لا نشك في أنهم - وإن كانوا يخرجون الضعيف والباطل التالف - قد يدعون الحديث لأنه ضعيف ، ويرغبون عن تخريجه لأنه غير صحيح . فهذا لا يمنع هذا . وأما القول بأنهم رغبوا عنها زهداً

فيها مع علمهم بها وعلمهم بصحتها قول لا نعرف له وجهه ولا حكمة ما دينا نقول :
إن هؤلاء المحدثين يدينون بالحكمة ، ويخضعون للصواب ، ويسلكون في علمهم
المجادة المسلوكة . ولا مندوحة عن هذا القول .

وزيد ذلك

وقد يزيد أيضا في اتهام هذه القصة واساءة الظن بها اشتغالها على ما يمس
دين الخليفة الرضى المرضى عثمان بن عفان ، وما يمس ما عرف عنه من لين ورفق
وحياء ودين وصلاح وورع . هذه الخلائق العثمانية التي لا تترك لصاحبها أن
يمرض عن صاحب حاجة حقة وعن طالب عرف وعثمان بن عفان رضى
الله عنه كان من أرفق الناس وأبرهم بالناس ، ومن أقربهم إلى حاجات المحتاجين
ورغبات الراغبين وكان هينا لنا حيا ، تطرف عيناه من رؤية العنف
والقسوة والظلم ، ويندى جبينه من مثل هذا الموقف هكذا كله يبعد جدا أن
يعرض عن ذلك الطالب ذلك الإعراض الذى حمل على الشكوى إلى آحاد
النصحاء كعثمان بن حنيفة . رضى الله عن الجميع . هذا قد يقال : وإن كان
ليس عمدة عندنا ولا ظاهراً في إضعاف الرواية وردّها ، وإنما هو قول
من الأقوال .

وزيد ذلك
الرواية أيضا

ومما يهيج الريب في القصة أنه لم يرو بأسناد صحيح مقبول أن أحد أصحاب
النبي عليه الصلاة والسلام فعل مثل ذلك . فاجاء أن واحداً منهم توجه بالنبي
إلى ربه وسأل أو توجه به بعد موته . وقد كانوا رضى الله عنهم يعمرون بأزمان
وأزمات كانت تفرهم باللجوء إلى هذا السبب ، وإلى هذه الحيلة وهذه الوسيلة ،
بل كانوا لا ينفكون بمد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى يتقلبون
في أمور وشئون تحمل على التمسك بأسباب النجاة كلها بكلتا اليدين . وقد مروا
جميعاً بتلك الأرزاء والآفات ، وسبحوا في اثباتها الرجاء الخفيفة رضى الله
عنهم ، وعبروها على قوارب من الايمان بالله والاعتصام إليه وحده فبا

سألوه بجاه مظلوق ولا توسلوا إليه بأحد ، ولا توجهوا بغير إيمانهم وقلوبهم إلى خالقهم وصانعهم ، ولا فلقوا بسبب غير سبب العبودية الصادقة ، ولا طلبوا نجاتهم وسعادتهم في غير الا تقطع إلى الله وحده لا شريك له . ولا شك أنهم لو فعلوا شيئاً من هذا لنقل إلينا عنهم كما نقل ما أصابهم من خلاف وفرقة ، وما لاقوه من كرب وبلاء ، وما ذاقوه من شدائد ومكائد ، وكما نقل عنهم غيره من أعمالهم وأفعالهم وما يتصل بهم . بل لقد جاء عنهم ما يدل على بطلان ذلك وكذبه ، وخلافه لما علموه وعملوه وأجمعوا عليه من الاسلام والدين . فقد جاء عنهم أنهم كانوا يزورون قبر النبي وقبري الشيخين ، فيسلمون وينصرفون ولا يزيدون شيئاً . وجاء عنهم ما هو أصرح وأوضح من ذلك فجاء أنهم كانوا إذا أصيبوا بالجذب والقحط طلبوا الفيت بداء الأحياء الصالحين . وما كانوا يرجعون إلى النبي ولا إلى سواه من الأموات . . . فكانوا يستسقون بالعباس بن عبد المطلب ويزيد ابن الأسود الجرشي التابعي . وما قال أحد من هؤلاء ولا هؤلاء : كيف تستسقون بالعباس ويزيد وعندكم رسول الله ؟ ولا ذهب أحد منهم إلى قبره ﷺ فاستسقى وطلب الشفاعة والدعاء سوى ما جاء في حديث مالك الدار ، خازن عمر بن الخطاب . ولكن لم يصح في هذا أن الذهاب إلى القبر من الصحابة . والرواية التي فيها أن الذهاب هو بلال بن الحارث الصحابي رواية باطلة ضعيفة . فأصحاب النبي - وهم لا يعلم عددهم حقيقة لا الله - قد أعرضوا جميعاً عن الرجوع إلى القبر النبوي وإلى غيره من القبور .

والمسألة ليست مسألة روايات غريبة شاذة مجبولة ، وإنما هي مسألة الاسلام جملة ، ومسألة الدين والمقيدة والاجماع . وعقائد الاسلام ليست أدبيات ولا نصوص ولا فتاوى تؤخذ بأمثال هذه الروايات الشاذة الباطلة . ولكن الاسلام حين المسلمين الأولين قد تلقى بالتواتر والاجماع . وهؤلاء المسلمون لم ينجحوا عن أحد

المسألة ليست
مسألة روايات
عالة غريبة

منهم من يند مقبول محترم أنه فعل شيئاً من ذلك سوى ما في هذه الرواية . فما أشدها وأبطلها وأكثرها خلافاً على الاسلام والمسلمين !
إننا لو اختلفنا في مسألة لغوية أو نحوية أو صرفية فأدلى أحدها برواية مثل هذه الرواية الشاذة المفردة معزاً بها أحد الأقوال ، ولم يأت بسواها من الدلائل عن أهل اللسان ولا عن قولهم الحجة الفاصلة في هذا الشأن والموضوع ، بل جاء عنهم كلهم هجران ما في هذه الرواية وهجران ما تدل عليه من الرأي - : نعم لو جاء أحد برواية مثل هذه الرواية كي يثبت بها قاعدة من قواعد اللسان مفردة شاذة كهذا لما قبلت ولما صح الاحتجاج بها والبناء عليها ألبتة . فكيف مسائل الدين ومسائل الاعتقادات ؟ ؟ إن الاسلام ، عقائده وأعماله وأحكامه ، منقول بالتواتر والاجماع المتصلة ، لا بأمثال هذه الأباطيل والأكاذيب ، لأن الدين أعز وأغلى من أن يؤخذ بالروايات الشاذة أو الغريبة أو المنكرة أو الباطلة . وإنما هو حق لا يؤخذ إلا بالحق ، وإنما هو دين الله ، ودين الله لا يؤخذ من الواهي الواهن ، وإنما هو قوي ، والقوى لا يشاد إلا على قوى مثله . هذا ما يقال في هذه الرواية من جهة الاسناد .

ما يقال في معنى الرواية اذا صححت

أما ما يقال فيها من جهة المعنى فنقول : إنها لا تمدد أن تكون اجتهاد صحابي ونحن لا نقول بمصحة كل اجتهاد يصدر من الصحابة كما تقول الشيعة في من يغفلون فيهم من آل البيت . والمعصوم عندنا هو رسول الله ، وكذا ما جاء عن الله ، وكذا إجماع الصحابة ، وكذا إجماع المسلمين . وكذلك سائر الأنبياء والمرسلين معصومون عندنا . أما أفراد الصحابة وأفراد المسلمين من بعدهم فليس أحد منهم بعينه معصوماً ، ولا مفروضاً على المسلمين اتباعه دون غيره ، ولا تقليده في كل ما يقول وما يجتهد فيه . ولهذا اختلفت الصحابة واختلفت من بعدهم من المسلمين في بعض فروع الدين وبعض أحكامه ومسائله . ولو كان كل

أحد منهم معصوماً لما اختلفوا ، ولما جازأت يختلفوا . ولو كان كل فرد منهم مفروضاً على المسلمين اتباعه وتقليده لوجب أن يتبع الأمر وضده ، وأن يقلد فلان في قوله : هذا حلال ، وأن يقلد فلان الآخر في قوله : هذا حرام . إذن فليس أحد من المسلمين معصوماً خلا رسول الله . أما من بعده فإن أبا بكر الصديق أفضل الأمة الحمديّة - بله من دونه من المسلمين - ليس معصوماً . ولهذا يقول الله في كتابه خطاباً للصحابيّة ولن بعدهم وللناس جميعاً : « فان تنازعتم في شئ » فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر . ذلك خير وأحسن تأويلاً . والآيات في هذا المعنى - في الأمر بالرد إلى الكتاب والسنة عند النزاع والخلاف - كثيرة معلومة ، غنى المقام عن إيرادها . ولهذا تنازع الصحابة ، وخالف بعضهم بعضاً ورد فريق منهم على فريق . وقد خالف الأئمة الأربعة . ومن بعدهم ومن قبلهم من مشايخ الإسلام بعض الصحابة في مسائل من أقوالهم وآرائهم ، بل خالفوا الخلفاء الراشدين في بعض ذلك ، وهم سادة الأمة وصفوتها . لأنه قد تبين لهم من السنة والدين ما لا يصح خلافه ولا تركه . فما وجنوا عن اتباع السنة محيصاً ولا مفراً ، ولا عن حكم الله منهدبا .

فهذا الذي ذهب إليه عثمان بن حنيف من تعليمه الرجل المحتاج إلى عثمان ابن عفان أن يدعو ذلك الدماء ويسأل بالنبي عليه السلام اجتهد اجتهد ، لم يلين عليه الحديث الذي رواه . فهو اجتهد تسوغ مخالفته ومنازعته ، ولينز علينا قبوله ولا العمل به ، لأن الحجة في رواية الصحابي لا في رأيه واجتهاده . ولهذا فظائر كثيرة من اجتهادات الصحابة - رضوان الله عليهم . وقد قدمنا أن عمر بن الخطاب قد أبى تيمم الجنب إذا لم يجد الماء ، فلما حدثه عمار بمحدث التيمم ارتاب فيه . وتقدم أنه كان ينهب إلى أن المطلقة بالثلاث لها السكوت والنفقة ، وقد رد رواية فاطمة بنت قيس وقولها : إن النبي عليه السلام لم يجعل

اختلاف الصحابة
مؤخلاً لهم في
اجتهادهم

قد تقدم من اجتهاد
الصحابة

لها سكرى ولا نفقة وقد طلقت ألبتة . وقد قال في رده ذلك : لها السكنى والنفقة . لا نترك كتاب الله وسنة نبيه لقول امرأة لا ندري حفظت أم نسيت . وقد احتج بقوله تعالى . « لا تخرجوهن من بيوتهن ، ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة . وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه . لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » . مع أن الآية في الحقيقة تعنى باللاتى لا يخرجن ولا يُخرجن غير المبتوات ، أى تعنى المطلقات طلاقاً رجعياً . لأن الآية تقول في تعليل النهى عن إخراجهن وخروجهن : « لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » . ويعنى بالأمر الذى يرجى حدوثه هو رغبة الرجل فى المراجعة . والمطلقة ثلاثاً لا ترجى مراجعتها كما قالت فاطمة بنت قيس : « وأى أمر يحدث بعد الثلاث ؟ » . وقالت « بينى وبينكم كتاب الله » . وقد تقدم أيضاً أن أم المؤمنين عائشة كانت تذهب هذا المذهب — أى مذهب عمر — فى المطلقة ثلاثاً . وقد قالت لما حدثت حديث فاطمة بنت قيس : « لا خير لها فى ذكر ذلك » . وتقدم أنها كانت تنكر روايتهم أنه ﷺ وقف على قتلى بدر من المشركين وناداهم بأسمائهم وأسماء آباؤهم قائلاً لهم : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ لقد وجدت ما وعدنى ربي حقاً » الحديث . وتقدم أنها كانت تنكر روايتهم عن النبي عليه السلام « أن الميت يئسب يبكاء الحى عليه » . ومثل هذا أن أباهريرة كان يفصل يديه ويبالغ حتى يفصل عضديه مستدلاً بما رواه عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إنكم تأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء » ، قال أبوهريرة : فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل . وقد صح أن عثمان بن عفان كان يتم الصلاة فى السفر ، وقد خالفه الصحابة وخالفه الخليفةان قبله . وصح عن على بن أبي طالب أنه ذهب إلى أن المتوفى عنها زوجها تمتد بأبعد الأجلين إذا كانت حبلى مع أن السنة أن الحبلى تنقضى عدتها بوضعها ، والله يقول فى الكتاب :

« وأولات الأجمال أجلهن أن يضعن حملهن » . وقد قام خلاف بعد موت النبي عليه السلام وارتداد بعض العرب ومنع بعضهم الزكاة . فكان من اجتهاد عمر ابن الخطاب وآخرين معه من الصحابة ألا يقاتلوا ماداموا يشهدون فلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وكان رأى الصديق العظيم أن يقاتلوا على ذلك حتى يؤدوها . وقد قال في هذا الخلاف كلمته القوية الرائعة المشهورة : والله لو منوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه . فرجع عمر والجميع إلى رأى الصديق الأكبر . وقال الفاروق : فما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فمرفت أنه الحق . وقد كان جماعة من الصحابة يرون حل متعة النساء ، ولم ييلنهم التحريم حتى نهام عمر بن الخطاب في خلافته عنها . وكذا اختلفوا في مسائل أخرى من مسائل الدين . وقد كان الصواب والحق في جانب أحد الفريقين المختلفين . وكانوا رضوان الله عنهم لا يتمهلون عن الرجوع إلى الحق والأخذ به إذا انكشف لهم .

وما قال أحد من أهل العلم : إن كل رأى يراه أحد الصحابة يكون حجة شرعية وبرهاناً من الله على خلقه . وإنما أجمع أهل الاسلام على أن الحجة في كتاب الله وفي سنة رسول الله ، وفي إجماع المسلمين . لأن الاجماع يدل على أن الله نصاً وأمرآ في الكتاب أو السنة ، لأن الله لم يكن ليجمع المسلمين كلمهم على الضلالة والجهالة .

وقد كان بعض الصحابة يجتهد في حياة النبي اجتهاداً يردّه النبي عليه عليه الصلاة والسلام مثل ما جاء أن معاذ بن جبل سجد للنبي ، فأنكر عليه ذلك . وقال : « لو كنت امرأةً أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها » . رواه الامام أحمد وابن ماجه . وجاء أن الصحابة كانوا في غزوة مع رسول الله فمروا على قوم من المشركين يعكفون على شجرة ينوطون

من اجتهادات
الصحابة في حياة
رسول الله

بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط . فقالوا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط
كما لهم ذات أنواط . فقال ﷺ : « الله أكبر ! إنها السنن ! قلم والذي نفسى
بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة » . رواه أحمد
والترمذى ومصححه . وجاء أنهم حاولوا القيام له عليه السلام فأنكر عليهم ذلك
وقال : « لا تفعلوا فعل فارس والروم » . وقال له رجل مرة : ما شاء الله وشئت ،
فقال : « أجعلتنى لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده » . رواه النسائى . وصح أنه عليه
السلام مع عمر بن الخطاب يحلف بأبيه فأنكر ذلك عليه وقال : « إن الله ينهاكم
أن تحلفوا بأبائكم . ومن كان منكم حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . رواه
البخارى ومسلم . وصح أنهم كانوا يسألونه : متى الساعة ! — يحسبونه يعلم أوان
قيامها — فيرد عليهم بأن علمها إلى الله وحده . وقد جاء فى حديث رواه الطبرانى
باسناد فيه ضعف أن منافقاً كان يؤذى المؤمنين فقال بعضهم لبعض : قوموا بنا
نستغيث برسول الله من هذا المنافق ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إنه
لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » . وجاء غير ذلك من اجتهادات الصحابة
ورد النهى عليهم ما اجتهدوا .

ومن هذا النوع اجتهاد عثمان بن حنيف فى تعليمه الرجل أن يدعو الدعاء
المذكور إن صح سند الرواية . وهذا الذى ذهب إليه ابن حنيف ليس هو مثل ما
ذهب إليه هؤلاء المخالفون الداعون للأهواء ، لما كفون على قبورهم يدعونهم
الليل والنهار فى السراء والضراء . وإنما ذهب عثمان بن حنيف — على تقدير صحة
الرواية — إلى معنى آخر غير ما ذهبوا إليه . ذلك أنه ظن هذا الدعاء الذى علمه الرجل
دعاء يقال عند طلب الحاجات من الله ، لا لإسماع الرسول عليه السلام ، ولالدعائه
وطلب الشفاعة منه . بل ظن أنه سؤال وتوجه إلى الله ، لا على معنى أنه يسمع
ويدعو ، بل على معنى أن سؤاله به من أسباب الاجابة والقبول والرضا . ولهذا

مخرج لما ذهب
إليه عثمان بن
حنيف فى هذه
الرواية

علمه أن يقول : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة » . مع أنه يعلم أن النبي لم يدع له ولم يعلم من أمره شيئاً . وإذا كان النبي لم يدع لذلك الداعي الطالب ، ولم يعلم من أمره شيئاً لم يكن لقوله : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد » معنى إلا أن يكون المقصد دعاء الله به لا دعاءه هو ولا طلبه . ومن البرهان على صدق هذا أنه لم يأمره أن يأتي القبر النبوي ولا أن يقف حوله ، بل أمره أن يتوضأ وأن يصلي في المسجد ، لا عند القبر النبوي ولا قريباً منه ، لأنه لم يكن الغرض إسماعه ولا خطابه ودعاه ، وإنما كان الغرض دعاء الله به . ولو كان عثمان بن حنيف يريد من الرجل أن يخاطب النبي وأن يسمعه خطابه ، وأن يسأله الشفاعة لأمره أن يأتي القبر وأن يدنو منه ليسمعه ، كما أن الأعمى لما أراد من النبي أن يدعو له الله وأن يطلب منه الشفاعة ذهب إليه وأباه ، ولم يخاطبه أو يطلب ذلك منه بعيداً . وهذا لا يخطر على بال أحد من الصعابة ولا بال أحد ممن قهقروا الاسلام .

ومن المحال أن يقال : إن عثمان بن حنيف كان يحسب وكان يرى أن النبي عليه السلام يسمع المخاطب له ، الطالب منه الشفاعة من كل مكان وفي كل مكان . ولا شك أنه قد ظن أن الخطاب في قوله : « يا محمد إني توجهت بك إلى ربي » مثل الخطاب في قول المتشهد : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . ومثل الخطاب في قول زائر المقابر : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين » ، ومثل الخطاب في قول نبي الله صالح لقومه بعد أن أهلكهم الله : « وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تمحبون الناصحين » ، وفي قول نبي الله شعيب لقومه الهالكين : « وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فكيف آسى على قوم كافرين ؟ » ومثل أمثال ذلك . وعثمان بن حنيف من العرب الذين يعرفون فنون الكلام

ومن المحال أن
يظن عثمان بن
حنيف أن
الرسول يسمع
مخاطبه أين كان

ومذاهب القول ، ويعرفون أن من الخطاب مالا يراد به إسماع الخطاب ولا دعاؤه حقيقة. ويعرفون أن من لا يسمع لبعده ، أو لأنه لا يصلح للسمع أبداً ، قد ينادى ويوجه إليه الخطاب كأنه سامع حاضر لأمر من الأمور وغرض من أغراض البيان التي لا تخفى على أهل اللسان. فهذا الذي ذهب إليه عثمان بن حنيف بعيد جداً عما ذهب إليه المخالفون من سؤالهم للأموات ودعائهم لإياهم ليشفعوا لهم ويدعوا الله من أجلهم.

ومن البرهان
القاطع على
ما ذهب إليه

ومن البرهان القاطع على أن ما ذهب إليه ابن حنيف ليس هو هذا أمره الرجل أن يدعو بالدعاء الذي علمه الرسول الرجل الأعمى بالنص والصيغة ، ولم يأمره أن يدعو الله ويتوجه إليه بالنبي بصيغة أخرى ، ودعاء آخر. فكأنه ظن أن الدعاء المذكور مما يجيب الله عليه ومما يقبله من عبده بنصه ولفظه ، لا لأن فيه خطاباً للنبي عليه السلام بل لأنه خطاب لله . ولو كان عثمان قد فهم من الحديث جواز السؤال بالنبي وجواز خطابه وطلب الشفاعة منه حياً وميتاً لما كان هنالك ضرورة إلى المحافظة على صيغة دعاء الأعمى ، لأن الأعمى قد أمر بالدعاء بعد أن طلبه من النبي وبعد أن أجابه إلى طلبه فدعا له فعلاً . فمحافظة عثمان على صيغة الدعاء الذي علمه الأعمى يدل دلالة ظاهرة جلية على أنه قد ظنه بنصه ولفظه دعاء يجيب الله عليه ويعطى سائله به ما سأل ، ولولا ذلك الظن لأمره أن يسأل الله وأن يتوجه بنبيه إليه بصيغة أخرى تناسب حال من لم يدع له النبي عليه الصلاة والسلام . فان قوله هنا : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة » إما أن يريد به التوجه إلى الله بدعاء النبي وشفاعته ، أو يريد به شيئاً غير هذا . فان كان يريد به السؤال والتوسل بدعائه وشفاعته عليه الصلاة والسلام قيل : ولكن النبي لم يدع له ولم يشفع ، بل ولم يعلم من أمره شيئاً ، فكيف يتوجه إلى ربه بدعاء من لم يدع له ؟ فان ظن أنه بطلبه الدعاء والشفاعة منه يدعو ويشفع

له يقيناً ، قيل إن هذا ليس بلازم ، فليس كل من طلب الدعاء من النبي عليه السلام ينال دعاءه لو كان حياً فكيف وهو ميت ؟ وفي الحديث الصحيح المشهورة : « سبقت بها عكاشة » . وهذا لا نزاع فيه . وقيل أيضاً : إن عثمان بن حنيف أمر الرجل أن يقول : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد » قبل أن يأمره : بطلب الدعاء والشفاعة منه ، ففعل ذلك الرجل ما أمره به قبل أن يطلب من النبي الشفاعة والدعاء .

فإن قيل إن التوجه لم يكن بالدعاء والشفاعة قيل هذا حق ، وهذا يدل على أن عثمان لا يريد بما علمه الرجل أن يستشفع بالنبي وأن يخاطبه وأن يطلب منه دعاءه وشفاعته . فلا شك أن الأمر لو كان أمر استشفاع لأمر الرجل أن يطلب من النبي الشفاعة وأن يطلبه أن يدعو الله من أجله ، ثم لأمره أن يطلب من الله أن يقضى له شفاعة نبيه وأن يشفعه فيه ، لأن ينهب ابتداء فيأمره أن يقول : يا الله « إني أتوجه إليك بدعاء نبيك » . ولو أن أحد المسلمين في حياة رسول الله قال قبل أن يطلب منه أن يشفع ويدعو له : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بدعاء نبيك وشفاعته » لكان غلطاً مخطئاً . ولا ريب أن أخط منه من قال بعد موته عليه السلام : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بدعاء نبيك » قبل أن يدعو له وقبل أن يطلب منه الدعاء — لو كان جائزاً طلبه . فالذي ذهب إليه ابن حنيف وغير ما ذهب إليه دعاة الأموات ودعاة النبي عليه الصلاة والسلام ، هؤلاء العاكفون على الأجداث ، بلا شك ولا ريب .

ومن السجبان
يحتج الرافض
باجتهاد واحد
من الصحابة
هم يكفرونهم
على أن من المعجيب أن يحتج الرافض باجتهاد أحد الصحابة ، ويجعله برهاناً من البراهين وحجة من الحجج الشرعية ، وهو وطائفته الامامية ، الاثنا عشرية يكفرون جماهير الصحابة ، ويكفرون الخلفاء الراشدين الثلاثة منهم ، ويدعونهم المنافقين والمرتدين والمارقين ، بل عندهم أن موافقة القول والمنهج لما ذهب إليه

الصحابة والمسلمون الذين ليسوا شيعة من الدلائل على بطلانه وفساده وازوراره
عن الحق والهدى ! فاذا كان هنالك منهجان وقولان ورأيان في مسألة من المسائل
نظروا إلى القول والرأى والمذهب الذى ذهب اليه المسلمون فتركوه ، ثم اعتقدوا
لزوماً ووجوباً أنهم ماتركوا إلا الباطل والضلال والجهل والغباء ، وأنهم ما أخذوا
إلا بالحق الناصع المكشوف والبرهان الظاهر . لأنهم يمتقدون أن الحق أبداً
ودائماً يكون في خلاف ما ذهب إليه المسلمون وفي خلاف ما هدوا إليه ، إذ هم
لا يمتدون أبداً إلا إلى الباطل والضلال والزيف والفساد . . . فخالفوا المسلمين من
مقاصد الشيعة ، الامامية ، الاثنا عشرية . . . ومؤلفو الطائفة لا يمتييون أن يكتبوا
هذا البلاء ، وأن ينشروه على الناس بلا أدب ولا حياء . وقد قال أحد شيوخهم
وهو الشيخ مرتضى الأنصارى التستري في كتاب « فرائد الأصول » صفحة
٣٢٥ وما بعدها : « . . . روى المشايخ الثلاثة بإسنادهم عن عمر بن حفظة قال سألت
أبا عبد الله عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث
فنحكما إلى السلطان أو إلى القضاة ، أيحل ذلك ؟ قال : من تحاكم إليهم في حق أو
باطل فانما يتحاكم إلى الطاغوت . وما يحكم به له فانما يأخذه سحتاً وإن كان حقه .
ثابتاً ، لأنه أخذه بحكم الطاغوت ، وإنما أمر الله أن يكفر به قال الله : « يريدون
أن يتعجكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » . إلى أن قال - قلت : فان
كان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟ قال ينظر ما وافق حكمه حكم
الكتاب والسنة وخالف العامة - والعامة في كلام الشيعة هم أهل السنة - فيؤخذ
به ويترك ما خالف الكتاب والسنة ووافق العامة . قلت : أرايت إن كان
الفقهاء عرفاً حكماً من الكتاب والسنة فوجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامة .
والآخر مخالفاً فبأى الخبرين يؤخذ ؟ قال : ما خالف العامة ، ففيه الرشاد . قلت :
فإن وافقهم الخبران جميعاً ؟ قال : ينظر إلى مأم إليه أميل : حكمهم وقضاتهم -

فيترك ويؤخذ بالآخر . قلت : فان وافق حكامهم انخيرين جميعاً ؟ قال : إذا كان ذلك فأرجه حتى تلقى إمامك . فان الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات . . . » .

ثم قال : « روى ابن أبي جمهور الاحسائي في « عوالي اللآلي » مرفوعاً إلى زرارَةَ قال سألت أبا جعفر فقلت له : يأتي عنكم الخبران والحديثان المتعارضان ، فبأيهما آخذ ؟ قال : يا زرارَةَ خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر . إلى أن قال - فقال : انظر ما وافق منهما العامة فتركه وخذ بما خالف ، فان الحق في ما خالفهم » .

اخبار الشيعة في وجوب مخالفة المسلمين واسباب وجوب هذه المخالفة عندهم

ثم قال : « وعن رسالة القطب الراوندي باسناد صحيح عن الصادق : إذا أورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله . فما وافق فخذوه ، وما خالف فذرّوه . فان لم تجدوه في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامة . فما وافق أخبارهم فذرّوه ، وما خالف أخبارهم فخذوه » .

ثم قال : « وروى أيضاً بسنده قال قال أبو عبد الله : إذا ورد عليكم خبران مختلفان فخذوا ما خالف القوم » .

ثم روى بعد هذا أخباراً كثيرة كلها توجب الأخذ بما خالف أهل السنة والجماعة ، وكلها تحدث أن الحق لا يكون معهم أبداً ، وأن الباطل لا يفارقهم أبداً . ثم قال الشيخ مرتضى الأنصاري في الكتاب الآنف الذكر صفحة ٣٤٤ « قال في العدة : إذا كان رواية الخبرين متساوين في المدد عمل بإمدهما من قول العامة ، وترك العمل بما يوافقهم » . قال : « أقول : وتوضيح المرام في هذا المقام أن ترجيح أحد الخبرين بمخالفة العامة يمكن أن يكون بوجوه : أحدها مجرد التبدد كما هو ظاهر كثير من الأخبار . الثاني كون الرشاد في خلافهم كما صرح به في غير واحد من الأخبار المتقدمة ، ورواية علي بن أسباط قال قلت للرضا :

جواب

يحدث الأمر لا أجد بداً من معرفته ، وليس في البلد الذي أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك ! فقال أعط فقيه البلد واستفتته في أمرك ، فإذا أفتاك بشئ فخذ بخلافه فإن الحق فيه . وأصرح من ذلك كله خبر أبي إسحاق الأرجاني قال قال أبو عبد الله : أتدري لماذا أمرتم بالأخذ بخلاف ما يقول العامة ؟ فقلت : لأدري ، فقال إن عليا عليه السلام لم يكن يدين الله بشئ إلا خالف عليه العامة إرادة لا بطل أمره (؟) وكانوا يسألونه عن الشئ الذي لا يعلمونه فإذا أفتاهم بشئ جعلوا له ضداً من عندهم ليلبسوا على الناس . الثالث حسن مجرد المخالفة لهم . ومرجع هذا المرجح ليس الاقربية إلى الواقع . بل هو نظير ترجيح دليل الحرمة على الوجوب ودليل الحكم الأسهل على غيره . ويشهد لهذا الاحتمال بعض الروايات مثل قوله عليه السلام : إن من وافقنا خالف عدونا في قول أو عمل فليس منا ولا نحن منه . وهذه العبارة ظاهرة التحريف ولعل صوابها : ولم يخالف عدونا . ورواية الحسن بن خالد : شيعتنا المسلمون لا مرننا ، إلا أخذون بقولنا ، المخالفون لأعدائنا . لو من لم يكن كذلك فليس منا . فيكون حال اليهود الوارد فيهم قوله عليه الصلاة والسلام . « خالفوهم ما استطعتم » . الرابع الحكم بصدوره تقية . ويدل عليه قوله عليه السلام « ما سمعته مني يشبه قول الناس فقيه التقية ، وما سمعته مني لا يشبه قول الناس فلا تقيه فيه » . ثم روى عن أبي عبد الله أنه قال : « ما أنتم والله على شئ مما هم فيه ، ولا هم على شئ مما أنتم فيه ، فخالفوهم فانهم ليسوا من الخنيفية على شئ » . ثم ساق أخباراً في هذا المعنى .

كل ما يقول أئمة
الشيعة موافقاً
لما عليه المسلمون
فلا بد أن تكون
التقية دخلة

فمعد طائفة هذا الرجل أنه مطلوب منهم أبداً أن ينهبوا إلى خلاف مذهب إليه المسلمون ، وأن يعتقدوا ويقولوا خلاف ما اعتقدوا وقالوا ، لأن الرشد لا يوجد إلا في ما لم ينهبوا إليه ، ولأن الضلال لا بد أن يوجد في ما ذهبوا إليه ، ولأن أمرهم واعتقادهم أبداً على الباطل والضلال والغي ، ولأنهم أبداً ليسوا

على شئ من الخيفية التي هي ملة إبراهيم وملة محمد وملة جميع الأنبياء والمرسلين. والمؤمنين ، ولأنهم لا يمكن أن يكونوا على شئ مما عليه الشيعة الراشدة المهدية ولأن الشيعة المهدية الراشدة لا يمكن أن تكون على شئ مما عليه أهل السنة الضالون المارقون ، فالشيعة أبداً مطالب بأن يخالف أهل السنة وأن يخالف ما قالوا واعتقدوا ، ومطالب أبداً بأن يتعبد بمخالفتهم وبالذهاب خلاف ما ينهجون وخلاف الجهة التي يقصدون . والشيعة ، الامامية ، الاثنا عشرية ، مطالب أبداً بأن يخالف أهل السنة وجمهور المسلمين وعامة الصحابة وكبارهم وساداتهم كما يخالف اليهود - شرا الأمم وأبعد الشعوب عن قلوب الشعوب ، وعن احترامهم وموالاتهم . والشيعة مأمور أبداً بأن يعتقد ويؤمن بأن الأحسن له ديناً وعقيدة أن يباين المسلمين ، وألا يذهب إلى شئ ذهبوا إليه : فلا يذهب إلى شئ ذهب إليه أبو بكر وعمر وعثمان أو غيرهم من الصحابة والمسلمين ، ومأمور بأن يؤمن أبداً بأن الرشد والهدى والحق في خلاف ما ذهبوا إليه وما اعتقدوه وقالوه . ومطلوب منه في جميع حالاته بأن يؤمن بأن كل ما يأتي عن الأئمة المعصومين موافقاً لما عليه المسلمون فهم إنما قالوه وذهبوا إليه تقية لاعتقده ، لا لأن الحق فيه ، ولأن حكم الله يوافق : فكل ما عمله على بن أبي طالب أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين أو الصادق أو الباقر أو غيرهم من الأئمة المعصومين في زعمهم - : نعم كل ما عمله هؤلاء أو قالوه أو ذهبوا إليه نجاء موافقاً لما كان عليه أبو بكر أو عمر أو عثمان ، أو موافقاً لما كان عليه الموالون لهم ، فلا بد أن يكون صدوره عن الأئمة المعصومين تقية وخداعاً ونفاقاً ، ولا بد أن يكون حكم الله في خلافه . . . فإذا قال أبو بكر وعمر وعثمان أو غيرهم من الموالين لهم ، الآخذين بسيرتهم : إن الله واحد وإن محمداً رسول الله ، وإن الاسلام حق ، وإن مكة في الحجاز ، وإن الحجاز من بلاد العرب ، وإن المدينة هي البلدة التي هاجر إليها رسول الله وصحابته ، وإن

جسد رسول الله هنالك - : إذا قالوا ذلك فلا بد أن يعتقد الشيعة أنهم كاذبون ضالون جاهلون وأن يعتقد ويقول : إن الحق والرشاد في مخالفتهم في مقالاتهم هذه والذهاب خلاف مذهبوا فيها ، وإذا جاء عن علي ابن أبي طالب أو عن واحد من خريته المعصومين شيء من هذا الذي قاله العامة واعتقدوه فلا بد أن يكون تقية وأن يكون نفاقا : كل هذه مطلوب من الشيعة ، الامامي . ومطلوب منه أيضا أن يسأل علماء السنة وفقهاء الجمهور من المسلمين ، فإذا أفتوه فتوى وقالوا له قولاً وجب عليه أن ينحسب إلى خلاف فتوأم وقولهم . فإذا أفتوا بأن هذا حلال وجب أن يعتقد هو أنه حرام ، وإذا أفتوا بأنه حرام وجب عليه أن يعتقد أنه حلال ، وإذا أجابوا بأن الزنا جريمة وجب عليه أن يعتقد أنه ففسيلة ، وإذا قالوا إن الشرك والاثم والظلم والمعدوان جرائم وآثام وجب أن يعتقد أنها دين وقرب إلى الله ، وإذا قالوا إن الرسول صادق ، وإن الله صادق ، وإن القرآن كلام الله ، وإنه لم يزد فيه ولم ينقص منه ، ولم يحرف ، وجب عليه أن يعتقد خلاف ذلك كله ، وأن يقول هو : إن الرسول كاذب وإن الله كاذب ، وإن القرآن ليس كلام الله وإنه محرف منير بالزيادة والنقصان والترتيب والنظام : يقول الشيعة ، الامامي ذلك كله ليتحقق له مخالفة العامة وليصدق ما تقلوه عن الامام كل ذلك مطلوب من المعصوم : « ما أنتم والله على شيء مما هم فيه ، ولا هم على شيء مما أنتم فيه » وقوله : « وإن علياً لم يكن يدين الله بشيء إلا خالف عليه العامة » وقوله : « ما سمعته مني يشبه كلام الناس ففيه التقية ، وما سمعته مني لا يشبه كلام الناس فلا تقية فيه » وقوله أيضاً : « استفتت فقيه البلد فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه ، فإن الحق فيه » . هذا كله مطلوب من الشيعة الامامي . ومطلوب منه أيضاً أن يعتقد أن قضية المسلمين وحكامهم طواغيت كلهم ، لا فرق بين فلان وفلان ، وأن التحاكم إليهم وإلى محاكمهم من الطواغيت التي أمر المسلمون بالكفران بها

وأن من أخذ حقه الثابت المعلوم من طريقهم وطريق حكوماتهم وأحكامهم، وحكامهم فانما يأخذه سحتاً وحراماً، فلا يحل له أخذه ولا الانتفاع به . ولا ندري ماذا يقولون في من يأخذون حقوقهم ، أو يحاولون أخذها من طريق المحاكم الالحادية أو المحاكم الانجليزية والفرنسية من طائفتهم الشيعة ! يقولون إنهم يأخذونها سحتاً وحراماً باطلاً ، وإن الرجوع إلى تلك المحاكم للحصول على الحق المعلوم المقتضب من التحاكم إلى الطواغيت ، وإن كل ما يؤخذ من تلك المحاكم — وإن كان الحق الثابت الذي لا ريب فيه — يكون حراماً على آخذه وصاحبه ؟

فبعد هؤلاء الخنوليين الأبعدين أن رجلين من المسلمين لو ظلم أحدهما الآخر فذهب المظلوم إلى أبي بكر الصديق أو إلى عمر بن الخطاب أو إلى عثمان — فضلاً عن دونهم — قضى له بحقه المغلوب عليه ، وأخذ على يدي الظالم — عند هؤلاء الخنوليين الأبعدين أن هذا القضاء باطل ، وأن أخذ الحق المأخوذ من طريقه لا يحل ، وأن ذلك المتقاضى آثم ظالم متحاكم إلى طاغوت أمر أن يكفر ، وأن ذلك القاضي — أبا بكر أو عمر أو عثمان — طاغوت من الطواغيت التي نهى الله عن التقاضي إليها والرضا بها وبحكمها .

هذا كله من دين الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، الذين يحتجون في موضوع عبادة القبور والمكوف على الأحجار والأشجار باجتهاد محابي واحد . إننا لا نقول : كيف لا يتق الله هؤلاء القوم ، ولا كيف لا ينجلون ولا كيف يكتبون هذه الفضائح الاعتقادية : لا نقول شيئاً من هذا ، لأن الغاية التي يسعون إليها والأغراض التي يخدمونها تميز لهم هذه الوسيلة وهذه الوسيلة ! وإنما نقول : من العجيب أن تقول الشيعة هذه الأقاويل ، وتمتد هذه المقائد ، وتدونها في كتبها ثم يوجد في المسلمين المخلصين للإسلام من يفارون لهم ، ومن يتقربون

إليهم ، ومن يكرهون خلافهم وشقاقهم ، ويسعون للاتحاد بهم والتأليف بينهم وبين المسلمين . . . ومن المحال أن يتحدوا بالمسلمين أو يصادقوهم أو تهوى أفتنتهم نهمهم ، أو تعطفهم عليهم العواطف ، أو تصرفهم إلى ودم وموالاتهم الصوارف ، مادامت هذه الكتب كتبهم ، وهذه الأقوال أقوالهم ، وهذه المناهل مناهلهم . فانهم بهذا ، ولاريب ، أبعد عن المسلمين وعن ولائهم وعن صداقتهم وودم من أهل الملل الأخرى ، وأهل الأديان المحاربة أصولها لأصول الاسلام . فانه لا يوجد أهل دين - مهما باعد الاسلام وباينت أصوله أصوله - يعتقدون أن المفروض عليهم أولاً أن يخالفوا المسلمين وأن يعتقدوا أن مخالفتهم من أغراضهم وأغراض دينهم ، وأن يعتقدوا بطلان كل ما يذهبون إليه ، وكل ما يعتقدونه ، وأن يعرفوا الحق ويعرفوه أنه ما جانبه المسلمون ، والباطل بأنه ما ذهب إليه المسلمون ، وأن يقول رؤسائهم لدهمائمهم : إن كل ما فعله ونقوله مما يعتقدونه المسلمون ويفعلونه ويقولونه لا بد أن نكون إنما فعلناه وقلناه تقية ، لأننا لا يمكن أن نوافق المسلمين في أمر من الأمور ، ولا في عقيدة من العقائد ، ولا في قول من الأقوال . إن اليهود - وهم أعنف الناس خصومة وعداً للاسلام والمسلمين - لا يذهبون إلى ما ذهب إليه الشيعة المسلمة من الخاصة لأهل الاسلام ولأهل السنة خاصة . فأى رجاء رجاء التأليف بين الفريقين ؟

وعلى هذه المزايم التي نقلناها وذكرناها ورويناها من كتب القوم مروية عن الأئمة المصومين لديهم نسأل الرافضى المصنف سؤالاً محرّجاً معجزاً لا يرجى أن يجده جواباً ولا حلاً . هذا السؤال هو أن نقول : هذا الحديث - أعنى حديث الأئمة برواياته وزياداته - وغيره من الأحاديث المنقولة من كتب أهل السنة المروية بأسانيدهم ، المكتوبة بأقلامهم ، المشروحة بكلامهم ، تدل عندك على أن أهل السنة وهم العامة يميزون التوسل الذي تدعو إليه ، ويميزون دعوة

إذا كانت مخالفة
أهل السنة واجبة
فلماذا لا
يخالفونهم في
دعوة الاموات
والمكوف على
القبور

الأموات ، وسؤالهم والاستغاثة بهم وسائر هاتيك الباطلات الخزية ، القائمة على الأضرحة . بل زعمت أنت في مواضع من كتابك هذا وفي غيره أن العامة - أي أهل السنة - قد أجمعوا على ذلك ما خلا الوهابيين : أجمعوا على جواز التوسل بالأموات ودعائهم والاستغاثة بهم ، والبناء على القبور وإسراجها وطرح الزينات والمعلقات عليها ، وشد الرحال إليها ، وعلى جواز الذبح والندرها ، وإهداء الهدايا وتقديم القرابين إليها : كل هذا تزعم أن أهل السنة ذهبوا إليه وأجازوه وفعلوه ودعوا إليه . ونحن هنا نقول : إذا كان هذا كله صحيحاً عن العامة أي عن أهل السنة ، أفأما كان الواجب على الشيعة المأمورة بمخالفة العامة بدلالة الأخبار السابقة أن ينهبوا إلى خلاف مذهب إليه أهل السنة ، فينهبوا إلى تحريم هذه المعتقدات كلها والحكم بخروجها على الحق والدين ، ومجانبتها لمذاهب الأئمة المعصومين الذين كانوا لا يدينون بشيء كانت العامة تدين به ، والذين كانوا يقولون : « ما أنتم على شيء مما هم فيه ، ولا هم على شيء مما أنتم فيه » ؟ أفأما كان المفروض حينئذ على الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن يحققوا هذه المخالفة للعامة المطلوبة منهم ، الموجبة عليهم ، فينهبوا إلى منع كل ما أجازته العامة من التوسل ودعاء الأموات والاستغاثة بهم والبناء على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الزينات والمعلقات فوقها ؟ نعم كان الواجب عليهم أن يصيروا هذا المصير ، وأن ينهبوا هذا المذهب إذا كانوا صادقين في نقلهم عن أئمتهم ، وكان أئمتهم صادقين في أنفسهم ، وكان ما ينقلون ويندكرون حقاً وصحياً . وهذا لازم لهم لزوماً لا مهرب لهم منه حتى يتاح لهم الهروب من أنفسهم ، وحتى يتواروا في أفواه العدم وفوهات الفناء الأبدي .

لازم معجزة ويمكن أن نسألهم هذا السؤال ، ونسوق إليهم هذا الالتزام بأسلوب آخر بأن نقول : هل عندكم دلائل عن أئمتكم وعن اعترقكم بأنكم لا تفهمون الدين

ولا الإسلام ولا القرآن ولا السنة إلا بإرشادهم وكلامهم وبيانهم: هل لديكم دلائل عن هؤلاء تدل على جواز التوسل، وجواز دعوة الأرواح والاستغاثة بهم، وجواز جميع ما تأتونه عند القبور؟ فان قلتم: نعم، عندنا دلائل عنهم تدل على جواز ذلك كله، قلنا لكم: إنهم قد أنباؤنا وأنباؤكم بالأخبار السابقة بأن كل ما يقولونه وما يذكرونه وما يفعلونه، وفاقاً لما عليه أهل السنة من المسلمين فلا بد من أن يكون ذلك منهم تقية، ولا بد أن يكون الحق والهدى في خلافه. فكل ما في أيديكم مما يدل على الجواز عن الأئمة المعصومين لا يمدو أن يكون تقية وأن يكون الرشد في خلافه وفي تركه. أما إن قلتم إنه لا دلائل عندنا عن أئمتنا على جواز هذه الشريكات والضلالات، قلنا لكم: شيء لا دليل لكم عليه كيف يجوز لكم أن تدينوا الله به وأن تدعوا إليه المسلمين، إن كنتم الحق والدين والخير تريدون؟ أما إن قلتم إن الدلائل عندنا هي إرشاد أئمتنا لنا بأن نخالف الجمهور وما عليه المسلمون قلنا لكم إذن واجب عليكم أن تذهبوا إلى خلاف ما ذهبوا إليه، وقد زعمتم بأنهم قد ذهبوا إلى جواز كل ما يُنحله الموتى والأشياخ عند قبورهم من التعظيم والتقدیس وصنوف التأليه والعبادة، وقد زعمتم أن الصحابة كانوا من المتوسلين، وأن عدوكم الأكبر عمر بن الخطاب كان من المتوسلين كما في حديث الاستسقاء بالعباس، وأن المسلمين كلهم كانوا من المتوسلين ما خلا الوهابيين. فواجب عليكم تحريم هذا التوسل وتحريم كل هذا البلاء، ولا مفر لهذا الشيى ولاخوانه من هذا السؤال وهذا الإلزام ولو طاروا على أجنحة عنقاء مغرب، أو هربوا مع الامام المعصوم المأرب على قوادم الريح، يذرفون المغارات والفيافي: مغارة مغارة، ووفياء فيفاء.

﴿ الشبهة التاسعة سؤال النبي بحق الأنبياء قبله ﴾

المشبهة التاسعة ما رواه الطبراني عن أنس بن مالك قال: لما ماتت فاطمة

حديث سؤال النبي
بحق الأنبياء قبله

بنت أسد بن هاشم ، أم علي بن أبي طالب ، وكانت قد ربت النبي عليه السلام ، دخل عليها رسول الله فجلس عند رأسها ثم قال : « رحمتك الله يا أمي بعد أمي » . وذكر ثناءه عليها ، ثم كفتها ببردته وأمر بحفر قبرها . قال : فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع لها مدخلها بحق نبيك والآنبياء الذين من قبل ، فانك أرحم الراحمين » وكبر عليها أربعا ، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق . رواه الطبراني في الكبير والأوسط . وفيه روح بن صلاح ، وثقه ابن حبان والحاكم ، وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح . كذا في « مجمع الزوائد » . وذكر من حديث ابن عباس نحوه إلا أنه ليس فيه هذه الزيادة ، أعنى قوله . « بحق نبيك ، والآنبياء الذين من قبل » . وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه راو مجهول . وبقية رجاله ثقات .

والجواب أن يقال : أمارواية ابن عباس فلا شيء فيها لأنها خالية من هذه الزيادة ، زيادة السؤال بحق النبي وحق الأنبياء على ما في سندها من الجهالة التي ذكرها الحافظ الهيثمي . وأما رواية أنس فهي التي فيها استدلال المخالف لو كانت صحيحة ثابتة . ولكن يقال : نحن ليس لدينا معجم الطبراني : لا الكبير ولا الأوسط ، حتى نستطيع أن ننظر في الاسناد وفي مكانته من الصحة والضعف ، والصعود والهبوط . وليس لمسلم أن يحتج بحديث لا يدري أثابت هو أم غير ثابت ، ولا سيما إذا كان مرويا في أمثال معجم الطبراني الثلاثة ، فانها ملأى بالأخبار الضعيفة والمنكرة ، وبالأخبار الموضوعة التي لا يحل لمسلم أن يقيم عليها

عقيدة من عقائده ولا أسرا من أموره .

ثم في سنده علم ، قول صاحب « مجمع الزوائد » وقول المخالفين ، روح

لحديث ضعيف
فيه روح بن
سلام

ابن صلاح المصري ، المكشي بأبي الحارث ، المشهور بابن سيابة . ضعفه ابن عدى الحافظ ، ووضعه ابن حبان في ثقافته ، وقال الحاكم : ثقة مأمون . ذكر هذا الذهبي في الميزان . وذكره الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » : وقال بعده : « ذكره ابن يونس في تاريخ الغرباء ، فقال من أهل الموصل ، قدم مصر وحدث بها . رويت عنه منا كبير . وقال الدارقطني : ضعيف في الحديث . وقال ابن ماكولا : ضعفه . وقال ابن عدى بعد أن أخرج له حديثين : له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة » . ذكر هذا كله في « لسان الميزان » . فالأكثر من إذا من علماء النقد وعلماء الجرح والتعديل يضعفونه . وتوثيق ابن حبان والحاكم له لا يمكن أن يعارض به جرح هؤلاء الذين جرحوه أمثال ابن عدى والدارقطني وغيرهما . لأن ابن حبان والحاكم ، كما تقدم ، متساهلان لينان في نقدهما وحكمهما في هذا الشأن . أما ابن حبان فإنه ذكر في كتابه الذي وضعه لثقافة الرواة من هم بعيدون عن الثقات ، فذكر فيه المجهول والضعيف ، بل والكذاب . ومن العجيب أنه وضع في كتابه هذا من ضعفهم هو نفسه . ومثله في هذا الحاكم فإنه يضعف الرجل ثم يصحح حديثه . وقد ضعف عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ثم صحح حديثه الذي رواه في سؤال آدم ربه بحق محمد ﷺ . والحاكم أوهى في هذا الشأن من ابن حبان وأوهن . وهو في توثيق الرواة مثل نفسه في تصحيح الأحاديث . فإنه كما يصحح الأحاديث الباطلة والموضوعة المكذوبة كذلك يوثق الراوي الضعيف والوضاع الكذاب . وقد أكثر من هذا في مستدركه على الصحيحين حتى أضاع قيمته العلمية وحتى ساء لهم أن يتهموه في اعتقاده ومذهبه . وقد قال الحافظ الذهبي في « الميزان » : « الحاكم أبو عبد الله الحافظ صاحب التصانيف - إمام صدوق ولكنه يصحح في مستدركه أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك . فما أدرى هل خفيت عليه ! فما هو من يجبل ذلك . وإن علم فهذه خيانة عظيمة . ثم هو

كلام الناس في
الحاكم ولى
تصحيحه
الأحاديث

شيعى مشهور بذلك من دون تعرض للشيخين . وقال ابن طاهر : سألت أبا إسماعيل الأنصارى عنه فقال : إمام فى الحديث ، رافضى خبيث . قلت : الله يحب الأنصاف ، ما الرجل رافضى ، ولكن شيعى فقط . . . » انتهى كلام الذهبى من الميزان . ونقل الحافظ ابن حجر العسقلانى فى « لسان الميزان » هذا الذى نقله الذهبى وزاد عليه قوله : « والحاكم أجل قدراً من أن يذكر فى الضعفاء ، ولكن قيل فى الاعتذار عنه : إنه عند تصنيفه المستدرک كان فى أواخر عمره . وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة فى آخر عمره . ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة فى كتاب الضعفاء له وقطع بترك الرواية عنهم ، ومنع من الاحتجاج بهم ، ثم أخرج أحاديث بعضهم فى مستدرکه وصححها . من ذلك أنه أخرج حديثاً لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وكان قد ذكره فى الضعفاء ، فقال : إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحل فيها عليه . وقال فى آخر الكتاب : فهؤلاء الذين ذكرتهم فى هذا الكتاب ثبت عندي صدقهم (كذا فى طبعة الهند ، وهو غلط ظاهر . والصحيح عدم صدقهم أو نحوه) لأننى لا أستحل الجرح إلا مبيناً ، ولا أجيزه تقليداً . والذى أختار لطالب العلم أن يكتب (والصحيح الا يكتب) حديث هؤلاء أصلاً » انتهى كلام ابن حجر فى لسان الميزان . وقد تقدم ما نقله الخطيب البغدائى فى التاريخ وأنه قال فى ترجمة الحاكم نقلاً عن أبى إسحاق : إبراهيم بن محمد الأرموى النيسابورى قال : « جمع الحاكم أبو عبد الله أحاديث زعم أنها صحاح على شرط البخارى ومسلم ، يلزمهما إخراجها فى صحيحيهما . فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك ، ولم يلتفتوا فيه إلى قوله ولا صوبوه فى فعله . » انتهى كلام الخطيب . وذكر الذهبى فى تذكرة الحفاظ من ترجمة الحاكم مثل ما ذكره فى « الميزان » . فرجال الحديث النقاد مجمعون على ضعف الحاكم فى تصحيحه وفى رأيه فى هذا الشأن

وبعضهم يتهمة في ذلك ، وبعضهم يرجع هذا الضعف إلى الاختلاط والتغير الذي اتباه في آخر عمره . والذي لا شك فيه عندنا أن الرجل أجل من الاتهام وأرفع قدرأ من أن يرجع شيء من هذا إلى اعتقاده ومنهجه ، وإنما الأمر هو ما ذكره الحافظ العسقلاني في « لسان الميزان » وغيره من اختلاط الرجل وتغيره .

فتوثيق ابن حبان والحاكم ومن في طبقتهم لروح بن صلاح هذا لا يعتمد به في معارضة تضعيف الناقدين البصيرين البارعين له : ابن عدى والدارقطني . فان هذين الحافظين من أبرع الناس وأحنقهم وأبصرهم بالرجال ويعلم الجرح والتعديل وبمعرفة هذا الشأن كله . فاذا ضعف الدارقطني وابن عدى راوياً وثقة مثل الحاكم وابن حبان فلا ريب أن الانصاف يقضى بتقديم تضعيفهما على توثيقهما وتوثيق أمثالهما . وهذا لا يدق على فهم الذكي من المشتغلين بهذا الفن . وليس هذا راجعاً عندنا إلى أن الجرح مقدم على التعديل كما يقولون . ولكنه راجع إلى ما بين أمثال الدارقطني وابن عدى وأمثال ابن حبان والحاكم من فرق وتفاوت في معرفة هذا العلم .

وهذه الطريقة التي ذكرها علماء الحديث من تقديم الجرح على التعديل تقضى أيضاً بتضعيف روح هذا وتقديم تضعيف ابن عدى والدارقطني وابن ما كوكلاء وابن يونس له على توثيق ابن حبان والحاكم . كيف والمضعفون أكثر عدداً من الموثقين ، وهذا ترجيح آخر مستقل . ولكننا نحن لا نرجح ضعفه عملاً بهذه القاعدة والطريقة ، لأنها في رأينا طريقة ليست مقبولة ولا مأخوذة ولا صحيحة على إطلاقها وإجمالها وعمومها . إذ لو صحت وصدقت شاملة عامة لقضت بتضعيف رواية هم من أوثق الرواة وأجلهم وأصحهم حديثاً ورواية . ولأننا نجد من الظلم البارز القبيح أن نرد حديث من وثقه السواد الأعظم والجمهور الأكثر

الكلام على الجرح
والتعديل وتقديم
أحدهما على
الأخر

من علماء الجرح والتعديل ونقمة الرجال لأن رجلاً أو رجلين نزت بهما نوازي التشدد والتطرف فقال أو قال: إنه سئ الحفظ، أو بهم، أو ضعيف، أو فاسد المذهب والاعتقاد... وهو قد يكون من أئمة الحديث وحفاظ الدنيا وسلاطين المحدثين... وقول القائلين - في توجيه تقديم الجرح على التعديل إطلاقاً - : إن الجراح قد يكون علم ما لم يعلم الموثق المزكى، وأطلع على ما لم يطلع عليه - : قول فيه شيء من الصواب والصدق، ولكن لا كل الصواب ولا كل الصدق. وذلك أن من ضعف راوياً قائلًا: إنه سئ الحفظ، أو يغلط، أو بهم، أو يكذب، أو يقلب الأخبار والأسانيد، أو نحو ذلك - مما مرجع القدر فيه إلى اتهام الحفظ - قد يكون هو المقدوح فيه، وقد يكون هو الناظر الواهم. فان من قال: فلان غير متقن، أو غير حافظ، أو غير ضابط، لا يقول ذلك إلا بحسب علمه وحفظه وإتقانه، وهذا لا شك فيه. ولكن ألا يمكن أن يكون حينئذ هو نفسه الذي لم يحفظ ولم يتقن ولم يضبط، فيكون قد خدعه قائماً على غلطه ووهمه، فلا يكون حجة؟ إذن فنحن لا قبل هذه الطريقة على إجمالها وإطلاقها، ولنا نضعف روح بن صلاح هذا بهذه الطريقة نفسها. وإنما نضعفه لأنه ضعيف على ما ذكر ابن عدي والدارقطني وابن ماكولاء وابن يونس والحافظ الهيثمي. وتوثيق ابن حبان والحاكم له لا يمارض تضعيف هؤلاء لما ذكرناه.

كلام الرافضين
ابن حبان

على أن هذا الشيعة المصنف قد ذكر ابن حبان صفحة ٣٣٣ وما بعدها من كتابه هذا فكذبه في تضعيفه عطية العوفي وفي تضعيفه على بن موسى الرضا وكفروه لقوله في الأخير: « إنه يروى عن أبيه المعجائب وإنه كان بهم ويخطئ » وقد سبه لقوله هذا سباً قبيحاً وهجاء هجاء مرأ، وزعم أن الذي حمله على تضعيف على بن موسى الرضا بنفضه لآل النبي الذين أمر الله بمحبهم وولائهم. وبنفض على وحده - فضلاً عن بنفض جميع آل البيت - كفر وردة عند طائفة هذا

الشيعة . فكيف إذن يقبل قول ابن حبان في روح بن صلاح ويرد قوله في عطية العوفى وفى على بن موسى الرضا ؟ وكيف يصح له أن يعتمد في تزكية روح هذا على قول ابن حبان وهو كافر عندهم لأنه كان كارهاً لقراءة النبی عليه السلام ؟

من حبيبهم
الشيعة ومنهم
من آل النبي

ومن أعجب ما كتبه الشيعة - وكل ما يكتبونه مخالفاً لأهل السنة عجيب - قول هذا الشيعة صفحة ٣٣٤ من كتابه هذا دفماً لما قاله ابن حبان في على بن موسى الرضا نقلاً عن سماء بعض العلماء : « انظر إلى هذه الجرأة العظيمة من هذا المنور (يعنى ابن حبان) كيف يوم ويخطئ ابن بنت رسول الله ووارث علمه ، أحد علماء العترة النبوية ، وإمامهم المجمع على غزارة علمه وشرفه . وليت شعري كيف ظهر لهذا الناصبي الذي أفنى عمره في علم الرسوم لأجل الدنيا حتى قال بها قضاء بلخ وغيرها - وهم على بن موسى الرضا وخطؤه ، وبينهما نحو مائة وخمسين عاماً لولا بغض القرابي النبوية التي أمر الله بحبها ومودتها ، وأمر رسول الله بالنسك بها ؟ قاتلهم الله أتى يؤفكون ! » . هذا ما نقله تلميذاً لابن حبان ورداً لقوله ، واتهماً لدينه ، وتضليلاً لعله . فأنى يسوغ له بعد هذا أن يحتاج بقوله : إن روح بن صلاح ثقة لولا الهوى والمصيبة التي نسأل الله الوفاة من شرها وضررها ، والانفلات من ربقتها .

ومن العجيب قوله : « وكيف يوم ابن بنت رسول الله ويخطؤه » ! أفلا يعلم هؤلاء القوم أن من أبناء بنت رسول الله من يكفرون ! ومن يحاربون الله ورسوله ! ومن يختانون الإسلام وأوطانه ! ومن يختانون أنفسهم ! ويختانون رسالة جدم عليه الصلاة والسلام ! ومن يماثلون خصوم الاسلام وخصوم العرب عليه وعليهم ! ومن يجعلون من أنفسهم جواسيس خلاصة تجسس على الاسلام وعلى المسلمين ، لخدمة الأعداء وخدمة الكافرين ؟ وكيف لا تتجمل الشيعة من هذه المقالة وهم يكفرون جميع أبناء بنت رسول الله من أهل السنة وكل من ليس شيعياً

تكفر الشيعة
بقراءة القرآن

إماميا ، اثنا عشر يا . فكل أبناء بنت رسول الله كفار وضلال عند هؤلاء القوم إن لم يدينوا دينهم ، وينهبوا منهم في القول بمصمة الأئمة ، وكفر الصحابة ، وبالرجعة التي بينا معناها عندهم في أول الكتاب ، وبالقول بسائر هاتيك الآفات . الاعتقادية النكراء التي أصيبت بها هذه الطائفة المغبونة . وقد نزت بالطائفة عداوة أصحاب النبي ، وعداوة الثلاثة منهم خاصة حتى أنكروا أن تكون رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله اللتان تزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة ابنتين حقيقة لرسول الله كما تقدم في أول هذا الجزء . وهم يريدون بهذه المقالة أن يبعدوا ما خص الله به عثمان بن عفان من شرف مصاهرة النبي عليه السلام وزواجه بابنتيه : أم كلثوم ورقية معا - مقتا من عند أنفسهم لهذا الخليفة ، وإنزالا له عن مقعد رفيع سام . أقدمه عليه سبقه إلى الاسلام ، وإنفاقه على المسلمين ، وقربه من الله ومن رسوله . ثم هم يكفرون أو يفسقون ويضللون جماعات بأعيانهم من أولاد فاطمة ، ويحكمون عليهم بالردة أو بالفسق والضلال العظيم . ولا يشكون في كفر كل حسيني وكل حسي . بأعيانها إذا كانوا من أهل السنة . أو ليموا يمتنون بنبي العباس عم النبي عليه السلام كلهم ، بل ويكفرونهم ويلعنونهم ؟ أو ليسوا يكفرون الزبير بن صفية . عمه رسول الله ، وقد كان رسول الله يحبها ويحبه أعمق الحب وأخلصه ؟ أو ليسوا يسبون ويمقتون زيد بن علي بن الحسين من أولاد بنت رسول الله ، وكذا يسبون ويمقتون جعفر بن علي أخا الإمام الحسن العسكري ، وعم الإمام الثاني عشر المنتظر عند الشيعة ؟ ولقد لقبوا هذا بالكذاب كما ذكر محسن الأمين العاملي في كتاب « أعيان الشيعة » . وجعفر هذا من أولاد الأئمة المعصومين ومن أولاد فاطمة بنت رسول الله . وهذا شيء لا حصر له . وبالأجمال هم يكرهون ويمقتون أو يكفرون جميع أبناء بنت رسول الله من غير الشيعة الإمامية ، الاثنا عشرية . وإذا كانوا هذا المكان من محاسبة أبناء بنت رسول الله ، وأبناء علي والحسن

والحسين ، وعداوتهم ، فكيف لا يقصرون عن التغني بهذه الأنشودة ، أنشودة كراهة قرابة النبي وبنض آله ؟ ؟

حديث مسلسل
بأهل البيت في
مدمة الرافضة .

ثم إذا كان أبناء بنت رسول الله لا يخطئون ولا يهجون ولا يكذبون فإذا يقولون في هذا الخبر المسلسل بأهل البيت ؟ قال في كتاب « إيثار الحق على الخلق » : « قال الامام الهادي عليه السلام في كتاب « الأحكام » وقد ذكر الامامية : وفيهم ما حدثني أبي وعمامي محمد والحسن عن أبيهم القاسم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام عن النبي عليه السلام أنه قال : يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبيز ، يعرفون به ، يقال لهم الرافضة ، فإن أدركتهم فاقتلهم ، قتلهم الله . فانهم مشركون . انتهى بحر وفه . ولا أعلم في الاحكام إسناداً متصلاً سلسلاً . بأهل البيت عليهم السلام سواء إلا أن يكون مرسل أو مقطوعاً أو مدخلاً فيه غيرهم من الرواة . . . » انتهى كلام « إيثار الحق على الخلق » . فهذا من رواية أهل البيت وهم لا يخطئون ولا يهجون ولا يكذبون . فسا يقول هؤلاء الشيعة ؟ وهذا الحديث قد جاء من طرق أخرى معلومة ولكنها لا تخلو من الضعف . ومن المضحك قوله : « وكيف ظهر لهذا الناصبي وهم على بن موسى الرضا وبينهما نحو مائة وخمسين عاماً » .

من علم القضية
في علم الرجال
وعلم الاسناد

فيا هؤلاء متى كانت المفارقات الزمانية مانعة من معرفة التاريخ القديم ؟ ومتى امتنع أن يعرف فلان أن فلانا كان ثقة ثبتاً ، أو كان ضعيفاً هالكا ، لأن بينهما زماناً طويلاً ، ولأن فلانا تأخر ميلاد زمانه عن زمان فلان مائة وخمسين عاماً ، بل ألفاً ، بل ألوف الأهوام ؟ وإذا كان هذا المنطق عندهم صحيحاً محترماً فالهم اليوم ومال أجهل الجاهل منهم يزعمون أن أبا بكر الصديق كان كافراً ، وأن عمر كان كافراً ، وأن عثمان كان كافراً ، وأن عامة الصحابة كانوا كفاراً ، وأنهم كانوا إجماريون

الإسلام ، ويكيدون لله ورسوله ، ويسعون في الأرض فساداً ، وأنهم كانوا يحملون في صدورهم العداوة المتأججة الفائرة الملتهمبة للإسلام ولآل النبي عليه السلام ، وبينهم وبينهم ما يناهز أربعة عشر قرناً ؟ وإذا كان هذا المنطق لديهم صحيحاً صائباً فكيف ظهر لهم أن علياً كان مسلماً حقاً ، وكان ناصراً للإسلام ولنبيه ، ذاباً عنه ، مخلصاً له في الظاهر والباطن - وكذلك يقال في أولاده المعصومين لديهم وفي الموالين له ولهم - : كيف ظهر لهؤلاء الشيعة هذا النبأ العظيم وبينهم وبينهم ما يطاول أربعة عشر قرناً أو ما ينقص عن ذلك قليلاً ؟ بل إذا كان ما ذكره منطقاً صحيحاً محترماً فكيف علموا ما حكوه عن ابن حبان من الضلال والزيف وكراهة آل النبي وبينهم وبينه كل هذا الزمان وهذه الفجوة الزمانية ؟ نعم لو صدقوا في منطقهم هذا لبطل التاريخ وبطلت كتبه وأغلق باب المعرفة لكل ما تقدم ميلاده الزماني أو المكاني ! فهل يفتنون لهذا ؟ وهل يشعرون بهذه الأخطاء التي يهدونها البنا وإلى قرائهم وهم يحسبون أنهم لا يهدون سوى الهدى والعرفان والعلوم الإلهية النبوية ؟

فروح بن صلاح غير صحيح الحديث ولا مقبوله إذا انفرد به . ثم لا شك أننا في حاجة إلى البحث عن باقي رجال الاسناد الذين قال فيهم صاحب « مجمع الزوائد » : إنهم من رجال الصحيح ما خلا روحاً . وذلك أن بعض رجال الصحيح إنما خرج لهم أصحابا الصحيحين في المتابعات والشواهد والمعلقات . وهؤلاء لا يلزم أن يكونوا ثقات أثباتاً ، ولا يلزم أن يكونوا فوق النقد والتضعيف والبحث ولا يلزم أن يكون حديثهم صحيحاً لا يخضع للنقد والاعتراض والامتحان . . . وهذه المنزلة الرفيعة السامية إنما هي لرجال الصحيحين الذين روى لهم فيها استقلالاً وانفراداً في الأصول لا في المتابعات ولا في الشواهد وفي المعلقات . أما رجال هذا القسم فلا خلاف في أنهم ليسوا في منجى من النقد والتمحيص .

جال الصحيح
فسمان عظماء

فعلى المحتجين بهذا الحديث أن يذكروا لنا رجاله من أى القسمين هم ، وإلا فلا جمع ولا كرامة .

كلام النورى
في قسم رجال
الصحيح

وقد قال الشيخ أبو زكريا النووى فى مقدمة شرحه على صحيح مسلم : « فصل . عاب عابون مسلماً بروايته فى صحيحه عن جماعة من الضعفاء والمتوسطين الواقعين فى الطبقة الثانية الذين ليسوا من شرط الصحيح . ولا عيب عليه فى ذلك ، بل جوابه من أوجه ذكرها الشيخ ابن الصلاح : أحدها أن يكون ذلك فى من هو ضعیف عند غيره ، ثقة عنده . ولا يقال : الجرح مقدم على التعديل ، لأن ذلك فيما إذا كان الجرح ثابتاً مفسر السبب ، وإلا فلا يقبل الجرح إذا لم يكن كذا . وقد قال الخطيب البغدادي وغيره : ما احتج البخارى ومسلم وأبو داود به من جماعة علم الطعن فيهم من غيرهم محمول على أنه لم يثبت الطعن المؤثر مفسر السبب . الثانى أن يكون ذلك واقعاً فى المتابعات والشواهد ، لا فى الأصول . وذلك بأن يذكر الحديث أولاً بإسناد نظيف رجاله ثقات وبجملة أصلاً ، ثم يتبعه بإسناد آخر أو أسانيد فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة ، أو لزيادة فيه تلبه على فائدة فى ما قدمه . وقد اعتذر أبو عبد الله الحاكم بالمتابعة والاستشهاد فى إخراجهم عن جماعة ليسوا من شرط الصحيح ، منهم مطر الوراق ، وبقية بن الوليد ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، وعبد الله بن عمر العمري ، والنعمان بن راشد . وأخرج لهم مسلم فى الشواهد فى أشباه لهم كثيرين . الثالث أن يكون ضعف الضعيف الذى احتج به طراً بعد أخذه عنه باختلاط حدث عليه ، فهو غير قادح فيما رواه من قبل فى زمن استقامته كما فى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ابن أخى عبد الله بن وهب . فذكر الحاكم أبو عبد الله أنه اختلط بعد التحسين ومائتين بعد خروج مسلم من مصر . فهو فى ذلك كعبيد بن أبى عروبة وعبد الرزاق الصنعاني وغيرهما من اختلط آخرأ ، ولم يمنع ذلك من صحة الاحتجاج فى

الصحيحين بما أخذ عنهم قبل ذلك . الرابع أن يعلو بالشخص الضعيف إسناده وهو عنده من رواية الثقات نازل ، فيقتصر على العالي ، ولا يطول بإضافة النازل إليه مكتفياً بمعرفة أهل الشأن في ذلك . وهذا العذر قد رويناه عنه تنصيهاً وهو خلاف حاله فيما رواه عن الثقات أولاً ثم أتبعه بمن دونهم متابعة . وكأن ذلك وقع منه على حسب حضور باعث النشاط وغيبته . رويناه عن سعيد بن عمرو البرذعي أنه حضر أبا زرعة الرازي وذكر صحيح مسلم وإنكار أبي زرعة عليه روايته فيه عن أسباط بن نصر وقطن بن نسير وأحمد بن عيسى المصري ، وأنه قال أيضاً يطرق لأهل البدع علينا فيجدون السبيل بأن يقولوا إذا احتج عليهم بحديث : ليس هذا في الصحيح . قال سعيد بن عمرو : فلما رجعت إلى نيسابور ذكرت لمسلم إنكار أبي زرعة ، فقال لي مسلم : إنما قلت صحيح ، وإنما أدخلت من حديث أسباط وقطن وأحمد ما قد رواه الثقات عن شيوخهم إلا أنه ربما وقع إلى عنهم بارتفاع ويكون عندي من رواية أوثق منهم بنزول ، فاقصر على ذلك وأصل الحديث معروف من رواية الثقات . قال سعيد : وقدم مسلم بعد ذلك الرأي فبلغني أنه خرج إلى أبي عبد الله محمد بن مسلم بن وارة فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب ، وقال له نمحو مما قاله لي أبو زرعة : إن هذا يطرق لأهل البدع ، فاعتذر مسلم ، وقال : إنما أخرجت هذا الكتاب وقلت : هو صحيح ولم أقل : إن ما لم أخرجه من الحديث في هذا الكتاب فهو ضعيف . وإنما أخرجت هذا الحديث من الصحيح ليكون مجتهداً عيني وعند من يكتبه عني ولا يرتاب في صحته . فقبل عذره وحججه . قال الشيخ : وقد قدمنا عن مسلم أنه قال : عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فيمكن ما أشار أن له علة تركته ، وكل ما قال إنه صحيح ولا علة له فهو هبتاً : البتة أخرجته . قال الشيخ : فهذا مقام وعبر . وقد مهدته بواضح من القول لم أره مجتهداً في مؤلف . والله الحمد . قال : وفيما ذكرته :

دليل على أن من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم في صحيحه عنه بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ . بل يشوق ذلك على النظر في أنه كيف روى عنه على ما بيناه من انقسام ذلك . والله أعلم ... » انتهى كلام النووي . وفيه بيان لما ذكرناه .

دلى أن رجال هذا الحديث إذا كانوا حقاً من رجال الصحيح الذين هم ثقات ^{قد يكون الرواة ثقات ويكون الحديث غير صحيح} أثبت بلا شك لم يلزم أن يكون الحديث صحيحاً . إذ قد يكون الرواة عدولاً الحديث غير صحيح أئمة ، ويكون الحديث الذي رويوه ضعيفاً باطلاً . وذلك بأن يكون الاسناد منقطعاً أو تكون فيه دلة من علل الاسناد المعروفة الكثيرة . والمستدلون بالحديث لم يذكروا براءته من هذه العلل التي قد تكون في الاسناد المسلسل بالثقات ظاهراً ، ولم يذكروا لنا سياق السند حتى نبينه ونعرف أسلم هو من تلك العلل الفنية أم هو كثير العلل والأمراض . والحافظ الهيثمي لم يذكر أن الحديث صحيح لولا روح ابن صلاح ، بل ذكر أن رجاله من رجال الصحيح ما خلا روحاً . قال : وروح على توثيق ابن حبان والحاكم له فيه ضعف . مع أن الحافظ الهيثمي يبدل كتابه « مجمع الزوائد » على أنه يذهب مذهب المتساهلين في نقد الروايات والرواة . وكأنه لم يفتح بتوثيق الحاكم وابن حبان لروح بن صلاح فأطلق أن فيه ضعفاً ، لأنه يعلم لين هذين الشيخين : ابن حبان والحاكم في نقد الأخبار ونقد رواياتها ، ويعلم مقدار تساهلها في ذلك . ثم لم يقل : إن الحديث ثابت صحيح لولا روح . فكأنه قد قدر أن يكون في السند علة أو علل ، أو كأنه علم بوجود تلك العلة أو تلك العلل . وهذه طريقة للهيتمي في كتابه « مجمع الزوائد » معروفة ، وهي طيبة محدودة . يقول مثلاً في آخر الحديث : « والحديث رجاله ثقات ، أو رجال الصحيح » . ويتورع كثيراً عن التصحيح الجازم البات . فلا يقول : « والحديث صحيح الاسناد » . وهذا راجع عنده . والله أعلم - إلى أمرين : أحدهما أن

يكون قد علم أن في الحديث علة تمنع الحكم عليه بالصحة مع أن رواته ثقات أثبات . وثانيتها احتمال أن تكون فيه علة وإن لم يعلم هو حقيقة ذلك . فكان الصواب والرأى عنده في الحالتين أن يتورع عن التصحيح وعن الحكم عليه بالثبوت ، وهو قد لا يكون صحيحاً في الواقع . وأحياناً يعلم عدالة الرواة وسلامة سياق الاسناد من سائر عالى الاسناد وسائر أسباب الضعف ، فلا يقصر عن أن ينطق بنتيجة ما علم ، فيقول : « إن الحديث صحيح الاسناد » أو « حسن الاسناد » . على أنه في كل هذا متساهل ينحو منحى من لا يقسون في النقد ، ومنحى من يشوقهم جمع الأحاديث الكثيرة المذيلة بكلمة « صحيح » . وهذه طريقة معروفة لطائفة كبيرة من علماء الاسناد . ولكن هؤلاء بلا شك ليسوا حجة في هذا الباب ، بل لابد من الرجوع إلى حذاق هذا الشأن وأفذاذه المهرة .

فلا يصح لمسلم أن يحتج بهذا الحديث حتى يعلم صحته وثبوته عن رسول الله وحتى يختبر الاسناد فيعرف ما ذكرناه . أما نقل هذا الرفض أن الحاكم وابن حبان صححاه فنحن أولاً لا نثق بنقله ولا بنقل من نقل عنه ذلك . وثانياً إذا صح هذا فقد علمت مكانة الحاكم وابن حبان في تصحيح الأخبار الضعاف وتوثيق الرواة الضعفاء . وابن حبان مردود الحكم عند الرفض مطلقاً لأنه كافر لتضمينه على بن موسى الرضا . وقد تقدم ما ذكره فيه . وأما الحاكم فإنه يصحح الأخبار الموضوعة . وقد طرح الناس تصحيحه لذلك . فلا حجة في تصحيحهما الحديث إذا ثبت أنهما صححاه . هذا ما يقال في سند الحديث .^١

معنى الحديث
إذا صح

أما معناه - على تقدير صحته وثبوته - فالجواب أن قوله : « وسع منخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبل » لا يدل إلا على شيء واحد ، وهو جواز أن يسأل الله بحق المخلوق الصالح . وهذا أمر بسيط يسير بازاء ما يأتيه عباد القبور عند قبورهم من الدعوات والاستغاثات وسؤال جميع الخائجات . . . وفرق

عظيم بين سؤال الله بحق الأنبياء والصالحين ، وبين سؤال الأنبياء والصالحين أنفسهم . فإن الأول توحيد لله وعبادة له وتضرع واستجداء إليه . وغاية ما فيه أنه ابتدع فيه بدعة ، والبدعة ليست دائماً شركاً . وأما الأمر الثاني وهو سؤال الأنبياء والصالحين أنفسهم فعبادة لغير الله وشرك به تعالى . وشنتان ما بين الأمرين : الشرك والتوحيد ، الشرك والبدعة ، عبادة الخالق وعبادة المخلوق ، سؤال الله وسؤال عباده الموتى . وليس هذا هو ما أقام النزاع والخلاف بين فريق التوحيد وحزب التنديد، وليس هذا هو ما نلن التكبير العام الحاد على المخالفين من أجله ، وإنما ذاك هو دعاء الأموات وسؤالهم الحاجات ، كما يدعى الشيعى وكما تدعى شيعة ، وكما يفعلون .

ويقال ثالثاً - : ما هو حق الأنبياء الذى سئل الله به فى هذا الحديث ؟ ولعل معرفتنا هذا الحق تخلى يدي الرافضى من الحجة فى الخبر .
فنقول : حق الأنبياء وحق الصالحين جميعاً على ربهم أمران : أمر هو صفة من صفات الله وشأن من شئونه ، وأمر هو أثر لهذا الأمر الذى هو صفة الله وشأنه . أما الأمر الأول فهو ما أخبر الله عنه فى مثل قوله تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وقوله : « فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله » وقوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » وقوله : « وعد الله حقاً » وقوله : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون » وقوله : « وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم » وقوله : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » الآية إلى غير ذلك من الآيات التى فيها وعد الله رسله وأنبياءه بالنصر والغلب والتأييد وحسن العقبى وإتمام الدين وإظهاره والتمكين للأتباع والحق الذى جاء به فى الأرض وفوق هام العباد والبلاد ، ثم وعده تعالى إياهم الجنة والخلود والرضا

سؤال المخلوق
ليس كسؤال الله
بالمخلوق

ما هو حق
الأنبياء
الحديث

والنقريب والحظوة القريبة المكنة لديه تعالى — إلى غير ذلك من هذه الأمور والمعاني الجليلة التي وعد الله بها رسله وأنبياءه من عباده . . . ووعد الله حق لا ريب فيه ولا في صدقه ووقوعه . . . فهذا هو حق الأنبياء الأول على الله . وهذا الحق ليس مخلوقاً ولا مربوباً ، لأنه عبارة عن نصر الله وتأيسده وإعلائه لهم . فهو فصل من أفعاله تعالى وشأن من شئونه . والسؤال بصفات الله وأفعاله وشئونه لاخلاف في جوازه وحسنه وصحته .

أما الأمر الثاني الذي هو حق لعباد الله الصالحين عليه تعالى بمقتضى وعده ورحمته — وهو تعالى لا يخلف الميعاد ولا يخلف ما تقضى به الرحمة الحكيمة — فهو ما ادخر لهم من النعيم والمشتريات في دار خلوده ونعيم داره ذوالأوان وأفنان وأنواع كثيرة لا يعلمها إلا الله . ولكن يجمعها كل ما هو متعة للنفوس وللروح والبدن والجسم . أي هو عبارة عن متع البدن والروح مما خلقه هناك بجزء لهم على قيامهم بخدمته تعالى وبطاعته وعبادته . ويدخل في هذا الحق الحورالعين ، والولدان المخلصون ، وصنوف الانذابات الأخرى من مأكول ومشروب ومنظور ومسموع ومدرك بأحدى الحواس الانسانية المعروفة وغير المعروفة . . . وهذا الحق هو أثر من آثار الحق الأول الذي هو صفة الله وفعله وشأنه .

وإذا علم هذان الحقان لم يبق لدينا شك ما في أن حمل الحق في الحديث المذكور على الحق الأول واجب لازم وفرض حتم ، لا مناص عنه ولا فرار منه . وذلك ان الحق الثاني لا يمكن أن يسأل رسول الله ربه به يقيناً ، فلا يمكن أن يسأل ربه بما خلقه تعالى في الجنة من المأكولات والمشروبات المدخرة لنبي الله آدم ولبن بعته من الأنبياء والمرسلين . فكما لا يمكن أن يقول رسول الله : أسألك يا الله بأنظر العين التي خلقتها في جنتك وأنشأتها لآدم أو لابراهيم أو لموسى أو لعيسى أو لعنبرم ، كذلك لا يمكن أن يقول : أسألك يا رب بما خلقت

الحق حقان .
المراد به
الحديث

لهم من الجزاء والثواب . وكما نجد من غير الحسن أن يقول : أسألك يا رب بما خلقت لى فى الجنة من النعيم والثواب والجزاء فكذلك نجد من غير الحسن أيضاً أن يقول : أسألك يا الله بحق نبيك إذا كان حق نبيه هو الحق المخلوق المصنوع المربوب . ولا نشك أن قول المسلم التقي الصالح : أسألك يا رب بذاتى وشخصى وبدنى أو بىدى أو برجلي أو بنحو ذلك مساوٍ لأن يقول : أسألك بما خلقت لى فى الجنة من نعيم وجزاء وثواب . ولا يشك العليم فى فساد السؤالين . ونبوهما عن أصول الدين وفروعه وعن الذوق والأدب السليم الصحيح .

إذن لا مندوحة من حمل الحق فى الحديث إذا صح على الحق الأول الذى هو صفة من صفات الله وشأن من شئونه وفعل من أفعاله - على أن يكون قوله : « ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبل » بمعنى : أسألك يا رب أن توسع مدخلها وأن تقبل شفاعتى فيها ورجائى ودعائى لها بما وعدتني ووعدت الأنبياء قبلى جميعاً من النصر والتأييد والعطف والرضا والإرضاء وإجابة السؤال والدعاء . . . » . فهو من سؤال الله بذاته وصفاته وأفعاله وشئونه . وعلى هذا لا يبقى فى الخبر مكان شبهة لأنصار البدعة . لأن السؤال بذات الله وصفاته وأفعاله وشئونه متفق على جوازه .

الجواب من
رواية ديارسوله
الله كنت رجاءنا

« الشبهة العاشرة قول صفية : ألا يا رسول الله كنت رجاءنا »
الشبهة العاشرة ما ذكره الحافظ الهيثمى فى كتابه « مجمع الزوائد » (الجزء التاسع صفحة ٣٩) بعنوان : « باب فى وداعه ﷺ » . قال : روى الطبرانى بإسناد حسن عن عروة بن الزبير قال : قالت صفية بنت عبد المطلب ترى رسول الله :

« ألا يا رسول الله كنت رجاءنا » • وكنت بنا برآء ، ولم تك جافيا
نقال الرافضى : « ومن التوسل به بعد موته قول صفية بنت عبد المطلب
(٤٥)

في مرثيتها للنبي عليه الصلاة والسلام التي رواها أهل السير وعلماء الأثر :
ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا وكنت بنا برآ ولم تك جافيا
« وقولها : يا رسول الله أنت رجاؤنا صريح في التوسل والاستغاثة به ﷺ .
أى أنت رجاؤنا في الشفاعة إلى الله ، وأنت وسيلتنا إليه . قالت ذلك بمسمع
من الصحابة ولم ينكر عليها أحد . ولا يصح هذا على رأى الوهابية لأنه
دعاء ونداء لغير الله ، واستغاثة وتوسل بالأموات جهلته صفة عمه النبي وصحابته
وسائر الصحابة الذين ممعوه وعلمته الوهابية ومع ذلك يسمون أنفسهم السلفية
ويقولون : إن قديمتهم السلف . . . » هذا كلام الرافضى .

والجواب من وجهين : أحدهما الكلام على الإسناد . فان ذلك أول
ما يجب أن يسأل وأن يبحث عنه الباحثون . وثانيهما الكلام على معنى الرواية
إذا كانت صحيحة . أما السند فليس صحيحاً يقيناً . وذلك أن الرواية من حديث
عروة بن الزبير ، وعروة تابعى ، ولد بعد وفاة رسول الله ببضعة عشر عاماً ،
فحديثه هذا مرسل ، والمراسيل ليست حججاً لأنها منقطعة أو فى حكم المنقطعة .
والأحاديث المنقطعة ليست بصحيحة عند علماء هذا الشأن . ثم إن عروة
ابن الزبير ما ولد إلا بعد وفاة صفة بنت عبد المطلب . فان صفة توفيت سنة
٢٠ وعروة ما ولد إلا بعد ذلك . فروايته عنها منقطعة . فالرواية ضعيفة على
كل حال .

على أنه يجب على المستدل بهذا الشعر أن ينظر فى بقية سنده ، وفى الرواية
قبل عروة ، فلمل فيه انقطاعاً ، ولمل فيه ضعفاء . ونحن ليس بين يدينا الطبرانى
حتى ننظر فى الإسناد . وقبل عرفان ذلك لا يحل الاحتجاج بالرواية . فان
الطبرانى يروى كل شئ حتى الموضوعات المكنوبة . وقول الحافظ الهيثمى :
إن الإسناد حسن يدل على ضعفه ، لأن الحافظ الهيثمى متساهل فى التصحيح

والنقد كما تقدم . وتحسينه له مع إرساله يدل على تساهله الشديد .
وهذه القصيدة التي منها هذا البيت معدودة في مرآئي النبي عليه الصلاة
والسلام . وقد ذكر ابن هشام في سيرته المرائي التي قيلت في رسول الله ولم يذكر
مرثية صفية هذه .

وصحة الرواية
« كنت » لا أنت
ومحريف
القيس لها

أما معنى هذا الشعر إذا صح أن صفية قد قالت حقيقة فلا يدل على ما ذهبوا
إليه البتة ، وذلك أن لفظ الشعر الذي استدلوا به على ما في « مجمع الزوائد » :
« كنت رجاءنا » لا « أنت رجاءنا » . وكذا ذكره الشيخ محب الدين الطبري
في كتابه « ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى » كما ذكر الحافظ الهيثمي بلفظ
« كنت رجاءنا » . وقال : رواه الحافظ السلفي بإسناده عن هشام بن عروة . . .
والرافضى ذكر الشعر بلفظ « أنت رجاءنا » تحريفاً من عند نفسه ومن عند الذين
يقلدهم في هذه الآفات العلمية . واللفظة الصحيحة هي ما ذكره الحافظ الهيثمي
والحبيب الطبري « كنت رجاءنا » لا « أنت رجاءنا » . فلا دليل فيها لشيء
مما يذهبون إليه إذن ، بل هي رد عليهم صريح ظاهر . وذلك أنها قد فرقت بين
الحياة والموت ، فقالت : « كنت رجاءنا » . تعنى أنه ﷺ قد كان رجاءهم يوم
أن كان حيا بين أظهرهم ، ومعنى هذا أنهم كانوا في حياته عليه السلام يرجعون
إليه إذا عميت عليهم الأنبياء ، وأشككت الأمور وتعقدت ، ليدعوا الله لهم
وليسأله من أجلهم ، وليبين لهم ما يحتاجون إليه من الهدى والدين وشئون الدنيا
وليعالج نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وعقائدهم من آلامها وفسادها وعذابها واضطرابها
بإيمانه وقرآنه وإحسانه . . . فقد كان ﷺ يوم أن كان حيا نجم المؤمنين الثاقب
مهتدون به ويسرون ، ويدخلون على ضوئه وهدهاء في ظلمات العقائد ودياجي
الآديان المبعدة المحرفة الزائفة عن السبيل . وكان ﷺ رجاءهم ، يرجعون
إلى وحيه عند الضلال والاشكال ، وإلى دعواته وشفاعاته عند الضيق

والإحمال ، وإلى ثباته وإيمانه وإيقانه حين اشتداد الأهوال ، فيرجعون إلى نعم الرجاء ، ويصلون آمالهم وحاجاتهم بعلميا السماء فلما أن ساء هذا الرجاء إلى ربه خلا مكانه ، وبقي كتابه وإيمانه ، سببين بين المؤمن به وبينه ، يسمو بهما إلى حيث سما ، يصلان أهل الأرض بأهل السماء ، حتى يلتقي الجميع في مكان القدس الأعلى .

فالرواية : « كنت » لا « أنت » بالفعل الماضي . ولا ريب أن رسول الله عليه الصلاة والسلام كان رجاء المسكين في حياته . ولكن ليس معنى هذا أنه كان رجاءهم في الخلق والرزق وتيسير الأمور العسيرة وتفريج الكربات ، ولا في الأحياء والاماتة ، ولا في هداية القلوب وغفران الذنوب ، ولا في ما هو خاص بالله رب العالمين من هذه الأمور . وإنما كان رجاءهم في ما كان يستطيعه مخلوق ممتاز مثله ، ورسول مقرب إلى ربه ، حظى بمكانة الرسالة وشرفها ، وبسفارة جبريل سيد الملائكة ونفخها ... فهو ﷺ رجاءهم في بيان الحق من الباطل ، والظلام من النور ، وبيان ما يرضى الله مما يفضبه ويسخطه ، وفي الدلالة على الله وعلى دينه وسبيله الواضحة المستقيمة . وهو رجاءهم لأنه كان يدعو لهم فيجيب ، ويشفع من أجلهم فيشفع ، ويستنصر بالله لنصرهم فينصر ، ويحارب بهم أعداء الله وأعداءهم فيقتل . وهو رجاءهم لأنهم كانوا يطيعونه فيرشدون ، ويتبعونه فيهتدون ، ويسألونه ما يقدر عليه فيجيبون . وهو رجاءهم لأنه هو صلتهم بالسماء والله ، ولأن وحى الله ينزل إليهم عليه ، ولأنه هو وما أنزل عليه مجمع سمادتهم في الدارين والحياتين . وأى رجاء هو أعظم وأفضل وأجل من هذا الرجاء ؟

الرواية رد عليهم وبيان ذلك
فهذا هو معنى قول صفيية : « ألا يا رسول الله كنت رجاءنا » . والرواية ، كما تقدم « كنت رجاءنا » . وقد ذكرها الشيعي بلفظ « أنت رجاءنا » تيميزاً

منه ومن الذين يقدمون وينقل عنهم هذه الشناطات الصلحاء : حرقها وحرقوها ليصلح له ولهم ما زعموه وما زعموه في تأويل هذه اللفظة من أنها تدل على جواز كل ما يأتونه من البدع والثرهات والضلالات . . . ولكن الرواية « كنت » لا « أنت » فهي رد عليهم لو يشعرون . لأن صفة بقولها هذا قد فرقت بين الحياة والموت ، فقالت بعد الموت : « كنت رجاءنا » . فكأنها كانت تعتقد بأن الرسول عليه الصلاة والسلام في وقت موته ليس مثله في وقت حياته . فليس كل ما كان يفعله في وقت حياته يستطيع أن يفعله في وقت موته من أجل المسلمين والاسلام ، ومن أجل نصرتهم ونصرتهم . فقد كان هنالك رجاء للمسلمين فيه فقد يموت و زال بزواله وانقطع عنهم باقطاعه عنهم . وقد كانت هنالك أمور فقدتها المسلمون بعد أن غيبوا نبينهم في الحدة وجدته الشريف ، وآمال ذهبت بذهابه إلى ربه . فقالت صفة في الرجاء المفقود ، وفي تلك الأمور والآمال اللاحقة : « ألا يا رسول الله كنت رجاءنا » . فلا ريب إذن في أن قول صفة هذا حجة على الرافضي وعلى إخوانه نصراء البدعة جميعاً .

على أن الرواية لو كانت صحيحة باللفظ الذي ذكره : « أنت رجاءنا » لو كانت بعيدة أيضاً كل البعد عما يزعمون ويدعون . وذلك أنها باللفظين والروايتين ليس فيها دعاء الرسول ولا الاستغاثة به ، ولا سؤاله حاجة من الحاج ، ولا طلبه أمراً من الأمور كما يفعل العوام اليوم وقبل اليوم ، وكما يدعون ويدعون . ومعنى « أنت رجاءنا » — لو كان صحيحاً سنداً ولفظاً — أنه رجاءهم في أن يشفع لهم يوم القيامة ، وفي أن يلقوه ويلقاهم ، وفي أن يحفظوا به ويحفظ بهم . . . لأن الرجاء هو الأمل اللذيذ الحلو . ولا أحلى ولا ألد عند المسلم المؤمن من شفاعته رسول الله يوم القيامة ، ومن لقياه ، ومن ملء العين والأذن وجميع الحواس والجوارح المختلفة برؤياه ، وبحديثه وبالقرب منه . ولا أحلى ولا ألد عند المسلم

ولو صح ما ذكره

المؤمن به ﷺ من الكون في ركابه وبين أصحابه ، زمراً زمراً في جنات الخلود وفي مكان القرب من الله... فهذا هو رجاء صفة بنت عبد المطلب في رسول الله ، وهذا هو رجاء كل مسلم مؤمن بالله وبرسوله ، وهذا الرجاء قصي فاه عن التوسل والاستغاثة ، وعن الدعاء والعكوف على الأجداث . وبرأ الله صفة عمة رسول الله وبرأ سائر صحابة رسول الله وسائر قرابته من هذا الباطل وهذا الإثم العظيم ، والخنث الجسيم .

وقد جاء في « مجمع الزوائد » المطبوع بلفظ : « ألا يا رسول الله كنت رخاءنا » من الرخاء لامن الرجاء . ولكن لا يبعد أن يكون هذا تحريفاً . ويراد بهذه الرواية لو صححت أنه عليه السلام كان رخاء المسلمين والمؤمنين في حياته . لأنهم كانوا إذا قحطوا وأجدبوا ذهبوا إليه وطلبوا منه أن يدعو الله لهم فيدعو فيثابرون ، فيكثر الرخاء ويمم الأرجاء . فقد كان ﷺ رخاء المسلمين بهذا المعنى كما تكاثرت الأخبار في الصباح وغيرها أنه كان يسأل الله الفيت للعباد والبلاد فيتنزل حتى يشكو الناس كثرته فيرغبون إليه عليه الصلاة والسلام . ليدعو لهم ربه كي يقفه ، كي يصرفه إلى الضراب و بطون الأودية ورؤوس الآكام ومنابت العشب ، ويجنبه الأمصار والديار . . . وهذه المعاني لا تنزع ولا خلاف فيها بين المسلمين .

أما كلمة : « يا رسول الله » وقول الرافضي : إن هذا دعاء وخطاب ونداء للأموات فشيء لا معنى له ، ولا خلاف فيه . فإن الخطاب المجرد من الطلب الحقيقي ومن إرادة الإسماع والاعلام ونيل الحاجات لا خلاف في جوازه بين المسلمين ولا بين غيرهم من الناس . والخطاب « يا » وبنيها من حروف النداء شائع معروف للأحياء والأموات ، وللحيوان وغير الحيوان ، وللجماد والحي وغير الحي ، ولكل شيء . وهذا ينطق به العالم والجاهل ، والمؤمن والكافر ،

وجاء في رواية :
« أنت رخاؤنا »

الجواب من
« يا رسول الله »

والمشرك والموحد ، ومن يؤمن بحياة الأرواح ، ومن لا يؤمن إلا بالأشباح . فهم يقولون مثلاً :

أيأ شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
ويقولون أيضاً :

وياقبر معن كيف وأريت جوده * وقد كان منه البر والبحر مترطاً
ويقولون أيضاً :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل * بصبح هو ما لا صباح منك بأمثل
ويقولون :

ياالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاي مكن أم ليلي من البشر
ويقولون :

زمان الفرد يافرعون ولي * ودالت دولة المتجبرينا
ويقولون . « ربك أيها البرق الجاني » :

وهذا في الشعر لا تخفى على أحد كثرته . ونظيره من نصوص الشرع قول
الخطاب الذي لا استهانة فيه
المشهد : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » وقول زوار المقابر :
« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين » الحديث وقوله ﷺ في رثاء ابنه إبراهيم :
« وإنا بك يا إبراهيم لحزونون » . وقد تقدم قول تلك المرأة الأنصارية ترى
عثمان بن مظعون : « رحمة الله عليك أبا السائب . أشهد لقد أكرمك الله »
الحديث . وقد صح عن عمر بن الخطاب في الحديث المتفق على صحته أنه قال
وهو يقبل الحجر الأسود : « إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا إني
رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » . وجاء أن رسول الله عليه الصلاة والسلام
كأن إذا سافر فأقبل الليل قال : « ياأرض ربني وربك الله . أعوذ بالله من شرك
وشر ما فيك وشر ما خلق فيك ، وشر ما يبغ عليك » . وهذا في نصوص الشريعة

كثير ، معلوم لاختلاف فيه ولا نزاع . ولا يستطيع أحد أن يدعى أن هذا النداء .
نداء حقيقى وأنه يراد به كله إسماع المنادى وإعلامه .

النداء الصورى

إذن لا شك أن من النداء ما هو نداء صورى فقط ، وأن من الخطاب ما هو
خطاب فى اللفظ دون المعنى . ولا ريب أن الممنوع الباطل من نداء الأموات هو .
النداء الحقيقى المنطوى على الطلب والأمل والحاجة . وأن النداء الصورى الظاهرى .
الذى لا طلب ولا أمل ولا حاجة ولا رغبة ولا سؤال فيه ليس ممنوعاً ولا محرماً .
فجائز أن تقول : « رحمك الله أيها الدين الشهيد ، والفقيد المفقود مثيله » وأن
تقول أيضاً : « رحمة الله عليك أبا العباس ، يا أحمد بن تيمية ! أشهد لقد أيد بك
الله السنة ، ورفع منار التوحيد والدين الخالص بما خلفت وكتبت وتركت من
مؤلفات باقية على الزمن بقاء الزمن على الزمن .. » . فهذا النوع من الخطاب والنداء .
جائز كله مستعمل شائع بين الجميع ، لا ينكره منكر ، ولا يجحده جاحد . ولكن من
غير الجائز ومن غير الحسن أن تقول خطاباً لدين تحت أطباق التراب ومجلات
العمى : « يا فلان اشفى واهد قلبى واغفر ذنبى » ، أو أن تقول : « يا أبا العباس
انصرنى أو اهد قلبى أو اغفر ذنبى ، أو اكشف لى ما خفى على من كلامك
وكتبت وعلمك . . . » . هذا كله وأمثاله غير جائز وغير حسن وغير خاف على
أحد أنه ليس مثل النوع الأول .

محل الخطاب

وفصل الخطاب فى هذا المقام أننا نحن لا نمنع كل خطاب وكل نداء للأموات
بأحد حروف النداء ، ونحن نقول فى كل صلاة : « السلام عليك أيها النبى
ورحمة الله وبركاته » ونقول فى كل زيارة للمقابر : « السلام عليكم أهل الديار من
المؤمنين » . وإنما نمنع من النداء والخطاب ما كان فيه رغبة ورهبة وطلب وأمل
وحاجة ، وما كان مشتملاً على الخوف والرجاء ، ومنطوياً على الخشوع والخضوع
كهذا الذى يفعله القوم اليوم ويدهون إليه فى كتب زوروها ، وشبه كذبوها

واختلقوها ، وأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ابتدعوها... فإني قول صفية هذا لو صح شيء مما يذهبون إليه ، بل فيه الرد عليهم لو يشرون ويتدبرون وينصفون .

﴿ الشبهة الحادية عشرة فتحة الفرجة من القبر النبوي إلى السماء ﴾

رواية الاضواء
بقبر النبي إلى
السماء

الشبهة الحادية عشرة ما رواه الدارمي في أول سننه بعنوان « باب ما أكرم الله به نبيه بعد موته » قال : حدثنا أبو النعمان حدثنا سعيد بن زيد حدثنا عمرو ابن مالك النكري حدثنا أبو الجوزاء : أوس بن عبد الله قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكروا إلى عائشة فقالت : انظر واقبر النبي فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف . قال : ففعلوا فطرنا حتى نبت العشب ومئنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق . قال الرافضي بعد إبراده هذه الرواية : « فهذا توسل به عليه السلام بعد موته وقبره الشريف بالفعل كما يتوسل به بالقول ، وهو مستمر من عصر الصحابة الذين هم أعلم بالله وبرسوله وبأحكامه وبحرمته وحرمة قبره من الوهابية . وقد وافقهم وتبعهم عليه المسلمون في كل عصر كما صرخ به الزين المراهي من غير تكبير . » هذا كلام الرافضي .

سند الرواية

وعن هذا جوابان : أحدهما أن نقول : هذا الخبر رواه أبو محمد الدارمي في سننه عن أبي النعمان : محمد بن الفضل البصري المعروف بعمار . وهو ثقة حجة مخرج حديثه في الستة . وقد وثقه أهل الحديث وثقة الرواة ، ولكن تكلموا فيه من جهة أخرى إذ ذكروا أنه قد تغير واختلط في آخر حياته . فجاء عن البخاري وأبي حاتم الرازي والدارقطني وابن حبان والنسائي وأبي داود أن عارماً هذا قد اختلط في آخر عمره . وقد قسموا حديثه لذلك قسمين : قسماً صحيحاً جيداً ، وهو ما حدث به قبل الاختلاط والتغير ، وقسماً ضعيفاً واهياً ، وهو ما حدث به بعد ذلك . وما رواه عنه البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الصحاح هو مما حدث به قبل الاختلاط . وما رواه من حديثه من لا يشرطون الصحة والثبوت لما يروون .

يحتمل أن يكون من هذا ، وأن يكون من هذا . فتارة يكون صحيحاً ، وتارة يكون ضعيفاً . فالصحيح هو ما حدث به قديماً ، والضعيف هو ما حدث به أخيراً . فما رواد البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديثه لابد أن يكون من حديثه الصحيح الذى حدث به أولاً حينما كان حافظاً جيد الحفظ ، متقناً تام الاتقان . وما رواه غيرهما من حديثه يحتمل أن يكون من القسم الأول ، وأن يكون من القسم الثانى ما لم يعلم من أى القسمين هو بنص صحيح صريح ؛ وهذا الحديث الذى رواه عنه أبو محمد الدارمى لاندري من أى القسمين هو ، ولا نعلم متى رواه عنه ، ولا كيف رواه . وهو محتمل أن يكون رواه عنه قبل الاختلاط والتفكير ، وأن يكون إنما رواه بعد ذلك . ولا نستطيع الذهاب إلى أحد القولين ألا تظننا واجتهاداً مجرداً من البراهين المقتنة الكافية الشافية لصدر الصديان إلى تمييز المعرفة . ولكن هذا لا يعطى اليقين المنشود .

وعارم هذا روى الحديث عن سعيد بن زيد الأزدى الجهضمى ، وهو أخو حماد بن زيد الامام الكبير . وسعيد بن زيد روى له البخارى تعليقاً ، وروى له مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه على ما فى تهذيب التهذيب للحافظ العسقلانى . . . وهو أيضاً مختلف فيه : ضعفه الأقلون ، ووثقه الأكثر . فحديثه - منفرداً - حسن محتمل ، لا يباغ درجة الصحيح القوى ، ولا يهبط إلى مكان الضعيف المطروح .

وسعيد هذا رواه عن عمرو بن مالك النكرى البصرى . قال فى تهذيب التهذيب : وكنيته أبو يحيى ، ويقال : أبو مالك . قال : وهو من رجال الأربعة . والبخارى فى الأدب المفرد . وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : يمتبر حديثه غير رواية ابنه عنه . يخطئ ويفرب . . . وقال فى التقريب : صدوق له أوهام . ووثقه الذهبي فى الميزان . وهو مع هذا قليل الحديث .

وعمر و هذا رواه عن أوس بن عبد الله الربيع البصري المعروف بابي الجوزاء . . . وهو ثقة مشهور أخرج حديثه الستة وثقوه . وقد رواه هو عن عائشة رضي الله عنها وروايته عنها فيها كلام ، وسماعه منها مختلف فيه . قال في تهذيب التهذيب : « قال ابن عدى : أبو الجوزاء روى عن الصحابة ، وأرجو أنه لا بأس به ، ولا يصح أنه سمع منهم . وقول البخاري : في إسناده نظر يريد أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما ، لأنه ضعيف عنده . وأحاديثه مستقيمة . . . » وقال في تهذيب التهذيب أيضاً : « قال ابن عبد البر في التهذيب إنه لم يسمع منها ، أى من عائشة . وقال ابن أبي حاتم في المراسيل أبو الجوزاء عن عمرو على مرسل . . . » .

وبالاجمال فأبو الجوزاء معروف مشهور عند أهل الحديث بالإرسال . وقد أخرج حديثه عن عائشة مسلم في الصحيح في أبواب الصلاة فمابوا ذلك عليه . قال الحافظ بن حجر العسقلاني في « بلوغ المرام » عقب روايته الحديث الذي رواه أبو الجوزاء عن عائشة في افتتاح الصلاة بالتكبير واختتامها بالتسليم : « رواه مسلم وله علة » . وهو يريد بهذا أنه من رواية أبي الجوزاء عن عائشة وهو لم يسمع منها . . . فهذا الحديث من أحاديث مسلم المأخوذة المعيبة عليه . ولكن حذر مسلم في تخريجها إياه — إذا صح عنده أن أبا الجوزاء لم يسمع من عائشة — تواتر معناه في أحاديث أخرى صحيحة كثيرة .

جهة على
الحديث المختلفة

هذا هو سند الحديث ، وهذه هي حال روايته . فهو مع هذه العلل المختلفة والمقادح التي تناولت جميع رجاله من جهات مختلفة : جهة الاختلاط ، وجهة الارسل ، وجهة الضعف ، لا يبلغ أن يكون صحيحاً ، ولا أن يكون حسناً يسوغ العمل والاحتجاج به في هذا الباب ، وفي هذه المسألة ، وفي هذا المعنى الشاذ الغريب . فالحديث غريب الاسناد ، غريب المعنى . فانه لم يمهّد مثله في الأخبار

ولم يجيئ معناه في سواء.. فهو شاذ، وهو آتٍ بحكم لم يعلم إلا منه وبه، والأحكام الشرعية، وعقائد الاسلام لا تثبت بمثل هذا الخبر الذي يحمل كل هذه العيوب والمقادح وهذا الشذوذ والغرابة... بل معنى الخبر، شكل مخالف لأصول كثيرة من أصول الاسلام الأولى الظاهرة المتواترة. فأى معنى في فتح الفرجة من القبر إلى السماء؟ وأى أصل من أصول الشريعة يؤيده أو يقبله؟

ولو كان في فتح الفرجة ما يوجب الغيث وما يوجب نزول المطر وما يقرب من الله ومن رحمته وسمائه لترك المسلمون القبر النبوي الشريف مكشوفاً، ولأزالوا سقف الحجرة التي دفن فيها هو وصاحبه لتكون القبور الثلاثة مفضية إلى السماء، ليكون في ذلك ما ينزل الغيث وما يدنى من رحمة الله ومن إحسانه وسمائه.

. ولو كان هذا أيضاً صحيحاً لكان من سنة رسول الله ومن سنة خلفائه الراشدين ومن عمل غيرهم من أهل العلم والدين أن يبرزوا بأجسامهم وأشخاصهم إلى السماء والفضاء عند امتناع الغيث والمطر ليكون في بروزهم سقياً للعباد والبلاد. ولا ريب في أن إبراز الذات النبوية أعظم في هذا المعنى من إبراز القبر إلى السماء. ولكن لم يأت أن أحداً من أهل العلم والدين، ولا أتى أن رسول الله، ولا أن أصحابه فعلوا شيئاً من ذلك أو فكروا فيه. بل جاء عنهم في حياة الرسول وبعد وفاته أنهم كانوا يفرعون إلى الصلاة - صلاة الاستسقاء - وإلى الدعاء عند اشتداد الجند وحين إلحاحه عليهم فيستمطرون بالصلاة والدعاء. وما جاء عنهم غير هذا. وكل ذلك يدل على غرابة معنى هذه الرواية فضلاً عن غرابة إسنادها. ومثل هذا الغريب - إسناداً ومعنى - لا يصح أن يبنى عليه حكم من أحكام الطهارة والوضوء والمياه فضلاً عن أن يبنى عليه حكم من هذه الأحكام التي لها اتصال مكين بالاعتقاد.

على أن هذا الذي ذكره في فتح الفرجة يناقض ما ذهبوا إليه من تشييد.

لقباب والبنليات على القبور ثم إنقالها بالطوب والثراب والحجارة والأخشاب والاصباغ والنقوش والزخارف ذات الألوان والأنواع . فانه لو صح ما ذكر من الفرجة وفتحها لكان من الحسن المستحسن المرغوب فيه ألا يجعل على القبور شيء من هذه البنليات وهذه الآلام من القباب والأشياء الأخرى . ولكن من الحسن المرغوب فيه أن تترك القبور هي والسماء مفضية إليها ، مكشوفة لها ، لا يقوم بينهما حائل ، لتنال البركات والرحمات ، وليكثر الغيث والمطر . . ولكن القوم لا يهتمون في جداهم ونضالهم بمنطق مستقيم واضح مستدير . هذا ما يقال من جهة الاسناد .

والجواب الثاني أن يقال : هبوا الرواية صحيحة ثابتة فهل تدل على شيء مما ذهبتم إليه ؟ نقول في الجواب : كلا ، إنها لا تدل على شيء من أمركم يقيناً . ذلك أنه ليس فيها دعاء ميت ، ولا استغاثة ميت ، ولا توسل بميت ، ولا عكوف على قبر ميت ، ولا تشييد لقبر ميت ، وليس فيها شيء من الزخرفة للقبور أو البناء عليها ، أو شيء مما نراه اليوم مائلاً فوق القبور ، فنراه جرحاً دائماً في صميم الاسلام ، وسبة واضحة سوداء في جبين التوحيد المشرق الوضاء : نعم ليس في الرواية شيء من هذا ، وإنما فيها الإفضاء بالقبر إلى السماء . وهذا لا يقول أحد من الناس العقلاء إنه يدل على أن من الدين والاسلام أن يقول المسلم : يا رسول الله اهد قلبي ، أو اغفر ذنبي واشفني ، أو اغنني ، أو ارزقني ، أو أدخلني الجنة ، أو أعطني كيت أو كيت . كما لا يمكن أن يقول أحد : إن هذا مسأله لهذا ، ومن قال ذلك فلا ريب في أنه من أبخس الخلق عقلاً وفهماً وديناً . فان القائل : يا رسول الله أعطني ، أو اهد قلبي ، أو اغفر ذنبي ، راغب راهب ، طالب سائل من غير الله مالا يستطيعه إلا الله . وهذا هو البلاء الأكبر ، والداية العظمى . أما كشف القبر والافضاء به إلى السماء فليس فيه طلب ولا سؤال من غير الله .

الجواب الثاني
ان الرواية
ليس فيها شيء
مما يذهبون
إليه من التوسل
ودعاء الموتى

ولا رغبة في سواء أورهية من مخلوق . وشنان ما بين الأمرين وللقامين .
وكشف القبر النبوي الشريف رجاء استندار الغيث والمطر هو مثل أن تذهب
إلى من تحتاج إليه فتكشف له عن مكان حاجتك وشبكاتك ، وعن موضع
ألمك وضرك . ومثل أن تريه منك ما يعظمه وما يحبه وما يعز عليه وما يعزه ،
وما يكرم عليه من أثر أو غيره ليكون في ذلك حض له على إعطائك حاجتك
وما تريده منه . . . ولكن لا يقول أحد : إن في شيء من هذا دعاء لغير الله
أو استغاثة بمخلوق .

اجوبة اخرى

وقريب من كشف القبر - لو صححت الرواية - إخراج المستقين أطفالهم
وبهائمهم معهم إلى مكان الصلاة والاستسقاء ، ومثل البروز بهم وبها إلى الخلاء
والسما ليكون هذا أبلغ في الاستسقاء والاستغاثة بالله ، وليكون فيه ما يقرب من
نزول الغيث ونزول رحمة الله على عباده وبلاده . وقد ذكر بعض الفقهاء أنه
يستحب الخروج بهؤلاء إلى الصحراء في صلاة الاستسقاء ، وهم ينهبون إلى
هذا المعنى . ولكن ما قال أحد : إن ذلك يدل على جواز دعاء الأموات وسؤالهم
ملا يقدر عليه إلا الله من عظيم الحاجات وجيل المطالب . فنحن إذن قد نجي
كشف القبر - لو صح الحديث - طلباً للغيث . ولا يلزم هذا أن نجي دعوة
الموتى والاقطاع إلى قبورهم . فان هذا لا يلزم هذا ، كما أجاز طوائف من الفقهاء
الخروج بالبهائم والأطفال إلى الخلاء وإلى مكان صلاة الاستسقاء مبالغة في طلب
الغيث وإظهار الفقر والفاقة لله ، بل قد استحب هذا فريق من أهل الفقه
ولكنهم لم يجيزوا الاستغاثة بالأموات ولا دعاءهم ولا شيئاً من هذه الآثام
المنشورة فوق القبور ، ولا زعموا أن هذا لازم لذلك ، ولا أنه مثله وفي حكمه .

ومن الأمور المرغوب فيها المسنونة في صلاة الاستسقاء الخروج إلى
الصحراء والافضاء إلى السماء ، أعنى إفضاء المصلين المستقين وخروجهم ، كما

خرج رسول الله ومن معه من المسلمين لصلاة الاستسقاء متبذلين متخشعين .
متكسرين . . . فصلوا في الصحراء صلاة الاستسقاء مفضين إلى السماء مفارقين
للديار وللأبلية والبيوت مبالغة في التقرب إلى الله وإلى رحمته وغيائه وغيثه .
ولم يكن في هذا عند أحد من العقلاء شيء من الدلائل على جواز دعاء الأموات
والاستغاثة بهم كما زعم . فهذا غير هذا ، فهما أمران متباينان غير متلازمين .
أما زعم الرافضي أن فتح الفرجة سنة أهل المدينة عند القحط فزعم كاذب
لا يكاد يصح ، وإن صح شيء فمن الجهلاء لا عن أهل العلم والمعرفة . والسقف
حائل بين القبر والسماء ، لا ينفذ إليها ولا تفضى إليه . ولا أحسب التاريخ
والمشاهدة يقران شيئاً من هذا الذي زعموه وذكروه .

استشفاع الناس
يوم القيامة
بالأنبياء وجواب
ذلك

﴿ الشبهة الثانية عشرة توسل الناس بالأنبياء ﴾ ﴿ ويخاطبهم في عرصات القيامة ﴾

الشبهة الثانية عشرة قال الرافضي : « قام الاجماع وتواترت الأخبار على
أن الناس يتوسلون بالنبي في عرصات القيامة فيشفع لهم إلى ربه ... » .
والجواب أن نقول : هذا لا خلاف فيه ولكنه على الرافضي لاله . ذلك
أن الثابت في هذه الأخبار التي يشير إليها ، وفي الاجماع الذي يذكره أن
الناس يوم القيامة عندما يشتد بهم الهول ، وعندما يلح عليهم الكرب
وبالبلاء ، وعندما يتوجهون إلى التماس الشفعاء وتطلب الشفاعات لا يطلبون من
نبي الله نوح ولا من بعده من الأنبياء الشفاعة إلا بعد أن يأتوهم ويروم . ولا يطلبون
ذلك من أحد منهم وهو عنهم غائب ناء ، ولا هو عنهم محتجب قصي . فلا يقولون .
أين كانوا : ياتوح اشفع لنا ، ولا يا إبراهيم أو يا محمد اشفع من أجلنا لنراخ من هذا
البلاء والكرب العظيم : لا يفعلون شيئاً من ذلك ألبنة ... ولكنهم يذهبون إلى

دلالة هذه
الحجة على خلاف
قول المخالفين

نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، فيطلبون منهم جميعاً الشفاعة إلى ربهم وخالقهم ليرحمهم مما هم فيه من الشقاء والبلاء ، فيحييهم كل نبي على النبي الآخر حتى يصلوا إلى محمد خاتمهم عليهم جميعاً الصلاة والسلام ، فيذهب إلى ربه ، فيضرع إليه ويتوسل إلى ذاته تعالى بأنواع الوسائل من دعاء وحمد وسجود ورغب ورهب حتى يأذن له ربه بالشفاعة الكبرى للناس كافة فيشفع ويشفع ، وتحد له الحدود فيمن يشفع فيهم وفيمن تنفعهم شفاعته ، فإذا شفع فيمن لا يستحقون الشفاعة قال الله له : « ذلك ليس إليك » كما جاء في الصحيح في آخر حديث الشفاعة الذي رواه الحسن عن أنس بن مالك قال عهد ﷺ : « فأقول : يا رب ائذن لي في من قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذاك لك - أو ليس ذاك إليك - ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من النار من قال : لا إله إلا الله ... » . وما جاء في رواية واحدة من روايات أحاديث الشفاعة أن الناس يطلبون من الأنبياء ومن الشفعاء الشفاعة قبل أن يذهبوا إليهم وقبل أن يأتوهم فيسمعهم ويروم ... بل اتفقت تلك الأخبار جميعاً على أنهم أولاً يذهبون إليهم ويأتونهم ثم يطلبون منهم أن يشفعوا لهم وأن يدعوا ربهم من أجلهم . وهذا يدل على أن الفطر كلها مفعولة على أنه لا يصح الاستشفاع بالغائب ، ولا يصح دعاؤه ولا الاستغاثة به ولا التوجه إليه ، ولا سؤاله ولا طلبه شيئاً من الأشياء ... وهذا لا شك فيه بين ذوى الألباب الصحيحة السليمة . وهذا يرد على المخالفين رداً صريحاً ، وينقض ما ذهبوا إليه من الاستشفاع بالأموات ودعاء الغائبين الغابرين نقضاً قوياً جليلاً . فان المخالفين يدعون الأموات من كل مكان ، ويستشفعون بهم من كل مكان ، ويسألونهم ضروب الحاج من كل مكان ، ويرغبون إليهم من كل مكان ، ويلهجون بأسمائهم ودعائهم من كل مكان ... والأموات الذين يدعونهم ويستغيثونهم طائون عنهم

إذ يدعونهم وإذ يهتفون بأسمائهم : غائبون عنهم ، لأنهم إن كانوا صالحين فهم عند ربهم يرزقون ويحبرون ويفرحون كما قال تعالى في كتابه العزيز : « .. أحياء عند ربهم يرزقون . . . » الآية . وإن كانوا من الأشقياء وأصحاب الجحيم فهم غائبون أيضاً في أطباق النيران يعذبون ويشقون ويتجرون ألوان العذاب وألوان التنكال . . . فالأموات - مؤمنين وكافرين - صالحين وطالحين - غائبون عن أهل الدنيا وعن دعوم وخاطبهم وراموا الاتصال بهم من أهلها ، قصيون عنهم لا يسمعونهم إن دعوم سرّاً أو جهرّاً ، ولا يعلمونهم إن رغبوا فيهم وفي سلطانهم . ولكن هؤلاء المخالفين يدعونهم ويستغيثونهم مع بدمهم وغيبتهم ، ومع انقطاع الصلات والأسباب بينهم وبينهم . وأهل الموقف الذين يستشفعون بالأنبياء : بآدم فمن بعده ، لا يستشفعون بهم إلا في حضرتهم وبين أيديهم في حياتهم الأخرى . وما طلبوا من أحد منهم أن يشفع لهم ، ولا أن يدعو الله لميربحهم من موقفهم ذاك في ضيقه وبعده . فهذا الذي سوف يفعله أهل الموقف في عرصات القيامة رد على هؤلاء الداعين للأموات المخالفين بأسمائهم وألقابهم عند الشدائد ، وفي الرخاء أيضاً من كل مكان لو يشعرون ، ولكنهم لا يشعرون ولا يريدون أن يشعروا !

وهذه الآحاد
يرد على المخالفين

ثم إن أحاديث الشفاعة تلك رد عليهم من ناحية أخرى . . . ذلك أن الذي في جميع روايات أخبار الشفاعة وأخبار الموقف وعرصات القيامة أن الناس لا يطلبون من الأنبياء سوى الشفاعة وسوى الدعاء لهم عند الله ربهم . وما جاء في رواية واحدة من الروايات الكثيرة أنهم يطلبون منهم ، لا من آدم ولا من محمد ولا من بينهما ، أن يدخلهم الجنة وأن يريحهم من موقفهم الهائل ، وأن يكشفوا ما هم فيه من الكرب والعذاب والبلاء العظيم . . . فاقالوا : يا آدم أدخلنا الجنة ، ولا ارحنا من عذابنا هذا ، كما قالوا له : اشفع لنا عند ربك رحماً . . .

من العذاب . ولا قالوا : يا محمد أرحنا أو أزل عنا ما نحن فيه من الشقاء والآلام . كما قالوا اشفع لنا وادع من اجلنا . ولا قالوا مثل ذلك لأحد من الأنبياء الذين طلبوا منهم الشفاعة والدعاء ... فالأخبار كلها مطبقة مجمعة على أن الناس يوم القيامة لا يسألون الأنبياء إلا الشفاعة والدعاء : لا يسألونهم إدخال الجنة ولا الإراحة من العذاب ، لا بأسلوب الحقيقة ، ولا بأسلوب المجاز . وهذا يرد على الرافضى وعلى إخوانه الخاصين ، ويرد على سائر طوائف المبتدعين الضالين فى هذه المسائل الكبرى . لأنهم يزعمون أنه يصح أن يسأل المخلوق الميت كل شيء يصح سؤاله الله ، فيصح عندهم أن يقول المسلم المؤمن : يا رسول الله أو يا على ، أو يا حسن ، أو يا حسين : اغفر ذنبي واهد قلبي وأدخلني الجنة ، ونجني من النار : هذا كله عندهم يجوز . ويجوز أيضاً غيره من كل ما يصح أن يسأل الخالق إياه مما لا يستطيعه سواه ، إلا أنهم يزعمون أن هنالك حقيقة ، وأن هنالك مجازاً ، يزعمون أن سؤال المخلوق ذلك مجاز ، وأن سؤال الله إياه حقيقة . وقد تقدم الكلام على هذا . ولكن أخبار الشفاعة وأخبار عرصات القيامة ترد عليهم هذه الدعوى وهذا الزعم . فان تلك الأخبار قد أطبقت وأجمعت على أن الناس لا يسألون الأنبياء فى ذلك اليوم الأحمر المصيب الشديد إلا الشفاعة والدعاء . لا يسألونهم شيئاً من هذا الذى زعموه مجازاً ، والذى ادعوا أنه مؤول مصروف عن ظاهره وعما يبدو منه . فانه لو كان هذا الذى زعموه صحيحاً جائزاً لجاء أن الناس يوم القيامة ، أو أن فريقاً منهم ، سوف يسألون الأنبياء بذلك اللسان المجازى ، وبذلك القول المؤول المصروف عن ظاهره . فيقولون مثلاً : يا نوح أو يا آدم أو يا إبراهيم أو يا محمد أدخلنا الجنة وأرحنا من العذاب الذى نحن فيه . ولا يلس أن من جملة الناس المستشفعين بالأنبياء يوم القيامة هؤلاء الداعين إلى هذه الباطلات ، المستشفعين المستغيثين بالأموات ، القائلين هذه

إذا لا يسأل
المخلوقون
الأنبياء يوم
القيامة سوى
الشفاعة

المقالات . فلماذا يفسون في ذلك اليوم هذا المجاز الذي زعموه ، وهذا القول المؤول الذي ادعوه ؟ ولماذا لم يخاطبوا الأنبياء ويدعوم هناك بهذا المجاز وبهذا اللسان ؟ إن الجواب على هذا السؤال سهل قريب ، لا يعجز طالبه . فأين يذهبون ؟ ونحن لا نجد مائلاً بمنعهم كلهم من أن يقولوا مثل هذا القول إذا كان جائزاً ، وإن يستعملوا هذا المجاز إذا كان صحيحاً مقبولاً ، وهم أحوج ما يكونون إلى السؤال والطلب ، وإلى العافية والنجاة ، بحيث لا يصح أن يتركوا وسيلة ممكنة مرجوة إلا طرعوها ، ولا سبباً من أسباب النجاة والعافية — ولو توهموا وتظنوا — إلا أخذوا به من طرفيه وأمسك به كل امرئ منهم بكلتا يديه ، طلباً للنجاة ورغبة في العافية . فما لم يفعلوا ذلك ؟ بل ما لم يفعلوا منه شيئاً ، ولم يفعله منهم أحد ؟ أفلا يدلنا هذا الإقصار وهناك الاعراض على أن الذي رعه المخالفون أمر باطل وزعم غير صحيح ولا كرامة ؟ بلى ، إنه لكن ذلك ، وبلى ، إن أخبار الشفاعة مما يرد على المخالفين ومما يفسد ما ذهبوا إليه لو يفتننون ولا يتمصبون .

دلالة الأخبار
على قولنا من
أهمية ثلاثة

والأخبار — أخبار الشفاعة — رد على القوم من جهة ثالثة . ذلك أن الناس حينما يشتد عليهم الكرب والبلاء يذهبون إلى آدم أبي البشر ، فيطلبون منه أن يشفع لهم ، فيقول لهم : لست لها . إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ، وإنه نهائى عن الشجرة فأكلت منها . نفسى ، نفسى . اذهبوا إلى غيرى . فيأتون نوحاً عليه السلام فيطلبون منه الشفاعة فيعتذر كما اعتذر قبله آدم ، ويذكر ما له من خطيئة فيستحى ربه منها ، فيقول لهم : اذهبوا إلى غيرى . فيأتون إبراهيم فيقول لهم : لست هناكم . ويذكر خطيئته فيستحى ربه منها ، ويقول لهم : اذهبوا إلى غيرى . فيأتون موسى فيقول : لست هناكم . ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحى ربه منها ، ويقول : اذهبوا إلى غيرى . فيأتون عيسى فيقول لهم : لست هناكم . اذهبوا إلى غيرى . فيأتون محمداً فيذهب إلى ربه

ويخر ساجداً حتى يقال له : ارفع رأسك وسل تعطه ، واشفع تشفع . . إلى آخر الحديث . . . وقد جاء هذا التفصيل في الشفاعة وتنحى الأنبياء عنها واحداً بعد واحد عن جماعة من الصحابة بطرق متعددة صحيحة . وجاء في جميع طرق هذا الحديث أن الأنبياء : آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى يعتذرون عن الشفاعة وعن التقدم بين يدي الله كي يشفعوا للخلائق ، وأنهم يتهيئون ذلك المقام ويذكرون غضب الله وجلالة الوقوف بين يديه ، ويذكرون الأمور التي أتوها والتي سمعوها خطايا ، أو ذنوباً ، فيستحيون منها ومن ربهم من أجلها ، فيكفون عن مقام الشفاعة وعن مقام الشافعين ، ويقصرون عنها ويعدون أنفسهم دونها ، فلا يجرون على التقدم ، ولا يقدمون على الشفاعة — إجلالا لله وإجلالا لمقامه ، وإجلالا لذلك اليوم ، واستحياء من الله ، واهتماماً لأنفسهم . . . وأخيراً لا يشفعون ، وأخيراً يقول كل منهم : لست هناك ، وأخيراً يقول كل نبي منهم : نفسي ، نفسي . اذهبوا إلى غيري . . . إذن فمقام الشفاعة بين يدي الله للخلق مقام عظيم مهيب ، وإذن ليس كل أحد يستطيع أن يقوم ذاك المقام وأن يقف ذلك الموقف ، وإذن ليس كل امرئ يجزئ على التقدم بين يدي الله شافعاً للخلق . . ، هذا ما تدل عليه كله أحاديث الشفاعة التي احتجوا بها على باطلهم ، وهذا ما رواه أصحاب الصحاح من كلام النبوة في صحاحهم .

إذا كان الانبياء
بابون الشفاعة
للخلق إجلالا
لله فكيف يرجو
هؤلاء الشفاعة
من الشايخ

فاذا كان ذلك كله حقا - وهو حق بلا ريب - فماذا هؤلاء القوم يطرحون أنفسهم على كل جدث من هذه الأجداث ، ويلتقون آمالهم وحاجاتهم ومآربهم على كل دفين من الأموات ، زاعمين أن كل شيخ سألوه الشفاعة لا بد أن يشفع لهم ، وأن كل ولي أوكل حظي عند الله قالوا : له اشفع لنا عند ربك لا بد أن يشفع لهم ، ولا بد أن يقوم مقام الشفيع ، وقد تنحى عنه - إجلالا له وإجلالا لله - آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ؟ إذا كان هؤلاء الأنبياء - وهم

أولو العزم منهم - يابون أن يشفعوا للناس نهيًا لمقام الشفيع ولا امر الشفاعة ،
و تعظيما لله ول مقامه ، وتصغيراً لأنفسهم الكبيرة إزاء عظمة الله وكبر كبريائه -
و إذا كانوا يابون أن يشفعوا للخلق لأنهم قد أذنبوا ذنباً و اخطأوا خطأً ، لعله
لا يكون خطأ ولا ذنباً إلا في أعينهم وعندهم هم خشيتهم ربهم وإعظامهم له -
و إذا كانوا يابون أن يشفعوا لأن الله قد غضب غضباً شديداً ، وهم لا يليق بهم
أن يتقدموا إليه بهذا الأمر وهو غضبان ، والله إذا غضب ذاب كل شيء إزاء
غضبه ، وصغر كل كبير عنده ، والله إذا غضب تلاشت المقامات وطارَت النفوس
المؤمنة ذعراً و هيبه : إذا كان هؤلاء الأنبياء - وهم سادة الخلق وزعماء الأنبياء -
يابون أن يشفعوا لما ذكروا فقال هؤلاء الخيري يتطرحون على كل قبر ، وفوق كل
جدث : يريدون الشفاعة ، ويريدون الغفران ، ويريدون تكفير الخطايا والآثام
التي قد أحاطت بحياتهم وبأعمالهم وبما عملوه من حسنات ، إن كان ذلك ؟ ؟
أفلا يعلمون أن الأنبياء إذا كانوا يتأخرون عن الشفاعة إعظماً لأمرها
واستحياء من ذنوبهم ومن ربهم أن غير الأنبياء ممن يسألونهم الدعاء والشفاعات
أكثر منهم تأخراً ونهيًا وإياء وإحجاماً ؟ إذا كان نبي الله إبراهيم الخليل يقول
لمن يطلبون منه الشفاعة : لست هناكم ، لأن الله قد غضب ، ولأنني قد
أخطأت أو أذنبت ذنباً ، فما يمكن أن يقول غيره كالْحُسَيْن أو الْحَسَن أو فَاطِمَة
أو عبد القادر الجيلاني أو الرافعي أو البدوي أو غيرهم من الأولياء الصالحين
والمشايخ الآخرين ؟ ماذا يمكن أن يقول هؤلاء إذا طلبت منهم الشفاعة إذا
كان مثل إبراهيم الخليل يتأخر عنها ويأبأها ، لأنه قد أذنب أو أخطأ ، ولأن
الله قد غضب ؟ وماذا يمكن أن يقول مثل الامام الشافعي إذا طلبت منه الشفاعة
وقد تأخر عنها موسى وعيسى ونوح وإبراهيم خليل الرحمن ، وآدم أبو الخلائق
وأبو الأنبياء جميعاً ، لأنهم أصغروا أنفسهم عن ذلك المقام ، ولأن ربهم قد غضب

على خلقه لأنهم وذنوبهم ؟ لا ريب أن في أحاديث الشفاعة هذه زجرًا زاجرًا عن التعلق بالشفاعات والشفعاء ، وترغيبًا ظاهرًا عنها ، وحيلولة صارمة صادقة بين الناس وبينها . ولا ريب أن المسلم البصير يأخذ من هذا العظة البالغة ، ويأخذ أن شيئًا يحجم عنه مثل إبراهيم ونوح وموسى وعيسى وآدم لا يمكن أن يقدم عليه مثل البدوى والجيلاني والرافعي والدسوقي وأمثالهم . ثم يأخذ من ذلك أن من أقدم على ما أحجم عنه الأنبياء فليس من الله في شيء ، وليس من الأحياء والأجلاء لله ولا أنبيائه في قليل ولا كثير .

فهذه الأحاديث زجر للناس عن التعلق بالشفاعة والشفعاء أي زجر ، وترغيب عنها أي ترغيب ، فان العاقل يعلم بداهة أن ما عجز عنه مثل هؤلاء الأنبياء وأحجموا عن حماه لا يمكن أن يقدر ويقدم عليه غيرهم ممن ليسوا رسلًا ولا أنبياء وهذا كله واضح . ولكن أين من يفهمون وينصفون !

بعد هذا نقول لهذا الرافضي الظالم : إن استشفاع الخلائق يوم القيامة بالأنبياء من الاستشفاع بالأحياء ، ونحن لم نقل : إن الاستشفاع بالحى ممنوع باطل ولم نقل : إن طلب الشفاعة من كل أحد محرم محظور . ولكن قلنا إن الاستشفاع بالموتى ودعائهم من البدع المنكرة الباطلة ، وبما نهى عنه الدين : كتابه وسنته . والخلائق حينما يطلبون الشفاعة من الأنبياء لا يطلبونها منهم إلا وهم أحياء بين أيديهم . فأين هذا من ذاك ! وأين الأموات من الأحياء .

﴿ الشبهة الثالثة عشرة — خاق آدم والجنة والنار ﴾

﴿ من أجل محمد عليه الصلاة والسلام ﴾

الشبهة الثالثة عشرة قال الرافضي : روى الحاكم وصححه عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى : يا عيسى آمن بمحمد وامر من أدركت من أمتك أن

حديث خلق
الجنة والنار
لا أجل محمد عليه
السلام

يوثمنوا بمحمد . فلو لا محمد ما خلقت آدم ، ولو لا إني خلقت محمداً ما خلقت الجنة ولا النار . ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكنتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن اهـ

والجواب أن نقول : قال الحاكم في المستدرک (الجزء الثاني صفحة ٦١٥ كتاب التاريخ . طبعة حيدرآباد الهند) : حدثنا علي بن حمشاذ العدل إملاء حدثنا هارون بن العباس الهاشمي ، حدثنا جنبد بن والقي ، حدثنا عمرو بن أوس الانصاري ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى . . . الحديث . قال الحاكم بعد روايته : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي في التعليق : « قلت أظنه موضوعاً على سعيد » . قلت أنا : وهذا ورع من الحافظ الذهبي رحمة الله عليه . وإلا فالمقام غني عن « أظن » . بل الحديث موضوع يقيناً .

والسند : أما علي بن حمشاذ فهو أحد شيوخ الحاكم الحافظ . وقد أثنى عليه سند الحديث الحاكم كثيراً وأكثر من الرواية عنه في المستدرک . وذكره الحافظ الذهبي في « تذكرة الحافظ » بالخبر . وأما هارون بن العباس الهاشمي فذكره الخطيب في التاريخ ووثقه . وأما جنبد بن والقي فقال فيه مسلم : متروك . وقال البزار : ليس بالقوي . وذكره ابن حبان في الثقات . كذا في « تهذيب التهذيب » . ونقل عن أبي زرعة توثيقه . قال : وروى عنه البخاري في « الأدب المفرد » . قلت : ما روى عنه البخاري في كتاب « الأدب المفرد » إلا حديثاً واحداً في الاستغفار . رواه عن يحيى بن يعلى . وأما عمرو بن أوس الأنصاري فقال الذهبي في الميزان : « عمرو بن أوس . تجهل حاله . وأنى يخبر منكراً ، أخرجه الحاكم في مستدركه . وأظنه موضوعاً ، من طريق جنبد بن والقي » . وذكر هذا الخبر . وكذا قال الحافظ المسقلاني في « لسان الميزان » مثل ما قال الذهبي . وأما سعيد بن أبي

عروبة ومن بعده فائمة لا يسأل عنهم .

الحديث، موضوع
فالحديث موضوع ، والحل فيه على عمرو بن أوس هذا . أما تصحيح الحاكم
له فن شقا شقة المعروفة .

وكيف يصح خبر يقال فيه : إن الله لم يخلق آدم ولا الجنة ولا النار إلا لأجل محمد
عليه الصلاة والسلام ، ويقول : « ولولا أني خلقت محمداً ما خلقت الجنة والنار » .
إن الجنة والنار قد خلقنا عدلاً من الله ورحمة وحكمة ، والله حكيم عادل رحيم
قبل أن يخلق محمداً ، وقبل أن يخلق أحداً . والله كذلك حكيم عادل رحيم .
لم يخلق أحداً . خلق الله الجنة جزاء لمن أطاعوه واتقوه من عباده الصالحين .
الأبرار ، وخلق النار عقاباً للعصاة والكفار والظالمين والأشرار . . . فهل معنى
هذا الخبر أن الله لو لم يخلق محمداً لما جازى عباده الصالحين الأبرار على طاعتهم
وعباداتهم ، ولما عاقب الكفار والظلمة والأشرار على كفرهم وظلمهم وشركهم ، بل
لتركهم جميعاً سدى ، ولسوى بينهم ، ولجعل الكفار كالمؤمنين ، والفجار كالأبرار ؟
نعوذ بالله من هذا ومن حديث يدل عليه ويؤيده ! هذا الحديث الموضوع يقول :
إن الله لو لم يخلق عبده ورسوله محمداً لما استحق عبد الله ورسوله آدم الحياة ، ولما
استحق هو ولا إبراهيم خليل الرحمن ولا نوح أول رسول بعثه الله بالتوحيد
وبالدعوة إلى عبادة الله وحده ، ولا موسى ولا عيسى ولا غيرهم من الأنبياء والمرسلين
ولا غيرهم من المؤمنين والصالحين والشهداء والحكماء : يقول هذا الحديث الموضوع .
إن الله لو لم يخلق محمداً عليه السلام لما استحق أحد من هؤلاء الجنة ، لأن الجنة
ما خلقت إلا لأن محمداً عليه الصلاة والسلام خلق ، ولو لم يخلق لما خلقت . فلو لم
يخلق ما استحق أحد من هؤلاء الأنبياء والمؤمنين أن يدخل الجنة .

ويقول هذا الحديث الموضوع أيضاً : إن محمداً لو لم يخلق لما خلقت النار ولما عذب
فرعون وجنوده ولا أبو جهل وجنوده ولا غيرهم من أجناد الباطل والكفر والضلال

وحماة الشر وأعوان الاثيم . . . لأن النار لم تخلق إلا لأجل محمد ! نعوذ بالله من هذا الحديث ومن هذا القول .

قد يعقل بعض ناقصي العقول القول بأن الجنة لم تخلق إلا لأجل محمد ما معنى خلق النار لأجل محمد عليه السلام وأنها لولاه لما خلقت . ولكن الذي لا يعقله أحد القول بأن النار لم تخلق إلا لأن محمداً خلق ، وأنها لم تخلق إلا من أجله . . . وما معنى خلق النار المخلوقة لعذاب الكفار والأشرار لأجل محمد عليه الصلاة والسلام ؟ وما معنى قول هذا الحديث المكذوب : إن الله لو لم يخلق محمداً لما خلق النار ؟ إن كان معناه أن محمداً هو الذي يعذب بالنار ، أو أن الكفر به وحده دون الكفر بسائر الأنبياء والحقائق هو الذي يوجب دخول النار : إن كان معنى الحديث هو هذا فهذا باطل وجبل وكفر . وإن كان معناه أن الله لم يخلق النار إلا لإرضاء وتكريماً لمحمد عليه الصلاة والسلام ورفعاً لشأنه وقدره . . . فهذا أيضاً من شر الضلال والجهل الزور . . . وإن كان معناه أن محمداً هو الذي خالقها فهذا أدهى وأمر وأقبح . . . وإن كان معناه أن الله لو لم يخلق محمداً لما خلق أحداً ، ولو لم يخلق أحداً لما خلق النار ولا الجنة : إن كان هذا هو معنى الحديث . وهذا أقرب ما يقال فيه . - قيل إن هذا القول من شر الأقاويل . وذلك أن الله قد خلق خلقه لحكمة كبرى جليلة ، بل لحكم كثيرة جليلة . ومن هذه الحكم إرادته أن يعبد وأن يعمر هذا الكون . وعبادة الله وعمارته كونه غايته من الغايات المطلوبة المحموده سواء أخلق محمداً لم يخلق ، بل محمد نفسه ما خلق إلا لأجل هذه الغاية . . . ومن الحكم في خلق الخلق إرادته تعالى الإحسان والجود وإظهار معاني صفاته ومعاني صفات الربوبية والألوهية وصفات الكمال . وهذا لا يكون إلا بخلق الخلق وخلق من يستحقونه وخلق الحل القابل له . . . وفي هذا القول أمور فاسدة كثيرة ذكرناها في كلام سابق عند الكلام على خبر سؤال آدم ربه بمحمد عند اقترافه الخطيئة فليراجع .

ومن الإساءة
للأنبياء

ومن الإساءة لأنبياء الله ولعباده الصالحين جميعاً القول بأن الله لم يخلقهم لأجل عبادته تعالى ، ولا لأجل الدعوة إليه وإلى عبادته أصالة ، وإنما خلقهم أصالة لأجل محمد عليه الصلاة والسلام . بل لبس هذا القول إساءة إلى الأنبياء وإلى عباد الله الصالحين فقط ، بل هو عين التحقير والتصغير لشأن عبادة الله وشأن المهمة وأمر الخدمة التي قام بها المصلحون - الأنبياء فمن دونهم - في الأرض قبل محمد وبعده . وذلك أن معنى هذا الحديث المكذوب أن الإصلاح في الأرض وتقويم المورج من الاخلاق ، وإصلاح الفاسد من الآداب والمعتقدات ، وكل ما قام به الأنبياء والمصلحون كلهم لم يكن هو الغرض من خلقهم وإيجادهم ولا الحكمة في اصطفاء الله إياهم وتفضيلهم على العالمين . . . وإنما الغرض من خلقهم والحكمة في اصطفتهم واختيارهم هو تشریف محمد وتكريمه وإرضائه ونموذ بالله من هذا المذهب ومن هذا الحديث الدال عليه ، ومن الباهين إليه والمصححين له . وبرأ الله ابن عباس - حبر الأمة - من أن يجرى هذا الهذيان والضلال على لسانه ، أو على لسان أحد من الصحابة والعلماء الربانيين الفاضلين للإسلام ولحقائقه الظاهرة الأولى .

وانصح الحديث
كان خارجاً عن
هل النزاع

والجواب الثاني أن يقال : هبوا الخبر صحيحاً فهل يدل على ما ذهبتم إليه من الترهات والخرافات ودعاء الأموات ؟ والجواب أن نقول : كلا ، لا يدل على شيء من ذلك . فانه لا يدل إلا على أن لمحمد ﷺ عند ربه غاية غايات الشرف وأقصى نهاية التكريم والتبجيل ، حتى إنه تعالى من تكريمه له وإعظامه إياه لم يخلق آدم ولا الجنة والنار إلا لأجله ولأجل إرضائه وإكرامه ، وإنه لولاه لما استحق آدم ولا الجنة والنار الوجود والحياة . . . ولكن هذا لا يدل على جواز دعائه والاستغاثة به والمكوف على قبره ميتاً كما أننا نقول نحن : إن الله خلق الخلق لأجل العسادة ، ومع هذا لا نقول بجواز دعاء العبادة والاستغاثة بها ولا الغلو

فيها . . . والتفضيل والتكريم ليس معناهما قوة المفضل والمكرم ، ولا قدرته ولا إعطائه القدرة المطلقة والسلطان الواسع ، وليس معناهما أيضاً أن يعطيه الله وصفه أو أن يبيح خلقه أن يعبدوه وأن يتوجهوا إليه بما يتوجهون به إلى ربهم من أنواع العبادات والاستغاثات والضراعات . . . بل معنى التفضيل والتكريم . لعبد الدلالة على أنه كان أخضع خلق الله الله وأقومهم بفروض العبادة وأكثرهم اتقياداً لها . فالعبد المفضل المكرم هو العبد الخاضع لله ، العابد له عبودية وقف دونها وعجز عنها من لم ينالوا ما نال من التفضيل والتكريم . فمحمد عليه الصلاة والسلام أفضل الخلق لأنه كان أعبد لهم لربه وأخضعهم لعبادته . والآ نبياء والمرسلون أفضل عند الله من سواهم لأنهم قد كانوا أعبد لربهم وأخضع وأدنى إلى معاني العبودية وأكثر استعداداً لذلك والمسلمون المؤمنون أفضل عند الله من الكافرين والملحددين والجاحدين لأنهم أعبد لله وأخلص له وأعظم عبودية وذلة وأصدق توحيداً لله رب العالمين . . . وليس محمد رسول الله ، ولا الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، ولا المؤمنون أفضل من الآخرين لأنهم كانوا أقدر وأقوى منهم ، ولا لأن الله قد أعطاهم من السلطان والقدرة والقوة ما ميزهم به . بل قد يكون الكافرون والملحدون المطرودون أقدر من الأنبياء وأوسع سلطاناً وسلطة — أعنى السلطة والسلطان الماديين الدنيويين . وقد كان الشياطين والتمردون والظالمون أقوى من المؤمنين والصالحين والعادلين إلا في الفرط النادر من الزمان . وقد كان بعض الأنبياء السابقين أعظم سلطاناً وملكاً من محمد عليه الصلاة والسلام . ولم يمنع هذا أن يكون محمد أفضل النبيين وأكرمهم على ربه وعلى المؤمنين . وهذه أمور لا تتسع للخلاف والنزاع .

فاذا صح أن الجنة والنار ما خلقنا إلا لأجل محمد ، وأن آدم لم يكن ليخلق لو لم يخلق محمد ، وأن الوجود كله لم يكن ليستحق الوجود والتخليق لولاه عليه

كرامة الله
لا يلزمها الله
المادية

الصلاة والسلام : إذا صح هذا كله لم يكن فيه شيء سوى الدلالة على عظمته ﷺ وعظم فضله وشرفه وكرامته على ربه وقدره لديه . وهذا كله لا يدل إلا على أنه كان أعبد العباد وأزهى الزهاد وأكثرهم صلاحاً وتوحيداً وأكثرهم دعوة إلى ذلك . فأعطاه ربه من التكريم والتفضيل بمقدار ما أعطى عبوديته من الخدمة والرياسة والقوة . وكثرة عبودية العبد لا تحض على عبادته نفسه ، ولكنها تنهى عنها وتندود عن الوقوع فيها ، وتغرى بالسمو إلى الواحد الصمد ، وبالاقتطاع عن كل أحد .. فما في هذا الخبر ، إذا صح - شيء مما يذهبون إليه ، وما فيه إلا فضيلة من فضائل محمد عليه الصلاة والسلام وإلا الأمر بالإيمان به . فقد قيل لعيسى عليه السلام : آمن بمحمد وأمر من أدركت من أمته أن يؤمنوا به . وذكر فيه بعد الأمر بالإيمان به هذه الفضيلة العظيمة ، ولم يذكر غير الإيمان والتصديق . فكان الفضيلة المذكورة إذا صححت لم تدل إلا على وجوب الإيمان بصاحبها وهو خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : ولهذا لم يقل في الخبر المذكور : يا عيسى توسل بمحمد ولا استغث به ولا ادعه ولا اعكف على قبره ، ولا أوامر من أدركه من أمته أن يتوسلوا به ويستغيثوا وأن يدعوه ويعكفوا على قبره وأن يسألوه حاجاتهم وأن يسألوه الجنة والنجاة من النار ، أو يسألوه شيئاً من هذه الأشياء التي يسألها الناس اليوم المشايخ والأموات والصالحين والطلحين . فضيلة محمد عليه الصلاة والسلام تقتضي الإيمان به واتباعه وإجلاله وإجلال أحكامه وشريعته ، والرغبة عما خالفها وخالفه . والاعتراف بهذه الفضيلة لا يكون إلا بذلك ... أما الاقتطاع إلى قبره والعكوف عليه رجاء مدده ونصره ، ورجاء نفعه وضره - وأما سؤاله ودعاؤه والاستغاثة به : أما ذلك كله فليس فيه فضيلة له ، وليس الفاعل له من المعترفين بفضله وفضيلته وقدره وبما أوجبه الله له وخصه به من الفضائل والعطايا الربانية الكريمة . ولهذا نجد المالكين على قبره .

فضيلة محمد
تقتضي الإيمان
واتباعه ودعاؤه
وطلب الحاجات
منه

وعلى قبور سواء من الأنبياء والصالحين والأولياء والأشياخ من أنقص الناس ديناً وتقياً واتباعاً لأوامر الإسلام وأوامر نبي الإسلام . وقد كان أبو بكر الصديق أفضل الأمة وأقربها إلى نبيها وربها وأعظمها اعتراكاً بقدر النبي عليه السلام ومعرفة له واعترافاً بشرفه وفضله وفضائله ، وكان أعملها بذلك : كان أبو بكر الصديق مع ذلك كله أقل المسلمين سؤالاً للنبي وشكاية إليه ورغبة في ما عنده من أعراض الحياة الدنيا . بل قيل إنه رضى الله عنه لم يسأل النبي عليه السلام شيئاً قط في حياته لنفسه ولا بعد مماته . وكذلك كان المسلمون جميعاً : أكثرهم إيماناً وتصديقاً وتقوى أقلهم سؤالاً للمخلوق وشكاية إليه ورغبة فيه وفي الحاجات لديه . وقد كان الأعراب وحدثاء العهد بالآيمان والإسلام هم الذين يسأله الرسول . يكثر من سؤال النبي . وكانوا يلحفون ويلحون بمسائلهم ومطالبهم حتى كان ينفضب وينكر ، وكان ينفضب لفضبه كبار أصحابه وسادتهم أمثال الصديق والفاروق . وقد جاء في الحديث الصحيح أن الصحابة كانوا يتهيبون سؤاله عليه السلام ، وكانوا يدعونه مع رغبتهم فيه وحاجتهم إليه ، وقالوا : إنهم نهوا عن سؤاله . وكانوا يفرحون ويتمنون أن يأتي الأعرابي من البادية فيسأل النبي فيتلقوا جوابه ويعلموا ما يحتاجون إلى علمه . . . هذا في العلم والدين . أما الدنيا ، فانه عليه الصلاة والسلام كان ينفضب ، وكان يشتد في غضبه على من يسألونه الدنيا ، وكان ينكر المسألة ويحذرهما ، وكان يذكر وعيد السائلين والمستجدين ، وكان يرغب في التعفف وفي الإقصار عن مسألة الناس ألوان الترغيب . وكان كبار صحابته وكبار المسلمين لذلك أبعد الناس عن أن يسألوه شيئاً من حاجات الدنيا ومآربها وأعراضها . وكانوا - رضى الله عنهم - مع ذلك أعظم الناس إيماناً بالله وبرسوله وأكثرهم اعترافاً بحقوقه وعرفاناً لها .

أما هؤلاء العاكفون على الأجداث فلا يجدون الفضيلة والكرامة للنبي

عليه السلام أو لغيره إلا في دعائه وسؤاله واستجدائه وفي المكوف على قبره وجده ، وإلا في الرغبة فيه وتأميل الحاجات والشهوات لديه ، وإلا في بناء قبره وزخرفته وإلقاء المطارف والحريز وأنواع المعلقة الفاخرة الجيدة على قبره ومقامه . وقد كان ﷺ أشد الناس زهداً وزهيداً في هذا كله يوم أن كان حياً ..

ما يريد به عباد الدنيا
ف هؤلاء الناس المخالفون لا يمدون فضائل النبي والافرار بها إلا هذه الألاعيب والمظاهر والزخارف التي لا يرغب فيها إلا أهل الدنيا وأهل الجاه الكاذب المغرور والاطلاب الشهرة والعظمة والعلو في الأرض من أهل الرثاء والنفاق الحاد ، ومن لا يعملون شيئاً من الإصلاح — أو مما يسمى إصلاحاً — إلا لأجل أن ينالوا التعظيم وعبادة الجماهير الجاهلة بعد موتهم وذهابهم إلى ما قدموا من صالح أو سوء . فتتصب لهم التماثيل في أعظم الميادين ، وتصنع لرفاتهم التواييت ، وتشاد على رمهم أغر القباب والبنائيات الشائخة الرفيعة .. وغير ذلك من صنوف الأحايل التي يوقع فيها الجماهير الغبية الجاهلة من يدعون بالعظمة والقواد .

لكن عباد الله حقاً كلاً نبياء والمرسلين ، وسائر الصالحين المهتدين بهديهم الأخذين بأخذهم ، لا يرغبون في شيء من هذا ولا يقرونه ولا يرضونه ولا يكتبنون في إنكاره وردة على فاعليه وصانعيه .. ونحن إذا رأينا زعيم شعب يريد من قومه وشعبه العناية به بعد موته والتقديس لجثمانه وروحه ، فيرغبهم في إقامة التماثيل له وفي تسمية الأماكن والطرقات باسمه الشريف الخالد ، وإقامة الحفلات « الدورية » والإفناق عليها من الأموال والأعمال مالا يطيق الشعب : إذا رأينا زعيم شعب ينحى هذا المنحى — بالتصريح أو بالإيماء — شككنا في إخلاصه وفي صدق زعامته ، وساغ لنا أن نقول : إنه رجل يعمل لنفسه وجثمانه وشهوته وشهرته ... ونبذناه إذا كنا عقلاء فطناء .. وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفاعيل حول قبر النبي وحول قبور الأنبياء وقبور الصالحين من عباد الله : يزخرفون

ويشيدون ويعلمون ويندرون ويهدون ويعكفون ويرحمون أن النبي وأن الأنبياء وأن المسلمين الأولين يرضون ذلك ويريدونه منهم ويأمرون به ويدعون إليه ويقبلونه من فاعليه : هؤلاء الذين يفعلون هذا ويرحمون هذا هم يسيئون إلى النبي وإلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وإلى الصالحين من حيث لا يشعرون ولا يريدون ، ويلتقون ضباباً من اتهام الجهلاء وظنون الظانين الذين لا يعرفون حقيقة الاسلام وخلوصه وبرائه من هذا الجهل والنفاق والرثاء والكذب كله . أفلا يعتبر المخالفون بهذا إن كانوا حقاً الاسلام وحب النبي يريدون ويقصدون ؟

﴿ الشبهة الرابعة عشرة السؤال رب جبرائيل ﴾

﴿ وميكائيل وإسرافيل ﴾

خير السؤال
رب جبرائيل
وميكائيل ومحمد

الشبهة الرابعة عشرة ، قال الرافضي : ومن أخبار التوسل بالملائكة والأنبياء ما في « خلاصة الكلام » أن النبي عليه السلام أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد أجرني من النار » . قال في شرح الأذكار : خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء ، وإلا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات ، فافهم ذلك أنه من التوسل المشروع انتهى .

والجواب أن يقال أولاً : إن هذا النوع من التوسل لا خلاف في جوازه . فلا خلاف في جواز أن يقول القائل : « اللهم رب الأنبياء ، ورب الملائكة ، ورب السماوات والأرضين ، ورب العالمين : أسألك أن تغفر ذنبي ، وأن ترحم حني عن النار ، وأن تدنيني من الجنة ومن أعمالها وموجباتها .. » ، ولا في أن يقول قائل : « اللهم رب محمد وأبي بكر ورب عمر ورب عثمان ورب علي ، ورب المؤمنين جميعاً : أسألك موجبات رحمتك ومزيلات سخطك ... » . كل هذا لا خلاف

في جوارحه وجواز أمثاله فيما نعلم . وقد جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة قالت كان رسول الله إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، علم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

هذا من التوسل
بصفات الله

فهذا النوع من الدعاء والتوسل لا ينافي فيه أحد من المسلمين فيما نعلم ، لأنه في الواقع توسل ودعاء باسم من أسماء الله وصفة من صفاته ، وهما اسم « الرب » وصفة « الربوبية » ، مضافين إلى مخلوقات هي من أعظم وأجل مخلوقات الرب وأشرفها فالذي يقول : أسألك يا رب السموات ويا رب العالمين ، لا يسأل بشيء من الخلق لا بالسما ولا بالعالم . وإنما يسأل ربه متوسلا إليه بأحدى صفاته وهي صفة الخالقية . والذي يقول : يا رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل اغفر لي ذنبي واهدني لما اختلف الناس فيه لا يسأل بجبرائيل ولا بميكائيل ولا بإسرافيل ، وإنما يسأل ربه بصفة الخلق التي من أشرف متعلقاتها والكائنات بها هؤلاء الملائكة الكرام . والرسول عليه الصلاة والسلام بقوله : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك . إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » لم يسأل ربه هؤلاء الملائكة ولا بالسموات والأرض ولا بالغيب والشهادة ، ولا بمن يهديه إلى الصراط المستقيم . وإنما سأله تعالى بصفاته : صفة الربوبية ، وصفة الخلق ، وصفة علم الغيوب ، وصفة الهداية ، وصفة الحكم بين المختلفين . . . ويراد بإضافة أحد أسماء الله أو إحدى صفاته إلى بعض المخلوقات العظيمة المبالغة في الثناء على الله وعلى صفاته وأسمائه . وذلك أن الأمر يعظم بقدر ما يعظم أثره وسببه ، فما كان أثره عظيما وجليلا كان هو عظيما جليلا . ومن أثنى على أثر أمر من الأمور

وعلى أفعاله ومصنوعاته فقد أتى ولا شك على صاحبها وفاعلها . بل الثناء على
المصنوعات المفصلة هو ثناء على الفاعل الصانع . فالذى يقول : اللهم رب محمد
والأنبياء ، ورب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ورب الملائكة أهدنى . . .
لا يريد بقيله هذا إلا الثناء على الله والتوسل إليه بامتداح صفته التى من آثارها
هؤلاء الأنبياء وهؤلاء الملائكة . فهو قد أتى على صفة الله بإضافتها إلى هؤلاء
العباد الكرام على الله وعلى خلقه ، وأتى على الله بثنائه على صفته . فهو قد
توسل إلى ربه بالثناء عليه والتعجيد لأسمائه وصفاته . ولم يتوسل بمخلوق ولا بعبد
من العبيد . ونظما قال فى حديث عائشة . . . فاطر السموات والأرض ، عالم
الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، أهدنى لما اختلف
فيه من الحق باذنك . إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . ولا يمكن أن
يكون هذا من التوسل بالسموات والأرض والغيب والشهادة — أى بالغائب
والشاهد — وبالعباد . ومن يهدى إلى الصراط المستقيم من خلق الله . فانه لا
يقول أحد : إن التوسل بهذه المخلوقات كلها من التوسل الجائز المشروع . فلا يجوز
تأخذ التوسل بالأرض والسماوات والغائب والشاهد ، وبكل العباد ، وبكل من
هدى إلى الصراط المستقيم . ولو كان ذكر جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد
فى الحديث الذى ذكروه توسلا وسؤالا بهم لكان ذكر السموات والأرض
والغائب والشاهد والعباد والمهدين فى حديث عائشة وفى غيره من النصوص
توسلا وسؤالا أيضاً ، لأنه لا فرق بين ذكر هؤلاء وذكر هؤلاء . وقد جاء فى
الكتاب وفى السنة إضافة لفظة « الرب » إلى كل شئ : إلى العالمين ، وإلى
المشارك والمغارب ، وإلى السموات والأرض وما بينهما ، وإلى العرش ، وإلى
الشعرى ، وإلى الناس ، وإلى الفلق ، وإلى الغيب والشهادة ، وإلى كل شئ
طوى إلى الرياح وإلى الشياطين . . . وهذا كله مذكور فى الكتاب وفى الأخبار . .

ولكن لا يذهب حافل إلى جواز التوسل إلى الله بكل ذلك . لأن القول بجواز التوسل بالأرضيات والسماويات والعلويات والسفليات وسائر صنوف المخلوقات حتى الرياح والشياطين والشعري والفلق ، وحتى الناس بمنافعهم وملحديهم وضلالهم وجهالهم وكفارهم . . . قول لا يرضاه أحد في ما نظن . والمخالفون يدعون أن قوله في الخبر المذكور : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد . . . » توسل وسؤال هؤلاء الملائكة وبرسول الله عليهم الصلاة والسلام . وإذن ليقولوا : إن قوله في حديث عائشة وفي غيره : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة » الحديث توسل وسؤال بكل شيء . وهذا يلزمهم لزوماً لا فرار لهم منه .

ثم يقال ثانياً . - هذا الحديث غير صحيح ، فيه رواية ضعفاء ، تكلم فيهم . وقد رواه ابن السني والطبراني في الكبير . قال في « مجمع الزوائد » (الجزء الثاني صفحة ٢١٩) : رواه الطبراني في الكبير ، وفيه عباد بن سعيد . قال الذهبي : لا شيء . وقد زكاه ابن حبان في الثقات . وقد روى من طرق أخرى كلها ضعيفة لا يصح الاعتماد على شيء منها في التحليل والتحريم والتشريع . وإنما يقبلها من يقبلها في فضائل الأعمال ، وفيما ثبت أصله وحكمه بأدلة أخرى صحيحة ثابتة . هذا والحديث لم يرد بلفظ الأمر ، وإنما ورد أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يقول ذلك . والشيعي المؤلف ذكر أن النبي أمر به أمراً . وهو غلط أو كذب .

وأما قوله : « قال في شرح الأذكار : خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم وإلا فهو سبحانه رب جميع المخلوقات . فأفهم أنه من التوسل المشروع . . . » فهو كذب ، لم يذكر هذا الكلام في شرح الأذكار ، لا بلفظه ولا بمعناه . بل ذكر فيه ما يبطل زعم الرافضي . فقد ذكر أن هذا من التوسل بصفة « الربوبية » لا

بهؤلاء المرويين . ولو كان صادقا في فيما نقله لما كان في ما نقل حجة شرعية . لأن كلام الشراح وغيرهم من الناس لا يحكم على الشرع ، بل الشرع هو الحاكم على الشراح وعلى سائر الناس . والكتاب والسنة لا يردان إلى آراء الرجال ، ولكن الآراء ترد إليهما عند المسلمين .

﴿ الشبهة الخامسة عشرة أمر مالك للمنصور ﴾

﴿ ان يستشفع بالنبي عليه السلام ﴾

قال القاضي عياض في كتاب « الشفا » : حدثنا القاضي أبو عبد الله : محمد بن روية امرأه
عبد الرحمن الأشعري ، وأبو القاسم : أحمد بن بقي الحاكم ، وغير واحد فيما أجازوني
قالوا أخبرنا أبو العباس : أحمد بن عمر بن دهاث . قال حدثنا أبو الحسن : علي
ابن فهر . حدثنا أبو بكر : محمد بن أحمد بن الفرغ . حدثنا أبو الحسن عبد الله
ابن المنتاب . حدثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل . حدثنا ابن حميد
قال : ناظر أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله . فقال له
مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما
فقال : « لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » الآية ومدح قوما فقال : « إن
الذين يفضون أصواتهم عند رسول الله » الآية . وضم قوما فقال : « إن الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » الآية . وإن حرمة منبأ
كحرمة حيا . . . فاستكان لها . أبو جعفر . وقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة
وأدعو أم أستقبل رسول الله ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله .
قال الله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك . . . الآية . انتهى سياق
القصة عند القاضي عياض في كتابه « الشفا » .

قال الرافضى بعد ذكر هذه الرواية : « قال السهوى ، فانظر إلى هذا الكلام من مالك وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبي واستقباله عند اللقاء وحسن الأدب التام معه » .

والجواب أن يقال : أما هذه الرواية عن الامام مالك فهي رواية ليست مشرقة الاسناد ولا واضحة ولا معرفة الرجال والرواة ، بل هي رواية منكورة باطلة ، وإسنادها مظلم منكر مجهول . والرواة كلهم من القاضى عياض إلى الامام مالك يحتاجون إلى البحث والتنقيب الدقيق . وقد بحثنا عنهم جميعاً فيما بين أيدينا من كتب الحديث وكتب الرجال فما وجدنا منهم غير يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل . وسأئى الكلام عليه . أما ابن حميد فهو دائر بين رجلين كما سوف يأتى . ثم على جهالة رواة هذا الاسناد لا يدري هل التقى بعضهم ببعض ، وهل تماصروا ، وهل يمكن أن تكون رواية بعضهم عن بعض متصلة سليمة من الانقطاع ؟

الكلام على اسناد
القصة

فالرواة - ما خلا يعقوب ابن حميد - مجهولون من كل وجه ، والاسناد مظلم ، يعوزه الاشرار والوضوح . فلا يصح الاحتجاج بالرواية ، ولا يجوز التدين بالاسناد . وعلى من يخالفنا في هذا ويزعم أن الرواة ثقات أثبات معروفون معلومون ، ويزعم أن الاسناد ثابت صحيح متصل ، أن يكشف لنا هذا كله ويبيّنه بالأساليب العلمية الفنية الصادقة . وإلا فلا التفات إليه ولا مبالاة به . ورواية القاضى عياض للقصة لا يدل على صحتها ، لا عنده ولا عند غيره ، ، وتخريجها في كتاب : « الشفا » لا يدل على أن الرواة معروفون ، وأنهم ثقات أثبات يجب - أو يسوغ - الاحتجاج بهم .. لأن القاضى عياضاً يروى في « الشفا » أحاديث منكورة باطلة بالاجماع ، بل أحاديث موضوعة مكنوبة . وعادته هذه معروفة لا خلاف فيها . وهو مثل غيره من الجامعين في كتبهم ومؤلفاتهم صنوف الأخبار

الصحيحة ، والضعيفة ، والموضوعة المكنوبة . وليس هو من المشترطين فيما يروون ويذكرون الصحة والثبت كما اشترط فريق ليس الأكثر من المحدثين ذلك فصارت لكتبهم منزلة خاصة بها بين المسلمين والباحثين جميعاً ، ولكل طائفة من الطائفتين - المشترطة الصحة ، والجامعة كل ما يصل إليها من الأخبار - غرض واضح مشكور . فاسناد الرواية فيما بين القاضى عياض وبين يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل إسناد منكر مظلم مجهول ، لا يدان الله بمثله ، ولا ينحضع له العلم ولا الايمان . أما القاضى عياض فلا شك في إمامته وصدقه وجلالة قدره وعظم شأنه وصحة ما يروي به بنفسه . وأما يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل فقد ذكره الحافظ الخطيب في التاريخ ولم يذكر فيه قدحاً ولا مدحاً غير قول الدارقطني : إنه لا بأس به . وذكر أنه مروى الأصل ، وأنه حدث عن أبيه وعن داود بن رشيد ، وأحمد بن عبد الصمد الأنصاري ، والحسن بن شبيب المؤدب ، وعمر بن شبة النخعي . وأنه حدث عنه المفضل بن سلمة بن عاصم ، وعبد الصمد بن علي البطي ، وأبو القاسم الطبراني . ولم يذكر أنه من الرواة عن ابن حميد ، ولم يذكر تاريخ وفاته ولا ميلاده . هذا خلاصة ما ذكره الخطيب في ترجمة يعقوب .

وأما ابن حميد هذا الذي حدث عنه يعقوب ، والذي روى القصة مباشرة عن بيان الاختلاف في السند مالك ، فاختلف فيه : فقيل : إنه محمد بن حميد الحافظ الرازي ، وقيل : إنه محمد ابن حميد البشكري البصري . وبكل من القولين قال قائلون . فبالأول قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومن تبعه كابن عبد الهادي وغيره . وبالثاني قال السبكي في كتاب « شفاء السقام » ومن قلده من المتأخرين الجهلاء بهذا العلم . والأمر في الظاهر محتمل أن يكون هذا وأن يكون هذا ، لأنه لم يمين في الرواية ، ولم يأت في الظاهر ما يمين على تعيينه . فجاز أن يكون الرازي الحافظ ، وأن يكون البصري

اليشكرى ، وجاز أن ينهب إلى هذا ذاهبون ، وأن ينهب إلى ذاك ذاهبون .
ولا بد من معرفة الحقيقة ومن تطلبها لمن يريد أن يحتج بالرواية وأن يدين الله
بالقصة ، ولا بد من معرفة ابن حميد هذا قبل الإقدام على تصحيح حديثه ، لأن
أحد هذين الراويين - الدائر ابن حميد بينهما - ثقة ، وأحدهما ضعيف ذاهب .
ولأن أحدهما متأخر عن عصر الإمام مالك ، فروايته عنه لا تكون إلا منقطعة
غير متصلة ، وأحدهما متقدم تمكن أن يروى عن الإمام مالك وأن تكون
روايته عنه متصلة . . . فن يكون إذن ابن حميد هذا ؟ أهو الرازي الحافظ ،
أم البصرى اليشكرى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية ومن تبعه : إنه هو الرازي .
وعلى هذا فالرواية ضعيفة لأمرين اثنين : أحدهما أن محمد بن حميد الرازي
ضعيف . وهما الآخران واتهموه بالوضع والكنب المتعمد . وقد كذبه أبو
زرعة الرازي واسحاق الكوسج وصالح جزرة وابن خراش وابن وارة وآخرون ،
وترك التحديث عنه آخرون . ووثقه طائفة مع اعترافهم بوجود المناكير في حديثه .
وثاني الأمرين القاضيين بضعف القصة على هذا الرأي أن رواية ابن حميد
الرازي عن الإمام مالك منقطعة ، لأنه لم يرو عنه ولم يدركه . فان ابن حميد
توفي سنة ٢٤٨ وتوفي الإمام مالك سنة ١٧٩ . فوفاة مالك سابقة وفاة ابن حميد
ب ٦٩ سنة . فإذا فرض أن ابن حميد عاش ٦٩ كان . ولده في العام الذي مات فيه
مالك . وإذا فرض أنه عاش ٨٩ كانت سنة في العام الذي مات فيه مالك عشرين
عاماً . ولا يمكن في الغالب المعتاد أن يرتحل من بلاده إلى المدينة المنورة
بلدة الإمام مالك بن أنس فيلتقي به ويروى عنه قبل هذه السن في الكثير
المعهود . إذا فرض أنه روى عنه في آخر حياته . على أن أبا جعفر المنصور الذي
ناظر مالكاً كما في الرواية قد تقدمت وفاته على وفاة مالك ، فإنه قد توفي عام ١٥٨
فسيكون وفاة المنصور قبل وفاة محمد بن حميد ب ٩٠ عاماً . فذلك قد يأن

قال ابن تيمية

عمره ٩٠ سنة كان ميلاده في العام الذي مات فيه المنصور. فلا يظن أن ابن حميد قد ولد في حياة المنصور فضلاً عن أن يظن أنه ولد وصلح للرواية والتحديث وحمل العلم حينما وقعت هذه المناظرة بين الخليفة والامام في الحكاية المزعومة. فابن حميد هذا - إذا كان هو الرازي - ضعيف. ضعفه الأكثرون، وكذبه طوائف منهم. وروايته عن مالك منقطعة يقيناً. فالحكاية المذكورة ضعيفة بالنظر إلى ابن حميد - فقط - من ناحيتين: الانقطاع والضعف. والآن نقطاع والضعف كافيان في بطلان الرواية وردها ولو لم يكن في سندها سواهما.

هذا إذا كان ابن حميد هو الرازي الحافظ. أما إذا كان هو أبا سفيان اليشكري البصري فهو ثقة ثبت من رجال مسلم في الصحيح. وهذا هو ما جرح إليه السبكي في «شفاء السقام». قال: «أظن ابن حميد هو أبو سفيان البصري اليشكري، لأن الخطيب ذكره في الرواة عن مالك...». ولكن هذا التعمين لا دليل عليه سوى ما ذكر عن الخطيب أنه عده من الرواة عن مالك. وهذا لا يدل على أنه هو يقيناً إذا صح ما ذكره عن الخطيب البغدادي. وإتمامه احتمال عند قوم قوى وعند آخرين ضعيف. وقد ذكر الخطيب ترجمة ابن حميد الرازي وابن حميد اليشكري البصري في التاريخ ولم يذكر أن واحداً منهما روى عن مالك. وكذلك ذكر الحافظان الذهبي في الميزان وابن حجر في التهذيب ترجمتهما ولم يذكر أنهما من الرواة عن مالك. وعلى كل حال فالاحتمال الذي ذكره السبكي احتمال ضعيف لا دليل عليه، ولهذا قال في كتابه «شفاء السقام»: «أظنه إياه» ولم يقطع مع أنه يود أن يكونه، ويكره أن يكون الرازي، لأنه ضعيف ولأنه لم يدرك مالكا. ومع حرصه الشديد على أن يكون ابن حميد هذا هو البصري اليشكري الثقة - ومع إسرافه في اتباع هواه يقول: «أظن» ولم يستطع القطع واليقين.

وعليه فالاحتمال
ضعيف

وقال السبكي

وعلى كل حال فالانصاف يقتضينا ألا نجزم بأنه الرازى الضعيف كما
يقتضينا بأن لانسلم ظنهم أنه البصرى اليشكرى المعمرى الثقة . فكلما الرأيين .
لادليل عليه من نفس الاسناد وسياق القصة . وإنما هو الترجيح والتظنى . وهما
لايفيدان العلم والمعرفة . وهذا الاحتمال وحده قاضى برد الرواية وتضعيفها
لجواز أن يكون ابن حميد المبهم هو الرازى الضعيف لا اليشكرى المعمرى الثقة .
ومما لا شك فيه أن كلا الرجلين - الرازى الحافظ ، والمعمرى البصرى .
اليشكرى - قليل التحديث والحديث عن مالك إذا صح أن أحدهما روى .
عنه . ولا يعلم أن واحدا منهما التقى به وجلس إليه وسمع منه ، وهما رازى .
وبصرى ومالك مدنى . وأنت إذا راجعت كتب التراجم وكتب رجال الحديث
لا تجد لها تذكرة ولا تذكر واحدا منهما فى الرواة عن الإمام مالك سوى ما ذكره
السبكي عن الخطيب . وهذا يهيج الشك فى صحة الحكاية ومحة سندها .

ومع هذا
الاسناد ضعيف

ولاريب أن تأخر عصر محمد بن حميد الرازى الحافظ عن عصر مالك وعن
العصر الذى وقعت فيه المناظرة بينه وبين الخليفة لا يدل على أنه غيره . لانه
جائز وواقع معهود أن يحدث الراوى عن لم يدركه ، وعن بينه وبينه العصور
والسنون بأن يقول مثلا : قال فلان كذا . والناس كلهم يفعلون هذا حتى البخارى
نفسه يفعله فى الصحيح ، أعنى الأحاديث المعلقة التى يقول فيها مثلا بلا إسناد
قال رسول الله ، أو فعل ، كذا ، وقال أحد الصحابة أو فعل كذا بلا إسناد . وابن
حميد الرازى قريب منه أن يقدم على هذا النوع . فانه مدلس كما أنه ضعيفه
ذاهب الحديث . فتأخره عن الامام مالك وعن عصره لا يمنع أن يكون هو
المذكور فى هذه القصة ، لا أبا سفيان المعمرى الثقة . وإذا لم يثبت أو يترجح
أنه هو كان محتملا وممكنًا . والاحتمال والإمكان يمنعان ويأبيان صحة الرواية ،
ويردان على هذا الرافضى ومن يلقدم فى هذه المسائل قولهم : إن الاسناد صحيح

أو جيد . وكيف يكون صحيحاً وقد احتمل أن يكون أحد الرواة هو هذا الضعيف المتهم بالكذب واختلاق الأخبار ؟ والرواية لا تكون صحيحة إلا إذا كان روايتها كلهم من أول الإسناد إلى آخره عدولاً أثباتاً معروفين بالنص والعلم والتميين ، لا بالاحتمال والتجوز والتظنى . . . والحديث الذى يكون أحد رواياته ضعيفاً لا يصح أن يقال : إنه حديث صحيح أو حديث جيد بلا خلاف بين علماء هذا الشأن ورجاله .

ولو صح ما قالوا
كان الأسنا
مقطعا أيضا

على أنه إذا قطع هذا الاحتمال ونهض الدليل أو الدلائل على أن ابن حميد هذا هو أبو سفیان البصرى المعمرى اليشكرى الثقة العدل الذى أخرج حديثه مسلم فى الصحيح كان السند أيضاً معلولاً وكان غير صحيح يقيناً ، بل كان منقطعاً غير متصل . فقد ذكر الحافظ ابن عبد الهادى فى كتاب « الصارم المنكى » أن محمد بن حميد المعمرى اليشكرى البصرى قدم قبل أن يولد يعقوب بن إسحاق بن أبى إسرائيل الراوى لهذه الحكاية عنه ، وقد تقدم أن الخطيب ذكر فى التاريخ يعقوب بن إسحاق هذا وتقدم أنه لم يذكر تاريخ وفاته ولا تاريخ ميلاده ولا ذكر أنه روى عن ابن حمد لا الرازى ولا المعمرى اليشكرى البصرى ، وأنه ذكر أنه كان يروى عن عمر بن شبة النخعى ، والحسن بن شبيب المؤدب ، وذادود ابن رشيد ، وأحمد بن عبد الصمد الأنصارى ، وأمثالهم ، وأنه كان يروى عنه أبو القاسم الطبرائى ، والمفضل بن سلمة بن عاصم ، وعبد الصمد بن على الطسقى ومن فى طبقته . والذى يروى عن هؤلاء ويروى عنه أولئك متأخر عن محمد بن حميد المعمرى البصرى . فان المعمرى قد توفى سنة ١٨٢ ، والطبرائى - وكان من الرواة عنه - ولد سنة ٢٦٠ ومات سنة ٣٤٠ . فيكون بين ميلاد الطبرائى ووفاته ابن حميد هذا ثمان وسبعون سنة . فاذا قدر أن يعقوب بن إسحاق بن أبى إسرائيل كانت سنة ٢٠ يوم مات ابن حميد - وهذا التقدير لا بد منه لتصح روايته عنه -

كان بين ميلاد الطبراني وبين ميلاد يعقوب ثمان وتسعون سنة. ولو صح هذا لما
 أمكن أن يروى عنه الطبراني، وهو من الرواة عنه. إذن فلا بد أن يكون عصر
 يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل متأخراً عن عصر ابن حميد البشكري
 المعمرى، وإذن لا بد أن تكون روايته عنه منقطعة بلا ريب. إذن من غير الممكن
 أن يكون تلميذاً لأحدهما شيئاً للآخر وبينهما هذه الفجوة الزمنية الهائلة.
 فاسناد هذه القصة منقطع على كلا الرأيين والاحتمالين. فان كان ابن حميد هو
 الرازي الحافظ فلا تقطاع بينه وبين مالك. وإن كان هو البصري البشكري
 المعمرى فلا تقطاع بينه وبين يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل. فالرواية
 منقطعة الاسناد لاحتمال، فالحكاية ضعيفة لا بد، فالاحتجاج بها باطل مردود لاشك
 وهناك أمور أخرى كثيرة تدل على ضعف هذه القصة المروية عن الامام
 مالك رضى الله عنه. من ذلك أن أصحاب مالك نفسه، الذين دونوا فقه وعلمه
 وكل ما يتصل به لم يذكرها عنه في ما ذكرها وكتبوا. وإنما انفرد بها عنه ابن
 حميد هذا، الذي هو الرازي على قول، والبصري المعمرى على قول آخر. وهما
 كلاهما ليسا من أصحابه ولا من حملة العلم عنه لا الحديث ولا الفقه ولا غيرهما
 من صنوف العلم. ولا شك أن رواية ينفرد بها هذا المختلف فيه عن مالك دون
 أصحابه الثقات الاثبات الملازمين له رواية جديرة بالاطراح والرد، أو جديرة على
 الأقل بالشك في صحتها وثبوتها.

فالاِسناد منقطع
على كل حال

أمور أخرى دالة
على كذب
الحكاية

ومن ذلك أنها مخالفة لما صح عن مالك ولما رواه عنه أصحابه الثقات من
 أن الداعي يستقبل القبلة لا القبر كما سوف يجيء. وقد زعم في هذه الرواية أن
 مالكا أمر المنصور بأن يستقبل القبر حين الدعاء لا القبلة. وهذا خلاف ما صح
 عن مالك وخلاف ما رواه الثقات عنه من أصحابه الآخذين عنه. ولا شك أن
 رواية أصحابه مقدمة على روايات سوامهم، فان أصحاب الرجل أعلم به من غيرهم

ولا ريب . قال القاضي عياض في كتاب « الشفا » : « قال مالك في المبسوط : ما نقله عياض
عن مالك
ومعالمته لما
لن هذه القصة
من وجوه
لا أرى أن يقف عند قبر النبي ويدعو ، ولكن يسلم ويمضي . وقال نافع : كان
ابن عمر يسلم على القبر ، رأيتُه مائة مرة وأكثر يجيء إلى القبر فيقول : السلام
على النبي ، السلام على أبي بكر ، السلام على أبي . ثم ينصرف . وعن ابن قسيط
القنبي : كان أصحاب رسول الله إذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي
بميامنهم ، ثم استقبلوا القبلة يدعون . وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي
أنه كان يقف على قبر النبي فيصلي على النبي وعلى أبي بكر وعمر . وعند ابن
القاسم والقنبي : ويدعو لأبي بكر وعمر . وقال مالك في المبسوط : وليس يلزم
من دخل المسجد وخرج من أهل المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء . وقال
فيه أيضاً : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي
فيصلي عليه ويدعو له ، ولأبي بكر ، وعمر . فقيل له : إن ناساً من أهل المدينة
لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة وأكثر ، وربما وقفوا
في الجمعة أو في الأيام المرة أو المراتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون
ساعة . فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع . ولا يصلح
آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها
أنهم كانوا يفعلون ذلك . ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده . قال ابن القاسم :
ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها أتوا القبر فسلموا . قال : وذلك
رأى . قال الباجي : ففرق بين أهل المدينة والغرباء لأن الغرباء قصدوا لذلك ،
وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم . وقد قال عليه السلام :
« اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبوراً بلبائهم
مساجد » . وقال : « لا تجعلوا قبري عيداً » . ومن كتاب أحمد بن سعيد
الهندسي في من وقف بالقبر لا يلصق به ، ولا يجسه ، ولا يقف عنده مطويلاً .

هذا كله كلام القاضي عياض المالكي في كتابه : « الشفا في حقوق المصطفى »

من باب : « فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام » .

فذهب الامام مالك الثابت عنه ، الذي رواه ثقات أصحابه في أفضل كتبهم أن الداعي في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر كما ذكر في هذه الحكاية ، فالحكاية مخالفة لمذهب مالك المعروف بين أصحابه الثقات البصرياء . وهذا مما يفت في عضدها ويوهيها ويقضى بردها وإطراحها . ولهذا لم يذكر القاضي عياض هذه المناظرة في « فصل زيارة قبر النبي وآداب الزيارة » وإنما ذكرها في « فصل في أن حرمة النبي بعد موته وتوقيره وتكظيمه لازم كما كان حال حياته » . وكان هذا الذي ذكر في المناظرة من الأمر باستقبال القبر الشريف عند الدعاء لم يكن عند القاضي عياض من آداب زيارة القبر الشريف ومستحباتها . بل عنده أن آداب الزيارة هي ما ذكره في فصل الزيارة من النهي عن استقبال القبر حين الدعاء ، والنهي عن إطالة الوقوف عليه والدعاء عنده ، والاكتفاء من إتيائه وإتيائه . ولو كان استقبال القبر حين الدعاء عند القاضي عياض من آداب الزيارة وسننها ومشروعاتها لأورد هذه الحكاية في باب الزيارة ، أولاً وأخيراً . ولا يمكن أن يورد ما يخالفها في فصل الزيارة ويقتصر عليه إلا إذا كان يرى أن السنة لا تمدو ما ذكره مخالفاً لها . وهذا واضح بين .

استقبال القبلة
بين الدعاء في
مذهب مالك

أما ما ذكره عنه رضى الله عنه من رواية ابن وهب أنه قال : إذا سلم على النبي ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر : بيده فالجواب أن المراد بالدعاء الذي يستقبل القبر في حينه هو الدعاء للرسول ولصاحبيه أبي بكر وعمر . فإن السلام دعاء الله وشرعاً : فمن الدليل على أنه يسمى دعاء الرواية المتقدمة التي قيل فيها : « ويدعو لأبي بكر وعمر » . وقد نقل

وأما الرواية
الأخرى فالمراد
بها الدعاء
للرسول

القاضي عياض في الفصل المذكور : « قال أبو الوليد الباجي : وعندى أنه يدنو
للشيء بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر » . وقال في الرواية المتقدمة عن مالك :
« لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي فيصلي عليه
ويدعوه ولأبي بكر وعمر » . فهذا كله يدل على أنهم يسمون الصلاة والسلام
على النبي وعلى صاحبيه دعاء . وهذا لا شك فيه لغة ولا شرعاً . فقول مالك رضى
الله عنه في رواية ابن وهب أنه إذا سلم على النبي ودعا يقف ووجهه إلى القبر
لا إلى القبلة يراد به الدعاء للنبي ولأبي بكر وعمر ، ولا يراد به دعاء المرء لنفسه .
فرواية ابن وهب هذه ليست مخالفة لروايات غيره الصحيحة القائلة : إنه يستقبل
القبلة لا القبر وقت الدعاء ، وليست مخالفة لما صح عنه رضى الله عنه من إنكاره
الوقوف بالقبر طويلاً ، وإنكاره الدعاء عنده . فهذا له موضع وذاك له موضع .
فلا اختلاف ولا اضطراب . وهذا معقول مفهوم شرعاً ونظراً . فان الداعي لرسول
الله ولصاحبيه بالصلاة والسلام أو بنيرهما معقول منه وله أن يستقبل القبور
الشريفة وأن يتجه إليها ، لأن في ذلك نوعاً من الخطاب وإن كان غير حقيقى .

أما الذى يدعولنفسه فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام فمكروه له ومنه
أن يستقبل القبر ، لأن استقباله إذ ذاك لا معنى له ، بل فيه نوع وثنية إن لم
تكن فى حقيقتها ومعناها فى صورتها ومظهرها . وفيه غلو منكربيع ، وخروج
على أصول الشرع وقواعده المعروفة المؤسسة على الاخلاص المحض وعلى التجرد
لرب العالمين والخلوص إليه من جميع العوائق والموانع . والنبي عليه السلام حينما
كان حياً لم يكن المسلمون يستقبلونه إذا دعوا ربهم لأنفسهم . ولو أنهم استقبلوه
لأنكر ذلك عليهم ولما رضيه منهم البتة . ولكن هذا كان بعيداً عن أذهانهم
وأفهامهم رضى الله عنهم . وكانت أذهانهم وأفهامهم وخطراتهم وعقائدهم أخلاص
الله وأعرف بمعانى التوحيد والأخلاص النبوية من أن تقع فى شئ من هذا ، أو

براهين واضحة
على إطلاق
استقبال القبر
حين الدعاء
والبيانات

أن تقوم حول حاه . ولو أن مسلماً أراد أن يدعوره فتوجه إلى شيخ حتى
وتعمد استقباله وقت دعائه لكان ضالاً ، وكان فاعلاً ما ينكره جميع من
عرفوا الإسلام وفقهوا أصوله وفروعه . ولهذا لم يجوز لمسلم أن يستقبل في صلاته
شيئاً غير بيت الله ، فلم يجوز أن يستقبل النبي ، أو يستقبل قبره في صلاته
وعبادته ، فضلاً عن أن يجوز شيئاً من هذا لنبي ولغيره . وقد نهى
الإسلام نهياً شديداً صريحاً صحيحاً عن الصلاة إلى المقبور . والنهي عن الصلاة
إلى القبور يراد به النهي عن الصلاة إلى المقبور في الحقيقة والمعنى . إذ البقعة
من الأرض المجردة لا ينهى عن الصلاة إليها لذاتها ولا تسمى قبراً بدون مقبور
ولو آلا .

وقد أمر الإسلام المسلمين أمراً عاماً مطلقاً بأن يوجهوا وجوههم إلى خالقهم
ومالكهم ، ونهاهم عن أن يلتفتوا إلى سواه في وقت من الأوقات ، وحالة من
الحالات ، لا في صلواتهم ولا في دعواتهم ولا في ضراعاتهم ولا في سائر عباداتهم ،
ولا في شيء مما يسمى عبادة وديناً . وهذا قد تقدم . وما جاء عن أحد من المسلمين
الأولين أنه استقبل رسول الله حينما كان حياً سوياً وقت الدعاء ، أو الصلاة
أو العبادة المطلقة العامة ، بل ولا فكر أحد منهم في شيء من هذا . بل وأي معنى
ودين في أن تريد أن تدعو لنفسك ربك وتسأله أمورك وحاجتك فتتصرف
بجسمك وتوجه بوجهك إلى عبد من عباده ؟ ولو أنك سألت مخلوقاً شيئاً
توجهت حين سؤاله إلى سواه لكنت جاهلاً فاعلاً ما ينكر عليك وما تلام
عليه . فما أجدر بالملامة والانكار من راح يدعوره وخالفه فتوجه إلى عبيده
وخلقه !

فالذين يتوجهون إلى القبور حينما يدعون الله غاطلون غلطاً بيناً فاحشاً ،
آتون ما ينكره الدين والعقل . وهم ما توجهوا إلى القبور إلا لاعتقادهم أن من

توجهوا إليهم وإلى قبورهم لهم دخل وسلطان وأثر ظاهر في إجابة دعائهم وإعطائهم ما يسألون ربهم . فكأنهم قد اعتقدوا أن من توجهوا إليه وإلى قبره من وظيفته أن يرفع دعواتهم وحاجاتهم إلى الله وأن يبلغه إياها ويطلب إليه أن يقبلها وأن يجيبها ، وأن يفعل غير ذلك مما يظنون ويتوهمون من غريب الظنون والخطرات والأوهام البعيدة عن الاسلام وعن الاعتقاد الصحيح السليم ، المناهض لكل ما يمت إلى الوثنية والشرك بسبب من الأسباب . فهذه المناظرة المحكية عن الامام مالك ليست صحيحة لأنها مخالفة لمذهبه المعروف المدون عنه في أصح الكتب ، والذي رواه عنه أجل أصحابه وأصقهم به وأعرفهم بمقالاته ودقائق مذهبه وفنون فقهه . فهي رواية شاذة منكرة .

ومن الدلائل على بطلانها ركازة لفظها وخروج أسلوبها على الأساليب العربية الصحيحة . وذلك أنه قد قيل فيها : « استشفع به فيشفعك الله » . وهذا لحن صريح . فان الاستشفاع معناه طلب الشفاعة من المستشفع به . فعنى « استشفع به » اطلب منه الشفاعة ليشفع لك : فالرسول عليه السلام هنا شافع . وإذا كان ذلك كذلك كان الصحيح أن يقال : « استشفع به فيشفعه الله فيك » لا أن يقال : « استشفع به فيشفعك الله » . فان المستشفع بالرسول ليس شافعاً ، والذي يُشَفَّع هو الشافع لا المشفوع له يقينا . ومثل الامام مالك العربي بمولده ونشأته وعلمه يجمل عن أن يقع في هذا الخطأ الذي لا يقع فيه إلا من جهل أساليب العرب ومواقع كلامها . ولهذا لجأ بعض المعارضين المصححين لهذه القصة إلى تحريف هذه اللفظة وتغييرها فرووها هكذا : « استشفع به فيشفعه الله فيك » تحريفاً من عند أنفسهم لتسلم الرواية من هذا العيب الدال على أنها ليست من كلام الامام مالك ولا من كلام عليم بكلام العرب .

ويدل على بطلانها أيضاً قوله فيها بعد أن سأله المنصور على ما زعموا عن

ومن دلائل
بطلانها ركازة
أسلوبها

وعدم تلاقي
أجرامها

الاستقبال القبلية : « ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به . وهذا القول غير متلائم الأجزاء ولا مرتبط الدعوى بالدليل . وذلك أن كون محمد ﷺ وسيلة لنا ، ولأبينا آدم يوم القيامة لا يدل على جواز أن نستشفع به وأن نسأله الدعاء والشفاعة بعد مماته . وذلك أن قوله : « وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة » يعنى به الشفاعة الكبرى التى خص الله بها خاتم أنبيائه وهى شفاعته يوم الحشر لجميع الخلائق ليقضى بينهم وليراحووا من تلك الأهوال كما توارد فى الأخبار الصحيحة الكثيرة . فالوسيلة التى أشير إليها بهذه الحكاية هى شفاعته محمد ﷺ يوم يحجم جميع الأنبياء عنها هيبة الله ورهبة من ذاك المقام الرائع العظيم . وهذا لا ريب فيه . ولكن هل تدل شفاعته النبى يوم القيامة على استحباب استقبال قبره حين الدعاء وعلى جواز الاستشفاع به فى الحياة الدنيا ؟ وهل يدل هذا على هذا ؟ كلا . فان شفاعته النبى يوم القيامة لا تدل على أن السنة استقبال قبره حين الدعاء ، ولا على أن من السنة الاستشفاع به فى قبره . وهذا لأن شفاعته يوم القيامة لا تدل على أنه يشفع قبلها فى حال الموت وفى قبره . ولو كان يشفع فى حال الموت يقيناً لما دلت شفاعته على أنه لا يشفع إلا إذا طلبت منه ، بل من الجائز أن يشفع لأمنته وإن كانوا لا يسألون الشفاعة . وهذا كما أمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات . والاستغفار شفاعته ، وكما تستغفر الملائكة للمؤمنين وهم لا يسألونهم ذلك . ثم لو فرض أن شفاعته يوم القيامة تدل على أنه يشفع فى حال الموت ، وفرض أنه لا يشفع إلا إذا طلبت منه الشفاعة ما دل شئ من ذلك على استحباب استقبال القبر عند الدعاء . وهذا لأن الدلائل قد قامت على أن الأنبياء ومن دونهم من الصالحين والمؤمنين يرجون بهد موتهم - أعنى أرواحهم - إلى أعلى عليين كما قال تعالى : « أحياء عند ربهم يرزقون » . وإذا

كان النبي وكان غيره من الأنبياء والصالحين والمؤمنين عند ربهم لم يكن للاتجاه إلى القبر بقصد خطابه وسؤاله معنى من المعاني ولا رجة من الوجوه، وإنما الصحيح لموصح بهذا الذي تقدم أن يتوجه الداعي السائل إلى كل الجهات والوجوه على سبيل التوزيع والتقسيم، يدعو ويستشفع ويطلب، كما أن من أراد الصلاة والسلام على النبي صلى وسلم حيث كان وحيث أتجه. وقد قال ﷺ: «إن الله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام». رواه النسائي من حديث عبد الله ابن مسعود. وروى أبو داود أنه عليه السلام قال: «لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا على حيثما كنتم، فإن صلاتكم تبلغني». وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أنه رأى قوماً عند القبر فتهام وقال قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني». وروى سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد عن سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فناداني وهو في بيت فاطمة فقال: مالي رأيتك عند القبر؟ قلت: سلمت على النبي. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال إن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «لا تتخذوا بيوتكم قبوراً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر. لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. وصلوا على حيث كنتم. فإن صلاتكم تبلغني». ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء. وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب عن جعفر بن إبراهيم عن من ولد ذي الجناحين - عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين - زين العابدين - أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعو، فتهام عن ذلك، وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً. فإن تسليمتكم يبلغني أينما

الاحاديث في
النبي من اتيان
القبر النبوي
من طرق أهل
البيت وغيرهم

كنتم . قال الحافظ الهيثمي : « رواه أبو يعلى وفيه حفص بن إبراهيم الجعفرى . ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً . ورجاله ثقات » . كذا جاء فى نسخة « مجمع الزوائد » المطبوعة . وهذا تحريف واضح . والصواب جعفر بن إبراهيم لا « حفص » . وجعفر بن إبراهيم هذا الذى قال الحافظ الهيثمي : إن ابن أبي حاتم ذكره ولم يجرحه قد ذكره الحافظ المستقلانى فى كتابه « لسان الميزان » قال : « جعفر بن إبراهيم الجعفرى . عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين نسخة . وعنه زيد بن الحباب . قال ابن حبان : يعتبر بحديثه من غير روايته عن أبيه . وأخرج أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب بهذا السند عن علي بن الحسين حدثني أبي عن جدى رفعه : « لا تتخذوا قبري عبداً ، ولا بيوتكم قبوراً . فان تسليكم يبلغنى أينما كنتم » . وفى الحديث قصة (يشير إلى القصة المتقدمة من دخول الرجل الفرجة إلى آخره) . وأخرج إسماعيل ابن إسحاق القاضى فى فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام عن إسماعيل ابن أبي أويس عن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر عن أخبره من أهل بيته عن علي بن الحسين . . . فذكر القصة مطولة . وفيها قال علي بن الحسين : هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي ؟ قال : نعم . قال : أخبرنى عن جدى . . . فذكره وزاد بعد قوله : « قبوراً » « وصلوا على وسلموا حيث كنتم . فتبلغنى صلاتكم وتسليكم » . وقد أخرج المتن ابن أبي حاتم فى كتاب « فضل الصلاة على النبي » من طريق سعيد بن أبي مريم عن محمد بن جعفر حدثني حميد بن أبي زيلب عن جسر بن الحسن البجلي عن أبي عثمان عن أبيه رفعه قال : « حيثما كنتم فصلوا على فان صلاتكم تبلغنى » . ومحمد بن جعفر هذا هو ابن أبي كثير لا قرابة بينه وبين جعفر المذكور فى سند إسماعيل ولا إبراهيم فى سند أبي يعلى . . . وذكره ابن أبي طى فى رجال الشيعة . وقال : كان

الحديث آخرى
في هذا المتن

ثقة من رجال علي بن الحسين رضي الله عنهما . روى عنه عبد الله بن الحجاج . « انتهى كلام » لسان الميزان . « وحديث علي بن الحسين هذا قد رواه أيضاً أبو عبد الله المقدسي في الأحاديث المختارة . قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن عبد الهادي في « الصارم المنكي » . وقال الحافظ ابن كثير في التاريخ : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز بن أبي رواد عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال : « إن الله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » . وقال قال رسول الله : « حياتي خير لكم ، تمحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت لكم » . قال البزار : لم نعرف آخره يروى عن عبد الله إلا من هذا الوجه . قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » : إن رجاله رجال الصحيح . ونعم ، رجاله رجال الصحيح كما قال . ولكن في بعضهم كلام مشهور . وسوف نبين في ما بعد أن قوله : « حياتي خير لكم » الحديث إن صح لا يدل على ما ينهض إليه المخالفون ألبتة وإنما يدل على ما نهض إليه .

لا يستقبل القبر
عند الدعاء كما
لا يستقبل عند
الصلاة والسلام
عليه

وعلى هذا لا داعي لاستقبال القبر ولا معنى له حين الدعاء ، كما أن من يصلي ويسلم على النبي عليه الصلاة والسلام يصلي ويسلم حيث كان ووجد ، وحيث توجه وقصد ، لا يقيم جهة مخصوصة . والمسلمون ، في جميع أوقاتهم وحالاتهم : يصلون ويسلمون عليه في صلواتهم المفروضة وفي الصلوات النوافل ، ويصلون ويسلمون عليه عند دخولهم المساجد ، وعند ذكره ، ويدعون له بالوسيلة والفضيلة وبالمقام المحمود عند الأذان . ويصلون ويسلمون عليه في كثير من أوقاتهم وحالاتهم . ولا يقصدون بذلك جهة معينة ولا مكاناً مخصوصاً ، ولا يتوجهون شطر المدينة المنورة حيث يقيم جسده الشريف حين صلواتهم وسلامهم عليه ،

يحيون في هذا . بل عندهم أن من قصد هذا وتعمده فقد خرج على دين المسلمين ، وخالف إجماعهم ، وجاء بأمر عظيم وببذعة نكراء هوجاء .
فقالة هذا القائل في الرواية المنسوبة إلى الامام مالك : « ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة ... » غير متلائمة الأجزاء ، ولا صحيحة النظام والاستدلال . بل هي مقالة متناثرة الأجزاء ، ركيكة الأسلوب والسينق ، يجل عن مثاها مثل الامام مالك رضى الله عنه . وإنما يصح في الكلام أن يقال : « ولم تصرف عنه وجهك وأنت تخاطبه ، وهو يسمعك إذا خاطبته ، ويشفع لك إذا استشفعت به » فاستقبله ، واستشفع به ، فيشفعه الله فيك ... » . هذا ما يصح قولاً وإن كان لا يصح ديناً ولا نقلاً .

ومما ينادى على بطلان هذه الرواية وكذبها قولهم فيها : « ... واستشفع به .. » فان الاستشفاع بالنبي بعد موته أو بغيره من الأموات لم يؤثر عن أحد من سلف الأمة الصالح ، لا عن أحد من الصحابة ولا عن أحد ممن بعدهم باسناد يقام له وزن . فما نقل عنهم أنهم استشفعوا بالنبي ولا بغيره من الأنبياء والصالحين في قبورهم . وهذا قد تقدم الكلام عليه مراراً . ومالك رضى الله عنه ينكر أقل من ذلك ، وقد أنكر ، كما تقدم ، الدعاء عند القبر وإطالة الوقوف به ، وتعبد الذهاب إليه . وقال : إن الزائر يسلم ثم ينصرف ، لا يقف ولا يدعو ولا ينتظر . وقد سلف قوله المروي عنه في المبسوط وفي « الشفا » للقاضي عياض : « لا أرى أن يقف عند قبر النبي ، ولكن يسلم وينصرف » ، وقوله : « لا بأس لمن قدم من سفر أو أراد أن يقف على قبر النبي فيصلي عليه ، ويدعوه ، ويدعو لأبي بكر وعمر » . وقد قيل له : إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة وأكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة . فقال رضى الله عنه

ويدل على كذب
القصة الأمر
بالاستشفاع
بالنبي

«لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا» وتركه واسع . ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك . ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراد . . . » . فإذا كان مالك رضى الله عنه يكره . والكراهة في كلام السلف تنطلق إلى التحريم . الدعاء عند القبر الشريف ، ويكره الوقوف به ، والذهاب إليه إلا حين إرادة السفر أو الرجوع منه : إذا كان يكره ذلك كله ويقول : إننا لم نجد أهل العلم من أهل بلدنا يفعلونه ، ويقول : إن آخر الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها وصدرها : إذا كان هذا كله من قول الامام مالك ، ينقله عنه أفضل أصحابه في أفضل كتبهم فكيف يمكن أن يقول لمن سأله عن استقبال القبر : «استقبله واستشفع به ..» ولا ريب في أنه إذا كره دعاء الله عند القبر كان لدعاء صاحب القبر نفسه أكره بلا خلاف ، وأنه إذا كره الوقوف بالقبر وإطالته لم يمكن أن يجوز الاستشفاع بساكنه عليه الصلاة والسلام . وهذا كله بين جلي .

رأى السلف
الصالح في اتباع
قبر النبي للزيارة
والسلام

والاستشفاع به عليه السلام بعد موته لم ينقل عن أحد من الصحابة بسند صحيح محترم ، ولا عن أحد من غيرهم من أئمة الدين الذين لهم لسان صدق في الأولين والآخرين . وقد مررت بالصحابة والتابعين وبمن بعدهم من أئمة هذا الدين أوقات عصيبة ، وحالات عسيرة ، فاحتاجوا إلى المعين وإلى المنقذ المخلص ، واحتاجوا إلى رحمة الله ونصرته ، وتطلبوا كل سبب من أسباب البجاة الشريفة الصحيحة . . . ولكن أحداً من هؤلاء لم يحاول الذهاب إلى القبر للاستشفاع وطلب الدعاء والمغفرة والمعونة . . . بل المعروف عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم ما كانوا يقصدون القبر الشريف للزيارة والسلام خلا ما جاء عن عبد الله بن عمر إذا قدم من سفر ، فقد نقل عنه أنه كان إذا حضر من سفر ذهب وسلم على النبي عليه السلام وعلى صاحبيه ، لا يزيد على السلام شيئاً . وبفعل ابن عمر

احتج من احتج من السلف كالامام مالك على استحباب الزيارة والسلام للغربة
ولأهل المدينة إذا أرادوا السفر أو قدموا منه . ولكن هذا لم يكن من فعل جمهور
الصحابة ، ولأمن فعل الخلفاء الراشدين منهم . بل لقد جاء في الروايات ما يدل
على كراهتهم هذا الذي استحبه ابن عمر وفعله ، ورضى الله عن الجميع وقد تقدم أن
على بن الحسين المعروف بزين العابدين ، وأن ابن عمه الحسن بن الحسن بن
على بن أبي طالب أنكرا على من رأياه يقصد القبر الشريف للزيارة والسلام
والدعاء ، وقالوا : إن النبي عليه السلام قال : « لا تتخذوا بيثى عيدا ، ولا بيوتكم
قبوراً » وإنه قال : « لعن الله اليهود ، اتخذوا قبوراً أنبيائهم مساجد » وإنه قال
« وصلوا على حيث كنتم فان صلاتكم تباغى أينما كنتم » . وقد قال الحسن بن
الحسن في روايته لمن نهاه عن ذلك : « ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء » . وقال
شيخ الإسلام ابن تيمية : روى الشيخ الصالح أبو الحسن : على بن عمر القزويني
في أماليه عن عبد الله الزهري عن أبيه عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن نوح
ابن يزيد قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعد قال : مارأيت أبي قط يأتي قبر
النبي ، وكان يكره إتيائه . وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن أيوب
عن نافع قال : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي فقال : السلام عليك
يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه . قال معمر : فذكرت
ذلك لعبيد الله بن عمر العمري فقال : ما لم أحدأ من أصحاب النبي فعل ذلك إلا
ابن عمر . وهذا صحيح فانه ما جاء باسناد يعنى به شئ من ذلك عن أحد من أصحاب
النبي غير عبد الله بن عمر ، بل وما كان الصحابة ينطقون بلفظ زيارة قبر النبي .
وقد صح عن مالك أنه كره أن يقال : زرنا قبر النبي . وقد روى أبو داود في
في سننه من حديث أحمد بن صالح عن عبد الله بن نافع الصائغ عن ابن أبي
ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله : « لا تجعلوا بيوتكم

قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم .
ورواه أحمد من هذه الطريق . وهذا الحديث مافيه إلا ابن نافع الصائغ وثقه قوم
بوطرحة آخرون ، وهو من رجال مسلم في الصحيح . وعلى كل فاسنده أفضل
وأصح من أسانيد الأحاديث والروايات التي يحتاج بها المخالفون على زيارة القبر
والعكوف عليه وشد الرحال إليه . والحديث له شواهد كثيرة تقدم بعضها . وقد
تقدم حديث علي بن الحسين وحديث الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .
فهو ليس مفرداً غريباً لافي معناه ولا في نصه . وعبد الله بن نافع الصائغ لم يتفرد
به حتى يخشى من غلطه فيه وضعفه . ومن شواهد قوله ﷺ : « اللهم لا تجعل
قبري وثناً يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . قال
القاضي عياض في « الشفا » : وقد كره مالك أن يقال : زرنا قبر النبي . ثم أخذ
عياض في تأويل قول مالك هذا وفي تعليل كراهته قال : « والأولى عندى أن
منعه وكراهة مالك له لا إضافته إلى قبر النبي وأنه لو قال : زرنا النبي ، لم يكرهه لقوله
عليه الصلاة والسلام : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعمدي . اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . فحتمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه
بفعل أولئك ، قطعاً للنريمة وحساً للباب . . . » . هذا كلام عياض في الشفا من
باب الزيارة . وقد ذكر في هذا الفصل من الشفا أن الباجي تأول هذا الحديث
والحديث الآخر وهو قوله عليه السلام : « لا تجعلوا قبري عيداً » على من
يقصدون القبر الشريف من أهل المدينة للزيارة والسلام والدعاء كما فعل الحسن
ابن الحسن وعلي بن الحسين - زين العابدين - حفيدة فاطمة الزهراء ابنة رسول الله
وبضعته الطاهرة ، وولدا ولدى علي بن أبي طالب . ومن شواهد ذلك ما رواه
مسعود بن منصور في سننه قال : حدثنا حبان بن علي حدثنا محمد بن عجلان عن
ثاني سعيد مولى المهري قال قال رسول الله عليه السلام : « لا تتخذوا بيقي عيداً »

روايت أخرجه
كرهه ذلك

ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا على حيث كنتم . فان صلاتكم تبلغني . » . وهذا
مرسل لأن أبا سعيد هذا تابعي وهو ومحمد بن مجلان ثقتان من رجال مسلم فيه
الصحيح . وأما حبان بن علي فهو من رجال ابن ماجه في سننه ، وفيه كلام .
من هو امه ذلك وثقه قوم وضعفه الا كثرون . فهذا الاسناد لا يصلح الالتفات إليه إلا في الشواهد
والتابعات ، وهو هنا كذلك . ومن الشواهد ما رواه الحافظ النسائي في سننه من
حديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله عليه السلام : « إن لله ملائكة
سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » . وقد تقدم الكلام عليه . ومن الشواهد الحديث
المشهور الصحيح المروي في الصحيح من طرق وهو قوله عليه الصلاة والسلام :
« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . . . » الحديث ، وقد جاء بلفظ النهي
وبلفظ النفي والإخبار . وسوف يجيء القول فيه . ومن الشواهد الأحاديث
المتواترة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، الزاجرة الناهية عن فعل اليهود
والنصارى ، المتخذين قبور أنبيائهم وصالحينهم مساجد . ومعنى هذه الأحاديث
متواتر مروي بطرق وأسانيد لا شك في ثبوتها وصدورها بالجملة عن النبي . وما جاء
ما يخالفها لا عن النبي ولا عن أصحابه ولا عن الأئمة المقلدين ، الذين لهم لسان
صالح في الأمة . وقد كان أصحاب النبي عليه السلام ، وكان الخلفاء منهم
يسخرون المسجد النبوي في اليوم واليلة المرات العديدة للصلاوات ولغيرها من
شئون الدين وشئون الدنيا . وكانوا يزورون أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
وهي في حجرتها التي قبر فيها النبي وصحابه . وما جاء عنهم أنهم كانوا حين
دخولهم المسجد حين خروجهم منه ، وحين زيارتهم لما أشته ينهبون إلى القبر
ويقفون به وعليه ، يدعون ويسلمون سوى ما جاء عن عبد الله بن عمر إذا قدم
من السفر كما تقدم . ولا شك أنهم لو كانوا يفعلون ذلك لنقل إلينا كما نقل إلينا
فعل ابن عمر ، وكما نقلت إلينا أقوالهم وأعمالهم

وهاهنا أمر قاطع في المسألة ، يدل دلالة واضحة جلية لا ريب فيها على أن أصحاب النبي ، وناصري دينه ، وحاملي رسالته ما كانوا يفكرون في هذا المعنى ، ولا كان يجوز في أنفسهم أو يمازج عقائدهم أنه من الاسلام ومن التعظيم للنبي عليه السلام . هذا الأمر هو إجماعهم على أن يدفنوه ﷺ في حجرة زوجته عائشة ومعه صاحباه وخليفته الراشدان : أبو بكر وعمر . ولو أنهم كانوا يريدون الإكثار من زيارة القبر ومن الوقوف عليه ، ومن الطواف به والاختلاف إليه ، أو لو كانوا يظنون أن شيئاً من هذا من مقاصد الاسلام وخطاياه ، لما وضعوه هو وصاحباه في حجرة عائشة . . . بل لوضعوه في مكان بارز مباح ، يستطيع الخاصة والعامة أن يصلوا إليه ، وأن يزوروه ، وأن يقفوا عليه طويلاً ، وأن يختلفوا إليه متى شاءوا الاختلاف وأرادوا ، يدعون ويسألون ويسلمون ، ويتلون ما يتلون من الأناشيد والأوراد والدهوات . . . كأن يضعوهم مثلاً في الصحراء أو في أحد الميادين العساءة أو في وسط المسجد أو في قبلته أو نحو ذلك . . . ولهذا فجد الناس ينصبون تماثيل زعمائهم وقادتهم المهرجين - وكذا يفعلون في قبورهم وأضرحتهم - في الميادين العامة والأماكن الواسعة المباحة للجميع . . . لأنهم يريدون أن يكثر الشعب من مشاهدتهم ومشاهدة أجدانهم وما يذكروهم بهم ، وأن يكثر من المكوف عليهم وعلى أنصابهم وتماثيلهم والاحتشاد على قبورهم ، وليصل إليها الصغير والكبير والخاص والعام في كل وقت ومن كل مكان وجلس . تثبتنا للمعنى الذي يريدون ويسعون نحوه . وهو إحدى غاياتهم المعلومة التي يقال : إنها شريفة . . . ولا يمكن أن يوضع تمثال زعيم أو قبره في بيته وفي مسكن زوجته الخاص إلا إذا أريد أن يحال بينه وبين الناس ، وأن يحجب ويقص عن زيارات الشعب وعن طوافه ووقوفه به . وهذا واضح لا ينزع فيه عاقل ما .

فالمسلمون مادفنوا جثمان نبيهم الكريم في حجرة زوجته عائشة رضي الله ﷺ لماذا؟

والبرهان الواضح
على ما نقول ومن
النبي في حجرة
زوجته

عناب إلا بعد علمهم أن المكوف على قبره، وأن الطواف به، وأن الاحتشاد عليه وأن الاختلاف إليه ليس من الدين ولا من فعل المسلمين، ولا مما يريد رسول الله منهم. ولولا ذلك لدفنوا في مكان مكشوف مباح الوصول إليه كل وقت لكل أحد ولا برزوه... كما قالت عائشة: «ولولا ذلك لأبرز قبره». أي لولا خشية أن يتخذ قبره مسجداً وأن يعكف عليه - ولولا تنبيهه ﷺ أيضاً لأبرزه المسلمون أي لوضعه في البراز وهو الخلاء. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله في مرض موته: «لئن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة بعد رواية الحديث: «يحذر ما فعلوا. ولولا ذلك لأبرز قبره» ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

والفرق بين من يفعل ما فعله الناس لزعماء الدنيا وعظماؤها، وبين ما فعله المسلمون لنبيهم أن عظماء الدنيا وزعماءها ما كانوا ولا عملوا ما عملوا بما يسمى إصلاحاً وما استحقوا من أجله أن يكونوا عظماء، وزعماء، إلا لأجل نيل للدنيا ونيل جاهها وفخرها وشهواتها، ولنيل السمعة الدائمة، والأحدوث الشائعة، ثم السلطان المذى القاهر. فكان من المعقول أن تنصب تماثيلهم وأجداثهم وصورهم في الميادين وفي الأماكن العامة الواسعة ليدركوا ما عملوا من أجله ولأجله من عبادة الجماهير وتعظيمهم والافتتان بهم وانفاق الأموال في سبيل ذلك. أما رسول الله - وكذلك كل رسول - فما كان ولا عمل ولا أصلح إلا الله وحده لا شريك له: لم يعمل لأجل أن ينال تعظيم الناس أو عبادتهم أو جزاءهم وشكرهم وأجرهم أو لينال شيئاً من شهوات الحياة ومفاتها ومغرياتها، بل كان كل شيء فيه لله وحده... فكان من المعقول أن يعتمد عن هذا الذي لم يعمل له والذي لا يريد... فكانت النتيجة أن أخفى قبر النبي عليه السلام وأن نهى عن القوف فيه وفي قبره، وعن اتباع آثاره، وأن حرمت تماثيله وصوره وكل ما عمت

الفرق بين من
يعمل للدنيا ومن
يعمل لله ومظاهر
ذلك

إلى ذلك . . . وكان أن نصبت تمائيل رجال الدنيا ، و رفعت قبورهم ، ودعى إلى عبادتهم . . . وكل ميسر لما خلق له .

فلا ريب أن دفن المسلمين نبيهم في حجرته وحجرة زوجته حجة لاتنازع على أن القوم كانوا بعيدين عما ذهب إليه هؤلاء المخالفون الماكفون على الأجداث ، وعلى أنهم كانوا يعلمون أن زيارة القبر الشريف والمعكوف عليه وانتيا به ، والطواف به ليست من مقاصد الدين ، ولا من أغراض الاسلام والمسلمين .
ويوضح هذا جداً أن عائشة رضى الله عنها لما توفيت وأدخلت حجرتها في المسجد لما احتاجوا إلى توسيعه سدت الحجرة على القبور الثلاثة ، وحيل بين الناس وبينها . ثم لم يكتف بهذا بل أحيطت الحجرة بمجدار «برأى» زاد الناس بعداً عن القبور الثلاثة وحيلولة بينهم وبينها . فصاروا لا يقدرّون على الوصول إليها ولا على الوقوف بها وعليها . وصارت هذه منزلة خاصة بقبر النبي وقبري صاحبيه لحكمة عليا تدق على أفهام هؤلاء الذين لا يريدون أن يفهموا الشرع وحكمه وأسراره . . . فان سائر القبور بارزة ظاهرة مكشوفة ، تستطيع زيارتها والوقوف بها والمعكوف عليها والدنو منها . أما قبر النبي وقبرا صاحبيه فقد حال المسلمون بين الناس وبينها لسر عظيم يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم ، وإجابة لدعاء نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال : « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » . فالذين يذهبون اليوم وقبل اليوم إلى المسجد النبوي يزورونه هم لا يزورون القبر لأنهم لا يصلون إليه ، وإنما يزورون المسجد والجدران المحيطة بالقبر . والذين يظنون أنهم يزورون القبر غلطون وأهمون . وإنما يزورون مسجده عليه الصلاة والسلام ومصلاه ومواضع عبادته . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » . وكل فضيلة تذكر في زيارة النبي أو زيارة قبره إنما يراد بها

ويوضح هذا
إحاطة القبر
بالمجدران وسده
الحجرة

زيارة مسجده الذي بنى بأمره ، والذي شارك أصحابه في بنائه بيديه الشريفتين ،
والذي شاده وعمره بالمعبادة والتلاوة والتوحيد خير أهل الأرض إذ ذاك وهم صحابته .
— رضى الله عنهم أجمعين .

فدفن المسلمين نبينهم في بيته ، ثم سدم الحجرة وتسويرها بالجدران دليلان .
ظاهران على أنهم ما كانوا يريدون الاحتشاد على زيارة القبر والمكوف عليه ،
وعلى أنهم كانوا قد قصدوا الخيلولة بينه وبين الناس — حذر النلو ، وحذر الضلال .
وهناك دلائل أخرى كثيرة تساند هذا الذي ذكرناه وذكرته عائشة وهم امور اخرى
تساند ما ذكرناه
رضى الله عنها . من ذلك ما روى أن المسلمين في غزوم فارس وجدوا قبر
« دانيال » النبي طرياً فأمرهم عمر رضى الله عنه بأن يحفروا عدة قبور وأن يدفنوه .
في أحدها لتلا يعرف مكانه فيقع المهدور . ومن ذلك قطع عمر شجرة الرضوان
التي بايع المسلمون نبينهم تحنها والتي ذكرها الله في كتابه . ومن ذلك نهيه رضى
الله عنه عن تعمد الصلاة في المسجد الذي صلى فيه رسول الله قائلًا لهم : هكنا
هلك أهل الكتاب قبلكم : اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً . من عرضت له الصلاة
فيه فيصل وإلا فلا . وقد ثبت هذا عن عمر بالسناد الصحيح ، رواه سعيد بن
منصور في سننه من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن المعرووف بن سويد عن
عمر . وهذا إسناد مشرق كالشمس ، ورجاله كلهم أئمة عدول يسمون على النقد
والبحث والامتحان . وقد ذكر هذا عن عمر أ كثر الذين ألفوا في البدع من
المتقدمين والمتأخرين . فذكره الحافظ محمد بن وضاع محدث المغرب في وقته في
كتاب « البدع والنهي عنها » . وذكره الشاطبي في كتاب : « الاعتصام »
وذكره أبو شامة في كتابه : « الباعث على إنكار البدع والحوادث » .
وذكره الطرطوشي في كتابه « الحوادث والبدع » . وذكره غير هؤلاء من
القدامى والمحدثين .

وهذا كله يعرفه الامام مالك ويعرفه أصحابه ، لا يختلفون فيه . ولهذا لما ^{الجمع بين ما ذكره} ^{عياض في الشفاء} عقد القاضي عياض في كتاب « الشفا » فصلاً عنوانه : « فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه ، وكيف يسلم ويدعو » لم يذكر أن الزائر يستشفع به عليه السلام أو يسأله أن يدعو له : لم يذكر شيئاً من هذا القبيل وإتماذك الصلاة والسلام عليه والدعاء له ولصاحبه ، وذكر ما قدمناه من الروايات المحفوظة عن مالك ، المتواترة عنه بين أصحابه من أن الزائر لا يقف على القبر طويلاً ولا يدعو عنده . ولكن يسلم ثم ينصرف ، ويستقبل القبلة ويدعو . وذكر ما صح عن مالك أيضاً من كراهته لأهل المدينة زيارة القبر والوقوف به وقوله : إن ذلك لا يشرع إلا لمن جاء من سفر أو أراد سفرًا . أما أهل المدينة فلا يشرع لهم شيء من ذلك . وقد قال : إننا لم نجد أهل الفقه ببلدنا يفعلونه . وقال : لا يصلح آخر الأمة إلا ما أصلح أولها وصدرها . ولو كان من مذهب مالك أن الزائر يستشفع بالنبي عليه الصلاة والسلام لذكر ذلك عياض في الشفا في هذا الباب الذي ذكر فيه كل ما يشرع للزائر في مذهب المالكية أن يفعله . ولذكره سواء من علماء المذهب . ويوضح هذا جيداً أن عياضاً لم يذكر في باب الزيارة الاستشفاع مع أنه هو الذي روى وذكر مناظرة المنصور للمالك التي فيها الأمر بالاستشفاع . وعياض لم يذكر هذه المناظرة ليستدل بها على جواز الاستشفاع بالنبي بعد موته ، وإتماذكها للاستدلال بها على أن حرمة عليه السلام ميتاً كحرمة حياً . وقد ذكر المناظرة في الفصل الذي عنوانه : « فصل ، واعلم أن حرمة عليه السلام بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته » . فالمناظرة المذكورة في غير باب الزيارة لأنه ليس كل ما فيها يشرع للزائر فعله عند مالك وعند أصحابه كعياض وغيره . ومن الجائز أن تكون الحكاية عند عياض غير صحيحة الاسناد ، ولكن ساقها في هذا الفصل استدلالاً بها على أمر مجمع عليه

وهو وجوب توقيف النبي وتمظيمه بعد وفاته كما كان ذلك في حياته . وهذا لا خلاف فيه بين المسلمين . فلا استدلال عليه بالرواية الضعيفة لا بأس به ولا خلاف فيه . ولا ريب أن عياضاً لو كان يعلم أن الاستشفاع بالنبي في قبره مشروع للزائر في منزه مالك - وعياض من علماء المالكية الكبار - لذكره في باب الزيارة . ولما ذكر الروايات الثابتة الصحيحة الدالة كلها على إنكاره ونكرانه . فإن الروايات التي ذكرها في كراهة الدعاء عند القبر وإطالة الوقوف به ، وكراهة استقبال القبر عند الدعاء وكراهة الزيارة لأهل المدينة . كل هذا قد ذكره القاضي عياض ، وكل هذا الذي ذكره يبطل رواية الأمر بالاستشفاع المحكية في مناظرة المنصور له . وهذا كله ينادى على كذب هذه المناظرة التي قيل فيها : « بل استقبله واستشفع به فيشفئك الله » . ونزه الله مالكا أن يبتدع بدعة لم تؤثر عن أحد من السلف الصالح . وقد ذكرنا مرات كثيرة أنه لم يحفظ أن أحداً من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام استشفع به عليه السلام في قبره أو طلب منه الدعاء ، بل ما حفظت زيارة أحد منهم له حاش ما تقدم وصح عن عبد الله بن عمر من وقوفه بالقبور الثلاثة إذا جاء من السفر وسلامه عليهم . ومالك الذي قال : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، والذي قال : من ابتدع بدعة في الإسلام فقد زعم أن محمداً خان الرسالة ، والذي كان من فرط محافظته على تراث السلف وسيرة المسلمين الأولين أنه كان يحثج بعمل أهل المدينة وما بقي لديهم من أعمال لعله أن عملهم لا بد أن يكون متلقى عن رسول الله متصلاً به وبصحابته لا متبشاعه أن يبدل أهل مدينة الرسول وأن يغيروا وأن يميلوا عن سنة نبيهم بعض الميل : مالك الذي هذا مقدار محافظته على سيرة السلف وكراهته للابتداع والاختراع والخلاف لا يمكن أن يبتدع الاستشفاع بالنبي في قبره . وإنا نشهد الله شهادة لا نشك في صدقها وبرها أن مالكا لم يقل ذلك ولم يخرج من بين شفتيه .

اقوال مالك
تناقض هذا

مالك الذي كره أن يقول القائل : زرنا قبر النبي لأن السلف لم يقولوا ذلك ،
لا يمكن أن يأمر بالاستشفاع بالنبي في قبره . وقد أنكر رضى الله عنه على عبد الرحمن
ابن مهدى وضعه رداءه بين يدي الصف قائلاً له : إنك قد أحدثت في مسجدنا
شيئاً ما كنا نعرفه ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « من أحدث في
مسجدنا حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » . فبكى ابن مهدى وآلى
على نفسه ألا يفعل ذلك أبداً في مسجد النبي عليه السلام ولا في غيره . ذكر
ذلك عنه صاحب كتاب « الاعتصام » ، وهو من أئمة المالكية .

وقد روى الشاطبي عنه بعد هذه الحكاية ما هو أعجب وأغرب في إنكاره
على البدع والمبتدعين . فروى عنه أن مؤذن المدينة تنحني فوق المنارة عند
طلوع الفجر ، فسأله مالك عن ذلك . فقال : أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر .
فتناه عن ذلك . وقال له : لا تحدث عندنا ما لم يكن . فكف المؤذن عن ذلك
زماناً ثم جمل يضرب الأبواب فسأله مالك عن فعله ، فقال : أردت أن يعرف
الناس طلوع الفجر ، فقال له ، لا تفعل ، لا تحدث في بلدنا ما لم يكن . (صفحة
٢٢١ وما بعدها من « الاعتصام » . الجزء الثاني . الطبعة الأولى) . وحكى عنه
في موضع آخر قال : « وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال : سمعت مالك
ابن أنس ، وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ، من أين أحرم ؟ قال : من ذى
الجليلة من حيث أحرم رسول الله . فقال : إني أريد أن أحرم من المسجد ، روايت اخره
عن مالك : لا تفعل . قال : فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر . قال :
لا تفعل ، فإني أخشى عليك الفتنة ! قال : وأى فتنة في هذه ؟ إنما هي أميال
أزديها . قال : وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها
رسول الله ؟ إني سمعت الله يقول : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم
فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (صفحة ١٦٧ . الجزء الأول) . وحكى الشيخ أبو شامة .

في كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » ، قال قال ابن وهب سألت مالكا عن الجلوس يوم عرفة ، يجلس أهل البلد في مسجدهم ، يدعو الإمام رجالاتهم ، يدعون الله للناس إلى غروب الشمس ، فقال مالك : ما تعرف هذا ، وإن الناس عندنا اليوم يفعلونه . قال : وقال ابن وهب : سمعت مالكا يسأل عن جلوس الناس في المسجد عشية عرفة بعد العصر واجتماعهم للدعاء ، فقال : ليس هذا من أمر الناس ، وإنما مفاتيح هذه الأشياء من البدع . ثم قال أبو شامة : قال مالك في العتبية : وأكره أن يجلس أهل الآفاق يوم عرفة في المساجد للدعاء . ومن اجتمع إليه الناس للدعاء فليتنصرف . ومقامه في منزله أحب إلى . فإذا حضرت الصلاة رجع ف صلى في المسجد . قال أبو شامة في مكان آخر من كتابه المذكور : ذكر الطراطوش في كتاب « الحوادث » قال مالك : لا يجتمع القوم يقرءون في سورة واحدة كما يفعله أهل الاسكندرية . هذا مكروه ، ولا يمجنا . لم يكن هذا من عمل الناس . هذا مكروه ومنكر . فلو قرأ واحد منهم آيات ثم قرأ الآخر على إثر صاحبه ، والآخر كذلك لم يكن بذلك بأس . هؤلاء يرض بعضهم على بعضهم فمالك — وهذا موقفه ، وهذه صرامته ، وشدة إزاء البدع والمبتدعين — لا يمكن أن يتدع الاستشفاع بالأموات ، ولا يمكن أن يكون السابق إلى هذه الضلالات والترهات يقيناً . وقد كان رضى الله عنه من أشد الناس كرهاً ومقتناً للحدثات والزيادات في الإسلام ، وكان من أعظم الأئمة محافظة على السنة ، وهدى السلف الصالحين الأولين . ولهذا كثر في أصحابه واتباعه المؤلفون في الرد على المبتدعين وفي إنكار المبتدعات . ومن قرأ ما كتبه أصحابه في هذا الباب وجد العجيب ، ووجد أن الساف الصالح أعظم من الوهابين — كما يسميهم هؤلاء المبتدعون — تشدداً وحرماً للحدثات والزيادات ، وتحدياً لها . ولا أصحابها .

﴿ الاستشهاد بقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » الآية ﴾

ويحسم كل تردد وشك في تكذيب الحكاية الاستشهاد فيها بقول الله : ^{الكلام على قوله} « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله ^{الله « ولو أنهم إذ} ^{ظلموا أنفسهم} ^{جاءوك} تواباً رحيماً » . فان الاستدلال بهذه الآية الكريمة على زيارة القبر واستقباله والاستشفاع به لا يمكن أن يصدر عن مثل مالك . وهذا لا يعرف إلا عن أعرابي لا يعرف ، يقال : إنه جاء إلى القبر النبوي فبكى واستبكى وقال من ضمن ما قال : « يا خير الرسل ، إن الله قد أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً » : وقد جئتك مستغفراً من ذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي » . . وأنشد :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه * وطاب من طيهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم استغفر وانصرف . قال الراوى عن هذا الأعرابي : فرقدت فرأيت
النبي في نومي وهو يقول : « الحق الرجل وبشره أن الله غفر له بشفاعتي »
فاستيقظت وخرجت أطلبه فلم أجده .

حكاية الشيء

وتعرف هذه الحكاية من طريق العنبي . قال السبكي واسم العنبي : محمد بن عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان الأموي . وقد ذكر الحكاية موفق الدين ابن قدامة الحنبلي في « المغني » قال : « وروى عن العنبي قال : كنت جالساً عند قبر النبي عليه السلام فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول ... » وذكر الآية وبقية الرواية . وذكرها صاحب الشرح الكبير الحنبلي بالنحو المتقدم عن العنبي نفسه . قال السبكي : وذكرها ابن عساكر في تاريخه ، وابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » .

جاءنا نيدم إلى محمد بن حرب الملالى ، قال : دخلت المدينة فأثيت قبر النبي وجلست

هذه أعرابي . وذكر الحكاية باللفظ السابق . وذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه ، وقال : إنها لا تعرف إلا عن هذا الأعرابي ، قال : وبها احتج من احتج من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأصحاب أحمد . وهذا صحيح فإن صاحب « المغني » وصاحب « الشرح الكبير » الحنبليين ، وهما من كبار الفقهاء ، حينما ذكرا هذا ذكراه عن العتيبي عن الأعرابي . ولم يذكر شيئا من ذلك عن مالك رضي الله عنه . ولو كانت الرواية محفوظة عندهما عن مالك لأسنداها إليه واحتجباها ، ولكن هذا أفضل من الاحتجاج بفعل ذلك الأعرابي المجهول . ولكن هذا يدل على أنهم ما كانوا يعرفون شيئا من هذا النوع عن أمثال مالك . ثم هم يذكرون الرواية على وجه التوهين ، لا يذكرون لها سنداً ولا يصححونها ، ولا يقولون فيها غير : « يروي عن العتيبي » مثلاً . فهم لا يعرفون لها سنداً ، ولا يعرفون لها صحة أو ثبوتاً . وإنما يسوقونها . والله موهنة مرسله .

بلا خلاف في
الحكاية

وقال ابن عبد الهادي في « الصارم المنكي » : وهذه الحكاية يرويها بعضهم عن العتيبي بلا إسناد ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي ، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب الهلالي عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي . قال : وقد ذكرها البيهقي في شعب الإيمان بإسناد مظلم عن محمد ابن روح بن يزيد البصري . حدثنا أبو حرب الهلالي ، قال : حج أعرابي فلما جاء إلى باب مسجد النبي أناخ راحلته وعقلها ، ثم دخل المسجد فأتى القبر . . . وذكر قريباً مما تقدم . . . قال : وقد وضع لها بعض البكدايين إسناداً إلى علي بن أبي طالب ، وهو مارواه أبو الحسن : علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن علي حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن جدي عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب

قال: قدم علينا أعرابي بعد ما دفن رسول الله بثلاثة أيام، فرمى بنفسه إلى قبر النبي وحنا على رأسه من ترابه، وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فما وعينا عنك، وكان في ما أنزل الله عليك: «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيمًا». وقد ظلمت نفسي وجنتك استغفرك. فنودي من القبر: إنه قد غفر لك. قال: وهذا خبر منك موضوع، وأثر مختلق مصنوع، لا يحسن الاعتماد عليه، ولا يصلح المصير إليه. وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض. والمهيم جد أحمد بن محمد بن المهيم أظنه ابن عدى الطائي، فان يكنه فهو متروك كذاب، وإن لا يكنه فجهول. ثم نقل كلام الناس في المهيم ونقل عنهم أنه كان كذاباً يضع الحديث على الثقات تصدأً. وهذا الاسناد ملآن بالميوب وبألوان الضيف وألوان السقوط. فالمهيم بن عدى كذاب، وأبو صادق قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: روى عن علي ولم يسمع منه. وأبو صادق في نفسه مقبول الحديث حسنه. قال ابن سعد: كان ورعاً قليل الحديث يتكلمون فيه، روى الحديث النسائي وابن ماجه كما في تهذيب التهذيب. وبقية رجال السند لا يعرفون.

ليس بالحكاية
سند صحيح

فتلخص من هذا أن حادثة الأعرابي قيل فيها مرة: إن الراوي لها هو علي ابن أبي طالب، وقيل مرة أخرى، وهي المشهورة: إنه العتيبي، وقيل ثالثة: إنه محمد بن حرب الهلالي، وقيل رابعة: إنه أبو الحسن الزعفراني. . . ولكن لا يوجد شيء من ذلك إسناد ينظر إليه، ولم يخرج في كتاب من كتب الحديث المحترمة، ولم يصححها أو يحسنها أحد من أهل العلم والدراية. وإنما يذكرها من يذكرها بصيغة التمریض، فيقولون: يروى عن العتيبي كذا. ومثل هذا لا يقول أحد من أهل العلم: إنه يجوز الاحتجاج به. فالحكاية باطلة الأساس. ولو فرض أنها صحيحة الاسناد لمادلت على شيء مما يذهبون إليه. وذلك أن هذا فعل أعرابي

من نكرات الأعراب ، والأعراب ليسوا حجباً في دين الله : ولو أن العتيبي نفسه الذي شهرت عنه الحكاية فعل ذلك لما كان فعله حجة ولا مقبولاً ، فكيف بفعل أعرابي يروى عنه العتيبي ؟ والعتيبي ليس معروفاً بالجديث ولا بالدين . وقد ذكره الخطيب البغدادي في التاريخ وقال عنه : « كان صاحب أخبار ورواية للأدب ، وكان من أفصح الناس . . . » ولم يذكره بتزكية ولا بتوثيق ولا بمحدث ، وإنما ذكره بالشعر وروايته . وقال : بلغني أنه مات سنة ٢٢٨ . وكذلك لو فعل محمد بن حرب الهلالي الذي روى عنه القصة بعضهم . وأما الرواية التي قيل فيها : إن علياً هو الذي شاهد الأعرابي وشاهد فعله ، وهو الذي روى عنه ذلك فهي رواية موضوعة مكذوبة .

ثم هذا فعل
أعرابي لاحجة
في فعله

أما أن مالكاً احتج بالآية في هذا الموضوع فهذا هو الكذب والباطل من وجوه كثيرة ، من هذه الوجوه أن مالكاً كما تقدم ذكره لأهل المدينة أن يزوروا القبر الشريف ، وأن يقفوا به وأن يدعوا عنده . وما أجاز من ذلك إلا الزيارة والسلام فقط لمن جاء من السفر أو أرادته . ولما أن قيل له : إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يقفون على قبر النبي وعلى قبري صاحبيه ، فيصلون على النبي ويدعون لصاحبيه في اليوم مرة وأكثر ، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة أو المراتين أو أكثر عند القبر يسلمون ويدعون فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع . ولا يصلح آخر الأئمة إلا ما أصلح أولها . ولم يبلغني هذا عن صدر الأئمة وأولها . وقال : لا أرى أن يقف عند قبر النبي يدعو ولكن يسلم ويمضي . . . وكل هذا ثابت عند أصحاب مالك عنه . فإذا كان يكره الوقوف بالقبر للدعاء مطلقاً للمسلمين وللأقارب ، ويكره للمدني الذي لم يأت من سفر ولم يرده أن يزور القبر وأن يسلم على صاحبه ويدعوه ، فكيف يمكن أن يستدل بقوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم لم يرجعوا »

دلائل بطلان
هذا عن مالك

فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، الآية .. على الوقوف بالقبر والاستشفاع به
والمكوف عليه ؟ فان الآية لو كانت نازلة في الحض على الحجى لرسول الله يوم
أن كان حياً ، وفي الحض على الحجى إلى قبره بعد الموت لكانت دالة على
فضيلة بحجى أهل المدينة وغير أهل المدينة إلى القبر الشريف في كل الأوقات
وجميع الحالات ، ولكل من ظلم نفسه من المدنيين والفاقيين ، بل لدلت على
إثم من ظلم نفسه من أهل المدينة فلم يبادر إلى بحجى القبر والدعاء عنده .
فكيف يمكن أن يحتاج مالك بالآية على الحجى إلى القبر ثم يكره زيارة القبر إلا
لمن جاء من السفر ، أو أراد السفر ، ويكره الدعاء عنده مطلقاً ، لآتى من السفر
وللمقيم الذى لم يبرح بلده ؟ وقد ذكر القاضى إسماعيل بن إسحاق فى كتاب
« المبسوط » أن مالكاً سئل عن نذر أن يأتى قبر النبي عليه الصلاة والسلام
فقال : إن كان أراد المسجد فليأته ، وإن كان أراد القبر فلا يفعل للحديث الذى
جاء : « لا تمحل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد » الحديث . . . وقد ذكر معنى
هذا فى سائر كتب المالكية ، ومعناه موجود فى الموطأ ، فالسفر عند مالك إلى
القبر النبوى لا يجوز للحديث المشهور ، وزيارة القبر لأهل المدينة لا تجوز إلا
لمن جاء من سفر أو أراد . هذا هو مذهب مالك رضى الله عنه . فكيف إذن
يمكن أن يحتاج بقوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » الآية . . على ما يحتاج
له هؤلاء المخالفون ؟ وهى لو كانت نازلة فى الحث على بحجى قبره لكانت دالة
على طلب السفر إليه والوقوف به والاستغفار عنده ، ولكانت دالة على أن من
ظلم نفسه فلم يأت القبر ، أين كان ، ولم يقف به ، ولم يدع عنده كان ظالماً آثماً
مخالفاً لأمر الله فى قرآنه . فالذى يحتاج بالآية على الترغيب فى بحجى القبر
والدعاء عنده لا يمكن أن تكون أقواله وآراؤه كأقوال مالك وآراء مالك . فان
هذه مفارقة واضحة جلية . فلا يمكن أن يكون مالك قد استدل بالآية على بحجى

القبر والدعاء عنده . فهذا وجه وجيه من وجوه الإبطال لهذه الرواية المزورة . .
 وأيضا فالآية لا يمكن أن تدل على طلب الحجى إلى القبر لأمر كثيرة ، أول
 هذه الأمور أن الآية تطلب إلى المعنيين بها أن يجيئوا الرسول عليه السلام ،
 وتقدمهم إذ لم يأتوه ، وهذا واضح . ولكن بعد موته عليه السلام لا استطاع إتيانه
 ولا يمكن ، ولا يقدر أحد عليه . فلا يمكن أن يؤمر به . وإنما استطاع إتيان
 مسجده ، وإتيان الحجرة التي تضم رافته . ومن أتى مسجد النبي وحجرته
 والمكان الذي دفن فيه لم يقل : إنه أتى النبي ولا أنه جاءه لا شرعا ولا لغة . فإن
 بجىء الشئ ، حقيقة ، هو بجىء ذاته وبجىء شخصه ، لا بجىء ما يتصل به وما يضاف
 إليه من قبر ومكان ودار . . ولهذا فإن الزائرين للمقابر لا يقال : إنهم زاروا أهلها
 حقيقة ، أو إنهم أتوا حقيقة . فن زار قبر والده لا يصدق أنه زار والده حقيقة
 بالاجماع والضرورة . ولهذا جاء في الأنجاديث الصحاح إضافة الزيارة إلى المقابر
 لا إلى الأموات المقبورين ، فجاء قوله عليه السلام « كنت نهيتكم عن زيارة القبور
 فزوروها ، فانها تذكركم الآخرة » . وجاء قوله عليه السلام : « لمن الله زوارات
 القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » . وفي الصحيح عن أبي هريرة قال :
 زار النبي قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال : « استأذنت ربي في أن استغفر لها
 فلم يأذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي . فزوروا القبور فانها تذكروا
 الموت » . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : أتى النبي المقبرة فقال : « السلام
 عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » . وفي صحيح مسلم أيضا
 عن بريدة قال : كان رسول الله يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم :
 « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .
 نسأل الله لنا ولكم العافية » . وعن عبد الله بن أبي مليكة ، قال : أقبلت عائشة
 ذات يوم من المقابر فقلت لها يأم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت من قبر أخي

إبطال الاحتجاج
بالآية على إتيان
القبر

زيارة القبر
ليست زيارة
لصاحبه

عبد الرحمن ، قلت لها : أليس نهى رسول الله عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم كان نهى عن زيارة القبور ثم أمر بزيارتها . رواه الأثرم في سلته . وفي الحديث الذي يستدل به هؤلاء المخالفون عن عبد الله بن عمر عن رسول الله قال : « من زار قبري ونجبت له شفاعتي » . رواه الدارقطني والبيهقي . وهو حديث باطل ضعيف . وقال الله في كتابه « ألهكم التكاثرت حتى زرتم المقابر » ، وقال تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره » . والأخبار في إضافة الزيارة إلى القبور لا إلى المقبورين كثيرة معلومة متواترة . والعلماء يوجبون لذلك فيقولون مثلاً : « باب زيارة القبور » أو « باب زيارة القبر النبوي » ونحو ذلك . وهذا لأنهم لا يختلفون في أن من زار القبور لا يقال له : إنه زار الأموات . وفي هاتين الآيتين وفي الأحاديث التي ذكرناها قد أضاف الله وأضاف رسوله الزيارة إلى المقابر . ولم تضاف في شيء من ذلك إلى الأموات ، ولم يأت شيء من هذا إلا أن يكون متجاوزاً فيه متوسعاً . وهذا لأن زيارة قبور الموتى ليست في الحقيقة زيارة لهم بالاجتماع . فزيارة الميت ليست ممكنة ، وإنما يمكن زيارته قبره فقط ، وامتناع زيارة النبي بعد موته أظهر من امتناع زيارة غيره من الموتى كما تقدم . فان غيره تمكن زيارة قبره لأنه ظاهر موصول إليه . أما قبر النبي عليه الصلاة والسلام فلا يمكن الوصول إليه ولا زيارته حقيقة ، لأنه محاط بالحجرة المسدودة عليه ، ولأن الحجرة محاطة بالجدار البراني الذي أقيم عليها وسورت به . فزيارة الأموات غير ممكنة وإنما يمكن زيارة قبورهم . وإن أمكنت زيارتهم فزيارة النبي عليه السلام خاصة غير ممكنة . فإنيانه إذن غير ممكن . وإذا كان إنيانه غير ممكن فلا يمكن أن يطلب من الناس ما ليس ممكناً . وإذا لم يصح أن يطلب منهم لم يصح أن يكون قوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » الآية أمراً بالجمي إلى هذا الذي لا يستطاع ، ولا حضاً عليه بالبداهة والاجماع .

إتيان النبي بعد موته غير ممكن

فبطل الاستدلال بالآية على استحباب مجيء القبر .
ثانيها : مما لا شك فيه أن الآية تذم هؤلاء الذين لم يأتوا الرسول عليه
السلام ، وتؤاخذهم على ذلك مؤاخضة ظاهرة ، وتلحق بهم ذنبا عظيما جسيما ،
وتنتههم بأنهم قد تركوا واجبا من أعظم الواجبات ، وأنهم ارتكبوا جرمًا يستحقون
عليه اللوم والتقريع العنيف ، وأنهم قد أغضبوا ربهم وأغضبوا نبيهم بما فعلوه ،
وأنهم قد عدوا بذلك من العصاة المذنبين المشار إليهم بالتقريع والملامة المتلوة
في كتاب الله . هذا كله لا شك فيه . وقد أجمع المفسرون السابقون واللاحقون
أيضا على أن هؤلاء المعنيين بالآية قد تركوا واجبا من أجل الواجبات ، وتركوا
شرطة من شرائط الإيمان ، بتركها قرعهم القرآن ، وأنزل فيهم هذا الخطاب
القوي الرائع .

وجه كان في
بطلان
الاستدلال بالآية

وإذا كان هذا المجيء الذي أُوخذ القوم بتركه واجبا من الواجبات ، وفريضة
من الفرائض لم يصح الاستدلال به على زيارة القبر النبوي ، ولا على الحضر
عليها . فانه لا خلاف بين المسلمين في أن زيارة قبر النبي ليست بواجبة ولا فريضة .
وأشد الناس غلوا وحماسة في هذا الباب لا يزعمون أن زيارة قبر من القبور واجبة
من الواجبات ، يؤاخذون تاركها عند ربه . بل هم مجمعون على أنها سنة من السنن
بشرطها ومستحباتها . وإن كان بعض الناس من أهل العلم قد كره زيارة القبور
مطلقا كما ذكر ذلك السبكي في « شفاء السقام » وهو من الخصوم الأوائل في
هذه المسائل . وكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كتبه . والسبكي بلا
شك لم يعلم الخلاف إلا من كلام شيخ الإسلام ، ولولاه لما علم من ذلك شيئا فيما
أظن . قال ابن تيمية في بعض كتبه : « قال ابن بطال في شرح البخاري : كره
قوم زيارة القبور لأنه روي عن النبي أحاديث في النهي عنها . وقال الشعبي :
لولا أن النبي نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتي . وقال إبراهيم النخعي : كانوا

كرامة من
هل العلم بزيارة
القبور

يكرهون زيارة القبور . وعن ابن سيرين مثله . وقال علي بن زياد : يشغل مالك عن زيارة القبور فقال : كان قد نهى عنها رسول الله ثم أذن فيها . فلو فعل ذلك . إنسان ولم يقل إلا خيراً لم أر بذلك بأساً ، وليس من عمل الناس . وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها . كل هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقد قل بعضه السبكي في كتابه « شفاء السقام » . وبعض هذا ثابت عن عزى إليه بلا شك . وقد جاءت أحاديث صحيحة في الوعيد لزيارات القبور . وبعض الناس لا يفرق بين الرجال والنساء في هذه المسألة . ولكن زيارة القبور مستحبة بالاجماع خلا هذه الآراء الشاذة القليلة في كراهتها . ولم ينهه أحد من علماء الاسلام الأجلة فيما نعلم إلى القول بوجوبها وتأييم من لم يزرها . فاحتجاج بالآية على زيارة القبر النبوي احتجاج ما أفسده ١١١ لأن المجيء المذكور فيها مجيء واجب ، عاص تاركه . والزيارة غير واجبة . فنحتج بالآية على المجيء إلى القبر فقد ذهب إلى القول بوجوب الزيارة ، والوجوب لم يقل به أحد من العلماء أهل البصر بالاسلام . وذلك أن المحتج بالآية على زيارة القبر يرى أنها تدل على الزيارة إما بالنص وإما بالقياس . والذين ينهبون إلى القول بالنص يزعمون أن قوله : « جاؤك » شامل للمجيء إلى الرسول حياً وميتاً . والذين ينهبون إلى القول بالقياس يزعمون أن الحث على مجيئه في الحياة يدل على الأمر بمجيئه بعد الممات قياساً وجهه عموم العلة ، كما ذكر السبكي وغيره . وإذا كان الصواب هو القول الأول ، أى القول بأن الآية حث على مجيء الرسول حياً وميتاً ، كانت دالة على وجوب الزيارة ، وهذا لم يقل به أحد . وإذا كان الصواب هو القول بالقياس كانت أيضاً دالة على الوجوب ، لأن المقيس على الواجب واجب . فلا استدلال بالآية على الزيارة ينتج القول بوجوبها ، والقول بوجوبها باطل بالاجماع . فلا استدلال بالآية باطل .

إما أن يقولوا
بأن الزيارة واجبة
ولما أن
يخالفوا الآية

وليس أمام المخالفين إلا أمران : إما أن يزعموا أن المؤاخنة في الآية
مؤاخنة على أمر غير واجب بل على أمر مستحب مسنون ، أو يزعموا أن الزيارة
لقبر واجبة وفريضة . وكلا الأمرين باطل عند أهل العلم : أما القول بأن المؤاخنة
في الآية مؤاخنة على غير واجب فأظهر القولين بطلانا . . . فإن قوله تعالى
في ختام الآية « لوجدوا الله تواباً رحيماً » مغناه لغفر الله لهم ولتاب عليهم ولرحمهم ،
فلم يعذبهم ولم يؤاخذهم على ما استحقوه من عذاب ونكال . . . وإلا فالله تواب
رحيم أبداً قبل ظلم النفس وبعده وفي كل وقت . وسياق الآية المذكور يدل على
أن الله لم يتب عليهم ، ولم يغفر لهم ، ولم يرحمهم لأنهم لم يجهتوا النبي عليه
الصلاة والسلام . وتوبة الله عليهم ورحمته إليهم مشروطتان في الآية بمجهتهم
إياه عليه السلام . وحرف « لو » حرف امتناع لامتناع كما يقولون . فكأن التوبة
عليهم والرحمة لهم امتنعنا لامتناع المجيء الذي طلب منهم . فتفسير الآية
الجملي هو : الله لم يتب عليهم ، ولم يرحمهم ، لأنهم لم يجهتوا النبي حينما أذنبوا
وظلوا أنفسهم . وإذا لم يتب الله عليهم ويرحمهم كانوا بلا شك مستحقين للهلاك
والعذاب . والمجيء الذي يستحقون على تركه عذاب الله ونقمته وسخطه ،
ويستحقون عليه ألا يتوب عليهم ، وألا يرحمهم مجيء واجب بلا نزاع ولا تردد .
فهذا المجيء الذي تركوه ولم يجهتوا على تركه واجب من أعظم الواجبات ، وفريضة
من أكبر الفرائض . فالقول بأن المؤاخنة في الآية مؤاخنة على غير واجب
قول باطل .

أما القول بأن الزيارة ، زيارة القبر ، واجبة فقول يخالفه الإجماع ويخالفه الدين
بجملة ، وقول لا يقول به المخالف نفسه ، فلا تردد في بطلانه وفساده . . . ومن
زعم أن زيارة القبر واجبة فقد افتري على الله ، وافتري على دينه ، وزعم
زعماً ما أفضله وأقبحه ، وذهب إلى إيجاب الحج إلى غير مكة المشرفة وإلى غير

لا يجب الحج
إلى غير مكة

بيت الله الحرام . والمسلمون مجتمعون على أن الحج لا يجب إلا إلى النكبة ، أما غيرها من الأماكن ، ومن جعلها قبر الرسول ، فلا يجب الحج إليها عند أحد من أهل الفقه في الاسلام والسنة . ولو صح هذا لكانت الشيعة من أترك الناس لهذا الواجب ، فانه يندر فيهم من يحج ، وبالتالي يندر فيهم من يزور المدينة المنورة . إذ قد استغنوا بقبور النجف وكر بلاء وغيرهما عن مكة والمدينة وعن مسجد الله الحرام ومسجد نبيه عليه السلام . . . وقد كان رسول الله يقول بعد فتح مكة : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية » . فالهجرة إلى المدينة في حياة النبي بعد الفتح غير واجبة فكيف تجب بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ؟ هذا ما لا يكون وما لا يذهب إليه المسلمون . فلا استدلال بالآية على الزيارة استدلال منكر مفضوح .

ثالثها : لو كان يقصد بالآية زيارة القبر الشريف نصاً أو قياساً لما شرط الحجى إليه بظلم النفس وبالذنب ، ولما قيل « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك » بل لقيل : ولو أنهم جاؤك . لأن المقصد على قول المخالفين الحث على زيارة النبي حياً وميتاً في قبره وفي حياته . . . وإذا كان هذا هو المقصود والمرمى للآية الكريمة لم يكن لشرط الحجى بالذنب والظلم معنى من المعاني . لأن تقييد الترغيب في الحجى إليه عليه السلام بظلم النفس يخصص معناه العام الشامل .

فان قيل : إن تقييد الحجى بالظلم لم يكن للدلالة على أنه لا يشرع إلا لمن ظلموا أنفسهم وإنما كان ذلك للدلالة على فضيلة زيارة النبي وزيارة قبره ، ولتنبيه على ما في ذلك من عظيم الأجر والثواب بأن يقال : إن زيارة النبي حياً وميتاً عظيمة جداً بحيث إن من ظلموا أنفسهم وفعلوا الإثم والذنب العظيم لو زاروا النبي حاملين ذنوبهم وخطاياهم وظلمهم لأنفسهم لغفر لهم ، ولو ضمت عنهم الأوزار والخطايا ، فكيف لو زاره من لم يذنبوا ، ومن لم يظلموا أنفسهم ، ومن

وجه ثالث في
الاستدلال بالآية

أحسنوا أعمالهم وأقوالهم ، وطهروا ظواهرهم وبواطنهم ؟ إن أجزم إذن لعظيم :
إن قيل هذا قيل : هذا فاسد وبيانه :

رابعها - : وهو أن يقال : لا يمكن أن تريد الآية الحث على زيارة القبر .
لأنصاً ولا قياساً ، وذلك لأن الآية قد رتب على الحجى إلى النبي عليه السلام .
أجراً عظيماً وفضيلة عظيمة ، تتناول إليها أعناق المتقين ، وتتساق إليها أشواقهم .
وينضون للوصول إليها مطايا جهودهم وأعمالهم : هذا الأجر العظيم ، وهذه
الفضيلة العظيمة هي وجدانهم الله تواباً رحماً ، وهذا يكفى به من التوبة والرحمة .
ومن تاب الله عليه ورحمه فقد فاز وأفلح وأخذ بسبب من نجاته متين . وهذا
الأجر لا يمكن أن يكون أجر من زار القبر وشد المطايا إليه ، فإن زيارة القبر
مهما بولغ في تعظيمها وتكثير أجرها لا يمكن أن يبلغ ثوابها هذا القدر بحيث
يفخر للزائر ويناب عليه ويرحم ، وبحيث يترك له ظلمه وذنبه ، فإن هذه المثوبات
لا تنال إلا بالأعمال الجسيمة الصالحة ، لا بزيارة القبور والوقوف بها ، لأن فضيلة
الزيارة إن كانت في السلام على النبي والصلاة عليه فهذا يحصل ويدرك في
القرب والبعد ، ويناله القريب والقاصي . ومن صلى على النبي مرة صلى الله عليه
بها عشرة . وهذا لا فرق فيه بين من كان فوق القبر ، ومن كان في الأندلس ،
كما قال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لذلك الذي كان يعتمد زيارة
القبر . وقد قال عليه السلام في الحديث الذي رواه أبو داود والامام أحمد : « وصلوا
على فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » . والمسلمون من كل مكان وفي كل مكان
وكل زمان يقولون في صلواتهم : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .
ويصلون ويسلمون عليه في كل أوقاتهم وحالاتهم . وينالون بذلك أجر الصلاة
والسلام عليه أين كانوا وجدوا . وإن كانت فضيلة الزيارة في مشاهدة الحجرة
التي تضم رفات النبي وفي مشاهدة الجدار المحيط بها ، فهذا بذاته لا فضيلة فيه

وجه رابع في
إبطال
الاستدلال
بالآية

حديثة بالإجماع والضرورة . وإن كانت الفضيلة في إثبات المسجد والصلاة فيه خرجت المسألة عن الزيارة ورجعت إلى زيارة المسجد وشد الرحال إليه . وهذا لاختلاف فيه ، ولكن ليس هو ما يذهب إليه المخالفون .

خامسها - : لو أن الآية تناول الزيارة نصاً أو قياساً لكان من المشروع لكل من ظلم نفسه وعمل السوء أن يزور القبر النبوي ، وأن يشد المطايا والرحال إليه ، وإلا كان آثماً مجرمًا ، لأن الآية تقول - مقررعة القوم ذامة لهم ~~سجود~~ أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيمًا . وإذا كان ذلك كذلك كانت زيارة القبر مشروعة بل واجبة عند كل ذنب مهما تعدد وتنوع وكثر . وذنوب الانسان لا تقف عند غاية ولا عند حد من الحدود . فكان من المشروع إذن للمسلم ، بل من الواجب عليه أن يهيج إلى القبر النبوي في البسام الواحد عشرات المرات بل مئات المرات : كلما ظلم نفسه ، وعصى ربه . وهذا شيء كثير جداً . وعليه يكون الحج إلى القبر أعظم من الحج إلى بيت الله ! بل على هذا يكون من المشروع للمسلم الواجب عليه أن لا ينفك مسافراً بين ذهاب وإياب ، راحلاً إلى القبر في حياته كلها . وهذا من أعظم الضلال وأبين المخالفات لدين الله الاسلام ، ومن أعظم الوثنية التي جاء النبي لتقويض أبنيتها ، وهدم قواعدها ، ونقض أساسها . وفساد هذا ومخالفته لدين الاسلام بل لجميع الأديان لا يحتاج إلى إمعان في النظر وكد للفكرة .

سادسها - : أن يقال : لو كان هذا صحيحاً ، وكان هو المراد بالآية لكان أصحاب النبي وأنصار الله من المهاجرين والأنصار من أزهد الناس في هذه الفضيلة ، ومن أقلهم عملاً بها ، والتفاتاً إليها . . . وذلك أنهم - وقد تقدم هذا صرات - ما كانوا يرغبون في زيارة القبر الشريف . . . ولا كانوا يتسددون إليها ، ولا يعمنون بها بعض العناية ، بل ما صبح عن أحد منهم زيارة القبر لا من

وجه خامس في
إطلاق
الاستدلال بالآية

الآفاق ولا من المدينة في ما نعلم إلا ما صح عن عبد الله بن عمر أنه كان إذا
 قدم من سفر زار وسلم وانصرف . لا يزيد على ذلك شيئاً . أما غيره كأبي
 بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وغيرهم من الأنصار والمهاجرين فلم ينقل عنهم
 باسناد صحيح يقام له وزن أنهم كانوا يفعلون شيئاً من ذلك لآحين حضورهم من
 الأسفار والآفاق ، ولا عند دخولهم المسجد للصلاة ولغيرها . وما صح عن
 أحد منهم أنه زار القبر أو وقف عنده أو طاف به ، أو دعا لديه . وقد كانوا
 يدخلون المسجد النبوي في اليوم الواحد المرات ، وكانوا يدخلون على أم
 المؤمنين عائشة حائشة حجرتها وفيها النبي وصاحبه . وما نقل عن أحد منهم بسند
 صحيح أنه فعل شيئاً من هذا الذي فعله عبد الله بن عمر فضلاً عن الأشياء التي
 فعلها هؤلاء المبتدعون والتي يدعوون إليها الناس ، بل لقد جاء نهيهم عن ذلك
 كما تقدم في حديث علي بن الحسين المعروف بزين العابدين ، وفي حديث
 الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وتقدم قول أبي إسحاق إبراهيم بن
 سعد قال : ما رأيت أبي يأتي قبر النبي قط ، وكان يكره إتيانه . وسعد هذا من
 سادات التابعين وأعلامهم ، وهو سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف
 الزهري . وتقدم قول عبيد الله بن عمر العمري لما حدثه معمر أن عبد الله بن
 عمر كان يزور قبر النبي إذا حضر من السفر وقبري صاحبيه ، فقال عبيد الله بن
 عمر العمري : ما نعلم أحداً من أصحاب النبي فعل ذلك غير ابن عمر . وعبيد الله
 ابن عمر القائل هذه المقالة إمام كبير من أئمة التابعين . وتقدم قول الشعبي : لولا
 أن رسول الله نهى عن زيارة القبور لزرت قبر ابنتي . وتقدم قول إبراهيم
 النخعي : كانوا يكرهون زيارة القبور . وعن ابن سيرين مثله . وتقدم أن مالكاً
 سئل عن زيارة القبور ، فقال : قد نهى عنها رسول الله ثم أذن فيها ، فلو فعل
 ذلك الإنسان ولم يقل إلا خيراً لم أر بذلك بأساً . وتقدم قوله : إن زيارة القبور

لم كان السلف
 يأتون القبر
 النبوي

ليست من عمل الناس . وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها . وتقدم أنه قيل له :
إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يقفون على القبر فيصلون.
عليه ويسلمون ، فقال : لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع .
ولا يصلح آخر الأمة إلا ما أصلح أولها . وتقدم قوله : ويكره ذلك إلا لمن جاء من
سفر أو أراد . والإمام مالك يجيز ذلك لمن جاء من السفر ولمن أراد استئذالا .
بفعل عبد الله بن عمر . أما غيره فلم ينقل عنه شيء من هذا . ومن ثم احتج المولعون .
بهذه الأمور بحكاية العتيبي عن ذلك الأعرابي النكرة المجهول . ولو كان عندهم
شيء من هذا العلم عن أبي بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو غيرهم من الصحابة وأئمة
التابعين لما احتاجوا إلى حكاية العتيبي عن الأعرابي النكرة ، ولما احتاجوا إلى
الأحاديث الموضوعة مثل الرواية المعزوة إلى النبي القائلة « من زار قبري وجبت
له شفاعتي » . وقد كانت عائشة رضي الله عنها ساكنة في الحجرة التي فيها النبي .
وصاحبه ، وما حفظ عنها أنها كانت تقف بالقبور وتدعو وتسلم وتزور . وكان
الناس يزورونها في حجرتها ويدخلون عليها ، وما جاء عنها أنها أشارت على
أحد من زائريها بالزيارة للقبر والطواف به والدعاء والسلام عليه . فالصحابه لم
يفعلوا ذلك ، والتابعون لم يفعلوه ، بل قد جاء عنهم كراهته والازورار عنه ،
لأنهم لم يجزوه من فعل الناس ولا من فعل صحابة النبي وناشري رسالته من بعده .
فلو كانت الآية حنكاً على زيارة القبر وترغيباً فيها لكان خيار الأمة وصحابته
النبوة ومن تبعهم بالإحسان والإيمان من أعصى الخلق ومن أبعدهم وأتاهم عن
هذه الطاعة وعن تلك الفضيلة . ولكن حاش لله أن يقال في خيار الأمة هذه المقالة .
بل الصحابة أئمة الناس وأعلمهم بأوامر الله وأوامر رسوله ، وأقومهم بما يجب
لرسول الله من التعظيم والاحترام والحب الصادق الصحيح . ولا خير في ما
تركوه ورغبوا عنه من أمور الدين وعبادة الله .

سابعاً : لا خلاف بين الناس في أن هذه الآية قد نزلت في طائفة من الناس مفرقة لهم على إعراضهم عن الله وعن رسوله رغبة عما عند الله وزهداً في النبوة والنهي . ولا خلاف في أن الآية لم تكن خطاباً عاماً لجميع الناس ، ولا حصاً لهم كلهم على أن يأتوا الرسول . وقبل هذه الآية يقول الله : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » ثم يقول : « ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، يريدون أن يتحاكوا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظيهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً . وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله . ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر ربهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً . . . » ثم يقول بعد هذا : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً . ولو أنا كتبنا عليهم أن اقنوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً ، وإذا ن لا تينام من لدنا أجر أعظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً . . . » والآيات صريحة في أنها نزلت في طائفة من المنافقين دعوا إلى رسول الله ليعتفروا إليه وليتوبوا من نفاقهم ، وإساءتهم إليه فلم يفعلوا . وأصرح هذا قوله « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً » وهو مثل قوله تعالى من سورة « المنافقون » : « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لمواؤا رؤيتهم يصدون وهم مستكبرون » . وهذا لا يحتاج

وجه سابق في
الاعتدال
الآية على إيمان
القر

إلى زيادة تفصيل . فالآية نازلة في جماعة من المنافيين بلالريب . فالذين يزعمون أنها عامة يلجأون إلى القياس لا إلى النص . فإذا كانت المسألة مسألة قياس قلنا : أما الشيعة فانهم ينكرون القياس كله ، ولا يقبلون منه شيئاً . وهم يفخرون على أهل السنة بهذا الإنكار ، وينمونهم ويهجونهم لقولهم به ، وذهابهم إليه . فباطل إذن أن يقيسوا هنا . وأما غير الشيعة من القائلين بالقياس فيقال لهم : إن القياس في هذه المسألة - خاصة - باطل ، ولو كان كل قياس في الدنيا صحيحاً . وذلك أن القياس بالاجماع لا يكون صحيحاً مقبولاً إلا إذا اشترك المقيس والمقيس عليه في علة الحكم الثابتة للمقيس عليه التي زعم ثبوتها للمقيس ، فزعم صحة إعطائه حكم المقيس عليه تحليلاً وتحريماً ، فلا يقاس محرم على محرم إلا إذا وجدت علة التحريم في الأمرين معا : المقيس والمقيس عليه ، ولا يقاس مستحب على مستحب ، ولا واجب على واجب إلا إذا اشتركا في علة الاستحباب ، والوجوب . وهذا ركن من أركان القياس لا معنى له بغيره . والقياس في المسألة التي معنا باطل لأن العلة في المقيس عليه مفقودة من المقيس فلا يصح أن يشتركا في الحكم . وبيان ذلك أن أولئك المنافيين قد أساءوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام باحتكامهم إلى الطاغوت وبامتناعهم من التحاكم إليه ، وبصدودهم ورفضهم عنه ، وبمصيبتهم إياه ولبسهم به وسهم عند دعوتهم إليه إعراضاً وضدوداً عنه ، وكفراناً به واحتقاراً له . . . فكان كفارة ذلك كله أن يتوبوا في أنفسهم ، وأن يذهبوا إليه عليه الصلاة والسلام فيعتذروا ويتوبوا بين يديه تكفيراً لجرم إساءتهم إليه وجرم خروجهم على ربهم وشرودهم عنه ، وليستغفروا لأنفسهم وليستغفر لهم الرسول لتقبل توبتهم وليغفر جرمهم العظيم . . . وهذا كله عنوان إقلاهم عن نفاقهم وبرأتهم من كفرانهم .

فهم في الحقيقة لم يلاءوا على أنهم لم يجيئوا الرسول ولم ينهبوا إليه : ليس

لم يلاءوا لأنهم
لم يزوروا
الرسول ولكن
ليبوا لأنهم
كفروا ولم يشعروا

هذا هو وجه ضلالهم وسبيل نفاقهم ، ولكن وجه ذلك وسبيله هو كفرهم المدلول عليه بإعراضهم عن رسول الله وصدودهم عنه وتحاكمهم إلى الطاغوت ، تاركين حكمه وشرعه وراء ظهورهم ، غير حافلين ولا مباليين ، نفاق منهم وارتداد آ . وهذا لا ريب فيه . فهم إذن لم يطلب منهم المجيء إلى رسول الله زيارة ، ولا لأن المجيء إليه ذاته مطلوب . . . وإنما طلبت منهم التوبة ، وطلب منهم الايمان . وهم إذا كانوا يصدون عن رسول الله ، ويتحاكون إلى الطاغوت ، ويعرضون عن حكمه ، ويجفلون منه ، فليسوا بمؤمنين ولا تائبين ولا مسلمين بلا شك . فالمجئ المطلوب منهم مجئ يحدوه الايمان والتوبة والاخلاص لله ولرسوله . فهم مذمومون لأنهم منافقون غير مؤمنين وغير مسلمين ، لا لأنهم لم يأتوا الرسول ولم يزوروه أو يزوروا قبره . . . فالمعنى في الآية الكريمة : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم تابوا واستغفروا وتخلوا عن ظلمهم وجرمهم وكفرهم ، لوجدوا الله غفارا لذلك كله . . . وهذه الآية مثل الآيات التي فيها قبول الله توبة التائبين مهما عظمت ذنوبهم وسينئاتهم وآثامهم . وإنما قيل في الآية : « جاءوك » لأن مجيئهم إياه عليه السلام بتلك الحال عنوان لإقلاعهم عما ليموا عليه ، وبرهان التوبة والصدق والاخلاص . فالمجئ ليس مطلوبا إلا للتوبة ولا إعلانها وإعلان الاسلام والايمان والصدق فيهما . وإلا لو أنهم آمنوا وتخلصوا من نفاقهم وبما يحملون للاسلام وللتبى من المداوة والكرهه والبغضاء بالتوبة ثم لم يجيئوا الرسول عليه السلام ، لا كراهة له ولا بغضاء ولكن لاشتغالهم بحياتهم وشتونها لما ليموا على ذلك ولما طلب إليهم المجيء إلا إذا كانوا محتاجين للتعليم وأخذ دينهم عنه مباشرة ، أو كانوا مطلوبين للجهاد بين يديه والدفاع عنه ، أو نحو ذلك من الأغراض . ولهذا كان ﷺ يقول بعد فتح مكة : « لا هجرة بعد الفتح ، لكن جهاد ونية » . . . ومن الدليل على أن المجيء ذاته ليس مطلوبا :

من الدليل على
أن المجيء نفسه
ليس مطلوبا
مفروفا

ولا فضيلة أنه تعالى ذكره في هذه الآيات ذاماً له ، منكراً بهم . وذلك في قوله تعالى : « ثم جاءك يحنفون بالله : إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً » . وهذا ذم لأحد أفراد المجيء . وقال تعالى من سورة المناقون : « إذا جاءك المناقون قالوا نبشع بك رسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون » إلى آخر الآيات ، وهذا ذم لهم على محنتهم بتلك الحال الكاذبة المنيعة . وقال في ذم أحد أفراد المجيء : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم » . ولا يصح الاستدلال بقوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك » الآية على استحباب المجيء إلى رسول الله بعد موته ، كما لا يصح الاستدلال بهذه الآيات المذكورة على ذم المجيء إليه حياً وميتاً . وإنما المدح والتمن لما قارن ذلك بالضرورة والإجماع . وإذا صح قعودهم أن يستدلوا بالآية التي نحن بصددنا على استحباب مجيء قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يستدلوا بالآيات التي سقناها على كراهة المجيء إلى القبر . والاستدلالان في الحقيقة سواء .

فالعلة في طلب مجيء أولئك المناقين إلى الرسول هي إعلان توبتهم وإيمانهم وبرهان براءتهم من نفاقهم وضلالهم ، ثم اعتذارهم إلى الرسول ، لأنهم أساءوا إليه وتنقصوه ، ثم تحاكمهم إلى شرعه وحكمه : هذه هي العلة في طلب المجيء منهم ، وليست العلة هي الزيارة . وهذه الأمور مقفوعة في زيارة المسلم للقبر الشريف . فالعلة التي طلب من أجلها المجيء موجودة في المقيس عليه دون المقيس . فالقياس إذن قاسد باطل . ولا يضح القياس حتى يزعموا أن العلة في طلب المجيء هي الزيارة . وهذا لا يقول به مسلم ولا عاقل غير مسلم . فظهر بهذا أن الاحتجاج بالآية في مكان بعيد من الإرشاد والسداد .

بأنها — : لو صدق الاحتجاج بقوله تعالى « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم

وبه تامين
في إطلاق
الاستدلال
بالآية

جاءوك « الآية على زيارة القبر النبوي لصديق الاحتجاج بقوله تعالى : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم » على امتناع دعاء النبي وخطابه من حجراته حياً وميتاً . فان الذين يدعون النبي عليه السلام بعد موته ويخطبونه ، لا يدعونه ، ولا يخطبونه إلا من وراء الحجرات ، إذ لا يمكن الوصول إليه كما تقدم لأنه مقبور في حجرة زوجه عائشة رضى الله عنها ، والحجرة مسدودة ومحاطة بالبناء . فمن أراد لليوم أن يخطبه وأن يدعو عليه الصلاة والسلام لم يمكنه ذلك إلا من وراء حجراته ومن وراء البناء المحيط بالحجرة . وحينئذ تكون الآية ذليلاً ظاهراً على بطلان خطابه ودعائه بعد موته وبعد وضعه في بيت أم المؤمنين عائشة . ودلالة هذه الآية على امتناع دعائه وخطابه ميتاً أبين وأظهر من دلالة الآية التي نحن بصددنا على استحباب مجيء القبر والسفر إليه . ولكن هؤلاء المخالفين ينازعوننا في هذا الاستدلال ولا يسلّمونه ، ويصرون على دعاء الرسول وخطابه والاستغاثة به ، وطلبه الحاجات من وراء الحجرات والجدران غير مباليين بهذه الآية ولا بغيرها من الآيات . ولا مفر لهم من أخذ الأمرين : إما الاستدلال بالآيتين معاً : بآية « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم » الآية على استحباب زيارة القبر وشد الرحال إليه ، وبآية « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » الآية على تحريم دعاء النبي وخطابه ميتاً . وإما ترك الاستدلال بالآيتين معاً ، فلا تدل هذه على استحباب السفر إلى القبر ، ولا تلك على تحريم خطاب النبي عليه الصلاة والسلام بعد الممات . . . وهذا أقل ما يوجب به الانصاف والعدل .

وجه تاسع في بطلان الاستدلال بالآية على السفر إلى القبر

تاسعها - : نقول : هبوا الآية نازلة في الحث على زيارة القبر الشريف وشد الرحل إليه خاصة . ولكن لا ريب أن المعنيين بها قوم من أهل المدينة من

أهل النفاق والضلال . ونحن لا نتازع في جواز زيارة القبور إذا كانت زيارة مجردة من السفر وشهد الرحل وإعمال المطى ، بل لا نتازع في أن زيارة القبور على وجه العموم مستحبة مطلوبة بالجملة كما قال عليه الصلاة والسلام : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً » . وفي رواية : « فاتها تذكركم الآخرة » .

فزيارة القبور لم نخالف نحن في جوازها واستحبها كما لم نخالف في زيارة القبر النبوي إذا لم يسافر لأجل الزيارة خاصة . والآية الكريمة نازلة في طائفة من أهل المدينة دعوا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فأبوا وصدوا وأعرضوا . . . فإذا كانت حقاً دعوة إلى زيارة القبر النبوي أو إلى زيارة النبي نفسه حياً وميتاً لم تدل على شيء مما يذهب إليه المخالفون ، ولم تدل على شيء مما ننكره ولأباه . فإن الذي في الآية دعوة لطائفة من أهل المدينة ليأتوا إلى النبي أو إلى قبره على قول المخالف ، ودعوة أهل المدينة إلى النبي حياً وميتاً ، أو إلى زيارته وزيارة قبره ، لم ننكرها نحن . ولم نقل : إنها ممنوعة أو مكروهة أو غير مستحبة . وإنما ننكر من الزيارة ما كان بسفراً أو ما كان مصحوباً بالابتداع والضلال . فقصارى ما في الآية بمد كل شيء أن تدل على حث أهل المدينة المنورة النبوية على زيارة القبر . . . ، ولكن ليس الكلام ولا الخلاف بيننا وبين المخالفين في زيارة سكان المدينة للقبر ، وإنما ذلك في شد الرحال وفي الأسفار إلى مجرد الزيارة . فنحن نسلم أن القرآن يدعو أهل المدينة عامة إلى زيارة رسول الله في مدينته حياً وميتاً ، وأنه يحثهم على ذلك ويرغبهم فيه . وهذا ما لا خلاف ولا كلام بيننا وبين هؤلاء المخالفين فيه .

فاً : قالوا : إنه لا فرق بين أهل المدينة وبين سواهم في هذا ، فإذا طلب سؤال وجوابه القرآن من أهل المدينة أن يزوروا القبر كانت الزيارة بلا شك مطلوبة من سائر

المسلمين في أقطار الأرض ، لأن ما طلب من طائفة من المسلمين كان مطلوباً من جميع المسلمين ، إذ لا يصح أن يشرع لقوم ما لم يشرع للآخرين ، فلا يحل لفريق ما حر. على فريق آخر ، ولا يوجب على فريق ما لم يوجب على كل فريق . فالذي يطلب من أهل المدينة يطلب من غيرهم ، كما أن الذي يحرم على غيرهم يحرم عليهم . فلا يجوز في شرع الله أن يكون هذا حلالاً لأهل الحجاز أو لأهل المدينة ، حراماً على أهل مصر أو العراق أو الشام أو الهند أو أقصى بلاد الاسلام كما لا يجوز العكس . فلا يجوز أن تكون زيارة القبر النبوي جائزة أو مستحبة لأهل المدينة ، محرمة على أهل مصر أو أهل الشام أو أهل العراق أو أهل الأندلس أو غيرهم كما لا يجوز العكس . فاذا سلمتم أن الآية تدعو أهل المدينة إلى زيارة القبر النبوي فقد سلمتم أنها تدعو سوام إلى ذلك لما ذكرنا من أنه لافرق بين المسلمين أمام أوامر الشريعة : حلالها وحرامها .

إذا قال المخالفون هذا قلنا : نعم ، لافرق بين أهل بلد و بلد آخر إزاء أوامر الدين وفروض الشريعة ، فلا فرق بين أهل المدينة وبين غيرهم من المسلمين في هذه المسألة وفي سواها من المسائل ، فالحرم على المدني محرم على غير المدني من المصرى والشامى والعراقى والهندى وجميع المسلمين . والحرم على المصرى والهندى والعراقى والشامى والمشرقى والمغربى من أمم الاسلام محرم على أهل المدينة بلا خلاف ولا نزاع ، والزيارة المطلوبة من أهل المدينة مطلوبة من غيرهم ، والمحرمة على غيرهم محرمة عليهم بلا شك . هذا كله نقوله ولا نخالف في شئ منه . فالسفر لمجرد زيارة القبر النبوي - مجرداً من قصد الصلاة في المسجد - منهي عنه : أهل المدينة وغيرهم من المسلمين ، وزيارة القبر الشريف وغيره من القبور مشروعة مستحبة لمن كان في المدينة سواء أكان من أهل المدينة أم كان غريباً . فالمدنى إذا كان في مكة أو في مصر أو في العراق أو في الشام أو في الهند منهي عن أن يسافر إلى المدينة

لأجل زيارة القبر . وغير المدنى إذا كان فى المدينة كان جائزاً له أن يزور القبر وأن
يسلم على صاحبه وعلى صاحبيه عليه السلام ، ورضى الله عنهما . فليست زيارة القبر
مباحة لأهل المدينة ، محرمة على غير أهل المدينة ، ولم يحرم على المسلمين ما أحل
لأهل المدينة ، ولكن السفر لأجل الزيارة منهى عنه الجميع : المدنيون وغير
المدنيين ، والزيارة بغير سفر مستحبة للجميع : المدنيين وغيرهم . فالمسلمون إزاء
ذلك سواء .

ونظير هذا عند المخالفين وغيرهم أن من كان فى مصر كان مباحاً له أن يصلى
فى الأزهر أو فى غيره من المساجد . ولكن من كان فى المدينة المنورة أو فى مكة
المكربة أو غيرهما من الأقطار منهى بالاجماع عن أن يسافر إلى مصر لأجل
الصلاة فى الأزهر أو فى غيره من مساجد القاهرة كجامع عمرو بن العاص . وكذلك
يقال فى جميع المساجد ما خلا المساجد الثلاثة التى قال النبى فيها : « لا تشد
الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة » .
فكل المساجد مشروع قصدتها للصلاة فيها ، ولكن لا يصح السفر إليها لأجل
الصلاة فيها عند المخالفين أنفسهم للحديث المذكور . وهذا مثل زيارة القبر النبوى
بل جميع القبور ، فإن زيارتها مشروعة استحباباً ولكن بلا سفر . فالصلاة فيها
— بلا سفر — مأمور بها . وبالسفر منهى عنها ، والزيارة مشروعة مأمور بها — أمر
باستحباب — بلا سفر ، منهى عنها بالسفر . . ولم يقل أحد : إن فى هذا تحريماً على
قوم ما أحل للآخرين ، ولا إحلالاً لطائفة ما حرم على غيرها

ونظائر هذا كثيرة معلومة فى الشريعة : فأهل مصر مثلاً إذا أرادوا الحج كان
واجباً عليهم أن يمشوا بما بينهم وبين مكة شرفها الله من البر والبحر . ولكن هذا
ليس واجباً على من أرادوا الحج من أهل مكة وأهل الحجاز عامة ، لأن وصولهم
إلى الكعبة وإلى بيت الله لا يتوقف على ذلك . ولا يقول أحد فى هذا ، إنه أوجب

على أهل مصر مثلاً ما لم يوجب على أهل الحجاز . وكذلك يقال في غير أهل مصر ممن بعثت ^١ عن الحجاز . وأهل مكة إذا صلوا في الحرم وجب عليهم أن يتوجهوا إلى كل الجهات الأربعة ليولوا وجوههم شطر الكعبة . ولكن من كانوا في بلدة أخرى وجب عليهم أن يتجهوا جهة واحدة ليصيروا شطر المسجد الحرام . ولا يقال : إن في هذا إيجاباً على قوم ما لم يوجب على الآخرين ، ولا أن فيه تفرقاً بين طوائف المسلمين : هذا كله مفهوم معقول .

سؤال وجوابه فان قال المخالفون : قد دلت الآية على طلب الزيارة من أهل المدينة فله دليلكم على أن هذا خاص بهم دون غيرهم ، والتخصيص لا يركن إليه وإلى القول به إلا بدليل ظاهر جلي قوى ، قلنا : الدليل عندنا على التخصيص قوله وَيَذَرُهَا « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » الحديث ، ودلائل أخرى أيضاً سوف يحى بيانها وشرحها . وأيضاً المسوى بينهما هو المطالب بالدليل لأن التسوية بينهما تسوية بين مختلفين ، ومن سوى بين مختلفين كان مخطئاً أو آتياً بدليل لا ينزع . وأيضاً إذا رجع استدلال المخالفين إلى العمومات والتمسك بالأمور المطلقة المرسله الشائكة فالأحسن أن يستدلوا بأحاديث الأمر بزيارة القبور العامة مثل قوله وَيَذَرُهَا : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فانها تذكركم الآخرة » . وقد كان عليه السلام يزور القبور . فيمكن حينئذ أن يستدل بزيارته التي بنى سفره بالأوامر المطلقة . في الزيارة التي تكون بسفر . فإذا رجعوا في احتجاجهم إلى الاستمسك بما أوجبنا الجواب عن ذلك إلى الفصل الخاص بالسفر إلى زيارة القبور .

وجه عاشر في
إبطال
الاستدلال
بالآية على إيجاب
القبور

عاشرها - : يقول الله في وَيَذَرُهَا : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » الآية . وظاهر من هذه الآية أنه المطلوب فيها يحى يستغفر بعمده رسول الله لمن جاءه ، لأن قوله : « واستغفر لهم »

الرسول « معطوف على قوله ، « واستغفروا الله » وهما - أعنى « واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول » معطوفان على قوله : « جاءوك » « بالفاء » والفاء للمطف والتعقيب على المشهور المنصور من مذاهب النحويين . فاستغفارهم واستغفار الرسول لهم بعد مجيئهم بنص الآية . وإذن فالمطلوب في الآية مجيء يكون بعده — مباشرة وتسببا — استغفار من الرسول للجائي . . . أما المجيء الذي لا يعقبه استغفار من الرسول فليس مجيئاً مطلوباً ولا مشروعاً بنص الآية وظاهرها . وهذا في ما أحسب جلي قوى . فعليهم إذن أن يثبتوا أولاً أن الرسول عليه الصلاة والسلام يستغفر من جاءوه زائرين في قبره ليصبح لهم الاستدلال بالآية التي استدلو بها . فإن لم يقيموا الدليل على هذا لم يبق لهم حجة ولا شبهة في الآية الكريمة . فإين دليلهم على أن من جاءوا القبر وزاروه استغفر لهم الرسول ؟ لا يصح أن يقولوا جواباً عن هذا السؤال : إن الرسول قد استغفر لجميع المؤمنين والمسلمين في حياته لأن الله قد أمره أن يستغفر لهم دلي وجه العموم والاطلاق ، لأن المطلوب هنا استغفار يكون بعد المجيء لا قبله . ولا يصح أن يقولوا : إنه ﷺ دائماً يستغفر لأئمة لقوله عليه السلام : « تعرض على أعمالكم ، فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم » لأن هذا الحديث أولاً فيه كلام سوف يجيء بيانه ، ولأن المطلوب ثانياً استغفار يكون عقب المجيء لا عقب عرض الأعمال عليه عليه الصلاة والسلام . وظاهر الآية يدل على أن الاستغفار يكون عقب المجيء مباشرة ، و يكون المجيء أيضاً سببه أو أحد أسبابه . والاستغفار المذكور في حديث عرض الأعمال ليس في شيء من ذلك . فالمجيء المطلوب في الآية هو مجيء يستغفر بعده رسول الله للجائي . وكل مجيء لا يستغفر بعده الرسول لا يكون مجيئاً مطلوباً . فإن استطاع المخالفون أن يقيموا البرهان على أن من زار الرسول في قبره استغفر له بعد زيارته ساغ لهم الاحتجاج بالآية على ضعف ووهن ، وإن لم يستطيعوا :

ذلك - وهم غير مستطيعيه - لم يسع لهم أن يتعلموا بها، ولا أن يفكروا في الاحتجاج بها ببعض التفكير .

أما في حياته فإنه ﷺ كان يستغفر لمن جاءوه معتذرين معترفين بظلمهم وظلماتهم وأخطائهم . كما جاء في حديث كعب بن مالك يوم تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك قال في حديثه : « فلما قدم رسول الله من غزوته جاءه المخلفون فطلقوا يعتذرون إليه ويحلفون له . فقبل منهم رسول الله علانيتهم وبإيعهم واستغفر لهم ووكّل سرّهم إلى الله » . والحديث في الصحيح وغيرها . وهذا وارد في أحاديث أخرى كثيرة . وفي سورة « المناقون » « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لو وارده وسهم ورأيتمهم يصدون وهم مستكبرون ، أسواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله لهم . إن الله لا يهدي القوم الفاسقين » . فاستغفار الرسول لمن جاءه في حياته معلوم لا خلاف فيه . وأما بدموته فعلى المخالفين أن يقيموا الدليل على أنه يستغفر في قبره لمن جاءوه ليكون لاحتجاجهم بالآية وجه ولوضعيّاً ولكنهم لن يجدوا دليلاً واحداً على هذا .

هذه الأمور كلها تقدح في الرواية المذكورة ونهى إسناده وعمادها . والله المليم بكل شيء .

﴿ لو صحت الحكاية ﴾

لو صحت الحكاية
لما دلت على
قول المخالف

ولو أنها كانت صحيحة ثابتة الاسناد لما دلت على ما يذهب إليه المخالفون . وبيان ذلك في بيان ألقاظها .

أما قوله : « وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً . . » فهذا حق ولكنه في غير ما يذهبون إليه . فإن المراد به أنه يجب تعظيمه ﷺ واحترامه وتوقيره وطاعته وحبّه والانقياد لأوامره وأقواله في كل الأوقات والحالات ، في حياته وبعد مماته ، في شهوده وخيبته ، في قر به وبعده . . . ولكن شيئاً من هذا لا يدل على جواز

جاءه والاستغاثة به وسؤاله ما لا يقدر عليه وما لا يقدر عليه إلا الله وحده . ولهذا لم يقل : « فانه في قبره حي » أو : « إنه في مماته مثله في حياته » أو : « إن قدرته ميتاً كقدرته حياً » أو نحو ذلك من العبارات التي تدل على ما يذهب إليه المخالفون من الخرافات والضلالات . . . بل إن هذه العبارة والمقالة بلفظها وصيغتها وروحها ومفزاها تدل على أنه بعد موته قد انقطعت الصلات به سوى صلة الاحترام والحب والاحلال والتوقير والتعظيم وهذه الممانى من الطاعة والاتباع والانقياد لحكمه وشرعه مما يتعلق بالرسالة التي خلفها والدين الذي شاده وأقامه .

وأما قوله : « ولم تصرف عنه وجهك ؟ » فذاتة ما فيه أنه يدل على أن السنة استقبال القبر الشريف وقت الدعاء . والدعاء كما تقدم يحتمل أن يراد به الصلاة والسلام عليه والدعاء لصاحبه . وقد سلف أن هذا يسمى دعاء . ونحن لا ننازع في أن زائر القبر يستحب له استقباله وقت السلام والدعاء لصاحبه .

معاني كلماته
إذا صحت

وأما قوله : « وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة » فالمراد به أنه يكون يوم القيامة شافعاً له ولا آدم ولجميع الخلائق كما صحت بذلك النصوص . ولا تنازع في شئ من شفاعته ﷺ يوم القيامة ، بل تؤمن بها كلها وترجو الله أن ينفعنا بها وأن يزيد في نصيبنا منها ، ونسأله تعالى إياها ، وتعرض لها ما استطعنا التعرض ، وقد تقدم الكلام عليها في فصل سابق . ولكن هذا ليس في محل النزاع والخلاف . وقول مالك هنا « وسيلتك ووسيلة أبيك آدم يوم القيامة » يشعر بأنه قبل يوم القيامة ليس كذلك على المعنى الذي ينهبون إليه ويدعونه ويدعون إلى الأخذ به . ولو كان ﷺ وسيلة عند مالك في كل الأوقات - بمعنى أنه شافع مسؤول الشفاعة كل وقت - لما قيد ذلك بقوله « يوم القيامة » بل لقال : « وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم » دون القيد المذكور ، أو قال : « وسيلتك ووسيلة أبيك آدم في كل وقت » . فقوله إذن في الرواية « وسيلتك ووسيلة

أبيك آدم يوم القيامة « ظاهر في التفريق بين الوقتين : يوم القيامة وما قبلها من أيام البرزخ. وهذا هو ما نقوله وما ندعوه وندعو إليه ، لأنه ﷺ يكون يوم القيامة حيا حياة حسية صحيحة كاملة يخاطب بها ويدعى ويرجى ويستشفع ويشفع ، وليس كذلك في حال الموت . وهذا هو ما تشير إليه هذه الرواية إشارة صريحة واضحة وأما قوله : « واستشفع به فيشفعك الله » فقد قال بهض أهل العلم فيه قولا لا يبعد أن يكون صحيحا . ذلك أنه قال : الاستشفاع بالنبي معناه التعرض لشفاعته والالتئان بالأعمال والأقوال التي بها تنال شفاعته . قال : وشفاعته تنال بطاعته واتباع سنته ، وبالاقتداء بهديه ، وبالصلاة والسلام عليه ، وبسؤال الله الوسيلة والفضيلة له كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله : من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه » ، وفي البخاري أيضا عن رسول الله قال : « من قال إذا جمع الدعاء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » . وفي صحيح مسلم عن رسول الله قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فان من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا . ثم سلوا الله لي الوسيلة فأنه درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا ذلك العبد . فن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » .

فلاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام في قول مالك : « في أقوال غيره هو طلب شفاعته عليه السلام ، وشفاعته لا تطلب إلا باتباعه وطاعته والاقتداء به ، والتمسك بسنته ، والعمل بشريعته . . . لا تطلب شفاعته النبي بغير ذلك . ومادة « الاستفعال » تعطي معنى الطلب والالتماس . فالاستنصار معناه طلب النصر ، والاستغفار طلب الغفر ، والاستفتاح طلب الفتح ، وكذلك « الاستشفاع »

معناه طلب الشفاعة . فالاستشفاع بالنبي معناه طلب شفاعته . وبماذا تطلب شفاعته عليه الصلاة والسلام ؟ إنها لا تطلب بالابتداع ولا بتكسب سنته والازورار عن شريعته ، ولكنها تطلب باتباعه وطاعته . فاذا طلب الاسلام من المسلمين أن يلتمسوا شفاعة نبيهم وأن يتعرضوا لها كان معنى هذا أن يأخذوا بالطريق الموصلة إليها حقيقة ، المرضية لربهم . وقد بين الاسلام أن الأمر الذي تنال به الشفاعة لا يمدو جملة الاسلام : أقواله وأفعاله واعتقاديته ، وأن السبيل المفضية بسالكها إليها لا تكون إلا سبيل رسول الله عليه السلام وما جاء به من الهدى والدين والنور . وقد علم أمته أنها لن تنال الشفاعة إلا بالاخلاص والتوحيد وقول : لا إله إلا الله اخلاصاً وإيماناً ، وإلا بالطاعات والصلاة والسلام عليه ، وبسؤال الله الوسيلة والفضيلة له كما في الأحاديث السابقة . وهذا لأن الجزاء من جنس العمل . فمن سأل الله لنبيه عليه السلام سأل النبي له ، ومن شفّع له وسأل ربه من أجله الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود شفّع هو له عند ربه وسأله له النجاة والغفران والصفح الجميل . فالذي يشفع للنبي يشفع له النبي جزاء وفاقاً ، لأن الجزاء من جنس العمل .

معنى الاستشفاع
وبماذا تنال
الشفاعة

فالمسلمون ينالون شفاعة نبيهم وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة والصالحين بطاعة الله وطاعة رسوله وأنبيائه . فالاستشفاع بهم في لسان الشرع ولسان أهله لا يعدو الايمان بالأعمال والأقوال التي يرضاها الله ويشفع أنبياءه ورسوله في صاحبها ، الآتي بها . فقول الامام مالك هنا : « واستشفع به فيشفعك الله » معناه اعمل الأعمال التي تستحق بها الشفاعة ، وهي أن تطيعه وتمظمه وتوقره وتصلي وتسلم عليه ، وتسأل ربك له الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود . وهذا هو ما يجعل العبد من أهل الشفاعة ، لا الاستشفاع به ﷺ ، ولا استغاثته ولا سؤاله ، ولا إيقاله بالمطالب والحاجات المختلفة . . . فان هذه الأمور كلها لا يليل

شئ منها الشفاعة ولا الكرامة ، بل هي من الأنور المبعدة عن الله وعن رسوله :
ولهذا يقول ﷺ : « فمن سأل الله لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة » ويقول :
« من قال آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود حلت له شفاعتى يوم
القيامة » . ولم يقل : « من سألنى الشفاعة فى قبرى أو فى حياتى حلت له شفاعتى »
بل قال : من دعا الله لى وسأله من أجل الوسيلة والفضيلة شفعت له . فهو ﷺ يطلب
من المسلمين المؤمنين به أن يدعوا الله وأن يشفعوا له ، لأن يدعو نفسه ويسألوه
فانه ﷺ مثلهم فى باب الفقر الى الله والاحتياج الى ما عنده ، وفى العجز عن
الضر والنفع . والأمر فى غاية الوضوح والظهور .

مخبرم قريب
لكلام مالك

وأما استشهاد بقوله تعالى : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله
واستغفر لهم الرسول » الآية فهو إذا صح عنه ليس دالا على قول المخالفين .
وذلك أن المنصور حينما جادل مالكاً كان فى المدينة فى المسجد النبوى كما فى
الحكاية . ونحن لا ننازع أن من كان فى مسجد النبى عليه السلام كان مستحباً له
أن يأتى الحجرة وأن يصلى ويسلم على رسول الله ويدعوا لصاحبيه : أبى بكر وعمر .
وإنما يمنع أن يسافر لأجل ذلك قصداً وعدداً . والحكاية لم تدل على أن المنصور
كان قد سافر لأجل الزيارة المجردة . وإنما تدل - إذا صححت - على أن مالكاً
قد طلب إليه وهو فى مسجده النبى أن يأتى القبر وأن يصلى ويسلم عليه ، غير أنه
لم يطلب إليه أن يسافر إلى القبر لمجرد زيارته . وهذا هو ما تمنعه وما يميزه المخالفون
والرواية لا تؤيد منهج المخالفين يقينا . ولعل الإمام مالكاً كان يذهب إلى أن
الآية ترغيب لأهل المدينة أنفسهم وخدمهم ولمن كان فيها من غير أهلها - دون
غيرهم - فى أن يأتوا النبى حياً ويأتوا قبره ميتاً وإن كان يمنع السفر مطلقاً لزيارة
القبور عامة كما تقدم لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة
مساجد » الحديث . ومالك رضى الله عنه يفرق بين الزيارة بسفر وبين الزيارة

بدون سفر ، فيمنع السفر لأجلها كما سبق ، ويستحبها لمن قدم من السفر سواء .
أكان القادم من أهل المدينة أم من الغراء . والمنصور حينما أمره مالك بإتيان
القبر كان قد قدم من السفر . فإتيانه القبر موافق لمذهب مالك الذي رواه عنه .
جلة أصحابه . ومالك يعلم أن هذه الآية قد نزلت في جماعة من أهل المدينة كانوا
قد أبوا إتيان رسول الله وقد دعوا إليه بعد أن ظلموا أنفسهم وأساءوا إليه عليه
السلام بنفاقهم وضلالهم ونحاكمهم إلى الطاغوت وتأبىهم حكمه وحكم الله . فهي
ليست دعوة للناس كافة إلى إتيان النبي وإتيان قبره .

فالحكاية لو صححت لم تدل على ما يذهب إليه المخالفون . والحمد لله رب العالمين .

توسل الشافعي
بآل النبي

﴿ الشبهة السادسة عشرة - توسل الشافعي بآل النبي ﴾

وأما قول الرافضي : إن الامام الشافعي قد توسل بآل البيت النبوي وقال :

آل النبي ذريعتي * وم إليهم وسيلتي

أرجوهم أعطى غدا * بيدي اليمين صحيفتي

فالجواب أن نطالبهم أولاً بصحة سند هذا الشعر إلى الشافعي رضي الله عنه .
فإنه ليس كل ما عزى إلى الشافعي أو إلى غيره من الأئمة يكون صحيحاً . ونقل
الهيتمي له في كتاب « الصواعق المحرقة » أو غيره لا يكفي في إثباته وثبوته .
وتصحيحه . فعلى المحتج به أن يذكر منده إلى قائله رضي الله عنه . ونحن لا نعرف
له سندا ، ولا نعرف أن أحدا من أهل العلم والبصر بالمشقول ذكره عن الشافعي .
وأقل ما يطالب به المحتج بالشئ أن يقيم الدليل على صحته وثبوته أو أن يورد له
إسناداً يستطاع اختباره والتنقيب عنه .

ونحن لا نشك في بطلان نسبة هذا الشعر إلى الامام الشافعي ، والشافعي .
أجل من أن يقول مثله : فإنه شعر ريك هالك ، سخيف بارد ، لا يليق بأمثال .
الشافعي ، العربي القح الفحل ، البارع في معرفة كلام العرب وفنونه بلشأته .

وبمولده وبعلمه وثقافته . وإنما يليق بجهلاء الفقهاء الذين لم يأخذوا من الأدب ، ولا من لسان العرب ، بسبب ولا ببعض سبب .

معنى هذا الشعر
سبح من العاصي

ثم يقال ثانياً : لو صح هذا الشعر ما دل على ما ذهبوا إليه . فإنه ليس فيه استغاثة بنسب الله من الأموات ، ولا دعاء ولا طلب ولا سؤال . . . وإنما فيه الزعم أن آل النبي ذرية ووسيلة إلى الله . والذرية هي الوسيلة . والوسيلة قد تقدم الكلام عليها ، وتقدم أنها لا تعدو ما يتقرب به إلى الشيء ، فالوسيلة إلى الله لا تعدو ما يتقرب به وما يقرب إليه تعالى . . . فآل النبي — على ما في هذا الشعر — ذرية ووسيلة إلى الله ، بمعنى أن المسلم يتقرب بهم إلى ربه ، أى يتوسل ويتدرع . ولكن ما معنى تقرب المسلم إلى ربه بآل النبي ؟ يصح أن يراد التقرب بهم ولأنهم واحترامهم والعطف عليهم والدعاء لهم إذا كانوا صالحين طيبين . . . ولا يصح أن يراد بذلك دعاؤهم ولا سؤالهم ولا استجدائهم ولا المكوف على قبورهم لأن هذا كله ليس من الموالاة ، ولا من الاحترام والتعظيم لهم . والنبي ﷺ كان يسأل لهم الاحترام والتقدير والإجلال الصادق الصحيح . ولم يكن يأمر بأن يسألوا ويدعوا ويطلبوا . . . والشيعنة تزعم أن الله يأمر بإعطائهم وبرهم والإحسان إليهم بأمثال قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » وقوله : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » وقوله : « واعلموا أن ما غنمنا من شئ فإن لله خمسة وللرسول ولذى القربى » . . . فإله يأمر بالإحسان إليهم وإعطائهم حقوقهم وبإبر بهم وبحبهم وموالاتهم لقرابتهم من رسول الله وانحدارهم من صلبه الشريف الطاهر إذا صلحوا وطابوا أنفسهم وأعمالهم وعقائدهم وأخلاقهم وإلا فرسول الله نفسه يكون أول من يبرأ منهم ومن يكرههم ويتجافى عنهم طاعة لله وغيرة لدينه ولحقه .

١٠ . . . فمن قال من أهل الفقه والعلم والبصير بالدين : إن آل النبي وسيلة أو ذرية

إلى الله كان مراده التقرب إلى الله بولائهم وحبهم والاختصاص لهم والدعاء من أجلهم كما في تشهد الصلاة ، وإعطائهم حقوقهم التي فرضها الله لهم . ولا يصح أن يراد بمثل هذا القول دعاؤهم ولا الاستغاثة بهم ولا مخالفة أمر الله فيهم . وقوله : « أرجو بهم أعطى غداً » بوضع ما ذكرناه ويقويه . فإنه يريد « بعد » يوم القيامة . فمعنى هذا الشعر : أننى أحب آل النبي وأوليهم وأعظمهم رجاء أن ينفعني الله بشئ من ذلك يوم القيامة ، ورجاء أن أكون من أصحاب اليمين . فهو بهذا الشعر لم يطلب ولم يرد منهم شيئاً . وإنما رجا أن يعطى بهم يوم القيامة صحيفته - وهى كتابه - بيمينه . ولفظة « بهم » هذه يراد بها بحبهم والاحسان إليهم والاحترام لهم لقربانهم لرسول الله . ولهذا لم يقل : « أرجو أن يعطونى غداً صحيفتى بيمينى » ولا نحواً من ذلك . وإنما رجا الله وحده - شأن كل مسلم مؤمن بالله . فلا شئ في هذا القول مما يذهبون إليه ، لو كان صحيحاً ، وهو غير صحيح

﴿ حديث الاستسقاء بالعباس ﴾

الكلام على
حديث الاستسقاء
بالعباس

و يلقى من حجج المخالفين في هذا الباب حديث الاستسقاء بالعباس بن عبد المطلب . وذلك ما رواه البخارى في الصحيح عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » . قال : فيسقون قال المخالفون : وهذا الحديث يدل على جواز التوسل بالصالحين إلى الله .. والتوسل عندهم يشمل كل هاتيك المنكرات الفاشية فوق القبول . وقد احتجوا بذلك كله بهذا الحديث . ثم قالوا : ولا فرق بين الأحياء والأموات . فإذا جاز التوسل بالأحياء جاز كذلك بالأموات ، ولا فرق ، لأن المجيز للتوسل والحامل

عليه هو الصلاح والكرامة على الله . والصالحون لهم صلاحهم وكراماتهم عند ربهم أحياء وأمواتاً .

الحديث لا يدل
على اقوال
المخالين

والجواب عن هذا الخبر في مقامين : المقام الأول في عدم دلالة على ما زعموا . والمقام الثاني في دلالة على خلاف ما زعموا . أما المقام الأول وهو التدليل على أن الحديث لا يؤيد شيئاً مما يزعمون ويذكرون ، فنقول : لا خلاف بين الناس في أن العباس حينما استسقى به عمر كان حياً . وهذا لم ينزع فيه أحد من المخالفين ولا من غيرهم . فهو من التوسل بالحي ، أي من الاستشفاع به . ونحن لم ننزع قط في جواز الاستشفاع بالأحياء وجواز التوسل الشرعي بهم ، بل لم ينزع أحد من المسلمين في جواز طلب الخلق ما يقدر عليه بالجملة ، ولا في الاستغاثة به على ما يستطيعه عادة . بل هذا عندنا واجب أحياناً . والاستشفاع بالحي — وكذلك التوسل — مما يجوز ويشرع ، لأن الحي يقدر أن يشفع لمن استشفع به ، ويقدر أن ينفعه بعض النفع ، ويقدر أن يسمعه ، وأن يعلم حاله وسؤاله . فالتوسل بالعباس في هذا الحديث هو من الاستشفاع بالحي ، والاستشفاع بالحي لا خلاف في جوازه .

فقول عمر : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا . . . وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . . . معناه : اللهم إنا كنا نستشفع إليك بنبينا حينما كان حياً ، وإنا اليوم نستشفع إليك بالعباس عم نبيك . . . فالتوسل هنا هو الاستشفاع ، والاستشفاع هنا هو الاستسقاء . ويدل على هذا أمور كثيرة .

منها قول أنس : إن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس . وقد فسر هذا الاستسقاء بأنه كان يقول : وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . فذكر الاستسقاء أولاً ثم ذكر التوسل ثانياً ، وأحد اللفظين يفسر الآخر ، فالتوسل في اللفظ الأخير هو الاستسقاء في اللفظ الأول ، فهذا تفسير لهذا ، فهما بمعنى واحد . والاستسقاء

الاستسقاء على أن
التوسل هنا هو
طلب الدعاء

معناه طلب السقيا . فهم إذن طالبون من العباس ، أى مستشفعون .
ومنها أن التوسل في هذا الحديث مذكور بالنبي عليه الصلاة والسلام وبالعباس
فالتوسل بهما في معنى واحد . ولا شك أن التوسل بالنبي هنا معناه طلب الاستسقاء
منه . وقد جاء هذا مفسراً في الأحاديث الأخرى الكثيرة الصحاح ، فجاء في
غير ما حديث أن الناس كانوا حين الجذب يأتون رسول الله عليه السلام
ويطلبون منه أن يستسقى لهم ، ويقولون : يا رسول الله ادع الله أن يغيثنا . فيرفع
يديه ويدعو لهم فيسقون ، فإذا كثر المطر طلبوا إليه أن يدعو الله بأن يمسكه
وقالوا : ادع الله أن يمسك السماء فيدعو . وقد كان ﷺ إذا استسقوا به .
يستسقى لهم ويدعو بلا صلاة ، وأحياناً يأمرهم بالخروج إلى الصحراء والخللاء ،
فيصلي بهم صلاة الاستسقاء ويستسقى ويدعو مع الصلاة . وهذا كله معروف
مذكور في الأحاديث الصحيحة . فالتوسل بالنبي عليه السلام في هذا الحديث
معناه الاستشفاع والاستسقاء المفسر في غيره من الأخبار . ومثله التوسل بالعباس
بلا ريب ، فانهما مذكوران في حديث واحد . . . فإذا علم أن التوسل بالنبي
معناه طلب الدعاء منه علم أن التوسل بالعباس مثله هو طلب الدعاء منه .
ومنها أن هذا قد جاء مفسراً في بعض الروايات . قال الحافظ ابن حجر في
فتح الباري : وقد روى عبد الرزاق من حديث ابن عباس أن عمر استسقى
بالمصلى فقال للعباس : قم فاستسق ، فقام العباس . قال : وقد بين الزبير بن
بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ،
فأخرج بإسناده له أن العباس لما استسقى به عمر قال : اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا
بذنوب ، ولم يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه القوم بي إليك لمكاثي من نبيك ،
وهذه أيدينا إليك بالذنوب ، ونواصينا إليك بالتوبة ، فاستقنا الغيث . وأخرج من
طريق داود عن عطاء عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال : استسقى عمر بن

الخطاب عام الرمادة بالعباس فخطب الناس فقال : إن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد . فاقبلوا أيها الناس برسول الله في صم العباس وأنخذوه وسيلة إلى الله . هذا كله كلام الحافظ ابن حجر . ثم قال في الفتح بعد هذا : « ويستفاد من قصة العباس استعجاب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة ، وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه » . وقال الشيخ المحب الطبري في كتابه « ذخائر العقبى » من فصل « ذكر استسقاء الصحابة بالعباس » : « قال أبو عمر : أجذبت الأرض على عهد عمر إجداباً شديداً سنة سبع عشرة ، فقال كعب : يا أيها المؤمنون إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة أنبيائهم . فقال عمر : هذا عم النبي ﷺ وصنو أبيه ، وسيد بني هاشم . فمشى إليه عمر ، فشكا إليه ما فيه الناس ، ثم صعد المنبر ومعه العباس وقال : اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا صنو أبيه ، فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين . قال عمر : قم يا أبا الفضل فادفع (كذا في النسخة المطبوعة . ولعل الصواب « فادع ») فقام العباس وقال بعد حمد الله وثنائه عليه : اللهم إن عندك سحاباً ، وعندك ماء ، فالشر السحاب ، وأنزل الماء منه علينا ، واشدد به الأصل وأطل به الزرع ، وأدر به الضرع . اللهم إنك لم تنزل بلاء إلا بذنب ، ولم تكشفه إلا بتوبة . وقد توجه القوم بي إليك . فاسقنا الغيث . اللهم شفّعنا في أنفسنا وأهلنا . اللهم إنا شفّعنا عما لا ينطق من بهائمنا وأنعامنا . اللهم اسقنا سقياً فافعاً طبعاً ، سحاً ، صاماً . اللهم لا ترجو إلا ليالك ، ولا ندعو غيرك ، ولا نرغب إلا إليك . اللهم إنا نشكو إليك جوع كل جائع ، وعري كل عار ، وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف . . . في دعاء طويل . وكل هذه الألفاظ لم تجب في حديث واحد ، وإنما في أحاديث متفرقة ، جمعت واختصرت . وفي بعض الطرق : فسقوا واحمد الله . وفي بعضها : فأرخت السماء عز إليها ، فجاءت بأمثال الجبال حتى

روايت الحديث وما دما به العباس

استوت الحفر والآكام واخضرت الأرض وعاش الناس . فقال عمر : هذا والله الوسيلة إلى الله والمكان منه . وعن ابن عمر قال : استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس ، وقال : اللهم هذا عم نبيك ﷺ نتوجه به إليك فاسقنا . فما برحوا حتى سقام الله . أخرجهم إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي . . . قال أبو عمر : وروينا من وجوه عن عمر أنه خرج يستسقى ، وخرج معه العباس ، فقال : اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستسقى به ، فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما ، وأتيناك مستغفرين ومستشفعين . ثم أقبل على الناس وقال : « استغفروا ربكم إنه كان غفارا » إلى قوله : « ويجعل لكم أنهاراً » . ثم قام العباس وعيناه تنضحان ، ثم قال : اللهم أنت الراعي ، لاتهمل الضالة . ولا تدع الكسير بدار مضية ، فقد تضرع الصغير ، ورق الكبير ، وارتفعت الشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، أغثنا بغيائك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون . فلشأت طريرة (سحابة صغيرة) من سحب . فقال الناس : ترون ، ترون . ثم تلاءمت ثم هرت ودرت ذكر هذا كله صاحب « ذخائر العقبى » . وألفاظ هذه الروايات بينة في ما نقول . وقول العباس : « اللهم لا نرجو إلا إياك ، ولا ندعو غيرك ، ولا نرغب إلا إليك . . . » يرد على هؤلاء دعاءهم الأموات ، ورجاءهم المخلوقين ، ورغبتهم إلى الأجداث .

دلائل أخرى
على أن الله في
الحديث استشفاء
بالأحياء

فالمسألة إذن مسألة استشفاع لا غير . ولذلك قال الفقهاء والعلماء : إنه يستحب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير والدين ، مستدلين بهذا الحديث لأنهم لا يفهمون منه إلا أنه استشفاع واستشفاع . وهم يسمون هذا الحديث « حديث الاستشفاع بالعباس » . وهذا لا يختلف الناس فيه . وقد قال شاعر العباسيين : أبو عبادة البحري في امتداح أحد خلفاء بني العباس - مشيراً إلى هذا الحديث : إن الفضيلة للذي استسقى به * عمر ، وشفع إذ غدا يستشفع

قالشاعر نفسه يعلم أن المسألة مسألة استشفاع وطلب دعاء ، لا كما يظن هؤلاء المخالفون . فالعلماء والشعراء ، وكل الناس لا يفهمون من التوسل بالعباس في هذا الحديث إلا أنه استسقاء واستشفاع ، ولا يفهمون إلا أن عمر طلب من العباس أن يدعو للناس وأن يستسقى من أجلهم ، ويسأل ربه إنزال الغيث والمطر كما كانوا يسألون رسول الله ذلك حينما كان حيا إذا أجذبوا واحتاجوا إلى المطر .

وقد جاء هذا مفسراً في بعض طرق حديث أنس . قال في فتح الباري : وحديث أنس عن عمر جاء عند الاسماعيلي من رواية محمد بن المثني عن الأنصاري بإسناد البخاري إلى أنس ، قال : كانوا إذا قحطوا على عهد النبي استسقوا به فيستسقى لهم فيسقون ، فلما كان في إمارة عمر ... وذكر الحديث . وهذا صريح في الاستسقاء : والاستسقاء هو الشفاعة والدعاء .

والذي يوضح هذا جيداً أن الراوي للحديث ، وهو أنس بن مالك ، قد سمي هذا التوسل استسقاء فقال : إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس . والاستسقاء بالاجماع ليس له معنى إلا طلب السقيا . فهذا نص لا يتقبل الخلاف والجدال . وقوله فيه فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك ... الحديث تفصيل للاستسقاء المذكور . و « الفاء » تفصيلية تفسيرية .

ومن الدلائل على ما ذكرناه أن التوسل هنا لو لم يكن هو الاستشفاع وطلب الدعاء لما عدلوا عن النبي عليه الصلاة والسلام إلى العباس . فلو كان التوسل هو ما يعنيه هؤلاء القوم من السؤال بالذات والجاء والحق - وإن لم يكن هناك دعاء ولا شفاعة من المستول به - لما عدلوا عن النبي إلى سواء ، بل لتوسلوا بجاهه وبذاته وبحقه وإن كان عليه الصلاة والسلام في الملاء الأعلى عند ربه ، وإن كان لا يعلم من أمر من توسلوا به شيئاً ، لأن التوسل حينئذ بالذات والجاء والحرمة . وهذه الأمور ثابتة للنبي عليه الصلاة والسلام حيا وميتاً سواء أدا أم لم يدع ، وسواء

أعلم أم لم يعلم . ولكن عدول الخليفة عمر بن الخطاب وغيره من الأصحاب من التوسل بالنبي بعد وفاته دليل ظاهر على أن مرادهم بالتوسل الاستشفاع وطلب الدعاء . وهم لا يعلمون أن الميت يستشفع به ويطلب منه الدعاء .

ومن الدلائل أيضاً أن قول عمر في الحديث : وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . دليل آخر على جاهلهم .
إنما أن يراد به التوسل بذات العباس أو بما فيه من معاني الإيمان والإسلام والصالح والتقوى ، أو يراد به التوسل بدعائه وشفاعته . . . أما التوسل بالذات المجردة فلا يمكن أن يراد لأنه لا معنى له . وذات العباس المجردة من معانيها وإيمانها وإسلامها وخلاتها لا فرق بينها حيثئذ وبين سائر الذوات المجردة . وأما التوسل بمافي ذات العباس من معاني الإيمان والإسلام والصالح والتقوى فلا يمكن أن يراد أيضاً ، لأن التوسل إلى الله بإيمان العباس وإسلامه وصالحه ودينه ليس سبباً من أسباب قبول الله دعوتك ورضاه عنك وإجابته لك . لأن صلاح المرء ودينه ومعانيه الفاضلة الطيبة خاصة به وحده . ولا فرق بين أن تقول لمن تتوسل إليه : أسألك بصلاح الناس ودينهم وفضائلهم وتقواهم ، وبين أن تقول أسألك بجمال الشمس والقمر وبعلمهما وإشراقهما ، وبنفاسة الذهب والفضة والؤلؤ ، وبكل مافي الخلق من جمال وجلال . . . فالسؤال بكلا الأمرين لا يقتضي أن تجاب ، والتوسل إلى حاجتك بهذا وبهذا باطل جاهل . وقولك : أسألك يارب بدين العباس ، وبصلاح فلان من الناس ، مثل أن تقول : أسألك يارب بجمال الشمس ، وإشراق النهار ، وهدوء الليل ، وروعة الظلام ، وبكل مافي خلقك يارب من جمال وجلال وروعة ، وبكل مافي من معانيهم وحكم وعبر وأسرار . . . كلاهما جميل في نفسه ، رفيع في قدره ، رائع حسن . ولكن هذا لا يقضي لك بأن تتوسل بهما ، ولا يقضي لك بأن تجاب وتعطى إذا توسلت بهما . ولهذا لم يسأل أحد من أهل العلم والمعرفة بنحو الكعبة والمسجد الحرام والأماكن

المقدسة المفضلة ، ولا بالجنة ولا بالشمس ولا بالقمر ، ولا بنسب ذلك من مخلوقات الله الباهرة الكبرى ، الجامعة بين الجلال والجمال وعظمة القدر والشأن . وهذه لأنهم يعلمون أن شرف الشئ وجلاله وجماله وحسنه لا يسوغ أن يسأل به ، وأن يتوسل إلى الحاجات بذكره مع ذكرها ، أى ذكر الحاجات . فالتوسل بصلاح العباس لا يصح أن يراد هنا . وأما التوسل بشفاعته ودعائه فهو الذى يجب أن يراد بالخبر ، وهو الذى لا معدى عنه . وذلك أن التوسل بالدعاء والشفاعة من أسناب الاجابة ، لأن الله سبحانه يجيب دعوة عبده سواء أداها بلسانه أم بلسان غيره ، وسواء أداها لنفسه أم لأخيه . فالمسلمون إذا طلبوا من العباس أو غيره من أهل الصلاح والدين أن يدعو الله لهم وأن يسقيهم الغيث فقد توسلوا إلى الله وإلى حاجاتهم بسبب صحيح ظاهر وهو شفاعته من استشفعوا به من أهل الصلاح والدين والخير ، لأن الله يقول فى الكتاب : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » وقال : « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » ويقول : « أم من يجيب المضطر إذا دعاه . . . » الآية إلى غير ذلك من الآيات الواعدة للداعين المتقين بالاجابة والقبول كما قال تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين » . ولهذا جاء فى غير ما آية وغير ما حديث أنهم كانوا يطلبون من أنبيائهم أن يدعووا الله لهم وأن يشفعوا من أجلهم . وجاء فى غير ما نص الترغيب فى طلب الدعوة والشفاعة من المؤمنين الصالحين الأبرار . ولم يأت عن أحد منهم التوسل والسؤال بالنوات المجردة وبالجاهات . وهذا كله معروف معلوم . فالتوسل بدعاء العباس وبدعاء الصالحين توسل صحيح عقلا وشرعا . فعمد وغيره من الصحابة لا يمكن أن يكون توسلهم بغير دعاء العباس وشفاعته . وقد تقدم بيان لهذا فى الكلام على حديث الأعمى وحديث سؤال آدم ربه بحق محمد صلى الله عليهما وسلم . فلايراجع .

وأما المقام الثاني - وهو التدليل على أن الخبر يدل على خلاف ما ذهبوا إليه - فيقال : لا ريب أن عمر بن الخطاب وغيره من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لم يعدلوا عن التوسل بالنبي إلى التوسل بالعباس إلا لسبب وجيه صحيح ، اقتضاهم أن يتركوا صفوة خلق الله ، وأقربهم إليه وسيلة ومكاناً ، ومكانة ، صادقين إلى غيره من أصحابه وأتباعه ، قائلين : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . فاسقنا . وقد بين هذا الخبر أنهم كانوا حين القحط في حياة النبي لا يعدلون عنه عليه الصلاة والسلام ، ولا عن التوسل به إلى التوسل بسواه . فدل ذلك على أنهم كانوا في حياة رسول الله لا يتوسلون بغيره مطلقاً عند الاستسقاء ، وعلى أنهم بعد ذلك - أعني بعد موته - ما كانوا يتوسلون به مطلقاً ، بل يتوسلون بغيره كالعباس بن عبد المطلب وكغيره . وقول أنس في الرواية : إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس يدل على تكرار ذلك وتعمده ، وعلى أنه لم يكن مرة واحدة . فحسب . وقول عمر : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا . . . يدل على تكرار توسلهم به عليه الصلاة والسلام ، وعلى أن ذلك كان شأنهم عادة . ومن مجموع الحديث يؤخذ أنهم كانوا لا يتوسلون بغير النبي في حياته عند القحط ، ولا يتوسلون إلا بغيره بعد مماته حين ذلك . ولا شك أنه لا بد من سبب صحيح وجيه في عدولهم عن النبي إلى غيره بعد أن كانوا لا يتوسلون إلا به ، وبعد أن كانوا يتوسلون به ويسألون فيهمهم الله ما يسألون وما يطلبون . فلم السبب في هذا ؟ وما الحامل لهم عليه ؟ وما الصارف لأصحاب النبي عن نبيهم بعد أن كانوا لا ينصرفون عنه ولا يتوسلون بسواه ؟

جواب الرافضى
عن هذا

وقد أجاب الرافضى عن هذا السؤال بقوله : « إنا نقول : لا يلزم على الإنسان دائماً توخى الأقرب إلى الاجابة في التوسل والدعاء ، كما لا يلزم توخى

الأفضل في العبادة ، بل له أن يختار ما يشاء . ويدل على ذلك أن النبي طلب الدماء من عمر ولم يطلبه من أبي بكر الذي هو أفضل من عمر . وأنه أمر عمر أن يطلب الاستغفار لنفسه من أويس . فلم يأمره أن يطلبه من أبي بكر الذي هو أفضل من أويس ، بل من النبي الذي هو أفضل الكل . على أن قول عمر : إنما نتوسل إليك بعم نبينا لايخرج عن التوسل بالنبي ، أي تتوسل بمن له عندك حرمة لكونه عم نبينا المقرب عندك ، كما تقول لغيرك : أتوسل إليك بقراءة الملك أو بمرضة ابنك أو بصهر أخيك أو نحو ذلك . ولذلك لم يقل : تتوسل إليك بالعباس . وهذا كما في قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن » . ولم يقل على الوالد ، قصداً لبيان العلة في ثبوت ذلك عليه وهي أن الولد له . ويرشد إلى ذلك قول العباس : وقد توجه بي القوم إليك لمكائى من نبيك . وفي خلاصة الكلام : وإنما خص عمر العباس من بين الصحابة لإظهار شرف أهل بيت الرسول ، وليبيان جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل ، فان علياً كان موجوداً وهو أفضل من العباس . . . » .

هذا كله كلام الرافضى في جواب السؤال وهو جواب باطل يقيناً ، ويعرف هذا هو الجواب
بوجوده كثيرة قوية بطلانه بأمرين : بحمل ومفصل . أما المحمل فهو أننا نعرف بالبداهة والضرورة أن جماعة من الناس لو أصابهم القحط الشديد، وأرادوا أن يستسقوا بأحدهم لما أمكن أن يعدلوا عن دعاؤه أقرب إلى الإجابة وإلى رحمة الله . ولو أن إنساناً أصيب بمكروه فادح ، وكان أمامه نبي، وآخر غير نبي ، وأراد أن يطلب الدماء من أحدهما لما طلبه إلا من النبي ، ولو طلبه من غير النبي وترك النبي لعد من الآمين الجاهلين . ولو كان أمام أحدنا أبو بكر الصديق ورسول الله ، وأراد أن يستشفع برسول الله أو بأبي بكر الصديق لما أمكن أن يستشفع بأبي بكر ويترك النبي . أو لو كان أمامنا عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، وكان ممكناً أن نطلب الدماء من أحدهما

لما أمكن أن نطلبه من معاوية ونترك عمر . ولو فعل ذلك مسلم لكان جاهلاً ملوماً . ولو أن أحد أصحاب النبي أتى النبي في جماعة من فضلاء أصحابه لما أمكن أن يستنقئ أحدهم ، وأن يستشفع به ويترك النبي ، لا يستنقئ ولا يستشفع به ، كما لا يمكن أن يقدموا واحداً منهم لإمامة الصلاة مع وجوده عليه السلام .

. ويدل على بطلان هذا الجواب الذي ذكره الشيعة أن رسول الله لو كان موجوداً يوم أن استنقئ عمر بالعباس لما أمكن أن يترك النبي وأن يستنقئ بالعباس ، وأن المسلمين لا يمكن أن يريدوا صلاة الاستسقاء في حياة نبيهم ووجوده بين أظهرهم ، فيخرجوا للصلاة ويستسقوا بواحد منهم ويأتموا به ، ويتركوا رسولهم . ولو أنهم فعلوا ذلك لكانوا عين الضلال الجلاء . وهذا كله يرد جواب الرافضي

لا يمكن الاتهام
بغير رسول الله
مع وجوده

رداً لاحيلة له فيه . فالمسلمون ، مجتمعين ، لا يمكن أن يستشفعوا بغير النبي في مثل صلاة الاستسقاء ودعائه ويتركوا نبيهم مع وجوده بين أظهرهم ومع إمكان أن يستشفعوا به . ولهذا لم يأتموا بنيره في حياته عليه الصلاة والسلام لا في صلاة الاستسقاء ودعائه ، ولا في سائر الصلوات مع وجوده معهم . وقد ذهب عليه السلام مرة ليصلح بين جماعتين من الأنصار تنازعنا ، فحانت صلاة العصر قبل أن يحضر فأذن وأقيمت الصلاة وتقدم أبو بكر الصديق إماماً بالناس ، فأتى رسول الله وهم في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف ، فرآه الناس فصمقوا بأبي بكر ليشرروه بحضور رسول الله . وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة ، فلما أكره الناس التصفيق التفت فرآى رسول الله فأشار إليه رسول الله : أن امكث مكانك ، فتأخر أبو بكر عن مكان الإمامة حتى وقف في الصف فتقدم النبي عليه الصلاة والسلام فصلى بالناس . فلما سلم قال لأبي بكر : « مامنك أن تثبت إذ أمرتك ؟ » فقال أبو بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام . وقد تقدم مرة لإمامة الصلاة أبو بكر أيضاً في مرض النبي بأمره ،

فوجد النبي في نفسه قوة فخرج بين رجلين من أصحابه إلى الصلاة حيث يصلي الناس ، فأراد أبو بكر أن يتأخر فأشار إليه رسول الله : أن مكانك ، فأتيا به عليه السلام حتى أجلساه عن يسار أبي بكر . فكان أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله يصلي قاعداً . وكان رسول يصلي بالناس وأبو بكر يسمعهم التكبير
والحديث متفق عليه . فقد كان عليه السلام يؤم الناس وهو مريض ، يصلي قاعداً ويصلون معه مؤتمين به . ولا يتقدم أحد منهم لإمامة الناس في حضوره .
فن الباطل والمحال أن يستسقى عمر وغيره من الأنصار والمهاجرين بالعباس أو غيره من المسلمين مع وجود رسول الله . وأبطل من ذلك أن يتكرر استسقاؤهم بالعباس ثم لا يجيئ أنهم استسقوا برسول الله مرة واحدة . والعقل والمسلم لا يمكن أن يعدلا عن الأفضل الأكمل الأقرب إلى نيل المطالب وإدراك الحاجة ، ويأخذاً بغيره إلا لسبب صحيح وجيه ظاهر عندهما . وإلا فانه إذا كان أمي أمران أحدهما أفضل من الآخر وأكمل لم يمكن أبداً أن آخذ بالفضول الناقص وأدع الفضل الكامل بلا سبب . والذي يفعل ذلك لا يكون عاقلاً يقينا . وعلماء الكلام والفلسفة يقولون : إنه لا يمكن ترجيح أحد الأمرين المتساويين إلا بمرجح ، فكيف بترجيح المرجوح المفضول الناقص على الراجح الفضل الكامل ؟ ومن خير بين مالين أو منصبين أو شرفين أو شيتين لم يمكن أن يختار أفضلهما ويدع أنضلهما وأكهما بلا سبب إلا أن يكون غير عاقل .
نعم ، قد يختار كثيرون من الناس النقص والشر والباطل والضلال على الكمال والخير والحق والهدى ، ولكنهم لا يفعلون شيئاً من ذلك بلا سبب بل يفعلونه لسبب قهار غلاب ، تضعف عزائمهم وإنسانيتهم أو حيوانيتهم — أماءه ، فيقعون بين يديه صرعى ، لا يستطيعون معه عزماً ، ولا قوة ولا رجولة . وهذا السبب هو الضعف البشري الحيواني ، أو الشهوة ، أو الجهل ، أو غير ذلك مما يقهر الإنسان

لا يمكن ترجيح
للمفضول على
الفاصل

كثيراً ويضطره إلى الأخذ بالنقص والجهل والغباوة والشر . وهذا لا يمكن أن ينازع فيه منازع . والمسلم لا يمكن أن يترك أبدأً فاضل الأعمال ويأخذ بمفضولها بدون ماسبب بل لمجرد الرغبة في النقصان ، والرغبة عن الكمال ، والأنهطاط نحو الشر والباطل والضلال . فما السبب إذن في عدول الصحابة عن التوسل برسول الله إلى التوسل بالعباس إذا كان ممكناً التوسل بالأنبياء ، وكان المخالف معترفاً بأن التوسل بالنبي أفضل وأكمل ، وأقرب إلى الإجابة والقبول من التوسل بالعباس وبسائر الناس . والصحابة لا يمكن أن يعدلوا عن الأكمل الأفضل لمجرد اتباع الهوى ، واتباع الباطل ، ولا يمكن أن يأخذوا بالسبب الضعيف ويتركوا السبب القوي لغير ماداع ولا اختيار ، ولا يمكن أن يصدفوا عن الدماء الأقرب إلى الإجابة وإلى إدراك الحاجة ، آخذين بالأبعد عن الإجابة وعن إدراك الحاجة . . هذا هو السؤال وهو لا بد له من جواب فما جوابه ؟

نحن نقول : ان السبب هو أن رسول الله بعد مماته لا يصح الاستشفاع به ولا طلب الدماء منه ، ولا التوسل به . لهذا مالوا عنه إلى من يمكن ذلك منه ، وإلا لما مالوا عنه إلى سواء ألبتة . والمخالفون لا بد كرون من جواب سوى قولهم : إنه لا يلزم توخي الأفضل ، ولا الأخذ بالأكمل الأقرب إلى الإجابة . ولكن هذا جواب سطحي ، ينفيه التحقيق ، ويبطله الامعان في البحث والفهم ، ويندبه المنطق الصائب ، وتزله الحجة الصحيحة . فما الجواب إذن ؟

أما ما ذكره الشيعة من التدليل على أن المسلم قد يأخذ بالمفضول ويترك
الفاضل فلجواب عنه - وهو الجواب المفصل - أن نقول : أما طلب النبي الدماء
من عمر دون أبي بكر وهو أفضل منه فأنما كان ذلك عندما خرج عمر بن الخطاب
معتبراً فقال له رسول الله : « لا تلسنا يا أخى من دمالك » إن كان الحديث

الجواب عن طلب
النبي الدماء من
عمر دون أبي
بكر

صحيحاً . فطلب النبي الدعاء من عمر لأنه خرج معتمراً قادماً على بيت الله . ودعوة المعتمر في جوف بيت الله قد تكون أفضل وأقرب إلى الاجابة والقبول من دعوة غير المعتمر في غير البيت وإن كان أفضل منه وأتقى لله . فدعوة عمر في عمرته في جوف بيت الله قد تكون أقرب إلى الاجابة والسمع من دعوة أبي بكر الصديق في غير العمرة في غير البيت وإن كان أبو بكر أفضل من عمر بلا خلاف ولا نزاع . وإنما يستقيم هذا الاستشهاد للرافضي لو أن أبا بكر وعمر دخلا على النبي - أو دخل عليهما - وكان في حاجة إلى دعوة صالحة من عبد صالح ، فطلب الدعاء من عمر ولم يطلبه من أبي بكر لغير ما سبب ، أو لو كانا - أبو بكر وعمر - أرادا العمرة فطلب رسول الله الدعاء من عمر دون أبي بكر . فهذا هو الذي يستقيم للرافضي الاحتجاج والتثيل به ، ولكن مثله لن يكون .

الجواب من
حديث طلب
الاستغفار من
أويس

وأما أمر النبي عمر أن يطلب من أويس القرني الاستغفار إن استطاع فالسبب في هذا الأمر أن أويساً كان رجلاً صالحاً مجاب الدعوة قريباً من الله . وقد قال عمر في روايته حديث أويس هذا كما في صحيح مسلم : سمعت رسول الله يقول : « يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن . كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم . له والدته هو بها بر . لو أقسم على الله لأبره . فان استطعت أن تستغفر لك فافعل » . وفي رواية قال : إني سمعت رسول الله يقول : « إن خير التائبين رجل يقال له أويس . وله والدته . وكان به بياض . فروه فليستغفر لكم » . رواه مسلم في الصحيح .

فأويس هذا كان من الصالحين الأبرار الزهاد ، مجاب الدعوات ، ممن لو أقسموا على الله لأبر أقسامهم . وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله قال : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم على الله لأبره » . وهذا لا يدفع أن يكون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجهور الصحابة أفضل منه . فان

الفضيلة لا توجب التفضيل. ، فقد يوجد في المفضول من الفضائل ما لا يوجد في
الفاضل . والتفضيل ينظر فيه إلى المجموع . ونحن إذا قلنا : إن فلانا أفضل من
فلان أو أفضل من الجميع لم نعن بهذا أنه أفضل من فلان أو من الجميع في كل
شئ ، بل نعني أن مجموع فضائله ومناقبه الخيرة الطيبة أكثر وأشهر وأقوى من
فضائل الجميع المفضل عليهم . ولا ريب أن في جمهور صحابة النبي من هو أزهد في
الدنيا وأكثر صلاة وصياماً وانقطاعاً إلى الآخرة وعبادة الله وصداً عن الدنيا
وعن رئاساتها وسلطانها ممن هو أفضل منه وأعظم وأجمع للخير والمحسن
والحسنات ، ومثل هذا يقال في غير الصحابة . ولا نشك مثلاً في أن خالد بن
الوليد أشجع وأعظم إيقاعاً بأعداء الإسلام وخصوم الرسالة الحمديّة ممن هو أفضل
عند الله منه ، ولا نشك أيضاً في أن أبا هريرة أحفظ لسنة والنبي لأحاديثه عليه
الصلاة والسلام ممن هو أفضل منه ، ولا نشك في أن أباذر الغفاري أزهد وأتقى
وأعبد لله وأدنى إلى خشيته ممن هو أفضل منه ، ولا شك في أن عبد الله بن
مسعود أقرأ لكتاب الله ممن هو أفضل منه ، ولا في أن عمرو بن العاص أفضل
أثراً في الإسلام ممن هو أفضل منه ، ولا في أن أويساً هذا محاب الدعوة أكثر
ممن هو أفضل منه .

الفضائل مقسمة
على الناس

والفضائل التي يهبها الله عباده مقسمة موزعة عليهم جميعاً ، لم تقدر كلها لواحد
منهم ما خلا الأنبياء والمرسلين . ولكن لا ريب في أنه قد قدر لصديق الأمة
الأكبر أبي بكر العظيم من هذه الفضائل ما لم يقدر لسواه من المسلمين . ولا
ترتاب مع هذا أنه قد يوجد في جمهور الصحابة من دعاؤه أقرب إلى الإجابة من
دعائه . وأويس هذا قد فضل على سواه بقرب دعوته من الإجابة والقبول لزمه
في الدنيا وهروبه منها ، وقطعه الصلات بها وبأهلها ، وخلصه الله ، وعبادته إياه .
وهذا كالذي قال فيه رسول الله : « رب اشعث أغبر مدفوع بالأبواب ، لو أقسم

على الله لأبره . وليس معنى هذا أن ذاك الأثمت الأغير الفقير المدفوع بالأبواب وعن الأبواب ، لهوانه على الناس وعلى الدنيا ، أفضل من أهل عصره كلهم ، الذين ليسوا مثله في إبرار أقسامهم على ربهم وإجابة دعواتهم . فالنبي عليه الصلاة والسلام إنما حث على طلب الاستغفار والدعاء من أويس لأنه كان محاب الدعوة يقيناً ، وإلا فلماذا حث على ذلك ؟ ومن فهم هذا فهماً جيداً علم أن فيه رداً لما ذكره الشيعي ، ونقضاً على قوله : « إنه لا يلزم توخي الأفضل الأقرب إلى الإجابة من الدعاء ، ولا الأفضل من الأعمال والعبادات » . وإذا كان صحيحاً لا يلزم توخي الأفضل من الأقوال والأعمال ، بل قد يختار المفضل على الفاضل ، والناقص على الكامل بلا داع ولا سبب فلماذا رغب النبي عليه الصلاة والسلام في طلب الدعاء من أويس وحث عليه وقال : « مهروه فليستغفر لكم » ؟ وإنما لا نشك في أن النبي ما رغب في دعوة أويس واستغفاره إلا لامتياز دعائه واستغفاره على دعاء غيره واستغفاره بقرب الإجابة والقبول . وإلا لولم يكن السبب هو هذا فلماذا خص النبي أويساً الذي لو أقسم على ربه لأبرره بقرينه بذلك دون سواه ؟ فهذا الذي ذكره الرافضي حجة عليه لاله .

لا يصح قياس غير النبي ﷺ على غيره عليه ولا به ، فانه أفضل الخلق على وجه الإطلاق والعموم ، وعلى وجه التقسيم والتفصيل أيضاً : فهو أشجعهم وأعلمهم وأصلحهم وأتقاهم وأقربهم إلى الله وإلى الإجابة ، ودعاؤه أسرع الدعوات صعوداً إلى الله وإلى سمائه . ولا يمكن أن يسوى به سواء في وجه من الوجوه ، ولا في فضيلة من الفضائل ، ولا في شيء من الأشياء . وعلى هذا لا يمكن تقديم غيره عليه في أمر من الأمور : لا في طلب الدعاء والشفاعة ، ولا في الاستفتاء ، ولا في التعظيم والتوقير ، ولا في الحب والاجلال ، ولا في أمر من

الأمر . فلماذا إذن عدل عمر ومن معه من الأصحاب عن التوسل به إلى التوسل
بغيره وهم في غاية الحاجة إلى رحمة الله ، وإلى غيائه ؟ إنه لا جواب عند المخالفين
لهذا السؤال .

أما قول الشعبي : فلماذا أمر عمر بأن يطلب الدعاء من أويس ولم يأمره ^{طلب الدعاء من}
أن يطلبه من النبي نفسه وهو أفضل من أويس ومن الكل ، فهو قول باطل وسؤال
تلايماً به . وبيان ذلك أن النبي ﷺ قد أرسل رحمة للعبيد خاصة وعامة ،
وكان حريصاً على المؤمنين وعلى ما يقربهم من رضوان الله ومن جناته ، عزيزاً
عليه شقاؤهم وضلالهم وجهلهم وعنهم . وكان أبر بهم من آبائهم ومن أمهاتهم ،
جل أبر بهم من أنفسهم بهم ، لا يدع شيئاً ينفعهم ويصلحهم إلا فعله ، ولا شيئاً
يضرهم ويفسدهم إلا تركه وهجره وحذرهم إياه ، وخاف عليهم منه وذادهم عنه وعن
الوقوع فيه . وقد قال الله في صفته : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه
أمهاتهم » ، وقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز على ما عنتم ، حريص
عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم » . وفي الصحيح عن أبي هريرة عن رسول الله
ﷺ قال : ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن
شئتم « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » . فأبما مؤمن ترك مالا فليدعه عصبته
من كانوا . فان ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاه . ولقد كان ﷺ يحزنه
الحرص عليهم حتى يكاد يقتله وحتى تكاد نفسه تذهب حسرات عليهم . وقد
شهد الله عن ذلك في كتابه في آيات وقال له : « فليملك باخع نفسك على أئامهم إن لم
يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

فالنبي ﷺ كان أحرص على المؤمنين من أنفسهم وأولى بهم منهم . فكان
يسعى في ما يصلحهم وإن لم يسألوه ذلك ، بل وإن لم يريدوه منه ، فكان
يخلصهم ويخلصهم على الخلق والصلاح وأسباب النجاة ، وكان يدعو لهم ويسأل
من أنفسهم ^{الرسول يدعو}
^{المؤمنين وأنهم}
^{يسألون الدعاء}
^{لأنه أولى بهم}
^{من أنفسهم}
(٩٤) .

ربه هدايتهم وإسعادهم وإن لم يطلبوه ، بل وإن أبوا ذلك وكرهوه ، لأنه عليه السلام كان قائماً على تربيتهم قيام الوالد البر الرحيم على تربية أولاده وقرّة عينه ، بل كان أحرص على تربية المؤمنين وإصلاحهم وإسعادهم من الوالد الرحيم على واحد ، بل كان أرفق بهم من أنفسهم كما قال تعالى : « النبي نوح بالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ » . وقد أمره الله أن يدعو للمؤمنين وللمؤمنات فقال : « واستغفر لذنوبك وللمؤمنين والمؤمنات » ، وقال في النساء المؤمنات المبيعات : « فبايعن واستغفرن لهن الله ، إن الله غفور رحيم » ، وقال تعالى : « وصل عليهم . إن صلاتك سكن لهم » . وفي الصحيح عن عبد الله بن أبي أوفى قال : كنت مع رسول الله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : « اللهم صل عليهم » . فأتاه أبي وأبو أوفى بصدقته فقال : « اللهم صل على آل أبي أوفى » . فقد كان عليه السلام مأموراً بالدعاء والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات وإن لم يسألوه ذلك ، لأنه قد أرسل رحمة وعناية آتية بهم ، ولأنه لا يمكن أن يدع شيئاً ينفعهم في دنياهم ودينهم إلا فعله . فكان يدعو لمن يستحقون الدعاء ، ويستغفر لمن يليق بهم الاستغفار والغفران ، كما كان يبين لهم الحلال والحرام ، ويعلمهم وحى الله وعمرائه وإن لم يسألوه شيئاً من ذلك . وكان لا يدعو لمن لا يجوز أن يدعو له وإن سأله وألح في السؤال . وقد ثبت أن بعض الناس سأله ﷺ أن يدعو له بشئ فأبى . أما الذين يستحقون الدعاء والاستغفار فكان يدعو لهم ويستغفر . فكان طلب ذلك منه أحياناً عبثاً .

وقد استغفر ﷺ للأَنْصَارِ ولِلدَّرَارِيِّ الْأَنْصَارِ وَمَوَالِي الْأَنْصَارِ ، لأنهم كانوا جديريين بذلك . وفي الصحيح عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله : « اللهم اغفر للأَنْصَارِ ، ولأَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءِ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ » ، وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك أن رسول الله استغفر للأَنْصَارِ وَلِلدَّرَارِيِّ الْأَنْصَارِ

ولموا إلى الأنصار . وقد دعا ﷺ المخلقين قال : اللهم اغفر للمخلقين ، قالوا يا رسول الله والمقصرين ، قال : اللهم اغفر للمخلقين ، قالوا يا رسول الله والمقصرين ، قال : اللهم اغفر للمقصرين . وقال : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » . الحديث المتقدم . وقال لعمه أبي طالب : « لا تستغفرون لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله قوله : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآية . ل . فهو ﷺ مأمور بأن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات وأن يدعو لهم وإن لم يسألوه شيئاً من ذلك ، وقد كان كذلك فلا يحتاج إلى أن يطلب منه . وهو في هذا مثل الملائكة ، فاتهم مأمورون بالدعاء والاستغفار والشفاعة للمؤمنين وبالصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، وهم لا يسألون ذلك كما قال تعالى : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا » الآيات . وقال : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً » وقال : « إن الله وملائكته يصلون على النبي » . وهذا من وظائفهم التي لا يصح أن يتركوها ولا أن يقصروا أو يغفلوا بها . والنبي ﷺ كذلك كان مأموراً بالدعاء والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، وهو يفعل ذلك وإن لم يسأله كما تقدم في الأخبار ، وكما جاء في أخبار أخرى كثيرة . وفي الحديث الذي يحتاج به المخالفون « حياتي خير لكم ، ومماتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم ، فإن وجدت خيراً حمدت الله ، وإن وجدت شراً استغفرت لكم » وقد كان ﷺ يقنت في صلواته فيدعو لقوم ويدعو على قوم آخرين . وكان الناس بالجملة منهيين عن سؤاله الدعاء والاستغفار والشفاعة ، وكان هو لا يرغبهم في شيء من هذا . بل كانت أقاويله ترشد على وجه العموم والتفصيل إلى أن الأحسن لهم ألا يفعلوا ، وألا يسألوه : فكان أحياناً يرد على من يسأله الدعاء

إياه الرسول
الدعاء لمن
لا يستغفرون

رداً جميلاً كما في قوله لذلك الذي قال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال عليه الصلاة والسلام : « سبقك بها عكاشة » . وقال الأعشى الذي جاءه يسأله أن يدعو ليرد الله له بصره : « وإن شئت صبرت وهو خير لك » والحديث قد تقدم . وجاءته امرأة كانت تصرع وتكشف ، فسألته أن يدعو الله لها ، فرغبها أن تصبر ، فقالت : إذن ادع الله لي ألا أنكشف ، فدعا لها . وقال في الحديث الذي يحتاج به المخالف والذي تقدم الكلام عليه : « اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا » ، قالوا يا رسول الله وفي نجدنا ، فأبى أن يدعو بالبركة وقال : « هناك الزلازل والفتن ، ومنها يخرج قرن الشيطان » . ونظائر هذا كثيرة معلومة . وما كان عليه السلام يرغب أصحابه في أن يسألوه الدعاء بل هذا الذي تقدم - وله نظائر كثيرة - يشير إشارة صريحة إلى أن الأحسن الانكفاف عن هذا . ولهذا لا نجد كبار الصحابة وفقهاءهم وخلفاءهم يسألون النبي ذلك ، فلا نكاد نجد أن أبا بكر الصديق أو عمر أو عثمان أو علياً كان يسارع إليه ، ويتهافت عليه ، بل قيل : إن أبا بكر الصديق لم يسأل النبي عليه السلام مطلقاً شيئاً لنفسه خاصة . وعلى كل حال صح هذا القول أم لم يصح فالذي لاشك فيه أن صحابته المقربين لديه ، العارفين به وبقدره وبمنزلته عند ربه ما كانوا يحرصون على سؤاله ، لا الدعاء ولا غير الدعاء ، لأنهم قد عرفوا حقيقة نبيهم وعرفوا مقدار حرصه عليهم وعلى ما يصلحهم وينفعهم ، وعرفوا أنه لن يدع شيئاً مما فيه صلاحهم وإسعادهم وخيرهم ، فكانوا يجمعون عن سؤاله لأن في سؤالهم إياه شبه اتهام له بالتقصير والبخل عليهم بما يجب الجود به ، وعرفوا أن الجواد الكامل الجود هو الذي يعطيك حاجتك وماتريده قبل سؤاله وبدون سؤاله . والناس يمتدحون الجواد بأنه يعطى قبل أن يسأل وبدون أن يسأل ، وبأنه لا يحوج المحتاج إلى ذل السؤال ومشقته . ورسول الله أولى الخلق بهذا الجود والكرم عليه السلام .

أكل الجود
الاعطاء قبل
لسؤال وبدونه

وهذا صحيح ، ولا يعترض عليه بسؤال الله ، لأن سؤال الله مقصود لذاته لما فيه من الذل والخضوع والخشوع والانكسار له تعالى . وهذه الأمور هي خلاصة العبادة . والمبد وظيفته أن يعبد ربه وأن يقوم بكل صور العبودية وضروبها وأشكالها ومظاهرها . والله يجازى على الدعاء الإجابة لأنه عبادة ، والله يتقبل من عباده المتقين ، ويمطيهم سؤالهم وحاجتهم . أما الذل للمخلوق فليس مطلوباً لذاته بل منهي عنه لذاته نهياً شديداً صريحاً . ولهذا السبب نفسه ، ولأسباب أخرى كثيرة حرمت مسألة المخلوق ونهى عنها أشد النهي ، وطلبت مسألة الخالق ورغب فيها صنوف الترغيب ، بل لا يكون مؤمناً من لا يسأل الله ، ومن لا يندل له . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من لا يسأل الله يفضب عليه » . والدعاء لا يخفى مكانه من الاسلام والدين . فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن يرغب في سؤاله وطلبه الدعاء والشفاعات . فقول الشيعي هنا : لما ذا لم يأمره أن يطلب من النبي الدعاء سؤال باطل لأن النبي لم يكن يرغب في سؤاله بل كان يزهد فيه ضروب التزهيد كما تقدم لأنه أجود من أن يحوجهم إلى سؤاله وطلبه وهو الرحمة المهداة من السماء إلى الأرض وإلى أهلها وهو أحرص عليهم من آباءهم وأمهاتهم ومن أنفسهم وأولى بهم منهم .

ابطال لاحق
فيه لما ذكره
المتألف من
الامثال

أما قوله : « إن قول عمر : وإنا نتوسل إليك بعم نبينا لا يخرج عن التوسل بالنبي » فقول باطل كل البطلان . ولو كان صحيحاً لكان قول من قال : أسألك يا عبد الله سؤالاً لا لعبده ، لأنه أضاف المستول إلى الله كما أضاف عمر العباس إلى النبي ، ولكان قول من قال : اعبدوا رسول الله واسجدوا لأنباء الله ، لا يخرج عن قول من قال : اعبدوا الله واسجدوا له ، ولا تعبدوا أحداً سواه ولا تسجدوا لمخلوق ، لأنه قد أضيف هنا رسول الله وأنبياءه إليه تعالى كما أضيف العباس في حديث الاستسقاء به إلى « نبينا » ، ولكان أيضاً قول

من قال : أعطاني عبد الملك ، أو وزير السلطان كذا مثل أن يقال : أعطاني الملك أو السلطان كذا . وهذا كله فاسد لا يقول به عاقل ولا مسلم . وإذا كان هذا الذي ذكره الرافضي صحيحاً ، وكان المراد من التوسل بالعباس التوسل بالنبي فلماذا لم يأتوا بالمراد صراحة ؟ ولماذا لم يتوسل عمر بالنبي مباشرة ؟ ولماذا أدخل كلمة العباس في الوسط وهي غير مرادة ولا معنية ؟ ولماذا قال : إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ؟ وقد كان الصحيح أن يقول : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا وإنا اليوم نتوسل إليك أيضاً بنبينا فاسقنا . ولماذا أقحم العباس هنا إذا كان غير مراد وغير منظور إليه ؟ ولماذا قال أنس بن مالك راوى الحديث : إن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس ، ولماذا لم يقل : استسقى بالنبي ؟ ولماذا سمى الناس جميعاً حتى المخالفين هذا الحديث : « حديث الاستسقاء بالعباس » ؟ كل هذه الأسئلة لأجواب لها عند الشيعي يقيناً .

أما قول القائل : أتوسل إليك بقرابة الملك فيقال في الجواب : إن كان المراد بقرابة الملك أقاربه فلا يمكن أن يكون التوسل بأقارب الملك توسلاً بالملك كما لا يمكن أن يكون التوسل به توسلاً بأقاربه . وهذه أشياء غنية عن تطلب الحجج لها لوضوحها

أما قول القائل : أتوسل إليك بمرضة ابنك فالتوسل بمرضة الابن ليس توسلاً بالابن كما أن إهانة المرضعة ليس إهانة للرضيع ، وكما أن ضربها لا يكون ضرباً له ، وطردها لا يكون طرداً له ، وسبها لا يكون سباً له . وكذلك يقال في قول القائل : أتوسل إليك بصهر أخيك فإن التوسل بصهر الأخ ليس توسلاً بالأخ بالضرورة واليقين والاتفاق . فهذه الأمثال التي أوردتها احتجاجاً بها على أن قول عمر رضي الله عنه : « وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » توسل بالنبي لا بالعباس

أمثال باطلة ، لا تشهد لشيء مما ذهب إليه .

نعم ، نحن لا ننكر أنه قد يكون من أسباب التوسل بهذه الاشياء عند من يتوسلون بها لإضاقتها إلى من أضيفت إليهم ، فيكون من أسباب التوسل بأقارب الملك قرابتهم له ، ومن أسباب التوسل بمرضعة الابن إرضاعها للابن ، ومن أسباب التوسل بصهر الأخ مصاهرته للأخ : قد تكون هذه الإضافات من الأسباب ، أو تكون هي الأسباب في توسل من توسل بالأشياء المذكورة ، ولكن ليس معنى هذا أن التوسل بأقارب الملك توسل بالملك ، وأن التوسل بمرضعة الابن توسل بالابن ، وأن التوسل بصهر الأخ توسل بالأخ . وإما غاية هذا الالتفات إلى السبب وإلى الإضافة . وهذا نسلمه ونسلم أن التوسل بالعباس توسل بالعباس نفسه ، وأن من أسباب التوسل به قرابته لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقر به منه مع كبر سنه ، مع صلاحه وتقواه ودينه وفضله وجلالة قدره هي أسباب التوسل به ، أي بشفاعته ودعائه . وغاية هذا أن تكون قرابة العباس التي من أسباب التوسل به . وهذا صحيح ، ولكن التوسل لم يخرج عن أن يكون توسلا بالعباس بلا ريب . ومثل هذا أنه يجب على المسلم أن يكرم أقارب النبي وأولاده ومن لهم به صلة نسب وقرابة ، ويجب أن يحبهم وأن يحترمهم ، وإن كان أفرادهم كرام والاحترام الواجب لأقارب النبي ولذريته لا يمكن أن يكرم به النبي بعد وفاته عليه الصلاة والسلام . فاعطاء أقارب النبي الأموال والمغانم وأنواع التجارات واجب عند الشيعة لقرابتهم من النبي ، مع أنه لا يصح إعطاء النبي شيئا من ذلك بعد وفاته . وكذلك استفتاء أولاد النبي المعصومين عند الشيعة واجب في حياتهم ، واستفتاء النبي بعد وفاته لا يجوز إجماعاً . وكذلك يقال في التوسل بالعباس هبوا أن سببه قرابته من النبي ، وهبوا أنه لا سبب له غيره : هبوا هذا كاه صحيحاً فإنه لا يدل على جواز التوسل بالنبي الذي هو سبب

لماذا توسلوا
بالعباس

التوسل بالعباس بلا ريب ولا خلاف . ونظير هذا أن تكرم صديق أبيك لأنه صديق أبيك ، لا تكرمه لشئ غير ذلك ، ولكنه لا يصح لك أن تكرم أباك بدموته أنواع الاكرام انى تكرم بها صديق أبيك . وقد تبرر إنساناً لأن ذاهباً عزيراً عليك كان يبره ، ثم لا يجوز لك أن تبر عزيرتك الذاهب ذلك البر الذى تقدمه لذلك الانسان ، كما تبر أقارب النبي لقرباتهم من النبي ، ثم لا يجوز لك أن تبر النبي نفسه ذلك البر الذى تبره أقاربه . وهذه أشياء لا ينازع فى شئ منها من عرفها :

أما قوله : « إن عمر خصل العباس بالتوسل به لإظهار شرف أهل البيت النبوى ولبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل لأن علمياً كان موجوداً . وكان أفضل من العباس » فيقال فى الجواب : لو كان غير شيعى قاله . ثم هو قول لا طائل تحته وادعاء مجرد من العلم والبرهان والكتاب ، فلا يحفل به . ثم هو ظن بحت ، وقد ذم الله الظن والظانين فى كتابه . ولو كان صحيحاً زعمه أن عمر ماتوسل بالعباس إلا لإظهار شرف بيت النبي لكأن هناك وسيلة أخرى لإظهار هذا الشرف أولى وأظهر من هذه الوسيلة ، وهى أن يقول عمر ذلك قولاً ويصفه وصفاً . فيقول مثلاً : إن أهل البيت النبوى أشرف الخلق وأكرمهم على ربهم وعلى خلقه ، ويقول : إن لهم من الشرف والمجد والفضل ما مقداره كيت وكيت . وبمثل هذا يعرف شرفهم وقدرهم أكثر وأظهر -

حل يراه
إظهار شرف
آل النبي

ولو كان هذا الذى ذكره وزعموه صحيحاً لتوسل بالحسن أو بالحسين ، أو لتوسل بهما مع العباس ، أو لتوسل بآل النبي جميعاً : بالعباس وبالحسن والحسين . وفاطمة وعلى ورقية وأم كلثوم وابنه عليه الصلاة والسلام إبراهيم وبغيرهم من أقارب النبي الأحياء والأموات ، لأن المراد فى ما زعموا إظهار شرف البيت النبوى ، وهذا الذى ذكرناه أقوى وأبلغ فى إظهار شرفهم ومالهم عند الله .

الفضائل والمكافآت . أما التوسل بالعباس فلا يدل على شيء من هذا ، ولودل
لكان خفي الدلالة فافهمها جيداً .

على أن من القبيح الفاضح الواضح الذي لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يترك
عمر بن الخطاب ويترك الأصحاب معه نبيهم ﷺ ، وينصرفوا إلى عمه العباس
لأجل إظهار شرف العباس وشرف أقربيه .

الدلائل على
بطلان التوسل
بالعباس مع
امكان التوسل
بالنبي

والذي يدل على بطلان هذا الزعم أن النبي عليه السلام لو كان حياً لما أمكن
أن ينصرفوا عنه إلى سواه لهذا الغرض وهو غرض إظهار شرف المعدول إليه ،
التوسل به . ولا ريب أنه لو كان الغرض إظهار شرف العباس وشرف أقربه
بهذا التوسل لكان من الصحيح ومن الحسن الجائر أن يتركوا النبي في حياته
وأن يتوسلوا بالعباس ، أو يأتوا به في الصلاة ، أو يستفتوه مع وجود رسول الله وفي
حضرته وحضوره ، لأجل أن يظهر شرف العباس وشرف غيره من أهل النبي
وأهل بيته . ولا شك أن فعل هذا في حياة النبي أدل على إظهار هذا الذي
زعموه وزعموا أن إظهاره هو الغرض من التوسل بالعباس ومن ترك رسول الله .
ولكننا نعلم بالضرورة والبداية الواضحة أن المسلمين لا يمكن أن يتركوا نبيهم مع
وجوده وحضوره وأن يعرضوا عنه وعن التوسل به ليتوسلوا بالعباس أو بغيره من
أهله وآله إظهاراً لشرفهم وتقرباً له وإقراراً به .

على أن هنالك طريقة لإظهار شرف بيت النبي أوضح وأحسن من هذه
الطريقة لو صدق القوم في ما قالوا وزعموا . هذه الطريقة هي أن يتوسلوا بالعباس
مع توسلهم بالنبي عليه السلام ، فيقرنوا بينهما فيقولوا مثلاً : اللهم إنا نتوسل إليك
بنبينا وبعم نبينا وبآل بيت نبينا ، كما يقولون : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وبارك على محمد وعلى آل محمد وأمثال ذلك . ولا خلاف أن هذه الطريقة أقرب
إلى بيان هذا الغرض الذي ادعوه مع المحافظة على التوسل بالنبي والاستسقاء به

على أن هذا الغرض الذى زعموا أنه هو الحامل لعمر على التوسل بالعباس يعارضه أمر آخر يجب تلافيه ورعايته . هذا الأمر هو أن التوسل بالعباس دون النبى يوم أن التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته لا يمكن ولا يجوز . . . : فإذا أمكن أن يتوسلوا بالعباس لإظهار شرفه وشرف أهل بيته فلماذا لم يتوسلوا بالنبى ؟ لا يظن أن التوسل به بعد الموت وفى قبره لا يجوز ولا يمكن شرعاً ودينياً ؟ ولا ريب أن ملاحظة هذا أولى من ملاحظة ذاك ، وأن دفع هذا الإيهام أولى من إظهار ذاك الغرض .

ثم إن بيان شرف العباس وشرف آل النبى ليس متروكاً إلى عمر ولا إلى غيره من الصحابة أو غيرهم . وإنما بيان ذلك إلى الله وإلى رسوله .

ثم كيف يستقيم للرافضى هذا القول والرافضة يزعمون أن عمر بن الخطاب كان من أشد الناس خصومة وعداوة لآل النبى ، وكان من أشدهم حرباً عليهم وإيذاء لهم واغتصاباً لحقوقهم وإخفاء وجوفاً لها ووقوفاً في سبيلهم ، يزعمون أنه هو الذى سلبهم حقهم الذى أنزله الله فى كتابه ، وهو الذى أخرهم وأزالهم عن مكانهم وشرفهم المعلوم الواجب بمبادرته إلى مبايعة الصديق وثبتت خلافته والخلافة من حقهم الذى نزل فى الكتاب وتواتر فى السنة ، يزعمون أنه كان على اتفاق مع أبى بكر فى هذه القضية الجائرة ، وهذه الجريمة المنكرة ، ليكون الخليفة من بعده ، وليكون شريكه فى المقم والصقعة . . . فإذا كان عمر عندهم بهذا المكان السحيق من الخصامة والمداوة لآل النبى فكيف يقال هنا : إنه كان يتوسل بالعباس ليظهر شرفه وشرف هذا البيت الذى مازال يحاربه وينأوئه ، والذى مازال سداً منيعاً قوياً بينه وبين نيله حقه المنزل فى وحى الله ، والذى مازال يؤيد أعداءه عليه حتى أظهرهم عليه ، حتى استطاعوا أن يقتلوا جميع الأئمة المصومين منهم وهم اثنا عشر إماماً ما خلا محمد بن الحسن الامام المهدي الثانى

وعمر منسدهم
كان خصماً لآل
النبى وهذا يطل
قولهم هنا

عشر المنتظر المختفى منذ ولد سنة ٢٥٥ من الهجرة إلى اليوم وإلى الأبد . وذلك
 أن الشيعة تزعم أن جميع الأئمة المعصومين من ولد علي وفاطمة قد ماتوا قتلا
 ، عدا المهدي المختفى : أما علي والحسين فعلوم أمر مقتلهما . وأما الباقر - وهم
 الحسن ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، وموسى الكاظم ، وعلي الرضا ،
 ومحمد الجواد ، وعلي الهادي ، والحسن العسكري - أما هؤلاء فقتلوا جميعاً غيلة
 بالسم في ما تزعم الشيعة . فالأئمة المعصومون كلهم عندهم قد قتلهم أعداؤهم
 المسلمون ما خلا المختفى فراراً من القتل . وهم يزعمون أن جميع هذه المصائب التي
 أحاقّت بأهل البيت النبوي مرجعها ومصدرها الأقوى الأعلى عمر بن الخطاب ،
 لأنه هو الذي ساعد الصديق وعاونه على انتزاع هذا الأمر - وهو الخلافة
 والامامة - من أيديهم . وكل هذه المصائب والمظالم منشؤها وضع الخلافة أولاً في
 يدى أبي بكر الصديق ، والذي وضعها أولاً في يديه هو عمر بن الخطاب . ولهذا
 يزعمون أن الذي قضى على الشيعة وعلى أئمتهم بالتأخر هو عمر وحده ، وهم لذلك
 يخصونه بمزيد العداوة وعنيف الخصومة وقوى السباب .

فاذا كان هذا كله صحيحاً لدى الشيعة فأنى يزعمون هنا أن عمر كان يحتال
 لإظهار شرف هذا البيت النبوي الذي أذاقه كل هذا البلاء والهوان .

وهنا نقول : إن الشيعة تكذب في زعمها أن جميع الأئمة المعصومين
 المذكورين قد قتلوا غيلة بالسم ما خلا علياً والحسين والثاني عشر المختفى ..
 والبرهان القاطع على كذبهم في هذه الدعوى أنهم يعترفون بأنه لم يمّت أحد من
 هؤلاء الأئمة شاباً ما عدا محمداً الجواد ، بل ماتوا كلهم باعترافهم وقولهم بعد ما
 تجاوزوا حدود الشباب . فبعضهم مات في سن الستين ، وبعضهم مات في سن
 الثمانين ، وبعضهم جاوز ذلك ، وبعضهم لم يصل إليه ، ولكن لم يمّت أحد منهم
 عدا الجواد إلا بعد أن جاوز الأربعين . وهذه الحقيقة يعترفون بها ولا ينازعونها .

البرهان القاطع
 على كذب هذا
 الزعم

وهنا يقال لهم : لا ريب أن الملوك - أعنى خلفاء المسلمين كما يزعمون - لو كانوا هم الذين قتلوا هؤلاء الأئمة المعصومين اغتيالاً خيفة منهم ومن منازلهم إياهم الملك والخلافة لبادروا إلى قتلهم شاباً أقوى ملتهبين ، ولما صح أن يملوهم في الشباب ، وسن الفتوة والقوة ، وسن المغامرات والجنوح إلى المغامرات . فانهم في تلك السن ، سن الشباب والفتوة والقوة - أخطر ولا شك منهم بعد وأقوى وأنزع إلى الخروج وإلى الثورات ، وأشد على احتمال تبعات ذلك وأرزائه ومخاطره . وقد علم بالعادة الصادقة والتجربة المتكررة أن المخاطر أكثر ما تكون وأصلب ما تكون وأعنف ما تكون وأنجح ما تكون في سن الفتوة والشباب الطامح المغامر ، وعلم بالتجربة أيضاً أن الخصم أكثر ما يخاف خصمه وهو في ميعة الشباب وأحلامه قبل أن تمرى أفراس الصبا ورواحله . إذن لا شك أن الملوك والخلفاء لو كانوا يريدون اغتيال هؤلاء الأئمة ، أو لو كانوا قد اغتالوهم فمسلماً لا غتالوهم في مطامع أعمارهم وفتوة حياتهم ، ولما جاز أن يملوهم جميعاً شاباً ثم يقتلوهم جميعاً شيوخاً وكهولاً . فهذا يدل على كذب الشيعة في هذه الدعوى .

ولا يصح أن يقال : إن الملوك والخلفاء قد أمهلوهم في سن الشباب لأنهم لم يكونوا يخافونهم ولا يرهبونهم إذ ذاك ، وإنما قتلوهم بعد لاستكمالهم أسباب السيادة والقيادة والزعامة وشرائط الإمامة ، وما كانوا كذلك وهم شبان : لا يصح أن يقال هذا القيل لأن الشيعة يزعمون أن الأئمة قد كلوا واستوفوا كل أسباب الفضائل وكل ما يليق بالسيد الإمام والخليفة المعصوم وهم شبان ، بل وهم أطفال ، ويستدلون لذلك بقول الله : « وآتيناه الحكم صبياً » . إذن القوم كاذبون على التاريخ وعلى المسلمين وعلى خلفائهم وعلى أئمتهم . وجازى الله الكاذبين . وهناك براهين أخرى لا بطل هذه الدعوى ، ولكننا اكتفينا بهذا البرهان المادي القوي . على أن هذه الأعمار التي عمرها الأئمة أعمار عادية لمن كانوا مثلهم من

ذوى الطموح والنزوع إلى مالا ينال ومالا يمكن نيله ، ومن ذوى المشاعر المعذبة المتحرقة بطغيان ذلك العصر ومظالمه ومفاسده كما تزعم الشيعة . فلا وجه إذن للقول بأنهم لم يموتوا وإنما قتلوا واغتيلوا ، وهذا برهان آخر على كذب الدعوى .

معرفة وجوده ل
إعلان ما ذهبوا
إليه في التوسل
بالعباس دون
النبي

أما القول بأنهم ماتوا بالعباس إلا لبيان جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل فقول لا يصح أيضاً . أولاً لأنه لا دليل عليه ألينة فلا يبالى به . ثانياً أن الذى يبين ذلك ليس هو عمر ولا غيره من الصحابة ولا غيرهم ، وإنما الذى يبينه الله ورسوله . وثالثاً لو كان هذا هو الغرض والسبب لقاله عمر قولاً ، ولكن فى هذه المسألة مقولاً أوضح منه . فعولاً . ورابعاً لو صح هذا لقرنوا بين التوسل بالنبي والتوسل بالعباس مثلاً فقالوا : اللهم إنا نتوسل إليك بفينينا وبعم نبيينا بالعباس . فكانوا بهذا يجمعون بين الأمرين المطلوبين : بين المحافظة على التوسل بالنبي ، وبين بيان جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل ، وهو على وعثمان ، لأنهما أفضل من العباس المتوسل به . وخامساً إذا وجب أن يرعوا بيان هذه المسألة - أعنى جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل - وجب عليهم أن يرعوا أمراً آخر ذابال . هذا الأمر هو أن توسلهم بالعباس وتركهم النبي يوم أن التوسل بالميت لا يجوز . فكان واجباً عليهم أن يعملوا لدفع هذا الإيهام إذا جاز أن يعملوا لبيان تلك المسألة ، مسألة جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل ، أو كان يجب عليهم ألا يوقعوا فى هذا الإيهام فى سبيل بيان هذه المسألة ، إذ لا ريب أن ورود هذا الإيهام أعظم إثم من جهل هذه المسألة عندهم ، لأنها فى ما يزعمون من الأمور التى أمر بها الكتاب ودعت إليها السنة . وسادساً لو كان هذا صحيحاً لجاز أن يتركوا النبي عليه الصلاة والسلام فى حياته وأن يتوسلوا وأن يستسقوا وأن يأتوا ويقتدوا بالعباس وبغيره من الناس ليبيّنوا أنه يجوز التوسل والاستسقاء والاقتداء بالفضل مع وجود الفاضل ، ولجاز أن يفعل ذلك النى نفسه ليعين المسألة لأنه هو الذى عليه

البيان والبلاغ . ولكننا نعلم بالضرورة واليقين والبداهة أن المسلمين وأن عمر وغيره من الأصحاب ما كانوا يتركون النبي ويتوسلون ويستسقون ويقتدون ويأتمون بغيره ليعلموا الناس أنه يجوز التوسل بغير الفاضل مع وجود الفاضل . ولا شك أن بيان الدين وبيان مسائله وشرائعه ، وأن التشريع والتقنين السماوي إنما كان في حياة النبي لا بعد وفاته وانسداد باب الوحي . فإذا لم يوجد هذا في حياة رسول الله - حينما كان التشريع قائماً و باب التنزيل والوحي مفتوحاً - لم يصح أن يوجد بعد وفاته و بعد أن وقف التشريع وقفل باب الوحي والتنزيل . والشئ الذي يكون كذلك لا يكون من الدين ولا من الشرع الذي أنزله الله . وسابغاً لا يصح أن يترك عمر ومن معه من المسلمين النبي ويتزكوا سنته - وهي التوسل به ﷺ في الاستسقاء - ليعلموا الناس أن ذلك الذي فعلوه يجوز في الاسلام ودين الله . أن مثل هذا المنحى لم يمهّد من الصحابة ولا يمكن أن يمهّد . وثامناً التوسل بالفضل مع وجود الفاضل إما أن يكون لجوازه دليل شرعي يعلمه عمر والمسلمون الذين كانوا معه ، أو لا يكون له دليل شرعي . فان كان لذلك دليل يعرفه عمر ويعرفه الذين كانوا معه كان الواجب عليهم أن يبينوا ذاك الدليل الشرعي للناس ليعرفوا سنة رسولهم عنه . ولا شك أن المسلمين يرضون بقول نبيهم وفعله ويطمئننون بهما أكثر وأظهر من رضاهم واطمئنناهم بفعل عمر والذين كانوا معه . بل قد تشكك طوائف منهم في صواب كل ما يفعله عمر ومن وافقه . أما فعل النبي وقوله فلا يشك فيهما مسلم . فأراد الدليل من فعل النبي أو قوله أحسن وأصبق وأقوى في بيان هذه المسألة وبيان سواها من فعل عمر بلا نزاع بين المسلمين . فلا يصح إذن اللجوء في بيان جواز التوسل بالفضل مع وجود الفاضل بفعل عمر دون اللجوء إلى ذكر قول رسول الله وفعله إذا كان معلوماً معروفاً . أما إذا لم يكن عمر والصحابة معه يملكون جواز ذلك من سنة رسول الله فلا يصح لهم ولا يمكن أن

بعية الوجوه
المعيرة

ينهبوا ليبينوا للناس جواز ما لا يعلمون جوازه من الدين ولا من سنة النبي الكريم . لأن عمرو من معه من الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً لا يعرفون الدين إلا أنه المأثور عن النبي قولاً أو فعلاً أو رسالة يؤذيها عن جبرائيل عن الباري . أما غير ذلك فليس من الدين عندهم ولا مما يجوز بيانه ولا الذهاب إليه . فهذا القول الذي ذهب إليه المخالف في توجيه التوسل بالعباس دون رسول الله قول باطل سخيف . وناسماً الذي يشترط في التوسل به في الاستسقاء أن يكون بحجاب الدعوة ، قريبها من الله لصلاحه وفضله ، ولا يشترط فيه أن يكون أفضل الموجودين بالإجماع . فإذا فرض أن العباس بن عبد المطلب كان بحجاب الدعوة أكثر ممن هو أفضل منه — وهذا لا مألح منه كما تقدم — كان الاستسقاء به أولى من الاستسقاء بعلي أو بغيره ممن هم أفضل منه . والمخالفون لا يستطيعون أن يقيموا الدليل على أن علياً وعثمان وغيرهما كانوا بحجاب الدعوة أكثر من العباس ، ولا يستطيعون أن يذكروا ما يمنع من أن يكون العباس يوم استسقى به أقرب إلى الإجابة والقبول من سائر الموجودين ولو كان في الموجودين من هم أفضل منه وأكثر مآثر وفضائل . وهذا الزعم الذي زعموه في توجيه الاستسقاء بالعباس قائم على أن الاستسقاء بعلي أو بعثمان كان أولى من الاستسقاء به لظهور فضلها عليه . أما إذا فرض أن الاستسقاء به أولى من الاستسقاء بغيره لقرب دعائه من الإجابة والقبول ومن السماء فقد فسد هذا الزعم الذي زعموه . وذلك أن الناس لا يتنازعون ولا يسكنون في أن الاستسقاء بمن هو أقرب إلى إجابة الدعاء أولى من الاستسقاء بمن هو دونه في ذلك ، وإن كان أكثر منه فضلاً وأجل قدراً . وهذا لا يحتاج المسلمون في معرفته إلى فعل عمر ولا فعل سواه لظهوره ووضوحه . فلا يمكن أن يكون التوسل بالعباس لهذا الغرض الذي لا يخفى على أحد . 'عاشراً' لو صدق هذا الذي ذكره لتوسلوا بالعباس تارة ليبينوا جواز التوسل بالفضل مع وجود

الفاضل على ما ذكر المخالفون ، ولتوسلوا برسول الله تاراة بعد موته لأن التوسل به الصحيح المشروع أفضل وأولى وأدنى إلى الإجابة والقبول والعروج إلى الله ، ولما صح أن يتكرر توسلهم بالعباس ويستمر تركهم النبي والتوسل به بعده موته . والتكرر والاستمرار ظاهران من قول أنس راوى الحديث : « كان عمر بن الخطاب إذا قحطوا استسقى بالعباس » . فإن كلمة « كان » صريحة في أنهم فعلوا ذلك مرات ، وأنه قد كان من شأنهم ودأبهم . ولو فعلوا هذا لكان فيه جمع بين الفوائد كلها : بين بيان جواز التوسل بالمفضل مع وجود الفاضل ، وبين جواز التوسل بالميت ، وبين المحافظة على التوسل برسول الله وعدم الانصراف عنه . ولكن عمر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين قد واظبوا على الانصراف عن رسول الله وعن التوسل به بعد وفاته وواظبوا على التوسل بغيره من الأحياء . فكان السبب وكان الأمر — ولا بد — غير ما ذكر المخالف يقيناً .

على أنه لو كان صحيحاً ما ذكره لتوسلوا بأحد الأموات الناهيين مثل حمزة ابن عبد المطلب أو خديجة أو إبراهيم ابن رسول الله أو غيرهم من الأموات ليدلوا على جواز التوسل بالمفضل مع وجود الفاضل الحى . ولو فعلوا هذا لكان أجمع لأشئ الفوائد وأوضح في بيان المسألة من كل وجهها مع عدم الإيهام واللبس الذى ذكرناه وأشرنا إليه . وهذه أشياء لا تترك للتأويل الذى ذكره المخالفون منفذاً إلى الحق والصواب ، ولا متنفساً . والحمد لله على ذلك .

ومن أعجب ما قيل في توجيه الاستسقاء بالعباس قول بعض المحرفين من الخائضين في هذه الحقائق مع الخائضين : « أما توسل عمر بالعباس دون الرسول فلكون ذلك سنة الاستسقاء ولكون العباس من ذوى الحاجة ، أو لكون عمر أراد أن يبين للناس أنه يجوز التوسل بغيره عليه الصلاة والسلام لفضله أو قرابته أو غلوفه على ضملاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر المطر بعد التوسل ، أو ليدلهم

أجمع تأويل
لحديث التوسل
بالعباس دون
رسوله الله

على أن التوسل بالمفضول جائز مع وجود الفاضل . وإلا فلي أفضل من العباس
وكذا عمر . . . » انتهى قول هذا القائل .

وهذه آراء في غاية السقوط والبطلان : أما الرأي الأول - وهو أنهم استسقوا
بالعباس « لكون ذلك سنة الاستسقاء » فيقال ماذا يراد بهذا ؟ أيراد أن من
السنة أن يستسقى بالعباس دون النبي ودون غيره ؟ أم يراد أن من السنة
الاستسقاء بالأحياء دون الأموات ؟ أم يراد أن من السنة ألا يستسقى بالنبي في
صلاة الاستسقاء ؟ هذا ما يحتمل أن يراد بهذا الرأي الذي ذكروه . وكل هذه
الاحتمالات باطلة : أما الاحتمال الأول فباطل بالإجماع والضرورة والنص ، فقد
أجمع المسلمون وجاء النص وعلم بالضرورة أنه يجوز ، بل يستحب الاستسقاء
بأهل الصلاح والخير والدين في حياة العباس وبعد وفاته وقبل وجوده وفي كل
وقت . فالقول بأن من السنة الاستسقاء بالعباس دون النبي ودون غيره قول باطل
بالإجماع والضرورة والنص ، وباطل بالحديث المذكور نفسه . وذلك أنه قيل فيه :
« اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فقتسقنا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا » . فهم
إذن كانوا يتوسلون أى يستسقون بالنبي عليه السلام إذا ما أجذبوا . وهذا مالا
يختلف فيه المسلمون ، بل الاختلاف فيه عندهم من أين الخطأ والجهل .

وأما الاحتمال الثاني وهو القول بأن من السنة الاستسقاء بالأحياء دون
الأموات فيقال : نعم هذا حق ، وهذا هو ما نقوله ، وهذا هو ما دل عليه الحديث
المذكور وما دل عليه الدين : بجملة وتفصيله ، ولكن يجب عليهم أن يعرفوا لماذا
كان من السنة الاستسقاء بالأحياء دون الأموات ، ولماذا لا يجوز الاستسقاء
بالموتى إذا كان يصح دعاؤهم ، وكان يمكن أن يسمعو دعوة من دعاهم ، وكان يمكن
أن يدعوا لمن طلب منهم الدعاء ؟ المخالفون يقولون : إن من الدين ومن السنة
التوسل بالأموات وطلب الدعاء والشفاعة منهم ، ويقولون : إنه لا فرق بين

بيان بطلان هذا
الرأي ويل
والوجود لله
يعملها

الأحياء والأموات في باب التوسل والاستشفاع وطلب الدعاء ، ويقولون : إن كل ما يصح أن يرجى وأن يطلب من الأحياء يصح أن يرجى وأن يطلب من الأموات. ويحتجون لجواز الاستغاثة والاستعانة بالموتى بجواز الاستغاثة والاستعانة بالأحياء ، ويقولون : إذا جاز أن نقول للحي أغثنا جاز أن نقول للميت أغثنا. وإلا كنا مخطئين خالطين ، لأن في التفريق بين الأحياء والأموات في الدعاء والسؤال والطلب تفرقا بينهما في القدرة والاستطاعة والعمل ، وهما لا فرق بينهما في أن الكل لا يستطيع أن يوجد وأن يحدث ، وأن يضر وأن ينفع ، وإنما يستطيع أن يدعو وأن يشفع . وهذا لا فرق بين الحي والميت فيه ، فالحي والميت عاجزان عن الإيجاد والإحداث وعن الضر والنفع ، قادران على الشفاعة والدعاء والرجاء ، فلا فرق بينهما في شيء من الأشياء . هذا كله يقوله المخالفون .

فإن صدقوا فيما قالوا هنا لم يصدقوا في قولهم : إن من السنة الاستسقاء بالأحياء دون الأموات ، وإذا صدقوا في هذا لم يصدقوا في ذاك . ذلك أنه يقال لهم : من أين علمتم أن من السنة الاستسقاء بالحي دون الميت ؟ فإن قالوا : علمنا ذلك من فعل عمر ومن معه ، ومن استسقايتهم بالعباس دون النبي ، إذ لو كان من السنة الاستسقاء بالميت لما عدلوا عن النبي إلى العباس ولا إلى غيره من الناس ، قلنا لهم : وأيضا قد صح أن عمر وسائر الصحابة كانوا يطلبون الدعاء من الأحياء بعد موت النبي ، وما جاء في رواية صحيحة أن عمر أو غيره من الأصحاب وقفوا بقبر النبي أو بقبر غيره طالبين منه الدعاء والاستغفار أو غير ذلك ، كما لم يصح أنهم استسقوا به عليه السلام بعد موته فقولوا إن من السنة أن يطلب الدعاء والشفاعة من الأحياء دون الأموات ، أو إن من السنة ألا يدعى الميت والأحياء يطلب منه شيء : لا دعاء ولا شفاعة ولا إغاثة ولا إغاثة ولا شيء من هذه المطالب التي يطلبون بها سكان القبور .

تتميم الإبطال
فذكره

وأما إن قالوا: إن نصوص الدين هي التي دلت على أن من السنة أن يستسقى بالحي دون الميت قلنا لهم : إن كل نص يدل على ذلك يدل كذلك على أن من السنة دعاء الأحياء والاستشفاع بهم دون الأموات . فإنهم إذا قالوا : إننا وجدنا المسلمين في حياة النبي وبعد وفاته يستسقون ويتوسلون إذا أجذبوا بالأحياء دون الأموات ، وما علمنا أنهم توسلوا بميت ولا استسقوا به ، وهذا يدلنا على أن التوسل بالميت من الخلاف على الدين وعلى السنة ، قيل لهم : وكذلك وجدنا المسلمين في حياة النبي وبعد مماته يدعون الأحياء ويطلبون منهم ما يقدرون عليه عادة ، ويسألونهم الدعاء والشفاعة ، وما علمنا أنهم ذهبوا إلى قبر يدعون صاحبه ويسألونه الثوث والمدد أو الدعاء والشفاعة ، فدل ذلك على أن دعوة الموتي ليست من الدين ولا من السنة . فإن قالوا : قد جاءت روايات في دعاء الأموات والاستشفاع بهم ، قيل لهم : وكذا قد زعمتم أنه قد جاءت روايات في الاستسقاء بالميت عند الجذب كما في الرواية المذكورة عن مالك الدار خازن عمر ، وقد تقدمت الرواية وتقدم الكلام عليها . فنأين علمتم إذن أن من السنة الاستسقاء بالأحياء دون الأموات ؟ وكيف يكون من السنة دعاؤهم والاستغاثة بهم وسؤالهم ضرور الحاجات في جميع الأوقات وعلى كل حال ، إلا عند الجذب وعند الرغبة إلى الله ، لينزل غيثه على عباده الأزلين ؟ وهل يعرف مثل هذا في العقل أو في الشرع ؟ وكيف يكون من السنة الواضحة لديكم التوسل بالنبي في كل وقت ولدى كل حاجة وعلى كل حال ثم لا يكون من السنة التوسل به حين القحط ؟ وهل لهذا نظير في الشرعيات أو في العقليات ؟ وكيف يعتقد أصحاب النبي : عمر ومن معه أن التوسل بالنبي سنة في كل وقت وعند كل حاجة وكل رغبة إلا عند ما يجذبون فيرغبون إلى الله لكشف الجذب ؟ وهل يستسيغ هذا الشرع أو العقل ؟ وكيف يدأب أصحاب النبي على دعاء النبي وعلى التوسل به وعلى سؤاله

هذا لا يحل ولا
يهد مثله في
الشرع

ضروب الحاجات والشفاعات ، كما تدعون ، ثم لا يفعلون شيئاً من ذلك حين الاستسقاء وحين طلب الغيث ؟ ؟

وقد تصاغ هذه الأسئلة بعبارات أخرى كأن يقال : لماذا استسقى الصحابة بالعباس ولم يستسقوا بالنبي ؟ فان قالوا : لأن من السنة الاستسقاء بالأحياء دون الأموات ، قيل لهم : ولماذا كان من السنة أن يستسقى هؤلاء دون هؤلاء ؟ إن السؤال لا يزال قائماً . وقيل لهم ثانياً : من أين علمتم أن من السنة الاستسقاء بالحى دون الميت ؟ إن قالوا من فعل عمر ، قلنا لهم : ولماذا استسقى عمر بالحى المفضل دون الميت الفاضل ؟ إن السؤال لا يزال قائماً أيضاً . فما الجواب ؟ فان قالوا : لأنه لو كان من السنة الاستسقاء بالميت لما عدلوا عن النبي إلى العباس ولا إلى غيره ، قيل لهم : ولماذا عدلوا عن النبي إلى العباس ؟ إن السؤال لا يزال باقياً أيضاً . فاجابوه ؟ فان قالوا : لأن النبي وأصحابه لم يستسقوا بميت قط وهذا يدلنا على أن من السنة ألا يستسقى بالميت ، قيل لهم : وكذلك لم يثبت أن النبي وصحابته دعوا ميتاً ولا استشفعوا به ولا سألوه حاجة قط ، وهذا يدلنا على أن من السنة ألا يدعى الأموات ، فما الجواب ؟ على أن هؤلاء غير صادقين في مقاتلهم هذه . وذلك أنهم يدعون الموتى لكل شئ : يستسقون بهم ويستشفعون ويستشفون ويسألونهم كل شئ كما يقولون وكما يفعلون .

نعم حق وصدق أن من السنة الاستسقاء بالأحياء دون الموتى ، وهذا لأن الدين والسنة يحزمان دعوة الأموات مطلقاً في الاستسقاء وغير الاستسقاء كما تقدمت الدلائل . ولو كان من السنة سؤال الأموات غفر الذنوب ، وهداية القلوب وسؤالهم الدعاء والشفاعة لكان من السنة أيضاً سؤالهم السقيا والغيث بالضرورة والاجماع ، أو لو كان من السنة أن يتوسل بهم في الاستعداد على الناس وفي طلب إحياء فلان وفلانة ، وشفاء فلان وإسقام فلان ، وفي طلب التزيج والتويل

والإعانة في كل الأمور لكان من السنة أيضاً التوسل بهم في طلب السقيا وفي طلب الغيث والمطر بالاجماع والبداهة .

. وأما الاحتمال الثالث وهو أن يراد أن من السنة ألا يستسقى بالنبي في صلاة الاستسقاء فهو احتمال باطل بالاجماع والنص والضرورة أيضاً . أما إن أريد به أن الاستسقاء بالنبي عليه السلام من غير السنة بعد موته لأن الميت لا يستسقى به فهو راجع إلى الاحتمال الذي قبله .

وأهم الثاني
موجبه الجبر
وطلانه

وأما الرأي الثاني في توجيه الخبر - وهو أنه استسقى بالعباس لأنه كان من ذوى الحاجة إلى المطر - فالجواب أنه رأى باطل لأنه أولاً لم يذكر دليلاً واحداً على أن العباس كان في حاجة إلى المطر، وكثيراً ما يجنب الدنيا ويظل كثير من الناس في غنى وسعة من العيش والثراء ، لا يحسون الحاجة ولا الجذب . وثانياً ليفرضوا أن العباس حقا كان في غاية من البؤس والاحتياج إلى الغيث فما دخل هذا في التوسل به دون التوسل بالنبي عليه السلام في طلب السقيا ؟؟ أيظنون أن الاستسقاء بالعباس أقرب إلى الإجابة وإلى إنزال الغيث لأنه محتاج من الاستسقاء بالنبي لأنه ليس محتاجاً إلى ذلك ؟ إن كان هذا هو ما يظنون فقد ظنوا ظناً كبيراً وظنوا ما لا يظنه مسلم . إذ لا يختلف المسلمون في أن الاستسقاء المشروع برسول الله أفضل وأقرب إلى الجدوى والاعطاء من الاستسقاء المشروع بغيره كالعباس وغيره . ولعله قد انسرق إلى أوهامهم أن التوسل بالعباس كان أولى لأنه كان محتاجاً والمحتاج لا بد أن يخلص في دعوته واستسقائه . وأما النبي فلا يلزم أن يخلص في ذلك إذ لا حاجة تحمله على الإخلاص . وإذا كان هذا هو ما انسرق إلى أوهام القوم فقد أصيبوا في دينهم قبل أن يصابوا في عقولهم . نعم ليفرضوا أن العباس كان في غاية الحاجة وفي غاية الفقر ولكن لما ذا توسلوا به في الاستسقاء ولم يتوسلوا بالنبي ، ونحن وهم متفقون على أن التوسل المشروع برسول الله أفضل

وأجدي وأقرب إلى الاجابة من التوسل المشروع بالعباس وبجميع الناس ، ونحن وهم والعقلاء جميعاً ، متفقون على أن الاستسقاء بمن استسقاؤه أقرب إلى القبول والاجابة أولى وأحصى من الاستسقاء بمن استسقاؤه أبعد عن القبول والاجابة ، بل ونحن وهم والعقلاء جميعاً متفقون على أن الصحابة كانوا في استسقاتهم وتوسلهم يتوخون الأفضل الأقرب إلى رضا الله وإلى غيظه وسقياه . فلماذا عدلوا عن النبي ونحن وهم والناس جميعاً متفقون على أن المحتاج الطالب لابد أن يمت إلى حاجته بأفوى الأسباب وبأفضلها إن لم يمنع من ذلك مانع ، ونحن وهم والعقلاء جميعاً متفقون على أنه لا مانع يمنع عمر و يمنع الصحابة معه من أن يتوسلوا بزميهم إذا كان ممكناً التوسل به في قبره ؟ هذه الأسئلة لابد أن تبقى بلا أجوبة ماداموا يقولون بجواز التوسل بالنبي بعد مماته . وقد خفي على هؤلاء أنه كان من الممكن الجمع بين التوسل بالعباس المحتاج وبين التوسل بالنبي غير المحتاج ، لو كان التوسل بالميت جائزاً ممكناً . وخفي عليهم أيضاً أنهم كانوا كلهم يستسقون : العباس وعمر والجميع ، وإنما كان العباس كالإمام لهم في استسقاتهم .

ولو صح ما ذكروه لتوسلوا بأعظم الناس حاجة وبأكثرهم وأظهرهم بؤساً وفقراً إذا كان للاحتياج والفقر والبؤس دخل في هذا التوسل وهذا الاستسقاء . ولتوسلوا أيضاً بأعظم الناس حاجة وفقراً في حياة النبي وبعد وفاته ، ولتوخي المسلمون دائماً أهل الفاقة والحاجة في توسلهم واستسقاتهم . ولقال العلماء : « ويستحب أن يستسقى بأهل الفاقة والحاجة والفقر المدقع » لا أن يقولوا : « ويستحب الاستسقاء بأهل الصلاح والدين والتقوى » . ولو صدق هذا الذي ذكروه لكان توسل أحدهم بأحد أهل بيته المحتاجين أفضل عندهم وأولى من التوسل بالنبي وبأعظم الأولياء والمشايخ قدراً وجاهاً . ولكن كلا فان هؤلاء لا يفكرون في التوسل بالمحتاجين من أولادهم وأهلهم ، وإنما يترأ كهنون إلى أهل

ولو صح ما
ذكروه لتوسلوا
بأعظم الناس

لأضرحة والقبور البادية على قبورهم مظاهر الفنى والنعيم والثراء ، باسطين إليهم
أ كف الرجاء ، وأ كف الحاجة والذل والسؤال عند كل ملعة . وما توسلوا بأولادهم
ولا بمن هم محتاجون مثلهم ، كما توسل عمر بالعباس لأنه كان من ذوى الحاجات
وترك النهى عليه السلام لأنه لم يكن محتاجاً .

ولو صح أيضاً هذا الذى ذكره لكان من السنة تقديم الفقراء والمحتاجين فى
كل عمل يراد به رزق الله ويراد به عطاؤه ومنه . ولكن لا يختلف المسلمون فى أن
السنة تقديم الأفضل الأبرار الأصالح الأقرب من الله .

زمهم أنهم
توسلوا بالعباس
ليبين جواز
التوسل بغير
النهى . ويأتى
بطلانه

وأما الرأى الثالث - وهو أن يكون عمر قد توسل بالعباس ليبين للناس
جواز التوسل بغير النهى عليه الصلاة والسلام - فجوابه أنه رأى باطل فاسد أيضاً
لذلك أنه لا يشك مسلم فى جواز طلب الدعوة والشفاعة - وهذا هو التوسل هنا -
عن كل صالح بر . ولو لم يتوسل عمر بالعباس لما شك أحد من المسلمين فى جواز
هذا التوسل المشروع بأهل الخير والصلاح والدين بغير النهى عليه السلام ، ولما
قال أحد من أهل الإسلام : إن التوسل - على هذا المعنى الذى ذكرناه - لا يجوز ،
أو يكره أو لا يستحب . فالمسلمون جميعاً لا يمكن أن يتنازعوا فى جواز الاستشفاع
وطلب الدعاء من الصالحين الأبرار الأحياء . فلا يمكن أن يكون عمر إنما أراد أن
يبين جواز ذلك ، ولا يمكن أن يكون قد شك فى معرفة المسلمين إياه ومعرفتهم
جوازه ، أو شك فى احتياجهم إلى بيانه وعلمه . فلا يصح هذا الذى ذكره المخالفون
فى توجيه الخبر .

ويقال ثانياً : إن بيان هذه الشئون والمسائل ليس إلى عمر ولا إلى غيره من
أفراد الأمة . وإنما بيانها إلى الله وإلى رسوله .

ويقال ثالثاً : لو صح هذا الزعم لتوسلوا بالعباس وبغيره من الناس فى حياة
النبي عليه الصلاة والسلام ، بياناً لهذا الجواز .

ويقال رابعاً : لو كان هذا هو الغرض لتوسلوا بالعباس تارة وبالنبي تارة
ليجمعوا بين فضيلة التوسل بالنبي وبين بيان جواز التوسل بغيره عليه السلام
ولكن لم يصح أنهم توسلوا بالنبي بعد وفاته .

ويقال خامساً : لو صح هذا لقرنوا بين النبي وبين العباس وغيره في التوسل
ولقالوا : اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا وبعم نبينا مثلاً ليعلم هذا الجواز ولتحرر
فضيلة التوسل بسيد البشر ﷺ .

ويقال سادساً : لو كان هذا صحيحاً لقاله عمر قولاً وصرح به تضرعاً ، ولكان
مقبولاً أوضح منه مفعولاً .

ويقال سابعاً : إذا صح لعمر وللصحابة معه أن يتوسلوا بالعباس لبيان جواز
التوسل بغير رسول الله عليه السلام وجب عليهم أن يتوسلوا برسول الله ميتاً
لبيان جواز التوسل به في قبره ، أو إذا صح لهم أن يلحظوا الرغبة في بيان جواز
هذه المسألة ، وجب عليهم أن يلحظوا أن توسلهم بالعباس مع صدوقهم عن النبي
عليه الصلاة والسلام يوم أن التوسل به عليه السلام في قبره لا يجوز ولا يشرع .
وهذا الإيهام محذور أعظم من ذلك الجواز مرغوباً فيه .

ويقال ثامناً : لو كان هذا هو الغرض حقاً لتوسلوا بأحد الأموات الذاهبين
كحمزة أو جعفر أو فاطمة ابنة محمد عليه السلام أو إبراهيم ابن رسول الله أو غيرهم
من الأموات ولو مرة واحدة ، ليندلوا على جواز التوسل بغيره ﷺ ، وليندلوا أيضاً
على جواز التوسل بالأموات ، وليدفعوا توهم أن التوسل بالمتوفى لا يجوز ولا يشرع .
ويقال تاسعاً : إما أن يكون لدى عمر بن الخطاب دليل شرعي على
جواز هذا الذي زعم المخالفون أنه أراد بيانه ، أو لا يكون لديه دليل شرعي عليه .
فإن كان لديه دليل كان الواجب عليه بيان ذلك الدليل وذكره ليعلم هذا الحكم
من مصدره الأصلي الأول الصحيح . وهو قول الشارع وفعله . وليس من الرأي .

الصحيح ولا من الحكمة أن يحاول عمر أو غيره من الصحابة أو غيرهم من المسلمين والأئمة المتبعين بيان حكم من الأحكام الشرعية بعمله وفعله هو . فان أحداً من من الناس - كائناً من كان - لا يمكن أن يحاول بيان أحكام الله وأحكام شرعة نبيه بفعله وعمله إن لم يكن أحد أنبياء الله ورسله . ومن حاول ذلك فليس على هدى من الله . وذلك أنه لا معصوم في قوله أو في فعله من البشر سوى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام . ومن ليس معصوماً لا يصح أن يتخذ فعله أو قوله حجة من الحجج ، ولا يصح أن يعتد به أن فعله برهان من براهين الله وبراهين شرائعه . هذا إذا فرض أن لدى عمر دليلاً شرعياً على جواز هذا الذي أراد بيان جوازه في مازعم المخالفون . وأما إذا لم يكن لديه دليل فلا يمكن أن يحاول بيان جوازه . وإذا حاول لم يصح أن يتبع في ما لا دليل عليه . فهذا التوجيه الذي ذكره في الخبر توجيه باطل -

وأما الرأي الرابع - وهو أن يكون عمر إنما توسل بالعباس دون النبي خيفة
على ضعفاء المسلمين وعوامهم إذا تأخر المطر بعد التوسل به عليه السلام فهو من خيفة على ضعفاء المسلمين
أبطل الآراء وأسخطها . وبيان ذلك بأمور :

أولها - : أن في هذا الرأي إساءة ظن بالمسلمين الأولين ، واتهاماً فظيماً لخير القرون ولأفضلها بما لا يصح أن يتهم به من توطنت في صدره جرائم الإيمان والاسلام . وفيه أيضاً اتهام لعمر بأنه كان يتهم الصحابة والتابعين - وهما خير القرون - ويسئ الظن بهم ، ويخاف عليهم إذا توسلوا بالنبي فلم يجابوا أن يرتدوا . ويضلوا ، أو يضعف اعتقادهم وإيمانهم بالله وبالنبي . وهذا من شر الاتهام وشر المقادح في أوائل المسلمين الذين هم خير القرون وأفضلها وأتقها وأصلحها وأبرها . وكيف يمكن أن يخاف على أولئك المسلمين إذا توسلوا بالنبي فلم يعطوا ونحن نشاهد هؤلاء الجهال من عامة المسلمين يدعون المشايخ والصالحين ، وهم لا يجيبونهم طبعاً .

ومع هذا لا يزدادون إلا عكوفاً على قبورهم ، وتملقاً بدعائهم ، ولهجاً بأسائهم ، وانقطاعاً إليهم . وما ضف إيمانهم بهم ، ولا تزلزل اعتقادهم بأنهم يجيبون وينفون إذ لم يجابوا ، إذ لم يلتفتوا بدعائهم شيئاً . فكيف يمكن أن يظن أن عمر بن الخطاب كان يخاف على الصحابة وعلى التابعين الضلال أو الارتداد أو نقصان الإيمان إذا توسلوا بالنبي التوسل المشروع فلم يجابوا ؟ اللهم إنا نعوذ بك من هذا الرأي وهذا الظن الآثم .

وثانيها — : كيف يمكن أن ينقش في ذهن عمر أنهم إذا توسلوا واستسقوا بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجابون ولا يعطون ولا يسقون وهو يجدهم يتوسلون ويستسقون بالعباس فيجابون ويعطون ويسقون كما في الحديث المذكور ، وقد قال أنس بن مالك راويه : إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . فإذا كان عمر يرام يستسقون بالعباس فيجابون ويسقون ، فكيف يخاف أن يستسقوا برسول الله فلا يجابوا ، ولا يسقوا ؟

سنة وجوه تطل
هذا الزعم الذي
دموه

ثالثها — : لو صح هذا لتركوا التوسل بالنبي عليه السلام في حياته ، ولتركوا التوسل بسائر الأنبياء ، بل ولتركوا دعاء الله والضرعة إليه وسؤاله والطلب منه خيفة الضلال والارتداد وضعف الإيمان إذا لم يجابوا ويعطوا ولتركوا عبادة الله مطلقاً لئلا يكون في عبادته فتنة أو ردة أو سوء ظن به تعالى إذا أصيب عابده بشيء من الامتحان ، ومصائب الدنيا ، وبأنواع من الابتلاء . وهذا لا يقوله مسلم ولا مؤمن بالله . فإن الناس لا يختلفون في أن دعاء الله وسؤاله والضرعة إليه وعبادته أنواع العبادات أشياء واجبة على الجميع كائنة أحوالهم ما كانت . ولا يختلفون أنه لا يجوز اجتناب التوسل بالنبي وسائر الأنبياء التوسل المشروع الصحيح خيفة هذا الذي ذكره .

رابعها — : إن نص الخبر نفسه يكذب هذا الوهم : وذلك أن عمر قد قال فيه : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا » . إذن هم كانوا يتوسلون بالنبي عليه الصلاة والسلام ، وإذن هم كانوا يدعون التوسل به خيفة الضلال والفتنة عند تأخر المطر ، وإذن ما كان عمر ولا كان غيره يخاف هذا الذي ذكروا أن عمر خافه ، وإذن هذا الرأي رأى مرغوب عنه مهجور .

خامسها — : لو كان حقاً هذا الذي ذكروه وزعموه لكان من الحق والهدى ، ومن الاقتداء بعمر والصحابة أن يجتنب المخالفون اليوم وقبل اليوم التوسل بالنبي ودعائه والاستغاثة به واستشفاعه والمكوف على قبره خيفة على أنفسهم وعلى من يقتدون بهم من العامة والجهلاء ذاك الذي خافه عمر بن الخطاب على الصحابة والتابعين ، خيفة أن يضلوا وأن يرتدوا وأن يضعف إيمانهم واعتقادهم إذا لم يجابوا ويعطوا ، ولكان من الصواب والهدى نهى المتوسلين ، ونهى المخالفين اليوم عن ذلك خيفة عليهم من الضلال والارتداد . ولكن المخالفون لا يوافقون على شيء من هذا ، بل يزعمون أن التوسل بالنبي في قبره من أفضل القربات وأقربها إلى الله ، وهم لا يدخرون وسعاً في حض الناس على التوسل بالنبي في قبره وعلى دعائه وسؤاله كل الحاجات

فيا هؤلاء كيف يخاف عمر بن الخطاب على الصحابة والتابعين عاقبة التوسل برسول الله ، وأنتم لا تخافون على أنفسكم ولا على هؤلاء الجهلاء الماكفين على الأحداث عاقبة ذلك ؟ أنتم أذكى وأبصر وأعلم بمواقب الأمور من عمر بن الخطاب ؟ أم أنتم وهؤلاء الجهلاء الماكفون على القبور أرسخ إيماناً وإسلاماً وأقوى عقيدة من أولئك الصحابة وأولئك التابعين الذين خيف عليهم عقبي التوسل بالنبي ؟ اللهم لا هذا ولا ذاك ، ولكنها فتنتك تضل بها من تشاء

وسادسها — : لو صح ترك التوسل بالنبي خيفة الارتداد إذا تأخر المطر لصح

أيضاً ترك التوسل بالعباس خيفة هذا . وذلك أنهم ما استسقوا بالعباس إلا لصلاحه وإيمانه بالله وبالنبي وبيدته واتقاربه من النبي أيضاً على قولهم . هذا هو وجه التوسل بالعباس والاستسقاء به . ومن ثم رجوا أن يسقوا وأن يعطوا ما سألوا . فإذا ما استسقوا دلى هذه الحال وبهذا الاعتبار بالعباس فلم يسقوا ولم يجابوا ولم يعطوا ما سألوه خيف عليهم الضلال أو الارتداد أو ضعف الإيمان وتزعزعه ، وخيف عليهم أن يشكوا وأن يقولوا : هذا عم النبي - وعم الرجل صنو أبيه - قد آمن به وصدق واتبعه وآمن بالله وبيدته وأطاعه وعبده قد توسلنا به إلى ربه فدعانا واستسقى من أجلنا ، ورغب إلى الله وكله أمل ورجاء ، ورغبنا معه وكلنا آمال ورجاء ، ومع هذا كله لم يجب ولم نجب ، ولم يشفع لنا ولا له صلاحه وإيمانه ولا شبيهه في الإسلام ، ولا قرب به من الله ولا قرباه من رسول الله ولا غير ذلك . . . وهنا يهتز إيمانهم ويتقلقل من مكانه ، ويخاف عليه التصديق والانهيار .

إذن هذه التوجيهات في حديث العباس توجيهات كلها باطلة ، وكلها لا يصح منها شيء ، فما الجواب ؟ إن الجواب الصحيح لا يعمد ما ذكرناه وهو أن الصحابة ما عدلوا عن النبي عليه الصلاة والسلام إلى العباس إلا لأنهم يعلمون أن التوسل بالميت لا يجوز ولا يمكن ولا يشرع .

ما في هذا الحديث
من الفوائد
الفائدة الأولى

﴿ فوائد حديث الاستسقاء بالعباس ﴾

وحيلئذ نستفيد من حديث الاستسقاء بالعباس جملة فوائد كبرى .

« الفائدة الأولى »

إن التوسل بالأشخاص كالتوسل بالنبي والعباس أو غيره إذا أطلق في لسان السلف من الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم وفي عرف الشارع ونصوصه كان

معناه الاستشفاع وطلب الدعاء أو التقرب بالدعاء والشفاعة . تقول مالك في الرواية المذكورة عنه المتقدمة : « وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة » يعنى به شفاعة رسول الله يوم القيامة . وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث الأعمى المتقدم : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك . يا محمد إني توجهت بك إلى ربك » يراد به التوجه بالدعاء والشفاعة . وقوله في الخبر الذى نحن بصدده : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا ، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا » يعنى به التوسل بالدعاء . وكذلك كل ما ورد من التوسل بالأشخاص والدوات في ظاهر اللفظ لا يراد به إلا التوسل بالدعاء والشفاعات أو ما هذا معناه . والدليل عليه أن عمر ومن معه من الصحابة كانوا يتوسلون بالنبي عليه السلام في حياته ، وبعد وفاته كفوا عن التوسل به وتوسلوا بسواه . وهذا لأن التوسل عندهم معناه طلب الدعاء والتقرب بالشفاعة . ومن مات لا يستشفع به ولا يطلب منه دعاء ولا غيره . ولو كان معنى التوسل عندهم كمنه عند هؤلاء المخالفين - ومعناه عندهم السؤال بالدوات والأشخاص والحقوق - لما عدلوا عن النبي ﷺ لا حياً ولا ميتاً ، لأنه يمكن التوسل بذاته وشخصه وحقه وجاهه حياً وميتاً ، لأن ذلك ثابت له عليه السلام وقت الحياة ووقت المات وفي كل وقت . فالسؤال به دائماً ممكن فلا وجه للعدول عنه إلى العباس أو إلى غيره من الناس لو كان هذا هو الحق . ولكن التوسل بالشخص في لغة القوم وخطابهم إذا أرسل وأطلق كان معناه الاستشفاع أو الشفاعة والدعاء وما يضارع ذلك . فحيث أطلق التوسل في اللسان الصادق ذهب إلى الشفاعة والاستشفاع .

الفائدة الثانية

« الفائدة الثانية »

ونعلم من هذا الحديث أن أصحاب النبي وخلفاء الراشدين ما كانوا يحاولون أن يسألوا النبي عليه الصلاة والسلام في قبره شيئاً لا شفاعة ولا دعاء ولا إغاثة

ولا إعانة ولا أمراً من الأمور التي يسألها اليوم هؤلاء المسلمون كل من هب ودب من المشايخ والأموات ، وكل من أقيم على قبره قبة أو بناية أو زينة أو مسجد أو نوع من أنواع المعلقات المختلفة ، وإن كان مات تحت ذلك جسد حيوان أو جسد كافر أو منافق أو فاسق من الفساق . وذلك أننا لا نشك في أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ما عدلوا عن نبيهم إلى عمه في وقت حاجتهم وشدتهم وأزمتهم إلا لأنهم كانوا يعلمون أن الاتصال به على هذا الوجه أصبح غير ممكن وغير مستطاع ولا يسور ، ولأنهم علموا أنه لا يصح أن يسألوه الشفاعة والدعاء فضلاً عن أن يسألوه الفوت والمدد وقضاء الحاجات المختلفة ، أو يسألوه هداية القلوب وغفران الذنوب . وقد كانوا رضى الله عنهم حراساً الحرس كله على أن يسألوه ذلك وأكثر منه لو كان ممكناً ومشروعاً مستطاعاً . لأن القوم كانوا جد مشتاقين إلى نبيهم وإلى الاتصال به الاتصال الممكن المستطاع كله ، وكانوا وجد مشتاقين إلى الاغتراف من نهره علا ونهلا ، لأنهم قد شاهدوا فضله ، وشاهدوا ما أعطاه ربه من البركات والخيرات التي تمتعوا بها معه في حياته وتمتعوا بها بعده . ولو أنهم علموا أن شيئاً من ذلك يشرع لبادروا إليه ، ولما صح أن يتركوه وأن يعرضوا عنه ، آخذين بوسيلة العباس أو بوسيلة غيره من الناس . وما نازع في هذا أحد ، ولا أقيم حوله جدال أو خلاف . فكان القوم كانوا مجمعين عليه ، متفقين على فعل خليفتهم وخليفة رسولهم عمر وعلى فعله رضى الله عنه وعنهم . ولو أن أحداً منهم كأيذهب إلى إمكان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد وفاته وإلى جوازه لقام في وجه عمر بن الخطاب ومن معه من الأصحاب ، ولقال له ولهم : كيف تتركون نبيكم وتتوسلون بسواه وهو حاضر معكم موجود بين أيديكم وأنتم في مسجده وفي بلده وأمام حجرته وبيته ، أما تستحيون منه ومن ربه ؟ كلا ، إنه يجب عليكم أن ترجعوا إلى نبيكم وإلى وسيلته وشفاعته وحجرته ؛

فستسقوا به وتسالوه ما تشاءون من السقيا والدعاء والوسيلة والشفاعة وكل ما ترجون وتؤمنون عند ربكم ومنه .. ثم لما كان من أمر ومن معه من الأصحاب إلا أن يصقوا لهذا النداء ، وأن يلبوا ذاك الاعتراض ويقولوا جميعاً : حقاً لقد عزبنا عن الصواب والسداد إذ تركنا نبينا ورجعنا إلى أتباعه ، نطلب الوسيلة والسقيا ، ونحن بين يديه في مسجده وبلده . . . ولكن لسنا واحداً لم يفه بشيء من هذا ، فدلنا على أن قلباً واحداً من تلك القلوب لم يتردد على صفحاته شيء منه . وهذا لأنه لم يكن بين القوم خلاف في أن سؤال النبي بعد الوفاة ضلال وحماقة كبرى جلية . وهذا من أعظم الحجج والبراهين على بطلان دعوة الأموات ، وبطلان أسئلتهم الشفاعات وغيرها من المآرب والمطالب المختلفة التي يسألها اليوم كل هالك أقبح حول قبره نصب من الأنصاب المختلفة .

« الفائدة الثالثة »

الفائدة الثالثة

أن نعلم من هذا أن كل الأخبار التي تروى في دعاء النبي وسؤاله الشفاعة والدعاء وغير ذلك بعد مماته أخبار - إن وجدت - كاذبة غير ثابتة ولا صحيحة ، وأخبار ما كان يعرفها أصحاب النبي عليه السلام ولا يروونها . إذ لو كانت لديهم أخبار يروونها عن نبيهم في جواز الاستشفاع والتوسل به ودعائه وسؤاله بعد وفاته لعلموا بها حين أزمتهم وحاجاتهم واستسقامهم ، ولما جاز أن يعدلوا عن التوسل بالنبي والاستسقاء به إلى التوسل والاستسقاء بالعباس . فانه لا شك أن القوم ما تركوا نبيهم وتركوا الاستسقاء به وتركوا دعاءه وسؤاله وخطابه إلا لأنهم لا يجدون دليلاً يسوغ شيئاً من ذلك . فلو كان عمر بن الخطاب يعلم مثلاً حديثنا عن النبي في جواز دعائه وسؤاله في قبره لدعاه ولسأله واستسقى به يوم جذبهم وقحطهم . ولا غناء الرجوع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام من الرجوع إلى العباس وإلى

غيره . ولو كان يروى عن النبي عليه السلام حديث سؤال آدم ربه بحق نبيه محمد وغفران الله له ذنبه بهذا السؤال لسأل ربه السقيا بحق رسوله محمد ﷺ كما سأل آدم به ، وأقال : نحن أحوج إلى السؤال بحق نبيينا من آدم ، ولقال : أسألك يارب بحق محمد لما سقيتنا ، كما قال آدم في الخبر المروى عن عمر عن النبي : « أسألك يارب بحق محمد لما غفرت لي » . ومن المحال أن يكون هذا الحديث حديث سؤال آدم ربه بحق محمد ثابتا عن عمر ثم لا يسأل ربه بحقه ، بل يعمل عن ذلك إلى التوسل بالعباس . وما عن هذا من جواب إلا أنت يقال : إن عمر كان ينسى حديث آدم هذا كلما استسقى بالعباس وكلما قحطوا ، بل وكل حياته . ولينظر هل يمكن أن يصح هذا وهل يجوز على عمر . ولو صح هذا كله وصح أن عمر كان ينسى الخبر عند استسقاؤه بالعباس لوجب أن ينسجه إليه من حديثهم به ومن معوه منه ومن عرفوه من الصحابة والتابعين إن كان أحد عرفه .

دلالة هذا الحديث على كذب جميع الأحاديث التي فيها ما يدل على مخالفتين .

وكذلك لو كان حديث الأعمى السابق ثابتا عن عثمان بن حنيف مع القصة المذكورة فيه بين ابن حنيف وبين ذلك الرجل الذي كان يقصد عثمان بن عفان لحاجته فلا يلتفت إليه إلى آخر القصة السالفة : لو كان هذا الحديث ثابتا عن ابن حنيف وكان دالا على ما يذهب إليه المخالفون لقال عثمان بن حنيف ولقال غير ابن حنيف ممن يعلون الحديث إن كان أحد يعلمه غيره لعمر ومن معه من الصحابة والتابعين : لا يصح أن تعدلوا عن النبي عليه الصلاة والسلام إلى سواه ، بل ارجعوا إليه واسألوه الشفاعة والسقيا والوسيلة ، واسألوه جميع ما تطلبون وتسالون ، ثم ذكروا لهم الحديث وقصة الأعمى والرجل الآخر فيه ، وأمرهم أن يتوضأوا وأن يصلوا وأن يدعوا ذاك الدعاء الذي علمه عثمان بن حنيف الرجل المتردد على الخليفة عثمان بن عفان . وإذا كان ابن حنيف قد علم ذلك الرجل المتردد على عثمان في حاجته الخاصة به أن يتوسل بالنبي وأن يدعو ويخاطبه

ويسأله ، في ما يزعمون ، أن يشفع له في قضاء حاجته ، فكيف لا ينبغي عمر ومن معه من الأصحاب والمسلمين بهذا الدعاء وهذا الأمر ليدعوا الله به كي يستجيبهم ، حتى يزيل جديهم وقحطهم بشفاعه نبهم والاستسقاء به وبجأه وكرامته وبركته ؟ وكيف طاب لابن حنيف أن يكتف هذا النبأ وهذا الخير العظيم من عمر وعن المسلمين معه وهم في حاجة شديدة . ملحجة إلى علمه ومعرفته لو كان ناهيا صحيحاً حقاً عن عثمان بن حنيف ؟

وكذلك أيضاً استسقاؤهم بالعباس يوهى سند تلك الرواية المتقدمة ، وهي ما ذكرها عن مالك الدار خازن عمر قال : أصاب الناس قحط في زمان عمر فجاء رجل إلى قبر النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا . فأثى الرجل في المنام فقبل له : أئت عمر وأخبره أنهم مستقون . قال الحافظ العسقلاني في فتح الباري (الجزء الثاني صفحة ٣٣٨ . طبعة الخشاب) : « وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ، وكان خازن عمر ، قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبي فقال : يا رسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأثى الرجل في المنام فقبل له : أئت عمر وأخبره أنهم مستقون . وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة » انتهى كلام العسقلاني . وهذه القصة إما أن تكون ضعيفة الإسناد أو محرفة اللفظ ، أو يكون الآتي إلى قبر النبي عليه السلام ، القائل له : استسق لأمتك مخطئاً غلطاً مخالفاً لما ذهب إليه اتلافية عمر ومن معه من المسلمين . والرواية التي ذكر الحافظ ابن حجر أن إسنادها صحيح لم يكن الذهاب فيها إلى القبر هو بلال بن الحارث الصحابي ، وإنما هو رجل مبهم مجهول غير معروف الاسم ولا الحال . ولا يجب أن يكون في قوله هذا راكباً مصيباً ، فقد كان في التابعين من ابتدعوا وضلوا . وأما الرواية التي

جاء فيها أن الذاهب إلى القبر النبوي القائل : استسقى لأمتك هو بلال بن رباح الحارث المزني الصحابي فهي رواية باطلة لأنها من طريق سيف بن عمر الضبي الأسدي الأخباري المشهور، مصنف « الفتوح » و « الردة » وغيرهما . وسيف هذا منهم ، اتهمه ابن حبان وغيره بالزندقة ، وأجمع الباقون على ضعفه في الحديث مع إجماعهم على غزارة علمه ومعرفته بالأخبار . فالرواية التي قيل فيها : إن الذاهب إلى القبر هو بلال بن الحارث الصحابي رواية ضعيفة ، لا يحل الاحتجاج بها لضعف سندها واتهام راويها ومخرجها وهو صاحب « الفتوح » سيف بن عمر الضبي المؤرخ . أما الرواية التي قال الحافظ ابن حجر : إنه رواها ابن أبي شيبة بإسناد صحيح فلا حجة فيها ، لأن ذلك الفاعل القائل المستسقى ليس صحابياً . ونحن لا نقول : إن كل ما يعمل في زمان التابعين أو زمان عمر الفاروق حق ودين وهدى .

وبالجملة فحديث الاستسقاء بالعباس المتفق على صحته يشهد شهادة صادقة واضحة بأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وبأن الصدر الأول من المسلمين ما كانوا يروون أحاديث عن رسول الله في جواز دعوة الأموات أو جواز الاستشفاع بهم أو طلب الدعاء منهم أو التوسل بهم على الوجه الذي يذهب إليه المخالفون ، ويشهد شهادة لا ريب في صدقها على أن كل ما يروى عن عمر أو عن غيره من الأصحاب عن النبي في جواز دعاء النبي وجواز الاستشفاع به في قبره شيء لا صحة له ولا قيمة لسنده ، ويدل أيضاً دلالة ظاهرة على أن الأخبار الصحيحة الثابتة عنهم عن رسول الله لا تدل عندنا على جواز دعوة الأموات ولا جواز خطابهم وطلب الشفاعة والدعاء منهم فضلاً عن طلب غير ذلك . فلا يدل عندنا حديث مخاطبة النبي ﷺ لكفار بدر بعد ما قتلوا ورموا في الطوى على أنه يجوز دعاء الأموات . وحديث خطاب رسول الله ﷺ للمشركين

دلالة على أن
الأحاديث
الصحيحة لا تدل
على مذهب
عباد الأموات

يوم بدر قد جاء من رواية عمر نفسه ، وجاء من غير روايته أنه كان حاضراً لرسول الله وسامعاً له حين خاطبهم وناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقال لهم ما قال . وقد قال الله عنه في هذه الحادثة : يا رسول الله كيف يسمعون - أو أنى يجيبون - وقد جيفوا ؟ فمرضى الله عنه كان قد شهد خطاب النبي لقتلى المشركين ورآه يخاطبهم ويناديهم ذلك النداء المعروف . ولكنه لم يفهم من كل ذلك جواز دعوة الأموات ، الدعوة التي يراد بها الشفاعة ، أو يراد منها الإعطاء أو المنع ، أو الضر والنفع . ولو كان قد فهم أن مخاطبة النبي لأولئك المشركين الموتى تدل على جواز دعوة الموتى مطلقاً ، وعلى جواز الاستشفاع بهم لمخاطب رسول الله في قبره حين الجذب ، ولطلب منه الدعاء والشفاعة ، ولا تستقى به ، ولما احتاج إلى العدول عنه عليه السلام إلى العباس أو غير العباس .

وكذلك أحاديث زيارة القبور والسلام على أهلها ومخاطبتهم لا تدل عندهم على صحة دعوة الأموات . وأحاديث زيارة القبور أحاديث مشهورة لديهم معلومة لهم . ولو كانت تدل عندهم على جواز دعاء أصحاب القبور لاحتجوا بها على جواز التوسل والاستسقاء بالنبي ودعائه وسؤاله ، ولما عدلوا عنه حينئذ إلى سواه في الاستسقاء أو غيره .

وكذلك خطاب النبي في تشهد الصلاة لا يدل عندهم على جواز نداء الموتى وهذاهم . وقد كانوا يقولون في تشهدهم كما علمهم رسول الله : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . ولو كان هذا لديهم مبيحاً لأن يدعى الموتى ويسألوا ، لسألوا النبي ولدعوه ولتوسلوا به واستسقوا بشفاعته إذ أجذبوا .

وكذلك جميع الأخبار والأحاديث الصحيحة الثابتة لا تدل عندهم على إباحة ما يأتيه هؤلاء المبتدعون اليوم وما يقولونه ويلهجون به فوق قبور المشايخ والصالحين من الضراعات والشكايات والأدعية ، وإلا لو كانوا يفهمونها كما يفهمها

هؤلاء المخالفون لدعوا نبهم في قبره ولتوسلوا به واستسقوا حين الجذب وحين
سواه من الأزمات والحاجات .

وكذلك يدل خبر الاستسقاء بالعباس على بطلان الأخبار السالفة في دعاء
من أضل دابة أو شيئاً وأراد عوناً وهو في فلاة من الأرض ، وأنه ينادى ويقول :
« يا عباد الله أعينوني - أو أغثوني » . وقد تقدم الكلام على هذه الأخبار . فلو
كانت ثابتة عن أصحاب النبي وكانوا يعرفونها وبررونها ، وكانت دالة لديهم على
جواز دعوة الأموات والاستغاثة بهم وطلب العون منهم لاستدلوا بها على دعاء
النبي والاستغاثة به في قبره ثم لتوسلوا واستسقوا به يوم أن احتاجوا إلى أن
يستسقوا ويتوسلوا بالعباس .

ولا يخفى على من أنصف الحق من نفسه وهواه وعلمه أنه لا يمكن أن تكون
هذه الأخبار معلومة لأصحاب النبي ، ثابتة عنهم ، وأن تكون دالة لديهم على
ما استدل بها له المخالفون ، ثم لانجدهم يعملون بشئ منها ، لا عند قبره عليه السلام ولا
عند قبر غيره . بل نجدهم يستسقون ويتوسلون بالعباس وبغيره كما استسقى معاوية
ومن معه من الصحابة والتابعين يزيد بن الأسود الجرشى أحد التابعين الصالحاء .
وما فكر أحد منهم في أن يذهب إلى أحد القبور في يوم ما يدعو ويستشفع أو
يتوسل ويستسقى . وهل لهذا سبب غير أنهم لا يعرفون هذه الأخبار المكذوبة ،
وغير أن ما يعرفونه منها لا يدل على ما استدل به عليه هؤلاء المخالفون المصابون
في عقولهم وفي ديانتهم ؟

الفائدة الرابعة ﴿ ٥ ﴾

أن نعلم أن التوسل بالجاه والحق والحرمة والبركة والذات والشخص شئ لا
وجود له بين صحابة النبي وسادات المسلمين ، وشئ لا يعرفونه ولا يقولون به ولا
تلتفتون إليه . فان هذا التوسل لو كان معروفاً عندهم ، وكل من الدين والحق فيها

علموا وتعلموا من دينهم ونبههم لتوسلوا بجاه النبي عليه السلام ، أو بجرمته ، أو ببركته ، أو بذاته ، أو بغير ذلك مما يتوسل به المبتدعون ويزعمونه من الدين . ولكن صحابة النبي ﷺ حمله دينه وشرعته كانوا يعلمون أن الاسلام الذي تلقوه من محمد بن عبد الله رسول الله برئ من هذه الوسيلة ، ومن هذا التوسل الدخيل ، ومن هذا الدعاء الباطل . ولأجل هذا لم يعبثوا به ولم يرجعوا إليه ، بل توسلوا بالعباس لأنه كان يستطيع أن يدعو ويشفع ويستسقى لهم . وهذا هو التوسل الصحيح المشروع . ولم يتوسلوا أو يستسقوا بنبههم عليه الصلاة والسلام في قبره لأنه لا يصح أن يدعى ولا أن يسأل ولا أن يطلب منه شيء بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى . والتوسل الصحيح المشروع بالشخص لا معنى له غير طلب الدعاء والشفاعة والاستشفاع . ولو كان من الدين الذي تلقوه من نبههم التوسل بالذوات والسؤال بالجاهات والحرمان والبركات وغير ذلك ، مما لا يعنى به الدعاء ولا الشفاعة ، لأمكن أن يتوسلوا بنبههم بعد وفاته في قبره عند الاستسقاء وغير الاستسقاء ، ولأمكن أن يقول الفاروق : « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك أيضاً بنبينا . أى بجاهه وجرمته وبركته - فاسقنا » . ولكن كلا لم يقل ذلك ، بل قال : « إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » . وهذا لأنهم كانوا في حياة النبي يتوسلون بدعائه وشفاعته واستسقائه لهم ، أما بعد موته فلا دعاء ولا استسقاء ، لهذا لم يتوسلوا أو يستسقوا به . والتفريق بين الحياة والممات في هذا الأمر يدل دلالة ظاهرة على أن التوسل بالذوات أو بالجاه أو بالحرمة أو بالحق لا يشرع ولا يعرف في الدين ولا عند الصدر الأول من المسلمين ، وإنما هو أمر مبتدع مكذوب في الاسلام .

هذا الحديث
أصل من أصول
الرد على المخالفين
المبتدعين
فحديث الاستسقاء بالعباس الذي عده المخالفون من دلائلهم على مبتدعاتهم
أصل من أصول الرد عليهم وعلى ما ابتدعوه من ضلال وجهل وباطل . وهكذا

الشان في جميع ما استدلوا به : إما شيء ضعيف مكذوب، أو صحيح ولكنه لا يدل لهم ، وإنما يدل على خلاف قولهم كهذا الحديث، وكأحاديث الشفاعة يوم القيامة . وقد تقدم الكلام عليها وتقدم بيان دلالتها على خلاف ما ذهبوا إليه . وكأحاديث زيارة القبور، فإنها في الحق ترد عليهم وتدل على خلاف قولهم . وذلك أن الرسول عليه السلام قد علم أصحابه ما يقولون عند زيارة القبور من الأدعية والسلام والخطاب فكان كل ما فيها ، بلا خلاف ولا اختلاف، دعاء لأصحابها بالسلام عليهم وطلب السلامة لهم ، وسؤال العافية من أجلهم ، ودعاء للزائر نفسه بالعافية وبالنجاة من أسباب الشقاء والشر . . ولا يخرج كل ما في أحاديث الزيارة الصحيحة عن هذين الأمرين : الدعاء لصاحب القبر والدعاء لزاره . وليس في شيء منها لافي صحيحها ولا ضعيفها الأمر بدعاء أصحاب القبور ، أو سؤالهم . أو الاستشفاع بهم ، أو الدعاء بتحقيقهم أو جاههم وحرمتهم أو نحو ذلك من هذه الأمور التي اخترعها المخترعون عند قبور المشايخ والصالحين ، بل وقبور الطالحين الفاسقين . وكذلك ليس في أحاديث الزيارة الأمر بالتمسح بالقبور أو التقبيل لها أو لمسها أو استقبالها أو شيء من هذه الأمور ، بل ما فيها غير الدعاء الذي هو السلام وسؤال العافية والأجر للزائر والمزور .

ولو كان هنالك شيء يشرع : يقال أو يفعل ، حين الزيارة ، لعلم النبي أصحابه ولعلمهم عليه حينما سألوه أن يعلمهم سنة ذلك وما يقولونه وما يفعلونه إذا مازاروا القبور ، فعلمهم الدعاء فقط : الدعاء لأنفسهم وللهوتى . الذين راح المغيرون للإسلام يدعونهم وقد أمروا بأن يدعوا لهم . وما علمهم غير الدعاء شيئاً . وليس يمكن أن يكتم عنهم شيئاً يقربهم من الله يصح أن يفعلوه أو يقولوه حينما يزورون المقابر . وقد كان هو عليه الصلاة والسلام يزور فيقول مثل ما علمهم أن يقولوا لازيادة ولا نقصان .

ومن زعم أن هنالك شيئاً يقال أو يفعل حين الزيارة غير ما في هذه الأخبار النبوية الصحيحة من السلام والدعاء فقد ذهب إلى اتهام النبي ، برأه الله ، بالكتمان والتقصير في البلاغ والبيان . وحاش لله أن يكتنم نبيه شيئاً أو يدخر وسماً في بيانه وبلاغه .

فأخبار الزيارة رد على المخالفين بلا ريب . أما استدلالهم بلفظ الخطاب في قوله : « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون » الحديث . فاستدلال ما أبطله . ذلك أن الخطاب هنا ليس خطاباً حقيقياً يراد به الطلب أو الإسماع ، وإنما هو خطاب تصويري استعجباري يضاهي الخطاب في قول المتشبهين : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . ولا يقول مسلم إن الخطاب في التشهد خطاب حقيقي يراد به الطلب من النبي أو يراد به إسماعه وإعلامه أو نحو ذلك ، لأن الذي يسمع من كل مكان هو الله وحده ، ولا أحد من المخلوق يستطيع ذلك . ويضاهي الخطاب في قول النبي يرئى ابنه إبراهيم : « وإنا بك يا إبراهيم لحزون » . ولا يراد بهذا الخطاب الطلب ولا الإسماع بالاجماع . ويضاهي قول الصديق يرئى نبي الله بعد وفاته : « بأبي أنت وأمي يا رسول الله . لا يجمع الله عليك موتتين » . ويضاهي قول أم العلاء الأنصارية ترئى عثمان بن مظعون : « رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . ويضاهي قول النبي عليه السلام إذا سافر وأقبل الليل : « يا أرض ، ربني وربك الله . أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك » الحديث . رواه أبو داود في سننه . وروى أنه عليه السلام كان يقول إذا رأى الهلال : « هلال خير ورشد . هلال خير ورشد . آمنت بالذي خلقك » . ويضاهي قول نبي الله صالح لقومه بعد ما أهلكوا . « وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربِّي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين » وقال نبي الله شعيب خطاباً لقومه المالكين مثل قول صالح لقومه . وهذا النوع كثيراً جد

كيف تنهم
أحاديث الزيارة
بالنسبة إلى هذا
الحديث

في نصوص الشريعة . أما في كلام الناس شعرا ونثرا فلا يحيط به محيط . وقد تقدم بعض الكلام عليه ، والخطاب في زيارة المقابر من هذا النوع . وخطاب الأموات ، بل والجمادات ليس ممنوعا مطلقا ، وإنما يمنع منه ما كان مشتلا على الطلب وإرادة الإسماع وعلى الرغبة والرهبة . فأحاديث الزيارة مما يحتاج به على المخالفين وليست مما يحتاج به لهم إلا عند الجانبين المحرفين .

وكذلك الحديث المشهور وهو قوله صلى الله عليه وسلم « حياي خير لكم ومماتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم ، فإن وجدت خيرا حمدت الله ، وإن وجدت شرا استغفرت لكم » إن صح . وقد روى مرسل عن بكر بن عبد الله المزني التابعي الثقة ، رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في فضل الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام وروى أيضا موصولا من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام ، رواه البزار ، وقال الحافظ الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، ولفظه عنده في مجمع الزوائد : عن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » قال وقال عليه السلام « حياي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم . ووفاتي خير لكم ، تعرض على أعمالكم . فلو رأيتم من خير حمدت الله عليه ، ومارأيتم من شر استغفرت لكم » رواه البزار ورجالهم رجال الصحيح . وقد تقدم سياق سنده عند البزار . فهذا الحديث إن صح عن النبي كان ردا على دعاة الأموات العاكفين على الأحداث . وذلك أن رسول الله قد أخبر أن أعمال أمته تعرض عليه عرضا : يعرضها الله ، أو تعرضها ملائكته وأنه بعد عرضها عليه إما أن يحمده الله وإما أن يستغفر . وهذا أمر لا بد منه على مافي الحديث سواء أسأله أم لم يسأله ، فسؤالهم إياه لا يجعله يفعل غير ما ذكر في الخبر ، وتركهم سؤاله لا يجعله يترك شيئا مما في الخبر من حمد الله والاستغفار . فسؤاله لا يفعل شيئا ولا يقدم ولا يؤخر ولا يفيد شيئا ، فهو عبث والمبث باطل .

حديث « حياي خير لكم ومماتي خير لكم » باللسان إلى هذا الحديث

والباطل ضديد الحق ، وضديد الحق منهى عنه مذموم . وقوله فيه « تعرض على أعمالكم » صريح في أنه لا يعلمها بنفسه ، وصريح في أننا لا نستطيع نحن أن نعرضها عليه ، وأتينا لو عرضناها لما استطاع أن يعلمها ، فهو لا يسمع دعاءنا ولا استشفاعنا ولا طلبنا الدعاء منه ، ولا ابتهالنا إليه ، ولا لهجنا باسمه ، ولا يعلم شيئاً من ذلك ، لأنه في عالم ونحن في عالم آخر . ولهذا لا يعلم من أعمالنا عملاً إلا بهرضه عليه : بهرض الله أو بهرض ملائكته ، أو بهرض جند من جنده . وإذن لا يصح دعاؤه ولا خطابه لمحاولة إسماعه وإعلامه ، لأنه لن يسمع ولن يعلم من أمرنا شيئاً بواسطتنا نحن .

وقوله « فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت لكم » يدل على أن هذا الاستغفار وهذا الحمد لله أمران من أمور وظائفه التي لا يخل بها ، فلودعونا له لما زاد ذلك في استغفاره وحمده لله شيئاً ، ولو تركناه لما نقص تركنا من ذلك شيئاً . فلا تأثير لدعائه في وظيفته هذه : وظيفة الحمد والاستغفار .

وهذا مثل قوله عليه السلام : « وصلوا على فان صلاتكم تباقى حيث كنتم » وقوله في الخبر الآخر « إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام » ومعنى الخبرين أنه عليه السلام يبلغ صلاة أئمة وسلاهما عليه حيث كانوا ، وحيث كان حين يصلون وحين يسلون ، وإن كان لا يسمع ذلك من المصلين المسلمين . وهذا لا يقضى شيء منه بأن يدعى وأن يستشفع به وأن يطلب الدعاء منه . ومثله أن الملائكة يصلون على المؤمنين ويدعون لهم ويسألون الله من أجلهم الغفران والتقريب من الجنة والإبعاد من النار . وهذه إحدى وظائف الملائكة ، ولكن مع ذلك لا يجوز دعاؤهم ولا سؤالهم هذا الذي يسألونه ربهم للمؤمنين ولا طلب الشفاعة والدعاء منهم ، كما تقدمت الدلائل . ومثل هذا أيضاً أن النبي عليه السلام يوم أن كان حياً كان كذلك يدعو للمؤمنين ويستغفر لهم ويصلي عليهم . وسأل ربه لهم كل ضرر وبأس وإسعاد وفلاح ، وكل أسباب الخير والنجاة . ومع

ومثل هذا دعاء
الملائكة للمؤمنين
واستغفارهم لهم

هذا كله ما كان يصح لمن كان بعيداً عنه أن يطلب ذلك منه : فما كان يصح لمن كان في مكة أن يخاطبه وهو في المدينة وأن يقول له ادع الله لي أو استغفر من أجلي أو نحو ذلك ، فضلاً عن أن يسأله هداية قلبه أو غفران ذنبه أو شفاء من مرضه أو إنقاذه من بلوى حلت به . ولو أن أحداً فعل ذلك لعد من الطبايين الجاهلين المؤخذين . فكيف بمن فعل ذلك بعد انتقاله عليه الصلاة والسلام إلى العالم الآخرى ، إلى الرفيق الأعلى ، إلى عالم الخلود والنعيم ؟ فهذا الحديث ، وهو من براهين المخالفين ، لو صح ، كان من الحجج عليهم ومن الدلائل القوية على بطلان دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب الأشياء منهم : وهكذا جميع الأخبار الصحيحة التي يحتاجون بها ما لها عند التحقيق وإعطاء الفهم حقه أن تكون حججاً عليهم .

وكذلك الآيات التي يحاولون التعلق بها : فمثلاً هم يحتاجون بقوله تعالى « أحياء عند ربهم يرزقون » الآية النازلة في الشهداء . والآية عند التأمل رد عليهم . وذلك أنها قد أخبرت أنهم أحياء عند ربهم لا عندنا ولا عند دعاةهم ولا عند دعاة الأموات . ومعنى ذلك أنهم مقيمون في السماوات ، مستقر الأرواح العاهرة الصالحة ، وأوى الملائكة والمقر بين من الأنبياء والرسل والصالحين . وإذا كان ذلك كذلك فلا يمكن دعاؤهم ، ولا الاتصال بهم ، ولا محاولة إسماعهم وإدلائهم ، لأنهم فوق ما فوق السماوات في أعلى عليين . فلا يستطيع حينئذ أهل الأرض أن يتصلوا بهم بوجه من وجوه الاتصال التي يحاولها اليوم دعاة الأموات المبدعون الضالون . وهم حينما كانوا أحياء في الأرض لم يكونوا يدعون ويسألون في منيبتهم ، ولم يكن يطلب منهم الفوت والمدد إلا في حضورهم . فما كان المسلمون يدعون نبيهم ولا يخاطبونهم ولا يسألونه في غيبته أو غيبتهم هم شيئاً ، ولا كانوا يذكرون في هذا . ولو أن أحداً دعاه ﷺ في منيبتهم وقت حياته لعد من

الآيات التي يحتاج بها المخالفون بالنسبة إلى هذا الحديث

الجهلاء الضلال . فدعوة الحى الغائب ممنوعة باطلة ، غير ممكنة ولا جائزة ولا مشروعة . فدعوة من هم أحياء عند ربهم حياة برزخية غيبية فى أعلى عليين أحق بالمنع والبطلان والتحرير .

فآية حياة الشهداء التى يستدلون بها على جواز دعوة الأموات هى فى الحق وعند التأمل الصحيح الخالص تدل على خلاف ما ذهبوا إليه ، وخلاف ما قالوه ، أى تدل على بطلان دعوة الموتى وعلى تحريم الاتصال بهم وتحريم سؤالهم واستجدهم .

وهم يحتجون أيضاً بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة » على جواز ما يذهبون إليه وما يقولونه من الباطلات والخرافات كالاستغاثة بالأموات ودعائهم . والآية فى الحقيقة صريحة فى فساد مذهبهم . وذلك أن الوسيلة فى نص الآية إما أن يراد بها الأنبياء والأولياء والصالحون - وهؤلاء وسائل عند عبدة القبور - وإما أن يراد بها القرب إلى الله والتقرب إليه وإلى مرضيه . أما الاحتمال الأول فباطل من نفس الآية . وذلك أنها تقول : « وابتغوا إليه الوسيلة » . فلو كانت الوسيلة هى من يدعى من الأنبياء والصالحين والمشايخ لكانت الآية أمراً بابتغاء هؤلاء الصالحين المدعوين ، والابتغاء معناه الطلب . فإذا كانت الوسيلة هى من يدعى من الصالحين - والابتغاء هو الطلب - كان معنى الآية هكذا : « اتقوا الله واطلبوا إليه الصالحين » . وهذا لا معنى له بلا ريب . وكلام الله يجمل عن أمثاله . ولو كان هذا هو المراد من الآية الكريمة لقل فيها : « وابتغوا من الوسيلة » . أو « وتقربوا بالوسيلة » . أو « وتوسلوا بالوسيلة » أو نحو ذلك . فلاحتمال الأول لا يمكن أن يكون مراداً بالآية وبالوسيلة فيها يقيناً . وأما الاحتمال الثانى - وهو أن يكون المراد بالوسيلة القرب والتقرب إلى الله - فهذا هو التفسير الصحيح للآية كما تقدم .

فالأية إذن أمر بالتقرب إلى الله ، والتقرب إليه تعالى غير التقرب إلى
الأموات وإلى المشايخ والصالحين ، بل الأمر بالتقرب إليه تعالى ينافي اتخاذ
الوسائط والوسائل من الخلق ومحاولة التقرب إليها والتقرب بها . فالأية إذن
رد على عبدة القبور ، نقض لما زعموه وادعوه . وهكذا جميع الآيات وجميع
الأحاديث الصحيحة التي يحتجون بها ، هي عند التأمل الصائب القوي رد عليهم
وإبطال لما يزعمونه ويدعونه . وبالله التوفيق .



﴿ كتاب ﴾

﴿ فصل الخطاب، في تحريف كتاب رب الأرباب ﴾

وقع لي أخيراً كتاب ألفه أحد شيوخ الشيعة، الامامية، الاثنا عشرية،
سماه « فصل الخطاب، في تحريف كتاب رب الأرباب ». والكتاب مطبوع
طبعة حجرية، كأنه مطبوع في فارس أو في الهند. قال في أوله: « الحمد
لله الذي أنزل على عبده كتاباً جعله شفاء لما في الصدور، ومهيمناً على التوراة
والانجيل والزبور، والصلاة والسلام على حامله نور النور، والبيت الرفيع المعمور
محل تدبير الأمور، ومالك أزمة النشور^(١) محمد المنتخب في عالم السرور،
وعلى آله الصنف الناطقة بكل غائب ومستور، والزبر المحنوية لما يكون أو
مضى في سالفات الدهور^(٢) ومصاييح الأنام في ظلمات الفرو، ومفاتيح
خزانة العلم المسطور، في رق منشور، خصوصاً على مختلف الملائكة في الأصال
والبكور^(٣) القطب الذي على مدار وجوده الأفلاك تدور، المشرق نوره في
قلوب مواليه، المحتجب عن أعين كل عديم الشعور، إلى يوم ينفتح في الصور،
ويبعث من في القبور^(٤) وبعد فيقول العبد المذنب المسمى: حسين بن محمد تقي
النوري الطبرسي - جعله الله من الواقفين ببابه، المتمسكين بكتابه: هذا
كتاب لطيف، وسفر شريف، عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل
الجور والعدوان، وسميته « فصل الخطاب، في تحريف كتاب رب الأرباب »

(١) النشور: البعث. يعني أنه عليه السلام مالك يوم القيامة

(٢) يعني أن آل النبي طالعون بجميع القيوب: الماضية والآتية

(٣) مختلف الملائكة مكان اختلاطهم أي إتيانهم وذماهم ويريدون أن علياً يوحى إليه

(٤) هذه العبارات تأليه ظاهر لعلي بن أبي طالب.

مذهب الشيعة
في تحريف
القرآن

وجعلت له ثلاث مقدمات وبابين ، وأودعت فيه من بدائع الحكمة ما تقر به كل عين . وأرجو ممن ينتظر رحته المسهونون ، أن ينفعني به في يوم لا ينفع مال ولا بنون . . . » .

وقال في ختام الكتاب : « . . . وقد حان لنا أن نعطف عنان القلم ، إلى حمد من علم الانسان ما لم يعلم ، وأودع في قلوبهم طرائف الحكم ، وتتوسل بالصلاة على النبي الأكرم ، والفاتح الخاتم البعث على طوائف الأمم ، وعلى آله أولياء النعم ، ومصاييح الظلم ، وأسرار السجود لآدم . وقد فرغ من تنميق هذه الأوراق ، رجاء الانتفاع بها يوم يكشف عن ساق ، العبد المذنب المسيء المنسي ، حسين بن محمد بن تقي النوري الطبرسي ، في مشهد مولانا أمير المؤمنين . شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٩٢ من الهجرة النبوية . . . » .

وقد ختم الكتاب بهذه العبارة : « وقد فرغت من تسويد هذا الكتاب العال ، بمون الملك المتعال ، في ثاني عشر شهر شوال من شهور سنة ١٢٩٨ من الهجرة المقدسة النبوية ، على مهاجرها آلاف الثناء والتحية ، وأنا العبد العاصي الفاني ابن مرحوم ميرزا سيد محمد بن رضا أحمد الطباطبائي غفر الله لي ولأبي وأبي بجاه محمد وعلي . سنة ١٢٩٨ » .

والكتاب - كما يدل اسمه - موضوع للتدليل على أن القرآن محرف أنواع التحريف كلها ، بالزيادة ، والنقصان ، والترتيب ، والتبديل . وقد ذكر الدلائل على كل هذا من روايات الشيعة ، الامامية ، الاثنا عشرية في كتبهم عن أئمتهم . وقد زعم أن القول بالتحريف من ضروريات مذهبهم ، ومما تواترت دلائله . ونحن في هذا الفصل ننقل بعض ما جاء في هذا الكتاب الشنيع إتماماً للغرض الذي قصدناه وأردناه .

وولهم في الزيادة قال صفحة ١٢٢ « اعلم أن وجود أصل الزيارة مقطوع به في كلمات أكثرين

حتى من المنكرين للتحريف ، كالصديق وأتباعه . والأخبار فيه متواترة ،
وستقف عليها . . . » .

وقال صفحة ٢٣٦ « روى الثقة الجليل محمد بن مسعود العياشي في تفسيره
باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص
ما خفي حقنا على ذي حجب . ولو قام قائمنا فنطق صدقه القرآن . قال المحدث
البحراني في « الدرر النجفية » : يمكن حل الزيادة في هذا الخبر على التبديل حيث
إن الأصحاب ادعوا الإجماع على عدم الزيادة ، والأخبار الواردة في هذا مع
كثرتها ليس فيها ما هو صريح في الزيادة . فتأويل الخبر بما ذكرنا لا بعد فيه .
انتهى . وهو حسن ، إلا أنه تأتي الإشارة إلى زيادة بعض الحروف . ويأتي ذكره
في محله . وعن الصادق : لو قرئ القرآن كما أنزل لألفينا فيه مسبين . وقال
أبو عبد الله : إن في القرآن ما مضى وما يحدث ، وما هو كائن . كانت فيه أسماء
الرجال فالتقيت . وإنما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى ، يعرف ذلك الوصاة .
وعن أبي جعفر قال : إن القرآن طرح منه آي كثير ، ولم يزد فيه إلا حروف
أخطأت بها الكتبة وتوهمتها الرجال . وروى محمد بن إبراهيم النعماني في « غيبته »
باسناده عن علي بن أبي طالب قال : كأنني بالمعجم^(١) في فساطيطهم في مسجد
الكوفة ، يعلون الناس القرآن كما أنزل . قلت : يا أمير المؤمنين : أليس هو
كما أنزل ؟ فقال : لا ، محي منه سبعون من قریش بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وماترك
أبو لهب إلا للإزراء على رسول الله لأنه عمه . . . » .

تحريم الشيعة
على النار

وقال صفحة ١٥٦ « روى فوات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره باسناده قال
علي بن موسى الرضا عليه السلام : والله لا يرى في النار منكم اثنان أبدا ، لا والله
ولا واحد . قال : قلت أصلحك الله أين هذا من كتاب الله ؟ قال هو في سورة

(١) هذه الرواية مريضة في أن بناء المذهب الشيعي العالي من الألفاظ

الرحمن في قوله تبارك وتعالى « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه منكم إنس ولا جان » . قال : قلت : ليس فيها « منكم » قال : بلى والله ، إنه لمنبت فيها ، وإن أول من غير ذلك لابن أروى . وروى أحمد بن محمد السيارى في كتاب القراءات بالاسناد عن الرضا قال : لا يرى في النار منكم اثنان ، لا والله ولا واحد . ذلك في كتاب الله . قلت : أين هو من كتاب الله ؟ فسكت عنى حولاً ، ثم اجتمعت معه في الطواف فقال : ما أذن لى إلا الساعة ، قال الله تبارك وتعالى « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه منكم إنس ولا جان » قلت : ليس « منكم » قال : بلى والله ، يحاها . وروى . وروى الصدوق في « بشارة الشيعة » ، على ما في تفسير البرهان للسيد المحدث التوبلى باسناده عن الرضا عليه السلام قال : لا يرى منكم في النار اثنان ، لا ولا واحد ، قلت : أين ذا من كتاب الله ؟ فأمسك عنى سنة ، قال : فأتى معه في الطواف ذات يوم إذ قال : أذن لى في جوابك عن مسئلتك كذا ، قلت : فأين هو في القرآن ؟ قال في سورة الرحمن وهو قول الله « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه منكم إنس ولا جان » فقلت له : ليس فيها « منكم » قال : إن أول من غيرها ابن أروى . وذلك أنها حجة عليه وعلى أصحابه . ورواه الشيخ شرف الدين النجفى في تأويل الآيات عن الصدوق مثله . وأروى هي أم عثمان بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس .

وقال صفحة ٢٥٠ في الدليل الثانى عشر الأخبار الواردة في الموارد المخصوصة من القرآن ، الدالة على تغيير بعض الكلمات والآيات والسور بأحدى الصور المتقدمة ، وهى كثيرة جداً حتى قال السيد نعمة الله الجزائرى في بعض مؤلفاته كما حكى عنه : إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفى حديث . وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد ، والمحقق ، والعلامة المجلسى ، وغيرهم ، بل الشيخ أيضاً صرح في « التبيان » بكثرتها ، بل ادعى تواترها جماعة يأبى ذكرهم في آخر

تواتر أخبار
التحريف عند
القوم

البحث . ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة ، ونبين في آخرها ضعف بعض الشبهات التي أوردتها جماعة . واعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية » .

ثم بعد هذا من صفحة ٢٥٢ إلى صفحة ٣٥٠ ذكر القرآن سورة سورة ، وأورد ما اطلع عليه مما حذف منه على زعمهم ناقلاً لذلك من كتب أسلافه . الشيعة ، الامامية ، الاثنا عشرية .

قال فيما حذف من سورة البقرة : روى ثقة الاسلام الكليني عن الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في قَاتُوا بسورة من مثله » . وروى الكليني أيضاً عن أبي جعفر أيضاً قال نزل جبريل بهذه الآية هكذا : « فبدل الذين ظلموا آل محمد حقهم قولاً غير الذي قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا آل محمد حقهم وَجَزَاءٌ مِنَ السَّمَاءِ بما كانوا يفسقون » . وذكر هذا أيضاً عن جماعات من شيوخ الشيعة . قال : وروى الكليني عن أبي عبد الله في قول الله : « واتبعوا ما تنزل الشياطين بولاية الشياطين على ملك سليمان » .

وقال في سورة آل عمران : هكذا نزل قول الله : « إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين » . ونقل هنا رأيين أحدهما يقول : إن كلمة « آل عمران » لم تكن موجودة ، وإنما كان الموجود مكانها « آل محمد » ، فأزالوا آل محمد ووضعوا « آل عمران » بدلها . فتكون الآية مبدلة محرفة . والرأي الآخر يقول : إن كلمة « آل عمران » كانت موجودة وكان بعدها آل محمد فأزالوا آل محمد . وعلى هذا الرأي فالذي في الآية نقصان . قال : وروى على .

(٥٥)

ابن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن سنان قال : قرأت على أبي عبد الله عليه السلام : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فقال أبو عبد الله : خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ! فقال القارئ : جعلت فداك كيف نزلت ؟ قال « كنتم خير أمة أخرجت للناس » . ألا ترى مدح الله لهم « تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله »^(١) . قال : وروى النعماني في تفسيره عن الصادق عن أمير المؤمنين أنه قال : وأما ما حرف من كتاب الله فقوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » فحرفت إلى « خير أمة » الخبير وهو طويل . وفي المجلد التاسع عشر من البحار : روى مشايخنا عن أصحابنا عن أبي عبد الله قال : قال أمير المؤمنين - وساق الحديث إلى أن قال : باب التحريف في الآيات التي هي خلاف ما أنزل الله مما رواه مشايخنا من العلماء عن آل محمد قوله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . فقال أبو عبد الله لقارئ هذه الآية : ويحك « خير أمة » يقتلون ابن رسول الله ؟ قلت : جعلت فداك فكيف هي ؟ فقال أنزل الله : « كنتم خير أمة » ألا ترى مدح الله لهم : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . فسحبه لهم دليل على أنه لم يعن الأمة بأسرها ، ألا ترى أن الأمة الزناة ، واللاطمة ، والسراق وقطاع الطريق ، والظالمين ، والفاسقين^(٢) أفترى الله مدح هؤلاء وسام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟ كلا ، ما مدح هؤلاء ولا سام أخياراً بل هم الأشرار . قال : وقال علي بن إبراهيم فيه قوله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » . قال أبو عبد الله : ما كانوا أذلة

(١) ومعنى هذا أن المسلمين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ولا يؤمنون بالله

(٢) كذا بالنصب ، وكذا عم الأمة بأنها الأصناف الفاسقة التي ذكرها . والاستدلاله

سخيف لانتا اذا قلنا : للعرب نصرنا الاسلام والنبي لم نمن كل مربي -

وفيه رسول الله . وإنما نزل : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء » . وقال في قوله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » قال أبو عبد الله : إنما أنزل الله : « لك من الأمر شيء » . وعن محمد ابن جمهور عن بعض أصحابنا قل : تلوت بين يدي أبي عبد الله هذه الآية « ليس لك من الأمر شيء » فقال : بلى وشيء ! وهل الأمر كله إلا له ؟ قال : وروى النعماني بالسند المتقدم عن أمير المؤمنين : وقال سبحانه في سورة آل عمران : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون لآل محمد » فخذفوا آل محمد .

وقال في سورة النساء : وعن البرقي عن الديلمي عن داود الرقي قال قال أبو عبد الله : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ؟ فقد آتينا آل إبراهيم وآل عمران وآل محمد الكتاب والحكمة ، وآتيناهم ملكاً عظيماً » ثم قال : نحن والله الذين ذكركم الله في كتابه ، ونحن والله المحسودون ثلاثاً . قال : وروى ثقة الاسلام في روضة الكافي بالإسناد عن أبي الحسن في قول الله : « أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب » قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ^(١) . قال : وروى السيارى عن أبي عبد الله « يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول ، وظلوا آل محمد حقهم لوتسوى بهم الأرض ولا يكتفون الله حديثاً » . قال وعن علي بن إبراهيم بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال : « ولو أنهم إذ ظلوا أنفسهم جاءوك يا علي فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً » هكذا نزلت . قال : وروى ثقة الاسلام عن العدة عن أبي عبد الله في هذه الآية : « ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت في أمر الولاية ويسلموا لله الطاعة تسليماً » . وروى العياشي

(١) كذا ذكرها الآية مريدة ومنقوصة .

المهدي من
سورة النساء

عن جابر عن أبي جعفر : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضى محمد وآل محمد ويسلموا تسليماً » . وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي عن أبي عبد الله قال : والله لو أن قوماً هبوا الله وحده لا شريك له ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وحجوا البيت ، وصاموا شهر رمضان ثم لم يسلموا لنا لكانوا بذلك مشركين . . . ثم قرأ : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم مما قضى محمد وآل محمد » . وروى ثقة الاسلام عن أبي عبد الله : « ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم وسلموا للإمام تسليماً أو أخرجوا من دياركم رضاه ما فعلوه إلا قليل منهم . ولو أن أهل الخلاف فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً » . قال : وروى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا : « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية على فآمنوا خيراً لكم ، وإن تكفروا بولايته فإن الله ما في السموات والأرض » .

وقال في سورة المائدة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » قال : إن الرسول عليه الصلاة والسلام عقد لعل عليهم بالخلافة في عشرة مواطن ثم أنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود التي عقدت عليكم لأئمة المؤمنين صلوات الله عليه » . قال : وروى ابن شهر آشوب في المناقب كما في البحار عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده في قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في على وإن لم تفعل فذبناك عذاباً أليماً » فطرح عدوى اسم على عليه السلام ^(١) .

وقال في سورة الأنعام : وعن أبي عبد الله في قوله : « والله ربنا ما كنا » ^(٢) . وقد ذكرنا روايات كثيرة . وفي هذا الدليل ما يدل على أنهم يصلون على بن أبي طالب على رسول الله بل ، كأنهم يرونه خادماً له .

المحدوف من
سورة المائدة

ما ذكره في
سورة الأنعام

مشركون بولاية علي . قال وروى الكليني بإسناده عن أبي الربيع الشامي قال سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى : « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » فقال : الورقة : السقط ، والحبة ، الولد ، وظلمات الأرض : الارحام ، والرطب ما يحيا الناس به واليابس ما يئيط ، وكل ذلك في إمام مبين . ثم ذكر عن الخاصة والعامة أن الامام المبين هو علي بن أبي طالب .

وقال في سورة الأعراف : إن الله أنزل هذه الآية هكذا : « وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم » ومحمد رسولى وعلى أمير المؤمنين . وهنا ساق روايات كثيرة .

وقال في سورة براءة : روى العياشى عن عبد الله بن محمد الحجل قال : كنت عند أبي الحسن الثاني وهى الحسن بن الجهم فقال له الحسن : إنهم يحتجون علينا بقول الله : « فأنزل الله سكينته على رسوله » وما ذكره (يعنى أبا بكر) بخير فيها . قال قلت جعلت فداك هكذا تقرأونها ؟ قال هكذا قرأتها . وعن زرارة قال أبو جعفر « فأنزل الله سكينته على رسوله » ألا ترى أن السكينة إنما نزلت على رسوله : « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » فقال هو الكلام الذى تكلم به عتيق^(١) . وروى الكليني بسنده عن الرضا : « فأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنود لم تروها » هكذا تقرأونها وهكذا تنزيلها : وروى السيارى عن أبي عبد الله قال قال أبو جعفر : « فأنزل الله سكينته على رسوله » فقلت له « عليه » فقال « على رسوله » ، ألا ترى أن السكينة نزلت على رسول الله . وعن أبي جعفر أنه قرأ « فأنزل الله سكينته على رسوله » وأيده بروح القدس منه .

(١) عتيق هو أبو بكر الصديق ، فهو الذى كفر وجعل كلمة السفلى عند الشيعة .

ما ذكرنا في
سورة الأعراف
وبراءة

قلت : ليس هكذا نقرأها ، قال : لا ، هكذا فقرأها لأن تنزيلها هكذا .
قال الرافضى : وللاصحاح كلام طويل فى المقام فى استهجان عود الضمير
« عليه » إلى الصحاب . قال : والآية تدل على عدم إيمان الصحاب . والعامه
قبهم الله يفتخرون بها حتى إني رأيت بعض مصاحفهم كانت الآية المذكورة
مكتوبة فيها بماء الذهب . قال : وروى السيارى عن أبى عبد الله أنه قال : « ويلك »
من كتاب الله . وعن مثالب بن شهر اشوب عنهم عليهم السلام أن الآية المذكورة
هكذا « ويلك لا تحزن » . قال : وروى الكلينى قال : قرأ رجل عند أبى
عبد الله عليه السلام « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ، فقال :
ليس هكذا وإنما هى : « والمؤمنون » ونحن المؤمنون . قال : وروى على بن
إبراهيم قال نزلت : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين ^(١) » لأن النبى لم يجاهد
المنافقين بالسيف قال الطبرسى : وروى فى قراءة أهل البيت « جاهد الكفار
بالمنافقين » قالوا عليهم السلام لأن النبى لم يقاتل المنافقين ، وإنما كان يتألفهم ،
لأن المنافقين لا يظهرون الكفر

وقال فى سورة الرعد : كان التنزيل هكذا : « إنما أنت منذر ، وعلى لكل
قوم هاد ^(٢) » . وروى شمس الدين محمد بن بديع الرضوى فى الحبل المتين فى
تفسير كازر والمولى فتح الله فى سياق الآيات المحرفة : وفى سورة الرعد : « إنما
أنت منذر للعباد ، وعلى لكل قوم هاد »

ما ذكره فى
باقى سور القرآن

وقال فى سورة الحجر : روى الكلينى بالإسناد ، عن أبى عبد الله قال :
« هذا صراط على مستقيم » . وقد أورد هنا روايات كثيرة
وقال فى سورة النحل : وعن أبى جعفر عليه السلام قال : أنزلت هذه الآية

(١) إيمان بالمنافقين الصحابة الذين كانوا يقاتلون مع رسول الله الكفار

(٢) ولا شك ان الهادى لكل قوم أفضل ممن هو منذر فقط -

هكذا : « وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في على قالوا أساطير الأولين ». وهذا ذكر عدة روايات . قال : وروى النعماني في تفسيره بالاسناد المتقدم عن أمير المؤمنين في سياق الآيات المحرفة : ومنها قوله تعالى في سورة النحل : « أن تكون أئمة هي أزكى من أئمتكم » فجعلوها « أمة » . وذكر هنا جملة روايات .

وقال في سورة الاسراء : عن أبي جعفر قال : « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك في على » . وقد ساق هذا عن غير واحد من شيوخهم وعن غير كتاب من كتبهم . قال : وروى العياشي بالاسناد عن أبي جعفر قال نزل جبريل بهذه الآية على محمد هكذا : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين آل محمد حقهم إلا خساراً » . وروى محمد بن عباس بالسند عن أبي عبد الله قال نزل جبريل بهذه الآية هكذا « فأبى أكثر الناس بولاية على إلا كفوراً » .

وقال في سورة الكهف قال أبو عبد الله عليه السلام نزلت هذه الآية هكذا : « وقل الحق من ربكم في ولاية على فن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر إنما أعتدنا للظالمين آل محمد نارا أحاط بهم سرادقها » . وقد أورد هنا جملة أخبار .

وقال في سورة (طه) : وعن أبي الحسن : موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال سمعت أبي يقول : « وعنت الوجوه لحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلماً لآل محمد ﷺ » هكذا نزلت . وروى السيارى بالسند عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمت في محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم ففسى » هكذا والله نزلت .

وقال في سورة الأنبياء : وروى السيارى بالاسناد عن عمير وجابر : « وأسروا

النجوى الذين ظلموا آل محمد حقهم : هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ أفأنتم السجر وأنتم تبصرون »

وقال في سورة (الفرقان) : روى على بن إبراهيم بالسند عن أبي جعفر قال نزل جبريل بهذه الآية هكذا : « وقال الظالمون لآل محمد حقهم : إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً » . وروى السيارى بالسند عن أبي عبد الله أنه قال نزل جبريل بهذه الآية على رسول الله هكذا وإنما لى مصحف على جن أبي طالب : « ليتنى لم آخذ زفر خليلا » . وعن البرقي عن خلف عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال : إن فى الكتاب لتغيراً كبيراً ، فإن الله سبحانه قد سمى رجلاً باسمه فقال القوم : « ليتنى لم آخذ فلاناً خليلاً » فكنوا عن اسمه وسيظهر يوماً . وعن أبي جعفر : « وبوم يضض الظالم على يديه يقول ياليتنى آخذت مع الرسول سيلاً . يا ويلتنا لا ليتنى لم آخذ زفر خليلاً » يقول الأول للثاني ^(١)

وقال في سورة الأحزاب : روى على بن إبراهيم بالسند عن أبي عبد الله فى قوله تعالى : « ومن يطلع الله ورسوله فى ولاية على والأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً » هكذا نزلت

وقال من سورة التحريم : عن أبي عبد الله ، « إن تتوبا إلى الله مما همتما به من السحر قد زاخت قلوبكما »

وقال فى سورة الملك : روى السيارى بالسند عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عن قول الله : « إن أهلكنى الله ومن معى » قال هذه الآية مما حذفوه وغيروا وبدلوا ، فإن الله عز وجل لا يهلك محمدًا رسولاً ولا من كان معه من المؤمنين وهو خير ولد آدم ، ولكن قال الله : « أرايتم إن أهلككم الله جميعاً ^(٢) » ورحمنا

(١) أى يقول أبو بكر لعمر . فالظالم فى الآية هو الصديق وزفر هو الفاروق

(٢) هذا يدل على أنهم يكفرون جميع الصحابة المخاطبين بالقرآن

فمن يجبركم من عذاب أليم ؟

وقال في سورة « الجن » : عن محمد بن أبي بكر بالاسناد عن أبي جعفر في قوله تعالى « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » قال هم الأوصياء والآئمة منا واحد فواحد : « فلا تدعوا إلى غيرهم فتكونوا كن دعا مع الله أحداً » هكذا نزلت .

وقال في سورة المزمل : روى الكليني بالاسناد عن محمد بن الفضيل قلت : « واصبر على ما يقولون فيك واهجرهم هجرًا جميلًا وذرنى باسمحمد والمكذبين بوصيك أولى النعمة » قلت : إن هذا تنزيل ؟ قال : نعم .

لماذا سميت
الشيعة تراباً

وقال في سورة (النبأ) : روى الشيخ الجليل محمد بن إبراهيم النعماني في تفسيره عن الصادق عن أمير المؤمنين في أمثلة الآيات المحرفة قال عليه السلام : ومثله : « ويقول الكافر ياليتني كنت ترابياً » فحرفوها فقالوا « تراباً » . وذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يكثر من مخاطبتي بأبي تراب . وهنا أورد روايات كثيرة ، قال : وقال العلامة المجلسي في تاسع بحاره : يمكن أن يكون ذكر الآية لبيان وجه آخر لتسميته بأبي تراب لأن شيعته لكثرة تذلهم له وانقيادهم لآمره سموا « تراباً » كما في الآية الكريمة ، ولكونه قائمهم ومالك أمورهم^(١) . أبو تراب (كذا في النسخة المطبوعة) . ويحتمل أن يكون استشهاداً لتسميته بأبي تراب ، أو لأنه وصف به على جهة المدح لآعلى ما يزعمه النواصب لعنهم (كذا) حيث كانوا يصفونه به استخفافاً . فالمراد بالآية : « ياليتني كنت ترابياً » . والأب يسقط في النسبة مطرداً وقد تحذف الياء أيضاً كما تقول : تميم وقريش لبلنهما . . .

(١) وهذا تصريح من القوم جرى تأليفهم علياً واعتقادهم أنه مالكهم ومالك أمورهم . وهذا كثير في كلامهم .

وقال في سورة « التكوير » : إن قوله تعالى : « وإذا المودة سئلت »
محرقة عن : « وإذا المودة سئلت » قال : ويراد بها مودة أهل البيت المضية .
وقال في سورة الليل قال قرأ أبو عبد الله : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا
تجلى ، الله خلق الزوجين : الذكر والأنثى ، ولعل الآخرة والأولى » قال هكذا
نزلت . قال : وعن يونس بن علي بن أبي حمزة عن فيض بن المختار عن أبي
عبد الله أنه قرأ : « إن علياً للهدى ، وإن له للآخرة والأولى ^(١) » وهنا ذكر
روايات كثيرة .

الآخرة
والأولى لعل بن
أبي طالب

وقال في سورة الانشراح : إن القرآن هكذا : « ألم نشرح لك صدرك
بعلی ووضعنا عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك ، بعلی
صبرك . فاذا فرغت من نبوتك فانصب علياً وصياً ، وإلى ربك فارغب
في ذلك » .

وقال في (سورة) القدر : إن السورة هكذا نزلت : « إنا أنزلناه في ليلة
القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ! ليلة القدر خير من ألف شهر يملكها بنو أمية
ليس فيها ليلة القدر ، تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم من عند ربهم على
محمد وعلى أوصيائه محمد وعلى آل محمد بكل أمر » .

وقال في سورة الكوثر : إنها نزلت هكذا : « إنا أعطيناك الكوثر ، فصل
لربك وانحر ، إن شئت لك عمرو بن العاص هو الأبر » .

هذه أشياء يسيرة قليلة من الأشياء الكثيرة التي نقلوها في كتاب « فجل
الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب » وزعموها من كلام الله . وقد ذكر
صفحة ١٨٥ كلاماً طويلاً على اعتباره سورة من السور المحنوقة قال : قال صاحب
(١) ولا ريب في أن هذا كفر بواح لسوء هاتئ .

كتاب « بستان المذاهب » بعد ذكره أصول عقائد الشيعة مامعناه : و بعضهم يقولون : إن عثمان أحرق المصاحف وأتلف السور التي كانت في فضل علي وأهل بيته عليهم السلام منها هذه السورة :

كلام ترممه
الشيعة سورة
محدودة من
القرآن

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم ، نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم . إن الذين يوفون بعهدي الله ورسوله في آيات لهم جنات النعيم ، والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدوا الرسول عليه يقذفون في الجحيم ، ظلّموا أنفسهم وعصوا الوحي الرسول ^(١) أولئك يستقون من حميم . إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء ، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . قد مكر الذين من قبلهم برسولهم فأخذتهم بمكرهم . إن أخذك شديد أليم : إن الله قد أهلك عاداً وثموداً (كذا بالتنوين) بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون . وفرعون بما طغا على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آيته (كذا) وإن أكثركم فاسقون ، إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون . إن الجحيم مأواهم ، وإن الله عليهم حكيم . يا أيها الرسول بلغ إنذارى فسوف يعلمون . قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكي معرضون ^(٢) مثل الذين يوفون بعهدي إني جزيتهم جنات النعيم ^(٣) إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم ، وإن علياً من المتقين ، وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ، مانحين عن ظلمه بفاقلين ، وكرمانا على أهلك أجمعين ،

(١) وهذا ليس على أنهم يعتقدون علياً رسولاً مع الرسول أو هو الرسول .
(٢) كذا بالواو والتنوين . (٣) مثل هذه التراكيب الركيكة لا يقولها عربي إهدأ فضلاً عن أن يقولها الله تعالى عن ذلك . ولا شك أن هذا الكلام من تأليف الأعجماء الجهلاء بلفظ العرب . وهذا يتقوى ما ذكرناه من أن مذهب الشيعة من وضع الجحيم دون العرب .

فانه وذريته لصابرون ، وإن عدوهم إمام (شكلت الميم بالنصب) المحرمين ، قل
للذين كفروا بعد ما آمنوا : أطلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها وليسيتم
ما وعدكم الله ورسوله وتعضتم اليهود من بعد توكيدها . وقد ضربنا لكم الأمثال .
لعلكم تهتدون . يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه
مؤمننا ومن يتولاه من بعدك يُظهرون . فأعرض عنهم إثمهم معرضون (ما معنى هذا
الخراب ؟) إنا لهم محضرون (شكاهه بفتح الضاد) في يوم لا يغني عنهم شيء
ولا هم يرجعون . إن لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون . فسبح باسم ربك وكان
من الساجدين . ولقد أرسلنا مومتي وهارون بما استخلف فيبغوا هارون (ما معنى
هذا ؟) فصبر جميل ، فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون . فاصبر
فسوف يبصرون . ولقد آتينا بك الحكم (كذا) كالذين من قبلك من المرسلين .
وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون . ومن يتول (وضعوا كسرة تحت اللام)
عن أمري فأني مَرَجَمَةٌ (كذا شكاهه) . فليتمتعوه بكفرهم قليلاً فلا تسأل
عن النا كثنين . يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً نفهم
وكن من الشاكرين . إن علينا قاتلاً بالليل ساجداً (كذا) يحذر الآخرة ويرجو
ثواب ربه . قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعبادي يفعلون (يستوون هم ومن
أيها العلماء) سيجعل الاغلال في أعناقهم وهم على أعماهم يندمون (كذا
كسرت الدال) إنا بشرناك بذريته الصالحين وإنهم لأمرنا لا يخلفون (كذا
ضبطوه) فعليهم منى صلوات ورحمة أحياء وأموات يوم يبعثون ، وعلى الذين يبنون
عليهم من بعدك غضبي ، إنهم قوم سوء خاسرين (كذا باليله والنون) وعلى
الذين سلكوا مسلكهم منى رحمة وهم في الغرقات آمنون . والحمد لله رب العالمين »
قال الرافضى بعد إيراد هذا الكلام على أنه سورة من القرآن : « قلت .
ظاهر كلامه أنه أخذها من كتب الشيعة ولم أجد لها أثراً فيها غير أن الشيخ محمد

ابن علي بن شهر آشوب المازندراني ذكر في كتاب المثالب على ما حكى عنه أنهم
أسقطوا من القرآن تمام سورة الولاية ، ولعلها هذه السورة . والله العالم . . . » .
انتهى كلام الرافضى .

وهذا الكلام الذى يزعمونه من كلام الله لا يصح أن يكون من كلام عوام
العرب وجهالهم فضلا عن أن يكون من كلام الله ومن كلام رسوله أو من كلام
أحد الأئمة المعصومين عندهم من آل البيت النبوى . وإمامهم من كلام الأعجم
الذين لا يعرفون أساليب اللغة العربية ، ولا يعرفون نحوها ، ولا صرفها ولا مفرداتها
ولا قواعدها . وهذا القرآن يضارع قرآن غلام أحمد القاديانى ، بل ذلك انظف
وأفضل قرآنًا . وإذا قيل فى الشعر :

هل من الأحسن
الأمراض من
هذه الآفات
الاعتقادية

وهاج نفسه من لم يميز * كلامى من كلامهم الهراء

كان أهجى لنفسه ولعقله وذوقه وفطرتِه واستمداده ذلك الذى لا يميز كلام الله
من كلام هؤلاء الأحاجم . ويخطئ الذين يحسبون أن من الخير والأحسن
الاعراض عن مثل هذا الكلام والاعراض عن نقله وعرضه على القراء لثلاثهم
حول القرآن حائمة من الشبهات والريب . وهذا الزعم خطأ ظاهر . وذلك أن من
الانتصار للقرآن أن نضع هذا الهراء إزاءه ليتبين فضله وإعجازه ، ولتظهر خيبة
المعارضين له المتكذبين عليه إذ (وبضدها يتبين الأشياء) . والحق يزداد جمالا
ووضوحا وقوة حينما يوضع إلى جانبه الباطل ، والعالم يتبين فضله بإزاء الجاهل ،
والنجوم الثواقب لا يتبين اشراقها ولا لاؤها وجمالها إلا فى وسط الدجئات
الحوالك

وهذا الكتاب — أعنى كتاب (فصل الخطاب) فى تعريف كتاب رب
الأرباب) يقع فى ما يناهز أربعمائة صفحة كبيرة . وكله من هذا النوع
النافع ، الذى يتبرأ إن شاء الله منه كل من يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ويتبرأ

منه كل من يحب أمته وقومه ، بل يتبرأ منه كل عربي على وجه الأرض . إذ لا شك أن هذا كله من وضع المعادين للعرب وللإسلام والمسلمين ، الكائدين لله ولرسوله ولصحابته شتأنا من عند أنفسهم .

ويلاحظ مما نقلناه أن وضعة هذا الكفر والالحاد كانوا يقصدون بما يضعون أمرين اثنين : أحدهما الامعان في ثلب الصحابة والمسلمين و تنقصهم وإكفارهم ووضعهم في زمر الملحدين والمنافقين الذين لم يؤمنوا بالله ولا برسوله ولا بدينه قط ، والذين مازالوا يكيّدون للإسلام ولأهل الإسلام ونبي الإسلام . وهذا الغرض ظاهر بارز في الجمل التي نقلناها من كلامهم . . . وثاني الأمرين الامعان في تعظيم علي بن أبي طالب وآله الممدودين عندهم إلى حد أن جعلهم أنبياء ورسلاً ، بل فوق الأنبياء والرسل . فانهم جعلوا الملائكة والروح ينزلون عليهم ليلة القدر بكل أمر ، وجعلهم مختلف الملائكة ، أي موضع اختلافهم ، أي مجيئهم وذهابهم ، وجعلهم « الكتب الناطقة بكل غائب ومستور ، والزبر المحتوية لما يكون أو مضى في سالفات الدهور . . . ومفاتيح خزانة العلم المسطور في رق منشور ، خصوصاً على مختلف الملائكة في الآصال والبكور »^(١) ، القطب الذي على مدار وجوده الأفلاك تدور^(٢) . . . كما تقدم في خطبة الكتاب . ولم يقفوا عند هذا الحد الأبعد الفظيع بل تجاوزوه بمراحل وفراخ حتى جعلوا علياً الهدي ، وجعلوه المالك للأخرة والأولى ، المالك لهم ولأموالهم كلها ، وجعلوا الرسول مالك أزمة الشور ، وجعلوا الأمر كله له ، وزعموا قوله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء » محرفاً مبدلاً . ومن القبيح أن صاحب هذا

(١) يمتنون أن للملائكة تختلف إلى علي بن أبي طالب صباحاً ومساءً . والأنبياء لا يريدون من هذا شيئاً

(٢) وهذه هي المعطلة التي لا تنهم ، إذا ما معنى دوران الأفلاك على مدار وجوده على ؟ لا معنى لهذا إلا أن يراد أنه هو مسير الأفلاك ومسير العالم كله وجوداً وفناء وتصريفاً .

الكتاب - أعنى كتاب « فصل الخطاب » - يقول فى أثناء مباحث الكتاب هذه الجملة : « فأقول مستمداً من آل الرسول ! » كما يقول المسلم : « فأقول مستمداً من الله أو مستعيناً بالله »

فوضعة هذا الكلام يقصدون من وراء ما وضعوا ويضعون أمرين : ماذا ؟ وماذا ؟ وهذا هو ما يكونون

تنتقص أوائل المسلمين ، ووضعهم في أرذل طبقات المناققين ، والفضالين الجرمين
ثم الغلو بآل النبي الغلو الأبعد المنكر إلى حد العبادة والتأليه . أما الأمر الأول
فالخامل لهم عليه خصومة العرب وشتان الإسلام ، لأنهم ليسوا عرباً ، ولأنهم لم
يدخلوا حقيقة في الإسلام . وأخص بهذا نفس وضعة هذا الكلام الذي نقلناه
لأتباعهم المقلدين لهم إذ قد يكونون مختوعين بهم . وهذا عندنا ظاهر واضح .
وأما الأمر الثاني فهو نتيجة للأمر الأول . فأنهم عند ما امتلأت صدورهم بعداوة
العرب وشتان الإسلام حاولوا حرب هذين العدوين الخصبين بلا خصومة .
منهما ، وحاولوا ضربهما بالضربات القاتلة ، فكان السلاح الذي حملوه للانتقام
من هذين الخصبين وللإيقاع بهما هو الغلو في آل النبي . والغلو في آل النبي له
أثران ونتيجتان : أحدهما إفساد الدين والتوحيد بعبادتهم وباعطائهم حق الله
الخالص له . وثانيهما إفساد الدولة بالثورات والاضطرابات . وبهذين الأثرين
أو النتيجتين يستطيع الانتقام من العرب بإزالة ملكهم واكتساح سلطنتهم ،
ويستطاع الانتقام من الإسلام - وهو عز العرب - بإفساد أصوله وعقائده ،
ومزجه بالشرك وعبادة المخلوقين . فإذا زال ملك العرب وتناثرت هروشم الواحد
تلقوا الواحد ، وفسدت عقائد الإسلام وأصوله ، وأصابها ما أصابها ولا بسبها ما لا بسبها
من الإشراك والضلال فقد تم الانتقام بأروع صورته ومظاهره .

وقد كنت سمعت من أحد الذين عرفوا بعض أغراض هذه الطائفة وألموا بشئ من أسرارها وأسرار دعوتها ودعاؤها - لأنه كان معاشراً لهم مواطناً - أنهم

يزعمون إيماء — وأحياناً تصریحاً — أن القرآن لم ينزل — كما يقول المسلمون جميعاً — لهداية الخلق ودعائهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم . . . وإنما نزل لأجل التعريف بهلى وبآله ، ونزل للدلالة عليهم والحض على إكبارهم وتقديسهم ولهذا فإن الشرائع عندهم تؤخذ مما يروونه بكتبهم عن علي وعن الأئمة المعصومين لا من القرآن ولا من السنة النبوية ، بل الكتاب والسنة لا وزن لهما عندهم وقد تقدمت الدلائل على ذلك .

ثم لا يقول القرآن
عند الشيعة

وقد تبين لي اليوم صدق هذا القائل إلا أنني أزيد عليه شيئاً ، فأقول : إنهم يرون أن القرآن لم ينزل إلا لأمرين اثنين : أحدهما امتداح علي وآله ، وهذا الامتداح الأحق المجنون أو الخادع المنافق . وثانيهما هجاء الصحابة وهجاء المسلمين وإكفارهم وإفساقهم وقذفهم بكل الأدواء النفسية والاعتقادية ، ورشقهم بتهمة النفاق الحاذ المنكر . والدليل على ذلك زعمهم أن المحذوف من القرآن أكثر من النصف . وهذا مذكور في هذا الكتاب وفي غيره . وقد زعموا أن المحذوف منه إما هجاء وإكفار للصحابة والمسلمين ، وإما ثناء ومديح لعلي وآله ، إلا الأقل النادر . وقد زعموا أيضاً أن الموجود من القرآن المبقى عليه يراد بالكثير منه امتداح علي وآله وثلب الباقين من المسلمين . وقد زعموا كما تقدم أن القرآن قد نزل بمئة ستين أو سبعين رجلاً من رؤوس قريش مصرحاً بأسمائهم ، وبعلاماتهم الجليلة الظاهرة ، وأن الصحابة المنافقين حذفهم بعد رسول الله من القرآن رعاية لقريش المشركين . وإنما أبوا على أبي لُب احتقاراً لرسول الله وإزدراء به لأنه عمه . . . فكان القرآن ما نزل عندهم إلا للهدى والضلال : هجاء المسلمين بادئاً بالصحابة ، وامتداح علي وأولاده والتعريف بمحققهم . وأغراضهم الحقيقية من وراء ذلك هي ما ذكرناه .

نحن لا نناقش القوم بهذه الكلمة ، وإنما ذكرنا ما ذكرنا لنقول : ألا ينجعل قوم

هذا نصيبهم من عناد الإسلام وحرب المسلمين من أن يؤلفوا كتاب كشف
الارتباب ، في أتباع محمد بن عبد الوهاب ، ليضمنوه غيرتهم على دماء المسلمين
وعلى أعراضهم وعقائدهم ، ولكي تعرف - معاشر المسلمين - أعداءنا من
أصدقائنا ، لنقف من الفريقين موقفا صريحا واضحا ، يدفعنا إليه الإخلاص
للإسلام ، والحرص على جماعات المسلمين . فما ينبغي أن يكون عدد المسلمين
أربعمائة مليون من أمثال هؤلاء ، وما يضرنا أن يكون عددهم مائة ألف مسلم أمثال
المسلمين الذين توفى عنهم رسول الله . بل ما يضرنا أن يكونوا مسلما واحداً مثل
لصديق أو الفاروق . إن نخر الشعوب والأمم وقوتها ليس بالعدد ، ولكن
بالعمل . والشواهد على هذا منظورة في الوقت الحاضر ، مقروءة في الزمن الغابر .
وقد كان الصحابة يوم أن توفى رسول الله ﷺ لا يزيدون على مائة ألف ،
وقد استطاعوا أن يبعثوا من عددهم هذا الضئيل عدة جيوش مختلفة إلى جهات
مختلفة فيقبروا بها أقوى دول الأرض إذ ذاك . وكان عددهم في غزوة بدر
الفاصلة ثلاثمائة ، وقد استطاعوا أن ينتصروا بتلك الفئة القليلة أول انتصار حاسم
للإسلام . وقد كان عددهم أقل من ذلك وأكثر . وكانوا في تلك الحالات كلها أعز
منهم اليوم وعددهم كما يقولون أربعمائة مليون . فأين غناء هذا العدد الهائل ؟
شعبان سنة ١٣٥٧ هـ عبد الله على القصيمي بالقاهرة

تم الجزء الثاني ويليه إن شاء الله الجزء الثالث

فهرست الجزء الثانى

﴿ من كتاب الصراع بين الاسلام والوثنية ﴾

صفحة	
٣	من قول الشيعة فى الشيعة . كتاب فرق الشيعة - لجارودية - عبد الله ابن سبأ - الكيسانية . البيانية - المنصورية
١٥	النبي هو موجد العالم
١٦	رجوع الأمركله إلى على
١٦	على غير محدود الذات ولا الصفات
١٧	وجود على وسع كل الوجود
١٧	آل النبي يملكون أمور العالم
١٧	الدنيا والأخرى أقل عطايا السيدة زينب
١٧	مجاورة أحد قبور آل البيت يمصم من هول القبر
١٨	ضربة على لعمر بن عبدود أفضل من عبادة الخلائق
١٩	إنكارهم لبنات رسول الله
١٩	ذرية النبي محرمون على النار، وممصبومون من كل سوء
٢٠	بنو أمية ليسوا من قریش
٢٠	ملوك أهل السنة أولاد زنا
٢١	من بكى أوتباكى على الحسين حرم على النار
٢١	على قسم النار ومنقذ الخلق يوم القيامة
٢٢	زائر الحسين نافع، وزيارته أفضل من الحج والاعتمار

صفحة	
٢١	الشفاء وإجابة الدعاء في قبر الحسين
٢٢	الامام المنتظر يأتي بأمر جديد وكتاب جديد
٢٣	بطلان الجهاد في سبيل الله عند الشيعة
٢٦	الرجعة ومبناها عندهم
٣٠	بماذا يعرف الشيعة الحق ؟ بخلافه المسلمين
٣٤	مصنف طائفة، جامعة على، الجفر - المصاحف غيز القرآن - لافرق بين الامام والرسول - تكفيرهم لا تمتهم وتنكثير بعضهم لبعض - مافي، بغضة على من للعلوم والمعارف - لدى القوم جفران - اشتباك الجفر على جميع العلوم سوى على علم الله - مؤلفات على بن أبي طالب ما تم عاشوراء
٤٤	اعتقاد الوهابيين في الأنبياء والصلحين في قبورهم - فضل الأنبياء ليس في مقدرتهم ولكن في عبادتهم وريهم - ليس في محو الالبياء تعظيم لهم - ما يمنع من أنواع التوسل والاستغاثة والاستشفاع - تقبيل القبر ليس من الدين - تقديم وصف النبوة على وصف الرسالة - لا يضير الرسول عبادة من عبوده
٥٦	المسلمون في نظر الوهابيين - لا يدل على حقيقة المرء سوى أقواله وأفعاله - الوهابيون لا يبارزون غورهم من المسلمين في شيء - أكبر رجل سعودى في مصر يعلى الجمع والجمعات في المساجد الناحية - الوهابيون ينفون عن أنفسهم ككفر المسلمين - شبهاتهم على أن الوهابيين يكفرون المسلمين - الحروب بين الناس لا تنل على نوع العقيدة - دلالة الحرب مشتركة بين المتخالفين - قد حفروا الجاهل بالشرعاً وعقلاً

— لا ريب في ابتداء طوائف من المسلمين — مأعجب أمر الشيعة	
— وقوع الابتداء ضرورى — سبى ذرارى المسلمين — ما يقولون فى	
حروب على — توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية — لا ينجو المرء	
إلا بالتوحيدين — إيمان المشركين بأن الله الخالق لكل شئ —	
الكلمة التى يصير بها المرء مسلماً — كلمة لخالق إلا الله ليست من	
الذكر المرغوب فيه — الكفر المطلق والكفر المقيد	
هل المسلمون فى أمان من الشرك ؟	٩٣
الدلائل على أن طوائف من المسلمين يقعون فى الاشراك	٩٥
كلام الشاطى فى فساد الناس وفشو البدع	١٠١
كلام ابن وضاح فى ذلك	١٠٣
عبادة الأصنام فى المحاريب	١٠٩
حديث ذات الأنواط	١١٠
الكتب الموضوعة فى إنكار البدع	١١١
دلالة القرآن على فساد المسلمين ومجانبتهم دينهم	١١٢
الكلام على يأس الشيطان أن يعبد فى جزيرة العرب	١١٦
جواب حديث « والله ما أخاف أن تشركوا بعدى »	١١٧
جواب حديث « إن الشيطان أيس أن يعبد فى جزيرة العرب »	١٢١
بما ذا كان المشركون مشركين ؟	١٢٨
هل كان العرب المشركون ينكرون الله ؟ أو يقولون إن الأصنام	١٣٣
تنفع أو تضر ؟	
الآيات التى احتج بها القوم على أن المشركين العرب كانوا ينكرون	١٤١

صفحة	
	الله أو كانوا يقولون : إن الله أعطى أصنامهم التأثير كله أو بعضه
١٥٢	هل يرى المنقطعون إلى الأموات أنهم ينفعون أو يضرون ؟
١٦١	ما الفرق بين العا كفين على الأصنام والعا كفين على القبور
١٦٤	خلاصة الفروق بين الفريقين
١٦٦	جواب هذه الفروق وإبطالها
٢٠١	كيف ، ولماذا عبد الخلق — أسباب الشرك — فلسفة ذلك
٢٠٨	الباب الثالث من كتاب الرافضى
٢٠٩	الاستشفاع بالأموات ، حجة الرافضى
٢١١	إبطال شبهات القوم
٢١٢	دلائل بطلان الاستشفاع بالموتى
٢١٦	أحد العلماء يؤلف كتاباً فى عبادة شخصه — تقضى هذا الكتاب —
	ما فى الكتاب من الأخطاء والضلالات — أنواع ذلك
٢٧٥	بقية البراهين على بطلان الاستشفاع بالموتى
٢٩٨	الكلام على حجج المخالف فى الاستشفاع بالأموات ، وإبطالها
٣٠٥ و ٢١٣	حديث كشف القبر النبوى إلى انتهاء عند الجذب — سنده — ضعفه
	روايته — علله — معناه إذا صح
٣٠٩	حديث استشفاع أنس بن مالك برسول الله وجوابه
٣١٠ و ٢٥٣	رواية قصة سواد بن قارب — سندها — روايتها — ضعفها — معناها
	لو صححت
٣١٢	ما روى أن أبابكر وعليهما السلام لرسول الله بعد موته : « اذكرونا عند ربك واجعلنا من همك » . بطلان ذلك — معناه توضيح — كلام

- المصائب لا يحتاج به — الخطاب نوعان : جائز وممنوع — الممنوع من خطاب الموتى
- ٣٢٠ تتبع أغلاط العلماء — شر المذاهب — من ذكر هذا — ما ذكره ابن قدامة — ليس من الاسلام ضلالات الافهام
- ٣٢٦ الاستغاثة بالأموات — براهين الشيعة — حكايات غريبة
- ٣٣٠ بطلان الاستغاثة بالميتين — دلائل ذلك — دلالات القرآن — كثرة هذه الدلالات ، تنوعها — ضروبها — كل القرآن نهى عن دعاء غير الله وعن الالتفات إلى المخلوق — سياق أثنان من الآيات — وضوح دلالتها — ردها لكل ممارسة وجدال — الرجوع بالقارئ إلى ذلك كله — فساد التأويلات التي يلجأ إليها المخالفون — الموازنة بين المالكين على الأصنام والمالكين على القبور — تشابه الطائفتين — الزامات كثيرة متنوعة — مثل — المشرک والموحد — تعب هذا وراحة ذاك — النهى عن اتخاذ الأولياء — ومعنى هذا
- ٤١٠ اعترض على نهى القرآن عن دعاء غير الله — نتيجة الاعتراض — سياقه بأسلوب آخر — جوابه من وجوه كثيرة — التفريق بين الأحياء والأموات — النهى عن دعاء الأموات دون الأحياء — لا يعبد إلا الخالق — معنى الاسلام والمسلم — صرف القرآن عن جميع المخلوقين — كل ما في المخلوق يجب أن يكون للمخالق — من كثر سؤاله غير الله قل دينه — سؤال المخلوق حرام شرعاً وعقلاً — المظالم الأربع — دعوة الأحياء ضرورة — ونظير هذا
- ٤٢٩ بقية الحجج على بطلان دعاء الميتين — بطلان التأويل لدعائهم — دلائل

ذلك - لم يفعل ذلك الرسول ولا آله ولا المسلمون - من الاحتياط
الواجب - تكفير الشيعة من اعتقاد التأخير لنزول الله - اعترافهم
بكفر طوائف من المدعين للإسلام - اعتقاد عبادة الموتى - ذلك في موتهم
وذلك في - لزومه مذهب الشيعة - العاقل لا يسأل العاجز عن إعطائه -
البرهان القاطع - لماذا لا يدعو الأحياء كما يدعو الأموات -
الدليل على أن الميت أقدر من الحي عند الخالف - الأحياء لا يعذبون
إلا نادراً لمشاهدة تعذيبهم - الذين يعذبون في قبورهم كانوا لا يعرفون
في حياتهم - يعذبونهم بعد الممات وقد خذلوم في الحياة - ينفقون
على القبور ولا يتقنون في سبيل الله

٤٥٦ تلخيص شبهات الرافضى على دعوة الأموات

٤٥٧ تقضى هذه الشبهات - بطلان التأويل لكل من ادعى الإسلام - التأويل

لغير المسلم إحساناً للظن - لماذا لم يؤول الأنبياء لأقوامهم - يؤولون
لكل الناس ولا يؤولون لأصحاب النبي - فساد المجازي دعاء أصحاب
القبور - المجاز في قولهم : أنبت الربيع البقل - الفرق بين الأخبار
والقلب - الجواب عن قول الله : فازرقوهم منه - برهان باهر - الجواب
عن قول الله : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله » وعن أمثاله
وعن إتيانهم بالحق والبراءة إلى عيسى عليه السلام - ليس كل ما جاز
للأنبياء يجوز لغيرهم - قول أحد الصحابة لرسول الله : أسألك
مراقبتك في الجنة وجوابه - إشكالات على قلق وجوابها

٤٨٥ حديث خازن عمر وهو أن رجلاً أتى قبر النبي وقل له استسق لأمتك -

سند الحديث - الأسانيد المقبولة عند الشيعة - الرواية غير صحيحة -

صفحة	
	الوجوه الدالة على كذبها - معناها لو صححت
٤٩٠	حياة الشهداء - الكلام عليها - دلالة ذلك على أن الأموات لا يدعون — أنواع البراهين
٤٩٥	ما نقله عن بعض العلماء من الاستغاثاة بالقبور - كذب النقل - لو صح كان إبطالاً لمزاعمه - يا من زعموا أنهم مسلمون
٤٩٨	أحاديث: «إذا أضل أحدكم دابته في فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا» الاسناد - ضعفه - دفاع الشيعي عن ضعفه - ما كل ما روى في كتب الحديث صحيحاً - كيف يصح عندهم هذا الحديث - الكلام على المعنى لو صح - الدلائل على أن ما في الأحاديث ليس دعاء للأموات - أسئلة وأجوبة - الفرق بين الدعاء المطلق والدعاء المقيد - هذا كقول الأعمى: يا رجلاً خذ بيني - مثل المنادى للأموات من كل مكان والقائل: احبسوا دابتي
٥١٣	الأحاديث التي جاء فيها: واعمدوا! عند خدر الرجل وعند القتال - سياق الأسانيد ونخريجها - بيان من رواها - السند الأول والثاني والثالث والرابع وبيان عللها وضعفها - انظف سند الحديث خدر الرجل - معاني الأحاديث لو صححت - زعم الشيعي أن قتال المرتدين كان في حياة النبي - رجوع المؤمنين إلى الله في حالات الحروب والشدائد - ذكر اسم المحبوب عند خدر الرجل من عادات العرب - ما في ذلك من علاج للروح والجسم
٥٣٢	التوسل - أنواعه عند المخالف - دلائله - مياقها كلها
٥٤٠	حقيقة التوسل والوسيلة - الأحاديث في التوسل - الأشعار فيه -

أقوال أهل السنة — ما كل ما يسميه الناس وسيلة يكون عند الله كذلك — مثل من استدلوا بالآية على جواز كل ما يسمونه وسيلة — معنى الوسيلة والتوسل في لغة العامة كنفين على القبور ما يجوز من التوسل وما لا يجوز — وجوه التوسل الثلاثة عند المخالف و بطلانها — دلائل بطلان سؤال الله بالجاء ونحوه — لا تنفع الشفاعات والوساطات إلا في الشعوب المنحطة والحكومات الظالمة — دلالة الشرع على أن الجزاء بالعمل — عجز الأنبياء عن نفع أقربيهم وظائف النبوة — حديث القرآن عن مجازاة الخلق وعن موتجبلات الجنة وموجبات النار — المتوسل إلى الله بنوات الصالحين مثل المتوسل بذاته وبجسمه وقبره — هذا التوسل كأن يقال : أسألك بكون نبيك وجد في عصر كذا ومكان كذا

٥٦٧ تلخيص أدلة التوسل عند الرافضى — جواب أدلته — جواب قول الله : « وابتغوا إليه الوسيلة » دلالة الآية على خلاف مذهب المخالف . دلالة أحاديث الوسيلة على بطلان قول القوم — الجواب عما زعموه من توسل بنى إسرائيل بأهل بيت نبيهم

٥٧٦ التسوية بين الأحياء والأموات — براهين بطلان ذلك من الشرع والعقل والوجدان والضرورة والإجماع والالزام

٥٨١ حديث سؤال آدم ربه بحق محمد عليه السلام بعد أن ارتكب الخطيئة — سند الحديث — الحديث مكذوب — أصناف الدلائل على كذبه . الناس مخلوقون لعبادة الله لا لغير ذلك . لو صح هذا لكان الأنبياء جميعاً لم يخلقوا إلا من أجل محمد — فساد معنى الحديث — وجوه فساد

وتمددها - وجوه واضحة في بطلان الحديث واختلافه - الروايات في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم - القرآن لم يذكر هذا التوسل مع ذكره القصة - السؤال بحق النبي ليس له من القيمة العملية ما يوجب كل هذا - ما معنى السؤال بحق المخلوق ؟ - دلالة الرواية نفسها على كذبها - رواية توسل آدم بعلي وفاطمة والحسن والحسين - الرواية مكذوبة - السؤال بحق المخلوق باطل شرعاً وعقلاً وعرفاً وجداناً - هذا مثل السؤال بالأيام والأوقات المفضلة ، ومعنى هذا جواز التوسل بكل شيء

٥٩٦

حديث الأعمى المشهور - رواياته - ألفاظه - سياق استدلال المخالفين له على أكل الوجوه - الكلام على سند الحديث في كل طرقة غريب انفرد به أبو جعفر المختلف فيه - من أبو جعفر هذا - قال قوم : إنه الخطمي ، وقال آخرون إنه غيره - أدلة الفريقين وكيف يرجح أحد الرأيين - من شروط الحديثين لصحة الحديث - لماذا ألغت كتب الحديث بالأسانيد - ما ذكره مسلم في مقدمة الصحيح من نقد الرواة والروايات - الإسناد من الدين - من يكون أبو جعفر هذا إذا لم يكن الخطمي - ويزيد الشك في صحة الحديث انفرد ابن حنيف وانفرد أبي جعفر أيضا به - أخبار المعجزات - تعدد رواياتها

٦٠٣

إجمال علل الحديث - شنود معناه - الأخبار التي فيها السؤال بحق المخلوق ضعيفة أو موضوعة - أبواب الدين كلها متفق على أصلها بالجملة - نجد في الكتاب والسنة كل علوم الإسلام ولكن لا يوجد فيها السؤال بالمخلوق - رد السلف الروايات الغريبة الشاذة وإن كان راويها ثقة - اشتراط العدد في الشهادة والشهود - نصوص الدين كلها متواترة -

٦٢٤

قدح الرافضة في أئمة المحدثين - الكلمة الفاصلة في الحديث أنه ضعيف
تحقيق معنى الحديث إن كان صحيحاً - بيان دلالاته على خلاف مذهب
الخالفين - أربعة أمور تدل كلها على أن الحديث رد على القوم -
الجواب عن ألفاظه - البراهين من كلام العرب على أنه ليس كما
يرضون - وفي الحديث شيء قاطع ضروري - من غلو الشيعة - تناقض
لا مثيل له - هل دعا الأئمة الدعاء المذكور غالباً وإذا كان كذلك
فما جوابه ؟

٦٤١

قصة سواد بن قارب وما فيها من الشعر مع أشعار أخرى
الحديث الذي جاء فيه أن عثمان بن حنيف أمر رجلاً أن يتوسل برسول
الله بعد موته - سند الحديث - بيان حاله - الحديث ضعيف - وجوه
ضعفه - اختلاف الصحابة وخلافهم في اجتهدام المحض - أمثلة من
اجتهادات الصحابة - تخريج قريب لما ذهب إليه ابن حنيف في هذه
الرواية - محال أن يظن هذا الصحابي أن الرسول يسمع مناديه من
كل مكان - برهان قاطع - الرافضة يكفرون الصحابة فكيف يحتجون
بقول واحد منهم - أخبار الشيعة في وجوب مخالفة المسلمين وأسباب
ذلك - كل ما يقوله الشيعة موافقاً لما عليه المسلمون فلا بد أن يكون تقية
- كل هذا مطلوب من الشيعة - مخالفة المسلمين مطلوبة لدى الشيعة
فليخالفوهم في خرافات القبور

٦٥٣

٦٦٤

حديث سؤال النبي بحق الأنبياء قبله - الحديث ضعيف، فيه روح بن
صلاح المصري - كلام الناس في الحاكم وفي تصحيحه الأحاديث
الضعيفة - الكلام على الجرح والتعديل وتقديم أحدهما على

٦٨٩

الآخر — من عجيب نقد الشيعة ودفاعهم عن آل رسول الله — تكفير الشيعة لقراءة النبي — حديث مسلسل بآل البيت في مذمة الرافضة — من علم الشيعة في علم الاسناد — رجال الصحيح قسماً مختلفان — معنى الحديث إن صح — سؤال المخلوق ليس كسؤال الله بالمخلوق — ماحق الأنبياء في الحديث

٧٠٥ قول صفية : ألا يا رسول الله كنت رجاءنا — الاسناد — ضعفه — تحريف الرافضي لهذا الشعر — صحته — الرواية رد عليهم وبيان ذلك لوصح ما ذكره — الاختلاف في الألفاظ — جواب كل لفظ — أنواع من الخطاب الذي لا استغناء فيه — الخطاب الصوري — فصل الخطاب

٧١٣ رواية الإفضاء بقبر النبي إلى السماء — إسنادها — معناها ٧١٩ أحاديث توصل الناس بالانبياء يوم القيامة — دلالة الأخبار على خلاف أقوال المخالفين من وجوه مختلفة كثيرة — دلالة الأخبار على قولنا من ناحية ثانية — إذا امتنع الانبياء من الشفاعة فكيف يرجون المشايخ لها

٧٢٦ حديث خلق الجنة والنار لأجل محمد عليه السلام — سند الحديث — الخبر موضوع — الدلائل الكثيرة على بطلانه — لوصح

٧٥٣ حديث السؤال برب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومحمد — هذان التوسل بصفات الله — إضافة اسم الرب إلى كل شيء

٧٣٩ رواية أمر الامام مالك للخليفة المنصور أن يستشفع بالنبي — سياق الاسناد — الكلام عليه — الاختلاف فيه — بيان ضعفه على كل

حال - بيان انقطاعه - أمور أخرى دالة على كذب الحكاية - مخالفة ما في هذه الحكاية لمنهيب مالك - تحقيق ذلك - استقبال القبر النبوي حين دعاء الله - خلاف هذا السنة والمذهب العلماء - ركاكة أسلوب الحكاية عدم تلاؤم أجزائها - الاخبار في النهي عن إتيان القبر النبوي من طرق أهل البيت وغيرهم - لا يستقبل القبر عند الدعاء كما لا يستقبل عند الصلاة والسلام - ويتل على كذب الرواية - هدى السلف في إتيان القبر للزيارة والسلام - كراهة ذلك - لم ينقل عن غير ابن عمر - ومن البراهين القاطعة دفن النبي في حجرة زوجته عائشة وإحاطة القبر بالجدران - أقوال مالك تناقض هذه الحكاية

٧٩٩ الاستشهاد بقول الله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك » الآية - حكاية المعنى - بيان طرقها - الاختلاف فيها - ضعفها - ليس لها اسناد - بطلان الاحتجاج بالآية على إتيان القبر - زيارة القبر ليست زيارة لصاحبه - إتيان النبي بعد موته غير ممكن - وجوه عشرة في بطلان الاستدلال بالآية على شد الرحال إلى القبر

٧٩٤ لو صححت الحكاية - معاني كلمات الامام مالك في الحكاية إذا كانت صحيحة - معنى الاستشفاع ويمّاذا تنال الشفاعة - تخرج قريب لكلام مالك

٧٩٩ توسل الشافعي بآل النبي - معنى هذا لو صح عن الشافعي

٨٠١ حديث الاستسقاء بالعباس - الحديث لا يدل على أقوال المخالفين - الدلائل على أن التوسل هنا هو طلب الدعاء - روايات الحديث وما دعا به العباس - دلائل أخرى على أن الذي في الحديث

استشفاع بالأحياء - دلالة الحديث على خلاف قولهم - جواب الرافضى
عن هذا وفساده بوجوه كثيرة - لا يمكن الاتمام بغير رسول الله مع
وجوده - لا يمكن ترجيح المفضول على الفاضل - اعتراضات وأجوبتها -
لا يصح قياس غير النبي على النبي - هل يرغب في طلب الدماء من
الرسول - الرسول يدعو للمؤمنين وإن لم يسألوه - أكل الجود - لماذا
توسلوا بالعباس - بطلان التوسل بالعباس مع إمكان التوسل برسول الله -
وعندهم أن عمر خصم لآل النبي فلا يصح ما ذكره - زعمهم أن جميع
الائمة قد قتلوا - برهان قاطع على كذب هذا الزعم - عشرة وجوه
في بطلان ما ذهبوا إليه في توجيه التوسل بالعباس دون النبي - أقبح
تأويل للحديث وإبطاله - زعمهم أن التوسل بالعباس كان لبيان جواز
التوسل بغير النبي - ومزاعم أخرى باطلة

فوائد حديث الاستسقاء بالعباس - دلالة الحديث على كذب جميع
الأحاديث التي فيها ما يشهد لقول المخالفين - حديث «حياتي خير
لكم ومماتي خير لكم»

كتاب «فصل الخطاب» في تحريف كتاب رب الأرباب - مذاهب
الشيعة في تحريف القرآن - نواتر الأخبار عندهم في هذا - قولهم بالزيادة
وبالتقصان وبالتبديل - أمثال من الآيات التي زعموها مخرقة - كلام
فارغ زعموه سورة مخنوفة - هل من الأحسن كتمان هذه الفضائح ؟
- الدليل على أن وضعة المذهب الشيعي أمهات - ماذا يريدون من
هذا ؟ المسلمون أمس واليوم

﴿ تم الفهرس ﴾

﴿ كتب المؤلف - وكلها مطبوعة ﴾

- ١ البروق النجدية في اكتساح الظلمات الدجوية
- ٢ شيوخ الأزهر
- ٣ الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفهم
- ٤ مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها
- ٥ نقد كتاب « حياة محمد »
- ٦ الثورة الوهابية
- ٧ الجزء الأول من كتاب « الصراع بين الاسلام والوثنية »
- ٨ الجزء الثاني منه وهو هذا

عبد الله القصيمي قلب معسكر الاصلاح في الشرق

بقلم فضيلة الاستاذ الشيخ حسن القاياتي

معسكر الاصلاح في الشرق ، طلعيته ابن خطدون ، باكرة الاجتماعيين ،
وجناحه السيد الألفاني ، وتلميذاه محمد عبده والسيد الكواكبي ، أما قلبه فهو
السيد القصيمي نزيل القاهرة اليوم ، مجدي في جبهته وقيادته ، وصمادته وعقاله ،
إذا اكتسحت به غينك لأول التاجه ، قلبت : زعيم من زعماء العشائر
التجديية ، تخلف عن عشيرته ، لبعض طيته ، حتى إذا جلست اليه فأصبحت الى
حديثه الطيب أصبحت الى عالم بحر يفهم بعلم ديني واجتماعي .
تعرفت الى العالم التجدي القصيمي ، فجلست اليه مرة ومرة ، ثم شاهدته
كرة ، فناهيك منه داعية اصلاح ، أكثر ما يلهم به الشرق وأدواؤه وجهله
ودواؤه .

لم أفض العجب حين شهدت السيد القصيمي من عرق في شبائله ، ملتف
في شملته ، يروعك منه عالم في مدرسته ، كاذ يحليني شرقيا بغيرته الشرقية ، وقد
بنيت مصريا .

حيا الله السيد القصيمي . ما أصدق نظره الى الحياة . وأبعد مرماه في
المداية . يقول الأستاذ القصيمي :

« شعبان هبطا هذا الكوكب الأرضي الواسع الأرجاء . فصار شعب تحت
ضمان معرفته في قوة لا تكبر ولا تفضل . فاستغل واستغل . وشعب آخر هبط
غريبا في هذا الكوكب ، جاهلا نوايسه وقوانينه . فلم يتركيف يأخذ ولا كيف
يدع ، هذان شعبان ، فإذا عسى أن تكون النتيجة لاجتماعهما . ليس هناك أدنى
ريب في أن الغلبة ستكون : للعلم والعرفان . »